محمداً بقصيدتي

ولئن مدحت ~~محمداً بقصيدتي~~ فلقد مدحت قصيدتي بمحمد

السلام التام والتحية والاكرام على سيدنا محمد مكي افندي قاضي الشام من محبه وصاحبه محمد تقي الدين
صاحب عقيدة الغيب وطريق رجال الغيب في جامع جراح عند جبانة سيدنا بلال الحبشي رضي الله عنه
في دمشق الشام وبعد فاني بعثت الى حضرة جنابكم الشريف هذا الاسم الاعظم على كيفية الصلاة
على النبي صلى الله عليه وسلم وله خاصية عجيبة اذا كتبته في ورقة وجعلتها في المصحف علامة على الموضع الذي
تقرأ فيه فاذا اردت القراءة في المصحف فاقرأ هذا الاسم الاعظم ثم اقرا ما تيسر من القران على نظامه
فانك تنتظم مع اولياء الله تعالى وفيه اسرار عجيبة من اعظم الاسرار عن صاحب عقيدة الغيب
وطريق رجال الغيب وهو هذا اللهم اني اسئلك باسمك الاعظم المكتوب من نور وجهك
الاعلى المؤبد في قلب نبيك ورسولك سيدنا هو محمد ان تصلي عليه صلاة تثبت في قلبي الايمان
وتحفظني القران وتفهمني منه الايات وتفتح لي بها نور الجنات ونور النعيم ونور النظر الى وجه
الله الكريم وعلى اله وصحبه وسلم

معناه قوله المويد بالالف الموحد
الباقي الذي لا يفنى

سورة ال عمران ٢٥ | سورة النسا ١٠١

يا ايها الذين امنوا ٢٢٦

سورة المائدة ١٢٦ | سورة الانعام ١٤٦ | سورة اعراف ١٦٣ | سورة انفال ١٨٣ | سورة التوبة (براءة) ١٩١ | سورة يونس ٢٠٧

سورة يوسف ٢٢٩ | سورة رعد ٢٤١ | سورة ابراهيم ٢٤٧

سورة نحل ٢٥٩ | سورة بني اسرائيل ٢٧١ | سورة كهف ٢٨٢

والاستثناء منقطع فيه احتمالان احدهما ان يكون متعلقا في المغني بقوله قبل
يعني ان من قال قوله تعالى وما كان لمؤمن ان يقتل الخ نفي بمعنى النهي يقول ان الاستثناء
منقطع بناء على ان الاستثناء لو كان متصلا لافاد كون القتل حال الخطأ مطلوبا
ومامورا كما قال الشارح الكازروني عليه الرحمة انما جعل الاستثناء منقطعا لانه
على هذا التقدير لو جعل متصلا في المعنى لانه لا يطلب من المؤمن ترك القتل في كل حال
الا حال الخطأ فيلزم ان يكون القتل حال الخطأ مطلوبا وليس كذلك والاحتمال الثاني ان يكون
معطوفا على قوله ونصبه على الحال ان الاستثناء في قوله تعالى الا خطأ
يجوز ان يكون الاستثناء فيها منقطعا كما يجوز ان يكون متصلا وفي هذا الاحتمال
اي كون قوله والاستثناء منقطع كلام المصنف فكونه معطوفا على قوله ونصبه الخ كما تريد ان يبين
ان الاستثناء في الآية الكريمة يجوز ان يكون متصلا ومنقطعا والصواب الثاني لان هذا يكون قول صاحب القيل
ان الاستثناء منقطع فقط ولم يتعرض الى كون قوله تعالى وما كان الخ نفيا بمعنى النهي بعد قال بعض اصحاب القيل
بعض اصحاب القيل على ما قررنا في الاحتمال الاول فانظر الى مصادر ...
بقوله قيل ما كان الخ معنيين احدهما جواز الاستثناء المنقطع على تقدير ان يكون
من قوله تعالى وما كان الخ ... جواز استثناء المنقطع على تقدير ان يكون المراد
المراد من قوله تعالى وما كان الخ النفي بمعنى النهي وكذلك افاد رحمه الله انه على تقدير المراد من الآية الكريمة
النفي بمعنى النهي يكون الاستثناء منقطعا البتة ولا يكون متصلا وارادة هذا المعنى الى النفي بمعنى النهي
متوقف على كون الاستثناء منقطعا ولا يمكن ...

قوله تعالى وما يعلم تأويله الا الله والراسخون في العلم يقولون آمنا
روي عن عمر بن عبد العزيز في هذه الآية انه قال انتهى ~~تفسير القرآن~~
علم الراسخين في العلم بتأويل القرآن الى ان قالوا
آمنا به كل من عند ربنا وعن ابن عباس انه قال تفسير القرآن
على اربعة اوجه تفسير لا يسع احدا جهله وتفسير يعرفه العرب
بالسنتها وتفسير يعلمه العلماء وتفسير لا يعلمه الا الله
وسئل عن مالك ابن انس رضي الله عنهم عن قوله تعالى
الرحمن على العرش استوى فقال الاستواء معلوم والكيفية
مجهولة والايمان به واجب والسؤال عنه بدعة ويؤيده القول
انه تعالى ذم طلب المتشابه بقوله فاما الذين في قلوبهم زيغ
فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله

قوله مثنى وثلاث وارباع اختلفوا في ان هذه الالفاظ المعدولة هل يجوز فيها القياس او يقتصر فيها على السماع 101
فذهب البصريون الى انه لا يجوز فيها القياس وذهب الكوفيون الى جوازه والمسموع منه من احد عشر لفظا احاد وموحد وثناء ومثنى وثلاث ومثلث ورباع ومربع وخماس ومخمس ولم يسمع خماس وعشار ومعشر

قوله والثاني صفات جواب عما يقال كيف اعتبر الوصفية مؤثرة في منع الصرف المعدولة مع انتفاء شرط تاثير الوصف في منع الصرف وهو كون الوصفية اصلية فوصفية هذه الالفاظ ليست اصلية لان اصولها انما وضعت للعدد ولا وصفية فيها ولهذا انصرف اربع في قولك مررت بنسوة اربع لعروض الوصفية والوصفية لما لم تكن معتبرة في المعدول عنه لم تكن الوصفية فيها اصلية فكيف كانت مؤثرة والجواب ان الوصفية فيها اصلية بناء على ان المراد بكون وصفية الكلمة اصلية كونها موضوعة للدلالة على الذات باعتبار المعنى الذي هو بها وهذه الالفاظ كذلك فانها حين ما عدلت عن اصولها لم يكن الا صفة وعدم كون اصولها موضوعة على الوصفية لا يضر كون وصفيتها اصلية

قوله وقيل لتكرر العدل فيها من حيث انها معدولة باعتبارين باعتبار الصيغة بناء على انها اخرجت عن اوزانها الاصلية الى اوزان اخر وباعتبار التكرر بناء على ان التكرر الكائن في اصولها ترك وعدل عنها الى التوحيد لكن انها معدولة عن نفس صيغ اصولها فهي ايضا معدولة عن تكرر تلك الصيغ فتكرر العدل فيها ونقل المص انما لم يرض بهذا الوجه نظرا الى ان العدل عبارة عن تغير الصيغة والعدول عن التكرر ليس من قبل العدل المعتبر في منع الصرف اولا تغير فيه للصيغة

قوله ولو افردت اي قيل لقوله ومعناها ذكرا ولا معنى بهذه الالفاظ المعدولة عن الاعداد المكررة ثم ذكر المعنى على تقدير ان تذكر الاعداد المذكورة غير مكررة بان قيل فانكحوا ما طاب لكم مثنى وثلاث واربع وهو ان يخاطب الجمع ويباح الجمع لهم على سبيل الاجمال لا على سبيل التوزيع والتفصيل بان يجمعوا بين هذه الاعداد المذكورة في الاباحة الاخذ اي واحدة منها وكذا لو قيل اقتسموا هذه الدراهم درهمين وثلاثة لصار المعنى تجويز الجميع ان يأخذ من العدد من المذكورين ما شاء واصل الاباحة مستفاد من الامر والجمع بين الاعداد المذكورة مستفادة من الواو والفرق بين تكرر العدد وافراده حتى كون الحكم على الاول ان يباح للجميع ان يجمع بين الاعداد المذكورة على سبيل التوزيع والتفصيل وعلى الثاني ان يباح لهم الجمع بينها بدون التوزيع وان تكرر العدد يستلزم مقابلة الجمع بالجمع دون افراده قال الكشاف عن اعداد مكررة اي اثنين اثنين وثلاثا ثلاثا واربعا اربعا لكن ان المستعمل هو المكرر مثل جاء في القوم رجلا رجلا بدلا من التفصيل وتحقيق العدلين انها اخرجت من اوزانها الى اوزان اخر وعن تكررها الى التوحيد فاذ ذلك ايضا تغيير للصيغة نظرا الى الجميع ذكره المحققون على ان فيها العدل والصفة الاصلية لانها معدولة لا تكون الا صفة ومنع المص اعتبار الوصفية فيها بناء على عدم اعتبارها في المعدول عنه بدليل الانصراف في مررت بنسوة اربع وما ذكره المصنف عائد الى ما ذهب اليه ابن السراج ان فيها عدلين لفظيا ومعنويا لان مثنى عدل عن لفظ اثنين وعن معناه لانه افاد الاثنين مرة واحدة الى معنى اثنين اثنين

قوله ولو افردت كان المعنى اي فيه تعرض للكشاف حيث قال ولو افردت لم يكن له معنى ووجه الرد ان كون له معنى لتفصيل وهو الجمع بين هذه الاعداد ان يكون المدلول تجويز التسعة وكفى بها علية انه مع ذكر العدد المكرر استدل البعض لانه على جواز التسعة باعتبار ان مثنى وثلاثا ورباع تسعة فلو جيء باثنين وثلثة واربعة لما تمسك به ويمكن ان يفسر الكشاف بان اراد بنفي المعنى لهذا اللفظ في عرف البلغاء اذ البليغ لا يؤدي التسعة باثنين وثلاث واربع

قوله منفقين فيه او مختلفين اي محصلها ان معناها الاذن لكل واحد من الناكحين ان ينكح اي عدد شاء من الاعداد المذكورة سواء كان كل ناكح منفقين فيه او مختلفين فان الضمير في ينكح راجع الى كل واحد ولو قيل سواء كان الناكحون منفقين في العدد او مختلفين لكان اولى قوله ولو افردت كان المعنى تجويز الجمع اي لو قيل انكحوا ما طاب لكم من النساء اثنين وثلاثا واربع لكان المعنى اجمعوا بين هذه الاعداد والظاهر التوزيع ان لكل واحد ان ينكح اثنين فقط او ينكح ثلاثا فقط والفرق بين العبارتين انه اذا قيل انكحوا اثنين وثلاثا واربع فالعبارة اظهر من ان يجوز الجمع بين الاقسام المذكورة بان ينكح كل الاربع ويحتمل ان يكون المراد التوزيع بان ينكح بعض اثنين وبعضهم ثلاثا وبعض اربعا فاما اذا قيل انكحوا اثنين اثنين وثلاثا ثلاثا واربعا اربعا فلا وجه لان يقال معناه ويجوز الجمع بين هذه الاقسام بان ينكح كل اثنين اثنين وثلاثا وثلاثا واربعا اربعا والازم جواز نكاح اكثر من اربع والاحاديث الصحيح مانعة عنه ومعنى عبارة المصنف في حق قوله انكحوا اثنين وثلاثا واربعا انه يجوز الجمع دون التوزيع وكلام صاحب الكشاف يدل على ان ليس لهذه العبارة معنى ما فرق بين كلام المصنف وكلام الكشاف م كاندوني رحمه الله

مسئله زید کفارت صومی لازم اولوب اعتاق رقبه دن عاجز اولمغله متتابعاً ایکی آی صایم اولوب
اول ایکی آی صایم اولمق اثناسنده کیجه ایله عورتی هنده جماع ایلسه زید اول ایکی آیه جمله‌سنی استیناف لازم اولورمی
الجواب اولماز

استصححه الفقیر الیه تعالی
محمد مکی عفی عنه

[illegible]

قوله لقوله اقتسموا [illegible] العدد در ثمن در ثمن و عشر عشر ولو قرئت کان المعنی تجویز الجمع بین هذه الاعداد
دون التوزیع مصادری معلوم اوله که مثلا بر مال جملة اقسام اولنمق اوزره امر صدور ایتمک وار
توزیع ایله اقسام اولنمق اوزره امر اولنمق وار بونلرک فرق و بابی بو وجهله در که مثلا کچی علوفه‌سی
اوچ نوعه منحصر در فرض اولنسه بری ایکی اقچه‌لی اسامی و بری اوچ اقچه‌لی اسامی و بری درت اقچه‌لی اسامی اولسه
کذلک بو انواع ثلثه‌دن بر نوعه متصرف اولمق نفر آخر نوعینه متصرف اولمیوب ایکی اسامی بر آدمده جمع
اولنمق دخی قانون اولسه که حالا دخی قانون اودر ایمدی اقتسموا مال هذه العلوفه اسمی اثنین وثلاثا وارباعا
دیو امر سلطانی صدور ایتسه کیم معناسی هر بر نفر بو انواع ثلثه‌دن بر نوعنی آلوب ایکی نوعنی المیوب الحق بر نوعنی
تنقیصی اولورسه اولسون المق اوزره امر اولنمش اولور یعنی بر آدم هم ایکی اقچه‌لی اسامی علوفه‌سنه که ایکی اقچه اله
کذلک اوچ اقچه اسامی علوفه‌سنیکه اوچ اقچه در جمع ایدوب بش اقچه آلوب و ایکی نوع [illegible] عین جمع ایتمز بلکه اول امرک حکمی انواع ثلثه‌یه
اول علوفه توزیع اولنوب اول نفرلر الحق بر نوعنه متصرف اولوب الحق یا ایکی اقچه یا خود اوچ اقچه یا خود درت اقچه الور
ایکیسنی جمع ایدوب زیاده الماز مثلا لو عیین اذلینه متصرف اولوب بش اقچه الماز کذلک الواو بلکه مذکورین [illegible]
متصرف اولورسه طقوز اقچه الماز بو جائز دکلدر و مدلول [illegible] ترکیب بو دکلدر بلکه مدلولی الحق بر نوعه تفرق [illegible]
پس آیت کریمه‌نک دخی معناسی شرعی تفصیل و تمثیل اولندیغی اوزره توزیع ایله امردر هر آدم هم ایکی زوجه و هم اوچ زوجه
الوب بش عورته متصرف اوله مازکه کذلک طقوز عورت دخی الماز کلدک بر مال جمله اقسام اولنمق اوزره
امر اولنسه بونک بیانی مثلا علوفه‌یکیچی بار فرضا کذلک اوچ نوعه منحصر اولنسه لکن ایکی نوع بر آدمده
جمع اولنمق اوزره قانون اولمسه بلکه هر بر نفر بر نوعه کذلک هم بر نوعه هم نوعین [illegible] متصرف
اولمق جائز و حلاف قانون اولمیوب بلکه بر نفر ایکی اقچه‌لو اسامیه متصرف اولدیغی کبی اوچ اقچه‌لو اسامیه
دخی متصرف اولوب بش اقچه‌یه متصرف اولسه یا خود هم ایکی اقچه‌لو هم درت اقچه‌لو اسامیه بر نفر متصرف اولسه
یا خود هم ایکی اقچه و هم اوچ و هم درت اقچه‌لو اسامیه بر آدم متصرف اولسه که طقوز اقچه‌یه متصرف اولسه جمعنده ممانعت
و حلاف قانون اولمدیغنه بناءً بر آدم بر دانه ایکی یا خود بر دانه اوچ اقچه اسامیه متصرف اولورلر پس بو مال علوفه‌نی
جمع اوزره اقسام ایدک دیو امر [illegible] اولنمق اراده اولنسه بو وجهله امر و فرمان اولدیکه اقتسموا
مال هذه العلوفه اثنین وثلاث واربع بو مال علوفه‌یی جمله اقتسام ایدک که بعض نفر ایکی اقچه السون کذلک
اوچ اقچه دخی السون و بعضیسی ایکی و اوچ [illegible] درت اقچه السون که طقوز اقچه ایدر بو وجهله اقسام ایدک بر نفر
نوع واحده منحصر اولوب زیاده المق بو قدر الواو ثلثه اوزره بر نفر طقوز اقچه و ایکی نوع اوزره بر نفر بش اقچه السه
مانع دکلدر جائزدر بو وجهله جمله اقسام ایدک دیمک اولور ایمدی مصنفک ولو قرئت بالواو لکان المعنی
تجویز الجمع بین هذه الاعداد دون التوزیع دیدیکی بالاده بیان تفصیل و تمثیل ایلدیکمز صورتدر که اگر آیت کریمه
افراد اوزره کلوب فانکحوا ما طاب لکم من النساء اثنین وثلث واربع واو ایله اولمش اولیدی جمله اقسام مراد
اولنمق اقتضا ایدوب بر آدم ایکی زوجه کذلک ایکی زوجه معا المق جائز اولوب بش زوجه جمع ممکن اولوب ایدی کذلک
بر آدم ایکی و اوچ و درت زوجه الوب جمع ایدوب طقوز زوجه المق جائز اولمق لازم کلور ایدی اما تکرار ایله واو وارد اولوب
فانکحوا ما طاب لکم من النساء مثنی وثلاث ورباع واو وارد اولوب معنادی توزیع اوزره اقسام اولدیغنه بناءً
بالاده تفصیل و تمثیل اولندیغی اوزره علوفه صورتی اوّلی قیاسیله هر آدم الحق ایکی [illegible] زوجه الور یا خود اوچ زوجه الور
یا خود درت زوجه الور لو عین جمع ایدوب بش زوجه الماز کذلک اوچ نوع جمع ایدوب بر آدم طقوز زوجه المز آیه کریمه‌نک
معناسی دکلدر لکن بو وجه معلوم اوله که افراد اوزره واقع اولدیغی صورتده که تمثیل تا بیندر توزیع اوزره اقسامه دخی دلالت وار در
لکن جمع اوزره اقسامه دخی دلالت اولدیغندن افراد اوزره فانکحوا ما طاب لکم من النساء اثنین وثلاث واربع واو ایله وارد اولسه ایدی کرم کرم نمود
التمسه ایله حرره العبد الفقیر لمحافظة آثار المطالعة بالتدقیق والمشقة الضعیف الطلبة مکی الحقیر عفا الله عنه ١١ [illegible]

٣٢٦

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيرا فتحدى بأقصر
سورة من سوره مصاقع الخطباء من العرب العرباء فلم يجد به قديرا وأفحم
من تصدى لمعارضته من فصحاء عدنان وبلغاء قحطان حتى حسبوا أنهم
سحروا تسحيرا ثم بين للناس ما نزل إليهم حسبما عن لهم من مصالحهم
ليدبروا آياته وليتذكر أولو الألباب تذكيرا فكشف قناع الانغلاق عن
آيات محكمات هن أم الكتاب وأخر متشابهات هن رموز الخطاب تأويلا
وتفسيرا وأبرز غوامض الحقائق ولطائف الدقائق ليتجلى لهم خفايا الملك
والملكوت وخبايا قدس الجبروت ليتفكروا فيها تفكيرا ومهد لهم
قواعد الأحكام وأوضاعها من نصوص الآيات وألماعها ليذهب عنهم
الرجس ويطهرهم تطهيرا فمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد فهو في الدارين
حميد وسعيد ومن لم يرفع إليه رأسه وأطفأ نبراسه يعش ذميما ويصلى
سعيرا فيا واجب الوجود ويا فائض الجود ويا غاية كل مقصود صل عليه صلاة
توازي غناءه وتجازي عناءه وعلى من أعانه وقرر تبيانه تقريرا وأفض
علينا من بركاتهم واسلك بنا مسالك كراماتهم وسلم عليهم وعلينا تسليما كثيرا

وبعد فإن أعظم العلوم مقدارا وأرفعها شرفا ومنارا علم التفسير الذي هو رئيس
العلوم الدينية ورأسها ومبنى قواعد الشرع وأساسها لا يليق لتعاطيه والتصدي
للتكلم فيه إلا من برع في العلوم الدينية كلها أصولها وفروعها وفاق في الصناعات
العربية والفنون الأدبية بأنواعها ولطالما أحدث نفسي بأن أصنف في هذا
الفن كتابا يحتوي على صفوة ما بلغني من عظماء الصحابة وعلماء التابعين ومن
دونهم من السلف الصالحين وينطوي على نكت بارعة ولطائف رائعة
استنبطتها أنا ومن قبلي من أفاضل المتأخرين وأماثل المحققين ويعرب
عن وجوه القراءات المعزية إلى الأئمة الثمانية المشهورين والشواذ المروية
عن القراء المعتبرين إلا أن قصور بضاعتي يثبطني عن الإقدام ويمنعني عن الانتصاب
في هذا المقام حتى سنح لي بعد الاستخارة ما صمم به عزمي على الشروع فيما أردته
والإتيان بما قصدته ناويا أن أسميه بعد أن أتممته بأنوار التنزيل وأسرار
التأويل فها أنا الآن أشرع وبحسن توفيقه أقول وهو الموفق لكل خير
ومعطي كل سول

سورة فاتحة الكتاب وتسمى أم القرآن لأنها مفتتحه و
مبدؤه فكأنها أصله ومنشؤه ولذلك تسمى أساسا أو لأنها تشتمل على ما فيه من
الثناء على الله والتعبد بأمره ونهيه وبيان وعده ووعيده أو على جملة معانيه
من الحكم النظرية والأحكام العملية التي هي سلوك الطريق المستقيم والاطلاع

٧٧ قوله يضمر ما جعل التسمية مبدأ له اذ فيه ما بله لانه لا شك ان الفعل الذي جعل التسمية مبدأ له هو
الفعل الخصيص الذي يريد تحصيله ولا شك ان العامل لا يضمر بل يضمر ما يدل عليه ويشتق منه وهو الفعل الاصطلاحي
فالاظهر ان يقال يضمر اللفظ الدال على ما جعل التسمية مبدأ له فمثلا اذا قال الذابح بسم الله فقد جعل التسمية
مبدأ للفعل الخصيص الذي هو الذبح فقدر من الفعل الاصطلاحي ما يشتق منه ويدل عليه وهو اذبح
قوله اي اضمار ما جعل التسمية مبدأ له اولى من اضمار ابدأ لما ذهب اليه البصريون
قوله لا اختصاصها بلزوم الجر
اي الجر والجار لازم على الباء والباء يلزمها وما يناسب اللازم يناسب الملزوم
قوله لاختصاصها لان وجود اللازم لا يستلزم وجود الملزوم لجواز كون اللازم
اعم من الملزوم كالضوء اللازم للشمس والنار
اي امتناع الكلام بها عنهما
قوله الاسم اصله سمو كحمل على وزن قنو بدليل جمعه على الاسماء من السمو حذف الواو لاستثقالهم تعاقب الحركات
عليها فاسكن السين لاستثقالهم الخروج من الكسرة الى الضمة فتعذر الابتداء بالسكون فاتي بهمزة الوصل
قوله واشتقاقه اي كون لفظ الاسم من الاسماء المحذوفة الاعجاز فانهم اتفقوا على ان تصغير الاسم سمي اصله سميو
وجمع اسماء اسامي وعلى ان الفعل منه سميت ولو كان مشتقا من الوسم لقيل وسيم
ويسماء وجمعه اوساما والفعل منه وسمت ولا يجيء شيء من ذلك
قوله لانه التبرك والاستعانة بذكر اسمه تعالى فائدة لفظ الذكر التصريح بالمراد فان تصدير الفعل باسم الله انما يكون بذكره
فان لفظ اسم المضاف الى الله تعالى يراد به اسمه تعالى قصد ذكرها هنا اسمه لا بخصوصه لفظ دال عليه مطلقا فيستفاد
قوله الاسم المراد به اللفظ فهو غير المسمى اي ليس بعين المسمى لان الاسم المراد به اللفظ مؤلف من اصوات مقطعة
ولا شيء من عين المسمى ان يتالف من اصوات مقطعة فالاسم المراد به اللفظ ليس عين المسمى
يختلف باختلاف الامم والاعصار ولا شيء من المسمى كذلك
قوله رحمه الله والمسمى لا يكون كذلك اشارة الى هذه الكبريات الثلث
مقطعة فهو غير المسمى الاسم المراد به اللفظ يتألف من اصوات مقطعة وكل ما يتألف من
كذا اخذنا من الحاشية

على مراتب السعداء ومنازل الاشقياء وسورة الكنز والوافية والكافية لذلك
وسورة الحمد والشكر والدعاء وتعليم المسألة لاشتمالها عليها والصلوة لوجوب قراءتها
او استحبابها والشافية والشفاء دون انعمت عليهم ومنهم من عكس وتثنى في الصلوة
او الانزال ان صح انها نزلت بمكة حين فرضت الصلوة وبالمدينة لما حولت
القبلة وقد صح انها مكية لقوله تعالى ولقد اتيناك سبعا من المثاني وهو مكي
بسم الله من الفاتحة وعليه قراء مكة والكوفة وفقهاؤهما وابن المبارك والشافعي
وخالفهم قراء المدينة والبصرة والشام وفقهاؤها ومالك والاوزاعي ولم ينص ابو حنيفة
فيه بشيء فظن انها ليست من السورة عنده وسئل محمد بن الحسن عنها فقال
ما بين الدفتين كلام الله لنا احاديث كثيرة منها ما روى ابو هريرة انه عليه
السلام فاتحة الكتاب سبع آيات اولاهن بسم الله الرحمن الرحيم وقول ام
سلمة قرأ رسول الله صلعم الفاتحة وعد بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين
آية ومن اجلهما اختلف في انها آية برأسها او بما بعدها والاجماع على ان ما بين
الدفتين كلام الله والوفاق على اثباتها في المصاحف مع المبالغة في تجريد القرآن
حتى لم يكتب آمين والباء متعلقة بمحذوف تقديره بسم الله اقرأ لان الذي يتلوه
مقروء وكذلك يضمر كل فاعل ما يجعل التسمية مبدأ له وذلك اولى من ان يضمر
ابدأ لعدم ما يطابقه ولعدم ما يدل عليه او ابتدائي لزيادة اضمار فيه وتقديم
المعمول ههنا اوقع كما في بسم الله مجريها وقوله اياك نعبد لانه اهم وادل على الاختصاص
وادخل في التعظيم واوفق بالوجود فان اسمه تعالى مقدم على القراءة كيف وقد جعل آلة
لها من حيث ان الفعل لا يتم ولا يعتد به شرعا ما لم يصدر باسمه تعالى لقوله عليه السلام
كل امر ذي بال لم يبدأ فيه باسم الله فهو ابتر وقيل الباء للمصاحبة والمعنى متبركا
باسم الله تعالى اقرأ وهذا وما بعده مقول على السنة العباد ليعلموا كيف يتبرك
باسمه ويحمد على نعمه ويسأل من فضله وانما كسرت ومن حق الحروف المفردة ان
تفتح لاختصاصها بلزوم الحرفية والجر كما كسرت لام الامر ولام الاضافة داخلة
على المظهر للفصل بينهما وبين لام التاكيد والاسم عند البصريين من الاسماء التي حذفت
اعجازها لكثرة الاستعمال وبنيت اوائلها على السكون وادخل عليها مبتدأ بها همزة
الوصل لان من دأبهم ان يبتدئوا بالمتحرك ويقفوا على الساكن ويشهد له تصريفه
على اسماء واسامي وسمي وسميت ومجيء سمى كهدى لغة فيه قال والله اسماك سما مباركا
آثرك الله به ايثاركا والقلب بعيد غير مطرد واشتقاقه من السمو لانه رفعة
للمسمى وشعار له ومن السمة عند الكوفيين واصله وسم حذفت الواو وعوضت
عنها همزة الوصل ليقل اعلاله ورد بان الهمزة لم تعهد داخلة على ما حذف
صدره في كلامهم ومن لغاته سم وسم قال بسم الذي في كل سورة سمه

13

قوله والباء للمصاحبة اي للملابسة فالتقدير ملتبسا باسم الله تعالى اقرأ الا ان المص اراد ان يبين ان ملابسة القراءة باسم الله تعالى انما هي على وجه التبرك فلذلك قال والمعنى متبركا باسم الله تعالى اقرأ فان هذه العبارة بظاهرها تشعر ان الباء متعلق بمحذوف وهو متبركا اذ التبرك بنفسه يفيد معنى الملابسة وذكر اقرأ يدل على انه متعلق به فالكلام بظاهره مضطرب شيخ زاده

47 قوله ومن حق الحروف المفردة اي يريد حروف المعاني فان الحروف وهي الاصوات المعتمدة على المخارج على قسمين حروف المباني وهي التي تتركب منها الكلمات وليست بانفسها بكلمات لعدم كونها موضوعة لمعنى وذلك كحروف زيد وضرب وحروف المعاني وهي التي تكون نوعا من انواع الكلمات مباينا للنوعين الآخرين والعلامة نحو ... موضوعة لمعنى كحروف الجر والعطف وحروف المعاني لما لم تكن كلمات في انفسها لم تكن لها حظ من الاعراب ... السكون لخفته الا ان السكون لما تعذر في حروف المعاني التي جاءت على حرف واحد من حيث انها كلمات برأسها يجوز وقوعها في الابتداء الكلام والابتداء بالساكن متعذر كان حكمها ان تبنى على الفتحة لكونها اخت السكون ومع هذا كسرت الباء الجارة لاختصاصها بلزوم الحرفية والجر لتتميز بانفرادها بين الحروف بلزومها اياها وانفكاكها عنها فيكون اللزوم المذكور مختصا بها ومنحصرا فيها بناء على ان الباء داخلة على المقصور لا على المقصور عليه كما في قولك التعجب مختص بالانسان فكل واحد من الحرف والجر يناسب الكسر شيخ زاده

66 قوله للفصل بينهما وبين لام الابتداء فبقيت لام الابتداء على الاصل وهو الفتح وكسرت لام الجر لكون حركتها موافقة لاثرها ولو عكس وجه الفرق لفاتت هذه المناسبة وحملت لام الامر عليها لان الجزم في الافعال بمنزلة الجر في الاسماء فصار اثر لام الامر بمنزلة الكسر ولم تكسر اللام الجارة اذا دخلت على المضمر بل بقيت على الاصل وهو الفتح لعدم الالتباس بلام الابتداء لعدم بقائها على الفتح لان لام الابتداء لا تدخل الا على الضمير المرفوع ... وعبر عن اللام الجارة بلام الاضافة لانها تضيف معاني الافعال الى الاسماء شيخ زاده

قوله 88 ويشهد له ان التكون ... لفظ الاسم من الاسماء المحذوفة الاعجاز فانهم اتفقوا على ان تصغير الاسم سمي اصله سميو ... ومن قاعدتهم انه اذا اجتمع في آخر الكلمة واو وياء وسبق احدهما بالسكون انقلبت الواو ياء وتدغم الياء في الياء وعلى ان جمعه اسماء واسامي وعلى ان الفعل منه سميت ولو كان اشتقاقه من السمة لكان تصغيره وسيما وجمعه اوساما والفعل منه وسمت

قوله 15 ومجيء سمى كهدى عطف على قوله تصريفه وقوله لغة نصب على الحال من سمى وقوله فيه اي في الاسم فان فيه خمس لغات اسم واسم بكسر الهمزة وضمها وسم وسم بكسر السين وضمها وسمى على وزن هدى قوله 24 والقلب بعيد لا ... جواب عن قول الكوفيين ان هذه الامثلة مقلوبة قلب مكان حيث اخرت الواو من اول الكلمة فصار سموا واسامي اصله اوسام فقلبت فاعلا ... اعلال كسا واصله كساو فصار اسماء وكذا اسمي اصله وسيم ... اصله اوسم فقلبت فصار اسامو شيخ زاده

والاسم ان اريد به اللفظ فغير المسمى لانه ...

[redacted]

والاسم ان اريد به اللفظ فغير المسمى لانه يتالف من اصوات مقطعة غير قارة و
يختلف باختلاف الامم والاعصار ويتعدد تارة ويتحد اخرى والمسمى لا يكون
كذلك وان اريد به ذات الشى فهو المسمى لكنه لم يشتهر بهذا المعنى وقوله سبح اسم ربك
المراد به اللفظ لانه كما يجب تنزيه ذاته وصفاته عن النقايص تنزيه الالفاظ
الموضوعة لها عن الرفث وسوء الادب او الاسم فيه مقحم كما فى قول الشاعر
الى الحول ثم اسم السلام عليكما وان اريد به الصفة كما هو راى الشيخ ابى الحسن
الاشعرى انقسم انقسام الصفة عنده الى ما هو نفس المسمى والى ما هو غيره والى ما ليس
هو ولا غيره وانما قال بسم الله ولم يقل بالله لان التبرك والاستعانة بذكر اسمه او
للفرق بين اليمين والتيمن ولم يكتب الالف على ما هو وضع الخط لكثرة الاستعمال
وطولت الباء عوضا عنها والله اصله اله فحذفت الهمزة وعوض عنها الالف واللام
ولذلك قيل يا الله بالقطع الا انه يختص بالمعبود بالحق والاله فى اصله لكل معبود ثم
غلب على المعبود بحق واشتقاقه من اله الاهة والوهة والوهية بمعنى عبد ومنه
تاله واستاله وقيل من اله اذا تحير اذ العقول تتحير فى معرفته او من الهت الى فلان اى
سكنت اليه لان القلوب تطمئن بذكره والارواح تسكن الى معرفته او من اله
اذا فزع من امر نزل عليه والهه غيره اجاره اذ العايذ يفزع اليه اذا تحير وتخط
عليه وكان اصله ولاه فقلبت الواو همزة لاستثقال الكسرة عليها استثقال الضم
فى وجوه وقيل اله كاعاء واشاح ويرده الجمع على الهة دون اولهة وقيل
اصله لاه مصدر لاه يليه ليها اذا احتجب وارتفع لانه تعالى محجوب عن ادراك
الابصار ومرتفع على كل شى وعما لا يليق به ويشهد له قول الشاعر كحلفة من ابى رباح
يسمعها لاهه الكبار وقيل علم لذاته المخصوصة لانه يوصف ولا يوصف به و
لانه لا بد له من اسم يجرى عليه صفاته ولا يصلح له مما يطلق عليه سواه ولانه لو
كان وصفا لم يكن قول لا اله الا الله توحيدا مثل لا اله الا الرحمن فانه لا يمنع الشركة
والاظهر انه وصف فى اصله لكنه لما غلب عليه بحيث لا يستعمل فى غيره صار كالعلم
مثل الثريا والصعق اجرى مجراه فى اجراء الوصف عليه وامتناع الوصف به وعدم
تطرق احتمال الشركة اليه لان ذاته من حيث هو بلا اعتبار امر اخر حقيقى او
غيره غير معقول للبشر فلا يمكن ان يدل عليه بلفظ ولانه لو دل على مجرد ذاته
المخصوص لما افاد ظاهر قوله تعالى وهو الله فى السموات معنى صحيحا ولان معنى الاشتقاق
هو كون احد اللفظين مشاركا للاخر فى المعنى والتركيب وهو حاصل بينه وبين الاصول
المذكورة وقيل اصله لاها بالسريانية فعرب بحذف الالف الاخيرة وادخال
اللام عليه وتفخم لامه اذا انفتح ما قبله او انضم سنة وقيل مطلقا وحذف
الفه لحن تفسد به الصلوة ولا ينعقد به صريح اليمين وقد جاء لضرورة الشعر

بسملة اخرى

١٤٠

قوله للدلالة على انه حقيق بالحمد

الله تعالى حقيق بالحمد لان الله تعالى رحمن رحيم رب العالمين مالك يوم الدين وكل من هو رحمن رحيم رب العالمين مالك يوم الدين فهو حقيق بالحمد قوله للدلالة عليه اشارة الى هذه القياس لان معنى الدلالة ما يلزم من العلم به العلم بشيء اخر فالعلم بكونه رحمنا رحيما ورب العالمين يستلزم العلم بانه حقيق بالحمد اي اجرى هذه الاوصاف عليه فاثبتها تعالى بهذه الاوصاف للدلالة على ذلك قوله فان ترتب الحكم على الوصف يشعر بالعلية اي دليل لكبرى القياس الاول ترتيبه كلما كان ترتب الحكم على الوصف مشعرا بعليته له فكل من هو رحمن رحيم رب العالمين مالك يوم الدين فهو حقيق بالحمد لكن المقدم حق

نتيجة فكل من هو رحمن الى قوله الاستثنائية لهذه القياس الاخير من المسلمات ما و معلوم الى هذه الكبرى اي فكل من لم يكن رحمنا رحيما ورب العالمين الخ مشعر لاستحقاقه الحمد بل يجوز ان يكون غيره

قوله للدلالة على انه لا احد احق به منه

كلما لم يكن رحمنا رحيما رب العالمين الى اخره لا يستحق الحمد وكل من لم يستحق الحمد لا يكون مستحقا للحمد في الله حقيق بالحمد ولا احد حقيق سواه لانه لما كان الله تعالى رحمنا رحيما رب العالمين مالك يوم الدين ولم يوجد هذه في غيره تعالى فالله حقيق بالحمد ولا احق سواه لكن المقدم حق نتيجة الله حقيق بالحمد لا احد احق به منه

قوله واجراء هذه الاوصاف على الله تعالى الخ اي اثبات اوصاف كونه تعالى رحمنا رحيما رب الخ بان جعل الاوصاف المذكورة صفة لله تعالى لكنه تعالى لم يجعل هذه الاسم الذات محكوما عليه في تلك الصفات بل اثبتها عليه بطريق التوصيف حيث جعلها صفة لاسم الذات موصوفا فبناء عليه لم يقل البيضاوي رحمه الله واثبات هذه الاوصاف بل قال واجراء هذه الاوصاف

٣ ٧٢٧

المصنف تعرض ههنا الى اقوال اربعة في لفظ الجلالة الاول انه اسم عربي مشتق صار علما بالغلبة والثاني اسم عربي علم غير مشتق كما ذهب اليه الخليل والثالث انه صفة مشتقة صارت علما بالغلبة واصحاب المذهب الاول تفرقوا الى سبعة اقوال حيث اشار المصنف عليها بقوله والرابع انه سرياني ٧٢٢ واصله الاله المحذوف الخ وبقوله وقيل من اله اذا تحير ومن اله اذا فزع او من اله الفصيل اذا ولع وبقوله اله كاعاد الخ وبقوله وقيل اصله لاه مصدر الخ فهذه الاقوال السبعة اشارة الى ما تفرق اليه المذهب الاول

قوله وقيل علم لذاته المخصوصة الخ اي علم لذاته وليس مشتقا وهو ما وضع لذات مبهمة باعتبار بعض معانيه واوصافه اشارة الى المذهب الثاني

قوله لانه يوصف ولا يوصف به دليله الاول وقوله ولانه لا بد له من اسم تجري عليه صفاته الخ دليل ثاني على المذهب الثاني المذكور وقوله ولو كان وصفا لم يكن قوله لا اله الا الله الخ دليله الثالث

قوله رحمه الله والاظهر انه وصف في اصله اشارة الى المذهب الثالث من المذاهب الاربعة المذكورة واختاره المصنف رد القول والاظهر قوله في اجراء الوصف عليه اعتراض على الدليل الثاني المثبت للمذهب الثاني

قوله وعدم تطرق احتمال الشركة اليه اعتراض يندفع به الدليل الثالث المثبت لذلك الاعتراض يندفع به الدليل الاول المثبت لذلك ولما اعترض المصنف رحمه الله على الادلة الثلاثة المثبتة للمذهب الاول فقال احتاج الى اثبات المذهب الثالث الذي اختاره شرع في ادلة هذا المذهب الثالث المختار عنده من طرف المذهب الثاني انه اسم عربي علم الخ

قوله وامتناع الوصف به الخ ذاته تعالى من حيث هو الخ وقوله ولانه لو دل على مجرد ذاته الخ وقوله ولان معنى الاشتقاق هو كونه الخ ادلة ثلاثة على المذهب الاول فقوله الدليل الثالث انما دل على كونه مشتقا وذلك لا يقتضي الوصفية كما تقرر في اثناء تقرير الشيخ رحمه الله انه ليس المراد بقوله الاله في اصله لكل معبود انه بمعنى المعبود ومرادف له حتى يكون صفة كالمعبود بل المراد انه اسم يقع على ذات المعبود مطلقا ثم غلب على المعبود بالحق وهذا القدر لا يقتضي الوصفية انتهى وكذلك اورد على المصنف في تقرير دليل ما اختاره من المذاهب بان يقال ان الغلبة في الصفة لا توجب العلمية كما ذكر في الكشاف ان الرحمن من الصفات الغالبة فكيف قال المصنف انه صار علما بالغلبة وهو قرينة على ما في الكشاف والجواب انه لم يقل كذلك بل قال صار كالعلم فلذلك اجرى مجراه

قوله وقيل اصله لاها بالسريانية معرب بحذف الالف الاخير هذا هو المذهب الرابع في لفظ الجلالة

وهذا الترتيب والتعيين من اول قول المصنف في تفصيل اسم الجلالة الى اخر المقال ما فهمه الفقير تحكى من الحواشي عليه الرحمة والعلماء من ارباب العلم ومعلم المعرب والشراح فحفظ

...ض على الكشاف بانه جعل الاله تارة من الاسماء الخاصة وتارة من الاسماء الغالبة وهما متنافيان

اجيب ان معنى الغلبة ان يكون للاسم عموم فيعرض له بحسب الاستعمال خصوص اما الى

حد التشخص فيصير علما كالنجم والصعق او لا فيصير اسما غالبا كالاله او صفة غالبة كالرحمن

ثم العموم قد يكون بحسب الاستعمال كالنجم والصعق حيث استعملا في الثريا وذلك الشخص

وقد يكون بحسب القياس كالدبران والعيوق فان قضية القياس ان يطلق على كل ما يوصف بالدبور

والعيوق لكن لم يرد الاستعمال بذلك والله من هذا القبيل لانه الاله بحذف الهمزة والتعويض

فقضية القياس صحة اطلاقه على المعبود بحق مطلقا كالاله الا انه لم يطلق الا على الواحد الواجب تعالى

وتقدس ولم يستعمل بمعنى المفهوم الكلي اصلا فهو من الاعلام الخاصة بالنظر الى الاستعمال

ومن الاعلام الغالبة بالنظر الى الاستدلال فالحاصل ان مثل زيد وعمرو من الاعلام الخاصة

ومثل النجم والصعق من الاعلام الغالبة ومثل الثريا والدبران والعيوق من الخاصة باعتبار ومن

الغالبة باعتبار والله من هذا القبيل

... الاله من اسماء الاجناس كالرجل والفرس اسم يقع على كل معبود بحق او باطل ثم

غلب على المعبود بحق كما ان النجم اسم لكل كوكب ثم غلب على الثريا وكذلك السنة على عام القحط

والبيت على الكعبة والكتاب على كتاب سيبويه واما الله بحذف الهمزة فمختص بالمعبود بحق

لم يطلق على غيره فان قلت اسم او صفة قلت بل اسم غير صفة الا تراك تصفه ولا تصف به لا تقول

شيء اله كما لا تقول شيء رجل وتقول اله واحد كما تقول رجل كريم اعترض عليه انه جعل صفة الاله لكن

السنة والبيت والكتاب ولفظ الرحمن بالدبران والعيوق والصعق مع ان هذه اعلام والاله

والرحمن ليسا من الاعلام اجيب بان المراد التمثيل في مجرد الغلبة فيما له بعض الخصوص سواء ينتهي

الى حد التشخص كما في الاعلام او لا كما في الاله والرحمن والاظهر ان السنة من هذا القبيل اذ لا ضرورة

في جعله علم جنس فالاله كان اسما للمعبود بحق او باطل ثم صار بالغلبة اسما للمعبود بحق والرحمن كان صفة

لكثير الرحمة ثم غلب على المنعم بجلائل النعم في الدنيا والآخرة ونحو ذلك وبالجملة بحيث لا يقع على

المخلوق اذ المغلوب قد يكون مرجوحا كما في الاله اذا قل استعماله في الباطل وقد يكون مهجورا

كما في الرحمن حيث لا يطلق على الغير اصلا فالاله اسم لمفهوم كلي هو المعبود بحق والله علم لذات معين

هو المعبود بالحق تعالى وبهذا الاعتبار كان قولنا لا اله الا الله كلمة توحيد اي لا معبود بحق الا ذلك

الواحد الحق فان قيل

[illegible]

القسم الثاني الصفة اي القسم الاسم بهذا المعنى القسم الصفة عنده اي الى ما هو نفس المسمى كالوجود الى ما هو الذات
والى ما هو غيره كالايجاد والاحيا والى ما هو ليس هو ولا غيره كالعلم والقدرة كما قال الاشعري الوجود عين حقيقته تعالى
وما عدا الوجود من التعيينات لا عين الذات ولا غيرها والاضافيات والعدميات غير الذات فاعلم ان تتبع كتب الكلامية
يفيد تسليم القسم الصفة التي هي اقسام عند الاشعري بل هو على القسم الاسم التي هي عنده باعتبار انقسام الصفة انها
الى سواه الصفة ذكر الشيخ الاشعري ان اسماء الله تعالى ثلاثة اقسام ما هو نفس المسمى مثل الله الدال على الوجود اي الذات
الخالق والرازق ونحو ذلك مما يدل على فعل وما يقال انه هو ولا غيره كالعالم والقادر وكل ما يدل على الصفة القديمة
ان يكون به الصفة كما هو راي الشيخ وهو مبداء الاشتقاق الذي يسمونه الصفة المعنوية واما على رايه فما دل على الذات
مشتقا كان او غيره وهو احتراز عن راي من فسر الصفة بما دل على ذات مبهمة باعتبار معنى معين

59 وعلى الاشتقاق قوم من اله بكسر اللام وكذا كل ما يأتي بعده اذا تحير فكونه لا اله بمعنى المتحير في معرفته ودركه اي سكنت اليه
61 اذا فزع من امر نزل عليه والهه غيره اذا اجاره اي خلصه مما يخاف وازاله عنه
فالمعنى المسكون اليه او من اله
والتجأ اليها بالحرص والشوق وكذا العباد يولعون بالتضرع اليه في الشدائد او من اله الفصيل اذا ولع بامه على صيغة المبني للمفعول اي اولع بها
صرح بانه اله بمعنى تحير لغة مستقلة والهمزة اصلية
59 او من اله اذا تحير هذا

36
لما افاد فيه يرد قوله اي فان الظاهر ان قبل التسمية تحقق الشيء بالمعنى فلو لم يكن وصفا في الاصل لما صح ان يتعلق الظرف
بعدم اشتماله على معنى الفعل اصلا ج اي لا في الحال ولا في وقت الاستعمال فلا يفيد معنى صحيحا حمله على الظاهر وهذا دليل ان
تنبيه المصنف على ما اختاره من المذاهب بقوله والاظهر انه وصف في الاصل لكنه لما غلب بحيث لا يستعمل في غيره بعد الغلبة
لم يكن هذا القدر من الغلبة كافيا في علمية الوصف لوجوده في الرحمن زاد قوله وصار في افادة التعين كالعلم القصدي كانثيا
مثل الثريا والصعق فانهما وصفان في الاصل وصار الاول علما للنجم والثاني لخويلد بن نفيل الشاهين بعلم القصدي في افادة التعين
التصغير ثروى بانث ثروان صفة مشتبهة من الثراء وهو كثرة المال نقل الى انه ذو ثروة والصعق صفة مشبهة لمن اصابته الصاعقة
99 ولانه لو كان وصفا لم يكن اي دليل اول على المذهب الثاني الذي اشار اليه بقوله وقيل علم لذاته المخصوصة اي وقوله ولانه يوصف
دليله الاول وقوله ولانه لا بد له من اسم تجري اي دليله الثاني
عن مشتق لعلم لذاته المخصوصة لانه يوصف ولا يوصف به لحريك وتفصيل هذه المعرفة لتتبعه ما قال
الاستعمال من اسم تجري عليه صفاته اي الخاصة به فان كل شيء يتوجه اليه الاذهان لا بد له من اسم تجري عليه صفاته على الوضع
الوضع والاستعمال ولا يصلح مما يطلق عليه سواه ان ليس يتعين لفظا كلا له ولانه لا يد له
اللزوم منه اما الملازمة فلانه لو كان وصفا لا يفيد الاشتباه مما حصل المشتق منه وهذا المعلوم غير مانع من وقوع الشركة
بطلان اللازم فلانه لو كان كليا لم يكن لا اله الا الله كلمة توحيد مثل عدم كون لا اله الا الرحمن توحيدا لانه لا يمنع الشركة
المقدم اي والملزوم مثله اجري جواب لما تجراه اي تجري العلم القصدي تعني اجراه مجراه عدة من افراده
جواز اجماعه عليه اي اجراء الوصف عليه يندفع به الوجه الثاني من الوجوه المذكورة في اثبات العلمية وقوله وامتناع الوصف
من الوجه الاول منها وقوله وعدم تطرق احتمال الشركة اليه يندفع به الثالث منها ثم شرع في ادلة هذا المذهب اي المختار عنده
ذاته تعالى اي ولانه لو دل على ذات الله المخصوصة لما افاد اي ولان معنى الاشتقاق وهو كون احد
66 ولان الاشتقاق استدلالا بالاشتقاق على كونه الله وصفا في الاصل وفيه نظر
بعد ان الاسم ليس بصفة فلا يستلزم الاشتقاق والوصفية وبهما اسمان لانه وهو اركيف يكون مشتقا
صفة فلا يستلزم الاشتقاق الوصفية والاكرم صفة والجواب ان الصفة ما تركب من ذات مبهمة لم يعتبر فيها خصوصية
بمعنى معين يتوهم انها فاذا الفرق السبق ذات لخصوصيته لم يكن صفة كاسناد اليه والملهم فانها مشتقات
غير صفات اذ المعتبر فيها ذات خصوصيته وهي الزمان والمكان بخلاف ضارب مثلا فان معناه
فان قيل انه يلزم ان يكون قول المصنف دليلين على شيء واحد لكنه ليس كذلك لان الاول دليل
العلمية والثاني دليل على اثبات الوصفية والجواب انه تعالى اراد المصنف من قوله والظاهر ان لفظ الله ليس بعلم
هو اصله على علم بحيث اي فيكون المعنى مركبا من شيئين احدهما في كونه علما والثاني كونه
الصفة وقوله لانه ذاته اي دليل على جزء من المعنى وهو نفي العلمية وقوله ولان معنى الاشتقاق دليل على الجزء الاخر
الوصفية فيكون المجموع دليلا على المجموع
[illegible]

[illegible]

بسم الله في كل مصورة سمعه وتمام البيت ارسل فيها بازلا يقربه قولا باسم متعلق بارسل والمستتر في ارسل للراعي [illegible]
للاجل ابراهيم السابق ارسل الراعي في الابل بازلا [illegible]

[illegible]

الاسم قد يكون اسما للمسمى من حيث هي هي وقد يكون اسما مشتقا وهو الاسم الدال على كون الشيء موصوفا بالصفة [illegible]
قال المتكلمون صفات الله تعالى اما حقيقية كالوجود والحياة والقدرة [illegible] واضافية كالوجوب والخلق [illegible]
قال الاشعري ومن تابعه الوجود عين حقيقته [illegible] وما عدا الوجود من الصفات لا عين الذات ولا غيرها والاضافيات [illegible]
والقدرة [illegible] القسم الاسم بهذا المعنى انقسام الصفة [illegible] الى ما هو نفس المسمى [illegible]
[illegible] المسمى [illegible] الكلام [illegible] كالوجود [illegible] والذات والى ما هي غيره [illegible]
مبداء الاشتقاق [illegible] المشتق [illegible] المسمى [illegible] الصفة [illegible]
واعتبر في اسماء الصفات المعاني المقصودة [illegible] مراد الشيخ [illegible] جميع الصفات [illegible]
وظهر ايضا الشيخ لم يذهب الى ان اسماء الله تعالى [illegible] قال في شرح المقاصد الشيخ [illegible]
ان اطلاق الاسم [illegible] الصفة [illegible] الذات [illegible] العالم العلم [illegible]
[illegible] عبارة المتن [illegible]
[illegible] الوجود [illegible]

من الجواهر والاعراض يدل على وجوده تعالى تدبر لكن يحتاج الى ان يعكس لان شرد دليله يقتضي ان يكون
ضمير الواقع في قوله وهو كل ما سواه عبارة عن وجه الذي هو نقطة ما الواقع في قوله فيما يعلم
بما يعلم فيعكسه ... بيقا والصدق والكيف يكون المدعى هكذا كل ما سواه تعالى من الجواهر والاعراض
... ودليله لان كل ما سواه تعالى من الجواهر والاعراض يدل على وجوده تعالى وكل ما يدل على وجوده تعالى
... ودليل هذه الصغرى على مسلك الحكما في اثبات الصانع اعني بطريق الامكان كما اشار اليه بقوله
... ما سواه من الجواهر والاعراض ممكن وكل ممكن يدل على وجود الصانع صح كل ما سواه من الجواهر
... ذلك الصغرى لكن على مسلك المتكلمين في اثبات الصانع اعني بطريق الحدوث كما اشار اليه بقوله لافتقارها
... كل ما سواه من الجواهر والاعراض مفتقر الى موثر واجب لذاته وكل مفتقر الى موثر واجب لذاته ...
وجود الصانع . فاذا علمت ان قوله لامكانها اشارة الى الدليل الاول وقوله لافتقارها اشارة الى الدليل الثاني
... على ذلك الصغرى لقصد افادة الحصران دليل ذلك الصغرى بهذين الدليلين
... الكبرى فتعلم في علم الكلام والحكمة من لزوم الدور والتسلسل وبطلانهما كما فصل في محلهما كذا اخذ
...

... ان تاكيد للقصر المستفاد في قوله ان الحقيق بالحمد فانه قصر قلب قصد به رد من زعم انفراد غيره تعالى كونه احق بالحمد
... الحقيقة لا لاشعار بان اصل الاستحقاق ثابت لغيره تعالى ... لطرق الاعراب ان استحقاق الغير الحمد ... ظاهره ...
... ليس الا الله عز وجل ودليل ... ترتب الحكم ... بالوصف ... الايجاد المذكورة ... هو الحقيق بالحمد ...
... هذه الاوصاف اولا ... الاستحقاق الحمد حقيقة وجب ان يختص الحمد به تعالى لاختصاصه بالاوصاف المذكورة
... تعالى ... على الجميع ... الاستحقاق الحمد حقيقة قوله الاشعار ... فذكر الايجاد المذكورة
... الاول ان ... الكلام ... ودليلا على اختصاص الحمد به تعالى بواسطة اشعاره بان تلك الاوصاف ... الحكم
... العلم الضروري بان تلك العلة مستقلة ... ان انتفاء العلة مستلزم لانتفاء المعلول والثاني ان ... الكلام
... الى ... ودليلا على اختصاص العبادة به تعالى وذلك لانك اذا علمت ان ... يتصف بهذه الاوصاف ...
... ودليلا على اختصاص ... العام ... يتصف بها الا المبتلى ... لم يكن لا يليق الا ... بحمد ... عدم كونه ... الا ...
... تلك الاوصاف ... باعتبار المفهوم ودليلا على ما بعده وهو اياك نعبد شيخ زاده

٦

بهذا تفسير لقوله عليه السلام الحمد رأس الشكر يعني كونه الحمد رأس الشكر

من أقسام الشكر لكونه واقعا بمقابلة النعمة وكونه كذلك هو مما ظهر من حصته كمال الشكر

باللسان فتصريح الشكر في مقابلة النعمة ثناء المشكور واعترافا بإنعامه

الشكر إذ اظهار وأشيع للنعمة وثناء من آثاره واعتقاد ومقابلة النعمة

التي من شعب الشكر وأقسامه أجل أقسام الشكر وأقوى أنواعه فكان رأس

المفهوم كأن الحمد عبارة عنه ونظيره البدن كونه كالجملة الذي طرفا أقسام الشكر فكان

بالنسبة إلى القسمين الآخرين من الشكر الجوارح والجنان مع الفقر على

شعب الشكر أي باعتبار المورد وإن كان الشكر أحد شعبه باعتبار المتعلق

أقسام الشعب لشعبها عن قسميها وإذا لم يعترف العبد بإنعام المولى ولم يثن عليه

لم يظهر منه شكر ظهورا كاملا وإن اعتقد وعمل [illegible]

[illegible]

١٢

وثباته أي دوامه من غير اعتبار التجدد ووجه دلالة الاسمية على الدوام أنه لما كانت الاسمية دالة على

من غير تقييد بزمان فتخصيصه بزمان معين ترجيح من غير مخصص [illegible]

قد يقصد به الاستمرار التجددي فإذا نصب وقدر الفعل المضارع يمكن أن يقصد به الاستمرار

لم الباعث على العدول إلى الرفع والحال إن المقصود وهو كون الحمد قد دائما يحصل بالنصب قلت المقصود

الدوام بالنظر إلى الأزمنة وإذا نصب فدلالته على الاستمرار التجددي كونه بالنظر إلى المستقبل على ما هو

حيث قال نقصد بالمضارع الاستمرار على سبيل التقضي شيئا فشيئا بحسب المقامات ووجه المناسبة

شيئا متجددا شيئا فشيئا فناسب أن يراد بالفعل الدال عليه معنى على نحوه

قوله لأنه ولذا يستعمل [illegible]

ورعيا وغيا لأنهم لما نزلوا المصادر منزلة أفعالها أي المصادر التي لا تكاد تستعمل تلك المصادر مع أفعالها نحو شكرا

معاني الأفعال واستغنوا عن ذكر الأفعال بأن ناب منابها لفظا ومعنى فلذلك كان استعمالها مع المصادر

قوله نعمة أو غيرها يعني الحمد هو الذكر الخبري في مقابلة الفعل الجميل الحسن الاختياري سواء كان ذلك الفعل الجميل

واحسانا وعطاء لشيء أو غيره أي لم يكن إنعاما نعمة بل صفة قائمة بالمحمود وكون الذكر بالخير والثناء في مقابلة ذلك

كما يقال حدث [illegible]

الشيخ بقوله [illegible]

٦١

قوله الحمد أحد شعب الشكر من جهة المورد وإن كان أعم منه من جهة المتعلق ولهذا كان بينهما عموم من وجه

قوله ولما كان الحمد من شعب [illegible] فيه أقسام الشكر

جعل رأس الشكر والعمدة فيه لكن المقدم حق [illegible]

قوله الحمد أصله النصب لأن الحمد كان من المصادر التي تنصب بأفعال مضمرة وكل ما هو من المصادر ما ينصب بأفعال

أصله النصب الحمد أصله النصب

واللام في قوله لله [illegible] اللام العاقبة [illegible]

قوله ومعناه الإشارة إلى ما يعرفه كل أحد من أن الحمد ما هو

كل أحد وهو مفهوم الحمد ولا يلزم منه أن يكون الإشارة إلى ما يعرفه كل أحد [illegible]

قوله وقيل للاستغراق [illegible]

يحتمل خلاف ما قصد به أيضا [illegible]

قوله وما في آداب الجوارح [illegible] ومعين لما يعبر به وضعا أول

[illegible]

لا ابا لك الله في سهيل اذا ما الله بارك في الرجال الرحمن الرحيم اسمان
بنيا للمبالغة من رحم كالغضبان من غضب والعليم من علم والرحمة في اللغة
رقة القلب وانعطاف يقتضي التفضل والاحسان ومنه الرحم لانعطافها على
ما فيها واسماء الله تعالى انما توخذ باعتبار الغايات التي هي افعال دون المبادي التي
تكون انفعالات والرحمن ابلغ من الرحيم لان زيادة البناء تدل على زيادة المعنى
كما في قطع وقطّع وذلك انما يوخذ تارة باعتبار الكمية واخرى باعتبار الكيفية
فعلى الاول قيل يا رحمن الدنيا لانه يعم الكافر والمومن ورحيم الاخرة لانه يخص
المومن وعلى الثاني قيل يا رحمن الدنيا والاخرة ورحيم الدنيا لان النعم الاخروية
كلها جسام واما النعم الدنيوية فجليلة وحقيرة وانما قدم والقياس يقتضي الترقي
من الادنى الى الاعلى لتقدم رحمة الدنيا ولانه صار كالعلم من حيث انه لا يوصف
به غيره لان معناه المنعم الحقيقي البالغ في الرحمة غايتها وذلك لا يصدق على غيره
لان من عداه فهو مستعيض بلطفه وانعامه يريد به جزيل ثواب او جميل ثناء او مزيح
رقة الجنسية او حب المال عن القلب ثم انه كالواسطة في ذلك لان ذات
النعم ووجودها والقدرة على ايصالها والداعية الباعثة عليه والتمكن من
الانتفاع بها والقوى التي بها يحصل الانتفاع الى غير ذلك من خلقه لا يقدر عليها
احد غيره او لان الرحمن لما دل على جلائل النعم واصولها ذكر الرحيم ليتناول ما
خرج منها فيكون كالتتمة والرديف له او للمحافظة على رؤوس الاي والاظهر انه
غير مصروف وان حظر اختصاصه بالله ان يكون له مونث على فعلى او فعلانة
الحاقا له بما الاغلب في بابه وتخصيص التسمية بهذه الاسماء ليعلم العارف ان المستحق
لان يستعان به في مجامع الامور هو المعبود الحقيقي الذي هو مولى النعم كلها عاجلها واجلها
جليلها وحقيرها فيتوجه بشراشره الى جناب القدس ويتمسك بحبل التوفيق و
يشغل سره بذكره والاستمداد به. **الحمد لله** الحمد هو الثناء على الجميل الاختياري
من نعمة او غيرها والمدح هو الثناء على الجميل مطلقا تقول حمدت زيدا على علمه
وكرمه ولا تقول حمدته على حسنه بل مدحته وقيل هما اخوان والشكر مقابلة
النعمة قولا او عملا او اعتقادا قال افادتكم النعماء مني ثلاثة يدي ولساني
والضمير المحجبا فهو اعم منهما من وجه واخص من اخر ولما كان الحمد من شعب الشكر
اشيع للنعمة وادل على مكانها لخفاء الاعتقاد وما في اداب الجوارح من الاحتمال
جعل راس الشكر والعمدة فيه فقال عليه السلام الحمد راس الشكر ما شكر الله عبد لم يحمده
والذم نقيض الحمد وثباته له دون تجدده وحدوثه وهو من المصادر التي
تنصب بافعال مضمرة لا تكاد تستعمل معها والتعريف فيه للجنس ومعناه الاشارة
الى ما يعرفه كل احد ان الحمد ما هو وقيل للاستغراق اذ الحمد في الحقيقة كله له اذ ما من خير

٣

الا وهو موليه بوسط او بغير وسط كما قال وما بكم من نعمة فمن الله
وفيه اشعار بانه تعالى حي قادر مريد عالم اذ الحمد لا يستحقه الا
من كان هذا شانه وقرئ الحمد لله باتباع الدال اللام وبالعكس تنزيلا
لهما من حيث انهما يستعملان معا منزلة كلمة واحدة **رب العالمين**
الرب في الاصل بمعنى التربية وهي تبليغ الشيء الى كماله شيئا فشيئا ثم
وصف به للمبالغة كالصوم والعدل وقيل هو نعت من ربه يربه فهو
رب كقولك نم ينم فهو نم ثم سمي به المالك لانه يحفظ ما يملكه ويربيه
ولا يطلق على غيره تعالى الا مقيدا كقوله ارجع الى ربك والعالم اسم لما يعلم
به كالخاتم والقالب غلب فيما يعلم به الصانع وهو كل ما سواه من الجواهر
والاعراض فانها لامكانها وافتقارها الى مؤثر واجب لذاته تدل على وجوده
وانما جمعه ليشمل ما تحته من الاجناس المختلفة وغلب العقلاء منهم
فجمعه بالياء والنون كسائر اوصافهم وقيل اسم لذوي العلم
من الملائكة والثقلين وتناوله لغيرهم على الاستتباع وقيل
عني به الناس هاهنا فان كل احد منهم عالم من حيث انه يشتمل على نظاير
ما في العالم الكبير من الجواهر والاعراض يعلم به الصانع كما
يعلم بما ابدعه في العالم ولذلك سوى بين النظر فيهما وقال تعالى
وفي انفسكم افلا تبصرون وقرئ رب العالمين بالنصب على المدح او
النداء او بالفعل الذي دل عليه الحمد وفيه دليل على ان الممكنات كما
هي مفتقرة الى المحدث حال حدوثها فهي مفتقرة الى المبقي حال بقائها **الرحمن
الرحيم** كرره للتعليل على ما سنذكره **مالك يوم الدين**
قراءة عاصم والكسائي ويعقوب ويعضده قوله تعالى يوم لا تملك نفس لنفس
شيئا والامر يومئذ لله وقرا الباقون ملك وهو المختار لانه قراءة اهل الحرمين
ولقوله لمن الملك اليوم لله ولما فيه من التعظيم والمالك هو المتصرف في الاعيان
المملوكة كيف يشاء من الملك والملك هو المتصرف بالامر والنهي في المامورين
من الملك وقرئ ملك بالتخفيف وملك بلفظ الفعل ومالكا بالنصب على المدح
او الحال ومالك بالرفع منونا ومضافا على انه خبر مبتدا محذوف وملك
مضافا بالرفع والنصب ويوم الدين يوم الجزاء ومنه كما تدين تدان
وبيت الحماسة ولم يبق سوى العدوان دناهم كما دانوا اضاف
اسم الفاعل الى الظرف اجراء له مجرى المفعول به على الاتساع كقولهم
يا سارق الليلة اهل الدار ومعناه ملك الامور يوم الدين على طريقة ونادى
اصحاب الجنة او له الملك في هذا اليوم على وجه الاستمرار ليكون الاضافة

قوله إنما وجد بأنه باعتبار الكمية أي باعتبار كثرة أفراد متعلق مدلوله التفضيلي وهو الرحمة نظرا إلى كثرة متعلقه
بالنسبة إلى مدلول الرحيم فإن الرحمة المدلول عليها بلفظ الرحمن يتعلق بالمؤمن والكافر بل بجميع أنواع الدواب والطيور
بخلاف الرحمة المدلول عليها بلفظ الرحيم فإنها لا تتعلق إلا بالمؤمن حيث يقال رحيم الآخرة ولا شك أن المرحوم في الآخرة أقل
من المرحوم في الدنيا

قوله وأخرى باعتبار الكيفية أي باعتبار جلالة قدر مدلوله التفضيلي فالرحمن والرحيم مع اشتراكهما في معنى المنعم
بالنعم الجليلة لكونهما ... لفظ الرحمن من النعم أجلها وأعظمها الذي دل عليه لفظ الرحيم لأن نعم الآخرة كلها جسام أي عظام
وأيضا الرحمن إلى الدنيا فأضيف إلى الآخرة ... يتوسل بها إلى سعادة الأبد ...
مغتبر فناسب ... الرحيم ... بالإضافة إلى الآخرة ... في الدعاء المأثور يا رحمن
الآخرة ورحيم الدنيا ... الرحمن ... الأخروية ... لفظ رحمن ... مرتبة الكيفية ... لفظ رحيم وزيادة الجلالة والجسامة في النعمة بالنسبة إلى نعم أخرى زيادة ومبالغة في الكيفية ...

٤٧
قوله انه تعالى [illegible] فلا يخلو اما ان يكون في الصلوة او خارجها وعلى الاول اما ان يكون منفردا او مع الجماعة
وان كان مع الجماعة فالتعبير [illegible] وان كان منفردا او مع الجماعة فالتعبير [illegible]
او كان في خارج الصلوة [illegible] ولما كان هذا اقسم القسم ذكره بالواو دون او [illegible] قال بعده او كان القارى [illegible]
٦٩ قوله في الدلالة على الحصر الخ [illegible] ما حققه [illegible] الحصر [illegible] الدلالة ولم يقل والحصر [illegible]
على الحصر [illegible] قال ولذلك قال ابن عباس رضي الله عنهما معناه [illegible] لانه مظنة الاشتباه [illegible] ابن الحاجب الى انه [illegible]
٦٦ قوله وقدمت العبادة على الاستعانة مع ان مقتضى الظاهر هو العكس [illegible]
قوله والاهتمام [illegible] على ان مجرد الاهتمام [illegible] والتعظيم [illegible]
لا اهتمام التعظيم او الحصر [illegible] تقدم [illegible] الاهتمام [illegible]
قوله [illegible] بقبيلها [illegible] ان يكون [illegible] الاهمية [illegible]
[illegible] والكرم الاكرمين [illegible] يستجاب دعوته والكريم اذا اعطى [illegible]
قوله ولذلك فضل ما حكى [illegible] وتوضيح المقام ان الله [illegible] مقدما في كلام [illegible] الاعلى [illegible]
من حيث انه تابع له [illegible] واما كلام الكليم فلما لم يكن ذكر الله فيه مقدما لم يكن فيه اشعار [illegible]
٥٨ قوله المستغني على المستعان اي [illegible] لو لم يكرر لاحتمل ان يكون [illegible] المقصود بالذات [illegible]
قوله ومن حيث انه [illegible] بجموع العبادة والاستعانة لا لكل واحد منهما [illegible]
قوله [illegible] لانه لما قدم [illegible] المقصود بالذات [illegible]
٥٧ قوله بيان المعونة المطلوبة [illegible] المقصود الاهم اي [illegible] سواء عمم متعلق الاستعانة او خصص [illegible]
في اداء الواجبات خاصة [illegible] حذف المفعول [illegible] الاختصاص [illegible]
والمهمات [illegible] حذف المفعول [illegible] المعونة [illegible] المطلوب [illegible]
ارشدنا طريق المؤمنين في ذلك [illegible] العبادات او في عموم المهمات [illegible]
والخضوع بتخصيص العبادة [illegible] قوله واقول لما نسب [illegible] الى هذا وجه اخر لتقدم العبادة وعلى الاستعانة
عظيما [illegible] العبادة [illegible] الاستعانة [illegible] المقصود [illegible]
[illegible] الى العجب والكبر [illegible] ان ينسخ [illegible] العبادة [illegible]
[illegible] بعانة الله تعالى وتوفيقه فالمقصود [illegible]
٢٢ قوله والهداية دلالة بلطف [illegible] الهداية [illegible] الارشاد [illegible] العبادة
[illegible] قوله والهداية دلالة بلطف اي دلالة [illegible] ما يوصل الى المطلوب [illegible]
بل المراد مطلق الدلالة [illegible] الدلالة [illegible]
٢٢ قوله والهداية دلالة بلطف لانها في اللغة بمعنى الارشاد [illegible] الموصلة الى المطلوب [illegible]
[illegible] المراد [illegible] ذكر الصراط المستقيم [illegible]
[illegible] الصراط المستقيم [illegible] بمعنى الارشاد [illegible]
٩٩ [illegible] الحذف والايصال [illegible] حرف الجر [illegible] الحذف والايصال [illegible]
[illegible] بارسال الرسل [illegible] بانزال الكتب

[illegible]

حقيقية معدة لوقوعه صفة للمعرفة وقيل الدين الشريعة وقيل الطاعة الاوصاف
على الله من كونه رب العالمين موجدا لهم منعما عليهم بالنعم كلها ظاهرها
وباطنها عاجلها واجلها مالكا لامورهم يوم الثواب والعقاب للدلالة
على انه الحقيق بالحمد لا احد احق به منه بل لا يستحقه على الحقيقة سواه فان ترتب الحكم على الوصف يشعر بعليته له وللاشعار من طريق المفهوم على ان من لم يتصف بتلك
الصفات لا يستاهل لان يحمد فضلا ان يعبد ليكون دليلا على ما بعده
فالوصف الاول لبيان ما هو الموجب للحمد وهو الايجاد والتربية والثاني والثالث
للدلالة على انه متفضل بذلك مختار فيه ليس يصدر منه لايجاب بالذات او وجوب
عليه قضية لسوابق الاعمال حتى يستحق به الحمد والرابع لتحقيق الاختصاص فانه مما
لا يقبل الشركة فيه وتضمين الوعد للحامدين والوعيد للمعرضين اياك نعبد و
اياك نستعين ثم انه لما ذكر الحقيق بالحمد ووصف بصفات عظام تميز بها عن ساير الذوات
وتعلق العلم بمعلوم معين خوطب بذلك اي يا من هذا شانه نخصك بالعبادة
والاستعانة ليكون ادل على الاختصاص والترقي من البرهان الى العيان و
الانتقال من الغيبة الى الشهود فكان المعلوم صار عيانا والمعقول مشاهدا والغيبة
حضورا بني اول الكلام على ما هو مبادي حال العارف من الذكر والفكر والتامل
في اسمايه والنظر في الايه والاستدلال بصنايعه على عظم شانه وباهر سلطانه ثم قفى
بما هو منتهى امره وهو ان يخوض لجة الوصول ويصير من اهل المشاهدة فيراه
عيانا ويناجيه شفاها اللهم اجعلنا من الواصلين الى العين دون السامعين
للاثر ومن عادة العرب التفنن في الكلام والعدول من اسلوب الى اخر تطرية
له وتنشيطا للسامع فيعدل من الخطاب الى الغيبة ومن الغيبة الى التكلم و
بالعكس كقوله تعالى حتى اذا كنتم في الفلك وجرين بهم وقوله والله الذي ارسل
الرياح فتثير سحابا فسقناه وقول امرئ القيس تطاول ليلك بالاثمد ونام الخلي
ولم ترقد وبات وباتت له ليلة كليلة ذي العاير الارمد وذلك من نبا جاءني وخبرته
عن ابي الاسود وايا ضمير منصوب منفصل وما يلحقه من الياء والكاف والهاء حروف
زيدت لبيان التكلم والخطاب والغيبة لا محل لها من الاعراب كالتاء في انت والكاف
في ارايتك وقال الخليل ايا مضاف اليها واحتج بما حكاه عن بعض العرب اذا بلغ الرجل
الستين فاياه وايا الشواب وهو شاذ لا يعتمد عليه وقيل هي الضماير وايا عمدة
فانها لما فصلت عن العوامل تعذر النطق بها مفردة فضم اليها ايا لتستقل به
وقيل الضمير هو المجموع وقرئ اياك بفتح الهمزة وهياك بقلبها هاء والعبادة اقصى
غاية الخضوع والتذلل ومنه طريق معبد اي مذلل وثوب ذو عبدة اذا كان
في غاية الصفاقة ولذلك لا تستعمل الا في الخضوع لله تعالى والاستعانة طلب المعونة
وهي اما ضرورية او غيرها والضرورية ما لا ياتي الفعل دونه كاقتدار الفاعل

قوله بمعلوم معين ممتاز عنده وعن ساير الذوات حتى صار بحيث تبدل خفاؤه غيبته بجلاء حضوره
قوله اي يا من هذا شانه يعني قيل بكذا نخصك بالعبادة والاستعانة نخص بها غيرك فان الباء
تدخل ابدا على المقصور واخرى على المقصور عليه
قوله ثم انه الى اخره وهذا شروع في بيان طريق الالتفات وبيان فايدته اما الاول ... طريق الالتفات
الى قوله نخصك بالعبادة والاستعانة واما الثاني ... فايدته قوله ليكون ادل الى قوله والغيبة حضورا ...
هذا المجمل على طريق الاستيناف فقال بني اول الكلام

[illegible]

ولا زيدة للتأكيد اي ان كلمة لا من حروف الزيادة ولكنها انما تزاد بعد الواو العاطفة الكائنة بعد النفي او النهي
نحو ما جاءني زيد ولا عمرو ولا تقربوا الزنى ولا السرقة وفائدته تأكيد النفي السابق [illegible]

[illegible]

وتصوره وحصول آلة ومادة يفعل بها فيها وعند استجماعها يوصف الرجل بالاستطاعة ويصح ان يكلف بالفعل وغير الضرورية تحصيل ما يتيسر به الفعل ويسهل كالراحلة في السفر للقادر على المشي او يقرب الفاعل الى الفعل ويحثه عليه وهذا القسم لا يتوقف عليه صحة التكليف والمراد طلب المعونة في المهمات كلها او في اداء العبادات والضمير المستكن في الفعلين للقارئ ومن معه من الحفظة وحاضري صلوة الجماعة او له ولسائر الموحدين ادرج عبادته في تضاعيف عبادتهم وخلط حاجته بحاجتهم لعلها تقبل ببركتها ويجاب اليها ولهذا شرعت الجماعة وقدم المفعول للتعظيم والاهتمام به والدلالة على الحصر ولذلك قال ابن عباس معناه نعبدك ولا نعبد غيرك وتقديم ما هو مقدم في الوجود والتنبيه على ان العابد ينبغي ان يكون نظره الى المعبود اولا وبالذات ومنه الى العبادة لا من حيث انها عبادة صدرت عنه بل من حيث انها نسبة شريفة اليه ووصلة بينه وبين الحق فان العارف انما يحق وصوله اذا استغرق في ملاحظة جناب القدس وغاب عما عداه حتى انه لا يلاحظ نفسه ولا حالا من احوالها الا من حيث انها ملاحظة له ومنتسبة اليه ولذلك فضل ما حكى الله عن حبيبه حين قال لا تحزن ان الله معنا على ما حكاه عن كليمه حيث قال ان معي ربي سيهدين وكرر الضمير للتنصيص على انه المستعان به لا غير وقدمت العبادة على الاستعانة ليتوافق رؤس الاي ويعلم منه ان تقديم الوسيلة على طلب الحاجة ادعى الى الاجابة واقول لما نسب المتكلم العبادة الى نفسه اوهم ذلك تبجحا واعتدادا منه بما يصدر عنه فعقبه بقوله واياك نستعين ليدل على ان العبادة ايضا مما لا يتم ولا يستتب له الا بمعونة منه وتوفيق وقيل الواو للحال والمعنى نعبدك مستعينين بك وقرئ بكسر النون فيهما وهي لغة بني تميم فانهم يكسرون حروف المضارعة سوى الياء اذا لم ينضم ما بعدها **اهدنا الصراط المستقيم** بيان للمعونة المطلوبة فكانه قال كيف اعينكم فقالوا اهدنا او افراد لما هو المقصود الاعظم والهداية دلالة بلطف ولذلك تستعمل في الخير وقوله تعالى فاهدوهم الى صراط الجحيم على التهكم ومنه الهدية وهوادي الوحش لمقدماتها والفعل منه هدى واصله ان يعدى باللام او الى فعومل معه معاملة اختار في قوله تعالى واختار موسى قومه وهداية الله تعالى تتنوع انواعا لا يحصيها عد لكنها تنحصر في اجناس مترتبة الاول افاضة القوى التي بها يتمكن المرء من الاهتداء الى مصالحه كالقوة العقلية والحواس الباطنة والمشاعر الظاهرة والثاني نصب الدلائل الفارقة بين الحق والباطل والصلاح والفساد واليه اشار

حيث

حيث قال وهديناه النجدين وقال فهديناهم فاستحبوا العمى على الهدى والثالث
الهداية بارسال الرسل وانزال الكتب واياها عنى بقوله وجعلناهم ايمة يهدون
بامرنا وقوله ان هذا القران يهدي للتي هي اقوم والرابع ان يكشف على قلوبهم السرائر
ويريهم الاشياء كما هي بالوحي او الالهام والمنامات الصادقة وهذا قسم يختص
بنيله الانبياء والاوليا واياه عنى بقوله اوليك الذين هدى الله فبهديهم اقتده وقوله
والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا فالمطلوب اما زيادة ما منحوه من الهدى او الثبات
عليه او حصول المراتب المرتبة عليه فاذا قاله العارف الواصل عنى به ارشدنا طريق
السير فيك لتمحو عنا ظلمات احوالنا وتميط غواشي ابداننا لنستضي بنور قدسك فنراك بنورك
والامر والدعا يتشاركان لفظا ومعنى ويتفاوتان بالاستعلا والتسفل وقيل بالرتبة
والسراط من سرط الطعام اذا ابتلعه فكانه يسرط السابلة ولذلك سمي لقما لانه يلتقمهم
والصراط من قلب السين صادا ليطابق الطا في الاطباق وقد يشم الصاد صوت
الزاي ليكون اقرب الى المبدل عنه وقرا ابن كثير برواية قنبل عنه ورويس عن يعقوب بالاصل
وحمزة بالاشمام والباقون بالصاد وهو لغة قريش والثابت في الامام وجمعه سرط
ككتب وهو كالطريق في التذكير والتانيث والمستقيم المستوي والمراد به طريق الحق
وقيل ملة الاسلام صراط الذين انعمت عليهم بدل من الاول بدل الكل وهو
في حكم تكرير العامل من حيث انه المقصود بالنسبة وفايدته التوكيد والتنصيص
على ان طريق المسلمين هو المشهود عليه بالاستقامة على آكد وجه وابلغه لانه جعل
كالتفسير والبيان له فكانه من البين الذي لا خفا فيه ان الطريق المستقيم ما يكون
طريق المومنين وقيل الذين انعمت عليهم الانبياء وقيل اصحاب موسى وعيسى
عليهما السلام قبل التحريف والنسخ وقرى صراط من انعمت عليهم والانعام
ايصال النعمة وهي في الاصل الحالة التي يستلذها الانسان فاطلقت لما يستلذه
من النعمة وهي اللين ونعم الله وان كانت لا تحصى كما قال الله تعالى وان تعدوا
نعمة الله لا تحصوها تنحصر في جنسين دنيوي واخروي والاول قسمان موهبي
وكسبي والموهبي قسمان روحاني كنفخ الروح فيه واشراقه بالعقل وما يتبعه
من القوى كالفهم والفكر والنطق وجسماني كتخليق البدن والقوى الحالة
فيه والهيات العارضة له من الصحة وكمال الاعضا والكسبي تزكية
النفس عن الرذايل وتحليتها بالاخلاق والملكات الفاضلة وتزيين البدن
بالهيات المطبوعة والحلى المستحسنة وحصول الجاه والمال والثاني ان يغفر
ما فرط منه ويرضى عنه ويبوه في اعلا عليين مع الملايكة المقربين ابد الابدين
والمراد هو القسم الاخير وما يكون وصلة الى نيله من القسم الاخر فان ما عدا
ذلك يشترك فيه المومن والكافر غير المغضوب عليهم ولا الضالين بدل من الذين

على معنى ان المنعم عليهم هم الذين سلموا من الغضب والضلال او صفة له مبينة
او مقيدة على معنى ~~ان المنعم عليهم هم الذين سلموا من الغضب والضلال~~ وذلك
انما يصح باحد تاويلين اجراء الموصول مجرى النكرة اذا لم يقصد به معهود
كالمحلى في قوله ولقد امر على اللئيم يسبني وقولهم اني لامر على الرجل مثلك
فيكرمني او جعل غير معرفة بالاضافة لانه اضيف الى ما له ضد واحد وهو المنعم
عليهم فيتعين تعين الحركة من غير السكون وعن ابن كثير نصبه على الحال عن الضمير
المجرور والعامل انعمت او باضمار اعني او بالاستثناء ان فسر النعم بما يعم القبيلين
والغضب ثوران النفس ارادة الانتقام فاذا اسند الى الله تعالى اريد به المنتهى والغاية
على ما مر وعليهم في محل الرفع لانه نائب مناب الفاعل بخلاف الاول ولا مزيدة لتاكيد
ما في غير من معنى النفي فكانه قال لا المغضوب عليهم ولا الضالين ولذلك جاز انا زيدا
غير ضارب كما جاز انا زيدا لا ضارب وان امتنع انا زيدا مثل ضارب وقري
وغير الضالين والضلال العدول عن الطريق السوي عمدا او خطا وله عرض عريض
والتفاوت بين ادناه واقصاه كثير قيل المغضوب عليهم اليهود لقوله تعالى فيهم من لعنه الله
وغضب عليه والضالين النصارى لقوله تعالى قد ضلوا من قبل واضلوا كثيرا وقد
روي مرفوعا ويتجه ان يقال المغضوب عليهم العصاة والضالون الجاهلون
بالله لان المنعم عليه من وفق للجمع بين معرفة الحق لذاته والخير للعمل به فكان المقابل له من اختل
احدى قوتيه العاقلة والعاملة والمخل بالعمل فاسق مغضوب عليه لقوله تعالى في القاتل
عمدا وغضب الله عليه والمخل بالعلم جاهل ضال لقوله تعالى فماذا بعد الحق الا الضلال
وقرئ والضالين بالهمز على لغة من جد في الهرب من التقاء الساكنين امين اسم الفعل
الذي هو استجب وعن ابن عباس سالت رسول الله صلعم عن معناه فقال افعل بني على الفتح
كاين لالتقاء الساكنين وجاء مد الفه وقصرها قال ويرحم الله عبدا قال امينا وقال امين
فزاد الله ما بيننا بعدا وليس من القران وفاقا لكن يسن ختم السورة به لقوله عليه السلام
علمني جبريل امين عند فراغي من قراءة الفاتحة وقال انه كالختم على الكتاب وفي معناه
قول علي رضه امين خاتم رب العالمين ختم به دعاء عبده يقوله الامام ويجهر به
في الجهرية لما روي عن وايل بن حجر انه عليه السلام كان اذا قرا ولا الضالين
قال امين ورفع بها صوته وعن ابي حنيفة انه لا يقوله والمشهور عنه انه
يخفيه كما رواه عبد الله بن مغفل وانس والماموم يؤمن معه لقوله عليه السلام
اذا قال الامام ولا الضالين فقولوا امين فان الملائكة يقولون امين فمن وافق
تامينه تامين الملائكة غفر له ما تقدم من ذنبه وعن ابي هريرة ان رسول الله صلعم
قال لابي الا اخبرك بسورة لم تنزل في التورية والانجيل والقران مثلها قلت بلى
يا رسول الله قال فاتحة الكتاب انها السبع المثاني والقران العظيم الذي اوتيته

وعن ابن عباس قال بينا رسول الله صلعم اذ اتاه ملك فقال ابشر بنورين اوتيتهما لم

يؤتهما نبي قبلك فاتحة الكتاب وخواتيم سورة البقرة لن تقرأ حرفا منها الا اعطيته

وعن حذيفة بن اليمان ان النبي صلعم قال ان القوم ليبعث الله عليهم العذاب

حتما مقضيا فيقرأ صبي من صبيانهم في الكتاب الحمد لله رب العالمين فيسمعه الله

تعالى فيرفع عنهم بذلك العذاب اربعين سنة سورة البقرة مدنية كلها واياتها

مايتان وسبع وثمانون بسم الله الرحمن الرحيم الم وساير الالفاظ التي

يتهجى بها اسماء مسمياتها الحروف التي ركبت منها الكلم لدخولها في حد الاسم واعتوار

ما يخص به من التعريف والتنكير والجمع والتصغير ونحو ذلك عليها وبه صرح الخليل

وابو علي وما روى ابن مسعود انه عليه السلام قال من قرأ حرفا من كتاب الله

فله حسنة والحسنة بعشر امثالها لا اقول الم حرف بل الف حرف ولام حرف وميم حرف

فالمراد به غير المعنى الذي اصطلح عليه فان تخصيصه به عرف مجدد بل المعنى اللغوي

ولعله سماه باسم مدلوله ولما كانت مسمياتها حروفا وحدانا وهي مركبة

صدرت بها لتكون تاديتها بالمسمى اول ما يقرع السمع واستعيرت الهمزة مكان الالف لتعذر

الابتداء بها وهي ما لم يلها العوامل موقوفة خالية عن الاعراب لفقد موجبه ومقتضيه

لكنها قابلة اياه ومعرضة له اذ لم تناسب مبنى الاصل ولذلك قيل ص وق مجموعا

فيهما بين ساكنين ولم يعامل معاملة اين وهؤلاء ثم ان مسمياتها لما كانت عنصر الكلام

وبسايطه التي تركب منها افتتحت السور بطائفة منها ايقاظا لمن تحدى بالقران

وتنبيها على ان المتلو عليهم كلام منظوم مما ينظمون منه كلامهم فلو كان من

عند غير الله لما عجزوا عن آخرهم مع تظاهرهم وقوة فصاحتهم عن الاتيان

بما يدانيه وليكون اول ما يقرع الاسماع مستقلا بنوع من الاعجاز فان النطق

باسماء الحروف مختص بمن خط ودرس فاما من الامي الذي لم يخالط الكتاب فمستبعد

مستغرب خارق للعادة كالكتابة والتلاوة سيما وقد راعى في ذلك ما يعجز عنه

الاديب الاريب الفائق في فنه وهو انه اورد في هذه الفواتح اربعة عشر اسما

هي نصف اسامي حروف المعجم ان لم يعد فيها الالف حرفا براسها في تسع وعشرين

سورة بعددها اذا عد فيها الالف مشتملة على انصاف انواعها فذكر من المهموسة

وهي ما يضعف الاعتماد على مخرجه ويجمعها ستشحثك خصفه نصفها الحاء

والهاء والصاد والسين والكاف ومن البواقي المجهورة نصفها يجمعها لن يقطع امر

ومن الشديدة الثمانية المجموعة في اجدت طبقك اربعة يجمعها اقطك ومن

البواقي الرخوة عشرة يجمعها حمس على نصره ومن المطبقة التي هي الصاد والطاء

والضاد والظاء نصفها ومن البواقي المنفتحة نصفها ومن القلقلة وهي حروف تضطرب

عند خروجها وقد يجمعها قد طبج نصفها الاقل لقلتها ومن اللينتين الياء لانها اقل

والمراد بفصول الايات عباراتها المسوقة لافادة المعاني والمراد بها اشاراتها ودلالاتها واقتضاءاتها

جمع لمعة كضوء واضواء واوضاعها عطف على الاحكام والضمير راجع اليها والمراد باوضاعها

العلل والمعاني الموضوعة لافادة الاحكام

قوله قواعد الاحكام واوضاعها قال في التوضيح الفقه العلم بالاحكام الشرعية العملية من ادلتها التفصيلية

[illegible]

ثقلا ومن المستعلية وهي التي تتصعد الصوت بها في الحنك الاعلى وهي سبعة
القاف والصاد والطاء والخاء والغين والضاد والظاء نصفها الاقل ومن
البواقي المنخفضة نصفها ومن حروف البدل وهي احد عشر على ما ذكره سيبويه
واختاره ابن جني ويجمعها اجد طويت منها الستة الشايعة المشهورة التي يجمعها
اهطمين وقد زاد بعضهم سبعة اخرى وهي اللام في اصيلال والصاد والزاء
في صراط وزراط والفاء في جدف والعين في اعن والثاء في ثروغ الدلو والباقي باسمكر
حتى صارت ثمانية عشر وقد ذكر منها تسعة الستة المذكورة واللام والصاد والعين
ومما يدغم في مثله ولا يدغم في المقارب وهي خمسة عشر الهمزة والهاء والعين
والصاد والطاء والميم والياء والخاء والغين والضاد والظاء والشين والزاء
والواو نصفها الاقل ومما يدغم فيهما وهي الثلثة عشر الباقية نصفها الاكثر
الحاء والقاف والكاف والراء والسين واللام والنون لما في الادغام من الخفة و
الفصاحة ومن الاربعة التي لا تدغم فيما يقاربها ويدغم فيها مقاربها وهي الميم
والزاء والسين والفاء نصفها ولما كانت الحروف الذلقية التي يعتمد عليها بذلق اللسان
وهي ستة يجمعها رب منفل والحلقية التي هي الحاء والخاء والعين والغين والهاء والهمزة
كثيرة الوقوع في الكلام ذكر ثلثيهما ولما كانت ابنية المزيد لا تتجاوز من التاسعة
ذكر من الزوايد العشرة التي يجمعها اليوم تنساه سبعة احرف منها تنبيها على ذلك
ولو استقريت الكلم وتراكيبها وجدت الحروف المتروكة من كل جنس
مكثورة بالمذكورة ثم انه ذكرها مفردة وثنائية وثلاثية ورباعية وخماسية
ايذانا بان المتحدى به مركب من كلماتهم التي اصولها كلمات مفردة ومركبة
من حرفين فصاعدا الى الخمسة وذكر ثلاث مفردات في ثلاث سور لانها
توجد في الاقسام الثلثة الاسم والفعل والحرف واربع ثنائيات لانها تكون في الحرف
بلا حذف كبل وفي الفعل بحذف كقل وفي الاسم بغير حذف كمن وبه كدم في تسع
سور لوقوعه في كل واحد من الاقسام الثلثة على ثلثة اوجه ففي الاسماء من
واذ وذو وفي الافعال قل وبع وخف وفي الحروف ان ومن ومذ على لغة من جر
بها وثلاث ثلاثيات لمجيئها في الاقسام الثلثة في ثلثة عشر سورة تنبيها على
ان اصول الابنية المستعملة ثلثة عشر عشرة منها للاسماء وثلثة للافعال ورباعيتين
وخماسيتين تنبيها على ان لكل منهما اصلا كجعفر وسفرجل وملحقا كقردد وجحنفل
ولعلها فرقت على السور ولم تعد باجمعها في اول القرآن لهذه الفائدة مع ما فيه
من اعادة التحدي وتكرير التنبيه والمبالغة فيه والمعنى هذا المتحدى به مؤلف
من جنس هذه الحروف او المؤلف منها كذا وقيل هي اسماء السور وعليه اطباق
الاكثر سميت بها اشعارا بانها كلمات معروفة التركيب فلو لم تكن وحيا من الله

٧

حاشية الكشاف

قوله قيل انها اسماء القرآن الى قال في حاشية الكشاف وانها قبيل المعربات دون مبنيات
ان المصنف اولا ان الالفاظ المتهجى بها اسماء لا حروف وانها من قبيل المعربات وان كان سكونها
لعدم الاعراب بالفعل بناء على عدم العامل ثم بين وجه وقوعها فواتح السور مع ما يتعلق بذلك من
ثم حكمها في باب الاعراب لعدم المقتضى والعامل كما في قولنا دار غلام جاريه وان جعلت اسماء للسور وقد
في التركيب ويقدر الاعراب اللفظي لمنافي آخرها من السكون المحكي وجب ان يقدر لها اعراب يحتمل ان يكون الرفع
على الابتداء اي المبتدائية او الخبرية او النصب والجر على حذف حرف القسم ويحتمل النصب باضمار اذكر

قوله فان جعلتها اسماء الخ
اي المصنف البيضاوي رحمه الله لما فرغ من بيان ان هذه الفواتح اسماء وانها من قبيل المعربات وان سكونها لعدم العامل
فاوردت احتمالات لانها على تقدير تسميتها وغيرها على تقدير ابقائها على معانيها الاصلية والاخيرة الثلث الاول
ما ذكره بقوله فان جعلتها اسماء لله تعالى او القرآن او السور كان لها حظ من الاعراب سواء كانت معربة لفظا
وذلك فيما يأتي فيه الاعراب من الاسماء المفردة كصاد وقاف ونون او الاسماء المتعددة التي تحمل على زنة مفرد
مثل سلسل على وزن قابيل فمن قرأ بالفتح على ان يكون ذلك الفتح نصبا باضمار الفعل ويكون خلوها من التنوين
لمنع صرفها لاجتماع العلمية والتانيث او يكون ذلك الفتح جرا غير منصرف على اضمار حرف القسم او معربة محلا وذلك فيما
لا يتأتى فيه الاعراب نحو الم وكهيعص فان مثل ذلك يجب ان يكون محكيا على السكون ولا يجوز فيه الاعراب لانه يستلزم
ان يجعل ثلثة اسماء فصاعدا اسما واحدا وذلك غير موجود في كلامهم او يتأتى فيه ذلك ولكن لم يعرب بل يحكى
على الحالة الوقفية سواء كان لم يتغير من سكونه او غيرها بالتحريك للجد في الهرب من اجتماع الساكنين كصاد وقاف
ونون فمن قرأها بالكسر مطلقا وفي قراءة الفتح على وجه فان كان ما بعدها صالحا لان يكون مبتدأ او خبر يحمل على وجه
منها ويكون مع ما بعده كلاما تاما كما في قوله تعالى الم ذلك الكتاب ونحو تلك آيات القرآن والا قدر الخبر او المبتدأ
شيخ زاده رحمه الله

قوله واما بالجر مع الخ
لما ذكر المصنف ان هذه الفواتح اسماء معربة خالية عن الحركات الاعرابية بالفعل لعدم تركبها مع العامل وانها على تقدير
تسميتها سواء كانت اسماء الله تعالى او القرآن او السور كان لها حظ من الاعراب اما بالرفع والنصب والجر شرع في بيان انها مع كونها
او حظا من الاعراب لفظيا كان او محليا اي تسمى فيها يجوز فيه الاعراب وهو الاعراب لفظا او الاعراب محلا ان يكون الاسم محكيا على السكون الاصلي
والتي اسم يتعين كون اعرابه محليا بكون نفسه محكيا على السكون والمراد بالحكاية ان يحكي اللفظ بعد نقله الى العلمية على استيفاء صورته
الاولى سواء كان اللفظ في الاصل جملة ثم جعل علما لرجل نحو تأبط شرا او كان اللفظ في الاصل فعلا او اسما او حرفا ثم جعل علما لنفسه كما في نحو
ضرب فعل ماض ومن حرف جر فان الالفاظ المذكورة ههنا لا يحكى على صورتها الاصلية بعد نقلها الى العلمية ليتبين انه صورتها الاصلية
والمعنى المنقول اليه وجه الحكاية استيفاء الصورة الاولى في الفواتح ان اسماء الحروف كثر استعمالها معدودة موقوفة حتى صارت هذه الحالة كانها اصل فيها واعرابها عارض لها فلما جعلت اسماء للسور جوزت حكايتها من تلك الهيئة تنبيها
على انها التسمية من ملاحظة الاصل لان سميانها التي للسور مركبة منها لانها الاصلية في الحروف المبسوطة والمعدود من التسمية بها الالفاظ
والتنبيه على الاصل وعلى ذلك جوز الحكاية في هذه [illegible] الاسماء حال كونها اعلاما للسور وباقي فيها الاعراب اللفظي المقدر كالحكاية ان كانت
اسماء مفردة كصاد فانه يجوز فيها الاعراب او على زنة مفرد كحم طس كذلك يجوز فيه الاعراب والحكاية ليست الا فيها عدا ذلك اي الا تأتي
فيه الاعراب المنقطع بل الحكاية فقط نحو الم كهيعص فالاعراب لا يتأتى في مثله لان الاعراب في مثله يستلزم جعل اسماء دون الاسماء
واحدا وهو لا يجوز في قانون اللغة والاسماء في الفواتح مسرودة على نمط التعداد وحرلا يمكن ان يكون الاعراب اللفظي فيه بل تتعين الحكاية
لان جعل اسما للسورة هو مجموع الاسماء المسرودة
شيخ زاده

لم يتساقط مقدرتهم دون معارضتها واستدل عليه بانها لو لم تكن مفهمة
كان الخطاب بها كالخطاب بالمهمل والتكلم بالزنجي مع العربي ولم يكن القران باسره
بيانا وهدى ولما امكن التحدي به وان كانت مفهمة فاما ان يراد بها السور التي
هي مستهلها على انها القابها او غير ذلك والثاني باطل لانه اما ان يكون المراد ما وضعت
له في لغة العرب وظاهر انه ليس كذلك او غيره وهو باطل لان القران نزل على لغتهم
لقوله تعالى بلسان عربي مبين فلا يحمل على ما ليس في لغتهم لا يقال لم لا يجوز ان تكون
مزيدة للتنبيه والدلالة على انقطاع كلام واستيناف اخر كما قاله قطرب او اشارة الى
كلمات هي منها اقتصرت عليها اقتصار الشاعر في قوله قلت لها قفي فقالت قاف
كما روي عن ابن عباس انه قال الالف آلاء الله واللام لطفه والميم ملكه وعنه ان الر وحم
ونون مجموعها الرحمن وعنه ان الم معناه انا الله اعلم ونحو ذلك في ساير الفواتح وعنه
ان الالف من الله واللام من جبريل والميم من محمد اي القران منزل من الله بلسان جبريل
على محمد عليهما السلام او الى مدد اقوام واجال بحساب الجمل كما قال ابو العالية متمسكا
بما روي انه عليه السلام لما اتاه اليهود تلا عليهم الم البقرة فحسبوه وقالوا كيف ندخل
في دين مدته احدى وسبعون سنة فتبسم رسول الله صلعم فقالوا فهل غيره فقال المص
والر والمر فقالوا خلطت علينا فلا ندري بايها ناخذ فان تلاوته اياها بهذا الترتيب
عليهم وتقريرهم على استنباطهم دليل على ذلك وهذه الدلالة وان لم تكن عربية
لكنها لاشتهارها فيما بين الناس حتى العرب تلحقها بالمعربات كالمشكاة والسجيل و
القسطاس او دالة على الحروف المبسوطة مقسما بها لشرفها من حيث انها بسايط اسماء الله
ومادة خطابه هذا وان القول بانها اسماء السور يخرجها الى ما ليس في لغة العرب لان
التسمية بثلثة اسماء فصاعدا مستكره عندهم ويودي الى اتحاد الاسم والمسمى
ويستدعي تاخر الجزء عن الكل من حيث ان الاسم متاخر عن المسمى بالرتبة لانا نقول هذه
الالفاظ لم تعهد مزيدة للتنبيه والدلالة على الانقطاع والاستيناف يلزمها وغيرها
من حيث انها فواتح السور ولا يقتضي ذلك ان لا يكون لها معنى في حيزها ولم تستعمل
للاختصار من كلمات معينة في لغتهم اما الشعر فشاذ واما قول ابن عباس فتنبيه
على ان الحروف منبع الاسماء ومبادي الخطاب وتمثيل بامثلة حسنة الا ترى انه
عد كل حرف من كلمات متباينة لا تفسير وتخصيص بهذه المعاني دون غيرها اذ لا
مخصص لفظا ومعنى ولا بحساب الجمل فتلحق بالمعربات والحديث لا دليل فيه لجواز انه
تبسم تعجبا من جهلهم وجعلها مقسما بها وان كان غير ممتنع لكنه يحوج الى اضمار
اشياء لا دليل عليها والتسمية بثلثة اسماء انما تمتنع اذا ركبت وجعلت اسما واحدا
على طريقة بعلبك فاما اذا نثرت نثر اسماء العدد فلا وناهيك بتسوية سيبويه
بين التسمية بالجملة والبيت من الشعر وطائفة من اسماء حروف المعجم والمسمى هو مجموع السورة

والاسم جزء منها فلا اتحاد وهو مقدم من حيث ذاته ومؤخر باعتبار كونه اسما
فلا دور والوجه الاول اقرب الى التحقيق واوفق للطايف التنزيل واسلم من لزوم
النقل ووقوع الاشتراك في الاعلام من واضع واحد فانه يعود بالنقض على ما هو مقصود
العلمية وقيل انها اسماء القران ولذلك اخبر عنها بالكتاب والقران وقيل انها اسماء الله تع
ويدل عليه ان عليا رضه كان يقول يا كهيعص يا حمعسق ولعله اراد يا منزلهما وقيل الالف
من اقصى الحلق وهو مبدا المخارج واللام من طرف اللسان وهو وسطها والميم من الشفة وهي
اخرها جمع بينها ايماء الى ان العبد ينبغي ان يكون اول كلامه واوسطه واخره ذكر الله تع وقيل
انه سر استاثره الله بعلمه وقد روي عن الخلفاء الاربعة وغيرهم من الصحابة ما يقرب منه
ولعلهم ارادوا انها اسرار بين الله تع ورسوله ورموز لم يقصد بها افهام غيره اذ
يبعد الخطاب بما لا يفيد فان جعلتها اسماء الله تع او القران او السور كان لها حظ من الاعراب
اما الرفع على الابتداء او الخبر او النصب بتقدير فعل القسم على طريقة الله لافعلن بالنصب
او غيره كاذكر او الجر على اضمار حرف القسم ويتاتى الاعراب لفظا والحكاية فيما
كانت مفردة او موازنة لمفرد كحم فانه كهابيل والحكاية ليست الا فيما عدا ذلك وسيعود
اليك ذكره مفصلا ان شاء الله تع وان ابقيتها على معانيها فان قدرت بالمؤلف
من هذه الحروف كان في حيز الرفع بالابتداء او الخبر على ما مر وان جعلتها مقسما
بها يكون كل كلمة منها منصوبا او مجرورا على اللغتين في الله لافعلن فيكون جملة قسمية
بالفعل المقدر له وان جعلتها ابعاض كلمات او اصواتا منزلة منزلة حروف التنبيه لم
يكن لها محل من الاعراب كالجمل المبتداة والمفردات المعدودة ويوقف عليها وقف التمام
اذا قدرت بحيث لا يحتاج الى ما بعدها فليس شيء منها اية عند غير الكوفيين واما
عندهم فالم في مواقعها والمص وكهيعص وطه وطسم ويس وحم اية وحم عسق
ايتان والبواقي ليست بايات وهذا توقيف لا مجال للقياس فيه **ذلك الكتاب** اشارة
الى الم ان اول بالمؤلف من هذه الحروف او فسر بالسورة او القران فانه لما تكلم به
وتقضى او وصل من المرسل الى المرسل اليه اشير اليه بما يشار به الى البعيد وتذكيره متى اريد
بالم السورة لتذكير الكتاب فانه صفته او خبره الذي هو هو او الى الكتاب فيكون
صفته والمراد به الكتاب الموعود انزاله بقوله تع انا سنلقي عليك قولا ثقيلا ونحوه
او في الكتب المتقدمة وهو مصدر سمي به المفعول للمبالغة او فعال بني للمفعول كاللباس
ثم عبر على المنظوم عبارة قبل ان يكتب لانه مما يكتب واصل الكتب الجمع ومنه
الكتيبة **لا ريب فيه** معناه انه لوضوحه وسطوع برهانه بحيث لا يرتاب العاقل
بعد النظر الصحيح في كونه وحيا بالغا حد الاعجاز لا ان احدا لا يرتاب فيه الا ترى الى
قوله تع وان كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا الاية فانه ما ابعد ~~احدا لا يرتاب فيه~~
الريب عنهم بل عرفهم الطريق المزيح له وهو ان يجتهدوا في معارضة نجم من نجومه ويبذلوا

فيها

فيها غاية جهدهم حتى اذا عجزوا عنها تحقق لهم ان ليس فيه مجال للشبهة ولا مدخل
للريبة وقيل معناه لا ريب فيه للمتقين وهدى حال من الضمير المجرور والعامل
فيه الظرف الواقع صفة للمنفي والريب في الاصل مصدر رابني الشيء اذا حصل فيك الريبة
وهي قلق النفس واضطرابها سمي به الشك لانه يقلق النفس ويزيل الطمانينة وفي
الحديث دع ما يريبك فان الشك ريبة والصدق طمانينة ومنه ريب الزمان لنوائبه
هدى للمتقين يهديهم الى الحق والهدى في الاصل مصدر كالتقى والسرى معناه
الدلالة وقيل الدلالة الموصلة الى البغية لانه جعل مقابل الضلالة في قوله تعالى
هدى او في ضلال مبين ولانه لا يقال مهدي الا لمن اهتدى الى المطلوب واختصاصه
بالمتقين لانهم المهتدون به والمنتفعون بنصبه وان كانت دلالته عامة لكل ناظر
من مسلم او كافر وبهذا الاعتبار قال الله تعالى هدى للناس ولانه لا ينتفع
بالتامل فيه الا من صقل العقل واستعمله في تدبر الايات والنظر في المعجزات
وتعرف النبوات فانه كالغذاء الصالح لحفظ الصحة فانه لا يجلب نفعا
ما لم تكن الصحة حاصلة واليه اشار بقوله تعالى وننزل من القران ما هو
شفاء ورحمة للمومنين ولا يزيد الظالمين الا خسارا ولا يقدح ما فيه
من المجمل والمتشابه في كونه هدى لما لم ينفك عن بيان تعين المراد بانه
الكتاب المنعوت بغاية الكمال والمتقي اسم فاعل من قولهم وقاه فاتقى والوقاية فرط
الصيانة وهو في عرف الشرع اسم لمن يقي نفسه عما يضره في الاخرة وله ثلاث مراتب
الاولى التوقي عن العذاب المخلد بالتبري عن الشرك وعليه قوله تعالى والزمهم كلمة
التقوى والثانية التجنب عن كل ما يؤثم من فعل او ترك حتى الصغائر عند قوم
وهو المتعارف باسم التقوى في الشرع وهو المعني بقوله تعالى ولو ان اهل القرى
امنوا واتقوا والثالثة ان يتنزه عما يشغل سره عن الحق تعالى ويتبتل اليه بشراشره
وهو التقوى الحقيقي المطلوب بقوله تعالى واتقوا الله حق تقاته وقد فسر
قوله هدى للمتقين على الاوجه الثلاثة واعلم ان الاية الكريمة يحتمل وجوها من الاعراب
ان يكون الم مبتدا على انه اسم القران العظيم والسورة او مقدر بالمؤلف منها
وذلك خبره وان كان اخص من المؤلف مطلقا والاصل ان الاخص لا يحمل على الاعم
لان المراد به المؤلف الكامل في تاليفه البالغ اقصى درجات الفصاحة ومراتب
البلاغة والكتاب صفته وان يكون الم خبر مبتدا محذوف وذلك خبرا ثانيا
او بدلا والكتاب صفته ولا ريب في المشهورة مبني لتضمنه معنى من منصوب
المحل على انه اسم لا النافية للجنس العاملة عمل ان لانها نقيضها ولازمة للاسماء
لزومها وفي قراءة ابي الشعثاء مرفوع بلا التي بمعنى ليس وفيه خبره ولم يقدم كما
قدم في قوله تعالى لا فيها غول لانه لم يقصد تخصيص نفي الريب به من بين سائر

الكتب كما تصدقه بتمامه او صفة وللمتقين خبره وهدى نصب على الحال او الخبر
محذوف كما في لا ضير فلذلك وقف على ريب فيه على ان فيه خبر هدى قدم عليه
لتنكيره والتقدير لا ريب فيه فيه هدى للمتقين وان يكون ذلك مبتدا والكتاب
خبره على معنى انه الكتاب الكامل الذي يستاهل ان يسمى كتابا او صفته وما بعده
خبره والجملة خبر الم والاولى ان يقال انها اربع جمل متناسقة تقرر اللاحقة
منها السابقة ولذلك لم يدخل العاطف بينها فالم جملة دلت على ان المتحدى
به هو المؤلف من جنس ما يركبون منه كلامهم وذلك الكتاب جملة ثانية مقررة
لجهة التحدي بانه الكتاب المنعوت بغاية الكمال ثم سجل على كماله بنفي الريب فيه
ولا ريب فيه ثالثة تشهد على كماله لانه لا كمال اعلى مما للحق واليقين وهدى
للمتقين بما يقدر له مبتدا رابعة تؤكد كونه حقا لا يحوم الشك حوله بانه
او تستتبع كل واحدة ما يليها استتباع الدليل للمدلول وبيانه انه لما نبه
اولا على اعجاز المتحدى به من حيث انه من جنس كلامهم وقد عجزوا عن معارضته
استنتج منه انه الكتاب البالغ حد الكمال واستلزم ذلك ان لا يتشبث الريب
باطرافه اذ لا انقص مما يعتريه الشك والشبهة وما كان كذلك كان لا محالة هدى
للمتقين وفي كل واحدة منها نكتة ذات جزالة ففي الاولى الحذف والرمز الى
المقصود مع التعليل وفي الثانية فخامة التعريف وفي الثالثة تاخير الظرف
حذرا عن ايهام الباطل وفي الرابعة الحذف والتوصيف بالمصدر للمبالغة
وايراده منكرا للتعظيم وتخصيص الهدى بالمتقين باعتبار الغاية وتسمية المشارف
للتقوى متقيا ايجازا وتفخيما لشانه الذين يؤمنون بالغيب اما موصول بالمتقين
على انه صفة مجرورة مقيدة له ان فسر التقوى بترك ما لا ينبغي مترتبة عليه
ترتب التحلية على التخلية والتصوير على التصقيل وموضحة ان فسر التقوى بما يعم
فعل الحسنات وترك السيئات لاشتماله على ما هو اصل الاعمال واساس الحسنات
من الايمان والصلوة والصدقة فانها امهات الاعمال النفسانية والعبادات
البدنية والمالية المستتبعة لسائر الطاعات والتجنب عن المعاصي غالبا الا
ترى الى قوله تعالى ان الصلوة تنهى عن الفحشاء والمنكر وقوله عليه السلام الصلوة
عماد الدين والزكوة قنطرة الاسلام او مسوقة للمدح بما تضمنه المتقون وتخصيص
الايمان بالغيب واقام الصلوة وايتاء الزكوة بالذكر اظهار لفضلها على سائر
ما يدخل تحت اسم التقوى او على انه مدح منصوب او مرفوع بتقدير اعني
او هم الذين واما مفصول عنه مرفوع بالابتداء وخبره اولئك على هدى فيكون
الوقف على المتقين تاما والايمان في اللغة عبارة عن التصديق ماخوذ من الامن
كان المصدق امن المصدق من التكذيب والمخالفة وتعديته بالباء لتضمنه

قوله التصقيل فكما ان من اراد ان ينقش شيئا وينقشه فلا بد له من الا يصقل ويزيل عنه الصدا فكذلك تخلية النفس عن الاخلاق الذميمة المتقدمة على تحليتها بالشمائل الكريمة

معنى

معنى الاعتراف وقد يطلق بمعنى الوثوق من حيث ان الواثق صار ذا امن ومنه
ما آمنت ان اجد صحابة وكلا الوجهين حسن في يؤمنون بالغيب واما في
الشرع فالتصديق بما علم بالضرورة انه من دين محمد عليه السلام كالتوحيد
والنبوة والبعث والجزاء ومجموع ثلثة امور اعتقاد الحق والاقرار به والعمل بمقتضاه
عند جمهور المحدثين والمعتزلة والخوارج فمن اخل بالاعتقاد وحده فهو منافق
ومن اخل بالاقرار فكافر ومن اخل بالعمل ففاسق وفاقا وكافر عند الخوارج
وخارج عن الايمان غير داخل في الكفر عند المعتزلة والذي يدل على انه التصديق
وحده انه سبحانه اضاف الايمان الى القلب فقال كتب في قلوبهم الايمان وقلبه
مطمئن بالايمان ولم تؤمن قلوبهم ولما يدخل الايمان في قلوبكم وعطف عليه
العمل الصالح في مواضع لا تحصى وقرنه بالمعاصي فقال وان طائفتان من
المؤمنين اقتتلوا يا ايها الذين امنوا كتب عليكم القصاص في القتلى الذين امنوا
ولم يلبسوا ايمانهم بظلم مع ما فيه من قلة التغير لانه اقرب الى الاصل
وهو متعين للارادة في الاية اذ المعدى بالباء هو التصديق وفاقا ثم اختلف في
ان مجرد التصديق القلبي هل هو كاف لانه المقصود ام لا بد من اقتران الاقرار به
للمتمكن منه ولعل الحق هو الثاني لان الله تعالى ذم المعاند اكثر من ذم الجاهل
المقصر وللمانع ان يجعل الذم للانكار لا لعدم الاقرار به للمتمكن منه والغيب مصدر
وصف به للمبالغة كالشهادة في قوله تعالى عالم الغيب والشهادة والعرب
يسمي المطمئن من الارض غيبا والخمصة التي تلي الكلية غيبا او فيعل خفف كقيل
والمراد به الخفي الذي لا يدركه الحس ولا يقتضيه بداهة العقل وهو قسمان
قسم لا دليل عليه وهو المعني بقوله تعالى وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها
الا هو وقسم نصب عليه دليل كالصانع وصفاته واليوم الاخر واحواله
وهو المراد به في الاية هذا اذا جعلته صلة للايمان واوقعته موقع المفعول
به وان جعلته حالا على تقدير ملتبسين بالغيب كان بمعنى الغيبة والخفاء
والمعنى انهم يؤمنون غائبين عنكم لا كالمنافقين الذين اذا لقوا الذين امنوا
قالوا آمنا واذا خلوا الى شياطينهم قالوا انا معكم او عن المؤمن به لما روي
ان ابن مسعود قال والذي لا اله غيره ما آمن احد افضل من الايمان بغيب ثم
قرا هذه الاية وقيل المراد بالغيب القلب لانه مستور والمعنى يؤمنون بقلوبهم
لا كمن يقولون بافواههم ما ليس في قلوبهم فالباء على الاول للتعدية وعلى الثاني
للمصاحبة وعلى الثالث للالة ويقيمون الصلوة اي يعدلون اركانها ويحفظونها
من ان يقع زيغ في افعالها من اقام العود اذا قومه او يواظبون عليها ماخوذ من قامت
السوق اذا نفقت واقمتها اذا جعلتها نافقة قال اقامت غزالة سوق الضراب

لاهل العراقين حولا قبيطا فانه اذا حوفظ عليها كان كالنافق الذي يرغب
فيه واذا ضيعت كانت كالكاسد المرغوب عنه او يتشمرون لادائها من غير فتور
ولا توان من قولهم قام بالامر واقامه اذا جد فيه وتجلد وضده قعد عن
الامر وتقاعد او يؤدونها عبر عن ادائها بالاقامة لاشتمالها على القيام كما عبر
عنها بالقنوت والركوع والسجود والتسبيح والاول اظهر لانه اشهر والى الحقيقة
اقرب وافيد لتضمنه التنبيه على ان الحقيق بالمدح من راعى حدودها الظاهرة
من الفرائض والسنن وحقوقها الباطنة من الخشوع والاقبال بقلبه على الله
تعالى لا المصلون الذين هم عن صلوتهم ساهون ولذلك ذكر في سياق
المدح والمقيمين الصلوة وفي معرض الذم فويل للمصلين والصلوة فعلة من
صلى اذا دعا كالزكوة من زكى كتبتا بالواو على لفظ المفخم وانما سمي الفعل
المخصوص بها لاشتماله على الدعاء وقيل اصل صلى حرك الصلوين لان المصلي
يفعله في الركوع والسجود واشتهار هذا اللفظ في المعنى الثاني مع عدم
اشتهاره في الاول لا يقدح في نقله عنه وانما سمي الداعي مصليا تشبيها له
في تخشعه بالراكع والساجد ومما رزقناهم ينفقون الرزق في اللغة
الحظ قال الله تعالى وتجعلون رزقكم انكم تكذبون والعرف خصصه
تخصيص الشيء بالحيوان للانتفاع به وتمكينه منه والمعتزلة لما استحالوا
من الله تعالى ان يمكن من الحرام لانه منع من الانتفاع به وامر بالزجر عنه
قالوا الحرام ليس برزق الا ترى انه تعالى اسند الرزق ههنا الى نفسه ايذانا
بانهم ينفقون الحلال الطلق فان انفاق الحرام لا يوجب المدح وذم المشركين
على تحريم بعض ما رزقهم الله تعالى بقوله تعالى قل ارايتم ما انزل الله لكم
من رزق فجعلتم منه حراما وحلالا واصحابنا جعلوا الاسناد للتعظيم والتحريض
على الانفاق والذم لتحريم ما لم يحرم واختصاص ما رزقناهم بالحلال للقرينة
وتمسكوا لشمول الرزق بقوله عليه السلام في حديث عمرو بن قرة لقد رزقك
الله طيبا فاخترت ما حرم الله عليك من رزقه مكان ما احل الله لك
من حلاله وبانه لو لم يكن رزقا لم يكن المتغذي به طول عمره مرزوقا وليس
كذلك لقوله تعالى وما من دابة في الارض الا على الله رزقها وانفق الشيء وانفده
اخوان ولو استقريت الالفاظ وجدت كلما فاؤه نون وعينه فاء دالا على
معنى الذهاب والخروج والظاهر من هذا الانفاق مما رزقهم الله صرف المال
في سبيل الخير من الفرض والنفل ومن فسره بالزكوة ذكر افضل انواعه والاصل
فيه او خصصه بها لاقترانه بما هو شقيقها وتقديم المفعول للاهتمام به والمحافظة
على رؤس الآي وادخال من التبعيضية عليه للكف عن الاسراف المنهي عنه ويحتمل

ان يراد

ان يراد به الانفاق من جميع المعادن التي اتاهم الله تعالى من النعم الظاهرة
والباطنة ويؤيده قوله عليه السلام ان علما لا يقال به ككنز لا ينفق منه واليه
ذهب من قال ومما خصصناهم به من انوار المعرفة يفيضون **والذين يؤمنون بما
انزل اليك وما انزل من قبلك** هم مؤمنوا اهل الكتاب كعبد الله بن سلام
واضرابه معطوفون على الذين يؤمنون بالغيب داخلون معهم في جملة المتقين
دخول اخصين تحت اعم اذ المراد باولئك الذين امنوا عن شرك وانكار
وبهولاء مقابلوهم فكانت الايتان تفصيلا للمتقين وهو قول ابن عباس
او على المتقين وكانه قال هدى للمتقين عن الشرك والذين آمنوا من اهل
الملل ويحتمل ان يراد بهم الاولون باعيانهم ووسط العاطف كما وسط في
قوله الى الملك القرم وابن الهمام وليث الكتيبة في المزدحم وقوله يا لهف زيابة للحارث
الصابح فالغانم فالآيب على معنى انهم الجامعون بين الايمان بما يدركه
العقل جملة والاتيان بما يصدقه من العبادات البدنية والمالية وبين الايمان
بما لا طريق اليه غير السمع وكرر الموصول تنبيها على تباين السبيلين وتغاير
القبيلين او طائفة منهم وهم مؤمنوا اهل الكتاب ذكرهم مخصصين عن
الجملة كذكر جبريل وميكائيل بعد ذكر الملائكة تعظيما لشانهم وترغيبا لامثالهم
والانزال نقل الشيء من الاعلى الى الاسفل وهو انما يلحق المعاني بتوسط لحوقه الذوات
الحاملة لها ولعل نزول الكتب الالهية على الرسل بان يتلقفه الملك من الله تعالى
تلقفا روحانيا او يحفظه من اللوح المحفوظ فينزل به على الرسول والمراد بما
انزل اليك القرآن باسره والشريعة عن آخرها وانما عبر عنه بلفظ المضي
وان كان بعضه مترقبا تغليبا للموجود على ما لم يوجد او تنزيلا للمنتظر منزلة
الواقع ونظيره قوله تعالى انا سمعنا كتابا انزل من بعد موسى فان الجن لم يسمعوا
جميعه ولم يكن الكتاب كله منزلا حينئذ وبما انزل من قبلك التوراة والانجيل وغيرهما
من الكتب السابقة والايمان بهما جملة فرض عين وبالاول دون الثاني تفصيلا
من حيث انا متعبدون بتفاصيله فرض ولكن على الكفاية لان وجوبه على كل
احد يوجب فساد المعاش **وبالآخرة هم يوقنون** اي يوقنون ايقانا زال معه
ما كانوا عليه من ان الجنة لا يدخلها الا من كان هودا او نصارى وان النار لن
تمسهم الا اياما معدودة واختلافهم في نعيم الجنة اهو من جنس نعيم الدنيا
او غيره وفي دوامه وانقطاعه وفي تقديم الصلة وبناء يوقنون على هم تعريض
بمن عداهم من اهل الكتاب وبان اعتقادهم في امر الآخرة غير مطابق ولا صادر
عن ايقان واليقين اتقان العلم بنفي الشك والشبهة عنه بالاستدلال ولذلك
لا يوصف به علم الباري تعالى ولا العلوم الضرورية والآخرة تانيث الآخر صفة

من بحر السريع المخبون المطوي المكشوف

فان قلت ما الفائدة في عطف قوله تعالى وما انزل من قبلك على قوله والذين يؤمنون بما انزل اليك مع ان كل من يؤمن بما انزل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يؤمن بما انزل من قبله اي بما انزل الى الانبياء وكتبهم قلت فائدته [illegible]

قوله والذين يؤمنون

وخلاصة الاحتمالين [redacted] الذين يؤمنون بالغيب [illegible] اولئك على هدى [illegible]

الدار بدليل قوله تعالى تلك الدار الآخرة فغلبت كالدنيا وعن نافع انه خففها
بحذف الهمزة والقاء حركتها على اللام وقرئ يؤقنون بقلب الواو همزة لضم ما
قبلها اجراء لها مجرى المضمومة في وجوه ووقتت ونظيره لحب المؤقدان الي مؤسى
وجعدة اذا اضاءهما الوقود اولئك على هدى من ربهم الجملة في محل الرفع ان
جعل احد الموصولين مفصولا عن المتقين خبر له وكانه لما قيل هدى للمتقين
قيل ما لهم خصوا بذلك فاجيب بقوله الذين يؤمنون الى اخر الايات والا
فاستيناف لا محل لها فكانه نتيجة الاحكام والصفات المتقدمة او جواب
سائل قال ما للموصوفين بهذه الصفات اختصوا بالهدى ونظيره احسنت
الى زيد صديقك القديم حقيق بالاحسان فان اسم الاشارة ههنا كاعادة
الموصوف بصفاته المذكورة وهو ابلغ من ان يستانف باعادة الاسم وحده
لما فيه من بيان المقتضى وتلخيصه ٣٠ فان ترتب الحكم على الوصف ايذان بانه
الموجب له ومعنى الاستعلاء في على هدى تمثيل تمكنهم من الهدى واستقرار
هم عليه بحال من اعتلى الشيء وركبه وقد صرحوا به في قولهم امتطى الجهل
والغوى واقتعد غارب الهوى وذلك انما يحصل باستفراغ الفكر
وادامة النظر فيما نصب من الحجج والمواظبة على محاسبة النفس في العمل
ونكر هدى للتعظيم فكانه اريد به ضرب لا يبلغ كنهه ولا يقادر قدره ونظيره
قول الهذلي فلا وابي الطير المربة بالضحى على خالد لقد وقعت على لحم واكد
تعظيمه بان الله تعالى مانحه والموفق له وقد ادغمت النون في الراء بغنة وبغير
غنة واولئك هم المفلحون كرر فيه اسم الاشارة تنبيها على ان اتصافهم بتلك
الصفات يقتضي كل واحدة من الاثرتين وان كلا منهما كاف في تميزهم بها
عن غيرهم ووسط العاطف لاختلاف مفهوم الجملتين ههنا بخلاف قوله اولئك
كالانعام بل هم اضل اولئك هم الغافلون فان التسجيل بالغفلة والتشبيه
بالبهائم شيء واحد فكانت الجملة الثانية مقررة للاولى فلا يناسب العطف
وهم فصل يفصل الخبر عن الصفة ويؤكد النسبة ويفيد اختصاص المسند
بالمسند اليه او مبتدأ والمفلحون خبره والجملة خبر اولئك والمفلح بالحاء والجيم
الفائز بالمطلوب كانه الذي انفتحت له وجوه الظفر وهذا التركيب وما يشاركه في
الفاء والعين نحو فلق وفلذ وفلى يدل على الشق والفتح وتعريف المفلحين للدلالة
على ان المتقين هم الناس الذين بلغك انهم المفلحون في الاخرة او للاشارة الى
ما يعرفه كل احد من حقيقة المفلحين وخصوصياتهم تنبيه تأمل كيف نبه سبحانه
وتعالى على اختصاص المتقين بنيل ما لا يناله احد من وجوه شتى بناء الكلام
على اسم الاشارة للتعليل مع الايجاز وتكريره وتعريف الخبر وتوسيط الفصل

لاظهار

---

٨١ قوله اولئك على هدى الجملة في محل الرفع الخ
ذكر البيضاوي رحمه الله فيها احتمالين الاول يجعل الموصول الاول او الثاني مطلقا مفصولا عن قوله للمتقين والاحتمال الثاني
جعلهما موصولين عنه كذلك والاحتمال الاول يحتمل صورتين احديهما جعل الموصول الاول مفصولا ومبتدأ والموصول الثاني معطوف عليه
وقوله اولئك خبره وجملة استينافية والصورة الثانية جعل الموصول الثاني مفصولا مبتدأ وقوله اولئك خبره والجملة معطوفة على قوله هدى للمتقين
والموصول الاول صفة للمتقين كما اشار رحمه الله الى الاحتمال الاول بقوله والجملة في محل الرفع ان جعل احد الموصولين مفصولا
عن المتقين خبر له فلما كانت الجملة الاستينافية جوابا لسؤال مقدر اراد رحمه الله الكشف ... فقال اولا لما قيل هدى للمتقين اي
اشارة الى منشأ السؤال ثم اشار بقوله ما لهم خصوا بذلك الى السؤال المقدر ثم اشار الى الجواب بقوله فاجيب بقوله الذين يؤمنون
بالغيب فهذا هو الاحتمال الاول الذي ذكره رحمه الله بقوله احد الموصولين لكنه لما ذكر قوله احد مطلقا دل على جواز جعل كل من الموصولين
مفصولا عن المتقين وجعل كل منهما مبتدأ وقوله اولئك خبره وجملة الا استينافية كما ذكرنا في الصورتين المذكورتين انفا والاحتمال الثاني
عنوان بجعل الموصول الاول موصولا للمتقين صفة له والموصول الثاني عطف عليه وقوله اولئك مبتدأ ومن بعده خبره
وجملته استينافية لكن الاستيناف لا يجوز ان يكون جوابا لسؤال مقدر ... الجملة الاولى حتى نزلت الجملة
الاولى منزلة جملة السؤال اشار المصنف في توجيه الاستيناف الاخير الى سؤالين بتصريح الجوابين حيث قال نتيجة
للجواب الاول فكانه نتيجة الاحكام والصفات المتقدمة كما فصله ابن الشيخ رحمه الله بقوله في تصوير السؤال المقدر
فكانه قال ما الفائدة في الاتصاف بهذه الصفات وما الحكمة في الحكم على التحدي بان القرآن بالاحكام المذكورة ... لا ريب فيه
وهدى للمتقين وما نتيجة تلك الاحكام والصفات المتقدمة فاجيب بان فائدتها ونتيجتها كون المهتدين بهداية مثل ذلك الكتاب الكامل
على هدى عظيم وفلاح ... ثم قال المصنف تقريرا الجواب الثاني من ذلك السؤالين المقدرين بقوله او جواب سائل
قال ما للموصوفين بهذه الصفات الخ قال ابن الشيخ في تصوير هذا السؤال الثاني كان قيل ما سبب اختصاص المتصفين
الموصوفين بها بكون الكتاب هدى لهم فاجيب ان الاتصاف بهذه الاوصاف سبب كاف لذلك الاختصاص ...
فانتظم جملة ثم قال لكن قيل عليه ان مجرد احتمال الظهور ان ليس لهذا السؤال اعز مما للمتصفين بهذه الصفات
قد اختص بالهدى زيادة توجه والجواب بان اختصاصهم بالفوز بالهدى غير مستبعد ...
لكن ما قاله مولانا خسرو في توجيه ذلك السؤال والجواب احسن مما قاله ابن الشيخ فانظر ... قال كان قيل
فان قيل فعلى هذا كان الجواب مشتملا على ما لا يفيد لان السؤال عن سبب اختصاصهم بالهدى والجواب بان اولئك
على هدى من ربهم غير مفيد قلت حاصل ما ذكر ان اولئك الموصوفين مخصوصون بالهدى والفلاح بسبب الصفات المذكورة
التي اعطاهم الله دون غيرهم انتهى
فكانه لما قيل ما لهم خصوا بذلك فاجيب بقوله الذين يؤمنون بالغيب الى اخر الايات
٦١ قوله ونظيره اي نظير كل واحد من الاستينافين الذين ذكرهما بقوله
وذكر بينهما بقوله والاستيناف المحل الهام الاعراب ... المثال المذكور ... فان تصريح بان هذا الجواب استيناف
من حيث ان كل واحد منهما من قبيل ابلغ قسمي الاستيناف وهو ما يكون باعادة صفة ما استونف عنه الحديث ... من الاستينافين
لا باعادة اسمه كما قيل احسنت الى زيد حقيق بالاحسان ... كما في المثال المذكور
اظهر لان ما استونف عنه في الاية هو متعوت ... كون الاستيناف الاول باعادة صفة ما استونف عنه الحديث
بذكر صفة المتقين كما استونف في قوله صديقك القديم بذكر صفة زيد ... واما كون الاستيناف الواقع على قوله اولئك نظيرا
جميعا باعادة صفة ما استونف عنه فقد نبه بقوله فان اسم الاشارة ههنا كاعادة الموصوف بصفاتهم المذكورة ...
الا انه اشار بها الى ما هو محسوس ... بتلك الصفات فيكون الكلام من قبيل ترتب الحكم على الاوصاف الصالحة للعلية فيكون ذكرهم لفظا ...
باعادة وصف ما استونف عنه ... لانه موضوع لاحضار الذات المتقدم ذكرها مع تلك
عن الاوصاف العائد بها ... لكن العبير ... بالتعبير ... ان يرجع الضمير الى قول المصنف وهو ابلغ من ان
الى قوله فان اسم الاشارة ... الاسم الاشارة لانه قول المصنف بعد ذكر ابن الشيخ راجع الى قوله باعادة الموصوف بالاسم وانما قلنا ان يرجع
خلاصة الاوصاف الموصوف المشار اليه ... في شرحنا الكلام المصنف على ما ارادت ... ههنا وكون الاسم الاشارة
ههنا الى قوله اولئك على هدى كاعادة الموصوف بصفاته المذكورة وهو اي الاسم الاشارة ... كاعادة الموصوف
بصفاته المذكور ابلغ من ان يستانف باعادة الاسم واعادة الاسم كاعادة لفظ المتقين مثلا او كاعادة ضمير الجمع العائد الى المتقين
الموصوف بصفاته المذكورة من بيان المقتضي لكون ذكر اسم الاشارة كاعادة الصفات المذكورة بعينه بناء على ...
باسم الاشارة الموصوفة للمحسوس ... بجميع اوصافها ولكون الصفات مقتضيات للحكم يكون في الاسم الاشارة بيان المقتضي
وهذا معنى قوله لما فيه بيان المقتضي وتلخيصه ... الاسم الاشارة خلاصة الاوصاف المذكورة وبيانه ان اسم الاشارة

لفظه واحد

لاظهار قدرهم والترغيب في اقتفاء اثرهم وقد تشبثت الوعيدية في خلود
من اهل القبلة في العذاب وردّ بان المراد بالمفلحين الكاملون في الفلاح ويلزمه
عدم كمال الفلاح لمن ليس على صفتهم لا عدم الفلاح له راسا ان الذين كفروا
لما ذكر خاصة عباده وخلاصة اوليائه بصفاتهم التي اهلتهم للهدى والفلاح عقبهم
باضدادهم العتاة والمردة الذين لا ينفع فيهم الهدى ولا تغني عنهم الآيات والنذر
ولم يعطف قصتهم على قصة المؤمنين كما عطف في قوله ان الابرار لفي نعيم وان
الفجار لفي جحيم لتباينهما في الغرض فان الاولى سيقت لذكر الكتاب وبيان شانه
والاخرى مسوقة لشرح تمردهم وانهماكهم في الضلال وان من الحروف التي
شابهت الفعل في عدد الحروف والبناء على الفتح ولزوم الاسماء واعطاء
معانيه والمتعدي خاصة في دخولها على اسمين ولذلك اعملت عمله الفرعي وهو
نصب الجزء الاول ورفع الثاني ايذانا بانه فرع في العمل دخيل فيه وقال الكوفيون
الخبر قبل دخولها كان مرفوعا بالخبرية وهي بعد باقية مقتضية للرفع قضية
للاستصحاب فلا يرفعه الحرف واجيب بان اقتضاء الخبرية الرفع مشروط بالتجرد
لتخلفه عنها في خبر كان وقد زال بدخولها فتعين اعمال الحروف وفائدتها تاكيد
النسبة وتحقيقها ولذلك يتلقى بها القسم وتصدر بها الاجوبة وتذكر في معرض
الشك مثل ويسألونك عن ذي القرنين قل سأتلوا عليكم منه ذكرا انا مكنا له
في الارض وقال موسى يا فرعون اني رسول من رب العالمين قال المبرد قولك
عبد الله قائم اخبار عن قيامه وان عبد الله قائم جواب سائل عن قيامه
وان عبد الله لقائم جواب منكر لقيامه وتعريف الموصول اما للعهد والمراد به
ناس باعيانهم كابي لهب وابي جهل والوليد بن المغيرة واحبار اليهود او للجنس
متناولا من صمم على الكفر وغيرهم فخص عنهم غير المصرين بما اسند اليه والكفر لغة
ستر النعمة واصله الكفر بالفتح وهو الستر ومنه قيل للزارع والليل كافر ولكمام الثمرة
كافور وفي الشرع انكار ما علم بالضرورة مجيء الرسول به وانما عد لبس الغيار و
شد الزنار ونحوهما كفرا لانها تدل على التكذيب فان من صدق الرسول
عليه السلام لا يجترئ عليها ظاهرا لا لانها كفر في انفسها واحتجت المعتزلة
بما جاء في القرآن بلفظ الماضي على حدوثه لاستدعائه سابقة مخبر عنه
واجيب بانه مقتضى التعلق وحدوثه لا يستلزم حدوث الكلام كما في العلم سواء
عليهم ءانذرتهم ام لم تنذرهم خبر ان وسواء اسم بمعنى الاستواء نعت به كما نعت
بالمصادر قال الله تعالى تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم رفع بانه خبر ان وما
بعده مرتفع به على الفاعلية كانه قيل ان الذين كفروا مستو عليهم انذارك وعدمه
او بانه خبر لما بعده بمعنى انذارك وعدمه سيان عليهم والفعل انما يمتنع

يعني الكفر بالضم مستعمل في المقيد وبالفتح في مطلق الستر الظاهر

للمقتضى حيث بشر به الى الموصوف بصفات العديدة من غير ذكر الصفات والصفات كلها مقتضى للحكم فتكون
في اسم الاشارة ملاحظة مقتضى الحكم سواء كانت الصفات كثيرا او اكثر ... ان ترتب الحكم على الوصف
ايذان بانه ... دليل لكون الصفات مقتضيات للحكم ... المقتضي ههنا مجموع العلة المقتضية

قوله والكفر الخ يعني الكفر بالضم مستعمل في المقيد وبالفتح في
مطلق الستر الظاهر

الاخبار عنه اذا اريد به تمام ما وضع له اما لو اطلق واريد به اللفظ او مطلق الحدث
المدلول عليه ضمنا على الاتساع فهو كالاسم في الاضافة والاسناد اليه كقوله تعالى
واذا قيل لهم امنوا يوم ينفع الصادقين صدقهم وقولهم تسمع بالمعيدي خير
من ان تراه وانما عدل ههنا عن المصدر الى الفعل لما فيه من ايهام التجدد وحسن
دخول الهمزة وام عليه لتقرير معنى الاستواء وتاكيده فانهما جردتا عن معنى
الاستفهام لمجرد الاستواء كما جردت حروف النداء عن الطلب لمجرد التخصيص
في قولهم اللهم اغفر لنا ايتها العصابة والانذار التخويف اريد به التخويف من
عقاب الله تعالى وانما اقتصر عليه دون البشارة لانه اوقع في القلب واشد
تاثيرا في النفس من حيث ان دفع الضرر اهم من جلب النفع فاذا لم ينفع فيهم
كانت البشارة بعدم النفع اولى وقرئ ااندرتهم بتحقيق الهمزتين وتخفيف
الثانية بين بين وقلبها الفا وهو لحن لان المتحركة لا تقلب الفا ولانه يؤدي الى
جمع الساكنين على غير حده وبتوسط الالف بينهما محققتين وبتوسيطها
والثانية بين بين وبحذف الاستفهامية وبحذفها والقاء حركتها على الساكن
قبلها لا يؤمنون جملة مفسرة لاجمال ما قبلها فيما فيه الاستواء فلا محل لها او
حال مؤكدة او بدل عنه او خبر ان والجملة قبلها اعتراض بما هو علة الحكم والاية
مما احتج به من جوز تكليف ما لا يطاق فانه سبحانه اخبر عنهم بانهم لا يؤمنون
وامرهم بالايمان فلو امنوا انقلب خبره كذبا وشمل ايمانهم الايمان بانهم لا يؤمنون
فيجتمع الضدان والحق ان التكليف بالممتنع لذاته وان جاز عقلا من حيث ان الاحكام
لا تستدعي غرضا سيما الامتثال لكنه غير واقع للاستقراء والاخبار بوقوع الشيء
وعدمه لا ينفي القدرة عليه كاخباره تعالى عما يفعله هو والعبد باختياره وفائدة
الانذار بعد العلم بانه لا ينجع الزام الحجة وحيازة الرسول فضل الابلاغ ولذلك
قال سواء عليهم ولم يقل سواء عليك كما قال لعبدة الاصنام سواء عليكم ادعوتموهم
ام انتم صامتون وفي الاية اخبار بالغيب على ما هو به ان اريد بالموصول اشخاص
باعيانهم فهي من المعجزات ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم وعلى ابصارهم
غشاوة تعليل للحكم السابق وبيان ما يقتضيه والختم الكتم سمي به الاستيثاق
من الشيء بضرب الخاتم عليه لانه كتم له والبلوغ اخره نظرا الى انه اخر فعل يفعل
في احرازه والغشاوة فعالة من غشاه اذا غطاه بنيت لما يشتمل على الشيء كالعصابة
والعمامة ولا ختم ولا تغشية على الحقيقة وانما المراد بهما ان يحدث في نفوسهم هيئة
تمرنهم على استحباب الكفر والمعاصي واستقباح الايمان والطاعات بسبب غيهم
وانهماكهم في التقليد واعراضهم عن النظر الصحيح فتجعل قلوبهم بحيث لا ينفذ فيها
الحق واسماعهم تعاف استماعه فتصير كانها مستوثق منها بالختم وابصارهم لا تجتلي

قوله الاستيثاق اي بالضم بالنج الاستيثاق از كسى استوارى خواستن واستوار كردن

الآيات

الايات المنصوبة لهم في الانفس والافاق كما تجتليها اعين المستبصرين فتصير
كانها غطي عليها وحيل بينها وبين الابصار وسماه على سبيل الاستعارة ختما
وتغشية او مثل قلوبهم ومشاعرهم المؤوفة بها باشياء ضرب حجاب
بينها وبين الاستنفاع بها ختما وتغطية وقد عبر عن احداث هذه الهيئة بالطبع
في قوله تعالى اولئك الذين طبع الله على قلوبهم وسمعهم وابصارهم وبالاغفال
في قوله ولا تطع من اغفلنا قلبه عن ذكرنا وبالاقساء في قوله وجعلنا قلوبهم
قاسية وهي من حيث ان الممكنات باسرها مستندة الى الله تعالى واقعة
بقدرته اسندت اليه ومن حيث انها مسببة مما اقترفوه بدليل قوله بل طبع الله
عليها بكفرهم وقوله ذلك بانهم امنوا ثم كفروا فطبع على قلوبهم وردت
الاية ناعية عليهم شناعة صفتهم ووخامة عاقبتهم واضطربت المعتزلة
فيه فذكروا وجوها من التاويل الاول ان القوم لما اعرضوا عن الحق وتمكن
ذلك في قلوبهم حتى صار كالطبيعة لهم شبه بالوصف الخلقي المجبول
عليه الثاني ان المراد تمثيل حال قلوبهم بقلوب البهائم التي خلقها الله تعالى
خالية عن الفطن او قلوب مقدر ختم الله عليها ونظيره سال به الوادي
اذا هلك وطارت به العنقاء اذا طالت غيبته الثالث ان ذلك في الحقيقة
فعل الشيطان او الكافر لكن لما كان صدوره عنه باقداره تعالى اياه اسند اليه اسناد
الفعل الى المسبب الرابع ان اعراقهم لما رسخت في الكفر واستحكمت بحيث لم يبق
طريق الى تحصيل ايمانهم سوى الالجاء والقسر ثم لم يقسرهم ابقاء على غرض
التكليف عبر عن تركه بالختم فانه سد لايمانهم وفيه اشعار على تمادي امرهم
في الغي وتناهي انهماكهم في الضلال والبغي الخامس ان يكون حكاية لما كانت
الكفرة يقولون مثل قولهم قلوبنا في اكنة مما تدعونا اليه وفي اذاننا وقر ومن
بيننا وبينك حجاب تهكما واستهزاء بهم كقوله تعالى لم يكن الذين كفروا الاية
السادس ان ذلك في الاخرة وانما اخبر عنه بالماضي لتحققه وتيقن وقوعه
ويشهد له قوله ونحشرهم يوم القيامة على وجوههم عميا وبكما وصما السابع ان المراد
بالختم وسم قلوبهم بسمة تعرفها الملائكة فيبغضونهم وينفرون عنهم
وعلى هذا المنهاج كلامنا وكلامهم فيما يضاف الى الله تعالى من طبع واضلال
ونحوهما وعلى سمعهم معطوف على قلوبهم لقوله وختم على سمعه وقلبه
وللوفاق على الوقف عليه ولانهما لما اشتركا في الادراك من جميع الجوانب
جعل ما يمنعهما من خاص فعلهما الختم الذي يمنع من جميع الجهات وادراك
الابصار لما اختص بجهة المقابلة جعل المانع لها عن فعلها الغشاوة المختصة
بتلك الجهة وكرر الجار ليكون ادل على شدة الختم في الموضعين واستقلال كل

الاضطراب ... فاما للاسناد او لقوله تعالى ختم الله

الرأي اذا اخذته ... جيز

قوله وسم بعض علامة

منهما بالحكم ووحد السمع للامن عن اللبس واعتبار الاصل فانه مصدر في اصله
والمصادر لا تجمع او على تقدير مضاف مثل وعلى حواس سمعهم والابصار جمع
بصر وهو ادراك العين وقد يطلق مجازا على القوة الباصرة وعلى العضو وكذا السمع
ولعل المراد بهما في الاية العضو لانه اشد مناسبة للختم والتغطية وبالقلب
ما هو محل العلم وقد يطلق ويراد به العقل والمعرفة كما في قوله تعالى ان في ذلك
لذكرى لمن كان له قلب وانما جاز امالتهما مع الصاد لان الراء المكسورة تغلب
المستعلية لما فيها من التكرير وغشاوة رفع بالابتداء عند سيبويه وبالجار
والمجرور عند الاخفش ويؤيده العطف على الجملة الفعلية وقرئ بالنصب
على تقدير وجعل على ابصارهم غشاوة او على حذف الجار وايصال الختم بنفسه
اليه والمعنى وختم على ابصارهم بغشاوة وقرئ بالضم والرفع وبالفتح والنصب
وهما لغتان فيها وغشوة بالكسر مرفوعة وبالفتح مرفوعة ومنصوبة وعشاوة
بالعين الغير المعجمة ولهم عذاب عظيم وعيد وبيان لما يستحقونه والعذاب كالنكال
بناء ومعنى تقول اعذب عن الشيء ونكل عنه اذا امسك ومنه الماء العذب
لانه يقمع العطش ويردعه ولذلك سمي نقاخا وفراتا ثم اتسع فاطلق على كل
الم فادح وان لم يكن نكالا اي عقابا يراد به ردع الجاني عن المعاودة فهو اعم
منهما وقيل اشتقاقه من التعذيب الذي هو ازالة العذب كالتقذية والتمريض
والعظيم نقيض الحقير والكبير نقيض الصغير فكما ان الحقير دون الصغير فالعظيم فوق
الكبير ومعنى التوصيف به انه اذا قيس بسائر ما يجانسه قصر عنه جميعه وحقر
بالاضافة اليه ومعنى التنكير في الاية ان على ابصارهم نوع غشاوة ليس مما يتعارفه
الناس وهو التعامي عن الايات ولهم من الالام العظام نوع عظيم لا يعلم كنهه
الا الله ومن الناس من يقول آمنا بالله وباليوم الآخر لما افتتح سبحانه بشرح حال الكتاب
وساق لبيانه ذكر المؤمنين الذين اخلصوا دينهم لله تعالى وواطات فيه قلوبهم
السنتهم وثنى باضدادهم الذين محضوا الكفر ظاهرا وباطنا ولم يلتفتوا لفتة راسا
ثلث بالقسم الثالث المذبذب بين القسمين وهم الذين امنوا بافواههم ولم تؤمن
قلوبهم تكميلا للتقسيم وهم اخبث الكفرة وابغضهم الى الله تعالى لانهم موهوا
الكفر وخلطوا به خداعا واستهزاء ولذلك طول في بيان خبثهم وجهلهم واستهزا
بهم وتهكم بافعالهم وسجل على عمههم وطغيانهم وضرب لهم الامثال وانزل
فيهم ان المنافقين في الدرك الاسفل من النار وقصتهم عن اخرها معطوفة على
قصة المصرين والناس اصله اناس كقولهم انسان وانس واناسي فحذفت
الهمزة حذفها في لوقة وعوض عنها حرف التعريف ولذلك لا يكاد يجمع بينهما
وقوله ان المنايا يطلعن على الاناس الامنينا شاذ وهو اسم جمع كرجال اذ لم يثبت

فعال في ابنية الجمع ماخوذ من انس لانهم يستانسون بامثالهم او من آنس لانهم
ظاهرون مبصرون ولذلك سموا بشرا كما سمي الجن جنا لاجتنانهم واللام فيه للجنس
ومن موصوفة اذ لا عهد كانه قال ومن الناس ناس يقولون او للعهد والمعهود هم الذين كفروا
ومن موصولة مراد بها ابن ابي واصحابه ونظراؤه فانهم من حيث انهم صمموا على
النفاق دخلوا في عداد الكفار المختوم على قلوبهم واختصاصهم بزيادة زادوها على الكفر
لا يابى دخولهم تحت هذا الجنس فان الاجناس انما تتنوع بزيادات يختلف فيها ابعاضها
فعلى هذا تكون الاية تقسيما للقسم الثاني واختصاص الايمان بالله وباليوم الاخر تخصيص
لما هو المقصود الاعظم من الايمان وادعاء بانهم احتازوا الايمان من جانبيه واحاطوا
بقطريه وايذان بانهم منافقون فيما يظنون انهم مخلصون فيه فكيف فيما يقصدون
به النفاق لان القوم كانوا يهودا وكانوا يؤمنون بالله واليوم الاخر ايمانا كلا ايمان
لاعتقادهم التشبيه واتخاذ الولد وان الجنة لا يدخلها غيرهم وان النار لن تمسهم
الا اياما معدودة ويرون المؤمنين انهم امنوا مثل ايمانهم وبيان لتضاعف خبثهم
وافراطهم في كفرهم لان ما قالوه لو صدر عنهم لا عن وجه الخداع والنفاق وعقيدتهم
عقيدتهم لم يكن ايمانا فكيف وقد قالوه تمويها على المسلمين وتهكما بهم وفي تكرير الباء
ادعاء الايمان لكل واحد على الاصالة والاستحكام والقول هو التلفظ بما يفيد ويقال
بمعنى المقول وللمعنى المتصور في النفس المعبر عنه باللفظ وللراي والمذهب مجازا والمراد
باليوم الاخر من وقت الحشر الى ما لا ينتهي او الى ان يدخل اهل الجنة الجنة واهل النار
النار لانه اخر الاوقات المحدودة وما هم بمؤمنين انكار ما ادعوه ونفي ما انتحلوا
اثباته وكان اصله وما امنوا ليطابق قولهم في التصريح بشان الفعل دون الفاعل
لكنه عكس تاكيدا ومبالغة في التكذيب لان اخراج ذواتهم من عداد المؤمنين
ابلغ من نفي الايمان عنهم في ماضي الزمان ولذلك اكد النفي بالباء واطلق الايمان على
معنى انهم ليسوا من الايمان في شيء ويحتمل ان يقيد بما قيدوا به لانه جواب والاية
تدل على ان من ادعى الايمان وخالف قلبه لسانه بالاعتقاد لم يكن مؤمنا
لان من تفوه بالشهادتين فارغ القلب عما يوافقه او ينافيه لم يكن مؤمنا
والخلاف مع الكرامية في الثاني فلا تنتهض حجة عليهم يخادعون الله والذين امنوا
الخدع ان توهم غيرك خلاف ما تخفيه من المكروه لتنزله عما هو فيه وعما هو بصدده من قولهم
خدع الضب اذا توارى في جحره وضب خادع وخدع اذا اوهم الحارش اقباله عليه
ثم خرج من باب اخر واصله الاخفاء ومنه المخدع للخزانة والاخدعان
للعرقين الخفيين في العنق والمخادعة تكون بين اثنين وخداعهم مع الله تعالى
ليس على ظاهره لانه لا يخفى عليه خافية ولانهم لم يقصدوا خديعته بل المراد اما مخادعة
رسوله على حذف المضاف او على ان معاملة الرسول معاملة الله تعالى من حيث

انه خليفته كما قال الله تعالى ومن يطع الرسول فقد اطاع الله ان الذين يبايعونك
انما يبايعون الله واما ان صورة صنيعتهم مع الله تعالى من اظهار الايمان واستبطان
الكفر وصنع الله معهم باجراء احكام المسلمين عليهم وهم عنده اخبث
الكفار واهل الدرك الاسفل من النار استدراجا لهم وامتثال الرسول والمؤمنين
امر الله تعالى في اخفاء حالهم واجراء حكم الاسلام عليهم مجازاة لهم بمثل صنيعهم
صورة صنيع المتخادعين ويحتمل ان يراد بيخادعون يخدعون لانه بيان ليقولون
او استيناف بذكر ما هو الغرض منه الا انه اخرج في زنة فاعل للمبالغة فان
الزنة لما كانت للمغالبة والفعل متى غولب فيه كان ابلغ منه اذا جاء بلا مقابلة معارض
ومبار استصحبت ذلك ويعضده قراءة من قرا يخدعون وكان غرضهم في ذلك
ان يدفعوا عن انفسهم ما يطرق به من سواهم من الكفرة وان يفعل بهم ما يفعل
بالمؤمنين من الاكرام والاعطاء وان يختلطوا بالمسلمين فيطلعوا على اسرارهم
ويذيعوها الى منابذيهم الى غير ذلك من الاغراض والمقاصد وما يخادعون
الا انفسهم قرا نافع وابن كثير وابو عمرو والمعنى ان دائرة الخداع راجعة اليهم و
ضررها يحيق بهم او انهم في ذلك خدعوا انفسهم لما غروها بذلك وخدعتهم
انفسهم حيث حدثتهم بالاماني الفارغة وحملتهم على مخادعة من لا يخفى عليه
خافية وقرا الباقون وما يخدعون لان المخادعة لا يتصور الا بين اثنين وقرئ
ويخدعون من خدع ويخدعون بمعنى يختدعون ويخدعون ويخادعون على البناء
للمفعول ونصب انفسه بنزع الخافض والنفس ذات الشئ وحقيقته ثم قيل
للروح لان نفس الحي به وللقلب لانه محل الروح او متعلقه وللدم لان قوامها
به وللماء لفرط حاجتها اليه وللرأي في قولهم فلان يؤامر نفسه لانه ينبعث
عنها او يشبه ذاتا يأمره ويشير عليه والمراد بالانفس ههنا ذواتهم ويحتمل
حملها على ارواحهم وآرائهم وما يشعرون اي لا يحسون بذلك لتمادي غفلتهم جعل
لحوق وبال الخداع ورجوع ضرره اليهم في الظهور كالمحسوس الذي لا يخفى الا على
مؤف الحواس والشعور الاحساس ومشاعر الانسان حواسه واصله الشعر
ومنه الشعار في قلوبهم مرض فزادهم الله مرضا المرض حقيقة فيما يعرض للبدن
فيخرجه عن الاعتدال الخاص به ويوجب الخلل في افعاله ومجاز في الاعراض
النفسانية التي تخل بكمالها كالجهل وسوء العقيدة والحسد والضغينة وحب
المعاصي لانها مانعة عن نيل الفضائل او مؤدية الى زوال الحياة الحقيقية الابدية
والاية تحتملهما فان قلوبهم كانت متألمة تحرقا على ما فات عنهم من الرياسة
وحسدا على ما يرون من ثبات امر الرسول واستعلاء شانه يوما فيوما فزاد الله
تعالى غمهم بما زاد في اعلاء امره واشادة ذكره ونفوسهم كانت مؤفة بالكفر وسوء

وسوء الاعتقاد ومعاداة النبي عليه السلام ونحوها فزاد الله تعالى ذلك بالطبع
او بازدياد التكاليف وتكرر الوحي وتضاعف النصر وكان اسناد الزيادة الى
الله تعالى من حيث انه مسبب من فعله او اسنادها الى السورة في قوله فزادتهم رجسا
لكونها سببا ويحتمل ان يراد بالمرض ما تداخل قلوبهم من الجبن والخور حين شاهدوا
شوكة المسلمين وامداد الله تعالى لهم بالملائكة وقذف الرعب في قلوبهم وبزيادته
تضعيفه بما زاد لرسوله نصرة على الاعداء وتبسطا في البلاد ولهم عذاب اليم
اي مؤلم يقال الم فهو اليم كوجع فهو وجيع ووصف العذاب به للمبالغة كقوله تحية بينهم
ضرب وجيع على طريقة قولهم جد جده بما كانوا يكذبون قراها حمزة وعاصم
والكسائي والمعنى بسبب كذبهم او ببدله جزاء لهم وهو قولهم آمنا وقرا
الباقون يكذبون من كذب لانهم كانوا يكذبون الرسول عليه السلام بقلوبهم
واذا خلوا الى شياطينهم او من كذب الذي هو للمبالغة او التكثير مثل
بين الشئ وموتت البهائم او من كذب الوحشي اذا جرى شوطا ووقف لينظر
ما وراءه فان المنافق متحير متردد والكذب هو الخبر عن الشئ على خلاف ما هو
وهو حرام كله لانه علل به استحقاق العذاب حيث رتب عليه وما روي ان ابراهيم
عليه السلام كذب ثلث كذبات فالمراد التعريض ولكن لما شابه الكذب في صورته
سمي به واذا قيل لهم لا تفسدوا في الارض عطف على يكذبون او يقول وما روي
عن سلمان ان اهل هذه الاية لم يأتوا بعد فلعله اراد به ان اهلها ليس الذين كانوا
فقط بل وسيكون من بعد من حاله حالهم لان الاية متصلة بما قبلها بالضمير الذي
فيها والفساد خروج الشئ عن الاعتدال والصلاح ضده وكلاهما يعمان كل
ضار ونافع وكان من فسادهم في الارض هيج الحروب والفتن بمخادعة المسلمين
وممالأة الكفار عليهم بافشاء الاسرار اليهم فان ذلك يؤدي الى فساد ما في الارض
من الناس والدواب والحرث ومنه اظهار المعاصي والاهانة بالدين فان الاخلال
بالشرائع والاعراض عنها مما يوجب الهرج والمرج ويخل بنظام العالم والقائل
هو الله تعالى او الرسول او بعض المؤمنين قالوا انما نحن مصلحون جواب لاذا ورد
للناصح على سبيل المبالغة والمعنى انه لا يصح مخاطبتنا بذلك فان شاننا ليس الا
الاصلاح وان حالنا متمحضة عن شوائب الفساد لان انما يفيد قصر ما دخله
على ما بعده مثل انما زيد منطلق وانما ينطلق زيد وانما قالوا ذلك لانهم تصوروا
الفساد بصورة الصلاح لما في قلوبهم من المرض كما قال الله تعالى افمن زين له
سوء عمله فراه حسنا الا انهم هم المفسدون ولكن لا يشعرون رد لما ادعوه
ابلغ رد للاستيناف به وتصديره بحرفي التاكيد الا المنبهة على تحقيق ما بعدها فان
همزة الاستفهام التي للانكار اذا دخلت على النفي افادت تحقيقا ونظيره اليس ذلك

بقادر ولذلك لا يكاد تقع الجملة بعدها الا مصدرة بما يتلقى بها القسم واختها
اما التي هي من طلايع القسم وان المقررة للنسبة وتعريف الخبر وتوسيط الفصل لردما
في قولهم انما نحن مصلحون من التعريض للمؤمنين والاستدراك بلا يشعرون
وَاِذَا قِيْلَ لَهُمْ آمِنُوا من تمام النصح والارشاد فان كمال الايمان بمجموع الامرين الاعراض
عما لا ينبغي وهو المقصود بقوله لا تفسدوا والاتيان بما ينبغي وهو المطلوب
بقوله آمنوا كَمَا آمَنَ النَّاسُ في حيز النصب على المصدر وما مصدرية او كافة مثلها
في ربما واللام في الناس للجنس والمراد الكاملون في الانسانية العاملون بقضية
العقل فان اسم الجنس كما يستعمل لمسماه مطلقا يستعمل لما يستجمع المعاني المخصوصة
به والمقصودة منه ولذلك يسلب عن غيره فيقال زيد ليس بانسان ومن هذا
الباب قوله تعالى صم بكم عمي ونحوه وقد جمعهما الشاعر في قوله اذ الناس ناس والزمان
زمان والمراد به الرسول ومن معه او من آمن من اهل جلدتهم كابن سلام و
اصحابه والمعنى آمنوا ايمانا مقرونا بالاخلاص متمحضا عن شوائب النفاق مماثلا
لايمانهم واستدل به على قبول توبة الزنديق حيث امروا بالايمان وهم زنادقة
فلو لم يقبل منهم لما امروا به وان الاقرار باللسان ايمان والا لم يفد التقييد قَالُوا
اَنُؤْمِنُ كَمَا آمَنَ السُّفَهَاءُ الهمزة فيه للانكار واللام مشار بها الى الناس او الجنس
باسره وهم مندرجون فيه على زعمهم وانما سفهوهم لاعتقادهم فساد رأيهم
او لتحقير شانهم فان اكثر المؤمنين كانوا فقراء ومنهم موال كصهيب وبلال
او للتجلد وعدم المبالاة بمن آمن منهم ان فسر الناس بعبد الله بن سلام و
اشياعه والسفه خفة وسخافة رأي يقتضيهما نقصان العقل والحلم يقابله
اَلَا اِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَاءُ وَلٰكِنْ لَا يَعْلَمُوْنَ رد ومبالغة في تجهيلهم فان الجاهل
بجهله الجازم على خلاف ما هو الواقع اعظم ضلالة واتم جهالة من المتوقف
المعترف بجهله فانه ربما يعذر وتنفعه الآيات والنذر وانما فصلت الآية بلا
يعلمون والتي قبلها بلا يشعرون لانه اكثر طباقا لذكر السفه ولان الوقوف
على امر الدين والتمييز بين الحق والباطل مما يفتقر الى نظر وتفكر واما النفاق
وما فيه من الفتن والفساد فانما يدرك بادنى تفطن وتأمل فيما يشاهد من
اقوالهم وافعالهم وَاِذَا لَقُوا الَّذِيْنَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا بيان لمعاملتهم مع المؤمنين
والكفار وما صدرت به القصة فمساقه لبيان مذهبهم وتمهيد نفاقهم فليس
بتكرير روي ان ابن ابي واصحابه استقبلهم نفر من الصحابة فقال لقومه انظروا
كيف ارد هؤلاء السفهاء عنكم فاخذ بيد ابي بكر وقال مرحبا بالصديق
سيد بني تيم وشيخ الاسلام وثاني رسول الله في الغار الباذل نفسه وماله
لرسول الله عليه السلام ثم اخذ بيد عمر رضي الله عنه فقال مرحبا بسيد

بني

والعهد صح

١٥ في طغيانهم

[illegible]

بنى عدى الفاروق القوى فى دينه الباذل نفسه وماله لرسول الله عليه السلام ثم اخذ بيد على رضى الله عنه فقال مرحبا يا ابن عم رسول الله عليه السلام وختنه سيد بنى هاشم ما خلا رسول الله عليه السلام فنزلت واللقاء المصادفة يقال لقيته ولاقيته اذا صادفته واستقبلته ومنه القية اذا طرحته فانك بطرحه جعلته بحيث يلقى **واذا خلوا الى شياطينهم** من خلوت بفلان واليه اذا انفردت معه او من خلاك ذم اى عداك ومضى عنك ومنه القرون الخالية او من خلوت به اذا سخرت منه وعدى بالى لتضمنه معنى الانهاء والمراد بشياطينهم الذين ماثلوا الشياطين فى تمردهم وهم المظهرون كفرهم واضافتهم اليهم للمشاركة فى الكفر او كبار المنافقين والقائلون صغارهم وجعل سيبويه نونه تارة اصلية على انه من شطن اذا بعد فانه بعيد عن الصلاح ويشهد له قولهم تشيطن واخرى زائدة على انه من شاط اذا بطل ومن اسمائه الباطل **قالوا انا معكم** اى فى الدين والاعتقاد خاطبوا المؤمنين بالجملة الفعلية والشياطين بالجملة الاسمية المؤكدة بان لانهم قصدوا بالاولى دعوى احداث الايمان وبالثانية تحقيق ثباتهم على ما كانوا عليه ولانه لم يكن لهم باعث من عقيدة وصدق رغبة فيما خاطبوا به المؤمنين ولا توقع رواج ادعاء الكمال فى الايمان على المؤمنين من المهاجرين والانصار بخلاف ما قالوه مع الكفار **انما نحن مستهزءون** تأكيد لما قبله لان المستهزئ بالشئ المستخف به مصر على خلافه او بدل منه لان من حقر الاسلام فقد عظم الكفر او استيناف فكان الشياطين قالوا لهم لما قالوا انا معكم ان صح ذلك فما لكم توافقون المؤمنين وتدعون الايمان فاجابوا بذلك والاستهزاء السخرية والاستخفاف يقال هزأت واستهزأت بمعنى كاجبت واستجبت واصله الخفة من الهزء وهو القتل السريع يقال هزأ فلان اذا مات على مكانه وناقته تهزأ به اى تسرع وتخف **الله يستهزئ بهم** يجازيهم على استهزائهم سمى جزاء الاستهزاء باسمه كما سمى جزاء السيئة سيئة اما للمقابلة اللفظ باللفظ او لكونه مماثلا له فى القدر او يرجع وبال الاستهزاء عليهم فيكون كالمستهزئ بهم او ينزل بهم الحقارة والهوان الذى هو لازم الاستهزاء والغرض منه او يعاملهم معاملة المستهزئ اما فى الدنيا فباجراء احكام المسلمين عليهم واستدراجهم بالامهال والزيادة فى النعمة على التمادى فى الطغيان واما فى الاخرة فبان يفتح لهم وهم فى النار بابا الى الجنة فيسرعون نحوه فاذا صاروا اليه سد عليهم الباب وذلك قوله تعالى فاليوم الذين امنوا من الكفار يضحكون وانما استونف به ولم يعطف ليدل على ان الله تعالى تولى مجازاتهم ولم يحوج المؤمنين الى ان يعارضوهم وان استهزاءهم لا يؤبه له فى مقابلة ما يفعل الله بهم

ولعله لم يقل الله مستهزئ بهم ليطابق قولهم ايماء بان الاستهزاء يحدث حالا فحالا ويتجدد حينا بعد حين وهكذا كانت نكايات الله تعالى فيهم كما قال اولا يرون انهم يفتنون في كل عام مرة او مرتين **ويمدهم في طغيانهم يعمهون** من مد الجيش وامده اذا زاده وقواه ومنه مددت السراج والارض اذا استصلحتهما بالزيت والسماد لا من المد في العمر فانه يتعدى باللام كاملى لهم ويدل عليه قراءة ابن كثير ويمدهم والمعتزلة لما تعذر عليهم اجراء الكلام على ظاهره قالوا لما منعهم الله تعالى الطافه التي يمنحها المؤمنين وخذلهم بسبب كفرهم واصرارهم وسدهم طرق التوفيق على انفسهم فتزايدت بسببه قلوبهم رينا وظلمة تزايد قلوب المؤمنين انشراحا ونورا او مكن الشيطان من اغوائهم فزادهم طغيانا اسند ذلك الى الله تعالى اسنادا الفعل الى المسبب واضاف الطغيان اليهم لئلا يتوهم ان اسناد الفعل اليه على الحقيقة ومصداق ذلك انه لما اسند المد الى الشياطين اطلق الغي وقال واخوانهم يمدونهم في الغي او كان اصله يمد لهم في اعمارهم كي يتنبهوا ويطيعوا فما زادوا الا طغيانا وعمها فحذفت اللام وعدي الفعل بنفسه كما في قوله تعالى واختار موسى قومه او التقدير يمدهم استصلاحا وهم مع ذلك يعمهون في طغيانهم والطغيان بالضم والكسر كلقيان ولقيان تجاوز الحد في العصيان والعتو والغلو في الكفر واصله تجاوز الشيء عن مكانه قال الله تعالى انا لما طغى الماء حملناكم والعمه في البصيرة كالعمى في البصر وهو التحير في الامر يقال رجل عامه وعمه وارض عمهاء لا منار لها قال اعمى الهدى بالجاهلين العمه

اولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى اختاروها عليه واستبدلوها به واصله بذل الثمن لتحصيل ما يطلب من الاعيان فان كان احد العوضين ناضا تعين من حيث انه لا يطلب بعينه ان يكون ثمنا وبذله اشتراء والا فاي العوضين تصورته بصورة الثمن فباذله مشتر واخذه بائع ولذلك عدت الكلمتان من الاضداد ثم استعير للاعراض عما في يده محصلا به غيره سواء كان من المعاني او الاعيان ومنه اخذت بالجمة راسا ازعرا وبالثنايا الواضحات الدردرا وبالطويل العمر عمرا جيدرا كما اشترى المسلم اذ تنصرا ثم اتسع فيه فاستعمل للرغبة عن الشيء طمعا في غيره والمعنى انهم اخلوا بالهدى الذي جعله الله لهم بالفطرة التي فطر الناس عليها محصلين الضلالة التي ذهبوا اليها او اختاروا الضلالة واستحبوها على الهدى **فما ربحت تجارتهم** ترشيح للمجاز لما استعمل الاشتراء في معاملتهم اتبعه ما يشاكله تمثيلا لخسارتهم ونحوه ولما رايت النسر عز ابن داية وعشش في وكريه جاش له صدري والتجارة طلب الربح بالبيع والشراء

والربح الفضل على رأس المال ولذلك سمي شفافه واسناده الى التجارة وهو لارباب بها
على الاتساع لتلبسها بالفاعل ولمشابهتها اياه من حيث انها سبب الربح والخسران
وما كانوا مهتدين لطرق التجارة فان المقصود منها سلامة رأس المال والربح وهؤلاء
قد اضاعوا الطلبتين لان رأس مالهم كان الفطرة السليمة والعقل الصرف فلما
اعتقدوا هذه الضلالات بطل استعدادهم واختل عقلهم ولم يبق لهم رأس
مال يتوسلون به الى درك الحق ونيل الكمال فبقوا خاسرين من الربح فاقدين الاصل
مثلهم كمثل الذي استوقد نارا لما جاء بحقيقة حالهم عقبها بضرب المثل زيادة
في التوضيح والتقرير فانه اوقع في القلب واقمع للخصم الالد لانه يريك المتخيل محققا
والمعقول محسوسا ولامر ما اكثر الله تعالى في كتبه الامثال وفشت في كلام الانبياء
والحكماء والمثل في الاصل بمعنى النظير يقال مثل ومثل ومثيل كشبه وشبه وشبيه
ثم قيل للقول السائر الممثل مضربه بمورده ولا يضرب الا بما فيه غرابة ولذلك حوفظ
عليه من التغيير ثم استعير لكل حال او قصة لها شان وفيها غرابة مثل قوله تعالى
مثل الجنة التي وعد المتقون وقوله تعالى ولله المثل الاعلى والمعنى حالهم العجيبة الشان
كحال من استوقد نارا والذي بمعنى الذين كما في قوله تعالى وخضتم كالذي خاضوا
ان جعل مرجع الضمير في بنورهم وانما جاز ذلك ولم يجز وضع [redacted] القائم
مقام القائمين لانه غير مقصود بالوصف بل الجملة التي هي صلته وهو وصلة الى
وصف المعرفة بها ولانه ليس باسم تام بل هو كالجزء منه فحقه لا يجمع كما لا يجمع اخواته
ويستوي فيه الواحد والجمع وليس الذين جمعه المصحح بل ذو زيادة زيدت لزيادة المعنى
ولذلك جاء بالياء ابدا على اللغة الفصيحة التي عليها التنزيل ولكونه مستطالا بصلته
استحق التخفيف ولذلك بولغ فيه فحذف ياؤه ثم كسرته ثم اقتصر على اللام في اسماء
الفاعلين والمفعولين او قصد به جنس المستوقدين او الفوج الذي استوقد و
الاستيقاد طلب الوقود والسعي في تحصيله وهو سطوع النار وارتفاع لهبها واشتقاق
النار من نار ينور نورا اذا نفر لان فيها حركة واضطرابا فلما اضاءت ما حوله
اي النار ما حول المستوقد ان جعلتها متعدية والا امكن ان تكون مسندة الى ما والتانيث
لان ما حوله اشياء واماكن او الى ضمير النار وما موصولة في معنى الامكنة نصب على
الظرف او مزيدة وحوله ظرف وتاليف الحول للدوران وقيل للعام حول لانه
يدور ذهب الله بنورهم جواب لما والضمير للذي وجمعه للحمل على المعنى وعلى
هذا انما قال بنورهم ولم يقل بنارهم لانه المراد من ايقادها او استينافا فاجيب
به اعتراض سائل يقول ما بالهم شبهت حالهم بحال مستوقد انطفت ناره او بدل
من جملة التمثيل على سبيل البيان والضمير على الوجهين للمنافقين والجواب محذوف
كما في قوله تعالى فلما ذهبوا به للايجاز او من الالباس واسناد الاذهاب الى الله تعالى

اما لان الكل بفعله او لان الاطفاء حصل بسبب خفي او امر سماوي كريح او مطر او للمبالغة ولذلك عدى الفعل بالباء دون الهمزة لما فيه من معنى الاستصحاب والاستمساك يقال ذهب السلطان بماله اذا اخذه وامسكه وما اخذه الله وامسكه فلا مرسل له ولذلك عدل عن الضوء الذي هو مقتضى اللفظ الى النور فانه لو قيل ذهب الله بضوئهم احتمل ذهابه بما في الضوء من الزيادة وبقاء ما يسمى نورا والغرض ازالة النور عنهم رأسا الا ترى كيف قرر ذلك واكده بقوله وتركهم في ظلمات لا يبصرون فذكر الظلمة التي هي عدم النور وانطماسه بالكلية وجمعها ونكرها ووصفها بانها ظلمة خالصة لا يتراءى فيها شبحان وترك في الاصل بمعنى طرح وخلى وله مفعول واحد فضمن معنى صير فجرى مجرى افعال القلوب كقوله وتركهم في ظلمات وقول الشاعر فتركته جزر السباع ينشنه والظلمة مأخوذة من قولهم ما ظلمك ان تفعل كذا اي ما منعك لانها تسد البصر وتمنع الرؤية وظلماتهم ظلمة الكفر وظلمة النفاق وظلمة يوم القيمة يوم ترى المؤمنين والمؤمنات يسعى نورهم بين ايديهم وبايمانهم او ظلمة الضلال وظلمة سخط الله تعالى وظلمة العقاب السرمد او ظلمة شديدة كانها ظلمات متراكمة ومفعول لا يبصرون من قبيل المطروح المتروك فكان الفعل غير متعد والاية مثل ضربه الله تعالى لمن اتاه ضربا من الهدى فاضاعه ولم يتوصل به الى نعيم الابد فبقي متحيرا تقريرا وتوضيحا لما تضمنته الاية الاولى ويدخل تحت عمومه هؤلاء المنافقون فانهم اضاعوا ما نطقت به السنتهم من الحق باستبطان الكفر واظهاره حين خلوا الى شياطينهم ومن آثر الضلالة على الهدى المجعول له بالفطرة او ارتد عن دينه بعدما آمن ومن صح له احوال الارادة فادعى احوال المحبة فاذهب الله تعالى عنه ما اشرق عليه من نور الارادة او مثل لايمانهم من حيث انه يعود عليهم بحقن الدماء وسلامة الاولاد والاموال ومشاركة المسلمين في المغانم والاحكام بالنار الموقدة للاستضاءة ولذهاب اثره وانطماس نوره باهلاكهم وافشاء حالهم باطفاء الله تعالى اياها واذهاب نورها صم بكم عمي لما سدوا مسامعهم عن الاصاخة الى الحق وابوا ان ينطقوا به السنتهم ويتبصروا الايات بابصارهم جعلوا كانما ايفت مشاعرهم وانتفت قواهم كقوله صم اذا سمعوا خيرا ذكرت به وان ذكرت بسوء عندهم اذنوا وكقوله اصم عن الشيء الذي لا اريده واسمع خلق الله حين اريد واطلاقها عليهم على طريقة التمثيل لا الاستعارة اذ من شرطها ان يطوى ذكر المستعار له بحيث يمكن حمل الكلام على المستعار منه لولا القرينة كقول زهير لدى اسد شاكي السلاح مقذف له لبد اظفاره لم تقلم ومن ثم ترى المفلقين السحرة يضربون عن توهم التشبيه صفحا كما قال ابو تمام ويصعد حتى يظن الجهول

بان له حاجة في السماء وههنا وان طوي ذكره بحذف المبتدا لكنه في حكم المنطوق به ونظيره اسد علي وفي الحروب نعامة فتخاء تنفر من صفير الصافر هذا اذا جعلت الضمير للمنافقين على ان الاية فذلكة التمثيل ونتيجته وان جعلته للمستوقدين فهي على حقيقتها والمعنى انهم لما اوقدوا نارا فذهب الله بنورهم وتركهم في ظلمات هائلة ادهشتهم بحيث اختلت حواسهم وانتقصت قواهم وثلاثتها قرئت بالنصب على الحال من مفعول تركهم والصمم اصله صلابة من اكتناز الاجزاء ومنه قيل حجر اصم وقناة صماء وصمام القارورة وسمي به فقدان حاسة السمع لان سببه ان يكون باطن الصماخ مكتنزا لا تجويف فيه يشتمل على هواء يسمع الصوت بتموجه والبكم الخرس والعمى عدم البصر عما من شانه ان يبصر وقد يقال لعدم البصيرة فهم لا يرجعون لا يعودون الى الهدى الذي باعوه وضيعوه او عن الضلالة التي اشتروها للدلالة على انهم بالاحكام السابقة بسبب تحيرهم واحتباسهم او كصيب من السماء عطف على الذي استوقد اي مثل ذوي صيب لقوله تعالى يجعلون اصابعهم في آذانهم واو في الاصل للتساوي في الشك ثم اتسع فيها فاطلق للتساوي من غير شك مثل جالس الحسن او ابن سيرين وقوله تعالى ولا تطع منهم آثما او كفورا فانها تفيد التساوي في حسن المجالسة ووجوب العصيان ومن ذلك قوله تعالى او كصيب من السماء ومعناه ان قصة المنافقين مشبهة بهاتين القصتين وانهما سواء في صحة التشبيه بهما وانت مخير في التمثيل بهما او بايتهما شئت والصيب فيعل من الصوب وهو النزول يقال للمطر وللسحاب قال الشماخ واسحم دان صادق الرعد صيب وفي الاية يحتملهما وتنكيره لانه اريد به نوع من المطر شديد وتعريف السماء للدلالة على ان الغمام مطبق آخذ بآفاق السماء كلها فان كل افق منها يسمى سماء كما ان كل طبقة منها سماء قال ومن بعد ارض بيننا وسماء امد به ما في صيب من المبالغة من جهة الاصل والبناء والتنكير وقيل المراد بالسماء السحاب واللام لتعريف الماهية فيه ظلمات ورعد وبرق ان اريد بالصيب المطر فظلماته ظلمة تكاثفه بتتابع القطر وظلمة غمامه مع ظلمة الليل وجعله مكانا للرعد والبرق لانهما في اعلاه ومنحدره ملتبسين به وان اريد به السحاب فظلماته سحمته وتطبيقه مع ظلمة الليل وارتفاعها بالظرف وفاقا لانه معتمد على موصوف والرعد صوت يسمع من السحاب والمشهور ان سببه اضطراب اجرام السحاب واصطكاكها اذا حدتها الريح من الارتعاد والبرق ما يلمع من السحاب من برق الشيء بريقا وكلاهما مصدر في الاصل ولذلك لم يجمعا يجعلون اصابعهم في آذانهم الضمير لاصحاب الصيب وهو وان حذف لفظه واقيم الصيب مقامه لكن معناه باق فيجوز ان يعود عليه كما عول حسان في قوله يسقون من ورد البريص عليهم بردى يصفق بالرحيق السلسل حيث ذكر الضمير لان المعنى ماء بردى والجملة استيناف فكانه لما ذكر ما يؤذن بالشدة والهول قيل

فكيف حالهم مع مثل ذلك فاجيب بها وانما اطلق الاصابع موضع الانامل
للمبالغة من الصواعق متعلق بيجعلون اي من اجلها يجعلون كقولهم سقاه من
العيمة والصاعقة قصفة رعد هائل معها نار لا تمر بشيء الا اتت عليه من الصعق
وهو شدة الصوت وقد تطلق على كل هائل مسموع او مشاهد ويقال صعقته الصاعقة
اذا اهلكته بالاحراق او شدة الصوت وقرئ من الصواقع وهو ليس بقلب من الصواعق
لاستواء كلا البناءين في التصرف فيقال صقع الديك وخطيب مصقع وصقعته
الصاعقة وهي في الاصل اما صفة لقصفة الرعد او للرعد والتاء للمبالغة كما
في الرواية او مصدر كالعافية والكاذبة حذر الموت نصب على العلة كقوله
واغفر عوراء الكريم ادخاره والموت زوال الحياة وقيل عرض يضادها لقوله تعالى
خلق الموت والحيوة ورد بان الخلق بمعنى التقدير والاعدام مقدرة والله محيط بالكافرين
لا يفوتونه كما لا يفوت المحاط به المحيط لا يخلصهم الخداع والحيل والجملة اعتراضية
لا محل لها يكاد البرق يخطف ابصارهم استئناف ثان كانه جواب لمن يقول ما حالهم
مع تلك الصواعق وكاد من افعال المقاربة وضعت لمقاربة الخبر من الوجود لعروض
سببه لكنه لم يوجد اما لفقد شرط او لعروض مانع وعسى موضوعة لرجائه
فهي خبر محض ولذلك جاءت متصرفة بخلاف عسى وخبرها مشروط فيه ان يكون
فعلا مضارعا تنبيها على انه المقصود بالقرب من غير ان لتوكيد القرب بالدلالة على
الحال وقد تدخل عليه حملا لها على عسى كما تحمل عليها بالحذف عن خبرها لمشاركتهما
في اصل معنى المقاربة والخطف الاخذ بسرعة وقرئ يخطف بكسر الطاء ويخطف على
انه يختطف فنقلت فتحة التاء الى الخاء ثم ادغمت في الطاء ويخطف بكسر الخاء لالتقاء
الساكنين واتباع الياء لها ويتخطف كلما اضاء لهم مشوا فيه واذا اظلم عليهم قاموا
استئناف ثالث كانه قيل ما يفعلون في تارتي خفوق البرق وخفيته فاجيب
بذلك واضاء اما متعد والمفعول محذوف بمعنى كلما نور لهم ممشى اخذوه او لازم
بمعنى كلما لمع لهم مشوا في مطرح نوره وكذلك اظلم فانه جاء متعديا منقولا
من ظلم الليل وتشهد له قراءة اظلم على البناء للمفعول وقول ابي تمام هما اظلما
حالي ثمت اجليا ظلاميهما عن وجه امرد اشيب فانه وان كان من المحدثين
لكنه من علماء العربية فلا يبعد ان يجعل ما يقوله بمنزلة ما يرويه وانما قال مع الاضاءة
كلما ومع الاظلام اذا لانهم حراص على المشي فكلما صادفوا منه فرصة انتهزوها
ولا كذلك التوقف ومعنى قاموا وقفوا ومنه قامت السوق اذا ركدت وقام
الماء اذا جمد ولو شاء الله لذهب بسمعهم وابصارهم اي لو شاء ان يذهب بسمعهم
بقصيف الرعد وابصارهم بوميض البرق لذهب بهما فحذف المفعول لدلالة الجواب
عليه ولقد تكاثر حذفه في شاء واراد حتى لا يكاد يذكر الا في الشيء المستغرب

كقوله

كقوله ولو شئت ان ابكي دما لبكيته ولو من حروف الشرط وظاهرها الدلالة على انتفاء الاول لانتفاء الثاني ضرورة انتفاء الملزوم عند انتفاء لازمه وقرئ لاذهب باسماعهم بزيادة الباء كقوله ولا تلقوا بايديكم الى التهلكة وفائدة هذه الشرطية ابداء المانع لذهاب سمعهم وابصارهم مع قيام ما يقتضيه والتنبيه على ان تاثير الاسباب في مسبباتها مشروط بمشيئته تعالى وان وجودها مرتبطا باسبابها واقع بقدرته تعالى وقوله ان الله على كل شيء قدير كالتصريح به والتقرير له والشيء يختص بالموجود لانه في الاصل مصدر شاء اطلق بمعنى شاء تارة وح يتناول الباري تعالى كما قال الله تعالى قل اي شيء اكبر شهادة قل الله وبمعنى مشيء اخرى اي مشيء وجوده وما شاء الله وجوده فهو موجود في الجملة وعليه قوله تعالى ان الله على كل شيء قدير الله خالق كل شيء فهما على عمومهما بلا مثنوية والمعتزلة لما قالوا الشيء ما يصح ان يوجد وهو يعم الواجب والممكن او ما يصح ان يعلم ويخبر عنه فيعم الممتنع ايضا لزمهم التخصيص بالممكن في الموضعين بدليل العقل والقدرة هو التمكن من ايجاد الشيء وقيل صفة تقتضي التمكن وقيل قدرة الانسان هيئة بها يتمكن من الفعل وقدرة الله تعالى عبارة عن نفي العجز عنه والقادر هو الذي ان شاء فعل وان لم يشأ لم يفعل والقدير الفعال لما يشاء على ما يشاء ولذلك قلما يوصف به غير الباري تعالى واشتقاق القدرة من القدر لان القادر يوقع الفعل على مقدار قوته او على مقدار ما تقتضيه مشيئته وفيه دليل على ان الحادث حال حدوثه والممكن حال بقائه مقدوران وان مقدور العبد مقدور لله تعالى لانه شيء وكل شيء مقدور لله والظاهر ان التمثيلين من جملة التمثيلات المؤلفة وهو ان تشبه كيفية منتزعة من مجموع تضامت اجزاؤه وتلاصقت حتى صارت شيئا واحدا باخرى مثلها كقوله تعالى مثل الذين حملوا التورية ثم لم يحملوها الاية فانه تشبيه حال اليهود في جهلهم بما معهم من التورية بحال الحمار في جهله بما يحمل من اسفار الحكمة والغرض منهما تمثيل حال المنافقين من الحيرة والشدة بما يكابد من طفئت ناره بعد ايقاده في ظلمة او بحال من اخذته السماء في ليلة مظلمة مع رعد قاصف وبرق خاطف وخوف من الصواعق ويمكن جعلهما من قبيل التمثيل المفرد وهو ان تاخذ اشياء فرادى فتشبهها بامثالها كقوله تعالى وما يستوي الاعمى والبصير ولا الظلمات ولا النور ولا الظل ولا الحرور وقول امرئ القيس كان قلوب الطير رطبا ويابسا لدى وكرها العناب والحشف البالي بان تشبه في الاول ذوات المنافقين بالمستوقدين واظهارهم الايمان باستيقاد النار وما انتفعوا به من حقن الدماء وسلامة الاموال والاولاد وغير ذلك باضاءة النار ما حول المستوقدين وزوال ذلك عنهم على القرب باهلاكهم

من الصواعق حذر الموت

٧٢ ويقال صعقته اي [illegible] الشمول للمسموع والمشاهد [illegible]

لا يكتفى بالتصرف في الصواعق [illegible]

٩ مقتنع كسر الجيم وهو الذي [illegible]

٦ [illegible]

٥ خلق الموت [illegible]

والله محيط [illegible]

٨ [illegible]

٥ [illegible]

٦ [illegible]

اوافناء حالهم وابقائهم في الخسار الدائم والعذاب السرمدي باطفاء نارهم والذهاب بنورهم وفي الثاني انفسهم باصحاب الصيب وايمانهم المخالط بالكفر والخداع بصيب فيه ظلمات ورعد وبرق من حيث انه وان كان نافعا في نفسه لكنه لما وجد في هذه الصورة عاد نفعه ضررا ونفاقهم حذرا عن نكايات المؤمنين وما يطرقون به من سواهم من الكفرة بجعل الاصابع في الاذان من الصواعق حذر الموت من حيث انه لا يرد من قدر الله تعالى شيئا ولا يخلص مما يريد بهم من المضار وتحيرهم لشدة الامر وجهلهم بما يأتون ويذرون بانهم كلما صادفوا من البرق خفقة انتهزوها فرصة مع خوف ان يخطف ابصارهم فخطوا خطا يسيرة ثم اذا خفي وفتر لمعانه بقوا متقيدين لا حراك لهم وقيل شبه الايمان والقرآن وسائر ما اوتي الانسان من المعارف التي هي سبب الحياة الابدية بالصيب الذي به حياة الارض وما ارتبكت بها من الشبه المبطلة واعترضت دونها من الاعتراضات المشكلة بالظلمات وما فيها من الوعد والوعيد بالرعد وما فيها من الايات الباهرة بالبرق وتصامهم عما يسمعون من الوعيد بحال من يهوله الرعد فيخاف صواعقه فيسد اذنه عنها مع انه لا خلاص لهم منها وهو معنى قوله تعالى والله محيط بالكافرين واهتزازهم لما يلمع لهم من رشد يدركونه او رفد يطمح اليه ابصارهم بمشيهم في مطرح ضوء البرق كلما اضاء لهم وتحيرهم وتوقفهم في الامر حين تعرض لهم شبهة او تعن لهم مصيبة بتوقفهم اذا اظلم عليهم ونبه بقوله تعالى ولو شاء الله لذهب بسمعهم وابصارهم على انه تعالى جعل لهم السمع والابصار ليتوسلوا بها الى الهدى والفلاح ثم انهم صرفوها الى الحظوظ العاجلة وسدوها عن الفوائد الآجلة ولو شاء الله لجعلهم بالحالة التي يجعلونها فانه على ما يشاء قدير

يا ايها الناس اعبدوا ربكم لما عدد فرق المكلفين وذكر خواصهم ومصارف امورهم اقبل عليهم بالخطاب على سبيل الالتفات هزا للسامع وتنشيطا له واهتماما بامر العبادة وتفخيما لشأنها وجبرا لكلفة العبادة بلذة المخاطبة ويا حرف وضع لنداء البعيد وقد ينادى به القريب تنزيلا له منزلة البعيد اما لعظمته كقول الداعي يا رب وهو اقرب اليه من حبل الوريد او لغفلته وسوء فهمه او للاعتناء بالمدعو له وزيادة الحث عليه وهو مع المنادى جملة مفيدة لانه نائب مناب فعل واي جعل وصلة الى نداء المعرف باللام فان ادخال يا عليه متعذر لتعذر الجمع بين حرفي التعريف فانهما كمثلين واعطي حكم المنادى واجري عليه المقصود بالنداء وصفا موضحا له والتزم رفعه اشعارا بانه المقصود واقحمت بينهما هاء التنبيه تأكيدا وتعويضا عما يستحقه اي من المضاف اليه وانما كثر النداء على هذه الطريقة في القرآن لاستقلاله باوجه من التأكيد وكلما نادى الله تعالى به عباده من حيث انها امور عظام من حقها ان يتفطنوا لها ويقبلوا بقلوبهم عليها واكثرهم عنها غافلون حقيق بان ينادى

له بالآ

قوله وهو مع المنادى جملة اي كان ينبغي ان لا يكون كذلك اذ لا تأتي الكلام من حرف واسم لكنه وقع لانه نائب [illegible] خسرو

قوله واعطي حكم المنادى اي كان الذي وصلة الى وصف المعارف باللام خسرو

قوله واهتماما بامر العبادة اي بيان لنكتة خاصة للالتفات كما ان قوله هزا وتنشيطا بيان لنكتة عامة له خسرو

قوله اي من المضاف اليه اي اسم حقه ان يضاف الى ما بعده لفظا نحو ايهم او معنى [illegible]

قوله ويدل عليه اي يدل عليه وجوه حاصل الاول ولعل مراده الوجوه الاستغفال وحاصل الثالث الاجماع اما في الاول فهو صحة الاستثناء قوله فالناس يعم الموجودين اي لكونه اسم جنس معرف باللام قوله وقت النزول لفظا تمييز عن النسبة ودونهم

قوله وما روي عن علقمة اي جواب لما يقال ان ما ذكرت من الدليل الدال على ان الناس المذكور في هذه الاية يعم المؤمنين وغيرهم وهو معارض بما روي عنهما والجواب انه كونه مكيا لا يوجب كون الخطاب متوجها الى من هو بمكة من الكفار فقط لان اهل مكة ليسوا بمشركين جميعا بل فيه مؤمنون [illegible]

قوله ولا امرهم بالعبادة عطف على قوله وما روي انه لا يوجب التخصيص بالكفار ولا امر الناس بالعبادة بناء على ان امر المسلمين بها طلب الحاصل

قوله ومن سيوجد لما تواتر اي لان لفظ الناس وان كان يعمهم ايضا اي يعم لمن سيوجد الا ان عمومه لهم ليس من جهة اللفظ فقط بل بالنظر الى القرينة الخارجية مثل قوله عليه السلام حكمي على الواحد حكمي على الجماعة [illegible] الدليل واخرجه عن الدخول [illegible] خطابه واحكامه كالنصيب [illegible]

قوله فالمطلوب من الكفار اي المطلوب من الكفار في الحال هو الشروع فيها لا في الحال بل بعد الاتيان بما يجب تقدمه [illegible] العبادة على الكفرة بعد الايمان والاختلاف بينهما ان الكفرة هل يعذبون بترك العبادات كما يعذبون بترك الاصول [illegible] خسرو

قوله وهو المشترك بين بدء العبادة اي ان اعبدوا مستعمل في الطلب في الحال للعبادة مستقبلا ولكن ترك العبادة من الكفار [illegible] في عبادتهم [illegible] مفهوم الابتداء والزيادة والمواظبة

قوله للتعظيم اي [illegible] لفظ الرب [illegible] المذكور [illegible] انما هو الله وحده [illegible]

[illegible]

[illegible] ما ذكر بقوله واصل التقدير [illegible]

بالاكد الابلغ والجموع واسماؤها المحلاة باللام للعموم حيث لا عهد ويدل عليه صحة الاستثناء منها والتوكيد بما يفيد العموم كقوله تع فسجد الملائكة كلهم اجمعون واستدلال الصحابة بعمومها شائعا وذائعا فالناس يعم الموجودين وقت النزول لفظا ومن سيوجد لما تواتر من دينه عليه السلام ان مقتضى خطابه واحكامه شامل للقبيلين ثابت الى قيام الساعة الا ما خصصه الدليل وما روى عن علقمة والحسن ان كل شئ نزل فيه يا ايها الناس فمكى ويا ايها الذين امنوا فمدنى ان صح رفعه فلا يوجب تخصيصه بالكفار ولا امرهم بالعبادة فان المامور به هو المشترك بين بدء العبادة والزيادة فيها والمواظبة عليها فالمطلوب من الكفار هو الشروع فيها بعد الاتيان بما يجب تقديمه من المعرفة والاقرار بالصانع فان من لوازم وجوب الشئ وجوب ما لا يتم الا به وكما ان الحدث لا يمنع وجوب الصلوة فالكفر لا يمنع وجوب العبادة بل يجب رفعه والاشتغال بها عقيبه ومن المؤمنين ازديادهم وثباتهم عليها وانما قال ربكم تنبيها على ان الموجب للعبادة هى الربوبية الذى خلقكم صفة جرت عليه للتعظيم والتعليل ويحتمل التقييد والتوضيح ان خص الخطاب بالمشركين واريد بالرب اعم من الرب الحقيقى والالهة التى يسمونها اربابا والخلق ايجاد الشئ على تقدير واستواء واصله التقدير يقال خلق النعل اذا قدرها وسواها بالمقياس والذين من قبلكم متناول لكل ما يتقدم الانسان بالذات او الزمان منصوب معطوف على الضمير المنصوب فى خلقكم والجملة اخرجت مخرج المقرر عندهم اما لاعترافهم به كما قال ولئن سالتهم من خلقهم ليقولن الله ولئن سالتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله او لتمكنهم من العلم به بادنى نظر وقرئ من قبلكم على اقحام الموصول الثانى بين الاول وصلته توكيدا كما اقحم جرير فى قوله يا تيم تيم عدى لا ابا لكم تيما الثانى بين الاول وما اضيف اليه لعلكم تتقون حال من الضمير فى اعبدوا كانه قال اعبدوا ربكم راجين ان تنخرطوا فى سلك المتقين الفائزين بالهدى والفلاح المستوجبين لجوار الله تع نبه به على ان التقوى منتهى درجات السالكين وهو التبرى من كل شئ سوى الله تعالى الى الله تع وان العابد ينبغى ان لا يغتر بعبادته ويكون ذا خوف ورجاء كما قال تع يدعون ربهم خوفا وطمعا يرجون رحمته ويخافون عذابه او عن مفعول خلقكم والمعطوف عليه على معنى انه خلقكم ومن قبلكم فى صورة من يرجى منه التقوى لترجح امره باجتماع اسبابه وكثرة الدواعى اليه وغلب المخاطبين على الغائبين فى اللفظ والمعنى على ارادتهم جميعا وقيل تعليل للخلق اى خلقكم لكى تتقوا كما قال وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون وهو ضعيف اذ لم يثبت فى اللغة مثله والاية تدل على ان الطريق الى معرفة الله تع والعلم بوحدانيته واستحقاقه العبادة النظر فى صنعه والاستدلال بافعاله وان العبد لا يستحق بعبادته عليه ثوابا فانها لما وجبت عليه شكرا لما عدده عليه من النعم السابقة كاجير اخذ الاجر قبل العمل الذى جعل لكم الارض فراشا صفة ثانية او مدح منصوب او مرفوع

٦٧ والمادة ان الصلة يجب ان يكون معلومة للمخاطب مقررة عنده ولذا قالوا الاخبار بعد العلم بها اوصاف والاوصاف قبل العلم بها اخبار والمخاطب ههنا المشركون وهم منكرون اجاب عنه بقوله والجملة اخرجت مخرج المقرر عندهم اما لاعترافهم فيكون اخراجا للكلام على خلاف مقتضى الظاهر بتنزيل العالم المنكر منزلة الجاهل لعدم جريه على مقتضى العلم فيلقى اليه الكلام كما يلقى الى الجاهل كذلك ينزل غير العالم منزلة العالم لوضوح الدليل لو تأمل فيلقى اليه الكلام كما يلقى الى العالم به حفيده رحمه الله

لفظ جعل اما لا يتعدى واما يتعدى لمفعول واحد واما يتعدى لمفعولين
لان لفظ جعل اما بمعنى صار فلا يتعدى واما بمعنى اوجد فيتعدى الى مفعول واحد واما بمعنى صير فيتعدى

القلوص بفتح القاف والصاد المهملة وهي الشابة
من الابل قريبة المرتع من اكوارها اى رحالها
لما بها من الاعيا جمع كور بالضم وهو الرحل باداته او سكوف

او مبتدا خبره فلا تجعلوا وجعل من الافعال العامة يجئ على ثلثة اوجه بمعنى صار
وطفق فلا تتعدى كقوله فقد جعلت قلوص بنى سهيل من الاكوار مرتعها قريب وبمعنى
اوجد فيتعدى الى مفعول واحد كقوله وجعل الظلمات والنور وبمعنى صير فيتعدى
الى مفعولين كقوله تع جعل لكم الارض فراشا والتصيير يكون بالفعل تارة وبالقول او العقد
باخرى ومعنى جعلها فراشا ان جعل بعض جوانبها بارزا عن الماء مع ما فى طبعه من الاحاطة
بها وصيرها متوسطة بين الصلابة واللطافة واللين حتى صارت مهياة لان يقعدوا
ويناموا عليها كالفراش المبسوط وذلك لا يستدعى كونها مسطحة لان كرية شكلها
مع عظم حجمها واتساع جرمها لا تابى الافتراش عليها والسماء بناء قبة مضروبة
عليكم والسماء اسم جنس يقع على الواحد والمتعدد كالدينار والدرهم وقيل
جمع سماءة والبناء مصدر سمى به المبنى بيتا كان او قبة او خباء ومنه بنى على امراته
لانهم كانوا اذا تزوجوا ضربوا عليها خباء جديدا وانزل من السماء ماء فاخرج
به من الثمرات رزقا لكم عطف على جعل وخروج الثمار بقدرة الله تعالى
ومشيته ولكن جعل الماء الممزوج بالتراب سببا فى اخراجها ومادة لها كالنطفة
للحيوان بان اجرى عادته بافاضة صورها وكيفياتها على المادة الممزوجة منهما
وابدع فى الماء قوة فاعلة وفى الارض قوة قابلة يتولد من اجتماعهما انواع الثمار وهو
قادر على ان يوجد الاشياء كلها بلا اسباب ومواد كما ابدع نفوس الاسباب والمواد
ولكن له فى انشائها مدرجا من حال الى حال صنائع وحكم يجدد فيها لاولى الابصار
عبرا وسكونا الى عظم قدرته ليس ذلك فى ايجادها دفعة ومن الاولى للابتداء
سواء اريد بالسماء السحاب فان ما علاك سماء او الفلك فان المطر يبتدئ من السماء
الى السحاب ومنه الى الارض على ما دلت عليه الظواهر او من اسباب سماوية تثير
الاجزاء الرطبة من اعماق الارض الى جو الهواء فتنعقد سحابا ماطرا ومن الثانية
للتبعيض بدليل قوله تعالى فاخرجنا به ثمرات واكتناف المنكرين له اعنى ماء ورزقا
كانه قال وانزلنا من السماء بعض الماء فاخرجنا به بعض الثمرات ليكون بعض رزقكم
وهكذا الواقع اذ لم ينزل من السماء الماء كله ولا اخرج بالمطر كل الثمرات ولا جعل
كل المرزوق ثمارا او للتبيين ورزقا مفعول لاخرج بمعنى المرزوق كقولك انفقت من
الدراهم الفا وانما ساغ الثمرات والموضع موضع الكثرة لانه اراد بالثمرات جماعة الثمرة
التى فى قولك ادركت ثمرة بستانه ويؤيده قراءة من قرا من الثمرة على التوحيد او لان
الجموع يتعاور بعضها موقع بعض كقوله تعا كم تركوا من جنات وقوله تعا ثلثة قروء
ولانها لما كانت محلاة باللام خرجت عن حد القلة ولكم صفة رزقا ان اريد به المرزوق
ومفعول به ان اريد به المصدر كانه قال رزقا اياكم فلا تجعلوا لله اندادا متعلق باعبدوا
على انه نهى معطوف عليه او نفى منصوب باضمار ان جواب له او على ان نصب تجعلوا

نصب

نصب فاطلع فى قوله تعا لعلى ابلغ الاسباب اسباب السموات فاطلع الحاقا لها
بالاشياء الستة لاشتراكها فى انها غير موجبة والمعنى ان تتقوا لا تجعلوا لله اندادا
او بالذى جعل لكم ان استانفت به على انه نهى وقع خبرا على تاويل مقول فيه لا تجعلوا
والفاء للسببية ادخلت عليه لتضمن المبتدا معنى الشرط والمعنى من خصكم بهذه
النعم الجسام والآيات العظام ينبغى ان لا يشرك به والند المثل المناوى قال جرير
اتيما تجعلون الى ندا وما تيم لذى حسب نديد من ند ندودا اذا نفر وناددت
الرجل خالفته خص بالمخالف المماثل فى الذات كما خص المساوى بالمماثل فى القدر
وتسمية ما يعبده المشركون من دون الله اندادا وما زعموا انها تساويه فى ذاته و
صفاته ولا انها تخالفه فى افعاله لانهم لما تركوا عبادته تعا الى عبادتها وسموها
الهة شابهت حالهم حال من يعتقد انها ذوات واجبة بالذات قادرة على ان تدفع
عنهم باس الله تع وتمنحهم ما لم يرد الله بهم من خير فتهكم بهم وشنع عليهم بانهم بان
جعلوا اندادا لمن يمتنع ان يكون له ند ولهذا قال موحد الجاهلية زيد بن عمرو بن
نفيل اربا واحدا ام الف رب ادين اذا تقسمت الامور تركت اللات والعزى
جميعا كذلك يفعل الرجل البصير وانتم تعلمون حال من ضمير فلا تجعلوا ومفعول
تعلمون مطروح اى وحالكم انكم من اهل العلم والنظر واصابة الراى فلو تاملتم
ادنى تامل اضطر عقلكم الى اثبات موجد للممكنات منفرد بوجوب الذات متعال
عن مشابهة المخلوقات او منوى وهو انها لا تماثله ولا تقدر على ما يفعله كقوله
تع هل من شركائكم من يفعل من ذلكم من شئ وعلى هذا فالمقصود منه التوبيخ
والتثريب لا تقييد الحكم وقصره عليه فان العالم والجاهل المتمكن من العلم سواء
فى التكليف واعلم ان مضمون الآيتين هو الامر بعبادة الله تعالى والنهى عن الاشراك
به والاشارة الى ما هو العلة والمقتضى وبيانه انه رتب الامر بالعبادة على صفة الربوبية
اشعارا بانها العلة لوجوبها ثم بين ربوبيته بانه خالقهم وخالق اصولهم
وما يحتاجون اليه فى معاشهم من المقلة والمظلة والمطاعم والملابس فان الثمرة اعم
من المطعوم والرزق اعم من الماكول والمشروب ثم لما كانت هذه الامور التى لا يقدر
عليها غيره شاهدة على وحدانيته رتب عليها النهى عن الاشراك به ولعله سبحانه
وتعالى اراد من الآية الاخيرة مع ما دل عليه الظاهر وسيق فيه الكلام الاشارة
الى تفصيل خلق الانسان وما افاض عليه من المعانى والصفات على طريقة التمثيل
فمثل البدن بالارض والنفس بالسماء والعقل بالماء وما افاض عليه من الفضائل
العملية والنظرية المحصلة بواسطة استعمال العقل للحواس وازدواج القوى النفسانية
والبدنية بالثمرات المتولدة من ازدواج القوى السماوية الفاعلة والارضية المنفعلة
بقدرة الفاعل المختار فان لكل آية ظهرا وبطنا ولكل حد مطلعا وان كنتم فى ريب

مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة لما قرر وحدانيته وبين الطريق الموصل الى العلم
بها ذكر عقيبه ما هو الحجة على نبوة محمد عليه السلام وهو القران المعجز بفصاحته
التي بذت فصاحة كل منطيق وافحامه من طولب بمعارضته من مصاقع الخطباء
من العرب العرباء مع كثرتهم وافراطهم في المضادة وتهالكهم على المعارة والمعارضة
وعرف ما يتعرف به اعجازه ويتيقن انه من عند الله كما يدعيه وانما قال مما نزلنا
لان نزوله نجما فنجما بحسب الوقايع على ما يرى عليه اهل الشعر والخطابة مما
يريبهم كما حكى الله تعالى عنهم فقال وقال الذين كفروا لولا نزل عليه القران
جملة واحدة فكان الواجب تحديهم على هذا الوجه ازاحة للشبهة والزاما
للحجة واضاف العبد الى نفسه تنويها بذكره وتنبيها على انه مختص به منقاد لحكمه
وقرئ على عبادنا يريد محمدا وامته والسورة الطائفة من القران المترجمة التي
اقلها ثلاث آيات وهي ان جعلت واوها اصلية منقولة من سور المدينة لانها
محيطة بطائفة من القران مفرزة محوزة على حيالها او محتوية على انواع من العلم
احتواء سور المدينة على ما فيها او من السورة التي هي الرتبة قال ولرهط حراب
وقد سورة في المجد ليس غرابها بمطار لان السور كالمنازل التي هي الرتبة والمراتب
يترقى القارئ اولها مراتب في الطول والقصر والفضل والشرف وثواب القراءة فان
جعلت مبدلة من الهمزة فمن السورة التي هي البقية والقطعة من الشئ والحكمة في
تقطيع القران سورا افراد الانواع وتلاحق الاشكال وتجاوب النظم وتنشيط
القارئ وتسهيل الحفظ والترغيب فيه فانه اذا ختم سورة نفس ذلك منه كالمسافر
اذا علم انه قطع ميلا او طوى بريدا والحافظ متى حذقها اعتقد انه اخذ من
القران حظا تاما وفاز بطائفة محدودة مستقلة بنفسها فعظم ذلك عنده وابتهج
به الى غيرها من الفوائد من مثله صفة سورة اي بسورة كائنة من مثله والضمير لما
نزلنا ومن للتبعيض او للتبيين وزائدة عند الاخفش اي بسورة مماثلة للقران
في البلاغة وحسن النظم او لعبدنا ومن للابتداء اي بسورة كائنة ممن هو على حاله
من كونه بشرا اميا لم يقرأ الكتب ولم يتعلم العلوم او صلة فأتوا والضمير للعبد
والرد الى المنزل اوجه لانه المطابق لقوله تعالى فأتوا بسورة من مثله ولسائر آيات
التحدي ولان الكلام فيه لا في المنزل عليه فحقه ان لا ينفك عنه ليتسق الترتيب
والنظم ولان مخاطبة الجم الغفير بان يأتوا بمثل ما اتى به واحد من ابناء جلدتهم
ابلغ في التحدي من ان يقال لهم ليأت بنحو ما اتى به هذا آخر مثله
ولانه معجز في نفسه لا بالنسبة اليه لقوله تعالى قل لئن اجتمعت الانس
والجن على ان يأتوا بمثل هذا القران لا يأتون بمثله ولان رده الى عبدنا
يوهم امكان صدوره ممن لم يكن على صفته ولا يلايمه قوله تعالى وادعوا شهداءكم

من

من دون الله فانه امر بان يستعينوا بكل من ينصرهم ويعينهم والشهداء
جمع شهيد بمعنى الحاضر والقائم بالشهادة او الناصر او الامام وكانه سمي به لانه
يحضر النوادي بحضرته الامور اذ التركيب للحضور اما بالذات واما بالتصور ومنه
قيل للمقتول في سبيل الله شهيد لانه حضر ما كان يرجوه او الملائكة حضروه ومعنى
دون ادنى مكان من الشئ ومنه تدوين الكتب لانه ادناء البعض من البعض ودونك
هذا اي خذه من ادنى مكان منك ثم استعير للرتب فقيل زيد دون عمرو اي في الشرف
ومنه الشئ الدون ثم اتسع فيه فاستعمل في كل تجاوز حد الى حد وتخطي امر الى آخر
قال الله تعالى لا يتخذ المؤمنون الكافرين اولياء من دون المؤمنين اي لا يتجاوزون ولاية
المؤمنين الى ولاية الكافرين وقال امية يا نفس ما لك دون الله من واق اي اذا تجاوزت
وقاية الله تعالى فلا يقيك غيره ومن متعلقة بادعوا والمعنى وادعوا للمعارضة من حضركم
او رجوتم معونته من انسكم وجنكم وآلهتكم غير الله تعالى فانه لا يقدر على ان يأتي
بمثله الا الله او ادعوا من دون الله شهداء يشهدون لكم بان ما أتيتم به مثله ولا تستشهدوا
بالله فانه من ديدن المبهوت العاجز عن اقامة الحجة او يستشهدائكم الذين اتخذتموهم
من دون الله اولياء او آلهة وزعمتم انها تشهد لكم يوم القيمة او الذين يشهدون لكم
بين يدي الله تعالى على زعمكم من قول الاعشى تريك القذى من دونها وهي دونه ليعينوكم
وفي امرهم ان يستظهروا بالجماد في معارضة القران غاية التبكيت والتهكم بهم وقيل
من دون الله اي من دون اولياءه يعني فصحاء العرب ووجوه المشاهد ليشهدوا لكم
ان ما اتيتم به مثله فان العاقل لا يرضى لنفسه ان يشهد بصحة فساده وبان اختلاله
ان كنتم صادقين انه من كلام البشر وجوابه محذوف دل عليه ما قبله والصدق
الاخبار المطابق وقيل مع اعتقاد المخبر انه كذلك عن دلالة او امارة لانه تعالى
كذب المنافقين في قولهم انك لرسول الله لما لم يعتقدوا مطابقته ورد بصرف
التكذيب الى قولهم نشهد لان الشهادة اخبار عما علمه وهم ما كانوا عالمين به
فان لم تفعلوا ولن تفعلوا فاتقوا النار التي وقودها الناس والحجارة لما بين
لهم ما يتعرفون به امر الرسول وما جاء به وميز لهم الحق عن الباطل رتب عليه
ما هو كالفذلكة له وهو انكم اذا اجتهدتم في معارضته وعجزتم جميعا عن الاتيان
بما يساويه او يدانيه ظهر انه معجز والتصديق به واجب فآمنوا به
واتقوا العذاب المعد لمن كذب فعبر عن الاتيان المكيف بالفعل الذي
يعم الاتيان به وغيره ايجازا ونزل لازم الجزاء منزلته على سبيل الكناية
تقريرا للمكني عنه وتهويلا لشأن العناد وتصريحا بالوعيد مع الايجاز وصدر
الشرطية بان التي للشك والحال يقتضي اذا الذي للوجوب فان القائل
سبحانه لم يكن شاكا في عجزهم ولذلك نفى اتيانهم معترضا بين الشرط والجزاء

تهكما بهم او خطابا معهم على حسب ظنهم فان العجز قبل التامل لم يكن محققا عندهم
وتفعلوا جزم بلم لانها واجبة الاعمال مختصة بالمضارع متصلة بالمعمول ولانها
لما صيرته ماضيا صارت كالجزء منه وحرف الشرط كالداخل على المجموع فكانه
قال فان تركتم الفعل ولذلك ساغ اجتماعهما ولن كلا في نفي المستقبل غير انه
ابلغ وهو حرف مقتضب عند سيبويه والخليل في احدى الروايتين عنه وفي
الرواية الاخرى اصله لا ان وعند الفراء لا فابدلت الفها نونا والوقود بالفتح
ما يوقد به النار وبالضم المصدر وقد جاء المصدر بالفتح قال سيبويه سمعنا
من يقول وقدت النار وقودا عاليا والاسم بالضم ولعله مصدر سمي به كما قيل
فلان فخر قومه وزين بلده وقد قرئ به والظاهر ان المراد به الاسم وان
اريد به المصدر فعلى حذف مضاف اي وقودها احتراق الناس والحجارة وهي
جمع حجر كجمالة جمع جمل وهو قليل غير منقاس والمراد بها الاصنام التي نحتوها
وقرنوا بها انفسهم وعبدوها طمعا في شفاعتها والانتفاع بها واستدفاع
المضار بمكانتها ويدل عليه قوله تع انكم وما تعبدون من دون الله حصب
جهنم عذبوا بما هو منشأ جرمهم كما عذب الكانزون بما كنزوه او بنقيضه كما كانوا
يتوقعون زيادة في تحرهم وقيل الذهب والفضة التي كانوا يكنزونهما و
يفتخرون بهما وعلى هذا لم يكن لتخصيص اعداد هذا النوع من [redacted] العذاب
بالكفار وجه وقيل حجارة الكبريت وهو تخصيص بغير دليل وابطال
للمقصود اذ الغرض تهويل شانها وتفاقم لهبها بحيث تتقد بما لا يتقد به
غيرها والكبريت يتقد به كل نار وان ضعفت فان صح هذا عن ابن عباس
رضه فلعله عنى به ان الاحجار كلها لتلك النار كحجارة الكبريت لسائر
النيران ولما كانت الاية مدنية نزلت بعدما نزل بمكة قوله في سورة التحريم
نارا وقودها الناس والحجارة وسمعوه بالمدينة صح تعريف النار ووقوع الجملة
صلة فانها يجب ان تكون قصة معلومة أعدت للكافرين هيئت لهم وجعلت
عدة لعذابهم وقرئ اعتدت من العتاد بمعنى العدة والجملة استيناف
او حال باضمار قد من النار لا من الضمير في وقودها وان جعلته مصدرا
للفصل بينهما بالخبر وفي الآيتين ما يدل على النبوة من وجوه الاول
ما فيهما من التحدي والتحريض على الجد وبذل الوسع في المعارضة بالتقريع
والتهديد وتعليق الوعيد على عدم الاتيان بما يعارض اقصر سورة
من سور القرآن ثم انهم مع كثرتهم واشتهارهم بالفصاحة
وتهالكهم على المضادة لم يتصدوا للمعارضة والتجاوا الى جلاء الوطن
وبذل المهج والثاني انهما تضمنتا الاخبار عن الغيب على ما هو به فانهم

لوعا

لو عارضوه بشيء لامتنع خفاؤه عادة سيما والطاعنون فيه اكثر من الذابين
عنه في كل عصر والثالث انه عليه السلام لو شك في امره لما دعاهم الى المعارضة
بهذه المبالغة مخافة ان يعارض فتدحض حجته وقوله تعالى اعدت للكافرين
دل على ان النار مخلوقة معدة لهم وبشر الذين آمنوا وعملوا الصالحات ان لهم
جنات عطف على الجملة السابقة والمقصود عطف حال من آمن بالقرآن
ووصف ثوابه على حال من كفر به وكيفية عقابه على ما جرت به العادة
الالهية من ان يشفع الترغيب بالترهيب تنشيطا لاكتساب ما ينجي وتثبيطا عن
اقتراف ما يردي لا عطف الفعل نفسه حتى يجب ان يطلب له ما يشاكله
من امر او نهي فيعطف عليه او على فاتقوا لانهم اذا لم يأتوا بما يعارضه
بعد التحدي ظهر اعجازه واذا ظهر ذلك فمن كفر به استوجب العقاب
ومن آمن به استحق الثواب وذلك يستدعي ان يخوف هؤلاء ويبشر
هؤلاء وانما امر الرسول عليه السلام او عالم كل عصر او كل احد يقدر
على البشارة بان يبشرهم ولم يخاطبهم بالبشارة كما خاطب الكفرة تفخيما
لشانهم وايذانا بانهم احقاء بان يبشروا ويهنؤا بما اعد لهم وقرئ
وبشر على البناء للمفعول عطفا على اعدت فيكون استينافا والبشارة الخبر
السار فانه يظهر اثر السرور في البشرة ولذلك قال الفقهاء البشارة
هو الخبر الاول حتى لو قال الرجل لعبيده من بشرني بقدوم ولدي
فهو حر فاخبروه فرادى عتق اولهم ولو قال من اخبرني عتقوا جميعا
واما قوله تعالى فبشرهم بعذاب اليم فهو على التهكم او على طريقة قوله
تحية بينهم ضرب وجيع والصالحات جمع صالحة وهي من الصفات الغالبة
التي تجري مجرى الاسماء كالحسنة قال الحطيئة كيف الهجاء وما تنفك
صالحة من آل لام بظهر الغيب تأتيني وهي من الاعمال ما سوغه
الشرع وحسنه وتأنيثها على تأويل الخصلة او الخلة واللام فيها
للجنس وعطف العمل على الايمان مرتبا الحكم عليهما اشعارا بان السبب
في استحقاق هذه البشارة مجموع الامرين والجمع بين الوصفين فان
الايمان الذي هو عبارة عن التحقيق والتصديق اس اي اساس والعمل
الصالح كالبناء عليه ولا غناء باس لا بناء عليه ولذلك قلما
ذكرا منفردين وفيه دليل على انها خارجة عن مسمى الايمان اذ الاصل
ان لا يعطف الشيء على نفسه ولا ما هو داخل فيه ان لهم منصوب
بنزع الخافض وافضاء الفعل اليه او مجرور باضماره مثل الله
لافعلن والجنة المرة من الجن وهو مصدر جنه اذا ستره ومدار التركيب

على الستر سمي بها الشجر المظلل لالتفاف اغصانه للمبالغة كانه يستر ما تحته سترة واحدة قال زهير كان عيني في غربي مقتلة من النواضح تسقي جنة سحقا اي نخلا طوالا ثم البستان لما فيه من الاشجار المتكاثفة المظللة ثم دار الثواب لما فيها من الجنان وقيل سميت بذلك لانه ستر في الدنيا ما اعد فيها للبشر من افنان النعم كما قال الله تع فلا تعلم نفس الاية وجمعها وتنكيرها لان الجنان على ما ذكره ابن عباس سبع جنة الفردوس وجنة عدن وجنة النعيم ودار الخلد وجنة المأوى ودار السلام وعليون وفي كل واحدة منها مراتب ودرجات متفاوتة على حسب تفاوت الاعمال والعمال واللام يدل على استحقاقهم اياها لاجل ما يترتب عليه من الايمان والعمل الصالح لا لذاته فانه لا يكافي النعم السابقة فضلا من ان يقتضي ثوابا وجزاء فيما يستقبل بل بجعل الشارع ومقتضى وعده ولا على الاطلاق بل بشرط ان يستمر عليه حتى يموت وهو مؤمن لقوله تعالى ومن يرتدد منكم عن دينه فيمت وهو كافر فاولئك حبطت اعمالهم وقوله تعالى لنبيه عليه السلام لئن اشركت ليحبطن عملك واشباه ذلك ولعله سبحانه لم يقيد ها هنا استغناء بها **تجري من تحتها الانهار** اي من تحت اشجارها كما تراها جارية تحت الاشجار النابتة على شواطئها وعن مسروق انهار الجنة تجري في غير اخدود واللام في الانهار للجنس كما في قولك لفلان بستان فيه الماء الجاري او للعهد والمعهود هي الانهار المذكورة في قوله تعالى فيها انهار من ماء غير آسن الاية والنهر بالفتح والسكون المجرى الواسع فوق الجدول ودون البحر كالنيل والفرات والتركيب للسعة والمراد بها ماؤها على الاضمار او المجاري انفسها واسناد الجري اليها مجاز كما في قوله تعالى واخرجت الارض اثقالها **كلما رزقوا منها من ثمرة رزقا قالوا هذا الذي رزقنا** صفة ثانية لجنات او خبر مبتدا محذوف او جملة مستانفة كانه لما قيل ان لهم جنات وقع في خلد السامع اثمارها مثل ثمار الدنيا او اجناس اخر فازيح بذلك وكلما نصب على الظرفية ورزقا مفعول به ومن الاولى والثانية للابتداء واقعتان موقع الحال واصل الكلام ومعناه كل حين رزقوا مرزوقا مبتدا من الجنات مبتدا من ثمرة قيد الرزق بكونه مبتدا من الجنات وابتداؤه منها بابتدائه من ثمرة فصاحب الحال الاولى رزقا وصاحب الحال الثانية ضميره المستكن في الحال ويحتمل ان يكون من ثمرة بيانا تقدم كما في قولك رايت منك

اسدا وهذا اشارة الى نوع ما رزقوا كقولك مبتدا مشيرا الى نهر جار هذا الماء لا ينقطع فانك لا تعني به العين المشاهد منه بل النوع المعلوم المستمر بتعاقب جريانه وان كانت الاشارة الى عينه فالمعنى هذا مثل الذي رزقناه ولكن لما استحكم الشبه بينهما جعل ذاته كقولك ابو يوسف ابو حنيفة من قبل اي من قبل هذا في الدنيا جعل ثمر الجنة من جنس ثمر الدنيا لتميل النفس اليه اول ما رات فان الطباع مائلة الى المالوف متنفرة عن غيره وتتبين لها مزيته وكنه النعمة فيه اذ لو كان جنسا لم يعهد ظن انه لا يكون الا كذلك او في الجنة لان طعامها متشابه الصورة كما حكي عن الحسن ان احدهم يؤتى بالصحفة فياكل منها ثم يؤتى باخرى فيراها مثل الاولى فيقول ذلك فتقول الملائكة كل فاللون واحد والطعم مختلف وكما روي انه عليه السلام قال والذي نفسي بيده ان الرجل من اهل الجنة ليتناول الثمرة لياكلها فما هي واصلة الى فيه حتى يبدل الله تع مكانها مثلها فلعلهم اذا راوها على الهيئة الاولى قالوا ذلك والاول اظهر لمحافظته على عموم كلما فانه يدل على ترديدهم هذا القول كل مرة رزقوا والداعي لهم الى ذلك فرط استغرابهم وتبجحهم بما وجدوا من التفاوت العظيم في اللذة والتشابه البليغ في الصورة **واتوا به متشابها** اعتراض يقرر ذلك والضمير على الاول راجع الى ما رزقوا في الدارين فانه مدلول عليه بقوله هذا الذي رزقنا من قبل ونظيره قوله تعالى ان يكن غنيا او فقيرا فالله اولى بهما اي بجنسي الغني والفقير وعلى الثاني الى الرزق فان قيل التشابه هو التماثل في الصفة وهو مفقود بين ثمرات الدنيا والاخرة كما قال ابن عباس رضي الله عنهما ليس في الجنة من اطعمة الدنيا الا الاسماء قلت التشابه بينهما حاصل في الصورة التي هي مناط الاسم واللون دون المقدار والطعم وهو كاف في اطلاق التشابه بينهما هذا وان في الاية محملا آخر وهو ان مستلذات اهل الجنة في مقابلة ما رزقوا في الدنيا من المعارف والطاعات متفاوتة في اللذة بحسب تفاوتها فيحتمل ان يكون المراد من هذا الذي رزقنا انه ثوابه ومن تشابههما تماثلهما في الشرف والمزية وعلو الطبقة فيكون هذا في الوعد نظير قوله تعالى ذوقوا ما كنتم تعملون في الوعيد **ولهم فيها ازواج مطهرة** مما يستقذر من النساء ويذم من احوالهن كالحيض والدرن ودنس الطبع وسوء الخلق فان التطهير يستعمل في الاجسام والاخلاق والافعال وقرئ مطهرات وهما لغتان فصيحتان يقال النساء فعلت وفعلن وهن فاعلة وفواعل قال واذا العذارى بالدخان تقنعت واستعجلت نصب القدور فملت فالجمع على اللفظ والافراد على تاويل الجماعة ومطهرة بتشديد الطاء وكسر الهاء بمعنى

منطهرة ومطهرة ابلغ من طاهرة ومتطهرة للاشعار بان مطهرا طهرهن و
ليس هو الا الله والزوج يقال للذكر والانثى وهو في الاصل لما له قرين
من جنسه كزوج الخف فان قيل فائدة المطعوم هو التغذي ودفع ضرر الجوع
وفائدة المنكوح التوالد وحفظ النوع وهي مستغنى عنها في الجنة قلت مطاعم
الجنة ومناكحها وسائر احوالها انما تشارك نظائرها الدنيوية في بعض الصفات
والاعتبارات وتسمى باسمائها على سبيل الاستعارة والتمثيل ولا تشاركها
في تمام حقيقتها حتى تستلزم جميع ما يلزمها وتفيد عين فائدتها وهم فيها خالدون
دائمون والخلد والخلود في الاصل الثبات المديد دام او لم يدم ولذلك قيل للاثافي
والاحجار خوالد وللجزء الذي يبقى من الانسان على حاله ما دام حيا خلد ولو كان
وضعه للدوام كان التقييد بالتابيد في قوله تعالى خالدين فيها ابدا لغوا و
استعماله حيث لا دوام كقولهم وقف مخلد يوجب اشتراكا او مجازا والاصل
ينفيهما بخلاف ما لو وضع للاعم منه فاستعمل فيه بذلك الاعتبار كاطلاق
الجسم على الانسان مثل قوله تعالى وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد لكن المراد
به الدوام ههنا عند الجمهور لما يشهد له من الايات والسنن فان قيل الابدان
مركبة من اجزاء متضادة الكيفية معرضة للاستحالات المؤدية الى الانفكاك
والانحلال فكيف يعقل خلودها في الجنان قلت انه تعالى يعيدها بحيث لا يعتورها
الاستحالة بان يجعل اجزاءها مثلا متقاومة في الكيفية متساوية في القوة لا يقوى
شيء منها على احالة الاخر متعانقة متلازمة لا ينفك بعضها عن بعض كما
نشاهد في بعض المعادن هذا وان قياس ذلك العالم واحواله على ما نجده ونشاهده
من نقص العقل وضعف البصيرة واعلم انه لما كان معظم اللذات الحسية مقصورا على
المساكن والمطاعم والمناكح على ما دل عليه الاستقراء وكان ملاك ذلك كله الثبات والدوام
فان كل نعمة جليلة اذا قارنها خوف الزوال كانت منغصة غير صافية من شوائب الالم بشر المؤمنين بها
ومثل ما اعد لهم في الاخرة بابهى ما يستلذ به منها وازال عنهم خوف الفوات والزوال
بوعد الخلود ليدل على كمالهم في التنعم والسرور ان الله لا يستحيي ان يضرب
مثلا ما بعوضة لما كانت الايات السابقة متضمنة لانواع من التمثيل عقب
ذلك ببيان حسنه وما هو الحق له والشرط فيه وهو ان يكون على وفق الممثل
له من الجهة التي يتعلق بها التمثيل في العظم والصغر والخسة والشرف دون الممثل
فان التمثيل انما يصار اليه لكشف المعنى الممثل له ورفع الحجاب عنه وابرازه في صورة
المشاهد المحسوس ليساعد فيه الوهم العقل ويصالحه عليه فان المعنى الصرف
انما يدركه العقل مع منازعة من الوهم لان من طبعه الميل الى الحس وحب المحاكاة
ولذلك شاعت الامثال في الكتب الالهية وفشت في عبارات البلغاء واشارات

الحكماء

الحكماء فيمثل الحقير كما يمثل العظيم بالعظيم وان كان الممثل اعظم من كل
عظيم كما مثل في الانجيل غل الصدر بالنخالة والقلوب القاسية بالحصاة ومخاطبة
السفهاء باثارة الزنابير وجاء في كلام العرب اسمع من قراد واطيش
من فراشة واعز من مخ البعوض لا ما قالت الجهلة من الكفار لما مثل
الله تعالى حال المنافقين بحال المستوقدين واصحاب الصيب وعبادة الاصنام
في الوهن والضعف ببيت العنكبوت وجعلها اقل من الذباب واخس
قدرا منه الله اعلى واجل من ان يضرب الامثال ويذكر الذباب
والعنكبوت وايضا لما ارشدهم الى ما يدل على ان المتحدى به وحي
منزل ورتب عليه وعيد من كفر به ووعد من آمن به بعد ظهور امره شرع
في جواب ما طعنوا فيه فقال ان الله لا يستحيي اي لا يترك ضرب المثل
بالبعوضة ترك من يستحيي ان يمثل بها لحقارتها والحياء انقباض النفس
عن القبيح مخافة الذم وهو الوسط بين الوقاحة التي هي الجراءة على القبائح
وعدم المبالاة بها والخجل الذي هو انحصار النفس عن الفعل مطلقا واشتقاقه
من الحياة فانه انكسار يعتري القوة الحيوانية فيردها عن افعالها فقيل
حيي الرجل كما قيل نسي وحشي اذا اعتلت نساه وحشاه واذا وصف به
الباري تعالى كما جاء في الحديث ان الله يستحيي من ذي الشيبة المسلم ان
يعذبه ان الله حيي كريم يستحيي اذا رفع العبد يديه ان يردهما صفرا
حتى يضع فيهما خيرا فالمراد به الترك اللازم للانقباض كما ان المراد
من رحمته وغضبه اصابة المعروف والمكروه اللازمين لمعنييهما ونظيره
قول من يصف ابلا اذا ما استحيين الماء يعرض نفسه كرعن بسبت في اناء
من الورد وانما عدل به عن الترك لما فيه من التمثيل والمبالغة ويحتمل الاية
خاصة ان يكون مجيئه على المقابلة لما وقع في كلام الكفرة وضرب المثل اعتماده
من ضرب الخاتم واصله وقع الشيء على آخر وان بصلتها مخفوض المحل عند
الخليل باضمار من منصوب بافضاء الفعل اليه بعد حذفها عند سيبويه
وما ابهامية تزيد النكرة ابهاما وشياعا وتسد عنها طرق التقييد كقولك
اعطني كتابا اي كتاب كان او مزيدة للتاكيد كالتي في قوله فبما رحمة
من الله ولا نعني بالمزيد اللغو الضائع فان القران كله هدى وبيان
بل ما لم يوضع لمعنى يراد منه وانما وضعت لان تذكر مع غيرها
فتفيد له وثاقة وقوة وهو زيادة في الهدى غير قادح فيه وبعوضة
عطف بيان لمثلا او مفعول ليضرب ومثلا حال تقدمت عليه
لانها نكرة او هما مفعولاه لتضمنه معنى الجعل وقرئت بالرفع على انه

على انه خبر مبتدا وعلى هذا يحتمل ما وجوها اخر ان يكون موصولة
حذف صدر صلتها كما حذف في قوله تعالى تماما على الذي احسن وموصوفة
بصفة كذلك ومحلها النصب بالبدلية على الوجهين واستفهامية هي المبتداء
كانه لما رد استبعادهم ضرب الله الامثال قال بعده ما البعوضة فما فوقها حتى
لا يضرب به المثل بل له ان يمثل بما هو احقر من ذلك ونظيره فلان
لا يبالي بما يهب ما دينار وما ديناران والبعوض فعول من البعض وهو القطع
كالبضع والعضب غلب على هذا النوع كالخموش فما فوقها عطف على بعوضة
او ما ان جعلتا اسما ومعناه ما زاد عليها في الجثة كالذباب والعنكبوت
كانه قصد به رد ما استنكروه ومعناه انه لا يستحيي ضرب المثل بالبعوض
فضلا عما هو اكبر منه او في المعنى الذي جعلت فيه مثلا وهو الصغر و
الحقارة كجناحها فانه عليه السلام ضربه مثلا للدنيا ونظيره في الاحتمالين
ما روي ان رجلا بمنى خر على طنب فسطاط فقالت عائشة سمعت
رسول الله عليه السلام يقول ما من مسلم يشاك شوكة فما فوقها الا كتب
له بها درجة ومحيت عنه بها خطيئة فانه يحتمل ما تجاوز الشوكة في الالم
كالخرور او ما زاد عليها في القلة كنخبة النملة في قوله عليه السلام ما اصاب
المسلمين مكروه فهو كفارة لخطاياه حتى نخبة النملة فاما الذين امنوا فيعلمون
انه الحق من ربهم اما حرف [redacted] يفصل ما اجمل ويؤكد ما به صدر ويتضمن
معنى الشرط ولذلك يجاب بالفاء قال سيبويه اما زيد فذاهب معناه مهما يكن
من شيء فزيد ذاهب اي هو ذاهب لا محالة وانه منه عزيمة وكان الاصل دخول
الفاء على الجملة لانها الجزاء لكن كرهوا ايلاءها حرف الشرط فادخلوا الخبر
وعوضوا المبتداء عن الشرط لفظا وفي تصدير الجملتين به احماد لامر
المؤمنين واعتداد بعلمهم وذم بليغ للكافرين على قولهم والضمير
في انه للمثل او لان يضرب والحق الثابت الذي لا يسوغ انكاره يعم
الاعيان الثابتة والافعال الصائبة والاقوال الصادقة من قولهم
حق الامر اذا ثبت ومنه ثوب محقق محكم النسج واما الذين
كفروا فيقولون كان من حقه واما الذين كفروا فلا يعلمون ليطابق
قرينه ويقابل قسيمه لكن لما كان قولهم هذا دليلا واضحا على كمال
جهلهم عدل اليه على سبيل الكناية ليكون كالبرهان عليه ماذا اراد الله
بهذا مثلا يحتمل وجهين احدهما ان يكون ما استفهامية وذا بمعنى
الذي وما بعده صلته والمجموع خبر ما وان يكون ما مع ذا اسما
واحدا بمعنى اي شيء منصوب المحل على المفعولية مثل ما اراد الله

والاحسن

والاحسن في جوابه الرفع على الاول والنصب على الثاني ليطابق
الجواب السؤال والارادة نزوع النفس وميلها الى الفعل بحيث
يحملها عليه ويقال للقوة التي هي مبدا النزوع والاول مع الفعل
والثاني قبله وكلا المعنيين غير متصور اتصاف الباري تعالى
به ولذلك اختلف في معنى ارادته تعالى [redacted] لا فعاله
انه غير ساه ولا مكره ولافعال غيره امره بها فعلى هذا لم
تكن المعاصي بارادته وقيل علمه باشتمال الامر على النظام الاكمل
والوجه الاصلح فانه يدعو القادر الى تحصيله والحق انه ترجيح
احد مقدوريه على الاخر وتخصيصه بوجه دون وجه او معنى
يوجب هذا الترجيح وهي اعم من الاختيار فانه ميل مع
تفضيل وفي هذا استحقار واسترذال ومثلا نصب على التمييز او الحال
كقوله تعالى هذه ناقة الله لكم اية يضل به كثيرا ويهدي
به كثيرا جواب لماذا اي اضلال كثير واهداء كثير وضع الفعل
موضع المصدر للاشعار بالحدوث والتجدد او بيان للجملتين المصدرتين
باما وتسجيل بان العلم بكونه حقا هدى وبيان وان
الجهل بوجه ايراده والانكار لحسن مورده ضلال
وفسوق وكثرة كل واحد من القبيلين بالنظر الى
انفسهم لا بالقياس الى مقابليهم فان المهديين قليلون بالاضافة
الى اهل الضلال كما قال تعالى وقليل من عبادي الشكور ويحتمل
ان يكون كثرة الضالين من حيث العدد وكثرة المهديين باعتبار
الفضل والشرف كما قال قليل اذا عدوا كثير اذا شدوا وقال
ان الكرام كثير في البلاد وان قلوا كما غيرهم قل وان كثروا
وما يضل به الا الفاسقين اي الخارجين عن حد الايمان كقوله
تعالى ان المنافقين هم الفاسقون من قولهم فسقت الرطبة عن
قشرها اذا خرجت واصل الفسق الخروج عن القصد قال رؤبة
فواسقا عن قصدها جوائرا والفاسق في الشرع الخارج عن
امر الله تعالى بارتكاب الكبيرة وله درجات ثلث الاولى
التغابي وهو ان يرتكبها احيانا مستقبحا اياها والثانية
الانهماك وهو ان يعتاد ارتكابها غير مبال بها والثالثة
الجحود وهو ان يرتكبها مستصوبا اياها فاذا شارف
هذا المقام وتخطى خططه خلع ربقة الايمان من عنقه ولا

الكفر وما دام هو في درجة التغابي والانهماك فلا يسلب
عنه اسم المؤمن لاتصافه بالتصديق الذي هو مسمى الايمان
ولقوله تعالى وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا والمعتزلة
لما قالوا الايمان عبارة عن مجموع التصديق والاقرار والعمل
والكفر تكذيب الحق وجحوده جعلوه قسما ثالثا نازلا
بين منزلتي المؤمن والكافر لمشاركته كل واحد
منهما في بعض الاحكام وتخصيص الاضلال بهم مرتبا
على صفة الفسق يدل على انه الذي اعدهم للاضلال وادى
بهم الى الضلال به وذلك لان كفرهم وعدولهم عن
الحق واصرارهم على الباطل صرفت وجوه افكارهم عن حكمة
المثل الى حقارة الممثل به حتى رسخت به جهالتهم وازدادت
به ضلالتهم فانكروه واستهزؤا به وقرئ يضل على البناء
للمفعول والفاسقون بالرفع الذين ينقضون عهد الله
صفة للفاسقين للذم وتقرير للفسق والنقض فسخ التركيب
واصله في طاقات الحبل واستعماله في ابطال العهد من حيث
ان العهد يستعار له الحبل لما فيه من ربط احد المتعاهدين
بالآخر فان اطلق مع لفظ الحبل كان ترشيحا للمجاز
وان ذكر مع العهد كان رمزا الى ما هو من روادفه وهو ان
العهد حبل في اثبات الوصلة بين المتعاهدين كقولك
شجاع يفترس اقرانه وعالم يغترف منه الناس فان فيه
تنبيها على انه اسد في شجاعته وبحر بالنظر الى افادته
والعهد الموثق ووضعه لما من شانه ان يراعى ويتعهد كالوصية
واليمين ويقال للدار من حيث انها تراعى بالرجوع اليها وللتاريخ
لانه يحفظ وهذا العهد اما العهد المأخوذ بالعقل وهو الحجة القائمة
على عباده الدالة على توحيده ووجوب وجوده وصدق رسوله
وعليه أول قوله تعالى واشهدهم على انفسهم او المأخوذ
بالرسل على الامم بانهم اذا بعث اليهم رسول مصدق
بالمعجزات صدقوه واتبعوه ولم يكتموا امره ولم يخالفوا حكمه
واليه اشار بقوله تعالى واذ اخذ الله ميثاق الذين

واذ اخذ الله ميثاق النبيين او في الكتاب ونظائره وقيل عهود الله ثلثة عهد اخذه
على جميع ذرية آدم بان يقروا بربوبيته وعهد اخذه على النبيين بان يقيموا الدين
ولا يتفرقوا فيه وعهد اخذه على العلماء بان يبينوا الحق ولا يكتموه من بعد ميثاقه
الضمير للعهد والميثاق اسم لما تقع به الوثاقة وهي الاحكام والمراد به ما وثق الله به عهده
من الآيات والكتب او ما وثقوه به من الالتزام والقبول ويحتمل ان يكون بمعنى المصدر
ومن للابتداء فان ابتداء النقض بعد الميثاق ويقطعون ما امر الله به ان يوصل
يحتمل كل قطيعة لا يرضاها الله تعالى كقطع الرحم والاعراض عن موالاة المؤمنين
والتفرقة بين الانبياء عليهم السلام والكتب في التصديق وترك الجماعات المفروضة
وساير ما فيه رفض خير او تعاطي شر فانه يقطع الوصلة بين الله وبين العبد المقصودة
بالذات من كل وصل وفصل والامر هو القول الطالب للفعل وقيل مع العلو وقيل
مع الاستعلاء وبه سمي الامر الذي هو واحد الامور تسمية للمفعول به بالمصدر فانه مما
يؤمر به كما قيل له شأن وهو الطلب والقصد يقال شأنت شأنه اذا قصدت
قصده وان يوصل يحتمل النصب والخفض على انه بدل من ما او ضميره والثاني احسن لفظا
ومعنى ويفسدون في الارض بالمنع عن الايمان والاستهزاء بالحق وقطع الوصل التي بها
نظام العالم وصلاحه اولئك هم الخاسرون الذين خسروا باهمال العقل عن النظر
واقتناص ما يفيدهم الحيوة الابدية واستبدال الانكار والطعن في الآيات بالايمان
بها والنظر في حقايقها والاقتباس من انوارها واشتراء النقض بالوفاء والفساد بالصلاح
والعقاب بالثواب كيف تكفرون بالله استخبار فيه انكار وتعجيب لكفرهم بانكار
الحال التي يقع عليها على الطريق البرهاني لان صدوره لا ينفك عن حال وصفة فاذا انكر
ان يكون لكفرهم حال يوجد عليها استلزم ذلك انكار وجوده فهو ابلغ واقوى في انكار الكفر
من أتكفرون واوفق لما بعده من الحال والخطاب مع الذين كفروا لما وصفهم بالكفر وسوء
المقال وخبث الفعال خاطبهم على طريقة الالتفات ووبخهم على كفرهم مع علمهم بحالهم
المقتضية خلاف ذلك والمعنى اخبروني على اي حال تكفرون وكنتم امواتا اي اجساما
لا حيوة لها عناصر واغذية واخلاطا ونطفا ومضغا مخلقة وغير مخلقة فاحياكم
بخلق الارواح ونفخها فيكم وانما عطفه بالفاء لانه متصل بما عطف عليه غير متراخ عنه
بخلاف البواقي ثم يميتكم عند تقضي آجالكم ثم يحييكم بالنشور يوم ينفخ
في الصور او للسؤال في القبور ثم اليه ترجعون بعد الحشر فيجازيكم باعمالكم او تنشرون
اليه من قبوركم للحساب فما اعجب كفركم مع علمكم بحالكم هذه فان قيل ان علموا انهم
كانوا امواتا فاحياهم ثم يميتهم لم يعلموا انه يحييهم ثم اليه يرجعون قلت تمكنهم من العلم
بهما لما نصب لهم من الدلائل منزل منزلة علمهم في ازاحة العذر سيما وفي الآية تنبيه
على ما يدل على صحتهما وهو انه تعالى لما قدر على احيائهم اولا قدر على ان يحييهم ثانيا فان

بل الخلق ليس بأهون عليه من إعادته أو مع القبيلين فإنه سبحانه لما بين دلائل التوحيد
والنبوة ووعدهم على الإيمان وأوعد على الكفر أكد ذلك بأن عدد عليهم النعم العامة
والخاصة واستقبح صدور الكفر منهم واستبعده عنهم مع تلك النعم الجليلة فإن عظم النعمة
يوجب عظم معصية المنعم فإن قيل كيف تعد الإماتة من النعم المقتضية للشكر قلت
لما كانت وصلة إلى الحياة الثانية التي هي الحياة الحقيقية كما قال وإن الدار الآخرة لهي الحيوان
كانت من النعم العظيمة مع أن المعدود عليهم نعمة هو المعنى المنتزع من القصة بأسرها كما أن
الواقع حالا هو العلم بها لا كل واحدة من الجمل فإن بعضها ماض وبعضها مستقبل وكلاهما
لا يصح أن يقع حالا أو مع المؤمنين خاصة لتقرير المنة عليهم وتبعيد الكفر عنهم على معنى كيف يتصور
منكم الكفر وكنتم أمواتا أي جهالا فأحياكم بما أفادكم من العلم والإيمان ثم يميتكم الموت
المعروف ثم يحييكم الحياة الحقيقية ثم إليه ترجعون فيثيبكم بما لا عين رأت ولا أذن سمعت
ولا خطر على قلب بشر والحياة حقيقة في القوة الحساسة أو ما يقتضيها وبها سمي الحيوان حيوانا
مجاز في القوة النامية لأنها من طلائعها ومقدماتها وفيما يخص الإنسان من الفضائل
كالعقل والعلم والإيمان من حيث إنها كمالها وغايتها والموت بإزائها يقال على ما يقابلها في كل
مرتبة كما قال الله تعالى قل الله يحييكم ثم يميتكم وقال اعلموا أن الله يحيي الأرض بعد موتها وقال
أو من كان ميتا فأحييناه وجعلنا له نورا يمشي به في الناس وإذا وصف به الباري تعالى أريد
بها صحة اتصافه بالعلم والقدرة اللازمة لهذه القوة فينا أو معنى قائم بذاته يقتضي ذلك على
الاستعارة وقرأ يعقوب ترجعون بفتح التاء في جميع القرآن هو الذي خلق لكم ما في الأرض
جميعا بيان نعمة أخرى مرتبة على الأولى فإنها خلقهم أحياء قادرين مرة بعد أخرى وهذه
خلق ما يتوقف عليه بقاؤهم وتم به معاشهم ومعنى لكم لأجلكم وانتفاعكم في دنياكم
باستنفاعكم بها في مصالح أبدانكم بوسط أو بغير وسط ودينكم بالاستدلال والاعتبار
والتعرف لما يلائمها من لذات الآخرة وآلامها لا على وجه الغرض فإن الفاعل لغرض مستكمل به
بل على أنه كالغرض من حيث إنه عاقبة الفعل ومؤداه وهو يقتضي إباحة الأشياء النافعة
ولا يمنع اختصاص بعضها ببعض لأسباب عارضة فإنه يدل على أن الكل للكل لا أن كل
واحد لكل واحد وما يعم كل ما في الأرض إلا إذا أريد بها جهة السفل كما يراد
بالسماء جهة العلو وجميعا حال من الموصول الثاني ثم استوى إلى السماء قصد إليها بإرادته
من قولهم استوى إليه كالسهم المرسل إذا قصده قصدا مستويا من غير أن يلوي على شيء
وأصل الاستواء طلب السواء وإطلاقه على الاعتدال لما فيه من تسوية وضع الأجزاء ولا
يمكن حمله عليه لأنه من خواص الأجسام وقيل استولى وملك قال قد استوى
بشر على العراق من غير سيف ودم مهراق والأول أوفق للأصل والصلة المعدى بها
والتسوية المرتبة عليه بالفاء والمراد بالسماء هذه الأجرام العلوية أو جهات العلو وثم
لعله لتفاوت ما بين الخلقين وفضل خلق السماء على خلق الأرض كقوله ثم كان من الذين آمنوا

لا للتراخي في الوقت فإنه يخالف ظاهر قوله تعالى والأرض بعد ذلك دحاها فإنه يدل على تأخر
دحو الأرض المتقدم على خلق ما فيها عن خلق السماء وتسويتها إلا أن يستأنف بدحاها مقدرا لنصب
الأرض فعلا آخر دل عليه أأنتم أشد خلقا مثل تعرف الأرض وتدبر أمرها بعد ذلك لكنه خلاف
الظاهر فسواهن عدلهن وخلقهن مصونة من العوج والفطور وهن ضمير السماء إن فسرت
بالأجرام لأنه جمع أو في معنى الجمع وإلا فمبهم يفسره ما بعده كقولهم ربه رجلا سبع سماوات بدل أو تفسير
فإن قيل أليس إن أصحاب الأرصاد أثبتوا تسعة أفلاك قلت فيما ذكروه شكوك وإن صح فليس
في الآية نفي الزائد مع أنه إن ضم إليها العرش والكرسي لم يبق خلاف وهو بكل شيء عليم فيه تعليل كأنه قال
ولكونه عالما بكنه الأشياء كلها خلق ما خلق على هذا النمط الأكمل والوجه الأنفع واستدلال بأن
من كان فعله على هذا النسق العجيب والترتيب الأنيق كان عليما فإن إتقان الأفعال وإحكامها
وتخصيصها بالوجه الأحسن الأنفع لا يتصور إلا من عالم حكيم رحيم وإزاحة لما يختلج في صدورهم
من أن الأبدان بعدما تفتتت وتبددت أجزاؤها واتصلت بما يشاكلها كيف تجمع أجزاء كل
بدن مرة ثانية بحيث لا يشذ شيء منها ولا ينضم إليها ما لم يكن معها فيعاد منها كما كان ونظيره
قوله تعالى وهو بكل خلق عليم واعلم أن صحة الحشر مبنية على ثلاث مقدمات وقد برهن عليها
في هاتين الآيتين أما الأولى فهي أن مواد الأبدان قابلة للجمع والحياة وأشار إلى البرهان عليها
بقوله وكنتم أمواتا فأحياكم ثم يميتكم فإن تعاقب الافتراق والاجتماع والموت والحياة عليها
يدل على أنها قابلة لها بذاتها وما بالذات يأبى أن يزول ويتغير وأما الثانية والثالثة فإنه عالم
بها وبمواقعها قادر على جمعها وإحيائها وأشار إلى وجه إثباتهما بأنه تعالى قادر على إبدائهم وإبداء
ما هو أعظم خلقا وأعجب صنعا فكان أقدر على إعادتهم وإحيائهم فإنه خلق ما خلق خلقا مستويا
محكما من غير تفاوت واختلال مراعى فيه مصالحهم وسد حاجاتهم وذلك دليل على
تناهي علمه وكمال حكمته جلت قدرته ودقت حكمته وقد سكن نافع وأبو عمرو والكسائي الهاء
من نحو فهو وهو تشبيها له بعضد وإذ قال ربك للملائكة إني جاعل في الأرض
خليفة تعداد لنعمة ثالثة تعم الناس كلهم فإن خلق آدم وإكرامه وتفضيله على ملائكته بأن
أمرهم بالسجود له إنعام يعم ذريته وإذ ظرف وضع لزمان نسبة ماضية وقع فيه أخرى كما وضع
إذا لزمان نسبة مستقبلة يقع فيه أخرى ولذلك يجب إضافتهما إلى الجمل كحيث في المكان وبنيتا
تشبيها بالموصولات واستعملتا للتعليل والمجازاة ومحلهما النصب أبدا بالظرفية فإنهما
من الظروف الغير المتصرفة لما ذكرناه وأما قوله واذكروا إذ كنتم قليلا واذكر أخا عاد إذ أنذر قومه بالأحقاف
ونحوه فعلى تأويل اذكر الحادث إذ كان كذا فحذف الحادث وأقيم الظرف مقامه وعامله
في الآية قالوا أو اذكر على التأويل المذكور لأنه جاء معمولا له صريحا في القرآن كثيرا أو مضمر دل
عليه مضمون الآية المتقدمة مثل وبدأ خلقكم إذ قال وعلى هذا فالجملة معطوفة على خلق لكم
داخلة في حكم الصلة وعن معمر أنه مزيد والملائكة جمع ملأك على الأصل كالشمائل جمع شمأل والتاء
لتأنيث الجمع وهو مقلوب مألك من الألوكة وهي الرسالة لأنهم وسائط بين الله وبين الناس

فهم رسل الله او كالرسل اليهم واختلف العقلاء في حقيقتهم بعد اتفاقهم على انها ذوات موجودة
قايمة بانفسها فذهب اكثر المسلمين الى انها اجسام لطيفة قادرة على التشكل باشكال مختلفة مستدلين
بان الرسل كانوا يرونهم كذلك وقالت طايفة من النصارى هي النفوس الفاضلة البشرية المفارقة
للابدان وزعم الحكماء انها جواهر مجردة مخالفة للنفوس الناطقة في الحقيقة منقسمة
الى قسمين قسم شانهم الاستغراق في معرفة الحق والتنزه عن الاشتغال بغيره كما وصفهم في
محكم تنزيله فقال يسبحون الليل والنهار لا يفترون وهم العليون والملايكة المقربون
وقسم يدبر الامر من السما الى الارض على ما سبق به القضاء وجرى به القلم الالهي
لا يعصون الله ما امرهم ويفعلون ما يؤمرون وهم المدبرات امرا فمنهم سماوية ومنهم
ارضية على تفصيل اثبته في كتاب الطوالع والمقول لهم الملايكة كلهم لعموم اللفظ وعدم المخصص
وقيل ملايكة الارض وقيل ابليس ومن كان معه في محاربة الجن فانه تعالى اسكنهم في الارض
اولا فافسدوا فيها فبعث اليهم ابليس في جند من الملايكة فدمرهم وفرقهم في الجزاير والجبال
وجاعل من جعل الذي له مفعولان وهما في الارض خليفة اعمل فيهما لانه بمعنى الاستقبال
ومعتمد على مسند اليه ويجوز ان يكون بمعنى خالق والخليفة من يخلف غيره وينوب منابه والهاء
للمبالغة والمراد به ادم عليه السلام لانه كان خليفة الله في الارض وكذلك كل نبي استخلفهم
في عمارة الارض وسياسة الناس وتكميل نفوسهم وتنفيذ امره فيهم لا لحاجة به تعالى الى من
ينوبه بل لقصور المستخلف عليه عن قبول فيضه وتلقي امره بغير وسط ولذلك لم يستنبئ ملكا كما
قال الله تعالى ولو جعلناه ملكا لجعلناه رجلا الا ترى ان الانبيا لما فاقت قوتهم واشتعلت
قريحتهم بحيث يكاد زيتها يضي ولو لم تمسسه نار ارسل اليهم الملايكة ومن كان اعلى رتبة
كلمه بلا واسطة كما كلم موسى عليه السلام في الميقات ومحمدا صلى الله عليه وسلم ليلة المعراج ونظير ذلك
في الطبيعة ان العظم لما عجز عن قبول الغذا من اللحم لما بينهما من التباعد جعل الباري تعالى
بحكمته بينهما الغضروف المناسب لهما ليأخذ من هذا ويعطي ذلك او خليفة من سكن الارض
قبله او هو وذريته لانهم يخلفون من قبلهم او يخلف بعضهم بعضا وافراد اللفظ اما للاستغناء
بذكره عن ذكر بنيه كما استغني بذكر ابي القبيلة في قولهم مضر وهاشم او على تاويل من
يخلفكم او خلفا يخلفكم وفايدة قوله هذا للملايكة تعليم المشاورة وتعظيم شان المجعول بان
بشر بوجوده سكان ملكوته ولقبه بالخليفة قبل خلقه واظهار فضله الراجح على ما فيه من
المفاسد بسؤالهم وجوابه وبيان ان الحكمة تقتضي ايجاد ما يغلب خيره فان ترك الخير الكثير
لاجل الشر القليل شر كثير الى غير ذلك قالوا اتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء تعجب
من ان يستخلف لعمارة الارض واصلاحها من يفسد فيها ويسفك الدماء او يستخلف مكان
اهل الطاعة اهل المعصية واستكشاف عما خفي عليهم من الحكمة التي بهرت تلك المفاسد و
الغتها واستخبار عما يرشدهم ويزيح شبهتهم كسؤال المتعلم معلمه عما يختلج في صدره وليس
باعتراض على الله ولا طعن في بني ادم على وجه الغيبة فانهم اعلى من ان يظن بهم ذلك لقوله تعالى

بل عباد مكرمون لا يسبقونه بالقول وهم بامره يعملون وانما عرفوا ذلك باخبار من الله تعالى
او تلق من اللوح او استنباط عما ركز في عقولهم ان العصمة من خواصهم او قياس لاحد
الثقلين على الاخر والسفك والسبك والسفح والشن انواع من الصب فالسفك يقال
في الدم والدمع والسبك في الجواهر المذابة والسفح في الصب من اعلى والشن في الصب
عن فم القربة ونحوها وكذلك السن وقرئ يسفك على البناء للمفعول فيكون الراجع
الى من سوا جعل موصولا او موصوفا محذوفا اي يسفك الدماء فيهم ونحن نسبح
بحمدك ونقدس لك حال مقررة لجهة الاشكال كقولك اتحسن الى اعدايك وانا الصديق
المحتاج والمعنى اتستخلف خليفة عصاة ونحن معصومون احقا بذلك والمقصود منه الاستفسار
عما رجحهم مع ما هو متوقع منهم على الملايكة المعصومين في الاستخلاف لا العجب والتفاخر و
كانهم علموا ان المجعول خليفة ذو ثلث قوى عليها مدار امره شهوية وغضبية تؤديان
الى الفساد وسفك الدماء وعقلية تدعوه الى المعرفة والطاعة ونظروا اليها مفردة وقالوا ما الحكمة
في استخلافه وهو باعتبار تينك القوتين لا تقتضي الحكمة ايجاده فضلا عن استخلافه واما باعتبار
القوة العقلية فنحن نقيم ما يتوقع منها سليما عن معارضة تلك المفاسد وغفلوا عن فضيلة كل
واحدة من القوتين اذا صارت مهذبة مطواعة للعقل متمرنة على الخير كالعفة والشجاعة
ومجاهدة الهوى والانصاف ولم يعلموا ان التركيب يفيد ما يقصر عنه الاحاد كالاحاطة بالجزيات
واستنباط الصناعات واستخراج منافع الكاينات من القوة الى الفعل التي هو المقصود من الاستخلاف
واليه اشار تعالى اجمالا بقوله قال اني اعلم ما لا تعلمون والتسبيح تبعيد الله عن السوء وكذلك
التقديس من سبح في الارض والماء وقدس في الارض اذا ذهب فيها وابعد ويقال
قدس اذا طهر لان مطهر الشي مبعد عن الاقذار وبحمدك في موضع الحال اي ملتبسين
بحمدك على ما الهمتنا معرفتك ووفقتنا لتسبيحك تداركوا به ما اوهم اسناد التسبيح الى انفسهم
ونقدس لك نطهر نفوسنا من الذنوب لاجلك كانهم قابلوا الفساد المفسر بالشرك عند قوم
بالتسبيح وسفك الدماء الذي هو اعظم الافعال الذميمة بتطهير النفس عن الاثام وقيل
نقدسك واللام مزيدة وعلم ادم الاسماء كلها اما بخلق علم ضروري بها فيه او القا في روعه
ولا يفتقر الى سابقة اصطلاح ليتسلسل والتعليم فعل يترتب عليه العلم غالبا ولذلك يقال علمته
فلم يتعلم وادم اسم اعجمي كازر وشالخ واشتقاقه من الادمة او الادمة بالفتح بمعنى الاسوة
او من اديم الارض لما روي عنه عليه السلام انه تعالى قبض قبضة من جميع الارض سهلها
وحزنها فخلق منها ادم ولذلك يأتي بنوه اخيافا او من الادم او الادمة بمعنى الالفة تعسف
كاشتقاق ادريس من الدرس ويعقوب من العقب وابليس من الابلاس والاسم باعتبار
الاشتقاق ما يكون علامة للشي ودليلا يرفعه الى الذهن من الالفاظ والصفات والافعال
واستعماله عرفا في اللفظ الموضوع لمعنى سواء كان مركبا او مفردا مخبرا عنه او خبرا او رابطة
بينهما واصطلاحا في المفرد الدال على معنى في نفسه غير مقترن باحد الازمنة الثلثة والمراد

في الآية اما الاول فلما ذكرنا وهو يستلزم الثاني لان العلم بالالفاظ من حيث الدلالة متوقف
على العلم بالمعاني والمعنى انه تعالى خلقه من اجزاء مختلفة وقوى متباينة مستعدا لادراك
انواع المدركات من المعقولات والمحسوسات والمتخيلات والموهومات والهمه معرفة
ذوات الاشياء وخواصها واسمائها واصول العلوم وقوانين الصناعات وكيفية آلاتها
ثم عرضهم على الملائكة الضمير فيه للمسميات المدلول عليها ضمنا اذ التقدير اسماء المسميات
فحذف المضاف اليه لدلالة المضاف عليه وعوض عنه اللام كقوله تعالى واشتعل الرأس شيبا لان
العرض للسؤال عن اسماء المعروضات فلا يكون المعروض نفس الاسماء سيما ان اريد به
الالفاظ والمراد به ذوات الاشياء او مدلولات الالفاظ وتذكيره لتغليب ما اشتمل عليه
من العقلاء وقرئ عرضهن وعرضها على معنى عرض مسمياتهن او مسمياتها فقال
انبئوني باسماء هؤلاء تبكيت لهم وتنبيه على عجزهم عن امر الخلافة فان التصرف
والتدبير واقامة المعدلة قبل تحقق المعرفة والوقوف على مراتب الاستعدادات
وقدر الحقوق محال وليس تكليفا ليكون من باب التكليف بالمحال والانباء اخبار
فيه اعلام ولذلك يجري مجرى كل واحد منهما ان كنتم صادقين في زعمكم انكم
احقاء بالخلافة لعصمتكم او ان خلقهم واستخلافهم وهذه صفتهم لا يليق بالحكيم وهو
وان لم يصرحوا به لكنه لازم مقالهم والتصديق كما يتطرق الى الكلام باعتبار
منطوقه قد يتطرق اليه بغرض ما يلزم مدلوله من الاخبار وبهذا الاعتبار يعتري
الانشاءات قالوا سبحانك لا علم لنا الا ما علمتنا اعتراف بالعجز والقصور واشعار
بان سؤالهم كان استفسارا ولم يكن اعتراضا وانه قد بان لهم ما خفي عليهم من
فضل الانسان والحكمة في خلقه واظهار لشكر نعمته بما عرفهم وكشف لهم ما اعتقل
عليهم ومراعاة للادب بتفويض العلم كله اليه وسبحان مصدر كغفران ولا يكاد يستعمل الا
مضافا منصوبا باضمار فعله كمعاذ الله وقد اجري علما للتسبيح بمعنى التنزيه على الشذوذ
في قوله سبحان من علقمة الفاخر وتصدير الكلام به اعتذار عن الاستفسار والجهل
بحقيقة الحال ولذلك جعل مفتاح التوبة فقال موسى عليه السلام سبحانك تبت اليك وقال
يونس عليه السلام سبحانك اني كنت من الظالمين انك انت العليم الذي لا يخفى عليه خافية
الحكيم المحكم لمبدعاته الذي لا يفعل الا ما فيه حكمة بالغة وانت فصل وقيل تاكيد
للكاف كما في قولك مررت بك انت وان لم يجز مررت بانت اذ التابع يسوغ فيه ما لا
يسوغ في المتبوع ولذلك جاز يا هذا الرجل ولم يجز يا الرجل وقيل مبتدأ خبره ما بعده
والجملة خبر ان قال يا آدم انبئهم اي اعلمهم وقرئ بقلب الهمزة ياء وحذفها بكسر الهاء فيهما
فلما انباهم باسمائهم قال الم اقل لكم اني اعلم غيب السموات والارض
واعلم ما تبدون وما كنتم تكتمون استحضار لقوله تعالى اني اعلم ما لا تعلمون لكنه
جاء به على وجه ابسط ليكون كالحجة عليه فانه تعالى لما علم ما خفي عليهم من امور السموات والارض

وما ظهر لهم من احوالهم الظاهرة والباطنة علم ما لا يعلمون وفيه تعريض بمعاتبتهم
على ترك الاولى وهو ان يتوقفوا مترصدين لان يبين لهم وقيل ما تبدون قولهم اتجعل
فيها من يفسد فيها وما تكتمون استبطانهم انهم احقاء بالخلافة وانه تعالى لا يخلق خلقا
افضل منهم وقيل ما اظهروا من الطاعة واسر منهم ابليس من المعصية والهمزة للانكار دخلت
حرف الجحد فافادت الاثبات والتقرير واعلم ان هذه الآيات تدل على شرف الانسان و
مزية العلم وفضله على العبادة وانه شرط في الخلافة بل العمدة فيها وان التعليم يصح اسناده
الى الله تعالى وان لم يصح اطلاق المعلم عليه لاختصاصه بمن يحترف به وان اللغات توقيفية
فان الاسماء تدل على الالفاظ بخصوص او عموم وتعليمها ظاهر في القائها على المتعلم مبينا له معانيها
وذلك يستدعي سابقة وضع والاصل ينفي ان يكون ذلك الوضع ممن كان قبل آدم فيكون
من الله تعالى وان مفهوم الحكمة زائد على مفهوم العلم والا لتكرر قوله انك انت العليم الحكيم وان
علوم الملائكة وكمالاتهم تقبل الزيادة والحكماء منعوا ذلك في الطبقة العليا منهم وحملوا عليه
قوله تعالى وما منا الا له مقام معلوم وان آدم افضل من هؤلاء الملائكة لانه اعلم منهم
والاعلم افضل لقوله تعالى قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون وانه تعالى يعلم الاشياء
قبل حدوثها واذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم لما انباهم بالاسماء وعلمهم ما لم يعلموا امرهم
بالسجود اعترافا بفضله واداء لحقه واعتذارا عما قالوا فيه وقيل امرهم به قبل ان يسوي خلقه
لقوله تعالى فاذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين امتحانا لهم واظهارا لفضله
والعاطف عطف الظرف على الظرف السابق ان نصبته بمضمر والا عطفه بما يقدر عاملا فيه
على الجملة المتقدمة بل القصة باسرها على القصة الاخرى وهي نعمة رابعة عدها عليهم
والسجود في الاصل تذلل مع تطامن قال الشاعر ترى الاكم فيه سجدا للحوافر وقال
وقلن له اسجد لليلى فاسجدا يعني البعير اذ طأطأ راسه وفي الشرع وضع الجبهة على قصد
العبادة والمامور به اما المعنى الشرعي فالمسجود له بالحقيقة هو الله تعالى وجعل آدم قبلة سجودهم
تفخيما لشانه او سببا لوجوبه وكانه تعالى لما خلقه بحيث يكون انموذجا للمبدعات كلها
بل الموجودات باسرها ونسخة لما في العالم الروحاني والجسماني وذريعة للملائكة الى استيفاء
ما قدر لهم من الكمالات ووصلة الى ظهور ما تباينوا فيه من المراتب والدرجات امرهم
بالسجود تذللا لما راوا فيه من عظيم قدرته وباهر آياته وشكرا لما انعم عليهم بواسطته
فاللام فيه كاللام في قول حسان اليس اول من صلى لقبلتكم واعرف الناس بالقرآن والسنن
او في قوله تعالى اقم الصلوة لدلوك الشمس واما المعنى اللغوي وهو التواضع لآدم تحية
وتعظيما له كسجود اخوة يوسف له او التذلل والانقياد بالسعي في تحصيل ما ينوط به معاشهم
ويتم به كمالهم والكلام في ان المامورين بالسجود الملائكة كلهم او طائفة منهم ما سبق
فسجدوا الا ابليس ابى واستكبر امتنع عما امر به استكبارا من ان يتخذه وصلة في
عبادة ربه او يعظمه ويتلقاه بالتحية او يخدمه ويسعى فيما فيه خيره وصلاحه

والاباء الامتناع باختيار والتكبر ان يرى الرجل نفسه اكبر من غيره والاستكبار طلب ذلك بالتشبع **وكان من الكافرين** اى فى علم الله تعالى او صار منهم باستقباحه امر الله اياه بالسجود لادم اعتقادا بانه افضل منه والافضل لا يحسن ان يؤمر بالتخضع للمفضول والتوسل به كما اشعر به قوله انا خير منه جوابا لقوله تعالى ما منعك ان تسجد لما خلقت بيدى استكبرت ام كنت من العالين لا بترك الواجب وحده والاية تدل على ان ادم افضل من الملائكة المامورين بالسجود له ولو من وجه وان ابليس كان من الملائكة والا لم يتناوله امرهم ولم يصح استثناؤه منهم ولا يرد على ذلك قوله تعالى الا ابليس كان من الجن لجواز ان يقال انه كان من الجن فعلا ومن الملائكة نوعا ولان ابن عباس روى ان من الملائكة ضربا يتوالدون يقال لهم الجن ومنهم ابليس ولمن زعم انه لم يكن من الملائكة ان يقول انه كان جنيا نشأ بين اظهر الملائكة وكان مغمورا بالالوف منهم فغلبوا عليه او الجن ايضا كانوا مامورين مع الملائكة لكنه استغنى بذكر الملائكة عن ذكرهم فانه اذا علم ان الاكابر مامورون بالتذلل لاحد والتوسل به علم ان الاصاغر ايضا مامورون به والضمير فى فسجدوا راجع الى القبيلين كانه قال فسجد المامورون بالسجود الا ابليس وان من الملائكة من ليس بمعصوم وان كان الغالب فيهم العصمة كما ان من الناس معصومين والغالب فيهم عدم العصمة ولعل ضربا من الملائكة لا تخالف الشياطين بالذات وانما يخالفهم بالعوارض والصفات كالبررة والفسقة من الانس والجن يشملهما وكان ابليس من هذا الصنف كما قاله ابن عباس فلذلك صح عليه التغير من حاله والهبوط عن محله كما اشار اليه بقوله عز وعلا الا ابليس كان من الجن ففسق عن امر ربه لا يقال كيف يصح ذلك والملائكة خلقت من نور والجن من نار لما روت عائشة انه عليه السلام قال خلقت الملائكة من النور وخلق الجن من مارج من نار لانه كالتمثيل لما ذكرنا فان المراد بالنور الجوهر المضئ والنار كذلك غير ان ضوءها مكدر مغمور بالدخان محذور عنه بسبب ما يصحبه من فرط الحرارة والاحراق فاذا صارت مهذبة مصفاة كانت محض نور ومتى نكصت عادت الحالة الاولى جذعة ولا تزال تتزايد حتى ينطفئ نورها ويبقى الدخان الصرف وهذا اشبه بالصواب واوفق للجمع بين النصوص والعلم عند الله تعالى ومن فوائد الاية استقباح الاستكبار وانه قد يفضى بصاحبه الى الكفر والحث على الائتمار لامره وترك الخوض فى سره وان الامر للوجوب وان الذى علم الله من حاله انه يتوفى على الكفر هو الكافر على الحقيقة اذ العبرة بالخواتيم وان كان بحكم الحال مؤمنا وهو الموافاة المنسوبة الى شيخنا ابى الحسن الاشعرى **وقلنا يا ادم اسكن انت وزوجك الجنة** السكنى من السكون لانها استقرار ولبث وانت تاكيد اكد به المستكن ليصح العطف عليه وانما لم يخاطبهما اولا تنبيها على انه المقصود بالحكم والمعطوف عليه تبع له

والجنة دار الثواب لان اللام للعهد ولا معهود غيرها ومن زعم انها لم تخلق بعد قال انها بستان كان بارض فلسطين او بين فارس وكرمان خلقه الله تعالى امتحانا لادم وحمل الاهباط على الانتقال منه الى ارض الهند كما فى قوله تعالى اهبطوا مصرا **وكلا منها رغدا** واسعا رافها صفة مصدر محذوف **حيث شئتما** اى مكان من الجنة شئتما وسع الامر عليهما ازاحة للعلة والعذر فى التناول من الشجرة المنهى عنها من بين اشجارها الفائتة للحصر **ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين** فيه مبالغات تعليق النهى بالقرب الذى هو من مقدمات التناول مبالغة فى تحريمه ووجوب الاجتناب عنه وتنبيها على ان القرب من الشئ يورث داعية وميلا ياخذ بمجامع القلب ويلهيه عما هو مقتضى العقل والشرع كما روى حبك الشئ يعمى ويصم فينبغى ان لا يحوما حول ما حرم عليهما مخافة ان يقعا فيه وجعله سببا لان يكونا من الظالمين الذين ظلموا انفسهم بارتكاب المعاصى او بنقص حظهما بالاتيان بما يخل بالكرامة والنعيم فان الفاء تفيد السببية سواء جعلته للعطف على النهى او الجواب عنه والشجرة هى الحنطة او الكرمة او التينة او شجرة من اكل منها احدث والاولى ان لا تعين من غير قاطع كما لم تعين فى الاية لعدم توقف ما هو المقصود عليه وقرئ بكسر الشين وتقربا بكسر التاء وهذى بالياء **فازلهما الشيطان عنها** اصدر زلتهما عن الشجرة وحملهما على الزلة بسببها ونظيره عن هذه فى قوله تعالى وما فعلته عن امرى او ازالهما عن الجنة بمعنى اذهبهما ويعضده قراءة حمزة فازالهما وهما متقاربان فى المعنى غير ان ازل يقتضى عثرة مع الزوال وازلاله قوله هل ادلك على شجرة الخلد وملك لا يبلى وقوله ما نهاكما ربكما عن هذه الشجرة الا ان تكونا ملكين او تكونا من الخالدين ومقاسمته اياهما بقوله انى لكما لمن الناصحين واختلف فى انه تمثل لهما فتقاولا بذلك او القاه اليهما على طريق الوسوسة وانه كيف توصل الى ازلالهما بعد ما قيل له اخرج منها فانك رجيم فقيل انه منع من الدخول على جهة التكرمة كما كان يدخل مع الملائكة ولم يمنع ان يدخل للوسوسة ابتلاء لادم وحوا وقيل قام عند الباب فناداهما وقيل تمثل بصورة دابة فدخل ولم تعرفه الخزنة وقيل دخل فى فم الحية حتى دخلت به وقيل ارسل بعض اتباعه فازلهما والعلم عند الله **فاخرجهما مما كانا فيه** اى من الكرامة والنعيم **وقلنا اهبطوا** خطاب لادم وحوا لقوله اهبطا منها جميعا وجمع الضمير لانهما اصلا الانس فكانهما الجنس كلهم او هما وابليس اخرج منها ثانيا بعد ما كان يدخلها للوسوسة او دخلها مسارقة او من السماء **بعضكم لبعض عدو** حال استغنى فيها عن الواو بالضمير والمعنى متعادين يبغى بعضكم على بعض بتضليله **ولكم فى الارض مستقر** موضع استقرار او استقرار **ومتاع** تمتع **الى حين** يريد به وقت الموت او القيامة **فتلقى ادم من ربه كلمات** استقبلها بالاخذ والقبول والعمل بها حين علمها وقرا ابن كثير بنصب ادم ورفع الكلمات على انها استقبلته وبلغته وهى قوله تعالى ربنا ظلمنا انفسنا الاية وقيل سبحانك

اللهم وبحمدك وتبارك اسمك وتعالى جدك لا اله الا انت ظلمت نفسي فاغفر لي انه
لا يغفر الذنوب الا انت وعن ابن عباس قال يا رب الم تخلقني بيدك قال بلى قال يا رب
الم تسكني جنتك قال بلى قال يا رب الم تنفخ في الروح من روحك قال بلى قال يا رب
ان تبت واصلحت اراجعي انت الى الجنة قال نعم واصل الكلمة الكلم وهو
التاثير المدرك باحدى الحاستين السمع والبصر كالكلام والجراحة **فتاب عليه**
رجع عليه بالرحمة وقبول التوبة وانما رتبه بالفاء على تلقي الكلمات لتضمنه معنى التوبة
وهو الاعتراف بالذنب والندم عليه والعزم على ان لا يعود اليه واكتفى بذكر آدم
لان حوا كانت تبعا له في الحكم ولذلك طوى ذكر النساء في القرآن والسنن **انه
هو التواب** الرجاع على عباده بالمغفرة او الذي يكثر اعانتهم على التوبة واصل
التوبة الرجوع فاذا وصف بها العبد كان رجوعا عن المعصية واذا وصف بها الباري
تعالى اريد بها الرجوع من العقوبة الى المغفرة **الرحيم** المبالغ في الرحمة وفي الجمع بين الوصفين
وعد للتائب بالاحسان مع العفو **قلنا اهبطوا منها جميعا** كرر للتاكيد او لاختلاف
المقصود فان الاول دل على ان هبوطهم الى دار بلية يتعادون فيها ولا يخلدون والثاني
اشعر بانهم اهبطوا للتكليف فمن اهتدى الهدى نجا ومن ضله هلك والتنبيه على ان مخافة
الاهباط المقترن باحد هذين الامرين وحدها
كافية للحازم ان تعوقه عن مخالفة حكم الله تعالى فكيف بالمقترن بهما ولكنه نسي ولم نجد له
عزما وان كل واحد منهما كفى به نكالا لمن اراد ان يذكر وقيل الاول من الجنة الى السماء
الدنيا والثاني منها الى الارض وهو كما ترى وجميعا حال في اللفظ تاكيد في المعنى
كانه قيل اهبطوا انتم اجمعون ولذلك لا يستدعي اجتماعهم على الهبوط في زمان
واحد كقولك جاؤوا جميعا **فاما ياتينكم مني هدى فمن تبع هداي فلا خوف
عليهم ولا هم يحزنون** الشرط الثاني مع جوابه جواب الشرط الاول وما مزيدة اكدت
به ان ولذلك حسن تاكيد الفعل بالنون وان لم يكن فيه معنى الطلب والمعنى ان ياتينكم
مني هدى بانزال او ارسال فمن تبعه منكم نجا وفاز وانما جيء بحرف الشك واتيان الهدى
كائن لانه محتمل في نفسه غير واجب عقلا وكرر لفظ الهدى ولم يضمر لانه اراد بالثاني
اعم من الاول وهو ما اتى به الرسل واقتضاه العقل اي فمن تبع ما اتاه مراعيا
فيه ما يشهد به العقل فلا خوف عليهم فضلا من ان يحل بهم مكروه ولا هم يفوت
عنهم محبوب فيحزنوا عليه فالخوف على المتوقع والحزن على الواقع نفى عنهم العقاب واثبت
لهم الثواب على آكد وجه وابلغه وقرئ هدي على لغة هذيل ولا خوف بالفتح **والذين
كفروا وكذبوا باياتنا اولئك اصحاب النار هم فيها خالدون** عطف على
فمن تبع الى آخره قسيم له كانه قال ومن لم يتبع بل كفروا بالله وكذبوا باياته او كفروا
بالآيات جنانا وكذبوا بها لسانا فيكون الفعلان متوجهين الى الجار والمجرور والآية في الاصل

العلامة الظاهرة وقيل للمصنوعات من حيث انها تدل على وجود الصانع وعلمه
وقدرته ولكل طائفة من كلمات القرآن المتميزة عن غيرها بفصل واشتقاقها من أي
لانها تبين أيا من أي او من أوى اليه واصلها أيية او أوية كتمرة فابدلت عينها
الفا على غير قياس او أيية او أوية كرمكة فاعلت او آيية كقائلة فحذفت الهمزة
تخفيفا والمراد باياتنا الآيات المنزلة او ما يعمها والمعقولة وقد تمسكت الحشوية بهذه القصة
على عدم عصمة الانبياء عليهم السلام من وجوه الاول ان آدم عليه السلام كان نبيا
وارتكب المنهي عنه والمرتكب له عاص والثاني انه جعل بارتكابه من الظالمين
والظالم ملعون لقوله الا لعنة الله على الظالمين والثالث انه تعالى اسند اليه العصيان
والغي فقال وعصى آدم ربه فغوى والرابع انه تعالى لقنه التوبة وهي الرجوع عن الذنب
والندم عليه والخامس اعترافه بانه خاسر لولا مغفرة الله اياه بقوله وان لم تغفر لنا و
ترحمنا لنكونن من الخاسرين والخاسر من يكون ذا كبيرة والسادس انه لو لم يذنب
لم يجر عليه ما جرى والجواب من وجوه الاول انه لم يكن نبيا حينئذ والمدعي
مطالب بالبيان والثاني ان النهي للتنزيه وانما سمي ظالما وخاسرا لانه ظلم نفسه وخسر حظه
بترك الاولى له واما اسناد الغي والعصيان اليه فسياتي الجواب عنه في موضعه ان شاء
الله تعالى وانما امر بالتوبة تلافيا لما فات عنه وجرى عليه ما جرى معاتبة له على ترك
الاولى ووفاء بما قاله للملائكة قبل خلقه والثالث انه فعله ناسيا لقوله فنسي ولم نجد
له عزما ولكنه عوتب بترك التحفظ عن اسباب النسيان ولعله وان حط عن الامة
لم يحط عن الانبياء لعظم قدرهم كما قال عليه السلام اشد الناس بلاء الانبياء ثم الاولياء
ثم الامثل فالامثل او ادى فعله الى ما جرى عليه على طريق السببية المقدرة دون المؤاخذة
كتناول السم على الجهل بشانه لا يقال انه باطل بقوله ما نهاكما ربكما وقاسمهما الآيتين
الآيتان لانه ليس فيهما ما يدل على ان تناوله حين ما قاله ابليس فلعل مقاله اورث
فيه ميلا طبيعيا ثم انه كف نفسه عنه مراعاة لحكم الله تعالى الى ان نسي ذلك وزال
المانع فحمله الطبع عليه والرابع انه عليه السلام اقدم عليه بسبب اجتهاد اخطا
فيه فانه ظن ان النهي للتنزيه او الاشارة الى عين تلك الشجرة فتناول من غيرها من نوعها
وكان المراد بها الاشارة الى النوع كما روي انه عليه السلام اخذ حريرا وذهبا بيده
وقال هذان حرامان على ذكور امتي حل لاناثها وانما جرى عليه ما جرى تعظيما لشان
الخطيئة ليجتنبها اولاده وفيها دلالة على ان الجنة مخلوقة وانها في جهة عالية وان
التوبة مقبولة وان متبع الهدى مامون العاقبة وان عذاب النار دائم والكافر فيه
مخلد وان غيره لا يخلد فيه بمفهوم قوله تعالى هم فيها خالدون واعلم انه سبحانه وتعالى لما ذكر
دلائل التوحيد والنبوة والمعاد وعقبها تعداد النعم العامة تقريرا لها وتاكيدا فانها من
حيث انها حوادث محكمة تدل على محدث حكيم له الخلق والامر وحده لا شريك له ومن حيث

ان الاخبار بها على ما هو مثبت في الكتب السابقة ممن لم يتعلمها ولم يمارس شيئا منها اخبار
بالغيب معجز يدل على نبوة المخبر عنها ومن حيث اشتمالها على خلق الانسان واصوله وما هو
اعظم من ذلك يدل على انه قادر على الاعادة كما كان قادرا على الابداء خاطبا اهل العلم
والكتاب منهم وامرهم ان يذكروا نعم الله عليهم ويوفوا بعهوده في اتباع الحق واقتفاء الحجج ليكونوا
اول من امن بمحمد وما انزل عليه فقال **يا بني اسرائيل** اي اولاد يعقوب والابن من البناء
لانه مبنى ابيه ولذلك ينسب المصنوع الى صانعه فيقال ابو الحرب وبنت فكر واسرائيل
لقب يعقوب عليه السلام ومعناه بالعبرية صفوة الله وقيل عبد الله وقرئ اسرائل بحذف
الياء واسرال بحذفهما واسرايل بقلب الهمزة ياء **اذكروا نعمتي التي انعمت عليكم**
اي بالتفكر فيها والقيام بشكرها وتقييد النعمة بهم لان الانسان غيور حسود بالطبع فاذا
نظر الى ما انعم الله على غيره حمله الغيرة والحسد على الكفران والسخط وان نظر الى ما انعم الله
به عليه حمله حب النعمة على الرضاء والشكر وقيل اراد بها ما انعم على ابائهم من الانجاء
من فرعون والغرق ومن العفو عن اتخاذ العجل وعليهم من ادراك زمن محمد صلعم و
قرئ اذكروا والاصل اذتكروا ونعمتي باسكان الياء واسقاطها درجا وهو مذهب من لا
يحرك الياء المكسور ما قبلها **واوفوا بعهدي** بالايمان والطاعة **اوف بعهدكم** بحسن
الاثابة والعهد يضاف الى المعاهِد والمعاهَد ولعل الاول مضاف الى الفاعل والثاني الى المفعول
فانه تعالى عهد اليهم بالايمان والعمل الصالح بنصب الدلائل وانزال الكتب ووعد لهم بالثواب
على حسناتهم وللوفاء بهما عرض عريض فاول مراتب الوفاء منا هو الاتيان بكلمتي الشهادة
ومن الله حقن الدم والمال واخرها منا الاستغراق في بحر التوحيد بحيث يغفل عن نفسه
فضلا عن غيره ومن الله الفوز باللقاء الدائم وما روي عن ابن عباس اوفوا بعهدي باتباع
محمد اوف بعهدكم في رفع الاصار والاغلال وعن غيره اوفوا باداء الفرائض وترك الكبائر
اوف بالمغفرة والثواب او اوفوا بالاستقامة على الطريق المستقيم اوف بالكرامة والنعيم المقيم
فبالنظر الى الوسائط وقيل كلاهما مضاف الى المفعول والمعنى اوفوا بما عاهدتموني من
الايمان والتزام الطاعة اوف بما عاهدتكم من حسن الاثابة وتفصيل العهدين في قوله تعالى
ولقد اخذ الله ميثاق بني اسرائيل الى قوله ولادخلنكم جنات وقرئ اوفّ بالتشديد للمبالغة
واياي فارهبون فيما تاتون وتذرون وخصوصا في نقض العهد وهو اكد في افادة التخصيص
من اياك نعبد لما فيه مع التقديم من تكرير المفعول والفاء الجزائية الدالة على تضمن الكلام معنى
الشرط كانه قيل ان كنتم راهبين شيئا فارهبون والرهبة خوف مع تحرز والاية متضمنة
للوعد والوعيد دالة على وجوب الشكر والوفاء بالعهود وان المؤمن ينبغي ان لا يخاف احدا
الا الله **وامنوا بما انزلت مصدقا لما معكم** افراد للايمان بالامر به والحث
عليه لانه المقصود والعمدة للوفاء بالعهود وتقييد المنزل بانه مصدق لما معهم من الكتب
الالهية من حيث انه نازل حسبما نعت فيها او مطابق لها في القصص والمواعيد والدعاء

الى التوحيد والامر بالعبادة والعدل بين الناس والنهي عن المعاصي والفواحش وفيما يخالفها
من جزئيات الاحكام بسبب تفاوت الاعصار في المصالح من حيث ان كل واحدة منها حق بالاضافة
الى زمانها مراعى فيه صلاح من خوطب بها حتى لو نزل المتقدم في ايام المتاخر لنزل على وفقه ولذلك
قال عليه السلام لو كان موسى حيا لما وسعه الا اتباعي تنبيه على ان اتباعها لا ينافي الايمان
به بل يوجبه ولذلك عرض بقوله **ولا تكونوا اول كافر به** بان الواجب ان تكونوا اول من
امن به ولانهم كانوا اهل النظر في معجزاته والعلم بشانه والمستفتحين به والمبشرين بزمانه
واول كافر وقع خبرا عن ضمير الجمع بتقدير اول فريق او فوج او بتاويل لا يكن كل واحد منكم اول كافر
به كقولك كسانا حلة فان قيل كيف نهوا عن التقدم في الكفر وقد سبقهم مشركو العرب قلت
المراد به التعريض لا الدلالة على ما نطق به الظاهر كقولك اما انا فلست بجاهل او ولا تكونوا اول
كافر من اهل الكتاب او ممن كفر بما معه فان من كفر بالقران فقد كفر بما يصدقه او مثل
من كفر من مشركي مكة واول افعل التفضيل لا فعل له وقيل اصله اوأل من وأل فابدلت
همزته واوا تخفيفا غير قياسي او أأول من آل فقلبت همزته واوا وادغمت **ولا تشتروا باياتي
ثمنا قليلا** ولا تستبدلوا بالايمان بها والاتباع لها حظوظ الدنيا فانها وان جلت قليلة
مسترذلة بالاضافة الى ما يفوت عنكم من حظوظ الاخرة بترك الايمان قيل كان لهم رياسة
في قومهم ورسوم وهدايا منهم فخافوا عليها لو اتبعوا رسول الله صلعم فاختاروها عليه وقيل
كانوا ياخذون الرشى فيحرفون الحق ويكتمونه **واياي فاتقون** بالايمان واتباع الحق والاعراض
عن الدنيا ولما كانت الاية السابقة مشتملة على ما هو كالمبادي لما في الاية الثانية فصلت
بالرهبة التي هي مقدمة التقوى ولان الخطاب بها لما عم العالم والمقلد امرهم بالرهبة
التي هي مبدا السلوك والخطاب بالثانية لما خص اهل العلم امرهم بالتقوى التي هي منتهاه
ولا تلبسوا الحق بالباطل عطف على ما قبله واللبس الخلط وقد يلزمه جعل الشيء مشتبها
بغيره والمعنى لا تخلطوا الحق المنزل بالباطل الذي تخترعونه وتكتبونه حتى لا يميز بينهما
او لا تجعلوا الحق ملتبسا بسبب خلط الباطل الذي تكتبونه في خلاله او تذكرونه في تاويله
وتكتموا الحق جزم داخل تحت حكم النهي كانهم امروا بالايمان وترك الضلال
ونهوا عن الاضلال بالتلبيس على من سمع الحق والاخفاء على من لم يسمعه او نصب باضمار ان
على ان الواو للجمع اي لا تجمعوا لبس الحق بالباطل وكتمانه ويعضده انه في مصحف ابن مسعود
وتكتمون [illegible] بمعنى كاتمين وفيه اشعار بان استقباح اللبس لما يصحبه من كتمان
الحق **وانتم تعلمون** عالمين بانكم لابسون كاتمون فانه اقبح اذ الجاهل قد يعذر
واقيموا الصلوة واتوا الزكوة يعني صلوة المسلمين وزكوتهم فان غيرهما كلا صلوة
ولا زكوة امرهم بفروع الاسلام بعدما امرهم باصوله وفيه دليل على ان الكفار مخاطبون
بها والزكوة من زكى الزرع اذا نمى فان اخراجها يستجلب بركة في المال ويثمر للنفس
فضيلة الكرم او من الزكاء بمعنى الطهارة فانها تطهر المال من الخبث والنفس من البخل

واركعوا مع الراكعين اى فى جماعتهم فان صلوة الجماعة تفضل صلوة الفذ بسبع
وعشرين درجة لما فيها من تظاهر النفوس وعبر عن الصلوة بالركوع احترازا عن صلوة
اليهود وقيل الركوع الخضوع والانقياد لما يلزمهم الشارع قال الاضبط السعدى
لا تذل الضعيف علك ان تركع يوما والدهر قد رفعه اتامرون الناس بالبر
تقرير مع توبيخ وتعجيب والبر التوسع فى الخير من البر وهو الفضاء الواسع يتناول
كل خير ولذلك قيل البر ثلثة بر فى عبادة الله وبر فى مراعاة الاقارب وبر
فى معاملة الاجانب وتنسون انفسكم وتتركونها من البر كالمنسيات
وعن ابن عباس نزلت فى احبار المدينة كانوا يامرون سرا من نصحوهم باتباع
محمد ولا يتبعونه وقيل كانوا يامرون بالصدقة ولا يتصدقون وانتم
تتلون الكتاب تبكيت كقوله وانتم تعلمون اى تتلون التورية وفيها الوعيد
على العناد وترك البر ومخالفة القول العمل افلا تعقلون قبح صنيعكم فيصدكم
عنه او افلا عقل لكم يمنعكم عما تعلمون وخامة عاقبته والعقل فى الاصل الحبس
سمى به الادراك الانسانى لانه يحبسه عما يقبح ويعقله على ما يحسن ثم القوة التى بها
النفس تدرك هذا الادراك والاية ناعية على من يعظ غيره ولا يتعظ نفسه سوء
صنيعه وخبث نفسه وان فعله فعل الجاهل بالشرع او الاحمق الخالى عن العقل فان
الجامع بينهما تابى عنه شكيمته والمراد بها حث الواعظ على تزكية النفس والاقبال
عليها بالتكميل ليقوم فيقيم لا منع الفاسق عن الوعظ فان الاخلال باحد الامرين المامور
بهما لا يوجب الاخلال بالاخر واستعينوا بالصبر والصلوة متصل بما قبله كانهم لما
امروا بما شق عليهم لما فيه من الكلفة وترك الرياسة والاعراض عن المال عولجوا
بذلك والمعنى استعينوا على حوائجكم بانتظار النجح والفرج توكلا على الله او بالصوم الذى
هو صبر عن المفطرات لما فيه من كسر الشهوة وتصفية النفس والتوسل بالصلوة والالتجاء
اليها فانها جامعة لانواع العبادات النفسانية والبدنية من الطهارة وستر العورة
وصرف المال فيهما والتوجه الى الكعبة والعكوف للعبادة واظهار الخشوع بالجوارح و
اخلاص النية بالقلب ومجاهدة الشيطان ومناجاة الحق وقراءة القران والتكلم
بالشهادتين وكف النفس عن الاطيبين حتى تجابوا الى تحصيل المارب وجبر المصائب روى
انه عليه السلام اذا حزبه امر فزع الى الصلوة ويجوز ان يراد بها الدعاء وانها
اى الاستعانة بهما او الصلوة وتخصيصها برد الضمير اليها لعظم شانها واستجماعها ضروبا
من الصبر او جملة ما امروا بها ونهوا عنها لكبيرة لثقيلة شاقة كقوله كبر على المشركين
ما تدعوهم اليه الا على الخاشعين اى المخبتين والخشوع الاخبات ومنه الخشعة
للرملة المتطامنة والخضوع اللين والانقياد ولذلك يقال الخشوع بالجوارح والخضوع
بالقلب الذين يظنون انهم ملاقوا ربهم وانهم اليه راجعون اى يتوقعون لقاء الله

ونيل

ونيل ما عنده او يتيقنون انهم يحشرون الى الله تعالى فيجازيهم ويؤيده ان في مصحف
ابن مسعود يعلمون وكان الظن لما شابه العلم في الرجحان اطلق عليه لتضمن معنى
التوقع قال أوس بن حجر فارسلته مستيقن الظن انه مخالط ما بين الشراسيف
جائف وانما لم تثقل عليهم ثقلها على غيرهم فان نفوسهم مرتاضة بامثالها متوقعة
في مقابلتها ما يستحقر لاجله مشاقها ويستلذ بسببها متاعبها ومن ثم قال عليه السلام
وجعلت قرة عيني في الصلوة يا بني اسرائيل اذكروا نعمتي التي انعمت عليكم
كرر للتوكيد وتذكير التفضيل الذي هو اجل النعم خصوصا وربطه بالوعيد الشديد
تخويفا لمن غفل عنها واخل بحقوقها وأني فضلتكم عطف على نعمتي على العالمين
اي عالمي زمانهم يريد به تفضيل ابائهم الذين كانوا في عصر موسى وبعده قبل ان
يغيروا بما منحهم من العلم والايمان والعمل الصالح وجعلهم انبياء وملوكا مقسطين
واستدل به على تفضيل البشر على الملائكة وهو ضعيف واتقوا يوما اي ما فيه من الحساب
والعذاب لا تجزي نفس عن نفس شيئا لا تقضي عنها شيئا من الحقوق او شيئا من الجزاء فيكون
نصبه على المصدر وقرئ لا تجزئ من اجزأ عنه اذا اغنى وعلى هذا تعين ان يكون مصدرا
وايراده منكرا مع تنكير النفسين للتعميم والاقناط الكلي والجملة صفة ليوما والعائد منها محذوف
تقديره لا تجزي فيه ومن لم يجوز حذف العائد المجرور قال اتسع فيه فحذف عنه الجار واجري
مجرى المفعول به ثم حذف كما حذف من قوله او مال اصابوا ولا يقبل منها شفاعة ولا
يؤخذ منها عدل اي من النفس الثانية العاصية او من الاولى وكانه اريد بالآية نفي ان يدفع
العذاب احد عن احد من كل وجه محتمل فانه اما ان يكون قهرا او غيره والاول النصرة
والثاني اما ان يكون مجانا او غيره والاول ان يشفع له والثاني اما باداء ما كان عليه وهو ان يجزي
عنه او بغيره وهو ان يعطي عنه عدلا والشفاعة من الشفع كان المشفوع له كان فردا فجعله
الشفيع شفعا بضم نفسه اليه والعدل الفدية وقيل البدل واصله التسوية سمي به الفدية لانها
سويت بالمفدى ولا هم ينصرون يمنعون من عذاب الله والضمير لما دلت عليه النفس الثانية
المنكرة الواقعة في سياق النفي من النفوس الكثيرة وتذكيره بمعنى العباد والاناسي و
النصرة اخص من المعونة لاختصاصها بدفع الضرر وقد تمسكت المعتزلة بهذه الآية على نفي الشفاعة
لاهل الكبائر واجيب بانها مخصوصة بالكفار للآيات والاحاديث الواردة في الشفاعة ويؤيده
ان الخطاب معهم والآية نزلت ردا لما كانت اليهود تزعم ان اباءهم تشفع لهم واذ نجيناكم
من آل فرعون تفصيل لما اجمله في قوله اذكروا نعمتي التي انعمت عليكم وعطف على نعمتي
عطف جبريل وميكائيل على الملائكة وقرئ نجيتكم واصل آل اهل لان تصغيره اهيل وخص
بالاضافة الى اولي الخطر كالانبياء والملوك وفرعون لقب لمن ملك العمالقة ككسرى وقيصر
لملكي الفرس والروم ولعتوهم اشتق منه تفرعن الرجل اذا عتا وكان فرعون موسى مصعب
بن ريان وقيل اسمه وليد من بقايا عاد وفرعون يوسف ريان وكان بينهما اكثر

من اربعمائة سنة يسومونكم يبغونكم من سامه خسفا اذا اولاه ظلما واصل السوم
الذهاب في طلب الشيء سوء العذاب افظعه فانه قبيح بالاضافة الى سائره والسوء مصدر
ساء يسوء ونصبه على المفعول ليسومونكم والجملة حال من الضمير في نجيناكم او من آل فرعون
او منهما جميعا لان فيها ضمير كل واحد منهما يذبحون ابناءكم ويستحيون نساءكم بيان
يسومونكم ولذلك لم يعطف وقرئ يذبحون بالتخفيف وانما فعلوا بهم ذلك لان فرعون
راى في المنام او قال له الكهنة سيولد منهم من يذهب بملكه فلم يرد اجتهادهم من قدر الله
شيئا وفي ذلكم بلاء محنة ان اشير بذلكم الى صنيعهم ونعمة ان اشير به الى الانجاء واصله
الاختبار لكن لما كان اختبار الله عباده تارة بالمحنة وتارة بالمنحة اطلق عليهما ويجوز
ان يشار بذلكم الى الجملة ويراد به الامتحان الشائع بينهما من ربكم بتسليطهم
عليكم او ببعث موسى وتوفيقه لتخليصكم او بهما عظيم صفة بلاء وفي الاية تنبيه على
ان ما يصيب العبد من خير او شر اختبار من الله فعليه ان يشكر على مساره ويصبر على مضاره
ليكون من خير المختبرين واذ فرقنا بكم البحر فلقناه وفصلنا بين بعضه وبعض حتى
حصلت فيه مسالك بسلوككم فيه او بسبب انجائكم او ملتبسا بكم كقوله تدوس بنا الجماجم
والتربا وقرئ فرقنا على بناء التكثير لان المسالك كانت اثني عشر بعدد الاسباط فانجيناكم
واغرقنا آل فرعون اراد به فرعون وقومه واقتصر على ذكرهم للعلم بانه كان اولى به
وقيل شخصه كما روي ان الحسن كان يقول اللهم صل على آل محمد اي شخصه واستغنى
بذكره عن ذكر اتباعه وانتم تنظرون ذلك او غرقهم واطباق البحر عليهم او انفلاق البحر عن
طرق يابسة مذللة او جثثهم التي قذفها البحر الى الساحل او ينظر بعضكم بعضا روي انه
امر موسى عليه السلام ان يسري ببني اسرائيل فخرج بهم فصبحهم فرعون وجنوده و
صادفوهم على شاطئ البحر فاوحى الله اليه ان اضرب بعصاك البحر فضرب به فظهرت فيه
اثنا عشر طريقا يابسا فسلكوها فقالوا يا موسى نخاف ان يغرق بعضنا ولا نعلم ففتح الله
فيها كوى فتراءوا وتسامعوا حتى عبروا البحر ثم لما وصل فرعون اليه وراه منفلقا اقتحم
فيه هو وجنوده فالتطم عليهم واغرقهم اجمعين واعلم ان هذه الواقعة من اعظم
ما انعم الله به على بني اسرائيل ومن الايات الملجئة الى العلم بوجود الصانع الحكيم و
تصديق موسى عليه السلام ثم انهم اتخذوا العجل وقالوا لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة
ونحو ذلك فهم بمعزل في الفطنة والذكاء وسلامة النفس وحسن الاتباع عن امة محمد
صلى الله عليه وسلم مع ان ما تواتر من معجزاته امور نظرية دقيقة يدركها الاذكياء واخباره عليه السلام
عنها من جملة معجزاته على ما مر تقريره واذ وعدنا موسى اربعين ليلة لما عادوا
الى مصر بعد هلاك فرعون وعد الله تعالى موسى ان يعطيه التوراة وضرب له ميقاتا
ذا القعدة وعشر ذي الحجة وعبر عنها بالليالي لانها غرر الشهور وقرا ابن كثير ونافع
وعاصم وابن عامر وحمزة والكسائي واعدنا لانه تعالى وعده الوحي ووعده موسى المجيء

للميقات

الميقات الى الطور ثم اتخذتم العجل الها او معبودا من بعده من بعد موسى او مضيه
وانتم ظالمون باشراككم ثم عفونا عنكم حين تبتم والعفو محو الجريمة من عفا اذا درس
من بعد ذلك اي الاتخاذ لعلكم تشكرون لكي تشكروا عفوه واذ آتينا موسى الكتاب
والفرقان يعني التوراة الجامع بين كونه كتابا وحجة يفرق بين الحق والباطل وقيل اراد بالفرقان
معجزاته الفارقة بين المحق والمبطل في الدعوى او بين الكفر والايمان وقيل الشرع الفارق بين
الحلال والحرام او النصر الذي فرق بينه وبين عدوه كقوله تعالى يوم الفرقان يريد به يوم بدر
لعلكم تهتدون لكي تهتدوا بتدبر الكتاب والتفكر في الايات واذ قال موسى لقومه
يا قوم انكم ظلمتم انفسكم باتخاذكم العجل فتوبوا الى بارئكم فاعزموا على التوبة
والرجوع الى من خلقكم بريئا من التفاوت ومميزا بعضكم من بعض بصور وهيئات مختلفة
واصل التركيب لخلوص الشيء عن غيره اما على سبيل التفصي كقولهم برئ المريض من مرضه والمدين
من دينه او الانشاء كقولهم برا الله آدم من الطين او فتوبوا فاقتلوا انفسكم اتماما لتوبتكم
بالبخع او قطع الشهوات كما قيل من لم يعذب نفسه لم ينعمها ومن لم يقتلها لم يحيها وقيل
امروا ان يقتل بعضهم بعضا وقيل امر من لم يعبد العجل ان يقتل العبدة روي ان الرجل
يرى بعضه وقريبه فلم يقدر المضي لامر الله فارسل الله ضبابة وسحابة سوداء لا يتباصرون فاخذوا
يقتلون من الغداة الى العشي حتى دعا موسى وهارون فكشفت السحابة ونزلت التوبة وكانت
القتلى سبعين الفا والفاء الاولى للتسبيب والثانية للتعقيب ذلكم خير لكم عند بارئكم
من حيث انه طهرة من الشرك ووصلة الى الحياة الابدية والبهجة السرمدية فتاب عليكم
متعلق بمحذوف ان جعلته من كلام موسى عليه السلام تقديره ان فعلتم فقد تاب عليكم او عطف
على محذوف ان جعلته خطابا من الله لهم على طريقة الالتفات كانه قال ففعلتم ما امرتم به فتاب
عليكم بارئكم وذكر البارئ وترتيب الامر عليه اشعار بانهم بلغوا غاية الجهالة والغباوة
حتى تركوا عبادة خالقهم الحكيم الى عبادة البقر التي هي مثل في الغباوة وان من لم يعرف
حق منعمه حقيق بان يسترد منه ولذلك امروا بالقتل وفك التركيب انه هو التواب
الرحيم الذي يكثر توفيق التوبة او قبولها من المذنبين ويبالغ في الانعام عليهم واذ قلتم
يا موسى لن نؤمن لك لاجل قولك او لن نقر لك حتى نرى الله جهرة عيانا وهي في الاصل
مصدر قولك جهرت بالقراءة استعيرت للمعاينة ونصبها على المصدر لانها نوع من الرؤية
او الحال من الفاعل او المفعول وقرئ جهرة بالفتح على انها مصدر كالغلبة او جمع كالكتبة
جمع كاتب فيكون حالا والقائلون هم السبعون الذين اختارهم موسى للميقات وقيل
عشرة آلاف من قومه والمؤمن به ان الله الذي اعطاك التوراة وكلمك او انك نبي
فاخذتكم الصاعقة لفرط العناد والتعنت وطلب المستحيل فانهم ظنوا انه تعالى
يشبه الاجسام فطلبوا رؤيته رؤية الاجسام في الجهات والاحياز المقابلة للرائي
وهي محال بل الممكن ان يرى رؤية منزهة عن الكيفية وذلك للمؤمنين في الآخرة وللافراد

[illegible]

من الانبياء في بعض الاحوال في الدنيا قيل جاءت نار من السماء فاحرقتهم وقيل صيحة
وقيل جنود سمعوا بحسيسها فخروا صعقين ميتين يوما وليلة وانتم تنظرون
ما اصابكم بنفسه او اثره ثم بعثناكم من بعد موتكم بسبب الصاعقة وقيد
البعث لانه قد يكون عن اغماء او نوم كقوله تعالى ثم بعثناهم لعلكم تشكرون نعمة
البعث او ما كفرتموه لما رأيتم بأس الله بالصاعقة وظللنا عليكم الغمام سخر الله
لهم السحاب يظلهم من الشمس حين كانوا في التيه وانزلنا عليكم المن والسلوى
الترنجبين والسماني قيل كان ينزل عليهم المن مثل الثلج من الفجر الى الطلوع ويبعث
عليهم الجنوب السماني وينزل بالليل عمود نار يسيرون في ضوئه وكانت ثيابهم لا تتسخ
ولا تبلى كلوا من طيبات ما رزقناكم على ارادة القول وما ظلمونا فيه اختصار
واصله فظلموا بان كفروا هذه النعم وما ظلمونا ولكن كانوا انفسهم يظلمون بالكفران
لانه لا يتخطاهم ضرره واذ قلنا ادخلوا هذه القرية يعني بيت المقدس وقيل اريحا
امروا به بعد التيه فكلوا منها حيث شئتم رغدا واسعا ونصبه على المصدر او الحال
من الواو وادخلوا الباب اي باب القرية او القبة التي كانوا يصلون اليها فانهم لم يدخلوا
بيت المقدس في حياة موسى عليه سجدا متطامنين مخبتين او ساجدين لله شكرا
على اخراجهم من التيه وقولوا حطة اي مسألتنا او امرك حطة وهي فعلة من الحط
كالجلسة وقرئ بالنصب على الاصل بمعنى حط عنا ذنوبنا حطة او على انه مفعول قولوا
اي قولوا هذه الكلمة وقيل معناه امرنا حطة اي ان نحط في هذه القرية ونقيم بها
نغفر لكم خطاياكم بسجودكم ودعائكم وقرأ نافع بالياء وابن عامر بها على البناء للمفعول
وخطايا اصله خطايئ كخطايع فعند سيبويه ابدلت الياء الزائدة همزة لوقوعها
بعد الالف واجتمعت همزتان فابدلت الثانية ياء ثم قلبت الفا وكانت الهمزة
بين الفين فابدلت ياء وعند الخليل قدمت الهمزة على الياء ثم فعل بهما ما ذكر
وسنزيد المحسنين ثوابا جعل الامتثال توبة للمسيء وسبب زيادة الثواب للمحسن
واخرجه عن صورة الجواب الى الوعد ايهاما بان المحسن بصدد ذلك وان لم يفعله
فكيف اذا فعله وانه يفعل لا محالة فبدل الذين ظلموا قولا غير الذي قيل لهم بدلوا
بما امروا به من التوبة والاستغفار طلب ما يشتهون من اعراض الدنيا فانزلنا
على الذين ظلموا كرره مبالغة في تقبيح امرهم واشعارا بان الانزال عليهم
لظلمهم بوضع غير المأمور به موضعه او على انفسهم بان تركوا ما يوجب نجاتها الى
ما يوجب هلاكها رجزا من السماء بما كانوا يفسقون عذابا مقدرا من السماء بسبب
فسقهم والرجز في الاصل ما يعاف عنه وكذلك الرجس وقرئ بالضم وهو لغة فيه
والمراد به الطاعون روي انه مات في ساعة اربعة وعشرون الفا واذ استسقى
موسى لقومه لما عطشوا في التيه فقلنا اضرب بعصاك الحجر اللام فيه للعهد على ما روي

انه كان حجرا طوريا مكعبا حمله معه وكانت تنبع من كل وجه ثلث اعين تسيل كل عين في جدول
الى سبط وكانوا ستمائة الف وسعة المعسكر اثنا عشر ميلا او حجرا اهبطه آدم من الجنة
ووقع الى شعيب فاعطاه مع العصا او الحجر الذي فر بثوبه لما وضعه عليه ليغتسل وبرأه
الله به عما رموه من الادرة فاشار اليه جبريل بحمله او للجنس وهذا اظهر في الحجة وقيل لم
يؤمر ان يضرب حجرا بعينه لكن لما قالوا كيف بنا لو افضينا الى ارض لا حجارة فيها حمل حجرا
في مخلاته وكان يضربه بعصاه اذا نزل فينفجر ويضربه بها اذا ارتحل فييبس فقالوا ان فقد موسى
عصاه متنا عطشا فاوحى اليه لا تقرع الحجارة وكلمها تطعك لعلهم يعتبرون وقيل كان الحجر
من رخام وكان ذراعا في ذراع والعصا عشرة اذرع على طول موسى من آس الجنة وله شعبتان
تتقدان في الظلمة فانفجرت منه اثنتا عشرة عينا متعلق بمحذوف تقديره فان ضربت فقد انفجرت
او فضرب فانفجرت كما مر في قوله فتاب عليكم وقرئ عشرة بكسر الشين وفتحها وهما لغتان
فيه قد علم كل اناس كل سبط مشربهم عينهم التي يشربون منها كلوا واشربوا على
تقدير القول من رزق الله يريد به ما رزقهم من المن والسلوى وماء العيون وقيل
الماء وحده لانه يشرب ويؤكل مما ينبت به ولا تعثوا في الارض مفسدين لا تعتدوا حال
افسادكم وانما قيده لانه وان غلب في الفساد قد يكون منه ما ليس بفساد كمقابلة الظالم
المعتدي بفعله ومنه ما يتضمن صلاحا راجحا كقتل الخضر الغلام وخرقه السفينة ويقرب منه
العيث غير انه يغلب فيما يدرك حسا ومن انكر امثال هذه المعجزات فلغاية جهله بالله وقلة
تدبره في عجايب صنعه فانه لما امكن ان يكون من الاحجار ما يحلق الشعر وتنفر عن الخل
ويجذب الحديد لم يمتنع ان يخلق الله حجرا يسخره لجذب الماء من تحت الارض او لجذب
الهواء من الجوانب وتصييره ماء بقوة التبريد ونحو ذلك واذ قلتم يا موسى لن نصبر على طعام
واحد يريد به ما رزقوا في التيه من المن والسلوى وبوحدته انها لا تختلف ولا تتبدل
كقولهم طعام مائدة الامير واحد يريدون انها لا تتغير الوانه ولذلك اجموا او ضرب واحد
لانهما معا طعام اهل التلذذ وهم كانوا فلاحة فنزعوا الى عكرهم واشتهوا ما الفوه فادع لنا
ربك سله لنا بدعائك اياه يخرج لنا يظهر لنا ويوجد وجزمه بانه جواب فادع فان دعوته
سبب الاجابة مما تنبت الارض من الاسناد المجازي واقامة القابل مقام الفاعل ومن
للتبعيض من بقلها وقثائها وفومها وعدسها وبصلها تفسير وبيان وقع موقع الحال
وقيل بدل باعادة الجار والبقل ما انبتته الارض من الخضر والمراد به اطايبه التي تؤكل
والفوم الحنطة ويقال للخبز ومنه فوموا لنا وقيل الثوم وقرئ قثائها بالضم وهو لغة
فيه قال اي الله تعالى او موسى أتستبدلون الذي هو ادنى اقرب منزلة وادون قدرا
واصل الدنو القرب في المكان فاستعير للخسة كما استعير البعد في الشرف والرفعة فقيل بعيد
المحل بعيد الهمة وقرئ ادنأ من الدناءة بالذي هو خير يريد به المن والسلوى فانه خير
في اللذة والنفع وعدم الحاجة الى السعي اهبطوا مصرا انحدروا اليه من التيه يقال هبط

الوادي اذا نزل به وهبط منه اذا خرج منه وقرئ بالضم والمصر البلد العظيم واصله الحد بين الشيئين
وقيل اراد به العلم وانما صرفه لسكون وسطه او على تاويل البلد ويويده انه غير منون في مصحف
ابن مسعود وقيل اصله مصرائيم فعرب وضربت عليهم
الذلة والمسكنة احيطت بهم احاطة القبة بمن ضربت عليه او الصقت بهم من
ضرب الطين على الحائط مجازاة لهم على كفران النعمة واليهود في غالب الامر اذلاء مساكين
اما على الحقيقة او على التكلف مخافة ان يضاعف جزيتهم وباءو بغضب من الله رجعوا به
او صاروا احقاء بغضبه من باء فلان بفلان اذا كان حقيقا بان يقتل به واصل البوء المساواة
ذلك اشارة الى ما سبق من ضرب الذلة والمسكنة والبوء بالغضب بانهم كانوا يكفرون
بايات الله ويقتلون النبيين بغير الحق بسبب كفرهم بالمعجزات التي من جملتها ما عد
عليهم من فلق البحر واظلال الغمام وانزال المن والسلوى وانفجار العيون من الحجر او بالكتب
المنزلة كالانجيل والقران واية الرجم والتي فيها نعت محمد عليه السلام من التورية وقتلهم
الانبياء فانهم قتلوا شعيا وزكريا ويحيى وغيرهم بغير الحق عندهم اذ لم يروا منهم
ما يعتقدون به جواز قتلهم وانما حملهم على ذلك اتباع الهوى وحب الدنيا كما اشار اليه
بقوله ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون اي جرهم العصيان والتمادي والاعتداء فيه
الى الكفر بالايات وقتل النبيين فان صغار الذنوب سبب يؤدي الى ارتكاب كبارها كما ان
صغار الطاعات اسباب مؤدية الى تحري كبارها وقيل كرر الاشارة للدلالة على ان ما
لحقهم كما هو بسبب الكفر والقتل فهو بسبب ارتكابهم المعاصي واعتدائهم حدود الله وقيل
الاشارة الى الكفر والقتل والباء بمعنى مع وانما جوزت الاشارة بالمفرد الى شيئين فصاعدا
على تاويل ما ذكر او تقدم للاختصار ونظيره في الضمير قول رؤبة فيها خطوط من سواد
وبلق كانه في الجلد توليع البهق والذي حسن ذلك ان تثنية المضمرات والمبهمات وجمعها
وتانيثها ليست على الحقيقة ولذلك جاء الذي بمعنى الجمع ان الذين امنوا بالسنتهم يريد به
المتدينين بدين محمد عليه السلام المخلصين منهم والمنافقين وقيل المنافقين لانخراطهم
في سلك الكفرة والذين هادوا تهودوا يقال هاد وتهود اذا دخل في اليهودية
ويهود اما عربي من هاد اذا تاب سموا بذلك لما تابوا من عبادة العجل واما معرب
يهوذا وكانهم سموا باسم اكبر اولاد يعقوب عليه السلام والنصارى جمع نصران
كالندامى والياء في نصراني للمبالغة كما في احمري سموا بذلك لانهم نصروا المسيح او لانهم
كانوا معه في قرية يقال لها نصران او ناصرة فسموا باسمها او من اسمها والصابئين
قوم بين النصارى والمجوس وقيل اصل دينهم دين نوح عليه السلام وقيل هم عبدة
الملايكة وهو ان كان عربيا فمن صبا اذا خرج وقرا نافع وحده بالياء اما لانه خفف
الهمزة او لانه من صبا اذا مال لانهم مالوا من سائر الاديان الى دينهم او من الحق
الى الباطل من امن بالله واليوم الاخر وعمل صالحا من كان منهم في دينهم

قبل

قبل ان نسخ مصدقا بقلبه بالمبدأ والمعاد عاملا بمقتضى شرعه وقيل من امن من
هولاء الكفرة ايمانا خالصا ودخل الاسلام دخولا صادقا فلهم اجرهم عند ربهم
الذي وعد لهم على ايمانهم وعملهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون حين يخاف
الكفار من العقاب ويحزن المقصرون على تضييع العمر وتفويت الثواب ومن مبتدا
خبره فلهم اجرهم والجملة خبر ان او بدل من اسم ان وخبرها فلهم اجرهم والفاء لتضمن المسند اليه
معنى الشرط وقد منع سيبويه دخولها في خبر ان من حيث انها لا تدخل الشرطية ورد بقوله
ان الذين فتنوا المؤمنين والمؤمنات ثم لم يتوبوا فلهم عذاب جهنم واذ اخذنا ميثاقكم
باتباع موسى والعمل بالتورية ورفعنا فوقكم الطور حتى اعطيتم الميثاق روي ان موسى
عليه السلام لما جاءهم بالتورية فراوا ما فيها من التكاليف الشاقة كبرت عليهم وابوا
قبولها فامر جبريل بقلع الطور فظلله فوقهم حتى قبلوا خذوا على ارادة القول ما اتيناكم
من الكتاب بقوة بجد وعزيمة واذكروا ما فيه ادرسوه ولا تنسوه او تفكروا
فيه فانه ذكر بالقلب او اعملوا به لعلكم تتقون لكي تتقوا المعاصي او رجاء منكم ان تكونوا
متقين ويجوز عند المعتزلة ان يتعلق بالقول المحذوف اي قلنا خذوا واذكروا ارادة ان
تتقوا ثم توليتم من بعد ذلك ثم اعرضتم عن الوفاء بالميثاق بعد اخذه فلولا فضل الله
عليكم ورحمته بتوفيقكم للتوبة او بمحمد عليه السلام يدعوكم الى الحق ويهديكم اليه
لكنتم من الخاسرين المغبونين بالانهماك في المعاصي او بالخبط والضلال في فترة
من الرسل ولو في الاصل لامتناع الشيء لامتناع غيره فاذا دخل على لا افاد اثباتا وهو
امتناع الشيء لثبوت غيره والاسم الواقع بعده عند سيبويه مبتدأ خبره واجب الحذف
لدلالة الكلام عليه وسد الجواب مسده وعند الكوفيين فاعل فعل محذوف ولقد علمتم
الذين اعتدوا منكم في السبت اللام موطئة للقسم والسبت مصدر سبتت اليهود اذا
عظمت يوم السبت واصله القطع امروا بان يجردوه للعبادة فاعتدى فيه ناس منهم في زمن داود
عليه السلام واشتغلوا بالصيد وذلك انهم كانوا يسكنون قرية على الساحل يقال لها ايلة
واذا كان يوم السبت لم يبق حوت في البحر الا حضر هناك واخرج خرطومه فاذا مضى تفرقت
فحفروا حياضا وشرعوا اليها الجداول وكانت الحيتان تدخلها يوم السبت فيصطادونها يوم الاحد
فقلنا لهم كونوا قردة خاسئين جامعين بين صورة القردة والخسوء وهو الصغار
والطرد وقال مجاهد ما مسخت صورهم ولكن قلوبهم فمثلوا بالقردة كما مثلوا
بالحمار في قوله كمثل الحمار يحمل اسفارا وقوله كونوا ليس بامر اذ لا قدرة لهم عليه
وانما المراد به سرعة التكوين وانهم صاروا كذلك كما اراد بهم وقرئ قردة بفتح القاف
وكسر الراء وخاسين بغير همز فجعلناها اي المسخة او العقوبة نكالا عبرة تنكل
المعتبر بها اي تمنعه ومنه النكل للقيد لما بين يديها وما خلفها لما قبلها وما بعدها
من الامم اذ ذكرت حالهم في زبر الاولين واشتهرت قصتهم في الاخرين او لمعاصريهم

يوم السبت

ومن بعدهم او لما بحضرتها من القرى وما تباعد عنها او لاهل تلك القرية وما حواليها
او لاجل ما تقدم عليها من ذنوبهم وما تاخر منها وموعظة للمتقين من قومهم
او لكل متق سمعها واذ قال موسى لقومه ان الله يامركم ان تذبحوا بقرة اول
هذه القصة قوله تعالى واذ قتلتم نفسا فادارأتم فيها وانما فكت عنه وقدمت عليه
لاستقلاله بنوع اخر من مساويهم وهو الاستهزاء بالامر والاستقصاء في السوال وترك
المسارعة الى الامتثال وقصته انه كان فيهم شيخ موسر فقتل ابنه بنو اخيه طمعا
في ميراثه وطرحوه على باب المدينة ثم جاوا يطالبون بدمه فامرهم الله ان يذبحوا
بقرة ويضربوه ببعضها ليحيى فيخبر بقاتله قالوا اتتخذنا هزوا اي مكان هزء او
اهله او مهزوءا بنا او الهزء نفسه لفرط الاستهزاء استبعادا لما قاله واستخفافا به وقرا
حمزة واسمعيل عن نافع بالسكون وحفص عن عاصم بالضم وقلب الهمزة واوا قال اعوذ
بالله ان اكون من الجاهلين لان الهزء في مثل ذلك جهل وسفه نفى عن نفسه ما
رمي به على طريقة البرهان واخرج ذلك في صورة الاستعاذة استفظاعا له قالوا ادع لنا
ربك يبين لنا ما هي اي ما حالها وصفتها وكان حقه ان يقولوا اي بقرة هي او كيف
هي لان ما يسال به عن الجنس غالبا لكنهم لما راوا ما امروا به على حال لم يوجد بها شيء
من جنسه اجروه مجرى ما لم يعرفوا حقيقته ولم يروا مثله قال انه يقول انها بقرة
لا فارض ولا بكر لا مسنة ولا فتية يقال فرضت البقرة فروضا من الفرض وهو
القطع كانها فرضت سنها وتركيب البكر للاولية ومنه البكرة والباكورة عوان
نصف قال نواعم بين ابكار وعون بين ذلك بين ما ذكر من الفارض والبكر ولذلك
اضيف اليه بين فانه لا يضاف الا الى متعدد وعود هذه الكنايات واجراء تلك الصفات
على بقرة يدل على ان المراد بها معينة ويلزمه تاخير البيان عن وقت الخطاب ومن انكر
ذلك زعم ان المراد بها بقرة من شق البقر غير مخصوصة ثم انقلبت مخصوصة بسوالهم
ويلزمه النسخ قبل الفعل فان التخصيص ابطال للتخيير الثابت بالنص والحق جوازهما ويؤيد
الراي الثاني ظاهر اللفظ والمروي عنه عليه السلام لو ذبحوا اي بقرة ارادوا لاجزاتهم
ولكن شددوا على انفسهم فشدد الله عليهم وتقريعهم بالتمادي وزجرهم عن المراجعة
بقوله فافعلوا ما تؤمرون اي ما تؤمرونه بمعنى تؤمرون به من قوله امرتك
الخير فافعل ما امرت او امركم بمعنى ماموركم قالوا ادع لنا ربك يبين لنا
ما لونها قال انه يقول انها بقرة صفراء فاقع لونها الفقوع نصوع الصفرة ولذلك
يؤكد به فيقال اصفر فاقع كما يقال اسود حالك وفي اسناده الى اللون وهو صفة صفراء لملابسته
بها فضل تاكيد كانه قيل صفراء شديدة الصفرة صفرتها وعن الحسن سوداء شديدة
السواد وبه فسر قوله تعالى جمالات صفر قال الاعشى تلك خيلي منه وتلك ركابي هن
صفر اولادها كالزبيب ولعله عبر بالصفرة عن السواد لانها من مقدماته او لان

سواد الابل يعلوه صفرة وفيه نظر لان الصفرة بهذا المعنى لا تؤكد بالفقوع تسر الناظرين
اى تعجبهم والسرور اصله لذة فى القلب عند حصول نفع او توقعه من السر قالوا ادع لنا
ربك يبين لنا ما هى تكرير للسؤال الاول واستكشاف زائد وقوله ان البقر تشابه علينا
اعتذار عنه اى ان البقر الموصوف بالتعوين والصفرة كثيرة فاشتبه علينا وقرئ ان الباقر
وهو اسم لجملة البقر والاباقر ويتشابه بالتاء والياء ويشابه بطرح التاء وادغامها على التذكير
والتانيث وتشابهت مخففا ومشددا وتشبه بمعنى تتشبه ويشبه بالتذكير ومتشابهة
ومتشبهة ومتشابه ومتشبه وانا ان شاء الله لمهتدون الى المراد ذبحها او الى
القاتل وفى الحديث لو لم يستثنوا لما بينت لهم آخر الابد واحتج به اصحابنا على ان الحوادث
بارادة الله وان الامر قد ينفك عن الارادة والا لم يكن للشرط بعد الامر معنى والمعتزلة و
الكرامية على حدوث الارادة واجيب بان التعليق باعتبار التعلق قال انه يقول انها بقرة
لا ذلول تثير الارض ولا تسقى الحرث اى لم تذلل للكراب وسقى الحروث ولا ذلول
صفة لبقرة بمعنى غير ذلول ولا الثانية مزيدة لتاكيد الاولى والفعلان صفتا ذلول
كانه قيل لا ذلول مثيرة وساقية وقرئ لا ذلول بالفتح اى حيث هى كقولك مررت برجل لا بخيل
ولا جبان اى حيث هو وتسقى من اسقى مسلمة سلمها الله من العيوب او اهلها من العمل
او اخلص لونها من سلم له كذا اذا خلص له لا شية فيها لا لون فيها يخالف لون جلدها
وهى فى الاصل مصدر وشاه وشيا وشية اذا خلط بلونه لونا آخر قالوا الآن جئت بالحق
اى بحقيقة وصف البقرة وحققتها لنا وقرئ الآن بالمد على الاستفهام والان بحذف الهمزة والقاء
حركتها على اللام فذبحوها فيه اختصار والتقدير فحصلوا البقرة المنعوتة فذبحوها وما كادوا
يفعلون لتطويلهم وكثرة مراجعاتهم او لخوف الفضيحة فى ظهور القاتل او لغلاء ثمنها اذ روى
ان شيخا صالحا منهم كان له عجلة فاتى بها الغيضة فقال اللهم انى استودعكها لابنى حتى يكبر
فشبت وكانت وحيدة بتلك الصفات فساوموها اليتيم وامه حتى اشتروها بملء مسكها
ذهبا وكانت البقرة اذ ذاك بثلاثة دنانير وكاد من افعال المقاربة وضع لدنو الخبر حصولا
فاذا دخل عليه النفى قيل معناه الاثبات مطلقا وقيل ماضيا والصحيح انه كسائر الافعال
ولا ينافى قوله وما كادوا يفعلون قوله فذبحوها لاختلاف وقتيهما اذ المعنى انهم ما قاربوا
ان يفعلوا حتى انتهت سؤالاتهم وانقطعت تعللاتهم ففعلوا كالمضطر الملجأ الى الفعل
واذ قتلتم نفسا خطاب الجمع لوجود القتل فيهم فادارأتم فيها اختصمتم فى شانها
اذ المتخاصمان يدفع بعضهم بعضا او تدافعتم بان طرح قتلها كل عن نفسه الى صاحبه
واصله تدارأتم فادغمت التاء فى الدال واجتلبت لها همزة الوصل والله مخرج ما كنتم
تكتمون مظهره لا محالة واعمل مخرج لانه حكاية مستقبل كما اعمل باسط ذراعيه
لانه حكاية حال ماضية فقلنا اضربوه عطف على ادارأتم وما بينهما اعتراض والضمير
للنفس والتذكير على تاويل الشخص او القتيل ببعضها اى ببعض كان وقيل

بتخدها اليمنى وقيل بالاذن وقيل بالعجب {كذلك يحيي الله الموتى} يدل على ما حذف
وهو فضربوه فحيي والخطاب مع من حضر حياة القتيل او نزول الآية {ويريكم آياته} دلائله على كمال
قدرته {لعلكم تعقلون} لكي يكمل عقلكم وتعلموا ان من قدر على احياء نفس قدر
على احياء الانفس كلها او تعملون على قضيته ولعله تعالى انما لم يحيه ابتداء وشرط فيه ما شرط
لما فيه من التقرب واداء الواجب ونفع اليتيم والتنبيه على بركة التوكل والشفقة
على الاولاد وان من حق الطالب ان يقدم قربة والمتقرب ان يتحرى الاحسن ويغالي
بثمنه كما روي عن عمر انه ضحى بنجيبة بثلثمائة دينار وان المؤثر في الحقيقة هو الله تعالى
والاسباب امارات لا اثر لها وان من اراد ان يعرف اعدى عدوه الساعي في اماتته الموت
الحقيقي فطريقه ان يذبح بقرة نفسه التي هي القوة الشهوية حين زال عنها شرة الصبى ولم يلحقها
ضعف الكبر وكانت معجبة رائقة المنظر غير مذللة في طلب الدنيا مسلمة عن دنسها لا سمة
بها من مقابحها بحيث يصل اثره الى نفسه فتحيى حيوة طيبة وتعرب عما به ينكشف الحال
ويرتفع ما بين العقل والوهم من التدارء والنزاع {ثم قست قلوبكم} القساوة
عبارة عن الغلظ مع الصلابة كما في الحجر وقساوة القلب مثل في نبوه عن الاعتبار
وثم لاستبعاد القسوة {من بعد ذلك} يعني احياء القتيل او جميع ما عدد من الآيات
فانها مما توجب لين القلب {فهي كالحجارة} في قسوتها {او اشد قسوة} منها والمعنى انها
في القساوة مثل الحجارة او زائدة عليها او انها مثلها او مثل ما هو اشد منها قسوة كالحديد
فحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه ويعضده قراءة الجر بالفتح عطفا على الحجارة وانما لم
يقل اقسى لما في اشد من المبالغة والدلالة على اشتداد القسوتين واشتمال المفضل على زيادة
واو للتخيير او للترديد بمعنى ان من عرف حالها شبهها بالحجارة او بما هو اقسى منها {وان من الحجارة
لما يتفجر منه الانهار وان منها لما يهبط من خشية الله} تعليل للتفضيل والمعنى ان
الحجارة تتأثر وتنفعل فان منها ما يتشقق فينبع منه الماء وتتفجر منه الانهار ومنها ما يتردى
من اعلى الجبل انقيادا لما اراد الله به وقلوب هؤلاء لا تتأثر ولا تنفعل والتفجر التفتح بسعة
وكثرة والخشية مجاز عن الانقياد وقرئ ان على انها المخففة من الثقيلة وتلزمها اللام
الفارقة بينها وبين النافية ويهبط بالضم {وما الله بغافل عما تعملون} وعيد على ذلك وقرأ
ابن كثير ونافع ويعقوب وخلف وابو بكر بالياء ضما الى ما بعده والباقون بالتاء {افتطمعون}
الخطاب لرسول الله والمؤمنين {ان يؤمنوا لكم} ان يصدقوكم او يؤمنوا لاجل دعوتكم
يعني اليهود {وقد كان فريق منهم} طائفة من اسلافهم {يسمعون كلام الله} يعني التوراة
{ثم يحرفونه} كنعت محمد صلوات الله عليه وآية الرجم او تأويله فيفسرونه بما يشتهون وقيل
هؤلاء من السبعين المختارين سمعوا كلام الله حين كلم موسى بالطور ثم قالوا سمعنا الله
يقول في آخره ان استطعتم ان تفعلوا هذه الاشياء فافعلوا وان شئتم فلا تفعلوا {من
بعد ما عقلوه} اي فهموه بعقولهم ولم يبق لهم فيه ريبة {وهم يعلمون} انهم

مفترون

قوله قال الكشاف رحمه الله اشد قسوة بالافراد توجه السؤال بوجه العدول عن الاقصر الى الاطول فاجاب بانه ادل على شدة القسوة
لدلالته عليها بجوهر اللفظ الموضوع لها مع هيئة موضوعة للشدة فيها وفي ذكره من الاعمال الى الاخفى ... الزيادة ومالا يخفى ثم ذكر
في تفسير اشد قسوة وجها اخر لا يتوجه عليه السؤال وهو ان لا يقصد اشتراك القلوب والحجارة في القسوة ثم تفضيل القلوب
فيها بل اشتراك قسوتهما في الشدة ثم تفضيل شدة قسوة القلوب ووصفها بكونها اشد وازيد وانما اختار الوجه الاول
لكونه انسب بقوله ثم قست قلوبكم من بعد ذلك وكون مثل اشد وابلغ اكثر استعمالا في التفضيل وقد يرجح الاول
بان الاشد محمول على القلوب دون القسوة فلا يفيد ان قسوتها اشد بل انها اشد قسوة والثاني بان في تفضيل ... عدولا
عن الظاهر من جهة ان اشد مثلا لم يوضع الا للزيادة في الشدة ولم يقصد ... قصد الشدة والزيادة فيما
جعل تميزا له كالقسوة وقسوة القلوب زائدة وشديدة بالنسبة الى الحجارة لا ازيد واشد واجيب بان مثل الشدة
والزيادة من المعاني النسبية التي تقبل الشدة والضعف فكل زائد ازيد بالنسبة الى ما دونه في الجملة واوثر في التوصل
لفظ اشد ونحوه لكونه على صيغة التفضيل ويشعر به مراد الامر   سعد الدين

قوله لما في اشد من المبالغة اي ذكر للعدول عن الاقصر وهو اقسى الى الابلغ اذ قلما يفضل في الثلاثي بالتوصل باشد ونحوه
نكتتين اولهما المبالغة في التفضيل لان في اشد دلالتين على التفضيل من حيث الصورة والمادة وثانيهما ان ... المراد
باشد ليس التوصل بل التفضيل في الشدة واشار الى مجاز الاولى بقوله ... الاستعمال للتوصل اكثر والتشبيه
بالحجارة في ... والتشبيه بقوله ثم قست قلوبكم من التشبيه في شدة القساوة وعدم جعل اشد قسوة
بمعنى اقسى يقتضي ان يكون التشبيه بالحجارة في شدة القساوة فتأمل   من عصام

قوله والمعنى انها في القساوة مثل الحجارة اي جعل الكاف اسما بمعنى مثل واشد عطفا على الكاف ... على الجملة ... عزمي

قوله والمعنى انها في القساوة ذلك
قوله وانما لم يقل اقسى اشارة الى سؤال وهو ان يقال ما فائدة العدول عن الاقسى الى اشد قسوة مع انها لا حاجة الى
والجواب اولا الافادة المبالغة بسبب انه ادل على اشد القسوة لدلالته عليها بجوهر اللفظ الموضوع لها مع هيئة
موضوعة للشدة وثانيا انه يدل على زيادة الشدة في المفضل   كاتبه

قوله والمعنى ان الحجارة ... وتحقيقه انه تعالى ذم بني اسرائيل بعدم انقيادهم ما يليق بحالهم من امر التكليف ورجح عليهم
بانقياد ما يليق بحاله من حكم التكوين وهذا ايضا وجه جعل الخشية مجازا عن الانقياد وان كان حملها على الحقيقة
جائزا عندنا لان الهبوط والخشية على تقدير خلق العقل والحس في الحجارة لا تصلح بيانا لكونها في نفسها
اقل قسوة من قلوبهم على وجه المبالغة   حسن

قال الكشاف ان يحدثوا الايمان ... ان يؤمنوا مستعمل في معناه الشرعي مع ان يحتاج الى ذكر متعلق له واللام للتعليل او
لاعتبار معنى ... به ان يحدثوا الايمان ... مستجيبين ولم يجعلها على الصلة ... لكم اي مصدقين
لان ... لا يوجد في الفعل ... على معنى احدث الايمان لاجل دعوتكم ... سعدي ... الكاف

قوله فريق منهم الا يجوز ارجاع الضمير الى جنس اليهود وتصحيح جعل ... لكن فريقا منهم ... ثم المعنى ... حيث
قال طائفة من اسلافهم ... ولا حاجة ... قوله وقيل هؤلاء ... الى هذا التكلف ... فعلى الاول النوع ... التغيير
وعلى الثاني بمعنى الزيادة ... وعلى التغيير كما هو ظاهر التحريف على التقديرين لانهم اذا افتروا انه قال الله تعالى ان استطعتم
ان تفعلوا هذه الاشياء فافعلوا وان شئتم فلا تفعلوا اخرجوا ... جميع اوامره ونواهيه تعالى ولا يخفى
ان فيما افتروا ... على الامر بالاستطاعة والنهي بالمشيئة ... الامام

يحرفونه مبطلون ومعنى الآية ان احبار هؤلاء ومقدميهم كانوا على هذه الحالة فما طمعكم
بسفلتهم وجهالهم وانهم ان كفروا وحرفوا فلهم سابقة في ذلك وإذا لقوا الذين آمنوا
يعني منافقيهم قالوا آمنا بانكم على الحق ورسولكم هو المبشر به في التوراة وإذا خلا
بعضهم إلى بعض قالوا اي الذين لم ينافقوا منهم عاتبين على من نافق أتحدثونهم
بما فتح الله عليكم بما بين لكم في التوراة من نعت محمد او الذين نافقوا لاعقابهم
اظهارا للتصلب في اليهودية ومنعا لهم عن ابداء ما وجدوا في كتابهم فينافقون
الفريقين فالاستفهام على الاول تقريع وعلى الثاني انكار ونهي ليحاجوكم به عند ربكم
ليحتجوا عليكم بما انزل ربكم في كتابه جعلوا محاجتهم بكتاب الله وحكمه محاجة عنده كما يقال
عند الله كذا ويراد به انه في كتابه وحكمه وقيل عند ذكر ربكم او بما عند ربكم او بين يدي
رسول ربكم وقيل عند ربكم في القيامة وفيه نظر اذ الاخفاء لا يدفعه أفلا تعقلون اما
تمام كلام اللائمين وتقديره أفلا تعقلون انهم يحاجوكم به فيحجوكم او خطاب من الله
للمؤمنين متصل بقوله افتطمعون والمعنى أفلا تعقلون حالهم وان لا مطمع لكم في ايمانهم
أولا يعلمون يعني هؤلاء المنافقين او اللائمين او كليهما او اياهم والمحرفين أن الله يعلم ما
يسرون وما يعلنون ومن جملتها اسرارهم الكفر واعلانهم الايمان واخفاء ما
فتح الله عليهم واظهار غيره وتحريف الكلم عن مواضعه ومعانيه ومنهم أميون
لا يعلمون الكتاب جهلة لا يعرفون الكتابة فيطالعوا التوراة ويتحققوا ما فيها إلا أماني
استثناء منقطع والاماني جمع امنية وهي في الاصل ما يقدره الانسان في نفسه من منى
اذا قدر ولذلك يطلق على الكذب وعلى ما يتمنى وما يقرأ والمعنى ولكن يعتقدون اكاذيب
اخذوها تقليدا من المحرفين او مواعيد فارغة سمعوها منهم من ان الجنة لا يدخلها
الا من كان هودا وان النار لن تمسهم الا اياما معدودة وقيل الا ما يقرؤون قراءة عارية
عن معرفة المعنى وتدبره من قوله تمنى كتاب الله اول ليلة تمنى داود الزبور على رسل
وهو لا يناسب وصفهم بانهم اميون وإن هم إلا يظنون ما هم الا قوم يظنون لا علم
لهم وقد يطلق الظن بازاء العلم على كل رأي واعتقاد من غير قاطع وان جزم به صاحبه
كاعتقاد المقلد والزائغ عن الحق لشبهة فويل اي تحسر وهلك ومن قال انه واد او جبل
في جهنم فمعناه ان فيها موضعا يتبوأ فيه من جعل له الويل ولعله سماه بذلك مجازا وهو
في الاصل مصدر لا فعل له وانما ساغ الابتداء به نكرة لانه دعاء للذين يكتبون الكتاب
يعني المحرف ولعله اراد به ما كتبوه من التأويلات الزائغة بأيديهم تأكيد كقولك
كتبته بيميني ثم يقولون هذا من عند الله ليشتروا به ثمنا قليلا كي يحصلوا به
من اعراض الدنيا فانه وان جل قليل بالنسبة الى ما استوجبوه من العقاب الدائم
فويل لهم مما كتبت أيديهم يعني المحرف وويل لهم مما يكسبون يريد
الرشى وقالوا لن تمسنا النار المس ايصال الشيء بالبشرة بحيث تتأثر الحاسة به واللمس

قوله فالاستفهام على الاول الخ فان قيل التفريع يكون على الفعل الذي وقع اي ما كان ينبغي ان يكون ذلك الامر الذي كان
نحو قوله افعصيت ربك وهو لا يكون منعطفا بالماضي فلا يناسب الفعل المضارع قلنا هذا التفريع بانه يكون حكاية
الحال الماضية

قوله فينافقون الفريقين الخ هذا متعلق بقوله تعالى واذا خلا بعضهم اي الذين لم ينافقوا الى البعض الذين نافقوا قالوا لهم توبيخا
اتحدثونهم اي المخبرون المسلمين بما فتح الله عليكم اي بما بين لكم في التوراة من نعت محمد عليه السلام وصدق نبوته فعلى هذا
ان ذلك البعض الذين نافقوا كانوا منافقين للمسلمين والكافرين اما للمسلمين فمن جهة اظهار الايمان مع ابطان الكفر
وبهذا يظهر واما منافقتهم للكافرين فمن جهة تحديثهم واخبارهم للمسلمين الامر المكتوم بينهم اعني ما فتح الله عليهم
اي ما اخبره الله تعالى في التوراة من نعت محمد صلى الله عليه وسلم فقال ذلك البعض الذين نافقوا فينافقون الفريقين
اي منافق للمسلمين والكافرين

قوله فينافقون الفريقين اي نفاقهم لا بل الاسلام ظاهر ونفوسهم باعتبار انهم يظهرون التصلب في اليهودية ولا تصلب لهم
ولو كانوا متصلبا لكانوا كالمجاهرين

قوله ليحتجوا عليكم بما انزل ربكم في كتابه اشار الى ان المحاجة بمعنى الاحتجاج وليس بمعنى المفاعلة وان المحاجة بما فتح الله
عليهم عند ربهم كناية عن المحاجة بما في كتابه لئلا يشكل وجه الجمع بين قوله به وعند ربكم ولا يحتاج الى جعله
بدلا عن قوله به على ان فيه نظر لوجوب اتحاد البدل والمبدل منه في الاعراب ولا الى جعله حالا عن به على ما ذكره
الفاضل التفتازاني ويمكن ان يجعل المحاجة به عند الرب عبارة عن المبالغة في تحقق ما يحدثونه فتكون المحاجة على حقيقته

قوله اذ الاخفاء لا يدفعه اي اخفاء ما فتح الله عليهم في التوراة لا يدفعه لان اليهود يعلمون انهم يوم القيامة محجوجون سواء حدثوا
او لم يحدثوا فلا فائدة في الاخفاء

قوله وقد يطلق بازاء العلم الخ يعني ان المشهور ان الظن يطلق على الاعتقاد الراجح مع تجويز احتمال النقيض وهذا المعنى لا يشمل الظن المعتبر
هنا وليس ههنا تجويز احتمال النقيض لانهم جازمون باعتقادهم فالمراد بالظن ههنا ما يقابل العلم فيشمل الاعتقاد الجازم الغير المطابق
مما ذكر ان العلم يطلق على كل رأي يستند الى قاطع والمراد بالقاطع البرهان
قوله وقد يطلق الظن الا كان جوابا ذكر منها جازم فما وجه استعمال الظن ههنا

كالطلبه ولذلك يقال المسه فلا اجد الا اياما معدودة محصورة قليلة روى
ان بعضهم قالوا نعذب بعدد ايام عبادة العجل اربعين يوما وبعضهم قالوا
مدة الدنيا سبعة الاف سنة وانما نعذب مكان كل الف سنة يوما قل اتخذتم عند الله
عهدا خبرا او وعدا بما تزعمون وقرا ابن كثير وحفص باظهار الذال والباقون بادغامه
فلن يخلف الله عهده جواب شرط مقدر اى ان اتخذتم عند الله عهدا فلن يخلف الله
عهده وفيه دليل على ان الخلف فى خبره محال ام تقولون على الله ما لا تعلمون
ام معادلة لهمزة الاستفهام بمعنى اى الامرين كائن على سبيل التقرير للعلم بوقوع
احدهما او منقطعة بمعنى بل اتقولون على التقرير والتقريع بلى اثبات لما نفوه من مساس
النار لهم زمانا مديدا ودهرا طويلا على وجه اعم ليكون كالبرهان على بطلان قولهم و
تختص بجواب النفى من كسب سيئة قبيحة والفرق بينها وبين الخطيئة انها قد تقال فيما تقصد
بالذات والخطيئة تغلب فيما تقصد بالعرض لانه من الخطا والكسب استجلاب النفع وتعليقه
بالسيئة على طريقة قوله فبشرهم بعذاب اليم واحاطت به خطيئته اى استولت عليه و
شملت جملة احواله حتى صار كالمحاط بها لا يخلو عنها شى من جوانبه وهذا انما يصح فى شان
الكافر لان غيره وان لم يكن له سوى تصديق قلبه واقرار لسانه فلم تحط الخطيئة به ولذلك
فسرها السلف بالكفر وتحقيق ذلك ان من اذنب ذنبا ولم يقلع عنه استجره الى معاودة
مثله والانهماك فيه وارتكاب ما هو اكبر منه حتى تستولى عليه الذنوب وتاخذ بمجامع قلبه
فيصير بطبعه مائلا الى المعاصى مستحسنا اياها معتقدا ان لا لذة سواها مبغضا لمن يمنعه
عنها مكذبا لمن ينصحه فيها كما قال تعالى ثم كان عاقبة الذين اساؤا السوأى ان كذبوا بايات
الله وقرا نافع خطيئاته وقرى خطيته وخطياته على القلب والادغام فيهما فاولئك اصحاب
النار ملازموها فى الاخرة كما انهم ملازمون اسبابها فى الدنيا هم فيها خالدون
دائمون او لابثون لبثا طويلا والاية كما ترى لا حجة فيها على خلود صاحب الكبيرة وكذا
التى قبلها والذين امنوا وعملوا الصالحات اولئك اصحاب الجنة هم فيها
خالدون جرت عادته سبحانه على ان يشفع وعده بوعيده لترجى رحمته و
يخشى عذابه وعطف العمل على الايمان يدل على خروجه عن مسماه واذ اخذنا
ميثاق بنى اسرائيل لا تعبدون الا الله اخبار فى معنى النهى كقوله لا تضار كاتب
ولا شهيد وهو ابلغ من صريح النهى لما فيه من ايهام ان المنهى سارع الى الانتهاء
فهو مخبر عنه وتعضده قراءة لا تعبدوا وعطف قولوا عليه فيكون على ارادة
القول وقيل تقديره ان لا تعبدوا فلما حذف ان رفع كقوله الا ايهذا الزاجرى
احضر الوغى ويدل عليه قراءة ان لا تعبدوا فيكون بدلا عن الميثاق او معمولا له بحذف
الجار وقيل انه جواب قسم دل عليه المعنى كانه قال حلفناهم لا تعبدون وقرا
نافع وابن عامر وابو عمرو وعاصم ويعقوب بالتاء حكاية لما خوطبوا والباقون بالياء
لانهم

لانهم غيب وبالوالدين احسانا متعلق بمضمر تقديره وتحسنون او احسنوا وذي
القربى واليتامى والمساكين عطف على الوالدين واليتامى جمع يتيم كنديم
وندامى وهو قليل ومسكين مفعيل من السكون كان الفقر اسكنه وقولوا للناس
حسنا اي قولا حسنا وسماه حسنا للمبالغة وقرئ حُسُنا بضمتين وهو لغة اهل الحجاز
وحُسنى على المصدر كبشرى والمراد به ما فيه تخلق وارشاد واقيموا الصلوة واتوا الزكوة
يريد بهما ما فرض عليهم في ملتهم ثم توليتم على طريقة الالتفات ولعل الخطاب مع الموجودين
منهم في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن قبلهم على التغليب اي اعرضتم عن الميثاق ورفضتموه الا
قليلا منكم يريد به من اقام اليهودية على وجهها قبل النسخ ومن اسلم منهم وانتم
معرضون قوم عادتكم الاعراض عن الوفاء والطاعة واصل الاعراض الذهاب عن المواجهة الى
جهة العرض واذ اخذنا ميثاقكم لا تسفكون دماءكم ولا تخرجون انفسكم
من دياركم على نحو ما سبق والمراد به ان لا يتعرض بعضهم بعضا بالقتل والاجلاء عن الوطن
وانما جعل قتل الرجل غيره قتل نفسه لاتصاله به نسبا او دينا او لانه يوجبه قصاصا
وقيل معناه لا ترتكبوا ما يبيح سفك دمائكم واخراجكم او لا تفعلوا ما يرديكم ويصرفكم
عن الحيوة الابدية فانه القتل في الحقيقة ولا تقترفوا ما تمنعون به عن الجنة التي هي داركم
فانه الجلاء الحقيقي ثم اقررتم بالميثاق واعترفتم بلزومه وانتم تشهدون توكيد كقولك
اقر فلان شاهدا على نفسه وقيل وانتم ايها الموجودون تشهدون على اقرار اسلافكم
فيكون اسناد الاقرار اليهم مجازا ثم انتم هؤلاء استبعاد لما ارتكبوه بعد الميثاق و
الاقرار به والشهادة عليه وانتم مبتدا وهؤلاء خبره على معنى انتم بعد ذلك هؤلاء
الناقضون كقولك انت ذلك الرجل الذي فعل كذا نزل تغير الصفة منزلة تغير الذات و
عدهم باعتبار ما اسند اليهم حضورا وباعتبار ما سيحكى عنهم غيبا وقوله تقتلون
انفسكم وتخرجون فريقا منكم من ديارهم اما حال والعامل فيها معنى
الاشارة او بيان لهذه الجملة وقيل هؤلاء تاكيد والخبر هو الجملة وقيل بمعنى الذين و
الجملة صلته والمجموع هو الخبر وقرئ تقتلون على التكثير تظاهرون عليهم بالاثم
والعدوان حال من فاعل تخرجون او مفعوله او كليهما والتظاهر التعاون من الظهر
وقرا عاصم والكسائي وحمزة بحذف احدى التائين وقرئ باظهارهما وتظهرون بمعنى
تتظهرون وان ياتوكم اسارى تفادوهم روي ان قريظة كانوا حلفاء الاوس والنضير
حلفاء الخزرج فاذا اقتتلا عاون كل فريق حلفاءه في القتل وتخريب الديار واجلاء اهلها
واذا اسر احد من الفريقين جمعوا له حتى يفدوه وقيل معناه ان ياتوكم اسارى في ايدي
الشياطين تتصدون لانقاذهم بالارشاد والوعظ مع تضييعكم انفسكم كقوله اتامرون
الناس بالبر وتنسون انفسكم وقرا حمزة اسرى وهو جمع اسير كجريح وجرحى واسارى جمعه
كسكرى وسكارى وقيل هو ايضا جمع اسير وكانه شبه بالكسلان فجمع جمعه وقرا ابن كثير وعمرو

وحمزة وابن عامر تفدوهم وهو محرم عليكم اخراجهم متعلق بقوله وتخرجون
فريقا منكم من ديارهم وما بينهما اعتراض والضمير للشان او مبهم ويفسره اخراجهم
او راجع الى ما دل عليه تخرجون من المصدر واخراجهم بدل او بيان افتؤمنون
ببعض الكتاب يعني الفداء وتكفرون ببعض يعني حرمة المقاتلة والاجلاء
فما جزاء من يفعل ذلك منكم الا خزي في الحيوة الدنيا كقتل قريظة وسبيهم
واجلاء النضير وضرب الجزية على غيرهم واصل الخزي ذل يستحيى منه ولذلك يستعمل في كل
منهما ويوم القيمة يردون الى اشد العذاب لان عصيانهم اشد وما الله بغافل
عما تعملون تاكيد للوعيد اي الله تعالى بالمرصاد لا يغفل عن افعالهم وقرا عاصم في
رواية المفضل تردون على الخطاب لقوله منكم وابن كثير ونافع وعاصم في رواية ابي بكر
ويعقوب عما يعملون على ان الضمير لمن اولئك الذين اشتروا الحيوة الدنيا بالاخرة
اثروا الحيوة الدنيا على الاخرة فلا يخفف عنهم العذاب بنقص الجزية في الدنيا والتعذيب
في الاخرة ولا هم ينصرون بدفعها عنهم ولقد اتينا موسى الكتاب التورية
وقفينا من بعده بالرسل اي ارسلنا على اثره الرسل كقوله ثم ارسلنا رسلنا تترى
يقال قفاه اذا تبعه وقفاه به اتبعه اياه من القفا نحو ذنبه من الذنب واتينا
عيسى ابن مريم البينات المعجزات الواضحات كاحياء الموتى وابراء الاكمه
والابرص والاخبار بالمغيبات او الانجيل وعيسى بالعبرية ايشوع ومريم بمعنى
الخادم وهو بالعربية من النساء كالزير من الرجال قال رؤبة قلت لزير
لم تصله مريمه ووزنه مفعل اذ لم يثبت فعيل وايدناه قويناه وقرئ
ايدناه بروح القدس بالروح المقدسة كقولك حاتم الجود ورجل صدق اراد به جبريل
وقيل روح عيسى ووصفها به لطهارته عن مس الشيطان او لكرامته على الله و
لذلك اضافها الى نفسه او لانه لم تضمه الاصلاب والارحام الطوامث او الانجيل
او اسم الله الاعظم الذي كان يحيي به الموتى وقرا ابن كثير القدس بالاسكان في جميع
القران افكلما جاءكم رسول بما لا تهوى انفسكم بما لا تحبه يقال هوى
بالكسر هوى اذا احب وهوى بالفتح هويا بالضم سقط ووسطت الهمزة بين الفاء
وما تعلقت به توبيخا لهم على تعقيبهم ذاك بهذا وتعجيبا من شانهم ويحتمل ان
يكون استينافا والفاء للعطف على مقدر استكبرتم عن الايمان واتباع
الرسل ففريقا كذبتم كموسى وعيسى والفاء للسببية او التفصيل وفريقا
تقتلون كزكريا ويحيى وانما ذكر بلفظ المضارع على حكاية الحال الماضية استحضارا
لها في النفوس فان الامر فظيع او مراعاة للفواصل او للدلالة على انكم بعد فيه
فانكم حولتم قتل محمد لولا اني اعصمه منكم ولذلك سحرتموه وسممتم له الشاة
وقالوا قلوبنا غلف مغشاة باغطية خلقية لا يصل اليها ما جئت به ولا نفقهه

۷

ورد بئسما اشتروا به آیه کریمه‌سنده ما نکره اولوب بلا وصف موصوف شی معناسنه اولور
بئس فعلنک مستتر ضمیرندن یا تمییز منصوب المحل تمییزا و اولور بئس فعلنک
فاعلی مستتر مذکور ضمیر اولور اشتروا جمله‌سی ما‌نک صفتنده مخصوص بالذم
ان یکفروا بما انزل الله جمله‌سیدر ما قال الجامی ان یکون فاعل بئس مضمرا
ممیزا بما بمعنی شی منصوب المحل علی التمییز و بعد ذلک الفاعل المخصوص بالذم
مثل فنعما هی ای نعم شیئا هی بئس جمله‌سی خبریه‌ده محلا مرفوع المحل
مقدم خبردر مخصوص بالذم جمله‌سی مؤخر مبتدادر ما قال الجامی و المخصوص
مبتدا و الجمله الواقعه قبله خبره و لم یحتج عند الجمله الواقعه خبرا الی ضمیر راجع
الی المبتدا مثل نعم الرجل زید فزید هو المخصوص مبتدا و نعم الرجل خبره
مقدما علیه
صرف النحو ... ۱۹

مستعار من الاغلف الذي لم يختن وقيل اصله غُلُف جمع غلاف فخفف والمعنى انها
اوعية العلم لا تسمع علما الا وعته ولا تعي ما تقول او نحن مستغنون بما فيها من غيره بل
لعنهم الله بكفرهم رد لما قالوا والمعنى انها خلقت على الفطرة والتمكن من قبول
الحق ولكن خذلهم الله بكفرهم فابطل استعدادهم او انها لم تأب قبول ما تقوله لخلل فيه
بل لان الله خذلهم بكفرهم كما قال فاصمهم واعمى ابصارهم او هم كفرة ملعونون فمن اين لهم دعوى
العلم والاستغناء عنك فقليلا ما يومنون فايمانا قليلا يومنون وما مزيدة للمبالغة في التقليل
وهو ايمانهم ببعض الكتاب وقيل اراد بالقلة العدم ولما جاءهم كتاب من عند الله يعني القران
مصدق لما معهم من كتابهم وقرئ بالنصب على الحال من كتاب لتخصصه بالوصف وجواب
لما محذوف دل عليه جواب لما الثانية وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا
اي يستنصرون على المشركين ويقولون اللهم انصرنا بنبي اخر الزمان المنعوت في التورية او يفتحون
عليهم ويعرفونهم ان نبيا يبعث منهم قد قرب زمانه والسين للمبالغة والاشعار بان الفاعل
سال ذلك عن نفسه فلما جاءهم ما عرفوا من الحق كفروا به حسدا وخوفا على الرياسة فلعنة
الله على الكافرين اي عليهم واتى بالمظهر للدلالة على انهم لعنوا لكفرهم فيكون اللام للعهد
ويجوز ان يكون للجنس ويدخلوا فيه دخولا اوليا لان الكلام فيهم بئسما اشتروا به انفسهم
ما نكرة بمعنى شيء مميزة لفاعل بئس المستكن واشتروا صفته ومعناه باعوا او اشتروا بحسب ظنهم
فانهم ظنوا انهم خلصوا انفسهم من العقاب بما فعلوا ان يكفروا بما انزل الله هو المخصوص بالذم
بغيا طلبا لما ليس لهم وحسدا وهو علة يكفروا دون اشتروا للفصل ان ينزل الله لان ينزل او
حسدوه على ان ينزل الله وقرا ابن كثير وابو عمرو ويعقوب بالتخفيف من فضله يعني الوحي على من
يشاء من عباده على من اختاره للرسالة فباءوا بغضب على غضب للكفر والحسد على من هو
افضل الخلق وقيل لكفرهم بمحمد بعد عيسى او بعد قولهم عزير ابن الله وللكافرين عذاب مهين
يراد به اذلالهم بخلاف عذاب العاصي فانه طهرة لذنوبه واذا قيل لهم امنوا بما انزل الله يعم
الكتب المنزلة باسرها قالوا نومن بما انزل علينا اي بالتورية ويكفرون بما وراءه حال من الضمير
في قالوا ووراء في الاصل مصدر جعل ظرفا ويضاف الى الفاعل فيراد به ما يتوارى به وهو خلفه و
الى المفعول فيراد به ما يواريه وهو قدامه ولذلك عد من الاضداد وهو الحق الضمير لما وراءه والمراد
به القران مصدقا لما معهم حال موكدة تتضمن رد مقالهم فانهم لما كفروا بما يوافق التورية فقد كفروا بها
قل فلم تقتلون انبياء الله من قبل ان كنتم مومنين اعتراض عليهم بقتل الانبياء
مع ادعاء الايمان بالتورية والتورية لا تسوغه وانما اسنده اليهم لانه فعل اباءهم وانهم راضون
به عازمون عليه ولقد جاءكم موسى بالبينات يعني الايات التسع المذكورة في قوله ولقد
اتينا موسى تسع ايات بينات ثم اتخذتم العجل اي الها من بعده بعد مجيء موسى او ذهابه
الى الطور وانتم ظالمون حال بمعنى اتخذتم العجل ظالمين بعبادته او بالاخلال باياته
او اعتراض بمعنى وانتم قوم عادتكم الظلم ومساق الاية ايضا لابطال قولهم نومن بما انزل

علينا والتنبيه على ان طريقتهم مع الرسول طريقة اسلافهم مع موسى او لتكرير القصة وكذا
ما بعدها **واذ اخذنا ميثاقكم ورفعنا فوقكم الطور خذوا ما اتيناكم**
بقوة واسمعوا اى قلنا لهم خذوا ما امرتم به فى التورية بجد واسمعوا سماع طاعة **قالوا**
سمعنا قولك **وعصينا** امرك **واشربوا فى قلوبهم العجل** تداخلهم حبه ورسخ فى قلوبهم
صورته لفرط شغفهم به كما يتداخل الصبغ الثوب والشراب اعماق البدن وفى قلوبهم بيان
لمكان الاشراب كقوله انما ياكلون فى بطونهم نارا **بكفرهم** بسبب كفرهم وذلك لانهم كانوا
مجسمة او حلولية ولم يروا جسما اعجب منه فتمكن فى قلوبهم ما سول لهم السامرى **قل بئسما**
يامركم به ايمانكم اى بالتورية والمخصوص بالذم محذوف نحو هذا الامر او ما يعمه
وغيره من قبائحهم المعدودة فى الايات الثلث الزاما عليهم **ان كنتم مؤمنين** تقرير
للقدح فى دعواهم الايمان بالتورية وتقديره ان كنتم مؤمنين بها لما امركم بهذه القبائح
ورخص لكم ايمانكم بها او ان كنتم مؤمنين بها فبئسما امركم به ايمانكم بها لان المؤمن
ينبغى ان لا يتعاطى الا ما يقتضيه ايمانه لكن الايمان بها لا يامر به فاذن لستم بمؤمنين
قل ان كانت لكم الدار الاخرة عند الله خالصة خاصة بكم كما قلتم لن يدخل
الجنة الا من كان هودا ونصبها على الحال من الدار **من دون الناس** سايرهم او المسلمين واللام
للعهد **فتمنوا الموت ان كنتم صادقين** لان من ايقن انه من اهل الجنة اشتاقها
واحب التخلص اليها من الدار ذات الشوائب كما قال على رضى الله عنه لا ابالى سقطت على الموت
او سقط الموت على وقال عمار بصفين الان الاقى الاحبة محمدا وحزبه وقال حذيفة
حين احتضر جاء حبيب على فاقة لا افلح من ندم اى على التمنى سيما اذا علم انها سالمة لا يشاركه
فيها غيره **ولن يتمنوه ابدا بما قدمت ايديهم** من موجبات النار كالكفر بمحمد والقران
وتحريف التورية ولما كانت اليد العاملة مختصة بالانسان آلة لقدرته بها عامة صنايعه
ومنها اكثر منافعه عبر بها عن النفس تارة والقدرة اخرى وهذه الجملة اخبار بالغيب وكان
كما اخبر لانهم لو تمنوا لنقل واشتهر لان التمنى ليس من عمل القلب ليخفى بل هو ان يقول ليت كذا
وان كان بالقلب لقالوا تمنينا وعن النبى صلعم لو تمنوا الموت لغص كل انسان بريقه فمات
مكانه وما بقى يهودى على وجه الارض **والله عليم بالظالمين** تهديد لهم وتنبيه على انهم
ظالمون فى دعوى ما ليس لهم ونفيه عمن هو لهم **ولتجدنهم احرص الناس على حيوة** من وجد
بعقله الجارى مجرى علم ومفعولاه هم احرص وتنكير حيوة لانه اريد فرد من افرادها وهى
الحيوة المتطاولة وقرئ باللام **ومن الذين اشركوا** محمول على المعنى فكانه قال احرص
من الناس ومن الذين اشركوا وافرادهم بالذكر للمبالغة فان حرصهم شديد اذ لم يعرفوا
الا الحيوة العاجلة والزيادة فى التوبيخ والتقريع فانه لما زاد حرصهم وهم مقرون بالجزاء
على حرص المنكرين دل ذلك على علمهم بانهم صايرون الى النار ويجوز ان يراد واحرص
من الذين اشركوا فحذف لدلالة الاول عليه وان يكون خبر مبتدأ محذوف صفته

على انه اريد بالذين اشركوا اليهود لانهم قالوا عزير ابن الله اى ومنهم ناس يود احدهم
يود احدهم وهو على الاول بيان لزيادة حرصهم على طريق الاستيناف لو يعمر الف سنة
حكاية لودادتهم ولو بمعنى ليت وكان اصله لو اعمر فاجرى على الغيبة لقوله يود كقولك حلف بالله
ليفعلن وما هو بمزحزحه من العذاب ان يعمر الضمير لاحدهم وان يعمر فاعل مزحزحه
اى وما احدهم بمن يزحزحه من النار تعميره او لما دل عليه يعمر وان يعمر بدل منه او مبهم
وان يعمر موضحه واصل سنة سنوة لقولهم سنوات وقيل سنهة كجبهة لقولهم سانهته
وتسنهت النخلة اذا اتت عليها السنون والزحزحة التبعيد والله بصير بما يعملون فيجازيهم

قل من كان عدوا لجبريل نزل فى عبد الله بن صوريا سال رسول الله صلعم عمن ينزل عليه فقال جبريل فقال ذاك
عدونا عادانا مرارا واشدها انه انزل على نبينا ان بيت المقدس سيخربه بخت نصر فبعثنا
من يقتله فرآه ببابل فدفع عنه جبريل وقال ان كان ربكم امره بهلاككم فلا يسلطكم عليه
والا فبم تقتلونه وقيل دخل عمر مدراس اليهود يوما فسالهم عن جبريل فقالوا ذاك عدونا
يطلع محمدا على اسرارنا وانه صاحب كل خسف وعذاب وميكائيل صاحب الخصب والسلام فقال وما
منزلتهما من الله قالوا جبريل عن يمينه وميكائيل عن يساره وبينهما عداوة فقال لئن كانا كما تقولون
فليسا بعدوين ولانتم اكفر من الحمير ومن كان عدو احدهما فهو عدو الله ثم رجع فوجد جبريل
قد سبقه بالوحى فقال صلعم لقد وافقك ربك يا عمر وفى جبريل ثمان لغات قرئ بهن اربع فى
المشهور جبرئيل كسلسبيل قراءة حمزة والكسائى وجبريل بكسر الراء وحذف الهمزة قراءة ابن كثير
وجبرئل كجحمرش قراءة عاصم وجبريل كقنديل قراءة الباقين واربع فى الشواذ جبرال وجبرائيل وجبرايل
وجبرين ومنع صرفه للعجمة والتعريف ومعناه عبد الله فانه نزله البارز الاول لجبريل والثانى للقرآن
واضماره غير مذكور يدل على فخامة شانه كانه لتعينه وفرط شهرته لم يحتج الى سبق ذكر على
قلبك فانه القابل الاول للوحى ومحل الفهم والحفظ وكان حقه على قلبى لكنه جاء على حكاية كلام الله
كانه قال قل ما تكلمت به باذن الله بامره او بتيسيره حال من فاعل نزل مصدقا لما بين يديه وهدى
وبشرى للمؤمنين احوال من مفعوله والظاهر ان جواب الشرط فانه نزله والمعنى من عادى منهم
جبريل فقد خلع ربقة الانصاف او كفر بما معه من الكتاب بمعاداته اياه لنزوله عليك بالوحى لانه
نزل كتابا مصدقا للكتب المتقدمة فحذف الجواب واقيم علته مقامه او من عاداه فسبب عداوته
انه نزله عليك وقيل محذوف مثل فليمت غيظا او فهو عدو لى وانا عدوه كما قال من كان عدوا
لله وملائكته ورسله وجبريل وميكال فان الله عدو للكافرين اراد بعداوة الله مخالفته
عنادا او معاداة المقربين من عباده وصدر الكلام بذكره تفخيما لشانهم كقوله والله ورسوله
احق ان يرضوه وافرد الملكان بالذكر لفضلهما كانهما من جنس آخر والتنبيه على ان معاداة
الواحد والكل سواء فى الكفر واستجلاب العداوة من الله تعالى وان من عادى احدهم فكانه
عادى الجميع اذ الموجب لمحبتهم وعداوتهم على الحقيقة واحد ولان المحاجة كانت فيهما ووضع الظاهر
موضع المضمر للدلالة على انه تعالى عاداهم لكفرهم وان عداوة الملائكة والرسل كفر وقرا نع

قوله يتفكرون فيه ويعلمون فحجة على اليقين اجاب من الشارح من ثبات العلم لليهود بعدم تعيب لهم في الاخر بعد اسنده اليهم كتاب الله بالسحر ومن نفي العلم عنهم به بقوله لو كانوا يعلمون بان المراد بالعلم المثبت اسعد والعلم وقوة التفكر وهو الذي عبر عنه بالعلم الغريزي او الثابت في الفطرة والمراد من العلم المنفي اعمال الفكر وبان المراد بالعلم الاول العلم الاجمالي المندرج تحت العلم بالقواعد الذهنية

قوله واصله لانهم آمنوا الخ دفع به اشكالين احدهما ان النحاة صرحوا بان الجملة الاسمية لا تقع جواب لو انما تكون جوابها جملة فعلية ماضوية فاجاب بانه كان كذلك في الاصل فعدل الى الاسمية لنكتة وثانيهما ان خيرية المثوبة لا تتقيد بايمانهم لانها ثابتة آمنوا او لا واوجه دفعه ظاهر منه واما وجه اندفاع الثاني فهو ان اللفظ لو لم يحمل في الحقيقة الاعلى انهم آمنوا ومصونة مقيدة بها وتنتفي بانتفائهما بلا مرية حسد

قوله والجزم بخيريتها الخ فانه لم يعدل من الفعلية المعلقة بما قبلها من الشرط تعليقا ينافي الجزم الى الاسمية الخالية من دلالة التعليق حصل الجزم والقطع بتقررها ثم اذا ارادوا هذا المعنى في الفعلية الواقعة جزاء ادخلوا فيها السين او سوف لينجز من الجزم فتفيد الجزم كما بين في تحقيقه

ميكائل كميكاعل وابو عمرو ويعقوب وعاصم ميكال كميعاد وقرئ ميكيل وميكئيل وميكائيل
ولقد انزلنا اليك آيات بينات وما يكفر بها الا الفاسقون اي المتمردون من الكفرة والفسق
اذا استعمل في نوع من المعاصي دل على اعظمه كانه متجاوز عن حده نزلت في ابن صوريا حين قال
لرسول الله صلعم ما جئتنا بشيء نعرفه وما انزل عليك من آية فنتبعك أوكلما عاهدوا عهدا
الهمزة للانكار والواو للعطف على محذوف تقديره اكفروا بالآيات وكلما عاهدوا وقرئ بسكون
الواو على ان التقدير الا الذين فسقوا او كلما عاهدوا وقرئ عوهدوا وعهدوا نبذه فريق منهم
نقضه واصل النبذ الطرح لكنه يغلب فيما ينسى وانما قال فريق لان بعضهم لم ينقض بل اكثرهم
لا يؤمنون رد لما يتوهم ان الفريق هم الاقلون او ان من لم ينبذ جهارا فهم يؤمنون به خفاء
ولما جاءهم رسول من عند الله مصدق لما معهم كعيسى ومحمد نبذ فريق من الذين اوتوا
الكتاب كتاب الله يعني التورية لان كفرهم بالرسول المصدق لها كفر بها فيما يصدقه
ونبذ لما فيها من وجوب الايمان بالرسل المؤيدين بالآيات وقيل ما مع الرسول وهو القرآن
وراء ظهورهم مثل لاعراضهم عنه رأسا بالاعراض عما يرمى به وراء الظهر لعدم الالتفات
اليه كانهم لا يعلمون انه كتاب الله يعني ان علمهم به رصين ولكن يتجاهلون عنادا واعلم
انه تعالى دل بالآيتين على ان جل اليهود اربع فرق فرقة آمنوا بالتورية وقاموا بحقوقها كمؤمني
اهل الكتاب وهم الاقلون المدلول عليهم بقوله بل اكثرهم لا يؤمنون وفرقة جاهروا بنبذ
عهودها وتخطي حدودها تمردا وفسوقا وهم المعنيون بقوله نبذه فريق منهم وفرقة لم
يجاهروا بنبذها ولكن نبذوا لجهلهم بها وهم الاكثرون وفرقة تمسكوا بها ظاهرا ونبذوها
خفية عالمين بالحال بغيا وعنادا وهم المتجاهلون واتبعوا ما تتلوا الشياطين عطف
على نبذ اي نبذوا كتاب الله واتبعوا كتب السحر التي تقرؤها او تتبعها الشياطين من الجن والانس
او منهما على ملك سليمان اي عهده وتتلو حكاية حال ماضية قيل كانوا يسترقون السمع
ويضمون الى ما سمعوا اكاذيب ويلقونها الى الكهنة وهم يدونونها ويعلمون الناس
وفشا ذلك في عهد سليمان حتى قيل ان الجن تعلم الغيب وان ملك سليمان تم بهذا العلم
وانه تسخر به الانس والجن والريح له وما كفر سليمان تكذيب لمن زعم ذلك وعبر عن
السحر بالكفر ليدل على انه كفر وان من كان نبيا كان معصوما عنه ولكن الشياطين كفروا
باستعماله يعلمون الناس السحر اغواء واضلالا والجملة حال من الضمير والمراد بالسحر ما
يستعان في تحصيله بالتقرب الى الشيطان مما لا يستقل به الانسان وذلك لا يستتب الا
لمن يناسبه في الشرارة وخبث النفس فان التناسب شرط في التضام والتعاون وبهذا
تميز الساحر عن النبي والولي واما ما يتعجب منه كما يفعله اصحاب الحيل بمعونة الآلات والادوية
او يريه صاحب خفة اليد فمذموم وتسميته سحرا على التجوز او لما فيه من الدقة لانه في
الاصل لما خفي سببه وما انزل على الملكين عطف على السحر والمراد بهما واحد و
العطف لتغاير الاعتبار او نوع اقوى منه او ما تتلوه وهما ملكان انزلا لتعليم السحر

ابتلاء من الله للناس وتمييزا بينه وبين المعجزة وما روي انهما مثلا بشرين وركب فيهما الشهوة
[illegible] فتعرضتا لامرأة يقال لها زهرة فحملتهما على المعاصي [illegible]
[illegible] والشرك ثم صعدت الى السماء بما تعلمت منهما فمحكي عن اليهود ولعله من رموز
الاوائل وحله لا يخفى على ذوي البصائر وقيل رجلان سميا ملكين باعتبار صلاحهما ويؤيده
قراءة الملكين بالكسر وقيل ما انزل نفي معطوف على ما كفر تكذيب لليهود في هذه القصة ببابل ظرف
او حال من الملكين او الضمير في انزل والمشهور انه بلد في سواد الكوفة هاروت وماروت
عطف بيان للملكين ومنع صرفهما للعجمة والعلمية ولو كانا من الهرت والمرت بمعنى الكسر لانصرفا
ومن جعل ما نافية ابدلهما من الشياطين بدل البعض وما بينهما اعتراض وقرئ بالرفع على هما
هاروت وماروت وما يعلمان من احد حتى يقولا انما نحن فتنة فلا تكفر فمعناه على
الاول ما يعلمان احدا حتى ينصحاه ويقولا له انما نحن ابتلاء من الله فمن تعلم منا وعمل به كفر ومن
تعلم وتوقى عمله ثبت على الايمان فلا تكفر باعتقاد جوازه والعمل به وفيه دليل على ان تعلم السحر وما
لا يجوز اتباعه غير محظور وانما المنع من اتباعه والعمل به وعلى الثاني ما يعلمانه حتى يقولا انا مفتونان
فلا تكن مثلنا فيتعلمون منهما الضمير لما دل عليه من احد ما يفرقون به بين المرء وزوجه اي من
السحر ما يكون سبب تفريقهما وما هم بضارين به من احد الا باذن الله لانه وغيره من
الاسباب غير مؤثرة بالذات بل بامره تعالى وجعله وقرئ بضاري على الاضافة الى احد وجعل الجار
جزء منه والفصل بالظرف ويتعلمون ما يضرهم لانهم يقصدون به العمل او لان العلم يجر الى
العمل غالبا ولا ينفعهم اذ مجرد العلم به غير مقصود ولا نافع في الدارين وفيه ان التحرز عنه اولى
ولقد علموا اي اليهود لمن اشتراه اي استبدل ما تتلوا الشياطين بكتاب الله والاظهر ان اللام
لام الابتداء علقت علموا عن العمل ما له في الاخرة من خلاق نصيب ولبئس ما شروا به انفسهم
يحتمل المعنيين على ما مر لو كانوا يعلمون يتفكرون فيه او يعلمون قبحه على التعيين او حقيقة ما
يتبعه من العذاب والمثبت لهم اولا على التاكيد القسمي العقل الغريزي او العلم الاجمالي بقبح الفعل او
ترتب العقاب من غير تحقيق وقيل معناه لو كانوا يعملون بعلمهم فان من لم يعمل بما علم فهو كمن
لم يعلم ولو انهم آمنوا بالرسول والكتاب واتقوا بترك المعاصي كنبذ كتاب الله واتباع السحر
لمثوبة من عند الله خير جواب لو واصله لاثيبوا مثوبة من الله خيرا مما شروا به انفسهم فحذف
الفعل وركب الباقي جملة اسمية لتدل على ثبات المثوبة والجزم بخيريتها وحذف المفضل عليه
اجلالا للمفضل من ان ينسب اليه وتنكير المثوبة لان المعنى لشيء من الثواب خير وقيل لو للتمني ولمثوبة
كلام مبتدأ وقرئ لمثوبة كمشورة وانما سمي الجزاء ثوابا ومثوبة لان المحسن يثوب اليه لو كانوا
يعلمون ان ثواب الله خير جهلهم لترك التدبر او العمل بالعلم يا ايها الذين آمنوا لا تقولوا راعنا وقولوا
انظرنا الرعي حفظ الغير لمصلحته وكان المسلمون يقولون للرسول راعنا اي راقبنا وتأن بنا
فيما تلقننا حتى نفهمه وسمع اليهود فافترصوه وخاطبوه به مريدين نسبته الى الرعن او سبه
بالكلمة العبرانية التي كانوا يتسابون بها وهي راعينا فنهي المؤمنون عنها وامروا بما يفيد تلك الفائدة

قوله فمعناه على الاول اي على تقدير عطف قوله وما انزل على الملكين على قوله السحر وعلى كون لفظة ما
في قوله ما انزل غير نافية فهذا هو صورة الاثبات قوله ما يعلمان احدا حتى ينصحاه ويقولا له انما نحن ابتلاء من الله
فمن تعلم منا وعمل به كفر انتهى وانما قال المصنف في الاول اي في صورة الاثبات ما يعلمان احدا حتى ينصحاه ويقولا له
للاحتياج الى التكلف في هذه الصورة الاولى لانه لما صدر هذا الكلام من الملكين لم يصح ابقاء قولهما فلا تكفر على ظاهره
فلهذا تكلف البيضاوي بقوله حتى ينصحاه ويقولا له

قوله ومعناه على الثاني اي تقدير عطف قوله وما انزل على الملكين على قوله وما كفر سليمان ونفيه ما
نافية ثم قال الكازروني رحمه الله قوله وعلى الثاني المراد [illegible] وان يكون هاروت وماروت
بدلين من الشياطين بدل البعض من الكل كما صرح البيضاوي بقوله ومن جعل ما نافية ابدلهما من الشياطين بدل البعض
وما بينهما اعتراض واكتفى المصنف في هذه الصورة بقوله [illegible] ما يعلمانه حتى يقولا ولم يفصل كما في الصورة الاولى
لعدم الاحتياج الى التكلف في ترتب قوله فلا تكفر على لفظة ما في هذه الصورة الثانية لان في هذه الصورة الثانية التي
هي صورة النفي لما لم يصدر عنهما هذا الكلام اعني قولهما انما نحن فتنة صح ابقاء فلا تكفر على ظاهره ولم يحتج الى التكلف
واما في الصورة الاولى التي هي صورة الاثبات لما صدر هذا الكلام منهما لم يصح ابقاؤه فلا تكفر على ظاهره فلهذا
قال المصنف في صورة الاولى اي تقدير عطف قوله وما انزل على السحر وعدم كون لفظة ما نافية ثم فصله حتى ينصحاه ويقولا له
انما نحن ابتلاء من الله فمن تعلم منا وعمل به كفر فهذه تفصيل حرف الفقير [illegible] اخذا من حاشية مولانا
واستاذنا المحشي خسرو عليه الرحمة حيث قال [illegible] وانما قال المصنف في الاول ما يعلمان
احدا حتى ينصحاه ولم يقل في الصورة الثانية كذلك بل قال ما يعلمانه حتى يقولا لان الظاهر من قولهما انما نحن فتنة
فلا تكفر هو المعنى المذكور ثانيا لعدم احتياج ترتب فلا تكفر على قوله الى تكلف حينئذ بخلاف المذكور اولا
اذ يحتاج ح الى تكلف ذكره المصنف ففي صورة الاثبات لما صدر هذا الكلام عن الملكين لم يصح ابقاء فلا تكفر
على ظاهره وفي صورة النفي لما لم يصدر عنهما صح ابقاؤه على ظاهره [illegible] ان يفهم هذا الكلام ثم قال الفاضل المرحوم رحمه الله
القائل بالثاني كما يحتاج الى تاويل قوله حتى يقولا كذلك يحتاج الى تاويل قوله فيتعلمون منهما بل هو اهم واوجب
لان الظاهر ان ضمير منهما راجع الى الملكين فينافي ما سبق وكان الواجب على المص التعرض له وتاويله ان ضمير
منهما راجع الى الكفر والسحر المذكورين سابقا فيحصل الارتباط

قوله يتفكرون فيه او يعلمون [illegible] هذا التفسير [illegible] على تقدير علمهم
[illegible]
[illegible] ما ترتب عليه من العذاب
قوله ولبئس ومعناه لو كانوا يعلمون [illegible]
[illegible]
مختار صاحب الكشاف اوفق لمقام الذم فليتامل

فصلا عن ان ثلاثا فان ظاهر السوق يقتضي كون ما افتدت به مما اوتين على ما لا يخفى سعدي چلبي

قوله الا ان يخافا بضم الياء على بناء المجهول معناه الا ان يخوف او لنوريه كه حدود الله ايله قائم اولمازلر يحل لكم ان تاخذوا مما اتيتموهن ايها الحكام ... او لنمق ممكن ... [illegible]

قال الامام الخوف المذكور في هذه الاية يمكن حمله على الخوف المشهور وهو الاشفاق مما يكره وقوعه ويمكن حمله على الظن وذلك لان الخوف حالة نفسانية مخصوصة وسبب حصولها ظن ان سيحدث مكروه في المستقبل واطلاق اسم المعلول على العلة مجاز مشهور فيجوز ان يطلق على هذا الظن اسم الخوف مجازا شيخ زاده

اذا جرى بغير لفظ الطلاق مثل ان يقال خالعتك او فاديتك كذا ذهب ابو حنيفة والشافعي في قوله الاول الى ان الخلع طلقة بائنة وقال الشافعي في قوله الاخر انه فسخ واحتج بقوله تعالى فان طلقها فان ذكر هذا القول عقيب ذكر الخلع المذكور بعد الطلقتين يقتضي ان يكون هذا التطليق طلقة رابعة لو كان الخلع طلاقا واختار المص كونه طلاقا واجاب عن لزوم تربيع الطلاق بقوله فان طلقها بان ترتيبها ثم لما يلزم ان لو كان الخلع المعتد به طلاقا مرتبا على الطلقتين وكان قوله فان طلقها مرتبا على الخلع وليس كذلك فان قوله فان طلقها تفسير وتفصيل لحكم الطلاق الثالث الذي اشير اليه بقوله او تسريح باحسان وليس طلقة رابعة مرتبة عليه وكذا الخلع فانه وان كان في نفسه طلاقا الا انه ليس طلاقا مستقلا مرتبا على تلك الطلقة الثالثة بل ان الخلع وقعت معترضة بين الطلقة الثالثة وبيان حكمها للاشارة الى ان الطلقات المذكورة قد تقع مجانا وقد تقع بعوض ... بعد ما حكم بان الطلاق الرجعي مرتان خير بين الامساك والتطليق الثالث ثم بين ان الطلاق كما يقع مجانا يقع بعوض ثم بين حكم الطلقة الثالثة فكانه قال فان امسكها بعد الطلقتين فذاك وان طلقها بعدهما فلا تحل له من بعد ذلك الطلاق لا بطريق الرجعة ولا بتجديد العقد حتى تنكح الخ هذا على تقدير ان يكون قوله تعالى او تسريح باحسان اشارة الى الطلقة الثالثة وان لم يكن اشارة اليها بل ذكر لبيان ان الرجع مع المراة بعد الطلقة الثانية احوال ثلاثة الاولى ان راجعها وهو المراد بقوله فامساك بمعروف والثاني ان لا راجعها بل تركها حتى تنقضي العدة وتحصل البينونة وهو المراد بقوله او تسريح باحسان والثالث ان يطلقها طلقة ثالثة وهو المراد بقوله فان طلقها فمقتضى الظاهر ان يكون نظم الاية هكذا الطلاق مرتان فامساك بمعروف او تسريح باحسان فان طلقها فلا تحل له من بعد حتى تنكح زوجا غيره فاية الخلع كالشيء الاجنبي بين هاتين الايتين الا انها قد تخللت بينهما بناء على ان كل واحد من الرجعة والخلع لا يصح الا قبل الطلقة الثالثة واما بعد الطلقة الثالثة فلا يبقى شيء منهما فلهذا السبب ذكر الله تعالى حكم الرجعة ثم اتبعه بحكم الخلع ثم ذكر بعد الكل حكم الطلقة الثالثة لانه كالخاتمة لجميع الاحكام المعتبرة في هذا الباب وعلى كل تقدير يسقط لزوم تربيع الطلاق شيخ زاده

قوله فان طلقها الطلاق المذكور الموصوف بالتكرار في قوله تعالى الطلاق مرتان ... او فان طلقها مرة بعد المرتين فلا تحل له من بعد ...

ولا يقبل التلبيس وهو انظرنا بمعنى نظر الينا او انتظرنا من نظره اذا انتظره وقرئ انظرنا من الانظار اي امهلنا لنحفظ وقرئ راعونا على لفظ الجمع للتوقير وراعنا بالتنوين اي قولا ذا رعن نسبة الى الرعن وهو الهوج لما شابه قولهم راعنا وتسبب للسب واسمعوا واحسنوا الاستماع حتى لا تفتقروا الى طلب المراعاة او واسمعوا سماع قبول لا كسماع اليهود او واسمعوا ما امرتم به بجد حتى لا تعودوا الى ما نهيتم عنه وللكافرين عذاب اليم يعني الذين تهاونوا بالرسول وسبوه ما يود الذين كفروا من اهل الكتاب ولا المشركين نزلت تكذيبا لجمع من اليهود يظهرون مودة المؤمنين ويزعمون انهم يودون لهم الخير والود محبة الشيء مع تمنيه ولذلك يستعمل في كل منهما ومن للتبيين كما في قوله تعالى لم يكن الذين كفروا من اهل الكتاب والمشركين ان ينزل عليكم من خير من ربكم مفعول يود ومن الاولى مزيدة للاستغراق والثانية للابتداء وفسر الخير بالوحي والمعنى انهم يحسدونكم به وما يحبون ان ينزل عليكم شيء منه وبالعلم وبالنصرة ولعل المراد به ما يعم ذلك والله يختص برحمته من يشاء يستنبئه ويعلمه الحكمة وينصره لا يجب عليه شيء وليس لاحد عليه حق والله ذو الفضل العظيم اشعار بان النبوة من الفضل وان حرمان بعض عباده ليس لضيق فضله بل لمشيئته وما عرف فيه من حكمته ما ننسخ من آية او ننسها نزلت لما قال المشركون او اليهود الا ترون الى محمد يامر اصحابه بامر ثم ينهاهم عنه ويامر بخلافه والنسخ في اللغة ازالة الصورة عن الشيء واثباتها في غيره كنسخ الظل للشمس والنقل ومنه التناسخ ثم استعمل لكل واحد منهما كقولك نسخت الريح الاثر ونسخت الكتاب ونسخ الآية بيان انتهاء التعبد بقراءتها او الحكم المستفاد منها او بهما جميعا وانساؤها اذهابها عن القلوب وما شرطية جازمة لننسخ منتصبة به على المفعولية وقرأ ابن عامر ما ننسخ من انسخ اي نامرك او جبريل بنسخها او نجدها منسوخة وابن كثير وابو عمرو ننسأها اي نؤخرها من النسء وقرئ ننسها اي ننس احدا اياها وتنسها اي انت وتنسها على البناء للمفعول وننسكها باظهار المفعولين نأت بخير منها او مثلها اي بما هو خير للعباد في النفع والثواب او مثلها في الثواب وقرأ ابو عمرو بقلب الهمزة الفا الم تعلم ان الله على كل شيء قدير فيقدر على النسخ والاتيان بمثل المنسوخ وبما هو خير منه والآية دلت على جواز النسخ وتاخير الانزال اذ الاصل اختصاص ان وما يتضمنها بالامور المحتملة وذلك لان الاحكام شرعت والآيات نزلت لمصالح العباد وتكميل نفوسهم فضلا من الله ورحمة وذلك يختلف باختلاف الاعصار والاشخاص كاسباب المعاش فان النافع في عصر قد يضر في غيره واحتج بها من منع النسخ بلا بدل او ببدل اثقل ونسخ الكتاب بالسنة فان الناسخ هو المأتي به بدلا والسنة ليست كذلك والكل ضعيف اذ قد يكون عدم الحكم والاثقل اصلح والنسخ قد يعرف بغيره والسنة مما اتى به الله وليس المراد بالخير والمثل ما يكون كذلك في اللفظ والمعتزلة على حدوث القرآن فان التغير والتفاوت من لوازمه واجيب بانهما من عوارض الامور المتعلقة بالمعنى القائم بالذات القديم الم تعلم الخطاب للنبي صلعم والمراد هو وامته لقوله وما لكم

وما لكم من

٢٣٢
قوله تعالى وبلغن اجلهن اي اخر عدتهن وشارفن منتهاها والاجل يقع على المدة كلها وعلى اخرها ويقال لعمر الانسان
اجل ويتسع في البلوغ ايضا فيقال بلغ البلد اذا شارفه ودنا منه ويقال قد وصل ولم يصل وانما شارف وقد
قد علم ان الامساك بعد تقضي الاجل لا وجه له لانها بعد تقضيه غير زوجة له وفي غير عدة منه فلا سبيل له عليها
قوله وقد يقال قد وصل اه يعني ان هذا الاتساع جار في كل ما هو في معنى البلوغ كالاوصول وتحقيقه
انه مجاز باعتبار ما يؤول او استعارة تشبيها للمتقارب الوقوع بالوقوع في البعد عن القوة المحضة والقرب
عن حصول الاثر سعد الدين رحمه الله قوله اي اخر عدتهن اه لا خفاء في ان ليس المعنى على بلوغهن الاجل دوف
الى قرب من اخره فوجب تفسير الاجل باخر المدة والبلوغ بمشارفته والقرب منه سعد الدين

٢٣١
قوله واذكروا نعمة الله عليكم من جملتها الهداية يعني ليس المراد بنعمة الله مجرد الاسلام ونبوة محمد صلى الله عليه وسلم
على ما في الكشاف اذ لا وجه لترك عموم اللفظ وكان الكشاف راعى عطف قوله وما انزل عليكم عليها مع انه مندرج تحت النعمة
مخصصها ليكون العطف عطف مغاير على مغاير وهو راعى عموم النعمة وعدل في العطف عن ظاهره وجعله من عطف
الخاص على العام للتنبيه على فضله وما اختاره اقرب والابلغ فهو اوجب واسوغ عصام رحمه الله

٢٣١
قوله ولا تتخذوا ايات الله هزوا اه اشارة الى ما يستتبع الظلم عليهن بما هو انسب منه وهو اتخاذ ايات الله
هزوا وحمله على معنى ان تكونوا بازاعين بايات الله عصام

٢٣٢
قوله وهو ابعاد وتحكم اه جواب عما يقال قوله تعالى واذا طلقتم النساء فبلغن اجلهن لا فرق منه ومن قوله الطلاق مرتان فامساك
بمعروف او تسريح باحسان فيكون اعادة هذه الاية بعد ذكر تلك الاية تكرار الكلام من غير فائدة وتقرير الجواب منع هذا التكرار
بلا فائدة فان من ذكر حكما يتناول صورا كثيرة وكان اثبات ذلك الحكم في بعض تلك الصور اهم ثم بعد ان يعاد بعد
ذلك الحكم العام تلك الصورة الخاصة مرة اخرى ليدل ذلك التكرار على ان في تلك الصورة من الاهتمام ما ليس في غيرها وذلك
كذلك وذلك لان قوله تعالى الطلاق مرتان فامساك بمعروف او تسريح باحسان فيه بيان انه لا بد في مدة العدة من احد
هذين الامرين واما في هذه الاية ففيها بيان ان عند مشارفة العدة على الزوال اولى بالوجود منه سائر الاوقات التي قبل
لان اعظم انواع المضرة ان يطلقها ثم يراجعها مرتين عند اخر الاجل حتى يبقى في العدة تسعة اشهر فلما كان هذا اعظم انواع
المضرة ولم يقبح الى يعيد الله تعالى حكم هذه الصورة وتنبيها على ان هذه الصورة اعظم الصور اشتمالا على المضارة واولاها بان نحى
المكلف عنه شيخ زاده

٢٣٣
قوله فنهى عنه بعد الامر اه جواب عما يقال لا فرق بين ان يقول امسكوهن بمعروف وبين قوله لا تمسكوهن ضرارا لان الامر
بالشيء نهي عن ضده فما الفائدة في التكرار وتقرير الجواب ان الامر لا يفيد التكرار ولا يدل على كون امتثال المامور به مطلوبا في
كل الاوقات فلو اقتصر على الامر لجاز للمكلف ان يمسكها بمعروف في برهة من الزمان وكان في قلبه ان يضارها فيما بعد ذلك
فلما قال تعالى بعد الامر المذكور ولا تمسكوهن ضرارا دل ذلك على المبالغة في التوصية بالامساك بالمعروف لدلالته على
ان الامساك المذكور مطلوب منه في جميع الاوقات فاندفعت الشبهات شيخ زاده رحمه الله

٢٤٥
قوله وعلى انه جملة فعلية بان لا يقدر مبتدا ويكون هذه الجملة خبر عنه والفعلية مبتدا اي مقطوعه عن الجزاء ومعطوفة
على الجملة الشرطية وان جعل جملة نكفر عنهم سيئاتهم خبر مبتدا محذوف يكون الجملة الاسمية معطوفة على ما بعد الفا
وذلك لان حرف الشرط لا يعمل فيما بعد الفا لان الجزم رابطة والفاء ايضا رابطة فاستغني بالفا عن الجزم
فلو كان ما بعد الفاء فعلا مضارعا لم يجز ان يرفع فما بعد الفاء يكون في محل الرفع وكذا لو قدر المبتدا يكون الجملة
معطوفة ايضا على ما بعد الفا فقوله هو خير لكم وانما قدر المبتدا ليحصل التوافق بين المعطوف والمعطوف عليه في الاسمية
قوله ومجزوما اي قرا نافع بالجزم بنون وجزم الرا عطفا على محل الجملة الواقعة جوابا للشرط وهي مجموع الفا مع ما بعدها
لا ما بعد الفاء وحده فانه لا اثر للعامل فيه لما ذكر فلو وقع بعد الفا مضارع لكان مرفوعا كما في قوله تعالى ومن عاد
فينتقم الله منه وكذا الحال فيما كان معطوفا على ما وقع بعد الفا كما في قوله تعالى ومن يضلل الله فلا هادي له ويذرهم
في طغيانهم وكلمة من في قوله تعالى من سيئاتكم للتبعيض اي بعض سيئاتكم لان الصدقات لا تكفر جميع السيئات
وعلى هذا فالمفعول في الحقيقة محذوف اي شيئا كائنا من سيئاتكم ويحتمل ان تكون زائدة على مذهب الاخفش
شيخ زاده

٢٧١
قوله ترغيب في الاسرار وذلك لان كلمة ما في قوله بما تعملون تعم جميع ما عملوه مما اخفوه واعلنوه فكانه قال
انما تريدون بالانفاق مرضاتي وثوابي فاذا حصل مقصودكم بالاخفاء فما وجه الابداء مع ما فيه من احتمال الفساد والتادي
الى خلاف المراد شيخ زاده رحمه الله

٢٧٢
قوله لا يجب عليك ان تجعل الناس مهديين بان توفقهم على الاهتداء او بان تخلق فعل الاهتداء فيهم وانما ذلك الى
من له الخلق والامر وانما فسر الهدى ههنا بالتوفيق على الاهتداء وتخليقه لانه كان على رسول الله عليه السلام هدى البيان
والدعوة لجميع الخلق قال الشيخ الماتريدي الاية حجة على المعتزلة فانهم يقولون بان المراد من الهدى مما هو البيان وذلك
من الرسول وقد اخبر الله تعالى انه ليس على الرسول هديهم ومن المعلوم انه يجب عليه البيان والتبليغ بالاجماع
فعلم ان هناك فعل هدى الذي لا تملكه الرسول ذلك وهو التوفيق على الهداية والتخليق له وارتباط هذه الاية بما
انه تعالى لما دعى اولا الى اصل الانفاق واخفائه بين بهذه الاية جواز الانفاق على المشركين ويدل عليه ما ذكر في سبب
نزولها وهو ما روي عن ابن عباس رضي الله عنهما انه قال اعتمر رسول الله صلى الله عليه وسلم عمرة القضاء وكانت
معه في العمرة اسماء بنت ابي بكر رضي الله عنهما فجاءتها امها قتيلة وجدتها تسألانها وهما مشركتان فقالت لا اعطيكما شيئا
حتى استأمر رسول الله عليه السلام فانكما لستما على ديني فنزلت هذه الاية فامرها رسول الله عليه السلام ان تتصدق عليهما واما الركن فلا يجوز صرفها
الى غير مسلم شيخ زاده

٢٧٣
قوله فهو تاكيد لشرطية السابقة فينبغي ان لا يعطف الا انه لم يقصد به التاكيد الصرف بل المقصود الاصلي منه
تكثير الدليل على قبح المن والاذى فعطف عليها باين من عطف دليل وتوضيحه ان الاول يمنعك بانه منة على الغير
بما نفعه لكم ولا منة في مثله والثاني يمنعك بانه منة على الغير بما يأخذون العوض اضعافا ولا منة فيما يوفى له العوض
عصام رحمه الله

٢٧٣
قوله ودليل هو نفي الالحاف ولا يخفى ان هذا الوجه اغرب نفي السؤال والالحاف جميعا اوغل في التعفف وفي ان يحسبوا اغنياء
وانكر المصنف جعله كالمرجوح لما ان هذه الطريقة انما يحسن اذا كان ذلك النفي بمنزلة اللازم قال العالم من حال المتعفف
ان لا يطالع ومن حال المتبار ان يهتدي فيكون نفي اللازم نفيا للملزوم بطريق برهاني وليس الالحاف بالنسبة الى السؤال كذلك
لانه يمكن ان يكون منه وهو الرفق والتلطف الشبه باللازم سعد الدين رحمه الله يعني ملازمت ونفي طريقه ابتدا وبدايت
في ملزومي لازم كلور اكثر يا مثلا طريق مجرد مسلك ومنع اولنمش رحي بو انكرا بنه مهتدي اولورلر اول مسلكي ابتدا وبدايت طريقي معمور
اولمغله لازم كلور لا يهتدي قوبلر مشارد وحي منتفي اولور نه بدايت وارد نه مشار ودلالت وارد بونك اوله تعلقيني مت
نفي لازم كلور بعده سوالك لازمي ذكر ايدر زيرا لزوميدن مراد اكثر يا عدم انفكاكدر الحاح السندنا در وادرا اكثر يا سوال رفق
وتلطف ايله اولنه سعد الدين مرحوم والتلطف اشبه باللازم منظور الالحاح الى السؤال ديمك مراد ايدب علاقه لازم
حقيقيه ذكر ايله كه لازمه مشابه در لكن رفق وتلطف لازمه اشبه در مشابه الالحاح دير منجلكن
مقصود سعد الدين عليه الرحمة والغفران
سوده العبد لانتساخ مجموعه كي عوله .. ١٥

والفرق

قوله والفرق اي بين المقيس والمقيس عليه بين ومحصوله ان السلعة مطلوبة لاعيانها بخلاف الاثمان والنقود فجاز ان يرغب المشتري في سلعة باضعاف قيمتها لخصوصية في عينها ولا يوجد هذا المعنى في النقود فيضيع الز[illegible] المدفوع فيها [illegible]

قوله بانهم قالوا انما البيع مثل الربوا اي ذلك العقاب بسبب انهم نظموا الربوا والبيع في سلك واحد لافضائهما فاستحلوا استحلاله وقالوا يجوز بيع درهم بدرهمين كما يجوز بيع ما قيمته درهم بدرهمين بل جعلوا الربا اصلا في الحل وقاسوا به البيع مع وضوح الفرق بينهما فان احد الدرهمين في الاول ضايع حتما وفي الثاني منجبر بمساس الحاجة الى السلعة او بتوقع رواجها

٨١

لولدها واسمه المسيح عيسى ابن مريم قال قيل كيف صح جعل الثلثة على التعاقب خبرا عن اسمه وانما الاسم واحد منها وهو عيسى فاجيب بان ليس المراد بالاسم هو العلم المقابل للقلب بل ما [illegible] بل العلامة التي بها الامتياز وهي مجموع الثلاثة لا واحد ولا كل واحد قال قيل ابن مريم لا يصح حمله على اسمه اصلا لان الابن هو المسيح لا الاسم قلت نعم لو اريد به المفهوم لا اللفظ وكذلك المسيح وعيسى

[illegible]

٨١

٨١

قوله او قد جئتكم بآية على ان الله ربي وجه ثان لكونه انسبيا مبني على قراءة من فتح همزة ان الله على اسقاط
الخافض وهو كلمة على المتعلقة بآية قوله ما ذكرت لكم من خلق الطين كهيئة الطير وابراء الاكمه والابرص واحياء الموتى
والانباء بالغيوب الخفية على وجهها وبغيره من ولادتي بغير اب ومن كلامي في المهد بكلام الانبياء والحكماء الى غير ذلك

قوله الفارق بين النبي والساحر فان الرسل يظهرون الخوارق لاجل دعوة الحق واما الساحر فليس دعوتهم   من شيخ زاده
ما ذكر ولا اظهار الخوارق لاجله وكيف ان يقول الا دعوة الحق المجمع عليها فيما بين الرسل ليس الا ان الله ربي وربكم
بل هي شهادة ان لا اله الا الله وان الله رب كل شيء ويرد مسئلة على ما سبق من قوله ان الله ربي وربكم اشارة الى
استعمال القوة النظرية باعتقاد الحق الذي غاية التوحيد هو شهادة ان لا اله الا الله   من كازرونى
او جئتكم بانه على ان الله ربي وربكم هذا قراءة من قرأ ان بفتح الهمزة وهو من القراءات الثلث وذلك على النص
بيان قراءة المذكور   من كازرونى

٤١

وانما اورده لانه اعلم وهو مبدا علمهم ان الله له ملك السموات والارض يفعل ما يشاء ويحكم
ما يريد وهو كالدليل على قوله ان الله على كل شيء قدير وعلى جواز النسخ ولذلك ترك العاطف وما لكم
من دون الله من ولي ولا نصير وانما هو الذي يملك اموركم ويجريها على ما يصلحكم والفرق
بين الولي والنصير ان الولي قد يضعف عن النصرة والنصير قد يكون اجنبيا عن المنصور ام
تريدون ان تسئلوا رسولكم كما سئل موسى من قبل ام معادلة للهمزة في الم
تعلم اي الم تعلموا انه مالك الامور قادر على الاشياء كلها يامر وينهى كما اراد ام تعلمون وتقترحون
بالسؤال كما اقترحت اليهود على موسى او منقطعة والمراد ان يوصيهم بالثقة به وترك الاقتراح
عليه قيل نزلت في اهل الكتاب حين سالوا ان ينزل الله عليهم كتابا من السماء وقيل في المشركين
لما قالوا لن نؤمن لرقيك حتى تنزل علينا كتابا نقرؤه ومن يتبدل الكفر بالايمان فقد
ضل سواء السبيل ومن ترك الثقة بالايات البينات وشك فيها واقترح غيرها فقد ضل
الطريق المستقيم حتى وقع في الكفر بعد الايمان ومعنى الاية لا تقترحوا فتضلوا وسط السبيل ويؤدي
بكم الضلال الى البعد عن المقصد وتبديل الكفر بالايمان وقرئ يبدل من ابدل ود كثير من
اهل الكتاب من احبارهم لو يردونكم ان يردوكم فان لو ينوب عن ان في المعنى دون
اللفظ من بعد ايمانكم كفارا مرتدين وهو حال من ضمير المخاطبين حسدا علة ود
من عند انفسهم يجوز ان يتعلق بود اي تمنوا ذلك من عند انفسهم وتشهيهم لا من قبل التدين
والميل مع الحق او بحسدا اي حسدا بالغا منبعثا من اصل نفوسهم من بعد ما تبين لهم
الحق بالمعجزات والنعوت المذكورة في التورية فاعفوا واصفحوا العفو ترك عقوبة المذنب والصفح
ترك تثريبه حتى ياتي الله بامره الذي هو الاذن في قتالهم وضرب الجزية عليهم او قتل قريظة واجلاء
بني النضير وعن ابن عباس انه منسوخ باية السيف وفيه نظر اذ الامر غير مطلق ان الله على كل شيء قدير
فيقدر على الانتقام منهم واقيموا الصلوة واتوا الزكوة عطف على فاعفوا كانه امرهم بالصبر والمخالقة
واللجا الى الله تعالى بالعبادة والبر وما تقدموا لانفسكم من خير كصلوة او صدقة وقرئ تقدموا
من اقدم تجدوه عند الله اي ثوابه ان الله بما تعملون بصير لا يضيع عنده عمل وقرئ بالياء
فيكون وعيدا وقالوا عطف على ود والضمير لاهل الكتاب من اليهود والنصارى لن يدخل الجنة
الا من كان هودا او نصارى لف بين قولي الفريقين كما في قوله وقالوا كونوا هودا او نصارى
ثقة بفهم السامع وهود جمع هائد كعائذ وعوذ وتوحيد الاسم المضمر وجمع الخبر لاعتبار اللفظ والمعنى
تلك امانيهم اشارة الى الاماني المذكورة وهي ان لا ينزل على المؤمنين خير من ربهم وان يردوهم
كفارا وان لا يدخل الجنة غيرهم او الى ما في الاية على حذف المضاف اي امثال تلك الامنية امانيهم
والجملة اعتراض والامنية افعولة من التمني كالاضحوكة والاعجوبة قل هاتوا برهانكم
على اختصاصكم بدخول الجنة ان كنتم صادقين في دعواكم فان كل قول لا دليل عليه غير ثابت
بلى اثبات لما نفوه من دخول غيرهم الجنة من اسلم وجهه لله اخلص له نفسه او قصده
واصله العضو وهو محسن في عمله فله اجره الذي وعد له على عمله عند ربه ثابتا عنده لا يضيع

٤٠

قوله فان التغير والتفاوت من لوازمه يتوهم من هذه العبارة انهما من لوازم الحدوث وليس كذلك بل الحق ان يقال
ان التغير من ملزومات الحدوث لان هذا استدلال بالتغير على الحدوث والاستدلال يكون من الملزوم على اللازم لا العكس
اذ لا يلزم من وجود اللازم وعلى ما قلنا يكون مطابقا لما هو المشهور من الاستدلال بتغير العالم على حدوثه ويحتمل ان يقال
مراده ان التغير والتفاوت من لوازم العمران وهما مستلزمان الحدوث فيكون ههنا مقدمة مطوية او يقال ان المراد
من اللازم ههنا ما لا يتحقق بدون ذلك الشيء كما يقال فلان لازم بيته اي لا يخرج منه وهذا المعنى منقول عن الشريف المحقق كازروني

٤٥
قوله وهو كالدليل على قوله ان الله على كل شيء قدير فيه نظر اذ كل منهما مستلزم للاخر فان القدرة على كل شيء تستلزم ملكية السموات
والارض وبالعكس فمن اتصف بكونه قادرا على كل شيء يجب ان يكون له ملك السموات والارض ومن اتصف بانه يكون له ملك
السموات والارض يجب ان يكون قادرا على كل شيء فجعل احدهما دليلا على الاخر ليس اولى من العكس والجواب انهما وان كانا
متلازمين في نفس الامر لكن استلزام احدهما للاخر اظهر عند العقل من استلزام الاخر له فان استلزام كون له تعالى ملك السموات
والارض لكونه قادرا على كل شيء اظهر من العكس فان الايجاد بالفعل ظاهر الاستلزام للقدرة لان من لم يقدر لا يمكن ان يوجد
بالاختيار لكن القدرة لا تستلزم الايجاد بالفعل قوله والنصير قد يكون اجنبيا من المنصور يفهم منه ان الولي ههنا بمعنى القريب
وهذا انسب بالاية وليس بصحيح ايضا بل المراد ههنا الحاكم فيجب ان يفرق بينهما بان الولي الذي هو الحاكم قد يكون عاجزا عن النصرة
والنصير قد لا يكون حاكما لا يقال يفهم من الاية ان لا حاكم غيره فلا يتجه الفرق المذكور بل الحاكم لا يكون عاجزا عن النصرة لانا نقول المراد
من الولي في الاية الحاكم حقيقة وفي قولنا الحاكم الولي قد يكون عاجزا ما هو اعم واعلم ان ثبوت العموم من وجه بينهما لا يحتاج الى ان يقال
الولي قد يضعف عن النصرة بل لو كان قادرا عليها ولم ينصر لم يكن نصيرا ويكون وليا قوله الم تعلم دليله يلزمهم الاستفهام للتوبيخ
يعني ان شانهم ان لا يقترحوا بالسؤال ويفوضوا الامر الى الله المالك الامور كلها الذي ليس لهم ولي ولا نصير الا هو فلما اقترحوا
بالسؤال صاروا عاصين بخلاف مقتضى علمهم كما فعل قوم موسى وعلى ما ذكر يكون المخاطب في قوله الم تعلم ليس بعينه المخاطب في ام تريدون
اذ المخاطب في الاول هو النبي عليه السلام وامته وفي الثاني امته فقط هذا مضمون كلامه والوجه ان يقال اذا كانت ام متصلة
يكون الم تعلم خطابا للامة واذا كانت منقطعة يجوز ان يكون الم تعلم خطابا للنبي وامته لكن الاولى ان يكون المخاطب غير النبي
صلى الله عليه وسلم في الاثنين والوجه ان يكون هذه الاية نازلة في المؤمنين للنهي عن اقتراحهم كما ذكره اولا والخطاب في قوله الم تعلم
لهم ايضا في الحقيقة وان كان في الظاهر خطابا للنبي عليه السلام مم كازروني

قوله ٣١
ام معادلة للهمزة اي متصلة وهي ما كان بعد الهمزة ويكون معها بمعنى اي ويستفهم بها عن التعيين بعدما ثبت عند المتكلم احدهما
لا على التعيين فيكون المعطوف مع المعطوف عليه بتقدير استفهام واحد لان المجموع بمعنى اي فجوابه بالتعيين واما المنقطعة فلا يثبت
احد الامرين عند المتكلم ويكون الكلام معها على كلامين لانه اضراب عن الكلام الاول وشروع في استفهام مستانف
فهي اذن متضمنة لمعنى بل الاضرابية والهمزة الاستفهامية والانكارية وقد تكون بمعنى بل وحده كما في قوله تعالى ام انا خير من هذا الذي
هو مهين اذ لا معنى للاستفهام ههنا وعلى تقدير كونها متصلة تكون الاية مرتبطة بما قبلها ووجه الارتباط انه تعالى لما رد على اليهود
طعنهم في النسخ ببيان انه حكيم يراعي مصالح العباد فيما شرعه من الاحكام ونتيجة اشار الى ان تقترح [illegible] ومن اهل ذلك
كانه [illegible] وهو الاقتراح بالسؤال اي المفاجاة من غير روية فقال الم تعلموا حال اقتراحكم ان الله مالك الامور وكيت وكيت
ام تعلمون ذلك وتقترحون [illegible] وكذا الكلام على تقدير كونها منقطعة الا ان الكلام الذي يقع الاضراب عنه ينتهي عند قوله ولا نصير
وجه رد على اليهود [illegible] طعنهم في النسخ وحملهم على الاقرار بقوله الم تعلم ثم انكر عليهم فيما اقترحوه من السؤال بالطريق حيث نزلهم منزلة
من اراد الاقتراح فانكر على ارادته فضلا عن مباشرته نفسه والكاف في قوله كما سئل في محل النصب على انه صفة مصدر محذوف
[illegible] سؤالا مثل سؤال موسى [illegible] على اضافة المصدر الى المفعول

ولا ينقص والجملة جواب من ان كانت شرطية وخبرها ان كانت موصولة والفاء لتضمنها معنى
الشرط فيكون الرد بقوله بلى وحده ويحسن الوقف عليه ويجوز ان يكون من اسلم فاعل فعل
مقدر مثل بلى يدخلها من اسلم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون في الآخرة وقالت
اليهود ليست النصارى على شيء وقالت النصارى ليست اليهود على شيء اي امر
يصح ويعتد به نزلت لما قدم وفد نجران على رسول الله صلعم واتاهم احبار اليهود فتناظروا
وتقاولوا بذلك وهم يتلون الكتاب الواو للحال والكتاب للجنس اي قالوا ذلك وهم من اهل
العلم والكتاب كذلك مثل ذلك قال الذين لا يعلمون مثل قولهم كعبدة الاصنام والمعطلة
وبخهم على المكابرة والتشبه بالجهال فان قيل لم وبخهم وقد صدقوا فان كلا الدينين بعد
النسخ ليس بشيء قلت لم يقصدوا ذلك وانما قصد به كل فريق ابطال دين الآخر من اصله والكفر بنبيه
وكتابه مع ان ما لم ينسخ منهما حق واجب القبول والعمل به والله يحكم بينهم بين الفريقين
يوم القيمة فيما كانوا فيه يختلفون بما يقسم لكل فريق ما يليق به من العقاب وقيل حكمه بينهم
ان يكذبهم ويدخلهم النار ومن اظلم ممن منع مساجد الله عام لكل من خرب مسجدا
او سعى في تعطيل مكان مرشح للصلوة وان نزل في الروم لما غزوا بيت المقدس وخربوه وقتلوا
اهله او المشركين لما منعوا رسول الله صلعم ان يدخل المسجد الحرام عام الحديبية ان يذكر فيها اسمه
ثاني مفعولي منع وسعى في خرابها بالهدم او التعطيل اولئك اي المانعون ما كان لهم ان يدخلوها
الا خائفين ما كان ينبغي لهم ان يدخلوها الا بخشية وخضوع فضلا ان يجترؤا على تخريبها
او ما كان الحق ان يدخلوها الا خائفين من المؤمنين ان يبطشوا بهم فضلا ان يمنعوهم منها
او ما كان لهم في علم الله وقضائه فيكون وعدا للمؤمنين بالنصرة واستخلاص المساجد منهم
وقد انجز وعده وقيل معناه النهي عن تمكينهم من الدخول في المسجد واختلف الائمة فيه
فجوزه ابو حنيفة ومنع مالك وفرق الشافعي بين المسجد الحرام وغيره لهم في الدنيا خزي
قتل وسبي واذلة بضرب الجزية ولهم في الآخرة عذاب عظيم بكفرهم وظلمهم
ولله المشرق والمغرب يريد بهما ناحيتي الارض اي له الارض كلها لا يختص به مكان
دون مكان فان منعتم ان تصلوا في المسجد الحرام والاقصى فقد جعلت لكم الارض مسجدا
فاينما تولوا ففي اي مكان فعلتم التولية شطر القبلة فثم وجه الله اي جهته التي امر بها
فان امكان التولية لا يختص بمسجد او مكان او فثم ذاته اي عالم مطلع بما يفعل فيه
ان الله واسع باحاطته بالاشياء او برحمته يريد التوسعة على عباده عليم بمصالحهم
واعمالهم في الاماكن كلها وعن ابن عمر انها نزلت في صلوة المسافر على الراحلة وقيل
في قوم عميت عليهم القبلة فصلوا الى انحاء مختلفة فلما اصبحوا تبينوا خطأهم وعلى هذا
لو اخطأ المجتهد ثم تبين له الخطأ لم يلزمه التدارك وقيل هي توطئة لنسخ القبلة
وتنزيه للمعبود ان يكون في حيز وجهة وقالوا اتخذ الله ولدا نزلت لما قالت اليهود عزير
ابن الله والنصارى المسيح ابن الله ومشركوا العرب الملائكة بنات الله وعطفه على قالت

اليهود او منع او مفهوم قوله ومن اظلم وقرأ ابن عامر بغير واو سبحانه تنزيه له عن ذلك فانه يقتضي
التشبيه والحاجة وسرعة الفناء الا ترى ان الاجرام الفلكية مع امكانها وفنائها لما كانت باقية
ما دام العالم لم تتخذ ما يكون لها كالولد اتخاذ الحيوان والنبات اختيارا او طبعا بل له ما في السموات
والارض رد لما قالوه واستدلال على فساده والمعنى انه خالق ما في السموات والارض الذي
من جملته الملائكة وعزير والمسيح كل له قانتون منقادون لا يمتنعون على مشيته
وتكوينه وكل ما كان بهذه الصفة لم يجانس مكونه الواجب لذاته فلا يكون له ولدا لان من حق الولد
ان يجانس والده وانما جاء بما الذي لغير اولي العلم وقال قانتون على تغليب اولي العلم تحقيرا لشأنهم
وتنوين كل عوض عن المضاف اليه اي كل ما فيهما ويجوز ان يراد كل من جعلوه لله ولدا له مطيعون مقرون
بالعبودية فيكون الزاما بعد اقامة الحجة والآية مشعرة على فساد ما قالوه من ثلاثة اوجه
احتج بها الفقهاء على ان من ملك ولده عتق عليه لانه تعالى نفى الولد باثبات الملك وذلك يقتضي تنافيهما
بديع السموات والارض مبدعهما ونظيره السميع في قوله امن ريحانة الداعي السميع او بديع
سمواته وارضه من بدع فهو بديع وهو حجة رابعة وتقريرها ان الوالد عنصر الولد المنفعل بانفصال
مادته عنه والله سبحانه مبدع الاشياء كلها فاعل على الاطلاق منزه عن الانفعال فلا يكون والدا
والابداع اختراع الشيء لا عن شيء دفعة وهو اليق بهذا الموضع من الصنع الذي هو تركيب الصورة
بالعنصر والتكوين الذي يكون بتغيير وفي زمان غالبا وقرئ بديع مجرورا على البدل من الضمير في له و
منصوبا على المدح واذا قضى امرا اي اراد شيئا واصل القضاء اتمام الشيء قولا كقوله وقضى ربك او فعلا
كقوله فقضاهن سبع سموات واطلق على تعلق الارادة الالهية بوجود الشيء من حيث انه يوجبه فانما يقول له
كن فيكون من كان التامة اي احدث فيحدث وليس المراد به حقيقة امر وامتثال بل تمثيل حصول
ما تعلقت به ارادته تعالى بلا مهلة بطاعة المأمور المطيع بلا توقف وفيه تقرير لمعنى الابداع وايماء
الى حجة خامسة وهو ان اتخاذ الولد مما يكون باطوار ومهلة وفعله تعالى يستغنى عن ذلك وقرأ ابن
عامر فيكون واعلم ان السبب في هذه الضلالة ان ارباب الشرائع المتقدمة كانوا يطلقون
الاب على الله باعتبار انه السبب الاول حتى قالوا ان الاب هو الرب الاصغر والله سبحانه هو الرب
الاكبر ثم ظنت الجهلة منهم ان المراد به معنى الولادة فاعتقدوا ذلك تقليدا ولذلك كفر قائله ومنع
منه مطلقا حسما لمادة الفساد وقال الذين لا يعلمون اي جهلة المشركين او المتجاهلون من
اهل الكتاب لولا يكلمنا الله هلا يكلمنا كما يكلم الملائكة او يوحي الينا بانك رسوله او تأتينا
آية حجة على صدقك قالوا الاول استكبارا والثاني جحودا لان ما اتاهم آيات الله استهانة به
وعنادا كذلك قال الذين من قبلهم من الامم الماضية مثل قولهم فقالوا ارنا الله
جهرة هل يستطيع ربك ان ينزل علينا مائدة من السماء تشابهت قلوبهم قلوب هؤلاء
ومن قبلهم في العمى والعناد وقرئ بتشديد الشين قد بينا الآيات لقوم يوقنون اي يطلبون
اليقين او يوقنون الحقائق لا يعتريهم شبهة ولا عناد وفيه اشارة الى انهم ما قالوا ذلك
لخفاء في الآيات او لطلب مزيد يقين وانما قالوه عتوا وعنادا انا ارسلناك بالحق متلبسا مؤيدا به

بشيرا ونذيرا فلا عليك ان اصروا او كابروا ولا تسئل عن اصحاب الجحيم ما لهم لم يؤمنوا
بعد ان بلغت وقرأ نافع ويعقوب ولا تسأل على انه نهي للرسول عليه السلام عن السؤال عن حال ابويه
او تعظيم لعقوبة الكفار كانها لفظاعتها لا تقدر ان تخبر عنها او السامع لا يصبر على استماع خبرها فنهاه
عن السؤال والجحيم المتأجج من النار ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم
مبالغة في اقناط الرسول صلعم عن اسلامهم فانهم اذا لم يرضوا منه حتى يتبع ملتهم فكيف يتبعون
ملته ولعلهم قالوا مثل ذلك فحكى الله عنهم ولذلك قال تعليما للجواب قل ان هدى الله هو الهدى
اي هدى الله الذي هو الاسلام هو الهدى الى الحق لا ما تدعون اليه ولئن اتبعت اهواءهم
آراءهم الزائغة والملة ما شرعه الله لعباده على لسان انبيائه من امللت الكتاب اذا امليته والهوى
رأي يتبع الشهوة بعد الذي جاءك من العلم اي الوحي او الدين المعلوم صحته ما لك من الله
من ولي ولا نصير يدفع عنك عقابه وهو جواب لئن الذين آتيناهم الكتاب يريد به
مؤمني اهل الكتاب يتلونه حق تلاوته بمراعاة اللفظ عن التحريف والتدبر في معناه والعمل
بمقتضاه اولئك يؤمنون به بكتابهم دون المحرفين وهو حال مقدرة والخبر ما بعده او خبر على ان
المراد بالموصول مؤمنوا اهل الكتاب ومن يكفر به بالتحريف والكفر بما يصدقه فاولئك هم الخاسرون
حيث اشتروا الكفر بالايمان يا بني اسرائيل اذكروا نعمتي التي انعمت عليكم واني فضلتكم
على العالمين واتقوا يوما لا تجزي نفس عن نفس شيئا ولا يقبل منها عدل ولا تنفعها
شفاعة ولا هم ينصرون لما صدر قصتهم بالامر بذكر النعم والقيام بحقوقها والحذر عن
اضاعتها والخوف عن الساعة واهوالها كرر ذلك وختم به الكلام معهم مبالغة في النصح وايذانا بانه
فذلكة القضية والمقصود من القصة واذ ابتلى ابرهيم ربه بكلمات كلفه باوامر ونواه والابتلاء
في الاصل التكليف بالامر الشاق من البلاء لكنه لما استلزم الاختبار بالنسبة الى من يجهل العواقب
ظن ترادفهما والضمير لابرهيم وحسن لتقدمه لفظا وان تأخر رتبة لان الشرط احد التقدمين
والكلمات قد تطلق على المعاني فلذلك فسرت بالخصال الثلاثين المحمودة المذكورة في قوله التائبون
العابدون وقوله ان المسلمين الى آخر الآيتين وقوله قد افلح المؤمنون الى قوله اولئك هم الوارثون
كما فسرت بها في قوله فتلقى آدم من ربه كلمات وبالعشر التي هي من سنته وبمناسك الحج وبالكواكب
والقمرين وذبح الولد والنار والهجرة على انه تعالى عامله بها معاملة المختبر بهن وبما تضمنته
الآيات التي بعدها وقرئ ابرهيم ربه على انه دعا ربه بكلمات مثل ارني كيف تحيي الموتى
اجعل هذا البلد آمنا ليرى هل يجيبه وقرأ ابن عامر ابراهام فاتمهن فأداهن كملا
وقام بهن حق القيام كقوله وابراهيم الذي وفى وفي القراءة الاخرى الضمير لربه اي اعطاه
جميع ما دعاه قال اني جاعلك للناس اماما استئناف ان اضمرت ناصب اذ كانه قيل
فماذا قال له ربه حين اتمهن فاجيب بذلك او بيان لقوله ابتلى فتكون الكلمات ما ذكره
من الامامة وتطهير البيت ورفع قواعده والاسلام وان نصبته بقال فالمجموع جملة معطوفة
على ما قبلها وجاعل من جعل الذي له مفعولان والامام اسم من يؤتم به وامامته عامة مؤبدة

ادم يبعث بعده نبي الا ما كان من ذريته مأمورا باتباعه قال ومن ذريتي عطف
على الكاف اي وبعض ذريتي كما تقول وزيدا في جواب ساكرمك والذرية نسل الرجل
فعلية او فعولة قلبت راؤها الثالثة ياء كما في تقضيت من الذر بمعنى التفريق او فعولة او
فعيلة قلبت همزتها من الذرء بمعنى الخلق وقرئ ذريتي بالكسر وهي لغة قال
لا ينال عهدي الظالمين اجابة الى ملتمسه وتنبيه على انه قد يكون من ذريته ظلمة وانهم
لا ينالون الامامة لانها امانة من الله وعهد والظالم لا يصلح لها وانما ينالها البررة
الاتقياء منهم وفيه دليل على عصمة الانبياء من الكبائر قبل البعثة وان الفاسق لا يصلح
للامامة وقرئ الظالمون والمعنى واحد اذ كل ما نالك فقد نلته واذ جعلنا البيت اي الكعبة غلب
عليها كالنجم على الثريا مثابة للناس مرجعا يثوب اليه اعيان الزوار وامثالهم او موضع ثواب
يثابون بحجه واعتماره وقرئ مثابات لانه مثابة كل احد وامنا وموضع امن لا يتعرض لاهله
كقوله حرما امنا ويتخطف الناس من حولهم او يامن حاجه من عذاب الاخرة من حيث
ان الحج يجب ما قبله او لا يؤاخذ الجاني الملتجئ اليه حتى يخرج وهو مذهب ابي حنيفة واتخذوا من
مقام ابرهيم مصلى على ارادة القول او عطف على المقدر عاملا لاذ او اعتراض معطوف على مضمر
تقديره ثوبوا اليه واتخذوا على ان الخطاب لامة محمد صلعم وهو امر استحباب ومقام ابرهيم الحجر الذي
فيه اثر قدمه والموضع الذي كان فيه حين قام عليه ودعا الناس الى الحج او دفع بناء البيت وهو
موضعه اليوم وروي انه عليه السلام اخذ بيد عمر فقال هذا مقام ابرهيم فقال عمر افلا نتخذه مصلى
فقال لم اومر بذلك فلم تغب الشمس حتى نزلت وقيل المراد به الامر بركعتي الطواف لما روى جابر
انه عليه السلام لما فرغ من طوافه عمد الى مقام ابرهيم فصلى خلفه ركعتين وقرا واتخذوا من مقام
ابرهيم مصلى وللشافعي في وجوبهما قولان وقيل مقام ابرهيم الحرم كله وقيل مواقف الحج واتخاذها
مصلى ان يدعى فيها ويتقرب الى الله تعالى وقرا نافع وابن عامر واتخذوا بلفظ الماضي عطفا على جعلنا
اي واتخذ الناس مقامه الموسوم به يعني الكعبة قبلة يصلون اليها وعهدنا الى ابرهيم واسمعيل امرناهما
ان طهرا بيتي بان طهرا ويجوز ان تكون مفسرة لتضمن العهد معنى القول يريد طهراه من الاوثان
والانجاس وما لا يليق به او اخلصاه للطائفين حوله والعاكفين المقيمين عنده او المعتكفين
فيه والركع السجود اي المصلين جمع راكع وساجد واذ قال ابرهيم رب اجعل هذا يريد البلد
او المكان بلدا امنا ذا امن كقوله في عيشة راضية او امنا اهله كقولك ليل نائم وارزق اهله
من الثمرات من امن منهم بالله واليوم الاخر ابدل من امن من اهله بدل البعض
للتخصيص قال ومن كفر عطف على من امن والمعنى وارزق من كفر قاس ابرهيم الرزق على الامامة
فنبه سبحانه على ان الرزق رحمة دنيوية تعم المومن والكافر بخلاف الامامة والتقدم في الدين
او مبتدأ تضمن معنى الشرط فامتعه قليلا خبره والكفر وان لم يكن سبب التمتع لكنه سبب تقليله
بان يجعله مقصورا بحظوظ الدنيا غير متوسل به الى نيل الثواب ولذلك عطف عليه ثم اضطره
الى عذاب النار اي الزه اليه لز المضطر لكفره وتضييعه ما متعته به من النعم وقليلا

قوله والمراد طلب الزيادة في الاخلاص الخ لما ورد على ظاهر قولهما واجعلنا مسلمين لك ان طلبهما الاسلام سواء كان بمعنى الانقياد والاذعان [illegible] تحصيل الحاصل [illegible] والمراد الخ [illegible]
طلب الزيادة في الاخلاص والاذعان فيكون مجازا او ان كان المراد طلب الثبات عليه [illegible]
[illegible]

قوله او مستسلمين الخ الفرق بينه وبين الاول ان الاول [illegible] والثاني الانقياد في جميع الامور [illegible] والمراد طلب الزيادة في الاخلاص [illegible]

نصب على المصدر او الظرف وقرئ بلفظ الامر فيهما على انه من دعاء ابرهيم وفي قال ضميره وقرأ ابن عامر فامتعه من امتع وقرئ فنمتعه ثم نضطره واضطره بكسر الهمزة على لغة من يكسر حروف المضارعة واطره بادغام الضاد وهو ضعيف لان حروف ضم شفر يدغم فيها ما يجاورها دون العكس وبئس المصير المخصوص بالذم محذوف وهو العذاب واذ يرفع ابرهيم القواعد من البيت حكاية حال ماضية والقواعد جمع قاعدة وهي الاساس صفة غالبة من القعود بمعنى الثبات ولعله مجاز من المقابل للقيام ومنه قعدك الله ورفعها البناء عليها فانه ينقلها عن هيئة الانخفاض الى هيئة الارتفاع ويحتمل ان يراد بها ساقات البناء فان كل ساق قاعدة ما يوضع فوقه ويرفعها بناؤها وقيل المراد رفع مكانته واظهار شرفه بتعظيمه ودعاء الناس الى حجه وفي ابهام القواعد وتبيينها تفخيم لشانها واسمعيل كان يناوله الحجارة ولكنه لما كان له مدخل في البناء عطف عليه وقيل كانا يبنيان في طرفين او على التناوب ربنا تقبل منا اي يقولان ربنا وقد قرئ به والجملة حال منهما انك انت السميع لدعائنا العليم بنياتنا ربنا واجعلنا مسلمين لك مخلصين لك من اسلم وجهه لله او مستسلمين من اسلم اذا استسلم وانقاد والمراد طلب الزيادة في الاخلاص والاذعان والثبات عليه وقرئ مسلمين على ان المراد انفسهما وهاجر او ان التثنية من مراتب الجمع ومن ذريتنا امة مسلمة لك اي واجعل بعض ذريتنا وانما خصا الذرية بالدعاء لانهم احق بالشفقة او لانهم اذا صلحوا صلح بهم الاتباع وخصا بعضهم لما اعلما ان في ذريتهما ظلمة وعلما ان الحكمة الالهية لا تقتضي الاتفاق على الاخلاص والاقبال الكلي على الله فانه مما يشوش المعاش ولذلك قيل لولا الحمقى لخربت الدنيا وقيل اراد بالامة امة محمد صلعم ويجوز ان يكون من للتبيين كقوله وعد الله الذين امنوا منكم قدم على المبين وفصل به بين العاطف والمعطوف كما في قوله خلق سبع سموات ومن الارض مثلهن وارنا من رأى بمعنى ابصر او عرف ولذلك لم يتجاوز مفعولين مناسكنا متعبداتنا في الحج او مذابحنا والنسك في الاصل غاية العبادة وشاع في الحج لما فيه من الكلفة والبعد عن العادة وقرأ ابن كثير ويعقوب ارنا قياسا على فخذ في فخذ وفيه اجحاف لان الكسرة منقولة من الهمزة الساقطة دليل عليها وتب علينا استتابة لذريتهما او عما فرط منهما سهوا ولعلهما قالا هضما لانفسهما وارشادا لذريتهما انك انت التواب الرحيم لمن تاب ربنا وابعث فيهم في الامة المسلمة رسولا منهم ولم يبعث من ذريتهما غير محمد صلعم فهو المجاب به دعوتهما كما قال انا دعوة ابي ابرهيم وبشرى عيسى ورؤيا امي يتلو عليهم آياتك يقرأ عليهم ويبلغهم ما يوحى اليه من دلائل التوحيد والنبوة ويعلمهم الكتاب القرآن والحكمة ما يكمل به نفوسهم من المعارف والاحكام ويزكيهم عن الشرك والمعاصي انك انت العزيز الذي لا يقهر ولا يغلب على ما يريد الحكيم المحكم له ومن يرغب عن ملة ابرهيم استبعاد وانكار لان يكون احد يرغب عن ملته الواضحة الغراء اي لا يرغب احد عن ملته الا من سفه نفسه الا من استمهنها

او اذلها واستخف بها قال المبرد وثعلب سفه بالكسر متعد وبالضم لازم ويشهد له ما جاء في الحديث
الكبر ان تسفه الحق وتغمص الناس وقيل اصله سفه نفسه على الرفع فنصب على التمييز نحو
غبن رايه والم راسه وقول جرير ونأخذ بعده بذناب عيش اجب الظهر ليس له سنام
او سفه في نفسه فنصب بنزع الخافض والمستثنى في محل الرفع على المختار بدلا من الضمير في
يرغب لانه في معنى النفي **ولقد اصطفيناه في الدنيا وانه في الاخرة لمن الصالحين** حجة
وبيان لذلك فان من كان صفوة العباد في الدنيا مشهودا له بالاستقامة والصلاح يوم القيمة
كان حقيقا بالاتباع لا يرغب عنه الا سفيه او متسفه اذل نفسه بالجهل والاعراض عن النظر
اذ قال له ربه اسلم قال اسلمت لرب العالمين ظرف لاصطفيناه وتعليل له او منصوب باضمار
اذكر كانه قيل اذكر ذلك الوقت لتعلم انه المصطفى الصالح المستحق للامامة والتقدم وانه نال ما
نال بالمبادرة الى الاذعان واخلاص السر حين دعاه واخطر بباله دلائله المودية الى المعرفة
الداعية الى الاسلام روي انها نزلت لما دعا عبد الله بن سلام ابني اخيه سلمة ومهاجرا الى الاسلام
فاسلم سلمة وابى مهاجر **ووصى بها ابرهيم بنيه** التوصية هي التقدم الى الغير بفعل فيه صلاح
وقربة واصلها الوصل يقال وصاه اذا وصله وفصاه اذا فصله كان الموصي يصل فعله بفعل الوصي
والضمير في بها للملة او لقوله اسلمت على تاويل الكلمة او الجملة وقرا نافع وابن عامر واوصى والاول ابلغ
ويعقوب عطف على ابرهيم اي ووصى هو ايضا بها بنيه وقرئ بالنصب على انه ممن وصاه ابرهيم
يا بني على اضمار القول عند البصريين متعلق بوصى عند الكوفيين لانه نوع منه ونظيره رجلان من
ضبة اخبرانا انا رأينا رجلا عريانا بنو ابرهيم كانوا اربعة اسمعيل واسحق ومدين ومدان
وقيل ثمانية وقيل اربعة عشر وبنو يعقوب اثنا عشر روبين وشمعون ولاوي
ويهوذا ويشسوخور وزبولون ودونا وتفتوني وكوذا واوشير وبنيامين ويوسف
ان الله اصطفى لكم الدين دين الاسلام الذي هو صفوة الاديان لقوله **فلا تموتن
الا وانتم مسلمون** ظاهره النهي عن الموت على خلاف حال الاسلام والمقصود هو النهي عن ان
يكونوا على خلاف تلك الحال اذا ماتوا والامر بالثبات على الاسلام كقولك لا تصل الا وانت خاشع وتغيير
العبارة للدلالة على ان موتهم لا على الاسلام موت لا خير فيه وان من حقه ان لا يحل بهم ونظيره
في الامر مت وانت شهيد روي ان اليهود قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم الست تعلم ان يعقوب اوصى بنيه
باليهودية يوم مات فنزلت **ام كنتم شهداء اذ حضر يعقوب الموت** ام منقطعة ومعنى
الهمزة فيها الانكار اي ما كنتم حاضرين اذ حضر يعقوب الموت وقال لبنيه ما قال فلم تدعون
اليهودية عليه او متصلة بمحذوف تقديره اكنتم غائبين ام كنتم شاهدين وقيل الخطاب
للمؤمنين والمعنى ما شهدتم ذلك وانما علمتموه من الوحي وقرئ حضر بالكسر **اذ قال لبنيه** بدل
من اذ حضر **ما تعبدون من بعدي** اي شيء تعبدونه اراد به تقريرهم على التوحيد والاسلام
واخذ ميثاقهم على الثبات عليهما وما يسال به عن كل شيء ما لم يعرف فاذا عرف خص العقلاء
بمن اذا سئل عن تعيينه وان سئل عن وصفه قيل ما زيد افقيه ام طبيب **قالوا نعبد الهك واله**

ابيك ابرهيم واسمعيل واسحق المتفق على وجوده والوهيته ووجوب عبادته وعد اسمعيل من ابائه
تغليبا للاب على الجد ولانه كالاب لقوله عليه السلام عم الرجل صنو ابيه كما قال في العباس هذا
بقية ابائي وقرئ اله ابيك على انه جمع بالواو والنون كما قال ولما تبين اصواتنا بكين وفديننا بالابينا
او مفرد وابرهيم وحده عطف بيان الها واحدا بدل من اله ابائك كقوله لنسفعا بالناصية ناصية كاذبة
وفائدته التصريح بالتوحيد ونفي التوهم الناشئ من تكرير المضاف لتعذر العطف على المجرور
والتوكيد او نصب على الاختصاص ونحن له مسلمون حال من فاعل نعبد او مفعوله او منهما ويحتمل
ان يكون اعتراضا تلك امة قد خلت يعني ابرهيم ويعقوب وبنيهما والامة في الاصل المقصود
وسمي به الجماعة لان الفرق تامها لها ما كسبت ولكم ما كسبتم لكل اجر عمله والمعنى ان
انتسابكم اليهم لا يوجب انتفاعكم باعمالهم وانما تنتفعون بموافقتهم واتباعهم كما قال عليه السلام يا بني هاشم
لا يأتيني الناس باعمالهم وتأتوني بانسابكم ولا تسألون عما كانوا يعملون ولا تؤاخذون
بسيئاتهم كما لا تثابون بحسناتهم وقالوا كونوا هودا او نصارى الضمير الغائب لاهل الكتاب
واو للتنويع والمعنى مقالتهم احد هذين القولين قالت اليهود كونوا هودا وقالت النصارى
كونوا نصارى تهتدوا جواب الامر قل بل ملة ابرهيم اي بل نكون ملة ابرهيم اي اهل ملته
او بل نتبع ملة ابرهيم وقرئت بالرفع اي ملته ملتنا او عكسه او نحن ملته بمعنى نحن
اهل ملته حنيفا مائلا عن الباطل الى الحق حال من المضاف او المضاف اليه كقوله ونزعنا
ما في صدورهم من غل اخوانا وما كان من المشركين تعريض باهل الكتاب وغيرهم
فانهم يدعون اتباعه وهم مشركون قولوا آمنا بالله الخطاب للمؤمنين لقوله فان آمنوا
بمثل ما آمنتم به وما انزل الينا القرآن قدم ذكره لانه اول بالاضافة الينا سبب للايمان
بغيره وما انزل الى ابرهيم واسمعيل واسحق ويعقوب والاسباط الصحف وهي وان
نزلت الى ابرهيم لكنهم لما كانوا متعبدين بتفصيلها داخلين تحت احكامها فهي ايضا منزلة
اليهم كما ان القرآن منزل الينا والاسباط جمع سبط وهو الحافد يريد به حفدة يعقوب او
ابناءه وذراريهم فانهم حفدة ابرهيم واسحق وما اوتي موسى وعيسى التوراة والانجيل
افردهما بالذكر بحكم ابلغ لان امرهما بالاضافة الى موسى وعيسى مغاير لما سبق والنزاع
وقع فيهما وما اوتي النبيون جملة المذكورين منهم وغير المذكورين من ربهم منزلا
عليهم من ربهم لا نفرق بين احد منهم كاليهود نؤمن ببعض ونكفر ببعض واحد
لوقوعه في سياق النفي عم فساغ ان يضاف اليه بين ونحن له اي لله مسلمون مذعنون
مخلصون فان آمنوا بمثل ما آمنتم به فقد اهتدوا من باب التعجيز والتبكيت كقوله
فأتوا بسورة من مثله اذ لا مثل لما آمن به المسلمون ولا دين كدين الاسلام وقيل الباء
للآلة دون التعدية والمعنى ان تحروا الايمان بطريق يهدي الى الحق مثل طريقكم فان وحدة
المقصد لا تأبى تعدد الطرق او مزيدة للتأكيد كقوله جزاء سيئة سيئة بمثلها والمعنى فان
آمنوا بالله ايمانا مثل ايمانكم به او المثل مقحم كما في قوله وشهد شاهد من بني اسرائيل على مثله اي عليه

٦٦

قوله جعل اجر عمله لهم ولكم ونفيه [illegible] المسند اليه على المسند لان [illegible] مقصور على الاتصاف بكونه لهم لا لكم واجر عملكم مقصور على الاتصاف بكونه لكم لا لهم [illegible] قصر المسند اليه اي الكون لهم مقصور على عملهم لا يتجاوز الى عملكم والكون لكم مقصور على عملكم لا يتجاوز الى عملهم كما في قوله لكم دينكم ولي دين اي لا دينكم

٦٢

قوله حال من المضاف والمضاف اليه [illegible] وكلاهما صحيح لان ملة [illegible] وكذا ابرهيم [illegible] اذ كان حالا [illegible] يجب تأنيثه لمطابق ذا الحال قلت يمكن ان يجري على المضاف حكم المضاف اليه [illegible]

٩

قوله الخطاب للمؤمنين [illegible] صاحب الكشاف [illegible] الخطاب للكافرين [illegible] فان آمنوا بمثل ما آمنتم به [illegible] قوله وما انزل الينا لا يناسب كون الخطاب للكفار [illegible] دون المأمور كانهم امروا بان يقولوا هذا المعنى [illegible] وهو ان يقولوا ما انزل [illegible] الى انهم [illegible] الدين [illegible]

٥٠٥

قوله تعالى لا نفرق بين احد منهم اي [illegible] بعض ونكفر ببعض [illegible] واحد في معنى الجماعة ولذلك صح دخول بين عليه [illegible]
قوله واحد لوقوعه في سياق النفي عام [illegible] ان مدخول بين يجب ان يكون في معنى الجماعة [illegible] في سياق النفي لا يفيد هذا المعنى [illegible] معنى الجماعة [illegible] يستوي فيه المفرد والمجموع والمثنى والمذكر والمؤنث [illegible]

قوله فان آمنوا بمثل ما آمنتم به [illegible] دين الحق واحد لا يوجد له مثل [illegible] من باب مجاراة الخصم [illegible] المقصود [illegible] الاسلام [illegible]
[illegible] والمعنى ان تحروا الايمان بطريق يهدي الى الحق مثل طريقكم [illegible]
[illegible] قوله تعالى قولوا آمنا بالله [illegible]
[illegible] قراءة ابن عباس وابن مسعود [illegible]

قوله مثل ما آمنتم به [illegible] من باب التبكيت لان دين الحق واحد لا مثل له وهو دين الاسلام ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه [illegible] دين آخر يماثل دين الاسلام في كونه حقا [illegible]
[illegible]
قوله مثل ما آمنتم به [illegible] من باب التعجيز والتبكيت [illegible]
[illegible] الاسلام في الهداية [illegible]
[illegible] وجعل الباء للآلة وجعل الباء زائدة وجعل المثل [illegible]
[illegible] قبل التحريف والشرك [illegible] آمنوا بمثل ما آمن المؤمنون [illegible]
[illegible]

وتشهد له قراءة من قرأ بما آمنتم به او بالذي آمنتم به فان تولوا فانما هم في شقاق اى ان اعرضوا
عن الايمان او عما تقولون لهم فما هم الا في شقاق الحق وهو المناواة والمخالفة فان كل واحد
من المتخالفين في شق غير شق الآخر فسيكفيكهم الله تسلية وتسكين للمؤمنين ووعد لهم
بالحفظ والنصر على من ناواهم وهو السميع العليم اما من تمام الوعد بمعنى انه يسمع اقوالكم ويعلم اخلاصكم
وهو مجازيكم لا محالة او وعيد للمعرضين بمعنى انه يسمع ما يبدون ويعلم ما يخفون وهو معاقبهم
عليه صبغة الله اى صبغنا الله صبغته وهى فطرة الله التى فطر الناس عليها فانها حلية الانسان كما
ان الصبغة حلية المصبوغ او هدانا هدايته وارشدنا حجته او طهر قلوبنا بالايمان تطهيره وسماه
صبغة لانه ظهر اثره عليهم ظهور الصبغ على المصبوغ وتداخل في قلوبهم تداخل الصبغ الثوب او
للمشاكلة فان النصارى كانوا يغمسون اولادهم في ماء اصفر يسمونه المعمودية ويقولون هو تطهير لهم وبه
تحق نصرانيتهم ونصبها على انه مصدر مؤكد لقوله آمنا وقيل على الاغراء وقيل على البدل من ملة
ابرهيم ومن احسن من الله صبغة لا صبغة احسن من صبغته ونحن له عابدون تعريض بهم
اى لا نشرك به كشرككم وهو عطف على آمنا وذلك يقتضي دخول قوله صبغة الله في مفعول قولوا ولمن نصبها
على الاغراء او البدل ان يضمر قولوا معطوفا على الزموا او اتبعوا ملة ابرهيم وقولوا آمنا بدل اتبعوا حتى لا
يلزم فك النظم وسوء الترتيب قل اتحاجوننا اتجادلوننا في الله في شأنه واصطفائه نبيا من العرب
دونكم روي ان اهل الكتاب قالوا الانبياء كلهم منا فلو كنت نبيا لكنت منا فنزلت وهو ربنا وربكم
لا اختصاص له بقوم دون قوم يصيب برحمته من يشاء من عباده ولنا اعمالنا ولكم اعمالكم فلا يبعد
ان يكرمنا باعمالنا كانه الزمهم على كل مذهب ينتحونه افحاما وتبكيتا فان كرامة النبوة اما تفضل
من الله على من يشاء والكل فيه سواء واما افاضة حق على المستعدين لها بالمواظبة على الطاعة و
التحلي بالاخلاص وكما ان لكم اعمالا ربما يعتبرها الله في اعطائها فلنا ايضا اعمال ونحن له مخلصون
موحدون نخلصه بالايمان والطاعة دونكم ام تقولون ان ابرهيم واسمعيل واسحق ويعقوب
والاسباط كانوا هودا او نصارى ام منقطعة والهمزة للانكار وعلى قراءة ابن عامر وحمزة والكسائي
وحفص بالتاء يحتمل ان يكون معادلة للهمزة في اتحاجوننا بمعنى اى الامرين تأتون المحاجة او ادعاء
اليهودية او النصرانية على الانبياء قل أانتم اعلم ام الله وقد نفى الامرين عن ابرهيم بقوله ما كان
ابرهيم يهوديا ولا نصرانيا واحتج عليه بقوله وما انزلت التورية والانجيل الا من بعده وهؤلاء
المعطوفون عليه اتباعه في الدين وفاقا ومن اظلم ممن كتم شهادة عنده من الله يعني شهادة
الله لابرهيم بالحنيفية والبراءة عن اليهودية والنصرانية والمعنى لا احد اظلم من اهل الكتاب
لانهم كتموا هذه الشهادة او منا لو كتمنا هذه الشهادة وفيه تعريض بكتمانهم شهادة الله
لمحمد بالنبوة في كتبهم وغيرها ومن للابتداء كما في قوله تعالى براءة من الله وما الله بغافل عما تعملون
وعيد لهم وقرئ بالياء تلك امة قد خلت لها ما كسبت ولكم ما كسبتم ولا تسألون عما
كانوا يعملون تكرير للمبالغة في التحذير والزجر عما استحكم في الطباع من الافتخار بالآباء والاتكال
عليهم وقيل الخطاب في سيقهم وفي الآية لنا تحذيرا عن الاقتداء بهم وقيل المراد بالامة في الاول

قوله او للمشاكلة وهى التعبير عن الشيء بلفظ غيره لوقوعه في صحبته بالنظر الى المقال كما في قوله تعالى تعلم ما في نفسي ولا اعلم ما في نفسك
او بالنظر الى الحال ... فهو مجاز لانه استعمال اللفظ في غير ما وضع له
... من حيث انها مجاز داخل في البيان ومن حيث انها موجب للتزيين اللفظ
... في البديع ...

قوله صبغة الله اى صبغنا الله صبغته اعلم ان الصبغة فعلة كالجلسة من جلس وهى الحالة التى يقع عليها الصبغ وله معنيان الاول انه حلية
ثابتة به وزينة له والثانية انها تزيد فيه ... فبالنظر الى الصبغة الاولى جاز
ان يستعار لامرين احدهما الفطرة السليمة وهى قابلية الايمان ... كما قال وهى فطرة الله التي ... والثانية الطريقة القويمة
وهى دين الاسلام والشريعة الجامعة بين العقائد الصحيحة والاعمال الصالحة كما قال او هدانا الله هدايته وارشدنا حجته فان الحجة
المستقيمة ايضا حلية الانسان ... كما ان الصبغة حلية المصبوغ وبالنظر الى الصفة الثانية جاز
ان يستعار للايمان بتطهيره كما قال او طهر قلوبنا بالايمان تطهيره وسماه صبغة لانه ظهر اثره عليهم ظهور الصبغ
على المصبوغ ... تداخل الصبغ الثوب ... بالنظر الى تطهير الايمان ...
فالاستعارة في الصور ... الاضافة الى الله تعالى او للمشاكلة عطف على لانه
ظهر اثره وهو التعبير عن الشيء بلفظ غيره لوقوعه في صحبته بطريق المقال او الحال والاول مثل تعلم ما في نفسي ولا اعلم ما في نفسك والثاني ...
... الصبغ الى العاقبة والثواب في الآجلة ...
... وهى دين الاسلام والشريعة النبوية ...
الذى ظهر به تعالى قلوبنا ... الكفر والضلالة ... استعمال الصبغة
في الايمان ... الصبغ الثوب
... في القلب وتداخله ... اضافة الصبغ الى الله تعالى ...
قيل يجوز استعارة الصبغ للايمان ... للمؤمن او ظهر اثره عليه او تداخله في قلبه
كما هو حال الصبغ مع الثوب
قوله ولمن نصبها على الاغراء او البدل جواب اعتراض الكشاف ... لم يجعله عطفا على آمنا بل له ان يضمر قولوا
معطوفا على الزموا في صورة الاغراء والتقدير الزموا صبغة الله وقولوا نحن له عابدون او على اتبعوا ملة ابرهيم في صورة البدل والتقدير
اتبعوا ملة ابرهيم اى صبغة الله وقولوا نحن له عابدون فلا يلزم ... المحذور ...
... فان تحصيله قولوا اتبع ملة ابرهيم اتبعوا ملته ...
... جواب عما ذكره ... هو الفصل بين البدل والمبدل منه ...
... فك النظم وسوء الترتيب كما زعم صاحب الكشاف ... فصل بين المعطوف والمعطوف عليه ...
... قوله فان آمنوا وقوله فسيكفيكهم الله لا يخرج شيئا منهما في حيز قولوا قلنا ما ذكره ... الفصل ... بقولوا لفظا تعلق
... معنى ...
قوله ونحن له عابدون اى عطف على آمنا ... صبغة الله ...
والمعطوف عليه ... على الاغراء ... فصل بين المعطوف
... الاجنبى الذى لا يتعلق ... بحيز قولوا ...
... وهو الفصل بين البدل والمبدل منه ... الكلام ...
القول اى الزموا صبغة الله وقولوا نحن له عابدون ... عطفا على آمنا ... الاغراء بتقدير
والتأكيد بالاجنبي ... قوله فان آمنوا ... فصل بين المعطوف والمعطوف عليه ...
مع ظهور الوجه الصحيح وما ذكره ... فسيكفيكهم الله لا يدخل شيء منهما في حيز قولوا ...
... الفصل وان لم يتعلق بقولوا لفظا فقد تعلق به معنى فلا فك للنظم ...

الانبياء وفي الثانية سلاف اليهود والنصارى سيقول السفهاء من الناس الذين خف
احلامهم واستمهنوها بالتقليد والاعراض عن النظر يريد المنكرين لتغير القبلة من المنافقين
واليهود والمشركين وفائدة تقديم الاخبار توطين النفس واعداد الجواب ما وليهم
ما صرفهم عن قبلتهم التي كانوا عليها يعني بيت المقدس والقبلة في الاصل الحال التي عليها
الانسان من الاستقبال فصارت عرفا للمكان المتوجه نحوه للصلوة قل لله المشرق
والمغرب لا يختص به مكان دون مكان بخاصية ذاتية تمنع اقامة غيره مقامه وانما العبرة بارتسام
امره لا بخصوص المكان يهدي من يشاء الى صراط مستقيم وهو ما ترتضيه الحكمة وتقتضيه
المصلحة من التوجه الى بيت المقدس تارة والكعبة اخرى وكذلك اشارة الى مفهوم الاية
المتقدمة اي كما جعلناكم مهديين الى الصراط المستقيم او جعلنا قبلتكم افضل القبل جعلناكم
امة وسطا اي خيارا او عدولا مزكين بالعلم والعمل وهو في الاصل اسم للمكان الذي تستوي
اليه المساحة من الجوانب ثم استعير للخصال المحمودة لوقوعها بين طرفي افراط وتفريط كالجود
بين الاسراف والبخل والشجاعة بين التهور والجبن ثم اطلق على المتصف بها مستويا فيه الواحد
والجمع والمذكر والمؤنث كسائر الاسماء التي يوصف بها واستدل بها على ان الاجماع حجة اذ لو كان
فيما اتفقوا عليه باطل لانثلمت به عدالتهم لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم
شهيدا علة للجعل اي لتعلموا بالتامل فيما نصب لكم من الحجج وانزل عليكم من الكتاب انه
تعالى ما بخل على احد وما ظلم بل اوضح السبل وارسل الرسل فبلغوا ونصحوا ولكن الذين كفروا
حملهم الشقاء على اتباع الشهوات والاعراض عن الايات فتشهدون بذلك على معاصريكم
وعلى الذين قبلكم او بعدكم روي ان الامم يوم القيمة يجحدون تبليغ الانبياء فيطالبهم
الله ببينة التبليغ وهو اعلم بهم اقامة للحجة على المنكرين فيؤتى بامة محمد صلى الله عليه وسلم
فيقول الامم من اين عرفتم فيقولون علمنا ذلك باخبار الله تعالى في كتابه الناطق على لسان نبيه
الصادق فيؤتى بمحمد صلعم فيسال عن حال امته فيشهد بعدالتهم وهذه الشهادة و
ان كانت لهم لكن لما كان الرسول عليه السلام كالرقيب المهيمن على امته عدي بعلى
وقدمت الصلة للدلالة على اختصاصهم بكون الرسول شهيدا عليهم وما جعلنا
القبلة التي كنت عليها اي الجهة التي كنت عليها وهي الكعبة فانه عليه السلام كان يصلي اليها
بمكة ثم لما هاجر امر بالصلوة الى الصخرة تالفا لليهود او الصحيح لقول ابن عباس كانت
قبلته بمكة بيت المقدس الا انه كان يجعل الكعبة بينه وبينه فالمخبر به على الاول الجعل
الناسخ وعلى الثاني المنسوخ والمعنى ان اصل امرك ان تستقبل الكعبة وما جعلنا قبلتك
بيت المقدس الا لنعلم من يتبع الرسول ممن ينقلب على عقبيه الا لنمتحن الناس
ونعلم من يتبعك في الصلوة اليها ممن يرتد عن دينك الفا لقبلة ابائه او لنعلم الان
من يتبع الرسول ممن لا يتبعه وما كان لعارض يزول بزواله وعلى الاول معناه ما
رددناك الى ما كنت عليها الا لنعلم الثابت على الاسلام ممن ينكص على عقبيه لقلقه

وضعف ايمانه فان قيل كيف يكون علمه تعالى غاية الجعل وهو لم يزل عالما قلت هذا واشباهه باعتبار
التعلق الحالي الذي هو مناط الجزاء والمعنى ليتعلق علمنا به موجودا وقيل ليعلم رسوله والمؤمنون
لكنه اسنده الى نفسه لانهم خواصه او ليتميز الثابت عن المتزلزل كقوله ليميز الله الخبيث من الطيب
فوضع العلم موضع التمييز المسبب عنه ويشهد له قراءة ليعلم على البناء للمفعول والعلم اما بمعنى المعرفة
او معلق لما في من من معنى الاستفهام او مفعوله الثاني ممن ينقلب على عقبيه اي لنعلم من يتبع
الرسول متميزا ممن ينقلب وان كانت لكبيرة ان هي المخففة من الثقيلة واللام هي الفاصلة
وقال الكوفيون هي النافية واللام بمعنى الا والضمير لما دل عليه قوله وما جعلنا القبلة التي كنت عليها
من الجعلة او التولية او التحويلة او للقبلة وقرئ لكبيرة بالرفع فيكون كان زائدة الا على الذين هدى الله
الى حكمة الاحكام الثابتين على الايمان والاتباع وما كان الله ليضيع ايمانكم اي ثباتكم على الايمان
وقيل ايمانكم بالقبلة المنسوخة او صلوتكم اليها لما روي انه عليه السلام لما توجه الى الكعبة
قالوا كيف بمن مات يا رسول الله قبل التحويل من اخواننا فنزلت ان الله بالناس لرؤف
رحيم فلا يضيع اجورهم ولا يدع صلاحهم ولعله قدم الرؤف وهو ابلغ محافظة على الفواصل
قد نرى ربما نرى تقلب وجهك في السماء تردد وجهك في جهة السماء تطلعا للوحي وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقع في روعه ويتوقع من ربه ان يحوله الى الكعبة لانها قبلة ابيه ابراهيم واقدم القبلتين و
ادعى للعرب الى الايمان ولمخالفة اليهود وذلك يدل على كمال ادبه حيث انتظر ولم يسال فلنولينك
قبلة فلنمكننك من استقبالها من قولك وليته كذا اذا صيرته واليا له او فلنجعلنك تلي جهتها ترضاها
تحبها وتتشوق اليها لمقاصد دينية وافقت مشية الله وحكمته فول وجهك اصرف وجهك
شطر المسجد الحرام نحوه وقيل الشطر في الاصل لما انفصل عن الشيء من شطر اذا انفصل ودار
شطور اي منفصلة عن الدور ثم استعمل لجانبه وان لم ينفصل كالقطر والحرام المحرم اي محرم
فيه القتال وممنوع عن الظلمة ان يتعرضوه وانما ذكر المسجد دون الكعبة لانه عليه السلام
كان في المدينة والبعيد يكفيه مراعاة الجهة فان استقبال عينها حرج عليه بخلاف القريب
روي انه عليه السلام قدم المدينة فصلى نحو بيت المقدس ستة عشر شهرا ثم وجه الى الكعبة
في رجب بعد الزوال قبل قتال بدر بشهرين وقد صلى باصحابه في مسجد بني سلمة ركعتين من الظهر
فتحول في الصلوة واستقبل الميزاب وتبادل الرجال والنساء صفوفهم فسمي المسجد مسجد القبلتين
وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم شطره خص الرسول بالخطاب تعظيما له وايجابا لرغبته ثم عمم
تصريحا بعموم الحكم وتاكيدا لامر القبلة وتحضيضا للامة على المتابعة وان الذين اوتوا الكتاب
ليعلمون انه الحق من ربهم جملة لعلمهم بان عادته تعالى تخصيص كل شريعة بقبلة وتفصيلا
لتضمن كتبهم انه يصلي الى القبلتين والضمير للتحويل او للتوجه وما الله بغافل عما يعملون
وعد ووعيد للفريقين وقرا ابن عامر وحمزة والكسائي بالتاء ولئن اتيت الذين اوتوا الكتاب
بكل اية برهان وحجة على ان الكعبة قبلة واللام موطئة للقسم ما تبعوا قبلتك جواب القسم المضمر
ساد مسد جواب الشرط والمعنى ما تركوا قبلتك لشبهة تزيلها بحجة وانما خالفوك مكابرة وعنادا

وما انت بتابع قبلتهم قطع لاطماعهم فانهم قالوا لو ثبت على قبلتنا لكنا نرجوا ان يكون صاحبنا
الذى ننتظره تغريرا له وطمعا فى رجوعه وقبلتهم وان تعددت لكنها متحدة بالبطلان و
مخالفة الحق وما بعضهم بتابع قبلة بعض فان اليهود تستقبل الصخرة والنصارى مطلع الشمس
لا يرجى توافقهم كما لا يرجى موافقتهم لك لتصلب كل حزب فيما هو فيه ولئن اتبعت اهواءهم
من بعد ما جاءك من العلم على سبيل الفرض والتقدير اى ولئن اتبعتهم مثلا بعد ما بان لك
الحق وجاءك فيه الوحى انك اذا لمن الظالمين واكد تهديده وبالغ فيه من سبعة اوجه تعظيما
للحق المعلوم وتحريضا على اقتفائه وتحذيرا عن متابعة الهوى واستفظاعا لصدور الذنب عن
الانبياء الذين آتيناهم الكتاب يعنى علماءهم يعرفونه الضمير لرسول الله صلعم وان لم يسبق له
ذكر لدلالة الكلام عليه وقيل للعلم او القرآن او التحويل كما يعرفون ابناءهم يشهد للاول
اى يعرفونه باوصافه كمعرفتهم ابناءهم لا يلتبسون عليهم بغيرهم عن عمر انه سال عبد الله بن سلام
عن رسول الله صلعم فقال انا اعلم به منى بابنى قال ولم قال لانى لست اشك فى محمد انه نبى واما ولدى
فلعل والدته خانت وان فريقا منهم ليكتمون الحق وهم يعلمون تخصيص لمن عاند واستثناء لمن
امن الحق من ربك كلام مستانف والحق اما مبتدأ خبره من ربك واللام للعهد والاشارة الى ما
عليه رسول الله صلعم او الحق الذى يكتمونه او للجنس والمعنى ان الحق ما ثبت انه من الله كالذى
انت عليه لا ما لم يثبت كالذى عليه اهل الكتاب واما خبر مبتدأ محذوف اى هو الحق ومن ربك
حال او خبر بعد خبر وقرئ بالنصب على انه بدل من الاول او مفعول يعلمون فلا تكونن من الممترين
الشاكين فى انه من ربك او فى كتمانهم الحق عالمين به وليس المراد به نهى الرسول صلعم عن الشك
فيه لانه غير متوقع منه وليس بقصد واختيار بل اما تحقيق الامر وانه بحيث لا يشك فيه ناظر
او امر الامة باكتساب المعارف المزيحة للشك على الوجه الابلغ ولكل وجهة ولكل امة قبلة
او لكل قوم من المسلمين جهة وجانب من الكعبة والتنوين بدل الاضافة هو موليها احد
المفعولين محذوف اى هو موليها وجهه او الله تعالى موليها اياه وقرئ ولكل وجهة بالاضافة
والمعنى وكل وجهة الله موليها اهلها واللام مزيدة للتاكيد جبرا لضعف العامل وقرا ابن عامر
مولاها اى هو مولى تلك الجهة قد وليها فاستبقوا الخيرات من امر القبلة وغيره مما ينال به
سعادة الدارين او الفاضلات من الجهات وهى المسامتة للكعبة اينما تكونوا يات
بكم الله جميعا فى اى موضع تكونوا من موافق ومخالف مجتمع الاجزاء ومفترقها يحشركم الله الى
المحشر للجزاء او اينما تكونوا من اعماق الارض وقلل الجبال يقبض ارواحكم او اينما تكونوا من
الجهات المتقابلة يات بكم الله جميعا ويجعل صلواتكم كانها الى جهة واحدة ان الله على كل شيء
قدير فيقدر على الاماتة والاحياء والجمع ومن حيث خرجت اى ومن اى مكان خرجت للسفر
فول وجهك شطر المسجد الحرام اذا صليت وانه وان هذا الامر للحق من ربك وما الله بغافل
عما تعملون وقرا ابو عمرو بالياء ومن حيث خرجت فول وجهك شطر المسجد الحرام وحيث
ما كنتم فولوا وجوهكم شطره كرر هذا الحكم لتعدد علله فانه تعالى ذكر للتحويل ثلث علل

تعظيم الرسول بابتغاء مرضاته وجرى العادة الالهية على ان يولى كل اهل ملة وصاحب دعوة
وجهة يستقبلها ويتميز بها ودفع حجج المخالفين على ما نبينه وقرن بكل علة معلولها كما يقرن المدلول
بكل واحد من دلائله تقريبا وتقريرا مع ان القبلة لها شان والنسخ من مظان الفتنة والشبهة فبالحرى
ان يؤكد امرها ويعاد ذكرها مرة بعد اخرى لئلا يكون للناس عليكم حجة علة لقوله فولوا
والمعنى ان التولية عن الصخرة الى الكعبة يدفع احتجاج اليهود بان المنعوت فى التورية قبلته الكعبة
وان محمدا يجحد ديننا ويتبعنا فى قبلتنا والمشركين بانه يدعى ملة ابرهيم ويخالف قبلته الا الذين ظلموا
منهم استثناء من الناس اى لئلا يكون لاحد من الناس حجة الا المعاندين منهم فانهم يقولون
ما تحول الى الكعبة الا ميلا الى دين قومه وحبا لبلده او بدا له فرجع الى قبلة ابائه ويوشك ان
يرجع الى دينهم وسمى هذه حجة كقوله حجتهم داحضة لانهم يسوقونه مساقها وقيل الحجة بمعنى الاحتجاج
وقيل الاستثناء للمبالغة فى نفى الحجة راسا كقوله ولا عيب فيهم غير ان سيوفهم بهن فلول من قراع
الكتائب للعلم بان الظالم لا حجة له وقرئ الا الذين ظلموا على انه استيناف بحرف التنبيه فلا تخشوهم
فلا تخافوهم فان مطاعنهم لا تضركم واخشونى فلا تخالفوا ما امرتكم ولاتم نعمتى عليكم
ولعلكم تهتدون علة محذوف اى وامرتكم لاتمامى النعمة عليكم وارادتى اهتداءكم او عطف
على علة مقدرة مثل واخشونى لاحفظكم عنهم ولاتم نعمتى عليكم او على لئلا يكون وفى الحديث تمام النعمة
دخول الجنة وعن على رضه تمام النعمة الموت على الاسلام كما ارسلنا فيكم رسولا منكم متصل
بما قبله اى ولاتم نعمتى عليكم فى امر القبلة او فى الاخرة كما اتممتها بارسال رسول منكم او بما بعده
اى كما ذكرتكم بالارسال فاذكرونى يتلوا عليكم اياتنا ويزكيكم يحملكم على ما تصيرون به
ازكياء قدمه باعتبار القصد واخره فى دعوة ابرهيم باعتبار الفعل ويعلمكم الكتاب والحكمة
ويعلمكم ما لم تكونوا تعلمون بالفكر والنظر اذ لا طريق الى معرفته سوى الوحى وكرر الفعل ليدل
على انه جنس اخر فاذكرونى بالطاعة اذكركم بالثواب واشكروا لى ما انعمت به عليكم ولا
تكفرون بجحد النعم وعصيان الامر يا ايها الذين امنوا استعينوا بالصبر عن المعاصى وحظوظ
النفس والصلوة التى هى ام العبادات ومعراج المؤمنين ومناجاة رب العالمين ان الله مع
الصابرين بالنصر واجابة الدعوة ولا تقولوا لمن يقتل فى سبيل الله اموات اى هم اموات
بل احياء اى بل هم احياء ولكن لا تشعرون ما حالهم وهو تنبيه على ان حيوتهم ليست بالجسد ولا
من جنس ما يحس به من الحيوانات وانما هى امر لا يدرك الا بالعقل بل بالوحى وعن الحسن ان الشهداء
احياء عند الله يعرض ارزاقهم على ارواحهم فيصل اليهم الروح والفرح كما يعرض النار على ارواح آل فرعون
غدوا وعشيا فيصل اليهم الوجع والاية نزلت فى شهداء بدر وكانوا اربعة عشر وفيها دلالة
على ان الارواح جواهر قائمة بانفسها مغايرة لما يحس به من البدن تبقى بعد الموت دراكة وعليه
جمهور الصحابة والتابعين وبه نطقت الايات والسنن وعلى هذا فتخصيص الشهداء لاختصاصهم
بالقرب من الله ومزيد البهجة والكرامة ولنبلونكم ولنصيبنكم اصابة من يختبر لاحوالكم هل
تصبرون على البلاء وتستسلمون للقضاء بشىء من الخوف والجوع اى بقليل من ذلك وانما قلله

بالاضافة الى ما وقاهم عنه ليخفف عليهم ويريهم ان رحمته لا تفارقهم او بالنسبة الى ما يصيب
به معانديهم في الاخرة وانما اخبرهم به قبل وقوعه ليوطنوا عليه نفوسهم ونقص من الاموال
والانفس والثمرات عطف على شيء او الخوف وعن الشافعي رضي الله عنه الخوف خوف الله والجوع
صوم رمضان والنقص من الاموال الزكوات والصدقات ومن الانفس الامراض ومن
الثمرات موت الاولاد وعن النبي صلعم اذا مات ولد العبد قال الله تعالى للملائكة اقبضتم
ولد عبدي فيقولون نعم فيقول اقبضتم ثمرة قلبه فيقولون نعم فيقول الله تعالى ماذا قال عبدي فيقولون
حمدك واسترجع فيقول الله ابنوا لعبدي بيتا في الجنة وسموه بيت الحمد وبشر الصابرين الذين
اذا اصابتهم مصيبة قالوا انا لله وانا اليه راجعون الخطاب للرسول عليه السلام او لمن تتاتى
منه البشارة والمصيبة تعم ما يصيب الانسان من مكروه لقوله عليه السلام كل شيء يؤذي المؤمن
فهو له مصيبة وليس الصبر بالاسترجاع باللسان بل وبالقلب بان يتصور ما خلق منه لاجله وانه
راجع الى ربه ويتذكر نعم الله عليه ليرى ما ابقى عليه اضعاف ما استرده فيهون على نفسه ويستسلم
له والمبشر به محذوف دل عليه اولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة الصلوة في الاصل
الدعاء ومن الله التزكية والمغفرة وجمعها للتنبيه على كثرتها وتنوعها والمراد بالرحمة
اللطف والاحسان وعن النبي صلعم من استرجع عند المصيبة جبر الله مصيبته واحسن عقباه
وجعل له خلفا صالحا يرضاه واولئك هم المهتدون للحق والصواب حيث استرجعوا وسلموا
لقضاء الله ان الصفا والمروة هما علما جبلين بمكة من شعائر الله من اعلام مناسكه جمع
شعيرة وهي العلامة فمن حج البيت او اعتمر الحج لغة القصد والاعتمار الزيارة فغلبا شرعا
على قصد البيت وزيارته على الوجه المخصوص فلا جناح عليه ان يطوف بهما كان اساف
على الصفا ونائلة على المروة وكان اهل الجاهلية اذا سعوا مسحوهما فلما جاء الاسلام وكسرت
الاصنام تحرج المسلمون ان يطوفوا بينهما لذلك فنزلت والاجماع على انه مشروع في الحج
والعمرة وانما الخلاف في وجوبه فعن احمد انه سنة وبه قال انس وابن عباس لقوله
فلا جناح فانه يفهم منه التخيير وهو ضعيف لان نفي الجناح يدل على الجواز الداخل في معنى الوجوب
فلا يدفعه وعن ابي حنيفة انه واجب يجبر بالدم وعن مالك والشافعي رضي الله عنهما انه ركن لقوله عليه السلام
اسعوا فان الله كتب عليكم السعي ومن تطوع خيرا اي فعل طاعة [redacted] فرضا كان او نفلا او زاد على ما فرض عليه من حج او عمرة او طواف
او تطوع بالسعي ان قلنا انه سنة وخيرا نصب على انه صفة مصدر محذوف او بحذف الجار
وايصال الفعل اليه او بتعدية الفعل لتضمنه معنى اتى او فعل وقرأ حمزة والكسائي ويعقوب
يطوع واصله يتطوع فادغم مثل يطوف فان الله شاكر عليم مثيب على الطاعة لا
تخفى عليه ان الذين يكتمون كاحبار اليهود ما انزلنا من البينات كالآيات الشاهدة على
امر محمد صلعم والهدى وما يهدي الى وجوب اتباعه والايمان به من بعد ما بيناه للناس
لخصناه في الكتاب في التورية اولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون اي الذين يتاتى منهم

اللعن

اللعن عليهم من الملائكة والثقلين الا الذين تابوا عن الكتمان وسائر ما يجب ان يتاب عنه
واصلحوا ما افسدوا بالتدارك وبينوا ما بينه الله في كتابهم لتتم توبتهم وقيل ما احدثوه
من التوبة ليمحوا سمة الكفر عن انفسهم ويقتدي بهم اضرابهم فاولئك اتوب عليهم
بالقبول والمغفرة وانا التواب الرحيم المبالغ في قبول التوبة وافاضة الرحمة ان الذين
كفروا وماتوا وهم كفار اي ومن لم يتب من الكاتمين حتى مات اولئك
عليهم لعنة الله والملائكة والناس اجمعين استقر عليهم لعنة الله ومن يعتد بلعنه
من خلقه وقيل الاول لعنهم احياء وهذا لعنهم امواتا وقرئ والملائكة والناس
اجمعون عطفا على محل اسم الله لانه فاعل في المعنى كقولك اعجبني ضرب زيد وعمرو او فاعل
لفعل مقدر نحو ويلعنهم الملائكة خالدين فيها اي في اللعنة او في النار واضمارها قبل الذكر
تفخيما لشانها وتهويلا او اكتفاء بدلالة اللعن عليها لا يخفف عنهم العذاب ولا هم ينظرون
لا يمهلون او لا ينتظرون ليعتذروا او لا ينظر اليهم نظر الرحمة والهكم اله واحد خطاب
عام اي المستحق منكم للعبادة واحد لا شريك له يصح ان يعبد او يسمى الها لا اله الا هو
تقرير للوحدانية وازاحة لان يتوهم ان في الوجود الها ولكن لا يستحق منهم العبادة
الرحمن الرحيم كالحجة عليها فانه لما كان مولى النعم كلها اصولها وفروعها وما سواه اما نعمة او
منعم عليه لم يستحق العبادة احد غيره وهما خبران اخران لقوله الهكم او لمبتدا محذوف قيل
لما سمعه المشركون تعجبوا وقالوا ان كنت صادقا فات باية نعرف بها صدقك فنزلت ان في
خلق السموات والارض انما جمع السموات وافرد الارض لانها طبقات متفاصلة بالذات
مختلفة بالحقيقة بخلاف الارض واختلاف الليل والنهار تعاقبهما كقوله جعل الليل والنهار خلفة
والفلك التي تجري في البحر بما ينفع الناس اي بنفعهم او بالذي ينفعهم والقصد به الى الاستدلال بالبحر واحواله
وتخصيص الفلك بالذكر لانه سبب الخوض فيه والاطلاع على عجائبه ولذلك قدمه على ذكر المطر
والسحاب لان منشاهما البحر في غالب الامر وتانيث الفلك لانه بمعنى السفينة وقرئ بضمتين
على الاصل او الجمع وضمة الجمع غير ضمة الواحد عند المحققين وما انزل الله من السماء من ماء
من الاولى للابتداء والثانية للبيان والسماء يحتمل الفلك والسحاب وجهة العلو فاحيا به الارض
بعد موتها بالنبات وبث فيها من كل دابة عطف على انزل كانه استدل بنزول المطر
وتكون النبات به وبث الحيوانات في الارض وعلى احيائها فان [redacted] الدواب ينمون بالخصب
ويعيشون بالحياة والبث النشر والتفريق وتصريف الرياح في مهابها واحوالها وقرأ حمزة والكسائي
على الافراد والسحاب المسخر بين السماء والارض لا ينزل ولا ينقشع مع ان الطبع يقتضي
احدهما حتى ياتي امر الله وقيل مسخر للرياح تقلبه في الجو بمشيئة الله واشتقاقه من السحب لان
بعضه يجر بعضا لآيات لقوم يعقلون يتفكرون فيها وينظرون اليها بعيون عقولهم وعنه عليه السلام
ويل لمن قرأ هذه الآية فمج بها اي لم يتفكر فيها واعلم ان دلالة هذه الآيات على وجود
الاله ووحدته من وجوه كثيرة يطول شرحها مفصلا والكلام المجمل انها امور ممكنة وجد كل

منها بوجه مخصوص من وجوه محتملة وانحاء مختلفة اذ كان من الجائز مثلا ان لا تتحرك
السموات او بعضها كالارض وان تتحرك بعكس حركاتها وبحيث تصير المنطقة دائرة مارة
بالقطبين وان لا يكون لها اوج وحضيض اصلا او على هذا الوجه لبساطتها وتساوي اجزائها
فلا بد لها من موجد قادر حكيم يوجدها على ما تستدعيه حكمته وتقتضيه مشيئته متعاليا
عن معارضة غيره اذ لو كان معه اله يقدر على ما يقدر عليه فان توافقت ارادتهما فالفعل
ان كان لهما لزم اجتماع مؤثرين على اثر واحد وان كان لاحدهما لزم ترجيح الفاعل
بلا مرجح وعجز الاخر المنافي لالهيته وان اختلفت لزم التمانع والتطارد كما اشار اليه بقوله تعالى
لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا وفي الاية تنبيه على شرف علم الكلام واهله وحث على البحث
والنظر فيه ومن الناس من يتخذ من دون الله اندادا من الاصنام وقيل من الرؤساء
الذين كانوا يطيعونهم لقوله تعالى اذ تبرأ الذين اتبعوا من الذين اتبعوا ولعل المراد اعم منهما
وهو ما يشغله عن الله يحبونهم يعظمونهم ويطيعونهم كحب الله كتعظيمه والميل الى طاعته
اي يسوون بينه وبينهم في المحبة والطاعة والمحبة ميل القلب من الحب استعير لحبة
القلب ثم اشتق منه الحب لانه اصابها ورسخ فيها ومحبة العبد لله ارادة طاعته والاعتناء
بتحصيل مراضيه ومحبة الله للعبد ارادة اكرامه واستعماله في الطاعة وصونه عن المعاصي
والذين آمنوا اشد حبا لله لانه لا ينقطع محبتهم لله بخلاف محبة الانداد فانها لاغراض
فاسدة موهومة تزول بادنى سبب ولذلك كانوا يعدلون عن آلهتهم الى الله عند
الشدائد ويعبدون الصنم زمانا ثم يرفضونه الى غيره ولو يرى الذين ظلموا ولو يعلم
هؤلاء الذين ظلموا باتخاذ الانداد اذ يرون العذاب اذ عاينوه يوم القيمة واجرى المستقبل
مجرى الماضي لتحققه كقوله ونادى اصحاب الجنة ان القوة لله جميعا ساد مسد مفعولي
يرى وجواب لو محذوف اي لو يعلمون ان القدرة لله جميعا اذ عاينوا العذاب لندموا
اشد الندم وقيل هو متعلق الجواب والمفعولان محذوفان والتقدير لو يرى الذين
ظلموا انداداهم لا تنفع لعلموا ان القوة لله جميعا لا ينفع ولا يضر غيره وقرأ ابن عامر ونافع
ويعقوب ولو ترى على انه خطاب للنبي صلعم اي ولو ترى ذلك لرأيت امرا عظيما وابن عامر
اذ يرون على البناء للمفعول ويعقوب ان بالكسر وكذا وان الله شديد العذاب على الاستيناف
او اضمار القول اذ تبرأ الذين اتبعوا من الذين اتبعوا بدل من اذ يرون اي اذ تبرأ المتبوعون
من الاتباع وقرئ بالعكس اي تبرأ الاتباع من الرؤساء ورأوا العذاب اي رائين له
والواو للحال وقد مضمرة وقيل عطف على تبرأ وتقطعت بهم الاسباب يحتمل العطف على
تبرأ او رأوا او الحال والاول اظهر والاسباب الوصل التي كانت بينهم من الاتباع والاتفاق
على الدين والاغراض الداعية الى ذلك واصل السبب الحبل الذي يرتقى به الشجر وقرئ وتقطعت
على البناء للمفعول وقال الذين اتبعوا لو ان لنا كرة فنتبرأ منهم كما
تبرؤوا منا لو للتمني ولذلك اجيب بالفاء اي ليت لنا كرة الى الدنيا فنتبرأ منهم كذلك مثل

ذلك

ذلك الإراء الفظيع يريهم الله أعمالهم حسرات عليهم ندامات وهي ثالث مفاعيل
يرى إن كان من رؤية القلب وإلا فحال وما هم بخارجين من النار أصله وما يخرجون
فعدل به إلى هذه العبارة للمبالغة في الخلود والإقناط عن الخلاص والرجوع إلى الدنيا
يا أيها الناس كلوا مما في الأرض حلالا نزلت في قوم حرموا على أنفسهم رفيع الأطعمة
والملابس وحلالا مفعول كلوا أو صفة مصدر محذوف أو حال مما في الأرض ومن للتبعيض
إذ لا يؤكل كل ما في الأرض طيبا يستطيبه الشرع أو الشهوة المستقيمة إذ الحلال دل عليه
الأول ولا تتبعوا خطوات الشيطان لا تقتدوا به في اتباع الهوى فتحرموا الحلال
وتحللوا الحرام وقرأ نافع وأبو عمرو وحمزة والبزي وأبو بكر حيث وقع بتسكين الطاء وهما
لغتان في جمع خطوة وهي ما بين قدمي الخاطي وقرئ بفتحتين وقلبت الواو همزة جعلت ضمة
الطاء كأنها عليها وبفتحتين على أنه جمع خطوة وهي المرة من الخطو إنه لكم عدو مبين
ظاهر العداوة عند ذوي البصيرة وإن كان يظهر الموالاة لمن يغويه ولذلك سماه وليا
في قوله أولياؤهم الطاغوت إنما يأمركم بالسوء والفحشاء بيان لعداوته ووجوب
التحرز عن متابعته واستعير الأمر لتزيينه وبعثه لهم على الشر تسفيها لرأيهم وتحقيرا لشأنهم
والسوء والفحشاء ما أنكره العقل واستقبحه الشرع والعطف لاختلاف الوصفين فإنه
سوء لاغتمام العاقل به وفحشاء باستقباحه إياه وقيل السوء يعم القبائح والفحشاء ما
يجاوز الحد في القبح من الكبائر وقيل الأول ما لا حد فيه والثاني ما شرع فيه الحد
وأن تقولوا على الله ما لا تعلمون كاتخاذ الأنداد وتحليل المحرمات وتحريم الطيبات
وفيه دليل على المنع من اتباع الظن رأسا وأما اتباع المجتهد لما أدى إليه ظن مستند
إلى مدرك شرعي فوجوبه قطعي والظن في طريقه كما بيناه في الكتب الأصولية
وإذا قيل لهم اتبعوا ما أنزل الله الضمير للناس وعدل عن الخطاب معهم للنداء على ضلالهم
كأنه التفت إلى العقلاء وقال لهم انظروا إلى هؤلاء الحمقى ماذا يجيبون قالوا بل نتبع
ما ألفينا عليه آباءنا ما وجدناهم عليه نزلت في المشركين أمروا باتباع القرآن وسائر
ما أنزل الله من الحجج والآيات فجنحوا إلى التقليد وقيل في طائفة من اليهود دعاهم رسول الله صلعم
إلى الإسلام فقالوا بل نتبع ما ألفينا عليه آباءنا لأنهم كانوا خيرا منا وأعلم وعلى هذا فيعم ما أنزل
الله التوراة لأنها أيضا تدعو إلى الإسلام أولو كان آباؤهم لا يعقلون شيئا
ولا يهتدون الواو للحال أو العطف والهمزة للرد والتعجب وجواب لو محذوف أي
لو كان آباؤهم جهلة لا يتفكرون في أمر الدين ولا يهتدون إلى الحق لاتبعوهم
وهو دليل على المنع من التقليد لمن قدر على النظر والاجتهاد وأما اتباع الغير في الدين
إذا علم بدليل ما أنه محق كالأنبياء والمجتهدين في الأحكام فهو في الحقيقة ليس بتقليد
بل اتباع لما أنزل الله ومثل الذين كفروا كمثل الذي ينعق بما لا يسمع إلا
دعاء ونداء على حذف المضاف تقديره ومثل داعي الذين كفروا كمثل الذي ينعق أو مثل الذين

كمثل بهائم الذي ينعق والمعنى ان الكفرة لانهماكهم في التقليد لا يلقون اذهانهم
الى ما يتلى عليهم ولا يتاملون فيما يقرر معهم فهم في ذلك كالبهائم التي ينعق عليها فتسمع
الصوت ولا تعرف مغزاه وتحس بالنداء ولا تفهم معناه وقيل هو تمثيلهم في اتباع آبائهم
على ظاهر حالهم جاهلين بحقيقتها بالبهائم التي تسمع الصوت ولا تفهم ما تحته او تمثيلهم
في دعائهم الاصنام بالناعق في نعقه وهو التصويت على البهائم وهذا يغني عن الاضمار
ولكن لا يساعده قوله الا دعاء ونداء لان الاصنام لا تسمع الا ان يجعل ذلك من باب
التمثيل المركب صم بكم عمي رفع على الذم فهم لا يعقلون اي بالفعل للاخلال بالنظر
يا ايها الذين آمنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم لما وسع الامر على الناس
كافة واباح لهم ما في الارض سوى ما حرم عليهم امر المؤمنين منهم ان يتحروا
طيبات ما رزقوا ويقوموا بحقوقها واشكروا لله على ما رزقكم واحل لكم
ان كنتم اياه تعبدون فانه عبادته لا تتم الا بالشكر ان صح انكم تختصونه
بالعبادة وتقرون انه مولى النعم وعن النبي صلعم يقول الله تعالى اني والانس والجن
في نبأ عظيم اخلق ويعبد غيري وارزق ويشكر غيري انما حرم عليكم الميتة
اكلها والانتفاع بها وهي التي ماتت من غير ذكاة والحديث الحق بها ما ابين من
حي والسمك والجراد اخرجهما العرف عنها واستثناهما الشرع والحرمة المضافة الى
العين تفيد عرفا حرمة التصرف فيها مطلقا الا ما خصه الدليل كالتصرف في المدبوغ
والدم ولحم الخنزير انما خص اللحم بالذكر لانه معظم ما يؤكل من الحيوان و
سائر اجزائه كالتابع له وما اهل به لغير الله اي رفع به الصوت عند ذبحه
للصنم والاهلال اصله رؤية الهلال لكن لما جرت العادة ان يرفع الصوت بالتكبير
اذا رئي سمي ذلك اهلالا ثم قيل لرفع الصوت وان كان لغيره فمن اضطر غير باغ
بالاستيثار على مضطر آخر ولا عاد سد الرمق او الجوعة وقيل غير باغ على الوالي
ولا عاد بقطع الطريق فعلى هذا لا يباح للعاصي بالسفر وهو ظاهر مذهب الشافعي
وقول احمد رضي الله عنهما فلا اثم عليه في تناوله ان الله غفور لما فعل رحيم
بالرخصة فيه فان قيل انما تفيد قصر الحكم على ما ذكر وكم من حرام لم يذكر
قلت المراد قصر الحرمة على ما ذكر مما استحلوه لا مطلقا او قصر حرمته على حال
الاختيار كانه قيل انما حرم عليكم هذه الاشياء ما لم تضطروا اليها ان الذين
يكتمون ما انزل الله من الكتاب ويشترون به ثمنا قليلا
عوضا حقيرا اولئك ما ياكلون في بطونهم الا النار اما في الحال لانهم
اكلوا ما يتلبس بالنار لكونها عقوبة عليه وكانه اكل النار كقوله اكلت دما ان لم
ارعك بضرة بعيدة مهوى القرط طيبة النشر يعني الدية او في المآل اي ولا ياكلون
يوم القيمة الا النار ومعنى في بطونهم ملء بطونهم يقال اكل في بطنه واكل في بعض بطنه

كقوله كلوا في بعض بطنكم تعفوا ولا يكلمهم الله يوم القيمة عبارة عن غضبه عليهم و
تعريض بحرمانهم حال مقابليهم في الكرامة والزلفى من الله ولا يزكيهم ولا يثني
عليهم ولهم عذاب اليم مولم اولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى في الدنيا
والعذاب بالمغفرة في الاخرة لكتمان الحق للمطامع والاغراض الدنيوية فما اصبرهم
على النار تعجب من حالهم في الالتباس بموجبات النار من غير مبالاة وما تامة
مرفوعة بالابتداء وتخصيصها كتخصيص قولهم شر اهر ذا ناب او استفهامية وما بعدها
الخبر او موصولة وما بعدها صلة والخبر محذوف ذلك بان الله نزل الكتاب بالحق
اي ذلك العذاب بسبب ان الله نزل الكتاب بالحق فرفضوه بالتكذيب او الكتمان وان الذين
اختلفوا في الكتاب اللام فيه اما للجنس واختلافهم ايمانهم ببعض كتب الله وكفرهم ببعض او
للعهد والاشارة اما الى التورية واختلفوا بمعنى تخلفوا عن المنهج المستقيم في تاويلها او خلفوا
خلاف ما انزل الله مكانه اي حرفوا ما فيها واما الى القران واختلافهم فيه قولهم سحر وتقول
وكلام علمه بشر واساطير الاولين لفي شقاق بعيد لفي خلاف بعيد عن الحق ليس البر
ان تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب البر كل فعل مرضي والخطاب لاهل الكتاب
فانهم اكثروا القول في امر القبلة حين حولت وادعى كل طائفة ان البر هو التوجه الى
قبلته فرد الله عليهم وقال ليس البر ما انتم عليه فانه منسوخ ولكن البر ما بينته واتبعه
المؤمنون وقيل عام لهم وللمسلمين اي ليس البر مقصورا بامر القبلة او ليس البر العظيم
الذي يحسن ان تذهلوا بشانه عن غيره امرها وقرا حمزة وحفص البر بالنصب ولكن
البر من آمن بالله واليوم الاخر والملائكة والكتاب والنبيين اي
ولكن البر الذي ينبغي ان يهتم به بر من آمن بالله او ولكن ذا البر من آمن ويؤيده
قراءة من قرا ولكن البار والاول اوفق واحسن والمراد بالكتاب الجنس او القران
وقرا نافع وابن عامر ولكن بالتخفيف ورفع البر وآتى المال على حبه اي على حب المال كما قال
عليه السلام لما سئل اي الصدقة افضل ان تؤتيه وانت صحيح شحيح تامل العيش
وتخشى الفقر وقيل الضمير لله او للمصدر والجار والمجرور في موضع الحال ذوي القربى
واليتامى يريد المحاويج منهم ولم يقيد لعدم الالتباس وقدم ذوي القربى لان ايتاءهم
افضل كما قال عليه اثنتان صدقة وصلة والمساكين جمع المسكين وهو الذي اسكنه الخلة
واصله دائم السكون كالمسكير لدائم السكر وابن السبيل المسافر سمي به لملازمته السبيل
كما سمي القاطع ابن الطريق وقيل الضيف لان السبيل يرعف به والسائلين الذين
الجاهم الحاجة الى السؤال وقال عليه السلام للسائل حق وان جاء على فرسه وفي الرقاب
وفي تخليصها بمعاونة المكاتبين او فك الاسارى او ابتياع الرقاب لعتقها واقام
الصلوة المفروضة وآتى الزكوة يحتمل ان يكون المقصود منه ومن قوله آتى المال
الزكوة المفروضة ولكن الغرض من الاول بيان مصارفها وبالثاني اداؤها والحث عليها

ويحتمل ان يكون المراد بالاول نوافل الصدقات او حقوقا كانت في المال سوى الزكوة
وفي الحديث نسخت الزكوة كل صدقة والموفون بعهدهم اذا عاهدوا عطف
على من امن والصابرين في البأساء والضراء نصبه على المدح ولم يعطف لفضل الصبر
على ساير الاعمال وعن الازهري البأساء في الاموال كالفقر والضراء في الانفس كالمرض
وحين البأس وقت مجاهدة العدو اولئك الذين صدقوا في الدين واتباع الحق
وطلب البر واولئك هم المتقون عن الكفر وساير الرذائل والاية كما ترى جامعة
للكمالات الانسانية باسرها دالة عليها صريحا او ضمنا فانها بكثرتها وتشعبها منحصرة
في ثلثة اشياء صحة الاعتقاد وحسن المعاشرة وتهذيب النفس وقد اشير الى الاول
بقوله من امن والى الثاني بقوله واتى المال الى وفي الرقاب والى الثالث بقوله واقام الصلوة
الى اخرها ولذلك وصف المستجمع لها بالصدق نظرا الى ايمانه واعتقاده وبالتقوى اعتبارا
بمعاشرته للخلق ومعاملته مع الحق واليه اشار بقوله عليه السلام من عمل بهذه الاية
فقد استكمل الايمان يا ايها الذين امنوا كتب عليكم القصاص في القتلى الحر بالحر
والعبد بالعبد والانثى بالانثى كان في الجاهلية بين حيين من احياء العرب
دماء وكان لاحدهما طول على الاخر فاقسموا لنقتلن الحر منكم بالعبد والذكر
بالانثى فلما جاء الاسلام تحاكموا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت وامرهم
ان يتباوءوا ولا تدل على ان لا يقتل الحر بالعبد والذكر بالانثى كما لا تدل على عكسه
فان المفهوم حيث لم يظهر للتخصيص غرض سوى اختصاص الحكم وقد بينا ما كان الغرض
وانما منع مالك والشافعي رضه قتل الحر بالعبد سواء كان عبده او عبد غيره لما روي على رضه
ان رجلا قتل عبده فجلده رسول الله صلعم ونفاه سنة ولم يقتله به وروي عنه
انه قال من السنة ان لا يقتل مسلم بذي عهد ولا حر بعبد ولان ابا بكر وعمر رضي الله عنهما
كانا لا يقتلان الحر بالعبد بين اظهر الصحابة من غير نكير وللقياس على الاطراف ومن سلم
دلالته فليس له دعوى نسخه بقوله النفس بالنفس لانه حكاية ما في التورية فلا ينسخ ما
في القران واحتجت الحنفية به على ان مقتضى العمد القود وحده وهو ضعيف اذ الواجب
على التخيير يصدق عليه انه وجب وكتب وكذا كل فعل جاء في القران فمن عفي له من اخيه
شيء اي شيء من العفو لان عفا لازم وفايدته الاشعار بان بعض العفو كالعفو التام
في اسقاط القصاص وقيل عفي بمعنى ترك وشيء مفعول به وهو ضعيف اذ لم يثبت عفا
الشيء بمعنى تركه بل اعفاه وعفا يعدى بعن الى الجاني والى الذنب قال الله تعالى
عفا الله عنك وقال عفا الله عنها فاذا عدي به الى الذنب عدي الى الجاني باللام وعليه
ما في الاية كانه قيل فمن عفي له عن جنايته من جهة اخيه يعني ولي الدم وذكره
بلفظ الاخوة الثابتة بينهما من الجنسية والاسلام ليرق له ويعطف عليه فاتباع
بالمعروف واداء اليه باحسان اي فليكن اتباع او فالامر اتباع والمراد به وصية

قال الكشاف خيرت هذه الامة بين الثلث القصاص والدية والعفو توسعة عليهم قال العلامة ظاهره مذهب الشافعي رحمه الله واما عنه ابي حنيفة رحمه الله فالواجب القصاص والدية بدل الصلح لا يكون الا برضاء القاتل وكان المراد ان في هذه الامة تخييرا في هذه الامور في الجملة ... لكن لا يخفى ان النصوص صريحة في ايجاب القصاص على التعيين ثم تجويز العفو سعد الله

العافي بان يطالب الدية بالمعروف فلا يعنف والمعفو عنه بان يؤديها بالاحسان وهو ان لا يمطل ولا يبخس وفيه دليل على ان الدية احد مقتضى العمد والا لما رتب الامر بادائها على مطلق العفو وللشافعي رضي الله عنه في المسئلة قولان ذلك اي الحكم المذكور في العفو والدية تخفيف من ربكم ورحمة لما فيه من التسهيل والنفع وقيل كتب على اليهود القصاص وحده وعلى النصارى العفو مطلقا وخير هذه الامة بينهما وبين الدية تيسيرا عليهم وتقديرا للحكم على حسب مراتبهم فمن اعتدى بعد ذلك قتل بعد العفو واخذ الدية فله عذاب اليم في الاخرة وقيل في الدنيا بان يقتل لا محالة لقوله عليه السلام لا اعافي احدا قتل بعد اخذ الدية ولكم في القصاص حيوة كلام في غاية الفصاحة والبلاغة من حيث جعل الشيء محل ضده وعرف القصاص ونكر الحيوة ليدل على ان في هذا الجنس من الحكم نوعا من الحيوة عظيما وذلك لان العلم به يردع القاتل عن القتل فيكون سبب حيوة نفسين ولانهم كانوا يقتلون غير القاتل والجماعة بالواحد فتثور الفتنة بينهم فاذا اقتص من القاتل سلم الباقون ويصير ذلك سببا لحيوتهم وعلى الاول فيه اضمار وعلى الثاني تخصيص وقيل المراد بها الحيوة الاخروية فان القاتل اذا اقتص منه لم يؤاخذ به في الاخرة ولكم في القصاص يحتمل ان يكونا خبرين لحيوة وان يكون احدهما خبرا والاخر صلة له او حالا عن الضمير المستكن فيه وقرئ في القصص اي فيما قص عليكم من حكم القتل حيوة او في القران حيوة للقلوب يا اولي الالباب ذوي العقول الكاملة ناداهم للتأمل في حكمة القصاص من استبقاء الارواح وحفظ النفوس لعلكم تتقون في المحافظة على القصاص والحكم به والاذعان له او عن القصاص فتكفوا عن القتل كتب عليكم اذا حضر احدكم الموت اي حضر اسبابه وظهر اماراته ان ترك خيرا مالا وقيل مالا كثيرا لما روي عن علي رضي الله عنه ان مولى له اراد ان يوصي وله سبعمائة درهم فمنعه وقال قال الله تعالى ان ترك خيرا والخير هو المال الكثير وعن عائشة رضي الله عنها ان رجلا اراد ان يوصي فسالته كم مالك فقال ثلثة الاف فقالت كم عيالك قال اربعة قالت انما قال الله ان ترك خيرا وان هذا الشيء يسير فاتركه لعيالك الوصية للوالدين والاقربين مرفوع بكتب وتذكير فعلها للفصل او على تاويل ان يوصي او الايصاء ولذلك ذكر الراجع في قوله فمن بدله والعامل في اذا مدلول كتب لا الوصية لتقدمه عليها وقيل مبتدأ خبره للوالدين والجملة جواب الشرط باضمار الفاء كقوله من يفعل الحسنات الله يشكرها ورد بانه ان صح فمن ضرورات الشعر وكان هذا الحكم في بدء الاسلام فنسخ باية المواريث وبقوله صلى الله عليه وسلم ان الله اعطى كل ذي حق حقه الا لا وصية لوارث وفيه نظر لان اية المواريث لا تعارضه بل تؤكده

من حيث انها تدل على تقدير الوصية مطلقا والحديث من الاحاد وتلقي الامة لها بالقبول لا يلحقه بالمتواتر ولعله احترز عنه من فسر الوصية بما اوصى به الله من توريث الوالدين والاقربين بقوله يوصيكم الله او بايصاء المحتضر لهم بتوفير ما اوصى به الله تعالى عليهم **بالمعروف** بالعدل فلا يفضل الغني ولا يتجاوز الثلث **حقا على المتقين** مصدر مؤكد اي حق ذلك حقا **فمن بدله** غيره من الاوصياء والشهود **بعد ما سمعه** وصل اليه وتحقق عنده **فانما اثمه على الذين يبدلونه** ~~وعيد المبدل بغير حق فمن خاف من موص اي توقع وعلم من قولهم اخاف~~ فما اثم الايصاء المغير او التبديل الا على مبدله لانه الذي خاف وخالف الشرع **ان الله سميع عليم** وعيد للمبدل بغير حق **فمن خاف من موص** اي توقع وعلم من قولهم اخاف ان ترسل السماء **جنفا** ميلا بالخطا في الوصية **او اثما** تعمدا للحيف **فاصلح بينهم** بين الموصى لهم باجرائهم على نهج الشرع **فلا اثم عليه** في هذا التبديل لانه تبديل باطل الى حق بخلاف الاول **ان الله غفور رحيم** وعد للمصلح وذكر المغفرة لمطابقة ذكر الاثم وكون الفعل من جنس ما يؤثم **يا ايها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم** يعني الانبياء والامم من لدن آدم وفيه توكيد للحكم وترغيب على الفعل وتطييب على النفس والصوم في اللغة الامساك عما تنازع اليه النفس وفي الشرع الامساك عن المفطرات فانها معظم ما تشتهيه الانفس **لعلكم تتقون** المعاصي فان الصوم يكسر الشهوة التي هي مبدؤها كما قال عليه السلام فعليه بالصوم فان الصوم له وجاء او الاخلال باداية لاصالته وقدمه **اياما معدودات** موقتات بعدد معلوم او قلائل فان القليل من المال يعد عدا والكثير يهال هيلا ونصبها ليس بالصيام لوقوع الفصل بينهما بل باضمار صوموا لدلالة الصيام عليه والمراد بها رمضان او ما وجب صومه قبل وجوبه ونسخ به وهو عاشوراء او ثلاثة ايام من كل شهر او بكما كتب على الظرفية او على انه المفعول الثاني لكتب على السعة وقيل معناه صومكم كصومهم في عدد الايام كما روي ان رمضان كتب على النصارى فوقع في برد او حر شديد فحولوه الى الربيع وزادوا عليه عشرين كفارة لتحويله وقيل زادوا ذلك لموتان اصابهم **فمن كان منكم مريضا** مرضا يضره الصوم ويعسر معه **او على سفر** او راكب سفر وفيه ايماء بان من سافر اثناء اليوم لم يفطر **فعدة من ايام اخر** اي فعليه صوم عدة ايام المرض او السفر من ايام اخر ان افطر فحذف الشرط والمضاف والمضاف اليه للعلم بها وقرئ بالنصب اي فليصم عدة وهذا على سبيل الرخصة وقيل على الوجوب واليه

ذهب

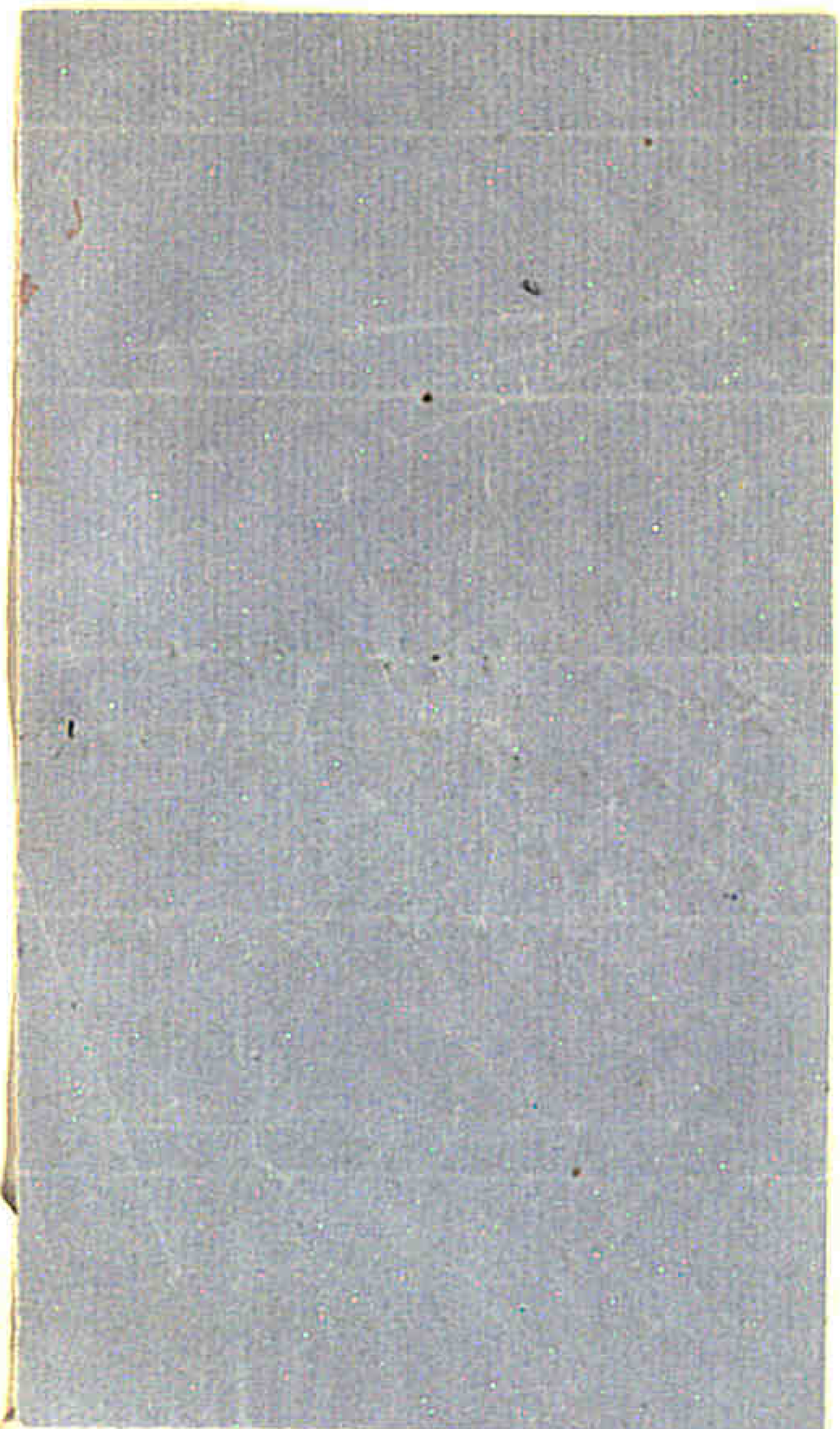
ذهب الظاهرية وبه قال ابو هريرة رضي الله عنه **وعلى الذين يطيقونه** وعلى المطيقين للصيام ان افطروا **فدية طعام مسكين** نصف صاع من بر او صاع من غيره عند فقهاء العراق ومد عند فقهاء الحجاز رخص لهم في ذلك اول الامر لما امروا بالصوم فاشتد عليهم لانهم لم يتعودوه ثم نسخ وقرا نافع وابن عامر باضافة الفدية الى الطعام وجمع المساكين وقرئ يطوقونه اي يكلفونه او يقلدونه من الطوق بمعنى الطاقة او القلادة ويتطوقونه اي يتكلفونه او يتقلدونه ويطوقونه بالادغام ويطيقونه على ان اصلهما يطيوقونه ويتطيوقونه من فيعل وتفيعل بمعنى يتطوقونه وعلى هذه القراءات يحتمل معنى ثانيا وهو الرخصة لمن يتعبه الصوم ويجهده وهم الشيوخ والعجائز في الافطار والفدية فيكون ثابتا وقد اول به القراءة المشهورة اي يصومونه جهدهم وطاقتهم **فمن تطوع خيرا** فزاد في الفدية **فهو** فالتطوع او الخير **خير له وان تصوموا** ايها المطيقون او المطوقون وجهدتم طاقتكم او المرخصون في الافطار ليندرج تحته المريض والمسافر **خير لكم** من الفدية او تطوع الخير او منهما ومن التاخير للقضاء **ان كنتم تعلمون** ما في الصوم من الفضيلة وبراءة الذمة وجوابه محذوف دل عليه ما قبله اي اخترتموه وقيل معناه ان كنتم من اهل العلم والتدبر علمتم ان الصوم خير لكم من ذلك **شهر رمضان** مبتدا خبره ما بعده او خبر مبتدا محذوف تقديره ذلكم شهر رمضان او بدل من الصيام على حذف المضاف اي كتب عليكم الصيام صيام شهر رمضان وقرئ بالنصب على اضمار صوموا او على انه مفعول وان تصوموا وفيه ضعف او بدل من اياما معدودات والرمضان مصدر رمض اذا احترق فاضيف اليه الشهر وجعل علما ومنع من الصرف للعلمية والالف والنون كما منع داية في ابن داية علما للغراب للعلمية والتانيث وقوله عليه السلام من صام رمضان فعلى حذف المضاف لامن الالتباس وانما سموه بذلك اما لارتماضهم فيه من حر الجوع والعطش او لارتماض الذنوب فيه او لوقوعه ايام رمض الحر حيث ما نقلوا اسماء الشهور عن اللغة القديمة **الذي انزل فيه القرآن** ابتدئ فيه انزاله وكان ذلك ليلة القدر او انزل فيه جملة الى سماء الدنيا ثم نزل منجما الى الارض او انزل في شانه القرآن وهو قوله كتب عليكم الصيام وعن النبي صلى الله عليه وسلم نزلت صحف ابراهيم اول ليلة من رمضان وانزلت التوراة لست مضين والانجيل لثلث عشرة والقرآن لاربع وعشرين والموصول بصلته خبر المبتدا او صفته والخبر فمن شهد والفاء لوصف المبتدا بما تضمن معنى الشرط وفيه اشعار بان الانزال فيه سبب اختصاصه بوجوب

تكرار مكتوب بالدة كوندر ديمكتنز نحو اشارة حقيقة اعتبار
المبعث نفسى قرعه ماموريله اعطا ايلديكى نحرر ازجورز
اكر منزكور نحو ذات عاليكن اعطا اولنمشه البسلر كيا
طارفرق كوندره تزى تمنى ايدرم اكر اعطا اولنمه
مستهاسنده اقرعه منزى تصدقه ايچونه بر مظبطه
اعلك حكمنا تنده
دخى ايدوب طرفرق كوندره سنة زير اسر عسكر قبوبه
تقديم ايله عرضخوة تحرجهال الاستلزمه كره جكدر اكر عرضحال
استقدم النفور السيد جوكمية العتيقة العبد الفقير ايرهمم

الصوم فيه هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان حالان
من القرآن اى انزل وهو هداية للناس باعجازه وآيات واضحات مما
يهدى الى الحق ويفرق بينه وبين الباطل بما فيه من الحكم والاحكام
فمن شهد منكم الشهر فليصمه فمن حضر فى الشهر ولم يكن مسافرا
فليصم فيه والاصل فمن شهد فيه فليصم فيه لكن وضع المظهر موضع المضمر
الاول للتعظيم ونصب على الظرف وحذف الجار ونصب الضمير الثانى على الاتساع
وقيل فمن شهد منكم هلال الشهر فليصمه على انه مفعول به كقولك شهدت
الجمعة اى صلوتها فيكون ومن كان [redacted] مريضا او على سفر
فعدة مخصصا له لان المسافر والمريض ممن شهد الشهر ولعل تكريره
[redacted] لذلك او لئلا يتوهم نسخه لما نسخ قرينه يريد الله بكم
اليسر ولا يريد بكم العسر اى يريد ان ييسر عليكم ولا يعسر
فلذلك اباح الفطر للسفر والمرض ولتكملوا العدة ولتكبروا الله على
ما هداكم ولعلكم تشكرون علل لفعل محذوف دل
عليه ما سبق اى وشرع جملة ما ذكر من امر الشاهد بصوم الشهر والمرخص
بالقضاء ومراعاة عدة ما افطر فيه والترخيص لتكملوا العدة الى اخرها على سبيل
اللف فان قوله ولتكملوا علة الامر بمراعاة العدد ولتكبروا الله علة الامر
بالقضاء وبيان كيفيته ولعلكم تشكرون علة الترخيص والتيسير او
لافعال كل لفعله او معطوف على علة مقدرة مثل ليسهل عليكم او لتعلموا
ما تعلمون ولتكملوا ويجوز ان يعطف على اليسر اى ويريد لتكملوا كقوله
يريدون ليطفئوا والمعنى بالتكبير تعظيم الله بالحمد والثناء عليه ولذلك عدى
بعلى وقيل تكبير يوم الفطر وقيل التكبير عند الاهلال وما يحتمل المصدر
والخبر اى الذى هداكم اليه وعن عاصم ويعقوب ولتكملوا بالتشديد واذا سألك
عبادى عنى فانى قريب اى فقل لهم انى قريب وهو تمثيل لكمال علمه بافعال
العباد واقوالهم واطلاعه على احوالهم بحال من قرب مكانه منهم روى ان
اعرابيا قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم اقريب ربنا فنناجيه ام بعيد فنناديه
فنزلت أجيب دعوة الداع اذا دعان تقرير للقرب ووعد للداعى بالاجابة
فليستجيبوا لى اذا دعوتهم للايمان والطاعة كما اجيبهم اذا دعونى لمهماتهم
وليؤمنوا بى امر بالثبات والمداومة عليه لعلهم يرشدون راجين اصابة
الرشد وهو اصابة الحق وقرئ بفتح الشين وكسرها واعلم انه تعالى لما امرهم
بصوم الشهر ومراعاة العدة وحثهم على القيام بوظائف التكبير والشكر
عقبه بهذه الاية الدالة على انه خبير باحوالهم سميع لاقوالهم مجيب لدعائهم

مجازيهم

مجازيهم على اعمالهم تاكيدا له وحثا عليه ثم بين احكام الصوم
فقال **أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَى نِسَائِكُمْ** روى ان المسلمين
كانوا اذا امسوا احل لهم الاكل والشرب والجماع الى ان يصلوا
العشاء او يرقدوا ثم ان عمر رضى الله عنه باشر بعد العشاء فندم واتى
النبى صلى الله عليه وسلم واعتذر اليه فقام رجال واعترفوا بما صنعوا بعد
العشاء فنزلت وليلة الصيام الليلة التى يصبح منها صائما والرفث كناية
عن الجماع لانه لا يكاد يخلو من رفث وهو الافصاح بما يجب ان يكنى
عنه وعدى بالى لتضمنه معنى الافضاء وايثاره ههنا لتقبيح ما ارتكبوه
ولذلك سماه خيانة وقرئ الرفوث **هُنَّ لِبَاسٌ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِبَاسٌ**
لَهُنَّ استيناف يبين سبب الاحلال وهو قلة الصبر عنهن وصعوبة اجتنابهن
لكثرة المخالطة وشدة الملابسة ولما كان الرجل والمراة يعتنقان
ويشتمل كل منهما على صاحبه شبه باللباس قال الجعدى
اذا ما الضجيع ثنى عطفها ... تثنت فكانت عليه لباسا
او لان كلا منهما يستر حال صاحبه ويمنعه عن الفجور **عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ**
كُنْتُمْ تَخْتَانُونَ أَنْفُسَكُمْ تظلمونها بتعريضها للعقاب وتنقيص حظها
من الثواب والاختيان ابلغ من الخيانة كالاكتساب من الكسب
فَتَابَ عَلَيْكُمْ لما تبتم مما اقترفتموه **وَعَفَا عَنْكُمْ** ومحا عنكم
اثره **فَالْآنَ بَاشِرُوهُنَّ** لما نسخ عنكم التحريم وفيه دليل على جواز
نسخ السنة بالقران والمباشرة الزاق البشرة بالبشرة كنى به عن الجماع
وَابْتَغُوا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ واطلبوا ما قدره لكم واثبته فى اللوح
من الولد والمعنى ان المباشر ينبغى ان يكون غرضه الولد فانه الحكمة
من خلق الشهوة وشرع النكاح لا قضاء الوطر وقيل النهى عن العزل
وقيل عن غير المأتى والتقدير وابتغوا المحل الذى كتبه الله لكم
وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ
مِنَ الْفَجْرِ شبه اول ما يبدو من الفجر المعترض فى الافق وما يمتد معه من غبش
الليل بخيطين ابيض واسود واكتفى ببيان الخيط الابيض بقوله من الفجر
عن بيان الخيط الاسود لدلالته عليه وبذلك خرجا عن الاستعارة الى التمثيل
ويجوز ان تكون من للتبعيض فان ما يبدو بعض الفجر وما روى انها
نزلت ولم ينزل من الفجر فعمد رجال الى خيطين اسود وابيض ولا يزالون
ياكلون ويشربون حتى يتبينا لهم فنزلت ان صح فلعله كان قبل دخول رمضان
وتاخير البيان الى وقت الحاجة جائز واكتفوا اولا باشتهارهما فى ذلك



ثم صرح بالبيان لما التبس على بعضهم وفي تجويز المباشرة إلى الصبح الدلالة
على جواز تأخير الغسل إليه وصحة صوم المصبح جنبا ثم أتموا الصيام إلى الليل
بيان آخر وقته وإخراج الليل عنه فينفي صوم الوصال ولا تباشروهن
وأنتم عاكفون في المساجد معتكفون فيها والاعتكاف
هو اللبث في المسجد بقصد القربة والمراد بالمباشرة الوطء وعن قتادة رضه
كان الرجل يعتكف فيخرج إلى امرأته فيباشرها ثم يرجع فنهوا عن ذلك
وفيه دليل على أن الاعتكاف يكون في المسجد ولا يختص بمسجد دون
مسجد وأن الوطء يحرم فيه ويفسده لأن النهي في العبادات يوجب الفساد
تلك حدود الله أي الأحكام التي ذكرت فلا تقربوها نهى عن
أن يقرب الحد الحاجز بين الحق والباطل لئلا يداني الباطل فضلا أن يتخطى كما
قال عليه السلام إن لكل ملك حمى وإن حمى الله محارمه فمن
رتع حول الحمى يوشك أن يقع فيه وهو أبلغ من قوله فلا تعتدوها ويجوز
أن يريد بحدود الله محارمه ومناهيه كذلك مثل ذلك التبيين
يبين الله آياته للناس لعلهم يتقون مخالفة الأوامر والنواهي ولا تأكلوا
أموالكم بينكم بالباطل ولا يأكل بعضكم مال بعض بالوجه
الذي لم يبحه الله وبين نصب على الظرف أو الحال من الأموال وتدلوا بها
إلى الحكام عطف على المنهي أو نصب بإضمار أن والإدلاء الإلقاء أي
ولا تلقوا حكومتها إلى الحكام لتأكلوا بالتحاكم فريقا
طائفة من أموال الناس بالإثم بما يوجب إثما كشهادة الزور
واليمين الكاذبة أو ملتبسين بالإثم وأنتم تعلمون أي أنكم مبطلون
فإن ارتكاب المعصية مع العلم بها أقبح روي أن عبدان الحضرمي ادعى على
امرئ القيس الكندي قطعة من أرض ولم يكن له بينة فحكم
رسول الله صلى الله عليه وسلم بأن يحلف امرؤ القيس فهم به فقرأ عليه
السلام إن الذين يشترون بعهد الله وأيمانهم ثمنا قليلا فارتدع عن اليمين
وسلم الأرض إلى عبدان فنزلت وهي دليل على أن حكم القاضي لا ينفذ باطنا
ويؤيده قوله عليه السلام إنما أنا بشر وأنتم تختصمون إلي ولعل بعضكم
يكون ألحن بحجته من بعض فأقضي له على نحو ما أسمع منه فمن قضيت له
بشيء من حق أخيه فإنما أقضي له قطعة من النار يسألونك عن الأهلة
سأله معاذ بن جبل رضي الله عنهما وثعلبة بن غنم الأنصاري رضي الله عنهما
فقالا ما بال الهلال يبدو دقيقا كالخيط ثم يزيد حتى يستوي ثم لا
يزال ينقص حتى يعود كما بدا قل هي مواقيت للناس والحج فإنهم

سألوا

سألوا عن الحكمة في اختلاف حال القمر وتبدل أمره فأمره الله أن
يجيب بأن الحكمة الظاهرة في ذلك أن يكون معالم للناس يوقتون
بها أمورهم ومعالم للعبادات الموقتة يعرف بها أوقاتها وخصوصا
الحج فإن الوقت مراعى فيه أداء وقضاء والمواقيت جمع ميقات من الوقت
والفرق بينه وبين المدة والزمان أن المدة المطلقة امتداد حركة الفلك
من مبدئها إلى منتهاها والزمان مدة مقسومة والوقت الزمان المفروض
لأمر وليس البر بأن تأتوا البيوت من ظهورها ولكن البر من
اتقى كانت الأنصار إذا أحرموا لم يدخلوا دارا ولا فسطاطا من بابه
وإنما يدخلون ويخرجون من نقب أو فرجة وراءه ويعدون ذلك برا
فبين لهم أنه ليس ببر وإنما البر بر من اتقى المحارم والشهوات
ووجه اتصاله بما قبله أنهم سألوا عن الأمرين أو أنه لما ذكر أنها
مواقيت الحج وهذا أيضا من أفعالهم في الحج ذكره للاستطراد أو أنهم
لما سألوا عما لا يعنيهم ولا يتعلق بعلم النبوة وتركوا السؤال عما يعنيهم
ويختص بعلم النبوة عقب بذكره جواب ما سألوه تنبيها على أن اللائق بهم
أن يسألوا أمثال ذلك ويهتموا بالعلم بها أو أن المراد به التنبيه على تعكيسهم
السؤال وتمثيلهم بحال من ترك باب البيت ودخل من ورائه والمعنى
وليس البر أن تعكسوا مسائلكم ولكن البر بر من اتقى ذلك
ولم يجسر على مثله وأتوا البيوت من أبوابها إذ ليس في العدول بر
أو باشروا الأمور من وجوهها واتقوا الله في تغيير أحكامه والاعتراض
على أفعاله لعلكم تفلحون لكي تظفروا بالهدى والبر وقاتلوا في
سبيل الله جاهدوا لإعلاء كلمته وإعزاز دينه الذين يقاتلونكم
قيل كان ذلك قبل أن أمروا بقتال المشركين كافة
المقاتلين منهم والمحاجزين وقيل معناه الذين يناصبونكم
القتال ويتوقع منهم ذلك دون غيرهم من المشايخ والصبيان
والرهابنة والنساء أو الكفرة كلهم فإنهم بصدد قتال المسلمين
وعلى قصده ويؤيد الأول ما روي أن المشركين صدوا رسول
الله صلى الله عليه وسلم عام الحديبية وصالحوه على أن يرجع من
قابل فيخلوا له مكة ثلاثة أيام فرجع لعمرة القضاء وخاف المسلمون
أن لا يفوا لهم ويقاتلوهم في الحرم والشهر الحرام وكرهوا ذلك
فنزلت ولا تعتدوا بابتداء القتال أو بقتال المعاهد أو المفاجأة به من
غير دعوة أو المثلة أو قتل من نهيتم عن قتله إن الله لا يحب المعتدين

لا يريد بهما الخير فاقتلوهم حيث ثقفتموهم حيث وجدتموهم
في حل أو حرم وأصل الثقف الحذق في إدراك الشيء علما كان
أو عملا فهو يتضمن معنى الغلبة ولذلك استعمل فيها قال
فإما تثقفوني فاقتلوني فمن أثقف فليس إلى خلود وأخرجوهم
من حيث أخرجوكم أي مكة وقد فعل ذلك بمن لم يسلم يوم
الفتح والفتنة أشد من القتل أي المحنة التي يفتتن بها الإنسان
كالإخراج من الوطن أصعب من القتل لدوام تعبها وتألم النفس
بها وقيل معناه شركهم في الحرم وصدهم إياكم عنه أشد
من قتلكم إياهم فيه ولا تقاتلوهم عند المسجد الحرام حتى
يقاتلوكم فيه لا تفاتحوهم بالقتال وهتك حرمة المسجد الحرام
فإن قاتلوكم فاقتلوهم فلا تبالوا بقتالهم ثم فإنهم الذين
هتكوا حرمته وقرأ حمزة والكسائي ولا تقتلوهم حتى يقتلوكم
فإن قتلوكم والمعنى حتى يقتلوا بعضكم كقولهم قتلتنا بنو
أسد كذلك جزاء الكافرين مثل ذلك جزاؤهم يفعل بهم مثل
ما فعلوا فإن انتهوا عن القتال والكفر فإن الله غفور رحيم يغفر لهم
ما قد سلف وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة شرك ويكون
الدين لله خالصا له ليس للشيطان فيه نصيب فإن انتهوا عن الشرك فلا
عدوان إلا على الظالمين أي فلا تعتدوا على المنتهين إذ لا يحسن أن يظلم
إلا من ظلم فوضع العلة موضع الحكم وسمي جزاء الظلم باسمه للمشاكلة كقوله
فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه أو أنكم إن تعرضتم للمنتهين صرتم ظالمين
وينعكس الأمر عليكم والفاء الأولى للتعقيب والثانية للجزاء الشهر الحرام بالشهر
الحرام قاتلهم المشركون عام الحديبية في ذي القعدة واتفق خروجهم لعمرة القضاء
فيه وكرهوا أن يقاتلوهم لحرمته فقيل لهم هذا الشهر بذاك وهتكه بهتكه فلا تبالوا
به والحرمات قصاص احتجاج عليه أي كل حرمة وهو ما يجب أن يحافظ عليها يجري فيه
القصاص فلما هتكوا حرمة شهركم بالصد فافعلوا بهم مثله وادخلوا عليهم
عنوة واقتلوهم إن قاتلوكم كما قال فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل
ما اعتدى عليكم وهو فذلكة التقرير واتقوا الله في الانتصار فلا تعتدوا إلى ما لم
يرخص لكم واعلموا أن الله مع المتقين فيحرسهم ويصلح شأنهم وأنفقوا في
سبيل الله ولا تمسكوا كل الإمساك ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة بالإسراف
وتضييع وجه المعاش أو بالكف عن الغزو والإنفاق فيه فإن ذلك يقوي العدو
ويسلطهم على إهلاككم ويؤيده ما روي عن أبي أيوب الأنصاري أنه قال لما أعز الله

الإسلام

الإسلام وكثر أهله رجعنا إلى أهالينا وأموالنا نقيم فيها ونصلحها فنزلت
أو بالإمساك وحب المال فإنه يؤدي إلى الهلاك المؤبد ولذلك سمي البخل هلاكا
وهو في الأصل انتهاء الشيء في الفساد والإلقاء طرح الشيء وعدي بإلى لتضمن
معنى الانتهاء والباء مزيدة والمراد بالأيدي الأنفس والتهلكة والهلاك واحد
فهي مصدر كالتضرة والتسرة أي لا توقعوا أنفسكم في الهلاك وقيل معناه
لا تجعلوها آخذة بأيديكم أو لا تلقوا بأيديكم أنفسكم إليها فحذف المفعول
وأحسنوا أعمالكم وأخلاقكم أو تفضلوا على المحاويج إن الله يحب المحسنين
وأتموا الحج والعمرة لله ائتوا بهما تامين مستجمعي المناسك لوجه الله وهو على هذا
يدل على وجوبهما ويؤيده قراءة من قرأ وأقيموا الحج والعمرة لله وما روى جابر
أنه قيل يا رسول الله العمرة واجبة مثل الحج فقال لا ولكن أن
تعتمر خير لك معارض بما روي أن رجلا قال لعمر إني وجدت الحج والعمرة
مكتوبين علي أهللت بهما جميعا فقال هديت لسنة نبيك ولا يقال إنه
فسر وجدتهما مكتوبين بقوله أهللت بهما فجاز أن يكون الوجوب
بسبب إهلاله بهما لأنه رتب الإهلال على الوجدان وذلك يدل على أنه
سبب الإهلال دون العكس وقيل إتمامهما أن تحرم بهما من دويرة
أهلك أو أن تفرد لكل منهما سفرا أو أن تجرده لهما لا تشوبهما بغرض
دنيوي أو أن تكون النفقة حلالا فإن أحصرتم منعتم يقال حصره
العدو وأحصره إذا حبسه ومنعه عن المضي مثل صده وأصده والمراد حصر
العدو عند مالك والشافعي لقوله فإذا أمنتم ولنزوله في الحديبية ولقول
ابن عباس لا حصر إلا حصر العدو وكل منع من عدو أو مرض أو غيرهما
عند أبي حنيفة لما روي عنه عليه السلام من كسر أو عرج فعليه الحج من
قابل وهو ضعيف مؤول بما إذا شرط الإحلال به لقوله عليه السلام لضباعة
بنت الزبير حجي واشترطي وقولي اللهم محلي حيث حبستني فما استيسر
من الهدي فعليكم ما استيسر أو فالواجب ما استيسر أو فاهدوا ما استيسر
والمعنى إن أحصر المحرم وأراد أن يتحلل تحلل بذبح هدي تيسر عليه من بدنة أو بقرة
أو شاة حيث أحصر عند الأكثر لأنه عليه السلام ذبح عام الحديبية بها وهي من الحل
وعند أبي حنيفة يبعث به ويجعل للمبعوث بيده يوم أمارة فإذا جاء اليوم وظن أنه
ذبح تحلل لقوله ولا تحلقوا رؤوسكم حتى يبلغ الهدي محله أي لا تحلقوا حتى تعلموا أن الهدي المبعوث
إلى الحرم بلغ محله أي مكانه الذي يجب أن ينحر فيه وحمل الأولون بلوغ الهدي محله
على ذبحه حيث يحل ذبحه فيه حلا كان أو حرما واقتصاره على الهدي دليل على عدم القضاء
وقال أبو حنيفة يجب القضاء والمحل بالكسر يطلق للمكان والزمان والهدي جمع هدية كجدي وجدية

وترى من الهدي كمطي في عطبه فمن كان منكم مريضا مرضا يحوجه الى الحلق او به
اذى من راسه كجراحة وقمل ففدية فعليه فدية ان حلق من صيام او صدقة او
نسك بيان لجنس الفدية واما قدرها فقد روي انه عليه السلام قال لكعب بن عجرة لعلك
اذاك هوامك قال نعم يا رسول الله قال احلق وصم ثلثة ايام او تصدق بفرق على ستة
مساكين او انسك شاة والفرق ثلثة اصوع فاذا امنتم الاحصار او كنتم في حال امن وسعة
فمن تمتع بالعمرة الى الحج فمن استمتع وانتفع بالتقرب الى الله بالعمرة قبل الانتفاع
تقربه بالحج في اشهره وقيل فمن استمتع بعد التحلل من عمرته باستباحة محظورات
الاحرام الى ان يحرم بالحج فما استيسر من الهدي فعليه دم استيسره بسبب التمتع
فهو دم جبران يذبحه اذا احرم بالحج ولا ياكل منه وقال ابو حنيفة انه دم نسك فهو
كالاضحية فمن لم يجد اي الهدي فصيام ثلثة ايام في الحج في ايام الاشتغال به
بعد الاحرام وقبل التحلل وقال ابو حنيفة في اشهره بين الاحرامين والاحب ان
يصوم سابع ذي الحجة وثامنه وتاسعه ولا يجوز يوم النحر وايام التشريق عند
الاكثر وسبعة اذا رجعتم الى اهليكم وهو احد قولي الشافعي او نفرتم وفرغتم من
اعماله وهو قوله الثاني ومذهب ابي حنيفة وقرئ سبعة بالنصب عطفا على محل ثلثة
ايام تلك عشرة فذلكة الحساب وفائدتها ان لا يتوهم ان الواو بمعنى او كقولك
جالس الحسن وابن سيرين وان يعلم العدد جملة كما علم تفصيلا فان اكثر العرب
لم يحسن الحساب وان المراد بالسبعة العدد دون الكثرة فانه يطلق لها كاملة
صفة موكدة تفيد المبالغة في محافظة العدد او مبينة كمال العشرة فانه اول عدد
كامل اذ به ينتهي الاحاد وتتم مراتبها او مقيدة كمال بدليتها من الهدي ذلك اشارة
الى الحكم المذكور عندنا والتمتع عند ابي حنيفة اذ لا متعة ولا قران لحاضري المسجد الحرام
عنده فمن فعل ذلك فعليه دم جناية لمن لم يكن اهله حاضري المسجد الحرام وهو من كان
من الحرم على مسافة القصر عندنا فان من كان على اقل فهو مقيم الحرم او في حكمه ومن مسكنه
وراء الميقات عنده واهل الحل عند طاوس وغير المكي عند مالك واتقوا الله في المحافظة
على اوامره ونواهيه وخصوصا في الحج واعلموا ان الله شديد العقاب لمن لم يتقه
كي يصدكم العلم به عن العصيان الحج اشهر اي وقته كقولك البرد شهران
معلومات معروفات وهي شوال وذو القعدة وتسع ذي الحجة بليلة النحر عندنا
والعشر عند ابي حنيفة وذو الحجة كله عند مالك وبناء الخلاف ان المراد بوقته
وقت احرامه او وقت اعماله ومناسكه او ما لا يحسن فيه غيره من المناسك
مطلقا فان مالكا كره العمرة في بقية ذي الحجة وابو حنيفة وان صحح الاحرام
به قبل شوال فقد استكرهه وانما سمي شهرين وبعض شهر
اشهرا اقامة للبعض مقام الكل او اطلاقا للجمع على ما فوق الواحد

على ما فوق الواحد فمن فرض فيهن الحج فمن اوجب على نفسه بالاحرام
فيهن عندنا او بالتلبية او سوق الهدي عند ابي حنيفة وهو دليل على ما
ذهب اليه الشافعي وان من احرم بالحج لزمه الاتمام فلا رفث فلا جماع
او فلا فحش من الكلام ولا فسوق ولا خروج عن حدود الشرع بالسيئات
وارتكاب المحظورات ولا جدال ولا مراء مع الخدم والرفقة في الحج في ايام
نفي الثلثة على قصد النهي للمبالغة والدلالة على انها حقيقة بان لا تكون وما
كانت منها مستقبحة في انفسها ففي الحج اقبح كلبس الحرير في الصلوة والتطريب
بقراءة القران لانه خروج عن مقتضى الطبع والعادة الى محض العبادة وقرا ابن
كثير وابو عمرو الاولين بالرفع على معنى لا يكونن رفث ولا فسوق والثالث
بالفتح على معنى الاخبار بانتفاء الخلاف في الحج وذلك ان قريشا كانت تخالف
سائر العرب فتقف بالمشعر الحرام فارتفع الخلاف بان امروا ان يقفوا ايضا بعرفة
وما تفعلوا من خير يعلمه الله حث على الخير عقيب النهي عن الشر ليستبدل به
ويستعمل مكانه وتزودوا فان خير الزاد التقوى وتزودوا لمعادكم
التقوى فانه خير زاد وقيل نزلت في اهل اليمن كانوا يحجون ولا يتزودون
ويقولون نحن متوكلون فيكونون كلا على الناس فامروا ان يتزودوا ويتقوا
الابرام في السوال والتثقيل على الناس واتقون يا اولي الالباب فان قضية اللب
خشية الله وتقواه حثهم على التقوى ثم امرهم بان يكون المقصود بها هو الله فيتبرءوا
عن كل شيء سواه وهو مقتضى العقل المعرى عن شوائب الهوى فلذلك خص
اولي الالباب بهذا الخطاب ليس عليكم جناح ان تبتغوا في ان تبتغوا
اي تطلبوا فضلا من ربكم عطاء ورزقا منه يريد الربح بالتجارة وقيل
كان عكاظ ومجنة وذو المجاز اسواقهم في الجاهلية يقيمونها مواسم الحج وكانت
معايشهم منها فلما جاء الاسلام تأثموا منه فنزلت فاذا افضتم من عرفات
دفعتم منها بكثرة من افضت الماء اذا صببته بكثرة واصله افضتم انفسكم
فحذف المفعول كما حذف في دفعت من البصرة وعرفات جمع سمي به
كاذرعات وانما نون وكسر وفيه العلمية والتانيث لان تنوين الجمع
تنوين المقابلة لا تنوين التمكن ولذلك يجمع مع اللام وذهاب الكسرة تبع ذهاب
التنوين من غير عوض لعدم الصرف وهنا ليس كذلك او لان التانيث
اما ان يكون بالتاء المذكورة وهي ليست تاء تانيث وانما هي مع الالف التي قبلها
علامة جمع المونث او بتاء مقدرة كما في سعاد ولا يصح تقديرها لان
المذكورة تمنعه من حيث انها كالبدل لها لاختصاصها بالمونث كتاء بنت
وانما سمي الموقف عرفة لانه نعت لابراهيم عليه السلام فلما ابصره عرفه او لان جبرئيل

كان يدور به في المشاعر فلما رآه قال عرفت او لان آدم وحوا التقيا فيه
فتعارفا او لان الناس يتعارفون فيه وعرفات للمبالغة في ذلك وهي من
الاسماء المرتجلة الا ان يجعل جمع عارف وفيه دليل وجوب الوقوف بها
لان الافاضة لا تكون الا بعده وهي مأمور بها بقوله ثم افيضوا او مقدمة
للذكر المأمور به وفيه نظر اذ الذكر غير واجب والامر به غير
مطلق فاذكروا الله بالتلبية والتهليل والدعاء وقيل بصلوة العشائين
عند المشعر الحرام جبل يقف عليه الامام ويسمى قزح وقيل ما بين مازمي
عرفة ووادي محسر ويؤيد الاول ما روى جابر انه عليه السلام لما صلى الفجر
يعني بالمزدلفة بغلس ركب ناقته حتى اتى المشعر الحرام فدعا وكبر وهلل
ولم يزل واقفا حتى اسفر وانما سمي مشعرا لانه معلم العبادة ووصف بالحرام
لحرمته ومعنى عند المشعر الحرام مما يليه ويقرب منه فانه افضل والا فالمزدلفة
كلها موقف الا وادي محسر واذكروه كما هديكم كما علمكم او
اذكروه ذكرا حسنا كما هداكم هداية حسنة الى المناسك وغيرها وما
مصدرية او كافة وان كنتم من قبله الى الهدى لمن الضالين
الجاهلين بالايمان والطاعة وان هي المخففة واللام هي الفارقة وقيل ان
نافية واللام بمعنى الا كقوله تعالى وان نظنك لمن الكاذبين ثم افيضوا من
حيث افاض الناس اي من عرفة لا من مزدلفة والخطاب مع قريش كانوا
يقفون بجمع وسائر الناس بعرفة ويرون ذلك ترفعا عليهم فامروا بان
يساووهم وثم لتفاوت ما بين الافاضتين كما في قولك احسن الى الناس
ثم لا تحسن الى غير كريم وقيل من مزدلفة الى منى بعد الافاضة من عرفة
اليها والخطاب عام وقرئ الناسِ بالكسر اي الناسي يريد آدم من قوله تعالى
فنسي والمعنى ان الافاضة من عرفة شرع قديم فلا تغيروه واستغفروا
الله من جاهليتكم في تغيير المناسك ونحوه ان الله غفور رحيم يغفر
ذنب المستغفر وينعم عليه فاذا قضيتم مناسككم فاذا قضيتم
العبادات الحجية وفرغتم منها فاذكروا الله كذكركم آباءكم
فاكثروا ذكره وبالغوا فيه كما تفعلون بذكر آبائكم في المفاخرة و
كانت العرب اذا قضوا مناسكهم وقفوا بمنى بين المسجد والجبل ويذكرون
مفاخر آبائهم ومحاسن ايامهم او اشد ذكرا اما مجرور معطوف على الذكر
بجعل الذكر ذاكرا على المجاز والمعنى واذكروا الله ذكرا كذكركم آباءكم
او كذكر اشد منه وابلغ او على ما اضيف اليه على ضعف بمعنى او كذكر
قوم اشد منكم ذكرا واما منصوب بالعطف على آبائكم وذكرا من فعل المذكور

بمعنى او كذكركم اشد مذكورا من آبائكم او بمضمر دل عليه المعنى تقديره او كونوا اشد ذكرا
لله منكم لآبائكم فمن الناس من يقول تفصيل للذاكرين الى مقل لا يطلب
بذكر الله الا الدنيا ومكثر يطلب به خير الدارين والمراد به الحث على الاكثار
والارشاد اليه ربنا آتنا في الدنيا اجعل ايتاءنا ومنحتنا في الدنيا وما له في
الآخرة من خلاق اي نصيب وحظ لان همه مقصور بالدنيا او من طلب
خلاق ومنهم من يقول ربنا آتنا في الدنيا حسنة يعني الصحة والكفاف
وتوفيق الخير وفي الآخرة حسنة يعني الثواب والرحمة وقنا عذاب النار
بالعفو والمغفرة وقول علي رضه الحسنة في الدنيا المرأة الصالحة وفي الآخرة الحوراء
وعذاب النار امرأة السوء وقول الحسن الحسنة في الدنيا العلم والعبادة وفي
الآخرة الجنة وقنا عذاب النار معناه احفظنا من الشهوات والذنوب المؤدية
الى النار امثلة للمراد بها اولئك اشارة الى الفريق الثاني وقيل اليهما لهم نصيب
مما كسبوا اي من جنسه وهو جزاؤه او من اجله كقوله مما خطيئاتهم
اغرقوا او مما دعوا به نعطيهم ما قدرناه فسمي الدعاء كسبا لانه من الاعمال والله
سريع الحساب يحاسب العباد على كثرتهم وكثرة اعمالهم في مقدار لمحة
او يوشك ان يقيم القيمة ويحاسب الناس فبادروا الى الطاعات واكتساب
الحسنات واذكروا الله في ايام معدودات كبروه ادبار الصلوات
وعند ذبح القرابين ورمي الجمار وغيرها في ايام التشريق فمن تعجل فمن استعجل
النفر في يومين يوم القر والذي بعده فمن نفر في ثاني ايام التشريق بعد رمي
الجمار عندنا وقبل طلوع الفجر عنده فلا اثم عليه باستعجاله ومن
تاخر فلا اثم عليه فمن تاخر في النفر حتى رمى اليوم الثالث بعد الزوال
وقال ابو حنيفة يجوز تقديم رميه على الزوال ومعنى نفي الاثم بالتعجيل والتاخير
التخيير بينهما والرد على الجاهلية فان منهم من اثم المتعجل ومنهم من اثم
المتاخر لمن اتقى اي الذي ذكر من التخيير او من الاحكام لمن اتقى لانه الحاج على
الحقيقة والمنتفع بها او لاجله حتى لا يتضرر بترك ما يهمه منهما واتقوا الله في مجامع
اموركم ليعبأ بكم واعلموا انكم اليه تحشرون للجزاء بعد الاحياء واصل
الحشر الجمع وضم المتفرق ومن الناس من يعجبك قوله يروقك ويعظم
في نفسك والتعجب حيرة تعرض الانسان لجهله بسبب المتعجب منه في الحيوة
الدنيا متعلق بالقول اي ما يقوله في امور الدنيا واسباب المعاش او في معنى الدنيا
فانها مرادة من ادعاء المحبة واظهار الايمان او بيعجبك اي يعجبك قوله في الدنيا
حلاوة وفصاحة ولا يعجبك في الآخرة لما يعتريه من الدهشة والحبسة
او لانه لا يؤذن له في الكلام ويشهد الله على ما في قلبه يحلف ويستشهد الله

اصل

على ان ما في قلبه موافق لكلامه وهو ألد الخصام شديد العداوة والجدال
للمسلمين والخصام المخاصمة ويجوز ان يكون جمع خصم كصعب وصعاب
بمعنى اشد الخصوم خصومة قيل نزلت في الاخنس بن شريق الثقفي وكان
حسن المنظر حلو المنطق يوالي رسول الله صلعم ويدعي الاسلام وقيل في المنافقين
كلهم وإذا تولى ادبر وانصرف عنك وقيل اذا غلب وصار واليا سعى
في الأرض ليفسد فيها ويهلك الحرث والنسل كما فعل الاخنس
بثقيف اذ بيتهم واحرق زروعهم واهلك مواشيهم او كما يفعله
ولاة السوء بالقتل والاتلاف او بالظلم حتى يمنع الله بشومه القطر فيهلك
الحرث والنسل والله لا يحب الفساد لا يرتضيه فاحذروا غضبه عليه
وإذا قيل له اتق الله أخذته العزة بالإثم حملته الانفة وحمية
الجاهلية على الاثم الذي يؤمر باتقائه لجاجا من قولك اخذته بكذا
اذا حملته عليه والزمته اياه فحسبه جهنم كفته جزاء وعذابا وجهنم
علم لدار العقاب وهو في الاصل مرادف للنار وقيل معرب ولبئس
المهاد جواب قسم مقدر والمخصوص بالذم محذوف للعلم به والمهاد
الفراش وقيل ما يوطأ للجنب ومن الناس من يشري نفسه
يبيعها ببذلها في الجهاد او يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر حتى يقتل
ابتغاء مرضات الله طلبا لرضاه وقيل انها نزلت في صهيب بن
سنان الرومي اخذه المشركون وعذبوه ليرتد فقال اني شيخ كبير
لا ينفعكم ان كنت معكم ولا يضركم ان كنت عليكم فخلوني وما
انا عليه وخذوا مالي فقبلوه منه واتى المدينة والله رؤوف بالعباد
حيث ارشدهم الى مثل هذا الشراء وكلفهم بالجهاد فعرضهم لثواب الغزاة
والشهداء يا أيها الذين آمنوا ادخلوا في السلم كافة السلم بالكسر
والفتح الاستسلام والطاعة ولذلك يطلق في الصلح والاسلام فتحه ابن
كثير ونافع والكسائي وكسره الباقون وكافة اسم للجملة لانها تكف الاجزاء
من التفرق حال من الضمير او السلم لانها تؤنث كالحرب قال السلم تأخذ منها
ما رضيت به والحرب يكفيك من انفاسها جرع والمعنى استسلموا لله واطيعوه
جملة ظاهرا وباطنا والخطاب للمنافقين او ادخلوا في الاسلام بكليتكم ولا
تخلطوا به غيره والخطاب لمؤمني اهل الكتاب فانهم بعد اسلامهم عظموا
السبت وحرموا الابل والبانها او في شرائع الله كلها بالايمان بالانبياء والكتب
جميعا والخطاب لاهل الكتاب او في شعب الاسلام واحكامه كلها فلا تخلوا بشيء
والخطاب للمسلمين ولا تتبعوا خطوات الشيطان بالتفرق والتفريق انه

لكم

لكم عدو مبين ظاهر العداوة فإن زللتم عن الدخول في السلم من
بعد ما جاءتكم البينات الآيات والحجج الشاهدة على انه الحق فاعلموا
أن الله عزيز لا يعجزه الانتقام حكيم لا ينتقم الا بحق هل ينظرون
استفهام في معنى النفي ولذلك جاء بعده الا إلا أن يأتيهم الله اي يأتيهم امره
او بأسه كقوله او يأتي امر ربك فجاءهم بأسنا او يأتيهم الله ببأسه فحذف
المأتي به للدلالة عليه بقوله ان الله عزيز حكيم في ظلل جمع ظلة كقلة وقلل وهي
ما اظلك وقرئ في ظلال كقلال من الغمام السحاب الابيض وانما يأتيهم العذاب
فيه لانه مظنة الرحمة فاذا جاء منه العذاب كان افظع لان الشر اذا جاء من
حيث لا يحتسب كان اصعب فكيف اذا جاء من حيث يحتسب الخير والملائكة
فانهم الواسطة في اتيان امره او الآتون على الحقيقة ببأسه وقرئ بالجر عطفا
على ظلل او الغمام وقضي الأمر اتم امر اهلاكهم وفرغ منه وضع الماضي
موضع المستقبل لدنوه وتيقن وقوعه وقرئ وقضاء الامر عطفا على الملائكة
وإلى الله ترجع الأمور قرأ ابن كثير ونافع وابو عمرو وعاصم على انه من الرجع
وقرأ الباقون على البناء للفاعل بالتأنيث غير يعقوب على انه من الرجوع وقرئ
ايضا بالتذكير وبناء المفعول سل بني إسرائيل امر للرسول عليه السلام او لكل واحد
والمراد بهذا السؤال تقريعهم كم آتيناهم من آية بينة معجزة ظاهرة او
آية في الكتب شاهدة على الحق والصواب على ايدي الانبياء وكم خبرية او استفهامية
مقررة ومحلها النصب على المفعولية او الرفع بالابتداء على حذف العائد من الخبر
وآية مميزها ومن للفصل ومن يبدل نعمة الله اي آياته فانها سبب الهدى
هو اجل النعم بجعلها سبب الضلالة وازدياد الرجس او بالتحريف والتأويل
الزائغ من بعد ما جاءته من بعد ما وصلت اليه وتمكن من معرفتها وفيه
تعريض بانهم بدلوها بعد ما عقلوها ولذلك قيل تقديره فبدلوها ومن
يبدل فإن الله شديد العقاب فيعاقبه اشد عقوبة لانه ارتكب اشد
جريمة زين للذين كفروا الحياة الدنيا حسنت في اعينهم واشربت محبتها
في قلوبهم حتى تهالكوا عليها واعرضوا عن غيرها والمزين على الحقيقة هو الله تعالى اذ ما
من شيء الا وهو فاعله ويدل عليه قراءة زين على البناء للفاعل وكل من الشيطان
والقوة الحيوانية وما خلقه الله تعالى فيها من الامور البهية والاشياء الشهية
مزين بالعرض ويسخرون من الذين آمنوا يريد فقراء المؤمنين كبلال
وعمار وصهيب اي يسترذلونهم ويستهزئون بهم على رفضهم الدنيا
واقبالهم على العقبى ومن للابتداء كانهم جعلوا مبدأ السخرية مبتدئة منهم
والذين اتقوا فوقهم يوم القيامة لانهم في عليين وهم في اسفل السافلين

أو لأنهم في كرامة وهم في مذلة أو لأنهم يتطاولون عليهم فيسخرون منهم كما سخروا منهم في الدنيا وإنما قال والذين اتقوا بعد قوله من الذين آمنوا ليدل على أنهم متقون وأن استعلاءهم للتقوى **والله يرزق من يشاء** في الدارين **بغير حساب** بغير تقدير فيوسع في الدنيا استدراجا تارة وابتلاء أخرى **كان الناس أمة واحدة** متفقين على الحق فيما بين آدم وإدريس أو نوح أو بعد الطوفان أو متفقين على الجهالة والكفر في فترة إدريس أو نوح **فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين** أي اختلفوا فبعث الله وإنما حذف لدلالة قوله فيما اختلفوا وعن كعب الذي علمته من عدد الأنبياء مائة وأربعة وعشرون ألفا والمرسل منهم ثلثمائة وثلثة عشر والمذكور في القرآن باسم العلم ثمانية وعشرون **وأنزل معهم الكتاب** يريد به الجنس ولا يريد به أنه أنزل مع كل واحد كتابا يخصه فإن أكثرهم لم يكن لهم كتاب يخصهم وإنما كانوا يأخذون بكتب من قبلهم **بالحق** حال من الكتاب أي ملتبسا بالحق شاهدا به **ليحكم بين الناس** أي الله أو النبي المبعوث أو كتابه **فيما اختلفوا فيه** في الحق الذي اختلفوا فيه أو فيما التبس عليهم **وما اختلف فيه** في الحق أو الكتاب **إلا الذين أوتوه** أي الكتاب المنزل لإزالة الخلاف أي عكسوا الأمر فجعلوا ما أنزل مزيحا للاختلاف سببا لاستحكامه **من بعد ما جاءتهم البينات بغيا بينهم** حسدا بينهم وظلما لحرصهم على الدنيا **فهدى الله الذين آمنوا لما اختلفوا فيه** أي للحق الذي اختلف فيه من اختلف **من الحق** بيان لما اختلفوا فيه **بإذنه** بأمره أو بإرادته ولطفه **والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم** لا يضل سالكه **أم حسبتم أن تدخلوا الجنة** خاطب به النبي والمؤمنين بعد ما ذكر اختلاف الأمم على الأنبياء بعد مجيء الآيات تشجيعا لهم على الثبات مع مخالفتهم وأم منقطعة ومعنى الهمزة فيها الإنكار **ولما يأتكم** ولم يأتكم وأصل لما لم زيدت عليها ما وفيها توقع ولذلك جعل مقابل قد **مثل الذين خلوا من قبلكم** حالهم التي هي مثل في الشدة **مستهم البأساء والضراء** بيان له على الاستئناف **وزلزلوا** وأزعجوا إزعاجا شديدا بما أصابهم من الشدائد **حتى يقول الرسول والذين آمنوا معه** لتناهي الشدة واستطالة المدة بحيث تقطعت حبال الصبر وقرأ نافع يقول بالرفع على أنها حكاية حال ماضية كقولك مرض فلان حتى لا يرجونه **متى نصر الله** استبطاء له لتأخره **ألا إن نصر الله قريب** استئناف على إرادة القول أي فقيل لهم ذلك إسعافا لهم إلى طلبتهم من عاجل النصر وفيه إشارة إلى

أن الوصول إلى الله والفوز بالكرامة عنده برفض الهوى واللذات ومكابدة الشدائد والرياضات كما قال عليه السلام حفت الجنة بالمكاره وحفت النار بالشهوات **يسألونك ماذا ينفقون** عن ابن عباس أن عمرو بن الجموح الأنصاري كان هما ذا مال عظيم فقال يا رسول الله ماذا ننفق من أموالنا وأين نضعها فنزلت **قل ما أنفقتم من خير فللوالدين والأقربين واليتامى والمساكين وابن السبيل** سئل عن المنفق فأجيب ببيان المصرف لأنه أهم فإن اعتداد النفقة باعتباره ولأنه كان في سؤال عمرو وإن لم يكن مذكورا في الآية واقتصر في بيان المنفق على ما تضمنه قوله ما أنفقتم من خير **وما تفعلوا من خير** في معنى الشرط **فإن الله به عليم** جوابه أي إن تفعلوا خيرا فإن الله يعلم كنهه ويوفي ثوابه وليس في الآية ما ينافيه فرض الزكاة لينسخ به **كتب عليكم القتال وهو كره لكم** شاق عليكم مكروه طبعا وهو مصدر نعت به للمبالغة أو فعل بمعنى مفعول كالخبز وقرئ بالفتح على أنه لغة فيه كالضعف والضعف أو بمعنى الإكراه على المجاز كأنهم أكرهوا عليه لشدته وعظم مشقته كقوله حملته أمه كرها ووضعته كرها **وعسى أن تكرهوا شيئا وهو خير لكم** وهو جميع ما كلفوا به فإن الطبع يكرهه وهو مناط صلاحهم وسبب فلاحهم **وعسى أن تحبوا شيئا وهو شر لكم** وهو جميع ما نهوا عنه فإن النفس تحبه وتهواه وهو يفضي بها إلى الردى وإنما ذكر عسى لأن النفس إذا ارتاضت ينعكس الأمر عليها **والله يعلم** ما هو خير لكم **وأنتم لا تعلمون** ذلك وفيه دليل على أن الأحكام تتبع المصالح الراجحة وإن لم يعرف عينها **يسألونك عن الشهر الحرام** روي أنه عليه السلام بعث عبد الله بن جحش ابن عمته على سرية في جمادى الآخرة قبل بدر بشهرين ليترصد عيرا لقريش فيهم عمرو بن عبد الله الحضرمي وثلثة معه فقتلوه وأسروا اثنين واستاقوا العير وفيها تجارة الطائف وكان ذلك غرة رجب وهم يظنونه من جمادى الآخرة فقالت قريش استحل محمد الشهر الحرام شهرا يأمن فيه الخائف ويبذعر فيه الناس إلى معايشهم وشق على أصحاب السرية وقالوا ما نبرح حتى تنزل توبتنا ورد رسول الله صلعم العير والأسارى وعن ابن عباس لما نزلت أخذ رسول الله صلعم الغنيمة وهو أول غنيمة في الإسلام والسائلون هم المشركون كتبوا إليه في ذلك تشنيعا وتعييرا وقيل أصحاب السرية **قتال فيه** بدل الاشتمال من الشهر وقرئ عن قتال بتكرير العامل **قل قتال فيه كبير** أي ذنب كبير والأكثر على أنه منسوخ بقوله فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم خلافا لعطاء وهو نسخ الخاص بالعام وفيه خلاف

وللاول ان يمنع دلالة الآية على حرمة القتال فيه مطلقا فان قتالا فيه نكرة في حيز مثبت فلا يعم وصد صرف ومنع عن سبيل الله اى الاسلام او ما يوصل العبد الى الله من الطاعات وكفر به اى بالله والمسجد الحرام على ارادة المضاف اى وصد المسجد الحرام كقول ابى داود اكل امرئ تحسبين امرأ ونار توقد بالليل نارا ولا يحسن عطفه على سبيل الله لان عطف قوله وكفر به على وصد مانع منه اذ لا يتقدم العطف على الموصول على العطف على الصلة ولا على الهاء فى به فان العطف على الضمير المجرور انما يكون باعادة الجار واخراج اهله اهل المسجد الحرام وهم النبى والمومنون اكبر عند الله مما فعلته السرية خطأ وبناء على الظن وهو خبر عن الاشياء الاربعة المعدودة من كبائر قريش وافعل مما يستوى فيه الواحد والجمع والمذكر والمونث والفتنة اكبر من القتل اى ما ارتكبوه من الاخراج والشرك افظع مما ارتكبوه من قتل الحضرمى ولا يزالون يقاتلونكم حتى يردوكم عن دينكم اخبار عن دوام عداوة الكفار لهم وانهم لا ينفكون عنها حتى يردوهم عن دينهم وحتى للتعليل كقولك اعبد الله حتى ادخل الجنة ان استطاعوا وهو استبعاد لاستطاعتهم كقول الواثق بقوته على قرنه ان ظفرت بى فلا تبق على وايذان بانهم لا يردونهم ومن يرتدد منكم عن دينه فيمت وهو كافر فاولئك حبطت اعمالهم قيد الردة بالموت عليها فى احباط الاعمال كما هو مذهب الشافعى والمراد بها الاعمال النافعة وقرى حبطت بالفتح وهو لغة فيه فى الدنيا لبطلان ما تخيلوه وفوات ما للاسلام من الفوائد الدنيوية والآخرة بسقوط الثواب واولئك اصحاب النار هم فيها خالدون كسائر الكفرة ان الذين آمنوا نزلت ايضا فى السرية لما ظن بهم انهم ان سلموا من الاثم فليس لهم اجر والذين هاجروا وجاهدوا فى سبيل الله كرر الموصول لتعظيم الهجرة والجهاد كانهما مستقلان فى تحقيق الرجاء اولئك يرجون رحمة الله ثوابه اثبت لهم الرجاء اشعارا بان العمل غير موجب ولا قاطع فى الدلالة سيما والعبرة بالخواتيم والله غفور لما فعلوا خطأ وقلة احتياط رحيم باجزال الاجر والثواب يسلونك عن الخمر والميسر روى انه نزل بمكة قوله ومن ثمرات النخيل والاعناب تتخذون منه سكرا فاخذ المسلمون يشربونها ثم ان عمر ومعاذا فى نفر من الصحابة قالوا افتنا يا رسول الله فى الخمر فانها مذهبة للعقل فنزلت هذه الآية فشربها قوم وتركها آخرون ثم دعا عبد الرحمن بن عوف ناسا منهم فشربوا وسكروا فام احدهم

فقرأ اعبد ما تعبدون فنزلت ولا تقربوا الصلوة وانتم سكارى فقل من يشربها ثم دعا عتبان بن مالك سعد بن ابى وقاص فى نفر فلما سكروا افتخروا وتناشدوا فانشد سعد شعرا فيه هجاء الانصار فضربه انصارى بلحى بعير فشجه فشكى الى رسول الله صلعم فقال عمر اللهم بين لنا بيانا شافيا فى الخمر فنزلت انما الخمر والميسر الى قوله فهل انتم منتهون فقال عمر انتهينا يا رب والخمر فى الاصل مصدر خمره اذا ستره سمى بها عصير العنب والتمر اذا اشتد وغلا كانه يخمر العقل كما سمى سكرا لانه يسكره اى يحجزه وهى حرام مطلقا وكذا كل ما اسكر عند اكثر العلماء وقال ابو حنيفة نقيع الزبيب والتمر اذا طبخ حتى ذهب ثلثاه ثم اشتد حل شربه ما دون السكر والميسر ايضا مصدر كالموعد سمى به القمار لانه اخذ مال الغير يسرا او سلب يساره والمعنى يسلونك عن تعاطيهما لقوله قل فيهما اى فى تعاطيهما اثم كبير من حيث انه يودى الى الانتكاب عن المامور وارتكاب المحظور وقرا حمزة والكسائى كثير بالثاء ومنافع للناس من كسب المال والطرب والالتذاذ ومصادقة الفتيان وفى الخمر خصوصا تشجيع الجبان وتوفير المروة وتقوية الطبع واثمهما اكبر من نفعهما اى المفاسد التى تنشا منهما اعظم من المنافع المتوقعة منهما ولهذا قيل انها المحرمة للخمر فان المفسدة اذا ترجحت على المصلحة اقتضت تحريم الفعل والاظهر انه ليس كذلك لما مر من ابطال مذهب المعتزلة ويسلونك ماذا ينفقون قيل سائله ايضا عمرو بن الجموح سال اولا عن المنفق والمصرف ثم سال عن كيفية الانفاق قل العفو العفو نقيض الجهد ومنه يقال للارض السهلة وهو ان ينفق ما تيسر له بذله ولا يبلغ منه الجهد وقال خذ العفو منى تستديمى مودتى وروى ان رجلا اتى النبى عليه السلام ببيضة من الذهب اصابها فى بعض المغانم فقال خذها منى صدقة فاعرض عنه حتى كرر مرارا فقال عليه السلام هاتها مغضبا فاخذها فخذفها خذفا لو اصابه لشجه ثم قال ياتى احدكم بماله كله يتصدق به ويجلس يتكفف الناس انما الصدقة عن ظهر غنى كذلك يبين الله لكم الآيات اى مثل ما بين ان العفو اصلح من الجهد او ما ذكر من الاحكام والكاف فى موضع النصب صفة لمصدر محذوف اى تبيينا مثل هذا التبيين وانما وحد العلامة والمخاطب به جمع على تاويل القبيل والجمع لعلكم تتفكرون فى الدلائل والاحكام فى الدنيا والآخرة فى امور الدارين فتاخذون بالاصلح والانفع منهما وتجتنبون عما يضركم ولا ينفعكم او يضركم اكثر مما ينفعكم ويسلونك عن اليتامى لما نزلت ان الذين ياكلون اموال اليتامى ظلما اعتزلوا اليتامى ومخالطتهم والاهتمام بامرهم فشق ذلك عليهم فذكر لرسول الله صلعم فنزلت قل اصلاح لهم خير اى مداخلتهم لاصلاحهم

خير من مجانبتهم وان تخالطوهم فاخوانكم حث على المخالطة اى انهم
اخوانكم فى الدين ومن حق الاخ ان يخالط الاخ وقيل المراد بالمخالطة المصاهرة
والله يعلم المفسد من المصلح وعيد ووعد لمن خالطهم لافساد واصلاح
اى يعلم امره فيجازيه عليه ولو شاء الله لاعنتكم اى ولو شاء اعناتكم
لاعنتكم اى كلفكم ما يشق عليكم من العنت وهى المشقة ولم يجوز لكم
مداخلتهم ان الله عزيز غالب يقدر على الاعنات حكيم يحكم ما تقتضيه
الحكمة وتتسع له الطاقة ولا تنكحوا المشركات حتى يؤمن اى ولا تتزوجوهن
وقرئ بالضم اى ولا تزوجوهن من المسلمين والمشركات تعم الكتابيات لان
اهل الكتاب مشركون لقوله تعالى وقالت اليهود عزير ابن الله وقالت النصارى
المسيح ابن الله الى قوله سبحانه عما يشركون ولكنها خصت عنها بقوله والمحصنات من
الذين اوتوا الكتاب روى انه عليه السلام بعث مرثدا الغنوى الى مكة ليخرج
منها اناسا من المسلمين فاتته عناق وكان يهواها فى الجاهلية فقالت الا تخلو فقال
ان الاسلام حال بيننا فقالت هل لك ان تتزوج بى فقال نعم ولكن استامر
رسول الله صلعم فاستامره فنزلت ولامة مؤمنة اى ولامرأة مؤمنة حرة كانت
او مملوكة فان الناس عبيد الله واماؤه خير من مشركة ولو اعجبتكم
بحسنها وشمائلها والواو للحال ولو بمعنى ان وهو كثير ولا تنكحوا المشركين
حتى يؤمنوا ولا تزوجوا منهم المؤمنات حتى يؤمنوا وهو على عمومه ولعبد
مؤمن خير من مشرك ولو اعجبكم تعليل للنهى عن مواصلتهم
وترغيب فى مواصلة المؤمنين اولئك
اشارة الى المذكورين من المشركين والمشركات يدعون الى النار
اى الكفر المؤدى الى النار فلا يليق موالاتهم ومصاهرتهم والله يدعوا اى
اولياؤه يعنى المؤمنين حذف المضاف واقام المضاف اليه مقامه تفخيما لشانهم
الى الجنة والمغفرة اى الاعتقاد والعمل الموصلين اليهما فهم الاحقاء بالمواصلة
باذنه بتوفيق الله وتيسيره او بقضائه وارادته ويبين آياته للناس
لعلهم يتذكرون لكى يتذكروا او ليكونوا بحيث يرجى منهم
التذكر لما ركز فى العقول من ميل الخير ومخالفة الهوى ويسئلونك
عن المحيض روى ان اهل الجاهلية كانوا لا يساكنون الحيض ولم يواكلوها
كفعل اليهود والمجوس واستمر ذلك الى ان سال ابو الدحداح فى نفر من
الصحابة عن ذلك فنزلت والمحيض مصدر كالمجئ والمبيت ولعله سبحانه
انما ذكر يسئلونك بغير واو ثلثا لان السؤالات الاول كانت فى اوقات
متفرقة والثلثة الاخيرة كانت فى وقت واحد فلذلك ذكرها بحرف الجمع

قوله تعالى والله يدعوا الى الجنة يعنى اولياء الله وهم المؤمنون يدعون الى الجنة والمغفرة وما يوصل اليها وهم الذين تجب موالاتهم ومصاهرتهم وان يؤثروا على غيرهم باذنه بتيسير الله تعالى وتوفيقه للعمل الذى يستحق به الجنة والمغفرة كشاف

قوله تعالى اولئك اشارة الى المشركين والمشركات على نوع من التغليب اى يدعون لكونه صيغة جماعة الذكور غلبوا على الاناث لامتناع الحمل على تغليب الاناث ... ان استعمال ذلك فى مجموع الذكور والاناث وغير العقلاء او احد هولاء فانظار اليه بحسب الاشتراك المعنوى دون اللفظى والنار مجاز عما يؤول اليها وهو الكفر وجعل والله يدعوا الى حذف اولياء الله يدعون بتقدير المضاف او بجعل دعوتهم بمنزلة دعوته تشريفا لهم وذلك بدلالة وقوعه فى مقابلة اولئك يدعون الى النار وهم اعداء الله وتقييده بقوله باذنه ولا يستقيم ان يقال الله يدعوا باذنه سعد الدين

قوله تاكيد للحكم اى لقوله فاعتزلوا النساء فى المحيض فانه نهى عن المباشرة فى موضع الدم والكناية فى قوله ولا تقربوهن كناية عن الجماع فيكون كالتاكيد له وحتى ههنا بمعنى الى والفعل بعدها منصوب باضمار ان واصل يطهرن بالتشديد يتطهرن فادغم ويطهرن بالتخفيف مضارع طهر قالوا وقراءة التشديد ههنا يغتسلن وقراءة التخفيف معناها ينقطع دمهن فيكون قراءة التشديد نصا فى ان غاية حرمة القربان هى ان يغتسلن بعد الانقطاع وقراءة التخفيف انما دل عليه التزاما لا صريحا ... فلان الامر المسبوق بالحظر للاباحة فلما علق بقوله حتى يطهرن بمعنى الاغتسال لا بما بعد انقطاع الدم وان كانت الطهارة اعم الطهارة الحاصلة بفعل المرأة ومن الطهارة الحاصلة بانقطاع الدم واكثر فقهاء الامصار على ان المرأة اذا انقطع حيضها لا يحل للزوج مجامعتها الا ان تغتسل من الحيض وهذا قول مالك والشافعى والمشهور عن ابى حنيفة انها ان رات الطهر دون عشرة ايام لم يقربها زوجها وان رات لعشرة ايام جاز له ان يقربها قبل الاغتسال شيخ زاده

قوله تعالى ولا تقربوهن حتى يطهرن تاكيد للحكم والمراد بالحكم الاجتناب عن النساء فى المحيض اى النهى عن القربان حتى يطهرن تاكيد لحكم الاجتناب وبيان لغايته اى غاية حكم الاجتناب فان النهى عن التقرب والقربان مقيد بقوله تعالى حتى يطهرن فيفهم منه ان غاية حكم الاجتناب التطهر اى الغسل بعد انقطاع الحيض واما كون المراد من قوله حتى يطهرن الغسل لا الطهر من الحيض بدليل قراءة يطهرن بالتشديد فان كلمة يتطهرن بمعنى يغتسلن فى اللغة لا فرق بينهما فهذه القراءة يدل عليه صراحة وكذلك بدليل قوله تعالى فاذا تطهرن فأتوهن فهذه الاية الكريمة تدل التزاما على ان المراد من قوله تعالى فى الاية الاولى حتى يطهرن حتى يغتسلن لان الامر بالاتيان ليس للوجوب بل لبيان جواز الاباحة فيدل على تاخير جواز الاتيان عن الغسل لان الامر المسبوق بالحظر او المنع للاباحة لا للوجوب اما المنع هو بقوله تعالى ولا تقربوهن او بقوله تعالى واجتنبوا فى المحيض الخ خلاصة الكلام ان بعض قوله تعالى يطهرن بالتخفيف بمعنى يغتسلن ويدل عليه دليلان احدهما قراءة قوله يطهرن بالتشديد والثانى الاية الاخيرة اعنى قوله تعالى فاذا تطهرن فأتوهن فان معنى هذه الاية وما دل عليه صراحة وجوب الامهال الى الجماع بعد الغسل فلما كان الامر بالاتيان فيها للاباحة لا للوجوب فدلت على ان اباحة الاتيان وجوازه بعد الغسل والتطهر وهو المراد من الاية فدلالة الاية على هذه الاباحة بالالتزام لا صراحة فبهذين الدليلين قالوا ان معنى قوله تعالى حتى يطهرن بالتخفيف الاغتسال لا الطهر من الحيض وهذا مطالعة الفقير واستخراجه من المتن والحواشى ...

قل هو أذى أى الحيض مستقذر يؤذى من يقربه نفرة منه فاعتزلوا النساء
في المحيض فاجتنبوا مجامعتهن لقوله إنما أمرتم أن تعتزلوا النساء مجامعتهن
إذا حضن ولم يأمركم بإخراجهن من البيوت كفعل الأعاجم وهو الاقتصاد
بين إفراط اليهود وتفريط النصارى فإنهم كانوا يجامعونهن ولا يبالون بالحيض
وإنما وصفه بأنه أذى ورتب الحكم عليه بالفاء إشعارا بأنه العلة و
لا تقربوهن حتى يطهرن تأكيد للحكم وبيان لغايته وهو أن
يغتسلن بعد الانقطاع ويدل عليه صريحا قراءة حمزة والكسائى وعاصم
في رواية ابن عياش يطّهّرن أى يتطهرن بمعنى يغتسلن والتزاما قوله
فإذا تطهرن فأتوهن فإنه يقتضى تأخر جواز الإتيان عن الغسل
وقال أبو حنيفة إن طهرن لأكثر الحيض جاز قربانهن قبل الغسل من
حيث أمركم الله أى المأتى الذى أمركم به وحلله لكم إن الله يحب
التوابين من الذنوب ويحب المتطهرين المتنزهين عن الفواحش والأقذار
كمجامعة الحائض والإتيان في غير المأتى نساؤكم حرث لكم مواضع حرث
لكم شبههن بها تشبيها لما يلقى في أرحامهن من النطف بالبذور فأتوا حرثكم
أى فأتوهن كما تأتون المحارث وهو كالبيان لقوله فأتوهن من حيث أمركم
الله أنى شئتم من أى جهة شئتم روى أن اليهود كانوا يقولون من جامع امرأته
من دبرها في قبلها كان ولدها أحول فذكر ذلك لرسول الله صلعم فنزلت وقدموا
لأنفسكم ما يدخر لكم الثواب وقيل هو طلب الولد وقيل التسمية على
الوطء واتقوا الله بالاجتناب عن معاصيه واعلموا أنكم ملاقوه فتزودوا
ما لا تفتضحون به وبشر المؤمنين الكاملين في الإيمان بالكرامة والنعيم الدائم
أمر الرسول عليه السلام أن ينصحهم ويبشر من صدقه وامتثل أمره منهم و لا
تجعلوا الله عرضة لأيمانكم أن تبروا وتتقوا وتصلحوا بين الناس
نزلت في الصديق لما حلف أنه لا ينفق على مسطح لافترائه على عائشة أو في عبد الله بن
رواحة حلف أن لا يكلم ختنه بشير بن النعمان ولا يصلح بينه وبين أخته والعرضة
فعلة بمعنى المفعول كالقبضة تطلق لما يعرض دون الشيء وللمعرض للأمر ومعنى
الآية على الأول لا تجعلوا الله حاجزا لما حلفتم عليه من أنواع الخير فيكون المراد بالأيمان
الأمور المحلوف عليها كقوله عليه السلام لابن سمرة إذا حلفت على يمين فرأيت غيرها
خيرا منها فأت الذى هو خير وكفر عن يمينك وأن مع صلتها عطف بيان لها واللام
صلة عرضة لما فيها من معنى الاعتراض ويجوز أن يكون للتعليل ويتعلق أن بالفعل
أو بعرضة أى ولا تجعلوا الله عرضة لأن تبروا لأجل أيمانكم به وعلى الثانى ولا
تجعلوه معرضا لأيمانكم فتبتذلوه بكثرة الحلف به ولذلك ذم الحلاف بقوله

من الذاك

واصل يطهرن بالتشديد يتطهرن فادغم ويطهرن بالتخفيف مضارع طهر قالوا قراءة التشديد معناها يغتسلن وقراءة التخفيف معناها ينقطع دمهن فيكون قراءة التشديد صريحا على ان غاية حرمة الجماع هى ان يغتسلن بعد الانقطاع وقراءة التخفيف انما يدل عليه التزاما لا صريحا فيطهرن بالتخفيف عبارة عن انقطاع الدم وبالتشديد عبارة عن التطهر بالماء والجمع بين الامرين ممكن فوجب دلالة الاية على وجوب الامرين وذلك يقتضى ان لا ينتهى هذه الحرمة الا عند حصول الامرين وهذا عند الشافعى وحجة ابى حنيفة رحمه الله ان قوله ولا تقربوهن حتى يطهرن نهى عن قربانهن الى غاية وهى ان يطهرن اى ينقطع حيضهن واذا كان انقطاع الحيض غاية لهذا النهى وجب ان لا يبقى هذا النهى عند انقطاع الحيض اعلم ان اكثر فقهاء الانصار على ان المراة اذا انقطع حيضها لا يحل للزوج مجامعتها الا ان تغتسل من الحيض وعن ابى حنيفة انها ان رات الطهر دون عشرة ايام لم يقربها زوجها وان رات لعشرة ايام جاز ان يقربها قبل الاغتسال فان قيل ما موقع قوله نساؤكم حرث لكم مما قبله قلت موقعه موقع البيان والتوضيح لقوله فاتوهن من حيث امركم الله شيخ زاده
يعنى ان المأتى الذى امركم الله به هو مكان الحرث ترجمة له وتفسيرا وازالة للشبهة ودلالة على ان الغرض الاصيل فى الاتيان هو طلب النسل لا قضاء الشهوة فلا تأتوهن الا من المأتى الذى يتعلق به هذا الغرض من كشاف رحمه الله

العرضة فعلة بمعنى المعروض قد يجعل اسما لما يعرض دون الشىء اى يجعل قدامه بحيث يصير حاجزا ومانعا منه على ان يكون العرض من عرض العود على الاناء وقد يجعل اسما لما يقدم من الامور وينصب له من عرضت الى زيد للبيع ومعنى الاية على الاول لا تجعلوا ذكر الله والحلف به مانعا لما حلفتم عليه من انواع الخير والاتقاء والاصلاح فان الحلف بالله لما منع ذلك فيكون لفظ الايمان فى قوله لايمانكم مجازا مرسلا عن الخيرات المحلوف عليها سمى المحلوف عليه بما يتعلق اليمين به كما فى قوله عليه السلام اذا حلفت على يمين فرأيت غيرها خيرا منها فات الذى هو خير وكفر عن يمينك فان اليمين الاول فيه بمعنى المحلوف عليه والثانى بمعنى الاقسام الذى يقسم به وان تبروا عطف بيان لايمانكم اى للامور المحلوف عليها التى هى البر والتقوى واللام فى قوله لايمانكم متعلق بقوله عرضة تعلق المفعول له لا تعلق العلة لان العرضة ما عرضته دون الشىء فيمنعه اى لا تجعلوا اسم الله قدام شىء اخر فيقع قدامه فيكون المعنى لا تجعلوا الحلف بالله شيئا عارضا اى واقعا قدام المحلوف عليه الذى هو الخير والبر ويصير مانعا لكم عن الاتيان به وعلى الثانى اى على ان يكون العرضة بمعنى المعروض اسما لما يقدم للامر وينصب له فيكون المعنى لا تجعلوه متعرضا اى مقدما لايمانكم فعلى ان اللام فى لايمانكم متعلق بعرضة والايمان على حقيقتها واللام المقدرة فى ان تبروا متعلق بالنهى لا بالفعل المنهى والمعنى انكم تحلفون بالله على ترك الخيرات من صلة الرحم والاصلاح ذات البين ونحو ذلك ثم تقولون انى اخاف الله ان احنث فى يمينى فتتركون البر ارادة البر فى يمينكم وانى انهاكم عن ذلك ارادة برّكم وتقواكم واصلاحكم بين الناس فان هذه الامور انما تكون ممن يجتنب عن كثرة الحلف بالله تعالى فان قيل كيف يلزم من الاجتناب عن كثرة الحلف حصول البر والتقوى والاصلاح بين الناس قلت اشار المصنف الى الجواب بقوله فان الحلاف مجترئ على الله الاجتراء قال الامام فى تقرير الوجه انهم قالوا العرضة عبارة عن المانع والدليل على صحة هذه اللغة انه يقال اردت ان افعل كذا فعرض لى امر كذا واعترض اى نحا الى ذلك فمنعنى منه واشتقاقها من الشىء الذى يوضع فى عرض الطريق فيصير مانعا من المرور ويقال اعترض فلان على كلام فلان وجعل كلامه معارضا لكلامه اخرى اذا ذكر ما يمنعه من تثبيته كلامه اذا عرفت اصل الاشتقاق فالعرضة فعلة بمعنى المفعول كالقبضة والغرفة فيكون اسما لما يجعل معترضا دون الشىء ومانعا منه فثبت ان العرضة عبارة عن المانع واما اللام فى قوله لايمانكم فهو للتعليل اذا عرفت هذا فنقول تقدير الاية ولا تجعلوا ذكر الله مانعا بسبب ايمانكم من ان تبروا او فى ان تبروا فاسقط حرف الجر لعدم الحاجة اليه بسبب ظهوره وكثرة حذفه من ان وانّ الى هنا كلام الامام من شيخ زاده

ثم يجوز ان يتعلق اللام بالفعل تعلق العلة والايمان على حقيقتها وان تبروا بتقدير اللام متعلق تعلق المفعولية بالفعل او بعرضة اى لا تجعلوا الله لاجل ايمانكم وكثرة حلفكم به للبر عرضة حاجزا او عرضة تعترض البر وتمنعه وتحول منكم ومنه ولا يخفى ان هذا انما يصح بتعلقه بالفعل الا ان يكون تعلق الحالية وفى قوله بالفعل دون ان يقول بلا تجعلوا تنبيه على انه متعلق بالمنفى لا بالنفى وحاصل المعنى ان جعل الله للبر عرضة او جعل الله شيئا يمنع البر وعرضة لاجل حلفكم به منهى ومعنى الاية على تقدير جعل العرضة بمعنى المعرض للامر لا تجعلوا الله معرضا لايمانكم فتبتذلوه بكثرة الحلف به الحلق بكم وانما ان تبروا فاللام متعلق بعرضة والايمان على حقيقتها وان تبروا مقدر باللام علة للنهى اى طلب الكف عن الجعل والمعنى انهاكم عن ذلك ارادة ان تبروا وتقدير الارادة بيان للمعنى لا احتياج فى حذف اللام لكونه قياسيا وبالجملة فالنهى معلل وعلى الاول المعلل منهى سعد الدين

ولا تطع كل حلاف مهين وان تبروا علة النهي اي انهاكم عنه ارادة بركم
وتقواكم واصلاحكم بين الناس فان الحلاف مجترئ على الله والمجترئ عليه
لا يكون برا متقيا ولا موثوقا به في اصلاح ذات البين والله سميع لايمانكم
عليم بنياتكم لا يؤاخذكم الله باللغو في ايمانكم اللغو الساقط
الذي لا يعتد به من كلام وغيره ولغو اليمين ما لا عقد معه كما سبق به
اللسان او تكلم به جاهلا بمعناه كقول العرب لا والله وبلى والله لمجرد
التاكيد لقوله ولكن يؤاخذكم بما كسبت قلوبكم والمعنى لا
يؤاخذكم الله بعقوبة ولا كفارة بما لا قصد معه ولكن يؤاخذكم بهما
او باحدهما بما قصدتم من الايمان وواطأت فيها قلوبكم السنتكم
وقال ابو حنيفة اللغو ان يحلف الرجل بناء على ظنه الكاذب والمعنى لا يعاقبكم
بما اخطأتم فيه من الايمان ولكن بما قصدتم من الكذب فيها
والله غفور حيث لا يؤاخذكم باللغو حليم حيث لم يعجل بالمؤاخذة على
يمين الجد تربصا للتوبة للذين يؤلون من نسائهم اي يحلفون على ان
لا يجامعوهن والايلاء الحلف وتعديته بعلى ولكن لما ضمن هذا القسم معنى
البعد عدي بمن تربص اربعة اشهر مبتدأ ما قبله خبره او فاعل الظرف
على خلاف سبق والتربص الانتظار والتوقف اضيف الى الظرف على الاتساع
اي للمولي حق التلبث في هذه المدة فلا يطالب بفيء ولا طلاق ولذلك قال
الشافعي لا ايلاء الا في اكثر من اربعة اشهر ويؤيده فان
فاءوا رجعوا في اليمين بالحنث فان الله غفور رحيم للمولي اثم حنثه
اذا كفر او ما توخى بالايلاء من ضرار المرأة ونحوه بالفيئة التي هي كالتوبة
وان عزموا الطلاق وان صمموا قصده فان الله سميع لطلاقهم عليم
بغرضهم فيه وقال ابو حنيفة الايلاء في اربعة اشهر فما دونها وحكمه
ان المولي ان فاء في المدة بالوطء ان قدر والوعد ان عجز صح الفيء ولزم
الواطئ ان يكفر والا بانت بعدها بطلقة وعندنا يطالب بعد المدة
باحد الامرين فان ابى عنهما طلق عليه الحاكم والمطلقات يريد بها
المدخول بهن من ذوات الاقراء لما دلت الاية والاخبار ان حكم
غيرهن خلاف ما ذكر يتربصن خبر ومعناه الامر وتغيير العبارة
للتاكيد فخبر عنه لقولك في الدعاء رحمك الله وبناؤه على المبتدأ يزيده
فضل تاكيد بانفسهن تهييج وبعث على التربص فان نفوس النساء
طوامح الى الرجال فامرن بان يقمعنها ويحملنها على التربص ثلاثة قروء
نصب على الظرف او المفعول به اي يتربصن مضيها وقروء جمع قرء وهو يطلق

قوله وللمولى حق التلبث يعني انه يستحق التربص في مدة اربعة اشهر فلا يتعرض له قبل مضيها بل يؤجل اربعة اشهر وبعد مضيها يوقف ويؤمر باحد الامرين الفيئة او الطلاق بشرط مطالبة المرأة حقها من المصاحبة فان المرأة ان عفت ولم تطلب حقها من الجماع فلا شيء ولا يقع من الطلاق عند الشافعي وان طلبت حقها يجب عليه ان يطلقها او يرجع عن يمينه بالجماع او بالقول وان امتنع الزوج منهما جميعا ناب الحاكم منابه فطلقها عليه لانه لما فات الامساك بالمعروف تعين التفريق بالاحسان وعند ابي حنيفة اذا مضت اربعة اشهر بانت بتطليقة وان لم يطلقها الزوج ولا الحاكم فان عزم الطلاق عند عثمان وابن عباس هو مجرد انقضاء اربعة اشهر من غير فيء وانها تبين به بتطليقة. شيخ زاده

قوله ولذلك اي ولان المولي لا يطالب في تلك المدة باحد الامرين بل انما يطالب بعد انقضائها قال الشافعي لا ايلاء الا في اكثر من اربعة اشهر فانه لم يتوجه اليه المطالبة في اثناء اربعة اشهر وكان حكم الايلاء انما ظهر بعد انقضاء تلك المدة وجب ان يكون مدة الايلاء اكثر من تلك المدة. شيخ

قوله ويؤيده الخ وجه التاييد ان الفاء في قوله فان فاءوا فان الله غفور رحيم وان عزموا الطلاق فان الله سميع عليم تقتضي كون هذين الحكمين متراخيا عن انقضاء اربعة اشهر وذلك يقتضي ان يكون مدة الايلاء اكثر منها ليصح ان يكون الحكم لها بالفيء الواقع بعد مضي اربعة اشهر او الطلاق ولم يجعله دليلا موجبا للحكم بل جعله امارة مؤيدة له بناء على احتمال كون الفاء لعطف تفصيل المجمل على الحكم المجمل. شيخ زاده

قوله تعالى تربص اربعة اشهر كقولك لي منك كذا والايلاء من المرأة ان يقول والله لا اقربك اربعة اشهر فصاعدا على التقييد بالاشهر او لا اقربك على الاطلاق ولا يكون فيما دون ذلك وحكمه ان الفيء في المدة بالوطء ان امكن او بالقول ان عجز عنه صح الفيء وحنث القادر ولزمته كفارة اليمين ولا كفارة على العاجز وان مضت الاربعة بانت بتطليقة والتربص الانتظار والوقف اضيف الى الظرف اتساعا اي لهم ان ينتظروا في هذه المدة من غير مطالبة بفيء او طلاق قوله فان فاءوا اي رجعوا في اليمين بالحنث والفاء للتفصيل كما اذا قلت انا نزيلكم هذا الشهر فان احمدتكم اقمت عندكم الى الآخر والا لم البث الا ريثما اتحول. من تفسير ابي السعود

قوله تعالى والمطلقات الخ انه تعالى لما بين ان الايلاء قد يؤدي الى الطلاق بين حكمه تعالى والمطلقات وهذا اللفظ بعمومه يتناول كل مطلقة من المدخول بها وغير المدخول بها ومن ذوات الاقراء ومن اللائي يئسن من الحيض لصغر او كبر او حامل الا ان غير المدخول بها لا تجب عليها العدة لقوله تعالى اذا نكحتم المؤمنات ثم طلقتموهن من قبل ان تمسوهن فما لكم عليهن من عدة وخص منه الحامل ايضا لان عدتها بوضع الحمل لقوله تعالى واولات الاحمال اجلهن ان يضعن حملهن وخص منه من انقطع الحيض لصغر او كبر لان عدتها بالاشهر لقوله تعالى واللائي يئسن من المحيض من نسائكم فعدتهن ثلاثة اشهر واللائي لم يحضن والمص اشار الى تخصيص المذكورات بقوله يريد بها المدخول بهن من ذوات الاقراء وكان عليه ان يشير الى كون الامة مخصصة من لفظ المطلقات ايضا لان عدتها قرآن لا ثلاثة قروء. شيخ زاده

قوله تهييج وبعث لهن على التربص يريد الفرق بين ما في قوله تربص اربعة اشهر حيث لم يذكر فيه بانفسهم وبين ما في هذا المقام مما يحتاج الى تهييج وبعث على التربص بخلاف مقام الايلاء فان عدم التربص فيه محبوب. عصام

قوله نصب على الظرف او المفعول به اي يتربصن مضيها لم يبين المفعول به على تقدير جعله ظرفا لظهوره ومن بيان جعله مفعولا به وهو مضي تلك المدة الا انه اي يتربصن في تلك المدة تربص مضيها اذ التربص في كل يوم مضيه وبهذا اندفع ما ذكره المحقق التفتازاني انه كان ينبغي ان يبين المفعول به على تقدير جعله ظرفا. عصام

قوله اضيف الى الظرف على الاتساع اي ان الاتساع في الظرف ان يقدر معه في توسعا وذلك ان يقول لم لا يجوز ان يكون الاضافة بمعنى في كضرب اليوم ولا اتساع فذكر الاتساع على مذهب من لم يجوز الاضافة بمعنى في. تفتازاني

قوله بانفسهن من غير ان يكون اكراه وتكلف من الغير يعني هذا التربص مما لا ينبغي ان يتعلق به تكلف من الغير بل عليهن ان يتربصن بباعث من انفسهن بالجد كما لا يخفى. كازروني

قوله تعالى ثلثة قروء المراد به الحيض بدليل قوله عليه السلام دعي الصلوة ايام اقرائك وقوله عليه السلام طلاق الامة تطليقتان وعدتها حيضتان وبقوله تعالى واللائي يئسن من المحيض ... ولانه للاستبراء ... وقوله تعالى فطلقوهن لعدتهن معناه مستقبلات لعدتهن وهي الحيض الثلث وايراد جمع الكثرة في مقام جمع القلة بطريق الاتساع فان ايراد كل من الجمعين مكان الآخر شائع ذائع ابو السعود

قوله والقرء جمع قرء بالفتح والضم والمقصود اثبات اطلاقه على الحيض والطهر ودفع ما يشعر به كلام الكشاف من انكار مجيئه للطهر وتمسكه بمجيئه للطهر بقول الاعشى مع انه انكر الكشاف كونه بمعنى الطهر بل اوله بان المراد مدة العدة ولان الحيض اشبه فيها اي لما ضاع من مدة طويلة لمدة العدة وبان القرء جاء بمعنى الوقت والمراد وقت تكاثر اشارة الى تعدد بين الوجهين وقوله وهو اي الطهر المراد به في الآية لانه الدال على براءة الرحم تمسك بالمعقول لمراده الطهر في مقابلة تمسك الحنفية به حيث قالوا ان الحيض دال على براءة الرحم لكن الحق في ذلك معهم وقوله لا الحيض يحتمل العطف على اسم ان والعطف على المبتدأ اي قوله وهو المراد به في الآية وقوله لقوله تعالى اشارة الى تمسك الشافعية بالمنقول م عصام

قوله واصله الانتقال من الطهر الى الحيض وهو المراد به الا يفهم من كلام العلامة الزمخشري ان القرء حقيقة في الحيض مجاز في الطهر والامام البيضاوي لم يلتفت اليه بل ذهب الى انه مشترك بين الحيض والطهر لكن النزاع في القرء في كلام الله يعني لا نزاع في اشتراك القرء بالفتح والضم بين الحيض والطهر انما النزاع في القرء المستعمل في كلام الله تعالى انه بمعنى الطهر او الحيض عوض قده

قوله وكان القياس يعني ان القرء جمع كثرة استعمل في الثلثة التي هي من مواضع استعمال جمع القلة وكذا الانفس جمع قلة استعمل في نفوس المطلقات وهي من مواضع استعمال جمع الكثرة فما الحكمة في استعمال كل واحد من الجمعين في موضع استعمال الآخر شيخ زاده

قوله ولعل الحكم لما عم المطلقات الخ فيه بعد لان اطلاق القرء بالنسبة الى كل واحدة ولا مجال فيها للكثرة مع اتحادها مع الثلثة والاولى ان يقال لما كان المراد بالجمع بيان الجنس لا العدد لانه استغنى عنه بالعدد جيء بجمع الكثرة ايذانا بانه ليس النظر فيه الى بيان العدد بل الى مجرد مناسبة للثلثة م عصام

قوله كقول الاعشى الخ اول البيت • اني كل عام انت جاشم غزوة • تشد لاقصاها عزيم عزائكا • مورثة مالا وفي الحي رفعة • لما ضاع فيها من قروء نسائكا • الجاشم المتكلف جشمت الامر اي تكلفته وعزيمة العزم وعزيمة اذا اردت فعله وصممت نفسك عليه والعزاء الصبر يخاطب الشاعر غازيا ويقول انتجشم في كل عام غزوة تشد لاقصاها واشقها عزيمة الصبر لتكثير المال وتزيد الرفعة في الحي لما يضيع في تلك الغزوة من اطهار نسائك واللام في لما كما في قوله تعالى ليكون لهم عدوا وحزنا والمراد بالقروء فيه الاطهار لان الاطهار هي التي تضيع على الزوج في حال سفره فانه انما تصلح للاستمتاع في حال اطهارهن لا في حال حيضهن فاستعمل الشاعر لفظ القرء في الطهر

قوله بردهن الى النكاح الخ ليس المراد بالرد تجديد النكاح لان ما دون الثلث من الطلاق لا يرفع الزوجية كما دل عليه تسمية زوج المطلقة بعلا فان قيل اذا كانت المطلقة الرجعية ما دامت في العدة زوجة كما كانت فما معنى ردها ورجوعها الى النكاح والجواب ان النكاح السابق وان كان باقيا حال قيام العدة الا ان الطلاق المذكور جعلها معتدة واثبت لها حق انقطاع النكاح عند انقضاء العدة والرجعة تبطل عنها ما استحقت له بسبب الطلاق وترد الى حالتها الاولى فتناسب بذلك ان تسمى الرجعة ردا شيخ زاده

قوله ليس المراد منه تقييد نفي الحل بايمانهن لا يخفى ان الظاهر هو التقييد المذكور وهذا يناسب مذهب ابي حنيفة من ان الكافر غير مكلف بالفروع بخلاف ما اختاره من التقدير وعلى التقدير لا يحل لهن ان يكتمن ما خلق الله في ارحامهن ولا يكتمن ان كن يؤمن بالله واليوم الآخر مكاررته

قوله ان كن يؤمن بالله الخ جواب الشرط محذوف يدل عليه ما قبله دلالة واضحة اي فلا يجترئن على ذلك فان قضية الايمان بالله تعالى واليوم الآخر الذي فيه الجزاء والعقوبة منافية له قطعا ابو السعود قوله وبعولتهن جمع بعل وهو في الاصل السيد المالك

قوله احق بردهن صيغة التفضيل لافادة ان الرجل اذا اراد الرجعة والمرأة اباها وجب ايثار قوله على قولها لا ان لها حقا في الرجعة ابو السعود اي ازواجهن الذين طلقوهن طلاقا رجعيا كما ينبئ عنه التعبير بالبعولة فالضمير راجع الى افراد المطلقات ابو السعود

قوله والتاء لتأنيث الجمع فان الجمع يكون بمعنى الجماعة في حكم المؤنث والتاء زائدة لتأكيد تلك التأنيث كما في زيادتها في العمومة جمع عم والخؤولة جمع خال والجمهور على انه لا يجوز زيادتها في كل جمع قياسا بعضها على بعض بل انما تزاد في جمع وردا ونقل اللغة عن العرب فلا يقال في جمع كعب كعوبة ولا في جمع كلب كلابة شيخ زاده

قوله او مصدر كالخشونة والصعوبة ومعنى البعولة مصدرا معاشرة احد الزوجين صاحبه وكذلك التبعل ومنه قوله صلى الله عليه وسلم جهاد المرأة حسن التبعل شيخ زاده

قوله تعالى والمطلقات يتربصن بانفسهن ثلثة قروء هذا البيان عدة الطلاق ولا نزاع فيه بل النزاع بين الشافعية والحنفية في معنى القرء لكون لفظ القرء مشتركا موضوعا للطهر والحيض فقال الشافعية انه في الآية الكريمة بمعنى الطهر لا الحيض فعدة المطلقات عندهم ثلثة اطهار وتمسكوا عليه واستدلوا بقوله تعالى فطلقوهن لعدتهن فقالوا ان اللام للتوقيت فيكون معناه طلقوهن وقت عدتهن والطلاق المشروع لما لم يكن في الحيض بل في الطهر فيكون المراد بالعدة التي وقع فيها الطلاق الطهر لا الحيض وفي كلام البيضاوي اشارة الى ترتيب قياس من الشكل الثالث وصورته كل طلاق يكون في العدة ولا شيء من الطلاق في الحيض ينتج لا يكون العدة بالحيض فثبت ان القرء في الآية الكريمة بمعنى الطهر فتكون عدة الطلاق لا بعد الحيض فمراده من قوله تعالى يتربصن ثلثة قروء اي ثلثة اطهار وقال الحنفية ان المراد بالقرء الوارد في الآية الكريمة معنى الحيض واستدلوا عليه بقوله عليه السلام وطلاق الامة تطليقتان الى آخر الحديث الشريف المسطور في البيضاوي ودفعوا تمسك الشافعية بان قالوا ان اللام في الآية الكريمة التي في الشرع ليست للتوقيت بل متعلق بمحذوف اعني مستقبلات فيكون المعنى طلقوهن حال كونهن مستقبلات لعدتهن والطلاق المشروع لما لم يكن الا في الطهر فاذا وقع الطلاق قبل الحيض الاول فلا شك انهن مستقبلات لذلك الحيض فالحيض هو العدة لان الحيض هو الجائي وهن مستقبلات له فاذا كان معنى الآية الثانية مبنيا على هذا التقرير يكون المراد بالعدة لما يكون فيها الحيض لا الطهر وايضا لو وقع الطلاق في الطهر الذي قبل الحيض فيكونن مستقبلات للطهر لا الطهر ﴿﴾ واجاب السعد العلامة من طرف الشافعية بانه لما كان وقوع الطلاق في الطهر والاجزاء الباقية المتصلة بالحيض هي العدة لانهن مستقبلات لتلك الاجزاء الباقية المتصلة بالحيض وتلك الاجزاء هي الطهر فيكون العدة الطهر لا الحيض ثم قال السعد رحمه الله ان جواب الحنفية بتقدير هم لفظ المستقبلات ويجعلهم اللام متعلقا به لا يدفع تمسك الشافعية بالآية الثانية بل يقويه لما قررنا آنفا ثم علامة الروم سعدي چلبي رحمه الله يقول من طرف الحنفية جوابا للسعد ان الطلاق الواقع في الطهر الذي هو قبل الحيض الاول اما يقع في آخر جزء الطهر المتصل بالحيض واما يقع قبل بعض اجزاء الطهر المتصل به بان يكون بين الطلاق وبين الحيض الاول بعض اجزاء الطهر فان وقع الطلاق في آخر جزء المتصل بالحيض تكون المطلقات مستقبلات للحيض لا مستقبلات للطهر لعدم الطهر بين الطلاق والحيض بناء على وقوع الطلاق في آخر جزء الطهر المتصل بالحيض فيكون العدة هي الحيض لا الطهر وان وقع قبل بعض اجزاء الطهر المتصل بالحيض بان وقع الطلاق في بعض اجزاء الطهر سوى الجزء الاخير والاجزاء الاخر الباقية فاصلة بين الطلاق والحيض فيكونن مستقبلات لهذه الاجزاء الباقية من الطهر لكنها غير معتبرة ولا تعد عدة لكونها نقصانها ضرورة لا على انها تمام العدة فوجودها وعدمها سواء بل تعد من المعدومات فاذا كان هذه الاجزاء المتخللة بين الطلاق والحيض في حكم المعدوم تكون المطلقات [redacted] مستقبلات للحيض فتكون العدة هي الحيض [redacted] فثبت ان المراد بالقرء الذي هو العدة المبينة بقوله تعالى والمطلقات يتربصن ثلثة قروء ليس الا الحيض لكن الحنفية احتاجوا الى اثبات قولهم ان اجزاء الطهر الباقية المتخللة بين الطلاق والحيض غير معتبرة بل في حكم المعدوم ضرورة الثبوت الى آخر كلامهم فهذه الاثبات مبني على اعتراف الخصم بذلك حيث صرح الشافعية في كتب الفقهية ان [redacted] لا على انها تمام العدة عدة الطلاق ثلثة اطهار كاملة والاجزاء الباقية المتصلة الى الحيض من الطهر غير معتبرة فانها نقصانها ... [redacted] كما قال السعد في التلويح ان الطهر الذي وقع فيه الطلاق اذا لم يعتبر لا يكون الواجب ثلثة وبعض من الطهر بل الواجب الثلثة الكاملة كما نقله الكواكبي الحلبي عليه الرحمة من التلويح وفي كلام البيضاوي اشارة اليه اي الى تفسير رحمه الله الى ان الطهر الواقع فيه الطلاق غير معتبر فوجوده وعدمه يكون سواء حيث قال واصله الانتقال من الطهر الى الحيض وهو المراد به في الآية انتهى فعلم من هذا الكلام ان العدة عنده ثلثة قروء كاملة لا ثلثة قروء وبعض اجزاء الطهر الواقع فيه الطلاق فالقروء الثلثة التي هي عدة الطلاق تتصور بهذه الصورة مثلا حاضت المرأة بعد الطلاق في الطهر الغير المعتبر كما فصله رحمه الله ثم انتقلت من ذلك الحيض الى الطهر الاول ثم حاضت ثم فانتقلت الى الطهر الثاني ثم حاضت فانتقلت منه الى الطهر الثالث فتلك الاطهار الثلثة [redacted] هي العدة عند الشافعية واما العدة عند البيضاوي انتقالاته الثلث على ما فهم من قوله رحمه الله واما العدة عندنا معشر الحنفية تلك الحيضات الثلاث كما صرح به الكواكبي عليه الرحمة ﴿﴾ وهذا خلاصة فهم الفقير نجاه الله من سيئاته وقصوره حررناه في اليسير من مطالعة الشرح والحواشي اعانة وتسهيلا لاستخراج الحل الصعب كيف انه مختلف قول الشافعية والحنفية

تمت ... في نهار رمضان ٢١

للحيض لقوله عليه السلام دعي الصلوة ايام اقرائك وللطهر الفاصل بين حيضتين كقول
الاعشى لما ضاع فيها من قروء نسائكا واصله الانتقال من الطهر الى الحيض وهو
المراد به في الآية لانه الدال على براءة الرحم لا الحيض كما قاله الحنفية لقوله
تعالى فطلقوهن لعدتهن اي وقت عدتهن والطلاق المشروع لا يكون في الحيض
واما قوله عليه السلام طلاق الامة تطليقتان وعدتها حيضتان فلا يقاوم
ما رواه الشيخان في قصة ابن عمر مره فليراجعها ثم ليمسكها حتى تطهر ثم تحيض ثم تطهر ثم
ان شاء امسك بعد وان شاء طلق قبل ان يمس فتلك العدة التي امر الله تعالى
ان يطلق لها النساء وكان القياس ان يذكر بصيغة القلة التي هي الاقراء ولكنهم يتسعون
في ذلك فيستعملون كل واحد من البنائين مكان الآخر ولعل الحكم لما عم المطلقات
ذوات الاقراء تضمن معنى الكثرة فحسن بناؤها ولا يحل لهن ان يكتمن ما خلق الله
في ارحامهن من الولد والحيض استعجالا في العدة وابطالا لحق الرجعة وفيه دليل
على ان قولها مقبول في ذلك ان كن يؤمن بالله واليوم الآخر ليس المراد منه تقييد
نفي الحل بايمانهن بل التنبيه على انه ينافي الايمان فان المؤمن لا يجترئ عليه ولا
ينبغي له ان يفعل وبعولتهن اي ازواج المطلقات احق بردهن الى النكاح والرجعة
اليهن ولكن اذا كان الطلاق رجعيا للآية التي تتلوها فالضمير اخص من المرجوع
اليه ولا امتناع فيه كما لو كرر الظاهر وخصصه والبعولة جمع بعل والتاء
لتانيث الجمع كالعمومة والخؤولة او مصدر من قولك بعل حسن البعولة نعت
به او اقيم مقام المضاف المحذوف اي واهل بعولتهن وافعل ههنا بمعنى الفاعل
في ذلك اي في زمان التربص ان ارادوا اصلاحا بالرجعة لا اضرار المرأة وليس
المراد منه شريطة قصد الاصلاح للرجعة بل التحريض عليه والمنع من قصد
الضرار ولهن مثل الذي عليهن بالمعروف اي ولهن حقوق على الرجال مثل
حقوقهم عليهن في الوجوب واستحقاق المطالبة عليها لا في الجنس وللرجال
عليهن درجة زيادة في الحق وفضل فيه لان حقوقهم في انفسهن وحقوقهن
المهر والكفاف وترك الضرار ونحوها او شرف وفضيلة لانهم قوام عليهن و
حراس لهن يشاركونهن في غرض الزواج ويخصون بفضيلة الرعاية و
الانفاق والله عزيز يقدر على الانتقام ممن خالف الاحكام حكيم يشرعها لحكم
ومصالح الطلاق مرتان اي التطليق الرجعي اثنتان لما روي انه عليه السلام
سئل اين الثالثة فقال عليه السلام او تسريح باحسان وقيل معناه التطليق
الشرعي تطليقة بعد تطليقة على التفريق ولذلك قالت الحنفية الجمع بين الطلقتين
والثلث بدعة فامساك بمعروف بالمراجعة وحسن المعاشرة وهو يؤيد
المعنى الاول او تسريح باحسان بالطلقة الثالثة او بان لا يراجعها حتى تبين

قوله اي وقت عدتهن والجواب ان المراد فطلقوهن مستقبلات لعدتهن كما يقال لقيته لثلاث بقين من الشهر
اي مستقبلا لثلاث قال التفتازاني رحمه الله هذا لا يدفع التمسك بل يقويه لانه انما يقال حيث يتصل الفعل باول الوقت
واذا اتصل التطليق باول العدة كان بقية الطهر الذي وقع فيه الطلاق محسوبا من العدة وهو المطلوب واجيب
بانه كلام مختل لان البقية وجودها لا دلالة عليه ولو سلم فانقضاؤها للضرورة مر سعدي چلبي

قال سعدي افندي قال التفتازاني الى قوله وانت خبير الخ اقول كانه يريد ان وجود بقية الطهر لا دلالة عليه فقد يقع الطلاق
في اخر جزء من الطهر فلا بقية ح ولو سلم وجود البقية فانقضاؤها للضرورة لا على انها من العدة وهذا على منوال ما وقع
في التلويح من ان الطهر الذي وقع فيه الطلاق اذا لم يعتبر لا يكون الواجب ثلثة وبعض الواجب ثلثة الكاملة ويلزم
معنى ذلك البعض الذي وقع فيه الطلاق بالضرورة لا باعتبار انه مما حسب بالعدة انتهى لكنك خبير بانه اذا سلم
ما ادعاه التفتازاني من لزوم اتصال الفعل باول ما دخلته اللام مع ان المشروع وقوع الطلاق في الطهر كان الجزء
من الطهر الملاقي لوقوع الطلاق اول العدة حتى كانه قيل فطلقوهن في اول العدة وذلك الاول هو الطهر
فيكون من العدة سواء وجدت البقية او لا مع ان العدة عند ائمتنا ثلاث حيضات لا غير فليتامل منه
سعدي

قال سعدي چلبي قوله اراده بركم اي الاولى ان يقول طلب بركم لان الارادة يستلزم المراد عند اهل الحق
والنهر عام للبار والفاجر في المصنف ما ذكره صاحب الكشاف وانه على الاعتزال صحيح اقول اجيب بان الارادة
في مثله بمعنى الطلب كما هو في اللغة منه

قوله واللام صلة عرضة قال سعدي چلبي قيل يحتمل ان يكون صلة الفعل ايضا فما وجه الاقتصار على انها صلة عرضة
اقول يمكن ان يقال لما كان مآل المعنى على التعلقين واحدا وكان جعله صلة عرضة اقرب لفظا واظهر معنا
اذ يكون المعنى عليه لا تجعلوه عرضة يعترض البر والتقوى ويحول بينكم وبين ذلك اقتصر القاضي عليه منه

قوله ولهن حقوق على الرجال مثل حقوقهم عليهن في الوجوب واستحقاق المطالبة عليها في الجنس اي في وقت الحبس والمنع
متعلق بالمطالبة بتقدير الوقت وقد دفع بهذا التفسير الشافي بين المماثلة وايجاب الزيادة فنبه على ان المماثلة في الوجوب
لا في الكمية منه

قوله وقيل معناه الخ فلا يكون هذه الاية متعلقة بما قبلها ويكون اللام للجنس على انها ابتداء كلام لبيان ان جنس الطلاق لا يزيد
على ثلثة وانه انما يقع على سبيل التفرق دون الجمع فلا يراد بقوله مرتان التثنية بل يراد مجرد التكرير المتناول للثلث كما في قوله
ثم ارجع البصر كرتين اي كرة بعد كرة لا كرتين اثنتين فقط وفي قولهم لبيك وسعديك منه اي لبيك وسعديك اي
الباء بعد الباب واسعادا بعد اسعاد على حذف الزائد

قوله وليس المراد منه شريطة قصد الاصلاح للرجعة يعني ان ظاهر الاية يقتضي ان يكون اباحة الرجعة
مشروطة بارادة الاصلاح لكن لا خلاف في انه اذا راجعها مضارا بها مريدا لتطويل العدة عليها
فرجعته صحيحة فدل هذا الاجماع على ان ليس المراد بصورة الشرط بيان توقف صحة الرجعة على ارادة الاصلاح منه

قوله اي التطليق الرجعي اثنتان الخ اشارة الى ان ليس المراد جنس الطلاق المتناول لكل طلاق بل المراد به الطلاق المتقدم ذكره بالذي
فالتقدير وبعولتهن احق بردهن وان الاية ليست كلاما مبتدأ نازلا لبيان ان كل الطلاق لا يزيد على ثلثة وانما هو تابع دونها لتلك
بل هذه الاية متعلقة بما قبلها وذلك لانه تعالى بين في الاية الاولى ان حق المراجعة ثابتة للزوج ولم يذكر ان ذلك الحق ثابت دائما او الى غاية معينة
فكانت الاية المتقدمة كالمجمل المفتقر الى المبين فبين في هذه الاية ان ذلك الطلاق الذي تثبت للزوج حق المراجعة فيه هو ان يوجد
طلقتان فقط واما بعد الطلقتين فلا يثبت للزوج حق المراجعة البتة فالالف واللام في الطلاق للمعهود السابق وقوله اثنتان متناول
الطلقتين اللتين يوقعهما الزوج دفعتين على سبيل التفرق وما يوقعهما دفعة واحدة على سبيل الجمع فان الجمع بين الطلقتين
والثلث وان لم يكن مسنونا لكنه مباح عند الشافعي خلافا لابي حنيفة فان الجمع في الايقاع حرام عنده فالاية تقع دليلا
على قوله مرتان اي دفعتان بناء على ان من اعطى اخر درهمين لم يجز ان يقال اعطاه مرتين حتى يعطيه دفعتين روي انه
لما نزل قوله تعالى الطلاق مرتان قيل له عليه السلام فاين الثالثة فقال عليه السلام هو قوله تعالى او تسريح باحسان
فيكون معنى التسريح ان يوقع عليها الطلقة الثالثة والاظهر ان معناه ان يترك الرجعة حتى تبين بانقضاء العدة لان الفاء في قوله
فان طلقها يقتضي ان يكون هذه الطلقة متاخرة عن ذلك التسريح فلو كان المراد بالتسريح الطلقة الثالثة لكان قوله فان طلقها
طلقة رابعة وانه لا يجوز وايضا قوله تعالى بعد ذلك التسريح ولا يحل لكم ان تاخذوا مما اتيتموهن شيئا والمراد به الخلع ومعلوم انه
لا يصح الخلع بعد ان طلقها طلقة ثالثة منه

وعلى المعنى الاخير حكم مبتدأ وتخيير مطلق عقب به تعليم كيفية التطليق
ولا يحل لكم ان تاخذوا مما آتيتموهن شيئا اى من الصدقات
روى ان جميلة بنت اخت عبد الله ابن ابى ابن سلول كانت تبغض
زوجها ثابت بن قيس فاتت رسول الله صلعم وقالت لا انا ولا ثابت لا
يجمع راسى وراسه شئ والله ما اعيبه فى دين ولا خلق ولكنى اكره الكفر
فى الاسلام ما اطيقه بغضا انى رفعت جانب الخباء فرايته اقبل فى عدة
فاذا هو اشدهم سوادا واقصرهم قامة واقبحهم وجها فاختلعت منه
بحديقة اصدقها والخطاب مع الحكام واسناد الاخذ والايتاء اليهم لانهم
الآمرون بهما عند الترافع وقيل انه خطاب للازواج وما بعده خطاب
الحكام وهو يشوش النظم على القراءة المشهورة الا ان يخافا اى الزوجان وقرئ
يظنا وهو يؤيد تفسير الخوف بالظن الا يقيما حدود الله بترك اقامة
احكامه من مواجب الزوجية وقرأ حمزة ويعقوب يخافا على البناء للمفعول
وابدال ان بصلته عن الضمير بدل الاشتمال وقرئ تخافا وتقيما بتاء الخطاب
فان خفتم ايها الحكام الا يقيما حدود الله فلا جناح عليهما فيما افتدت به
على الرجل فى اخذ ما افتدت به نفسها واختلعت وعلى المرأة فى اعطائها
تلك حدود الله اشارة الى ما حد من الاحكام فلا تعتدوها فلا
تتعدوها بالمخالفة ومن يتعد حدود الله فاولئك هم الظالمون
تعقيب للنهى بالوعيد مبالغة فى التهديد واعلم ان ظاهر الآية يدل على ان الخلع
لا يجوز من غير كراهة وشقاق ولا بجميع ما ساق الزوج اليها فضلا عن الزائد
ويؤيد ذلك قوله عليه السلام ايما امرأة سالت زوجها طلاقا فى غير بأس
فحرام عليها رائحة الجنة وما روى انه عليه السلام قال لجميلة اتردين عليه
حديقته فقالت اردها وازيد عليها فقال عليه السلام اما الزائد فلا
والجمهور استكرهوه ولكن نفذوه فان المنع عن العقد لا يدل على فساده
فانه يصح بلفظ المفاداة فانه سماه افتداء واختلف فى انه اذا جرى بغير لفظ
الطلاق فسخ او طلاق ومن جعله فسخا احتج بقوله فان طلقها فان تعقيبه
للخلع بعد ما ذكر الطلقتين يقتضى ان يكون طلقة رابعة لو كان الخلع طلاقا والاظهر
انه طلاق لانه فرقة باختيار الزوج فهو كالطلاق بالعوض وقوله
فان طلقها متعلق بقوله الطلاق مرتان تفسير لقوله او تسريح باحسان اعترض بينهما
ذكر الخلع دلالة على ان الطلاق يقع مجانا تارة وبعوض اخرى والمعنى فان طلقها
بعد الثنتين فلا تحل له من بعد من بعد ذلك الطلاق حتى تنكح زوجا
غيره حتى تتزوج غيره والنكاح يسند الى كل منهما كالتزوج وتعلق بظاهره من اقتصر

على العقد كابن المسيب واتفق الجمهور على انه لا بد من الاصابة لما روي ان امرأة
رفاعة قالت لرسول الله صلعم ان رفاعة طلقني فبت طلاقي وان عبد الرحمن بن الزبير
تزوجني وانما معه مثل هدبة الثوب فقال رسول الله صلعم اتريدين ان
ترجعي الى رفاعة قالت نعم قال لا حتى تذوقي عسيلته ويذوق عسيلتك
فالاية مطلقة قيدتها السنة ويحتمل ان يفسر النكاح بالاصابة ويكون العقد
مستفادا من لفظ الزوج والحكمة في هذا الحكم الردع عن التسرع
الى الطلاق والعود الى المطلقة ثلاثا والرغبة فيها والنكاح بشرط التحليل فاسد
عند الاكثر وجوزه ابو حنيفة مع الكراهة وقد لعن رسول الله صلعم المحلل
والمحلل له فان طلقها الزوج الثاني فلا جناح عليهما ان يتراجعا ان يرجع كل
من المرأة والزوج الاول الى الاخر بالزواج ان ظنا ان يقيما حدود الله
ان كان في ظنهما انهما يقيمان ما حدده الله وشرعه من حقوق الزوجية و
تفسير الظن بالعلم ههنا غير سديد لان عواقب الامور غيب تظن ولانه لا يقال
علمت ان يقوم زيد لان ان الناصبة للتوقع وهو ينافي العلم وتلك حدود
الله اي الاحكام المذكورة يبينها لقوم يعلمون يفهمون ويعملون بمقتضى العلم
واذا طلقتم النساء فبلغن اجلهن اي آخر عدتهن والاجل يطلق للمدة
ولمنتهاها فيقال لعمر الانسان وللموت الذي ينتهي به قال كل حي مستكمل مدة
العمر ومود اذا انتهى اجله والبلوغ هو الوصول الى الشيء وقد يقال للدنو منه
على الاتساع وهو المراد في الاية ليصح ان يرتب عليه فامسكوهن بمعروف
او سرحوهن بمعروف اذ لا امساك بعد انقضاء الاجل والمعنى فراجعوهن
من غير ضرار او خلوهن حتى تنقضي عدتهن من غير تطويل وهو اعادة للحكم في
بعض صوره للاهتمام به ولا تمسكوهن ضرارا ولا تراجعوهن ارادة الاضرار
بهن كان المطلق يترك المعتدة حتى تشارف الاجل ثم يراجعها ليطول العدة عليها
فنهي عنه بعد الامر بضده مبالغة ونصب ضرارا على العلة او الحال بمعنى مضارين
لتعتدوا لتظلموهن بالتطويل او الالجاء الى الافتداء واللام متعلقة بضرارا اذ
المراد تقييده ومن يفعل ذلك فقد ظلم نفسه بتعريضها للعقاب ولا
تتخذوا آيات الله هزوا بالاعراض عنها والتهاون بالعمل بما فيها من قولهم
لمن لم يجد في الامر انما انت هازئ كانه نهي عن الهزء واراد به الامر بضده
وقيل كان الرجل يتزوج ويطلق ويعتق ويقول كنت العب فنزلت وعنه
عليه السلام ثلث جدهن جد وهزلهن جد الطلاق والنكاح والعتق واذكروا
نعمة الله عليكم التي من جملتها الهداية وبعثة محمد صلعم بالشكر والقيام
بحقوقها وما انزل عليكم من الكتاب والحكمة القرآن والسنة

قوله تعالى فبما نقضهم ميثاقهم وكفرهم بآيات الله وقتلهم الانبياء بغير حق وقولهم قلوبنا غلف بل طبع الله عليها بكفرهم فلا يؤمنون الا
قوله ولا يجوز ان يتعلق الباء اي في قوله فبما نقضهم بحرمنا الآية بعد [illegible] آيات فيكون التحريم بسبب النقض وبسبب
ما عطف عليه من قوله وكفرهم وقتلهم الانبياء وقولهم قلوبنا غلف وقولهم على مريم الى قوله فبظلم فيكون بهذه كلها
من اسباب التحريم فهذا هو المعنى المقصود [illegible] بل طبع الله [illegible] وقولهم قلوبنا غلف [illegible] قوله لا يجاد
عليه قوله بل طبع الله اي شرع الى ما ذهب اليه ابو البقاء [illegible] على انه خلاف المقصود حيث قال لا يجاد
عليه اي لا يجوز ان يتعلق الباء بما دل عليه قوله بل طبع الله اي طبع المقدر او بمثل لا يؤمنون [illegible] ما دل عليه بل طبع الله
[redacted] بقرينة طبع الله على ما ذهب اليه ابو البقاء
والتقدير انه لو قدر طبع [redacted] فيما نقضهم وكفرهم
يكون التقدير فبما نقضهم وكفرهم وقولهم قلوبنا غلف طبع الله عليها بكفرهم وان قدر لا يؤمنون فالمعنى فبما نقضهم
وقولهم قلوبنا غلف لا يؤمنون [illegible] نقضهم وما عطف عليه متعلق بطبع المقدر او لا يؤمنون فيكون نقضهم الميثاق
وكفرهم وقولهم قلوبنا غلف اسباب للطبع او اسباب لانهم لا يؤمنون [illegible] بل طبع الله قلوبهم بكفرهم
متعلق بذلك [illegible] عطفا عليه [illegible] بل طبع الله عليها [redacted] كفرهم فكيف اذا انضم اليه النقض والقتل فيكون ردا
لهذا الكلام وانكار له فعلى هذا لا يكون تلك الامور اسبابا للطبع لانه [illegible] بل لنفي معنى الاول وابقاء معنى الثاني
فيكون معنى الاضراب طبع الله قلوبهم ليس من هذه الاسباب بل طبع الله عليها بكفرهم فيكون بل طبع الله قلوبهم
ردا لهذا الكلام وانكار له كما ذكرنا فهذا تفصيل ما ذهب اليه ابو البقاء لكن هذا المعنى غير مرضي عندنا المص بل رده [redacted]
بحيث بيان اصل المعنى المقصود ثم قال لانه اي قوله تعالى بل طبع الله قلوبهم رد لقولهم قلوبنا غلف
اي اضراب عنه لان كلام الاول كما ذهب اليه ابو البقاء فيكون اي بل طبع الله عليها بكفرهم من صلته لفظه وقولهم
الواقع في الاية المعطوف [redacted] اي لفظه قولهم المعطوف على المجرور اي على قوله تعالى نقضهم فلا يعمل
وجاره اي في جار ذلك المجرور اي لا يكون متعلقا بالفتح لجاره [illegible] فلا يعمل [illegible] لا يكون متعلقا لجاره كما صرح
به المصنف ثم قال وقوله فلا يعمل في جاره [illegible] الجار معمولا وليس كذلك فالاولى ان يقال فلا يتعلق به جاره
والمراد بالجار الباء الداخلة في قوله تعالى نقضهم والمراد [illegible] ولفظة نقضهم واذا عرفت هذا فنقول ان قوله رحمه الله
لانه رد لقولهم فيكون صلة الى آخره يمكن تقريره بانه يكون ابطالا لمدعى الخصم باقامة الدليل على لزوم الف
تقدير صحته فيكون نقضا اجماليا [illegible] الف [illegible] [redacted] صرحوا في كتب الآداب انه نقض الاجمالي [illegible] ابطال المدعى
بخصوص الفساد وتصويره [illegible] ابو البقاء ادعى ان الباء في قوله تعالى فبما نقضهم متعلق بما يستفاد من قوله تعالى
بل طبع الله اي طبع المقدر والاضراب اضراب من قوله فبما نقضهم فالمصنف رحمه الله ابطل هذه المدعى باقامة الدليل
بخصوص الفساد حيث قال لا يجاد عليه قوله بل طبع الله اي لا يجوز تعلق الباء الى طبع المدلول [illegible] اذ لو كان
متعلقا به يلزم ان لا يكون قوله بل طبع الله اي صلة لقوله تعالى وقولهم قلوبنا غلف [redacted] وهذا المحذور ينتج بالعكس
لا يجوز تعلق الباء الى طبع المدلول من قوله تعالى بل طبع الله [redacted] لكن يتوجه على المصنف بان صحة هذه الدليل القائم لابطال مدعى الخصم
[redacted] يتوقف على كون قوله في الدليل [redacted] قوله تعالى بل طبع الله صلة لقوله تعالى وقولهم قلوبنا غلف مسلما عند الخصم
والحال ان المسلم عنده خلافه والجواب عنه ان مراد المصنف [illegible] [redacted] المراد من الاية الكريمة اي بيان
[redacted] ان المراد من الاضراب لقوله تعالى بل طبع الله هو قوله تعالى وقولهم غلف [redacted] [illegible] الاضراب من قوله تعالى نقضهم
وان تعلق الباء الى طبع المقدر فلا فصل لكنه رحمه الله لكمال فضله ولطافة طبعه افاد المقصود بنهاية الايجاز
وفي صورة ابطال جانب الخلاف [illegible]

افردهما بالذكر اظهارا لشرفهما يعظكم به بما انزل عليكم واتقوا الله و
اعلموا ان الله بكل شيء عليم تأكيد وتهديد واذا طلقتم النساء
فبلغن اجلهن اي انقضت عدتهن وعن الشافعي دل سياق الكلامين
على افتراق البلوغين فلا تعضلوهن ان ينكحن ازواجهن المخاطب به
الاولياء لما روي انها نزلت في معقل بن يسار حين عضل اخته جملاء ان
ترجع الى زوجها الاول بالاستئناف فيكون دليلا على ان المرأة لا تزوج
نفسها اذ لو تمكنت منه لم يكن لعضل الولي معنى ولا يعارض باسناد النكاح
اليهن لانه بسبب توقفه على اذنهن وقيل الازواج الذين يعضلون
نساءهم بعد مضي العدة ولا يتركونهن يتزوجن عدوانا وقسرا لانه
جواب قوله واذا طلقتم وقيل الاولياء والازواج وقيل الناس كلهم
والمعنى لا يوجد فيما بينكم هذا الامر فانه اذا وجد بينهم وهم راضون
به كانوا كالفاعلين له والعضل الحبس والتضييق ومنه عضلت الدجاجة
اذا نشب بيضها فلم يخرج اذا تراضوا بينهم اي الخطاب والنساء وهو
ظرف لان ينكحن او لا تعضلوهن بالمعروف بما يعرفه الشرع وتستحسنه
المروءة حال عن الضمير المرفوع او صفة مصدر محذوف اي تراضيا كائنا بالمعروف
وفيه دلالة على ان العضل عن التزوج من غير كفؤ غير منهي ذلك اشارة
الى ما مضى ذكره والخطاب للجمع على تأويل القبيل او كل واحد او ان
الكاف لمجرد الخطاب والفرق بين الحاضر والمنقضي دون تعيين المخاطبين
او للرسول على طريقة قوله يا ايها النبي اذا طلقتم للدلالة على ان حقيقة
المشار اليه امر لا يكاد يتصوره كل احد يوعظ به من كان منكم يؤمن
بالله واليوم الآخر لانه المتعظ به والمنتفع ذلكم اي العمل بمقتضى
ما ذكر ازكى لكم انفع واطهر من دنس الآثام والله يعلم ما
فيه من النفع والصلاح وانتم لا تعلمون لقصور علمكم والوالدات
يرضعن اولادهن امر عبر عنه بالخبر للمبالغة ومعناه الندب
او الوجوب فيخص بما اذا لم يرتضع الصبي الا من امه او لم يوجد له ظئر
او عجز الوالد عن الاستئجار والوالدات تعم المطلقات وغيرهن وقيل
تختص بهن اذ الكلام فيهن حولين كاملين اكده بصفة الكمال لانه مما يتسامح
فيه لمن اراد ان يتم الرضاعة بيان للمتوجه اليه الحكم اي ذلك
لمن اراد اتمام الرضاعة او متعلق بيرضعن فان الاب يجب عليه الارضاع
كالنفقة والام ترضع له وهو دليل على ان اقصى مدة الارضاع حولان ولا
عبرة به بعدهما وانه يجوز ان ينقص عنه وعلى المولود له اي الذي يولد له

991 قوله ومعناه الندب او الوجوب اي لا يصح حمله على الوجوب لان الارضاع مقيد بحولين كاملين وهو لا يجب لقوله تعالى
لمن اراد ان يتم الرضاعة وصرح المص بانه دليل على ان اقصى المدة حولان وانه يجوز ان ينقص عنه فقد خالف المصنف
القران وناقض نفسه وتصحيح كلامه يحتاج الى تقدير وهو ان يقال حولين كاملين متعلق بمقدر اي ترضع الوالدات حولين
كاملين فكان اصل الارضاع واجبا بالشرائط المذكورة وان كان في تمام المدة المذكورة غير واجب فتامل من كاتبه

قوله ذلك يوعظ به اي يوعظ به وعظ نافع والا فكل الناس يوعظون به لان الكفار يكلف بالفروع من كاتبه

16 قوله اطهر من دنس الاثام ينبغي ان يكون هذا من وصف الشيء بصفة صاحبه لان التبرؤ من دنس الاثام والتطهر يكون
من صفة العبد لا من صفات الفعل كاتبه

49 وقرئ لا تضار بالرفع على الاخبار وهو يحتمل البناء للفاعل وللمفعول وان يكون الاصل تضارر بكسر الراء الاولى
وتضارر بفتحها وقرئ لا تضار بالفتح اكثر القراء وقرئ الحسن بالكسر على النهي وهو محتمل للبنائين ايضا وبيان
انه قرئ لا تضارر ولا تضارر بالجزم وفتح الراء الاولى وكسرها وقرئ ابو جعفر لا تضار بالسكون مع التشديد
على نية الوقف وعن الاعرج لا تضار بالسكون والتخفيف والمعنى لا تضار والدة زوجها بسبب ولدها وهو ان تعنف به
وتطلب منه ما ليس بعدل من الرزق والكسوة وان تشغل قلبه بالتفريط في شأن الولد وان تقول بعد ما الفها الصبي
اطلب له ظئرا وما اشبه ذلك ولا يضار مولود له امرأته بسبب ولده وان يمنعها شيئا مما وجب عليه من رزقها وكسوتها ولا يأخذه
منها وهي تريد ارضاعه ولا يكرهها على الارضاع وكذلك اذا كان مبنيا للمفعول فهو نهي عن ان يلحق بها الضرار من قبل الزوج
وعن ان يلحق الضرار بالزوج من قبلها بسبب الولد ويجوز ان يكون تضار بمعنى تضر وان تكون الباء من صلته اي لا تضر
والدة بولدها فلا تسيء غذاءه وتعهده ولا تدفعه الى الاب بعد ما الفها ولا يضر الوالد به بان ينتزعه من يدها
او يقصر في حقها فتقصر هي في حق الولد من تفسير كشاف

666 قوله على النهي يعني في قراءتي الفتح والكسر فالفتح للخفة والكسر على الاصل في حركة الساكن وهو اي لا تضار سواء كان
بالفتح او بالكسر محتمل لبناء الفاعل بان يكون الراء الاولى في الاصل مكسورة ولبناء المفعول بان يكون مفتوحة سعد الدين
قوله على نية الوقف بان يكون الاسكان للوقف فيصير التقاء الساكنين بخلاف الجزم قوله ويجوز ان يكون
تضار بمعنى لما كان تضار في اصله متعديا بنفسه قدر له مفعول وجعل الباء في بولده للسببية يجوز ان يكون
بمعنى تضر ليكون الباء صلة والمجرور في موقع المفعول به سعد الدين

يعني الوالد فان الولد يولد له وينسب اليه وتغيير العبارة للاشارة الى المعنى المقتضي
لوجوب الارضاع ومؤن المرضعة عليه رزقهن وكسوتهن اجرة لهن و
اختلف في استيجار الام فجوزه الشافعي ومنعه ابو حنيفة رضي الله عنهما ما دامت زوجة
او معتدة نكاح بالمعروف حسبما يراه الحاكم ويفي به وسعه لا تكلف نفس
الا وسعها تعليل لايجاب المؤن والتقييد بالمعروف دليل على انه تعالى لا يكلف
العبد بما لا يطيقه وذلك لا يمنع امكانه لا تضار والدة بولدها ولا مولود له
بولده تفصيل له وتقريب له اي لا يكلف كل منهما الآخر ما ليس في وسعه ولا يضاره
بسبب الولد وقرأ ابن كثير وابو عمرو ويعقوب لا تضارُّ بالرفع بدلا عن قوله لا
تكلف واصله على القراءتين لا تضارر بالكسر على البناء للفاعل او الفتح على البناء للمفعول
وعلى الوجه الاول يجوز ان يكون بمعنى تضر والباء من صلته اي لا يضر الوالدان بالولد
فيفرط في تعهده ويقصر فيما ينبغي له وقرئ لا تضارْ بالسكون مع التشديد على نية الوقف
وبه مع التخفيف على انه من ضاره يضيره واضافة الولد اليها تارة واليه اخرى استعطافا
لهما عليه وتنبيه على انه حقيق بان يتفقا على اصلاحه والاشفاق فلا ينبغي ان يضرا
به او يتضارا بسببه وعلى الوارث مثل ذلك عطف على قوله وعلى المولود له
رزقهن وكسوتهن وما بينهما تعليل معترض والمراد بالوارث وارث الاب
وهو الصبي اي مؤن المرضعة من ماله اذا مات الاب وقيل الباقي من الابوين من
قوله عليه السلام واجعله الوارث منا وكلا القولين يوافق مذهب الشافعي رضي
اذ لا نفقة عنده فيما عدا الولاد وقيل وارث الطفل واليه ذهب ابن ابي ليلى
وقيل وارثه المحرم منه وهو مذهب ابي حنيفة وقيل عصباته وبه قال
ابو زيد وذلك اشارة الى ما وجب على الاب من الرزق والكسوة فان ارادا
فصالا عن تراض منهما وتشاور اي فصالا صادرا عن التراضي منهما والتشاور
بينهما قبل الحولين والتشاور والمشاورة والمشورة استخراج الرأي
من شرت العسل اذا استخرجته فلا جناح عليهما في ذلك وانما اعتبر تراضيهما
مراعاة لصلاح الطفل وحذرا ان يقدم احدهما على ما يضر به لغرض وان
اردتم ان تسترضعوا اولادكم اي تسترضعوا المراضع اولادكم
يقال ارضعت المرأة الطفل واسترضعتها اياه كقولك انجح الله حاجتي واستنجحته
اياها فحذف المفعول الاول للاستغناء عنه فلا جناح عليكم فيه واطلاقه
يدل على ان للزوج ان يسترضع للولد ويمنع الزوجة من الارضاع اذا سلمتم
الى المراضع ما آتيتم ما اردتم ايتاءه كقوله تعالى اذا قمتم الى الصلوة وقرأ ابن كثير
ما أتيتم من أتى اليه احسانا اذا فعله وقرئ اوتيتم اي ما آتاكم الله واقدركم
عليه من الاجرة بالمعروف صلة سلمتم اي بالوجه المتعارف المستحسن شرعا وجواب

واصله على القراءتين لا تضارر بكسر الراء الاولى فيكون نهي المفعول بها الضرار وعلى الوجه الاول يكون المعنى لا تفعل المرأة الضرار بالاب بولدها اي بسبب ايصال الضرر الى الولد وذلك ان تمنع المرأة من ارضاعه مع ان الاب ما وسع عليها في النفقة من الرزق والكسوة فيتعلق قلب الولد عليها ثم قال ولا مولود له اي لا تفعل الاب الضرار بالام بان ينزع الولد عنها مع رغبتها في امساكه وشدة محبتها له وعلى الوجه الثاني معناه لا تضارر يعني لا يفعل الاب الضرار بالام بان ينزع الولد منها ولا مولود له بولده اي ولا تفعل الام الضرار بالاب بان تلقي الولد عليه والمعنيان يرجعان الى شيء واحد وهو ان يغيظ احدهما صاحبه بسبب الولد فان قيل لم قيل تضار والفعل لواحد اجيب بان فيه وجوها احدها ان معناه المبالغة فان ايذاء من يؤذيك اقوى من ايذاء من لا يؤذيك وثانيها ان المعنى لا تضار الام الاب بان لا ترضع الام او يمنعها الاب وينزعه منها

قوله وعلى الوجه الاول وهو ان يكون اصل لا تضار لا تضارر بكسر الراء الاولى يجوز ان يكون تضار بمعنى تضر وان يكون الباء متعلقة به من صلته اي لا تضر والدة ولدها ومعنى كون الباء من صلة تضر ان يكون متعلقة به معدية له الى المفعول كما في ذهبت بزيد ويكون ضار بمعنى اضر فان فاعل قد يجيء بمعنى افعل نحو باعدته وابعدته سعدي زاده لا تضر مضارع باب الافعال
اعلم ان تضار متعد بنفسه فقوله بولدها لا يكون مفعولا فلم يكن بد من تقدير مفعول واما تضر فهو متعد بالباء يقال اضر به اذا كان تضار بمعنى تضر فيكون بولدها صلة فلا حاجة الى تقدير مفعول كما في الوجه الاول

قطب حاشية الكشاف
قوله تفصيل له اي لعدم تكليف النفس الا بالوسع لا يخفى ان النهي عن المضارة اعم من النهي عن التكليف بما ليس في الوسع فلا يحسن تفسير النهي عن المضارة بالنهي عن التكليف بما ليس في وسعه بل يجب ان يفسر بما يشمل النهي عن التكليف المذكور فلو قال فلا يكلف كل منهما الآخر بما ليس في وسعه لكان اولى

قوله واضافة الولد اليها يعني ان حق الولد ان يضاف الى الاب فالحكمة في اضافته تارة الى الام اجاب بان المرأة لما نهيت من المضارة اضيف اليها الولد استعطافا لها عليه فكأنه قيل ان الولد ليس باجنبي منها فمن حقها ان تشفق عليه فكيف تضار الاب بسبب اضرارها بولدها وكذلك الوالد

قوله وهو الصبي نفسه فانه وارث ابيه المتوفى فان الصبي ان كان له مال وجب اجر رضاعه في ماله وان لم يكن له مال اجبرت امه على ارضاعه ولا يجبر على نفقة الصبي الا الوالد وهو قول مالك والشافعي وهذا المعنى موافق لظاهر الآية لكن لا معنى للتقييد بموت الاب لان اجرة الرضاع من مال الصبي اذا كان له مال في حيات الاب ومماته قوله وقيل اي قال سفيان وجماعة المراد من الوارث الباقي من الابوين وجاء في الدعاء المشهور واجعله الوارث منا اي الباقي قال سعد المحققين وجعل الوارث بمعنى الباقي وان كان صحيحا لغة لكن غير مناسب بهنا للتعلق في هذا المقام اذ ليس لقولنا فالنفقة على الاب وعلى من بقي من الاب والام معنى يعتد به وقد يقال معناه والنفقة على الاب عند بقائهما وعلى الباقي منهما اذا مات احدهما وبه يندفع الاضطراب

قوله فحذف المفعول الاول للاستغناء عنه اي لدلالة الاسترضاع لانه انما يكون من المرضعات والحاصل ان رضع يتعدى الى واحد واذا نقل الى استرضع يتعدى الى اثنين بنفسه يقال رضع الولد امه وارضعت المرأة ولدها واسترضعتها الولد كذلك اولادهم وقيل يتعدى الى الثاني بحرف الجر والتقدير ان تسترضعوا المراضع لاولادكم فحذف المفعول الاول وحرف الجر وان الفعل قد يتعدى بالسين على قلة نحو استعقبت زيدا مالا واستطعمته خبزا

قوله ما آتيتم ... قرأ الجمهور آتيتم بالمد ههنا وفي سورة الروم وما آتيتم من ربا وقصرها ابن كثير وروى شيبان اوتيتم مبنيا للمفعول اي ما اقدركم ... والآخر ضمير يعود على المراضع والتقدير ما آتيتموهن اياه واذا فعلته ... علاف قراءة ما او تيتم ... لا يتصور تسليمه في المستقبل وكذا قراءة ما آتيتم معناه ما اردتم فقوله لا يستقيم على ظاهره كما توهم من اعتبار مفهوم الشرط وهو انتفاء الجزاء بانتفاء الشرط والجواب ان اشتراط التسليم ... فلا يعتبر مفهوم الشرط ... خلاف اتفاق العلماء

قوله ويشهد له ... قوله ان لبثتم الا عشرا مقارنا بقوله تعالى ان لبثتم الا يوما باعتبار قوله ان لبثتم الا يوما يدل على ان المراد بالعشر الايام فانه ... باعتبار الليلة واورد عليه بانه يصح ان يكون الايام الخالية عن الليالي باعتبار الليلة ويمكن دفعه بان تأنيث العشر دل على ان المراد مجموع الليالي والايام والاستشهاد بان لبثتم الا يوما للدلالة على قصد اليوم ايضا عصام

قوله انها تعتد باقصى الاجلين احتياطا فانه ان كانت مدة الحمل اطول فتعتد الى وضع الحمل وان كانت اربعة اشهر وعشرا اكثر بان وضعت قبل هذه المدة يعتد بها احتياطا في العمل بمقتضى الآيتين فان مقتضى قوله تعالى واولات الاحمال التربص مدة الحمل ومقتضى قوله تعالى والذين يتوفون منكم تربص اربعة اشهر وعشرا في الاحتياط المذكور ... المدتين من كازروني

قوله استظهارا اي استعانة بتلك الزيادة على العلم ببراءة الرحم وقيل انما قدرت عدة الوفاة باربعة اشهر وعشرا والله اعلم لان الولد يكون اربعين يوما نطفة واربعين يوما علقة واربعين يوما مضغة ثم ينفخ فيه الروح في العشرة فلما كان الامر كما ذكرنا امرت بتربص اربعة اشهر وعشر ليتبين الحبل ان كان بها شيخ زاده

قوله والاجماع خص الحامل عنه لقوله تعالى لقائل ان يقول لا حاجة الى التمسك بالاجماع بل يجوز ان يقال وخص الحامل عن عموم الآية بقوله تعالى واولات الاحمال اجلهن ان يضعن حملهن ... حكم به والآية على قوله والذين يتوفون مخصصا لعمومه ولم يعكس مع كون عموم الآية ... لانه لو عكس لزم نسخ قوله تعالى واولات الاحمال ... الاجماع خص قوله تعالى ... على التخصيص المذكور والظاهر ان لقوله بالكاف اي كقوله والمعنى من كازروني

قوله والاجماع خص الحامل وما روي عن علي وابن عباس رضي الله عنهما لا ينافي الاجماع لانه ايضا تخصيص الحامل بجعل عدتها ابعد الاجلين او وضع الحمل وان وافق بعض الابعد وضع الحمل فافهم عصام

قوله اي انقضت عدتهن يعني المراد ببلوغ الاجل بلوغ آخر اجزائه عصام

قوله بالمعروف حال من فاعل فعلن اي فعلن متلبسات به ... قوله والوجه الذي لا ينكره الشرع اشارة الى ان ...

التعريض وهو في اللغة ضد التصريح ومعناه ان يضمن الكلام ما يصلح للدلالة على مقصوده ويصلح للدلالة على غير المقصود ايضا الا ان اشعاره بجانب المقصود اتم وارجح بناء على قرينة الحال ... والتعريض ... الخطبة ... والخطبة بالضم الكلام المشتمل على الوعظ والزجر ... اصل الخطبة من الخطاب الذي هو الكلام ... الى خطاب كثير شيخ زاده

قوله ومفهومه انهن ... اشارة الى البيان ... في هذا الكلام لان ظاهره انه لا جناح عليكم في افعالهن اي لا ينكره الشرع فانه معلوم انه لا جناح ... في ذلك بل لا جناح لهم في افعالهن المنكرة ايضا ... كناية عن انه يجب عليهم منعهن لو فعلن المنكر وان لم يمنعوا كان عليهم الجناح سعد الدين ... وفيه اشارة الى انهن لو فعلن ما ينكره الشرع فعليهم ان يكفوهن عن ذلك والا فعليهم الجناح

قوله والمراد بالنساء المعتدات للوفاة لانها هي المذكورة ... والتي هي معتدة الطلاق ... والبائن باللعان ...

قوله ولا تصرحوا ... علم الله انكم ستذكرونهن ... فيكون المعنى فاذكروهن ... عقد النكاح بل لا تواعدوهن ...

قوله عبر بالسر عن الوطء ... لا تواعدوهن نكاحا ... بالسر الذي هو كناية عن الوطء عن النكاح بمعنى العقد ... شيخ زاده عليه الرحمة

الشرط محذوف دل عليه ما قبله وليس اشتراط التسليم لجواز الاسترضاع بل لسلوك ما هو الاولى والاصلح للطفل **واتقوا الله** مبالغة في المحافظة على ما شرع في امر الاطفال والمراضع **واعلموا ان الله بما تعملون بصير** حث وتهديد **والذين يتوفون منكم ويذرون ازواجا يتربصن بانفسهن اربعة اشهر وعشرا** اي وازواج الذين او والذين يتوفون منكم ويذرون ازواجا يتربصن بعدهم كقولهم السمن منوان بدرهم وقرئ يتوفون بفتح الياء اي يستوفون آجالهم وتأنيث العشر باعتبار الليالي لانها غرر الشهور والايام ولذلك لا يستعملون التذكير في مثله قط ذهابا الى الايام حتى انهم يقولون صمت عشرا ويشهد له قوله ان لبثتم الا عشرا ثم ان لبثتم الا يوما ولعل المقتضي لهذا التقدير ان الجنين في غالب الامر يتحرك لثلاثة اشهر ان كان ذكرا ولاربعة ان كان انثى فاعتبر اقصى الاجلين وزيد عليه العشر استظهارا اذ ربما تضعف حركته في المبادي فلا يحس بها وعموم اللفظ يقتضي تساوي المسلمة والكتابية فيه كما قال الشافعي والحرة والامة كما قال الاصم والحامل وغيرها لكن القياس اقتضى تنصيف المدة للامة والاجماع خص الحامل عنه لقوله تعالى واولات الاحمال اجلهن ان يضعن حملهن وعن علي وابن عباس رضي الله عنهما انها تعتد باقصى الاجلين احتياطا **فاذا بلغن اجلهن** اي انقضت عدتهن **فلا جناح عليكم** ايها الائمة او المسلمون جميعا **فيما فعلن في انفسهن** من التعريض للخطاب وسائر ما حرم عليها للعدة **بالمعروف** بالوجه الذي لا ينكره الشرع ومفهومه انهن لو فعلن ما ينكره الشرع فعليهم ان يكفوهن فان قصروا فعليهم الجناح **والله بما تعملون خبير** فيجازيكم عليه **ولا جناح عليكم فيما عرضتم به من خطبة النساء** التعريض والتلويح ايهام المقصود بما لم يوضع له حقيقة ولا مجازا كقول السائل جئتك لاسلم عليك والكناية هي الدلالة على الشيء بذكر لوازمه وروادفه كقولك طويل النجاد للطويل وكثير الرماد للمضياف والخطبة بالضم والكسر اسم الحالة غير ان المضمومة خصت بالموعظة والمكسورة بطلب المرأة والمراد بالنساء المعتدات للوفاة وتعريض خطبتها ان يقول لها انك جميلة او نافقة ومن غرضي ان اتزوج ونحو ذلك **او اكننتم في انفسكم** او اضمرتم في قلوبكم فلم تذكروه صريحا ولا تعريضا **علم الله انكم ستذكرونهن** ولا تصبرون على السكوت عنهن وعن الرغبة فيهن وفيه نوع توبيخ **ولكن لا تواعدوهن سرا** استدراك عن محذوف دل عليه ستذكرونهن اي فاذكروهن ولكن لا تواعدوهن نكاحا او جماعا عبر بالسر عن الوطء لانه يسر ثم عن العقد لانه سبب فيه وقيل معناه لا تواعدوهن في السر على ان المعنى بالمواعدة في السر المواعدة بما يستهجن **الا ان تقولوا قولا معروفا** وهو ان تعرضوا ولا تصرحوا

قوله وهو غير موعود فيه يعني لو كان قوله تعالى الا ان تقولوا قولا معروفا مستثنى من السر منقطعا كان المفهوم منه واعدوهن قولا معروفا هو التعريض وليس التعريض موعودا فيه وظاهر كلامه انه سواء كان السر عبارة عن النكاح او الوطي لا يكون الاستثناء منقطعا لما يقتضي كون كل منهما موعودا ان كان المستثنى من جنسه تاما موعودا لكن كلام العلامة الطيبي يدل على ان كلام المصنف مبني على ارادة النكاح فانه قال وعلى هذا القول وهو ان يراد بالسر عقد النكاح لا يجوز الاستثناء ان يكون منقطعا قال الفاضل لانه يؤدي الى قوله لا تواعدوهن الا التعريض وهو غير موعود اى التعريض واقع في الحال فلا يكون موعودا اشتهر كلامه ولا يخفى دلالته على ما ذكرنا

قال الكشاف ٦٦٦ متعلق حرف الاستثناء قال السعد رحمه الله متعلق بلا تواعدوهن يعني الا ان تقولوا اي اجرى على ظاهره وفي موقع المعمول لمتعلق اي لا مواعدة الا مواعدة بقول معروف وان كان على حذف الباء في موقع المعمول بواسطة لا تواعدوهن بطريق الا بطريق التعريض ولو جعل الاستثناء منقطعا من سرا او وقع موقع المعمول به بلا واسطة من سرا فكان المعنى لا تواعدوهن الا التعريض وليس مستقيم لان التعريض بطريق المواعدة لا الموعود نفسه من حاشية كشاف سعد

قوله تعالى الا ان تقولوا قولا معروفا بو نظم جونكه مراد تصريح منفي اولان تعريضدر بو كلمه سندن استثناء منقطعه اولدقده معناسي نه اولور ديو تعرض ايتدي بلكه سركه نكاحي وعدا ايتمكدن الا تعريضي وعده ايدك ديمك اولور بو معنا جائز دكلدر كه مراد تعريض موعود ايمك مقتضا ايدي لان الاستثناء سنده تسليط قابل المستثنى منه على المستثنى فلا ينبغي ان يقال لا تواعدوهن الا التعريض اولور معناسي بكا قوم كلمدي بلكه حمار كلدي ديمكدر ما جاء القوم الا حمارا كلامنده حمار قوم ده داخل دكلدر ٥٥٥ قوله تعالى الا ان تقولوا اي بعض تعريضا استثناء منصلا اولدقده لا تواعدوهن معلقك معمول مطلقي اولور مستثنى منه محذوف مواعده كلمه سنده تعريض دخي داخل [illegible] اولور اول محذوف مستثنى منه كلمه سندن بدلدر بدل جونكه مبدل منهك عينيدر اولدقده ثابت اولور بونده حمل صحيح اولمغله سعد الدين مرحوم مواعدة هي قولا معروفا ديوب بوكه اشارت ايدر يعني معنا انلره مواعده ايتمكز مواعده ايله ترك تصريح [illegible] وكرك تعريضا الا مواعدة هي تعريض يعني انلره وعدا ايتمك الا تعريض ايله مواعده ايدك بعض نكاحي نحوه حمل انلره صراحة وعدا ايتمك بلكه تعريض ايله ورفد اشارت ايدر سزكز ديمك اوله والله اعلم مثلا لا تؤاخذون الا تحريما اولدقده تحريما اتنوع داخل اولوب استثناء متصلا اولدقده تحريما واقع اولوب معنی انلر سزه مواخذه ايتمك الا تحريما يعني مواخذه ايدرسز [illegible] ديمك اولور انلر مواخذه وتحريم الكبير [illegible] مواخذة تحريم ايس انلره تحريما مواخذه ايدر ديمك اولور [illegible] ايله ايدك ضرب وقتل ايله ديمك مراد در مطالعة الفقير وخلاصة فهمه الكليل محمد بكي المدعو خالد

٧٧٠ قوله تعالى ما لم تمسوهن الآية ما مصدرية ظرفية والزمان محذوف تقديره مدة عدم المسيس كقوله تعالى وكنت عليهم شهيدا ما دمت فيهم وقوله تعالى خالدين فيها ما دامت السموات والارض [illegible]

٣٣ قال الامام اقسام المطلقات اربعة وهذه الآية مشتملة على بيان حكم ثلثة اقسام منها لانه لما صار تقدير الآية لا مهر لها الا عند المسيس او عند التقدير عرف منه ان التي لا تكون ممسوسة لا تجب لها المهر وعرف ان التي تكون ممسوسة لا تكون مفروضا لها ولا تكون مفروضا لها والتي يكون مفروضا لها ولا تكون ممسوسة يجب لكل واحد منها المهر فكون هذه الآية مشتملة على بيان هذه الاقسام الثلثة وبقي القسم الرابع وهي التي لا تكون ممسوسة ولا مفروضا لها وهي مذكورة في الآيات السابقة قوله المتعة ان الذي كان فرض لها فلا تستحق في قول الاكثرين بخلاف المطلقة قبل الدخول داخلون فيها الشافعي اعلم ان المطلقة قبل الدخول لها المتعة وان لم تستحق المهر تستحق المتعة جبرا لما اوحشها الزوج بالطلاق بعد المطلقة بعد الدخول سواء فرض لها او لم يفرض فذهب ابو حنيفة انها تستحق المتعة فصارت كالمطلقة بعد الفرض قبل الدخول وهذا هو القديم للشافعي وذهب في قوله الجديد الى ان نصف المهر فقط وذهب الشافعي آخرا الى ان المتعة لكل مطلقة لكل ممسوسة مفوضة كانت او غير مفوضة الا التي فرض لها ولم يدخل بها فحقها ... تجب للمفوضة التي لم يمسها الزوج تجب المتعة [illegible]

مطلقة ممسوسة | مطلقة غير ممسوسة
لم يقدر لها المهر فلها نصف المهر | قدر لها المهر يجب لها المهر
قسم رابع لم يقدر لها المهر لا تجب لها المتعة

قوله الا ان تعفوا ذكره الا ان او نصب المضارع اذا كان بمعنى الا ان وقيل بمعنى الى ان او نحو ذلك ولتعم الكلام في ان النصب باضمار ان او نحو او بمعنى الى ان وعبر عنه المصنف بحتى فان معنى حتى الى ان او الغاية سعد الدين رحمه الله وبالجملة فايجاب المهر منتفي مدة عدم المجامعة الى ان يسموا المهر فيجب فصح معنى الا

وان طلقتموهن من قبل ٦٥ الآية

قوله والصيغة اي مع قطع النظر عن قرائن الناصب والا فهو مع ان لا يحتمل التذكير ولهذا قال الكشاف اي يعفون من قولك الرجال يعفون والنساء يعفون فجعل الاحتمال مخصوصا بحالة الرفع وذكر في العرب ان الفعل في الكتاب مبني ولم يذكر في الرفع ان الفعل معرب اكتفاء عن ذكره بقوله والنون علامة الرفع ومن جهات الفرق ان صيغة المؤنث على اصلها بخلاف صيغة المذكر فان فيه حذف لام الفعل ولا يبعد استفادته من قوله ان الواو في الاول ضمير وفي الثاني لام الفعل وفي تعليل نصب المعطوف عليه كون الثاني مبنيا نظر عصام

طط قوله وهو مشعر بان الطلاق قبل المسيس مخير للزوج اي بعده مخيرا من التشطير والاكمال وليس التشطير لازما للطلاق وهذا الاشعار انما يكون لو كان الاستثناء متصلا فلا يكون الواجب النصف في هذا الوقت بل الكل لكن لا يخفى ان كون قوله الا ان يعفون استثناء منقطعا لان كون الواجب النكاح النصف لا ينافي وقت عفوهن لانهن يسقطن الواجب وبذلك لا يخرج الواجب عن كونه واجبا فعطف قوله او يعفوا عليه يقتضي كونه استثناء منقطعا فلا يكون الطلاق مخيرا وبهذا ظهر ان تردد المحقق التفتازاني في كون الاستثناء متصلا او منقطعا ليس في محله عصام

قوله يوجد ٦٦٦ الاول وهو ان يكون المراد من الذي بيده عقدة النكاح هو الزوج ووجه الثاني انه لو خوطب الازواج بوجوه متعددة من قوله وان طلقتموهن الى قوله فنصف ما فرضتم كان الظاهر ان يكون خطابا وان تعفوا ايضا متوجها الى الازواج وذلك يستلزم ان يكون المراد بالعفو عفو الزوجات والا يعفو عنهم لما كان ما بقي المهر فملا كان اقرب الى التقوى بالنسبة الى عفو الولي لان عفو الزوج تفضل واحسان بايفاء القدر الزائد على ما وجب عليه بخلاف عفو الولي فان اسقاط حق الصغير ولا وجه لا يصال حق الغير فضلا عن ان يكون اقرب الى التقوى منه رحمه الله

٤٤٤ قوله وهو دليل على ان الجناح المنفي تبعة المهر يعني قوله تعالى وان طلقتموهن من قبل ان تمسوهن وقد فرضتم لهن فريضة فنصف ما فرضتم يدل على ان المراد من قوله تعالى لا جناح عليكم ان طلقتم النساء الخ نفي المهر عن النساء التي لم يفرض لهن المهر لا نفي الوزر من الطلاق ووجه دلالتها عليه ان النساء المفروض لهن المذكورة في الآية الثانية لما كانت قسيمة للمفوضة المذكورة في الآية الاولى كان حكمهما مخالفا لحكم المفروض لهن هاهنا ايجاب المهر فيكون حكم المفوضة التي هي قسيم لها في الآية الاولى نفي المهر لا الوزر فالآية الثانية تدل على ان المراد من الجناح في الآية الاولى هو تبعة المهر لا الوزر والوبال ومقصود البيضاوي رحمه الله بيان ذلك بناء على ان بعضهم ذهب الى ان المراد بالجناح المهر فاورد رحمه الله وقيل كان النبي عليه السلام الخ ففي قول المحشي شيخ زاده رحمه الله نظر حيث قال وجب ان يكون الجناح المنفي هناك هو المثبت هاهنا لان المنفي هناك [illegible] لزوم المهر كلا والمثبت هاهنا لزوم نصف المهر فالمثبت هناك غير ثابت هاهنا ولا دلالة عليه في كلام البيضاوي بل مراده ما بينا فقط مطالعة الفقير الحقير عفا الله عنه

والمستثنى منه محذوف اى لا تواعدوهن مواعدة الا مواعدة معروفة او الا مواعدة
بقول معروف وقيل انه استثناء منقطع من سرا وهو ضعيف لادائه الى قولك
لا تواعدوهن الا التعريض وهو غير موعود وفيه دليل حرمة تصريح خطبة
المعتدة وجواز تعريضها ان كانت معتدة وفاة واختلف فى معتدة الفراق
البائن والاظهر جوازه ولا تعزموا عقدة النكاح ذكر العزم مبالغة
فى النهى عن العقد اى ولا تعزموا عقد عقدة النكاح فان اصل العزم القطع حتى يبلغ
الكتاب اجله حتى ينتهى ما كتب من العدة واعلموا ان الله يعلم ما فى انفسكم
من العزم على ما لا يجوز فاحذروه ولا تعزموه واعلموا ان الله غفور لمن عزم
ولم يفعل خشية من الله حليم لا يعاجلكم بالعقوبة لا جناح عليكم لا
تبعة من مهر وقيل من وزر لانه لا بدعة فى الطلاق قبل المسيس وقيل
كان النبى صلعم يكثر النهى عن الطلاق فظن ان فيه حرجا فنفى ان طلقتم النساء ما لم
تمسوهن اى تجامعوهن وقرا الكسائى تماسوهن بضم التاء ومد الميم فى جميع
القرآن او تفرضوا لهن فريضة الا ان تفرضوا او حتى تفرضوا او وتفرضوا و
الفرض تسمية المهر وفريضة نصب على المفعول به فعيلة بمعنى مفعول والتاء لنقل
اللفظ من الوصفية الى الاسمية ويحتمل المصدر والمعنى انه لا تبعة على المطلق من مطالبة
المهر اذا كانت المطلقة غير ممسوسة ولم يسم لها مهرا اذ لو كانت ممسوسة
فعليه المسمى او مهر المثل ولو كانت غير ممسوسة ولكن سمى لها
فلها نصف المسمى فمنطوق الآية ينفى الوجوب فى الصورة
الاولى ومفهومها يقتضى الوجوب على الجملة فى الاخيرتين ومتعوهن عطف على مقدر اى
فطلقوهن ومتعوهن والحكمة فى ايجاب المتعة جبر ايحاش الطلاق وتقديرها
مفوض الى راى الحاكم ويؤيده قوله على الموسع قدره وعلى المقتر قدره
اى على كل من الذى له سعة ومن المقتر الضيق الحال ما يطيقه ويليق به ويدل عليه
قوله عليه السلام لانصارى طلق امراته المفوضة قبل ان يمسها متعها بقلنسوتك
وقال ابو حنيفة هى درع وملحفة وخمار على حسب الحال الا ان يقل مهر مثلها من
ذلك فلها نصف مهر المثل ومفهوم الآية يقتضى تخصيص ايجاب المتعة للمفوضة التى
لم يمسها الزوج والحق بها الشافعى فى احد قوليه الممسوسة المفوضة وغيرها قياسا
وهو مقدم على المفهوم وقرا حمزة وحفص وابن ذكوان بفتح الدال متاعا تمتيعا
بالمعروف بالوجه الذى يستحسنه الشرع والمروءة حقا صفة لمتاعا او مصدر مؤكد
اى حق ذلك حقا على المحسنين الذين يحسنون الى انفسهم بالمسارعة الى الامتثال
او الى المطلقات بالتمتيع وسماهم محسنين للمشارفة ترغيبا وتحريضا وان طلقتموهن
من قبل ان تمسوهن وقد فرضتم لهن فريضة فنصف ما فرضتم

قوله او مصدر موكد لمضمون الجملة المتقدمة فان مضمون ما قبله انهن يتربصن حولا فاكد ذلك بقوله غير اخراج الا انه ليس من قبيل التاكيد كما فى قوله على الف درهم اعترافا لان مضمون الجملة المتقدمة فيما نحن فيه هو استحقاقهن التمتع حولا كما يحتمل ان يكون بعدم اخراجهن من بيوتهن حولا يحتمل ان يكون بادرار النفقة عليهن فى تلك المدة فكان تاكيدا لغيره حيث دفع احتمال ان يكون التمتع بوجه آخر غير عدم الاخراج كما فى قولك زيد قائم حقا فان الجملة المتقدمة كان يحتمل الحقية وعدم الحقية فقولك حقا دفع احتمال عدم الحقية فكان تاكيدا لغيره وتقدير الآية يوصون متاعا الى الحول لا يخرجن غير اخراج كان تقدير قولك هذا القول غير ما تقول انه هو القول قوله غير ما تقول فان مضمون قولك هذا القول يحتمل ان يكون خلاف ما تقوله المخاطب وان يكون وفاقه فقولك غير ما تقول رفع احتمال كونه على وفاقه فكان تاكيدا لغيره منه رحمه

قوله قبل ان يحتضروا اشارة الى دفع ما يتوهم من انه تعالى ذكر وفاة الازواج ثم امرهم بالوصية والمتوفى كيف يوصى ووجه الدفع ان قوله والذين يتوفون من باب المجاز الاولى سمى المشارف الى الوفات متوفى تسمية الشيء باسم ما يؤول اليه والمتاع الوصية بعد الوفاة قرينة المجاز كانت عدة الوفاة فى ابتداء الاسلام حولا وكان يحرم على الوارث اخراجها من البيت قبل تمام الحول وكان نفقتها وسكناها واجبة فى مال زوجها فى تلك السنة ما لم تخرج ولم يكن لها الميراث فان خرجت من بيت زوجها سقطت نفقتها وكان على الرجل ان يوصى بها فكان كذلك حتى نزلت آية الميراث فنسخ الله سبحانه نفقة الحول بالربع والثمن ونسخ عدة الحول باربعة اشهر وعشرا منه رحمه

قوله او مصدر موكد اى او مصدر موكد لغيره كما دل عليه التمثيل المذكور لان هذا القول يحتمل ان يكون خلاف ما يقوله المخاطب وان يكون وفاقه فان المتاع يحتمل ان يكون عدم الاخراج وان يكون غيره والفعل المقدر لا يخرجن يحكونه غير اخراج بمعنى انتفاؤه هذا مضمون كلام العلامة التفتازانى ولا يخفى ما فيه من البعد والتكلف منه كازرونى

قوله بدل منه قال العلامة التفتازانى اى بدل اشتمال او بدل هذا اذا اريد بالمتاع جعل التمتع واما اذا قيل المتاع صادق على الاخراج بان يراد به اى بالمتاع ما يتمتع وينتفع والمراد بغير الاخراج السكنى كان بدل الكل لا بدل الاشتمال لان المبدل منه عام والبدل خاص فيكون كما اذا قيل لمن له خمس اخوة احد منهم زيد جاء اخوك زيد منه كازرونى

قوله واثبت المتعة للمطلقات جميعا لان لفظ المطلقات جمع محلى باللام فيستغرق جميع المطلقات بعد ما اوجبها لواحدة منهن وهى المطلقة قبل المسيس وفرض المهر ولما ورد ان يقال افراد بعض افراد العام بحكم يدل على كون حكم البعض الآخر بخلافه فيكون مفهوم الآية السابقة الواردة فى المطلقة قبل المسيس وقبل فرض المهر معارضا لمنطوق هذه الآية فكيف يجتمعان بل يجب ان يكون الآية الاولى مخصصة لعموم هذه الآية اجاب عنه بان القول بتخصيص هذا العام بالآية السابقة مبنى على القول بجواز تخصيص منطوق هذه الآية بمفهوم الآية السابقة والمفهوم لا يعارض المنطوق فكيف يخصصه فبقيت هذه الآية على عمومه سالما من المعارض ولذلك ذهب سعيد بن جبير الى ان المتعة واجبة لكل مطلقة واليه ذهب الشافعى بخلاف الحنفية فانهم لم يوجبوا الا للمطلقة لم توطأ ولم يسم لها مهر وجعلوها مستحبة لسائر المطلقات وحملوا الاستحقاق المدلول عليه بقوله تعالى للمطلقات متاع على ما يشمل الاستحقاق على سبيل الوجوب والاستحباب منه رحمه

لما ذكر حكم المفوضة اتبعه حكم قسيمها اي فلهن او فالواجب نصف ما فرضتم لهن
وهو دليل على ان الجناح المنفي ثم تبعة المهر وان لا متعة مع التشطير لانه قسيمها
الا ان يعفون اي المطلقات فلا ياخذن شيأ والصيغة يحتمل التذكير والتانيث
والفرق ان الواو في الاول ضمير والنون علامة الرفع وفي الثاني لام الفعل والنون
ضمير والفعل مبني ولذلك لم يؤثر فيه أن ههنا ونصب المعطوف عليه او يعفو
الذي بيده عقدة النكاح اي الزوج المالك لعقده وحله عما يعود اليه
بالتشطير فيسوق المهر اليها كاملا وهو مشعر بان الطلاق قبل المسيس
مخير للزوج غير مشطر بنفسه واليه ذهب بعض اصحابنا والحنفية وقيل الولي الذي
يلي عقد نكاحهن وذلك اذا كانت المرأة صغيرة وهو قول قديم للشافعي وان
تعفوا اقرب للتقوى يؤيد الوجه الاول وعفو الزوج على التخيير ظاهر وعلى الوجه الاخر
عبارة عن الزيادة على الحق وتسميتها عفوا اما على المشاكلة واما لانهم يسوقون المهر
الى النساء عند التزوج فمن طلق قبل المسيس استحق استرداد النصف فاذا لم يسترده
فقد عفا عنه وعن جبير بن مطعم انه تزوج امرأة فطلقها قبل الدخول فاكمل
لها الصداق وقال انا احق بالعفو ولا تنسوا الفضل بينكم اي ولا تنسوا ان يتفضل
بعضكم على بعض ان الله بما تعملون بصير لا يضيع تفضلكم واحسانكم حافظوا
على الصلوات بالاداء لوقتها والمداومة عليها ولعل الامر بها في تضاعيف احكام الاولاد
والازواج لئلا يلهيهم الاشتغال بشأنهم عنها والصلوة الوسطى اي الوسطى بينها
او الفضلى منها خصوصا وهي صلوة العصر لقوله عليه السلام يوم الاحزاب شغلونا
عن صلوة الوسطى صلوة العصر ملأ الله بيوتهم نارا وفضلها لكثرة اشتغال الناس
في وقتها واجتماع الملائكة وقيل صلوة الظهر لانها في وسط النهار وكانت اشق الصلوات
عليهم فكانت افضل لقوله عليه السلام افضل العبادات احمزها وقيل صلوة الفجر
لانها بين صلوتي النهار والليل والواقعة في الحد المشترك بينهما ولانها مشهودة
وقيل المغرب لانها المتوسطة بالعدد ووتر النهار وقيل العشاء لانها بين جهريتين
واقعتين طرفي الليل وعن عايشة انه عليه السلام كان يقرء والصلوة الوسطى وصلوة
العصر فتكون صلوة من الاربع خصت مع العصر بالذكر لانفرادهما بالفضل وقرئ
بالنصب على الاختصاص وقوموا لله في الصلوة قانتين ذاكرين له في القيام والقنوت
الذكر فيه وقيل خاشعين وقال ابن المسيب المراد به القنوت في الصبح فان خفتم
من عدو وغيره فرجالا او ركبانا فصلوا راجلين او راكبين ورجال جمع راجل
او رجل بمعناه كقائم وقيام وفيه دليل على وجوب الصلوة حال المسايفة واليه
ذهب الشافعي وقال ابو حنيفة لا يصلي حال المشي والمسايفة ما لم يمكن الوقوف فاذا
امنتم وزال خوفكم فاذكروا الله صلوا صلوة الامن او اشكروه على الامن كما

علمكم ذكرا مثل ما علمكم من الشرائع وكيفية الصلوة حالتي الخوف والامن او
شكرا يوازيه وما مصدرية او موصولة ما لم تكونوا تعلمون مفعول علمكم والذين
يتوفون منكم ويذرون ازواجا وصية لازواجهم قرأها بالنصب
ابو عمرو وابن عامر وحمزة وحفص عن عاصم على تقدير والذين يتوفون منكم يوصون
وصية او ليوصوا وصية او كتب الله عليهم وصية او الزم الذين يتوفون وصية
ويؤيد ذلك قراءة كتب عليكم الوصية لازواجكم متاعا الى الحول مكانه وقرأ
الباقون بالرفع على تقدير ووصية الذين يتوفون او وحكمهم وصية او والذين يتوفون
اهل وصية او كتب عليهم وصية او عليهم وصية وقرئ متاع بدلها متاعا الى
الحول نصب بيوصون ان اضمرت والا فبالوصية وبمتاع على قراءة من قرأ لانه
بمعنى التمتيع غير اخراج بدل منه او مصدر مؤكد كقولك هذا القول غير ما تقول او حال
من ازواجهم اي غير مخرجات والمعنى انه يجب على الذين يتوفون ان يوصوا قبل ان
يحتضروا لازواجهم بان يمتعن بعدهم حولا بالسكنى وكان ذلك في اول الاسلام ثم نسخت
المدة بقوله اربعة اشهر وعشرا وهو وان كان متقدما في التلاوة فهو متاخر في النزول
وسقطت النفقة بتوريثها الربع او الثمن والسكنى لها بعد ثابتة عندنا خلافا للحنفية
فان خرجن عن منزل الازواج فلا جناح عليكم ايها الائمة فيما فعلن في انفسهن
كالتطيب وترك الحداد من معروف مما لم ينكره الشرع وهذا يدل على انه لم يكن
يجب عليها ملازمة مسكن الزوج والحداد عليه وانما كانت مخيرة بين الملازمة
واخذ النفقة وبين الخروج وتركها والله عزيز ينتقم ممن خالفه منهم حكيم راعى
مصالحهم وللمطلقات متاع بالمعروف حقا على المتقين اثبت المتعة للمطلقات جميعا
بعدما اوجبها لواحدة منهن وافراد بعض العام بالحكم لا يخصصه الا اذا جوزنا تخصيص
المنطوق بالمفهوم ولذلك اوجبها ابن جبير لكل مطلقة واول غيره بما يعم التمتيع الواجب والمستحب وقيل
المراد بالمتاع نفقة العدة ويجوز ان يكون اللام للعهد والتكرير للتاكيد او لتكرر القصة
كذلك اشارة الى ما سبق من احكام الطلاق والعدد يبين الله لكم آياته وعد بانه سيبين
لعباده من الدلائل والاحكام ما يحتاجون اليه معاشا ومعادا لعلكم تعقلون تفهمونها
فتستعملون العقل فيها الم تر تعجيب وتقرير لمن سمع بقصتهم من اهل الكتاب وارباب التواريخ
وقد يخاطب به من لم ير ولم يسمع فانه صار مثلا في التعجب الى الذين خرجوا من ديارهم
يريد اهل داوردان قرية قبل واسط وقع فيهم طاعون فخرجوا هاربين فاماتهم الله
ثم احياهم ليعتبروا ويتيقنوا ان لا مفر من قضاء الله وقدره او قوما من بني اسرائيل
دعاهم ملكهم الى الجهاد ففروا حذر الموت فاماتهم الله ثمانية ايام ثم احياهم وهم
الوف اي الوف كثيرة قيل عشرة وقيل ثلثون وقيل سبعون وقيل متالفون جمع
آلف او آلف كقاعد وقعود والواو للحال حذر الموت مفعول له فقال لهم الله موتوا

اى قال لهم موتوا فماتوا كقوله كن فيكون والمعنى انهم ماتوا ميتة رجل واحد من غير علة بامر الله ومشيئته وقيل ناداهم به ملك وانما اسند الى الله تعالى تخويفا وتهويلا

ثم احياهم قيل مر حزقيل عليه السلام على اهل داوردان وقد عريت عظامهم وتفرقت اوصالهم فتعجب من ذلك فاوحى اليه ناد فيهم ان قوموا باذن الله فنادى فقاموا يقولون سبحانك اللهم وبحمدك لا اله الا انت وفائدة القصة تشجيع المسلمين على الجهاد والتعرض للشهادة وحثهم على التوكل والاستسلام للقضاء ان الله لذو فضل على الناس حيث احياهم ليعتبروا ويفوزوا وقص عليكم حالهم لتستبصروا ولكن اكثر الناس لا يشكرون اى لا يشكرونه كما ينبغى ويجوز ان يراد بالشكر الاعتبار والاستبصار وقاتلوا فى سبيل الله لما بين ان الفرار عن الموت غير مخلص وان المقدر لا محالة واقع امرهم بالقتال اذ لو جاء اجلهم ففى سبيل الله والا فالنصر والثواب واعلموا ان الله سميع لما يقوله المتخلف والسابق عليم بما يضمرانه وهو من وراء الجزاء من ذا الذى يقرض الله من استفهامية مرفوعة الموضع بالابتداء وذا خبره والذى صفة ذا او بدل له واقراض الله مثل لتقديم العمل الذى يطلب به ثوابه قرضا حسنا اقراضا حسنا مقرونا بالاخلاص وطيب النفس او مقرضا حلالا طيبا وقيل القرض الحسن المجاهدة والانفاق فى سبيل الله فيضاعفه له فيضاعف جزاءه اخرجه على صورة المغالبة للمبالغة وقرا عاصم بالنصب على جواب الاستفهام حملا على المعنى فان من ذا الذى يقرض الله فى معنى ايقرض الله احد وقرا ابن كثير فيضعفه بالرفع والتشديد وابن عامر ويعقوب بالنصب اضعافا كثيرة كثرة لا يقدرها الا الله وقيل الواحد بسبعمائة واضعافا جمع ضعف ونصبه على الحال من الضمير المنصوب او المفعول الثانى لتضمن المضاعفة معنى التصيير او المصدر على ان الضعف اسم المصدر وجمعه للتنويع والله يقبض ويبسط يقتر على بعض ويوسع على بعض حسبما اقتضت حكمته فلا تبخلوا عليه بما وسع عليكم كى لا يبدل حالكم واليه ترجعون فيجازيكم على ما قدمتم الم تر الى الملا من بنى اسرائيل الملا جماعة يجتمعون للتشاور ولا واحد له كالقوم ومن للتبعيض من بعد موسى اى من بعد وفاته ومن للابتداء اذ قالوا لنبى لهم هو يوشع او شمعون او اشمويل ابعث لنا ملكا نقاتل فى سبيل الله اقم لنا اميرا ننهض معه للقتال يدبر امرنا ونصدر فيه عن رايه وجزم نقاتل على الجواب وقرئ بالرفع على انه حال اى ابعثه لنا مقدرين القتال ويقاتل بالياء مجزوما ومرفوعا على الجواب والوصف لملكا قال هل عسيتم ان كتب عليكم القتال الا تقاتلوا فصل بين عسى وخبره بالشرط والمعنى اتوقع جبنكم عن القتال ان كتب عليكم فادخل هل على فعل التوقع مستفهما عما هو المتوقع عنده تقريرا

67 لو اخرجه على سبيل المبالغة كان ما فعل على سبيل المعارضة والمغالبة يكون احسن والحمل على ما فعل بلا معارض الضعف والاضعاف والمضاعفة واحد وهو الزيادة على اصل الشىء حتى يصير مثلين او اكثر ... اى الذى هو الفعل وذكر الانتصاب اضعافا ... ونصبه على الحال ... وهو المضاعف بمعنى التضعيف كما اطلق العطاء ... اى كان بمعنى التضعيف ... يختلف باعتبار اختلاف الاشخاص واختلاف انواع المعرض واختلاف انواع الجزاء

اقراضا حسنا

اقراض الله مثل لتقديم العمل الذى يطلب به ثوابه تشبيها باعطاء العين ليقبض ويطلب بدله ... والقرض قد يطلق بمعناه وبمعنى ذلك المال المعطى ... فيكون مفعولا به اى من ذا الذى يجاهد فى سبيل الله ... ان حمل القرض على النفقة والاقراض على الانفاق اقرب ... لكن جوز الحمل على الجهاد لكونه ما قبله وما بعده حديث الجهاد والقتال

والمعنى اتوقع جبنكم عن القتال اى معنى عسيتم ... جبنا عنه ثم ان حرف الاستفهام لما دخل على فعل التوقع ... وتقريرا الى المتوقع وتثبيته ... الكلام وقرائن المقام عليه ... الاستفهام التقرير بمعنى التثبيت للمتوقع ... بهذه الجملة ... وجملة وقد اخرجنا ... فى محل النصب على انها حال ...

والمعنى بل الامر كما توقعه كما صرح فى ان الاستفهام عن المتوقع على ما صرح به فى قوله فادخل هل مستفهما عما هو متوقع عنده ... وبمعنى الاستفهام التقرير بمعنى التثبيت للمتوقع ... ان يكون الاستفهام عما دخله حرف الاستفهام وهو هنا التوقع والظن ... قلت لا خفاء فى ان ... مقرر بمجرد دلالة الكلام والتحقيق انه لما كان المقصود مضمون الخبر كانت القيود من الاستفهام والتوقع ... دون الجزم ثم بكونه مستفهما عنه للتقرير بل اذا تحققت فالشرط ايضا عنى ان كتب عليكم القتال ...

اراد ان عسيتم ان لا تقاتلوا والشرط فاصل بينهما والمعنى بل قاربتم ان لا تقاتلوا ... وارادوا بالاستفهام تقرير وتثبيت ان المتوقع كائن وانه صائب فى توقعه ... فادخل هل على فعل التوقع مستفهما عما هو المتوقع ... افتقدا بالكشاف ... فالوجه ان يجعل الاستفهام للتقرير ... وعقب التقرير بالتثبيت ... هو ان يقع ...

او مستفهما عما هو المتوقع عنده ... عما هو المتوقع عنده ... هل لا تقاتلوا ان كتب عليكم القتال ... من كلامه معنى التركيب فانه لما دخل هل على عسى لا يدل ... وهو المستفاد من كلامه

وتنبيها قرأ نافع عسيتم بكسر السين قالوا وما لنا ألا نقاتل في سبيل الله
وقد أخرجنا من ديارنا وأبنائنا اي غرض لنا في ترك القتال وقد عرض
لنا ما يوجبه ويحث عليه من الاخراج عن الاوطان والافراد عن الاولاد وذلك
ان جالوت ومن معه من العمالقة كانوا يسكنون ساحل بحر الروم
بين مصر وفلسطين وظهروا على بني اسرائيل فاخذوا ديارهم وسبوا اولادهم
واسروا من ابناء الملوك اربعمائة واربعين فلما كتب عليهم القتال تولوا
الا قليلا منهم ثلثمائة وثلثة عشر بعدد اهل بدر والله عليم بالظالمين
وعيد لهم على ظلمهم في ترك الجهاد وقال لهم نبيهم ان الله قد بعث لكم
طالوت ملكا طالوت علم عبري كداود وجعله فعلوتا من الطول تعسف
يدفعه منع صرفه روي ان النبي صلعم لما دعا الله ان يملكهم اتي بعصا يقاس
بها من يملك عليهم فلم يساوها الا طالوت قالوا انى يكون له الملك علينا
من اين يكون له ذلك ويستاهل ونحن احق بالملك منه ولم يؤت سعة من
المال والحال انا احق منه بالملك وراثة ومكنة وانه فقير لا مال له يتعضد به وانما
قالوا ذلك لان طالوت كان فقيرا راعيا او سقاء او دباغا من اولاد ابن يامين ولم
يكن فيه النبوة والملك وانما كانت النبوة في اولاد لاوي بن يعقوب والملك في اولاد
يهوذا وكان فيهم من السبطين خلق قال ان الله اصطفاه عليكم وزاده بسطة
في العلم والجسم والله يؤتي ملكه من يشاء والله واسع عليم لما استبعدوا تملكه
لفقره وسقوط نسبه رد عليهم ذلك اولا بان العمدة فيه اصطفاء الله وقد اختاره
عليكم وهو اعلم بالمصالح منكم وثانيا بان الشرط فيه وفور العلم ليتمكن به من معرفة
الامور السياسية وجسامة البدن ليكون اعظم خطرا في القلوب واقوى على مقاومة
العدو ومكابدة الحروب لا ما ذكرتم وقد زاده الله فيهما وكان الرجل القائم يمد يده
فينال راسه وثالثا بانه تعالى مالك الملك على الاطلاق فله ان يؤتيه من يشاء
ورابعا بانه واسع الفضل يوسع على الفقير ويغنيه عليم بمن يليق بالملك من النسيب
وغيره وقال لهم نبيهم لما طلبوا منه حجة على انه سبحانه اصطفى طالوت وملكه
عليهم ان آية ملكه ان يأتيكم التابوت الصندوق فعلوت من التوب
فانه لا يزال يرجع اليه ما يخرج منه وليس بفاعول لقلة نحو سلس وقلق ومن قرأه
بالهاء فلعله ابدله منه كما ابدل من تاء التانيث لاشتراكهما في الهمس والزيادة
يريد به صندوق التورية وكان من خشب الشمشاد مموها بالذهب نحوا من ثلثة
اذرع في ذراعين فيه سكينة من ربكم الضمير فيه للاتيان اي في اتيانه
سكون لكم وطمانينة او للتابوت اي مودع فيه ما تسكنون اليه وهو التورية
وكان موسى عليه السلام اذا قاتل قدمه فتسكن نفوس بني اسرائيل ولا يفرون وقيل صورة

قوله هل عسيتم ان كتب عليكم القتال ان لا تقاتلوا علم اولا ان معنى لفظة عسى قبل ان يدخل عليه هل الاستفهامية
توقع المتكلم لمضمون الخبر وهو ههنا ان تركهم القتال وقعنا وقيل دخوله عليه تردد مظنون ومتوقع وما يقول بورده
مقابله اي اتم اي ان كتب عليكم القتال اي ان فرض مثلا ان فيه خطاب المدوب هل عسيتم اي تكونون عالما
ويمكن متوقع وما يقول ... عالم او لو ... اي ... تحقيقه ان عسى كلمة ... عالما لفظه
بنفس توقع عسى ... وتحقيقه ان حرف الاستفهام ههنا لما دخل على فعل التوقع اعني كلمة عسى الموضوعة
لتوقع المتكلم لمضمون الخبر كما قال المحقق التفتازاني رحمه الله ان مدلول عسى التوقع والرجاء المتكلم وقال ابن الشيخ رحمه
ان مدلول عسى توقع [redacted] المتكلم لمضمون الخبر يرجع الاستفهام الى نفس التوقع المدلول لحرف الاستفهام
لان القياس والقاعدة المقررة انه اذا دخل حرف الاستفهام على شيء يرجع الاستفهام الى مدخوله لا الى التوقع
الذي هو مضمون الخبر اعني عدم القتال لكن رجوع الاستفهام [redacted] في الآية الكريمة الى التوقع لما لم يكن له معنى
ولا يكون مستفهما كما قال الشيخ لانه لا معنى لاستفهام المتكلم عن توقع نفسه ولو على سبيل التقرير فتعين ان يكون هل
للاستفهام عما هو متوقع عنده وهو ان لا تقاتلوا والمراد من الاستفهام معنى التقرير وتثبيت المتوقع بانه كائن
لا اصل معناه الموضوع له الشايع في الاستعمال اعني حمل المخاطب على الاقرار كما قال السعد ان معنى الاستفهام
ههنا التقرير بمعنى التثبيت للمتوقع وان كان الشايع في الاستعمال هو الحمل على الاقرار فادخل هل على الفعل التوقع
اعني كلمة عسى مستفهما عما هو متوقع عند المتكلم ومضمونه والمراد من الاستفهام تقرير وتثبيت ان المتوقع كائن
وان المتكلم صائب في توقعه كقوله تعالى هل اتى على الانسان حين الخ قال الكشاف معنى هل عسيتم هل قاربتم ان لا تقاتلوا
يعني هل الامر كما توقعه انكم لا تقاتلون واراد بالاستفهام تقرير وتثبيت ان المتوقع كائن كقوله تعالى هل اتى اي قد اتى الخ انتهى
وانت عرفت مما مر ان لفظة هل ليس سؤالا بها عن الحال واذا اريد بالاستفهام التقرير والتثبيت يكون المعنى
هل حالكم ما توقعه واظن انكم لا تقاتلون وعدم مقاتلتكم متقرر وثابت والمراد بهذا الاستفهام بيان ان عدم مقاتلتهم
ثابت ومتقرر وكائن عند المخاطب كما قال بعض الحواشي ان الاستفهام عن المتوقع والمعنى ليس الا حالكم
هل هو ما توقعته انكم لا تقاتلون ولما كان الاستفهام على سبيل التقرير يكون المراد ان المتوقع كائن قال ابو السعود رحمه
معناه هل قاربتم ان لا تقاتلوا كما اتوقعه منكم والمراد تقرير ان المتوقع كائن[٧] من العصر يحكي على هذا السؤال الشيخ والبيان
وللمفسرين حيث الاستفهام تقرير ... [٧]
قال العصام انه اعترض على قول السعد ان الاستفهام من التوقع ليس له معنى ولا وجه له حيث قال العصام فالوجه
ان يجعل الاستفهام لتقرير توقعه بمعنى ان توقعه انما هو في محله وعلى ما ينبغي حرر الفقير ...

كانت فيه من زبرجد او ياقوت لها رأس وذنب كرأس الهرة وذنبها وجناحان
فتئن فيزف التابوت نحو العدو وهم يتبعونه فاذا استقر ثبتوا وسكنوا
ونزل النصر وقيل صور الانبياء من آدم الى محمد صلعم وقيل التابوت هو
القلب والسكينة ما فيه من العلم والاخلاص واتيانه مصير قلبه مقر العلم و
الوقار بعد ان لم يكن **وبقية مما ترك آل موسى وآل هرون** رضاض الالواح
وعصا موسى وثيابه وعمامة هرون وآلهما ابناؤهما او انفسهما والآل مقحم
لتفخيم شأنهما او انبياء بني اسرائيل لانهم ابناء عمهما **تحمله الملائكة** قيل
رفعه الله بعد موسى فنزلت به الملائكة وهم ينظرون اليه وقيل كان
بعده مع انبيائهم يستفتحون به حتى افسدوا فغلبهم الكفار عليه وكان في
ارض جالوت الى ان ملك الله طالوت فاصابهم بلاء حتى هلكت خمس
مدائن فتشاءموا بالتابوت فوضعوه على ثورين فساقتهما الملائكة الى طالوت
ان في ذلك لآية لكم ان كنتم مؤمنين يحتمل ان يكون من تمام كلام
النبي صلعم وان يكون ابتداء خطاب من الله **فلما فصل طالوت بالجنود**
انفصل بهم عن بلده لقتال العمالقة واصله فصل نفسه عنه ولكن لما كثر حذف
مفعوله صار كاللازم روي انه قال لهم لا يخرج معي الا الشاب النشيط الفارغ
فاجتمع اليه ممن اختار ثمانون الفا وكان الوقت قيظا فسلكوا مفازة وسألوا
ان يجري الله لهم نهرا **قال ان الله مبتليكم بنهر** معاملكم معاملة المختبر
بما اقترحتموه **فمن شرب منه فليس مني** فليس من اشياعي او ليس بمتحد معي **ومن
لم يطعمه فانه مني** اي من لم يذقه من طعم الشيء اذا ذاقه مأكولا او مشروبا
قال وان شئت لم اطعم نقاخا ولا بردا وانما علم ذلك بالوحي ان كان
نبيا كما قيل او باخبار النبي صلعم **الا من اغترف غرفة بيده** استثناء
من قوله فمن شرب وانما قدمت عليه الجملة الثانية للعناية بها كما قدم
الصابئون على الخبر في قوله ان الذين امنوا والذين هادوا والمعنى الرخصة في القليل
دون الكثير وقرأ ابن عامر والكوفيون بضم الغين **فشربوا منه الا قليلا منهم**
اي فكرعوا فيه اذ الاصل في الشرب منه ان لا يكون بوسط وتعميم الاول ليتصل
الاستثناء او افرطوا في الشرب الا قليلا منهم وقرئ بالرفع حملا على المعنى فان قوله
فشربوا منه في معنى فلم يطيعوه والقليل كانوا ثلثمائة وثلثة عشر رجلا وقيل
الفا وقيل ... روي ان من اقتصر على الغرفة كفته لشربه واداوته ومن
لم يقتصر غلبه عطشه واسودت شفته ولم يقدر ان يمضي وهكذا الدنيا لقاصد
الاخرة **فلما جاوزه هو والذين آمنوا معه** اي القليل الذين لم يخالفوه **قالوا**
اي بعضهم لبعض **لا طاقة لنا اليوم بجالوت وجنوده** لكثرتهم وقوتهم

قال الذين يظنون انهم ملاقوا الله اي قال الخلص منهم الذين تيقنوا لقاء الله
وتوقعوا ثوابه او علموا انهم يستشهدون عما قريب فيلقون الله وقيل هم القليل
الذين ثبتوا معه والضمير في قالوا للكثير المنخزلين عنه اعتذارا في التخلف وتخذيلا
للقليل وكانهم تقاولوا به والنهر بينهما **كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله**
بحكمه وتيسيره وكم تحتمل الخبر والاستفهام ومن مبينة او مزيدة والفئة الفرقة
من الناس من فأوت رأسه اذا شققته او من فاء اذا رجع فوزنها فعة او فلة
والله مع الصابرين بالنصر والاثابة **ولما برزوا لجالوت وجنوده** اي ظهروا لهم
ودنوا منهم **قالوا ربنا افرغ علينا صبرا وثبت اقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين**
التجأوا الى الله بالدعاء وفيه ترتيب بليغ اذ سألوا اولا افراغ الصبر في قلوبهم الذي
هو ملاك الامر ثم ثبات القدم في مداحض الحرب المسبب عنه ثم النصر على العدو
المترتب عليهما غالبا **فهزموهم باذن الله** فكسروهم بنصره او مصاحبين لنصره اياهم
اجابة لدعائهم **وقتل داود جالوت** قيل كان ايشى في عسكر طالوت معه
ستة من بنيه وكان داود سابعهم وكان صغيرا يرعى الغنم فاوحى الله الى نبيهم
انه الذي يقتل جالوت فطلبه من ابيه فجاء وقد كلمه في الطريق ثلثة احجار وقالت له
انك بنا تقتل جالوت فحملها في مخلاته ورماه بها فقتله ثم زوجه طالوت بنته **و
آتاه الله الملك** اي ملك بني اسرائيل ولم يجتمعوا قبل داود على ملك **والحكمة** النبوة **و
علمه مما يشاء** كالسرد وكلام الدواب والطير **ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض
لفسدت الارض ولكن الله ذو فضل على العالمين** اي ولولا انه تعالى يدفع بعض الناس
ببعض وينصر المسلمين على الكفار ويكف بهم فسادهم لغلبوا وافسدوا في الارض
او لفسدت الارض بشؤمهم وقرأ نافع هنا وفي الحج دفاع الله **تلك آيات الله** اشارة
الى ما قص من حديث الالوف وتمليك طالوت واتيان التابوت وانهزام الجبابرة
وقتل داود جالوت **نتلوها عليك بالحق** اي بالوجه المطابق الذي لا يشك فيه
اهل الكتاب وارباب التواريخ **وانك لمن المرسلين** لما اخبرت بها من غير تعرف
واستماع **تلك الرسل** اشارة الى الجماعة المذكورة قصصها في السورة او المعلومة
للرسول او جماعة الرسل واللام للاستغراق **فضلنا بعضهم على بعض** بان خصصناه
بمنقبة ليست لغيره **منهم من كلم الله** تفضيل له وهو موسى وقيل موسى ومحمد عليهما
كلم موسى ليلة الحيرة وفي الطور ومحمدا ليلة المعراج حين كان قاب قوسين او ادنى
وبينهما بون بعيد وقرئ كلم الله وكالم الله بالنصب فانه كلم الله كما ان الله كلمه
ولذلك قيل كليم الله بمعنى مكالمه **ورفع بعضهم درجات** بان فضله على غيره
من وجوه متعددة وبمراتب متباعدة وهو محمد صلعم فانه خص بالدعوة العامة
والحجج المتكاثرة والمعجزات المستمرة والآيات المتعاقبة بتعاقب الدهر والفضائل العلمية والعملية

لكونه حيا قيوما فان من اخذه نعاس او نوم كان ناقص الحيوة قاصرا في الحفظ والتدبير
ولذلك ترك العاطف فيه وفي الجملة التي بعده له ما في السموات وما في الارض تقريرا

69

قوله تعالى والكافرون هم الظالمون قال الكشاف جعل عطف على التغليظ يعني عبر عن تارك الزكوة بالكافر تغليظا عليهم من حيث انه شبه فعلهم الذي هو ترك الزكوة بالكفر او جعل اشارة الى الكفر او تعبيرا باللازم عن الملزوم حيث جعل ترك الزكوة في موضع آخر من صفات الكفار ولو اريد بهم نفوا لحمل على الاول استعارة تبعية او مجازا مرسلا وعلى الثاني كناية او مجازا لمزوم

قوله تعالى ولكن اختلفوا استدراك مما اشير اليه اشارة الى قياس استثنائي مؤلف من وضع نقيض مقدمها منتج لنقيض تاليها الا انه قد وضع فيه الاختلاف موضع نقيض المقدم المترتب عليه للايذان بان الاقتتال ناشئ من قبلهم لا من جهته تعالى ابتداء كانه قيل ولكن لم يشأ عدم اقتتالهم لانهم اختلفوا اختلافا فاحشا ولو شاء الله ما اقتتلوا لما ان الكل تحت ملكوته تعالى فالتكرير ليس للتأكيد كما ظن بل للتنبيه على ان اختلافهم ذلك ليس موجبا لعدم مشيئته تعالى لعدم اقتتالهم كما يفهم ذلك من وضعه في الاستدراك موضعه بل هو سبحانه مختار في ذلك حتى لو شاء بعد ذلك عدم اقتتالهم ما اقتتلوا كما يفصح عنه الاستدراك بقوله عز وجل ولكن الله يفعل ما يريد اي من الامور الوجودية والعدمية التي من جملتها عدم مشيئته عدم اقتتالهم فان الترك ايضا من جملة الافعال اي يفعل ما يريد من غير ان يوجبه عليه موجب او يمنعه منه مانع وفيه دليل بين على ان الحوادث تابعة لمشيئته تعالى خيرا كان او شرا ايمانا كان او كفرا

من تفسير ابو السعود رحمه الله

قوله الذي يصح ان يعلم اعترض عليه الفاضل رحمه الله بانه لا يصدق على الحيوانات العجم ويمكن دفعه بان عدم صحة العلم في الحيوان ممنوع لم لا يجوز ان يكون عدم العلم فيه لمانع

قوله وللنحاة خلاف ذهب اهل الحجاز الى انه لا بد للا التي لنفي الجنس من خبر مذكور مثل لا غلام رجل ظريف او مقدر نحو لا اله الا الله اي لا اله في الوجود الا الله وذهب بنو تميم الى عدم اثبات الخبر لها لفظا ولا تقديرا والحي في اللغة من له الحياة وهي صفة تخالف الموت وتقتضي الحس والحركة واذا وصف عز شأنه بها وقيل انه حي كان معناه الدائم الذي لم يزل ولا يزال ولا يصح عليه الموت والمتكلمون فسروا المعنى المراد بالحي في حقه تعالى بالذي يصح ان يعلم ويقدر القيوم فيعول من قام بالامر اذا دبره مبالغة القائم فانه تعالى دائم القيام على كل شيء بتدبير امره في انشائه وترزيقه وتبليغه الى كماله اللائق به وحفظه واصله قيووم اجتمعت الواو والياء وسبقت احديهما بالسكون فقلبت الواو ياء وادغمت الياء في الياء فصار قيوما قيل الحي القيوم اسم الله الاعظم وقيل ان عيسى عليه السلام كان اذا اراد ان يحيي الموتى يدعو بهذا الدعاء يا حي يا قيوم ويقال هو دعاء اهل البحر اذا خافوا الغرق يا حي يا قيوم وعن علي بن ابي طالب كرم الله وجهه لما كان يوم بدر جئت انظر ما يصنع النبي صلى الله عليه وسلم فاذا هو ساجد يقول يا حي يا قيوم فترددت مرات وهو على حاله لا يزيد على ذلك الى ان فتح الله تعالى له وهذا يدل على عظمة هذا الاسم ثم انه تعالى لما بين انه حي قيوم اكد ذلك بقوله لا تأخذه سنة ولا نوم له ما في السموات وما في الارض لان من كان قائما بذاته ومقوما لكل الممكنات لزمه ان لا يغفل ولا يفتر عن تدبير امر الكائنات وحفظها واثبات اللازم يؤكد ثبوت الملزوم فكان قوله لا تأخذه سنة ولا نوم مؤكدا لما قبله وان من كان جميع ما سواه بحيث لا يتقوم بشيء مما سواه ولا يتكون ولا يبلغ كماله الا بتكوينه وتقويمه وتدبيره لزم ان يكون كل ما سواه ملكا له فكان قوله له ما في السموات وما في الارض مؤكدا له ايضا

من حضرة الشيخ رحمه الله

قوله وتقديم السنة وقياس المبالغة عكسه لانه في صورة الاثبات اذا اريد المبالغة يقدم الاضعف فيقال شجاع باسل وفي صورة النفي بعكس فيقال ليس بباسل بل ليس بشجاع ولا يقال ليس بشجاع بل ليس بباسل واعلم ان تقديم السنة على النوم يفيد المبالغة من حيث ان نفي السنة يدل على نفي النوم فنفيه ثانيا صريحا يفيد المبالغة من كازروني

قال الكشاف قوله تعالى الحي اي الباقي تفسير ذلك بان المراد بالحي في حق الباري ما يناسب اللغة فالحي ذو الحياة لا بمعنى القوة المقتضية للحس والحركة ولما اتفقوا على الباري تعالى حي فسر المتكلمون الحي بالذي يصح ان يعلم ويقدر ليصدق على الباري لكن في صدقه على غير ذوي العلم من الحيوانات نظر

الغاية للحصر والابهام لتفخيم شأنه كأنه العلم المتعين لهذا الوصف المستغني عن التعيين
وقيل ابراهيم خصصه بالخلة التي هي اعلى المراتب وقيل ادريس لقوله تعالى
ورفعناه مكانا عليا وقيل اولو العزم من الرسل وآتينا عيسى ابن مريم البينات
وايدناه بروح القدس خصه بالتعيين لافراط اليهود والنصارى في تحقيره
وتعظيمه وجعل معجزاته سبب تفضيله لانها آيات واضحة ومعجزات عظيمة
لم يستجمعها غيره ولو شاء الله هدى الناس جميعا ما اقتتل الذين من بعدهم
من بعد الرسل من بعد ما جاءتهم البينات المعجزات الواضحات لاختلافهم
في الدين وتضليل بعضهم بعضا ولكن اختلفوا فمنهم من آمن بتوفيقه
التزام دين الانبياء تفضلا ومنهم من كفر لاعراضه عنه بخذلانه ولو شاء الله ما اقتتلوا
كرره للتأكيد ولكن الله يفعل ما يريد فيوفق من يشاء فضلا ويخذل من يشاء
عدلا والآية دليل على ان الانبياء متفاوتة الاقدام وانه يجوز تفضيل بعضهم
على بعض ولكن بقاطع لان اعتبار الظن فيما يتعلق بالعمل وان الحوادث بيد الله تابعة
لمشيئته خيرا كان او شرا ايمانا او كفرا يا ايها الذين آمنوا انفقوا مما رزقناكم
ما اوجبت عليكم انفاقه من قبل ان يأتي يوم لا بيع فيه ولا خلة ولا شفاعة
من قبل ان يأتي يوم لا تقدرون على تدارك ما فرطتم والخلاص من عذابه
اذ لا بيع فيه فتحصلون ما تنفقونه او تفتدون به من العذاب ولا خلة حتى
يعينكم عليه اخلاؤكم او يسامحوكم به ولا شفاعة الا لمن اذن له الرحمن ورضي
له قولا حتى تتكلوا على شفعاء تشفع لكم في حط ما في ذممكم وانما رفعت ثلاثتها
مع قصد التعميم لانها في التقدير جواب هل فيه بيع او خلة او شفاعة وقد فتحها
ابن كثير وابو عمرو ويعقوب على الاصل والكافرون هم الظالمون يريد والتاركون
للزكوة الذين ظلموا انفسهم او وضعوا المال في غير موضعه وصرفوه على غير وجهه
فوضع الكافرون موضعه تغليظا وتهديدا كقوله ومن كفر مكان من لم يحج وايذانا بان ترك
الزكوة من صفات الكفار لقوله وويل للمشركين الذين لا يؤتون الزكوة
الله لا اله الا هو مبتدأ وخبر والمعنى انه المستحق للعبادة لا غير وللنحاة خلاف في انه
هل يضمر للا خبر مثل في الوجود او يصح ان يوجد الحي الذي يصح ان يعلم ويقدر وكل
ما يصح له فهو واجب لا يزول لامتناعه عن القوة والامكان القيوم الدائم القيام بتدبير
الخلق وحفظه فيعول من قام بالامر اذا حفظه وقرئ القيام والقيم لا تأخذه سنة
ولا نوم السنة فتور يتقدم النوم قال ابن الرقاع وسنان اقصده النعاس فرنقت
في عينه سنة وليس بنائم والنوم حال يعرض للحيوان من استرخاء اعصاب الدماغ
من رطوبات الابخرة المتصاعدة بحيث تقف الحواس الظاهرة عن الاحساس رأسا
وتقديم السنة عليه وقياس المبالغة عكسه على ترتيب الوجود والجملة نفي للتشبيه وتأكيد

قوله تعالى والكافرون هم الظالمون قال الكشاف جعل عطف على تغليظ يعني عبر عن تارك الزكوة بالكافر تغليظا عليهم بحيث انه شبه فعلهم الذي هو ترك الزكوة بالكفر او فعل بشارة الكفر او تعبيرا باللازم من الملزوم حيث جعل ترك الزكوة في موضع اخر من صفات الكفار ولوازمهم او مع تلك الاول استعارة تبعية او مجاز مرسل او على الكناية او مجاز لمزوم

قوله تعالى ولكن اختلفوا استدراك من الشرطية اشير الى قياس استثنائي مؤلف من وضع نقيض مقدمها منتج لنقيض تاليها الا انه قد وضع فيه الاختلاف موضع نقيض المقدم المترتب عليه للايذان بان الاقتتال ناشئ من قبلهم لا من جهته تعالى ابتداء كانه قيل ولكن لم يشأ عدم اقتتالهم لانهم اختلفوا اختلافا فاحشا ولو شاء الله ما اقتتلوا لما ان الكل تحت ملكوته تعالى فالتكرير ليس للتأكيد كما ظن بل للتنبيه على ان اختلافهم ذلك ليس موجبا لعدم مشيئته تعالى لعدم اقتتالهم كما فهم ذلك من وضعه في الاستدراك موضعه بل هو سبب اختياري في ذلك حتى لو شاء بعد ذلك عدم اقتتالهم ما اقتتلوا كما ينفصح عنه الاستدراك بقوله عز وجل ولكن الله يفعل ما يريد اي من الامور الوجودية والعدمية التي من جملتها عدم مشيئته عدم اقتتالهم فان الترك ايضا من جملة الافعال اي يفعل ما يريد من غير ان يوجبه عليه موجب او يمنعه منه مانع وفيه دليل بين على ان الحوادث تابعة لمشيئته تعالى خيرا كان او شرا ايمانا كان او كفرا

من تفسير ابو السعود رحمه الله

قوله الذي يصح ان يعلم اعترض عليه الفاضل الرحمه الله بانه لا يصدق على الحيوانات العجم ويمكن دفعه بان عدم صحة العلم في الحيوان ممنوع لم لا يجوز ان يكون عدم العلم فيه لمانع تمت

قوله وللنحاة خلاف ذهب اهل الحجاز الى انه لا بد للا التي لنفي الجنس من خبر مذكور مثل لا غلام رجل ظريف او مقدر نحو لا اله الا الله اي لا اله في الوجود الا الله وذهب بنو تميم الى عدم اثبات الخبر بها لا لفظا ولا تقديرا والحي في اللغة من له الحياة وهي صفة تخالف الموت ويقتضي الحس والحركة واذا وصف سبحانه بها قيل الحي كان معناه الدائم الذي لم يزل ولا يزال ولا يصح عليه الموت والمتكلمون فسروا المعنى المراد بالحي في حقه تعالى بالذي يصح ان يعلم ويقدر القيوم فيعول من قام بالامر اذا دبره مبالغة القائم فانه تعالى دائم القيام على كل شيء بتدبير امره في انشائه وترزيقه وتبليغه الى كماله اللائق به وحفظه واصله قيووم اجتمعت الواو والياء وسبقت احديهما بالسكون فقلبت الواو ياء وادغمت الياء في الياء فصار قيوما قيل الحي القيوم اسم الله الاعظم وقيل ان عيسى عليه السلام كان اذا اراد ان يحيي الموتى دعا بهذا الدعاء يا حي يا قيوم ويقال هو دعاء اهل البحر اذا خافوا الغرق يا حي يا قيوم وعن علي بن ابي طالب كرم الله وجهه لما كان يوم بدر جئت انظر ما يصنع النبي صلى الله عليه وسلم فاذا هو ساجد يقول يا حي يا قيوم فترددت مرات وهو على حاله لا يزيد على ذلك الى ان فتح الله تعالى له وهذا يدل على عظمة هذا الاسم ثم انه تعالى لما بين انه حي قيوم اكد ذلك بقوله لا تأخذه سنة ولا نوم له ما في السموات وما في الارض لان من كان قائما بذاته وقيوم كل الممكنات لزمه ان لا يغفل ولا يفتر عن تدبير امر الكائنات وحفظها واثبات اللازم يؤكد ثبوت الملزوم فكان قوله لا تأخذه سنة ولا نوم مؤكدا لما قبله وان كان جميع ما سواه بحيث لا يتقوم بشيء ما سواه ولا يتكون ولا يبلغ كماله الا بتكوينه وتقويمه وتدبيره لزم ان يكون كل ما سواه ملكا له فكان قوله له ما في السموات وما في الارض مؤكدا له ايضا

من حضرت الشيخ رحمه الله

قوله وتقديم السنة وقياس الخ فان في صورة الاثبات اذا اريد المبالغة يقدم الاضعف فيقال شجاع باسل وفي صورة النفي بعكس فيقال ليس بباسل بل ليس بشجاع ولا يقال ليس بشجاع بل ليس بباسل واعلم ان تقديم السنة على النوم يفيد المبالغة بحيث ان نفي السنة بل نفي النوم ونفيه كان انسب كما يقيد المبالغة كذا زدي

قال الكشاف قوله تعالى الحي اي الباقي تفسير دمان للمراد بالحي في حق الباري وانما بحسب اللغة فالحي ذو الحياة لا يفهم منه الا ما يقتضي الحس والحركة ولما اتفقوا على الباري تعالى حي فسر المتكلمون الحي بالذي يصح ان يعلم ويقدر ليصدق على الباري لكن يصدق على غير ذوي العلم من الحيوانات تأمل

الغاية للحصر والابهام لتفخيم شأنه كأنه العلم المتعين بهذا الوصف المستغني عن التعيين
وقيل ابرهيم خصصه بالخلة التي هي اعلى المراتب وقيل ادريس لقوله تعالى
ورفعناه مكانا عليا وقيل اولوا العزم من الرسل وآتينا عيسى ابن مريم البينات
وايدناه بروح القدس خصه بالتعيين لافراط اليهود والنصارى في تحقيره
وتعظيمه وجعل معجزاته سبب تفضيله لانها آيات واضحة ومعجزات عظيمة
لم يستجمعها غيره ولو شاء الله هدى الناس جميعا ما اقتتل الذين من بعدهم
من بعد الرسل من بعد ما جاءتهم البينات المعجزات الواضحات لاختلافهم
في الدين وتضليل بعضهم بعضا ولكن اختلفوا فمنهم من آمن بتوفيقه
التزام دين الانبياء تفضلا ومنهم من كفر لاعراضه عنه بخذلانه ولو شاء الله ما اقتتلوا
كرره للتأكيد ولكن الله يفعل ما يريد فيوفق من يشاء فضلا ويخذل من يشاء
عدلا والآية دليل على ان الانبياء متفاوتة الاقدام وانه يجوز تفضيل بعضهم
على بعض ولكن بقاطع لان اعتبار الظن فيما يتعلق بالعمل وان الحوادث بيد الله تابعة
لمشيئته خيرا كان او شرا ايمانا او كفرا يا ايها الذين آمنوا انفقوا مما رزقناكم
ما اوجبت عليكم انفاقه من قبل ان يأتي يوم لا بيع فيه ولا خلة ولا شفاعة
من قبل ان يأتي يوم لا تقدرون على تدارك ما فرطتم والخلاص من عذابه
اذ لا بيع فيه فتحصلون ما تنفقونه او تفتدون به من العذاب ولا خلة حتى
يعينكم عليه اخلاؤكم او يسامحوكم به ولا شفاعة الا لمن اذن له الرحمن ورضي
له قولا حتى تتكلوا على شفعاء تشفع لكم في حط ما في ذممكم وانما رفعت ثلاثتها
مع قصد التعميم لانها في التقدير جواب هل فيه بيع او خلة او شفاعة وقد فتحها
ابن كثير وابو عمرو ويعقوب على الاصل والكافرون هم الظالمون يريد والتاركون
للزكوة الذين ظلموا انفسهم او وضعوا المال في غير موضعه وصرفوه على غير وجهه
فوضع الكافرون موضعه تغليظا وتهديدا كقوله ومن كفر مكان من لم يحج وايذانا بان ترك
الزكوة من صفات الكفار لقوله وويل للمشركين الذين لا يؤتون الزكوة
الله لا اله الا هو مبتدأ وخبر والمعنى انه المستحق للعبادة لا غير وللنحاة خلاف في انه
هل يضمر للاخبر مثل في الوجود او يصح ان يوجد الحي الذي يصح ان يعلم ويقدر وكل
ما يصح له فهو واجب لا يزول لامتناعه عن القوة والامكان القيوم الدائم القيام بتدبير
الخلق وحفظه فيعول من قام بالامر اذا حفظه وقرئ القيام والقيم لا تأخذه سنة
ولا نوم السنة فتور يتقدم النوم قال ابن الرقاع وسنان اقصده النعاس فرنقت
في عينه سنة وليس بنائم والنوم حال يعرض للحيوان من استرخاء اعصاب الدماغ
من رطوبات الابخرة المتصاعدة بحيث تقف الحواس الظاهرة عن الاحساس رأسا
وتقديم السنة عليه وقياس المبالغة عكسه على ترتيب الوجود والجملة نفي للتشبيه وتأكيد

قال الكشاف وقد قلت لما فضلت الاية الكرسي حتى ورد في فضلها ما ورد منه قوله صلى الله عليه وسلم ما قرأت هذه الاية في دار الا هجرتها الشياطين الخ قلت لما فضلت له سورة الاخلاص من اشتمالها على توحيد الله وتعظيمه وتمجيده وصفاته العظمى ولا مذكور اعظم من رب العزة فما كان ذكرا له كان افضل من سائر الاذكار وبهذا يعلم ان اشرف العلوم واعلاها منزلة عند الله علم اهل العدل والتوحيد ولا يغرنك عنه كثرة اعدائه فان العرانين تلقاها محسدة ولا ترى للئام الناس حسادا

قوله علم اهل العدل الظاهر انه اراد كلامهم خاصة والاعدا هم اهل الحق من المتكلمين لكن لا يخفى ان الاخلاص واية الكرسي انما اشتملتا على التوحيد بمعنى نفي معبود سوى الله وعلى الصفات بمعنى اثباتها لا نفيها والاخلاص على التوحيد والاحتياج اليه وبعض التنزيهات دون فاء العرانين العاليات من البيت [illegible]

قال الكشاف ومعنى وسع لم يضق قوله وما هو الا تصوير لعظمته تفسير للكلام وتحقيق للمرام يعني ما قال ان تصوير المعقول بصورة المحسوس وابراز الغائب عن الحس في صورة الشاهد حقيقته تمثيل عظمته لعظمة من يكون له كرسي لا يضيق عن السموات والارض ثم اطلاق لفظ المركب الحسي المتوهم على المعنى العقلي المحقق

لكونه حيا قيوما فان من اخذه نعاس او نوم كان مؤوف الحيوة قاصرا في الحفظ والتدبير
ولذلك ترك العاطف فيه وفي الجملة التي بعده له ما في السموات وما في الارض تقرير
لقيوميته واحتجاج على تفرده في الالوهية والمراد بما فيهما ما وجد فيهما داخلا في حقيقتهما
او خارجا عنهما متمكنا فيهما فهو ابلغ من قوله له السموات والارض وما فيهن من ذا الذي
يشفع عنده الا باذنه بيان لكبرياء شانه وانه لا احد يساويه او يدانيه يستقل بان
يدفع ما يريده شفاعة واستكانة فضلا ان يعاوقه عنادا او مناصبة يعلم ما بين ايديهم
وما خلفهم ما قبلهم وما بعدهم او بالعكس لانك مستقبل المستقبل ومستدبر الماضي او
امور الدنيا وامور الآخرة او عكسه او ما يحسونه وما يعقلونه او ما يدركونه وما
لا يدركونه والضمير لما في السموات والارض لان فيهم العقلاء او لما دل عليه من ذا من الملائكة
والانبياء ولا يحيطون بشيء من علمه من معلوماته الا بما شاء ان يعلموا وعطفه على ما قبله
لان مجموعهما يدل على تفرده بالعلم الذاتي التام الدال على وحدانيته وسع كرسيه
السموات والارض تصوير لعظمته وتمثيل مجرد كقوله وما قدروا الله حق قدره والارض
جميعا قبضته يوم القيمة والسموات مطويات بيمينه ولا كرسي في الحقيقة ولا قاعد وقيل
كرسيه مجاز عن علمه او ملكه ماخوذ من كرسي العالم والملك وقيل جسم بين يدي العرش
ولذلك سمي كرسيا محيط بالسموات السبع لقوله عليه السلام ما السموات السبع والارضون
السبع مع الكرسي الا كحلقة في فلاة وفضل العرش على الكرسي كفضل تلك الفلاة على تلك
الحلقة ولعله الفلك المشهور بفلك البروج وهو في الاصل اسم لما يقعد عليه ولا يفضل عن
مقعد القاعد وكانه منسوب الى الكرسي وهو الملبد ولا يؤوده ولا يثقله ماخوذ من
الاود وهو الاعوجاج حفظهما اي حفظه السموات والارض فحذف الفاعل واضاف
المصدر الى المفعول وهو العلي المتعالي عن الانداد والاشباه العظيم المستحقر بالاضافة اليه
كل ما سواه وهذه الآية مشتملة على امهات المسائل الالهية فانها دالة على انه تعالى
موجود واحد في الالهية متصف بالحيوة واجب الوجود لذاته موجد لغيره اذ القيوم
هو القائم بنفسه المقيم لغيره منزه عن التحيز والحلول مبرأ عن التغير والفتور لا يناسب
الاشباح ولا يعتريه ما يعتري الارواح مالك الملك والملكوت ومبدع الاصول
والفروع ذو البطش الشديد الذي لا يشفع عنده الا من اذن له عالم بالاشياء
كلها جليها وخفيها كليها وجزئيها واسع الملك والقدرة كل ما يصح ان يملك ويقدر عليه
لا يؤوده شاق ولا يشغله شان متعال عما يدركه وهم عظيم لا يحيط به فهم ولذلك
قال عليه السلام ان اعظم آية في القرآن آية الكرسي من قرأها بعث الله ملكا يكتب من حسناته
ويمحو من سيئاته الى الغد من تلك الساعة وقال من قرأ آية الكرسي في دبر كل
صلوة مكتوبة لم يمنعه من دخول الجنة الا الموت ولا يواظب عليها الا صديق او عابد
ومن قرأها اذا اخذ مضجعه آمنه الله على نفسه وجاره وجار جاره والابيات حوله

ها انتم اولاء اى المؤمنون المسلمون تحبونهم اى لاغتراركم باقرارهم بالايمان [illegible] منكم ولا [illegible] انهم لا يحبونكم لمخالفتهم لكم في الدين
فانهم كافرون [illegible] اقرارهم بالايمان وتؤمنون اى انتم بالكتاب كله اى ويكفرونهم به كله اما بالقصد الاول واما بالايمان بالبعض والكفر بالبعض واذا لقوكم قالوا
اى لكم آمنا تغتروا بهم واذا خلوا اى منكم عضوا عليكم مما يرون من ائتلافكم وحسن احوالكم الانامل من الغيظ اى المفرط منكم ومن جهل الهائج حالتهم بدلا عن
همزة استفهام فالمراد [illegible] انتم باحولاء القربا مني تحبونهم والحال انهم على ما هم عليه من منابذتكم وانتم على ما انتم عليه من الفطنة بصف الافكار [illegible] بقبولكم الحق
كله لان المومن كيس فطن فهو استفهام وان كان من وادي التوبيخ المراد به التنبيه والتهييج المنقذ من سافل الدركات الى عالي الدرجات والله الموفق ولما
كانوا كانهم قالوا فما نفعل قال مخاطبا [illegible] السموع الامر [illegible] الدعا قل اى لهم موتوا بغيظكم اى ازدراءهم ودعا عليهم بدوام الغيظ من القهر وزيادته حتى يهلكهم
ولما كانوا يحلفون على نفي [illegible] منهم قال تعالى مؤكدا لما اخبر به لئلا يظن انه اريد به غير الحقيقة ان الله اى الجامع لصفات الكمال عليم بذات الصدور فلا تظنوا
انه اراد [illegible] بعض ما يجوز بالغيظ عنه [illegible] ما كان ما اخبرت به من [illegible] الجلي من بغضهم وشدة عداوتهم محتاجا لبعض الى المحتاج الى البيان ودل عليه بقوله ان يمسسكم [illegible]

لا اكراه في الدين اذ الاكراه في الحقيقة الزام الغير فعلا لا يرى فيه خيرا
يحمله عليه ولكن قد تبين الرشد من الغي تميز الايمان من الكفر بالآيات
الواضحة ودلت الدلائل على ان الايمان رشد يوصل الى السعادة الابدية
والكفر غي يؤدي الى الشقاوة السرمدية والعاقل متى تبين له ذلك بادرت
نفسه الى الايمان طلبا للفوز بالسعادة والنجاة ولم يحتج الى الاكراه
والالجاء وقيل اخبار في معنى النهي اي لا تكرهوا في الدين وهو اما عام منسوخ
بقوله جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم او خاص باهل الكتاب لما
روي ان انصاريا كان له ابنان تنصرا قبل المبعث ثم قدما المدينة فلزمهما
ابوهما وقال والله لا ادعكما حتى تسلما فابيا واختصموا الى رسول الله صلعم
فنزلت فمن يكفر بالطاغوت بالشيطان او الاصنام او كل ما عبد من دون
الله او صد من عبادة الله فعلوت من الطغيان قلبت عينه ولامه ويؤمن
بالله بالتوحيد وتصديق الرسل فقد استمسك بالعروة الوثقى طلب الامساك
من نفسه بالعروة الوثقى من الحبل الوثيق وهي مستعار لمتمسك المحق من النظر
الصحيح والرأي القويم لا انفصام لها لا انقطاع لها يقال فصمته فانفصم اذا كسرته
والله سميع بالاقوال عليم بالنيات ولعله تهديد على النفاق الله ولي الذين
آمنوا محبهم او متولي امرهم والمراد بهم من اراد ايمانه وثبت في علمه انه يؤمن
يخرجهم بهدايته وتوفيقه من الظلمات ظلمات الجهل واتباع الهوى وقبول
الوساوس والشبه المؤدية الى الكفر الى النور الى الهدى الموصل الى الايمان والجملة
خبر بعد خبر او حال من المستكن في الخبر او الموصول او منهما او استئناف مبين
او مقرر للولاية والذين كفروا اولياؤهم الطاغوت اي الشياطين او
المضلات من الهوى والشيطان وغيرهما يخرجونهم من النور الى الظلمات
من النور الذي منحوه بالفطرة الى الكفر وفساد الاستعداد والانهماك في الشهوات
او من نور البينات الى ظلمات الشكوك والشبهات وقيل نزلت في قوم ارتدوا
عن الاسلام واسناد الاخراج الى الطاغوت باعتبار السبب لا يأبى تعلق قدرته
تعالى وارادته به اولئك اصحاب النار هم فيها خالدون وعيد وتحذير و
لعل عدم مقابلته بوعد المؤمنين تعظيم لشأنهم الم تر الى الذي حاج ابرهيم
في ربه تعجيب من محاجة نمرود وحماقته ان آتاه الله الملك لان آتاه اي ابطره
ايتاء الملك وحمله على المحاجة او حاج لاجله شكرا له على طريقة العكس كقولك عاداني
لاني احسنت اليه او وقت ان آتاه الله الملك وهو حجة على من منع ايتاء الله الملك
الكافر من المعتزلة اذ قال ابرهيم ظرف لحاج او بدل من آتاه الله على الوجه الثاني
ربي الذي يحيي ويميت بخلق الحيوة والموت في الاجساد وقرأ حمزة ربي الذي

بحذف الياء قال انا احيي واميت وقرأ نافع انا بالالف بالعفو عن القتل والقتل قال ابرهيم
فان الله يأتي بالشمس من المشرق فأت بها من المغرب اعرض ابرهيم عن الاعتراض على معارضته
الفاسدة الى الاحتجاج بما لا يقدر فيه على نحو هذا التمويه دفعا للمشاغبة وهو في الحقيقة
عدول عن مثال خفي الى مثال جلي من مقدوراته التي يعجز عن الاتيان بها غيره لا عن حجة
الى اخرى ولعل نمرود زعم انه يقدر ان يفعل كل جنس يفعله الله فنقضه ابرهيم بذلك
وانما حمله عليه بطر الملك وحماقته واعتقاد الحلول وقيل لما كسر ابرهيم الاصنام
سجنه اياما ثم اخرجه ليحرقه فقال له من ربك الذي تدعو اليه وحاجه فيه فبهت
الذي كفر فصار مبهوتا وقرئ فبهت اي فغلب ابرهيم الكافر والله لا يهدي
القوم الظالمين الذين ظلموا انفسهم بالامتناع عن قبول الهداية وقيل لا يهديهم
محجة الاحتجاج او سبيل النجاة او طريق الجنة يوم القيمة او كالذي مر على قرية
تقديره او رأيت مثل الذي فحذف لدلالة الم تر عليه وتخصيصه بحرف التشبيه
لان المنكر للاحياء كثير والجاهل بكيفيته اكثر من ان يحصى بخلاف مدعي الربوبية
وقيل الكاف مزيدة وتقدير الكلام الم تر الى الذي حاج او الذي مر وقيل انه
عطف محمول على المعنى كانه قيل الم تر كالذي حاج او كالذي مر وقيل انه من كلام
ابرهيم ذكره جوابا لمعارضته وتقديره او ان كنت تحيي فاحي كاحياء الله الذي مر وهو
عزير بن شرخيا او الخضر او كافر بالبعث ويؤيده نظمه مع نمرود والقرية بيت المقدس
حين خربه بخت نصر وقيل القرية التي خرج منها الالوف وقيل غيرهما واشتقاقها
من القرى وهي الجمع وهي خاوية على عروشها خالية ساقطة حيطانها على سقوفها
قال انى يحيي هذه الله بعد موتها اعترافا بالقصور عن معرفة طريق الاحياء واستعظاما
لقدرة المحيي ان كان القائل مؤمنا واستبعادا ان كان كافرا وانى في موضع نصب
على الظرف بمعنى متى او الحال بمعنى كيف فاماته الله مائة عام فالبثه ميتا مائة عام
او اماته فلبث مائة عام ثم بعثه بالاحياء قال كم لبثت القائل هو الله وساغ ان
يكلمه وان كان كافرا لانه آمن بعد البعث او شارف الايمان وقيل ملك او نبي قال
لبثت يوما او بعض يوم كقول الظان وقيل انه مات ضحى وبعث بعد المائة
قبيل الغروب فقال قبل النظر الى الشمس يوما ثم التفت فرأى بقية منها فقال او بعض
يوم على الاضراب قال بل لبثت مائة عام فانظر الى طعامك وشرابك لم يتسنه
لم يتغير بمرور الزمان واشتقاقه من السنة والهاء اصلية ان قدر لام السنة هاء
وهاء سكت ان قدرت واوا وقيل اصله لم يتسنن من الحمأ المسنون فابدلت
النون الثالثة حرف علة كتقضى البازي وانما افرد الضمير لان الطعام والشراب
كالجنس الواحد وقيل كان طعامه تينا او عنبا وشرابه عصيرا او لبنا وكان الكل على
حاله وقرأ حمزة والكسائي لم يتسن بغير الهاء في الوصل وانظر الى حمارك كيف تفرقت

عظامه او نظر اليه سالما في مكانه كما ربطته حفظناه بلا ماء وعلف كما حفظنا الطعام والشراب من التغير والاول ادل على الحال واوفق لما بعده ولنجعلك آية للناس اي وفعلنا ذلك لنجعلك آية روي انه اتى قومه على حماره وقال انا عزير فكذبوه فقرأ التورية من الحفظ ولم يحفظها احد قبله فعرفوه بذلك وقالوا هو ابن الله وقيل لما رجع الى منزله كان شابا واولاده شيوخا فاذا حدثهم بحديث قالوا حديث مائة سنة وانظر الى العظام يعني عظام الحمار او الاموات الذين تعجب من احيائهم كيف ننشزها كيف نحييها او نرفع بعضها على بعض ونركبه عليه وكيف منصوب بننشزها والجملة حال من العظام اي انظر اليها محياة وقرأ ابن كثير ونافع وابو عمرو ننشرها من انشر الله الموتى وقرئ ننشرها من نشر بمعنى انشر ثم نكسوها لحما فلما تبين له فاعل تبين مضمر يفسره ما بعده تقديره فلما تبين له ان الله على كل شيء قدير قال اعلم ان الله على كل شيء قدير فحذف الاول لدلالة الثاني عليه او يفسره ما قبله اي فلما تبين له ما اشكل عليه وقرأ حمزة والكسائي قال اعلم على الامر والآمر مخاطبه او هو نفسه خاطبها به على طريقة التبكيت واذ قال ابرهيم رب ارني كيف تحيي الموتى انما سأل ذلك ليصير علمه عيانا وقيل لما قال نمرود انا احيي واميت قال له ان احياء الله برد الروح الى بدنها فقال نمرود هل عاينته فلم يقدر ان يقول نعم وانتقل الى تقرير آخر ثم سأل ربه ان يريه ليطمئن قلبه على الجواب ان سئل عنه مرة اخرى قال اولم تؤمن بأني قادر على الاحياء باعادة التركيب والحيوة قال له ذلك وقد علم انه اعرف الناس في الايمان ليجيب بما اجاب فيعلم السامعون غرضه قال بلى ولكن ليطمئن قلبي اي بلى آمنت ولكن سألت لازيد بصيرة وسكون قلب بمضامة العيان الى الوحي والاستدلال قال فخذ اربعة من الطير قيل طاوسا وديكا وغرابا وحمامة ومنهم من ذكر النسر بدل الحمامة وفيه ايماء الى ان احياء النفس بالحيوة الابدية انما يتأتى باماتة حب الشهوات والزخارف الذي هو صفة الطاوس والصولة المشهور بها الديك وخسة النفس وبعد الامل المتصف بها الغراب والترفع والمسارعة الى الهوى الموسوم بها الحمام وانما خص الطير لانه اقرب الى الانسان واجمع لخواص الحيوان والطير مصدر سمي به او جمع كصحب فصرهن اليك فاملهن واضممهن اليك لتتأملها وتعرف شأنها لئلا تلتبس عليك بعد الاحياء وقرأ حمزة ويعقوب فصرهن بالكسر وهما لغتان قال ولكن اطراف الرماح تصورها وقال وفرع يصير الجيد وحف كأنه على الليت قنوان الكروم الدوالح وقرئ فصرهن بضم الصاد وكسرها مشددة الراء من صره يصره اذا جمعه وفصرهن من التصرية وهي الجمع ايضا ثم اجعل على كل جبل منهن جزءا اي ثم جزئهن وفرق اجزاءهن على الجبال التي بحضرتك قيل كانت اربعة وقيل

سبعة وقرأ ابو بكر جزؤا بضم الزاي حيث وقع ثم ادعهن قل لهن تعالين باذن الله يأتينك سعيا ساعيات مسرعات طيرانا او مشيا روي انه امر بان يذبحها وينتف ريشها ويقطعها فيمسك رؤسها ويخلط سائر اجزائها ويوزعها على الجبال ثم يناديهن ففعل ذلك فجعل كل جزء يطير الى الآخر حتى صارت جثثا ثم اقبلن فانضممن الى رؤسهن وفيه اشارة الى ان من اراد احياء نفسه بالحيوة الابدية فعليه ان يقبل على القوى البدنية فيقتلها ويمزج بعضها ببعض حتى تنكسر سورتها فيطاوعنه مسرعات متى دعاهن بداعية العقل او الشرع وكفى لك شاهدا على فضل ابرهيم ويمن الضراعة في الدعاء وحسن الادب في السؤال انه تعالى اراه ما اراد ان يريه في الحال على ايسر الوجوه واراه عزيرا بعد ان اماته مائة عام واعلم ان الله عزيز لا يعجز عما يريده حكيم ذو حكمة بالغة في كل ما يفعله ويذره مثل الذين ينفقون اموالهم في سبيل الله كمثل حبة اي مثل نفقتهم كمثل حبة او مثلهم كمثل باذر حبة على حذف المضاف انبتت سبع سنابل في كل سنبلة مائة حبة اسند الانبات الى الحبة لما كانت من الاسباب كما يسند الى الارض والماء والمنبت على الحقيقة هو الله والمعنى انه يخرج منها ساق يتشعب منها سبع شعب لكل منها سنبلة فيها مائة حبة وهو تمثيل لا يقتضي وقوعه وقد يكون في الذرة والدخن وفي البر في الاراضي المغلة والله يضاعف تلك المضاعفة لمن يشاء بفضله على حسب حال المنفق من اخلاصه وتعبه ومن اجل ذلك تفاوتت الاعمال في مقادير الثواب والله واسع لا يضيق عليه ما يتفضل به من الزيادة عليم بنية المنفق وقدر انفاقه الذين ينفقون اموالهم في سبيل الله ثم لا يتبعون ما انفقوا منا ولا اذى نزلت في عثمان فانه جهز جيش العسرة بالف بعير باقتابها واحلاسها وعبد الرحمن بن عوف فانه اتى النبي صلعم باربعة آلاف درهم صدقة والمن ان يعتد على من احسن اليه والاذى ان يتطاول عليه بسبب ما انعم عليه وثم للتفاوت بين الانفاق وترك المن والاذى لهم اجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون لعله لم يدخل الفاء فيه وقد تضمن ما اسند اليه معنى الشرط ايهاما بانهم اهل لذلك وان لم يفعلوا فكيف بهم اذا فعلوا قول معروف رد جميل ومغفرة وتجاوز عن السائل الحاجة او نيل مغفرة من الله بالرد الجميل او عفو من السائل بان يعذره ويغتفر رده خير من صدقة يتبعها اذى خبر عنهما وانما صح الابتداء بالنكرة لاختصاصها بالصفة والله غني عن انفاق بمن وايذاء حليم عن معاجلة من يمن ويؤذي بالعقوبة يا ايها الذين آمنوا لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والاذى لا تحبطوا اجرها بكل واحد منهما كالذي ينفق ماله رئاء الناس ولا يؤمن بالله واليوم الآخر كابطال المنافق الذي يرائي بانفاقه لا يريد به رضا الله ولا ثواب الآخرة او مماثلين الذي ينفق رئاء

فالكاف في محل النصب على المصدر او الحال ورئاء نصب على المفعول له او الحال بمعنى
مرائيا او المصدر اى انفاقا رئاء فمثله فمثل المرائى فى انفاقه كمثل صفوان
حجر املس عليه تراب فاصابه وابل مطر عظيم القطر فتركه صلدا املس
نقيا من التراب لا يقدرون على شيء مما كسبوا لا ينتفعون بما فعلوا
رئاء ولا يجدون ثوابه والضمير للذى ينفق باعتبار المعنى لان المراد به الجنس
او الجمع كقوله ان الذى حانت بفلج دماؤهم والله لا يهدى القوم الكافرين الى
الخير والرشاد وفيه تعريض بان الرئاء والمن والاذى على الانفاق من صفة
الكفار ولا بد للمؤمن ان يتجنب عنها ومثل الذين ينفقون اموالهم ابتغاء مرضات
الله وتثبيتا من انفسهم وتثبيتا بعض انفسهم على الايمان فان المال شقيق
الروح فمن بذل ماله لوجه الله ثبت بعض نفسه ومن بذل ماله وروحه
ثبتها كلها او تصديقا للاسلام وتحقيقا للجزاء مبتدأ من اصل انفسهم وفيه
تنبيه على ان حكمة الانفاق للمنفق تزكية النفس عن البخل وحب المال كمثل
جنة بربوة اى ومثل نفقة هؤلاء فى الزكاء كمثل بستان بموضع مرتفع فان
شجره يكون احسن منظرا وازكى ثمرا وقرا ابن عامر وعاصم بربوة بالفتح وقرئ
بالكسر وثلاثتها لغات فيها اصابها وابل مطر عظيم القطر فآتت اكلها ثمرتها
وقرا ابن كثير ونافع وابو عمرو بالسكون للتخفيف ضعفين مثلى ما كانت تثمر بسبب
الوابل والمراد بالضعف المثل كما اريد بالزوج الواحد فى قوله من كل زوجين
اثنين وقيل اربعة امثاله ونصبه على الحال اى مضاعفا فان لم يصبها وابل
فطل اى فيصيبها طل او فطل يكفيها لكرم منبتها وبرودة هوائها لارتفاع مكانها
وهو المطر الصغير القطر والمعنى ان نفقات هؤلاء زاكية عند الله لا تضيع بحال
وان كانت تتفاوت باعتبار ما ينضم اليها من احوالهم ويجوز ان يكون التمثيل
لحالهم عند الله بالجنة على الربوة ونفقاتهم الكثيرة والقليلة الزائدتين فى زلفاهم
بالوابل والطل والله بما تعملون بصير تحذير عن الرياء وترغيب فى الاخلاص ايود
احدكم الهمزة فيه للانكار ان تكون له جنة من نخيل واعناب تجرى من تحتها
الانهار له فيها من كل الثمرات جعل الجنة منهما مع ما فيها من سائر الاشجار
تغليبا لهما لشرفهما وكثرة منافعهما ثم ذكر ان فيها كل الثمرات ليدل على
احتوائها على سائر انواع الاشجار ويجوز ان يكون المراد بالثمرات المنافع واصابه الكبر
اى كبر السن فان الفاقة والعالة فى الشيخوخة اصعب والواو للحال او للعطف
حملا على المعنى فكانه قيل ايود احدكم لو كانت له جنة واصابه الكبر
وله ذرية ضعفاء صغار لا قدرة لهم على الكسب فاصابها اعصار فيه نار
فاحترقت عطف على اصابه او تكون باعتبار المعنى والاعصار ريح عاصفة تنعكس

من الارض الى السماء مستديرة كعمود والمعنى تمثيل حال من يفعل الافعال الحسنة
ويضم اليها ما يحبطها كرياء وايذاء فى الحسرة والاسف فاذا كان يوم القيمة واشتد حاجته
اليها وجدها محبطة بحال من هذا شانه واشبههم به من جال بسره فى عالم الملكوت
وترقى بفكره الى جناب الجبروت ثم نكص على عقبيه الى عالم الزور والتفت الى
ما سوى الحق وجعل سعيه هباء منثورا كذلك يبين الله لكم الآيات لعلكم
تتفكرون اى تتفكرون فيها فتعتبرون بها يا ايها الذين آمنوا
انفقوا من طيبات ما كسبتم من حلاله او جياده ومما اخرجنا لكم
من الارض اى ومن طيبات ما اخرجنا من الحبوب والثمر والمعادن فحذف
المضاف لتقدم ذكره ولا تيمموا الخبيث منه ولا تقصدوا الردى منه اى من المال
او مما اخرجنا وتخصيصه بذلك لان التفاوت فيهما اكثر وقرئ ولا تاموا ولا تيمموا بضم التاء
تنفقون حال مقدرة من فاعل تيمموا ويجوز ان يتعلق به منه ويكون الضمير للخبيث و
الجملة حالا منه ولستم بآخذيه اى وحالكم انكم لا تاخذونه فى حقوقكم لرداءته
الا ان تغمضوا فيه الا ان تتسامحوا فيه مجاز من اغمض بصره اذا غضه وقرئ
تغمضوا اى تحملوا على الاغماض او توجدوا مغمضين وعن ابن عباس كانوا يتصدقون
بحشف التمر وشراره فنهوا عنه واعلموا ان الله غنى عن انفاقكم وانما يامركم به
لانتفاعكم حميد بقبوله واثابته الشيطان يعدكم الفقر فى الانفاق والوعد
فى الاصل شائع فى الخير والشر وقرئ الفقر بالضم والسكون وبضمتين وفتحتين ويامركم
بالفحشاء ويغريكم على البخل والعرب تسمى البخيل فاحشا وقيل المعاصى والله يعدكم
مغفرة منه اى يعدكم فى الانفاق مغفرة ذنوبكم وفضلا خلفا افضل مما انفقتم
فى الدنيا او فى الآخرة والله واسع اى واسع الفضل لمن انفق عليم بانفاقه يؤتى الحكمة
تحقيق العلم واتقان العمل من يشاء مفعول اول اخر للاهتمام بالمفعول الثانى ومن
يؤت الحكمة بناه للمفعول لانه المقصود وقرا يعقوب بالكسر اى ومن يؤته الله
الحكمة فقد اوتى خيرا كثيرا اى خير كثير اذ حيز له خير الدارين وما يذكر وما يتعظ بما قص من
الآيات او وما يتفكر فان المتفكر كالمتذكر لما اودع الله فى قلبه من العلوم بالقوة الا اولوا
الالباب ذوو العقول الخالصة عن شوائب الوهم والركون الى متابعة الهوى وما
انفقتم من نفقة قليلة او كثيرة سرا او علانية فى حق او باطل او نذرتم من نذر بشرط
او بغير شرط فى طاعة او معصية فان الله يعلمه فيجازيكم عليه وما للظالمين الذين
ينفقون فى المعاصى وينذرون فيها او يمنعون الصدقات ولا يوفون بالنذور
من انصار من ينصرهم من الله ويمنعهم من عقابه ان تبدوا الصدقات فنعما هى
فنعم شيئا ابداؤها وقرا ابن عامر وحمزة والكسائى بفتح النون وكسر العين على الاصل
وقرا ابو عمرو وقالون وابو بكر بكسر النون وسكون العين وروى عنهم بكسر النون واخفاء

حركة العين وهو اقيس وان تخفوها وتؤتوها الفقراء اى تعطوها مع الاخفاء
فهو خير لكم فالاخفاء خير لكم وهذا فى التطوع تفضل علانيتها سبعين ضعفا
وصدقة الفريضة علانيتها افضل من سرها بخمسة وعشرين ضعفا ونكفر
عنكم من سيئاتكم قرا ابن عامر وعاصم فى رواية حفص بالياء اى والله يكفر او الاخفاء
وقرا ابن كثير وابو عمرو وعاصم فى رواية ابن عياش ويعقوب بالنون مرفوعا على انه
جملة فعلية مبتدأة او اسمية معطوفة على ما بعد الفاء اى ونحن نكفر وقرا نافع
وحمزة والكسائى به مجزوما على محل الفاء وما بعده وقرئ بالتاء مرفوعا ومجزوما
والفعل للصدقات والله بما تعملون خبير ترغيب فى الاسرار ليس عليك هداهم
لا يجب عليك ان تجعل الناس مهديين وانما عليك الارشاد والحث على المحاسن
والنهى عن القبائح كالمن والاذى وانفاق الخبيث ولكن الله يهدى من يشاء
صريح بان الهداية من الله وبمشيئته وانها تخص بقوم دون قوم وما تنفقوا من
خير من نفقة معروفة فلانفسكم فهو لانفسكم لا ينتفع به غيركم فلا تمنوا عليه
ولا تنفقوا الخبيث وما تنفقون الا ابتغاء وجه الله حال وكانه قال وما تنفقوا
من خير فلانفسكم غير منفقين الا لابتغاء وجه الله وطلب ثوابه او عطف على ما
قبله اى وليس نفقتكم الا لابتغاء وجهه فما لكم تمنون بها وتنفقون الخبيث وقيل
نفى فى معنى النهى وما تنفقوا من خير يوف اليكم ثوابه اضعافا مضاعفة فهو
تأكيد للشرطية السابقة او ما يخلف المنفق استجابة لقوله عليه السلام اللهم اجعل
لمنفق خلفا ولممسك تلفا روى ان ناسا من المسلمين كانت لهم اصهار ورضاع فى
اليهود وكانوا ينفقون عليهم فكرهوا لما اسلموا ان ينفعوهم فنزلت وهذا فى غير الواجب
اما الواجب فلا يجوز صرفه الى الكفار وانتم لا تظلمون اى لا تنقصون ثواب نفقتكم
للفقراء متعلق بمحذوف اى اعمدوا للفقراء او اجعلوا ما تنفقون للفقراء او صدقاتكم للفقراء
الذين احصروا فى سبيل الله احصرهم الجهاد لا يستطيعون لاشتغالهم به ضربا
فى الارض ذهابا فيها للكسب وقيل هم اهل الصفة كانوا نحوا من اربعمائة من فقراء
المهاجرين يسكنون صفة المسجد يستغرقون اوقاتهم بالتعلم والعبادة وكانوا
يخرجون فى كل سرية بعثها رسول الله صلعم يحسبهم الجاهل بحالهم وقرا ابن عامر
وعاصم وحمزة بفتح السين اغنياء من التعفف من اجل تعففهم عن السؤال تعرفهم
بسيماهم من الضعف ورثاثة الحال والخطاب للرسول صلعم او لكل احد
لا يسألون الناس الحافا الحاحا وهو ان يلازم المسؤول حتى يعطيه من قولهم لحفنى
من فضل لحافه اى اعطانى من فضل ما عنده والمعنى انهم لا يسألون وان سألوا
عن ضرورة لم يلحوا وقيل هو نفى للامرين كقوله على لاحب لا يهتدى بمناره
ونصبه على المصدر فانه نوع من السؤال او على الحال وما تنفقوا من خير فان الله

به عليم ترغيب فى الانفاق وخصوصا على هؤلاء الذين ينفقون اموالهم بالليل والنهار
سرا وعلانية اى يعمون الاوقات والاحوال بالخير نزلت فى ابى بكر رضه تصدق
باربعين الف دينار عشرة بالليل وعشرة بالنهار وعشرة بالسر وعشرة بالعلانية
وقيل فى على رضه لم يملك الا اربعة دراهم فتصدق بدرهم ليلا ودرهم
نهارا ودرهم سرا ودرهم علانية وقيل فى ربط الخيل فى سبيل الله والانفاق عليها
فلهم اجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون خبر الذين ينفقون
والفاء للسببية وقيل للعطف والخبر محذوف اى ومنهم الذين ولذلك جوز
الوقف على وعلانية الذين يأكلون الربوا اى الآخذون له وانما ذكر الاكل
لانه اعظم منافع المال ولان الربوا شائع فى المطعومات وهو زيادة فى الاجل بان
يباع مطعوم بمطعوم او نقد بنقد الى اجل او فى العوض بان يباع احدهما باكثر منه
من جنسه وانما كتب بالواو كالصلوة للتفخيم على لغة وزيدت الالف بعدها
تشبيها بواو الجمع لا يقومون اذا بعثوا من قبورهم الا كما يقوم الذى يتخبطه الشيطان
الا قياما كقيام المصروع وهو وارد على ما يزعمون ان الشيطان يخبط الانسان فيصرع
والخبط ضرب على غير اتساق كخبط العشواء من المس اى الجنون وهذا ايضا من زعماتهم
ان الجنى يمسه فيختلط عقله ولذلك قيل جن الرجل وهو متعلق بلا يقومون اى
لا يقومون من المس الذى بهم بسبب اكل الربوا او بيقوم او بيتخبط فيكون نهوضهم وسقوطهم
كالمصروعين لا لاختلال عقلهم ولكن لان الله اربى فى بطونهم ما اكلوه من الربوا فاثقلهم
ذلك بانهم قالوا انما البيع مثل الربوا اى ذلك العقاب بسبب انهم نظموا الربوا و
البيع فى سلك واحد لافضائهما الى الربح فاستحلوه استحلاله وكان الاصل انما الربوا
مثل البيع ولكن عكس للمبالغة كانهم جعلوا الربوا اصلا وقاسوا به البيع والفرق
بين فان من اعطى درهمين بدرهم ضيع درهما ومن اشترى سلعة تساوى
درهما بدرهمين فلعل مساس الحاجة اليها او توقع رواجها يجبر هذا الغبن واحل الله
البيع وحرم الربوا انكار لتسويتهم وابطال القياس لمعارضته النص فمن جاءه موعظة
من ربه فمن بلغه وعظ من الله وزجر كالنهى عن الربوا فانتهى فاتعظ واتبع النهى
فله ما سلف تقدم اخذه التحريم ولا يسترد منه وما فى موضع الرفع بالظرف
ان جعل من موصولة وبالابتداء ان جعلت شرطية على رأى سيبويه اذ الظرف
غير معتمد على ما قبله وامره الى الله يجازيه على انتهائه ان كان عن قبول الموعظة
وصدق النية وقيل يحكم فى شأنه ولا اعتراض لكم عليه ومن عاد الى تحليل الربوا
اذ الكلام فيه فاولئك اصحاب النار هم فيها خالدون لانهم كفروا به يمحق الله
الربوا يذهب بركته ويهلك المال الذى يدخل فيه ويربى الصدقات يضاعف
ثوابها ويبارك فيما اخرجت منه وعنه عليه السلام ان الله يقبل الصدقة فيربيها كما يربى

ای الحمد لله للجنس لم يقل البيضاوي رحمه الله واللام فيه للجنس تنبيها على ان معنى اللام ليس التعريف والاشارة
بل تعريف قد يكون للجنس وقد يكون لحصة منه عام وضع اللام للتعريف والتعريف مطلقا هو الاشارة الى ان مدلول اللفظ
معهود اى معلوم معين حاضر في ذهن السامع من حيث هو معين كانه يشار به اليه بهذا الاعتبار واما النكرة فيقصد بها
التفات النفس الى نفس مفهوم اللفظ الذي هو معلوم معين حاضر في ذهن السامع من دون حصول العلم بالوضع
ملاحظ فيها تعينه وان كان متعينا في نفسه ومعلوما للمخاطب العالم بالوضع لكن من مصاحبة التعين وملاحظته فرق
ثم الاشارة الى تعين المعنى وحضوره ان كان بجوهر اللفظ يسمى علما اجناسا ان كان المقصود الحقيقة
وان لم يكن بجوهر اللفظ فلابد من امر خارج
يشار به الى ذلك مثل اسم الاشارة ودلالة التكلم والخطاب والغيبة والنسبة المعلومة جملية كما في الموصولات او غير جملية
كما في المضاف الى المعارف وحرفي اللام وياء النداء في المعرف بهما فاللام اذا دخلت على اسم فالاصل ان يشار بها

احدكم مهره وعنه عليه السلام ما نقصت زكوة من مال قط **والله لا يحب** لا يرتضى
ولا يحب محبته للتوابين **كل كفار** مصر على تحليل المحرمات **اثيم** منهمك في ارتكابه
ان الذين امنوا بالله ورسوله وبما جاءهم منه **وعملوا الصالحات واقاموا**
الصلوة واتوا الزكوة عطفهما على ما يعمهما لانافتهما على ساير الاعمال الصالحات
لهم اجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم من ات **ولاهم يحزنون** على فايت
يا ايها الذين امنوا اتقوا الله وذروا ما بقى من الربوا واتركوا بقايا ما
شرطتم على الناس من الربوا **ان كنتم مؤمنين** بقلوبكم فان دليله امتثال
ما امرتم به روى انه كان لثقيف مال على بعض قريش فطالبوهم عند المحل
بالمال والربوا فنزلت **فان لم تفعلوا فاذنوا بحرب من الله ورسوله** اى فاعلموا
بها من اذن بالشيء اذا علم به وقرا حمزة وعاصم في رواية ابن عياش فآذنوا اى فاعلموا
بها غيركم من الاذن وهو الاستماع فانه من طرق العلم وتنكير حرب للتعظيم
وذلك يقتضي ان يقاتل المربي بعد الاستتابة حتى يفيء الى امر الله كالباغي ولا
يقتضي كفره روى انها لما نزلت قالت ثقيف لا يدى لنا بحرب الله ورسوله **وان**
تبتم من الارتباء واعتقاد حله **فلكم رؤس اموالكم لا تظلمون** باخذ الزيادة
ولا تظلمون بالمطل والنقصان ويفهم منه انهم ان لم يتوبوا فليس لهم رؤس مالهم
وهو سديد على ما قلناه اذ المصر على التحليل مرتد وماله فيء **وان كان ذو**
عسرة وان وقع غريم ذو عسرة وقرئ ذا عسرة اى وان كان الغريم ذا عسرة
فنظرة فالحكم نظرة او فعليكم نظرة او فليكن نظرة وهي الانظار وقرئ فناظره
على الخبر اى فالمستحق ناظره بمعنى منتظره او صاحب نظرته على طريق النسب وعلى الامر
اى فسامحه بالنظرة **الى ميسرة** يسار وقرا نافع وحمزة بضم السين وهما
لغتان كمشرقة ومشرقة وقرئ بهما مضافين بحذف التاء عند الاضافة كقوله
واخلفوك عد الامر الذى وعدوا **وان تصدقوا** بالابراء وقرا عاصم بتخفيف الصاد
خير لكم اكثر ثوابا من الانظار او خير مما تأخذون لمضاعفة ثوابه ودوامه
وقيل المراد بالتصدق الانظار لقوله لا يحل دين رجل مسلم فيؤخره الا كان
له بكل يوم صدقة **ان كنتم تعلمون** ما ذكرنا من الذكر الجميل والاجر الجزيل **واتقوا**
يوما ترجعون فيه الى الله يوم القيمة او يوم الموت فتاهبوا لمصيركم اليه وقرا
ابو عمرو ويعقوب بفتح التاء وكسر الجيم **ثم توفى كل نفس ما كسبت** جزاء ما
عملت من خير او شر **وهم لا يظلمون** بنقص ثواب وتضعيف عقاب وعن ابن عباس
انها اخر اية نزل بها جبريل وقال ضعها في راس المائتين والثمانين من البقرة
وعاش رسول الله صلعم بعدها احدا وعشرين يوما وقيل احدا وثمانين وقيل
سبعة ايام وقيل ثلث ساعات **يا ايها الذين امنوا اذا تداينتم بدين** اذا داين

قوله تعالى وإن تبتم من الارتياب فلكم رؤوس أموالكم لا تظلمون المديونين بطلب الزيادة عليها ولا تظلمون بالنقصان فإن قلت هذا حكمهم إن تابوا فما حكمهم إن لم يتوبوا قلت قالوا يكون مالهم فيئا للمسلمين

قوله تعالى واتقوا يوما الخ قال الإمام نزلت هذه الآية في العظماء الذين كانوا يعاملون بالربا وكانوا أصحاب ثروة وجلالة وأنصار وأعوان وكان يجري منهم التغلب على الناس بسبب ثروتهم فاحتاجوا إلى مزيد زجر ووعيد وتهديد حتى يمتنعوا عن الربا وأخذ أموال الناس بالباطل فلا جرم توعدهم الله بهذه الآية وخوفهم على أعظم الوجوه — شيخ زاده

قال البيضاوي في قوله تعالى فنظرة أي على طريق النسب قال عبد الحكيم الفاضل محمد عفي عنه شاع بين الناس أن يقال سراي عامرة ومطبخ عامرة بصيغة التأنيث مع كون الموصوف مذكرا وما رأيت أحدا من العلماء الأعاظم في ذلك وليس الأمر كذلك بل القول المذكور ليس فيه شائبة القصور وذلك أن لفظ العامرة من صيغ النسب بمعنى ذي عمارة فيؤول المعنى إلى المعمور كما نص عليه الجوهري تبع ظهور حيث قال وعمرت الخراب أعمره عمارة فهو عامر أي معمور مثل ماء دافق أي مدفوق وعيشة راضية أي مرضية انتهى فإذا كان كذلك فالتأنيث والتذكير مستوي فيه لأن التاء في تلك الصيغة وكذلك على ما نص على ذلك كثير منهم المولى الحسن الغفاري في حاشية شرح المختص فالتاء الداخلة على بعض الأبنية للمبالغة والمبالغة مما يناسب المقام هو وصف السراي السلطاني ومطبخه العامرة فلا بأس بتأنيثها على الوصف مع كون الموصوف مذكرا

قوله أو على الأمر قد غير عبارة الكشاف وهي مستقيمة لا غبار وقرأ عطاء فناظره بمعنى فصاحب الحق ناظره وعنه فناظره على الأمر لكن عبارة المصنف تقتضي أن يكون صيغة واحدة مشتركة بين الأمر والخبر وليس كذلك — من كاروزدي

قوله تعالى ٢٨٢ أن تضل إحداهما أن لا تهتدي إحداهما للشهادة بأن تنساها من ضل الطريق إذا لم يهتد له وانتصابه على أنه مفعول له أي إرادة أن تضل فإن قلت كيف يكون ضلالها مرادا لله قلت لما كان الضلال سببا للإذكار والإذكار مسببا عنه وهم ينزلون كل واحد من السبب والمسبب منزلة الآخر لالتباسهما واتصالهما كانت إرادة الضلال المسبب عنه الإذكار إرادة للإذكار فكأنه قيل إرادة أن تذكر إحداهما الأخرى إن ضلت ونظيره قولهم أعددت الخشبة أن يميل الحائط فأدعمه — كشاف

٧٨

فسر بهذا لانه خاطبهم اولا بقوله يا ايها الذين امنوا الا حاجة حينئذ لهذا فاورد بان المراد يا ايها الذين امنوا ظاهرا ان كان فيكم
من هو في القلب فلا تقولوا ما ذكر شهاب

قوله وتوسيط الواو العاطف المنبئ عن تغاير المعطوف والمعطوف عليه ولا تغاير بينهما لان الصفات المذكورة كلها لموصوف واحد فينبغي ان لا يعطف بعضها على بعض كما في قوله تعالى هو الله الخالق البارئ المصور واجاب عنه ولا بانه قد تخلل العاطف بين صفات لموصوف واحد كما في قولك هو الشجاع والجواد واسم الهمام وليث تنزيلا لكل واحدة من الصفات المعطوفة منزلة الذوات المتباينة بناء على ان كل واحدة منها لما بلغت من الكمال مبلغ صح ان يعد واشيا لها صارت كانها لا تحتاج ذات الموصوف فلا تكون من الصفات القائمة بها فنزلت ذلك منزلة ذوات مستقلة عن الموصوف غير قائمة به واجاب ثانيا بمنع اتحاد الموصوف بها على جواز كونه من قبيل الذوات المتغايرة بناء على ان كل من كان معه واحد من هذه الخصال استحق هذا المدح العظيم والثواب الجزيل فكيف اذا كان معه جميع تلك الخصال والخلال قوله بالاسحار بمعنى في

فان قلت قد جعلته حالا من فاعل شهد فهل يصح ان ينتصب حالا عن هو في لا اله الا هو قلت نعم لانها حال مؤكدة وهو اوجه من انتصابه عن فاعل شهد

قوله او عن هو قال الكشاف هو اوجه اي انتصابه حالا من هو اوجه من انتصابه عن فاعل شهد لانه ادل على المقصود الذي هو دخول القائم بالقسط تحت الشهادة ولهذا اذا كان حالا عن ضمير هو كان التوحيد مع قيده الذي هو الحال مشهودا به بخلاف اذا كان حالا عن فاعل شهد فليست الشهادة واقعة عليه واشار المص بقوله وهو مندرج في المشهود به اذا جعلته صفة لا اله او حالا من الضمير اي اذا جعل حالا عنه كان المعنى شهد الله انه لا اله الا هو اي شهد الله بتوحيده حال كونه قائما بالقسط وكان قيل شهد بالتوحيد وبكونه قائما بالقسط بخلاف ما اذا كان حالا عن فاعل شهد فان القيام حال الفاعل ... وهو ليس داخلا في المشهود به وقيل هذا اذا جعل فاما صفة لا اله ... فان قلت هل دخل قيامه بالقسط في حكم شهادة الله والملائكة واولي العلم كما دخلت في الوحدانية قلت نعم اذا جعلت حالا من هو او نصبا على المدح ...

قوله او الصفة للمنفي اي يجوز ان يكون انتصاب قائما على انه صفة للمنفي بلا كانه قيل لا اله قائما بالقسط الا هو واعترض الفصل بين الصفة والموصوف بالاجنبي بناء على اتساعهم في ذلك كما في قوله حكاية لولا انزل هذا القران على رجل من القريتين عظيم قوله وهو مدرج الاعتناء الى ... اعتناء لانه تذكر هذه الكلمة بسبب معرفتهم ادلة وحدانيته فانه تعالى لما اخبر ان الله شهد انه لا اله الا هو وشهدت الملائكة واولو العلم لا اله الا هو فكان الغرض من الافادة الاثر ذكر هذه الكلمة على وفق تلك الشهادة قوله والحكم بعد اقامة الحجة فانه تعالى لما اقام حجة الوحدانية باخبار وتلك الشهادات حكم بعدها بنتيجة الحجة قوله فيعلم انه الموصوف بهما اي بكمال القدرة وكمال العلم فان الالوهية والقيام بالقسط لا يتم الا اذا كان عالما بمقادير الحاجات وكان قادرا على تحصيل المهمات

مرسلم زاده رحمه الله

قوله تعالى قائما بالقسط مقيما للعدل فيما يقسم من الارزاق والاجال ويثيب ويعاقب وما يامر به عباده من انصاف بعضهم لبعض والعمل على السوية فيما بينهم وانتصابه على انه حال مؤكدة منه كقوله وهو الحق مصدقا فان قلت لم جاز افراده بنصب الحال دون المعطوفين عليه ولو قلت جاءني زيد وعمرو راكبا لم يجز قلت انما جاز هذا لعدم الالباس ولو قلت جاءني زيد وهند راكبا يجوز لتميزه بالذكورة ... قوله او على المدح اي منتصب على المدح وقد جرت عادة العرب بقطع بعض الاوصاف الى نصب او رفع على تقدير فعل او مبتدا ملتزم الاضمار قصدا الى اختصاص ذلك الوصف بمزيد اعتناء وتسمية النصب والرفع على المدح او الذم او الترحم ...

قوله لا اله الا هو اي هو وحدانيته بنصب الدلائل التكوينية في الافاق والانفس وانزال الايات التشريعية الناطقة بذلك عبر عنه بالشهادة على طريق الاستعارة ايذانا بقوته في اثبات المطلوب واشعارا بانكار المنكر قوله والملائكة عطف على الاسم الجليل بحمل الشهادة على معنى مجازي شامل للاقرار والايمان بطريق عموم المجاز بما اقروا بذلك واولو العلم اي امنوا به واحتجوا عليه بذكر من الادلة التكوينية والتشريعية بعض السعود قوله وهو مندرج في المشهود به اذا جعلته صفة وحالا عن الضمير لا حالا عن فاعل شهد فانه بيان حال الله لا المشهود به حتى يندرج تحت الشهادة وكذا اذا جعلته منصوبا على المدح من الضمير لا حالا ... لانه بمنزلة الوصف له

قوله فيعلم انه الموصوف بهما والمراد العلم مع كونه امرا معلوما في نفسه فائدة ... هو تقدير واحدانيته بالقدرة وتقرير قيامه بالعدل بحكمته فتقديم العزيز على الحكيم لرعاية ترتيب ما تقرر بهما

قوله او الصفة للمنفي اي يجوز ان يكون انتصاب قائما على انه صفة للمنفي بلا كانه قيل لا اله قائما بالقسط الا هو واعترض الفصل بين الصفة والموصوف ... بناء على اتساعهم في ذلك ... الاعتناء اي ولمزيد الاعتناء ... الكلمة بسبب معرفتهم ادلة وحدانيته فانه تعالى لما اخبر ان الله شهد انه لا اله الا هو وشهدت الملائكة واولو العلم ...

٧٧

الافراد فتذكر احديهما

قوله تعالى واستشهدوا شهيدين من رجالكم الى قوله تعالى فرجل وامراتان ان تضل احديهما
ان تضل ... لام محذوفة لان تضل ديمك احدى المراتين تغيب ونسيان اجون ... بعد شهادت مراد ... رجال ... كفايت اجتنوب ... تعدد ... سببي ... احدى المراتين اول ... اولود ... غيب ... ديمك ... تعدد ... اتين تغيب ... ملت وسبب تذكير واخطار ... احدى المراتين اول ... شهادتي غيب ... نسيان ... احدى المراتين اول ... تعدد ... ملت ... تذكير ومقاصد تغيب ونسيان احدى المراتين ذكرا ... اعدت السلاح ... دشمن ... دفع ... اجون لكن ... ملت ... دفع ... دشمن ذكر ... دفع دشمن ...
كما قال البيضاوي رحمه الله والعلة في الحقيقة التذكير ولكن لما كان الضلال سببا له نزل منزلته كقولهم اعددت السلاح ان يجي العدو ... بيضاوي ...
[redacted]
يعني اعداد سلاح سبب مجي عدو در ... حقيقتده سبب اعداد سلاح دفع عدو در ... مجي عدو
بولنميه دفع عدو ... بولنماز ... دفع عدو ... سبب ... دفع عدو
منزله سنه تنزيل ... سبب ... دفع عدو مراد ... نسيان
كي ايكي تغيب ونسيان احدى المراتين ... تذكير واخطار ... تغيب ونسيان
تذكير واخطاره سبب ... تعدد مراد ... تذكير واخطار ذكرا ... سبب
تذكير واخطار ... تغيب ونسيان ... سبب ...
ذكرا ... تذكير واخطار ... مراد ... بيضاوي ... رحمه
... وكانه قيل ارادة ان تذكر احديهما الاخرى ... يعني ان تضل احديهما فتذكر الاخرى
... شهادت مراد ... جناب حق ... اراده ...
... كي

بعضكم بعضا تقول داينته اذا عاملته نسيئة معطيا او آخذا وفائدة ذكر الدين
ان لا يتوهم من التداين المجازاة ويعلم تنوعه الى المؤجل والحال وانه الباعث
على الكتبة ويكون مرجع ضمير فاكتبوه الى اجل مسمى معلوم بالايام والاشهر لا بالحصاد
وقدوم الحاج فاكتبوه لانه اوثق وادفع للنزاع والجمهور على انه استحباب
وعن ابن عباس ان المراد به السلم وقال لما حرم الله الربوا اباح السلف وليكتب
بينكم كاتب بالعدل من يكتب بالسوية لا يزيد ولا ينقص وهو في الحقيقة امر
للمتداينين باختيار كاتب فقيه دين حتى يجيء مكتوبه موثوقا به معدلا
بالشرع ولا يأب كاتب ولا يمتنع احد من الكتاب ان يكتب كما علمه الله مثل ما
علمه من كتبة الوثائق او لا يأب ان ينفع الناس بكتابته كما نفعه الله بتعليمها
كقوله واحسن كما احسن الله اليك فليكتب تلك الكتابة المعلمة امر بها بعد
النهي عن الاباء عنها تأكيدا ويجوز ان تتعلق الكاف بالامر فيكون النهي عن الامتناع
منها مطلقة ثم الامر بها مقيدة وليملل الذي عليه الحق وليكن المملل من عليه
الحق لانه المقر المشهود عليه والاملال والاملاء واحد وليتق الله ربه اي المملي
او الكاتب ولا يبخس ولا ينقص منه شيئا اي من الحق او مما امل عليه فان كان
الذي عليه الحق سفيها ناقص العقل مبذرا او ضعيفا صبيا او شيخا مختلا او
لا يستطيع ان يمل هو او غير مستطيع للاملاء بنفسه لخرس او جهل باللغة فليملل
وليه بالعدل اي الذي يلي امره ويقوم مقامه من قيم ان كان صبيا او مختل
عقل او وكيل او مترجم ان كان غير مستطيع وهو دليل جريان النيابة في
الاقرار ولعله مخصوص بما تعاطاه القيم او الوكيل واستشهدوا شهيدين واطلبوا
ان يشهد على الدين شاهدان من رجالكم من رجال المسلمين وهو دليل
على اشتراط اسلام الشهود واليه ذهب عامة العلماء وقال ابو حنيفة تقبل شهادة
الكفار بعضهم لبعض فان لم يكونا رجلين فان لم يكن الشهيدان رجلين فرجل
وامرأتان فليشهد او فالمستشهد رجل وامرأتان وهذا مخصوص بالاموال عندنا
وبما عدا الحدود والقصاص عند ابي حنيفة ممن ترضون من الشهداء لعلمكم بعدالتهم
ان تضل احديهما فتذكر احديهما الاخرى علة اعتبار العدد اي لاجل ان احديهما
ان ضلت الشهادة بان نسيتها ذكرتها الاخرى والعلة في الحقيقة التذكير
ولكن لما كان الضلال سببا له نزل منزلته كقولهم اعددت السلاح ان يجيء
العدو فادفعه وكأنه قيل ارادة ان تذكر احديهما الاخرى ان ضلت وفيه
اشعار بنقصان عقلهن وقلة ضبطهن وقرأ حمزة ان تضل على الشرط فتذكر
بالرفع وابن كثير وابو عمرو ويعقوب فتذكر من الاذكار ولا يأب الشهداء
اذا ما دعوا لاداء الشهادة او التحمل وسموا شهداء تنزيلا لما يشارف منزلة الواقع

قوله ولا تسأموا ان تكتبوه كنى بالسام عن الكسل لان الكسل صفة المنافق وجوازان يراد من كثرت مدايناته فاحتاج ان يكتب لكل دين صغيرا او كبيرا فربما مل لكثرة الكتب والضمير في تكتبوه للدين او الحق

قوله الا ان تكون تجارة حاضرة تديرونها بينكم استثناء منقطع من الامر بالكتابة اي لكن وقت كون مداينتكم او تجارتكم تجارة حاضرة بحضور البدلين تديرونها بينكم بتعاطيهما بينكم

قوله اقسط واقوم يجوز على مذهب سيبويه ان يكونا مبنيين من اقسط واقام وان يكون اقسط من قاسط على طريقة النسب بمعنى ذي قسط واقوم من قويم ... يجوز على مذهب سيبويه ... والعدول عن الحق والمعنى ... والفعل منه ... لان معناه الزيادة في القاسط وهو الجائر ... لا فيما انهم جوزوا ان يكون ... كما حكى ... احصى افعل من الاحصاء ... بانه فعل ماض

قوله فان امن بعض الدائنين بعض المديونين بحسن ظنه به وقرأ ابي فان اومن اي آمنه الناس ... بالامانة والوفاء والاستغناء عن الارتهان من شدة ... فليؤد الذي اؤتمن امانته ... وائتمنه ... ولم يرتهن ... فليؤد الذي اؤتمن امانته حث للمديون على ان يكون عند ظن الدائن ... الدين امانة وهو مضمون ...

كشاف

قوله فان اومن بقول اي ... امن منه ... وذلك بان وصفه بالامانة مثلا ... لا يتعدى الى مفعولين ... والضمير ... ولم يرتهن للدائن ... بترك اخذ الرهن ...

دماء مؤبدة ولا تسأموا ان تكتبوه ولا تملوا من كثرة مداينتكم ان تكتبوا الدين او الحق او الكتاب وقيل كنى بالسام عن الكسل لانه صفة المنافق ولذلك قال عليه السلام لا يقول المؤمن كسلت صغيرا او كبيرا صغيرا كان الحق او كبيرا او مختصرا كان الكتاب او مشبعا الى اجله الى وقت حلوله الذي اقر به المديون ذلكم اشارة الى ان تكتبوه اقسط عند الله اكثر قسطا واقوم للشهادة واثبت لها واعون على اقامتها وهما مبنيان من اقسط واقام على غير قياس او من قاسط بمعنى ذي قسط وقويم وانما صحت الواو في اقوم كما صحت في التعجب لجموده وادنى ان لا ترتابوا واقرب في ان لا تشكوا في جنس الدين وقدره واجله والشهود ونحو ذلك الا ان تكون تجارة حاضرة تديرونها بينكم فليس عليكم جناح ان لا تكتبوها استثناء من الامر بالكتابة والتجارة الحاضرة تعم المبايعة بدين او عين وادارتها بينهم تعاطيهم اياها يدا بيد اي الا ان تتبايعوا يدا بيد فلا باس ان لا تكتبوا لبعده عن التنازع ونصب عاصم تجارة على انه الخبر والاسم مضمر تقديره الا ان تكون التجارة تجارة حاضرة كقوله بني اسد هل تعلمون بلاءنا اذا كان يوما ذا كواكب اشنعا ورفعها الباقون على انه الاسم والخبر تديرونها او على كان التامة واشهدوا اذا تبايعتم هذا التبايع او مطلقا لانه احوط والاوامر التي في هذه الاية للاستحباب عند اكثر الايمة وقيل انها للوجوب ثم اختلف في احكامها ونسخها ولا يضار كاتب ولا شهيد يحتمل البناءين ويدل عليه انه قرئ ولا يضارر بالكسر والفتح وهو نهيهما عن ترك الاجابة والتحريف والتغيير في الكتبة والشهادة او النهي عن الضرار بهما مثل ان يعجلا عن مهم ويكلفا الخروج عما حد لهما ولا يعطى الكاتب جعله والشهيد مؤنة مجيئه حيث كان وان تفعلوا الضرار وما نهيتم عنه فانه فسوق بكم خروج عن الطاعة لاحق بكم واتقوا الله في مخالفة امره ونهيه ويعلمكم الله احكامه المتضمنة لمصالحكم والله بكل شيء عليم كرر لفظ الله في الجمل الثلث لاستقلالها فان الاولى حث على التقوى والثانية وعد بانعامه والثالثة تعظيم لشانه ولانه ادخل في التعظيم من الكناية وان كنتم على سفر اي مسافرين ولم تجدوا كاتبا فرهان مقبوضة فالذي يستوثق به رهان او فعليكم رهان او فليؤخذ رهان وليس هذا التعليق لاشتراط السفر في الارتهان كما ظنه مجاهد والضحاك لانه عليه السلام رهن درعه في المدينة من يهودي بعشرين صاعا من شعير اخذه لاهله بل لاقامة التوثيق بالارتهان مقام التوثيق بالكتب في السفر الذي هو مظنة اعوازها والجمهور على اعتبار القبض فيه غير مالك وقرأ ابن كثير وابو عمرو فرهن كسقف وكلاهما جمع رهن بمعنى مرهون وقرئ باسكان الهاء على التخفيف فان امن بعضكم بعضا اي بعض الدائنين بعض المديونين واستغنى بامانته عن الارتهان فليؤد الذي اؤتمن امانته اي دينه

سماه امانة لايمانه عليه بترك الارتهان به وقرئ الذي ايتمن بقلب الهمزة يا والذيتمن
بادغام اليا في التا وهو خطا لان المنقلبة عن الهمزة في حكمها فلا تدغم وليتق الله ربه
في الخيانة وانكار الحق وفيه مبالغات ولا تكتموا الشهادة ايها الشهود او المديونون
والشهادة اقرارهم على انفسهم ومن يكتمها فانه آثم قلبه اي يأثم قلبه او قلبه يأثم
والجملة خبر ان واسناد الاثم الى القلب لان الكتمان يقترفه ونظيره العين زانية والاذن
زانية او للمبالغة فانه رئيس الاعضا وافعاله اعظم الافعال وكانه قيل تمكن الاثم في
نفسه واخذ اشرف اجزائه وفاق سائر ذنوبه وقرئ قلبه بالنصب كحسن وجهه والله بما
تعملون عليم تهديد لله ما في السموات وما في الارض خلقا وملكا وان تبدوا ما في انفسكم
او تخفوه يعني ما فيها من السوء والعزم عليه لترتب المغفرة والعذاب عليه يحاسبكم
به الله يوم القيمة وهو حجة على من انكر الحساب كالمعتزلة والروافض فيغفر لمن يشاء
مغفرته ويعذب من يشاء تعذيبه وهو صريح في نفي وجوب التعذيب وقد رفعهما
ابن عامر وعاصم ويعقوب على الاستيناف وجزمهما الباقون عطفا على جواب الشرط ومن
جزم بغير فا جعلهما بدلا منه بدل البعض من الكل او الاشتمال كقوله متى تاتنا تلمم بنا في ديارنا
تجد حطبا جزلا ونارا تاججا وادغام الرا في اللام لحن اذ الرا لا تدغم الا في مثلها والله
على كل شيء قدير فيقدر على الاحيا والمحاسبة آمن الرسول بما انزل اليه من ربه
شهادة وتنصيص من الله على صحة ايمانه والاعتداد به وانه جازم في امره غير شاك فيه
والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لا يخلو من ان يعطف المؤمنون
على الرسول فيكون الضمير الذي ينوب عنه التنوين راجعا الى الرسول والمؤمنين او يجعل
مبتدا فيكون الضمير للمؤمنين وباعتباره يصح وقوع كل بخبره خبر المبتدا ويكون افراد
الرسول بالحكم اما لتعظيمه او لان ايمانه عن مشاهدة وعيان وايمانهم عن نظر واستدلال
وقرا حمزة والكسائي وكتابه يعني القرآن او الجنس والفرق بينه وبين الجمع انه شائع في وحدان
الجنس والجمع في جموعه ولذلك قيل الكتاب اكثر من الكتب لا نفرق بين احد من رسله
اي يقولون لا نفرق وقرا يعقوب لا يفرق باليا على ان الفعل لكل وقرئ لا يفرقون حملا
على معناه كقوله وكل اتوه داخرين واحد في معنى الجمع لوقوعه في سياق النفي كقوله فما منكم
من احد عنه حاجزين ولذلك دخل عليه بين والمراد نفي الفرق بالتصديق والتكذيب
وقالوا سمعنا اجبنا واطعنا امرك غفرانك ربنا اغفر غفرانك او نطلب غفرانك
واليك المصير المرجع بعد الموت وهو اقرار منهم بالبعث لا يكلف الله نفسا الا وسعها
الا ما تسعه قدرتها فضلا ورحمة او ما دون مدى طاقتها بحيث يتسع فيه طوقها ويتيسر
عليها كقوله تعالى يريد الله بكم اليسر وهو يدل على عدم وقوع التكليف بالمحال ولا يدل على
امتناعه لها ما كسبت من خير وعليها ما اكتسبت من شر لا ينتفع بطاعتها ولا يتضرر
بمعاصيها غيرها وتخصيص الكسب بالخير والاكتساب بالشر لان الاكتساب فيه اعتمال والشر

تشبيه النفس وتجذب اليه وكانت اجد في تحصيله واعمل لعلاقة الحرص ربنا لا تؤاخذنا
ان نسينا او اخطأنا اي لا تؤاخذنا بما ادى بنا الى نسيان او خطاء من تفريط
وقلة مبالاة او بانفسهما اذ لا يمتنع المؤاخذة بهما عقلا فان الذنوب كالسموم
فكما ان تناولها يؤدى الى الهلاك وان كان خطاء فتعاطى الذنوب لا يبعد ان يفضي الى
العقاب وان لم يكن له عزيمة ولكنه تعالى وعد التجاوز عنه رحمة وفضلا فيجوز
ان يدعو الانسان به استدامة واعتدادا بالنعمة فيه ويؤيد ذلك مفهوم قوله عليه السلام
رفع عن امتي الخطاء والنسيان ربنا ولا تحمل علينا اصرا عبئا ثقيلا يأصر صاحبه
اي يحبسه في مكانه يريد به التكاليف الشاقة وقرئ ولا تحمّل بالتشديد للمبالغة كما
حملته على الذين من قبلنا حملا مثل حملك اياه من قبلنا او مثل الذي حملته اياهم فيكون
صفة لاصرا والمراد به ما كلف به بنو اسرائيل من قتل الانفس وقطع موضع النجاسة وخمسين
صلوة في اليوم والليلة وصرف ربع المال للزكوة او ما اصابهم من الشدائد والمحن ربنا
ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به من البلاء والعقوبة او من التكاليف التي لا تفي بها الطاقة
البشرية وهو يدل على جواز التكليف بما لا يطاق والا لما سئل التخلص عنه والتشديد ههنا لتعدية
الفعل الى مفعول ثان واعف عنا وامح ذنوبنا واغفر لنا واستر عيوبنا ولا تفضحنا بالمؤاخذة
وارحمنا وتعطف بنا وتفضل علينا انت مولانا سيدنا فانصرنا على القوم الكافرين
فان من حق المولى ان ينصر مواليه على الاعداء والمراد به عامة الكفرة روى انه عليه السلام لما دعا
بهذه الدعوات قيل له فعلت وعنه عليه السلام انزل الله ايتين من كنوز الجنة كتبهما
الرحمن بيده قبل ان يخلق الخلق بالفي سنة من قرأهما بعد العشاء الاخرة اجزأتاه عن قيام
الليل وعنه عليه السلام من قرأ الايتين من اخر سورة البقرة في ليلة كفتاه وهو يرد
قول من استكره ان يقال سورة البقرة وقال ينبغي ان يقال السورة التي تذكر فيها البقرة
كما قال عليه السلام السورة التي تذكر فيها البقرة فسطاط القران فتعلموها فان تعلمها بركة
وتركها حسرة ولن يستطيعها البطلة قيل وما البطلة قال السحرة سورة ال عمران مدنية
وآيها مائتان بسم الله الرحمن الرحيم الم الله لا اله الا هو انما فتح الميم في
المشهور وكان حقها ان يوقف عليها لالقاء حركة الهمزة عليها ليدل على انها في حكم الثابت
لانها اسقطت للتخفيف لا للدرج فان الميم في حكم الوقف كقولهم واحد اثنان لا لالتقاء الساكنين
فانه غير محذور في باب الوقف ولذلك لم تحرك في لام وقرئ بكسرها على توهم التحريك
لالتقاء الساكنين وقرأ ابو بكر بسكونها والابتداء بما بعدها على الاصل الحي القيوم روي انه
عليه السلام قال ان اسم الله الاعظم في ثلث سور في البقرة الله لا اله الا هو الحي القيوم وفي آل
عمران الله لا اله الا هو الحي القيوم وفي طه وعنت الوجوه للحي القيوم نزل عليك الكتاب
القران نجوما بالحق بالعدل او بالصدق في اخباره او بالحجج المحققة انه من عند الله وهو في موضع
الحال مصدقا لما بين يديه من الكتب وانزل التورية والانجيل جملة على موسى وعيسى

قوله في الصحيفة اليمنى قال الميم في حكم الوقف وان كان مع الحركة فلا درج بهنا بل ذكر اسماء ابتداء الكلام [illegible]
تمه الوصل فهو محذوف منوي [illegible] واحد اثنين بكسر الدال لانه لا شبهة في ان حذف الالف [illegible]
ليس للدرج [illegible] تحريك الدال لالتقاء الساكنين [illegible] مذهب سيبويه من ان فتح الميم لالتقاء الساكنين
[illegible] الزمخشري [illegible] على ضعف قراءة كسر الميم [illegible] على توهم التحريك لالتقاء الساكنين [illegible]
كون التحريك لالتقاء الساكنين [illegible]
[illegible]

قوله [illegible] لالقاء حركة الهمزة عليها [illegible]
[illegible]

قوله لا لالتقاء الساكنين [illegible]
[illegible]

قوله بالحق حال من الفاعل والمفعول [illegible]
[illegible]

قوله الحي القيوم خبر آخر لاسم الجلالة [illegible]
[illegible]

قال الكشاف قوله وانزل الفرقان [illegible]
[illegible]

قوله [illegible] اخر جمع اخرى واخرى مؤنث آخر [illegible]
[illegible]

واشتقاقهما من الورى والنجل ووزنهما بتفعلة وإفعيل تعسف لانهما اعجميان ويؤيد ذلك انه قرئ الانجيل بفتح الهمزة وهو ليس من ابنية العرب وقرأ ابو عمرو وابن ذكوان والكسائي التورية بالامالة في جميع القران ونافع وحمزة بين اللفظين الا قالون فانه يقرأ بالفتح كقراءة الباقين **من قبل** من قبل تنزيل القران **هدى للناس** على العموم ان قلنا انا متعبدون بشرع من قبلنا والا فالمراد به قومهما **وانزل الفرقان** يريد به جنس الكتب الالهية فانها فارقة بين الحق والباطل ذكر ذلك بعد ذكر الكتب الثلثة ليعم ما عداها كانه قال وانزل ساير ما يفرق به بين الحق والباطل والزبور او القران وكرر ذكره بما هو نعت له مدحا وتعظيما واظهارا لفضله من حيث انه يشاركهما في كونه وحيا منزلا ويتميز بانه معجز يفرق به بين المحق والمبطل والمعجزات **ان الذين كفروا بايات الله** من كتبه المنزلة وغيرها **لهم عذاب شديد** بسبب كفرهم **والله عزيز** غالب لا يمنع من التعذيب **ذو انتقام** لا يقدر على مثله منتقم والنقمة عقوبة المجرم والفعل منه نقم بالفتح والكسر وهو وعيد جيء به بعد تقرير التوحيد والاشارة الى ما هو العمدة في اثبات النبوة تعظيما للامر وزجرا عن الاعراض عنه **ان الله لا يخفى عليه شيء في الارض ولا في السماء** اي شيء كائن في العالم كليا كان او جزئيا ايمانا او كفرا فعبر عنه بالسماء والارض اذ الحس لا يتجاوزهما وانما قدم الارض ترقيا من الادنى الى الاعلى ولان المقصود بالذكر ما اقترف فيها وهو كالدليل على كونه حيا وقوله **هو الذي يصوركم في الارحام كيف يشاء** اي من الصور المختلفة كالدليل على القيومية والاستدلال على انه عالم باتقان فعله في خلق الجنين وتصويره وقرئ تصوركم اي صوركم لنفسه وعبادته **لا اله الا هو** اذ لا يعلم غيره جملة ما يعلمه ولا يقدر على مثل ما يفعله **العزيز الحكيم** اشارة الى كمال قدرته وتناهي حكمته قيل هذا حجاج على من زعم ان عيسى كان ربا فان وفد نجران لما حاجوا فيه رسول الله صلعم نزلت السورة من اولها الى نيف وثمانين اية تقريرا لما احتج به عليهم واجاب عن شبههم **هو الذي انزل عليك الكتاب منه ايات محكمات** احكمت عبارتها بان حفظت من الاحتمال **هن ام الكتاب** اصله يرد اليها غيرها والقياس امهات فافرد على تاويل كل واحدة او على ان الكل بمنزلة اية واحدة **واخر متشابهات** محتملات لا يتضح مقصودها لاجمال او مخالفة ظاهر الا بالفحص والنظر ليظهر فيها فضل العلماء ويزداد حرصهم على ان يجتهدوا في تدبرها وتحصيل العلوم المتوقف عليها استنباط المراد بها فينالوا بها وباتعاب القرائح في استخراج معانيها والتوفيق بينها وبين المحكمات معالي الدرجات واما قوله الر كتاب احكمت اياته فمعناه انها حفظت من فساد المعنى وركاكة اللفظ وقوله كتابا متشابها فمعناه انه يشبه بعضه بعضا في صحة المعنى وجزالة اللفظ **واخر** جمع اخرى وانما لم ينصرف لانه وصف معدول عن الاخر ولا يلزم منه معرفته لان معناه ان القياس ان يعرف ولم يعرف لا انه

[illegible]

قوله فان الميم في حكم الوقف هذا دليل على ان اسقاط الالف للتدرج لا انما يكون اذا كان الحرف قبل الساقط فلا يكون في حكم الوقف

قوله مبالغة اشارة الى الفرق بين فعل هذه وبين الذي في قوله ربت وتختلف بان بناء فعل في الاول للمبالغة والتكثير كما في موتت البهائم

وغلقت الابواب وفي الثاني للتعدية [illegible] فان قوله حمل عليه بالتخفيف يفيد معنى واذا قلت حمل عليه بالتشديد فقصدت

المبالغة في ذلك المعنى واما حمله الذي هو للتعدية [illegible] وليس فيه الا نقل باب الى باب ولا يفيد مبالغة

[illegible]

واشتقاقهما من الورى والنجل ووزنهما تفعلة وافعيل تعسف لانهما اعجميان
ويؤيد ذلك انه قرئ الانجيل بفتح الهمزة وهو ليس من ابنية العرب وقرا ابو عمرو
وابن ذكوان والكسائي التورية بالامالة في جميع القران ونافع وحمزة بين اللفظين
الا قالون فانه يقرا بالفتح كقراءة الباقين من قبل من قبل تنزيل القران هدى
للناس على العموم ان قلنا انا متعبدون بشرع من قبلنا والا فالمراد به قومهما
وانزل الفرقان يريد به جنس الكتب الالهية فانها فارقة بين الحق والباطل ذكر ذلك
بعد ذكر الكتب الثلثة ليعم ما عداها كانه قال وانزل ساير ما يفرق به بين الحق
والباطل او الزبور او القران وكرر ذكره بما هو نعت له مدحا وتعظيما واظهارا
لفضله من حيث انه يشاركهما في كونه وحيا منزلا ويتميز بانه معجز يفرق به بين
المحق والمبطل او المعجزات ان الذين كفروا بايات الله من كتبه المنزلة وغيرها لهم عذاب
شديد بسبب كفرهم والله عزيز غالب لا يمنع من التعذيب ذو انتقام لا يقدر
على مثله منتقم والنقمة عقوبة المجرم والفعل منه نقم بالفتح والكسر وهو وعيد جيء
به بعد تقرير التوحيد والاشارة الى ما هو العمدة في اثبات النبوة تعظيما للامر وزجرا
عن الاعراض عنه ان الله لا يخفى عليه شيء في الارض ولا في السماء اي شيء كائن في العالم
كليا كان او جزئيا ايمانا او كفرا فعبر عنه بالسماء والارض اذ الحس لا يتجاوزهما وانما قدم
الارض ترقيا من الادنى الى الاعلى ولان المقصود بالذكر ما اقترف فيها وهو كالدليل على
كونه حيا وقوله هو الذي يصوركم في الارحام كيف يشاء اي من الصور المختلفة كالدليل
على القيومية والاستدلال على انه عالم باتقان فعله في خلق الجنين وتصويره وقرئ تصوركم
اي صوركم لنفسه وعبادته لا اله الا هو اذ لا يعلم غيره جملة ما يعلمه ولا يقدر على مثل
ما يفعله العزيز الحكيم اشارة الى كمال قدرته وتناهي حكمته قيل هذا حجاج على من زعم
ان عيسى كان ربا فان وفد نجران لما حاجوا فيه رسول الله صلعم نزلت السورة من اولها
الى نيف وثمانين اية تقريرا لما احتج به عليهم واجاب عن شبههم هو الذي انزل عليك
الكتاب منه ايات محكمات احكمت عبارتها بان حفظت من الاحتمال هن ام الكتاب
اصله يرد اليها غيرها والقياس امهات فافرد على تاويل كل واحدة او على ان الكل بمنزلة
اية واحدة واخر متشابهات محتملات لا يتضح مقصودها لاجمال او مخالفة ظاهر
الا بالفحص والنظر ليظهر فيها فضل العلماء ويزداد حرصهم على ان يجتهدوا في تدبرها و
تحصيل العلوم المتوقف عليها استنباط المراد بها فينالوا بها وباتعاب القرائح في استخراج معانيها
والتوفيق بينها وبين المحكمات معالي الدرجات واما قوله الر كتاب احكمت اياته فمعناه
انها حفظت من فساد المعنى وركاكة اللفظ وقوله كتابا متشابها فمعناه انه يشبه بعضه
بعضا في صحة المعنى وجزالة اللفظ واخر جمع اخرى وانما لم ينصرف لانه وصف معدول
عن الاخر ولا يلزم منه معرفته لان معناه ان القياس ان يعرف ولم يعرف لا انه

في معنى المعرف او عن آخرين فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ عدول عن الحق كالمبتدعة
فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ فيتعلقون بظاهره او بتاويل باطل ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ طلب
ان يفتنوا الناس عن دينهم بالتشكيك والتلبيس ومناقضة المحكم بالمتشابه وَابْتِغَاءَ
تَأْوِيلِهِ وطلب ان يأولوه على ما يشتهونه ويحتمل ان يكون الداعي الى الاتباع مجموع الطلبتين
او كل واحد منهما على التعاقب والاول يناسب المعاند والثاني يلائم الجاهل وَمَا يَعْلَمُ
تَأْوِيلَهُ الذي يجب ان يحمل عليه إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ اي الذين ثبتوا وتمكنوا فيه
ومن وقف على الا الله فسر المتشابه بما استأثر الله بعلمه كمدة بقاء الدنيا ووقت قيام
الساعة وخواص الاعداد كعدد الزبانية او بما دل القاطع على ان ظاهره غير مراد
ولم يدل على ما هو المراد يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ استئناف موضح لحال الراسخين او حال
منهم او خبر ان جعلته مبتدأ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا اي كل من المتشابه والمحكم من عنده
وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ مدح للراسخين بجودة الذهن وحسن النظر واشارة
الى ما استعدوا به للاهتداء الى تأويله وهو تجرد العقل عن غواشي الحس واتصال الآية
بما قبلها من حيث انها في تصوير الروح بالعلم وتربيته وما قبلها في تصوير الجسد
وتسويته او انها جواب عن تشبث النصارى بنحو قوله وكلمته ألقاها الى مريم
وروح منه كما انه جواب قولهم لا اب له غير الله فتعين ان يكون هو اباه واجيب بانه
مصور الاجنة كيف يشاء فيصور من نطفة اب ومن غيرها وبانه مصوره في الرحم
والمصور لا يكون اب المصور رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا من مقال الراسخين وقيل استئناف
والمعنى لا تزغ قلوبنا عن نهج الحق الى اتباع المتشابه بتاويل لا ترتضيه قال عليه السلام
قلب ابن آدم بين اصبعين من اصابع الرحمن ان شاء اقامه على الحق وان شاء ازاغه عنه
بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا الى الحق او الايمان بالقسمين و بعد نصب على الظرف واذ في موضع الجر باضافته اليه وقيل انه بمعنى ان وَ
هَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً تزلفنا اليك ونفوز بها عندك او توفيقا للثبات
على الحق او مغفرة للذنوب إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ لكل سؤل وفيه دليل على ان الهدى
والضلال من الله فانه المتفضل بما ينعم على عباده لا يجب عليه شيء رَبَّنَا إِنَّكَ جَامِعُ
النَّاسِ لِيَوْمٍ لحساب يوم او لجزائه لَا رَيْبَ فِيهِ في وقوع اليوم وما فيه من الحشر
والجزاء فنبهوا به على ان معظم غرضهم من الطلبتين ما يتعلق بالآخرة فانها
المقصد والمآل إِنَّ اللَّهَ لَا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ فان الالهية تنافيه وللاشعار به وتعظيم
الموعود لون الخطاب واستدل به الوعيدية واجيب بان وعيد الفساق مشروط
بعدم العفو لدلائل منفصلة كما هو مشروط بعدم التوبة وفاقا إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا
عام في الكفرة وقيل المراد به وفد نجران او اليهود او مشركو العرب لَنْ تُغْنِيَ
عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا اي من رحمته او طاعته على معنى
البدلية او من عذابه وَأُولَئِكَ هُمْ وَقُودُ النَّارِ حطبها وقرئ بالضم بمعنى اهل

قوله

قوله وابتغاء مصدر مضاف الى مفعوله منصوب على انه مفعول له للفعل الاتباع والتاويل تفعيل من آل يؤول اولا اي عاد ورجع
بين التاويل والتفسير بان التفسير كشف معنى الآية وشأنها وقصتها والسبب الذي نزلت فيه بما لا يعلم ذلك الا بسوقيف النقلة بالسماع
والرواية عنهم والتاويل صرف الآية عن ظاهر معناه الى ما يحتمله النظر اذا كان المحتمل الذي يراه موافقا للكتاب والسنة ولا يجوز الامن
حصلت له صفات اهل العلم وادوات يقدر بها ان يتكلم فيه من اصول اهل اللغة والاعراب وطرق استعمال الالفاظ في معانيها
حقيقة ومجازا وصراحة وكناية بعد ان نور الله بصيرته وقد يسمى التفسير تاويلا كما قال تعالى سانبئك بتاويل ما لم تستطع
وذلك لانه اخبار بما يرجع اليه اللفظ من المعنى والمراد منه ههنا انهم يطلبون التاويل الذي ليس في كتاب الله تعالى عليه دليل
مثل طلبهم ان الساعة متى تقوم وان مقادير الثواب والعقاب كم يكون

قوله ربنا لا تزغ قلوبنا الخ لما كان تطهير القلوب مما لا ينبغي مقدما على تنويره بما ينبغي بين ان الراسخين في العلم ربهم اولا ان لا يجعل قلوبهم
مائلة الى الاباطيل والعقائد الفاسدة ثم اتبعوا ذلك بان طلبوا من ربهم اولا ان لا يجعل قلوبهم مائلة الى الاباطيل والعقائد الفاسدة ثم
اتبعوا ذلك بان طلبوا من ربهم ان ينور قلوبهم بانوار المعرفة ويجعل جوارحهم واعضاءهم مزينة بزينة الطاعة

ونودها كدأب آل فرعون متصل بما قبله اى لن تغنى عنهم كما لم تغن عن اولئك
او توقد بهم كما توقد باولئك او استيناف مرفوع المحل تقديره دأب هؤلاء كدابهم فى الكفر
والعذاب وهو مصدر دأب فى العمل اذا كدح فيه فنقل فيه الى معنى الشان والذين من
قبلهم عطف على فرعون وقيل استيناف كذبوا بآياتنا فاخذهم الله بذنوبهم حال باضمار
قد او استيناف بتفسير حالهم او خبران ابتدأت بالذين من قبلهم والله شديد العقاب تهويل
للمواخذة وزيادة تخويف الكفرة قل للذين كفروا ستغلبون وتحشرون الى جهنم اى قل لمشركى
مكة ستغلبون يعنى يوم بدر وقيل لليهود فانه عليه السلام جمعهم بعد بدر فى سوق بنى قينقاع
فحذرهم ان ينزل بهم ما نزل بقريش فقالوا لا يغرنك انك اصبت اغمارا لا علم لهم
بالحرب لئن قاتلتنا لعلمت انا نحن الناس فنزلت وقد صدق الله وعده بقتل قريظة واجلاء
بنى النضير وفتح خيبر وضرب الجزية على من عداهم وهو من دلائل النبوة وقرأ حمزة والكسائى بالياء
فيهما على ان الامر بان يحكى لهم ما اخبره به من وعيدهم بلفظه وبئس المهاد تمام ما يقال لهم او
استيناف وتقديره بئس المهاد جهنم او ما مهدوه لانفسهم قد كان لكم آية الخطاب لقريش
او لليهود وقيل للمؤمنين فى فئتين التقتا يوم بدر فئة تقاتل فى سبيل الله واخرى كافرة
يرونهم مثليهم اى يرى المشركون المؤمنين مثلى عدد المشركين وكانوا قريبا من الفين او مثلى
عدد المسلمين وكانوا ثلثمائة وبضعة عشر وذلك كان بعدما قللهم فى اعينهم حتى اجترؤا عليهم
وتوجهوا اليهم فلما لاقوهم كثروا فى اعينهم حتى غلبوا مددا من الله للمؤمنين او يرى المؤمنون المشركين
مثلى المؤمنين وكانوا ثلاثة امثالهم ليثبتوا لهم ويتيقنوا بالنصر الذى وعدهم الله به فى قوله وان يكن منكم
مائة صابرة يغلبوا مائتين ويؤيده قراءة نافع ويعقوب بالتاء وقرئ بهما على البناء للمفعول اى
يريهم الله او يريكم ذلك بقدرته وفئة بالجر على البدل من فئتين والنصب على الاختصاص او
الحال من فاعل التقتا رأى العين رؤية ظاهرة معاينة والله يؤيد بنصره من يشاء نصره
كما ايد اهل بدر ان فى ذلك اى التقليل والتكثير او غلبة القليل عديم العدة على الكثير شاكى
السلاح وكون الواقعة آية ايضا يحتملهما ويحتمل وقوع الامر على ما اخبر به الرسول صلعم لعبرة
لاولى الابصار لعظة لذوى البصائر وقيل لمن ابصرهم زين للناس حب الشهوات
اى المشتهيات سماها شهوات مبالغة وايماء على انهم انهمكوا فى محبتها حتى احبوا شهوتها كقوله احببت
حب الخير والمزين هو الله تعالى لانه الخالق للافعال والدواعى ولعله زينه ابتلاء او لانه يكون وسيلة
الى السعادة الاخروية اذا كان على وجه يرتضيه الله او لانه من اسباب التعيش وبقاء
النوع وقيل الشيطان لان الآية فى معرض الذم وفرق الجبائى بين المباح والمحرم من النساء
والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة والانعام و
الحرث بيان للشهوات والقنطار المال الكثير وقيل مائة الف دينار وقيل ملء مسك
ثور واختلف فى انه فعلال او فنعال والمقنطرة ماخوذة منه للتاكيد كقولهم بدرة مبدرة
والمسومة المعلمة من السومة وهى العلامة او المرعية من اسام الدابة وسومها

قوله كدأب آل فرعون محل الكاف الرفع على انه خبر مبتدأ محذوف وقد جوز النصب بلن تغنى او بالوقود اى لن تغنى عنهم كما لم تغن
عن اولئك او توقد بهم النار كما توقد بهم وانت خبير بان المذكور فى تفسير الدأب انما هو التكذيب والاخذ من غير تعرض لعدم الاغناء
[illegible] الجوز ولا الايقاد النار فيحمل على التعليل وهو خلاف الظاهر مع انه يلزم الفصل
بين العامل والمعمول بالاجنبى على تقدير النصب بلن تغنى وهو قوله تعالى واولئك هم وقود النار الا ان يجعل استينافا
[illegible]

قوله تعالى والذين اسم موصول مع صلته فى محل الرفع معطوف على قوله آل فرعون وجملة قوله كذبوا [illegible]
[illegible] عطف على فرعون ويحتمل ان يكون [illegible] اسم الموصول مبتدأ [illegible] كذبوا خبره [illegible]
[illegible]

قوله تعالى كذبوا بآيات الله [illegible] مرفوع المحل
[illegible] فهو استيناف لبيان السبب

قوله ويؤيده قراءة نافع [illegible]
[illegible]

قوله رأى العين [illegible]
[illegible] ابو السعود

قوله تعالى زين للناس كلام مستانف [illegible]
[illegible]

قوله بيان للشهوات قدم النساء [illegible] حب الزوجة والولد فى قلب الانسان حكمة بالغة
[illegible] وهذه المحبة غريزة فى طباع جميع الحيوانات

قوله وقيل الشيطان بناء على عدم تجويز اسناد القبائح الى الله تعالى كما هو مذهب المعتزلة ونسبه الكشاف الى الحسن
[illegible]

قوله رؤية ظاهرة معاينة [illegible]
[illegible]

قوله تعالى زين [illegible]
[illegible]

او المطهمة والانعام الابل والبقر والغنم ذلك متاع الحيوة الدنيا اشارة الى ما ذكر والله عنده حسن المآب اى المرجع وهو تحريض على استبدال ما عنده من اللذات الحقيقية الابدية بالشهوات المخدجة الفانية قل اؤنبئكم بخير من ذلكم يريد به تقرير ان ثواب الله خير من مستلذات الدنيا للذين اتقوا عند ربهم جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها استيناف لبيان ما هو خير ويجوز ان يتعلق اللام بخير ويرتفع جنات على هو جنات ويؤيده قراءة من جرها بدلا من خير وازواج مطهرة مما يستقذر من النساء ورضوان من الله قراءة عاصم في رواية ابي بكر في جميع القرآن بضم الراء ما خلا الحرف الثاني في المائدة وهو قوله رضوانه سبل السلام وهما لغتان والله بصير بالعباد اى باعمالهم فيثيب المحسن ويعاقب المسيء او باحوال الذين اتقوا فلذلك اعد لهم جنات وقد نبه بهذه الآية على نعمه فادناها متاع الدنيا واعلاها رضوان الله لقوله ورضوان من الله اكبر واوسطها الجنة ونعيمها الذين يقولون ربنا اننا آمنا فاغفر لنا ذنوبنا وقنا عذاب النار صفة للمتقين او للعباد او مدح منصوب او مرفوع وفي ترتيب السؤال على مجرد الايمان دليل على انه كاف في استحقاق المغفرة او الاستعداد لها الصابرين والصادقين والقانتين والمنفقين والمستغفرين بالاسحار حصر لمقامات السالك على احسن ترتيب فان معاملته مع الله اما توسل واما طلب والتوسل اما بالنفس وهو منعها عن الرذائل وحبسها على الفضائل والصبر يشملهما واما بالبدن وهو اما قولي وهو الصدق او فعلي وهو القنوت الذي هو ملازمة الطاعة واما بالمال وهو الانفاق في سبيل الخير واما الطلب فبالاستغفار لان المغفرة اعظم المطالب بل الجامع لها وتوسيط الواو بينها للدلالة على استقلال كل واحد منها وكمالهم فيها او لتغاير الموصوفين بها وتخصيص الاسحار لان الدعاء فيها اقرب الى الاجابة لان العبادة حينئذ اشق والنفس اصفى والروع اجمع سيما للمتهجدين قيل انهم كانوا يصلون الى السحر ثم يستغفرون ويدعون شهد الله انه لا اله الا هو بين وحدانيته بنصب الدلائل الدالة عليها وانزال الآيات الناطقة بها والملائكة بالاقرار واولوا العلم بالايمان بها والاحتجاج عليها شبه ذلك في البيان والكشف بشهادة الشاهد قائما بالقسط مقيما للعدل في قسمه وحكمه وانتصابه على الحال من الله وانما جاز افراده بها ولم يجز جاء زيد وعمرو راكبا لعدم اللبس كقوله ووهبنا له اسحق ويعقوب نافلة او من هو والعامل معنى الجملة اى تفرد قائما او احقه لانها حال مؤكدة او على المدح او الصفة للمنفي وفيه ضعف للفصل وهو مندرج في المشهود به اذا جعلته صفة او حالا عن الضمير وقرئ القائم بالقسط على البدل من هو او الخبر لمحذوف لا اله الا هو كرره للتاكيد ومزيد الاعتناء بمعرفة ادلة التوحيد والحكم به بعد اقامة الحجة وليبني عليه قوله العزيز الحكيم فيعلم انه الموصوف بهما وقدم العزيز لتقدم العلم بقدرته

على العلم بحكمته ورفعهما على البدل من الضمير او الصفة لفاعل شهد وقد روي في فضلها انه عليه السلام قال يجاء بصاحبها يوم القيمة فيقول الله ان لعبدي هذا عندي عهدا وانا احق من وفى بالعهد ادخلوا عبدي الجنة وهو دليل على فضل علم اصول الدين وشرف اهله ان الدين عند الله الاسلام جملة مستانفة مؤكدة للاولى اى لا دين مرضي عند الله سوى الاسلام وهو التوحيد والتدرع بالشرع الذي جاء به محمد صلعم وقرأ الكسائي بالفتح على انه بدل من انه بدل الكل ان فسر الاسلام بالايمان او بما يتضمنه وبدل الاشتمال ان فسر بالشريعة وقرئ انه بالكسر وان بالفتح على وقوع الفعل على الثاني واعتراض ما بينهما او اجراء شهد مجرى قال تارة وعلم اخرى لتضمنه معناهما وما اختلف الذين اوتوا الكتاب من اليهود والنصارى او من ارباب الكتب المتقدمة في دين الاسلام فقال قوم انه حق وقال قوم انه مخصوص بالعرب ونفاه آخرون مطلقا او في التوحيد فثلثت النصارى وقالت اليهود عزير ابن الله وقيل هم قوم موسى اختلفوا بعده وقيل هم النصارى اختلفوا في امر عيسى عليه السلام الا من بعد ما جاءهم العلم اى بعد ما علموا حقيقة الامر او تمكنوا من العلم بها بالآيات والحجج بغيا بينهم حسدا بينهم وطلبا للرياسة لا لشبهة وخفاء في الامر ومن يكفر بآيات الله فان الله سريع الحساب وعيد لمن كفر منهم فان حاجوك في الدين او جادلوك فيه بعد ما اقمت الحجج فقل اسلمت وجهي لله اخلصت نفسي وجملتي له لا اشرك فيها غيره وهو الدين القويم الذي قامت عليه الحجج ودعت اليه الآيات والرسل وانما عبر بالوجه عن النفس لانه اشرف الاعضاء الظاهرة ومظهر القوى والحواس ومن اتبعن عطف على التاء وحسن للفصل او المفعول معه وقل للذين اوتوا الكتاب والاميين الذين لا كتاب لهم كمشركي العرب أاسلمتم كما اسلمت لما اوضحت لكم الحجة ام انتم بعد على كفركم ونظيره قوله فهل انتم منتهون وفيه تعيير لهم بالبلادة او المعاندة فان اسلموا فقد اهتدوا فقد نفعوا انفسهم بان اخرجوها من الضلال وان تولوا فانما عليك البلاغ اى فلم يضروك اذ ما عليك الا ان تبلغ وقد بلغت والله بصير بالعباد وعد ووعيد ان الذين يكفرون بآيات الله ويقتلون النبيين بغير حق ويقتلون الذين يامرون بالقسط من الناس فبشرهم بعذاب اليم هم اهل الكتاب الذين في عصره قتل اولوهم الانبياء ومتابعيهم وهم رضوا به وقصدوا قتل النبي صلعم والمؤمنين ولكن الله عصمهم وقد سبق مثله في سورة البقرة وقرأ حمزة ويقاتلون الذين وقد منع سيبويه ادخال الفاء في خبر ان كليت ولعل ولذلك قيل الخبر اولئك الذين حبطت اعمالهم في الدنيا والآخرة كقولك زيد فافهم رجل صالح والفرق انه لا يغير معنى الابتداء بخلافهما وما لهم من ناصرين يدفع عنهم العذاب ألم تر الى الذين اوتوا نصيبا من الكتاب اى التورية او جنس الكتب السماوية ومن للتبعيض او للبيان وتنكير النصيب يحتمل التعظيم والتحقير يدعون الى كتاب الله ليحكم بينهم الداعي محمد صلعم وكتاب الله القرآن او التورية لما روي انه عليه السلام دخل مدراسهم فقال له نعيم بن عمرو والحارث بن زيد على اي دين انت فقال عليه السلام دين ابراهيم فقالا ان ابراهيم

كان يهوديا فقال هلموا الى التورية فانها بيننا وبينكم فابيا فنزلت وقيل نزلت في الرجم وقرئ
ليحكم على البناء للمفعول فيكون الاختلاف فيما بينهم وفيه دليل على ان الادلة السمعية حجة
في الاصول ثم يتولى فريق منهم استبعاد لتوليهم مع علمهم بان الرجوع اليه واجب
وهم معرضون وهم قوم عادتهم الاعراض والجملة حال من فريق وانما ساغ لتخصصه
بالصفة ذلك اشارة الى التولي والاعراض بانهم قالوا لن تمسنا النار الا اياما
معدودات بسبب تسهيلهم امر العقاب على انفسهم لهذا الاعتقاد الزائغ والطمع الفارغ
وغرهم في دينهم ما كانوا يفترون من ان النار لن تمسهم الا اياما قلائل او ان اباءهم
الانبياء يشفعون لهم او انه تعالى وعد يعقوب عليه السلام ان لا يعذب اولاده الا تحلة القسم
فكيف اذا جمعناهم ليوم لا ريب فيه استعظام لما يحيق بهم في الاخرة وتكذيب لقولهم
لن تمسنا النار الا اياما معدودات روي ان اول راية ترفع يوم القيمة من رايات الكفار راية اليهود
فيفضحهم الله على رؤس الاشهاد ثم يامر بهم الى النار ووفيت كل نفس ما كسبت
جزاء ما كسبته وفيه دليل على ان العبادة لا تحبط وان المؤمن لا يخلد في النار لان توفية
ايمانه وعمله لا يكون في النار ولا قبل دخولها فاذا هي بعد الخلاص منها وهم لا يظلمون
الضمير لكل نفس على المعنى لانه في معنى كل انسان قل اللهم الميم عوض من يا ولذلك لا يجتمعان
وهو من خصائص هذا الاسم كدخول يا عليه مع لام التعريف وقطع همزته وتاء القسم
وقيل اصله يا الله امنا بخير فخفف بحذف حرف النداء ومتعلقات الفعل وهمزته مالك
الملك يتصرف فيما يمكن التصرف فيه تصرف الملاك وهو نداء ثان عند سيبويه فان الميم عنده
يمنع الوصفية تؤتي الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء تعطي منهما ما تشاء
وتسترد فالملك الاول عام والاخران بعضان منه وقيل المراد بالملك النبوة ونزعها نقلها
من قوم الى قوم وتعز من تشاء وتذل من تشاء في الدنيا او في الاخرة او فيهما بالنصر
والادبار والتوفيق والخذلان بيدك الخير انك على كل شيء قدير ذكر الخير وحده لانه المقضي
بالذات والشر مقضي بالعرض اذ لا يوجد شر جزئي ما لم يتضمن خيرا كليا او لمراعاة الادب
في الخطاب او لان الكلام وقع فيه اذ روي انه عليه السلام لما خط الخندق وقطع لكل عشرة
اربعين ذراعا واخذوا يحفرون فظهر فيه صخرة عظيمة لم تعمل فيها المعاول فوجهوا
سلمان الى الرسول صلعم يخبره فجاء فاخذ المعول منه فضربها ضربة صدعتها وبرق منها برق
اضاء ما بين لابتيها لكان مصباحا في جوف بيت مظلم فكبر وكبر معه المسلمون
وقال اضاءت لي منها قصور الحيرة كانها انياب الكلاب ثم ضرب الثانية فقال اضاءت
لي منها القصور الحمر من ارض الروم ثم ضرب الثالثة فقال اضاءت لي قصور صنعاء
واخبرني جبريل ان امتي ظاهرة على كلها فابشروا فقال المنافقون الا تعجبون يمنيكم ويعدكم
الباطل ويخبركم انه يبصر من يثرب قصور الحيرة فانها تفتح لكم وانتم انما تحفرون الخندق
من الفرق فنزلت ونبه على ان الشر ايضا بيده بقوله انك على كل شيء قدير تولج الليل

ومن منع قبول الصحابي فقد اورد على الحنفية بانه لو لم يكن حكاية الفعل الم عندكم لزم ان لا يثبت الشفعة للجار العرض
ومنع ملازمته ولعله بان ليس لحكاية الفعل بل جاز تقضيها للقول فان لفظ الراوي يعلم الجذب بالمعنى فيكون عاما ولو سلم انه بيان
حالة في قضية معينة فالظاهر انه لم الصحابي العموم من كلام ولو بقرينة فلذلك اسند القضاء على العموم اليهم فيكون حجة
والله اعلم بحقيقة الحال

٣٥	[illegible]
٢٢	[illegible]
٤٠	[illegible]
١٦	دوخان
٩	دوخان
٢	[illegible]
٣٨	[illegible]
١٥٢	
١٤٤	لحم

[illegible] باره

١٦
٩
٢
٣٠
١٤٤
٨
١٤
٤
١٨
٢٦٤

٦٣
[illegible] باره

في النهار وتولج النهار في الليل وتخرج الحي من الميت وتخرج الميت من الحي
وترزق من تشاء بغير حساب عقب ذلك ببيان قدرته على معاقبة الليل
والنهار والموت والحيوة وسعة فضله دلالة على ان من قدر على ذلك قدر على
معاقبة الذل والعز وايتاء الملك ونزعه والولوج الدخول في مضيق وايلاج الليل
والنهار ادخال احدهما في الاخر بالتعقيب او الزيادة والنقص واخراج الحي من الميت
وبالعكس انشاء الحيوانات من موادها واماتتها او انشاء الحيوان من النطفة والنطفة
منه وقيل اخراج المومن من الكافر والكافر من المومن وقرا ابن كثير وابن عامر
وابو بكر الميت بالتخفيف لا يتخذ المومنون الكافرين اولياء نهوا عن موالاتهم لقرابة
او صداقة جاهلية ونحوهما حتى لا يكون حبهم وبغضهم الا في الله او عن الاستعانة
بهم في الغزو وساير الامور الدينية من دون المومنين اشارة الى انهم الاحقاء
بالموالاة وان في موالاتهم مندوحة عن موالاة الكفرة ومن يفعل ذلك اي اتخاذهم
اولياء فليس من الله في شيء من ولايته في شيء يصح ان يسمى ولاية فان موالاة
متعاديين لا يجتمعان قال تود عدوي ثم تزعم انني صديقك ليس النوك
عنك بعازب الا ان تتقوا منهم تقاة الا ان تخافوا من جهتهم ما يجب اتقاؤه او اتقاء والفعل
معدى بمن لانه في معنى تحذروا وتخافوا وقرا يعقوب تقية منع عن موالاتهم ظاهرا و
باطنا في الاوقات كلها الا وقت المخافة فان اظهار الموالاة حينئذ جايز كما قال عيسى عليه السلام
كن وسطا وامش جانبا ويحذركم الله نفسه والى الله المصير فلا تتعرضوا لسخطه
بمخالفة احكامه وموالاة اعدايه وهو تهديد عظيم مشعر بتناهي المنهي في القبح وذكر
النفس ليعلم ان المحذر منه عقاب يصدر منه فلا يوبه دونه بما يحذر من الكفرة
قل ان تخفوا ما في صدوركم او تبدوه يعلمه الله اي انه يعلم ضمايركم من ولاية
الكفار وغيرها ان تخفوها او تبدوها ويعلم ما في السموات وما في الارض فيعلم سركم
وعلنكم والله على كل شيء قدير فيقدر على عقوبتكم ان لم تنتهوا عما نهيتم عنه والاية
بيان لقوله ويحذركم الله نفسه وكانه قال ويحذركم نفسه لانها متصفة بعلم ذاتي
يحيط بالمعلومات كلها وقدرة ذاتية تعم المقدورات باسرها فلا تجسروا على عصيانه
اذ ما من معصية الا وهو مطلع عليها قادر على العقاب بها يوم تجد كل نفس ما عملت
من خير محضرا وما عملت من سوء تود لو ان بينها وبينه امدا بعيدا
يوم منصوب بتود اي تتمنى كل نفس يوم تجد صحايف اعمالها او جزاء اعمالها من الخير
والشر حاضرة لو ان بينها وبين ذلك اليوم وهوله امدا بعيدا او بمضمر نحو اذكر وتود
حال من الضمير في عملت او خبر لما عملت من سوء وتجد مقصور على ما عملت من خير
ولا تكون ما شرطية لارتفاع تود وقرئ ودت وعلى هذا يصح ان تكون شرطية
ولكن الحمل على الخبر اوقع معنى لانه حكاية كاين واوفق للقراة المشهورة ويحذركم الله

نفسه كرره للتوكيد والتذكير والله رؤوف بالعباد اشارة الى انه تعالى انما نهاهم وحذرهم رأفة بهم ومراعاة لصلاحهم وانه لذو مغفرة وذو عقاب فترجى رحمته ويخشى عذابه قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني المحبة ميل النفس الى الشيء لكمال ادرك فيه بحيث يحملها على ما يقربه اليه والعبد اذا علم ان الكمال الحقيقي ليس الا لله وان كل ما يراه كمالا من نفسه او غيره فهو من الله وبالله والى الله لم يكن حبه الا لله وفي الله وذلك يقتضي ارادة طاعته والرغبة فيما يقربه فلذلك فسرت المحبة بارادة الطاعة وجعلت مستلزمة لاتباع الرسول في عبادته والحرص على مطاوعته يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم جواب للامر اي يرض عنكم ويكشف الحجب عن قلوبكم بالتجاوز عما فرط منكم فيقربكم من جناب عزه ويبوئكم في جوار قدسه عبر عن ذلك بالمحبة على طريق الاستعارة او المقابلة والله غفور رحيم لمن يتحبب اليه بطاعته واتباع نبيه روي انها نزلت لما قالت اليهود نحن ابناء الله واحباؤه وقيل نزلت في وفد نجران لما قالوا انما نعبد المسيح حبا لله وقيل في اقوام زعموا على عهده عليه السلام انهم يحبون الله فامروا ان يجعلوا قولهم تصديقا من العمل قل أطيعوا الله والرسول فإن تولوا يحتمل المضي والمضارعة بمعنى فان تتولوا فإن الله لا يحب الكافرين لا يرضى عنهم ولا يثني عليهم وانما لم يقل لا يحبهم لقصد العموم والدلالة على ان التولي كفر وانه من هذه الحيثية ينفي محبة الله وان محبته مخصوصة بالمؤمنين إن الله اصطفى آدم ونوحا وآل إبراهيم وآل عمران على العالمين بالرسالة والخصائص الروحانية والجسمانية ولذلك قووا على ما لم يقو عليه غيرهم لما اوجب طاعة الرسل وبين انها الجالبة لمحبة الله عقب ذلك ببيان مناقبهم تحريضا عليها وبه استدل على فضلهم على الملائكة وآل ابرهيم اسمعيل واسحق واولادهما وقد دخل فيهم الرسول عليه السلام وآل عمران موسى وهرون ابنا عمران بن يصهر بن قاهث بن لاوي بن يعقوب او عيسى وامه مريم بنت عمران بن ماثان بن اليعازر بن ابي يوذ بن زربابل بن سالتان بن يوحنا بن اوشيا بن اموذ بن ميشك بن حازقيا بن احاز بن يوثام بن عزريا بن يورام بن ساقط بن ايشا بن راجعيم بن سليمن بن داود بن ايشي بن عويد بن سلمون بن ياعز بن نحشون بن عميا داب بن رام بن حضروم بن فارض بن يهوذا بن يعقوب وكان بين العمرانين الف وثمانمائة سنة ذرية بعضها من بعض حال او بدل من الآلين او منهما ومن نوح اي انهم ذرية واحدة متشعبة بعضها من بعض وقيل بعضها من بعض في الدين والذرية الولد يقع على الواحد والجمع فعلية من الذر او فعولة من الذرء ابدلت همزتها ياء ثم قلبت الواو ياء وادغمت والله سميع عليم باقوال الناس واعمالهم فيصطفي من كان مستقيم القول والعمل او سميع

ويحيى اسم اعجمي وان جعل عربيا فمنع الصرف للتعريف ووزن الفعل مصدقا بكلمة من الله اي بعيسى سمي بذلك لانه وجد بامره تعالى دون اب فشابه البدعيات التي هي عالم الامر او بكتاب الله سمي كلمة كما قيل كلمة الحويدرة لقصيدته وسيدا يسود قومه ويفوقهم وكان فائقا للناس كلهم في انه ما هم بمعصية وحصورا مبالغا في حبس النفس عن الشهوات والملاهي روي انه مر في صباه بصبيان فدعوه الى اللعب فقال ما للعب خلقت ونبيا من الصالحين ناشئا منهم او كائنا من عداد من لم يأت كبيرة ولا صغيرة قال رب أنى يكون لي غلام استبعادا من حيث العادة او استعظاما او تعجبا او استفهاما عن كيفية حدوثه وقد بلغني الكبر ادركني كبر السن واثر في وكان له تسع وتسعون سنة ولامرأته ثمان وتسعون وامرأتي عاقر لا تلد من العقر وهو القطع لانها ذات عقر من الاولاد قال كذلك الله يفعل ما يشاء اي يفعل ما يشاء من العجائب مثل ذلك الفعل وهو انشاء الولد من شيخ فان وعجوز عاقر او كما انت عليه وزوجك من الكبر والعقر يفعل ما يشاء من خلق الولد او كذلك الله مبتدأ وخبر اي الله على هذه الصفة ويفعل ما يشاء بيان له او كذلك خبر مبتدأ محذوف اي الامر كذلك والله يفعل ما يشاء بيان قال رب اجعل لي آية علامة اعرف بها الحبل لاستقبله بالبشاشة والشكر وتزيح مشقة الانتظار قال آيتك ألا تكلم الناس ثلاثة أيام ان لا تقدر على تكليم الناس ثلاثا وانما حبس لسانه عن مكالمتهم خاصة ليخلص المدة لذكر الله وشكره قضاء لحق النعمة وكأنه قال آيتك ان تحبس لسانك الا عن الشكر واحسن الجواب ما اشتق من السؤال إلا رمزا اشارة بنحو يد او رأس واصله التحرك ومنه الراموز للبحر والاستثناء منقطع وقيل متصل والمراد بالكلام ما دل على الضمير وقرئ رمزا كخدم جمع رامز ورمزا كرسل جمع رموز على انه حال منه ومن الناس بمعنى مترامزين كقوله متى ما تلقني فردين ترجف روانف اليتيك وتستطارا واذكر ربك كثيرا في ايام الحبسة وهو مؤكد لما قبله مبين للغرض منه وتقييد الامر بالكثرة يدل على انه لا يفيد التكرار وسبح بالعشي من الزوال الى الغروب وقيل من العصر او الغروب الى ذهاب صدر الليل والإبكار من طلوع الفجر الى الضحى وقرئ بفتح الهمزة جمع بكر كسحر واسحار وإذ قالت الملائكة يا مريم إن الله اصطفاك وطهرك واصطفاك على نساء العالمين كلموها شفاها كرامة لها ومن انكر الكرامة زعم ان ذلك كانت معجزة لزكريا او ارهاصا لنبوة عيسى فان الاجماع على انه تعالى لم يستنبئ امرأة لقوله وما ارسلنا قبلك الا رجالا وقيل الهموها والاصطفاء الاول تقبلها من امها ولم يتقبل قبلها انثى وتفريغها للعبادة واغناؤها برزق الجنة عن الكسب وتطهيرها عما يستقذر من النساء والثاني هدايتها وارسال الملائكة اليها وتخصيصها بالكرامات السنية كالولد من غير اب وتبرئتها مما قذفته اليهود

بانطاق الطفل وجعلها وابنها آية للعالمين يا مريم اقنتي لربك واسجدي واركعي
مع الراكعين أمرت بالصلوة في الجماعة بذكر اركانها مبالغة في المحافظة عليها و
تقدم السجود على الركوع اما لكونه كذلك في شريعتهم او للتنبيه على ان الواو
لا يوجب الترتيب او ليقترن اركعي بالراكعين للايذان بان من ليس في صلوتهم
ركوع ليسوا مصلين وقيل المراد بالقنوت ادامة الطاعة كقوله امن هو قانت
اناء الليل ساجدا وقائما وبالسجود الصلوة كقوله وادبار السجود وبالركوع الخشوع
والاخبات ذلك من انباء الغيب نوحيه اليك اي ما ذكرنا من القصص من الغيوب
التي لم تعرفها الا بالوحي وما كنت لديهم اذ يلقون اقلامهم قداحهم للاقتراع
وقيل اقترعوا باقلامهم التي كانوا يكتبون بها التورية تبركا والمراد تقرير كونه وحيا
على سبيل التهكم بمنكريه فان طريق معرفة الوقايع المشاهدة والسماع وعدم
السماع معلوم لا شبهة فيه عندهم فبقي ان يكون الاتهام باحتمال العيان ولا
يظن به عاقل ايهم يكفل مريم متعلق بمحذوف دل عليه يلقون اقلامهم اي يلقونها
ليعلموا او يقولوا ايهم يكفل مريم وما كنت لديهم اذ يختصمون تنافسا في كفالتها
اذ قالت الملائكة بدل من اذ قالت الاولى وما بينهما اعتراض او من اذ يختصمون
على ان وقوع الاختصام والبشارة في زمان متسع كقولك لقيته سنة كذا يا مريم
ان الله يبشرك بكلمة منه اسمه المسيح عيسى ابن مريم المسيح لقبه وهو من
الالقاب المشرفة كالصديق واصله بالعبرية مشيحا ومعناه المبارك وعيسى معرب
ايشوع واشتقاقهما من المسح لانه مسح بالبركة او بما طهره من الذنوب او مسح
الارض ولم يقم في موضع او مسحه جبريل ومن العيس وهو بياض تعلوه حمرة
تكلف طائل تحته وابن مريم لما كانت صفة تميز تميز الاسماء نظمت في سلكها و
لا ينافي تعدد الخبر افراد المبتدا فانه اسم جنس مضاف ويحتمل ان يراد به الذي
يعرف به ويتميز عن غيره بهذه الثلثة فان الاسم علامة المسمى والمميز له ممن
سواه ويجوز ان يكون عيسى خبر مبتدا محذوف وابن مريم صفته وانما قيل
ابن مريم والخطاب لها تنبيها على انه تولد من غير اب اذ الاولاد تنسب الى الاباء
ولا تنسب الى الام الا اذا فقد الاب وجيها في الدنيا والاخرة حال مقدرة
من كلمة وهي وان كانت نكرة لكنها موصوفة وتذكيرها للمعنى والوجاهة
في الدنيا النبوة وفي الاخرة الشفاعة ومن المقربين من الله وقيل اشارة الى
علو الدرجة في الجنة او رفعه الى السماء وصحبة الملائكة ويكلم الناس في المهد
وكهلا اي يكلمهم حال كونه طفلا وكهلا كلام الانبياء من غير تفاوت والمهد
مصدر سمي به ما يمهد للصبي من مضجعه وقيل انه رفع شابا والمراد وكهلا بعد
نزوله وذكر احواله المختلفة المتنافية ارشادا الى انه بمعزل عن الالوهية

ومن الصالحين حال ثالث من كلمة او من ضميرها الذي في يكلم قالت رب انى
يكون لي ولد ولم يمسسني بشر تعجب او استبعاد عادي او استفهام عن انه يكون
بتزوج او غيره قال كذلك الله يخلق ما يشاء القائل جبريل او الله وجبريل حكى لها
قول الله اذا قضى امرا فانما يقول له كن فيكون اشارة الى انه تعالى كما يقدر ان يخلق
الاشياء مدرجا باسباب ومواد يقدر ان يخلقها دفعة من غير ذلك ويعلمه الكتاب
والحكمة والتورية والانجيل كلام مبتدا ذكر تطييبا لقلبها وازاحة لما همها من
خوف اللوم لما علمت انها تلد من غير زوج او عطف على يبشرك او وجيها والكتاب الكتبة
او جنس الكتب المنزلة وخص الكتابان لفضلهما ورسولا الى بني اسرائيل اني قد جئتكم باية
من ربكم منصوب بمضمر على ارادة القول تقديره ويقول ارسلت رسولا باني قد جئتكم
او بالعطف على الاحوال المتقدمة مضمنا معنى النطق وكانه قال وناطقا باني قد جئتكم وتخصيص
بني اسرائيل لخصوص بعثته اليهم او للرد على من زعم انه مبعوث الى غيرهم اني اخلق لكم
من الطين كهيئة الطير نصب على بدل اني قد جئتكم او جر بدل اية او رفع على هي
اني اخلق لكم والمعنى اقدر لكم واصور شيئا مثل صورة الطير فانفخ فيه الضمير للكاف
اي في ذلك المماثل فيكون طيرا باذن الله فيصير حيا طيارا بامر الله نبه به على ان احياءه
من الله لا منه وابرئ الاكمه والابرص الاكمه الذي ولد اعمى او الممسوح العين روي
انه ربما كان يجتمع عليه الوف من المرضى من اطاق منهم اتاه ومن لم يطق اتاه عيسى وما
يداوي الا بالدعاء واحيي الموتى باذن الله كرر باذن الله دفعا لوهم الالوهية فان الاحياء
ليس من جنس الافعال البشرية وانبئكم بما تاكلون وما تدخرون في بيوتكم بالمغيبات
من احوالكم التي لا تشكون فيها ان في ذلك لاية لكم ان كنتم مؤمنين موفقين للايمان
فان غيرهم لا ينتفع بالمعجزات او مصدقين للحق غير معاندين ومصدقا لما بين يدي
من التورية عطف على رسولا على الوجهين او منصوب باضمار فعل دل عليه قد جئتكم
اي وجئتكم مصدقا ولاحل لكم مقدر باضماره او مردود على قوله باني قد جئتكم باية
او معطوف على معنى مصدقا كقولهم جئتك معتذرا ولاطيب قلبك بعض الذي حرم
عليكم اي في شريعة موسى كالشحوم والثروب والسمك ولحوم الابل والعمل في السبت
وهو يدل على ان شرعه كان ناسخا لشرع موسى ولا يخل ذلك بكونه مصدقا للتورية
كما لا يعود نسخ القران بعضه ببعض عليه بتناقض وتكاذب فان النسخ في الحقيقة بيان
وتخصيص في الازمان وجئتكم باية من ربكم فاتقوا الله واطيعون ان الله ربي
وربكم فاعبدوه هذا صراط مستقيم اي جئتكم باية اخرى الهمنيها ربكم وهي قوله
ان الله ربي وربكم فانه دعوة الحق المجمع عليها فيما بين الرسل الفارقة بين النبي والساحر
او جئتكم باية على ان الله ربي وربكم وقوله فاتقوا الله واطيعون اعتراض والظاهر انه تكرير
لقوله قد جئتكم باية من ربكم اي جئتكم باية بعد اخرى مما ذكرت لكم والاول لتمهيد

الحجة والثاني ليقربها الى الحكم ولذلك رتب عليها بالفاء قوله فاتقوا الله اى لما جئتكم
بالمعجزات الباهرة والآيات الباهرة فاتقوا الله في المخالفة واطيعون فيما ادعوكم اليه ثم
شرع في الدعوة واشار اليها بالقول المجمل فقال ان الله ربي وربكم اشارة الى استكمال
القوة النظرية بالاعتقاد الحق الذي غايته التوحيد وقال فاعبدوه اشارة الى استكمال
القوة العملية فانه بملازمة الطاعة التي هي الاتيان بالاوامر والانتهاء عن المناهي ثم
قرر ذلك بان بين ان الجمع بين الامرين هو الطريق المشهود له بالاستقامة ونظيره
قوله عليه السلام قل امنت بالله ثم استقم فلما احس عيسى منهم الكفر تحقق كفرهم
عنده تحقق ما يدرك بالحواس قال من انصاري الى الله ملتجئا الى الله او ذاهبا او ضاما
اليه ويجوز ان يتعلق الجار بانصاري مضمنا معنى الاضافة اي من الذين يضيفون
انفسهم الى الله في نصري وقيل الى ههنا بمعنى مع او في او اللام قال الحواريون حواري
الرجل خالصته من الحور وهو البياض الخالص ومنه الحواريات للحضريات لخلوص الوانهن
سمي به اصحاب عيسى لخلوص نيتهم ونقاء سرائرهم وقيل كانوا ملوكا يلبسون
البيض استنصر بهم عيسى من اليهود وقيل قصارون يحورون الثياب اى
يبيضونها نحن انصار الله اى انصار دينه امنا بالله واشهد بانا مسلمون
لتشهد لنا يوم القيمة حين تشهد الرسل لقومهم وعليهم ربنا امنا بما انزلت واتبعنا
الرسول فاكتبنا مع الشاهدين اى مع الشاهدين بوحدانيتك او مع الانبياء
الذين يشهدون لاتباعهم او امة محمد صلعم فانهم شهداء على الناس ومكروا
اى الذين احس منهم الكفر من اليهود بان وكلوا عليه من يقتله غيلة ومكر الله
حين رفع عيسى والقى شبهه على من قصد اغتياله حتى قتل والمكر من حيث
انه في الاصل حيلة يجلب بها غيره الى مضرة لا يسند الى الله الا على سبيل المقابلة
والازدواج والله خير الماكرين اقواهم مكرا واقدرهم على ايصال الضرر من
حيث لا يحتسب اذ قال الله ظرف لمكر الله او خير الماكرين او لمضمر مثل وقع ذلك
يا عيسى اني متوفيك اى مستوفي اجلك ومؤخرك الى اجلك المسمى عاصما اياك من قتلهم
او قابضك من الارض من توفيت مالي او متوفيك نائما اذ روى انه رفع نائما
او مميتك عن الشهوات العائقة عن العروج الى عالم الملكوت وقيل اماته الله
سبع ساعات ثم رفعه الى السماء واليه ذهبت النصارى ورافعك الي الى
محل كرامتي ومقر ملائكتي ومطهرك من الذين كفروا من سوء جوارهم او
قصدهم وجاعل الذين اتبعوك فوق الذين كفروا الى يوم القيمة يعلونهم
بالحجة او السيف في غالب الامر ومتبعوه من امن بنبوته من المسلمين والنصارى
والى الآن لم تسمع غلبة اليهود عليهم ولم يتفق لهم ملك ودولة ثم الي مرجعكم
الضمير لعيسى ومن تبعه وكفر به وغلب المخاطب على الغائبين فاحكم بينكم فيما

كنتم فيه تختلفون من امر الدين فاما الذين كفروا فاعذبهم عذابا شديدا
في الدنيا والآخرة وما لهم من ناصرين واما الذين امنوا وعملوا الصالحات
فيوفيهم اجورهم تفسير للحكم وتفصيل له وقرا حفص فيوفيهم بالياء والله لا يحب
الظالمين تقرير لذلك ذلك اشارة الى ما سبق من نبا عيسى وغيره وهو مبتدا
خبره نتلوه عليك وقوله من الآيات حال من الهاء ويجوز ان يكونا الخبر ونتلوه
حالا على ان العامل معنى الاشارة وان يكونا خبرين وان ينتصب بمضمر يفسره نتلوه
والذكر الحكيم المشتمل على الحكم او المحكم الممنوع من تطرق الخلل اليه يريد به القرآن
وقيل اللوح ان مثل عيسى عند الله كمثل آدم ان شانه الغريب كشان آدم خلقه
من تراب جملة مفسرة للتمثيل مبينة لما له الشبه وهو انه خلق بلا اب كما خلق
آدم من التراب بلا اب وام شبه حاله بما هو اغرب افحاما للخصم وقطعا
لمواد الشبه والمعنى خلق قالبه من التراب ثم قال له كن اى انشاه بشرا كقوله ثم
انشاناه خلقا آخر او قدر تكوينه من التراب ثم كونه ويجوز ان يكون ثم لتراخي
الخبر لا المخبر فيكون حكاية حال ماضية الحق من ربك خبر محذوف اى هو الحق
وقيل الحق مبتدا ومن ربك خبره اى الحق المذكور من الله فلا تكن من الممترين
خطاب للنبي صلعم على طريقة التهييج لزيادة الثبات او لكل سامع فمن حاجك من
النصارى فيه في عيسى من بعد ما جاءك من العلم اى من البينات الموجبة
للعلم فقل تعالوا هلموا بالراي والعزم ندع ابناءنا وابناءكم ونساءنا ونساءكم
وانفسنا وانفسكم اى يدع كل منا ومنكم نفسه واعزة اهله والصقهم بقلبه
الى المباهلة ويحمل عليها وانما قدمهم على النفس لان الرجل يخاطر بنفسه لهم
ويحارب دونهم ثم نبتهل اى نتباهل بان نلعن الكاذب منا والبهلة بالضم
والفتح اللعنة واصله الترك من قولهم بهلت الناقة اذا تركتها بلا صرار فنجعل
لعنة الله على الكاذبين عطف فيه بيان روى انهم لما دعوا الى المباهلة قالوا حتى
ننظر فلما تخالوا قالوا للعاقب وكان ذا رايهم ما ترى فقال والله لقد عرفتم نبوته
ولقد جاءكم بالفصل في امر صاحبكم والله ما باهل قوم نبيا الا هلكوا فان ابيتم
الا الف دينكم فوادعوا الرجل وانصرفوا فاتوا رسول الله صلعم وقد غدا محتضنا
الحسين آخذا بيد الحسن وفاطمة تمشي خلفه وعلي خلفها وهو يقول اذا انا دعوت
فامنوا فقال اسقفهم يا معشر النصارى اني لارى وجوها لو سالوا الله ان
يزيل جبلا من مكانه لازاله بها فلا تباهلوا فتهلكوا فاذعنوا لرسول الله صلعم
وبذلوا له الجزية الفي حلة حمراء وثلثين درعا من حديد فقال عليه السلام والذي
نفسي بيده لو تباهلوا لمسخوا قردة وخنازير ولاضطرم عليهم الوادي نارا و
لاستاصل الله نجران واهله حتى الطير على الشجر وهو دليل على نبوته وفضل من اتى

بعضهم من اهل بيته ان هذا اي ما قص من نبإ عيسى وامه لهو القصص الحق بجملتها
خبر ان او هو فصل يفيد ان ما ذكره في شأن عيسى ومريم حق دون ما ذكروه وما
بعده خبره واللام دخلته لانه اقرب الى المبتدإ من الخبر واصلها ان يدخل المبتدأ
وما من اله الا الله صرح فيه بمن المزيدة للاستغراق تاكيدا للرد على النصارى في
تثليثهم وان الله لهو العزيز الحكيم لا احد سواه يساويه في القدرة التامة والحكمة
البالغة ليشاركه في الالوهية فان تولوا فان الله عليم بالمفسدين وعيد لهم
ووضع المظهر موضع المضمر ليدل على ان التولي عن الحجج والاعراض عن التوحيد افساد للدين
والاعتقاد المودي الى فساد النفس بل والى فساد العالم قل يا اهل الكتاب يعم اهل الكتابين
وقيل يريد به وفد نجران او يهود المدينة تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم
لا تختلف فيها الرسل والكتب وتفسيرها ما بعدها ان لا نعبد الا الله ان نوحده
بالعبادة ونخلص فيها ولا نشرك به شيئا ولا نجعل غيره شريكا له في استحقاق العبادة
ولا نراه اهلا لان يعبد ولا يتخذ بعضنا بعضا اربابا من دون الله ولا نقول
عزير ابن الله ولا المسيح ابن الله ولا نطيع الاحبار فيما احدثوا من التحريم والتحليل
لان كلا منهم بعضنا بشر مثلنا روي انه لما نزلت اتخذوا احبارهم ورهبانهم اربابا من
دون الله قال عدي بن حاتم ما كنا نعبدهم يا رسول الله قال اليس كانوا يحلون لكم و
يحرمون فتاخذون بقولهم قال نعم قال هو ذاك فان تولوا عن التوحيد فقولوا
اشهدوا بانا مسلمون اي لزمتكم الحجة فاعترفوا بانا مسلمون دونكم او اعترفوا
بانكم كافرون بما نطقت به الكتب وتطابقت عليه الرسل تنبيه انظر الى ما
راعى في هذه القصة من المبالغة في الارشاد وحسن التدرج في الحجاج بين اولا
احوال عيسى وما تعاور عليه من الاطوار المنافية للالهية ثم ذكر ما يحل عقدتهم
ويزيح شبهتهم فلما راى عنادهم ولجاجهم دعاهم الى المباهلة بنوع من الاعجاز
ثم لما اعرضوا عنها وانقادوا بعض الانقياد عاد عليهم بالارشاد وسلك طريقا
اسهل والزم بان دعاهم الى ما وافق عليه عيسى والانجيل وسائر الانبياء والكتب
ثم لما لم يجد ذلك ايضا عليهم وعلم ان الايات والنذر لا تغني عنهم اعرض عن ذلك
وقال اشهدوا بانا مسلمون يا اهل الكتاب لم تحاجون في ابرهيم وما انزلت
التورية والانجيل الا من بعده تنازعت اليهود والنصارى في ابرهيم وزعم كل
فريق انه منهم وترافعوا الى رسول الله صلعم فنزلت والمعنى ان اليهودية والنصرانية
حدثت بنزول التورية والانجيل على موسى وعيسى وكان ابرهيم قبل موسى بالف سنة
وعيسى بالفين فكيف يكون عليهما افلا تعقلون فتدعون المحال ها انتم هؤلاء
حاججتم فيما لكم به علم فلم تحاجون فيما ليس لكم به علم ها حرف
التنبيه نبهوا بها على حالهم التي غفلوا عنها وانتم مبتدأ وهؤلاء خبره وحاججتم

جملة اخرى مبينة للاولى اي انتم هؤلاء الحمقى وبيان حماقتكم انكم جادلتم فيما لكم به علم
مما وجدتموه في التورية والانجيل عنادا او تدعون وروده فيه فلم تجادلون فيما لا
علم لكم به ولا ذكر في كتابكم من دين ابرهيم وقيل هؤلاء بمعنى الذين وحاججتم صلته
وقيل ها انتم اصله أانتم على الاستفهام للتعجب من حماقتهم فقلبت الهمزة هاء
وقرا نافع وابو عمرو ها انتم حيث وقع بالمد من غير همز وورش اقل مدا وقنبل بالهمز من غير الف
بعد الهاء والباقون بالمد والهمز والبزي بقصر المد على اصله والله يعلم ما حاججتم فيه
وانتم لا تعلمون وانتم جاهلون به ما كان ابرهيم يهوديا ولا نصرانيا تصريح بمقتضى
ما قرره من البرهان ولكن كان حنيفا مائلا عن العقايد الزائغة مسلما منقادا لله و
ليس المراد انه كان على ملة الاسلام والا لاشترك الالزام وما كان من المشركين
تعريض بانهم مشركون لاشراكهم به عزيرا والمسيح ورد لادعاء المشركين انهم على ملة ابرهيم
ان اولى الناس بابرهيم ان اخصهم به واقربهم منه من الولي وهو القرب للذين
اتبعوه من امته وهذا النبي والذين امنوا لموافقتهم له في اكثر ما شرع لهم على الاصالة
وقرئ والنبي بالنصب عطفا على الهاء في اتبعوه وبالجر عطفا على ابرهيم والله ولي المؤمنين ينصرهم
ويجازيهم الحسنى لايمانهم ودت طائفة من اهل الكتاب لو يضلونكم نزلت في اليهود
لما دعوا حذيفة وعمارا ومعاذا الى اليهودية ولو بمعنى ان وما يضلون الا انفسهم
وما يتخطاهم الاضلال ولا يعود وباله الا عليهم اذ يضاعف به عذابهم او ما يضلون
الا امثالهم وما يشعرون وزره واختصاص ضرره بهم يا اهل الكتاب لم تكفرون
بايات الله بما نطقت به التورية والانجيل ودلت على نبوة محمد صلعم وانتم تشهدون
انها ايات الله او بالقران وانتم تشهدون نعته في الكتابين او تعلمون بالمعجزات انه
حق يا اهل الكتاب لم تلبسون الحق بالباطل بالتحريف وابراز الباطل في صورته
او بالتقصير في التمييز بينهما وقرئ تلبسون بالتشديد وتلبسون بفتح الباء اي تلبسون
الحق مع الباطل كقوله عليه السلام كلابس ثوبي زور وتكتمون الحق نبوة محمد صلعم
ونعته وانتم تعلمون عالمين بما تكتمونه وقالت طائفة من اهل الكتاب امنوا
بالذي انزل على الذين امنوا وجه النهار اي اظهروا الايمان بالقران اول
النهار واكفروا اخره لعلهم يرجعون واكفروا به اخره لعلهم يشكون في دينهم
ظنا بانكم رجعتم لخلل ظهر لكم والمراد بالطائفة كعب بن الاشرف ومالك بن الصيف
قالا لاصحابهما لما حولت القبلة امنوا بما انزل عليهم من الصلوة الى الكعبة وصلوا اليها اول
النهار ثم صلوا الى الصخرة اخره لعلهم يقولون هم اعلم منا وقد رجعوا فيرجعون
وقيل اثنا عشر من احبار خيبر تقاولوا بان يدخلوا في الاسلام اول النهار ويقولوا
اخره نظرنا في كتابنا وشاورنا علماءنا فلم نجد محمدا بالنعت الذي ورد في التورية لعل
اصحابه يشكون فيه ولا تؤمنوا الا لمن تبع دينكم ولا تقروا عن تصديق قلب الا لاهل

دينكم او لا تظهروا ايمانكم وجه النهار الا لمن كان على دينكم فان رجوعهم ارجى واهم قل ان الهدى
هدى الله يهدى من يشاء الى الايمان ويثبته ان يؤتى احد مثل ما اوتيتم متعلق
بمحذوف اى دبرتم ذلك وقلتم لان يؤتى احد والمعنى ان الحسد حملكم على ذلك او بلا
تؤمنوا اى ولا تظهروا ايمانكم بان يؤتى احد مثل ما اوتيتم الا لاشياعكم ولا تفشوه الى
المسلمين لئلا يزيد ثباتهم ولا الى المشركين لئلا يدعوهم الى الاسلام وقوله قل ان الهدى
هدى الله اعتراض يدل على ان كيدهم لا يجدى بطائل او خبر ان على ان هدى الله بدل من
الهدى وقراة ابن كثير أان يؤتى على الاستفهام للتقريع يؤيد الوجه الاول اى الان يؤتى
احد دبرتم وقرئ ان على انها النافية فيكون من كلام الطائفة اى ولا تؤمنوا الا لمن
تبع دينكم وقولوا لهم ما يؤتى احد مثل ما اوتيتم او يحاجوكم عند ربكم عطف على ان
يؤتى على الوجهين الاولين وعلى الثالث معناه حتى يحاجوكم عند ربكم فيدحضوا حجتكم
والواو ضمير احد لانه فى معنى الجمع اذ المراد به غير اتباعهم قل ان الفضل بيد الله يؤتيه
من يشاء والله واسع عليم يختص برحمته من يشاء والله ذو الفضل العظيم
رد وابطال لما زعموه بالحجة الواضحة ومن اهل الكتاب من ان تأمنه بقنطار
يؤده اليك كعبد الله بن سلام استودعه قرشى الفا ومائتى اوقية ذهبا
فاداه اليه ومنهم من ان تأمنه بدينار لا يؤده اليك كفنحاص بن عازوراء
استودعه قرشى اخر دينارا فجحده وقيل المأمونون على الكثير النصارى اذ
الغالب فيهم الامانة والخائنون فى القليل اليهود اذ الغالب عليهم الخيانة الا ما دمت
عليه قائما الا مدة دوامك قائما على راسه مبالغا فى مطالبته بالتقاضى والترافع
واقامة البينة ذلك اشارة الى ترك الاداء المدلول عليه بقوله لا يؤده بانهم
قالوا بسبب قولهم ليس علينا فى الاميين سبيل اى ليس علينا فى شان من
ليسوا اهل الكتاب ولم يكونوا على ديننا عتاب وذم ويقولون على الله الكذب
بادعائهم ذلك وهم يعلمون انهم كاذبون وذلك انهم استحلوا ظلم
من خالفهم وقالوا لم يجعل لهم فى التورية حرمة وقيل عامل اليهود رجالا
من قريش فلما اسلموا تقاضوهم فقالوا سقط حقكم حيث تركتم دينكم وزعموا
انه كذلك فى كتابهم وعن النبى صلعم انه قال عند نزولها كذب اعداء الله ما من شئ
فى الجاهلية الا وهو تحت قدمى الا الامانة فانها مؤداة الى البر والفاجر بلى
اثبات لما نفوه اى عليهم فيهم سبيل من اوفى بعهده واتقى فان الله يحب المتقين
استيناف مقرر للجملة التى سدت بلى مسدها والضمير المجرور لمن او لله و
عموم المتقين ناب الراجع من الجزاء الى من واشعر بان التقوى ملاك الامر
وهو يعم الوفاء وغيره من اداء الواجبات والاجتناب عن المناهى ان الذين
يشترون يستبدلون بعهد الله بما عاهدوا عليه من الايمان بالرسول والوفاء

قوله تعالى ولا تؤمنوا الا لمن تبع دينكم قل ان الهدى هدى الله ان يؤتى احد مثل ما اوتيتم او يحاجوكم عند ربكم
قوله لا تؤمنوا يجوز ان يتضمن معنى الاقرار وكذلك يجوز عدم التضمين واما فى قوله تعالى لمن تبع دينكم
احتمالين احدهما ان يكون المراد اتباعهم الذين لهم اختصاص اى خواص اتباعهم كما قال البيضاوى رحمه الله لا تقروا
تصديقكم الا لاهل دينكم
[redacted] ويؤيد ارادة هذا المعنى ما قال الكشاف قوله تعالى لا تؤمنوا متعلق بقوله ان يؤتى احد اى ولا تظهروا
الا لاهل دينكم دون غيرهم ارادوا اسروا تصديقكم بان المسلمين قد اوتوا من كتاب الله مثل ما اوتيتم
ولا تفشوه الا لاشياعكم وحده دون المسلمين لئلا يزيدهم ثباتا ودون المشركين لئلا يدعوهم الى الاسلام
الثانى ان يكون المراد المسلمين الذين كانوا على دينهم قبل فتوانهم الاسلام قال البيضاوى او لا تظهروا ايمانكم
وجه النهار الا لمن كان على دينهم فان رجوعهم عن الاسلام ارجى كما قال الكشاف ويتم الكلام عند قوله تعالى
الا لمن تبع دينكم على معنى لا تؤمنوا هذا الايمان الظاهر وهو ايمانهم وجه النهار الا لمن كانوا تابعين لدينكم ممن اسلموا منكم لان رجوعهم كان ارجى منهم
وينبغى ان يعلم ان قول البيضاوى لا تقروا عن تصديق قلبكم الا لاهل دينكم تصوير المعنى متضمن الاقرار
مع ان المراد من قوله الا لمن تبع الاشياع والاتباع المخصوصين كما هو المراد فى الاحتمال الاول على ما نصبت
وقوله رحمه الله او لا تظهروا ايمانكم [redacted] وجه النهار تقرير لمعنى لا تؤمنوا من غير تضمين معنى الاقرار مع كون
من قوله الا لمن تبع من كان على دينهم من قبل كما فى الاحتمال الثانى فلا ارادة [redacted] هذين المعنيين قال رحمه
لاهل دينهم ولا لمن كان على دينكم نهارا [redacted] فانظر عبارة الكشاف وايجاز البيضاوى
فان الايجاز وسلامة تقريره رحمه الله فارق البيان تسليما
قوله تعالى ان يؤتى احد فيه ثلثة وجوه الاول ان يتعلق اى قوله ان يؤتى الى محذوف اما بتقدير حرف الجر
فى كلمة ان او بدونه والمحذوف قوله دبرتم ذلك كما قال البيضاوى اى دبرتم ذلك وقلتم لان يؤتى
والمراد فى هذا الوجه الاول من قوله لمن تبع يجوز ان يكون الاشياع كما فى الاحتمال الاول او المسلمين المشرف للاسلام
كما فى الاحتمال الثانى ولذا قال البيضاوى قوله ان يؤتى متعلق بمحذوف اى دبرتم ذلك وقلتم لان يؤتى [redacted]
لمن تبع وانما قصر الكلام على هذا ولم يذكر المراد من قوله لمن تبع بل هو اشياعهم او المسلمين الذين على دينهم قبل
اشارة الى جواز ارادة كل منهما والوجه الثانى ان يتعلق بقوله لا تؤمنوا بتقدير حرف الجر كما قال رحمه الله او لا تؤمنوا
اى ولا تظهروا ايمانكم بان يؤتى احد مثل ما اوتيتم والمراد فى هذا الوجه من قوله تعالى لمن تبع الاشياع اى خواص التبع
كما قال رحمه الله او لا تؤمنوا اى ولا تظهروا ايمانكم بان يؤتى احد مثل ما اوتيتم الا لاشياعكم ولا تفشوه الى المسلمين
وكما قال الكشاف فيه رحمه ان قوله تعالى لا تؤمنوا المتعلق بقوله ان يؤتى اى لا تفشوه الا لاشياعكم كما مر
اعلم ان قوله تعالى قل ان الهدى هدى الله فى هذا الوجه الثانى جملة معترضة بين قوله ولا تؤمنوا وقوله ان يؤتى احد
والوجه الثالث ان يكون خبر ان الواقع فى قوله تعالى ان الهدى هدى الله والهدى الثانى بدل من الاول
لا خبر عنه كما انه يكون خبرا فى الوجهين الاولين بل [redacted] كلام مستقل فيه والتقدير ان الهدى ان يؤتى
احد مثل ما اوتيتم هو هدى الله
قوله تعالى او يحاجوكم عند ربكم كلمة او عاطفة كالواو والمعطوف عليه قوله تعالى ان يؤتى احد سواء اريد تعلقه
بفعل قوله ان يؤتى الى المحذوف كما هو الوجه الاول وتقدير الكلام ح دبرتم لان يؤتى احد مثل ما اوتيتم ولما يتصل
عند كفركم من محاجتهم بكم عند ربكم اى دبرتم ذلك اغزان تؤمنوا وجه النهار والكفر فى اخره حتى المسلمين يحاجوكم
يوم القيمة وتغلبوا عليكم او اريد [redacted] تعلق ان يؤتى الى قوله لا تؤمنوا
وتقرير الكلام لا تظهروا تصديقكم ان يؤتى احد مثل ما اوتى من الكتاب والرسول ولان يحاجوكم بالحجة
عند ربكم اى يوم القيمة كما قال البيضاوى قوله او يحاجوكم عطف على ان يؤتى احد على الوجهين الاولين
او هو معطوف على قوله ان يؤتى لكنه تكن من تقدير ان يكون قوله ان يؤتى خبر ان الواقع فى قوله تعالى ان الهدى
كما هو الوجه الثالث الذى ذكرناه كما قال البيضاوى او هو معطوف على ان يؤتى على الوجه الثالث
وهذا التوجيه والبيان لفهم كلام البيضاوى فى تفسير الاية الكريمة لمسوده الفقير المعروف بالقصير غفر له
١٦٢

اعلم ان المراد من قوله تعالى احد المسلمين لان فيه معنى الجمع ولذا قال البيضاوي الواو في يحاجوكم راجع الى احد لانه في معنى الجمع

قوله ولا تقروا التصديق قلب اشارة الى ان آمن تضمن فيه معنى الاقرار ومعنى آمن تصديق القلب وفيه اشارة [redacted] لا الا تقر بما فعم بتحريرات البحث ابقاء يعني الايمان

الى ان المراد من الايمان مطلق الايمان بعيد ويمكن ان يراد الايمان المعهود المذكور في الاية السابقة المراد من قوله لمن تبع دينكم

في وجه النهار والكفر في آخره قوله الا لمن تبع دينكم اشارة الى انه [redacted]

الاشياع والاتباع المخصوصين لكن لما كان ذكر الشيء غير مناف للآخر يمكن ان يراد من قوله لمن تبع دينكم المسلمون

الكائنون على دينهم من قبل ولهذا المصنف رحمه الله جوز ارادة هذا المعنى قوله ولا تظهروا ايمانكم وجه النهار اشارة [redacted]

الى انه يمكن ان يتعلق الى قوله تعالى ولا تؤمنوا بمعنى الاظهار والمراد من الايمان الايمان المعهود اعني ايمانهم في وجه النهار

الذي سبق ذكره وقوله الا لمن كان على دينكم للايذان بانه يمكن ان يراد من قوله تعالى لمن تبع دينكم المسلمون الذين كانوا

على دينهم من قبل فان رجوعهم ارجى كما جاز ارادة اشياعهم واتباعهم المخصوصين فهذه التحريرات نتيجة كلامنا ان يوفي

[illegible]

قوله وعلى الثالث وهو ان يكون هدى الله بدلا من الهدى الذي هو اسم ان ويكون ان يؤتى خبر ان فحينئذ

لا يكون او يحاجوكم معطوفا على ان يؤتى بل يكون او بمعنى حتى ويكون المعنى قل ان هدى الله

ان يؤتى احد مثل ما اوتيتم حتى يحاجوكم عند ربكم فيغلبكم ويدحضوا حجتكم عند الله

قوله اعتراض بين الى آخره فان قلت ما معنى الاعتراض قلت معناه ان الهدى هدى الله من شاء ان يلطف

حتى ان يسلم او يزيد ثباته على الاسلام كان ذلك ولم ينفع كيدكم وحيلكم

قوله تعالى بلى الى آخره لما حكى الله تعالى عنهم قولهم ليس علينا في الاميين سبيل رد عليهم واجاب بقوله بلى اي بلى عليهم

في شان الاميين سبيل فحينئذ الوقف على قوله بلى وما بعده استئناف والواو بمعنى وفي الآن لغة بل مجازا وفي اللغة

اهل نجد وفي وضمير في بعهده يجوز ان يرجع الى من الشرطية بطريق اضافة المصدر الى فاعله ويجوز ان يرجع الى الله

في قوله ويقولون على الله الكذب على اضافة المصدر الى مفعوله فان اليهود قد عاهدوا الله في ضمن ايمانهم بالتوراة ان يؤمنوا

بمحمد عليه السلام وهو المراد بالعهد في هذه الاية

قوله تعالى الا ما دمت عليه قائما استثناء مفرغ من اعم الاحوال والاوقات اي لا يؤده اليك في حال من الاحوال او في وقت

من الاوقات الا في حال دوام قيامك او في وقت دوام قيامك على رأسه مبالغة في مطالبته بالتقاضي والسؤال

قوله اي ليس علينا في شان من ليسوا الى آخره يحتمل والله تعالى اعلم ان يكون المراد بذلك انهم يقولون ليس علينا في ما بين الاميين سبيل

ويعنون به نفي نبوته عليه السلام بالنسبة اليهم فمن يؤدي الامانة منهم انما يؤديه لانه قبل دينه وتابعه عليه السلام معناه

قوله ويقولون على الله الكذب الى آخره يحتمل المراد انهم لا يستحيون فيما بينهم من الكذب على الله بل يكذبون مع علم الجميع بانه كذب

والاخبار عنهم بانهم لا يؤدون دينارا توضيح لبيان انهم يقولون على الكذب وبمنزلة شاهده وقوله تفاضوا بهم اي تقاضى

الرجال اليهود وقوله تحت قدمي ترديد به متروك وتفسير التفتازاني له بانه منسوخ رد عليه ان ما في الحديث ليس حكم الله

حتى يتعلق به النسخ

قوله وقرئ تدرسون الى آخره والعامة على تدرسون بفتح التاء وضم الراء والمعنى بما كنتم تعلمون غيركم ثم تدرسون اي تقرؤون على سبيل التكرير

والادامة والدرس التكرير والادامة على الشيء ومن قرأ تدرسون من درس بالتشديد يحتمل ان يكون التضعيف فيه للتكثير

فيكون موافقا للقراءة وتعلمون بالتضعيف وان يكون للتعدية ويكون المفعولان محذوفين لدلالة المقام والفهم المرام والتقدير

تدرسون غيركم العلم اي تحملونهم على الدرس وقرئ تدرسون من باب الافعال كتكرمون من اكرم على ان ادرس بمعنى درس

كاكرم وكرم وانزل ونزل

قوله تعالى ولا يامركم ان تتخذوا الملائكة والنبيين اربابا فيه وجهان احدهما ان تجعل لا مزيدة لتاكيد معنى النفي في قوله ما كان لبشر

والمعنى ما كان لبشر ان يستنبئه الله وينصبه للدعاء الى اختصاص الله بالعبادة وترك الانداد ثم يامر الناس

ان يكونوا عبادا له ويامركم ان تتخذوا الملائكة والنبيين اربابا والثاني ان تجعل لا غير مزيدة

قوله عطفا على ثم يقول الى آخره والمعنى ولا له ان يامركم باضمار ان بعد لا وان تكون لا مؤكدة لمعنى النفي السابق كما

ما كان من زيد اتيان ولا قيام تريد انتفاء كل واحد منهما منفردا ومجتمعا ونفصل المعنى ما صح وما استقام لبشر ان يؤتيه الله الكتاب

ثم يترتب عليه امرين يقول للناس كونوا عبادا لي ولا ان يامركم اتخاذ الملائكة والنبيين اربابا

قوله لا جل اتيان اياكم الى آخره فان قيل ما وجه اتيان المذكور علة لاخذ الميثاق قلنا اختصاصه بالفضيلة المذكورة موجب الايمان

بالرسول المصدق لهم ونصره

قوله تعالى أأقررتم اي بالايمان به والنصر له والظاهر ان ضمير قال في قوله أأقررتم راجع الى الله في قوله واذ اخذ الله فيكون الاستفهام

للتقرير والتاكيد عليهم لاستحالة حقيقة الاستفهام في حقه تعالى واخذ الاصر معناه قبول العهد ومتعلق أأقررتم محذوف والاصر

من تقدير جملة اخرى محذوفة لدلالة ما تقدم عليها والتقدير قالوا أأقررتم بالايمان به وبنصرته والامتناع عن خذلانه واخذنا

اصركم على ذلك كله قال الامام الاسلام هو الاستسلام والانقياد والخضوع فنفي مصنوع [redacted] كل من في السموات

فهو تعالى وجوه الاول هو الاصح عندي ان كل ما سوى الله تعالى فهو ممكن لذاته فانه لا يوجد الا بايجاده ولا يعدم

الا باعدامه فاذا كل ما سوى الله تعالى فهو منقاد خاضع لجلال الله في طرفي وجوده وعدمه وهو نهاية الانقياد

والخضوع ثم في هذا الوجه لطيفة اخرى وهي ان قوله وله اسلم يفيد الحصر اي وله اسلم جميع ما سواه لا لغيره فهذه

الاية تفيد حصر ان واجب الوجود واحد وان كل ما سواه لا يوجد الا بتكوينه ولا يفنى الا بافنائه والوجه الثاني في

تفسير الاية انه لا سبيل لاحد الى الامتناع عليه في مراده وكلهم ينزلون على مراده طوعا او كرها فالمسلمون الصالحون

ينقادون لله طوعا فيما يتعلق بالدين وينقادون له كرها فيما يخالف طبعهم من المرض والفقر والموت واشباه ذلك

واما الكافرون فهم منقادون لله تعالى كرها على كل حال لانهم منقادون له فيما يتعلق بالدين وفي غير ذلك مستسلمون له

سبحانه كرها لا يمكنهم دفع قضائه وقدره ثم اعلم ان ميثاق الانبياء يتبع الرسالة وهو في قوله واذ اخذ ميثاق النبيين منهم

ومنك ومن نوح الاية وميثاق الانبياء بالايمان بمحمد على النعت وهو في هذه الاية واذ اخذ الله ميثاق النبيين الاية

والمختار قول من ذهب الى انه تعالى اخذ الميثاق من النبيين في امر محمد عليه السلام بان اخذ منهم الميثاق على ان ياخذوا

الميثاق على اممهم على ان يؤمنوا بمحمد عليه السلام ويصدقوه وينصروه ان ادركوه وبان اخذ الميثاق على النبيين

واممهم جميعا في امر محمد عليه السلام [redacted] واكتفى بذكر الانبياء لان العهد مع المتبوع عهد على الاتباع

فان قيل ما وجه قوله تعالى ثم جاءكم رسول والرسول لا يجيء الى النبيين وانما يجيء الى الامم والجواب ان حملنا قوله واذ اخذ الله ميثاق

النبيين على اخذ ميثاق اممهم فقد ارتفع الاشكال وان حملناه على اخذ ميثاق النبيين انفسهم كان معنى قوله ثم جاءكم

اي جاء في زمانكم فان قيل فكيف يحمل الاية على انه تعالى اخذ الميثاق على جميع الانبياء بان يؤمنوا بكل رسول يجيء مصدقا لما معهم فما معنى

ذلك الميثاق واخذه والجواب انه لا شك في انه تعالى نصب دلائل دالة على ان الانقياد لامر الله تعالى واجب فاذا جاء الرسول

في عقولهم فلما بعث الله رسولا يدعي انه تعالى امر الخلق بالايمان به وانه تعالى صدقه بالمعجزات فتلك الدلائل توجب عليهم

ان يصدقوه ويؤمنوا به وينصروه فكانه تعالى بتقرير تلك الدلائل في عقولهم اخذ ميثاقهم وعهدهم بذلك ويحتمل ان يكون المراد

من اخذ الميثاق انه تعالى شرح صفاته عليه السلام في كتب الانبياء المتقدمين فكان ايمانهم يلجئهم الى ان يصاحب تلك الصفات

فلما بعث عليه السلام بتلك الصفات والاحوال المذكورة في كتبهم كان نفس مجيئه مصدقا لما معهم وقد عاهدوا الله تعالى في ضمن الايمان

بكتبهم ان يؤمنوا به وينصروه فهذا معنى اخذ الميثاق عليهم

قوله وقرأ حمزة بكسر اللام الى آخره وجه قراءة حمزة ان تكون اللام للتعليل وان تكون ما مصدرية والفعلان معها اعني اتيناكم

وجاءكم في معنى المصدرين واللام داخلة للتعليل على معنى اخذ الله ميثاقهم لتؤمنن بالرسول ولتنصرنه لاجل ان آتيتكم الكتاب

والحكمة وان الرسول الذي امركم بالايمان به ونصرته موافق لكم غير مخالف ويجوز ان تكون ما موصولة بمعنى الذي وعائده محذوف

ووجه قراءة التشديد ان تكون لما بمعنى حين ودهب الزمخشري الى ان جوابها مقدم من جنس جواب القسم

وقرأ سعيد لما بالتشديد بمعنى حين اي حين آتيتكم بعض الكتاب والحكمة ثم جاءكم رسول وجب عليكم الايمان به ونصرته ويجوز ان يكون اصله

لمن ما فادغمت النون في الميم لتقاربهما والادغام واجب ولما اجتمع ثلث ميمات ميم من وميم ما والميم المنقلب من النون حذفت احدى الميمات

دفعا لثقل التكرير

بالامانات وايمانهم وبما حلفوا به من قولهم والله لنؤمنن به ولننصرنه ثمنا قليلا
متاع الدنيا اولئك لا خلاق لهم في الآخرة ولا يكلمهم الله بما يسرهم او بشيء اصلا و
ان الملائكة يسألونهم يوم القيمة او لا ينتفعون بكلمات الله وآياته والظاهر انه كناية
عن غضبه عليهم لقوله ولا ينظر اليهم يوم القيمة فان من سخط على غيره واستهان به
اعرض عنه وعن التكلم معه والالتفات نحوه كما ان من اعتد بغيره يقاوله ويكثر النظر
اليه ولا يزكيهم ولا يثني عليهم ولهم عذاب اليم على ما فعلوه قيل انها نزلت في احبار
حرفوا التورية وبدلوا نعت محمد عليه السلام وحكم الامانات وغيرهما واخذوا على ذلك
رشوة وقيل نزلت في رجل اقام سلعة في السوق فحلف لقد اشتراها بما لم يشترها به و
قيل في ترافع كان بين اشعث بن قيس ويهودي في بئر او ارض وتوجه الحلف على اليهودي
وان منهم لفريقا يعني المحرفين ككعب ومالك وحيي يلوون ألسنتهم بالكتاب يفتلونها
بقراءته فيميلونها عن المنزل الى المحرف او يعطفونها بشبه الكتاب وقرئ يلؤون على قلب
الواو المضمومة همزة ثم تخفيفها بحذفها والقاء حركتها على الساكن قبلها لتحسبوه من الكتاب
وما هو من الكتاب الضمير للمحرف المدلول عليه بقوله يلوون وقرئ ليحسبوه بالياء
والضمير ايضا للمسلمين ويقولون هو من عند الله وما هو من عند الله تأكيد لقوله
وما هو من الكتاب وتشنيع عليهم وبيان لانهم يزعمون ذلك تصريحا لا تعريضا اي ليس
هو نازلا من عنده وهذا لا يقتضي ان لا يكون فعل العبد فعل الله ويقولون على الله الكذب
وهم يعلمون تأكيد وتسجيل عليهم بالكذب على الله والتعمد فيه ما كان لبشر ان يؤتيه
الله الكتاب والحكم والنبوة ثم يقول للناس كونوا عبادا لي من دون الله تكذيب
ورد على عبدة عيسى وقيل ان ابا رافع القرظي والسيد النجراني قالا يا محمد اتريد ان نعبدك
ونتخذك ربا فقال معاذ الله ان نعبد غير الله وان نأمر بغير عبادة الله فما بذلك بعثني
ولا بذلك امرني فنزلت وقيل قال رجل يا رسول الله نسلم عليك كما يسلم بعضنا على
بعض افلا نسجد لك فقال لا ينبغي ان يسجد لاحد من دون الله ولكن اكرموا نبيكم
واعرفوا الحق لاهله ولكن كونوا ربانيين ولكن يقول كونوا ربانيين والرباني منسوب
الى الرب بزيادة الالف والنون كاللحياني والرقباني وهو الكامل في العلم والعمل بما
كنتم تعلمون الكتاب وبما كنتم تدرسون بسبب كونكم معلمي الكتاب و
بسبب كونكم دارسين له فان فائدة التعليم والتعلم معرفة الحق والخير للاعتقاد والعمل
وقرأ ابن كثير ونافع وابو عمرو ويعقوب تعلمون بمعنى عالمين وقرئ تدرسون من التدريس
وتدرسون من ادرس بمعنى درس كاكرم وكرم ويجوز ان يكون القراءة المشهورة
ايضا بهذا المعنى على تقدير وبما تدرسونه على الناس ولا يأمركم ان تتخذوا
الملائكة والنبيين اربابا نصبه ابن عامر وحمزة وعاصم ويعقوب عطفا على ثم
يقول وتكون لا مزيدة لتأكيد معنى النفي في قوله ما كان اي ما كان لبشر ان يستنبئه الله

الصحيفة الاولى من ورق [illegible]

قوله [illegible] لما آتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم [illegible]

قوله في الصحيفة اليمنى واللام في لما موطئة للقسم [illegible]

قوله فيها ثم يأمر الناس بعبادته [illegible]

قوله [illegible] الذي آتيتموه [illegible]

قوله فيها [illegible] الشرطية [illegible]

قوله ويحتمل الخبرية [illegible]

ثم يأمر الناس بعبادة نفسه ويأمر باتخاذ الملائكة والنبيين اربابا او غير منتظم على معنى
انه ليس له ان يأمر بعبادته ولا ان يأمر باتخاذ اكفائه اربابا بل ينهى عنه وهو ادنى
من العبادة وقرأه الباقون على الاستئناف ويحتمل الحال أيأمركم بالكفر انكار
والضمير فيه للبشر وقيل لله تعالى بعد اذ انتم مسلمون دليل على ان الخطاب للمسلمين
وهم المستأذنون لان يسجدوا له وإذ أخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من
كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه
قيل انه على ظاهره واذا كان هذا حكم الانبياء كان الامم به اولى وقيل معناه انه تعالى
اخذ الميثاق من النبيين واممهم واستغنى بذكرهم عن ذكر الامم وقيل اضافة
الميثاق الى النبيين اضافته الى الفاعل والمعنى واذ اخذ الله الميثاق الذي وثقه الانبياء
على اممهم وقيل المراد اولاد النبيين على حذف المضاف وهم بنو اسرائيل او سماهم
نبيين تهكما لانهم كانوا يقولون نحن اولى بالنبوة من محمد لانا اهل الكتاب والنبيون
كانوا منا واللام في لما موطئة للقسم لان اخذ الميثاق بمعنى الاستحلاف
وما يحتمل الشرطية ولتؤمنن ساد مسد جواب القسم والشرط وتحتمل الخبرية وقرأ حمزة
لما بالكسر على ان ما مصدرية اي لاجل ايتائي اياكم بعض الكتاب ثم مجيء رسول مصدق
له اخذ الله الميثاق لتؤمنن به ولتنصرنه او موصولة والمعنى اخذه للذي آتيتكموه
وجاءكم رسول مصدق له وقرئ لما بمعنى حين آتيتكم او لمن اجل ما آتيتكم على ان
اصله لمن ما بالادغام فحذف احدى الميمات الثلاث استثقالا قال أأقررتم وأخذتم
على ذلكم إصري اي عهدي سمي به لانه يؤصر اي يشد وقرئ بالضم وهو اما لغة فيه
كعبر وعبر او جمع اصار وهو ما يشد به قالوا أقررنا قال فاشهدوا اي فليشهد بعضكم
على بعض بالاقرار وقيل الخطاب فيه للملائكة وأنا معكم من الشاهدين وانا ايضا
على اقراركم وتشاهدكم شاهد وهو توكيد وتحذير عظيم فمن تولى بعد ذلك
بعد الميثاق والتوكيد بالاقرار والشهادة فأولئك هم الفاسقون المتمردون من
الكفرة أفغير دين الله يبغون عطف على الجملة المتقدمة والهمزة متوسطة بينهما
للانكار او محذوف تقديره أيتولون فغير دين الله يبغون وتقديم المفعول لانه
المقصود بالانكار والفعل بلفظ الغيبة عند ابي عمرو وعاصم في رواية حفص ويعقوب
وبالتاء عند الباقين على تقدير وقل لهم وله أسلم من في السموات والارض
طوعا وكرها اي طائعين بالنظر واتباع الحجة وكارهين بالسيف ومعاينة
ما يلجئ الى الاسلام كنتق الجبل وادراك الغرق والاشراف على الموت
او مختارين كالملائكة والمؤمنين ومسخرين كالكفرة فانهم لا يقدرون ان يمتنعوا
عما قضي عليهم واليه يرجعون وقرئ بالياء على ان الضمير لمن قل آمنا بالله وما
انزل علينا وما انزل على ابرهيم واسمعيل واسحق ويعقوب والاسباط

وما اوتي موسى وعيسى والنبيون من ربهم امر للرسول عليه السلام
بان يخبر عن نفسه ومتابعيه بالايمان والقرآن كما هو منزل عليه منزل عليهم
بتوسط تبليغه اليهم ايضا فالمنسوب الى واحد من الجمع قد ينسب اليهم او بان يتكلم
عن نفسه على طريقة الملوك اجلالا له والنزول كما يعدى بالى لانه ينتهي الى الرسول
يعدى بعلى لانه من فوق وانما قدم المنزل عليه عليه السلام على المنزل لانه المعرف له و
العيار عليه لا نفرق بين احد منهم بالتصديق والتكذيب ونحن له مسلمون
منقادون او مخلصون في عبادته ومن يبتغ غير الاسلام دينا اي غير التوحيد
والانقياد لحكم الله فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين الواقعين في الخسران
والمعنى ان المعرض عن الاسلام والطالب لغيره فاقد للنفع واقع في الخسران بابطال الفطرة
السليمة التي فطر الناس عليها واستدل به على ان الايمان هو الاسلام اذ لو كان غيره لم يقبل
والجواب انه ينفي قبول كل دين يغايره لا قبول كل ما يغايره ولعل الدين ايضا للاعمال كيف
يهدي الله قوما كفروا بعد ايمانهم وشهدوا ان الرسول حق وجاءهم البينات استبعاد
لان يهديهم الله فان الحائد عن الحق بعد ما وضح له منهمك في الضلال بعيد عن الرشاد
وقيل نفي وانكار له وذلك يقتضي ان لا يقبل توبة المرتد وشهدوا عطف على ما في ايمانهم
من معنى الفعل ونظيره فاصدق واكن او حال باضمار قد من كفروا وهو على الوجهين دليل
على ان الاقرار باللسان خارج عن حقيقة الايمان والله لا يهدي القوم الظالمين الذين ظلموا
انفسهم بالاخلال بالنظر ووضع الكفر موضع الايمان فكيف من جاءه الحق وعرفه ثم اعرض عنه
أولئك جزاؤهم ان عليهم لعنة الله والملائكة والناس اجمعين يدل بمنطوقه على
جواز لعنهم وبمفهومه ينفي جواز لعن غيرهم ولعل الفرق انهم مطبوعون على الكفر ممنوعون
عن الهدى مايسون عن الرحمة رأسا بخلاف غيرهم والمراد بالناس المؤمنون او العموم
فان الكافر ايضا يلعن منكر الحق والمرتد عنه ولكن لا يعرف الحق بعينه خالدين فيها في اللعنة
او العقوبة او النار وان لم يجر ذكرهما لدلالة الكلام عليهما لا يخفف عنهم العذاب ولا
هم ينظرون الا الذين تابوا من بعد ذلك اي من بعد الارتداد وأصلحوا ما
افسدوا ويجوز ان لا يقدر له مفعول بمعنى ودخلوا في الصلاح فان الله غفور يقبل
توبته رحيم يتفضل عليه قيل انها نزلت في الحارث بن سويد حين ندم على ردته
فارسل الى قومه بان سلوا هل لي من توبة فارسل اليه اخوه الجلاس بالآية فرجع الى
المدينة فتاب ان الذين كفروا بعد ايمانهم ثم ازدادوا كفرا كاليهود كفروا بعيسى
والانجيل بعد الايمان بموسى والتورية ثم ازدادوا كفرا بمحمد صلى الله عليه وسلم والقرآن او كفروا بمحمد
صلى الله عليه وسلم بعد ما آمنوا به قبل مبعثه ثم ازدادوا كفرا بالاصرار والعناد والطعن فيه والصد
عن الايمان ونقض الميثاق او كقوم ارتدوا ولحقوا بمكة ثم ازدادوا كفرا بقولهم
نتربص بمحمد ريب المنون او نرجع اليه وننافقه لن تقبل توبتهم لانهم لا يتوبون الا
لانهم لا يتوبون او

قوله تعالى فيه ايات بينات مقام ابراهيم فان قلت كيف صح بيان الجماعة بالواحد قلت فيه وجهان احدهما ان يجعل وحده بمنزلة ايات كثيرة لظهور شانه وقوة دلالته على قدرة الله ونبوة ابراهيم عليه السلام من تأثير قدمه في حجر صلد كقوله ان ابراهيم كان امة والثاني اشتماله على ايات لان اثر القدم في الصخرة الصماء اية وغوصه فيها الى الكعبين اية والانة بعض الصخرة دون بعض اية وابقاؤه دون سائر ايات الانبياء عليهم السلام اية لابراهيم خاصة وحفظه مع كثرة اعدائه من المشركين واهل الكتاب والملاحدة الوف سنة اية ويجوز ان يراد فيه آيات بينات مقام ابراهيم وامن من دخله لان الاثنين نوع من الجمع كالثلثة والاربعة ويجوز ان يذكر هاتان الايتان ويطوى ذكر غيرهما دلالة على تكاثر الايات كانه قيل فيه ايات بينات مقام ابراهيم وامن من دخله وكثير سواهما ونحوه في طي الذكر قول جرير كانت حنيفة اثلاثا ... من كشاف

قوله تعالى ولله على الناس حج البيت الى قوله والله غني عن العالمين ولقد حازت الاية الكريمة من فنون الاعتبار المعربة عن كمال الاعتناء بامر الحج والتشديد على تاركه حيث اوثرت صيغة الخبر الدالة على التحقق وابرزت في صورة الجملة الاسمية الدالة على الثبات والاستمرار على وجه يفيد انه حق واجب لله سبحانه في ذمم الناس وسلك بهم مسلك التعميم ثم التخصيص والابهام ثم التبيين والاجمال ثم التفصيل لما في ذلك من مزيد تحقيق وتقرير وعبر عن تركه بالكفر الذي لا قبيح وراءه وجعل جزاءه استغناءه تعالى المؤذن بشدة المقت وعظم السخط لا عن تاركه فقط فانه قد ضرب عنه صفحا اسقاطا له عن درجة الاعتبار واستهجانا بذكره بل عن جميع العالمين ... من ابو السعود

اذا اشرفوا على الهلاك فكنى عن عدم توبتهم بعدم قبولها تغليظا في شأنهم وابرازا لحالهم في صورة حال الآيسين من الرحمة او لان توبتهم لا تكون الا نفاقا لارتدادهم وزيادة كفرهم ولذلك لم يدخل الفاء فيه **واولئك هم الضالون** الثابتون على الضلال **ان الذين كفروا وماتوا وهم كفار فلن يقبل من احدهم ملء الارض ذهبا** لما كان الموت على الكفر سببا لامتناع قبول الفدية ادخل الفاء هنا اشعارا به وملء الشيء ما يملأه وذهبا نصب على التمييز وقرئ بالرفع على البدل من ملء او الخبر لمحذوف **ولو افتدى به** محمول على المعنى كانه قيل فلن يقبل من احدهم فدية ولو افتدى بملء الارض ذهبا او معطوف على مضمر تقديره فلن يقبل من احدهم ملء الارض ذهبا لو تقرب به في الدنيا ولو افتدى به من العذاب في الآخرة او المراد ولو افتدى بمثله كقوله ولو ان للذين ظلموا ما في الارض جميعا ومثله معه والمثل يحذف ويراد كثيرا لان المثلين في حكم شيء واحد **اولئك لهم عذاب اليم** مبالغة في التحذير واقناط لان من لا يقبل منه الفداء ربما يعفى تكرما **وما لهم من ناصرين** في دفع العذاب ومن مزيدة للاستغراق **لن تنالوا البر** اي لن تبلغوا حقيقة البر الذي هو كمال الخير او لن تنالوا بر الله الذي هو الرحمة والرضا والجنة **حتى تنفقوا مما تحبون** اي من المال او مما يعمه وغيره كبذل الجاه في معاونة الناس والبدن في طاعة الله والمهجة في سبيل الله روي انها لما نزلت جاء ابو طلحة فقال يا رسول الله ان احب اموالي الي بيرحاء فضعها حيث اراك الله فقال بخ بخ ذاك مال رابح او رايح واني ارى ان تجعلها في الاقربين وجاء زيد بن حارثة بفرس كان يحبه فقال هذا في سبيل الله فحمل عليه رسول الله صلعم اسامة فقال زيد انما اردت ان اتصدق به فقال عليه السلام ان الله قد قبله منك وذلك يدل على ان انفاق احب الاموال على اقرب الاقارب افضل وان الآية تعم الانفاق الواجب والمستحب وقرئ بعض ما تحبون وهو يدل على ان من للتبعيض ويحتمل التبيين **وما تنفقوا من شيء** من اي شيء محبوب او غيره ومن لبيان ما **فان الله به عليم** فيجازيكم بحسبه **كل الطعام** اي المطعومات والمراد اكلها **كان حلا لبني اسرائيل** حلالا لهم وهو مصدر نعت به ولذلك يستوي فيه الواحد والجمع والمذكر والمؤنث قال تعالى لا هن حل لهم **الا ما حرم اسرائيل** يعقوب **على نفسه** كلحوم الابل والبانها قيل كان به عرق النسا فنذر ان شفي لم ياكل احب الطعام اليه وكان ذلك احبه اليه وقيل فعل ذلك للتداوي باشارة الاطباء واحتج به من جوز للنبي صلعم ان يجتهد وللمانع ان يقول ذلك باذن من الله فهو كتحريمه ابتداء **من قبل ان تنزل التورية** اي من قبل انزالها مشتملة على تحريم ما حرم عليهم لظلمهم وبغيهم عقوبة وتشديدا وذلك رد على اليهود في دعوى البراءة عما نعى عليهم في قوله فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات وقوله وعلى الذين

يقول امراة عمران عليم بنيتها اذ قالت امراة عمران رب اني نذرت لك ما
في بطني فينتصب به اذ وقيل نصبه باضمار اذكر وهذه حنة بنت فاقوذا جدة عيسى وكان
لعمران بن يصهر بنت اسمها مريم اكبر من هرون فظن ان المراد زوجته ويرده
كفالة زكريا فانه كان معاصرا لابن ماثان وتزوج بنته ايشاع وكان يحيى وعيسى
ابني خالة من الاب روى انها كانت عجوزا فبينا هي في ظل شجرة اذ رات طايرا يطعم
فرخه فحنت الى الولد وتمنته فقالت اللهم ان لك على نذرا ان رزقتني ولدا
ان اتصدق به على بيت المقدس فيكون من خدمه فحملت بمريم وهلك عمران
وكان هذا النذر مشروعا في عهدهم فلعلها بنت الامر على التقدير او طلبت
ذكرا محررا معتقا لخدمته لا اشغله بشيء او مخلصا للعبادة ونصبه على الحال
فتقبل مني ما نذرته انك انت السميع العليم بقولي ونيتي فلما وضعتها قالت
رب اني وضعتها انثى الضمير لما في بطنها وتانيثه لانه كان انثى وجاز انتصاب
انثى حالا عنه لان تانيثها علم منه فان الحال وصاحبها بالذات واحد او على تاويل
مونث كالنفس والحبلة وانما قالته تحسرا وتحزنا الى ربها لانها كانت ترجوا ان تلد
ذكرا ولذلك نذرت تحريره والله اعلم بما وضعت اي بالشيء الذي وضعت وهو
استيناف من الله تعظيما لموضوعها وتجهيلا لها بشانها وقرا ابن عامر وابو بكر عن عاصم
ويعقوب وضعت على انه من كلامها تسلية لنفسها اى ولعل لله فيه سرا او الانثى
كان خيرا وقرئ وضعت على انه خطاب الله لها وليس الذكر كالانثى بيان لقوله
والله اعلم اى وليس الذكر الذي طلبت كالانثى التي وهبت واللام فيهما للعهد ويجوز ان
يكون من قولها بمعنى وليس الذكر والانثى سيان فيما نذرت فيكون اللام للجنس
واني سميتها مريم عطف على ما قبلها من مقالها وما بينهما اعتراض وانما ذكرت
ذلك لربها تقربا اليه وطلبا لان يعصمها ويصلحها حتى يكون فعلها مطابقا لاسمها
فان مريم في لغتهم بمعنى العابدة وفيه دليل على ان الاسم والمسمى والتسمية
امور متغايرة واني اعيذها بك اجيرها بحفظك وذريتها من الشيطان الرجيم
المطرود واصل الرجم الرمي بالحجارة وعن النبي صلعم ما من مولود يولد الا والشيطان
يمسه حين يولد فيستهل من مسه الا مريم وابنها ومعناه ان الشيطان يطمع
في اغواء كل مولود بحيث يتاثر منه الا مريم وابنها فان الله عصمهما ببركة هذه الاستعاذة
فتقبلها ربها فرضي بها في النذر مكان الذكر بقبول حسن بوجه حسن تقبل
به النذائر وهو اقامتها مقام الذكر او تسلمها عقيب ولادتها قبل ان تكبر وتصلح
للسدانة روى ان حنة لما ولدتها لفتها في خرقة وحملتها الى المسجد ووضعتها عند
الاحبار وقالت دونكم هذه النذيرة فتنافسوا فيها لانها كانت بنت امامهم و
صاحب قربانهم فان بني ماثان كانت رؤس بني اسرايل وملوكهم فقال زكريا انا احق بها

عندى خالتها فابوا الا القرعة وكانوا سبعة وعشرين فانطلقوا الى نهر والقوا فيه اقلامهم فطفا قلم زكريا ورسبت اقلامهم فتكفلها ويجوز ان يكون مصدرا على تقدير مضاف اى بذى قبول حسن وان يكون تقبل بمعنى استقبل كتقضى وتعجل اى فاخذها فى اول امرها حين ولدت بقبول حسن وانبتها نباتا حسنا مجاز عن تربيتها بما يصلحها فى جميع احوالها وكفلها زكريا شدد الفاء حمزة والكسائى وعاصم وقصروا زكريا غير عاصم فى رواية ابن عياش على ان الفاعل هو الله وزكريا مفعول اى جعله كافلا لها وضامنا لمصالحها وخفف الباقون ومدوا زكرياء مرفوعا كلما دخل عليها زكريا المحراب اى الغرفة التى بنيت لها او المسجد او اشرف مواضعه ومقدمها سمى به لانه محل محاربة الشيطان كانها وضعت فى اشرف موضع من بيت المقدس وجد عندها رزقا جواب كلما وناصبه وروى انه كان لا يدخل عليها غيره واذا خرج غلق عليها سبعة ابواب فكان يجد عندها فاكهة الشتاء فى الصيف وبالعكس قال يا مريم انى لك هذا من اين لك هذا الرزق الاتى فى غير اوانه والابواب مغلقة عليك وهو دليل جواز الكرامة للاولياء وجعل ذلك معجزة زكريا يدفعه اشتباه الامر عليه قالت هو من عند الله فلا تستبعد قيل تكلمت صغيرة كعيسى ولم ترضع ثديا قط وكان رزقها ينزل عليها من الجنة ان الله يرزق من يشاء بغير حساب بغير تقدير لكثرته او بغير استحقاق تفضلا به وهو يحتمل ان يكون من كلامها وان يكون من كلام الله تعالى روى ان فاطمة اهدت لرسول الله صلعم رغيفين وبضعة لحم فرجع بها اليها وقال هلمى يا بنية فكشفت عن الطبق فاذا هو مملو خبزا ولحما فقال انى لك هذا فقالت هو من عند الله ان الله يرزق من يشاء بغير حساب فقال الحمد لله الذى جعلك شبيهة سيدة نساء بنى اسرائيل ثم جمع عليا والحسن والحسين وجميع اهل بيته وبقى الطعام كما هو فاوسعت على جيرانها هنالك دعا زكريا ربه فى ذلك المكان او الوقت اذ يستعار هنا وثم وحيث للزمان لما راى كرامة مريم ومنزلتها من الله قال رب هب لى من لدنك ذرية طيبة كما وهبتها لحنة العجوز العاقر وقيل لما راى الفواكه فى غير اوانها انتبه على جواز ولادة العاقر من الشيخ فسأل وقال هب لى من لدنك لانه لم يكن على الوجوه المعتادة وبالاسباب المعهودة انك سميع الدعاء مجيبه فنادته الملائكة اى من جنسهم كقولهم زيد يركب الخيل فان المنادى كان جبريل وحده وقرأ حمزة والكسائى فناداه بالامالة والتذكير وهو قائم يصلى فى المحراب اى قائما فى الصلوة ويصلى صفة قائم او خبر او حال اخر او حال عن الضمير فى قائم ان الله يبشرك بيحيى اى بان الله وقرأ نافع وابن عامر بالكسر على ارادة القول او لان النداء نوع منه وقرأ حمزة والكسائى يبشرك

وحى

هادوا حرمنا كل ذى ظفر الاية بان قالوا لسنا اول من حرمت عليه وانما كانت محرمة على نوح وابرهيم ومن بعده حتى انتهى الامر الينا فحرمت علينا كما حرمت على من قبلنا وفى منع النسخ والطعن فى دعوى الرسول صلعم موافقة ابرهيم لحوم الابل والبانها قل فأتوا بالتورية فاتلوها ان كنتم صادقين امر بمحاجتهم بكتابهم وتبكيتهم بما فيه من انه قد حرم عليهم بسبب ظلمهم ما لم يكن محرما روى انه عليه السلام لما قاله لهم بهتوا ولم يجسروا ان يخرجوا التورية وفيه دليل على نبوته فمن افترى على الله الكذب ابتدعه على الله بزعمه انه حرم ذلك قبل نزول التورية على بنى اسرائيل ومن قبلهم من بعد ذلك من بعد ما لزمتهم الحجة فاولئك هم الظالمون الذين لا ينصفون من انفسهم ويكابرون الحق بعد ما وضح قل صدق الله تعريض بكذبهم اى ثبت ان الله صادق فيما انزل وانتم الكاذبون فاتبعوا ملة ابرهيم حنيفا اى ملة الاسلام التى هى فى الاصل ملة ابرهيم او مثل ملته حتى تتخلصوا من اليهودية التى اضطرتكم الى التحريف والمكابرة لتسوية الاغراض الدنيوية والزمتكم تحريم طيبات احلها لابرهيم ومن تبعه وما كان من المشركين فيه اشارة الى ان اتباعه واجب فى التوحيد الصرف والاستقامة فى الدين والتجنب عن الافراط والتفريط وتعريض بشرك اليهود ان اول بيت وضع للناس اى وضع للعبادة وجعل متعبدا لهم والواضع هو الله تعالى ويدل عليه انه قرئ على البناء للفاعل للذى ببكة للبيت الذى ببكة وهى لغة فى مكة كالنبيط والنميط وامر راتب وراتم ولازب ولازم وقيل هى موضع المسجد ومكة البلد من بكه اذا زحمه او من بكه اذا دقه فانها تبك اعناق الجبابرة روى انه عليه السلام سئل عن اول بيت وضع للناس فقال المسجد الحرام ثم بيت المقدس وسئل كم بينهما فقال اربعون سنة وقيل اول من بناه ابرهيم ثم هدم فبناه قوم من جرهم ثم العمالقة ثم قريش وقيل هو اول بيت بناه ادم فانطمس فى الطوفان ثم بناه ابرهيم وقيل كان فى موضعه قبل ادم بيت يقال له الضراح يطوف به الملائكة فلما اهبط امر بان يحجه ويطوف حوله ورفع فى الطوفان الى السماء الرابعة تطوف به ملائكة السماوات وهو لا يلائم ظاهر الاية وقيل المراد اول بيت بالشرف لا بالزمان مباركا كثير الخير والنفع لمن حجه واعتمره واعتكف دونه وطاف حوله حال من المستكن فى الظرف وهدى للعالمين لانه قبلتهم ومتعبدهم ولان فيه ايات عجيبة كما قال فيه ايات بينات كانحراف الطيور عن موازاة البيت على مدى الاعصار وان ضوارى السباع تخالط الصيود فى الحرم ولا تتعرض لها وان كل جبار قصده بسوء قهر كاصحاب الفيل والجملة مفسرة

للهدى أو حال أخرى مقام إبراهيم مبتدأ محذوف خبره أي منها مقام إبراهيم أو بدل
من آيات بدل البعض من الكل وقيل عطف بيان على أن المراد بالآيات أثر القدم
في الصخرة الصماء وغوصها فيها إلى الكعبين وتخصيصها بهذه الإلانة من بين الصخار
وإبقاؤه دون سائر آثار الأنبياء وحفظه مع كثرة أعدائه ألوف سنة ويؤيده أنه
قرئ آية بينة على التوحيد وسبب هذا الأثر أنه لما ارتفع بنيان الكعبة قام
على هذا الحجر ليتمكن من رفع الحجارة فغاصت فيه قدماه ومن دخله كان آمنا
جملة ابتدائية أو شرطية معطوفة من حيث المعنى على مقام لأنه في معنى أمن من
دخله أي ومنها أمن من دخله أو فيه آيات بينات مقام إبراهيم وأمن من دخله
اقتصر بذكرهما من الآيات الكثيرة وطوى ذكر غيرهما كقوله عليه السلام حبب إلي
من دنياكم ثلث الطيب والنساء وقرة عيني في الصلوة لأن فيهما غنية عن غيرهما
في الدارين بقاء الأثر مدى الدهر والأمن من العذاب يوم القيمة قال عليه
السلام من مات في أحد الحرمين بعث يوم القيمة آمنا وعند أبي حنيفة من
لزمه القتل بردة أو قصاص أو غيرهما لم يتعرض له ولكن ألجئ إلى الخروج
ولله على الناس حج البيت قصده للزيارة على الوجه المخصوص وقرأ حمزة و
الكسائي وعاصم في رواية حفص حج بالكسر وهو لغة نجد من استطاع إليه سبيلا
بدل من الناس مخصص له وقد فسر رسول الله صلعم الاستطاعة بالزاد والراحلة
وهو يؤيد قول الشافعي رضه أنها بالمال ولذلك أوجب الاستنابة على الزمن
إذا وجد أجرة من ينوب عنه وقال مالك رضه أنها بالبدن فيجب على من قدر
على المشي والكسب في الطريق وقال أبو حنيفة أنها بمجموع الأمرين والضمير في إليه
للبيت أو الحج وكل ما أتى إلى الشيء فهو سبيله ومن كفر فإن الله غني عن العالمين
وضع كفر موضع من لم يحج تأكيدا لوجوبه وتغليظا على تاركه ولذلك قال
عليه السلام من مات ولم يحج فليمت إن شاء يهوديا أو نصرانيا وقد أكد أمر الحج
في هذه الآية من وجوه الدلالة على وجوبه بصيغة الخبر وإبرازه في الصورة الاسمية
وإيراده على وجه يفيد أنه حق واجب لله تعالى في رقاب الناس وتعميم الحكم أولا
وتخصيصه ثانيا فإنه كإيضاح بعد إبهام وتثنية وتكرير للمراد وتسمية ترك الحج
كفرا من حيث أنه فعل الكفرة وذكر الاستغناء فإنه في هذا الموضع مما يدل على
المقت والخذلان وقوله عن العالمين بدل عنه لما فيه من مبالغة التعميم والدلالة
على الاستغناء عنه بالبرهان والإشعار بعظم السخط لأنه تكليف شاق جامع
بين كسر النفس وإتعاب البدن وصرف المال والتجرد عن الشهوات والإقبال
على الله روي أنه لما نزل صدر الآية جمع رسول الله صلعم أرباب الملل فخطبهم وقال
إن الله كتب عليكم الحج فحجوا فآمنت به ملة واحدة وكفرت به خمس ملل فنزل

ومن كفر قل يا أهل الكتاب لم تكفرون بآيات الله أي بآياته السمعية والعقلية
الدالة على صدق محمد صلعم فيما يدعيه من وجوب الحج وغيره وتخصيص أهل الكتاب
بالخطاب دليل على أن كفرهم أقبح وأنهم وإن زعموا أنهم مؤمنون بالتورية والإنجيل فهم
كافرون بهما والله شهيد على ما تعملون والحال أنه شهيد مطلع على أعمالكم
فيجازيكم عليها لا ينفعكم التحريف والاستسرار قل يا أهل الكتاب لم تصدون عن
سبيل الله من آمن كرر الخطاب والاستفهام مبالغة في التقريع ونفي العذر لهم
وإشعارا بأن كل واحد من الأمرين مستقبح في نفسه مستقل باستجلاب العذاب و
سبيل الله دينه الحق المأمور بسلوكه وهو الإسلام قيل كانوا يفتنون المؤمنين
ويحرشون بينهم حتى أتوا الأوس والخزرج فذكروهم ما بينهم في الجاهلية من
التعادي والتحارب ليعودوا لمثله ويحتالون لصدهم عنه تبغونها عوجا حال من
الواو أي باغين طالبين لها اعوجاجا بأن تلبسوا على الناس وتوهموا أن فيه عوجا
عن الحق بمنع النسخ وتغيير صفة رسول الله صلعم ونحوهما أو بأن تحرشوا بين المؤمنين
ليختلف كلمتهم ويختل أمر دينهم وأنتم شهداء أنها سبيل الله والصد عنها ضلال
وإضلال أو أنتم عدول عند أهل ملتكم يثقون بأقوالكم ويستشهدونكم في القضايا
وما الله بغافل عما تعملون وعيد لهم ولما كان المنكر في الآية الأولى كفرهم وهم
٩٩ يجهرون به ختمها بقوله والله شهيد ولما كان في هذه الآية صدهم المؤمنين عن الإسلام
وكانوا يخفونه ويحتالون فيه قال وما الله بغافل عما تعملون يا أيها الذين آمنوا
إن تطيعوا فريقا من الذين أوتوا الكتاب يردوكم بعد إيمانكم كافرين
نزلت في نفر من الأوس والخزرج كانوا جلوسا يتحدثون فمر بهم شاس بن قيس
اليهودي فغاظه تألفهم واجتماعهم فأمر شابا من اليهود أن يجلس إليهم ويذكرهم
يوم بعاث وينشدهم بعض ما قيل فيه وكان الظفر في ذلك اليوم للأوس ففعل فتنازع
القوم وتفاخروا وتغاضبوا وقالوا السلاح السلاح واجتمع من القبيلتين خلق
عظيم فتوجه إليهم رسول الله صلعم وأصحابه وقال أتدعون الجاهلية وأنا بين أظهركم
بعد إذ أكرمكم الله بالإسلام وقطع به عنكم أمر الجاهلية وألف بينكم فعلموا أنه نزغة
من الشيطان وكيد من عدوهم فألقوا السلاح واستغفروا وعانق بعضهم بعضا
وانصرفوا مع رسول الله صلعم وإنما خاطبهم الله بنفسه بعدما أمر الرسول بأن يخاطب
أهل الكتاب إظهارا لجلالة قدرهم وإشعارا بأنهم هم الأحقاء بأن يخاطبهم الله
ويكلمهم وكيف تكفرون وأنتم تتلى عليكم آيات الله وفيكم رسوله إنكار وتعجيب
لكفرهم في حال اجتمع لهم الأسباب الداعية إلى الإيمان الصارفة عن الكفر ومن
يعتصم بالله ومن يتمسك بدينه أو يلتجئ إليه في مجامع أموره فقد هدي
إلى صراط مستقيم فقد اهتدى لا محالة يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته

قوله استثناء من اعم عام الاحوال قال المحقق التفتازاني هذه الاضافة مثل قولهم حب رمان زيد حيث لا رمان له [illegible] القصد الى اضافة الحب المخصص كونه للرمان الى زيد وكذا القصد الى اضافة اعم العام الذي لا اعم منه الى الجنس الذي منه الاستثناء [illegible] لطيفة لكون المعنى اعم الاحوال العامة لان العام لا يصلح ان يكون وصفا للاحوال لافراده

قوله وقيل معناه [illegible] المعنى الاول [illegible] اشار الى الكفر والقتل [illegible] الى ضرب الذلة والمسكنة وايجاب الغضب ووجه رجحان الاول [illegible] بل يكفي ان يقال ذلك بانهم كانوا يكفرون بآيات الله ويقتلون الانبياء بغير حق [illegible] المذكورات سبب ضرب الذلة والمسكنة والبوء بالغضب وايضا المعنى الاول يفيد [illegible] ان العصيان الصغيرة يفضي الى الكبيرة والاصرار على الكبيرة يفضي الى الكفر

قوله ليسوا سواء كلام تام يتم الوقف عليه وقوله من اهل الكتاب امة قائمة كلام مستأنف لبيان عدم استوائهم فهو تقرير لما تقدم من قوله منهم المؤمنون واكثرهم الفاسقون [illegible] من اهل الكتاب امة قائمة كان تمام الكلام يقتضي ان يقال ومنهم امة مذمومة [illegible] فقد استغنيت عن قولك وعمرو جاهل

قوله في التساوي [illegible] ليسوا سواء في الحال ولذا قال صاحب الكشاف ليسوا مستوين [illegible]

قوله ثم لا ينصرون [illegible] الشرط [illegible] في الذلة والمهانة ابدا [illegible] قراءة الرفع [illegible] جواب الشرط [illegible]

قوله ضربت عليهم الذلة [illegible]

قوله وهو استثناء من اعم عام الاحوال [illegible] حب رمان زيد حيث لا رمان له [illegible] الى الزمان [illegible] ضربت عليهم الذلة في عامة الاحوال [illegible] الكشاف [illegible]

قوله وباءوا بغضب من الله [illegible] وكذا قوله وضربت عليهم المسكنة [illegible]

قوله ليسوا سواء [illegible] ابو السعود

حق تقواه وما يجب منها وهو استفراغ الوسع في القيام بالمواجب والاجتناب
عن المحارم كقوله تعالى فاتقوا الله ما استطعتم وعن ابن مسعود هو ان يطاع
فلا يعصى ويشكر ولا يكفر ويذكر فلا ينسى وقيل هو ان تنزه الطاعة
عن الالتفات اليها وعن توقع المجازات عليها وفي هذا الامر تاكيد للنهي
عن طاعة اهل الكتاب واصل تقاة وقية فقلبت واوها المضمومة تاء
كما في تؤدة وتخمة والياء الفا ولا تموتن الا وانتم مسلمون اي ولا تكونن
على حال سوى حال الاسلام اذا ادركم الموت فان النهي عن المقيد بحال او غيرها
قد يتوجه بالذات نحو الفعل تارة والقيد اخرى وقد يتوجه نحو المجموع دونهما
وكذلك النفي واعتصموا بحبل الله بدين الاسلام او بكتابه لقوله عليه السلام
القرآن حبل الله المتين استعار له الحبل من حيث ان التمسك به سبب النجاة
عن الردى كما ان التمسك بالحبل سبب للسلامة عن التردي وللوثوق به
والاعتماد عليه الاعتصام ترشيحا للمجاز جميعا مجتمعين عليه ولا تفرقوا
اي ولا تتفرقوا عن الحق بوقوع الاختلاف بينكم كاهل الكتاب او ولا تتفرقوا
تفرقكم الجاهلي يحارب بعضكم بعضا او لا تذكروا ما يوجب التفرق ويزيل
الالفة واذكروا نعمة الله عليكم التي من جملتها الهداية والتوفيق للاسلام
المؤدي الى التالف وزوال الغل اذ كنتم اعداء في الجاهلية متقاتلين فالف
بين قلوبكم بالاسلام فاصبحتم بنعمته اخوانا متحابين مجتمعين على الاخوة
في الله وقيل كان الاوس والخزرج اخوين لابوين فوقع بين اولادهما
العداوة وتطاولت الحروب مائة وعشرين سنة حتى اطفاها الله بالاسلام
والف بينهم برسول الله صلعم وكنتم على شفا حفرة من النار مشفين
على الوقوع في نار جهنم لكفركم اذ لو ادرككم الموت على تلك الحال لوقعتم
في النار فانقذكم منها بالاسلام والضمير للحفرة او النار او للشفا وتانيثه
لتانيث ما اضيف اليه او لانه بمعنى الشفة فان شفا البئر وشفتها طرفها
كالجانب والجانبة واصله شفو فقلبت الواو الفا في المذكر وحذفت في المؤنث
كذلك مثل ذلك التبيين يبين الله لكم آياته دلائله لعلكم تهتدون
ارادة ثباتكم على الهدى وازديادكم فيه ولتكن منكم امة يدعون
الى الخير ويامرون بالمعروف وينهون عن المنكر من للتبعيض
لان الامر بالمعروف والنهي عن المنكر من فروض الكفاية ولانه لا يصلح
له كل احد اذ للمتصدي له شروط لا يشترك فيها جميع الامة كالعلم بالاحكام
ومراتب الاحتساب وكيفية اقامتها والتمكن من القيام بها خاطب
الجميع وطلب فعل بعضهم ليدل على انه واجب على الكل حتى لو تركوه راسا

يتلون القران في تهجدهم عبر عنه بالتلاوة في ساعات الليل مع السجود ليكون ابين وابلغ في المدح وقيل المراد صلوة العشاء لان اهل الكتاب لا يصلونها لما روي انه عليه السلام اخرها ثم خرج فاذا الناس ينتظرون الصلوة فقال اما انه ليس من اهل الاديان احد يذكر الله هذه الساعة غيركم **يؤمنون بالله واليوم الآخر ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويسارعون في الخيرات** صفات اخر لامة وصفهم بخصائص ما كانت في اليهود فانهم منحرفون عن الحق غير متعبدين بالليل مشركون بالله متباطئون عن الخيرات **واولئك من الصالحين** اي الموصوفون بتلك الصفات ممن صلحت احوالهم عند الله واستحقوا رضاه وثناءه **وما يفعلوا من خير فلن يكفروه** فلن يضيع ولا ينقص ثوابه البتة سمي ذلك كفرانا كما سمي توفية الثواب شكرا وتعديته الى مفعولين لتضمنه معنى الحرمان وقرا حفص وحمزة والكسائي بالياء والباقون بالتاء **والله عليم بالمتقين** بشارة لهم واشعار بان التقوى مبدا الخير وحسن العمل فان الفائز عند الله هو اهل التقوى **ان الذين كفروا لن تغني عنهم اموالهم ولا اولادهم من الله شيئا** من العذاب او من الغناء فيكون مصدرا **واولئك اصحاب النار** ملازموها **هم فيها خالدون مثل ما ينفقون** ما ينفق الكفرة قربة او مفاخرة وسمعة او المنافقون رياء وخوفا **في هذه الحيوة الدنيا كمثل ريح فيها صر** برد شديد والشائع اطلاقه للريح الباردة كالصرصر فهو في الاصل مصدر نعت به او نعت وصف به البرد للمبالغة كقولك برد بارد **اصابت حرث قوم ظلموا انفسهم** بالكفر والمعاصي **فاهلكته** عقوبة لهم لان الاهلاك عن سخط اشد والمراد تشبيه ما انفقوا في ضياعه بحرث كفار ضربته صر فاستاصلته ولم يبق لهم فيه منفعة ما في الدنيا والاخرة وهو من التشبيه المركب ولذلك لم يبال بايلاء كلمة التشبيه الريح دون الحرث ويجوز ان يقدر كمثل مهلك ريح وهو الحرث **وما ظلمهم الله ولكن انفسهم يظلمون** اي ما ظلم المنفقين بضياع نفقاتهم ولكنهم ظلموا انفسهم لما لم ينفقوها بحيث يعتد بها او ما ظلم اصحاب الحرث باهلاكه ولكن ظلموا انفسهم بارتكاب ما استحقوا به العقوبة وقرئ ولكن اي ولكن انفسهم يظلمونها ولا يجوز ان يقدر ضمير الشان لانه لا يحذف الا في الشعر كقوله ولكن من يبصر جفونك يعشق **يا ايها الذين آمنوا لا تتخذوا بطانة** وليجة وهو الذي يعرفه الرجل اسراره ثقة به شبه ببطانة الثوب كما شبه بالشعار قال عليه السلام الانصار شعار والناس دثار **من دونكم** من دون المسلمين وهو متعلق بلا تتخذوا او بمحذوف هو صفة بطانة اي بطانة كائنة من دونكم **لا يألونكم خبالا** لا يقصرون لكم في الفساد والالو التقصير واصله ان يعدى بالحرف وعدي الى المفعولين كقولهم لا آلوك نصحا على تضمين معنى المنع

والنقص ودّوا ما عنتم تمنوا عنتكم وهو شدة الضرر والمشقة وما مصدرية
قد بدت البغضاء من أفواههم أي في كلامهم لأنهم لا يتمالكون أنفسهم لفرط بغضهم
وما تخفي صدورهم أكبر مما بدا لأن بدوّه ليس عن روية واختيار قد بيّنا
لكم الآيات الدالة على وجوب الإخلاص وموالاة المؤمنين ومعاداة الكافرين
إن كنتم تعقلون ما بيّن لكم والجمل الأربع جاءت مستأنفات على التعليل و
يجوز أن يكون الثلث الأول صفات لبطانة ها أنتم أولاء تحبونهم ولا يحبونكم
أي أنتم أولاء الخاطئون في موالاة الكافرين وتحبونهم ولا يحبونكم بيان لخطائهم في موالاتهم
وخبر ثان أو خبر لأولاء والجملة خبر أنتم كقولك أنت زيد تحبه أو صلته أو حال والعامل
فيها معنى الإشارة ويجوز أن ينتصب أولاء بفعل يفسره ما بعده وتكون الجملة خبرا
وتؤمنون بالكتاب كله بجنس الكتب كلها وهو حال من لا يحبونكم والمعنى أنهم لا
يحبونكم والحال أنكم تؤمنون بكتابهم أيضا فما بالكم تحبونهم وهم لا يؤمنون
بكتابكم وفيه توبيخ بأنهم في باطلهم أصلب منكم في حقكم وإذا لقوكم قالوا آمنا
نفاقا وتغريرا وإذا خلوا عضوا عليكم الأنامل من الغيظ من أجله تأسفا
وتحسرا حيث لم يجدوا إلى التشفي سبيلا قل موتوا بغيظكم دعاء عليهم بدوام الغيظ
وزيادته بتضاعف قوة الإسلام وأهله حتى يهلكوا به إن الله عليم بذات الصدور
فيعلم ما في صدورهم من البغضاء والحنق وهو يحتمل أن يكون من المقول أي وقل
لهم إن الله عليم بما هو أخفى مما تخفونه من عض الأنامل غيظا وأن يكون خارجا عنه بمعنى
قل لهم ذلك ولا تتعجب من اطلاعي إياك على أسرارهم فإني عليم بالأخفى من ضمائرهم
إن تمسسكم حسنة تسؤهم وإن تصبكم سيئة يفرحوا بها بيان لتناهي عداوتهم
إلى حد حسدوا ما نالهم من خير ومنفعة وشمتوا بما أصابهم من ضر وشدة و
المس مستعار للإصابة وإن تصبروا على عداوتهم أو على مشاق التكاليف وتتقوا
موالاتهم أو ما حرم الله عليكم لا يضركم كيدهم شيئا بفضل الله وحفظه الموعود
للصابرين والمتقين ولأن المجد في الأمر المتدرب بالاتقاء والصبر يكون قليل
الانفعال جريئا على الخصم وضمة الراء للإتباع كضمة مُدُّ وقرأ ابن كثير ونافع
وأبو عمرو ويعقوب لا يضركم من ضاره يضيره إن الله بما يعملون من الصبر والتقوى
وغيرهما محيط علمه فيجازيكم بما أنتم أهله وقرئ بالياء أي بما يعملون في عداوتكم
فيعاقبهم عليه وإذ غدوت أي واذكر إذ غدوت من أهلك من حجرة
عائشة رضي الله عنها تبوئ المؤمنين تنزلهم أو تسوي وتهيئ لهم ويؤيده القراءة
باللام مقاعد للقتال مواقف وأماكن له وقد يستعمل المقعد والمقام بمعنى المكان
على الاتساع كقوله في مقعد صدق وقوله قبل أن تقوم من مقامك والله سميع
لأقوالكم عليم بنياتكم روي أن المشركين نزلوا بأحد يوم الأربعاء ثاني عشر شوال

سنة ثلث من الهجرة فاستشار رسول الله صلعم أصحابه وقد دعا عبد الله بن أبي
ولم يدعه قبل فقال هو وأكثر الأنصار أقم يا رسول الله بالمدينة ولا تخرج إليهم فوالله
ما خرجنا منها إلى عدو إلا أصاب منا ولا دخلها علينا إلا أصبنا منه فكيف وأنت فينا فدعهم
فإن أقاموا أقاموا بشر محبس وإن دخلوا قاتلهم الرجال ورماهم النساء والصبيان بالحجارة
وإن رجعوا رجعوا خائبين وأشار بعضهم إلى الخروج فقال عليه السلام رأيت في منامي
بقرا مذبوحة حولي فأولتها خيرا ورأيت في ذباب سيفي ثلما فأولته هزيمة ورأيت كأني
أدخلت يدي في درع حصينة فأولتها المدينة فإن رأيتم أن تقيموا بالمدينة وتدعوهم
فقال رجال فاتتهم بدر وأكرمهم الله بالشهادة يوم أحد أخرج بنا إلى أعدائنا فلم يزالوا به حتى
دخل فلبس لأمته فلما رأوا ذلك ندموا على مبالغتهم وقالوا اصنع يا رسول الله ما رأيت فقال
لا ينبغي لنبي أن يلبس لأمته فيضعها حتى يقاتل فخرج بعد صلوة الجمعة وأصبح بشعب أحد
يوم السبت ونزل في عدوة الوادي وجعل ظهره وعسكره إلى أحد وسوى صفهم وأمر عبد الله
بن جبير على الرماة وقال انضحوا عنا بالنبل لا يأتونا من ورائنا إذ همت متعلق بقوله سميع عليم
أو بدل من إذ غدوت طائفتان منكم بنو سلمة من الخزرج وبنو حارثة من الأوس
وكانا جناحي العسكر أن تفشلا أن تجبنا وتضعفا روي أنه عليه السلام خرج في زهاء
ألف رجل ووعدهم النصر إن صبروا فلما بلغوا الشوط انخزل ابن أبي في ثلثمائة وقال علام نقتل
أنفسنا وأولادنا فتبعهم عمرو بن حزم الأنصاري وقال أنشدكم الله في نبيكم وأنفسكم فقال ابن أبي
لو نعلم قتالا لاتبعناكم فهمّ الحيان باتباعه فعصمهم الله فمضوا مع رسول الله صلعم والظاهر أنها
ما كانت عزيمة والله وليهما أي عاصمهما عن اتباع تلك الخطرة ويجوز أن يراد والله ناصرهما
فما لهما تفشلان وعلى الله فليتوكل المؤمنون أي فليتوكلوا عليه ولا يتوكلوا على
غيره لينصرهم كما نصرهم ببدر ولقد نصركم الله ببدر تذكير ببعض ما أفادهم التوكل
وبدر ما بين مكة والمدينة كان لرجل يسمى بدرا فسمي به وأنتم أذلة حال من الضمير وإنما قال
أذلة ولم يقل ذلائل ليدل على قلتهم مع ذلتهم لضعف الحال وقلة المراكب والسلاح
فاتقوا الله في الثبات لعلكم تشكرون ما أنعم به عليكم بتقواكم من نصره أو لعلكم
ينعم الله عليكم فتشكرون فوضع الشكر موضع الإنعام لأنه سببه إذ تقول للمؤمنين
ظرف لنصركم وقيل بدل ثان من إذ غدوت على أن قوله لهم يوم أحد وكان مع اشتراط
الصبر والتقوى عن المخالفة فلما لم يصبروا عن الغنائم وخالفوا أمر الرسول لم تنزل الملائكة
ألن يكفيكم أن يمدكم ربكم بثلثة آلاف من الملائكة منزلين إنكار أن لا
يكفيهم ذلك وإنما جيء بلن إشعارا بأنهم كانوا كالآيسين من النصر لضعفهم وقلتهم وقوة العدو
وكثرتهم قيل أمدهم الله يوم بدر أولا بألف من الملائكة ثم صاروا ثلثة آلاف
ثم صاروا خمسة وقرأ ابن عامر منزلين بالتشديد للتكثير أو للتدريج بلى إيجاب لما بعد
لن أي بلى يكفيكم ثم وعد لهم الزيادة على الصبر والتقوى حثا عليهما وتقوية لقلوبهم فقال

ان تصبروا وتتقوا ويأتوكم اى المشركون من فورهم هذا من ساعتهم هذه وهو
فى الاصل مصدر فارت القدر اذا غلت فاستعير للسرعة ثم اطلق للحال التى لا ريث فيها
ولا تراخى والمعنى ان يأتوكم فى الحال يمددكم ربكم بخمسة آلاف من الملائكة فى حال
اتيانهم بلا تراخ وتأخير مسومين معلمين من التسويم بمعنى الاسامة وقرأ ابن كثير
وابو عمرو وعاصم ويعقوب بكسر الواو وما جعله الله وما جعل امدادكم بالملائكة
الا بشرى لكم الا بشارة لكم بالنصر ولتطمئن قلوبكم به ولتسكن اليه من الخوف
وما النصر الا من عند الله لا من العدة والعدد وهو تنبيه على انه لا حاجة فى نصرهم
الى مدد وانما امدهم ووعدهم به بشارة لهم وربطا على قلوبهم من حيث ان نظر
العامة الى الاسباب اكثر وحثا على ان لا يبالوا بمن تأخر عنهم العزيز الذى لا يغالب
فى اقضيته الحكيم الذى ينصر ويخذل بوسط وغير وسط على مقتضى الحكمة والمصلحة ليقطع
طرفا من الذين كفروا متعلق بنصركم او وما النصر ان كان اللام فيه للعهد والمعنى
لينقص منهم بقتل بعض واسر آخرين وهو ما كان يوم بدر من قتل سبعين واسر سبعين
من صناديدهم او يكبتهم او يخزيهم والكبت شدة غيظ او وهن يقع فى القلب واو
للتنويع دون الترديد فينقلبوا خائبين فينهزموا منقطعى الآمال ليس لك من الامر
شىء اعتراض او يتوب عليهم او يعذبهم عطف على قوله او يكبتهم والمعنى ان الله
تعالى مالك امرهم فاما ان يهلكهم او يكبتهم او يتوب عليهم ان اسلموا او يعذبهم ان اصروا
وليس لك من امرهم شىء وانما انت عبد مأمور لانذارهم وجهادهم ويحتمل
ان يكون معطوفا على الامر او شىء باضمار ان اى ليس لك من امرهم او من التوبة عليهم
او من تعذيبهم شىء او ليس لك من امرهم شىء او التوبة عليهم او تعذيبهم وان يكون
او بمعنى الا ان اى ليس لك من امرهم شىء الا ان تتوب عليهم فتسر به او تعذبهم فتتشفى
منهم روى ان عتبة بن ابى وقاص شجه يوم احد وكسر رباعيته فجعل يمسح الدم عن
وجهه ويقول كيف يفلح قوم خضبوا وجه نبيهم بالدم فنزلت وقيل هم ان يدعو
عليهم فنهاه الله لعلمه بان فيهم من يؤمن به فانهم ظالمون قد استحقوا التعذيب بظلمهم
ولله ما فى السموات وما فى الارض خلقا وملكا فله الامر كله يغفر لمن يشاء
صريح فى نفى وجوب التعذيب والتقييد بالتوبة وعدمها كالمنافى له والله غفور
رحيم لعباده فلا تبادر الى الدعاء عليهم يا ايها الذين آمنوا لا تأكلوا الربا
اضعافا مضاعفة لا تزيدوا زيادات مكررة ولعل التخصيص بحسب الواقع اذ
كان الرجل منهم يربى الى اجل ثم يزيد فيه زيادة اخرى حتى يستغرق بالشىء الطفيف
مال المديون وقرأ ابن كثير وابن عامر مضعفة واتقوا الله فيما نهيتم عنه لعلكم
تفلحون راجين الفلاح واتقوا النار التى اعدت للكافرين بالتحرز
عن متابعتهم وتعاطى افعالهم وفيه تنبيه على ان النار بالذات معدة للكافرين

الذى هو الطعان بها النبى صلى الله عليه وسلم لاصحابه تسوموا فان الملائكة قد تسومت
او مرسلين من التسويم

91

قوله ويحتمل ان يكون معطوفا على الامر او شىء اى يحتمل ان يكون او يتوب منصوبا باضمار ان فيكون
فى تأويل الاسم فيصح عطفه على الاسم المجرور وهو قوله الامر او على اسم مرفوع وهو قوله شىء كما قيل
على الاول ليس لك من الامر او من توبته تعالى عليهم او تعذيبه اياهم شىء وعلى الثانى كما قيل ليس لك
من الامر شىء او توبة الله عليهم او تعذيبهم واما ما كان من قبيل عطف الخاص على العام ومعنى الآية
على التقدير الاول ان امورهم كلها لله وليس لك من امرهم شىء ولا من توبتهم شىء ولا من
تعذيبهم شىء وعلى التقدير الثانى ليس لك من امرهم شىء ولا توبتهم ولا تعذيبهم والفرق بين
العطف على الامر والعطف على شىء ان الاول سلب توابع التوبة من القبول والرد وتوابع التعذيب
من الاخلاص عنه وعدم النجاة منه والثانى سلب نفس التوبة والتعذيب بمعنى انك لا تقدر
على ان تجبرهم على التوبة او تمنعهم عنها ولا ان تعذبهم او تعفو عنهم   من سعدى

قوله واللام ليقطع طرفا متعلق بقوله لقد نصركم الله يوم بدر على تقدير ان يجعل اذ تقول ظرفا لنصركم
لا بدلا ثانيا من اذ غدوت لان ذلك يوم احد واما تعلقها بقوله وما النصر الا من عند الله
فيصح على التقديرين لكن الحال هو النفى المنقوض بالا والنصر الواقع مبتدأ فيه تردد
والظاهر من كلام الكشاف هو الاول

قوله او يتوب عطف على ليقطع او يكبت ووجه سببية النصر على تقدير تعلق اللام بقوله
وما النصر الا من عند الله ظاهر واما على تقدير تعلقها بقوله لقد نصركم الله ببدر فلان النصر الواقع
كان من اظهر الآيات واوضح البينات فيصلح سببا للتوبة على تقدير الاسلام او لتعذيبهم
على تقدير البقاء على الكفر لجحودهم بالآيات وان اريد التعذيب فى الدنيا بالاسر فالامر ظاهر
فان قيل هو يصلح سببا لتعذيبهم والكلام فى التوبة عليهم قلنا يصلح سببا لاسلامهم
الذى هو سبب للتوبة عليهم فيكون سببا لها بالواسطة   سعد الدين

قوله ويحتمل ان يكون معطوفا الخ لا يخفى ان العطف المذكور على احد الاحتمالين من عطف الخاص على
العام وهو محل نظر بل لا نظم يلتزم من الاحتمال الثانى وهو ان يكون العطف على شىء معنى
ملائم ولعل الكشاف لضعف الاحتمالين المذكورين لم يذكرهما قال وقيل ان ويتوب منصوب
باضمار ان وان تتوب فى حكم اسم معطوف بأو على الامر او على شىء وكأنه لم يستحسن
هذا الوجه ولم يرض به والمص اذا لم يلتفت اليه صاحب الكشاف لجزم بالاحتمالين المذكورين
من كاتبه

قوله تعالى

وما جعله الله كلام مبتدأ غير داخل في حيز القول مسوق من جنابه تعالى لبيان ان الاسباب الظاهرة بمعزل من التأثير وان حقيقة النصر مختص به عز وجل والجعل متعد الى واحد وهو الضمير العائد الى مصدر ذلك الفعل المقدر واما عوده الى المصدر المذكور في قوله تعالى ان يمدكم او الى القصة [illegible] لقوله تعالى يمددكم كما قيل فغير حقيق بجزالة التنزيل لان البشارة [illegible] منعقدة على [illegible] لوجود الامداد [illegible] هو المراد بالنظم الكريم حقه ان يكون بعد بيان وجوده في نفسه ولا ريب في ان مصدر المذكور [illegible] تخيير معتبر من حيث الوجود والوقوع لان الاثنين امران [illegible] وقوله يمددكم [illegible] على سبيل القطع والوقوع بل الاول [illegible] الكفاية والثاني من قبيل الوعد [illegible] كمصدر الفعل المقدر [illegible] الوجود والوقوع معتبر في مصدره [illegible] لبيان احكام وجوده بل الاول معتبر من حيث الكفاية والثاني من حيث الوعد على ان الاول هو الامداد بثلثة الاف والثاني هو الامداد بخمسة الاف واما تعلق [illegible] القصة بغزوة واحدة على ان قوله تعالى اذ تقول [illegible] ان يمدكم [illegible] كما قيل [illegible] النظم الكريم [illegible] المشروط بالصبر والتقوى انما هو الامداد بخمسة الاف لا بثلثة الاف مع انه لم يقع الامداد [illegible] واحد [illegible] لا سبيل الى جعل الضمير في قوله تعالى وما جعله [illegible] الى الامداد الموعود لانه لم يتحقق فكيف [illegible] الغاية ولا الى الوعد به على معنى انه تعالى انما جعل ذلك الوعد بشرى لكم والاطمينان قلوبكم [illegible] ما شرط عليكم من الصبر والتقوى فلم يقع انجاز الموعود لما ان قوله تعالى وما النصر الا من عند الله العزيز الحكيم صريح في انه قد وقع الامداد الموعود لكن [illegible] انما هو [illegible] والبشرى والاطمينان [illegible] حصلا واما النصر [illegible] ذلك الامر عنده تعالى واما جعله استيئنافا مقررا لمضمون [illegible] الامداد على معنى ان النصر الموعود مخصوص به تعالى [illegible] من خالف امره بترك الصبر والتقوى [illegible] يجب تنزيه التنزيل عن امثاله فلا بد من اعتبار وجود النصر قطعا لان تفصيل الاحكام المترتبة على وجود [illegible] وان ما حكى في اثنائه الى قوله تعالى [illegible] بمعزل [illegible] يوم بدر قطعا وما بعده يحتمل الوجهين المذكورين

قوله [illegible] [illegible] واردات كثيرة كان الرجل في الجاهلية اذا كان له على انسان مائة درهم الى اجل ولم يكن المديون واجدا له [illegible] قال زدني في المال حتى ازيد في الاجل فربما جعله مائتين ثم اذا حل الاجل [illegible] مثل ذلك ثم الى اجل كثيرة [illegible] فيأخذ بسبب تلك المائة اضعافها فهذا هو المراد بقوله اضعافا مضاعفة واضعافا جمع ضعف [illegible] انه حال من الربا [illegible] لما كان جمع قلة والمقصود الكثرة اتبعه بما يدل على الكثرة حيث وصفه بقوله مضاعفة وهي اسم مفعول لا مصدر

قوله [illegible] اشارة الى ان الحال ليس لتقييد النهي بها [illegible] بل لزيادة التوبيخ والتنبيه على انهم كانوا على هذه الطريقة الشنيعة [illegible]

قوله اضعافا مضاعفة [illegible] بما كانوا [illegible] اشارة الى ان هذه الحال اعني اضعافا مضاعفة ليست لتقييد النهي بها [illegible] منه [illegible] المفهوم بل لزيادة التوبيخ والتنبيه على انهم كانوا على هذه الطريقة المذمومة التي ربما يستقبحها اكلة الربا ايضا

قوله [illegible] المراد وصفها بالسعة يعني ليس القصد الى تحديد عرض الجنة [illegible] كونها في السماء بل هو كناية عن غاية السعة والبسطة بما هو غاية في ذلك في علم السامعين

وبالعرض للعصاة **واطيعوا الله والرسول لعلكم ترحمون** اتبع الوعيد بالوعد ترهيبا
عن المخالفة وترغيبا في الطاعة ولعل وعسى في امثال ذلك دليل عزة التوصل
الى ما جعل خبرا له **وسارعوا** بادروا واقبلوا **الى مغفرة من ربكم** الى ما تستحق
به المغفرة كالاسلام والتوبة والاخلاص وقرا نافع وابن عامر سارعوا بلا واو
وجنة عرضها السموات والارض اي عرضها كعرضهما ذكر العرض للمبالغة
في وصفها بالسعة على طريقة التمثيل لانه دون الطول وعن ابن عباس كسبع سموات
وسبع ارضين لو وصل بعضها ببعض **اعدت للمتقين** هيئت لهم وفيه دليل
على ان الجنة مخلوقة وانها خارجة عن هذا العالم **الذين ينفقون** صفة
مادحة للمتقين او مدح منصوبا او مرفوع **في السراء والضراء** في حالتي الرخاء
والشدة او الاحوال كلها اذ الانسان لا يخلوا عن مسرة او مضرة اي لا يخلون في حال ما
بانفاق ما قدروا عليه من قليل او كثير **والكاظمين الغيظ** الممسكين
عليه الكافين عن امضائه مع القدرة من كظمت القربة اذا ملاتها وشددت
راسها وعن النبي صلعم من كظم غيظا وهو يقدر على انفاذه ملاه الله قلبه
امنا وايمانا **والعافين عن الناس** التاركين عقوبة من استحقوا مواخذته
وعن النبي صلعم ان هولاء في امتي قليل الا من عصم الله وقد كانوا كثيرا في الامم
التي مضت **والله يحب المحسنين** يحتمل الجنس ويدخل تحته هولاء والعهد
فيكون الاشارة اليهم **والذين اذا فعلوا فاحشة** فعلة بالغة في القبح كالزنا
او ظلموا انفسهم بان اذنبوا اي ذنب كان وقيل الفاحشة الكبيرة وظلم النفس
الصغيرة ولعل الفاحشة ما يتعدى وظلم النفس ما ليس كذلك **ذكروا الله** تذكروا
وعيده او حكمه او حقه العظيم **فاستغفروا لذنوبهم** بالندم والتوبة **ومن يغفر
الذنوب الا الله** استفهام بمعنى النفي معترض بين المعطوفين والمراد به وصفه
تعالى بسعة الرحمة وعموم المغفرة والحث على الاستغفار والوعد بقبول التوبة
ولم يصروا على ما فعلوا ولم يقيموا على ذنوبهم غير مستغفرين لقوله عليه السلام
١٦٢
ما اصر من استغفر ولو عاد في اليوم سبعين مرة **وهم يعلمون** حال من يصروا
اي ولم يصروا على قبيح فعلهم عالمين به **اولئك جزاؤهم مغفرة من ربهم**
وجنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها خبر للذين ان ابتدات به وجملة
مستانفة مبينة لما قبلها ان عطفته على المتقين او على الذين ينفقون ولا يلزم
من اعداد الجنة للمتقين والتائبين جزاء لهم ان لا يدخلها المصرون كما لا يلزم
من اعداد النار للكافرين جزاء لهم ان لا يدخلها غيرهم وتنكير جنات على الاول
يدل على ان ما لهم ادون مما للمتقين الموصوفين بتلك الصفات المذكورة
في الاية المتقدمة وكفاك فارقا بين القبيلين انه فصل اياتهم بان بين انهم

محسنون مستوجبون لمحبة الله وذلك لانهم حافظوا على حدود الشرع وتخطوا الى التخصص بمكارمه وفصل اية هولاء بقوله **ونعم اجر العاملين** لان المتدارك لتقصيره كالعامل لتحصيل بعض ما فوت على نفسه وكم بين المحسن والمتدارك والمحبوب والاجير ولعل تبديل لفظ الجزاء بالاجر لهذه النكتة والمخصوص بالمدح محذوف تقديره ونعم اجر العاملين ذلك يعني المغفرة والجنات **قد خلت من قبلكم سنن** وقائع سنها الله في الامم المكذبة كقوله تعالى وقتلوا تقتيلا سنة الله في الذين خلوا من قبل وقيل امم قال الشاعر ما عاين الناس من فضل كفضلهم ولا ارى مثله في سالف السنن **فسيروا في الارض فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين** لتعتبروا بما ترون من اثار هلاكهم **هذا بيان للناس وهدى وموعظة للمتقين** اشارة الى قوله قد خلت او مفهوم قوله فانظروا اي انه مع كونه بيانا للمكذبين فهو زيادة بصيرة وموعظة للمتقين او الى ما لخص من امر المتقين والتائبين وقوله قد خلت اعتراض للبعث على الايمان والتوبة وقيل الى القران **ولا تهنوا ولا تحزنوا** تسلية لهم عما اصابهم يوم احد والمعنى لا تضعفوا عن الجهاد بما اصابكم ولا تحزنوا على من قتل منكم **وانتم الاعلون** وحالكم انكم اعلى منهم شانا فانكم على الحق وقتالكم لله وقتلاكم في الجنة وانهم على الباطل وقتالهم للشيطان وقتلاهم في النار او لانكم اصبتم منهم يوم بدر اكثر مما اصابوا منكم اليوم او انتم الاعلون في العاقبة فيكون بشارة لهم بالنصر والغلبة **ان كنتم مؤمنين** متعلق بالنهي اي لا تهنوا ان صح ايمانكم فانه يقتضي قوة القلب بالوثوق على الله او بالاعلون **ان يمسسكم قرح فقد مس القوم قرح مثله** قرا حمزة والكسائي وابن عياش عن عاصم بضم القاف والباقون بفتح القاف وهما لغتان كالضعف والضعف وقيل هو بالفتح الجراح وبالضم المها والمعنى ان اصابوا منكم يوم احد فقد اصبتم منهم يوم بدر مثله ثم انهم لم يضعفوا ولم يجبنوا فانتم اولى بان لا تضعفوا فانكم ترجون من الله ما لا يرجون وقيل كلا المسين كان يوم احد فان المسلمين نالوا منهم قبل ان يخالفوا امر الرسول عليه السلام **وتلك الايام نداولها بين الناس** نصرفها بينهم نديل لهولاء تارة ولهولاء اخرى كقوله فيوما علينا ويوما لنا ويوما نساء ويوما نسر والمداولة كالمعاودة يقال داولت الشيء بينهم فتداولوه والايام يحتمل الوصف والخبر ونداولها يحتمل الخبر والحال والمراد بها اوقات النصر والغلبة **وليعلم الله الذين آمنوا** عطف على علة محذوفة اي نداولها ليكون كيت وكيت وليعلم الله ايذانا بان العلة فيه غير واحدة وان ما يصيب المومن فيه من المصالح ما لا يعلم او الفعل المعلل به محذوف تقديره وليتميز الثابتون على الايمان

قوله تعالى هدى وموعظة للمتقين يعني انه مع كونه بيانا وتبيينا للمكذبين فهو زيادة تثبيت وموعظة للذين اتقوا من المومنين ويجوز ان يكون قوله قد خلت جملة معترضة للبعث على الايمان وما يتعلق به ما ذكر من اجر العاملين ويكون قوله هذا اشارة الى ما لخص وبين من امر المتقين والتائبين

قوله تعالى ونعم اجر العاملين المخصوص بالمدح محذوف اي ونعم اجر العاملين ذلك اي ما ذكر من المغفرة والجنات والتعبير عنهما بالاجر المشعر بانهما يستحقان بمقابلة العمل وان كان بطريق التفضل لمزيد الترغيب في الطاعات والزجر عن المعاصي والجملة تذييل مختص بالتائبين حسب اختصاص التذييل السابق بالاولين وما بينك مضمونهما ولبلاغتهما من التفاوت والتباين ما بين الفريقين متفاوت البين شتان من محسنين فائزين بمحبة الله عز وجل وبين العاملين الحائزين لاجرتهم ومعالتهم قوله تعالى قد خلت من قبلكم سنن رجوع الى تفصيل بقية القصة بعد تمهيد مبادي الرشد والصلاح وترتيب مقدمات الفوز والفلاح والخلو المضي والسنن الوقائع وقيل الامم والظرف اما متعلق بخلت او بمحذوف وقع حالا من سنن اي قد مضت من قبل زمانكم وقائع سنها الله في الامم المكذبة

تفسير ابو السعود

قوله اشارة الى قوله قد خلت يعني ان قوله قد خلت من قبلكم ان لم تكن جملة معترضة بل جيء بها بعد الفراغ عما لخص من امر المتقين والتائبين لبعث المكذبين على التوبة والتصديق يكون قوله هذا اشارة الى قوله قد خلت كما يعني للمكذبين الحاضرين ودفعه الى ... على ان يكون المراد بالناس المكذبين الذين خوطبوا بقوله قد خلت من قبلكم على طريق الالتفات من الخطاب الى الغيبة واما الى مفهوم قوله فانظروا او بعوثهم على النظر في سوء عاقبة المكذبين الماضين وهذا الحث بيان للمكذبين الحاضرين سوء ما فعلهم لكونهم الماضين بما هو سبب سوء العاقبة وهذا المشار اليه اعني الحث على النظر مع كونه بيانا للمكذبين فهو هدى وموعظة للمتقين

قوله تعالى ولا تهنوا ولا تحزنوا الظاهر انه عطف على سيروا في الارض فانظروا وتوسط حديث الرؤية وما بعده وقيل استطراد وقيل ... اشارة الى ان هذا نوع اخر من معاداة الدين ومحاربة المسلمين ومن الى تقوية ... قلوبهم لكل طالب كما في قولهم هذا عطفه وجد من نشاطه

سعد الدين

قوله تعالى ولا تهنوا ... اعلم ان قوله تعالى قد خلت من قبلكم سنن وقوله هذا بيان للناس كالمقدمة لقوله ولا تهنوا كانه قال اذا بحثتم عن احوال القرون الماضية علمتم ان اهل الباطل وان اتفقت لهم الصولة والدولة فمال امرهم الى الضعف ومال اهل الحق الى القوة والعلوة فلا ينبغي ان يصير صولة الكفار عليكم يوم احد سببا لضعف قلبكم وعجزكم بل يجب ان يقوى قلوبكم لاعتقاد ان الاعتلاء ... والدولة راجعة اليكم

تفسير رازي

قوله تعالى وما محمد الا رسول ... افراد احوال ... الظاهر ... الرسالة والتبرع عن الهلاك ... عدم اعتبار الوصف ... لبيان انه ليس متبرعا عن الهلاك ... تغير قلب وهو المختار

من سعد الدين

قوله او الفعل المعلل به محذوف تقديره وليتميز الثابتون على الايمان من الذين امنوا على حذف فعلنا ذلك

قوله او الفعل المعلل به يعني ان قوله تعالى وليعلم الله اي عطف على الفعل المحذوف الذي هو معلل بتلك الاية والاشارة اليه بقوله وليتميز الثابتون على الايمان من الذين امنوا اشارة الى العلة المذكورة والى كون المراد من يعلم الله التمييز مجازا وقوله فعلنا ذلك اشارة الى الفعل المعلل به اي فعلنا المداولة اي مداولة ليتميز الثابت على الايمان اي المحكوم والمقصود ... المداولة بقوله فعلنا ذلك التعبير عن العلم بالتمييز مجاز لكون العلم سببا للتمييز فيكون اطلاق اسم السبب على المسبب والمصنف رحمه الله لم يلتفت الى ان قوله تعالى وليعلم الله الذين امنوا تمثيلا حتى ذهب اليه الكشاف بل جعله من قبيل اطلاق اسم السبب ثم ... قال ابو السعود عليه الرحمة ان قوله تعالى وليعلم الله الخ اما من باب التمثيل او العلم فيه مجاز عن التمييز ليتميز الثابتون على الايمان من غيرهم او هو على حقيقته معتبر من حيث تعلقه بالمعلوم من حيث انه موجود بالفعل اذ هو الذي يدور عليه الجزاء لا من حيث انه موجود بالقوة انتهى كلامه فان قيل لم ارتكب المجاز في قوله تعالى ليعلم الله باطلاق السبب واراد المسبب الذي هو التمييز قلنا لما جعل المداولة المحذوفة علة لعلمه تعالى كما سبق يقتضي ان يكون علمه تعالى بعد تداول الظفر والغلبة لا قبله فيستلزم الحدوث في علمه تعالى وذلك باطل لانه تعالى عالم بكونهم مؤمنين ازلا وبعدها بخلاف التمييز فانه يكون بعد التداول لان المراد بالتمييز التمييز في الخارج اي تمييز المؤمن من الكافر ... الخارج ولا شك ان التمييز بينهما في الخارج بين الاعداء بعد المداولة المذكورة اي تميز الله سبحانه في الخارج لا في علمه الازلي بعد المداولة ثم قال العلامة السعد رحمه الله وانما لم يحمل الكلام على حقيقته لدلالته على ان العلم يحصل بعد الفعل وعلمه تعالى ازلي لا يتصف بالحدوث وقال الكشاف فان قلت ... لم يزل عالما بالاشياء قبل كونها فهذه السور ... بتقدير نعلم قوله تعالى وليعلم الله الذين الخ على الفعل المحذوف مع كون الاية الكريمة ... لم يذكر الفعل المحذوف وهو نداولها والتقرير على تقدير عطفها على العلة المحذوفة ثم قال المصنف قوله وليعلم الله الذين امنوا عطف على علة محذوفة اي نداولها ليكون كيت وكيت يعني معناه على تقدير هذا العطف ان تداول الظفر والغلبة بين المسلمين والكافرين كما وقع في البدر والاحد ليكون كذا وكذا من المصالح كثيرة قرينة ان لا ينضبط عدده وعده واحصاؤه فهذه المصالح والمنافع الذي عبر المص عنه بقوله كيت وكيت علة غائية لتداول الظفر والغلبة بين المسلمين والكافرين وانما حذف الله سبحانه هذه العلة ليذهب ذهن السامع في اول الامر الى كل ما له صلوح للعلية من المنافع والمصالح وغيرهما من امثالهما ثم قال رحمه الله وحذف العلة ايذانا بان العلل فيه غير واحدة وقال عصام عليه الرحمة ان الحذف للايذان بان العلة المحذوفة متعددة يطول ذكرها بل لا يحيط بها العلم واليه اشار البيضاوي بقوله وان ما يصيبه المؤمن فيه من المصالح لا يعلم ولا يخفى ان فيه مبالغة وقال الكشاف رحمه الله وانما حذف العلل للايذان بان المصلحة فيما جعل ليست بواحدة ليتسليهم عما جرى انتهى ثم ان المصنف رحمه الله اراد زيادة التحقيق والبيان فقال

ظ ظ

قوله والقصد في امثاله ليس الى اثبات علمه تعالى بل الى اثبات المعلوم

يعني ليس المراد من العلم في قوله تعالى وليعلم الله الذين امنوا وفي امثالها من الايات الواقعة فيها العلم المنسوب الى الله تعالى اثبات علمه تعالى على ما هو المستفاد من ظاهر الايات بل المقصود اثبات المعلوم وتحققه نفي هذه الاية ليس القصد الى اثبات علمه تعالى بل القصد اثبات المعلوم الذي هو مؤمنون لان اطلاق لفظ العلم على المعلوم مجاز مشهور فالمعنى ان تداول الظفر والغلبة لثبوت المؤمنين فانه تداول عليه بقوله تعالى وليعلم الله اي علمه تعالى والمراد من العلم المعلوم فهذا معنى قوله رحمه الله القصد ليس اثبات علمه تعالى بل اثبات المعلوم ثم ان المراد من تحقق المؤمنون وتميزهم ثبوتهم وتحققهم ثم قال عصام رحمه الله وفيه بحث ان المقصود هنا هو التميز لا المعلوم الذي هو المؤمنون ويمكن ان يدفع بان المراد ليتميز الثابتون على الايمان بطريق البرهان والمراد من التميز التميز في الخارج الذي هو كناية عن التحقق ... التميز ... الذي هو لازم علمه انتهى فيكون المعنى على هذا ان تداول الظفر ليجعل الله المؤمنين متحققا ثابتا فيعلم الناس ويتميز من الكافر والمنافق

قوله والقصد في نقيضه ليس الى نفيه ... بل نفي المعلوم ... العلم او لان قوله تعالى وليعلم الله الذين امنوا على تقدير كون علمه تعالى معللا بالمداولة المذكورة يكون نقيضها لو لم يوجد المداولة لا يعلم الله الذين امنوا فهذا نقيض ظاهر مدلول الاية فاذا عرفت هذا فاعرف ان معنى قول المصنف والقصد في نقيضه ليس اثبات نفيه اي نفي العلم عنه سبحانه بل نفيه اي نفي المعلوم يعني المقصود والقصد في نقيضه

ليعلم الله الذين

٣٢

نقيض تلك الاية الكريمة اي نقيض مثالها ليس نفي علمه تعالى بل ما هو المستفاد من ظاهر نقيض الاية المذكورة بل المقصود نفي المعلوم بنفي العلم بطريق البرهان لان علمه تعالى بالشيء من لوازم تحقق ذلك الشيء ولا شك ان عدم اللازم يستلزم عدم الملزوم فينتفي علمه تعالى بالشيء يلزم نفي ذلك الشيء فظهر ان المقصود من نفي العلم في امثال هذه الاية نفي المعلوم وتحقق نفي الشيء بنفي لازمه لا شك انه نفي بطريق البرهان كما عرفت في موضعه فاذا اردنا ان نعبر نقيض تلك الاية الكريمة للتمثيل والبيان نقول [illegible] نفي العلم بنفي المداولة والمقصود من نفي العلم نفي المعلوم الذي هو المؤمنون اي نفي ثبوتهم وتحققهم وهذا ما الهمه القاصر بعد اتعاب الذهن في الفهم والبيان بقدر ما يسره الله العلم المنان

١٨٧ ١٦٤

قوله وقيل معناه اي قيل في الجواب عن كون الاية يستلزم حدوث علمه تعالى وتجدده فان معنى الاية ليعلم الذين امنوا موجودين كما علم قبل وجودهم انهم سيوجدون [illegible] المجازاة [illegible] الواقع دون المعلوم الذي لم يوجد ولا يلزم منه تجدد علم الله تعالى وحدوثه ولا كون ذاته تعالى محلا للحوادث لان التغير والحدوث انما هو في تعلق العلم لا في نفسه فان صفات الباري تعالى منها صفات لا وجود لها في الاعيان كتعلق العلم والارادة فان هذه التعلقات اضافات محضة لا وجود لها في الاعيان فهي مستندة متغيرة وتغيرها لا يستلزم تغير العلم والارادة وقيل في الجواب ان في الاية تقدير مضاف اي ليعلم اولياء الله ونسب علمهم الى نفسه تفخيما لشانهم [illegible]

قوله الصبر على الشدائد اي في سبيل الله [illegible] قوة الايمان وهي تنبئ عن قوة العدالة وهي موجبة لصلوح كونهم شهودا او المراد من الصبر على الشدائد شدائد الجهاد ومن لم يصبر عليها وفر من الجهاد صار صاحب الذنب الكبير وخرج من العدالة على التفصيل المذكور في كتب الفقه

قوله ام حسبتم ان تدخلوا الجنة لما كان الاستفهام للانكار دل الكلام على ان دخول الجنة لا يكون بدون الجهاد [illegible] وليس كذلك الا ان يقال المراد دخول الجنة اولا [illegible]

قوله فيه توقع الفعل فيما يستقبل فيدل على نفي الجهاد فيما مضى [illegible] نفي العلم كناية عن نفي المعلوم اي احسبتم ان تدخلوا الجنة ولما توقع منكم مجاهدة [illegible] معلوم بمقتضى علم الله تعالى فاذا نفي العلم ينتفي المعلوم لا محالة وقد مر ان القصد في امثال ذلك ليس الى اثبات المعلوم ونفيه على طريق البرهان [illegible]

قوله على ان الواو للجمع بتقدير المبتدا اي احسبتم ان تدخلوا الجنة ولم يسبق منكم مجاهدة مقيدة بالصبر والظاهر ان المراد الصبر عليها فلما جاء حال من يدخلوا ويعلم الصابرين من يعلم الله الذين جاهدوا على التداخل

قوله وليمحص الله الذين امنوا اي يصفيهم عطف على يتخذ وكرر اللام لتذكر التعليل لوقوع الفصل بينهما بالاعتراض وتعلق ما بعده [illegible] عن الاعتراض لئلا يتوهم اندراج المدفوعين في الظالمين قوله تعالى ويمحق الكافرين علة للمداولة باعتبار كونها على الكافرين والمراد بهم الذين حاربوا رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم احد واصروا على الكفر وقد محقهم الله عز وجل جميعا وقوله تعالى ام حسبتم كلام مستأنف سيق لبيان ما هو الغاية القصوى من المداولة والنتيجة لما ذكر من تمييز المخلصين وتمحيصهم واتخاذ الشهداء واظهار عزة منازلهم والخطاب للذين انهزموا يوم احد [illegible] بل للاضراب عن التسلية ببيان العلل فيما لقوا من الشدة الى تحقيق انهم عند [illegible] الفوز بالمطلب الاسنى والهمزة للانكار والاستبعاد اي احسبتم ان تدخلوا الجنة وتفوزوا بنعيمها [illegible] [illegible] قوله وقيل الفاء للسببية والهمزة الخ فانها تقيد تعليق الجملة الشرطية بالجملة [illegible] مع اعتبار تقييده بالشرطية والجملة قبلها وهي وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل تعلقها على وجه التسبيب عن الجملة التي بعده وترتبها عليها وتوسطت الهمزة لانكار ذلك اي لا ينبغي ان تجعلوا خلو الرسل قبله سببا لانقلابكم على اعقابكم بعد هلاكه بل سببا لتمسككم بدينه كما هو حكم سائر الانبياء فعكس انقلابهم تعكيس لموجب القضية المحققة التي هي كونه رسولا كخلوهم خلت الرسل قبله

قوله انكار لارتدادهم [illegible] بعد علمهم بخلو الرسل قبله وبقاء دينهم متمسكا به [illegible] الفاء للتعقيب [illegible] [illegible]

قوله وقيل الفاء قوله افان مات او قتل [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] للرسل وبقاء دينهم متمسكا به لما [illegible] يحتاج الى انكار [illegible] ان يجعل الاول [illegible] [illegible] [illegible] والوجه ان يقال ان الفاء تدخل [illegible] المقام [illegible] الهمزة [illegible] التقدير [illegible] الاستفهام والتقدير فان مات [illegible] فيكون الفاء للسببية خلو الرسل وبقاء دينهم لانكار ارتدادهم بموته صلى الله عليه وسلم وبحث جواز ما ضر الهمزة عن حرف العطف على ما هو مفصل في مغني اللبيب [illegible]

من الذين امنوا على حرف فعلنا ذلك والقصد في امثاله ونقائضه ليس الى اثبات علمه تعالى ونفيه بل الى اثبات المعلوم ونفيه على طريقة البرهان وقيل معناه ليعلمهم علما يتعلق به الجزاء وهو العلم بالشيء موجودا ويتخذ منكم شهداء ويكرم ناسا منكم بالشهادة يريد شهداء احد او يتخذ منكم شهودا معدلين بما صودف منهم من الثبات والصبر على الشدائد والله لا يحب الظالمين الذين يضمرون خلاف ما يظهرون وهو اعتراض وفيه تنبيه على انه تعالى لا ينصر الكافرين على الحقيقة وانما يغلبهم احيانا استدراجا لهم وابتلاء للمؤمنين وليمحص الله الذين امنوا ليطهرهم ويصفيهم من الذنوب ان كانت الدولة عليهم ويمحق الكافرين ويهلكهم ان كانت عليهم والمحق نقص الشيء قليلا قليلا ام حسبتم ان تدخلوا الجنة بل احسبتم ومعناه الانكار ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ولما تجاهدوا وفيه دليل على ان الجهاد فرض الكفاية والفرق بين لما ولم ان فيه توقع الفعل فيما يستقبل وقرئ يعلم بفتح الميم على ان اصله يعلمن فحذف النون ويعلم الصابرين نصب باضمار ان على ان الواو للجمع وقرئ بالرفع على ان الواو للحال كانه قال ولما تجاهدوا وانتم صابرون ولقد كنتم تمنون الموت اي الحرب فانها من اسباب الموت او الموت بالشهادة والخطاب للذين لم يشهدوا بدرا وتمنوا ان يشهدوا مع رسول الله صلعم مشهدا لينالوا ما نال شهداء بدر من الكرامة فالحوا يوم احد على الخروج من قبل ان تلقوه من قبل ان تشاهدوه وتعرفوا شدته فقد رايتموه وانتم تنظرون اي فقد رايتموه معاينين له حين قتل دونكم من قتل من اخوانكم وهو توبيخ لهم على انهم تمنوا الحرب وتسببوا لها ثم جبنوا وانهزموا عنها او على تمني الشهادة فان في تمنيها تمني غلبة الكفار وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل فسيخلو كما خلوا بالموت او القتل افان مات او قتل انقلبتم على اعقابكم انكار لارتدادهم وانقلابهم على اعقابهم عن الدين لخلوه بموت او قتل بعد علمهم بخلو الرسل قبله وبقاء دينهم متمسكا به وقيل الفاء للسببية والهمزة للانكار ان يجعلوا خلو الرسل قبله سببا لانقلابهم على اعقابهم بعد وفاته روي انه لما رمى عبد الله بن قمئة الحارثي رسول الله صلعم بحجر فكسر رباعيته وشج وجهه فذب عنه مصعب بن عمير وكان صاحب الراية حتى قتله ابن قمئة وهو يرى انه قتل النبي صلعم فقال قد قتلت محمدا وصرخ صارخ الا ان محمدا قد قتل فانكفأ الناس وجعل الرسول يدعو الي عباد الله فانحاز اليه ثلاثون من اصحابه وحموه حتى كشفوا عنه المشركين وتفرق الباقون وقال بعضهم ليت ابن ابي ياخذ لنا امانا من ابي سفيان وقال ناس من المنافقين لو كان نبيا لما قتل ارجعوا الى اخوانكم ودينكم

فقال انس بن النضر عم انس بن مالك يا قوم ان كان قتل محمد فان رب محمد حي
لا يموت وما تصنعون بالحيوة بعده فقاتلوا على ما قاتل عليه ثم قال اللهم اني
اعتذر اليك مما يقولون وابرأ منه وشد بسيفه فقاتل حتى قتل فنزلت ومن
ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئا بارتداده بل يضر نفسه وسيجزي
الله الشاكرين على نعمة الاسلام بالثبات عليه كانس واضرابه وما كان
لنفس ان تموت الا باذن الله الا بمشيته او باذنه لملك الموت في قبض روحه
والمعنى ان لكل نفس اجلا مسمى في علمه تعالى وقضائه فلا يستأخرون ساعة ولا
يستقدمون بالاحجام عن القتال والاقدام عليه وفيه تحريض وتشجيع على
القتال ووعد للرسول بالحفظ وتأخير الاجل كتابا مصدر مؤكد اذ المعنى
كتب الموت كتابا مؤجلا صفة له اي موقتا لا يتقدم ولا يتأخر ومن يرد
ثواب الدنيا نؤته منها تعريض بمن شغلتهم الغنائم يوم احد فان المسلمين حملوا
على المشركين وهزموهم واخذوا ينهبون فلما رأى الرماة ذلك اقبلوا على
النهب وخلوا مكانهم فانتهز المشركون وحملوا عليهم من ورائهم وهزموهم ومن يرد ثواب
الاخرة نؤته منها اي من ثوابها وسنجزي الشاكرين الذين شكروا نعمة
الله فلم يشغلهم شيء عن الجهاد وكأين اصله اي دخلت الكاف عليها وصارت
بمعنى كم والنون تنوين اثبت في الخط على غير قياس وقرأ ابن كثير كائن ككاعن
ووجهه انه قلب قلب الكلمة الواحدة كقولهم رعملي في لعمري فصار كيأن
ثم حذفت الياء الثانية للتخفيف ثم ابدلت الياء الاخرى الفا كما ابدلت من
طائي من نبي بيان له قاتل معه ربيون كثير ربانيون علماء اتقياء او
عابدون لربهم وقيل جماعات والربي منسوب الى الربة وهي الجماعة
للمبالغة وقرأ ابن كثير ونافع وابو عمرو ويعقوب قتل واسناده الى ربيون او ضمير
النبي ومعه ربيون حال عنه ويؤيد الاول انه قرئ بالتشديد وقرئ ربيون
بالفتح على الاصل وبالضم وهو من تغييرات النسب كالكسر فما وهنوا لما اصابهم
في سبيل الله فما فتروا ولم ينكسر جدهم لما اصابهم من قتل النبي او بعضهم وما
ضعفوا عن العدو او في الدين وما استكانوا وما خضعوا للعدو واصله استكن
من السكون لان الخاضع يسكن لصاحبه ليفعل به ما يريده والالف من اشباع
الفتحة او استكون من الكون لانه يطلب من نفسه ان يكون لمن يخضع له وهذا
تعريض بما اصابهم عند الارجاف بقتله عليه السلام والله يحب الصابرين
فينصرهم ويعظم قدرهم وما كان قولهم الا ان قالوا ربنا اغفر لنا ذنوبنا
واسرافنا في امرنا وثبت اقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين اي وما
كان قولهم مع ثباتهم وقوتهم في الدين وكونهم ربانيين الا هذا القول وهو

قوله تعالى واعتصموا بحبل الله اشارة الى ان ما استعارة تمثيلية على تشبيه الحالة بالحالة من غير اعتبار مجاز في المفردات واما محمول على كون الحبل مستعارا للعهد الذي يتمسك به والاعتصام استعارة للوثوق بالعهد اذ ترشيح لاستعارة الحبل ومعنى الاية من التمثيل اجتمعوا على استعانة بالله وعلى اعتبار المفردات اجتمعوا على التمسك بعهده ثم جوز ان يكون الحبل استعارة بالكتاب ومعنى الاجتماع مأخوذ من قوله جميعا ولا تفرقوا ومعناه النهي عن التفرق او مما يكون سببا له

قوله وللوثوق به عطف على قوله له اي واستعار الاعتصام باحد الامرين للوثوق به والاعتماد عليه ثم رشحت الاستعارة الى المعنى وهو اعتصموا اي المعنى اجتمعوا واتفقوا على الاعتماد والاتباع لما هو بمنزلة الحبل لكم وبهذه الاستعارة باعتبار معناها الاصلي الحقيقي كانت ترشيحا لاستعارته الاولى لكون الاعتصام الحقيقي من ملايمات الحبل المستعار منه

قوله خاطب الجميع وطلب فعل بعضهم ليدل انه واجب على الكل دفع به ما اورده المحقق التفتازاني على هذا التوجيه انه مبني على مذهب من قال ان فرض الكفاية واجب على البعض لا على الكل فهو مردود وقد قام الدليل على انه واجب على الكل لكن يسقط بفعل البعض ووجه دلالة خطاب الجميع في مقام طلب الفعل البعض على الوجوب على الجميع انه لو طلب الجميع بذلك لانهم يتضررون لو لم يفعل البعض وهذا كما يقال لا ينبغي ان يحفظكم بعضكم لئلا تهلكوا وكانه غفل المحقق من هذا

قوله تعالى ولتكن منكم امة ان كان التامة ومن تبعيضية متعلق بالامر والامة الجماعة التي يؤمها فرق الناس اي يقصدونها ويقتدون بها اي لتوجد منكم امة داعية الى الخير واما كان ناقصة فامة اسمها ويدعون خبرها اي لتكن منكم امة داعية الى الخير واما توجيه الخطاب الى الكل مع اسناد الدعوة الى البعض لتحقيق معنى فرضيتها على الكفاية وانها واجبة على الكل لكن بحيث ان اقامها البعض سقطت عن الباقين ولو اخل بها الكل اثموا جميعا والدعاء الى الخير عبارة عن الدعاء الى ما فيه صلاح ديني او دنيوي فعطف الامر بالمعروف والنهي عن المنكر عليه بقوله تعالى ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر مع اندراجهما فيه من باب عطف الخاص على العام لاظهار فضلهما كعطف جبرائيل وميكائيل على الملائكة عليهم السلام وحذف المفعول الصريح من الافعال الثلثة للايذان بظهوره اي يدعون الناس ويأمرونهم وينهونهم اولئك اشارة الى الامة المذكورة باعتبار اتصافهم بما ذكر من النعوت الفاضلة

قوله تعالى ولتكن منكم امة يدعون الى الخير امرهم الله سبحانه بتكميل الغير وارشاده اثر امرهم بتكميل النفس وتهذيبها بما قبله من الاوامر والنواهي تثبيتا للكل على مراعاة ما فيها من الاحكام بان يقوم بعضهم بمواجبها ويحافظ على حقوقها وحدودها ويذكرها الناس كافة ويزعهم عن الاخلال بها والجمهور على اسكان لام الامر وقرئ بكسرها على الاصل

قوله وقد يتوجه الى المجموع دونهما اي دون الفعل والقيد فقط اعلم ان هذا التفصيل غير مذكور في هذا الموضع ولك ان تقول اذا كان النهي متوجها بالذات نحو الفعل فلا فائدة في ذكر القيد من المناسب بل ترك لئلا يوهم خلاف المقصود فان ذلك لا يترك بحيث ان النهي متوجه بالذات الى اصل الفعل الذي هو الشرب فقيد العطف يجب ان يترك لئلا يتوهم ان النهي متوجه الى شربه في الحالة المذكورة لا في غيرها ويمكن ان يقال يجوز ان يكون فائدة القيد ان تعلم ان النهي عن الفعل في الحالة المذكورة لا يوجب النهي عنه في غيرها بطريق الاولى كما يقال لا تزن نهارا فانه لا يفيد ان النهي متوجه بالذات الى مطلق الزنا لان القيد المذكور يوجب النهي في غير حالة النهار بطريق الاولى لانه اذا كان منهيا عنه حال النهار ففي غيرها اولى

اثموا جميعا ولكن يسقط بفعل بعضهم وهكذا كل ما هو فرض كفاية او للتبيين بمعنى وكونوا
امة يامرون كقوله كنتم خير امة اخرجت للناس تامرون بالمعروف والدعاء الى الخير
يعم الدعاء الى ما فيه صلاح ديني او دنيوي وعطف الامر بالمعروف والنهي عن المنكر عليه
عطف الخاص على العام للايذان بفضله واولئك هم المفلحون المخصوصون بكمال الفلاح
روي انه عليه السلام سئل من خير الناس فقال آمرهم بالمعروف وانهاهم عن المنكر
واتقاهم لله واوصلهم للرحم والامر بالمعروف يكون واجبا ومندوبا على حسب ما يامر به
والنهي عن المنكر واجب كله لان جميع ما انكره الشرع حرام والاظهر ان العاصي يجب ان ينهى
عما يرتكبه لانه يجب عليه تركه وانكاره فلا يسقط بترك احدهما وجوب الاخر ولا تكونوا
كالذين تفرقوا واختلفوا كاليهود والنصارى اختلفوا في التوحيد والتنزيه واحوال الآخرة
على ما عرفت من بعد ما جاءهم البينات الآيات والحجج المبينة للحق الموجبة للاتفاق عليه
والاظهر ان النهي فيه مخصوص بالتفرق في الاصول دون الفروع لقوله عليه السلام اختلاف
امتي رحمة ولقوله من اجتهد فاصاب فله اجران ومن اخطأ فله اجر واحد واولئك لهم
عذاب عظيم وعيد للذين تفرقوا وتهديد على التشبه بهم يوم تبيض وجوه وتسود
وجوه نصب بما في لهم من معنى الفعل او باضمار اذكروا وبياض الوجه وسواده كنايتان
عن ظهور بهجة السرور وكآبة الخوف فيه وقيل يوسم اهل الحق ببياض الوجه والصحيفة
واشراق البشرة وسعي النور بين يديه وبيمينه واهل الباطل باضداد ذلك فاما الذين
اسودت وجوههم اكفرتم بعد ايمانكم على ارادة القول اي فيقال لهم اكفرتم
والهمزة للتوبيخ والتعجب من حالهم وهم المرتدون او اهل الكتاب كفروا برسول الله صلعم
بعد ايمانهم به قبل مبعثه او جميع الكفار كفروا بعد ما اقروا به حين اشهدهم على انفسهم او
تمكنوا من الايمان بالنظر في الدلايل والآيات فذوقوا العذاب امر اهانة بما كنتم
تكفرون بسبب كفركم او جزاء لكفركم واما الذين ابيضت وجوههم ففي رحمة الله
يعني الجنة والثواب المخلد عبر عن ذلك بالرحمة تنبيها على ان المؤمن وان استغرق عمره
في طاعة الله تعالى لا يدخل الجنة الا برحمته وفضله وكان حق الترتيب ان يقدم ذكرهم
ولكن قصد ان تكون مطلع الكلام ومقطعه حلية المؤمنين وثوابهم هم فيها خالدون
اخرجه مخرج الاستيناف للتاكيد كانه قيل كيف يكونون فيها فقال هم فيها خالدون
تلك آيات الله الواردة في وعده ووعيده نتلوها عليك بالحق ملتبسة بالحق لا شبهة
فيها وما الله يريد ظلما للعالمين اذ يستحيل الظلم منه لانه لا يحق عليه شيء فيظلم بنقصه
ولا يمنع عن شيء فيظلم بفعله لانه المالك على الاطلاق كما قال ولله ما في السموات
وما في الارض والى الله ترجع الامور فيجازي كلا بما وعد له واوعد كنتم خير
امة دل على خيريتهم فيما مضى ولم يدل على انقطاع طرء كقوله وكان الله غفورا
رحيما وقيل كنتم في علم الله او في اللوح او فيما بين الامم المتقدمين اخرجت للناس

قوله وعيد للذين تفرقوا وتهديد على التشبه بهم اما بجعل اولئك اشارة الى الذين تفرقوا واما بجعله اشارة الى المتشبهين
واما بجعله اشارة الى كليهما فتفطن

قوله اخرجه مخرج الاستيناف لا يبعد ان يجعل ضميرا فيها للدعوة الى الخير فالامر بالمعروف والنهي عن المنكر فيكون بيانا لسبب كونهم
في رحمة الله كما بين سبب كون متعلقهم في العذاب ... بانهم في رحمة الله فاجيب بانهم كانوا خالدين في الخيرات ويمكن ان يكونوا
فيها خالدون ... خبر بعد خبر وكونه المعنى واما الذين ابيضت وجوههم ففي رحمة الله ... كانوا خالدين ... او مخلدون فيها
لم يحتج بقوله مخلدون فيها ... من تغير الرحمة ... والخلود كذلك يجب ان يشترك كل منهما على حياله ... مرفضه

٧٩

قوله استبعاد لتوليهم بعد ان علموا [illegible] ثم للتراخي في الرتبة لا للتراخي في الزمان قوله تعالى يدعون حال من الذين اوتوا قال ابن عباس
في رواية الضحاك المراد بكتاب الله ههنا القرآن قال دعوا الى القرآن بعد ما ثبت ان كتاب الله حق [illegible]
ليحكم القرآن بين اليهود وبين رسول الله او ليحكم القرآن عليهم بالضلال فاعرضوا عن حكم القرآن [illegible] اليهود وقيل
المراد بكتاب الله التورية لما روي عن ابن عباس رضي الله عنهما ان رجلا وامرأة من اليهود زنيا وكان في كتابهم الرجم فكرهوا
ورجعوا الى رسول الله على رجاء ان يكون عنده رخصة في ترك الرجم فحكم عليه السلام بالرجم فانكروا ذلك فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم
التورية فقرأ اعلمهم ابن صوريا آية الرجم من التورية فغضب اليهود وانصرفوا فانزل الله تعالى هذه الاية وروي ايضا انه عليه السلام
دخل مدرسة اليهود فدعاهم الى الاسلام الى آخر ما ذكره البيضاوي فنقل [illegible] الروايتين في سبب نزول هذه الاية دليل على
ان المراد بكتاب الله هو التورية [illegible] انهم ادعوا بان يجيبوا الى التحاكم الى كتابهم فلا تعجب من مخالفتهم كتابهم [illegible] اه

قوله يرجع الى كل نفس [illegible] ان ضمير هم وواو يظلمون عائد الى كل نفس [illegible] للعموم [illegible] ضمير الجمع [illegible]
من الناس [illegible] اي كل الناس [illegible] لا يكفي في اثبات [illegible] النفس [illegible] كون النفس عبارة [illegible] مما هو مذكر
بل لا بد [illegible]

قوله لانه في معنى كل انسان توجيه لتذكير الضمير مع ان النفس [illegible] توجيه الضمير مع افراد المرجع وتوجيهه ان الحكم على ذلك المفرد
يستلزم الحكم على جمع فالضمير بالنظر الى اللازم ولو قال لانه في معنى الناس لكان متضمنا لتوجيه الجمعية ايضا [illegible] ان نقول تذكير الضمير
لرجوعه الى كل فيكون تذكيره وجمعه بالنسبة الى امر واحد وهو كل

قوله ذكر الخير وحده لانه المقتضي بالذات [illegible] لا يخفى انه لا يدل على ان الشر [illegible] لا يكون [illegible] وجود شيء بل
عدم شيء [illegible] الوجود [illegible] لا يلزم ان يكون العدم شرا محضا بل [illegible] الوجود خير محض والعدم شر محض [illegible]
ذكر الوجود [illegible] الملك والعدم نزعه [illegible] ذكر الشر [illegible]

اظهرت لهم تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر استيناف بين به كونهم خير امة
او خبر ثان لكنتم وتؤمنون بالله يتضمن الايمان بكل ما يجب ان يؤمن به لان الايمان
به انما يحق ويعتد به اذا حصل الايمان بكل ما امر ان يؤمن به وانما اخره وحقه
ان يتقدم لانه قصد بذكره الدلالة على انهم امروا بالمعروف ونهوا عن المنكر
ايمانا بالله وتصديقا به واظهارا لدينه واستدل بهذه الاية على ان الاجماع حجة
لانها تقتضي كونهم آمرين بكل معروف ناهين عن كل منكر اذ اللام فيهما للاستغراق
فلو اجمعوا على باطل كان امرهم على خلاف ذلك ولو آمن اهل الكتاب ايمانا كما
ينبغي لكان خيرا لهم لكان الايمان خيرا لهم مما هم عليه منهم المؤمنون كعبد الله
بن سلام واصحابه واكثرهم الفاسقون المتمردون في الكفر وهذه الجملة
والتي بعدها واردتان على سبيل الاستطراد لن يضروكم الا اذى ضررا يسيرا
كطعن وتهديد وان يقاتلوكم يولوكم الادبار ينهزموا ولا يضروكم بقتل
واسر ثم لا ينصرون ثم لا يكون احد ينصرهم عليكم او يدفع بأسكم عنهم
نفى اضرارهم سوى ما يكون بقول وقرر ذلك بانهم لو قاموا الى القتال كانت الدبرة
عليهم ثم اخبر بانه يكون عاقبتهم العجز والخذلان وقرئ لا ينصروا عطفا على يولوا
على ان ثم للتراخي في المرتبة فيكون عدم النصر مقيدا بقتالهم وهذه الاية من المغيبات
التي وافقها الواقع اذ كان كذلك حال قريظة والنضير وبني قينقاع ويهود خيبر
ضربت عليهم الذلة هدر النفس والمال والاهل او ذل التمسك بالباطل والجزية
اينما ثقفوا وجدوا الا بحبل من الله وحبل من الناس استثناء من اعم عام الاحوال
اي ضربت عليهم الذلة في عامة الاحوال الا معتصمين او ملتبسين بذمة الله او كتابه
الذي آتاهم وذمة المسلمين او بدين الاسلام واتباع سبيل المؤمنين وباءوا بغضب
من الله رجعوا به مستوجبين له وضربت عليهم المسكنة فهي محيطة بهم احاطة البيت
المضروب على اهله واليهود في غالب الامر فقراء مساكين ذلك اشارة الى ما ذكر من
ضرب الذلة والمسكنة والبواء بالغضب بانهم كانوا يكفرون بآيات الله ويقتلون
الانبياء بغير حق بسبب كفرهم بالايات وقتلهم الانبياء ذلك اي الكفر والقتل بما
عصوا وكانوا يعتدون بسبب عصيانهم واعتدائهم حدود الله فان الاصرار
على الصغائر يفضي الى الكبائر والاستمرار عليها يؤدي الى الكفر وقيل معناه
ان ضرب الذلة في الدنيا واستيجاب الغضب في الاخرة كما هو معلل بكفرهم
وقتلهم فهو مسبب عن عصيانهم واعتدائهم من حيث انهم مخاطبون بالفروع
ايضا ليسوا سواء في المساوي والضمير لاهل الكتاب من اهل الكتاب امة
قائمة استيناف لبيان نفي الاستواء والقائمة المستقيمة العادلة من اقمت العود
فقام وهم الذين اسلموا منهم يتلون آيات الله آناء الليل وهم يسجدون

يتلون

اضافة الذنوب والاسراف الى انفسهم هضما لها واضافة لما اصابهم الى سوء اعمالها
والاستغفار عنها ثم طلب التثبيت في مواطن الحرب والنصر على العدو ليكون
عن خضوع وطهارة فيكون اقرب الى الاجابة وانما جعل خبر كان ان قالوا اعرف
لدلالته على جهة النسبة وزمان الحدث فآتيهم الله ثواب الدنيا وحسن
ثواب الآخرة والله يحب المحسنين فآتيهم الله بسبب الاستغفار واللجأ الى الله
النصر والغنيمة والعز وحسن الذكر في الدنيا والجنة والنعيم في الآخرة وخص ثوابها
بالحسن اشعارا بفضله وانه المعتد به عنده يا ايها الذين آمنوا ان تطيعوا الذين
كفروا يردوكم على اعقابكم فتنقلبوا خاسرين نزلت في قول المنافقين
للمؤمنين عند الهزيمة ارجعوا الى دينكم واخوانكم ولو كان محمد نبيا لما قتل وقيل
ان تستكينوا لابي سفيان واشياعه وتستأمنوهم يردوكم الى دينهم وقيل
عام في مطاوعة الكفرة والنزول على حكمهم فانه يستجر الى موافقتهم بل الله مولاكم ناصركم
وقرئ بالنصب على تقدير بل اطيعوا الله مولاكم وهو خير الناصرين فاستغنوا به عن
ولاية غيره ونصره سنلقي في قلوب الذين كفروا الرعب يريد ما قذف في قلوبهم
من الخوف يوم احد حتى تركوا القتال ورجعوا من غير سبب ونادى ابو سفيان يا محمد
موعدنا موسم بدر لقابل ان شئت فقال عليه السلام ان شاء الله وقيل لما
رجعوا وكانوا ببعض الطريق ندموا وعزموا ان يعودوا عليهم ليستأصلوهم فالقى
الله الرعب في قلوبهم وقرأ ابن عامر والكسائي ويعقوب بالضم على الاصل في كل
القرآن بما اشركوا بالله بسبب اشراكهم به ما لم ينزل به سلطانا اي آلهة ليس على
اشراكها حجة ولم ينزل عليهم به سلطانا وهو كقوله ولا ترى الضب بها ينجحر
واصل السلطنة القوة ومنه السليط لقوة اشتعاله والسلاطة لحدة اللسان
ومأواهم النار وبئس مثوى الظالمين اي مثواهم فوضع الظاهر موضع المضمر للتغليظ
والتعليل ولقد صدقكم الله وعده اي وعده اياهم بالنصر بشرط التقوى والصبر وكان
كذلك حتى خالف الرماة فان المشركين لما اقبلوا جعل الرماة يرشقونهم والباقون
يضربونهم بالسيف حتى انهزموا والمسلمون على آثارهم اذ تحسونهم باذنه
تقتلونهم من حسه اذا ابطل حسه حتى اذا فشلتم جبنتم وضعف رأيكم
او ملتم الى الغنيمة فان الحرص من ضعف العقل وتنازعتم في الامر يعني
اختلاف الرماة حين انهزم المشركون فقال بعضهم فما موقفنا ههنا وقال
آخرون لا نخالف امر الرسول فثبت مكانه اميرهم في نفر دون العشرة
ونفر الباقون للنهب وهو المعني بقوله وعصيتم من بعد ما اريكم ما
تحبون من الظفر والغنيمة وانهزام العدو وجواب اذا محذوف وهو امتحنكم
منكم من يريد الدنيا وهم التاركون المركز للغنيمة ومنكم من يريد الآخرة

وان تخفوها وتؤتوها الفقراء وتصيبوا بها مصارفها مع الاخفاء فهو خير لكم فالاخفاء خير لكم والمراد الصدقات المتطوع بها فان الافضل
في الفرائض ان يجاهر بها وعن ابن عباس رضي صدقات السر في التطوع تفضل علانيتها سبعين ضعفا وصدقة الفريضة علانيتها افضل
من سرها بخمسة وعشرين ضعفا وانما كانت المجاهرة بالفرائض افضل لنفي التهمة حتى اذا كان المزكي ممن لا يعرف باليسار كان اخفاؤه
افضل والمتطوع ان اراد ان يقتدى به كان اظهاره افضل كشاف

ان تبدوا الصدقات فنعما هي نوع تفصيل لبعض ما اجمل في الشرطية وبيان له ولذلك ترك العاطف بينهما اي ان تظهروا الصدقات
فنعم شيئا ابداؤها بعد ان لم يكن رياء وسمعة وقرئ بكسر النون واخفاء حركة العين وهذا في الصدقات المفروضة واما في صدقة التطوع
فالاخفاء افضل وهي التي اريد بقوله تعالى وان تخفوها اي تعطوها خفية وتؤتوها الفقراء ولعل التصريح بايتائها الفقراء مع انه واجب
في الابداء ايضا لان الاخفاء مظنة الالتباس والاشتباه فان الغني ربما يدعي الفقر ويقدم على قبول الصدقة ولا يفعل عند ذلك فهو خير لكم
اي فيه فالاخفاء خير لكم من الابداء وهذا في التطوع ومن لم يعرف بالمال واما في الواجب فالامر بالعكس لدفع التهمة [illegible] السعد

وهم الثابتون محافظة على امر الرسول ثم صرفكم عنهم ثم كفكم عنهم حين حالت
الحال فغلبوكم ليبتليكم على المصائب ويمتحن ثباتكم على الايمان عندها ولقد
عفا عنكم تفضلا ولما علم من ندمهم على المخالفة والله ذو فضل على المؤمنين
يتفضل عليهم بالعفو او في الاحوال كلها سواء اديل لهم او عليهم اذ الابتلاء ايضا رحمة
اذ تصعدون متعلق بصرفكم او ليبتليكم او بمقدر كاذكروا والاصعاد الذهاب
والابعاد في الارض يقال اصعدنا من مكة الى المدينة ولا تلوون على احد لا يقف
احد لاحد ولا ينتظره والرسول يدعوكم كان يقول الي عباد الله الي انا رسول الله
من يكر فله الجنة في اخراكم في ساقتكم وجماعتكم الاخرى فاثابكم غما بغم
لكي لا تحزنوا على ما فاتكم ولا ما اصابكم عطف على صرفكم والمعنى فجازاكم
الله عن فشلكم وعصيانكم غما متصلا بغم من الاغتمام بالقتل والجرح وظفر المشركين
والارجاف بقتل الرسول عليه السلام او فجازاكم غما بسبب غم اذقتموه رسول الله صلعم
بعصيانكم له لتتمرنوا على الصبر في الشدائد فلا تحزنوا فيما بعد على نفع فائت وضر
لاحق وقيل لا مزيدة والمعنى لتاسفوا على ما فاتكم من الظفر والغنيمة وعلى ما
اصابكم من الجرح والهزيمة عقوبة لكم وقيل الضمير في فاثابكم للرسول اي فاساكم
في الاغتمام فاغتم بما نزل عليكم كما اغتممتم بما نزل عليه ولم يثربكم على عصيانكم
تسلية لكم كيلا تحزنوا على ما فاتكم من النصر ولا على ما اصابكم من الهزيمة والله
خبير بما تعملون عليم باعمالكم وبما قصدتم بها ثم انزل عليكم من بعد الغم
امنة نعاسا انزل الله عليكم الامن حتى اخذكم النعاس وعن ابي طلحة غشينا
النعاس في المصاف حتى كان السيف يسقط من يد احدنا فياخذه ثم يسقط فياخذه
والامنة الامن نصب على المفعول ونعاسا بدل منها او هو المفعول وامنة حال
منه متقدمة او مفعول له او حال من المخاطبين بمعنى ذوي امنة او على انه جمع امن
كبار وبررة وقرئ امنة بسكون الميم كانها المرة من الامن يغشى طائفة منكم
اي النعاس وقرأ حمزة والكسائي بالتاء ردا على الامنة والطائفة المؤمنون حقا
وطائفة هم المنافقون قد اهمتهم انفسهم اوقعتهم انفسهم في الهموم او ما بهم
الا هم انفسهم وطلب خلاصها يظنون بالله غير الحق ظن الجاهلية صفة
اخرى لطائفة او حال او استئناف على وجه البيان لما قبله وغير الحق نصب على المصدر
اي يظنون بالله غير الظن الحق الذي يحق ان يظن به وظن الجاهلية بدله وهو
الظن المختص بالملة الجاهلية واهلها يقولون اي لرسول الله وهو بدل من يظنون
هل لنا من الامر من شيء هل لنا مما امر الله ووعد من النصر والظفر نصيب قط
وقيل اخبر ابن ابي بقتل بني الخزرج فقال ذلك والمعنى انا منعنا تدبير انفسنا
وتصريفها باختيارنا فلم يبق لنا من الامر شيء او هل يزول عنا هذا القهر فيكون لنا

من الامر شيء قل ان الامر كله لله اي الغلبة الحقيقية لله ولاوليائه فان حزب الله
هم الغالبون او القضاء له يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد وهو اعتراض وقرأ ابو عمرو
ويعقوب كله بالرفع على الابتداء يخفون في انفسهم ما لا يبدون لك حال من ضمير
يقولون اي يقولون مظهرين انهم مسترشدون طالبون النصر مبطنين الانكار و
التكذيب يقولون اي في انفسهم او اذا خلا بعضهم الى بعض وهو بدل من
يخفون او استئناف على وجه البيان له لو كان لنا من الامر شيء كما وعد محمد صلعم
او زعم ان الامر كله لله ولاوليائه او لو كان لنا اختيار وتدبير لم نبرح كما كان رأي
ابن ابي وغيره ما قتلنا ههنا لما غلبنا ولما قتل من قتل منا في هذه المعركة
قل لو كنتم في بيوتكم لبرز الذين كتب عليهم القتل الى مضاجعهم اي
لخرج الذين قدر الله عليهم القتل وكتب في اللوح المحفوظ الى مصارعهم ولم تنفع الاقامة
بالمدينة ولم ينج منهم احد فانه قدر الامور ودبرها في سابق قضائه لا معقب
لحكمه وليبتلي الله ما في صدوركم وليمتحن ما في صدوركم ويظهر سرائرها من
الاخلاص والنفاق وهو علة فعل محذوف اي وفعل ذلك ليبتلي او عطف على محذوف
اي لبرز لنفاذ القضاء او لمصالح جمة وللابتلاء او على قوله لكيلا تحزنوا وليمحص ما في قلوبكم
وليكشفه ويميزه او يخلصه من الوساوس والله عليم بذات الصدور بخفياتها قبل
اظهارها وفيه وعد ووعيد وتنبيه على انه غني عن الابتلاء وانما فعل ذلك لتمرين المؤمنين
واظهار حال المنافقين ان الذين تولوا منكم يوم التقى الجمعان انما استزلهم الشيطان
ببعض ما كسبوا يعني ان الذين انهزموا يوم احد انما كان السبب في انهزامهم ان الشيطان
طلب منهم الزلل فاطاعوه واقترفوا ذنوبا بترك المركز والحرص على الغنيمة وقيل استزلال الشيطان
توليهم وذلك بسبب ذنوب تقدمت لهم فان المعاصي يجر بعضها بعضا كالطاعة وقيل استزلهم
بذكر ذنوب سلفت منهم وكرهوا القتال قبل اخلاص التوبة والخروج من المظلمة ولقد
عفا الله عنهم لتوبتهم واعتذارهم ان الله غفور للذنوب حليم لا يعاجل بعقوبة
المذنب كي يتوب يا ايها الذين امنوا لا تكونوا كالذين كفروا يعني المنافقين و
قالوا لاخوانهم لاجلهم وفيهم ومعنى اخوتهم اتفاقهم في النسب او المذهب اذا ضربوا
في الارض اذا سافروا فيها وابعدوا للتجارة او غيرها وكان حقه اذ لقوله قالوا لكنه جاء
على حكاية الحال الماضية او كانوا غزى جمع غاز كعاف وعفى لو كانوا عندنا ما ماتوا
وما قتلوا مفعول قالوا وهو يدل على ان اخوانهم لم يكونوا مخاطبين به ليجعل الله ذلك حسرة
في قلوبهم متعلق بقالوا على ان اللام لام العاقبة مثلها في ليكون لهم عدوا وحزنا او لا
تكونوا اي لا تكونوا مثلهم في النطق بذلك القول والاعتقاد ليجعله حسرة في قلوبهم خاصة
وذلك اشارة الى ما دل عليه قولهم من الاعتقاد وقيل الى ما دل عليه النهي اي لا تكونوا
مثلهم ليجعل الله انتفاء كونكم مثلهم حسرة في قلوبهم فان مخالفتهم ومضادتهم

مما يمنعهم والله يحيي ويميت رد لقولهم اي هو المؤثر في الحيوة والممات لا الاقامة
والسفر فانه تعالى قد يحيي المسافر والغازي ويميت المقيم والقاعد والله بما تعملون بصير
تهديد للمؤمنين على ان يماثلوهم وقرا ابن كثير وحمزة والكسائي بالياء على انه وعيد
للذين كفروا ولئن قتلتم في سبيل الله او متم اومتم في سبيله وقرا نافع وحمزة
والكسائي بكسر الميم من مات يمات لمغفرة من الله ورحمة خير مما يجمعون جواب القسم
وهو ساد مسد الجزاء والمعنى ان السفر والغزو ليس مما يجلب الموت ويقدم الاجل
وان وقع ذلك في سبيل الله فما تنالون من المغفرة والرحمة بالموت خير مما يجمعون
من الدنيا ومنافعها لو لم تموتوا ولئن متم او قتلتم على اي وجه اتفق هلاككم
لالى الله تحشرون لالى معبودكم الذي توجهتم اليه وبذلتم مهجكم لوجهه لا الى
غيره لا محالة تحشرون فيوفي جزاءكم ويعظم ثوابكم وقرا نافع وحمزة والكسائي متم
بالكسر فبما رحمة من الله لنت لهم اي فبرحمة وما مزيدة للتاكيد والدلالة على
ان لينه لهم ما كان الا برحمة من الله وهو ربطه على جاشه وتوفيقه للرفق بهم
حتى اغتم لهم بعد ان خالفوه ولو كنت فظا سيء الخلق جافيا غليظ القلب قاسيه
لانفضوا من حولك لتفرقوا عنك ولم يسكنوا اليك فاعف عنهم فيما يختص بك
واستغفر لهم فيما لله وشاورهم في الامر اي في امر الحرب اذ الكلام فيه او
فيما يصح ان يشاور فيه استظهارا برايهم وتطييبا لنفوسهم وتمهيدا لسنة المشاورة للامة
فاذا عزمت فاذا وطنت نفسك على شيء بعد الشورى فتوكل على الله في امضاء امرك
على ما هو اصلح لك فانه لا يعلمه سواه وقرئ فاذا عزمت على التكلم اي فاذا عزمت
لك على شيء وعينته لك فتوكل علي ولا تشاور فيه احدا ان الله يحب المتوكلين
فينصرهم ويهديهم الى الصلاح ان ينصركم الله كما نصركم يوم بدر فلا غالب
لكم فلا احد يغلبكم وان يخذلكم كما خذلكم يوم احد فمن
ذا الذي ينصركم من بعده من بعد خذلانه او من بعد الله بمعنى اذا جاوزتموه
فلا ناصر لكم وهذا تنبيه على المقتضي للتوكل وتحريض على ما يستحق به النصر من الله و
تحذير عما يستجلب خذلانه وعلى الله فليتوكل المؤمنون فليخصوه بالتوكل عليه
لما علموا ان لا ناصر سواه وامنوا به وما كان لنبي ان يغل وما صح لنبي ان يخون في
الغنائم فان النبوة تنافي الخيانة يقال غل شيئا من المغنم يغل غلولا واغل اغلالا اذا
اخذه في خفية والمراد منه اما براءة الرسول عما اتهم به اذ روي ان قطيفة حمراء فقدت
يوم بدر فقال بعض المنافقين لعل رسول الله صلعم اخذها او يظن به الرماة يوم
احد حين تركوا المركز للغنيمة وقالوا نخشى ان يقول رسول الله صلعم من اخذ شيئا فهو له
ولا يقسم الغنائم واما المبالغة في النهي للرسول صلعم على ما روي انه بعث طلائع فغنم رسول الله
صلعم فقسم على من معه ولم يقسم للطلائع فنزلت فيكون تسمية حرمان بعض المستحقين غلولا تغليظا

قوله قال الكشاف لقد من الله على المؤمنين اذ بعث فيهم قوله تعالى في الصحيفة اليسرى

وقرئ لمن منّ الله على المؤمنين اذ بعث فيهم وفيه وجهان ان يراد لمن منّ الله على المؤمنين منّه او بعثه اذ بعث فيهم فحذف لقيام الدلالة عليه او يكون اذ في محل الرفع كاذا في قولك اخطب ما يكون الامير اذا كان قائما بمعنى لمن منّ الله على المؤمنين وقت بعثه

قوله وفيه وجهان يعني بناء على ان كلا من اذ واذا كما يستعمل ظرفا يستعمل اسما فعلى الظرفية يعني المبتدا محذوف اي منّه او بعثه والضمير متعلق به وقوله ومن منّ الله خبره والدال على المحذوف هو الخبر ان قدر منّه والظرف ان قدر بعثه وكذا في اخطب ما يكون الامير فانما يكون الخبر محذوفا والظرف والاسمية اي اخطب اكوان الامير واوقاته حاصل اذا او وقت قائما وعلى الاسمية لا حذف لان اذ مرفوع على الابتداء ولمن منّ الله خبره اي منّ من الله وقت بعثه على طريق نهاره صائم واذا مرفوع على الخبرية اي اخطب اوقات الامير وقت كونه قائما وما ذكر من لزوم حذف الخبر انما هو على تقدير ظرفية اذ

سعد الدين عليه الرحمة

قوله تعالى لما اصابتكم اي لقيتم ووجدتم في موضع الصفة لمصيبة ولما ظرف بمعنى حين يستعمل استعمال الشرط يليه فعل ماض لفظا او معنى والجملة بعدها في محل الجر بالاضافة لما اليها كما في سائر الظروف اللازمة للاضافة وناصبه ما وقع موقع الجزاء اي هذا جملة اسمية منعقدة من الخبر وقعت مقول القول فكان نصبا على المفعولية وجملة قلتم كذا لما اصابتكم كذا فعلية معطوفة على قوله تعالى لقد صدقكم الله وعده الى قوله فضل على المؤمنين لان الكل يتعلق بقصة احد من غير تخلل اجنبي والهمزة في اولما تتخلل من المعطوف والمعطوف عليه للتقرير بمعنى التثبيت او الحمل على الاقرار والتقريع على مضمون المعطوف سعد الدين

٩٦

قوله الهمزة للتقرير والتقريع على قولهم وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما انهزم عسكره من الكفار يوم احد وادى ذلك الى ان قالوا انى اي من اين هذا المعلوم لكن لكيف صار والمنصورين مثلنا الى تركهم وهو استفهام على سبيل الانكار فاجاب الله تعالى بقوله قل هو من عند انفسكم اي انما حصل بشوم عصيانكم حيث خالفتم الامر بترك المركز وايضا فداختم الخروج من المدينة وهو عليه السلام لا يريد الخروج منها

قوله وليعلم المؤمنين عطف على قوله تعالى فباذن الله عطف السبب على السبب والمراد بالعلم التمييز والاظهار فيما بين الناس وليعلم الذين نافقوا عطف على المبتدا وما اصابكم يوم التقى الجمعان ليتميز الثابتين على الايمان والذين اظهروا النفاق وقيل لهم عطف على نافقوا داخل معه في حيز الصلة وكلام مبتدا قال ابن عباس رضي الله عنه هم عبد الله بن ابي واصحابه حيث انصرفوا يوم احد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لهم عبد الله بن عمرو بن حزم اذكركم الله ان تخذلوا نبيكم وقومكم ودعاكم الى القتال وذلك قوله تعالى تعالوا قاتلوا في سبيل الله او ادفعوا قال السدي ادفعوا عنا العدو بتكثير سوادكم ان لم تقاتلوا معنا وقيل وادفعوا عن اهلكم وبلدكم وحريمكم ان لم تقاتلوا في سبيل الله تعالى وترك العطف بين تعالوا وقاتلوا لان المقصود بهما واحد وهو الثاني وذكر الاول توطئة له وترغيب فيه لما فيه من الدلالة على التظاهر والتعاون قالوا لو نعلم قتالا لاتبعناكم وقع جوابا عن سؤال ينسحب عليه الكلام كانه قيل فما صنعوا حين خيروا بين الخصلتين المذكورتين فقيل قالوا لو نعلم قتالا اي لو نحسن قتالا ونقدر عليه لاتبعناكم فالوه استهزاء

ومبالغة وقرأ نافع وابن عامر وحمزة والكسائي ويعقوب بأن يُغَلّ على البناء للمفعول والمعنى ما صح له أن يوجد غالا أو أن ينسب إلى الغلول ومن يغلل يأت بما غل يوم القيامة يأت بالذي غله يحمله على عنقه كما جاء في الحديث أو بما احتمل من وباله وإثمه ثم توفى كل نفس ما كسبت تعطى جزاء ما كسبت وافيا وكان اللائق بما قبله أن يقال ثم توفى ما كسبت لكنه عمم الحكم ليكون كالبرهان على المقصود والمبالغة فيه فإنه إذا كان كل كاسب مجزيا بعمله فالغال مع عظم جرمه بذلك أولى وهم لا يظلمون فلا ينقص ثواب مطيعهم ولا يزاد في عقاب عاصيهم أفمن اتبع رضوان الله بالطاعة كمن باء رجع بسخط من الله بسبب المعاصي ومأواه جهنم وبئس المصير الفرق بينه وبين المرجع أن المصير يجب أن يخالف الحالة الأولى ولا كذلك المرجع هم درجات عند الله شبهوا بالدرجات لما بينهم من التفاوت في الثواب والعقاب أو هم ذوو درجات والله بصير بما يعملون عالم بأعمالهم ودرجاتها صادرة عنهم فيجازيهم على حسبها لقد من الله على المؤمنين أنعم على من آمن مع الرسول من قومه وتخصيصهم مع أن نعمة البعثة عامة لزيادة انتفاعهم بها وقرئ لمن منّ الله على أنه خبر محذوف مثل منه أو بعثه إذ بعث فيهم رسولا من أنفسهم من نسبهم أو من جنسهم عربيا مثلهم ليفهموا كلامه بسهولة ويكونوا واقفين على حاله في الصدق والأمانة مفتخرين به وقرئ من أنفسهم أي من أشرفهم لأنه عليه السلام كان من أشرف قبائل العرب وبطونهم يتلو عليهم آياته أي القرآن بعدما كانوا جهالا لم يسمعوا الوحي ويزكيهم يطهرهم من دنس الطبائع وسوء العقائد والأعمال ويعلمهم الكتاب والحكمة القرآن والسنة وإن كانوا من قبل لفي ضلال مبين إن هي المخففة واللام هي الفارقة والمعنى وإن الشأن كانوا من قبل بعثة الرسول في ضلال ظاهر أولما أصابتكم مصيبة قد أصبتم مثليها قلتم أنى هذا الهمزة للتقريع والتقرير والواو عاطفة للجملة على ما سبق من قصة أحد أو على محذوف مثل أفعلتم كذا وقلتم ولما ظرفه المضاف إلى أصابتكم أي أحين أصابتكم مصيبة وهي قتل سبعين منكم يوم أحد والحال أنكم نلتم ضعفها يوم بدر من قتل سبعين وأسر سبعين من أين هذا أصابنا وقد وعدنا الله النصر قل هو من عند أنفسكم أي مما اقترفته أنفسكم من مخالفة الأمر بترك المركز فإن الوعد كان مشروطا بالثبات والمطاوعة أو اختيار الخروج من المدينة وعن علي رضي الله عنه باختياركم الفداء يوم بدر إن الله على كل شيء قدير فيقدر على النصر ومنعه وعلى أن يصيب بكم ويصيب منكم وما أصابكم يوم التقى الجمعان جمع المسلمين وجمع المشركين يريد يوم أحد فبإذن الله فهو كائن بقضائه أو تخليته الكفار سماها إذنا لأنها من لوازمه وليعلم المؤمنين وليعلم الذين نافقوا وليتميز المؤمنون والمنافقون فيظهر إيمان هؤلاء وكفر هؤلاء وقيل لهم عطف على نافقوا داخل في الصلة أو كلام مبتدأ تعالوا قاتلوا في سبيل الله أو ادفعوا تقسيم للأمر عليهم وخيّر بين أن يقاتلوا للآخرة أو للدفع عن الأنفس والأموال وقيل معناه قاتلوا الكفرة أو ادفعوهم بتكثيركم سواد المجاهدين فإن كثرة السواد مما يروع العدو ويكسره قالوا لو نعلم قتالا لاتبعناكم لو نعلم ما يصح

قوله لقد من الله على المؤمنين إذ بعث الخ

انه تعالى لما نفى خطأ من نسبه إلى الغلول والخيانة بين منته عليهم ببعثته عليه السلام حيث قال لقد من الله على المؤمنين الخ وهو جواب قسم محذوف كأنه قيل لا تنسبوا في حقه بأن أبين براءته عن الغلول والخيانة ولكن أقول إن وجوده فيكم من أعظم نعمي عليكم فإنه يزكيكم عن الطرق الباطلة ويعلمكم العلوم النافعة لكم في دينكم ودنياكم فأي عاقل يخطر بباله أن ينسب مثل هذا الانسان الكريم إلى الخيانة فإنه نشأ فيما بينكم ولم يظهر منه في طول عمره إلا الصدق والأمانة والدعوة إلى الله والإعراض عن الدنيا فمن يجوز كون هذا ان غالا وكلمة منان في صفة الله تعالى المعطي ابتداء من غير أن يطلب عوضا [illegible]

لقد من الله أي أنعم عليهم وأحسن إليهم ببعثة هذا الرسول فيهم من حيث أنه يدعوهم إلى ما يخلصهم من عقاب الله ويوصلهم إلى النعيم المقيم قال تعالى وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين سيما إذا كان المراد بالمؤمنين من آمن معه عليه السلام من قومه لكون بعثه فيهم غاية الإحسان في حقهم من حيث أنه عليه السلام صار شرفا لهم وفخرا وذلك فإن بعث الله عز وجل محمدا أفضل الله عليه وسلم من العرب جامعا لجميع الخصال الحميدة وأنزل عليه القرآن الفائق على جميع كتب السماء وصار شرف العرب بذلك أتم وأكمل بالنسبة إلى سائر الأنبياء عليهم السلام كما قال تعالى وإنه لذكر لك ولقومك وهذا وجه الفائدة في قوله من أنفسهم والثاني أنه صلى الله عليه وسلم لما ولد فيهم ونشأ فيما بينهم ولم يشاهد منه من أول عمره إلى آخره إلا الصدق والأمانة والعفاف وعدم الالتفات إلى الدنيا والتحلي بمكارم الأخلاق ومحاسن العادات ثم ادعى النبوة والرسالة بحيث يكون الكذب في هذا أقبح وجوه الكذب كان إيمانهم به أسهل بالنسبة إلى الإيمان بمن لم يطلع على أحواله فكان بعثته عليه السلام في حقهم أعظم فلذلك خصهم بكونه منعما عليهم بهذه النعمة العامة لجميع الأمة [illegible]

قوله [illegible]

أولما أصابتكم مصيبة قد أصبتم مثليها قلتم أنى هذا قل هو من عند أنفسكم

همزه حرف استفهام للتقريع واو عاطفه لما أي معطوف على قوله تعالى لقد صدقكم الله وعده وهو بمعنى حين مضاف إلى جملة أصابتكم وظرف لقوله تعالى قلتم وجملة قد أصبتم مثليها إما حال أو صفة لقوله مصيبة آية كريمة أصحاب كرام رضوان الله عليهم أجمعين حضراتنه خطاب در که جنک احدده [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] شریف بزکی نبیه الله [illegible] اولدی [illegible] سزلر اول ذات شریفلرینزکه الله عظیم الشاننده نصرت الله وعدنه [illegible] سزلره بر مصیبت اصابت ایلدکده که اول مصیبتک ضعفی ایله سزکفارہ مصاب ایتمش ایدیکز قلتم انی هذا بو مصیبت نره دن بزه بو مصیبت بزه نره دن کلدی دیو [illegible] ایلدی دیدیکز [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] ایلدک بو ایله ایلدک تقریع وتوبیخ مقاملرینده مستعملدر بیضاوی رحمه الله استفهام تقریع ایکوندر بیوردی بس جواب قوله تعالی قل هو من عند انفسکم بعنی بو مصیبت بزه کندو نفسکزدن

قوله [illegible]

او معطوف على محذوف یاخود لما ای محذوف تعلیم مافعلتم اوزرینه معطوفدر که بیضاوینک فعلتم ما فعلتم محذوفنک معناسی حکمده تعیین ایلدیکز مدینه دن خروج وعدم ثبات ایله امر رسول مخالفت ایلدیکز بو کره سزه مصیبت اصابت ایلدکده بو نره دن بزه بو مصیبت نره دن کلدی دیو اقتضا ایلدیکز قل یا محمد هو من عند انفسکم یعنی امر رسوله مخالفه ایلدیکز بو مصیبت [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] معنای [illegible]

٩٦

قوله تعالى هم للكفر يومئذ اقرب منهم الخ قال قيل انهم كافرون لانهم منافقون لكن سمى ... والله اعلم بما يكتمون من النفاق لكن المراد انهم للاصرار على الكفر وكمال اظهاره اقرب منهم للايمان الظاهر

قوله تعالى ولا تحسبن الذين قتلوا الخ والمراد بهم شهداء احد وكانوا سبعين رجلا اربعة من المهاجرين حمزة بن عبد المطلب ومصعب بن عمير وعثمان بن شماس وعبد الله بن جحش وباقيهم من الانصار رضوان الله تعالى عليهم اجمعين

قوله ان الانسان غير الهيكل المحسوس

اعلم ان الانسان المخصوص ليس عبارة عن مجموع هذه البنية المخصوصة بل هو شيء مغاير لها وذلك لان اجزاء هذه البنية في الذوبان والانحلال والتبدل والانسان المخصوص ليس عبارة عن مجموع شيء واحد باق من اول عمره الى اخره والباقي مغاير للمتبدل فثبت ان الانسان مغاير لهذا البدن المخصوص ثم بعد هذا يحتمل ان يكون جسما مخصوصا ساريا في هذه الجثة سريان النار في الفحم وماء الورد في الورد ويحتمل ان يكون جوهرا قائما بنفسه ليس بجسم ولا حال في الجسم وعلى كلا المذهبين لا يبعد ان ينفصل ذلك الشيء حيا بعد موت البدن فيثاب ويعذب والدلائل العقلية والنقلية الدالة على بقاء النفوس بعد موت الابدان كثيرة تفسير كبير

قوله الا خوف عليهم ان هي المخففة من ان واسمها ضمير الشان المحذوف وخبرها الجملة المنفية اي يستبشرون بما تبين لهم من حال اخوانهم الذين تركوهم وهو انهم عند قتلهم يفوزون بحيوة ابدية لا يكدرها خوف وقوع محذور ولا حزن فوات مطلوب او لا خوف عليهم في الدنيا من القتل فانه عين الحياة التي يجب ان يرغب فيها فضلا عن ان يخاف ويحذر اي لا يعتريهم ما يوجب ذلك ابو السعود

ان ما انتم عليه ليس بقتال بل القاء بالانفس الى التهلكة
او لو نحسن قتالا لاتبعناكم وانما قالوه دغلا واستهزاء هم للكفر يومئذ اقرب منهم
للايمان لانخزالهم وكلامهم هذا فانهما اول امارات ظهرت منهم مؤذنة بكفرهم
وقيل هم لاهل الكفر اقرب نصرة منهم لاهل الايمان اذ كان انخزالهم ومقالهم تقوية للمشركين
وتخذيلا للمؤمنين يقولون بافواههم ما ليس في قلوبهم يظهرون خلاف ما يضمرون لا
تواطئ قلوبهم السنتهم بالايمان واضافة القول الى الافواه تاكيد وتصوير والله اعلم
بما يكتمون من النفاق وما يخلو به بعضهم الى بعض فانه يعلمه مفصلا بعلم واجب وانتم
تعلمونه مجملا بامارات الذين قالوا رفع بدلا من واو يكتمون او نصب على الذم او الوصف
للذين نافقوا او جر بدلا من الضمير في بافواههم او قلوبهم كقوله على جوده لضن بالماء
حاتم لاخوانهم اي لاجلهم يريد من قتل يوم احد من اقاربهم او من جنسهم وقعدوا
حال مقدرة بقد اي قالوا قاعدين عن القتال لو اطاعونا في القعود ما قتلوا كما لم نقتل
قل فادرءوا عن انفسكم الموت ان كنتم صادقين اي ان كنتم صادقين انكم
تقدرون دفع القتل عمن كتب عليه فادفعوا عن انفسكم الموت واسبابه فانه احرى
بكم والمعنى ان القعود غير مغن فان اسباب الموت كثيرة وكما ان القتال يكون سببا
للهلاك والقعود سببا للنجاة قد يكون الامر بالعكس ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل
الله امواتا نزلت في شهداء احد وقيل في شهداء بدر والخطاب لرسول الله او لكل احد
وقرئ بالياء على اسناده الى ضمير الرسول او من يحسب او الى الذين قتلوا والمفعول الاول
محذوف لانه في الاصل مبتدأ جائز الحذف عند القرينة وقرأ ابن عامر قتلوا بالتشديد
لكثرة المقتولين بل احياء اي بل هم احياء وقرئ بالنصب على بل احسبهم احياء عند ربهم
ذوو زلفى منه يرزقون من الجنة وهو تاكيد لكونهم احياء فرحين بما آتاهم الله من فضله
وهو شرف الشهادة والفوز بالحيوة الابدية والقرب من الله والتمتع بنعيم الجنة ويستبشرون
يسرون بالبشارة بالذين لم يلحقوا بهم اي باخوانهم المؤمنين الذين لم يقتلوا فيلحقوا
بهم من خلفهم اي الذين من خلفهم زمانا او رتبة الا خوف عليهم ولا هم يحزنون
بدل من الذين والمعنى انهم يستبشرون بما تبين لهم من امر الآخرة وحال من تركوا
خلفهم من المؤمنين وهو انهم اذا ماتوا او قتلوا كانوا احياء حيوة لا يكدرها خوف وقوع
محذور وحزن فوات محبوب والآية تدل على ان الانسان غير الهيكل المحسوس بل
هو جوهر مدرك بذاته لا يفنى بخراب البدن ولا يتوقف عليه ادراكه وتالمه والتذاذه
ويؤيد ذلك قوله تعالى في آل فرعون النار يعرضون عليها الآية وما روى ابن عباس انه
عليه السلام قال ارواح الشهداء في اجواف طير خضر ترد انهار الجنة وتاكل من ثمارها
وتاوي الى قناديل معلقة في ظل العرش ومن انكر ذلك ولم ير الروح الا ريحا وعرضا
قال هم احياء يوم القيامة وانما وصفوا به في الحال لتحققه ودنوه او احياء بالذكر او بالايمان

وباعث على الجهاد وترغيب في الشهادة وبعث على ازدياد الطاعة واحماد لمن يتمنى
لاخوانه مثل ما انعم عليه وبشرى للمومنين بالفلاح يستبشرون كرره للتوكيد وليعلق به ما هو
بيان لقوله ان لا خوف ويحزنون يكون الاول بحال اخوانهم وهذا بحال انفسهم بنعمة من
الله ثوابا لاعمالهم وفضل زيادة عليه كقوله للذين احسنوا الحسنى وزيادة وتنكيرهما للتعظيم
وان الله لا يضيع اجر المومنين من جملة المستبشر به عطف على فضل وقرا الكسائي بالكسر
على انه استيناف معترض دال على ان ذلك اجر لهم على ايمانهم مشعر بان من لا ايمان له اعماله
محبطة واجوره مضيعة الذين استجابوا لله والرسول من بعد ما اصابهم القرح
صفة للمومنين او نصب على المدح او مبتدا خبره للذين احسنوا منهم واتقوا اجر عظيم
بجملته ومن للبيان والمقصود من ذكر الوصفين المدح والتعليل لا التقييد لان المستجيبين
كلهم محسنون متقون روي ان ابا سفين واصحابه لما رجعوا فبلغوا الروحا ندموا وهموا
بالرجوع فبلغ ذلك رسول الله صلعم فندب اصحابه للخروج في طلبه وقال لا يخرجن معنا الا
من حضر يومنا بالامس فخرج رسول الله صلعم مع جماعة حتى بلغوا حمرا الاسد وهي على ثمانية
اميال من المدينة وكان باصحابه القرح فتحاملوا على انفسهم حتى لا يفوتهم الاجر والقى الله
الرعب في قلوب المشركين فذهبوا فنزلت الذين قال لهم الناس يعني الركب الذين
استقبلهم من عبد قيس او نعيم بن مسعود الاشجعي واطلق عليه الناس لانه من جنسه كما
يقال فلان يركب الخيل وما له الا فرس واحد ولانه انضم اليه ناس من المدينة واذاعوا كلامه
ان الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم يعني ابا سفين واصحابه روي انه نادى عند
انصرافه من احد يا محمد موعدنا موسم بدر لقابل ان شئت فقال عليه السلام ان شا الله
فلما كان القابل خرج في اهل مكة حتى نزل مر الظهران فانزل الله الرعب في قلبه وبدا له ان يرجع
فمر به ركب من عبد قيس يريدون المدينة للميرة فشرط لهم حمل بعير من زبيب ان ثبطوا
المسلمين وقيل لقي نعيم بن مسعود وقد قدم معتمرا فسأله ذلك والتزم له عشرا من الابل فخرج
نعيم فوجد المسلمين يتجهزون فقال لهم اتوكم في دياركم فلم يفلت منكم احد الا شريدا افترون
ان تخرجوا وقد جمعوا لكم ففتروا فقال عليه السلام والذي نفسي بيده لاخرجن ولو لم يخرج
معي احد فخرج في سبعين راكبا يقولون حسبنا الله فزادهم ايمانا الضمير المستكن للمقول او
لمصدر قال او لفاعله ان اريد به نعيم وحده والبارز للمقول لهم والمعنى انهم لم يلتفتوا اليه
ولم يضعفوا بل ثبت به يقينهم بالله وازداد ايمانهم واظهروا حمية الاسلام واخلصوا
النية عنده وهو دليل على ان الايمان يزيد وينقص ويعضده قول ابن عمر قلنا يا رسول الله
الايمان يزيد وينقص قال نعم يزيد حتى يدخل صاحبه الجنة وينقص حتى يدخل صاحبه
النار وهذا ظاهر ان جعل الطاعة من جملة الايمان وكذا ان لم يجعل فان اليقين يزداد بالالف
وكثرة التامل وتناصر الحجج وقالوا حسبنا الله محسبنا وكافينا من احسبه اذا كفاه ويدل
على انه بمعنى المحسب انه لا يستفيد بالاضافة تعريفا في قولك هذا رجل حسبك ونعم الوكيل

ونعم الموكول اليه هو فانقلبوا فرجعوا من بدر بنعمة من الله عافية وثبات
على الايمان وزيادة فيه وفضل وربح في التجارة فانهم لما اتوا بدرا وافوا بها سوقا
فاتجروا وربحوا واتبعوا رضوان الله الذي هو مناط الفوز بخير الدارين بجراءتهم و
خروجهم والله ذو فضل عظيم قد تفضل عليهم بالتثبيت وزيادة الايمان و
التوفيق للمبادرة الى الجهاد والتصلب في الدين واظهار الجراءة على العدو وبالحفظ
عن كل ما يسوءهم واصابة النفع مع ضمان الاجر حتى انقلبوا بنعمة منه وفضل وفيه
تحسير للمتخلف وتخطئة رايه حيث حرم نفسه ما فازوا به انما ذلكم الشيطان
يريد به المثبط نعيما او ابا سفيان والشيطان خبر ذلكم وما بعده بيان لشيطنته
او صفته وما بعده خبر ويجوز ان يكون الاشارة الى قوله على تقدير مضاف اي انما
ذلكم قول الشيطان يعني ابليس يخوف اولياءه القاعدين عن الخروج مع الرسول
او يخوفكم اولياءه الذين هم ابو سفيان واصحابه فلا تخافوهم الضمير للناس الثاني
على الاول والى الاولياء على الثاني وخافون في مخالفة امري فجاهدوا مع رسولي ان كنتم
مؤمنين فان الايمان يقتضي ايثار خوف الله على خوف الناس ولا يحزنك الذين يسارعون
في الكفر يقعون فيه سريعا حرصا عليه وهم المنافقون من المتخلفين او قوم ارتدوا
عن الاسلام والمعنى لا يحزنك خوف ان يضروك ويعينوا عليك لقوله انهم لن يضروا الله
شيئا اي لن يضروا اولياء الله بمسارعتهم في الكفر وانما يضرون بها انفسهم وشيئا يحتمل المفعول
والمصدر يريد الله ان لا يجعل لهم حظا في الاخرة نصيبا من الثواب في الاخرة وهو يدل
على تمادي طغيانهم وموتهم على الكفر وفي ذكر الارادة اشعار بان كفرهم بلغ الغاية
حتى اراد ارحم الراحمين ان لا يكون لهم حظ من رحمته وان مسارعتهم الى الكفر لانه تعالى
لم يرد لهم ان يكون لهم حظ في الاخرة ولهم عذاب عظيم مع الحرمان عن الثواب
ان الذين اشتروا الكفر بالايمان لن يضروا الله شيئا ولهم عذاب اليم تكرير
للتاكيد او تعميم للكفرة بعد تخصيص من نافق من المتخلفين او ارتد من الاعراب ولا
يحسبن الذين كفروا انما نملي لهم خير لانفسهم خطاب للرسول او لكل من يحسب
والذين مفعول وانما نملي لهم بدل منه وانما اقتصر على مفعول واحد لان التعويل على البدل
وهو ينوب عن المفعولين كقوله ام تحسب ان اكثرهم يسمعون او المفعول الثاني على
تقدير مضاف اي ولا تحسبن الذين كفروا اصحاب ان الاملاء خير لانفسهم او ولا تحسبن
حال الذين كفروا ان الاملاء خير لانفسهم وما مصدرية وكان حقها ان تفصل في الخط
ولكنها وقعت متصلة في الامام فاتبع وقرا ابن كثير وابو عمرو وعاصم والكسائي ويعقوب بالياء
على ان الذين فاعل وان مع ما في حيزه مفعول وفتح سينه في جميع القرآن ابن عامر وعاصم وحمزة
والاملاء الامهال واطالة العمر وقيل تخليتهم وشانهم من املى لفرسه اذا ارخى له الطول ليرعى
كيف شاء انما نملي لهم ليزدادوا اثما استيناف بما هو العلة للحكم قبلها وما كافة واللام لام

الارادة وعند المعتزلة لام العاقبة وقرئ انما بالفتح هنا وبكسر الاولى ولا يحسبن بالياء على معنى
ولا يحسبن الذين كفروا ان املاءنا لهم لازدياد الاثم بل للتوبة والدخول في الايمان وانما
نملي لهم خير اعتراض معناه ان املاءنا لهم خير ان انتبهوا وتداركوا فيه ما فرط منهم ولهم
عذاب مهين على هذا يجوز ان يكون حالا من الواو اي ليزدادوا اثما معدا لهم عذاب
مهين ما كان الله ليذر المؤمنين على ما انتم عليه حتى يميز الخبيث من الطيب
الخطاب لعامة المخلصين والمنافقين في عصركم والمعنى لا يترككم مختلطين لا يعرف مخلصكم
من منافقكم حتى يميز المنافق من المخلص بالوحي الى نبيه باحوالكم او بالتكاليف الشاقة
التي لا يصبر عليها ولا يذعن لها الا الخلص المخلصون منكم كبذل الاموال والانفس في سبيل الله
ليختبر بواطنكم ويستدل به على عقايدكم وما كان الله ليطلعكم على الغيب ولكن الله
يجتبي من رسله من يشاء وما كان ليؤتي احدكم علم الغيب فيطلع على ما في القلوب من
كفر او ايمان ولكنه يجتبي لرسالته من يشاء فيوحي اليه ويخبره ببعض المغيبات او ينصب له
ما يدل عليها فامنوا بالله ورسله بصفة الاخلاص او بان تعلموه وحده مطلعا على الغيب
وتعلموهم عبادا مجتبين لا يعلمون الا ما علمهم الله ولا يقولون الا ما اوحى الله اليهم روي
ان الكفرة قالوا ان كان محمد صادقا فليخبرنا من يؤمن منا ومن يكفر فنزلت وعن السدي
انه عليه السلام قال عرضت علي امتي واعلمت من يؤمن بي ومن يكفر فقال المنافقون
انه يزعم انه يعرف من يؤمن به ومن يكفر ونحن معه ولا يعرفنا فنزلت وان تؤمنوا حق
الايمان وتتقوا النفاق فلكم اجر عظيم لا يقادر قدره ولا يحسبن الذين يبخلون بما اتاهم
الله من فضله هو خيرا لهم القراءات فيه ما سبق ومن قرا بالتاء قدر مضافا ليتطابق مفعولاه
اي ولا تحسبن بخل الذين يبخلون هو خيرا لهم وكذا من قرا بالياء ان جعل الفاعل ضمير الرسول او من
يحسب وان جعله الموصول كان المفعول الاول محذوفا لدلالة يبخلون عليه اي ولا يحسبن البخلاء
بخلهم هو خيرا لهم بل هو اي البخل شر لهم لاستجلاب العقاب عليهم سيطوقون ما بخلوا به يوم
القيمة بيان لذلك والمعنى سيلزمون وبال ما بخلوا به الزام الطوق وعنه عليه السلام ما من رجل لا
يؤدي زكوة ماله الا جعل الله له شجاعا في عنقه يوم القيمة ولله ميراث السموات والارض وله
ما فيهما مما يتوارث فما لهؤلاء يبخلون عليه بماله او انه يرث منهم ما يمسكونه ولا ينفقونه في سبيله
بهلاكهم ويبقى عليهم الحسرة والعقوبة والله بما تعملون من المنع والاعطاء خبير فيجازيكم وقرا
نافع وابن عامر وعاصم وحمزة والكسائي بالتاء على الالتفات وهو ابلغ في الوعيد لقد سمع الله قول
الذين قالوا ان الله فقير ونحن اغنياء قاله اليهود لما سمعوا من ذا الذي يقرض الله وروي انه
عليه السلام كتب مع ابي بكر رضه الى يهود بني قينقاع يدعوهم الى الاسلام واقام الصلوة وايتاء الزكوة
وان يقرضوا الله قرضا حسنا فقال فنحاص بن عازوراء ان الله فقير حتى سال القرض فلطمه
ابو بكر وقال لولا ما بيننا من العهد لضربت عنقك فشكاه الى رسول الله صلعم وجحد ما قاله فنزلت
والمعنى انه لم يخف عليه وانه اعد لهم العقاب عليه سنكتب ما قالوا وقتلهم الانبياء بغير حق

اي سنكتبه في صحايف الكتبة او سنحفظه في علمنا لا نهمله لانه كلمة عظيمة اذ هو كفر بالله
او استهزا بالقران والرسول ولذلك نظمه مع قتل الانبياء وفيه تنبيه على انه ليس اول
جريمة ارتكبوه وان من اجترا على قتل الانبيا لم يستبعد منه امثال هذا القول ونقول
ذوقوا عذاب الحريق اي وننتقم منهم بان نقول لهم ذوقوا العذاب المحرق وفيه
مبالغات في الوعيد والذوق ادراك الطعوم وعلى الاتساع يستعمل لادراك ساير المحسوسات
والحالات وذكره هاهنا لان العذاب مرتب على قولهم الناشي عن البخل والتهالك
على المال وغالب حاجة الانسان اليه لتحصيل المطاعم ومعظم بخله للخوف من فقدانه
ولذلك كثر ذكر الاكل مع المال ذلك اشارة الى العذاب بما قدمت ايديكم من قتل
الانبيا وقولهم هذا وساير معاصيهم عبر بالايدي عن الانفس لان اكثر اعمالها بهن وان الله
ليس بظلام للعبيد عطف على ما قدمت وسببيته للعذاب من حيث ان نفي الظلم يستلزم
العدل المقتضي اثابة المحسن ومعاقبة المسي الذين قالوا هم كعب بن الاشرف ومالك وحيي
وفنحاص ووهب بن يهوذا ان الله عهد الينا امرنا في التورية واوصانا ان لا نؤمن لرسول
حتى ياتينا بقربان تاكله النار بان لا نؤمن لرسول حتى ياتينا بهذه المعجزة الخاصة التي كانت
لانبيا بني اسرايل وهو ان يقرب بقربان فيقوم النبي فيدعو فتنزل نار سماوية فتاكله اي تحيله الى طبعها
بالاحراق وهذا من مفترياتهم واباطيلهم لان اكل النار القربان لم يوجب الايمان الا لكونه معجزة
فهو وساير المعجزات شرع في ذلك قل قد جاءكم رسل من قبلي بالبينات وبالذي قلتم
فلم قتلتموهم ان كنتم صادقين تكذيب والزام بان رسلا جاؤهم قبله كزكريا و
يحيى بمعجزات اخر موجبة للتصديق وبما اقترحوه فقتلوهم فلو كان الموجب للتصديق هو الاتيان به
وكان توقفهم وامتناعهم عن الايمان لاجله فما لهم لم يؤمنوا بمن جاء به في معجزات اخر واجترؤا
على قتله فان كذبوك فقد كذب رسل من قبلك جاؤا بالبينات والزبر والكتاب
المنير تسلية للرسول من تكذيب قومه واليهود والزبر جمع زبور وهو الكتاب المقصور
على الحكم من زبرت الشي اذا حسنته والكتاب في عرف القران ما يتضمن الشرايع والاحكام
ولذلك جاء الكتاب والحكمة متعاطفين في عامة القران وقيل الزبر المواعظ والزواجر من زبرته
اذا زجرته وقرا ابن عامر وبالزبر باعادة الجار للدلالة على انها مغايرة للبينات بالذات
كل نفس ذائقة الموت وعد ووعيد للمصدق والمكذب وقرئ ذائقة الموت بالنصب
مع التنوين وعدمه كقوله ولا ذاكر الله الا قليلا وانما توفون اجوركم تعطون جزاء
اعمالكم خيرا كان او شرا تاما وافيا يوم القيمة يوم قيامكم عن القبور ولفظ التوفية
يشعر بانه قد يكون قبلها بعض الاجور ويؤيده قوله عليه السلام القبر روضة من رياض
الجنة او حفرة من حفر النيران فمن زحزح عن النار بعد عنها والزحزحة في الاصل
تكرير الزح وهو الجذب بعجلة وادخل الجنة فقد فاز بالنجاة ونيل المراد والفوز الظفر
بالبغية وعن النبي صلعم من احب ان يزحزح عن النار ويدخل الجنة فلتدركه منيته وهو

لو يخاف اوليا الله الذين لما اوهم ظاهر النظم انه تعالى جعل المومنين اولياء الشيطان لان الذين سماهم الله تعالى بالشيطان
انما قصدوا تخويف المومنين فلما قيل الشيطان يخوف اولياءه توهم ذلك دفع ذلك الوهم بتفسير الاية على وجه يرد
ذلك الوهم واعلم ان خوف او لان خاف بدون التضعيف يتعدى الى واحد وبالتضعيف يتعدى الى اثنين تقول
خاف زيد القتال وخوفته القتال ويجوز حذف مفعوليه او احدهما اقتصارا واختصارا فالمصنف اشار اولا الى ان اولياءه
هو المفعول الاول ومفعوله الثاني محذوف اي متروك والتقدير يخوف اولياءه المنافقين غلبة المشركين وفيهم ليقعدوا
عن قتالهم فالمراد باولياء الشيطان هم المنافقون ومن في قلوبهم مرض ممن تخلف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
في الخروج والمعنى انه يخوفهم بالكفار لانه يتعلق بالمنافقين الذين هم اولياؤه واما انتم فاولياء الله وحزبه الغالبون
لا يتعلق بكم تخويفه فالضمير المنصوب في قوله فلا تخافوهم للناس الثاني الذين هم ابو سفيان واصحابه لا لاولياء الذين
اثر فيهم تخويف الشيطان فخافوا ولم يخرجوا الى قتال المشركين اذ لا معنى للنهي عن الخوف ثم اشار بقوله او يخوفكم اولياءه
الى ان المحذوف هو المفعول الاول كما تقول اعطيت المال تريد اعطيت فلانا المال فالمراد باوليائه على هذا الكفار
الذين ذكروا بقوله ان الناس قد جمعوا لكم ولا بد من حذف مضاف اي قهر اوليائه لان الذوات لا تخاف منها
فعلى هذا ضمير فلا تخافوهم للاولياء لان الشيطان خوف المومنين منهم فنهى الله تعالى ان يخافوا منهم وجواب قوله تعالى
ان كنتم مومنين محذوف وما قبله دليل عليه عند البصريين وهو من باب الهاب الغيرة والتهييج على امتثال الامر
اذ لا وجه لحمله على الشك والتشكيك
منه زاده

قال الكشاف الشيطان خبر ذلكم بمعنى انما ذلكم المثبط هو الشيطان ويخوف اولياءه جملة مستانفة بيان لتثبيطه او الشيطان
صفة لاسم الاشارة ويخوف الخبر والمراد بالشيطان نعيم او ابو سفيان اقول قوله انما ذلكم المثبط يعني ان ذلكم ان كان اشارة
الى القائل ان الناس قد جمعوا لكم فالشيطان يحتمل ان يكون اشارة خبرا وان يكون صفة والمعنى على التشبيه وان كان اشارة
الى القول فالشيطان خبر على تقدير المضاف والشيطان هو ابليس والمعنى ان ذلك القول قول ابليس فالتجوز في الاسناد
حيث اضيف قول [illegible] الى ابليس [illegible] فاولياءه [illegible] مفعول الخوف والاول محذوف اي يخوفكم اولياءه

يومن بالله واليوم الآخر ويأتي الى الناس ما يحب ان يؤتى اليه وما الحيوة الدنيا اي لذاتها
وزخارفها الا متاع الغرور شبهها بالمتاع الذي يدلس به على المستام ويغر حتى يشتريه
وهذا لمن آثرها على الآخرة فاما من طلب بها الآخرة فهي له متاع بلاغ والغرور مصدر او
جمع غار لتبلون اي والله لتختبرن في اموالكم بتكليف الانفاق وما يصيبها من الآفات
وانفسكم بالجهاد والقتل والاسر والجراح وما يرد عليها من المخاوف والامراض والمتاعب
ولتسمعن من الذين اوتوا الكتاب من قبلكم ومن الذين اشركوا اذى
كثيرا من هجاء الرسول والطعن في الدين واغراء الكفرة على المسلمين اخبرهم بذلك قبل وقوعه
ليوطنوا انفسهم على الصبر والاحتمال ويستعدوا للقائها حتى لا يرهقهم نزولها وان تصبروا
على ذلك وتتقوا مخالفة امر الله فان ذلك يعني الصبر والتقوى من عزم الامور من معزومات
الامور التي يجب العزم عليها او مما عزم الله عليه اي امر به وبالغ فيه والعزم في الاصل ثبات
الرأي على الشيء نحو امضائه واذ اخذ الله اي اذكر وقت اخذه ميثاق الذين اوتوا الكتاب
يريد العلماء لتبيننه للناس ولا تكتمونه حكاية لمخاطبتهم وقرأ ابن كثير وابو عمرو وعاصم
في رواية ابن عياش بالياء لانهم غيب واللام جواب القسم الذي ناب عنه قوله اخذ الله
ميثاق الذين والضمير للكتاب فنبذوه اي الميثاق وراء ظهورهم فلم يراعوه ولم يلتفتوا
اليه والنبذ وراء الظهر مثل في ترك الاعتداد وعدم الالتفات ونقيضه جعله نصب عينيه
والقاه بين عينيه واشتروا به واخذوا بدله ثمنا قليلا من حطام الدنيا واعراضها فبئس
ما يشترون يختارون لانفسهم وعن النبي صلعم من كتم علما عن اهله الجم بلجام من النار
وعن علي لما اخذ الله على اهل الجهل ان يتعلموا حتى اخذ على اهل العلم ان يعلموا لا تحسبن
الذين يفرحون بما اتوا ويحبون ان يحمدوا بما لم يفعلوا فلا تحسبنهم بمفازة من
العذاب الخطاب للرسول ومن ضم الباء جعل الخطاب له وللمؤمنين والمفعول الاول الذين يفرحون
والثاني بمفازة وقوله فلا تحسبنهم تأكيد والمعنى لا تحسبن الذين يفرحون بما فعلوا من التدليس
وكتمان الحق ويحبون ان يحمدوا بما لم يفعلوا من الوفاء بالميثاق واظهار الحق والاخبار بالصدق
بمفازة بمنجاة من العذاب اي فائزين بالنجاة منه وقرأ ابن كثير وابو عمرو بالياء وفتح الباء في
الاول وضمها في الثاني على ان الذين فاعل ومفعولا يحسبن محذوف يدل عليهما مفعولا مؤكده
فكانه قيل ولا يحسبن الذين يفرحون بما اتوا فلا يحسبن انفسهم بمفازة او المفعول الاول
محذوف وقوله فلا يحسبنهم تأكيد للفعل وفاعله ومفعوله الاول ولهم عذاب اليم بكفرهم
وتدليسهم روي انه عليه السلام سأل اليهود عن شيء مما في التورية فاخبروه بخلاف ما كان فيه
واروه انهم قد صدقوه وفرحوا بما فعلوا فنزلت وقيل نزلت في قوم تخلفوا عن الغزو ثم
اعتذروا بانهم راوا المصلحة في التخلف واستحمدوا به وقيل نزلت في المنافقين فانهم يفرحون
بمنافقتهم ويستحمدون الى المسلمين بالايمان الذي لم يفعلوه على الحقيقة ولله ملك السموات
والارض فهو يملك امرهم والله على كل شيء قدير فيقدر على عقابهم وقيل هو رد

99

قوله والمفعول الاول محذوف اي المفعول الاول للا تحسبن محذوف وبمفازة مفعول الثاني وتكون
فلا تحسبنهم تأكيدا وهذا اذا جعل التأكيد مجموع فلا تحسبنهم واما اذا جعل التأكيد الفعل والفاعل
اذ ليس المذكور ثانيا الا الفاعل والفعل وضمير المنصوب المتصل فالتأكيد هو المفعول الاول والاصوب هكذا
ذكر العلامة التفتازاني ولا يخفى ان اتصال الضمير المنصوب الذي هو المفعول الاول للا تحسبن بمؤكده لم يعهد
والتكلف ولعل ترك صاحب الكشاف لهذا الوجه لما ذكرنا

قوله مفعولا يحسبن محذوف يدل عليهما مفعولا مؤكده لم يجعل المفعولين في فلا تحسبنهم بمفازة للاول
والتأكيد مجرد الفعل والفاعل كما جعل في القراءة السابقة التأكيد مجرد لا تحسبنهم مستغنيا عن حذف
مفعولين مستغنى من الحذف قصدا الى مزيد التوكيد ولعله احتراز عن اتصال ضمير المفعول بغير عامله
وان كان توكيد الفعل اذ لم يعهد اتصال ضمير المفعول بغير عامله او في حكم المتصل بعامله
كضربته وبهذا ظهر ضعف ما ذكر التفتازاني في قوله والمفعول الاول محذوف من قوله هذا انما هو اذا جعل
التأكيد هو مجموع لا تحسبنهم الفعل والفاعل والمفعول واما اذا جعل التأكيد الفعل والفاعل
على ما هو الانسب اذ ليس المذكور ثانيا الا الفعل والفاعل والضمير المتصل فالتأكيد هو المفعول الاول
ولا حذف الا يرى انه لم يحمل القراءتين السابقتين على حذف المفعول الثاني احد الفعلين اعني التأكيد
او المؤكد بهذا الكلام نعم فيه احتمال حذف المفعول الثاني من الاول قصدا الى مزيد التوكيد في القراءة
وكانه تحاشى عن القول بحذف احد مفعولي حسبت وهو قليل من غير داع وبهذا الذي دعاه الى القول
بحذف المفعولين من الاول مع امكان الاكتفاء بحذف المفعول الاول لان الاكتفاء وان ترجح بقلة
الحذف لكنه مرجوح بقلته وحذف المفعولين ومرجح بكثرته
عصام

لشواهد ان الله تعالى إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ لدلائل واضحة على وجود الصانع ووحدته وكمال علمه وقدرته لذوي العقول المجلوة الخالصة عن شوائب الحس والوهم كما سبق في سورة البقرة ولعل الاقتصار على هذه الثلاثة في هذه الآية لان مناط الاستدلال هو التغير وهذه متعرضة لجملة انواعه فانه اما ان يكون في ذات الشيء كتغير الليل والنهار او جزئه كتغير العناصر بتبدل صورها او الخارج عنه كتغير الافلاك بتبدل اوضاعها وعن النبي صلى الله عليه وسلم ويل لمن قرأها ولم يتفكر فيها الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَى جُنُوبِهِمْ اي يذكرونه دائما على الحالات كلها قائمين وقاعدين ومضطجعين وعنه عليه السلام من احب ان يرتع في رياض الجنة فليكثر ذكر الله وقيل معناه يصلون على الهيآت الثلث حسب طاقتهم لقوله عليه السلام لعمران بن حصين صل قائما فان لم تستطع فقاعدا فان لم تستطع فعلى جنب تومئ ايماء فهو حجة للشافعي رضي الله عنه في ان المريض يصلي مضطجعا على جنبه الايمن مستقبلا بمقاديم بدنه وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ استدلالا واعتبارا وهو افضل العبادات كما قال عليه السلام لا عبادة كالتفكر لانه المخصوص بالقلب والمقصود من الخلق وعنه عليه السلام بينما رجل مستلق على فراشه اذ رفع رأسه فنظر الى السماء والنجوم فقال اشهد ان لك ربا وخالقا اللهم اغفر لي فنظر الله اليه فغفر له وهذا دليل واضح على شرف علم الاصول وفضل اهله رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا على ارادة القول اي يتفكرون قائلين ذلك وهذا اشارة الى المتفكر فيه او الخلق على انه اريد به المخلوق من السموات والارض او اليهما لانهما في معنى المخلوق والمعنى ما خلقته عبثا ضائعا من غير حكمة بل خلقته لحكم عظيمة من جملتها ان يكون مبدأ لوجود الانسان وسببا لمعاشه ودليلا يدله على معرفتك ويحثه على طاعتك لينال الحيوة الابدية والسعادة السرمدية في جوارك سُبْحَانَكَ تنزيها لك من العبث وخلق الباطل وهو اعتراض فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ للاخلال بالنظر فيه والقيام بما يقتضيه وفائدة الفاء هي الدلالة على ان علمهم بما لاجله خلقت السموات والارض حملهم على الاستعاذة رَبَّنَا إِنَّكَ مَنْ تُدْخِلِ النَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُ فقد اخزيته غاية الاخزاء ونظيره قولهم من ادرك مرعى الصمان فقد ادرك والمراد به تهويل المستعاذ منه تنبيها على شدة خوفهم وطلبهم الوقاية منه وفيه اشعار بان العذاب الروحاني افظع وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ اراد بهم المدخلين ووضع المظهر موضع المضمر للدلالة على ان ظلمهم سبب لادخالهم النار وانقطاع النصرة عنهم في الخلاص ولا يلزم من نفي النصرة نفي الشفاعة لان النصرة دفع بقهر رَبَّنَا إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلْإِيمَانِ اوقع الفعل على المسمع وحذف المسموع لدلالة وصفه عليه وفيه مبالغة ليست في ايقاعه على نفس المسموع وفي تنكير المنادي واطلاقه ثم تقييده تعظيم لشأنه والمراد به الرسول وقيل القرآن والنداء والدعاء

قوله وهو حجة ... في نفي تخصيص القرآن الاضطجاع بالذكر بل ... بعد العجز عن القعود وانه لا يجوز الاستلقاء كما هو رأي الحنفية فان قيل الظاهر ان المراد يذكرون في الصلوة ولذا قال وقيل معناه يصلون فلا يكون حجة لان حمل الذكر على الصلوة خلاف الظاهر قلنا الذكر محمول على الاطلاق ... الصلوة فيكون فيه حجة فتامل والاولى ان يقال مراده ان الاية على التفسير المتأخر حجة للشافعي

قوله وهذا اشارة الى المتفكر فيه يعني ان هذا لفظ المذكر يقتضي ان يكون المشار اليه مذكرا فان كان الخلق بمعناه لا يكون ان يكون اشارة [redacted] اليه اذ لا معنى ان يقال خلقت الخلق بمعنى المصدر ولا يجوز ان يكون اشارة الى السموات والارض والا قيل ما خلقت هذه بلفظ التانيث فتعين ان يكون اشارة الى [redacted] المتفكر فيه الذي هو مدلول الكلام اي الذي يتفكرون في خلقه من نفس السموات والارض وما فيهما من العجائب ويكون اشارة الى الخلق على بعد ان يكون بمعنى المخلوق كانه قيل ويتفكرون في مخلوق السموات والارض على طريق اضافة العام الى الخاص كما اشار اليه المص بقوله على اشارة به الى المخلوق من السموات بمعنى البيانية وقوله تعالى باطلا منصوب على انه صفة مصدر محذوف اي ما خلقته خلقا باطلا ومعنى بطلانه كونه عبثا ضائعا خاليا عن الحكمة قوله وفائدة الفاء يعني ان الفاء للدلالة على ان الاستعاذة مترتب على ما ذكر قبلها وهو اعترافهم بالعلم بما لاجله خلقت السموات والارض وهو ان يستدل على معرفتك كما يليق بذاتك الاعلى معرفة تحثنا على ملازمة طاعتك وبالاخلال بما يجب علينا من النظر والاستدلال المذكور فان الكلام الخبري اذا القي الى من هو عالم بفائدة الخبر ولازمها لا بد ان يكون ذلك الالقاء لمقصود مترتب عليه والمقصود المناسب بهذا المقام هو الاعتراف المذكور والاستغفار عما عرف به من التقصير في الجري على مقتضى العلم وكلمة من في قوله تعالى من تدخل النار شرطية وهي مفعول مقدم واجب التقديم لان لها صدر الكلام وتدخل مجزوم بها فقد اخزيته جوابها والجملة الشرطية في محل الرفع خبر انك ويقال خزيته واخزيته اذا اخزيته وخزي الرجل خزيا اذا افتضح وخزاية اذا استحيا فالفعل واحد وانما يتميز بالمصدر فخزي المؤمنين استحياؤهم من دخول النار مع سائر اهل الايمان وخزي الكافرين افتضاحهم فيها بما يلحقهم من العذاب الدائم والاخزاء ... ترتبه على ادخال النار واضحي مستغنيا من البيان كان تعلقه عليه غالبا ... ما دام محمولا على اطلاقه فقد احمله على الاخص الخاص ليفيده حيث قال المص اي فقد اخزيته غاية الاخزاء ونظيره في حمل الجزاء المطلق على الاخص الخاص ليفيد قولهم من ادرك مرعى الصمان فقد ادرك اي ادرك من المرعى ما ليس مثله مرعى والصمان جبل كثير المرعى ونظيره ايضا قولهم من سبق فلانا فقد سبق اي بالغ في السبق قوله وفيه اشعار بان العذاب الروحاني افظع وذلك لانه المستفاد منه حال ادخال النار يشتمل على العذاب الجسماني وهو ظاهر وعلى العذاب الروحاني وهو فوات الفضل والجلالة من اهل الحشر ولم يتعرض في مقام تهويل المستعاذ منه الا بما اشتمل عليه من العذاب الروحاني ولولا انه اهول واقطع من الجسماني لما خص بان يتعرض به قال الامام اجمع حكماء الاسلام بهذه الاية على ان العذاب الروحاني اشد واقوى من العذاب الجسماني لان الاية دالة على تهديد من عذب بالنار بالخزي والخزي عبارة عن التخجيل والاهانة وهو عذاب روحاني فلولا ان العذاب الروحاني اقوى من العذاب الجسماني لما حسن تهديد من عذب بالنار بعذاب الخزي والخجالة

قوله للدلالة على ان ظلمهم سبب اي كون الظلم سببا لانقطاع النصرة ظاهر لما اشتهر من ان التعليق بالوصف مشعر بعليته واما كونه سببا لادخالهم النار فيبنى على ان التعبير عن العداة بالظالمين يتضمن تعليق ما ثبت لهم من الاحكام بوصف الظلم ايضا والنصرة في الخلاص من النار تكون على وجهين الاول النصرة بالمنع من دخولها ابتداء والثاني النصرة في الخروج منها بعد الدخول لان قوله تعالى وما للظالمين من انصار انما ينفي افراد الناصرين ولا ... قبل الشيء من الاوقات فيدل على انتفائهم في تمامه الاوقات قبل الدخول للمنع من دخولها وبعد الدخول للخروج منها والمعتزلة تمسكوا في نفي الشفاعة للفساق بهذه الاية وقالوا ان الشفاعة نوع نصرة ونفي جنس النصرة يقتضي نفي جميع انواعها واجاب المص عنه بمنع كون الشفاعة نوعا من النصرة ومنع كون نفي ... مستلزما لنفي الشفيع وذلك لان النصرة هي الدفع بطريق القهر والغلبة والشفاعة هي الدفع بطريق اللين والرجاء ... فنفي احدهما لا يدل على نفي الاخر ولهذا لم يكن نفي نفيهما معا في قوله تعالى لا شفاعة ولا هم ينصرون تكرارا فلا يصلح الاية متمسكا لنفي الشفاعة ... قوله تعالى ربنا اننا سمعنا مناديا اي سمعنا نداء مناد ... يقال سمعت رجلا يقول كذا وسمعت زيدا يتكلم فتوقع الفعل على الرجل وتحذف المسموع لانك وصفته بما يسمع او جعلته حالا عنه فاغناك عن ذكره ولولا الوصف او الحال لم يكن منه بد وان يقال سمعت كلام فلان او قوله مركبا قال الكشاف لانك وصفته اي الرجل بما يسمع في سمعت رجلا يقول كذا او جعلت ما يسمع حالا منه في صورة المعرفة مثل سمعت زيدا ... فاغناك عن ذكر المسموع لكن لا يخفى ان لا يسمع الفعل السماع على الرجل الا ... او مجازا اي سمعت كلامه والا ولى ان لا يخفى فيما جعله وصفا وحالا ان يجعل تابعا للفعل بالمصدر على ما يراه بعض النحاة لكنه قليل الاستعمال فلذا اختار الوصفية والحالية ... سعد الدين ... وتفتازاني

ونحوهما يعدى بالى واللام لتضمنها معنى الانتهاء والاختصاص أن آمنوا بربكم
فآمنا اى بان آمنوا فامتثلنا ربنا فاغفر لنا ذنوبنا كبائرنا فانها ذات تبعة وكفر عنا
سيئاتنا صغائرنا فانها مستقبحة ولكن مكفرة عن مجتنب الكبائر وتوفنا مع الابرار
مخصوصين بصحبتهم معدودين في زمرتهم وفيه تنبيه على انهم محبون لقاء الله ومن
احب لقاء الله احب الله لقاءه والابرار جمع برّ او بارّ كارباب واصحاب ربنا وآتنا ما وعدتنا على رسلك
اى ما وعدتنا على تصديق رسلك من الثواب لما اظهر امتثاله لما امر به سأل ما وعد عليه
لا خوفا من اخلاف الوعد بل مخافة ان لا يكون من الموعودين لسوء عاقبة او قصور
في الامتثال او تعبدا واستكانة ويجوز ان يعلق على بمحذوف تقديره ما وعدتنا منزلا
على رسلك او محمولا عليهم وقيل معناه على السنة رسلك ولا تخزنا يوم القيامة بان
تعصمنا عما يقتضيه انك لا تخلف الميعاد باثابة المؤمن واجابة الداعي وعن ابن عباس
الميعاد البعث بعد الموت وتكرير ربنا للمبالغة في الابتهال والدلالة على استقلال المطالب
وعلو شانها وفي الآثار من حزبه امر فقال خمس مرات ربنا انجاه الله مما يخاف فاستجاب لهم
ربهم الى طلبتهم وهو اخص من اجاب ويعدى بنفسه وباللام أني لا أضيع عمل عامل
منكم اى بانى لا اضيع وقرئ بالكسر على ارادة القول من ذكر او انثى بيان عامل بعضكم
من بعض لان الذكر من الانثى والانثى من الذكر او لانهما من اصل واحد او لفرط الاتصال
والاتحاد او للاجتماع والاتفاق في الدين وهي جملة معترضة بين بها شركة النساء مع الرجال
فيما وعد للعمال روى ان ام سلمة قالت يا رسول الله انى اسمع الله يذكر الرجال في الهجرة ولا
يذكر النساء فنزلت فالذين هاجروا الخ تفصيل لاعمال العمال وما اعد لهم من الثواب
على سبيل المدح والتعظيم والمعنى فالذين هاجروا الشرك او الاوطان والعشائر للدين و
أخرجوا من ديارهم وأوذوا في سبيلي بسبب ايمانهم بالله ومن اجله وقاتلوا الكفار
وقتلوا في الجهاد وقرأ حمزة والكسائي بالعكس لان الواو لا يوجب ترتيبا والثاني افضل او لان
المراد لما قتل منهم قوم قاتل الباقون ولم يضعفوا وشدد ابن كثير وابن عامر قتلوا للتكثير
لأكفرن عنهم سيئاتهم لامحونها ولأدخلنهم جنات تجري من تحتها الانهار ثوابا
من عند الله اى اثيبهم بذلك اثابة من عند الله تفضلا منه فهو مصدر مؤكد والله عنده
حسن الثواب على الطاعات قادر عليه لا يغرنك تقلب الذين كفروا في البلاد
الخطاب للنبي والمراد امته او تثبيته على ما كان عليه كقوله ولا تطع المكذبين او لكل احد
والنهي في المعنى للمخاطب وانما جعل التقلب موضعه تنزيلا للسبب منزلة المسبب للمبالغة والمعنى
لا تنظر الى ما الكفرة عليه من السعة والحظ ولا تغتر بظاهر ما ترى من تبسطهم في مكاسبهم
ومتاجرهم ومزارعهم روى ان بعض المؤمنين كانوا يرون المشركين في رخاء ولين عيش فيقولون
ان اعداء الله فيما نرى من الخير وقد هلكنا من الجوع والجهد فنزلت متاع قليل خبر مبتدأ محذوف
اى ذلك التقلب متاع قليل لقصر مدته وفي جنب ما اعد الله للمؤمنين قال عليه السلام ما الدنيا

لان الواو لا يستدعي الترتيب او لان المراد قتل بعضهم وقتل آخرين او ليس المعنى على اتصاف كل فرد
من افراد الموصول المذكور بكل واحد مما ذكر من الصفة بل على اتصاف الكل بالكل في الجملة سواء كان ذلك
باتصاف كل فرد من الموصول بواحد من الاوصاف المذكورة او باثنين منها او باكثر اما بطريق التوزيع او بطريق
حذف بعض الموصولات من البين كما هو رأي الكوفيين

قوله لا خوفا من اخلاف الوعد جواب عما يقال الخلف في وعد الله تعالى محال فكيف طلبوا ما علموا انه متحقق
واقع لا محالة ولقد ذكر من الاجوبة ظاهر وقوله ما وعدتنا اشارة الى انهم طلبوا ما نعم الله به بحكم الوعد لا بحكم الاستحقاق
قوله من حزبه امر وهو ما حكى عنهم من المواظبة على ذكر الله تعالى في جميع حالاتهم والتفكر في مصنوعاته استدلالا
واعتبارا والثناء على الله بالاعتراف بربوبيته وتنزيهه عن العبث والاشتغال بالدعاء وجعل هذه
الاعمال سببا للاجابة يدل على ان الاستجابة مشروطة بهذه الامور

قوله فنزلت اى نزلت قوله انى لا اضيع عمل عامل منكم من ذكر او انثى بعضكم الخ اى كما انكم من اصل واحد وان بعضكم
مأخوذ من بعض فكذلك انتم في ثواب العمل ثواب المرأة العاملة كثواب الرجل العامل وبالعكس
وقوله فالذين هاجروا الخ تفصيل بيان لوجه كونها معترضة قوله تعالى فالذين هاجروا مبتدأ وقوله لأكفرن
جواب قسم محذوف تقديره والله لاكفرن وهذا القسم وجوابه خبر لهذا المبتدأ اخبر به عن الذي جمع من
الصفات المذكورة التي هي المهاجرة والاخراج من الاوطان والتأذي في سبيل الله والقتال والمقتولية

قوله تنزيلا للسبب اى المبالغة ان اصل لا يغرنك لا تكن مغترا بهم فانهي التقلب عن الغارية ليستدل به
على تعلق النهي بالاغترار المخاطب لان كون التقلب غارا سبب لصيرورة المخاطب مغترا وهذا توافق قاله
العلامة التفتازاني ان فيه اشعارا بان السبب هو التقلب والمسبب الاغترار والنهي وارد عن الاول
والمراد النهي عن الثاني اعني الاغترار مجازا او كناية ولك ان تقول لا نظهر السبب ههنا لان كون التقلب غارا
ليس سببا لكون المخاطب مغرورا لان الغارية والمغرورية متضائفان فقد صرحوا بان القطع والانقطاع والكسر
والانكسار مثلا متضائفان وقد حقق في العلوم العقلية ان المتضائفين لا يصح كون احدهما سببا للآخر
لانهما معا في درجة واحدة والاولى ان يقال علق النهي بكون التقلب غارا ليفيد نهي المخاطب عن الاغترار لان
نفي احد المتضائفين الذي هو الغارية يفيد نفي المضائف الآخر الذي هو الاغترار

قوله لا يغرنك الخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم او لكل واحد فان قلت كيف جاز ان يغتر
رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك حتى ينهى عن الاغترار به قلت فيه وجهان احدهما ان مدره القوم ومقدمهم
يخاطب بشيء فيقوم خطابه مقام خطابهم جميعا وكانه قيل لا يغرنكم والثاني ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
ما كان مغرورا بحالهم فاكد عليه ما كان عليه وثبت على التزامه كقوله فلا تكونن ظهيرا للكافرين ولا تطع المكذبين
وهذا في النهي في الظاهر للتقلب وهو في المعنى للمخاطب وهذا من قبيل تنزيل السبب منزلة المسبب لان
التقلب لو غره لاغتر به فمنع السبب ليمتنع المسبب

قوله وفي جنب ما اعد الله معطوف على محذوف اى متاع قليل في نفسه لقصر مدته وفي جنب ما اعد الله عصام

في الاخرة الا مثل ما يجعل احدكم اصبعه في اليم فلينظر بم يرجع **ثم مأواهم جهنم**
وبئس المهاد اي ما مهدوا لانفسهم **لكن الذين اتقوا ربهم لهم جنات**
تجري من تحتها الانهار خالدين فيها نزلا من عند الله النزل والنزل ما يعد للنازل
من طعام وشراب وصلة قال ابو السعر الضبي وكنا اذا الجبار بالجيش ضافنا جعلنا القنا
والمرهفات له نزلا وانتصابه على الحال من جنات والعامل فيها الظرف وقيل انه مصدر موكد
والتقدير انزلوها نزلا **وما عند الله** لكثرته ودوامه **خير للابرار** مما يتقلب فيه الفجار
لقلته وسرعة زواله **وان من اهل الكتاب لمن يؤمن بالله** نزلت في ابن سلام واصحابه
وقيل في اربعين من نجران واثنين وثلثين من الحبشة وثمانية من الروم كانوا نصارى
فاسلموا وقيل في اصحمة النجاشي لما نعاه جبريل الى رسول الله صلعم فخرج فصلى عليه فقال
المنافقون انظروا الى هذا يصلي على علج نصراني وانما دخلت اللام على الاسم للفصل بينه
وبين ان بالظرف **وما انزل اليكم** من القران **وما انزل اليهم** من الكتابين **خاشعين**
لله حال من فاعل يؤمن وجمعه باعتبار المعنى **لا يشترون بآيات الله ثمنا قليلا** كما يفعله
المحرفون من احبارهم **اولئك لهم اجرهم عند ربهم** ما خص بهم من الاجر ووعدوه
في قوله تعالى اولئك يؤتون اجرهم مرتين **ان الله سريع الحساب** لعلمه بالاعمال وما تستوجبه
من الجزاء واستغنائه عن التامل والاحتياط والمراد ان الاجر الموعود سريع الوصول فان
سرعة الحساب تستدعي سرعة الجزاء **يا ايها الذين آمنوا اصبروا** على مشاق الطاعات
وما يصيبكم من الشدائد **وصابروا** وغالبوا اعداء الله في الصبر على شدائد الحرب واعدى
عدوكم في الصبر على مخالفة الهوى وتخصيصه بعد الامر بالصبر مطلقا لشدته **ورابطوا**
ابدانكم وخيولكم في الثغور مترصدين للغزو وانفسكم على الطاعة كما قال عليه السلام
من الرباط انتظار الصلوة بعد الصلوة وعنه من رابط يوما وليلة في سبيل الله كان كعدل
صيام شهر رمضان وقيامه لا يفطر ولا ينفتل عن صلوته الا لحاجة **واتقوا الله لعلكم**
تفلحون فاتقوه بالتبري عما سواه لكي تفلحوا غاية الفلاح او اتقوا القبايح لعلكم تفلحون
بنيل المقامات الثلث المترتبة التي هي الصبر عن مضض الطاعات ومصابرة النفس
في رفض العادات ومرابطة السر على جناب الحق لترصد الواردات المعبر عنها بالشريعة
والطريقة والحقيقة عن النبي صلعم من قرأ سورة ال عمران اعطي بكل اية منها امانا
على جسر جهنم وعنه عليه السلام من قرأ السورة التي يذكر فيها ال عمران يوم الجمعة صلى الله عليه
وملائكته حتى تجب الشمس

سورة النساء مدنية وهي مائة وخمس وسبعون اية

بسم الله الرحمن الرحيم **يا ايها الناس** خطاب
يعم بني ادم **اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة** هي ادم **وخلق**
منها زوجها عطف على خلقكم اي خلقكم من شخص واحد وخلق منها امكم حواء من ضلع من اضلاعها
او محذوف تقديره من نفس واحدة خلقها وخلق منها زوجها وهو تقرير لخلقهم من نفس واحدة

وبث منهما رجالا كثيرا ونساء بيان لكيفية تولدهم منهما والمعنى ونشر من تلك النفس
والزوج المخلوقة منها بنين وبنات كثيرة واكتفى بوصف الرجال بالكثرة عن وصف النساء
بها اذ الحكمة تقتضي ان يكون اكثر وذكر كثيرا حملا على الجمع وترتيب الامر بالتقوى على هذه
القصة لما فيها من الدلالة على القدرة القاهرة التي من حقها ان تخشى والنعمة الباهرة
التي توجب طاعة موليها او لان المراد به تمهيد الامر بالتقوى فيما يتصل بحقوق اهل منزله
وبني جنسه على ما دلت عليه الآيات التي بعدها وقرئ وخالق وباث على حذف مبتدأ تقديره
وهو خالق وباث **واتقوا الله الذي تساءلون به** اي يسأل بعضكم بعضا فيقول اسألك بالله
واصله تتساءلون فادغمت التاء الثانية في السين وقرأ عاصم وحمزة والكسائي بطرحها **والارحام**
بالنصب عطف على محل الجار والمجرور كقولك مررت بزيد وعمرا او على الله اي اتقوا الله واتقوا الارحام
وصلوها ولا تقطعوها وقرأ حمزة بالجر عطفا على الضمير المجرور وهو ضعيف لانه كبعض الكلمة وقرئ
بالرفع على انه مبتدأ محذوف الخبر تقديره والارحام كذلك اي مما يتقى او يتساءل به وقد نبه
سجانه اذ قرن الارحام باسمه على ان صلتها بمكان منه وعنه عليه السلام الرحم معلقة بالعرش تقول
الا من وصلني وصله الله ومن قطعني قطعه الله **ان الله كان عليكم رقيبا** حافظا مطلعا **وآتوا اليتامى
اموالهم** اي اذا بلغوا واليتامى جمع يتيم وهو الذي مات ابوه من اليتم وهو الانفراد ومنه
الدرة اليتيمة اما على انه لما جرى مجرى الاسماء كفارس وصاحب جمع على يتائم ثم قلب فقيل يتامى
او على انه جمع على يتمى كاسرى لانه من باب الآفات ثم جمع يتمى على يتامى كاسرى واسارى والاشتقاق يقتضي
ونوعه على الصغار والكبار لكن العرف خصصه بمن لم يبلغ وورده في الآية اما للبلغ على
الاصل والاتساع لقرب عهدهم بالصغر حثا على ان يدفع اليهم اموالهم اول بلوغهم قبل
ان يزول عنهم هذا الاسم ان اونس منهم الرشد ولذلك امر بابتلائهم صغارا او لغير البلغ والحكم
مقيد فكأنه قال وآتوهم اذا بلغوا ويؤيد الاول ما روي ان رجلا من غطفان كان معه مال
كثير لابن اخ له يتيم فلما بلغ طلب المال فمنعه فنزلت فلما سمعها العم قال اطعنا الله ورسوله
نعوذ بالله من الحوب الكبير **ولا تتبدلوا الخبيث بالطيب** ولا تستبدلوا الحرام من اموالهم
بالحلال من اموالكم والامر الخبيث وهو اختزال اموالهم بالامر الطيب الذي هو حفظها
وقيل ولا تأخذوا الرفيع من اموالهم وتعطوا الخسيس مكانها وهذا تبديل وليس بتبدل
ولا تأكلوا اموالهم الى اموالكم ولا تأكلوها مضمومة الى اموالكم اي لا تنفقوها
معا ولا تسووا بينهما وهذا حلال وذاك حرام وهو فيما زاد على قدر اجره لقوله تعالى فليأكل
بالمعروف **انه** الضمير للاكل **كان حوبا كبيرا** ذنبا عظيما وقرئ حوبا وهو مصدر حاب حوبا
وحابا كقال قولا وقالا **وان خفتم الا تقسطوا في اليتامى فانكحوا ما طاب لكم
من النساء** اي ان خفتم ان لا تعدلوا في يتامى النساء اذا تزوجتم بهن فتزوجوا ما طاب لكم من غيرهن
اذ كان الرجل يجد يتيمة ذات مال وجمال فيتزوجها ضنا بها فربما يجتمع عنده منهن عدد
ولا يقدر على القيام بحقوقهن او ان خفتم ان لا تعدلوا في حقوق اليتامى فتحرجتم منها

فخافوا ايضا ان لا تعدلوا بين النساء فانكحوا مقدارا يمكنكم الوفاء بحقه لان المتحرج من الذنب
ينبغي ان يتحرج من الذنوب كلها على ما روي انه تعالى لما عظم امر اليتامى تحرجوا من ولايتهم و
ما كانوا يتحرجون من تكثير النساء واضاعتهن فنزلت وقيل كانوا يتحرجون من ولاية
اليتامى ولا يتحرجون من الزنا فقيل لهم ان خفتم ان لا تعدلوا في امر اليتامى فخافوا الزنا
وانكحوا ما حل لكم وانما عبر عنهن بما ذهابا الى الصفة او اجراء لهن مجرى غير العقلاء لنقصان
عقلهن ونظيره او ما ملكت ايمانكم وقرئ تقسطوا بفتح التاء على ان لا مزيدة ان خفتم
ان تجوروا مثنى وثلث ورباع معدولة عن اعداد مكررة هي ثنتين ثنتين وثلثة
ثلثة واربعة اربعة وهي غير منصرفة للعدل والصفة فانها بنيت صفات وان كانت اصولها
لم تبن لها وقيل لتكرير العدل فانها معدولة باعتبار الصيغة والتكرير منصوبة على
الحال من فاعل طاب ومعناها الاذن لكل ناكح يريد الجمع ان ينكح ما شاء من العدد المذكور
متفقين فيه ومختلفين كقولك اقتسموا هذه البدرة درهمين درهمين وثلثة ثلثة ولو افرد
كان المعنى تجويز الجمع بين هذه الاعداد دون التوزيع ولو ذكرت باو لذهب تجويز الاختلاف
في العدد فان خفتم ان لا تعدلوا بين هذه الاعداد ايضا فواحدة فاختاروا او فانكحوا واحدة
وذروا الجمع وقرئ بالرفع على انه فاعل محذوف تقديره فتكفيكم واحدة او فالمقنع واحدة
او ما ملكت ايمانكم سوى بين الواحدة والازواج والعدد من السراري لخفة مؤنتهن وعدم
وجوب القسم بينهن ذلك اي التقليل منهن او اختيار الواحدة او التسري ادنى ان لا تعولوا
اقرب من ان لا تميلوا من قولهم عال الميزان اذا مال وعال الحاكم اذا جار وعول الفريضة الميل
عن حد السهام المسماة وفسر بان لا يكثر عيالكم على انه من عال الرجل عياله يعولهم اذا
مانهم فعبر عن كثرة العيال بكثرة المؤن على الكناية ويؤيده قراءة ان لا تعيلوا
من اعال الرجل اذا كثر عياله ولعل المراد بالعيال الازواج وان اريد الاولاد فلان التسري مظنة
قلة الولد بالاضافة الى التزوج لجواز العزل فيه كتزوج الواحدة الى تزوج الاربع وآتوا
النساء صدقاتهن مهورهن وقرئ بفتح الصاد وسكون الدال على التخفيف وبضم
الصاد وسكون الدال جمع صدقة كغرفة وبضمهما على التوحيد وهو تثقيل صدقة كظلمة
في ظلمة نحلة عطية يقال نحله كذا نحلة ونحلا اذا اعطاه اياه عن طيب نفس بلا توقع
عوض ومن فسرها بالفريضة ونحوها نظر الى مفهوم الاية لا الى موضوع اللفظ ونصبها
على المصدر لانها في معنى الايتاء او الحال من الواو او الصدقات اي اتوهن صدقاتهن
ناحلين او منحولة وقيل المعنى نحلة من الله وتفضلا منه عليهن فتكون حالا من الصدقات
وقيل ديانة من قولهم انتحل فلان كذا اذا دان به على انه مفعول له او حال من الصدقات
اي دينا من الله شرعه والخطاب للازواج وقيل للاولياء لانهم كانوا ياخذون مهور
مولياتهم فان طبن لكم عن شيء منه نفسا الضمير للصداق حملا على المعنى او يجري
مجرى اسم الاشارة كقول رؤبة في قوله كانه في الجلد توليع البهق اردت كان ذاك

فائدة ٧ ما معنى اسناد الفعل الى الله تعالى قلت معناه ان الله عز وجل عند اعتقادهم ذلك المعتقد الفاسد يضع الغم والحسرة في قلوبهم ويضيق صدورهم عقوبة فاعتقادهم فعلهم وما يكون عنده من الغم والحسرة وضيق الصدر فعل الله عز وجل كقوله يجعل صدره ضيقا حرجا كانما يصعد في السماء ونحوه

٩ الكون ذلك اشارة الى ما دل عليه النهي اي لا تكونوا مثلهم ليجعل الله انتفاء كونكم مثلهم حسرة في قلوبهم لان مخالفتهم فيما يقولون ويعتقدونه ومضادتهم فيما يغيظهم

قوله تعالى يا ايها الذين آمنوا لا تكونوا كالذين كفروا وقالوا لاخوانهم اذا ضربوا في الارض او كانوا غزى لو كانوا عندنا ما ماتوا وما قتلوا ليجعل الله ذلك حسرة في قلوبهم فان قلت بم يتعلق ليجعل قلت بقالوا اي قالوا ذلك واعتقدوه ليكون حسرة في قلوبهم على ان اللام مثلها في ليكون لهم اي او لا تكونوا يعني لا تكونوا مثلهم في النطق بذلك القول واعتقاده ليجعله الله حسرة في قلوبهم خاصة ويصون منها قلوبكم قوله متعلق بليجعل اجاب بان متعلقه قالوا فيدخل في صلة المشبه به ويكون اللام للعاقبة بالغرض حيث ترتب ذلك على قولهم او لا تكونوا فلا يدخل في الصلة ويكون اللام على حقيقة العلية والغرضية لكن حينئذ يجوز ان يكون ذلك اشارة الى قولهم كما في الوجه الاول فيكون اسناد جعله حسرة الى الله بمعنى انه ترتب عليه الحسرة ويصيرها عقيبه في قلوبهم وان يكون اشارة الى مضمون لا تكونوا وهو انتفاء كونكم مثلهم فهو سبب حسرتهم فانتصابه على مفعول يجعل مجازية على الاوجه لكن في الثالث على طريق السببية المجعولة من الله تعالى حقيقة بخلاف الاولين فقوله فاعتقاده فعلهم مبتدا وخبر وضمير اعتقاده لذلك المعتقد الفاسد وهو انهم لو كانوا معهم لما ماتوا واضافة مخالفتهم ومضادتهم الى المفعول والضمير للكافرين من سعد الدين

قوله تعالى ما ماتوا وما قتلوا مفعول لقالوا ودليل على ان هناك مضمرا قد حذف ثقة به اي اذا ضربوا في الارض فماتوا او غزوا فقتلوا وليس المقصود بالنهي عدم مماثلتهم في النطق بهذا القول بل في الاعتقاد بمضمونه والحكم بموجبه كما انه المنكر عليهم الا يرى الى قوله عز وجل ليجعل الله ذلك حسرة في قلوبهم فانه الذي جعل حسرة فيها قطعا واليه اشير بذلك كما نقل عن الزجاج انه اشارة الى ظنهم انهم لو لم يحضروا القتال لم يقتلوا وتعلقه بقالوا ليس باعتبار نطقهم بذلك القول بل باعتبار ما فيه من الحكم والاعتقاد واللام لام العاقبة كما في قوله تعالى ليكون لهم عدوا وحزنا اي قالوا ذلك او اعتقدوه ليكون حسرة في قلوبهم خاصة ويصون منها قلوبكم قوله ذلك كما اشارة الى ما دل عليه قولهم من الاعتقاد ويجوز ان يكون اشارة الى ما دل عليه ~~قولهم من الاعتقاد~~ النهي اي لا تكونوا مثلهم ليجعل الله انتفاء كونكم مثلهم حسرة في قلوبهم فان مضادتهم لهم في القول والاعتقاد مما يغمهم ويغيظهم من ابي السعود

قوله ٩٦ وحقه اذ لقوله قالوا لكنه جاء على حكاية الحال الماضية فيه اشكال قوي وهو ان الماضي مع اذا كله استقبال ولا يكون بمعنى الحال فكيف يصح بحكاية الحال الماضية بفرض ذلك الزمان موجودا وفرضك في الزمان الماضي مستقبلا فيه فالاوجه ان قالوا للمستقبل جعل ماضيا لكونه اخبارا عن لا خلاف في اخباره اي لا تكونوا فيما بعد كما يكون الذين يكفرون ويقولون واما ما يقال ان زمان القول ليس زمان الضرب بل بعد الموت فمندفع بان في النظم ايجازا لظهور المراد والتقدير اذا ضربوا في الارض وماتوا او كانوا غزا وقتلوا وزمان وقوع الضرب والموت او الكون غزا والقتل زمان ممتد فيصح ان يجعل ظرفا للقول الواقع في بعضه

قوله ٩٦ كيف قيل اذا ضربوا وهو للمستقبل مع قالوا وهو للماضي قلت فيصير المستقبل من وقت المفارقة ظرفا للقول الماضي فاجاب بانه حكاية الحال الماضية ومعناه ان تقدر نفسك كانك موجود في ذلك الزمان الماضي او يقدر ذلك الزمان كانه موجود الآن ونحو قولك قالوا ذلك حين يضربون والمعنى ضربوا الا انك جئت بلفظ المضارع استحضارا لصورة ضربهم في الارض وبهذا اشعر بان المتوقع موقع اذ واعترض بوجهين الاول ان حكاية الحال انما يكون حيث يؤتى بصيغة الحال والمذكور هاهنا صيغة الاستقبال لان معنى اذا ضربوا حين يضربون فيما يستقبل الثاني ان قولهم لو كانوا عندنا انما هو بعد موتهم فكيف تقيد بالضرب في الارض كيفما اعتبروا وانما هو حال حياتهم اجيب عن الاول بان اذا ضربوا في معنى الاستمرار كما في واذا لقوا الذين آمنوا فيفيد الاستحضار نظرا الى الحال وعن الثاني بان قالوا لاخوانهم في موقع جزاء الشرط من جهة المعنى فيكون المعنى لا تكونوا كالذين كفروا واذا ضرب اخوانهم في الارض فماتوا او كانوا غزا فقتلوا قالوا لو كانوا عندنا ما ماتوا وما قتلوا فالضرب والقول كل في معنى الاستقبال ويقيد استقبال القول بالضرب انما هو باعتبار الجزء الاخير وهو الموت والقتل وان لم يذكر لفظا لدلالة قوله وما ماتوا وما قتلوا عليه وهو مراد معنى والمعتبر المقارنة عرفا كما في قوله تعالى فاذا افضتم من عرفات فاذكروا الله عند المشعر الحرام وكقولك اذا طلع بلال الحرم اتيك في منتصفه ولا ارى ما ذكره من ان النظم الكلام مصنف وقال الزجاج اذا هاهنا تنوب عما مضى من الزمان وما يستقبل يعني انه لمجرد الوقت او لقصد الاستمرار والذي يقتضيه النظر الصائب ان لا يجعل اذا ظرفا لقالوا بل ظرفا لما يحصل للاخوان من الحال لاجلهم في حقهم ذلك المقول كانه قيل قالوا لاجل الاحوال العارضة للاخوان اذا ضربوا من سعد الدين التفتازاني رحمه الله

قوله ٩٧ عطف اللام لام العاقبة وليست لام الغرض ... عن الجهاد والمعنى انهم قالوا ذلك لغرض من اغراضهم فكان عاقبة ذلك القول ومصيره الى الحسرة وهي

[illegible]

١٠٦

قوله نصيبا منصوب على انه مصدر مؤكد الظاهر انه من قبيل التاكيد لغيره لان الجملة التي كانت كالنائب عن ناصبه محتمل غير مضمون مؤكده وهو كونه نصيبا مفروضا والمصدر في الحقيقة يؤكد مضمونه على المحذوف الا ان الجملة المتقدمة لما كانت كالنائب عن ناصبه من حيث دلالتها عليه جعل المصدر مضمونا لتلك الجملة ومؤكدا لها والمراد بقوله انه مصدر مؤكد انه واقع موقع المصدر للفعل المدلول عليه بالجملة المتقدمة اذ التقدير اعطوهم عطاء مفروضا او انهم يستحقونه استحقاقا مفروضا معطوعا به اذ المعنى ثبت لهم مفروضا يعني ان العامل في الحال هو معنى الاستقرار والثبوت الذي تعلق به الجار والمجرور في قوله للرجال نصيب قوله نصيب مبتدا وللرجال خبره والمنوي فيه هو ذو الحال

قوله مما ... اي لا يخفى موقعه هاهنا لان الوصي يحاسب على ما في يده ثم اشار الى ان المحاسبة نهي عن معونة من رد الله لانه تحاسب كلا باعمل قلبه ... ذكره الزمخشري بالكافي في الشهادة عليهم وذكره المصنف رحمه الله لانه موافق لمذهب ابي حنيفة في عدم لزوم البينة نصب على انه مصدر مؤكد اي ثبتا وقيل نعطا ونحوه من المعاني المصدرية والا فهو اسم جامد ونقل عن بعضهم انه مصدر وكلام المصنف يحتملهما والحال انه تام الضمير المستتر في وكذا في الجار والمجرور الواقع صفة

قوله ٨١ ورتب الامر عليهم يعني ان الله تعالى جعل الجملة الشرطية صلة ورتب الامر بالخشية عليها للاشارة الى ان المقصود بالامر الترغيب على الخشية من ضياع اولادهم والى العلة في ذلك وهي ان من كان شانه ودابه الخشية على ذريته من الضياع لضعفهم وانفرادهم من كل عليها او يجب لاجلها لا جله ان يخشى من ضياع اولاد غيره لاجل ضعفهم وانفرادهم ممن يقوم بكفايتهم كمن انس رضي الله عنه انه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يؤمن العبد حتى يحب لاخيه ما يحب لنفسه فمن لا يرضى بضياع اولاد نفسه بسبب الجوع والعري لبقائه بغير مال ولا كاسب تكيف يرضى بذلك في حق اولاد غيره من سعد الدين

قوله تعالى ٨٥ وليخش الذين الخ معمول يخشى اما الله بدليل قوله فليتقوا الله او على اولادهم بدليل قوله خافوا عليهم كما اشار اليه المصنف في الوجه الاتي ولو ذكر هاهنا لكان اولى ليعلم منه تقديره فيما بعده قوله ٩٥ او لمن حضر المريض هذا هو الوجه الثاني فليس الامر للاوصياء او لو كان كذلك لقال وليخش ضعف المحصور للعهد لما عرف منهم انهم كانوا يحضرون عند المريض ويحثون على الوصية ويذكرون ان اولاده لا يغنون عنه شيئا في الآخرة واما النافع له ما يصرف في الخيرات فيكون اول الكلام للاوصياء وما بعده للورثة وهذا للاجانب بان لا يتركوه يضر بهم فضلا عن امره بما يضر ويحثوا على اولاده كما يخافون على اولادهم قوله متصل بما قبله وقوله بان يخشوا الخ بيان لمعموله قوله او للورثة الخ هذا هو الوجه الثالث فاتصاله بما قبله ظاهر لانه حث على الايثار لهم وامرهم بان يخافوا عليهم كما يخافون من حرمان ضعاف ذريتهم قوله ولموسر هذا هو الوجه الرابع وهو ابعدها فالمراد من الذين المرضى واصحاب الوصية امرهم بعدم الاسراف في الوصية حوفا على ذريتهم الضعاف والقرينة عليه انهم هم المتاركون لذلك ويكون التحويف مما كل المال بعد نحو تفاصيل اخذ ما زاد كم الوصية فيرتبط به ويكون متصلا بما قبله نهيا للامر الاوصياء والورثة بامر المرضى

قوله ولو تركوا من خلفهم صلته الخ يعني ان الصلة يجب ان يكون قصة معلومة للمخاطب بانه للموصول كالصفة فاشار الى ان مضمون الشرطية قصة معلومة واشار الى انه لا بد من حمل تركوا على المشارفة ليصح وقوع خافوا خبرا له وقال النحرير لفظ ترك بمعنى ان وهذا جار على الوجه كلها فقوله في المعنى انه تركه اشارة الى ان الخطاب للاوصياء انما هو على الوجه الاول لانهم بعد الموت لا يوجد له ولهذا وجه صحة كون الجواب خافوا

قوله وفي ترتب الامر عليه اشارة الى الخ اي جعل مرتبا على الوصف المذكور في خبر الصلة المشعر بعلته من شهاب فان قلت ان الصلة يجب ان يكون قصة معلومة للمخاطب بانه للموصول كالصفة للموصوف فكيف ذلك في الشرطية الواقعة صلة فاجاب بان كون حال الاوصياء او الحاضرين او الورثة وعلمهم مضمون هذه الشرطية قصة معلومة سعد الدين

وقيل للاولياء، ونفسا تمييز لبيان الجنس ولذلك وحّد والمعنى فان وهبن لكم من الصداق عن طيب
نفس لكن جعل العمدة طيب النفس للمبالغة وعداه بعن لتضمين معنى التجافي والتجاوز وقال
منه بعثا لهن على تقليل الموهوب **فكلوه هنيئا مريئا** فخذوه وانفقوه حلالا بلا تبعة
والهنيء والمريء صفتان من هنؤ ومرؤ اذا ساغ من غير غصص اقيمتا مقام مصدريهما او وصف
بهما المصدر او جعلتا حالا من الضمير وقيل الهنيء ما يلذه الانسان والمريء ما يحمد عاقبته
روي ان ناسا يتأثمون ان يقبل احدهم من زوجته شيئا مما ساق اليها فنزلت **ولا تؤتوا السفهاء
اموالكم** نهي للاولياء عن ان يؤتوا الذين لا رشد لهم اموالهم فيضيعوها وانما اضاف
المال الى الاولياء لانها في تصرفهم وتحت ولايتهم وهو الملائم للآيات المتقدمة والمتأخرة
وقيل نهي لكل احد ان يعمد الى ما خوله الله من المال فيعطي امرأته واولاده ثم ينظر الى ايديهم وانما
سماهم سفهاء استخفافا بعقلهم واستهجانا لجعلهم قواما على انفسهم وهو اوفق لقوله **التي جعل الله
لكم قياما** اي تقومون بها وتنتعشون وعلى الاول يؤول بانها التي من جنس ما جعل الله
لكم قياما سمي ما به القيام قياما للمبالغة وقرئ قيما بمعناه كعوذ بمعنى عياذ وقرئ قواما وهو ما
يقام به **وارزقوهم فيها واكسوهم** واجعلوها مكانا لرزقهم وكسوتهم بان تتجروا
فيها وتحصلوا من نفعها ما تحتاجون اليه **وقولوا لهم قولا معروفا** عدة جميلة تطيب بها
نفوسهم والمعروف ما عرفه الشرع او العقل بالحسن والمنكر ما انكره احدهما لقبحه **وابتلوا
اليتامى** اختبروهم قبل البلوغ بتتبع احوالهم في صلاح الدين والتهدي الى ضبط المال
وحسن التصرف بان يكل اليه مقدمات العقد وعند ابي حنيفة بان يدفع اليه ما يتصرف فيه **حتى
اذا بلغوا النكاح** يعني اذا بلغوا حد البلوغ بان يحتلم او يستكمل خمس عشرة سنة عندنا لقوله عليه السلام
اذا استكمل المولود خمس عشرة سنة كتب ماله وما عليه واقيمت عليه الحدود وثماني عشرة
سنة عند ابي حنيفة وبلوغ النكاح كناية عن البلوغ لانه يصلح للنكاح عنده **فان آنستم
منهم رشدا** فان ابصرتم منهم رشدا وقرئ احستم بمعنى احسستم **فادفعوا اليهم اموالهم** من
غير تأخير عن حد البلوغ ونظم الآية ان ان الشرطية جواب اذا المتضمنة معنى الشرط والجملة
غاية الابتلاء فكأنه قيل وابتلوا اليتامى الى وقت بلوغهم فاستحقاقهم دفع اموالهم اليهم
بشرط ايناس الرشد منهم وهو دليل على انه لا يدفع اليهم ما لم يؤنس منهم الرشد وقال ابو
حنيفة اذا زادت على سن البلوغ سبع سنين وهي مدة معتبرة في تغير الاحوال اذ الطفل يميز
بعدها ويؤمر بالعبادة دفع المال اليه وان لم يؤنس الرشد **ولا تأكلوها اسرافا وبدارا
ان يكبروا** مسرفين ومبادرين كبرهم او لاسرافكم ومبادرتكم كبرهم **ومن كان
غنيا فليستعفف** من اكلها **ومن كان فقيرا فليأكل بالمعروف** بقدر حاجته واجرة سعيه
ولفظ الاستعفاف والاكل بالمعروف مشعر بان الولي له حق في مال الصبي وعنه عليه السلام
ان رجلا قال له ان في حجري يتيما أفآكل من ماله قال بالمعروف غير متأثل مالا ولا واق مالك
بماله وايراد هذا التقسيم بعد قوله ولا تأكلوها يدل على انه نهي للاولياء ان يأخذوا وينفقوا على انفسهم

قوله اي نعد كل ذكر بانثيين اذا اجتمعا فيه وبقوله حتى اجتمع الصنفان من الذكور والاناث يعني واتحدت جهة ارثهما
لانه قد ينقص الذكر من الانثى في بعض الصور وهذا افضل ايضا فيتساوى الذكور والاناث من اولاد الام كما سيأتي
فان كان المراد لبيان حكم اجتماع الابن والبنت على الاطلاق وهو الظاهر لم يحتج الى التقييد اصلا فتأمل من شهاب

قوله اي وان كان الاولاد نساء خلصا اي يعني ان الضمير راجع الى الاولاد مطلقا فيشمله الخرج من غير تأويل
او المولودات او البنات التي في ضمن مطلق الاولاد وليس الخبر عينه حتى لا يفيد الحمل كما توهم لان المراد نساء خلصا
واذا كان فوق اثنتين صفة نحو محل الفائدة فانه يعلم من الوجه الاول لزم تغليب الاناث على الذكور قلت
يجوز ذلك من مراعاة للخبر ومشاكلة له وهو معنى قيل اذا عاد الضمير على جمع التكسير المراد به محض الذكور
في قوله عليه الصلاة والسلام رب الشياطين وما اضللن لكونه من الاناث فلان يعود على جمعه اناث مع
للاناث بطريق الاولى من شهاب

قوله وتخصيص الذكر بالتنصيص اي لما كان السبب لورود الآية انهم كانوا يورثون الذكر دون الاناث
كان الاوفق ان يساق الكلام لاثبات نصيبهن ونفع حرمانهن فاجاب بانه خولف مقتضى الظاهر ليكون
الابتداء ببيان حظ الافضل ولكون الدلالة من فضل الذكور بطريق القصد فكون الحمل من ان بيان
نقصان الاناث وليدل مع الاشعار باثبات نصيب الاناث الى معنى آخر وهو ان تخصيصكم الذكور
بالتوريث انما هو لفضلهم وفي تضعيف نصيبهم ما يكفي ذلك فما انتم عليه افراط في حقهم وتفريط في حق النساء
مع استوا الفريقين في الاولاد فكونه خطا وتماديا في الباطل من سعد الدين

قوله واختلف في الثنتين الى ما دل الحديث الصحيح عن جابر رضي الله عنه قال جاءت امرأة سعد الى رسول الله
صلى الله عليه وسلم فقالت يا رسول الله هاتان ابنتا سعد قتل ابوهما يوم احد وان عمهما اخذ مالهما
فقال صلى الله عليه وسلم يقضي الله في ذلك فنزلت آية الميراث فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم
الى عمهما فقال اعط لابنتي سعد الثلثين واعط امهما الثمن وما بقي فهو لك فدل ذلك على ان
حكم البنتين وان لهما الثلثين معلوم من النص بطريق الدلالة او الاشارة لانه حكم به بعد نزولها
ووجهه انهما لما استحقا مع الاخ النصف علم انهما اذا انفردتا عنه استحقتا اكثر من ذلك لان الواحدة
اذا انفردت اخذت النصف بعد ما كانت معه تاخذ الثلث ولابد ان يكون نصيبهما مما
الذكر في الجملة وهو الثلثان لانه يأخذ مع البنت وليس هذا الطريق العكس بل بطريق الدلالة
او الاشارة فيكون قوله فان كن نساء لبيان حظ الواحدة وما فوق الثنتين بعد ما بين حظهما
ولذا فرع عليه اذ لو لم يكن فيما قبله ما دل على سهم الاناث لم يقع الغاية موقعه وهذا انما هو باعتبار الحكم

قوله ويؤيد ذلك اي جعله منوطا او لم يجعله دليلا مستقلا لعدم الحاجة اليه والحاصل ان هذا
قياس على البنت مع اختها او على الاختين والاول لانهما لما استحقت البنت الثلث مع الاخ فمع البنت
بطريق اولى والثاني انه ذكر حكم الواحدة والثنتين فيما فوقهما من البنات ولم يذكر حكم الثنتين وذكر
في ميراث الاخوات حكم الاخت الواحدة والاختين ولم يذكر حكم الاخوات الكثيرة فيعلم حكم البنتين
من ميراث الاخوات وحكم الاخوات من ميراث البنات لانه لما كان نصيب البنات الكثيرة لا يزيد
على الثلثين فالاولى ان لا يزداد نصيب الاخوات على ذلك من شهاب رحمه الله

قوله وعلى هذا ينبغي اي ليس انه داخل في النظم ولكنه مستنبط منه ولما كان البنت اولى بها لانهما اقرب منها نصيب الاختين الثلثين كان
ومنهم من فرضه لاحد الزوجين وقوله لاقتضى تفضيل الانثى على الذكر في مسئلة الزوج
معهما ظاهر واما الزوجة فلا اما الاول فلانه لو جعل لها مع الزوج ثلث جميع المال والمسئلة من ستة
فللزوج نصفه وللام اثنان فيبقى للاب واحد ولها اثنان واما الثاني فلانه لو جعل مع الزوجة ثلث الاصل والمسئلة
من اثني عشر لاجتماع ربع وثلث فللزوجة ثلثة وللام اربعة فكان الذي يبقى للاب خمسة فلا يلزم تفضيلها عليه
ولذا ذهب الامام للفرق بينهما من شهاب

أموال اليتامى **فإذا دفعتم إليهم أموالهم فأشهدوا عليهم** بأنهم تسلموها فإنه أنفى للتهمة وأبعد عن الخصومة ووجوب الضمان وظاهره يدل على أن القيم لا يصدق في دعواه إلا بالبينة وهو المختار عندنا ومذهب مالك والشافعي خلافاً لأبي حنيفة **وكفى بالله حسيباً** محاسباً فلا تخالفوا ما أمرتم به ولا تجاوزوا ما حد لكم **للرجال نصيب مما ترك الوالدان والأقربون وللنساء نصيب مما ترك الوالدان والأقربون** يريد بهم المتوارثين بالقرابة **مما قل منه أو كثر** بدل مما ترك بإعادة العامل **نصيباً مفروضاً** نصب على أنه مصدر مؤكد كقوله فريضة من الله أو حال إذ المعنى ثبت لهم مفروضاً نصيباً أو على الاختصاص بمعنى أعني نصيباً مقطوعاً واجباً لهم وفيه دليل على أن الوارث لو أعرض عن نصيبه لم يسقط حقه روي أن أوس بن صامت الأنصاري خلف زوجته أم كحة وثلاث بنات فزوى ابنا عمه سويد وعرفطة أو قتادة وعرفجة ميراثه عنهن على سنة الجاهلية فإنهم ما كانوا يورثون النساء والأطفال ويقولون إنما يرث من يحارب ويذب عن الحوزة فجاءت أم كحة إلى رسول الله صلعم في مسجد الفضيخ فشكت إليه فقال ارجعي حتى أنظر ما يحدث الله فنزلت فبعث إليهما لا تفرقا من مال أوس شيئاً فإن الله قد جعل لهن نصيباً ولم يبين حتى يبين فنزلت يوصيكم الله فأعطى أم كحة الثمن والبنات الثلثين والباقي ابني العم وهو دليل على جواز تأخير البيان عن وقت الخطاب **وإذا حضر القسمة أولو القربى** ممن لا يرث **واليتامى والمساكين فارزقوهم منه** فأعطوهم شيئاً من المقسوم تطييباً لقلوبهم وتصدقاً عليهم وهو أمر ندب للبلغ من الورثة وقيل أمر وجوب ثم اختلف في نسخه والضمير لما ترك أو ما دل عليه القسمة **وقولوا لهم قولاً معروفاً** وهو أن يدعوا لهم ويستقلوا ما أعطوهم ولا يمنوا عليهم **وليخش الذين لو تركوا من خلفهم ذرية ضعافاً خافوا عليهم** أمر للأوصياء بأن يخشوا الله ويتقوه في أمر اليتامى فيفعلوا بهم ما يحبون أن يفعل بذراريهم الضعاف بعد وفاتهم أو للحاضرين المريض عند الإيصاء بأن يخشوا ربهم أو يخشوا على أولاد المريض ويشفقوا عليهم شفقتهم على أولادهم فلا يتركوه أن يضر بهم بصرف المال عنهم أو للورثة بالشفقة على من حضر القسمة من ضعفاء الأقارب واليتامى والمساكين متصورين أنهم لو كانوا أولادهم بقوا خلفهم ضعافاً مثلهم هل يجوزون حرمانهم أو للموصين بأن ينظروا للورثة فلا يسرفوا في الوصية ولو بما في حيزه جعل صلة للذين على معنى وليخش الذين حالهم وصفتهم أنهم لو شارفوا أن يخلفوا ذرية ضعافاً خافوا عليهم الضياع وفي ترتيب الأمر عليه إشارة إلى المقصود منه والعلة فيه وبعث على الترحم وأن يحب لأولاد غيره ما يحب لأولاده وتهديد المخالف بحال أولاده **فليتقوا الله وليقولوا قولاً سديداً** أمرهم بالتقوى التي هي غاية الخشية بعدما أمرهم بها مراعاة للمبدأ والمنتهى إذ لا ينفع الأول دون الآخر ثم أمرهم أن يقولوا لليتامى مثل ما يقولون لأولادهم بالشفقة وحسن الأدب أو للمريض ما يصده عن الإسراف في الوصية وتضييع الورثة ويذكره التوبة وكلمة الشهادة أو لحاضري

١٠٢

قوله ولا تؤتوا السفهاء والخطاب للأولياء نهوا أن يؤتوا المبذرين [illegible] في أموالهم مخافة أن يضيعوها وإنما أضيفت ويعني لليتامى نظراً إلى كونها تحت ولايتهم فكأن أموالهم أموالهم لما بينهم وبين اليتامى من الاتحاد الجنسي والنسبي مبالغة في حملهم على المحافظة عليها كما في قوله تعالى ولا تقتلوا أنفسكم أي لا يقتل بعضكم بعضاً

قوله الضمير للصداق يعني أن الضمير في منه يرجع على الصداق فيدل عليه قوله صدقاتهن لأن الصدقات في معنى الصداق لأنك لو قلت وآتوا النساء صداقهن كان المقصود حاصلاً [illegible]

قوله هنيئاً مريئاً ذكر لانتصابهما عنه وجوه الأول أنهما منصوبان بأنهما نائبان المصدر القائم مقام فعله المحذوف كما في سقياً لك ورعياً لك كأنه قيل هنئاً ومرئاً [illegible] والثاني أنهما منصوبان على أنهما صفتان لمصدر محذوف أي أكلاً هنيئاً على الإسناد المجازي إذ الهنيء حقيقة هو المأكول لا الأكل والثالث أنهما حالان من الهاء في فكلوه والمعنى فكلوه وهو هنيء مريء [illegible]

وإنما سماهم سفهاء جواب عما يقال [illegible] السفهاء [illegible] والأولاد وإن لم يكونوا سفهاء [illegible] فلم سماهم سفهاء [illegible] التي جعل الله لكم قياماً [illegible] الخطاب ويكون إضافة الأموال حقيقة وعلى القول الأول يكون المراد الأموال أموال اليتامى [illegible] مع الأموال التي جعلها الله تعالى سبباً لقيام [illegible] قيام [illegible] والقيام مصدر [illegible]

قوله والمعروف ما عرفه الشرع والعقل والمنكر ما أنكره واحد منهما [illegible] المعروف عقلاً [illegible] الحسن والقبح [illegible]

قوله وابتلوا اليتامى [illegible] الإذن لهم في التصرفات حال الصغر [illegible] فهم وعقل يعرف به المصالح والمفاسد [illegible] البيع والشراء [illegible] وقال أبو حنيفة يصح تصرفاته بإذن الولي [illegible] الصبي عاقلاً مميزاً واحتجت الحنفية بهذه الآية [illegible] وابتلوا اليتامى [illegible] الاختبار لا يحصل إلا بإذن الولي في البيع والشراء [illegible]

قوله [illegible] حتى إذا بلغوا النكاح [illegible] البلوغ [illegible] حتى حرف غاية وحلت على الجملة الشرطية وجوابها والمعنى ابتلوا اليتامى [illegible] دفع أموالهم إليهم [illegible] الجملة الشرطية [illegible] وقوله فإن آنستم منهم رشداً فادفعوا إليهم [illegible] جواب إذا [illegible]

قوله [illegible] أي وجدتم [illegible]

قوله [illegible] وابتلوا [illegible] أموالهم [illegible] بعض المال [illegible]

قوله عدة جميلة [illegible] الوعد والمعروف ما عرف بالحسن عقلاً أو شرعاً والمنكر [illegible]

قوله [illegible] حتى [illegible] الشرط [illegible] تقدم دخول الدار [illegible] بالضعف [illegible]

الشفقة عدّا جميلا ووعدا حسنا او ان يقولوا في الوصية ما لا يؤدي الى مجاوزة الثلث
وتضييع الورثة ان الذين يأكلون اموال اليتامى ظلما ظالمين او على وجه الظلم انما يأكلون
في بطونهم ملء بطونهم نارا ما يجر الى النار ويؤول اليها وعن ابي بردة انه عليه السلام
قال يبعث الله قوما من قبورهم تتأجج افواههم نارا فقيل من هم فقال الم تر ان الله يقول
ان الذين يأكلون اموال اليتامى ظلما انما يأكلون في بطونهم نارا وسيصلون سعيرا
سيدخلون نارا واي نار وقرأ ابن عامر وابن عياش عن عاصم بضم الياء وقرئ به مشددا
يقال صلي النار قاسى حرها وصليته شويته واصليته وصليته القيته فيها والسعير فعيل
بمعنى مفعول من سعرت النار اذا الهبتها يوصيكم الله يأمركم ويعهد اليكم
في اولادكم في شان ميراثهم وهو اجمال تفصيله للذكر مثل حظ الانثيين اي يعد
كل ذكر بانثيين حيث اجتمع الصنفان فيضعف نصيبه وتخصيص الذكر بالتنصيص
على حظه لان القصد الى بيان فضله والتنبيه على ان التضعيف كاف للتفضيل فلا
يحرمن بالكلية وقد اشتركا في الجهة والمعنى للذكر منهم فحذف للعلم به فان كن نساء
اي فان كان الاولاد نساء خلصا ليس معهن ذكر فانث الضمير باعتبار الخبر او على
تأويل المولودات فوق اثنتين خبر ثان او صفة نساء اي نساء زائدات على اثنتين
فلهن ثلثا ما ترك المتوفى منكم ويدل عليه المعنى وان كانت واحدة فلها النصف
اي وان كانت المولودة واحدة وقرأ نافع بالرفع على كان التامة واختلف في البنتين
فقال ابن عباس حكمهما حكم الواحدة لانه تعالى جعل الثلثين لما فوقهما وقال الباقون حكمهما
حكم ما فوقهما لانه تعالى لما بين ان حظ الذكر مثل حظ الانثيين اذا كان معه انثى وهو
الثلثان اقتضى ذلك ان فرضهما الثلثان ثم لما اوهم ذلك ان يزاد النصيب بزيادة
العدد رد ذلك بقوله فان كن نساء فوق اثنتين ويؤيد ذلك ان البنت الواحدة لما
استحقت الثلث مع اخيها فبالحري ان تستحقه مع اخت مثلها وان البنتين امس رحما
من الاختين وقد فرض لهما الثلثان بقوله فلهما الثلثان مما ترك ولابويه ولابوي الميت
لكل واحد منهما السدس بدل منه بتكرير العامل وفائدته التنصيص على استحقاق كل
منهما السدس والتفصيل بعد الاجمال تأكيدا مما ترك ان كان له للميت ولد ذكر او
انثى غير ان الاب يأخذ السدس مع الانثى بالفرضية وما بقي من ذوي الفروض ايضا بالعصوبة
فان لم يكن له ولد وورثه ابواه فحسب فلامه الثلث مما ترك وانما
لم يذكر حصة الاب لانه لما فرض ان الوارث ابواه فقط وعين نصيب الام علم ان
الباقي للاب وكانه قال فلهما ما ترك اثلاثا وعلى هذا ينبغي ان يكون لها حيث معهما احد الزوجين
ثلث ما بقي من فرضه كما قاله الجمهور لا ثلث المال كما قاله ابن عباس فانه يفضي الى تفضيل
الانثى على الذكر المساوي لها في الجهة والقرب وهو خلاف وضع الشرع فان كان له اخوة
فلامه السدس باطلاقه يدل على ان الاخوة يردونها من الثلث الى السدس وان كانوا

قوله ذلك ادنى ان لا تعولوا المراد بالميل المحظور المقابل للعدل اي ذكر من اختيار الواحدة والتسري
اقرب بالنسبة الى ما عداهما من ان لا تميلوا ميلا محظورا لانتفائه رأسا بانتفاء محله في الاول وانتفاء
خطره في الثاني بخلاف اختيار [illegible] فان الميل المحظور متوقع [illegible]
[illegible]
قوله ولعل المراد بالعيال جواب عما يقال على تفسير الشافعي من ان التسري
كيف يكون اقرب الى ان لا يكثر عيال الرجال [illegible]
[illegible]
قوله ولعل المراد بالعول [illegible]
[illegible]
قوله ولو ذكرت [illegible]
[illegible]

قوله تعالى آباؤكم وأبناؤكم مبتدأ ولا تدرون مع ما في حيزه في محل الرفع خبره وأيهم اسم استفهام مرفوع على الابتداء
وأقرب خبره والجملة من هذا المبتدأ وخبره في محل الرفع خبرا و النصب بتدرون لأنها من أفعال القلوب ثم جملة قوله
آباؤكم وأبناؤكم لا تدرون لا محل لها لأنها جملة اعتراضية لوقوعها بين قسمة المواريث وليس المراد بالاعتراض ههنا ما هو
المصطلح عند النحويين لأنهم ما يعنون بالاعتراض إلا ما كان بين شيئين متلازمين كالاعتراض الواقع بين المبتدأ والخبر
والشرط والجزاء وغيرها واختار المص كونه اعتراضا مؤكدا لأمر القسمة أو تنفيذ الوصية قال الله تعالى إنكم لا تعلمون [illegible]
لا تحيطوا بمصالحكم فاتركوا [illegible] المواريث المقادير التي [illegible] حكمي [illegible] وكونوا
مطيعين لأمر الله تعالى في هذه [illegible] وتوجيه كونه اعتراضا مؤكدا لأمر تنفيذ الوصية ما أشار إليه بقوله
أو من مورثيكم عطف على قوله ممن يرثكم [illegible] رغب فيه بقوله آباؤكم وأبناؤكم الذين يموتون قبلكم لا تدرون من أنفع لكم
منهم أمن أوصى أم من لم يوص [illegible] فعرضكم لثواب الآخرة بإمضاء وصيته فهو أقرب لكم نفعا
ممن ترك الوصية فوفر عليكم عرض الدنيا الفانية وثواب الآخرة خير وأبقى نفعا نصب على التمييز من أقرب
وهو منقول من الفاعلية فإن الأصل أيهم أقرب لكم نفعه فريضة مصدر مؤكد لفعل محذوف من لفظها أي فرض الله
ذلك فريضة

قوله أي لا تعلمون من أنفع لكم ممن يرثكم لفظ أي ههنا استفهامية مبتدأ وأقرب خبره والفعل معلق عنها
وهي سادة مسد المفعولين والآباء والأبناء عبارة عن الورثة الأصول فيشمل الآباء والأمهات والأجداد والجدات
وهو على الوجه الأول تأكيد لأمر القسمة [illegible] وعلى الثاني المراد المحتضرين [illegible]
تنفيذ وصاياهم [illegible] قوله لا تعمدوا إلى [illegible] أي ما كان منهم في [illegible]
قوله أي يورث منه [illegible] ورجل [illegible] يورث [illegible] المفعول [illegible] ورث الثلاثي في محل الرفع
على أنه صفة رجل وورث الثلاثي متعد إلى مفعولين [illegible] وكلالة خبر كان [illegible]
[illegible] يورث في محل النصب [illegible] وكلالة حال من الضمير [illegible]
[illegible] لم يخلف والدا ولا ولدا وهو قول الجمهور [illegible] حال [illegible] الكلالة اسم
للقرابة من غير جهة الولد والوالد [illegible] لأجل الكلالة قوله ويجوز أن يكون الرجل الوارث [illegible]
يورث المبني للمفعول [illegible] أورث الرباعي المبني للمفعول وتكون الكلالة [illegible] الوارث الذي لا يكون ولدا ولا والدا
كما روي عن جابر رضي الله عنه أنه قال [illegible] صلى الله عليه وسلم يا رسول الله إني رجل لا يرثني إلا كلالة
وأراد به أنه ليس له ولد ولا والد

قوله وإن كان رجل يورث [illegible] وإن كان رجل يعني الميت ويورث من ورث أي
يورث منه صفة رجل كلالة خبر كان أي وإن كان رجل موروث منه كلالة [illegible] ويحتمل يورث خبر كان وكلالة حال من الضمير
في يورث [illegible] وقرئ يورث ويورث بالتخفيف والتشديد على البناء [illegible] وكلالة حال أو مفعول به وهي القرابة من غير
جهة الولد والوالد وإذا جعل صفة للموروث والوارث [illegible] ذو كلالة [illegible] اسم للقرابة [illegible] منصوب على أنها
مفعول له أي يورث لأجل الكلالة أو يورث غيره لأجلها فإن قلت فإن جعلت يورث على البناء للمفعول [illegible]
غيره لأجلها [illegible] قلت الرجل حينئذ هو الوارث لا المورث قوله يورث من ورث لا الميت
يكون موروثا لا مورثا اسم مفعول في الأساس ورثته المال وورثته منه وعنه وأورثته وورثته
فكل من الميت والمال موروث قال الله تعالى وورثه أبواه والميت مورث اسم فاعل على ما قرئ يورث
وكل من المال والوارث مورث اسم [illegible] مفعول [illegible]

قوله كلالة الكلالة في الأصل مصدر بمعنى الكلال وهو ذهاب القوة من الإعياء واستعيرت للقرابة
من غير جهة الوالد والولد لضعفها بالإضافة إلى قرابتهما وتطلق على من لم يخلف ولدا ولا والدا وعلى من ليس
بوالد ولا ولد [illegible] بمعنى ذي كلالة كما تطلق القرابة على ذوي القرابة [illegible] مفعول له أي
يورث منه لأجل القرابة المذكورة أو على أنه حال من ضمير يورث أي حال كونه ذا كلالة [illegible]

لا يرثون مع الأب وعن ابن عباس رضي الله عنهما أنهم يأخذون السدس الذي حجبوا عنه الأم والجمهور
على أن المراد بالإخوة عدد ممن له أخوة من غير اعتبار التثليث سواء كان من الإخوة أو الأخوات
وقال ابن عباس لا يحجب الأم من الثلث ما دون الثلاثة ولا الأخوات الخلص أخذا بالظاهر
وقرأ حمزة والكسائي فلإمه بكسر الهمزة اتباعا للكسرة التي قبلها من بعد وصية يوصي بها
أو دين متعلق بما تقدمه من قسمة المواريث كلها أي هذه الأنصباء للورثة من بعد
ما كان من وصية أو دين وإنما قال بأو التي للإباحة دون الواو للدلالة على أنهما متساويان
في الوجوب متقدمان في القسمة مجموعين ومفردين وقدم الوصية على الدين وهي متأخرة
في الحكم لأنها مشبهة بالميراث شاقة على الورثة مندوب إليها الجميع والدين إنما يكون على
الندور آباؤكم وأبناؤكم لا تدرون أيهم أقرب لكم نفعا أي لا تعلمون من أنفع لكم
ممن يرثكم من أصولكم وفروعكم في عاجلكم وآجلكم فتحروا فيهم ما وصاكم الله به ولا تعمدوا
إلى تفضيل بعض وحرمان بعض روي أن أحد المتوالدين إذا كان أرفع درجة من الآخر في الجنة
سأل أن يرفع إليه فيرفع بشفاعته أو من مورثيكم أو من أوصى منهم فعرضكم للثواب
بإمضاء وصيته أم من لم يوص فوفر عليكم ماله فهو اعتراض مؤكد لأمر القسمة أو تنفيذ
الوصية فريضة من الله مصدر مؤكد أو مصدر يوصيكم الله لأنه في معنى يأمركم و
يفرض عليكم إن الله كان عليما بالمصالح والرتب حكيما فيما قضى وقدر ولكم
نصف ما ترك أزواجكم إن لم يكن لهن ولد فإن كان لهن ولد فلكم
الربع مما تركن أي ولد وارث من بطنها أو من صلب بنيها أو بني بنيها وإن سفل ذكرا كان أو أنثى
منكم أو من غيركم من بعد وصية يوصين بها أو دين ولهن الربع مما تركتم إن لم يكن لكم
ولد فإن كان لكم ولد فلهن الثمن مما تركتم من بعد وصية توصون بها أو دين
فرض للرجل بحق الزواج ضعف ما للمرأة كما في النسب وهكذا قياس كل رجل وامرأة اشتركا في الجهة
والقرب ولا يستثنى منه إلا أولاد الأم والمعتق والمعتقة ويستوي الواحدة والعدد منهن
في الربع والثمن وإن كان رجل أي الميت يورث أي يورث منه من ورث صفة رجل
كلالة خبر كان أو يورث خبره وكلالة حال من الضمير فيه وهو من لم يخلف ولدا ولا والدا أو
مفعول له والمراد بها قرابة ليست من جهة الوالد والولد ويجوز أن يكون الرجل الوارث ويورث
من أورث وكلالة من ليس بوالد ولا ولد وقرئ يورث على البناء للفاعل فالرجل الميت و
كلالة تحتمل المعاني الثلاثة وعلى الأول خبر أو حال وعلى الثاني مفعول له وعلى الثالث مفعول به
وهي في الأصل مصدر بمعنى الكلال وقال الأعشى فآليت لا أرثي لها من كلالة ولا من حفى
حتى ألاقي محمدا فاستعيرت للقرابة ليست بالبعضية لأنها كالة بالإضافة إليها ثم وصف بها
المورث والوارث بمعنى ذي كلالة كقولك فلان من قرابتي أو امرأة عطف على رجل وله
أي وللرجل واكتفى بحكمه عن حكم المرأة لدلالة العطف على تشاركهما فيه أخ أو أخت أي من الأم
ويدل عليه قراءة أبي وسعد بن مالك وله أخ أو أخت من الأم وأنه ذكر في آخر السورة أن للأخت

الثلثين وللاخوة الكل وهو لا يليق باولاد الام وانما قدم هنا فرض الام فيناسب ان يكون لاولادها
فلكل واحد منهما السدس فان كانوا اكثر من ذلك فهم شركاء في الثلث سوى بين الذكر
والانثى في القسمة لان الادلاء بمحض الانوثة ومفهوم الاية انهما لا يرثان ذلك مع الام
والجدة كما لا يرثان مع البنت وبنت الابن فخص فيه بالاجماع من بعد وصية يوصى بها او
دين غير مضار اي غير مضار لورثته بالزيادة على الثلث او قصد المضارة بالوصية
دون القربة والاقرار بدين لا يلزمه وهو حال عن فاعل يوصى المذكور في هذه القراءة و
المدلول عليه بقوله يوصى على البناء للمفعول في قراءة ابن كثير وابن عامر وابن عياش عن عاصم
وصية من الله مصدر مؤكد او منصوب بغير مضار على المفعول به ويؤيده انه قرئ غير مضار
وصية بالاضافة اي لا يضار وصية من الله وهو الثلث فما دونه بالزيادة او وصية
منه بالاولاد بالاسراف في الوصية والاقرار الكاذب والله عليم بالمضار وغيره حليم لا يعاجل
بعقوبته تلك اشارة الى الاحكام التي تقدمت في امر اليتامى والوصايا والمواريث حدود
الله شرائعه التي هي كالحدود المحدودة التي لا يجوز مجاوزتها ومن يطع الله ورسوله
يدخله جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها وذلك الفوز العظيم ومن يعص الله
ورسوله ويتعد حدوده يدخله نارا خالدا فيها وله عذاب مهين توحيد الضمير
في يدخله وجمع خالدين للفظ والمعنى وقرأ نافع وابن عامر ندخله بالنون وخالدين حال
مقدرة كقولك مررت برجل معه صقر صائدا به غدا وكذلك خالدا وليسا صفتين لجنات ونارا
والا لوجب ابراز الضمير لانهما جريا على غير من هما له واللاتي يأتين الفاحشة من نسائكم
اي يفعلنها يقال اتى الفاحشة وجاءها وغشيها ورهقها اذا فعلها والفاحشة الزنا لزيادة
قبحها وشناعتها فاستشهدوا عليهن اربعة منكم فاطلبوا ممن قذفهن اربعة
من رجال المؤمنين تشهد عليهن فان شهدوا فامسكوهن في البيوت فاحبسوهن
في البيوت واجعلوها سجنا عليهن حتى يتوفاهن الموت يستوفي ارواحهن الموت او يتوفاهن
ملائكة الموت قيل كان ذلك عقوبتهن في اوائل الاسلام فنسخ بالحد ويحتمل ان يكون
المراد به التوصية بامساكهن بعد ان يجلدن كيلا يجري عليهن ما جرى بسبب الخروج
والتعرض للرجال ولم يذكر الحد استغناء بقوله الزانية والزاني او يجعل الله لهن سبيلا
كتعيين الحد المخلص عن الحبس او النكاح المغني عن السفاح واللذان يأتيانها منكم يعني الزانية
والزاني وقرأ ابن كثير واللذان بتشديد النون وتمكين مد الالف والباقون بالتخفيف من غير
تمكين فآذوهما بالتوبيخ والتقريع وقيل بالتعيير والجلد فان تابا واصلحا فاعرضوا عنهما
فاقطعوا عنهما الايذاء او اعرضوا عنهما بالاغماض والستر ان الله كان توابا رحيما علة الامر
بالاعراض وترك المذمة قيل هذه الاية سابقة على الاولى نزولا وكان عقوبة الزناة الاذى
ثم الحبس ثم الجلد وقيل الاولى في السحاقات وهذه في اللواطين والزانية والزاني في الزناة
انما التوبة على الله اي ان قبول التوبة كالمحتوم على الله بمقتضى وعده من تاب عليه اذا قبل توبته

قوله او قصد المضارة بالوصية عطف على قوله الزيادة اي غير مضار لورثته بقصد المضارة بالوصية دون القربة
قوله وصية مصدر مؤكد اي يوصيكم الله ذلك وصية او منصوب على انه مفعول به لقوله مضار
والمضارة وان كان لا يتعدى ولا يتعلق بوصية الله حقيقة انما تتعلق بالورثة لكنه لما وصى بامر الورثة
على وفق الحكمة والمصلحة كانت المضارة المتعلقة بهم كانها متعلقة بوصية الله الواقعة في حقهم فعديت اليها
على سبيل المجاز في التعلق مبالغة في الزجر عنها ويؤيده قراءة الحسن غير مضار وصية [redacted]
[redacted] بالاضافة اسم الفاعل اليها مجازا والاصل غير مضار في وصية واقعة من الله تعالى فانه اتسع في الظرف مجازا
حيث عدي بنفسه من غير واسطة لما ذكرنا من المبالغة كما قيل يا سارق الليلة باضافة اسم الفاعل الى الظرف مجازا
او اتساعا والاصل يا سارقا في الليلة
قوله اي لا يضار وصية من الله يعني ان قوله وصية من الله على تقدير ان يكون مفعول مضار يحتمل ان يكون
المعنى غير مضار للوصية التي شرعها الله تعالى وندب عباده اليها وهي الوصية بالثلث او بما دونه لا بما زاد
عليه والاضرار بها ان يوصي بما زاد على الثلث ويحتمل ان يكون المعنى غير مضار وصية الله تعالى بالاولاد التي في شأن
مطلق بان يعطي كل ذي حق حقه والاضرار بهم اضرار بوصية الله تعالى في حقهم فالاضرار بوصية الله تعالى على المعنى الاول
جعل الوصية بالتبرعات على غير الوجه الشرعي وعلى المعنى الثاني عدم رعاية ما وصى الله في حق الورثة من ايصال
حقوقهم اليهم اما بالاسراف في الوصية او بالاقرار بدين لا يلزمه فانه في قوله بالاولاد يعني في والمراد بالاولاد
الورثة مطلقا بطريق التعبير عن الكل باشهر افراده كما عبر عن مطلق الانتفاع بالمال بالاكل والمعنى وصية الله تعالى
في الورثة اي في شأنهم والحكمة في ختم الاية بقوله فريضة والاية الاولى بقوله وصية
لان لفظ الفرض اقوى واكد من لفظ الوصية فختم شرح رعاية حال الاولاد اولى من ميراث الكلالة بالوصية
قوله لانهما جريا على غير من هما له معنى قولهم جرت الصفة على غير من هي له ان الصفة خبر لشيء او صفة له او حال عنه
وهي لبيت فعلا له بل هي فعل لغيره كقولك زيد عمرو ضاربه هو وجاء في زيد راكبا غلامه فضاربه جرى على المبتدأ
الثاني خبرا عنه وهو فعل المبتدأ الاول ثم هنا اصلان احدهما ان كون الصفة فعلا ابتداء لما جرت عليه والثاني
استكنان الضمير فيها لانه اخصر وابا الاظهار للاختصار فان قلت زيد عمرو ضاربه فهذا الكلام يحتمل معنيين احدهما
ان يكون الضرب فعلا لعمرو ويكون زيد هو المضروب ويضاف ضارب الى ضمير زيد والاخر ان يكون الضرب فعلا لزيد
ويكون المضروب هو عمرو ويضاف ضارب الى ضمير عمرو فاذا ارادوا المعنى الاول قالوا زيد عمرو ضاربه من غير ابراز
الضمير لان الصفة لما كانت فعلا لما جرت عليه كما هو الاصل فيما اعطيت لها ما هو الاصل فيها وهو استكنان
الضمير وان ارادوا المعنى الثاني قالوا زيد عمرو ضاربه هو لان الصفة لما عدل بها عما هو الاصل فيها حيث لم تكن
فعلا لما جرت عليه عدل بها عن حكمها الاصلي وهو الاستكنان وابراز الضمير ليكون امارة للعدول عن اصلها
اذا تقرر هذا ظهر ان كل واحد من خالدين وخالدا لو كان صفة لجنات لوجب ابراز الضمير بان يقال خالدين هم
وهم خالدا هو فيها
قوله تعالى وصية من الله منصوب بغير مضار على انه مفعول به فانه اسم فاعل معتمد على ذي الحال
او منفي معنى فيعمل في المفعول الصريح ويعضده القراءة بالاضافة اي غير مضار لوصية الله تعالى
وعهده في شأنهم ... الوصية مع انها واقعة على الورثة حقيقة كما في قوله يا سارق الليلة اهل الدار
للمبالغة في الزجر عنها باخراجها مخرج مضارة امر الله تعالى ومضادته ابو السعود
قوله غير مضار حال من فاعل فعل مضمر يدل عليه المذكور وما حذف من المعطوف اعتمادا عليه كما ان رجال في قوله عز وجل
يسبح له فيها بالغدو والآصال رجال على قراءة البناء للمفعول فاعل لفعل مضمر ينبئ عنه المذكور او حال من فاعل الفعل المحذوف اكتفاء
على قراءة البناء للفاعل اي يوصي بما ذكر من الوصية والدين حال كونه غير مضار للورثة بان يوصي بما زاد على الثلث
ابو السعود

للذين يعملون السوء بجهالة ملتبسين بها سفها فان ارتكاب الذنب سفه وتجاهل
ولذلك قيل من عصى الله فهو جاهل حتى ينزع عن جهالته ثم يتوبون من قريب
من زمان قريب اى قبل حضور الموت لقوله حتى اذا حضر احدهم الموت وقوله عليه
ان الله يقبل توبة عبده ما لم يغرغر وسماه قريبا لان امد الحياة قريب لقوله تعالى
قل متاع الدنيا قليل او قبل ان يشرب فى قلوبهم حبه فيطبع عليها فيتعذر عليهم الرجوع
ومن للتبعيض اى يتوبون فى اى جزء من الزمان القريب الذى هو ما قبل ان ينزل بهم
سلطان الموت او يزين السوء فاولئك يتوب الله عليهم وعد بالوفاء بما وعد به
وكتب على نفسه بقوله انما التوبة على الله وكان الله عليما فهو يعلم باخلاصهم فى التوبة
حكيما والحكيم لا يعاقب التائب وليست التوبة للذين يعملون السيئات حتى
اذا حضر احدهم الموت قال انى تبت الان ولا الذين يموتون وهم
كفار سوى بين من سوف التوبة الى حضور الموت من الفسقة والكفار وبين
من مات على الكفر فى نفى التوبة للمبالغة فى عدم الاعتداد بها فى تلك الحالة وكانه قال
وتوبة هولاء وعدم توبة هولاء سواء وقيل المراد بالذين يعملون السوء عصاة المومنين
وبالذين يعملون السيات المنافقون لتضاعف كفرهم وسوء اعمالهم وبالذين يموتون
الكفار اولئك اعتدنا لهم عذابا اليما تاكيد لعدم قبول توبتهم وبيان ان العذاب
اعد لهم لا يعجزه عذابهم متى شاء والاعتداد التهيئة من العتاد وهو العدة وقيل
اصله اعددنا فابدلت الدال الاولى تاء يا ايها الذين امنوا لا يحل لكم ان
ترثوا النساء كرها كان الرجل اذا مات وله عصبة القى ثوبه على امراته وقال
انا احق بها ثم ان شاء تزوجها بصداقها الاول وان شاء زوجها غيره واخذ صداقها
وان شاء عضلها لتفتدى بما ورثت من زوجها فنهوا عن ذلك وقيل لا يحل لكم
ان تاخذوهن على سبيل الارث فتتزوجوهن كارهات لذلك او مكرهات عليه وقرا
حمزة والكسائى كرها بالضم فى مواضعه وهما لغتان وقيل بالضم المشقة وبالفتح ما
يكره عليه ولا تعضلوهن لتذهبوا ببعض ما اتيتموهن عطف على ان ترثوا ولا
لتاكيد النفى اى ولا تمنعوهن من التزويج واصل العضل التضييق يقال عضلت
الدجاجة ببيضها وقيل الخطاب مع الازواج كانوا يحبسون النساء من غير حاجة
ورغبة حتى يرثوا منهن او يختلعن بمهورهن وقيل تم الكلام بقوله كرها ثم خاطب
الازواج ونهاهم عن العضل الا ان ياتين بفاحشة مبينة كالنشوز وسوء
العشرة وعدم التعفف والاستثناء من اعم عام الظرف او المفعول له تقديره
ولا تعضلوهن للافتداء الا وقت ان ياتين بفاحشة وعاشروهن بالمعروف
بالانصاف فى الفعل والاجمال فى القول فان كرهتموهن فعسى ان تكرهوا
شيئا ويجعل الله فيه خيرا كثيرا اى فلا تفارقوهن لكراهة النفس فانها قد

تكره ما هو اصلح دينا واكثر خيرا وقد تحب ما هو بخلافه وليكن نظركم الى ما هو اصلح
للدين وادنى الى الخير وعسى فى الاصل علة الجزاء فاقيم مقامه والمعنى فان كرهتموهن
فاصبروا عليهن فعسى ان تكرهوا شيئا وهو خير لكم وان اردتم استبدال زوج مكان
زوج تطليق امراة وتزوج اخرى واتيتم احديهن اى احدى الزوجات جمع الضمير
لانه اراد بالزوج الجنس قنطارا مالا كثيرا فلا تاخذوا منه شيئا اى من القنطار
اتاخذونه بهتانا واثما مبينا استفهام انكار وتوبيخ اى اتاخذونه باهتين واثمين
ويحتمل النصب على العلة كما فى قولك قعدت عن الحرب جبنا لان الاخذ بسبب بهتانهم
واقترافهم الماثم قيل كان الرجل منهم اذا اراد جديدة بهت التى تحته بفاحشة حتى يلجيها
الى الافتداء منه بما اعطاها ليصرفه الى تزوج الجديدة فنهوا عن ذلك والبهتان الكذب
الذى يبهت المكذوب عليه وقد يستعمل فى الفعل الباطل ولذلك فسر هنا بالظلم
وكيف تاخذونه وقد افضى بعضكم الى بعض انكار لاسترداد المهر والحال انه وصل
اليها بالملامسة ودخل بها وتقرر المهر واخذن منكم ميثاقا غليظا عهدا وثيقا وهو
حق الصحبة والممازجة او ما اوثق الله عليهم فى شانهن بقوله فامساك بمعروف او تسريح
باحسان او ما اشار اليه النبى صلعم بقوله اخذتموهن بامانة الله واستحللتم فروجهن بكلمة الله
ولا تنكحوا ما نكح اباؤكم اى ولا تنكحوا التى نكحها اباؤكم وانما ذكر ما دون من لانه
اريد به الصفة وقيل ما مصدرية على ارادة المفعول من المصدر من النساء بيان ما
نكح على الوجهين الا ما قد سلف استثناء من المعنى اللازم للنهى وكانه قيل تستحقون العقاب
بنكاح ما نكح اباؤكم الا ما قد سلف او من اللفظ للمبالغة فى التحريم والتعميم كقوله
ولا عيب فيهم غير ان سيوفهم بهن فلول من قراع الكتائب والمعنى ولا تنكحوا حلائل ابائكم
الا ما قد سلف ان امكنكم ان تنكحوهن وقيل الاستثناء منقطع ومعناه لكن ما قد سلف
فانه لا مواخذة عليه لا انه مقرر انه كان فاحشة ومقتا علة للنهى اى ان نكاحهن كان فاحشة
عند الله ما رخص فيه لامة من الامم ممقوتا عند ذوى المروات ولذلك سمى ولد الرجل من
زوجة ابيه المقتى وساء سبيلا سبيل من يراه ويفعله حرمت عليكم امهاتكم
وبناتكم واخواتكم وعماتكم وخالاتكم وبنات الاخ وبنات الاخت ليس المراد
تحريم ذواتهن بل تحريم نكاحهن لانه معظم ما يقصد منهن ولانه المتبادر الى الفهم كتحريم
الاكل من قوله حرمت عليكم الميتة ولان ما قبله وما بعده فى النكاح وامهاتكم تعم من ولدتك
او ولدت من ولدك وان علت وبناتكم تعم من ولدتها او ولدت من ولدها
وان سفلت واخواتكم الاخوات من الاوجه الثلثة وكذلك الباقيات والعمة كل انثى ولدها
من ولد ذكرا ولدك والخالة كل انثى ولدها من ولد انثى ولدتك قريبا او بعيدا وبنات
الاخ وبنات الاخت تتناول القربى والبعدى وامهاتكم اللاتى ارضعنكم واخواتكم
من الرضاعة نزل الله الرضاعة منزلة النسب حتى سمى المرضعة اما والمراضعة اختا وامرها

على قياس النسب باعتبار المرضعة ووالد الطفل الذي در عليه اللبن قال عليه السلام
يحرم من الرضاع ما يحرم من النسب واستثنى اخت ابن الرجل وام اخيه من الرضاع
من هذا الاصل ليس بصحيح فان حرمتهما في النسب بالمصاهرة دون النسب وامهات
نسائكم وربائبكم اللاتي في حجوركم من نسائكم اللاتي دخلتم بهن ذكر اولا
محرمات النسب ثم الرضاعة لان لها لحمة كلحمة النسب ثم محرمات المصاهرة فان تحريمهن
عارض لمصلحة الزواج والربائب جمع ربيبة والربيب ولد المرأة من آخر سمي به لانه
يربه كما يرب ولده في غالب الامر فعيل بمعنى مفعول وانما لحقته التاء لانه صار اسما
واللاتي بصلتها صفة لها مقيدة للفظ والحكم بالاجماع قضية للنظم ولا يجوز تعليقها
بالامهات ايضا لان من اذا علقتها بالربائب كانت ابتدائية وان علقتها بالامهات
لم يجز ذلك بل وجب ان يكون بيانا لنسائكم والكلمة الواحدة لا تحمل على معنيين عند جمهور
الادباء اللهم اذا جعلتها للاتصال كقوله فاني لست منك ولست مني على معنى ان امهات
النساء وبناتهن متصلات بهن لكن الرسول صلى الله عليه وسلم فرق بينهما فقال في رجل تزوج امرأة ف
طلقها قبل ان يدخل بها انه لا بأس ان يتزوج ابنتها ولا يحل له ان يتزوج امها واليه ذهب عامة
العلماء غير انه روي عن علي رضي الله عنه تقييد التحريم فيهما ولا يجوز ان يكون الموصول الثاني صفة
للنساءين لان عاملهما مختلف وفائدة قوله في حجوركم تقوية العلة وتكميلها والمعنى ان الربائب
اذا دخلتم بامهاتهن وهن في احتضانكم او بصدده تقوى الشبه بينها وبين اولادكم فصارت
احقاء بان تجروها مجراهم لا تقييد الحرمة واليه ذهب جمهور العلماء وقد روي عن علي رضي الله عنه
جعله شرطا والامهات والربائب تتناول القريبة والبعيدة وقوله دخلتم بهن اي دخلتم
معهن الستر وهو كناية عن الجماع ويؤثر فيه ما ليس بزنا كالوطء بشبهة او ملك يمين وعند ابي
حنيفة لمس المنكوحة ونحوه كالدخول فان لم تكونوا دخلتم بهن فلا جناح عليكم
تصريح بعد اشعار دفعا للقياس وحلائل ابنائكم زوجاتهم سميت الزوجة حليلة لحلها
او لحلولها مع الزوج الذين من اصلابكم احتراز عن المتبنين لا عن ابناء الولد وان
تجمعوا بين الاختين في موضع الرفع عطفا على المحرمات والظاهر ان الحرمة
غير مقصورة على النكاح فان المحرمات المعدودة كما هي محرمة في النكاح فهي محرمة
في ملك اليمين ولذلك قال عثمان وعلي رضي الله عنهما حرمتهما آية واحلتهما آية يعنيان هذه
الآية وقوله او ما ملكت ايمانكم فرجح علي التحريم وعثمان التحليل وقول علي اظهر
لان آية التحليل مخصوصة في غير ذلك لقوله عليه السلام ما اجتمع الحلال والحرام الا
غلب الحرام الا ما قد سلف استثناء عن لازم المعنى او منقطع معناه لكن ما سلف مغفور
لقوله ان الله كان غفورا رحيما والمحصنات من النساء ذوات الازواج احصنهن التزويج
او الازواج وقرأ الكسائي بكسر الصاد لانهن احصن فروجهن الا ما ملكت ايمانكم
يريد ما ملكت ايمانهم من اللاتي سبين ولهن ازواج كفار فهن حلال للسابين والنكاح مرتفع

قوله صلى الله عليه وسلم يحرم من الرضاع ما يحرم من النسب هو حكم كلي جار على عمومه واما ام اخيه لاب واخت ابنه لام
وام ام ابنه فليست حرمتهن من جهة النسب حتى تخل بعمومه ضرورة حلهن في صورة الرضاع بل من جهة المصاهرة الا ترى ان ام اخيه
موطوءة ابيه والاخت بنت موطوءته وام ام ابنه ام موطوءته تفسير ابو السعود
قوله وامرها مبتدأ وعلى قياس النسب خبره وباعتبار المرضعة خبر ثان اي وامر الرضاعة كائن على قياس النسب
متحقق باعتبار المرضعة وزوجها الذي نزل لبنها بسببه كما ان الام نسبا هي صاحبة اللبن والاب نسبا هو الذي
كان سببا لنزول لبنها فكذلك الام والاب رضاعا قال الامام انه تعالى نص في هذه الآية على حرمة الامهات والاخوات
من الرضاعة الا ان الحرمة غير مقصورة عليهن لقوله صلى الله عليه وسلم يحرم من الرضاع ما يحرم من النسب وانما عرف
الامر كذلك بدلالة هذه الآية وذلك لانه تعالى سمى المرضعة اما والمرضعة اختا فقد نبه بذلك على ان الرضاع جار مجرى
وذلك لانه تعالى حرم بسبب النسب سبعا اثنتان منها هما المنتسبتان بطريق الولادة وهما الامهات والبنات وخمس منها
بطريق الاخوة وهن الاخوات والعمات والخالات وبنات الاخ وبنات الاخت ثم انه تعالى لما شرع بعد ذلك في
احوال الرضاع ذكر من كل واحد من هذين القسمين صورة واحدة تنبيها بها على الباقي فذكر من قسم قرابة الولادة الامهات
ومن قسم قرابة الاخوة الاخوات ونبه بذكر هذين المثالين من هذين القسمين على ان الحال في باب الرضاع كما هو في
باب النسب ثم انه صلى الله عليه وسلم اكد هذا البيان بصريح قوله يحرم من الرضاع ما يحرم من النسب فصار صريح
الحديث مطابقا لمفهوم الآية فقول المص وامرها على قياس النسب اختصار لخلاصة كلام الامام ثم قال الام
من الرضاع هي التي ارضعتك وكذلك كل امرأة انتسبت الى تلك المرضعة بالامومة من جهة النسب او من جهة الرضاع وكذلك
القول في الاب رضاعا فانه الى [illegible] كما في الام واذا عرفت الام والاب فقد عرفت البنت ايضا بذلك الطريق
واما الاخوات فثلاث الاولى اختك لابيك وامك وهي الصغيرة الاجنبية التي ارضعتها امك بلبن ابيك سواء ارضعتها
معك او مع ولد قبلك او بعدك والثانية اختك لابيك دون امك وهي التي ارضعتها غير امك بلبن ابيك
والثالثة اختك لامك دون ابيك وهي التي ارضعتها امك بلبن رجل آخر واذا عرفت ذلك سهل عليك معرفة العمات
والخالات وبنات الاخ وبنات الاخت
قوله واستثنى اخت ابن الرجل قال في الكشاف قالوا تحرم الرضاع كحرمة النسب الا في مسألتين احداهما انه لا يجوز للرجل
ان يتزوج اخت ابنه من النسب ويجوز ان يتزوج اخت ابنه من الرضاع لان المعنى في النسب وطؤه امها وهذا المعنى غير موجود
في الرضاع والثانية لا يجوز ان يتزوج ام اخيه من النسب ويجوز في الرضاع لان المانع في النسب وطء الاب اياها وهذا المعنى
غير موجود في الرضاع انتهى قوله لان الحرمة في النسب [illegible]
[illegible]

قوله

الا اذا جعلتها للاتصال ... فان كلمة من قد تستعمل في معنى اتصال الشيء بالشيء في نحو ... ثم متعلق بالامهات
والربائب جميعا حالا منهما لكون الاتصال بالنساء قدرا مشتركا بين الامهات والربائب فان امهات النساء متصلات
بالنساء لكونهن امهاتهن وكذا الربائب متصلات بالنساء اللاتي هن امهاتهن لكونهن بناتهن قال السعد رحمه الله ان
جميع معاني من راجعة الى معنى ابتداء الغاية ... ونحو قد تستعمل في معنى
اتصال الشيء وهو يتناول الامهات والربائب جميعا حالا منهما ونظيره ... اتصال الامهات بالنساء بعد اضافتهن
الاماهات ... لكن الاتفاق على ان امهات النساء ... الى هذا المعنى فمن ههنا
جعل ... بربائبكم فقط ... سعد الدين
قوله لكن الرسول ... استثنى ... قوله الا اذا جعلتها
للاتصال فانه لما كان ... يجوز تعلق ... ثم بالامهات والربائب جميعا بناء على جعل كلمة من
للاتصال ... ذلك الوهم بان جعلها للاتصال والكن ... اللغة
قوله مقيدة للفظ الموصوف
عبارة عن كونها تابعة للفظ من حيث الاعراب ... في الاحكام اللفظية وكونها مقيدة للحكم عبارة عن كون الحكم
مشروطا بتحقق مضمون الصفة المقيدة فان حكم الربائب مشروط بكونهن بنات النسوة المدخول بهن وذلك في حجوركم لا كونهن
بل هو مذكور ... هو الغالب من احوالهن
قوله تقوية العلة ... جعله المصنف تقوية العلة ... الكشاف
نفس العلة ... فانه ... في حجوركم التعليل ... ونظر المصنف ... في كلامهما اشارة الى عدم اعتبار مفهوم الصفة
انها يكون ... فلا يلزم اعتبار المفهوم ...
قوله ويوثر ما يليس ... ما جعل الدخول بالام الذي هو شرط تحريم الربيبة كناية عن جماعها ... الوطء سواء كان
بطريق النكاح او الزنا دل ذلك على ان الزنا بالام يوجب حرمة البنت وقد ذهب الحنفية الى ان الزنا يوجب حرمة المصاهرة
اي يثبت بها حرمات اربعة ... والواطئ ... لواطئ امهاتها ... وبناتها ... وذهب
الى ان الزنا لا يوجب حرمة المصاهرة ... المصنف ... الدخول المحرم ... وحصل الدخول بما ليس بزنا
قوله في موضع الرفع عطف على المحرمات ... حرمت عليكم امهاتكم وبناتكم والجمع بين الاختين ... ليس المراد تحريم
ذواتهن ... نكاحهن فيكون المعنى حرمت عليكم نكاحهن والجمع بين الاختين نكاحا ... ملك اليمين ... كل واحدة منهما
ملك يمين فانه جاز ... صاحب الكشاف ... امير المؤمنين
... فقال ... حرمتهما اية ... فان نكاحهما يقتضي ... الجمع بينهما ... واحلتهما اية ...
قوله تعالى وان خفتم الا تعدلوا فواحدة او ما ملكت ايمانكم فانه يقتضي حل ... من الواحدة ... والاختين
... والعموم ... بينهما وطئا واستمتاعا
فرجح علي رضي الله عنه التحريم وعثمان رضي الله عنه التحليل ... المصنف ... قول من يرجح التحريم ... الاول ... اية التحريم
تختص بالاختين ... اية التحليل عام ... والاصل عند الشافعي ... الخاص والعام ... العام على ...
... الخاص ... مطلقا ... الاختين ... الاختين فيا
على التحريم ... وهو قول علي رضي الله عنه ... قوله صلى الله عليه وسلم ما اجتمع الحلال والحرام الا غلب الحرام
وقول المصنف والظاهر ان الحرمة غير مقصورة على النكاح ... المحرمات ... تحريم نكاحهن ...
... التحريم ... الاستمتاع مطلقا ... النكاح او ملك اليمين ... النكاح والاستمتاع بملك اليمين ...
... امير المؤمنين رضي الله عنهم ... ملك اليمين ايضا ... المشهور ...
الجمع بين الاختين ... ملك اليمين ... حرمت الثانية ...
قوله ... المتبنى فان حليلته ليست بحرام على من تبناه ... انه صلى الله عليه وسلم تزوج زينب بنت جحش
... صلى الله عليه وسلم وكان زوجها زيد بن حارثة تبناه رسول الله صلى الله عليه وسلم
قوله تعالى وربائبكم اللاتي في حجوركم فان قلت ما فائدة قوله في حجوركم قلت فائدة التعليل للتحريم وانهن لاختصاصهن بكم ولكونهن ...
في حكم ... في حجوركم ... ازواجكم ... اولادكم ... قال السعد
... فائدة التعليل ... الحكم ... شرط مفهوم ...
قوله تعالى او ما ملكت ايمانكم ... عطف ... في قوله وان خفتم الا تعدلوا فواحدة او ما ملكت
ايمانكم ... من غير تفرقة بين الواحدة والكثير والاختين وغيرهما ... سعد الدين
قوله والظاهر ان الحرمة غير مقصورة على النكاح ... ملك اليمين ... بعض المحرمات ...
... ملك اليمين في الامهات والبنات والاخوات والعمات والخالات ... النكاح ...
... النكاح الذي هو ... الاستمتاع ... النكاح او ملك اليمين
قوله استثناء ... صاحب الكشاف ... توجيه الاستثناء الا كونه منقطعا وقال العلامة التفتازاني
... متصلا ومنقطعا ... قوله تعالى ولا تنكحوا ما نكح اباؤكم من النساء
الا ما قد سلف ... ان الله كان غفورا رحيما وعقب ذلك بقوله انه كان فاحشة ومقتا وساء
... الاستثناء التاكيد والمبالغة ... ان الله كان غفورا رحيما ... الغفران والرحمة لا يناسب
... التحريم بخلاف قوله تعالى انه كان فاحشة ... مبالغة في التحريم ... الاقتصار على كونه
منقطعا وترك الاحتمال الاول الذي ذكره البيضاوي ههنا

بالنبي لقول ابي سعيد اصبنا سبايا يوم اوطاس ولهن ازواج فكرهنا ان نقع عليهن فسألنا
النبي صلعم فنزلت الاية فاستحللناهن واياه عنى الفرزدق بقوله، وذات حليل انكحتها رماحنا،
حلال لمن يبني بها لم تطلق، وقال ابو حنيفة لو سبي الزوجان لم يرتفع النكاح ولم تحل
للسابي واطلاق الاية والحديث حجة عليه كتاب الله عليكم مصدر مؤكد اي
كتب الله عليكم تحريم هؤلاء كتابا وقرئ كتب الله بالجمع والرفع اي هذه فرائض الله عليكم
وكتب الله بلفظ الفعل واحل لكم عطف على الفعل المضمر الذي نصب كتاب الله
وقرا حمزة والكسائي وحفص عن عاصم على البناء للمفعول عطفا على حرمت ما وراء ذلكم
ما سوى المحرمات الثمان المذكورة وخص عنه بالسنة ما في معنى المذكورات كسائر محرمات
الرضاع والجمع بين المراة وعمتها وخالتها ان تبتغوا باموالكم محصنين غير مسافحين مفعول له
فالمعنى احل لكم ما وراء ذلكم ارادة ان تبتغوا باموالكم بالصرف في مهورهن او اثمانهن
في حال كونكم محصنين غير مسافحين ويجوز ان لا يقدر مفعول تبتغوا وكانه قيل ارادة ان
تصرفوا اموالكم محصنين غير مسافحين او بدل من ما وراء ذلكم بدل الاشتمال واحتج به الحنفية على ان
المهر لا بد ان يكون مالا ولا حجة فيه والاحصان العفة فانها تحصن النفس عن اللوم والعقاب
والسفاح الزنا من السفح وهو صب المني فانه الغرض منه فما استمتعتم به منهن فمن تمتعتم به
من المنكوحات او فما استمتعتم به منهن من جماع او عقد عليهن فآتوهن اجورهن مهورهن
فان المهر في مقابلة الاستمتاع فريضة حال من الاجور بمعنى مفروضة او صفة مصدر محذوف
اي ايتاء مفروضا او مصدر مؤكد ولا جناح عليكم فيما تراضيتم به من بعد الفريضة
فيما يزاد على المسمى او يحط عنه بالتراضي او فيما تراضيا به من نفقة او مقام او فراق وقيل
نزلت الاية في المتعة التي كانت ثلثة ايام حين فتحت مكة ثم نسخت روي انه عليه السلام
اباحها ثم اصبح يقول يا ايها الناس اني كنت امرتكم بالاستمتاع من هذه النساء الا ان الله حرم
ذلك الى يوم القيمة وهي النكاح الموقت بوقت معلوم سمي بها اذ الغرض منه مجرد الاستمتاع
بالمراة وتمتيعها بما تعطى وجوزها ابن عباس ثم رجع عنه ان الله كان عليما بالمصالح حكيما
فيما شرع من الاحكام ومن لم يستطع منكم طولا غنى واعتلاء واصله الفضل
والزيادة ان ينكح المحصنات المؤمنات في موضع النصب بطولا او بفعل مقدر صفة
له اي ومن لم يستطع منكم ان يعتلي نكاح المحصنات او من لم يستطع غنى يبلغ به نكاح المحصنات
يعني الحرائر لقوله فمما ملكت ايمانكم من فتياتكم المؤمنات يعني الاماء المؤمنات
وظاهر الاية حجة للشافعي في تحريم نكاح الامة على من ملك ما يجعله صداق حرة
ومنع نكاح الامة الكتابية مطلقا واول ابو حنيفة طول المحصنات بان يملك فراشهن
على ان النكاح هو الوطء وحمل قوله من فتياتكم المؤمنات على الافضل كما حمل عليه
في قوله المحصنات المؤمنات ومن اصحابنا من حمله ايضا على التقييد وجوز نكاح الامة
لمن قدر على الحرة الكتابية دون المؤمنة حذرا عن مخالطة الكفار وموالاتهم والمحذور

۱۰۷

قوله تعالى ولا متخذات اخدان عطف على مسافحات ولا لتاكيد ما في غير من معنى النفي والخدن الصاحب
قال ابو زيد الاخدان الاصدقاء على الفاحشة والواحد خدن وخدين والجمع اخدان
فالمراد بيان عدم تفاوت حدهن بالاحصان

قوله ويهديكم سنن الذين من قبلكم
قوله يعني الحرائر اطلق عليها المحصنات لانهن المحصونات عن ذل الرق
قوله وهذا شرط آخر لنكاح الاماء
قوله والله يريد ان يتوب عليكم الجملة مبتدأة مسوقة لبيان كمال منفعة ما اراده تعالى
قوله تعالى يريد الله ليبين لكم اصله يريد الله ان يبين لكم فزيدت اللام مؤكدة لارادة التبيين

٢٢٢

في نكاح الامة رق الولد وما فيه من المهانة ونقصان حق الزوج والله اعلم بايمانكم
فاكتفوا بظاهر الايمان فانه العالم بالسرائر وبتفاضل ما بينكم في الايمان فرب امة
تفضل الحرة فيه ومن حقكم ان تعتبروا فضل الايمان لا فضل النسب والمراد تانيسهم بنكاح
الاماء ومنعهم عن الاستنكاف منه ويؤيده بعضكم من بعض اي انتم وارقاؤكم
متناسبون نسبكم من ادم ودينكم الاسلام فانكحوهن باذن اهلهن يريد اربابهن واعتبار
اذنهم مطلقا لا اشعار له على ان لهن ان يباشرن العقد بانفسهن حتى يحتج به الحنفية وآتوهن
اجورهن ادوا اليهن مهورهن باذن اهلهن فحذف ذلك لتقدم ذكره او الى مواليهن
فحذف المضاف للعلم بان المهر للسيد لانه عوض حقه فيجب ان يؤدى اليه وقال مالك المهر للامة
ذهابا الى الظاهر بالمعروف بغير مطل واضرار ونقصان محصنات عفائف غير مسافحات
غير مجاهرات بالسفاح ولا متخذات اخدان اخلاء في السر فاذا احصن بالتزويج
وقرا ابو بكر وحمزة والكسائي بفتح الهمزة والباقون بضم الهمزة وكسر الصاد فان اتين
بفاحشة زنا فعليهن نصف ما على المحصنات يعني الحرائر من العذاب من الحد
لقوله وليشهد عذابهما طائفة من المؤمنين وهو يدل على ان حد العبد نصف حد الحر وانه لا يرجم
لان الرجم لا يتنصف ذلك اي نكاح الاماء لمن خشي العنت منكم لمن خاف الوقوع
في الزنا وهو في الاصل انكسار العظم بعد الجبر مستعار لكل مشقة وضرر ولا ضرر اعظم من
مواقعة الاثم بافحش القبائح وقيل المراد به الحد وهذا شرط اخر لنكاح الاماء وان تصبروا
خير لكم اي وصبركم عن نكاح الاماء متعففين خير لكم قال عليه السلام الحرائر صلاح
البيت والاماء هلاكه والله غفور لمن لم يصبر رحيم بان رخص له يريد الله ليبين لكم
ما تعبدكم به من الحلال والحرام او ما خفي عليكم من مصالحكم ومحاسن اعمالكم وليبين
مفعول يريد واللام مزيدة لتاكيد معنى الاستقبال اللازم للارادة كما في قول قيس
بن سعد اردت لكيما يعلم الناس انه سراويل قيس والوفود شهود وقيل المفعول محذوف
وليبين مفعول له اي يريد الحق لاجله ويهديكم سنن الذين من قبلكم مناهج
من تقدمكم من اهل الرشد لتسلكوا طريقهم ويتوب عليكم ويغفر لكم ذنوبكم
او يرشدكم الى ما يمنعكم عن المعاصي ويحثكم على التوبة او الى ما يكون كفارة لسيئاتكم
والله عليم بها حكيم في وضعها والله يريد ان يتوب عليكم كرره للتاكيد والمبالغة
ويريد الذين يتبعون الشهوات يعني الفجرة فان اتباع الشهوات الائتمار لها واما المتعاطي
لما سوغه الشرع منها دون غيره فهو متبع له في الحقيقة لا لها وقيل المجوس وقيل اليهود
فانهم يحلون الاخوات من الاب وبنات الاخ وبنات الاخت ان تميلوا عن الحق ميلا
عظيما بالاضافة الى ميل من اقترف
خطيئة على ندور غير مستحل لها يريد الله ان يخفف عنكم فلذلك شرع لكم
الشريعة الحنيفية السمحة السهلة ورخص لكم في المضايق كاحلال نكاح الامة وخلق

الإنسان ضعيفا لا يصبر عن الشهوات ولا يتحمل مشاق الطاعات وعن ابن عباس رضي
ثمان آيات في سورة النساء هن خير لهذه الأمة مما طلعت عليه الشمس وغربت هذه الثلاث
وإن تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه إن الله لا يغفر أن يشرك به إن الله لا يظلم مثقال ذرة ومن
يعمل سوءا ما يفعل الله بعذابكم يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا أموالكم بينكم
بالباطل بما لم يبحه الشرع كالغصب والربا والقمار إلا أن تكون تجارة عن تراض
منكم استثناء منقطع أي ولكن كون تجارة عن تراض غير منهي عنه أو اقصدوا كون تجارة
وعن تراض صفة لتجارة أي تجارة صادرة عن تراضي المتعاقدين وتخصيص التجارة من الوجوه
التي بها يحل تناول مال الغير لأنها أغلب وأوفق لذوي المروءات ويجوز أن يراد بها الانتقال مطلقا
وقيل المقصود بالنهي المنع عن صرف المال فيما لا يرضاه الله وبالتجارة صرفه فيما يرضاه
وقرأ الكوفيون تجارة بالنصب على كان الناقصة وإضمار الاسم أي إلا أن تكون التجارة أو
الجهة تجارة ولا تقتلوا أنفسكم بالبخع كما تفعله جهلة الهند أو بإلقاء النفس إلى التهلكة
ويؤيده ما روي أن عمرو بن العاص تأوله في التيمم لخوف البرد فلم ينكر عليه النبي صلعم أو بارتكاب
ما يؤدي إلى قتلها أو باقتراف ما يذلها ويرديها فإنه القتل الحقيقي للنفس وقيل المراد بالأنفس
من كان من أهل دينهم فإن المؤمنين كنفس واحدة جمع في التوصية بين حفظ النفس والمال
الذي هو شقيقها من حيث إنه سبب قوامها استبقاء لهم ريثما تستكمل النفوس وتستوفي
فضائلها رأفة بهم ورحمة كما أشار إليه بقوله إن الله كان بكم رحيما أي أمر ما أمر ونهى
عما نهى لفرط رحمته عليكم معناه أنه كان بكم يا أمة محمد رحيما لما أمر بني إسرائيل بقتل الأنفس ونهاكم عنه
ومن يفعل ذلك إشارة إلى القتل أو ما سبق من المحرمات عدوانا وظلما إفراطا في التجاوز عن الحق
وإتيانا بما لا يستحقه وقيل أراد بالعدوان التعدي على الغير وبالظلم الظلم على النفس بتعريضها للعقاب فسوف
نصليه نارا ندخله إياها وقرئ بالتشديد من صلى وبفتح النون من صلاه يصليه ومنه شاة مصلية
ويصليه بالياء والضمير لله أو لذلك من حيث إنه سبب الصلي وكان ذلك على الله يسيرا لا عسر فيه ولا
صارف عنه إن تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه كبائر الذنوب التي نهاكم الله ورسوله عنها وقرئ
كبير على إرادة الجنس نكفر عنكم سيئاتكم نغفر لكم صغائركم ونمحها عنكم واختلف في الكبائر
والأقرب أن الكبيرة كل ذنب رتب الشارع عليه حدا أو صرح بالوعيد فيه وقيل ما علم حرمته بقاطع
وعن النبي صلعم أنها سبع الإشراك بالله وقتل النفس التي حرم الله وقذف المحصنة وأكل مال اليتيم
والربا وعقوق الوالدين وعن ابن عباس الكبائر إلى سبعمائة أقرب منها إلى سبع وقيل أراد
هنا أنواع الشرك لقوله إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك وقيل صغر الذنوب
وكبرها بالإضافة إلى ما فوقها وما تحتها فأكبر الكبائر الشرك وأصغر الصغائر حديث النفس
وبينهما وسائط يصدق عليها الأمران فمن عن له أمران منها ودعت نفسه إليهما بحيث لا يتمالك
فكفها عن أكبرهما كفر عنه ما ارتكبه لما استحق من الثواب على اجتناب الأكبر ولعل هذا مما
يتفاوت باعتبار الأشخاص والأحوال ألا ترى أنه تعالى عاتب نبيه في كثير من خطراته التي

١٠٧

لم تقدم على غيره خطيئة فضلا ان تصر عليها وندخلكم مدخلا كريما الجنة وما وعد من الثواب
او ادخالا مع كرامة وقرأ نافع بفتح الميم وهو ايضا يحتمل المكان والمصدر ولا تتمنوا ما فضل
الله به بعضكم على بعض في الامور الدنيوية كالجاه والمال فلعل عدمه خير والمقتضي للمنع كونه
ذريعة الى التحاسد والتعادي معربة عن عدم الرضا بما قسم الله له وانه تشه لحصول الشيء له
من غير طلب وهو مذموم لان تمني ما لم يقدر له معارضة لحكمة القدر وتمني ما قدر له بكسب
بطالة وتضييع حظ وتمني ما قدر له بغير كسب ضايع ومحال للرجال نصيب مما اكتسبوا
وللنساء نصيب مما اكتسبن بيان لذلك اي لكل من الرجال والنساء فضل ونصيب بسبب
ما اكتسب ومن اجله فاطلبوا الفضل بالعمل لا بالحسد والتمني كما قال عليه السلام ليس الايمان
بالتمني وقيل المراد نصيب الميراث وتفضيل الورثة بعضهم على بعض فيه وجعل ما قسم لكل
منهم على حسب ما عرف من حاله الموجبة للزيادة والنقص كالمكتسب واسألوا الله من فضله اي
لا تتمنوا ما للناس واسألوا الله مثله من خزائنه التي لا تنفد وهو يدل على ان المنهي هو الحسد او لا
تتمنوا واسألوا الله من فضله بما يقربه ويسوقه اليكم ان الله كان بكل شيء عليما فهو يعلم
ما يستحقه كل انسان فيفضل عن علم وتبيان روي ان ام سلمة قالت يا رسول الله يغزو الرجال
ولا نغزو وانما لنا نصف الميراث ليتنا كنا رجالا فنزلت ولكل جعلنا موالي مما
ترك الوالدان والاقربون اي ولكل تركة جعلنا وراثا يلونه ويحوزونه ومما ترك
بيان لكل مع الفصل بالعامل او ولكل ميت جعلنا وراثا مما تركه على ان من صلة موالي
لانه في معنى الوراث وفي ترك ضمير كل والوالدان والاقربون استيناف مفسر للموالي وفيه
خروج الاولاد فان الاقربون لا يتناولهم كما لا يتناول الوالدان او ولكل قوم جعلناهم
موالي حصة كل والراجع اليه محذوف على هذا فالجملة من مبتدأ وخبر والذين عقدت ايمانكم
موالي الموالاة كان الحليف يورث السدس من مال حليفه فنسخ بقوله واولو الارحام بعضهم
اولى ببعض وعن ابي حنيفة لو اسلم رجل على يد رجل وتعاقدا على ان يتعاقلا ويتوارثا صح
وورث او الازواج على ان العقد عقد النكاح وهو مبتدأ ضمن معنى الشرط وخبره فآتوهم
نصيبهم او منصوب بمضمر يفسره ما بعده كقولك زيدا فاضربه او معطوف على الوالدان
وقوله فآتوهم جملة مسببة عن الجملة المتقدمة مؤكدة لها والضمير للموالي وقرأ الكوفيون
عقدت بمعنى عقدت عهودهم ايمانكم فحذف العهود واقيم الضمير المضاف اليه مقامه ثم
حذف كما حذف في القراءة الاخرى ان الله على كل شيء شهيدا تهديد على منع نصيبهم الرجال
قوامون على النساء يقومون عليهن قيام الولاة على الرعية وعلل ذلك بامرين وهبي وكسبي
فقال بما فضل الله بعضهم على بعض بسبب تفضيله الرجال على النساء بكمال العقل وحسن
التدبير ومزيد القوة في الاعمال والطاعات ولذلك خصوا بالنبوة والامامة والولاية
واقامة الشعائر والشهادة في مجامع القضايا ووجوب الجهاد والجمعة ونحوها والتعصيب
وزيادة السهم في الميراث والاستبداد بالفراق وبما انفقوا من اموالهم في نكاحهن كالمهر والنفقة

روي ان سعد بن الربيع احد نقباء الانصار نشزت عليه امرأته حبيبة بنت زيد بن ابي زهير
فلطمها فانطلق بها ابوها الى رسول الله صلعم فشكى فقال عليه السلام لتقتص منه فنزلت
فقال اردنا امرا واراد الله امرا والذي اراد الله خير فالصالحات قانتات مطيعات لله
قائمات بحقوق الازواج حافظات للغيب لمواجب الغيب اي يحفظن في غيبة الازواج ما
يجب حفظه في النفس والمال وعنه عليه السلام خير النساء امرأة ان نظرت اليها سرتك وان امرتها
اطاعتك واذا غبت عنها حفظتك في مالها ونفسها وتلا الآية وقيل لاسرارهم بما حفظ الله
بحفظ الله اياهن بالامر على حفظ الغيب والحث عليه بالوعد والوعيد والتوفيق له او بالذي
حفظ الله لهن عليهم من المهر والنفقة والقيام بحفظهن والذب عنهن وقرئ بما حفظ الله بالنصب
على ان ما موصولة فانها لو كانت مصدرية لم يكن لحفظ فاعل والمعنى بالامر الذي حفظ حق الله
او طاعته وهو التعفف والشفقة على الرجال واللاتي تخافون نشوزهن عصيانهن و
ترفعهن عن مطاوعة الازواج من النشز فعظوهن واهجروهن في المضاجع في المراقد
فلا تدخلوهن تحت اللحف او لا تباشروهن فيكون كناية عن الجماع وقيل المضاجع المبايت
اي لا تبايتوهن واضربوهن يعني ضربا غير مبرح ولا شاين والامور الثلاثة مترتبة
ينبغي ان يتدرج فيها فان اطعنكم فلا تبغوا عليهن سبيلا بالتوبيخ والايذاء والمعنى
فازيلوا عنهن التعرض واجعلوا ما كان منهن كان لم يكن فان التايب من الذنب كمن لا
ذنب له ان الله كان عليا كبيرا فاحذروه فانه اقدر عليكم منكم على من تحت ايديكم او انه
على علو شانه يتجاوز عن سياتكم ويتوب عليكم فانتم احق بالعفو عن ازواجكم او انه متعال
ويكبر ان يظلم احدا او ينتقص حقه وان خفتم شقاق بينهما خلافا بين المرأة وزوجها اضمرهما
وان لم يجر ذكرهما لجري ما يدل عليهما واضافة الشقاق الى الظرف اما لاجرائه مجرى
المفعول به كقوله يا سارق الليلة اهل الدار او الفاعل كقولهم نهارك صائم فابعثوا حكما
من اهله وحكما من اهلها فابعثوا ايها الحكام متى اشتبه عليكم حالهما لتبيين الامر او
اصلاح ذات البين رجلا وسيطا يصلح للحكومة والاصلاح من اهله واخر من اهلها
فان الاقارب اعرف ببواطن الاحوال واطلب للصلاح وهذا على وجه الاستحباب
فلو نصبا من الاجانب جاز وقيل الخطاب للازواج والزوجات واستدل به على جواز
التحكيم والاظهر ان النصب لاصلاح ذات البين او لتبيين الامر ولا يليان الجمع والتفريق
الا باذن الزوجين وقال مالك لهما ان يتخالعا ان وجدا الصلاح فيه ان يريدا اصلاحا يوفق الله
بينهما الضمير الاول للحكمين والثاني للزوجين اي ان قصدا الاصلاح اوقع الله بحسن سعيهما الموافقة
بين الزوجين وقيل كلاهما للحكمين اي ان قصدا الاصلاح يوفق الله بينهما لتتفق كلمتهما ويحصل مقصودهما
وقيل للزوجين اي ان ارادا الاصلاح وزوال الشقاق اوقع الله بينهما الالفة والوفاق وفيه تنبيه
على ان من اصلح نيته فيما يتحراه اصلح الله مبتغاه ان الله كان عليما خبيرا بالظواهر والبواطن فيعلم
كيف يرفع الشقاق ويوقع الوفاق واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا صنما او غيره او

اويا من الاشراك جليا او خفيا وبالوالدين احسانا واحسنوا بهما احسانا وبذي
القربى وبصاحب القرابة واليتامى والمساكين والجار ذي القربى الذي قرب جواره
وقيل الذي له مع الجوار قرب واتصال بنسب او دين وقرئ بالنصب على الاختصاص تعظيما
لحقه والجار الجنب البعيد او الذي لا قرابة له وعنه عليه السلام الجيران ثلثة فجار له
ثلثة حقوق حق الجوار وحق القرابة وحق الاسلام وجار له حقان حق الجوار وحق الاسلام وجار
له حق واحد حق الجوار وهو المشرك من اهل الكتاب والصاحب بالجنب الرفيق في امر حسن
كتعلم وتصرف وصناعة وسفر فانه صحبك وحصل بجنبك وقيل المرأة وابن السبيل المسافر
او الضيف وما ملكت ايمانكم العبيد والاماء ان الله لا يحب من كان مختالا متكبرا
يانف عن اقاربه وجيرانه واصحابه ولا يلتفت اليهم فخورا يتفاخر عليهم الذين يبخلون و
يامرون الناس بالبخل بدل من قوله من كان او نصب على الذم او رفع عليه اي هم الذين
او مبتدا خبره محذوف تقديره الذين يبخلون بما منحوا به ويامرون الناس بالبخل وقرا حمزة
والكسائي بالبخل بفتح الحرفين وهي لغة ويكتمون ما آتاهم الله من فضله الغنى و
العلم احقا بكل ملامة واعتدنا للكافرين عذابا مهينا وضع الظاهر فيه موضع المضمر اشعارا
بان من هذا شانه فهو كافر لنعمة الله ومن كان كافرا لنعمته فله عذاب يهينه كما اهان النعمة
بالبخل والاخفاء والآية نزلت في طائفة من اليهود كانوا يقولون للانصار تنصحا لا تنفقوا
اموالكم فانا نخشى عليكم الفقر وقيل في الذين كتموا صفة محمد صلعم والذين ينفقون اموالهم
رئاء الناس عطف على الذين يبخلون او الكافرين وانما شاركهم في الذم والوعيد لان البخل
والسرف الذي هو الانفاق على ما لا ينبغي من حيث انهما طرفا افراط وتفريط سواء في القبح و
استجلاب الذم او مبتدا خبره محذوف يدل عليه قوله ومن يكن الشيطان ولا يؤمنون بالله
ولا باليوم الآخر ليتحروا بالانفاق مراضيه وثوابه وهم مشركوا مكة وقيل المنافقون ومن
يكن الشيطان له قرينا فساء قرينا تنبيه على ان الشيطان قرنهم فحملهم على ذلك وزينه لهم
كقوله ان المبذرين كانوا اخوان الشياطين والمراد ابليس واعوانه الداخلة والخارجة ويجوز
ان يكون وعيدا لهم بان يقرن بهم الشيطان في النار وماذا عليهم لو آمنوا بالله واليوم الآخر
وانفقوا مما رزقهم الله اي وما الذي عليهم او اي تبعة تحيق بهم بالايمان والانفاق
في سبيل الله وهو توبيخ لهم على الجهل بمكان المنفعة والاعتقاد في الشيء على خلاف ما هو عليه
وتحريض على الفكر لطلب الجواب لعله يؤدي بهم الى العلم بما فيه من الفوائد الجليلة والعوايد
الجميلة وتنبيه على ان المدعو الى امر لا ضرر فيه ينبغي ان يجيب اليه احتياطا فكيف اذا تضمن
المنافع وانما قدم الايمان ههنا واخره في الآية الاخرى لان القصد بذكره الى التخصيص ههنا
والتعليل ثمه وكان الله بهم عليما وعيد لهم ان الله لا يظلم مثقال ذرة لا ينقص من الاجر
ولا يزيد في العقاب اصغر شيء كالذرة وهي النملة الصغيرة ويقال لكل جزء من اجزاء الهباء
والمثقال مفعال من الثقل وفي ذكره ايماء الى انه وان صغر قدره عظم جزاؤه وان تك حسنة

قوله فان سئل كيف نعت بان الى بعضها ذكرحتى نذرت محررا فاجاب انه مبنى على التقدير اى نذرته محررا ان كان ذكرا وادا شاره الى طلب ان يكون ذكرا على قاعدة انشاء النفس حيث بنى الكلام عند التحرير وفهم منه ضمنا طلب ان الولد ذكرا لبناء التحرير فى بنا فلانت فطلبت ذكرا و نذرت تحريره

قوله رب انى وضعتها فان قيل ما فائدة جنس الاخبار وقد علم المخاطب الحكم وكون المخبر عالما به فاجاب بانه ليس القصد الاخبار والاعلام ليلزمه فائدة الحكم ولازمه بل القصد اظهار التحسر والحزن لقصد يورد صور الجملة الخبرية لا غراض جمة سوى الاخبار

قوله فتقبلها بها اشاره الى ان تقبل معنى استقبل المجرد نحو تعجب وعجب من كذا والقبول مصدر لوبهم قبل فلان الشئ اذا رضيه الا انه ميز بين القبول بلفظ التفعل لما ذكر من المبالغة فى اظهار القبول لان باب التفعل يدل على شدة اعتناء الفاعل باظهار ذلك الفعل كالتصبر والتجلد فانهما يفيدان الجد فى اظهار الصبر والجلادة وكذا التقبل يفيد المبالغة فى اظهار القبول فان قيل لم لم يقل فتقبلها ربها بقبول حسن حتى تكمل المبالغة فالجواب ان لفظ التقبل وان افاد ما ذكرنا الا انه يفيد نوع تكلف على خلاف الطبع واما القبول فانه يفيد معنى القبول على وفق الطبع فذكر التقبل ليفيد الجد والمبالغة ثم ذكر القبول ليفيد ان ذلك القبول ليس على خلاف الطبع بل على وفق الطبع وجه الوجوه وان كانت ممتنعة فى حقه تعالى الا انها تدل من حيث الاستعمال على حصول الغاية العظيمة فى تربيتها والباء فى قوله بقبول اما زائدة كما فى قوله تعالى ولا تلقوا بايديكم الى التهلكة وهذا على تقدير ان يكون القبول مصدر قبل يقبل واما للآلة وهذا على ان يكون القبول اسما لما يقبل به الشئ كالسعود اسم لما يسعد به والسعود الدواء الذى يصب فى الانف واختار المصنف الوجه حيث قدم قوله بوجه حسن يقبل بالنذائر وذلك الوجه قبول ملك الانثى مع انوثتها وصغرها فان المعتاد فى تلك الشريعة ان لا يحرر الا الذكر العاقل القادر على خدمة المسجد

قوله انى وليس الذكر الذى طلبت الى قوله فكون اللام للجنس حاصل قوله انه اذا كان الكلام المذكور قول الله تعالى كان اللام فى الكلمتين للعهد لان الذكر فهم من الكلام السابق وهو التحرير والانثى ذكرت صريحا واما اذا كان الكلام المذكور كلام ام مريم كان اللام فى الذكر للجنس والفرق انه على التقدير الاول كان المتكلم هو الله عالما بشأن الانثى التى وضعت فيحسن ان يجعل اللام للعهد والانثى عبارة عن انثى معهودة ويكون المعنى ليس الذكر الذى طلبت ام مريم كالانثى التى وهبت لها لان لها شانا عظيما واما اذا كان المتكلم ام مريم وهى لم تعلم شانها فلا يحسن ان يكون معنى كلامها ان ليس الذكر الذى طلبت كالانثى الذى وهبت بل الوجه ان يكون المعنى ليس جنس الذكر كجنس الانثى التى وهبت اذ المقصود خدمة بيت المقدس والذكور مشتركون فى صلاحيته دون الاناث فاراد ذو الانثى المقصود بذلك الحسن واللغة احسن به هو التفصيل الذى يعلل عنه الكاف واما المولى سعد الدين

قوله وهو استعاذ مرانه لما تحررت حسنة وتحزنت على ان ولدت انثى قال الله تعالى لا تعلم قدر هذا الموهوب والله هو العالم بما فيه من العجائب وعظائم الامور فانه تعالى سيجعله وولده اية للعالمين وهى جاهلة بذلك لا تعلم شيئا منه فلذلك تحزنت بقبول حسن قيل الباء زائدة والقبول مصدر مؤكد للفعل السابق بحذف الزوائد اى تقبلها قبولا حسنا وانما عدل عن الظاهر للايذان بمقارنة التقبل لكمال الرضى وموافقته للعناية الذاتية فان صيغة التفعل يحسب الاصل لو ضع بالتكليف وكون الفعل على خلاف طبع الفاعل وان كان المراد بها فى حقه تعالى ما يترتب عليه من كمال قوة الفعل وكثرته وقيل القبول ما يقبل به الشئ كالسعوط لما يسعط به وهو اختصاصه تعالى اياها باقامتها مقام الذكر فى النذر ولم يقبل قبلها انثى او بان تسلمها من امها عقيب الولادة قبل ان تنشأ وتصلح للسدانة ... ابو السعود

قوله تعالى وبالوالدين احسانا واحسنوا بهما احسانا وبذى القربى والجار ذى القربى الذى قرب جواره والجار الجنب الذى جواره بعيد والصاحب بالجنب هو الذى صحبك بان حصل بجنبك اما رفيقا فى سفر واما جارا ملاصقا واما شريكا فى تعلم علم او حرفة واما قاعدا الى جنبك فى مجلس او مسجد او غير ذلك من ادنى صحبة التامت بينك وبينه فعليك ان ترعى ذلك الحق ولا تنساه وتجعله ذريعة الى الاحسان ... كشاف

قوله تعالى والذين يبخلون قال هو صفة لمن لانه جنس فكانه بمعنى الجمع وفيه بحث لانه من اذا جعلت موصوفة بمعنى نكرة لا يصح ان يوصف بالموصول وان جعلت موصولة فصح وحذف الموصول حقيقة ولم نوقف عليه فى الاستعمال ... عصام

قوله تقديره والذين يكنزون ما خولهم الله ويأمرون الناس بالبخل احقاء بكل ملامة ليس محل تقدير الخبر ههنا بل بعد قوله ويكتمون ما آتاهم الله من فضله وكانه لم يقصد الا تعيين المحذوف ذكا نه حذف الخبر ليذهب نفس السامع كل مذهب ممكن فى مقام الملامة فيرى استواء نسبة كل ملامة اليه فيعرف بمقداره انه مستحق والاقرب الاليق بقوله واعتدنا للكافرين عذابا مهينا ان تقدير احقاء للعذاب

قوله ولذكره ايماء جواب [redacted] يتوهم من ان المقام يابى عن ذكر المثقال فيه بناء على المعهود من تقدير الظلم المنفى بقدر الذرة ودونها بان الله تعالى لا يظلم اصلا والمنفى راسا كيف يتوهم ان يضاف اليه المثقال المعلوم المتصل ويقرر الجواب انه انما ذكر ايماء الى ان الظلم وان صغر قدره عظم جزاؤه ونعلل بانه فان صغر قدر الظلم لا يبالى فى تقدير عقوبته ... سيح

قوله وانما قدم الايمان اى على الانفاق مع انه اخر عن الانفاق فى قوله تعالى والذين ينفقون اموالهم رئاء الناس ولا يؤمنون بالله لان المقصود ذكر الايمان ههنا التحضيض عليه فينبغى ان يقدم واخر ذكره هناك لان عدم ايمانهم انما ذكر هناك تعليلا لعدم انفاقهم وحق التعليل ان يؤخر عن الحكم المعلل ... شيخ زاده

[redacted]
قوله تعالى وبالوالدين احسانا [redacted] وبذى القربى الى قوله او ما ملكت ايمانكم العبيد والاماء واعلم ان الاحسان اليهم موجود باحد بان لا يكلفهم ما لا طاقة لهم به والثانى ان لا يؤذيهم بالكلام الخشن بل يعاشرهم معاشرة حسنة والثالث ان يعطيهم من الطعام والكسوة ما يحتاجون اليه وروى عنه صلى الله عليه وسلم انه قال هم اخوانكم جعلهم الله تحت ايديكم فمن جعل الله اخاه تحت يده فليطعمه مما يأكل وليلبسه مما يلبس ولا يكلفه من العمل ما يغلبه فان كلفه ما يغلبه فليعنه عليه ... فخر رازى

٢٠٢

قوله فكيف حال هؤلاء الكفرة اشارة الى ان قوله تعالى فكيف في محل الرفع على انه خبر مبتدأ محذوف وهو قوله حال هؤلاء واذا ظرف لمضمون هذه الجملة الاسمية كانه قيل صعب عليهم الامر واشتد الحال اذا جئنا

قوله فكيف محله الرفع على انه خبر مبتدأ محذوف واما النصب بفعل محذوف على التشبيه بالحال كما هو راى سيبويه اى فكيف حال هؤلاء الكفرة من اليهود والنصارى وغيرهم او كيف يصنعون اذا جئنا يوم القيامة من كل امة من الامم بشهيد تشهد عليهم بما كانوا عليه من فساد العقائد وقبائح الاعمال وهو نبيهم كما في قوله تعالى وكنت عليهم شهيدا ما دمت فيهم والعامل في الظرف مضمون المبتدأ والخبر من هول الامر وعظم الشأن او الفعل المقدر وجئنا بك يا محمد على هؤلاء اشارة الى المكذبين المستفهم عن حالهم تشهد عليهم بالكفر والعصيان كما يشهد سائر الانبياء على اممهم ابو السعود ذكر صاحب الكشاف ان تقدير الاية فكيف هؤلاء الكفرة فيكون كيف في محل النصب بالفعل المحذوف على التشبيه بالحال وذلك الفعل هو العامل في الظرف قوله تعالى وجئنا بك اى احضرناك وهذه الجملة في محل الجر عطف على جئنا الاول اى كيف يصنعون في وقت المجيئين

قوله تعالى لو تسوى بهم الارض قوله لو ان جعلت مصدرية فهو مع مدخوله مفعول ليود اى يودون ان تسوى بهم الارض كالموتى وان جعلت شرطية فالمفعول محذوف لدلالة الجملة عليه اى يودون تسوية الارض بهم وجواب لو محذوف اى لسروا بذلك من ابو السعود

وجئنا بك على هؤلاء اشارة الى الشهداء المدلول عليهم بما ذكر وقيل الى المكذبين المستفهم عن حالهم تشهد عليهم بالكفر والعصيان كما تشهد سائر الانبياء على اممهم

قوله تعالى وليس المراد نهى السكران الخ جواب عما استدل بعضهم بهذه الاية على جواز التكليف بما لا يطاق فقال انه تعالى قال لا تقربوا الصلوة وانتم سكارى وهذه الجملة حالية من فاعل تقربوا فكانه تعالى قال للسكران لا تصل وانتم سكارى وهذا تكليف للسكران الذي لا يعلم ما يقول وهو في حكم المجنون وقد كلف ونهى مع انه لا طاقة له على فهم الخطاب والجواب منع انه خطاب للسكران بل هو خطاب للذين امنوا ونهى لهم عن الشرب المؤدي الى السكر المخل للفهم حال وجوب الصلوة عليهم ونظيره قوله تعالى ولا تموتن الا وانتم مسلمون فهو ليس نهيا عن الموت وانما هو امر بالمداومة على الاسلام حتى يأتيهم الموت وهم في تلك الحال وكلمة حتى بمعنى الى

قوله تعالى الا عابري سبيل استثناء مفرغ واقع موقع الحال من المخاطبين اى لا تقربوا الصلوة جنبا كائنين على حال من الاحوال الا مسافرين وكلام الكشاف يشعر بانه استثناء مفرغ في موقع الصفة اى ولا جنبا موصوفا بصفة الا مسافرا لكن قوله جنبا غير عابري سبيل اى جنبا مقيمين يدل على انه جعل الا بمعنى غير صفة لجنبا لكونه جمعا منكرا كما في قوله تعالى لو كان فيهما الهة الا الله لكن مثل هذا انما يصح عند تعذر الاستثناء ولا تعذر بههنا لعموم النكرة بالنفي كما تقول لقيت رجلا الا اخا زيد فلا وجه لجعله مفرغا وكون تقدير الاعراب سيانا ليعني بجنبا جنبا غير عابري سبيل وقد ترجح الاول بانه لا يفيد الحصر فلا يرد انه لم يفصل اشكالا بخلاف الثاني فانه يفيد حصر جواز صلوة الجنب وصحته في كونه مسافرا وكذا جعله حالا والمريض جنب غير مسافر اذا حال عليه الجناية في حال المرض لا يلزمه الغسل بل يتيمم ويصلي الاستثناء عما الاحوال فقد سبق في تفسير قوله تعالى ضربت عليهم الذلة والمسكنة اينما ثقفوا الا بحبل الخ من سعد الدين

قوله تعالى اى لا تقربوا الصلوة جنبا في عامة الاحوال الا في السفر اشار المص الى ان قوله تعالى جنبا حال من ضمير المخاطب في قوله تعالى لا تقربوا وذو الحال الضمير المخاطب في انتم مقيد بالحال المذكور اى جنبا وقوله في عامة الاحوال بيان لمستثنى المحذوف وقوله في السفر هو مستثنى الا واقع موقع الحال من ضمير المخاطب المذكور اعني ضمير انتم في قوله لا تقربوا المعنى لا تقربوا الصلوة حال كونكم جنبا في حال من الاحوال الا حال كونكم عابري سبيل منظر العصر لكن قوله

قوله تعالى ولا جنبا الا عابري سبيل

فههنا حصة احكام شرعي كما استفاد من الاية الكريمة المذكورة اما ذكر الجنب والمراد منه بعلم المسافر فقد سبق ذكره في اول الاية الكريمة بقوله تعالى لا تقربوا الصلوة وانتم سكارى ولا جنبا فلذا قال البيضاوي والجنب لما سبق ذكره وانما ذكر حال الجنب بقوله تعالى وان كنتم مرضى او على سفر وبقوله تعالى ولا عابري سبيل فلذا قال البيضاوي اقتصر على بيان حاله والمحدث لما لم يجر ذكره ذكر بعض اسباب الحدث من المجيء من الغائط ولمس النساء فهذه الاسباب تدل على المسبب الذي هو الحدث والحدث دال على المحدث فبهذا الطريق ذكر المحدث ضمنا كما قال المص والمحدث لما لم يجر ذكره ذكر من اسبابه ما يحدث بالذات كالمجيء من الغائط او ما يوجب كاللمس اشهر واما ذكر حال المحدث من كونه مريضا او مسافرا فلم يصرح به استغناء عن تفصيل حال الجنب واحالة تفصيله على تعليم بعد ما اقتصر على ذكر تفصيل حال الجنب كما قررنا ولم يذكر حال المحدث لان حال المحدث كحال الجنب في انه اما مريض او مسافر فيعلم من حال الجنب لا حاجة الى تفصيل حال المحدث حتى قال البيضاوي واستغنى عن تفصيل احواله بتفصيل حال الجنب اشهر فخلاصة المقال على ما فهم مني ضعيف الحال انه تعالى ذكر الجنب اولا ولم يذكر المحدث وفي اخر الاية ذكر حال الجنب وذكر اسباب الحدث الدال على المحدث فبهذا الطريق ذكر المحدث كذلك ولما ذكر حال الجنب واقتصر عليه ولم يذكر حال المحدث يعلم حال المحدث قياسا على حال الجنب كما قال البيضاوي رحمه الله واستغنى عن تفصيل احواله بتفصيل حال الجنب

~~[illegible]~~

قوله وكانه قيل وان كنتم جنبا مرضى او على سفر تصوير لمعنى كون الجنب وحاله مذكورا في الاية الكريمة قوله او محدثين جئتم من الغائط او لامستم النساء تصوير لمعنى كون المحدث مذكورا في الاية وذكر اسباب الحدث من المجيء من الغائط ولمس النساء وانما اقتصر المص رحمه الله على قوله او محدثين جئتم من الغائط او لامستم النساء ولم يقل كما قال في حال الجنب وان كنتم جنبا مرضى او على سفر اشارة الى ان بيان حال المحدث من المرض والسفر معلوم من بيان حال الجنب فلا يحتاج الى تصوير معناه ان يذكر لفظ مرضى او على سفر واما السؤال الوارد في قوله تعالى او عابري سبيل مغني عنه قوله تعالى وان كنتم مرضى او على سفر فقد دفع بما فصل الكازروني رحمه الله فانظر الى حاشيته حرره كمي الفقير

وان يك مثقال الذرة حسنة وانث الضمير لتانيث الخبر او لاضافة المثقال الى مونث وحذف النون
من غير قياس تشبيها بحروف العلة وقرا ابن كثير ونافع حسنة بالرفع على كان التامة يضاعفها
يضاعف ثوابها وقرا ابن كثير وابن عامر يضعفها وكلاهما بمعنى ويؤت من لدنه ويعطي
صاحبها من عنده على سبيل التفضل زايدا على ما وعد في مقابلة العمل اجرا عظيما عطاء
جزيلا وانما سماه اجرا لانه تابع للاجر مزيد عليه فكيف اذا جئنا من كل امة بشهيد
فكيف حال هؤلاء الكفرة من اليهود والنصارى وغيرهم اذا جئنا من كل امة بشهيد يعني
نبيهم يشهد على فساد عقايدهم وقبح اعمالهم والعامل في الظرف مضمون المبتدا والخبر
من هول الامر وتعظيم الشان وجئنا بك يا محمد على هؤلاء شهيدا تشهد على صدق هؤلاء
الشهداء لعلمك بعقايدهم واستجماع شرعك مجامع قواعدهم وقيل هؤلاء اشارة الى الكفرة
المستفهم عن حالهم وقيل الى المؤمنين لقوله تعالى لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم
شهيدا يومئذ يود الذين كفروا وعصوا الرسول لو تسوى بهم الارض بيان لحالهم
حينئذ اي يود الذين جمعوا بين الكفر وعصيان الامر او الكفرة والعصاة في ذلك الوقت
ان يدفنوا فتسوى بهم الارض كالموتى او لم يبعثوا او لم يخلقوا وكانوا هم والارض سواء
ولا يكتمون الله حديثا ولا يقدرون كتمانه لان جوارحهم تشهد عليهم وقيل الواو
للحال اي يودون ان تسوى بهم الارض وحالهم انهم لا يكتمون من الله حديثا ولا يكذبونه
بقولهم والله ربنا ما كنا مشركين اذ روي انهم اذا قالوا ذلك ختم الله على افواههم فتشهد
عليهم جوارحهم فيشتد الامر عليهم فيتمنون ان تسوى بهم الارض وقرا نافع وابن عامر تسوى
على ان اصله تتسوى فادغم التاء في السين وحمزة والكسائي تسوى على حذف التاء الثانية
يقال سويته فتسوى يا ايها الذين امنوا لا تقربوا الصلوة وانتم سكارى حتى تعلموا ما
تقولون اي لا تقوموا اليها وانتم سكارى من نحو نوم او خمر حتى تنتبهوا وتعلموا ما تقولون
في صلوتكم روي ان عبد الرحمن بن عوف صنع مادبة ودعى نفرا من الصحابة حين كانت الخمر
مباحة فاكلوا وشربوا حتى ثملوا وجاء وقت صلوة المغرب فتقدم احدهم ليصلي بهم
فقرا اعبد ما تعبدون فنزلت وقيل اراد بالصلوة مواضعها وهي المساجد وليس المراد
منه نهي السكران عن قربان الصلوة وانما المراد النهي عن الافراط في الشرب والسكر من
السكر وهو السد وقرئ سكارى بالفتح وسكرى على انه جمع كهلكى او مفرد بمعنى وانتم قوم سكرى
وسكرى كحبلى على انها صفة الجماعة ولا جنبا عطف على قوله وانتم سكارى اذ الجملة في موضع
النصب على الحال والجنب الذي اصابته الجنابة يستوي فيه المذكر والمؤنث والواحد والجمع
لانه يجري مجرى المصدر الا عابري سبيل متعلق بقوله ولا جنبا استثناء من اعم الاحوال
اي لا تقربوا الصلوة جنبا في عامة الاحوال الا في السفر وذلك اذا لم يجد الماء وتيمم ويشهد
له تعقيبه بذكر التيمم او صفة لقوله جنبا اي جنبا غير عابري سبيل وفيه دليل على ان التيمم
لا يرفع الحدث ومن فسر الصلوة بمواضعها فسر عابري سبيل بالمجتازين فيها وجوز للجنب

مبحث تقرير آخر لصعوبة المحل وبيان كلام البيضاوي

قوله تعالى يا ايها الذين امنوا لا تقربوا الصلوة وانتم سكارى حتى تعلموا ما تقولون ولا جنبا الا عابري سبيل
حتى تغتسلوا وان كنتم مرضى او على سفر او جاء احد منكم من الغائط او لامستم النساء فلم تجدوا ماء فتيمموا صعيدا

فمن هذه الاية الكريمة على مراد البيضاوي خمسة احوال احدها على تقدير وجود الماء والاربعة الباقية
من تقدير عدم وجود الماء على ما دل عليه قوله تعالى فلم تجدوا ماء فالاول من الاحوال الخمسة حكم الجنب الغير
المسافر فهو الغسل والاحكام الاربعة الباقية حكم الجنب المريض وحكم الجنب المسافر وحكم المحدث
المريض والمحدث المسافر اما الحال الاولى فمذكور في اول الاية الكريمة والاحكام الاربعة الباقية فمستفاد من قوله تعالى
وان كنتم جنبا الى اخره فقسم المصنف قوله وجه التقسيم ان المرخص اما ... وبيانه ان الاربعة يكون بهذه الصورة

المرخص للتيمم عند عدم الماء
الجنب: اما الجنب المسافر فحكمه التيمم — اما الجنب المريض فحكمه التيمم
المحدث هو المجيء من الغائط: فهو اما مريض فحكمه التيمم — او مسافر فحكمه التيمم
الملامس: فهو اما مريض فحكمه التيمم — الجنب ... فحكمه ...

فتفصيل احوال الجنب المريض مستفاد من قوله وان كنتم مرضى فهذا داخل في فعل الشرط وجزاؤه محذوف وهو قوله
فتيمموا وكذلك في البواقي كما قال الكشاف فان قلت ادخل في حكم الشرط اربعة وهم المرضى والمسافرون والمحدثون
واهل الجنابة فبمن تعلق الجزاء الذي هو الامر بالتيمم عند عدم الماء قلت الظاهر انه متعلق بهم جميعا انتهى
واما ذكر حال الجنب المسافر فمستفاد من قوله وان كنتم مرضى او على سفر الى قوله فلم تجدوا ماء فهذا تفصيل حال الجنب
وحكمه الشرعي قال البيضاوي لما سبق ذكره اقتصر على سائر حاله واما بيان حال المحدث الجائي من الغائط
وحال المحدث اللامس لك فعلم من بيان حال الجنب قال الشيخ زاده رحمه الله ان موجب الطهارة لما كان
منحصرا في الحدث الاصغر والجنابة وكان اغلب الاحوال المقتضية للترخص بهما بالتيمم منحصرا
في المرض والسفر كان النظم ان يقال وان كنتم جنبا مرضى او مسافرين او كنتم محدثين مرضى او
مسافرين الا ان الجنب لما سبق ذكره اقتصر على بيان حاله المقتضية لرخصة التيمم والمحدث لما لم يجر
ذكره ذكر اسبابه ما يحدث بالذات اي المجيء من الغائط وما بالعرض وهو اللمس انتهى
فهذه التحريرات في التصحيحين بعد صرف الكثير من اوقاتنا ... ولا سبيل لها الى مطالعة هذا المحل المغلق
ليسر ... ويكشف ... التفسير التسهيل لمن طالع ... التتمة ... العلم والمقصود

عبور المسجد وبه قال الشافعي وقال ابو حنيفة لا يجوز له المرور في المسجد الا اذا كان فيه الماء
او الطريق حتى تغتسلوا غاية النهي عن القربان حال الجنابة وفي الاية تنبيه على ان المصلي ينبغي
ان يتحرز عما يلهيه ويشغل قلبه ويزكي نفسه عما يجب تطهيرها عنه وان كنتم مرضى مرضا
يخاف معه من استعمال الماء فان الواجد له كالفاقد او مرضا يمنعه عن الوصول اليه او على
سفر لا تجدونه فيه او جاء احد منكم من الغائط فاحدث بخروج الخارج من احد السبيلين
واصل الغائط المطمئن من الارض او لامستم النساء او ماسستم بشرتهن ببشرتكم
وبه استدل الشافعي رحمه الله على ان اللمس ينقض الوضوء وقيل او جامعتموهن وقرا حمزة
والكسائي لمستم واستعماله كناية عن الجماع اقل من الملامسة فلم تجدوا ماء فلم تتمكنوا من استعماله
اذ الممنوع عنه كالمفقود ووجه هذا التقسيم ان المترخص بالتيمم اما محدث او جنب والحال
المقتضية له في غالب الامر مرض او سفر والجنب لما سبق ذكره اقتصر على بيان حاله والمحدث
لما لم يجر ذكره ذكر من اسبابه ما يحدث بالذات وما يحدث بالعرض واستغنى عن تفصيل احواله بتفصيل حال
الجنب وبيان العذر مجملا وكانه قيل وان كنتم جنبا مرضى او على سفر او محدثين جئتم من الغائط
او لامستم النساء فلم تجدوا ماء فتيمموا صعيدا طيبا فامسحوا بوجوهكم وايديكم فتعمدوا
شيئا من وجه الارض طاهرا ولذلك قالت الحنفية لو ضرب المتيمم يده على حجر صلد ومسح اجزاه
وقال اصحابنا لا بد من ان يعلق باليد شيء من التراب لقوله في المائدة فامسحوا بوجوهكم وايديكم
منه اي من بعضه وجعل من لابتداء الغاية تعسف اذ لا يفهم من نحو ذلك الا التبعيض واليد
اسم العضو الى المنكب وما روي انه عليه السلام تيمم ومسح يديه الى مرفقيه والقياس على الوضوء
دليل على ان المراد ههنا وايديكم الى المرافق ان الله كان عفوا غفورا فلذلك يسر الامر عليكم
ورخص لكم الم تر الى الذين اوتوا من رؤية البصر اي الم تنظر اليهم او القلب وعدي بالى لتضمن
معنى الانتهاء نصيبا من الكتاب حظا يسيرا من علم التورية لان المراد احبار اليهود يشترون
الضلالة يختارونها على الهدى او يستبدلونها به بعد تمكنهم منه او حصوله لهم بانكار نبوة
محمد عليه السلام وقيل ياخذون الرشى ويحرفون التورية ويريدون ان تضلوا ايها
المؤمنون السبيل سبيل الحق والله اعلم منكم باعدائكم وقد اخبركم بعداوة هؤلاء
وما يريدون بكم فاحذروهم وكفى بالله وليا يلي امركم وكفى بالله نصيرا يعينكم فثقوا عليه
واكتفوا به عن غيره والباء تزاد في فاعل كفى لتوكيد الاتصال الاسنادي بالاتصال الاضافي من
الذين هادوا بيان للذين اوتوا نصيبا فانه يحتملهم وغيرهم وما بينهما اعتراض او بيان لاعدائكم
او صلة لنصيرا اي ينصركم من الذين هادوا او خبر محذوف صفته يحرفون الكلم
عن مواضعه اي من الذين هادوا قوم يحرفون الكلم اي يميلونه عن مواضعه التي وضعه الله
فيها بازالته عنها واثبات غيره فيها او يؤولونه على ما يشتهون فيميلونه عما انزل الله فيه وقرئ الكلم
بكسر الكاف وسكون اللام جمع كلمة ويقولون سمعنا قولك وعصينا امرك واسمع غير مسمع
اي مدعوا عليك بلا سمعت بصمم او موت او اسمع غير مجاب الى ما تدعو اليه او اسمع غير مسمع كلاما

قوله تعالى ان الله لا يغفر ان يشرك به الى آخر الكلام استيناف مسوق لتقرير ما قبله من الوعيد وتاكيد وجوب
الامر بالايمان ببيان استحالة المغفرة [illegible] بدونه

قوله فقد افترى اثما عظيما المراد ان الافترا هو ارتكاب ما لا يصح ان يكون من الايمان وفعلا يقع على
اختلاق الكذب وارتكاب الاثم وقيل بل مشترك لفظا والاظهر انه حقيقة في اختلاق الكذب
اي تعمده مجاز في ما لا يصح
من سعد الدين

قوله فقد افترى اثما اي افترى واختلق مرتكبا اثما لا يتقاعد دونه ويستحقر دونه جميع الآثام
فلا تتعلق المغفرة قطعا قوله تعالى الم تر الى الذين يزكون انفسهم تعجيب عن حالهم المنافية
لما هم عليه من الكفر والطغيان والمراد منهم اليهود الذين يقولون نحن ابناء الله واحباؤه
من تفسير ابو السعود

اي مدعوا عليك بلا سمعت اي بعني انه يحتمل الذم والمدح ولذا ذكره نفاقا منهم فالمدح هو
[illegible]

من شهاب رحمه الله

١١٠

قوله وفيه جزاء الوعيد اذ لم يرد على من حمل الوعيد في الآية على المسخ في الدنيا بأن قال المراد من الطمس محو تخطيط الصورة في ...
واللعن هو المسخ المخصوص في الدنيا حتى يكون الوعيد منحصرا في تغيير الصورة في الدنيا يتجه عليه انه لم يقع المسخ فأجاب بأنه ...
منتظر فيقع في المستقبل وان وقوعه مشروط بعدم ايمان جماعة لكن بعضهم قد آمن فلذا لم يقع ...

قوله الا قليلا منهم آمنوا او يؤمنون فان قيل فعلى هذا يلزم ان القراءة بغير المختار لان في مثله اختيار الرفع على البدلية كما في قوله ما فعلوه الا قليل والنصب اذا كان القليل مؤمنين فكيف يصح لعنهم جميعا فما الجواب انه استثناء ...
لعنهم الله اي لعنهم الله الا قليلا فلا يؤمنون الا قليلا لا يؤمن اكثرهم ...

قوله ولذلك قيل معناه من قبل ... اشارة الى ما قيل ان هذا الوعيد في اليهود ... وذلك باجلاء بني النضير وقريظة الى الشام ...
... فردها على ادبارها ... الى اذرعات واريحا من ارض الشام ... وطمس الوجوه على هذا ...
يحمل ... [illegible]

قوله يجوز العفو عن الكبائر بدون التوبة لان العقاب حقه فله اسقاطه ويدل على الوقوع مثل يعفو عن السيئات
ان الله يغفر الذنوب جميعا ... ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء ...
[illegible]

قال ... ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء ... [illegible]

[redacted]

[illegible]

قوله تعالى لمن يشاء ... [illegible]

١١٠

قوله تعالى واسمع غير مسمع ان كلام المفسرين في هذا المحل صعب جدا وفهمه يتوقف على ما نتلو عليك من فوائده وقصوره لا يخلو عن فائدة قوله مدخل عظيم في تحقيق قول البيضاوي رحمه الله في تفسير تلك الآية الكريمة كما ترى ثم اعلم ان اسم المفعول اعني قوله تعالى مسمع لكونه اسما مفعولا يقتضي المسموع مفعولا لذلك المسمع لا محالة وهو من باب الافعال ومعناه انت ممن اسمع له فيدل على المسموع لان الذات التي اسمع له فلا بد ان يلاحظ فيه المسموع اذ لو لم يكن له ملاحظة المسموع لا يصح اطلاق المسمع عليه فمفعوله اعني المسموع مطلق قد يذكر وقد يترك وقد يقدر فاذا لم يذكر ولم يترك يكون محتملا لجميع المسموعات واما اذا ذكر يكون مقصورا على المذكور فلا يحتمل غيره ولا يكون عاما ... اذا عرفت هذا فاعلم ان مسمع في قوله تعالى واسمع غير مسمع اسم مفعول لا بد من مسموع لدلالته عليه ولكونه مقتضيا ان يكون فيه نفي المسموع مطلقا عاما لا فلما لم يذكر المفعول هنا يحتمل ان يكون متروكا كما في الوجه الاول ويحتمل ان يكون مقدرا كما مع الحكاية من مفعول مقدر في سبيل تفصيله فهو الوجه الاول ... قال السعد ان مبنى الوجه الاول على ان مسمع متروك المفعول من غير ان يجعل المفعول كما في المقيد فعلى الوجه الاول يكون المراد من قوله تعالى غير مسمع الدعاء عليه بسلب السماع فلا يكون فيها ملاحظة المسموع لا مطلقا ولا مقيدا خاصا كما قال ... الوجه الاول الدعاء عليه لا سمعت ...

[illegible]

... سورة العصر ...

نوب يعوقرب

قال الكشاف قوله تعالى غير مسمع حال من المخاطب اى اسمع وانت غير مسمع وهو قول ذو وجهين يحتمل الذم اى اسمع منا مدعوا عليك بلا سمعت لانه لو اجيبت دعوتهم عليه لم يسمع فكان اصم غير مسمع قالوا ذلك اتكالا على ان قولهم لا سمعت دعوة مستجابة او اسمع غير مجاب الى ما تدعوا اليه ومعناه غير مسمع جوابا يوافقك فكانك لم تسمع شيئا او اسمع غير مسمع كلاما ترضاه فسمعك عنه ناب ويجوز على هذا ان يكون غير مسمع مفعول اسمع اى اسمع كلاما غير مسمع اياك لان اذنك لا تعيه نبوا عنه ويحتمل المدح اى اسمع غير مسمع مكروها من قولك اسمع فلان فلانا اذا سبه

[redacted]

قوله وهو قول ذو وجهين ذكر في الذم ثلاثة اوجه مبنى الاول على انه مسمع متروك المفعول الثاني من غير ان يجعل كناية عن المقيد والمعنى اسمع مدعوا عليك بلا سمعت اى قيل هذه الدعوة بحيث يصح انك غير مسمع ومبنى الثاني على انه متروك المفعول بحمول ذلك المطلق كناية عن المقيد بمفعول مخصوص هو جواب يوافقك كما في قول البحتري

شجو حساده وغيظ عداه ان يرى مبصر ويسمع واع

كناية بمطلق الرؤية والسماع عن رؤية الآثار وسماع الاخبار الدال على اختصاصه باستحقاق الخلافة فالى ترك المفعول من غير ان يقدر اشار بقوله غير مجاب الى ما تدعوا اليه وبقوله فكانك لم تسمع شيئا والى كونه كناية عن المقيد بقوله ومعناه غير مسمع جوابا يوافقك او على انه محذوف المفعول للعموم كما في قولك قد كان منك ما يولم اى كل احد والمعنى غير مسمع شيئا لان ما عدا الجواب الموافق بالنسبة اليه بمنزلة العدم واذا لم يسمعه فكانه لم يسمع شيئا ومبنى الثالث على انه محذوف المفعول المخصوص بقرينة المقام والحال اى غير مسمع كلاما يرضاه بمعنى نابيا سمعك من المسموع لكونه غير مرضى عندك والى الثالث اشار بقوله فسمعك ناب عنه لكن لا يكون قولك اسمع غير مسمع كلاما ترضاه مغيرا ما لا تحتاج الى جعل عدم السماع كناية عن نبو السمع ولا الشعور بالقصد اليه فلا معنى لقولك فسمعك عنه ناب فالاول ان غير مسمع في هذا الوجه ايضا متروك المفعول لكن لما كان الامر بالسماع حال كون المخاطب غير مسمع كالتناقض جعل كونه غير مسمع عبارة عن كونه نابي السمع عن المسموع ولزمه كون المسموع كلاما لا يرضاه ولا يميل اليه والاهواء فصح ان يؤمر المخاطب بان يسمع حال كونه غير مسمع بهذا المعنى ثم لما كان نبو سمع المخاطب عن المسموع لكراهته في كون المسموع مما ينبو عنه سمعه لا فرق الا بحسب الاضافة والاعتبار جوز في هذا الوجه المبنى على النبو ان يكون غير مسمع مفعول اسمع بتقدير موصوف هو الكلام ولزم اعتبار حذف المفعول الاول اعنى المخاطب دون الترك لان نبو سمعه من الكلام وعدم رضاه انما هو بكون الكلام غير مسمع اياه لا لكونه غير مسمع على الاطلاق وبالجملة اذا كان حاصل الوجه الثاني اسمع غير مجاب الى ما تدعوا اليه بمنزلة من لم يسمع شيئا والثالث اسمع نابي السمع عن المسموع لكونه غير مرضى او اسمع كلاما ينبو عنه السمع لذلك كان الفرق بينهما ظاهرا او كون قوله فكانك لم تسمع شيئا وسمعك عنه ناب مستدركا

من سعد الدين حاشيه كشاف رحمه الله

٣٢٢

تم تصحيح اقدم ... بعد المطالعة والتحقيق

ترضاه او اسمع كلاما غير مسمع اياك لان اذنك تنبو عنه فيكون مفعولا به او اسمع غير مسمع مكروها من قولهم اسمعه فلان اذا سبه وانما قالوه نفاقا وراعنا انظرنا نكلمك او نرقب كلامك ليا بالسنتهم فتلا بها وصرفا للكلام الى ما يشبه السب حيث وضعوا راعنا المشابه لما يتسابون به موضع انظرنا وغير مسمع موضع لا اسمعت مكروها او فتلا بها وضما ما يظهرون من الدعاء والتوقير الى ما يضمرونه من السب والتحقير نفاقا وطعنا في الدين استهزاء به وسخرية ولو انهم قالوا سمعنا واطعنا واسمع وانظرنا ولو ثبت قولهم هذا مكان ما قالوه لكان خيرا لهم واقوم لكان قولهم ذلك خيرا لهم واعدل وانما يجب حذف الفعل بعد لو في مثل ذلك لدلالة ان عليه ووقوعه موقعه ولكن لعنهم الله بكفرهم ولكن خذلهم وابعدهم عن الهدى بسبب كفرهم فلا يؤمنون الا قليلا الا ايمانا قليلا لا يعبأ به وهو الايمان ببعض الآيات والرسل ويجوز ان يراد بالقلة العدم كقوله قليل التشكي للمهم يصيبه او الا قليلا منهم آمنوا او سيؤمنون يا ايها الذين اوتوا الكتاب آمنوا بما نزلنا مصدقا لما معكم من قبل ان نطمس وجوها فنردها على ادبارها من قبل ان نمحو تخطيط صورها ونجعلها على هيئة ادبارها يعني الاقفاء او ننكسها الى ورائها في الدنيا او في الآخرة واصل الطمس ازالة الاعلام المائلة وقد يطلق بمعنى الطلس في ازالة الصورة ولمطلق القلب والتغيير ولذلك قيل معناه من قبل ان نغير وجوها فنسلب وجاهتها واقبالها ونكسوها الصغار والادبار او نردها الى حيث جاءت منه وهي اذرعات الشام يعني اجلاء بني النضير ويقرب منه قول من قال المراد بالوجوه الرؤساء او من قبل ان نطمس وجوها بان نعمي الابصار عن الاعتبار ونصم الاسماع عن الاصغاء الى الحق بالطبع ونردها عن الهداية الى الضلالة او نلعنهم كما لعنا اصحاب السبت او نخزيهم بالمسخ كما اخزينا به اصحاب السبت او نلعنهم على لسانك كما لعناهم على لسان داود والضمير لاصحاب الوجوه او للذين على طريقة الالتفات او للوجوه ان اريد به الوجهاء وعطفه على الطمس بالمعنى الاول يدل على ان المراد ليس مسخ الصورة في الدنيا ومن حمل الوعيد على تغيير الصورة في الدنيا قال انه بعد مترقب او كان وقوعه مشروطا بعدم ايمانهم وقد آمن منهم طائفة وكان امر الله ايقاع شيء او وعيده او ما حكم به وقضاه مفعولا نافذا او كائنا فيقع لا محالة ما اوعدتم به ان لم تؤمنوا ان الله لا يغفر ان يشرك به لانه بت الحكم على خلود عذابه ولان ذنبه لا ينمحي عنه اثره فلا يستعد للعفو بخلاف غيره ويغفر ما دون ذلك اي ما دون الشرك صغيرا كان او كبيرا لمن يشاء تفضلا عليه واحسانا واول المعتزلة الفعلين على معنى ان الله لا يغفر الشرك لمن يشاء وهو من لم يتب ويغفر ما دونه لمن يشاء وهو من تاب وفيه تقييد بلا دليل اذ ليس عموم آيات الوعيد بالمحافظة اولى منه ونقض لمذهبهم فان تعليق الامر بالمشيئة ينافي وجوب التعذيب قبل التوبة والصفح بعدها فالآية كما هي حجة عليهم فهي حجة على الخوارج الذين زعموا ان كل ذنب شرك وان صاحبه خالد في النار ومن يشرك بالله فقد افترى اثما عظيما ارتكب ما يستحقر دونه الآثام وهو اشارة الى المعنى الفارق بينه وبين سائر الذنوب والافتراء كما يطلق على القول يطلق على الفعل كذلك الاختلاق الم تر الى الذين يزكون انفسهم يعني اهل الكتاب قالوا نحن ابناء الله واحباؤه

١١

قوله أم لهم نصيب أي بل ألهم نصيب وكذا تكتب دون [illegible] فإذن حرف ينصب الفعل المضارع بشروط والمواضع [illegible] فيها وهو [illegible] وهي [illegible] ويجوز في غير القرآن [illegible]

قوله أم لهم نصيب من الملك وصف اليهود بالبخل والحسد وهما خصلتان يمنعون ما أوتوا من النعمة ويتمنون أن يكون لهم نعمة غيرهم فقال أم لهم نصيب من الملك على أن أم منقطعة ومعنى الهمزة لإنكار أن يكون لهم نصيب من الملك ثم قال فإذا لا يؤتون الناس أي لو كان لهم نصيب من الملك فإذا لا يؤتون أحدا مقدار نقير لفرط بخلهم والمراد بالملك إما ملك أهل الدنيا وإما ملك الله كقوله قل لو أنتم تملكون خزائن رحمة ربي إذا لأمسكتم خشية الإنفاق وهذا أوصف لهم بالشح وأحسن لطباعهم نظيره من القرآن ويجوز أن يكون معنى الهمزة في أم لإنكار أنهم قد أوتوا نصيبا من الملك وكانوا أصحاب أموال وبساتين وقصور مشيدة كما تكون أحوال الملوك وأنهم لا يؤتون أحدا مما يملكون شيئا

[redacted]

قوله أم يحسدون بيان لبخلهم وحسدهم فقال عطف على وصفهم تفسير آية لأن مرتبة التفسير بعد مرتبة المفسر أولا وبه بالإرادة وأم منقطعة ومعنى بل الإضراب من ذمهم بتزكيتهم أنفسهم إلى ذمهم بالبخل والحسد اللذين هما شر خصلتين وفوق رذيلة ما في التزكية من العجب والكذب وكالدليل على بطلان ما يدعونه من الزكاء ومعنى الهمزة إنكار أن يكون لهم نصيب من الملك بمعنى أنه لا نصيب لهم منه لعدم استحقاقهم بل لاستحقاقهم حرمانه بسبب أنهم لو أوتوا نصيبا منه لما آتوا الناس أقل قليل وعلى هذا فالفاء في فإذن للسببية والجزاء لشرط محذوف ثم جوز أن تكون الفاء عاطفة ومعنى الهمزة إنكار مجموع المعطوف والمعطوف عليه بمعنى لا ينبغي أن يكون هذا الذي وقع وهو أنهم قد أوتوا نصيبا منه ويعقبه منهم البخل بأقل قليل منه وفائدة إذن الإنكار والتوبيخ حيث يجعلون ثبوت النصيب الذي هو سبب للإعطاء سببا للمنع فقوله وأنهم لا يؤتون عطف على أنهم قد أوتوا وما بينهما اعتراض لبيان أنهم قد أوتوا النصيب وليس الإنكار راجعا إليه بمعنى النفي من سعد الدين عليه الرحمة والمثوبة

قوله ويجوز أن يكون المعنى إنكار أنهم أوتوا قال الطيبي الفرق بين الوجهين أن الإنكار على الأول متوجه إلى أن يكون لهم نصيب من الملك فقط أي ليس لهم نصيب من الملك وعلى الثاني متوجه إلى أن يكون لهم نصيب وإلى أنهم لا يؤتون أحدا شيئا فالإنكار نصب على الأمرين يعني أوتوا نصيبا من الملك وشكروا [illegible] من جلال سيوطي

قوله ويجوز أن يكون المعنى [illegible] أي الفاء إما جواب شرط أو عاطفة ومعنى الهمزة إنكار المجموع من المعطوف والمعطوف عليه بمعنى أنه ينبغي أن يكون هذا الذي وقع وهو أنهم قد أوتوا نصيبا منه ويعقبه منهم البخل بأقل القليل وفائدة إذن زيادة الإنكار والتوبيخ حيث يجعلون ثبوت النصيب الذي هو سبب للإعطاء سببا للمنع فقوله وأنهم لا يؤتون عطف على أنهم أوتوا [illegible] أي كونهم لهم نصيبا من الملك وعلى هذا إلى مجموع الأمرين والهمزة للإنكار بمعنى لم كان [illegible] فلا إنكار [illegible] وإن كان بمعنى لم كان قال أي إنه لم يكن ولا يكون فنفى إعطاء القليل وأريد نفي لازمه وهو الملك منه شهاب رحمه الله

١٢

وقيل ناس من اليهود جاؤا بأطفالهم إلى رسول الله صلعم فقالوا هل على هؤلاء ذنب قال لا قالوا
والله ما نحن إلا كهيئتهم ما عملنا بالنهار كفر عنا بالليل وما عملنا بالليل كفر عنا بالنهار وفي معناهم
من زكى نفسه وأثنى عليها بل الله يزكي من يشاء تنبيه على أن تزكيته هو المعتد به
دون تزكية غيره فإنه العالم بما ينطوي عليه الإنسان من حسن وقبح وقد ذمهم وزكى
المرتضين من عباده المؤمنين وأصل التزكية نفي ما يستقبح فعلا أو قولا ولا يظلمون بالذم
أو العقاب على تزكيتهم أنفسهم بغير حق فتيلا أدنى ظلم وأصغره وهو الخيط الذي في شق النواة
يضرب به المثل في الحقارة انظر كيف يفترون على الله الكذب في زعمهم أنهم أبناء الله وأزكياء
عنده وكفى به بزعمهم هذا أو بالافتراء إثما مبينا لا يخفى كونه مأثما من بين آثامهم ألم تر إلى الذين
أوتوا نصيبا من الكتاب يؤمنون بالجبت والطاغوت نزلت في يهود كانوا يقولون إن
عبادة الأصنام أرضى عند الله مما يدعوا إليه محمد وقيل في حيي بن أخطب وكعب بن الأشرف
في جمع من اليهود خرجوا إلى مكة يحالفون قريشا على محاربة رسول الله صلعم فقالوا أنتم أهل
كتاب وأنتم أقرب إلى محمد منكم إلينا فلا نأمن مكركم فاسجدوا لآلهتنا حتى نطمئن إليكم
ففعلوا والجبت في الأصل اسم صنم فاستعمل في كل ما عبد من دون الله وقيل أصله الجبس
وهو الذي لا خير فيه فقلبت سينه تاء والطاغوت يطلق لكل باطل من معبود أو غيره ويقولون
للذين كفروا لأجلهم وفيهم هؤلاء إشارة إليهم أهدى من الذين آمنوا سبيلا
أقوم دينا وأرشد طريقا أولئك الذين لعنهم الله ومن يلعن الله فلن تجد له نصيرا
يمنع العذاب عنه بشفاعة أو غيرها أم لهم نصيب من الملك أم منقطعة ومعنى الهمزة
إنكار أن يكون لهم نصيب من الملك وجحد لما زعمت اليهود من أن الملك سيصير إليهم
فإذا لا يؤتون الناس نقيرا أي لو كان لهم نصيب من الملك فإذن لا يؤتون أحدا
ما يوازي نقيرا وهو النقرة في ظهر النواة وهذا هو الإغراق في بيان شحهم فإنهم بخلوا
بالنقير وهم ملوك فما ظنك بهم إذا كانوا أذلاء متفاقرين ويجوز أن يكون المعنى إنكار
أنهم أوتوا نصيبا من الملك على الكناية وأنهم لا يؤتون الناس شيئا وإذن إذا وقع
بعد الواو والفاء لا لتشريك مفرد جاز فيه الإلغاء والإعمال ولذلك قرئ فإذا لا يؤتوا
على النصب أم يحسدون الناس بل يحسدون رسول الله وأصحابه أو العرب أو الناس
جميعا لأن من حسد على النبوة فكأنما حسد الناس كلهم كمالهم ورشدهم وبخهم وأنكر
عليهم الحسد كما ذمهم على البخل وهما شر الرذائل وكأن بينهما تلازما وتجاذبا
على ما آتاهم الله من فضله يعني النبوة والكتاب والنصرة والإعزاز وجعل النبي
الموعود منهم فقد آتينا آل إبرهيم الذين هم أسلاف محمد صلعم وأبناء عمه الكتاب
والحكمة النبوة وآتيناهم ملكا عظيما فلا يبعد أن يؤتيه الله مثل ما آتاهم فمنهم
من اليهود من آمن به بمحمد صلعم أو بما ذكر من حديث آل إبرهيم ومنهم من صد
عنه أعرض عنه ولم يؤمن به وقيل معناه فمن آل إبرهيم من آمن به ومنهم من كفر

ولم يكن ذلك تفويض امورهم الا يوهن كفر هولاء امرك وكفى بجهنم سعيرا نارا مسعورة
يعذبون بها اى ان لم يعجلوا بالعقوبة فقد كفاهم ما اعد لهم من سعير جهنم ان الذين كفروا
بآياتنا سوف نصليهم نارا كالبيان والتقرير لذلك كلما نضجت جلودهم بدلناهم
جلودا غيرها بان يعاد ذلك الجلد بعينه على صورة اخرى كقولك بدلت الخاتم
قرطا او بان يزال عنه اثر الاحراق ليعود احساسه للعذاب كما قال ليذوقوا العذاب
اى ليدوم لهم ذوقه وقيل يخلق مكانه جلدا آخر والعذاب في الحقيقة للنفس العاصية
المدركة لا لآلة ادراكها فلا محذور ان الله كان عزيزا لا يمتنع عليه ما يريده حكيما
يعاقب على وفق حكمته والذين آمنوا وعملوا الصالحات سندخلهم جنات تجري
من تحتها الانهار خالدين فيها ابدا قدم ذكر الكفار ووعيدهم على ذكر المؤمنين
ووعدهم لان الكلام فيهم وذكر المؤمنين بالعرض لهم فيها ازواج مطهرة وندخلهم
ظلا ظليلا فينانا لا جوب فيه ودائما لا تنسخه الشمس وهو اشارة الى النعمة التامة
الدائمة والظليل صفة مشتقة من الظل لتاكيده كقولهم شمس شامس وليل اليل ويوم ايوم
ان الله يأمركم ان تؤدوا الامانات الى اهلها خطاب يعم المكلفين والامانات وان
نزلت يوم الفتح في عثمان بن طلحة ابن عبد الدار لما اغلق باب الكعبة وابى ان يدفع المفتاح
ليدخل فيها وقال لو علمت انه رسول الله لم امنعه فلوى علي يده واخذ منه وفتح ودخل رسول الله
وصلى ركعتين فلما خرج ساله العباس ان يعطيه المفتاح ويجمع له السقاية والسدانة
فامره الله ان يرده اليه فامر عليا رضي الله عنه بان يرده ويعتذر اليه وصار ذلك سببا
لاسلامه ونزل الوحي بان السدانة في اولاده ابدا واذا حكمتم بين الناس ان تحكموا بالعدل
اى بان تحكموا بالانصاف والسوية اذا قضيتم بين من ينفذ عليه امركم او يرضى بحكمكم
ولان الحكم وظيفة الولاة قيل الخطاب لهم ان الله نعما يعظكم به اى نعم شيئا يعظكم به
او نعم الشيء الذي يعظكم به فما منصوبة موصوفة بيعظكم به او مرفوعة موصولة به و
المخصوص بالمدح محذوف وهو المامور به من اداء الامانات والعدل في الحكومات
ان الله كان سميعا بصيرا باقوالكم واحكامكم وما تفعلون في الامانات يا ايها الذين آمنوا
اطيعوا الله واطيعوا الرسول واولي الامر منكم يريد بهم امراء المسلمين في عهد الرسول
وبعده ويندرج فيهم الخلفاء والقضاة وامراء السرية امر الناس بطاعتهم بعدما امرهم
بالعدل تنبيها على ان وجوب طاعتهم ما داموا على الحق وقيل علماء الشرع لقوله تعالى ولو ردوه
الى الرسول والى اولي الامر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم فان تنازعتم انتم واولو الامر منكم
في شيء من امور الدين وهو يؤيد الوجه الاول اذ ليس للمقلد ان ينازع المجتهد في حكمه بخلاف
المرؤوس الا ان يقال الخطاب لاولي الامر على طريقة الالتفات فردوه فراجعوا فيه الى الله
الى كتابه والرسول بالسؤال عنه في زمانه والمراجعة الى سنته بعده واستدل به منكروا القياس
وقالوا انه تعالى اوجب رد المختلف الى الكتاب والسنة دون القياس واجيب بان رد المختلف

١١١

قوله بالعدل يجوز ان يكون مفعولا به وان يكون حالا نعما يعظكم به الجملة خبر ان وفي ما فيه اوجه احدها انها بمعنى الشيء موصوفة
بما يعظكم صفة موصوف محذوف هو المخصوص بالمدح تقديره نعم الشيء شيئا يعظكم به ويجوز ان يكون يعظكم صفة لمنصوب
محذوف اي الشيء شيئا يعظكم به كقولك نعم الرجل رجلا صالحا زيد وجوازه عند بعض النحويين والمخصوص بالمدح محذوف
والثاني ان ما بمعنى الذي وما بعده صلتها وموضعها رفع على انه فاعل نعم والمخصوص محذوف اي نعم الذي يعظكم به تادية الامانة
والحكم بالعدل والثالث ان تكون ما نكرة موصوفة والفاعل مضمر والمخصوص محذوف كقوله بئس للظالمين بدلا اول الآية
سكم ما ... اول وما ... تمييز منه

قوله نعما هي وجه وقوع ما الموصول فاعل نعم انها بمعنى المعرف باللام والمخصوص بالمدح محذوف سواء كانت منصوبة [redacted] لها او مرفوعة على انها فاعل
على التمييز للضمير المستتر المبهم الذي هو فاعل نعم ويعظكم صفة
ويعظكم صلة لها ... وامر الغريب ما قيل انها كافة منه

قوله بالسؤال عنه في زمانه ظاهره انه يجوز الاجتهاد بحضوره صلى الله عليه وسلم وهو مختلف فيه ووجه الاسناد الى الكتاب والى الحكومات
اما الاول فللمقصر في الكتاب والسنة واما الثاني فلان المقيس مردود الى الكتاب والسنة لاستناده اليه واستنباطه منه لكن قوله
انما يكون بالتمثيل والبناء عليه المراد منه ان المختلف فيه غير المعلوم من النص مردود اليه ورده اليه انما يكون بهذا الطريق فلا يرد عليه
انه لا وجه له للحصر والمختلف بصيغة المفعول مشترك والآية والرد من جميع الادلة الشرعية فالمراد باطاعة الله العمل بالكتاب وباطاعة
الرسول صلى الله عليه وسلم العمل بالسنة والرد اليهما القياس وعلم من قوله ان تنازعتم انه عند عدم النزاع يعمل بما اتفق عليه وهو
الاجماع فلو ذكره لكان اولى منه

بالتيسير والتوفيق ايضا وقول وكانه

الى المنصوص عليه انما يكون بالتمثيل والبناء عليه وهو القياس ويؤيد ذلك الامر به بعد الامر
بطاعة الله وطاعة الرسول فانه يدل على ان الاحكام ثلثة مثبت بالكتاب ومثبت بالسنة
ومثبت بالرد اليهما على وجه القياس ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الاخر فان الايمان
يوجب ذلك ذلك اى الرد خير لكم واحسن تاويلا عاقبة او احسن تاويلا من تاويلكم
بلا رد الم تر الى الذين يزعمون انهم امنوا بما انزل اليك وما انزل من قبلك يريدون
ان يتحاكموا الى الطاغوت عن ابن عباس ان منافقا خاصم يهوديا فدعاه اليهودي الى النبي
صلعم ودعاه المنافق الى كعب بن الاشرف ثم انهما احتكما الى رسول الله صلعم فحكم لليهودي
فلم يرض المنافق وقال نتحاكم الى عمر رضه فقال اليهودي لعمر قضى لى رسول الله فلم يرض
بقضائه وخاصم اليك فقال عمر للمنافق اكذلك فقال نعم فقال مكانكما حتى اخرج اليكما فدخل
فاخذ سيفه ثم خرج فضرب به عنق المنافق حتى برد وقال هكذا اقضى لمن لم يرض بقضاء
الله ورسوله فنزلت وقال جبريل ان عمر فرق بين الحق والباطل فسمى الفاروق والطاغوت
على هذا كعب بن الاشرف وفى معناه من يحكم بالباطل ويؤثر لاجله سمى بذلك لفرط طغيانه
او للتشبيه بالشيطان او لان التحاكم اليه تحاكم الى الشيطان من حيث انه الحامل
عليه كما قال وقد امروا ان يكفروا به ويريد الشيطان ان يضلهم ضلالا بعيدا
وقرئ ان يكفروا بها على ان الطاغوت جمع كقوله اولياؤهم الطاغوت يخرجونهم واذا قيل
لهم تعالوا الى ما انزل الله والى الرسول وقرئ تعالوا بضم اللام على انه حذف لام الفعل
اعتباطا ثم ضم اللام لواو الضمير رايت المنافقين يصدون عنك صدودا هو مصدر او اسم
للمصدر الذى هو الصد والفرق بينه وبين السد انه غير محسوس والسد محسوس
ويصدون فى موضع الحال فكيف يكون حالهم اذا اصابتهم مصيبة كقتل عمر المنافق
او النقمة من الله بما قدمت ايديهم من التحاكم الى غيرك وعدم الرضا بحكمك ثم جاؤك
حين يصابون للاعتذار عطف على اصابتهم وقيل على يصدون وما بينهما اعتراض يحلفون
بالله حال ان اردنا الا احسانا وتوفيقا ما اردنا بذلك الا الفصل بالوجه الاحسن
والتوفيق بين الخصمين ولم نرد مخالفتك وقيل جاء اصحاب القتيل طالبين بدمه وقالوا
ما اردنا بالتحاكم الى عمر الا ان يحسن الى صاحبنا ويوفق بينه وبين خصمه اولئك
الذين يعلم الله ما فى قلوبهم من النفاق فلا يغنى عنهم الكتمان والحلف الكاذب
من العقاب فاعرض عنهم اى عن عقابهم لمصلحة فى استبقائهم او عن قبول معذرتهم
وعظهم بلسانك وكفهم عما هم عليه وقل لهم فى انفسهم اى فى معنى انفسهم او
خاليا بهم فان النصح فى السر انجع قولا بليغا يبلغ منهم ويؤثر فيهم امرهم بالتجافى
عن ذنوبهم والنصح لهم والمبالغة فيه بالترغيب والترهيب وذلك مقتضى شفقة
الانبياء وتعليق الظرف ببليغا على معنى بليغا فى انفسهم مؤثرا فيها ضعيف لان معمول
الصفة لا يتقدم الموصوف والقول البليغ فى الاصل هو الذى يطابق مدلوله المقصود

وما ارسلنا من رسول الا ليطاع باذن الله بسبب اذنه في طاعته وامره المبعوث
اليهم بان يطيعوه وكانه احتج بذلك على ان الذي لم يرض بحكمه وان اظهر الاسلام كان كافرا
مستوجب القتل وتقريره ان ارسال الرسول لما لم يكن الا ليطاع كان من لم يطعه ولم يرض
بحكمه لم يقبل رسالته ومن كان كذلك كان كافرا مستوجب القتل ولو انهم اذ ظلموا انفسهم
بالنفاق او التحاكم الى الطاغوت جاؤك تائبين من ذلك وهو خبر ان واذ متعلق به فاستغفروا
الله بالتوبة والاخلاص واستغفر لهم الرسول واعتذروا اليك حتى انتصبت لهم
شفيعا وانما عدل عن الخطاب تفخيما لشانه وتنبيها على ان من حق الرسول ان يقبل عذر
التائب وان عظم جرمه ويشفع له ومن منصبه ان يشفع في كبائر الذنوب لوجدوا الله
توابا رحيما لعلموه قابلا لتوبتهم متفضلا عليهم بالرحمة وان فسر وجد بصادف كان توابا حالا
ورحيما بدلا منه او حالا من الضمير فيه فلا وربك اي فوربك ولا مزيدة لتاكيد القسم لا لتظاهر
لا في قوله لا يؤمنون لانها تزاد ايضا في الاثبات كقوله تعالى لا اقسم بهذا البلد حتى يحكموك فيما
شجر بينهم فيما اختلف بينهم واختلط ومنه الشجر لتداخل اغصانه ثم لا يجدوا في انفسهم حرجا
مما قضيت ضيقا مما حكمت به او من حكمك او شكا من اجله فان الشاك في ضيق من امره ويسلموا
تسليما وينقادوا لك انقيادا بظاهرهم وباطنهم ولو انا كتبنا عليهم ان اقتلوا انفسكم
تعرضوا بها للقتل بالجهاد او اقتلوها كما قتل بنو اسرائيل وان مصدرية او مفسرة لان كتبنا في معنى
امرنا او اخرجوا من دياركم خروجهم حين استتيبوا من عبادة العجل وقرا ابو عمرو ويعقوب
ان اقتلوا بكسر النون على اصل التحريك او اخرجوا بضم الواو للاتباع والتشبيه بواو الجمع في نحو ولا تنسوا
الفضل وقرا عاصم وحمزة بكسرهما على الاصل والباقون بضمهما اجراء لهما مجرى الهمزة المتصلة بالفعل
ما فعلوه الا قليل منهم الا اناس قليل وهم المخلصون لما بين ان ايمانهم لا يتم الا بان يسلموا حق
التسليم نبه على قصور اكثرهم ووهن اسلامهم والضمير للمكتوب ودل عليه كتبنا او لاحد مصدري
الفعلين وقرا ابن عامر بالنصب على الاستثناء او على الا فعلا قليلا ولو انهم فعلوا ما يوعظون
به من متابعة الرسول ومطاوعته طوعا ورغبة لكان خيرا لهم في عاجلهم واجلهم واشد تثبيتا
في دينهم لانه اشد لتحصيل العلم ونفي الشك او تثبيتا لثواب اعمالهم ونصبه على التمييز والاية
ايضا مما نزلت في شان المنافق واليهودي وقيل انها والتي قبلها نزلتا في حاطب بن ابي بلتعة
خاصم زبيرا في شراج من الحرة كانا يسقيان بها النخل فقال اسق يا زبير ثم ارسل الماء الى جارك
فقال حاطب لان كان ابن عمتك فقال عليه السلام اسق يا زبير ثم احبس الماء الى الجدر
واستوف حقك ثم ارسله الى جارك واذا لاتيناهم من لدنا اجرا عظيما جواب لسؤال
مقدر كانه قيل وما يكون لهم بعد التثبيت فقال واذا لو تثبتوا لاتيناهم لان اذا جواب
وجزاء ولهديناهم صراطا مستقيما يصلون بسلوكه جناب القدس ويفتح عليهم ابواب الغيب
قال عليه السلام من عمل بما علم ورثه الله علم ما لم يعلم ومن يطع الله والرسول فاولئك
مع الذين انعم الله عليهم مزيد ترغيب في الطاعة بالوعد عليها مرافقة اكرم الخلائق

قوله والباقون بضمهما يعني غير ابن عامر والكسائي وابن كثير ونافع قرؤا ان
اقتلوا انفسكم او اخرجوا من دياركم بضم نون ان وضم واو او بنقل ضمة اقتلوا واخرجوا
اليهما واجرائهما مجرى الهمزة المتصلة بالفعلين وقرا عاصم وحمزة بكسرهما لالتقاء الساكنين
وكون الكسرة اصلا في تحريك الساكن وقرا ابو عمرو بكسر النون وضم الواو
قال الزجاج لست اعرف لفصل ابي عمرو بين النون والواو خاصية الا ان
رواية وقال غيره اما كسر النون فلان الكسر هو الاصل في تحريك الساكن
لالتقاء الساكنين واما ضم الواو فلان الضمة في الواو احسن لانها تشبه
نحو اشتروا الضلالة ولا تنسوا الفضل

قوله تعالى واذا لاتيناهم اجرا عظيما جواب لسؤال مقدر كانه قيل وما يكون لهم بعد التثبيت
ان اذن جواب وجزاء اي فيقدر له سؤال يكون لاتيناهم جوابا له
لا محل له فلا يكون بهذا جزاء عليه وبهذا اندفع ما يتوهم من ان المقصود انها يكون
جزاء الشرط لكن احتيج الى ذلك لاجل اللام فالتحاف قدر الشرط
لو ثبتوا لاتيناهم ولا يخفى انه بعد السؤال بماذا يكون بعد التثبيت
المستغنى عنه لان معناه ماذا يكون لو تثبتوا فلا وجه لتقدير
اي اذن والله لاتيناهم سعد الدين

تمم
اذا قال قائل ازورك غدا فقلت اذن اكرمك فهي جواب وجزاء
ليس المراد بالجواب الا ان اذن لا تكون في كلام مبتدا بل في كلام مبني
تقدمه ملفوظا او مقدرا سواء كان شرطا او كلاما سائلا او نحوه كما انه ليس
بالجزاء المصطلح بل ما يكون منزلة الفعل في سواء السائل او عده
كما قاله الامام المرزوقي في قوله اذن لقام اي الا جواب بمعنى
والتقدير اذن والله لقام وفائدة اذن اخراج الكلام مخرج جواب
قال ولو اسمحوا ماذا كان فوقع التثبت جوابا لهذا
وجزاء على فعل التسبيح
لان اذا جواب وجزاء يفهم انه يكون بمعنيين في حالة واحدة وليس كذلك
انما تكون جوابا فقط في موضع وجوابا وجزاء في موضع فمن مثل اذن
من قال ازورك ليس جواب وجزاء سيوطي

واعظمهم قدرا من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين بيان للذين او حال منه او من ضميره
قسمهم اربعة اقسام بحسب منازلهم في العلم والعمل وحث كافة الناس على ان لا يتاخروا عنهم
وهم الانبيا الفايزون بكمال العلم والعمل المتجاوزون حد الكمال الى درجة التكميل ثم
الصديقون الذين صعدت نفوسهم تارة بمراقي النظر في الحجج والايات واخرى بمعارج
التصفية والرياضات الى اوج العرفان حتى اطلعوا على الاشيا واخبروا عنها على ما هي عليها ثم
الشهداء الذين ادى بهم الحرص على الطاعة والجد في اظهار الحق حتى بذلوا مهجهم في اعلاء كلمة
الله ثم الصالحون الذين صرفوا اعمارهم في طاعته واموالهم في مرضاته ولك ان تقول المنعم
عليهم هم العارفون بالله وهولاء اما ان يكونوا بالغين في درجة العيان او واقفين في مقام
الاستدلال والبرهان والاولون اما ان ينالوا مع العيان القرب بحيث يكونون كمن يرى الشي
قريبا وهم الانبياء او لا فيكونون كمن يرى الشي من بعيد وهم الصديقون والاخرون اما ان
يكون عرفانهم بالبراهين القاطعة وهم العلماء الراسخون الذين هم شهداء الله في ارضه واما ان يكون
بامارات واقناعات تطمئن اليها نفوسهم وهم الصالحون وحسن اولئك رفيقا في معنى التعجب
ورفيقا نصب على التمييز او الحال ولم يجمع لانه يقال للواحد والجمع كالصديق او لانه اريد
وحسن كل واحد منهم رفيقا روي ان ثوبان مولى رسول الله صلعم اتاه يوما وقد تغير وجهه ونحل
جسمه فسأله عن حاله فقال ما بي من وجع غير اني اذا لم اراك اشتقت اليك واستوحشت
وحشة شديدة حتى القاك ثم ذكرت الاخرة فخفت ان لا اراك هناك لاني عرفت انك
ترفع مع النبيين وانا ان دخلت الجنة كنت في منزل دون منزلك وان لم ادخل فذاك
حين لا اراك ابدا فنزلت ذلك اشارة الى ما للمطيعين من الاجر ومزيد الهداية ومرافقة
المنعم عليهم او الى فضل هولاء المنعم عليهم ومزيتهم الفضل صفته من الله خبره او الفضل خبره
ومن الله حال والعامل فيه معنى الاشارة وكفى بالله عليما بجزاء من اطاعه او بمقادير الفضل
واستحقاق اهله يا ايها الذين امنوا خذوا حذركم تيقظوا واستعدوا للاعداء و
الحذر والحذر كالاثر والاثر وقيل ما يحذر به كالحزم والسلاح فانفروا فاخرجوا
الى الجهاد ثبات جماعات متفرقة جمع ثبة من ثبت على فلان تثبيتا اذا ذكرت متفرق
محاسنه ويجمع ايضا على ثبين جبرا لما حذف من عجزه او انفروا جميعا مجتمعين كوكبة واحدة والاية
وان نزلت في الحرب لكن يقتضي اطلاق لفظها وجوب المبادرة الى الخيرات كلها كيف ما امكن قبل الفوات
وان منكم لمن ليبطئن الخطاب لعسكر رسول الله صلعم المومنين منهم والمنافقين والمبطئون
منافقوهم تثاقلوا وتخلفوا عن الجهاد من بطا بمعنى ابطا وهو لازم او ثبطوا غيرهم
كما ثبط ابن ابي ناسا يوم احد من بطا منقولا من بطؤ كثقل منقولا من ثقل واللام الاولى
للابتداء دخلت اسم ان للفصل بالخبر والثانية جواب قسم محذوف والقسم بجوابه صلة من
والراجع اليه ما استكن في ليبطئن والتقدير وان منكم لمن اقسم بالله ليبطئن فان اصابتكم
مصيبة كقتل وهزيمة قال اي المبطئ قد انعم الله علي اذ لم اكن معهم شهيدا حاضرا

يصيبني ما اصابهم ولئن اصابكم فضل من الله كفتح وغنيمة ليقولن اكده تنبيها على فرط تحسرهم وقرئ بضم اللام اعادة للضمير على معنى من كان لم تكن بينكم وبينه مودة اعتراض بين الفعل ومفعوله وهو يا ليتني كنت معهم فافوز فوزا عظيما للتنبيه على ضعف عقيدتهم وان قولهم هذا قول من لا مواصلة بينكم وبينه وانما يريد ان يكون معكم لمجرد المال او حال من الضمير في ليقولن او داخل في المقول اي يقول المبطئ لمن يثبطه من المنافقين وضعفة المسلمين تضريبا وحسدا كان لم يكن بينكم وبين محمد مودة حيث لم يستعن بكم فتفوزوا بما فاز يا ليتني كنت معهم وقيل انه متصل بالجملة الاولى وهو ضعيف اذ لا يفصل ابعاض الجملة بما لا يتعلق بها لفظا ومعنى وكأن مخففة من الثقيلة واسمها ضمير الشان وهو محذوف وقرأ ابن كثير وحفص عن عاصم ورويس عن يعقوب تكن بالتاء لتانيث لفظ المودة والمنادى في يا ليتني محذوف اي يا قوم وقيل يا اطلق للتنبيه على الاتساع فافوز نصب على جواب التمني وقرئ بالرفع على تقدير فانا افوز في ذلك الوقت او العطف على كنت فليقاتل في سبيل الله الذين يشرون الحيوة الدنيا بالاخرة اي الذين يبيعونها بها والمعنى ان بطأ هؤلاء عن القتال فليقاتل المخلصون الباذلون انفسهم في طلب الاخرة او الذين يشرونها ويختارونها على الاخرة وهم المبطئون والمعنى حثهم على ترك ما حكي عنهم ومن يقاتل في سبيل الله فيقتل او يغلب فسوف نؤتيه اجرا عظيما وعد له الاجر العظيم غلب او غلب ترغيبا في القتال وتكذيبا لقولهم قد انعم الله علي اذ لم اكن معهم شهيدا وانما قال فيقتل او يغلب تنبيها على ان المجاهد ينبغي ان يثبت في المعركة حتى يعز نفسه بالشهادة او الدين بالظفر والغلبة وان لا يكون قصده بالذات الى القتل بل الى اعلاء الحق واعزاز الدين وما لكم مبتدأ وخبر لا تقاتلون في سبيل الله حال والعامل فيها ما في الظرف من معنى الفعل والمستضعفين عطف على اسم الله اي وفي سبيل الله المستضعفين وهو تخليصهم عن الاسر وصونهم عن العدو او على السبيل بحذف المضاف اي وفي خلاص المستضعفين ويجوز نصبه على الاختصاص فان سبيل الله يعم ابواب الخير وتخليص ضعفة المسلمين من ايدي الكفار اعظمها واخصها من الرجال والنساء والولدان بيان للمستضعفين وهم المسلمون الذين بقوا بمكة لصد المشركين او ضعفهم عن الهجرة مستذلين ممتحنين وانما ذكر الولدان مبالغة في الحث وتنبيها على تناهي ظلم المشركين بحيث بلغ اذاهم الصبيان وان دعوتهم اجيبت بسبب مشاركتهم في الدعاء حتى يشاركوا في استنزال الرحمة واستدفاع البلية وقيل المراد به العبيد والاماء وهو جمع وليد الذين يقولون ربنا اخرجنا من هذه القرية الظالم اهلها واجعل لنا من لدنك وليا واجعل لنا من لدنك نصيرا فاستجاب الله دعاءهم بان يسر لبعضهم الخروج الى المدينة وجعل لمن بقي منهم خير ولي وناصر بفتح مكة على نبيه صلى الله عليه وسلم فتولاهم ونصرهم ثم استعمل عليهم عتاب بن اسيد فحماهم ونصرهم حتى صاروا اعز اهلها والقرية مكة والظالم صفتها وتذكيره لتذكير ما اسند اليه فان اسم الفاعل او المفعول اذا جرى على غير من هو له كان كالفعل يذكر ويؤنث على حسب ما عمل فيه الذين امنوا يقاتلون في سبيل الله فيما يصلون به الى الله والذين كفروا يقاتلون في سبيل الطاغوت فيما يبلغ بهم الى الشيطان فقاتلوا

قوله وقيل انه متصل بالجملة الاولى وهي قوله فان اصابتكم مصيبة وقعت معترضة بين هذه الجملة الشرطية وبين جملة القسم وهي قوله ولئن اصابكم فضل والتقدير فان اصابتكم مصيبة قال قد انعم الله علي اذ لم اكن معهم شهيدا كان لم تكن بينكم وبينه مودة ولئن اصابكم فضل من الله ليقولن فاخرت الجملة المعترضة بها اعني قوله كان لم تكن بينكم وبينه مودة والبينة التوسط ورد هذا القول بانه مستقبح لانه يفصل من بعض الجملة وبعض ما يتعلق بجملة اخرى وقيل هذا القول كانه نفسه معترضا لا توجيه اعراب

قوله وكان مخففة من الثقيلة واعملها في هذه الصورة ... انها لا تعمل مخففة واعمالها عند البصريين غالبا في ضمير الشان وهو واجب الحذف

قوله مستذلين حال من فاعل بقوا اي بقوا فيها والحال انهم مقهورون من كفار مكة الاذى الشديد قال ابن عباس كنت انا وامي من المستضعفين من النساء والولدان وهو دليل على ان الولدان بعض الصبيان على انه جمع وليد كجان جمع جريب وقيل الولدان جمع وليد فيكون المراد بهم العبيد والاماء والامة

قوله وانما ذكر الولدان اي مع ان الصبيان لم يبلغوا حد ان يستذلوا ويمتحنوا مبالغة في الحث على قتال المشركين بالتنبيه على تناهي ظلمهم حيث بلغ اذاهم الصبيان ارغاما لابائهم وامهاتهم ولان المستضعفين كانوا يشركون اولادهم الصغار في دعائهم استنزالا لرحمة الله ... ولم يذنبوا كما ورد في السنة اخراجهم في الاستسقاء فقول المص وان دعوتهم عطف على قوله مبالغة والتقدير ولان دعوتهم وغلب المذكر على المؤنث حكى الذين يقولون في موضع الجر على انه صفة المستضعفين وما بالرجال ومن بعدهم وغلب المذكر ... ذكروا معهم عنهم انهم ... ويقولون ربنا اخرجنا الاية فلما شارك الولدان المستضعفين في هذا الدعاء ... وان لم يبلغوا الى حد ... مستضعفين ومشيح ... انهم يحسدونكم ما يصل اليكم من الخير كان لم تكن بينكم وبينه مودة

قوله كان لم تكن بينكم وبينه مودة اعتراض في غاية الجزالة اذ نقيد انهم ... بينكم وبينهم مودة ... يا ليتني كنت معهم فافوز فوزا

قوله اعتراض بين الفعل ومفعوله فان نظم التنزيل لو كان هكذا ولئن اصابكم فضل من الله ليقولن يا ليتني كنت معهم فافوز فوزا ... كان لم تكن بينكم وبينه مودة في البين اعتراضا لا محل لها من الاعراب ... قال الامام هذا الاعتراض ... لانه تعالى حكى عن هذا المنافق انه اذا وقعت للمسلمين نكبة اظهر السرور ... بسبب انه كان متخلفا عنهم ... ولو فاز بغنيمة ... اظهر الغم ... بهذه المعاملة لا يقدم الانسان عليها الا في حق الاجنبي العدو ... ثم اراد ان يحكي عنهم ... فقبل ان يذكر هذا الكلام بتمامه القى في البين قوله كان لم تكن بينكم وبينه مودة ... كانه قال انظروا الى ما يقول هذا المنافق كان لم يكن بينكم ايها المؤمنون وبينه مودة ... اصلا ... ثم حكى عنه مقوله

قوله الذين يشرون الحياة الدنيا بالاخرة ... يشترون الحيوة الدنيا بالاخرة ... والضلالة ... المنافقون ...

قوله كانه قيل اولم تكن معهم شهيدا كان لم يكن بينهم وبينه مودة والمعنى ظاهر ... القول المذكور وهو فان اصابتكم الاية ... من عدم المودة ... فكان الكلام ... عصام

قوله بان يسر لبعضهم الخروج الى المدينة ... على التوزيع والظاهر ان طلب الاخراج ... وطلب الولي ... غنه

اولياء الشيطان لما ذكر مقصد الفريقين امر اولياءه ان يقاتلوا اولياء الشيطان ثم شجعهم بقوله
ان كيد الشيطان كان ضعيفا اي ان كيده للمومنين بالاضافة الى كيد الله للكافرين بما
ضعيف لا يوبه به فلا تخافوا اولياءه فان اعتمادهم على اضعف شيء واوهنه الم تر الى الذين
قيل لهم كفوا ايديكم اي عن القتال واقيموا الصلوة واتوا الزكوة واشتغلوا بما امرتم به
فلما كتب عليهم القتال اذا فريق منهم يخشون الناس كخشية الله يخشون الكفار ان يقتلوهم
كما يخشون الله ان ينزل عليهم باسه واذا للمفاجاة جواب لما وفريق مبتدا منهم صفته يخشون
خبره وكخشية الله من اضافة المصدر الى المفعول وقع موقع المصدر او الحال من فاعل يخشون
على معنى يخشون الناس مثل اهل خشية الله منه او اشد خشية عطف عليه ان جعلته حالا وان
جعلته مصدرا فلا لان افعل التفضيل اذا نصب ما بعده لم يكن من جنسه بل هو معطوف على اسم
الله اي وكخشية الله او كخشية اشد منه على الفرض اللهم الا ان يجعل الخشية ذات خشية
كقولهم جد جده على معنى يخشون الناس خشية مثل خشية الله او خشية اشد خشية من خشية
الله وقالوا ربنا لم كتبت علينا القتال لولا اخرتنا الى اجل قريب استزادة في مدة الكف
عن القتال حذرا عن الموت ويحتمل انهم ما تفوهوا به ولكن قالوه في انفسهم فحكى الله عنهم
قل متاع الدنيا قليل سريع التقضي والاخرة خير لمن اتقى ولا تظلمون فتيلا ولا تنقصون
ادنى شيء من ثوابكم فلا ترغبوا عنه او من اجالكم المقدرة وقرا ابن كثير وحمزة والكسائي
ولا يظلمون لتقدم الغيبة اينما تكونوا يدرككم الموت وقرئ بالرفع على حذف الفاء كما في قوله
من يفعل الحسنات الله يشكرها او على انه كلام مبتدا واينما متصل بلا تظلمون ولو كنتم في
بروج مشيدة في قصور او حصون مرتفعة والبروج في الاصل بيوت على اطراف القصر من
تبرجت المراة اذا ظهرت وقرئ مشيدة وصفا لها بوصف فاعلها كقولهم قصيدة شاعرة
ومشيدة من شاد القصر اذا رفعه وان تصبهم حسنة يقولوا هذه من عند الله وان
تصبهم سيئة يقولوا هذه من عندك كما تقع الحسنة والسيئة على الطاعة والمعصية تقعان على النعمة
والبلية وهما المراد في الاية اي ان تصبهم نعمة كخصب نسبوها الى الله وان تصبهم بلية كقحط اضافوها
اليك وقالوا ان هي الا بشومك كما قالت اليهود منذ دخل محمد المدينة نقصت ثمارها و
غلت اسعارها قل كل من عند الله يقبض ويبسط حسب ارادته فما لهولاء القوم لا يكادون
يفقهون حديثا يوعظون به وهو القران فانهم لو فهموه وتدبروا معانيه لعلموا ان الكل من الله
او حديثا ما كبهائم لا افهام لهم او حادثا من صروف الزمان فيتفكروا فيها فيعلموا ان الباسط و
القابض هو الله ما اصابك يا انسان من حسنة اي من نعمة فمن الله تفضلا منه فان كل
ما يفعله الانسان من الطاعة لا يكافئ نعمة الوجود فكيف تقتضي غيره ولذلك قال عليه السلام
ما يدخل احد الجنة الا برحمة الله قيل ولا انت قال ولا انا وما اصابك من سيئة من بلية
فمن نفسك لانها السبب فيها لاستجلابها بالمعاصي وهو لا ينافي قوله كل من عند الله فان الكل منه
ايجادا وايصالا غير ان الحسنة احسان وامتحان والسيئة مجازاة وانتقام كما قالت عائشة

اى خشية ووقعت المصدر الخشية المحذوف يعني ان قوله اشد خشية عطف على الكاف اى كخشية الناس او خشية مثل خشية الله اى مثل خشية هو صفة مصدر محذوف

114

قوله وقع موقع المصدر يعني انه صفة مصدر محذوف والتقدير يخشون الناس خشية كخشية الله وان اوقع موقع الحال من فاعل يخشون يكون المعنى يخشون الناس متشبهين لا بل خشية الله او اشد خشية منه اى بل خشية الله فيكون اشد معطوفا على ما وقع موقع الحال وهو قوله كخشية الله تعالى وان جعلته واقعا موقع المصدر لا يكون اشد معطوفا عليه لان عطفه عليه حينئذ يستلزم ان يكون اشد صفة للمصدر ايضا وان يكون المعنى يخشون الناس خشية اشد خشية من خشية الله فيلزم ان يكون للخشية خشية وان يكون افعل التفضيل المنصوب مابعده من جنس ما بعده وذا لا يجوز بل يجب ان يكون فاعلا لما بعده فيكون اشد خشية عبارة عن الذي هي حالا منه وانما يكون عبارة عن الخشية اذا اضيف الى الخشية فيل عليه التمييز بعد اسم التفضيل قد يكون نفس ما انتصب عنه لا متعلقا له كما في قوله تعالى فالله خير حافظا فهو والخير سواء نحو خير حافظ وخير حافظ فالله هو الحافظ في الوجهين فالخشية هنا يكون نفس الموصوف ولا يلزم ان يكون للخشية خشية

قوله بل هو معطوف على اسم الله اى على تقدير ان يكون كخشية الله صفة مصدر محذوف يكون اشد معطوفا على اسم الله ويكون المعنى يخشون الناس خشية مثل خشية الله او مثل خشية من هو اشد من جهة كونه مخشيا منه فيكون قول المص او اشد خشية ... الى اشد وقوله خشية منه تمييز اشد بمعنى مخشيا وما لم يكن ذلك متحققا في الخارج قال على الوضع ... مولانا ... زاده رحمه الله

قوله او كخشية الله الى قوله على الوضع معناه او كخشيتهم كانت خشيتهم منه اشد من خشية الله وانما قال على سبيل الفرض لانهم لم يخشوا الناس خشية كخشية اشد خشية منه اى من الله تعالى اذ لم يرد كون خشيتهم منه اشد من خشيتهم الله تعالى

قوله على معنى يخشون الناس خشية مثل خشية الله ناظر الى قوله وقع موقع المصدر وقوله او اشد خشية من خشية الله تقدير المعنى على احتمال عطف قوله او اشد خشية على قوله كخشية حال كون كخشية صفة المصدر المحذوف اى خشية بين مفعول مطلق لقوله يخشون ...

قوله او الحال يعني قوله كخشية ان وقع موقع الحال من فاعل يخشون يكون المعنى يخشون الناس متشبهين لا بل خشية الله او اشد خشية منه اى بل خشية الله فيكون اشد معطوفا على ما وقع موقع الحال وهو قوله كخشية الله وان جعلته واقعا موقع المصدر لا يكون اشد معطوفا عليه لان عطفه عليه حينئذ يستلزم ان يكون اشد صفة للمصدر ايضا وان يكون المعنى يخشون الناس خشية اشد خشية من خشية الله فيلزم ان يكون للخشية خشية وان يكون افعل التفضيل المنصوب مابعده من جنس ما بعده وذا لا يجوز بل يجب ان يكون فاعلا لما بعده فيكون اشد خشية عبارة عن الذي هي حالا منه وانما يكون عبارة عن الخشية اذا اضيف الى الخشية وقيل اشد خشية قيل عليه التمييز بعد اسم التفضيل قد يكون نفس ما انتصب عنه لا متعلقا له كما في قوله تعالى فالله خير حافظا فهو والخير سواء نحو خير حافظ وخير حافظ فالله هو الحافظ في الوجهين فالخشية ههنا يكون نفس الموصوف ولا يلزم ان يكون للخشية خشية مرسيح ... بمنزلة ان يقول اشد خشية ما لكن جواز هذا فيما يجوز اذا كان التمييز نفس الموصوف بحسب المفهوم واللفظ محل نظر سعد الدين

قوله من اضافة المصدر الى المفعول يعني لا يعتبر المصدر من المبني للمفعول بحيث يكون الاضافة الى ما هو قائم مقام الفاعل كما في قوله تعالى وهم من بعد غلبهم اى مغلوبيتهم وذلك لا يصح ان يكون الاضافة الى اهل الله كنزا معنى بمنزلة قولك حال كونهم اهل المخوفية الله بل المعنى مثل اهل الخائفية من المعنى وهم الى النفوس فليتنبه للفرق بين المصدر المبني للمفعول والمضاف الى المفعول هذا سعد الدين رحمه الله

قوله اذا فريق منهم اذا هنا للمفاجاة والتي للمفاجاة ظرف مكان وظرف المكان في مثل هذا يجوز ان يكون خبرا للاسم الذي بعده وهو فريق ههنا ومنهم صفة فريق ويخشون حال والعامل في الظرف على هذا الاستقرار ويجوز ان يكون ذا غير خبر فيكون فريق مبتدا ومنهم صفته ويخشون الخبر وهو العامل في اذا والمصدر مضاف الى المفعول او اشد معطوف على الخشية فهو مجرور ويجوز ان يكون منصوبا عطفا على موضع الكاف ... مولانا القاري

قوله استزاد في مدتهم ... بل استزادة للكون البشر مجبولا على حب الحياة ... بالرفع معنى ... الجمهور على جزم ... لانه جواب الشرط ... على سبيل المجاز للتاكيد ... فيكون ... حروف ... بعد قوله ... لا تنقص ... في الدنيا ... الى الاخرة ... بيان ... رحمه

قوله والتعميم ان علق بها اي رسولا للناس جميعا يرده تقدم الناس عليه عامة وهو رسولا بقيد في هذا المقام مع القصر للقصر وبيانه ان اللام في الناس للاستغراق وهو لا يقابله بعض لانه رد لزعمهم انه مبعوث الى العرب خاصة دون كل الناس ومع القصر القلبي رد للكافر في اثبات ما نفيه ونفي ما اثبته لكم سعدي

قوله لان في الحصة مبلغ والامر هو الله هذا التعليل يفيد ان لفظ الرسول لانه موضع الظاهر مقام المضمر لاشعار بعليته لايجاب الطاعة له ويدل على السياق وهو قوله ومن تولى فما ارسلناك عليهم حفيظا وكان مقتضى الظاهر ومن تولى فقد عصى الله في مقابلة قوله فقد اطاع الله فوضع ذلك موضعه ليدل على المبالغة سيوطي

قوله والبيت ابلغ التبييت قال الزجاج كل امر تفكر فيه كثيرا وتامل في مصالحه ومفاسده قيل هذا امر مبيت قال تعالى اذ يبيتون ما لا يرضى من القول واشتقاقه اما من البيتوتة او من البيت سمي الفكر المستقصى مبيتا على اشتقاقه من البيتوتة لان اصلح الاوقات للتفكر ان يجلس الانسان في ظلمة الليل اذ بذلك يكون الخاطر اصفى فلما كان غالب الافكار التي تستقصى فيه الانسان واقعا في الليل سمي الفكر المستقصى مبيتا واما على اشتقاقه من البيت اعم من بيت الشعر او من البيت المبني فللتشبيه به من حيث انه يسوى ويدبر فان بناء فعل ذلك للتشبيه نسبة الى البدعة وفي التشبيه نسبة المشبه الى المشبه به شيخ

قوله ويقولون طاعة بالرفع اي امرنا [redacted] وشاننا طاعة [redacted] ويجوز النصب بمعنى اطعناك طاعة وهذا من قول المرتسم سمعا وطاعة قال سيبويه سمعنا بعض العرب يقال له كيف اصبحت فيقول حمد الله وثناء عليه كانه قال امري وشاني حمد الله وثناء عليه كان على الفعل والرفع يدل على ثبات الطاعة واستقرارها

قوله والله يكتب ما يبيتون يثبته في صحائف اعمالهم ويجازيهم عليه على سبيل الوعيد او يكتبه في جملة ما يوحي اليك فيطلعك على اسرارهم فلا تحسبوا ان ظانهم يغني عنهم فاعرض ولا تحدث نفسك بالانتقام منهم وتوكل على الله في شانهم فان الله يكفيك معرتهم وينتقم لك منهم اذا قوي امر الاسلام وعز انصاره كشاف رحمه الله

قوله واذا جاءهم امر من الامن او الخوف الخ ذكر في تفسير الاية ثلاثة اوجه مبنى الاول على ان ... الامر ووصول خبر السرايا اليهم وردوه الى الرسول والى اولي الامر القادة اليهم واخبارهم به من غير اذاعة والعلم معرفة ... والمصلحة فيه ومبنى الثاني على ... اطلاعهم على الرسول واولي الامر من كوف والامن من قبل الاخذ ورده اليهم ترك التعرض له وجعله بمنزلة غير المسموع والعلم معرفة كيفية التدبير ومبنى الثالث على ان ... سماع خبر السرايا انما فوا المنافقين ورده الى الرسول والى اولي الامر مصير كونه موقوفا الى السماع منهم والذين يستنبطونه هم الذين ... والعلم معرفتهم بما ينبغي في ذلك الامر من الاذاعة وعدمها واستنباطهم ... الرسول واولي الامر ... امثال تلك الامور والعلم بمصالحها ... منهم فمن على هذا ابتدائية والظرف لغو متعلق بيستنبطونه وعلى الاولين تبعيضية او بيانية ... والظرف في موضع الحال سعد الله

[illegible]

والا جعلته مصدرا فلا لان افعل التفضيل اذا نصب ما بعده لم يكن من جنسه بغير جعلت قوله تعالى كخشية الله صفة للمصدر المحذوف فلا اي لم يجز عطف قوله تعالى او اشد خشية عليه لانه معطوف عليه في هذه الصورة يخالف قاعدة النحو من ان افعل التفضيل اذا نصب ما بعده لم يكن من جنسه لان قوله اشد خشية اذا كان معطوفا على قوله كخشية الله حال كونه صفة للمصدر المحذوف الذي هو مفعول مطلق لقوله تعالى يخشون يكون ذلك المعطوف اعني قوله او اشد خشية صفة للمصدر المحذوف ايضا لان المعطوف في حكم المعطوف عليه فتكون لفظة اشد عبارة عن الخشية لكونه صفة لها فيلزم ان يكون افعل التفضيل من جنس ما بعده لان قوله خشية اذا كان عبارة عن الخشية والحال ان المنصوب بعده كذلك لفظة خشية فيكون افعل التفضيل اعني لفظة اشد من جنس ما بعده بل عينه وهذا مخالف قاعدة النحو فلا يجوز عطف قوله او اشد خشية على قوله كخشية الله حين كون قوله كخشية الله صفة للمصدر المحذوف على ما هو اللهم الا ان يجعل الخشية خاشية استثناء من قوله وان جعلته مصدرا فلا اي فلا يكون قوله تعالى او اشد خشية معطوفا على كخشية الله [redacted] اذا جعلت قوله كخشية الله صفة للمصدر المحذوف الا اذا جعلت الخشية خاشية بمعنى على طريقة الاسناد المجاز العقلي فبهذه الاسناد المجازي يجوز ان يكون للخشية خشية مبالغة في كمال خشيتهم حتى كانهم من كمال خشيتهم صار لخشيتهم خشية كما قال المرحوم شيخ زاده ويكون المعنى يخشون الناس بحيث سرت خشيتهم الى كيفياتهم حتى خشيت خشيتهم ولم يقتصر على مجرد كونها خاشية بل صارت خشية خشيتهم اشد من خشية الله فلا يلزم هذا اي وصف خشيتهم بالشدة المبالغة انتهى فيجوز بهذا الاعتبار ان يكون لخشيتهم خشية ولما جاز ذلك الاسناد المجازي جاز عطف قوله او اشد خشية الى قوله كخشية الله وان كان قوله كخشية الله صفة للمصدر المحذوف كقولهم جد جده قال السعد رحمه الله في المطول [redacted] الاسناد مجاز عقلي وهو اسناد الفعل او معناه الى ملابس له غير ما هو له بغير الفاعل فيما بني للفاعل وغير المفعول به فيما بني للمفعول بنصب قرينة صارفة للاسناد عن ان يكون الى ما هو له وللفعل ملابسات شتى يلابس الفاعل والمفعول به والمصدر والزمان وغيرها فاسناده الى الفاعل او الى المفعول به اذا كان مبنيا للفاعل يعني اسناده الى الفاعل اذا كان مبنيا له او الى المفعول به اذا كان مبنيا له حقيقة واسناده الى غير الفاعل في المبني للفاعل وغير المفعول به اذا كان مبنيا للمفعول للملابسة مجاز كقولهم عيشة راضية فيما بني للفاعل واسند الى المفعول به اذ العيشة مرضية وجد جده في المصدر وسيل مفعم اذ المفعم اسم المفعول وقد اسند الى الفاعل انتهى مطالعة العمر لكي

قوله في شرح اول هذه الاية الكريمة كخشية الله من اضافة المصدر الى المفعول وقع موقع المصدر او الحال من فاعل يخشون على معنى يخشون الناس مثل اهل خشية الله منه اعلم ان لسان هذه المحل الصعب قدمنا امثلته واحتمالا اضافة المصدر الى مفعوله حال كونه مبنيا للفاعل او الى فاعله حال كونه مبنيا للفاعل والثاني اضافته الى مفعوله حال كونه مبنيا للمفعول وهو غير متصور مثاله انه اذا علمنا ان شخصا مراده افادة نصرة زيد الى اخر كونهم ناصرا او قال لافادة هذا المعنى نصرة زيد فنقول بناء على علمنا مراده وسابقا انه اضاف المصدر المبني للفاعل الى فاعله لحيث الجرة من الامام اذا اريد افادة محبة الجد الى شخص فهذا امثلة احتمال الاول واما اذا علمنا ان شخصا مراده افادة خشية قوم من الله وقال لافادة هذا المقصود خشية الله رأس الحكمة فنقول انه اضاف المصدر المبني للفاعل الى مفعوله كما انه اذا اريد افادة محبة شخص الى جرة [redacted] وقلنا حب الجرة ليس بعيب لزيد فهو من قبيل اضافة المصدر المبني للفاعل الى مفعوله واما اذا علمنا ان شخصا مراده افادة مغلوبية قوم وقال في زيد غلبهم خيرا ان نقول انه اضاف المصدر المبني للمفعول الى مفعوله اي مغلوبيتهم فاذا عرفت هذه الاحتمالات فقول البيضاوي رحمه الله كخشية الله من قبيل اضافة المصدر الى معموله يعني من قبيل اضافة المصدر المبني للفاعل الى مفعوله وهو من قبيل احتمال الثاني وقوله وقع موقع المصدر يعني ان قوله كخشية الله مع الجار والمجرور او الكاف بمعنى المثل صفة لمصدر وهو خشية اي مفعول مطلق لقوله يخشون والتقدير يخشون الناس خشية كخشية الله مفعول يخشون هو الضمير ومعموله لفظة جلاله وقوله رحمه الله او الحال من فاعل يخشون يعني قوله كخشية الله حال من فاعله فالتقدير وهم يخشون الناس متشبهين لاهل خشية الله بتقدير لفظة اهل ومآله يخشونه حال كونهم كاهل خشية الله قال الكشاف وشارحه سعد الملة لا يعتبر المصدر المبني للمفعول بحيث يكون الاضافة الى ما هو قائم مقام الفاعل كما في قوله تعالى من بعد غلبهم اي مغلوبيتهم وذلك لانه حج لا يكون اهل مخوفة الله بل المعنى مثل اهل التي تنسب من الله وهم الخائفون هذا ما املاه العصر مكي تعدم ضياع تعب المطالعة بالجد وصرف المقدور ٨ بالرا ... عفا الله له

[illegible]

ما من مسلم يصيبه وصب ولا نصب حتى الشوكة يشاكها وحتى انقطاع شسع نعله الا بذنب وما يعفو الله اكثر والآيتان كما ترى لا حجة فيهما لنا وللمعتزلة وأرسلناك للناس رسولا حال قصد بها التأكيد ان علق الجار بالفعل والتعميم ان علق بها اي رسولا للناس جميعا كقوله وما أرسلناك الا كافة للناس ويجوز نصبه على المصدر كقوله ولا خارجا من فيّ زور كلام وكفى بالله شهيدا على رسالتك بنصب المعجزات من يطع الرسول فقد أطاع الله لانه في الحقيقة مبلغ والآمر هو الله روي انه عليه السلام قال من احبني فقد احب الله ومن اطاعني فقد اطاع الله فقال المنافقون لقد قارف الشرك وهو ينهى عنه ما يريد الا ان نتخذه ربا كما اتخذت النصارى عيسى فنزلت ومن تولى عن طاعتك فما أرسلناك عليهم حفيظا تحفظ عليهم اعمالهم وتحاسبهم عليها انما عليك البلاغ وعلينا الحساب وهو حال من الكاف ويقولون اذا امرتهم بامر طاعة اي امرنا طاعة او منا طاعة واصلها النصب على المصدر ورفعها للدلالة على الثبات فاذا برزوا من عندك خرجوا بيّت طائفة منهم غير الذي تقول اي زورت خلاف ما قلت لها او ما قالت لك من القبول وضمان الطاعة والتبييت اما من البيتوتة لان الامور تدبر بالليل او من بيت الشعر او البيت المبني لانه يسوى ويدبر وقرأ ابو عمرو وحمزة بيت طائفة بالادغام لقربهما في المخرج والله يكتب ما يبيتون يثبته في صحائفهم للمجازاة او في جملة ما يوحى اليك لتطلع على اسرارهم فاعرض عنهم قلل المبالاة بهم او تجاف عنهم وتوكل على الله في الامور كلها سيما في شأنهم وكفى بالله وكيلا يكفيك معرتهم وينتقم لك منهم أفلا يتدبرون القرآن يتأملون في معانيه ويتبصرون ما فيه واصل التدبر النظر في ادبار الشيء ولو كان من عند غير الله اي ولو كان من كلام البشر كما زعم الكفار لوجدوا فيه اختلافا كثيرا من تناقض المعنى وتفاوت النظم فكان بعضه فصيحا وبعضه ركيكا وبعضه يصعب معارضته وبعضه يسهل ومطابقة بعض اخباره المستقبلة للواقع دون بعض وموافقة العقل لبعض احكامه دون بعض على ما دل عليه الاستقراء لنقصان القوة البشرية ولعل ذكره هنا للتنبيه على ان اختلاف ما سبق من الاحكام ليس لتناقض في الحكم بل لاختلاف الاحوال في الحكم والمصالح واذا جاءهم امر من الامن او الخوف مما يوجب الامن او الخوف اذاعوا به افشوه كان يفعله قوم من ضعفة المسلمين اذا بلغهم خبر عن سرايا رسول الله او اخبرهم الرسول صلعم بما اوحي اليه من وعد بالظفر او تخويف من الكفرة اذاعوا به لعدم حزمهم وكانت اذاعتهم مفسدة والباء مزيدة او لتضمن الاذاعة معنى التحدث ولو ردوه ولو ردوا ذلك الخبر الى الرسول والى اولي الامر منهم الى رأيه ورأي كبار اصحابه البصراء بالامور او الامراء لعلمه على اي وجه يذكره الذين يستنبطونه منهم يستخرجون تدابيره بتجاربهم وانظارهم وقيل كانوا يسمعون اراجيف المنافقين فيذيعونها فتعود وبالا على المسلمين ولو ردوه الى الرسول والى اولي الامر منهم حتى يسمعوه منهم وتعرفوا انه هل يذاع لعلم ذلك من هؤلاء الذين يستنبطونه من الرسول واولي الامر اي يستخرجون علمه من جهتهم واصل الاستنباط اخراج النبط

منهم اي من [redacted] واولي الامر يستخرجون علمه من جهتهم قال السعد رحمه الله والمراد من العلم ههنا معرفتهم بما ينبغي في ذلك الامر من الاذاعة وعدمها قوله لعلمه باي وجه يذكره هذه العبارة صالحة لتفسير قوله تعالى لعلمه بالنظر الى الاحتمالات الثلاثة التي ذهبوا الى احتمالها في تفسير الآية الكريمة المذكورة اي لعلم المستنبطون ذلك الامر باي وجه يذكرونه [redacted] المستنبطون [redacted] انهم عالمون ان ذلك الامر باي وجه يذكرونه

[illegible]

فقاتل في سبيل الله قال صاحب الكشاف لما ذكر في الآية السابقة تثبطهم عن القتال واظهارهم الطاعة
واضمارهم خلافها قال فقاتل الآية وظاهر كلام المص موافقته لكن قصة المنافقين قد بعدت ولا
ارتباط المعنى لما تفضل الله تعالى عليك بالنعمة التي هي شرف الرسالة والمعجزات وعلى المؤمنين
بهدايتهم بارسالك قاتل في سبيل الله لتقوية دينه الحق واعلاء كلمته شكر النعمة المذكورة [redacted] لا تكلف
الا نفسك لا يضر عنك ان لم يساعدك احد وحرض المؤمنين وليس عليك الا تحريضهم كذا في ح

قوله لا تكلف الا نفسك اما حال من فاعل فقاتل اي فقاتل غير مكلف الا نفسك وحدها او استئناف
اخبر تعالى اياه انه لا يكلف غير نفسه ونكلف بناء الخطاب هو رفع الفعل مبنيا للمفعول ونفسك
مفعوله الثاني

قوله واشتقاقه من القوت الظاهر انه متعلق بمعنى المقيت بمعنى الحافظ وقيل يعم كونه بمعنى المقتدر لان القدرة
سبب القدرة [illegible] من عصام تحية العرب قبل الاسلام حياك الله اي اطال حياتك وتحية المسلمين
ان يقول السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وهذا اشرف من حياك الله لان الحي اذا كان سليما كان حيا [illegible]

قوله لما روي الحديث قيل ظاهره انه استدلال على ان المراد من التحية السلام وان وقع الفصل من المدعي والدليل صح
في ان رده وعليك السلام ورحمة الله وبركاته نهاية من كلامه فان ما قال الله تعالى الآية [illegible] والجواب الصحيح [illegible]
لان الشق الاول منه [illegible] ومصحح الحديث [illegible]
وعليك السلام ورحمة الله وبركاته نهاية لاستجماع [illegible]
جميع اقسام المطالب السلامة عن المضار [illegible]
ورحمة الله وبركاته هي النهاية [illegible]
[illegible] الحديث [illegible] [redacted] [illegible]

قوله ومنه قيل اي ومن اجل [illegible] ذكر [illegible] الحديث المذكور [illegible] وللترديد [illegible]
ان النبي صلى الله عليه وسلم حيى المسلم [illegible] بعض التحية [illegible]
[illegible] لو قال المسلم السلام عليك ورحمة الله لم يجب على المجيب ان يقول ورحمة الله
بل يكفي ان يقول وعليك السلام لانه اتى ببعض التحية وهو ظاهر كلام الفقهاء لكن ظاهر الآية [illegible]
ورحمة الله وكذا الوزان والمسلم لفظ وبركاته [illegible]

وهو الماء يخرج من البئر أول ما يحفر. ولولا فضل الله عليكم ورحمته بإرسال الرسول
وإنزال الكتاب لاتبعتم الشيطان بالكفر والضلال إلا قليلا إلا قليلا منكم تفضل
الله عليهم بعقل راجح اهتدى به إلى الحق والصواب وعصمه من متابعة الشيطان كزيد
بن عمرو بن نفيل وورقة بن نوفل أو إلا اتباعا قليلا على الندور. فقاتل في سبيل الله
إن تثبطوا وتركوك وحدك. لا تكلف إلا نفسك إلا فعل نفسك لا يضرك مخالفتهم
وتقاعدهم فتقدم إلى الجهاد وإن لم يساعدك أحد فإن الله ناصرك لا الجنود. روي
أنه عليه السلام دعا الناس في بدر الصغرى إلى الخروج فكرهه بعضهم فنزلت فخرج
وما معه إلا سبعون لم يلو على أحد. وقرئ لا تكلف بالجزم ولا نكلف بالنون على بناء
الفاعل أي لا نكلفك إلا فعل نفسك لا أنا لا نكلف أحدا إلا نفسك لقوله وحرض
المؤمنين على القتال إذ ما عليك في شأنهم إلا التحريض. عسى الله أن يكف بأس الذين
كفروا يعني قريشا وقد فعل بأن ألقى في قلوبهم الرعب حتى رجعوا. والله أشد بأسا
من قريش. وأشد تنكيلا تعذيبا منهم وهو تقريع وتهديد لمن لم يتبعه. من يشفع
شفاعة حسنة راعى بها حق مسلم ودفع بها عنه ضرا أو جلب إليه نفعا ابتغاء لوجه الله
ومنها الدعاء لمسلم قال عليه السلام من دعا لأخيه المسلم بظهر الغيب استجيب له
وقال له الملك ولك مثل ذلك. يكن له نصيب منها وهو ثواب الشفاعة والتسبب
إلى الخير الواقع بها. ومن يشفع شفاعة سيئة يريد بها محرما. يكن له كفل منها نصيب
من وزرها مساو لها في القدر. وكان الله على كل شيء مقيتا مقتدرا من أقات
على الشيء إذا قدر قال: وذي ضغن كففت النفس عنه ... وكنت على مساءته مقيتا
أو شهيدا حافظا واشتقاقه من القوت فإنه يقوي البدن ويحفظه. وإذا حييتم
بتحية فحيوا بأحسن منها أو ردوها الجمهور على أنه في السلام ويدل على وجوب الجواب
إما بأحسن منه وهو أن يزيد عليه ورحمة الله فإن قاله المسلم زاد وبركاته وهي
النهاية وإما برد مثله لما روي أن رجلا قال لرسول الله صلعم السلام عليك فقال
وعليك السلام ورحمة الله وقال آخر السلام عليك ورحمة الله فقال وعليك
السلام ورحمة الله وبركاته وقال آخر السلام عليك ورحمة الله وبركاته فقال
وعليك فقال الرجل نقصتني فأين ما قال الله وتلا الآية فقال عليه السلام إنك لم تترك
لي فضلا فرددت عليك مثله وذلك لاستجماعه أقسام المطالب السلامة عن المضار
وحصول المنافع وثباتها ومنه قيل أو للترديد بين أن يحيي المسلم ببعض التحية
وبين أن يحيي بتمامها وهذا الوجوب على الكفاية وحيث السلام مشروع فلا يرد
في الخطبة وقراءة القرآن وفي الحمام وعند قضاء الحاجة ونحوها. والتحية في الأصل
مصدر حياك الله على الإخبار من الحياة ثم استعمل للحكم والدعاء بذلك ثم قيل لكل
دعاء فغلب في السلام وقيل المراد بالتحية العطية وأوجب الثواب أو الرد على المتهب وهو

قول قديم للشافعي ان الله على كل شيء حسيبا يحاسبكم على التحية وغيرها الله لا اله الا هو
مبتدأ وخبر او الله مبتدأ والخبر ليجمعنكم الى يوم القيمة اي الله والله ليحشرنكم من قبوركم
الى يوم القيمة او مفضين اليه او في يوم القيمة ولا اله الا هو اعتراض والقيام والقيامة
كالطلاب والطلابة وهي قيام الناس من القبور او للحساب لا ريب فيه في اليوم او في الجمع
فهو حال عن اليوم او صفة للمصدر ومن اصدق من الله حديثا انكار ان يكون احد
اكثر صدقا منه فانه لا يتطرق الكذب الى خبره بوجه لانه نقص وهو على الله محال
فما لكم في المنافقين فئتين فما لكم تفرقتم في امر المنافقين فئتين اي فرقتين
ولم تتفقوا على كفرهم وذلك ان ناسا منهم استأذنوا رسول الله في الخروج الى البدو
لاجتواء المدينة فلما خرجوا لم يزالوا راحلين مرحلة مرحلة حتى لحقوا بالمشركين فاختلف
المسلمون في اسلامهم وقيل نزلت في المتخلفين يوم احد او في قوم هاجروا ثم رجعوا معتلين
باجتواء المدينة والاشتياق الى الوطن او في قوم اظهروا الاسلام وقعدوا عن الهجرة و
فئتين حال عاملها لكم او عاملها ما كقولك ما لك قائما وفي المنافقين حال من فئتين اي متفرقين
فيهم او من الضمير اي فما لكم تفترقون فيهم ومعنى الافتراق مستفاد من فئتين والكسائي
باتمام الصاد الزاي والله اركسهم بما كسبوا ردهم الى حكم الكفرة او نكسهم بان
صيرهم للنار واصل الركس رد الشيء مقلوبا اتريدون ان تهدوا من اضل الله ان تجعلوه
من المهتدين ومن يضلل الله فلن تجد له سبيلا الى الهدى ودوا لو تكفرون
كما كفروا تمنوا ان تكفروا ككفرهم فتكونون سواء فتكونون معهم سواء في الضلال
وهو عطف على تكفرون ولو نصب على جواب التمني لجاز فلا تتخذوا منهم اولياء حتى يهاجروا
في سبيل الله فلا توالوهم حتى يؤمنوا او تتحققوا ايمانهم بهجرة هي لله ورسوله لا لاغراض
الدنيا وسبيل الله ما امر بسلوكه فان تولوا عن الايمان المظاهر بالهجرة او عن اظهار
الايمان فخذوهم واقتلوهم حيث وجدتموهم كسائر الكفرة ولا تتخذوا منهم
وليا ولا نصيرا اي جانبوهم رأسا ولا تقبلوا منهم ولاية ولا نصرة الا الذين يصلون
الى قوم بينكم وبينهم ميثاق استثناء من قوله فخذوهم واقتلوهم اي الا الذين
يصلون وينتهون الى قوم عاهدوكم ويفارقون محاربتكم والقوم هم خزاعة
وقيل الاسلميون فانه عليه السلام وادع وقت خروجه الى مكة هلال بن عويمر الاسلمي
على ان لا يعينه ولا يعين عليه ومن لجأ اليه فله من الجوار مثل ماله وقيل بنو بكر بن زيد
مناة او جاؤكم عطف على الصلة اي او الذين جاؤكم كافين عن قتالكم وقتال
قومهم استثنى عن المأمور باخذهم وقتلهم من ترك المحاربين فلحق بالمعاهدين او
اتى الرسول وكف عن قتال الفريقين او على صفة قوم وكأنه قيل الا الذين يصلون
الى قوم معاهدين او قوم كافين عن القتال لكم وعليكم والاول اظهر لقوله فان اعتزلوكم
وقرئ بغير العاطف على انه صفة بعد صفة او بيان ليصلون او استئناف حصرت صدورهم

قوله وفئتين حال اه انه حال من ضمير لكم المجرور والعامل فيه الاستقرار والظرف لنيابته عنه منتاب

قوله فان تولوا عن الايمان المظاهر بالهجرة او عن اظهار الايمان اه يجوز التفسير ان هنا فعلى الاول لا يخلو اما ان يكون اظهار الايمان كافيا في رفع الاخذ والقتل اولا فان كان الاول فلا حاجة الى الهجرة فيكون ذكر الهجرة في تفسير الاول مستدركا وان كان الثاني فلا يكون اظهار الايمان مانعا من القتل مع انه مفهوم الكلام بل لا بد من الهجرة والمذكور في الكشاف هو الاحتمال الاول ولم يلتفت الى ما ذكره ثانيا فظهر منه انه لا بد من الهجرة الصحيحة في رفع الاخذ والقتل ووافق العلامة صاحب الكشاف [illegible]

قوله عطف على الصلة اي او على صفة قوم اعلم ان قوله تعالى او جاؤكم حصرت صدورهم جملة فعلية وقد تقدمها جملتان احديهما صفة القوم والاخرى صلة الذين يصلون فتلك الجملة ان عطفت على الصفة يكون معنى الاستثناء الا الذين يصلون الى المعاهدين والا الذين يصلون الى تارك القتال وان عطفت على الصلة يكون المعنى الا الذين يصلون الى المعاهدين والا الذين لا يقاتلونكم والوجه العطف على الصلة لقوله فان اعتزلوكم فلم يقاتلوكم الى اخر الاية بعد قوله فخذوهم واقتلوهم حيث وجدتموهم فانه يقرر ان احد سببي حرمة الاخذ والقتل هو الكف عن القتال حيث جعل الكف عن القتال شرطا وجعل قوله فما جعل الله لكم عليهم سبيلا جوابا له والجزاء مسبب عن الشرط فيكون الكف عن القتال سببا لعدم التعرض لهم والمناسب لهذا المعنى ان يجعل قوله او جاؤكم معطوفا على الصلة لان الكف عن القتال على تقدير كونها معطوفة على الصلة يكون احد السببين الاتصال بالمعاهدين والسبب الاخر الكف عن القتال بخلاف ما اذا جعلت تلك الجملة معطوفة على الصفة فان احد السببين ح يكون الاتصال بالمعاهدين والسبب الاخر الاتصال بالكافين لا نفس الكف عن القتال فينبغي ان يكون معطوفة على الصلة ليكون قوله فان اعتزلوكم الخ تقريرا لكون الكف عن القتال سببا لترك التعرض لهم شيخ زاده رحمه

١١٥

٤١

قوله فإن على مؤمنة بعد قوله ليس من شأنه أن يقتل مؤمنا بغير حق إشارة إلى أن الاستثناء من النفي إثبات والمثبت إنما هو الجواز ... المؤمن القتل خطأ لأن يجوز ذلك منه شرعا ... الوقوع ... الجواز فإن قتل المؤمن ... إلا يجوز في الشرع أصلا لأنه لو جاز في حال الخطأ ... وجبت الكفارة ... ولما وجبت التوبة منه ... لقوله تعالى توبة من الله ... ولا ... لم يكشف المصنف ... عطف ... وليس من شأنه ... ذلك الأمر الخطأ ... القتل حال الخطأ ...

صحيح مشروع على قاعدة أن الاستثناء من النفي إثبات ولما عطف عليه قوله وليس من شأنه ذلك ...

قوله وقيل ما كان نفي في معنى النهي والاستثناء منقطع عطف على قوله ونصبه على الحال ... على الاتصال ... والاستثناء متصل ... عام الأحوال أو العلل أو المصادر ... حمله على الانقطاع زعم أن حمله على الاتصال يدل على جواز القتل خطأ ... للمؤمن ذلك ... فتفصيله لا يصلح ...

... ما كان لمؤمن ... ولا يلزم أن يكون القتل خطأ مشروعا ... المراد ... ليس من شأن المؤمن ... المراد بها النفي الشرعي كما ذهب إليه صاحب القتل ... وليس للمؤمن شرعا أن يقتل مؤمنا إلا خطأ أي ليس له أن يقتله [redacted] خطأ وذلك لا يكون شرعا فظهر أن المراد من قوله تعالى وما كان ... ليس من شأن المؤمن ... القتل ... لا يجوز أن يكون الاستثناء متصلا بل يجب أن يكون منقطعا على ما ذهب إليه صاحب القتل وموضع ... النفي الشرعي ... لتصوير لكون المستثنى داخلا في المستثنى منه حتى يصح أن يكون الاستثناء متصلا ... القتل خطأ ... أعم أحوال القتل ... المستثنى منه حال القتل خطأ ... الاستثناء الاتصال وهذا الاستثناء المتصل المفرغ لأن المستثنى منه محذوف وهو قوله رحمه الله أي لا يقتله في شيء من الأحوال وإنما احتاج إلى هذه التقدير ... المراد بالاستثناء الاستثناء المتصل فإن ذهب إلى الاستثناء المنقطع لا يحتاج إلى هذه التقدير لأن دخول المستثنى في المستثنى منه ليس شرطا في المنقطع هذا ما ... الفقير ... بالتقصير

قوله وغضب الله عليهم عطف على مقدر ... الشرطية ... كأنه قيل بطريق الاستئناف تقديرا ... المقصود ... حكم الله ... وذلك وغضب عليه أي انتقم منه ... أبو السعود

شرح ... يا أيها الذين آمنوا ... حكم القتل ... المؤمن ... القتل خطأ ... التحذير مما يؤدي إليه ... في الأمور ... أبو السعود

حال بإضمار قد ويدل عليه أنه قرئ حصرةً صدورُهم وحصراتٍ أو بيانٌ لجاؤوكم وقيل
صفة محذوف أي جاؤوكم قوماً حصرت صدورهم وهم بنو مدلج جاؤوا رسول الله غير مقاتلين
والحصر الضيق والانقباض أن يقاتلوكم أو يقاتلوا قومهم أي عن أن أو لأن أو كراهة
أن يقاتلوكم ولو شاء الله لسلطهم عليكم بأن قوّى قلوبهم وبسط صدورهم
وأزال الرعب عنهم فلقاتلوكم ولم يكفوا عنكم فإن اعتزلوكم فلم يقاتلوكم
فإن لم يتعرضوا لكم وألقوا إليكم السلم الاستسلام والانقياد فما جعل الله لكم
عليهم سبيلاً فما أذن لكم في أخذهم وقتلهم ستجدون آخرين يريدون أن يأمنوكم
ويأمنوا قومهم هم أسد وغطفان وقيل بنو عبد الدار أتوا المدينة وأظهروا
الإسلام ليأمنوا المسلمين فلما رجعوا كفروا كلما ردوا إلى الفتنة دعوا إلى الكفر وإلى قتال
المسلمين أركسوا فيها عادوا إليها وقلبوا فيها أقبح قلب فإن لم يعتزلوكم ويلقوا إليكم السلم
وينبذوا إليكم العهد ويكفوا أيديهم عن قتالكم فخذوهم واقتلوهم حيث ثقفتموهم
حيث تمكنتم منهم فإن مجرد الكف لا يوجب نفي التعرض وأولئكم جعلنا لكم عليهم سلطاناً
مبيناً حجة واضحة في التعرض لهم بالقتل والسبي لظهور عداوتهم ووضوح كفرهم وغدرهم أو تسلطاً
ظاهراً حيث أذنا لكم في قتلهم وما كان لمؤمن وما صح له وليس من شأنه أن يقتل مؤمناً
بغير حق إلا خطأً فإنه على عرضته ونصبه على الحال أو المفعول له أي لا يقتله في شيء من الأحوال
إلا حال الخطأ أو لا يقتله لعلة إلا للخطأ أو على صفة مصدر محذوف أي إلا قتلاً خطأً وقيل
ما كان نفي في معنى النهي والاستثناء منقطع أي لكن إن قتله خطأً فجزاؤه ما يذكر والخطأ ما لا
يضامّه القصد إلى الفعل أو الشخص أو لا يقصد به زهوق الروح غالباً أو لا يقصد به محظور
كرمي مسلم في صف الكفار مع الجهل بإسلامه أو يكون فعل غير المكلف وقرئ خطاءً بالمد وخطاً
كعصاً بتخفيف الهمزة والآية نزلت في عياش بن أبي ربيعة أخي أبي جهل من الأم لقي حارث
بن زيد في طريق وكان قد أسلم ولم يشعر به عياش فقتله ومن قتل مؤمناً خطأً فتحرير رقبة
أي فعليه أو فواجبه تحرير رقبة والتحرير الإعتاق والحر كالعتيق للكريم من الشيء
ومنه حر الوجه لأكرم موضع منه سمي به لأن الكرم في الأحرار والرقبة عبر بها عن النسمة
كما عبر عنها بالرأس مؤمنة محكوم بإسلامها وإن كانت صغيرة ودية مسلمة إلى أهله
مؤداة إلى ورثته يقتسمونها كسائر المواريث لقول الضحاك بن سفيان الكلابي كتب
إلي رسول الله صلعم يأمرني أن أورث امرأة أشيم الضبابي من عقل زوجها وهي
على العاقلة فإن لم تكن فعلى بيت المال فإن لم يكن ففي ماله إلا أن يصدقوا يتصدقوا
عليه بالدية سمي العفو عنها صدقة وهو متعلق بعليه أو بمسلمة أي يجب الدية عليها أو يسلمها
إلى أهله إلا حال تصدقهم عليه أو زمانه فهو في محل النصب على الحال من القاتل أو الأهل
أو الظرف فإن كان من قوم عدو لكم وهو مؤمن فتحرير رقبة مؤمنة أي كان المؤمن
المقتول من قوم كفار محاربين أو في تضاعيفهم ولم يعلم إيمانه فعلى قاتله الكفارة دون

الدية لاهله اذ لا وراثة بينه وبينهم لانهم محاربون وان كان من قوم بينكم وبينهم
ميثاق فدية مسلمة الى اهله وتحرير رقبة مؤمنة وان كان من قوم كفرة معاهدين
او اهل الذمة فحكمه حكم المسلم في وجوب الكفارة والدية ولعله فيما اذا كان المقتول
معاهدا او كان له وارث مسلم فمن لم يجد رقبة بان لم يملكها ولا ما يتوصل به اليها
فصيام شهرين متتابعين فعليه او فالواجب عليه صيام شهرين توبة نصب على المفعول له
اي شرع ذلك توبة من تاب الله عليه اذا قبل توبته او على المصدر اي وتاب عليكم
توبة او حال بحذف مضاف اي فعليه صيام شهرين ذا توبة من الله صفتها وكان الله عليما
بحاله حكيما فيما امر في شانه ومن يقتل مؤمنا متعمدا فجزاؤه جهنم خالدا فيها وغضب
الله عليه ولعنه واعد له عذابا عظيما لما فيه من التهديد العظيم قال ابن عباس لا يقبل
توبة قاتل المؤمن عمدا ولعله اراد به التشديد اذ روي عنه خلافه والجمهور على انه مخصوص
بمن لم يتب لقوله واني لغفار لمن تاب ونحوه وهو عندنا اما مخصوص بالمستحل له كما ذكره
عكرمة وغيره ويؤيده انه نزلت في مقيس بن ضبابة وجد اخاه هشاما قتيلا في بني النجار
ولم يظهر قاتله فامرهم رسول الله صلعم ان يدفعوا اليه ديته ثم حمل على مسلم فقتله ورجع الى مكة مرتدا
او المراد بالخلود المكث الطويل فان الدلائل متظاهرة على ان عصاة المسلمين لا يدوم عذابهم يا ايها
الذين امنوا اذا ضربتم في سبيل الله سافرتم وذهبتم للغزو فتبينوا فاطلبوا بيان الامر وثباته
ولا تعجلوا فيه وقرا حمزة والكسائي فتثبتوا في الموضعين من التثبت هنا وفي الحجرات ولا تقولوا
لمن القى اليكم السلام لمن حياكم بتحية الاسلام وقرا نافع وابن عامر وحمزة السلم
بغير الف اي الاستسلام والانقياد وفسر به السلام ايضا لست مؤمنا وانما فعلت ذلك متعوذا
وقرئ مؤمنا بالفتح اي مبذولا له الامان تبتغون عرض الحيوة الدنيا تطلبون ماله الذي هو حطام
سريع النفاد وهو حال من الضمير في تقولوا مشعر بما هو الحامل لهم على العجلة وترك التثبت
فعند الله مغانم كثيرة تغنيكم عن قتل امثاله لماله كذلك كنتم من قبل اي اول ما دخلتم
في الاسلام تفوهتم بكلمتي الشهادة فحصنت بها دماؤكم واموالكم من غير ان يعلم مواطاة قلوبكم
السنتكم فمن الله عليكم بالاشتهار بالايمان والاستقامة في الدين فتبينوا وافعلوا بالداخل
في الاسلام كما فعل الله بكم ولا تبادروا الى قتلهم ظنا بانهم دخلوا فيه اتقاء وخوفا فان ابقاء الف كافر
اهون عند الله من قتل امرئ مسلم وتكرير الامر بالتبيين لتاكيد لتعظيم الامر وترتيب
الحكم على ما ذكر من حالهم ان الله كان بما تعملون خبيرا عالما به وبالغرض منه فلا تتهافتوا في القتل
واحتاطوا فيه روي ان سرية لرسول الله صلعم غزت اهل فدك فهربوا وبقي مرداس ثقة
باسلامه فلما راى الخيل الجا غنمه الى عاقول من الجبل وصعد فلما تلاحقوا وكبروا كبر
ونزل وقال لا اله الا الله محمد رسول الله السلام عليكم فقتله [redacted] اسامة
واستاق غنمه فنزلت وقيل نزلت في المقداد مر برجل في غنيمة فاراد قتله فقال لا اله
الا الله فقتله وقال ود لو فر باهله وماله وفيه دليل على صحة ايمان المكره وان المجتهد قد

١١٢

قوله تعالى وكان الله غفورا اي مبالغا في المغفرة فيغفر له ما فرط منه من الذنوب التي من جملتها القعود عن الهجرة الى وقت الخروج رحيما مبالغا في الرحمة فيرحمه باكمال ثواب هجرته
ابو السعود

قوله فان قلت الجملة التي هي لا يستطيعون ما موقعها قلت هي صفة للمستضعفين او للرجال والنساء والولدان وانما جاز ذلك والجملة نكرات لان الموصوف وان كان فيه حرف التعريف فليس لشيء بعينه كقوله ولقد امر على اللئيم يسبني
كشاف

قوله فان قلت لم قيل عسى الله ان يعفو عنهم بكلمة الاطماع قلت للدلالة على ان ترك الهجرة امر مضيق لا توسعة فيه حتى ان المضطر البين الاضطرار من حقه ان يقول عسى الله ان يعفو عني فكيف غيره
كشاف

قوله تعالى اذا كنت فيهم فاقمت لهم الصلوة تعلق بظاهره من لا يرى صلوة الخوف بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث شرط كونه فيهم وقال غيره انه بعده ان الائمة نواب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في كل عصر
كشاف

قوله ونفي الحرج فيه يدل على جوازه اشارة الى ما استدل به الشافعي فانه ذهب الى ان القصر رخصة فان شاء المكلف اتم وان شاء اكتفى على القصر واستدل بان هذا اللفظ اي قوله تعالى لا جناح عليكم لا يستعمل في ايجاب الشيء بعينه وانما يستعمل في رفع التكليف به فان هذا اللفظ لا يذهب منه وهم احد الى ان يكون المراد منه اوجبت عليكم القصر وحرمت عليكم الاتمام وجعلته مغيرا للصلوة وبانه صلى الله عليه وسلم اتم في السفر وبقوله صلى الله عليه وسلم لعايشة احسنت في كل واحد مما فعلت وقال ابو حنيفة القصر واجب فان صلى المسافر اربعا ولم يقعد على راس الركعتين فسدت صلوته لاتصال النافلة بها قبل كمال اركانها وان قعد في اخر الركعة الثانية اجزأه الاخريان له تطوع وحجته حديث عايشة فرضت الصلوة ركعتين ... السلام وما استدل به ما روي عن يعلى بن امية قال قلت لعمر رضي الله عنه ما بالنا نقصر الصلوة اليوم وقد ذهب الخوف فقال عجبت مما عجبت منه فذكرت ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم وقال صدقة تصدق الله بها عليكم فاقبلوا صدقته ٢

٢ معناه فاعملوا بها واعتقدوا ... قال ابو حنيفة المراد تصدق الله تعالى بالقصر علينا اسقاط الاتمام عنا ... والاسقاط لا يحتاج الى القبول ولا يرتد بالرد خصوصا من الله تعالى فانه معترض الطاعات ومشرع الاحكام وليس لنا الا التدين بما شرع والعمل بما حكم
من شيخ زاده

يخطي وان خطاه مغتفر لا يستوي القاعدون عن الحرب من المومنين في موضع الحال
من القاعدين او من الضمير الذي فيه غير اولي الضرر بالرفع صفة القاعدون لانه لم
يقصد به قوم باعيانهم او بدل منه وقرأ نافع وابن عامر بالنصب على الحال او الاستثنا
وقرئ بالجر على انه صفة للمومنين او بدل منه وعن زيد بن ثابت انها نزلت ولم يكن فيها
غير اولي الضرر فقال ابن ام مكتوم وكيف وانا اعمى فغشي رسول الله صلعم في مجلسه الوحي فوقعت
فخذه على فخذي حتى خشيت ان ترضها ثم سري عنه فقال اكتب لا يستوي القاعدون
من المومنين غير اولي الضرر والمجاهدون في سبيل الله باموالهم وانفسهم اي لا
مساواة بينهم وبين من قعد عن الجهاد من غير علة وفايدته تذكير ما بينهما من التفاوت
ليرغب القاعد في الجهاد رفعا لرتبته وانفة عن انحطاط منزلته فضل الله المجاهدين
باموالهم وانفسهم على القاعدين درجة جملة موضحة لما نفي الاستواء فيه والقاعدون
على التقييد السابق ودرجة نصب بنزع الخافض اي بدرجة او على المصدر لانه تضمن
معنى التفضيل ووقع موقع المرة منه او الحال بمعنى ذوي درجة وكلا من القاعدين والمجاهدين
وعد الله الحسنى المثوبة الحسنى وهي الجنة لحسن عقيدتهم وخلوص نيتهم وانما التفاوت
في زيادة العمل المقتضي لمزيد الثواب وفضل الله المجاهدين على القاعدين اجرا عظيما
نصب على المصدر لان فضل بمعنى اجر او المفعول الثاني له لتضمنه معنى الاعطاء كانه قيل واعطاهم
زيادة على القاعدين اجرا عظيما درجات منه ومغفرة ورحمة كل واحدة منها بدل من
اجرا ويجوز ان ينتصب درجات على المصدر كقولك ضربته اسواطا واجرا على الحال عنها
تقدمت عليها لانها نكرة ومغفرة ورحمة على المصدر باضمار فعلهما كرر تفضيل المجاهدين
وبالغ فيه اجمالا وتفصيلا تعظيما للجهاد وترغيبا فيه وقيل الاول ما خولهم في الدنيا
من الغنيمة والظفر وجميل الذكر والثاني ما جعل لهم في الاخرة وقيل الدرجة ارتفاع منزلتهم
عند الله والدرجات منازلهم في الجنة وقيل القاعدون الاول هم الاضراء والقاعدون
الثاني هم الذين اذن لهم في التخلف اكتفاء بغيرهم وقيل المجاهدون الاولون من جاهد
الكفار والاخرون من جاهد نفسه وعنه عليه السلام رجعنا من الجهاد الاصغر
الى الجهاد الاكبر وكان الله غفورا لما عسى ان يفرط منهم رحيما بما وعد لهم ان الذين توفاهم
الملائكة يحتمل الماضي والمضارع وقرئ توفتهم وتوفاهم على انه مضارع وفيت بمعنى
ان الله يوفي الملائكة انفسهم فيتوفونها اي يمكنهم من استيفائها فيستوفونها ظالمي انفسهم
في حال ظلمهم انفسهم بترك الهجرة وموافقة الكفرة فانها نزلت في ناس من مكة اسلموا ولم
يهاجروا حين كانت الهجرة واجبة قالوا اي الملائكة توبيخا لهم فيم كنتم في اي شيء كنتم من امر
دينكم قالوا كنا مستضعفين في الارض اعتذروا مما وبخوا به بضعفهم وعجزهم عن الهجرة
او عن اظهار الدين واعلاء كلمته قالوا اي الملائكة تكذيبا لهم او تبكيتا الم تكن ارض الله
واسعة فتهاجروا فيها الى قطر اخر كما فعل المهاجرون الى المدينة والحبشة فاولئك

ماويهم جهنم لتركهم الواجب ومساعدتهم الكفار وهو خبر ان والفاء فيه لتضمن الاسم معنى
الشرط وقالوا فيم كنتم حال من الملائكة باضمار قد او الخبر وقالوا العائد محذوف اي قالوا لهم
وهو جملة معطوفة على الجملة قبلها مستنتجة منه وساءت مصيرا مصيرهم او جهنم وفي
الاية دليل على وجوب الهجرة من موضع لا يتمكن الرجل فيه من اقامة دينه وعن
النبي عليه السلام من فر بدينه من ارض الى ارض وان كان شبرا من الارض استوجبت له
الجنة وكان رفيق ابيه ابرهيم ونبيه محمد عليه السلام الا المستضعفين من الرجال
والنساء والولدان استثناء منقطع لعدم دخولهم في الموصول وضميره والاشارة اليه
وذكر الولدان ان اريد به المماليك فظاهر وان اريد به الصبيان فللمبالغة في الامر و
الاشعار بانهم على صدد وجوب الهجرة فانهم اذا بلغوا وقدروا على الهجرة فلا محيص
لهم عنها وان قوامهم يجب عليهم ان يهاجروا بهم متى امكنت لا يستطيعون حيلة ولا
يهتدون سبيلا صفة للمستضعفين اذ لا توقيت فيه او حال عنه او عن المستكن
فيه واستطاعة الحيلة وجدان اسباب الهجرة وما تتوقف عليه واهتداء السبيل
معرفة الطريق بنفسه او بدليل فاولئك عسى الله ان يعفو عنهم ذكر بكلمة الاطماع
ولفظ العفو ايذانا بان ترك الهجرة امر خطير حتى ان المضطر من حقه ان لا يامن و
يترصد الفرصة ويعلق قلبه وكان الله عفوا غفورا ومن يهاجر في سبيل الله
يجد في الارض مراغما كثيرا متحولا من الرغام وهو التراب وقيل طريقا
يراغم قومه بسلوكه اي يفارقهم على رغم انوفهم وهو ايضا من الرغام وسعة
في الرزق واظهار الدين ومن يخرج من بيته مهاجرا الى الله ورسوله ثم يدركه
الموت وقرئ يدركه بالرفع على انه خبر مبتدا محذوف اي ثم هو يدركه وبالنصب
على اضمار ان كقوله والحق بالحجاز فاستريحا فقد وقع اجره على الله وكان الله غفورا
رحيما الوقوع والوجوب متقاربان والمعنى ثبت اجره عند الله ثبوت الامر الواجب
والاية نزلت في جندب بن ضمرة حمله بنوه على سرير متوجها الى المدينة فلما بلغ التنعيم
اشرف على الموت فصفق بيمينه على شماله فقال اللهم هذه لك وهذه لرسولك ابايعك
على ما بايع عليه رسولك فمات واذا ضربتم في الارض سافرتم فليس عليكم
جناح ان تقصروا من الصلوة بتنصيف ركعاتها ونفي الحرج فيه يدل على جوازه
دون وجوبه ويؤيده انه عليه السلام اتم في السفر وان عائشة اعتمرت معه
وقالت يا رسول الله قصرت واتممت وصمت وافطرت فقال احسنت يا عائشة واوجبه
ابو حنيفة لقول عمر صلوة السفر ركعتان تمام غير قصر على لسان نبيكم ولقول عائشة اول
ما فرضت الصلوة فرضت ركعتين فاقرت في السفر وزيدت في الحضر وظاهرهما يخالف الاية
فان صحا فالاول مؤول بانه كالتام في الصحة والاجزاء والثاني لا ينفي جواز الزيادة
فلا حاجة الى تاويل الاية بانهم الفوا الاتمام فكان مظنة لان يخطر ببالهم ان ركعتي

قوله درجة فان قلت لم نصب درجة واجرا ودرجات قلت نصب قوله درجة لوقوعها موقع المرة
من التفضيل كانه قيل لفضلهم تفضيلة ونظيره كقولك ضربته سوطا بمعنى ضربته ضربة واما اجرا فقد
انتصب بفضل لانه بمعنى اجرهم اجرا ودرجات منصوب نصب درجة كما تقول ضربته اسواطا
بمعنى ضربات كانه قيل وفضلهم تفضيلات كشاف

قوله ونظيره في ان الواقع موقع المفعول المطلق اسم دال على مرة مخصوصة لا مصدر
واما اجرا فقد انتصب بفضل انتصاب المفعول به في قولك اجرته اجرا لانه متعد الى
مفعولين يقال اجر فلان دارا وبسط المنى للمفعول

قوله تحمل المضي والمضارع الخ وفي هذا الاحتمال نظر اذ لا يطابق ما يجي بعده من الصيغ الماضية الا
ان يحمل على غير المضي حقيقة بل يقال انها للمستقبل حقيقة وعبر عن المضي للقطع بتحققها

قوله تعالى فليس عليكم جناح ان تقصروا من الصلاة روي عن النبي صلى الله عليه وسلم
انه اتم في السفر وعن عمر رضي الله عنه صلوة السفر ركعتان غير قصر على لسان نبيكم
فان قلت فما تصنع بقوله فليس عليكم جناح ان تقصروا قلت كانهم الفوا الاتمام
فكان مظنة لان يخطر ببالهم ان عليهم نقصانا في القصر فنفى عنهم الجناح لتطيب
انفسهم بالقصر ويطمئنوا اليه كشاف

قوله وان خفتم ان يفتنكم الذين كفروا جوابه محذوف لدلالة ما قبله عليه اي ان خفتم ان يتعرضوا لكم بما تكرهونه من القتال وغيره فليس عليكم جناح وهو شرط معتبر في شرعية ما ذكره بعده من صلوة الخوف المؤداة بالجماعة واما في حق مطلق القصر فلا اعتبار له اتفاقا لتظاهر السنن على مشروعيته حضرا وقت على انها

قال يعلى بن امية قلت لعمر بن الخطاب رضي الله عنه انما قال الله تعالى فليس عليكم جناح الى اخره وقد امن الناس فقال عمر رضي الله عنه عجبت مما عجبت منه فسألت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال صدقة تصدق الله بها عليكم فاقبلوا صدقته وفيه دليل على عدم جواز الاكمال لان التصدق بما لا يحتمل التمليك اسقاط محض لا يحتمل الرد ولا يتوهمن ان الحديث المذكور مخالف للكتاب لان التقييد بالشرط عندنا انما يدل على ثبوت الحكم عند وجود الشرط واما عدمه عند عدمه فساكت عنه فان وجد له دليل ثبت عنده ايضا والا يبقى على حاله بعدم تحقق دليله لا لتحقق دليل عدمه وههنا ما سمعت من الادلة الواضحة واما عند القائلين بالمفهوم فلانه انما يدل على نفي الحكم عند عدم الشرط اذا لم يكن له فائدة اخرى وقد خرج الشرط ههنا مخرج الاغلب ولا كلام في ذلك وقيل ان قوله تعالى ان خفتم الى اخره متعلق بما بعده من صلوة الخوف منفصل عما قبله فانه روي عن ابي ايوب الانصاري رضي الله عنه انه قال نزل قوله تعالى واذا ضربتم في الارض فليس عليكم جناح ان تقصروا من الصلوة ثم سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد حول فنزل ان خفتم الى ... ان يفتنكم الذين كفروا

من تقرير ابو السعود رحمه الله

قوله بمعنى كراهة ان يفتنكم ... ولدان يفتنكم ... ليس عليكم جناح ان تقصروا ... مفعول له ... كراهة ... ان يفتنكم ... بيضاوي ... ليس عليكم جناح ان تقصروا من الصلوة ... جناح يوقدر كراهة ان يفتنكم معناسم ...

قوله جعل الحذر وهو التحرز ... اذ شبه بما يتحصن به من الالات ... التجوز في التخيل لا الاثبات ... والايمان حيث جعل الايمان لتمكنهم فيه بمنزلة المقر والمسكن ... بطريق الكناية لان الحذر منزل منزلة السلاح ... وهو اعم ...

قوله لفضل الجماعة متعلق بقوله تعلق ... مفهوم الشرط مع انه لا يقول بالتعليق بالشرط ... الجماعة المعهود ... والذين يصلون خلف غيره

قوله واذا كنت فيهم قال ابو يوسف والحسن بن زياد صلوة الخوف كانت خاصة لرسول الله صلى الله عليه وسلم لان قوله واذا كنت فيهم ظاهره يقتضي ان ... النبي صلى الله عليه وسلم ولان تغيير هيئة الصلوة على خلاف الدليل الا انا جوزناه في حق الرسول صلى الله عليه وسلم لحصول فضل الصلوة خلفه ... الفقهاء بان التمسك ... ادراك فضيلة الصلوة ... ولا يجوز ان يكون طلب الفضيلة موجب ترك الفرض

الشرع وقصر ونقصان بتغيير الاتيان بها نقرأ على ظهرهم ونفي الجناح فيه لتطيب به انفسهم
واقل سفر يقصر فيه اربعة برد عندنا وستة عند ابي حنيفة وقرئ تقصروا من
اقصر بمعنى قصر ومن الصلوة صفة موصوف محذوف اي شيئا من الصلوة عند سيبويه
ومفعول تقصروا بزيادة من عند الاخفش ان خفتم ان يفتنكم الذين كفروا
ان الكافرين كانوا لكم عدوا مبينا شريطة باعتبار الغالب في ذلك الوقت ولذلك
لم يعتبر مفهومها كما لم يعتبر في قوله تعالى فان خفتم الا يقيما حدود الله فلا جناح
عليهما فيما افتدت به وقد تظاهرت السنن على جوازه ايضا في حال الامن وقرئ
من الصلوة ان يفتنكم بغير ان خفتم بمعنى كراهة ان يفتنكم وهو القتال والتعرض
بما يكره واذا كنت فيهم فاقمت لهم الصلوة تعلق بمفهومه من خص صلوة الخوف بحضرة
الرسول صلى الله عليه وسلم لفضل الجماعة وعامة الفقهاء على انه تعالى علم الرسول كيفيتها ليأتم
به الائمة بعده فانهم نواب عنه فيكون حضورهم كحضوره فلتقم طائفة منهم
معك فاجعلهم طائفتين فلتقم احديهما معك يصلون وتقوم الطائفة الاخرى تجاه
العدو وليأخذوا اسلحتهم اي المصلون حزما وقيل الضمير للطائفة الاخرى
وذكر الطائفة الاولى يدل عليهم فاذا سجدوا يعني المصلين فليكونوا اي غير المصلين
من ورائكم يحرسونكم يعني النبي ومن يصلي معه فغلب المخاطب على الغائب
ولتأت طائفة اخرى لم يصلوا لاشتغالهم بالحراسة فليصلوا معك ظاهره يدل
على ان الامام يصلي مرتين بكل طائفة مرة كما فعله عليه السلام ببطن النخل
وان اريد به ان يصلي بكل طائفة ركعة ان كانت الصلوة ركعتين فكيفيته ان يصلي
بالاولى ركعة وينتظر قائما حتى يتموا صلوتهم منفردين ويذهبوا الى وجه العدو
ويأتي الاخرى فيتم بهم الركعة الثانية ثم ينتظرهم قاعدا حتى يتموا صلوتهم
ويسلم بهم كما فعله رسول الله صلى الله عليه وسلم بذات الرقاع وقال ابو حنيفة يصلي بالاولى
ركعة ثم تذهب هذه وتقف بازاء العدو وتأتي الاخرى فتصلي معه ركعة
وتتم صلوتها ثم تعود الى وجه العدو وتأتي الاولى فتؤدي الركعة الثانية
بغير قراءة وتتم صلوتها وليأخذوا حذرهم واسلحتهم جعل الحذر آلة يتحصن
بها الغازي فجمع بينه وبين الاسلحة في وجوب الاخذ ونظيره قوله تعالى والذين تبوؤا
الدار والايمان ود الذين كفروا لو تغفلون عن اسلحتكم وامتعتكم فيميلون
عليكم ميلة واحدة تمنوا ان ينالوا منكم غرة في صلوتكم فيشدون عليكم شدة
واحدة وهو بيان ما لاجله امروا باخذ السلاح ولا جناح عليكم ان كان بكم اذى
من مطر او كنتم مرضى ان تضعوا اسلحتكم رخصة لهم في وضعها اذا ثقل عليهم
اخذها بسبب مطر او مرض وهذا مما يؤيد ان الامر بالاخذ للوجوب دون الاستحباب
وخذوا حذركم امرهم مع ذلك باخذ الحذر كيلا يهجم عليهم العدو ان الله

اعد للكافرين عذابا مهينا وعد للمومنين بالنصر على الكفار بعد الامر بالحزم لتقوى
قلوبهم وليعلموا ان الامر بالحزم ليس لضعفهم وغلبة عدوهم بل لان الواجب ان
يحافظوا في الامور على مراسم التيقظ والتدبير فيتوكلوا على الله فاذا قضيتم الصلوة
اديتم وفرغتم منها فاذكروا الله قياما وقعودا وعلى جنوبكم فداوموا على
الذكر في جميع الاحوال او اذا اردتم اداء الصلوة واشتد الخوف فصلوها كيفما امكن
قياما مسايفين ومقارعين وقعودا مرامين وعلى جنوبكم مثخنين فاذا اطمانتم
سكنت قلوبكم من الخوف فاقيموا الصلوة فعدلوا واحفظوا اركانها وشرائطها واتوا بها
تامة ان الصلوة كانت على المومنين كتابا موقوتا فرضا محدود الاوقات لا يجوز
اخراجها عن اوقاتها في شيء من الاحوال وهذا دليل على ان المراد بالذكر الصلوة وانها
واجبة الاداء حال المسايفة والاضطراب في المعركة وتعليل للامر بالاتيان بها
كيفما امكن وقال ابو حنيفة لا يصلي المحارب حتى يطمئن ولا تهنوا ولا تضعفوا في ابتغاء
القوم في طلب الكفار بالقتال ان تكونوا تالمون فانهم يالمون كما تالمون وترجون من
الله ما لا يرجون الزام لهم وتقريع على التواني فيه بان ضرر القتال دائر بين الفريقين
غير مختص بهم وهم يرجون من الله بسببه من اظهار الدين واستحقاق الثواب ما لا
يرجو عدوهم فينبغي ان يكونوا ارغب منهم في الحرب واصبر عليها وقرئ ان تكونوا
بالفتح بمعنى ولا تهنوا لان تكونوا تالمون ويكون قوله فانهم يالمون علة النهي من الوهن
لاجله والاية نزلت في بدر الصغرى وكان الله عليما باعمالكم وضمائركم حكيما فيما يامر
وينهى انا انزلنا اليك الكتاب بالحق لتحكم بين الناس نزلت في طعمة
بن ابيرق من بني ظفر سرق درعا من جاره قتادة بن النعمن في جراب دقيق فجعل الدقيق
ينتثر من خرق فيه وخباها عند زيد بن السمين اليهودي فالتمست الدرع عند طعمة
فلم توجد وحلف ما اخذها وما له بها علم فتركوه واتبعوا اثر الدقيق حتى انتهى الى منزل
اليهودي فاخذوها فقال دفعها الي طعمة وشهد له ناس من اليهود وقالت بنو ظفر
انطلقوا بنا الى رسول الله فسالوه ان يجادل عن صاحبهم وقالوا ان لم تفعل هلك وافتضح
وبرئ اليهودي فهم رسول الله صلعم ان يفعل بما اريك الله بما عرفك واوحى به اليك وليس
من الروية بمعنى العلم والا لاستدعى ثلثة مفاعيل ولا تكن للخائنين اي لاجلهم والذب
عنهم خصيما للبراء واستغفر الله مما هممت به ان الله كان غفورا رحيما لمن يستغفره ولا
تجادل عن الذين يختانون انفسهم يخونونها فان وبال خيانتهم يعود عليها او جعل
المعصية خيانة لها كما جعلت ظلما عليها والضمير لطعمة وامثاله او له ولقومه فانهم شاركوه
في الاثم حين شهدوا على براته وخاصموا عنه ان الله لا يحب من كان خوانا مبالغا في الخيانة
مصرا عليها اثيما منهمكا فيه روي ان طعمة هرب الى مكة وارتد ونقب حائطا بها ليسرق اهله
فسقط الحائط عليه فقتله يستخفون من الناس يستترون منهم حياء وخوفا ولا يستخفون

من الله ولا يستحيون منه وهو احق بان يستحى ويخاف منه وهو معهم لا يخفى عليه سرهم
فلا طريق معه الا ترك ما يستقبحه ويؤاخذ عليه اذ يبيتون يدبرون ويزورون
ما لا يرضى من القول من رمي البرئ والحلف الكاذب وشهادة الزور وكان الله
بما يعملون محيطا لا يفوت عنه شئ ها انتم هؤلاء مبتدا وخبر جادلتم عنهم في
الحيوة الدنيا جملة مبينة لوقوع اولاء خبرا او صلته عند من يجعله موصولا فمن
يجادل الله عنهم يوم القيمة ام من يكون عليهم وكيلا محاميا يحميهم عن عذاب الله
ومن يعمل سوءا قبيحا يسوء به غيره او يظلم نفسه بما يختص به ولا يتعداه وقيل المراد
بالسوء ما دون الشرك وبالظلم الشرك وقيل الصغيرة والكبيرة ثم يستغفر الله بالتوبة
يجد الله غفورا لذنوبه رحيما متفضلا عليه وفيه حث لطعمة وقومه على التوبة
والاستغفار ومن يكسب اثما فانما يكسبه على نفسه فلا يتعداه وباله لقوله
تعالى وان اساتم فلها وكان الله عليما حكيما فهو عالم بفعله حكيم في مجازاته ومن يكسب
خطيئة صغيرة وما لا عمد فيه او اثما كبيرة او ما كان عن عمد ثم يرم به بريئا كما رمى
طعمة زيدا ووحد الضمير لمكان او فقد احتمل بهتانا واثما مبينا بسبب رمي البرئ
وتنزيه النفس الخاطئة ولذلك سوى بينهما وان كان مقترف احدهما دون مقترف الاخر
ولولا فضل الله عليك ورحمته باعلام ما هموا به بالوحي لهمت طائفة منهم اي من
بني ظفر ان يضلوك عن القضاء بالحق مع علمهم بالحال والجملة جواب لولا وليس القصد فيه
الى نفي همهم بل الى نفي تاثيره فيه وما يضلون الا انفسهم لانه ما ازلك عن الحق وعاد
وباله عليهم وما يضرونك من شئ فان الله عصمك وما خطر ببالك كان اعتمادا منك
على ظاهر الامر لا ميلا في الحكم ومن شئ في موضع النصب على المصدر اي شيئا من الضرر
وانزل الله عليك الكتاب والحكمة وعلمك ما لم تكن تعلم من خفيات الامور او من امور
الدين والاحكام وكان فضل الله عليك عظيما اذ لا فضل اعظم من النبوة لا خير في
كثير من نجويهم من متناجيهم كقوله تعالى واذ هم نجوى او من تناجيهم فقوله
الا من امر بصدقة او معروف على حذف مضاف اي الا نجوى من امر او على الانقطاع
بمعنى لكن من امر بصدقة ففي نجواه الخير والمعروف كل ما يستحسنه الشرع ولا ينكره
العقل ويندرج فيه القرض واغاثة الملهوف وصدقة التطوع وساير ما فسر به
او اصلاح بين الناس او اصلاح ذات بين ومن يفعل ذلك ابتغاء مرضات الله
فسوف نؤتيه اجرا عظيما بنى الكلام على الامر ورتب الجزاء على الفعل ليدل على انه لما
دخل الامر في زمرة الخيرين كان الفاعل ادخل فيهم وان العمدة والغرض هو الفعل
واعتبار الامر من حيث انه وصلة اليه وقيد الفعل بان يكون لطلب مرضات الله
لان الاعمال بالنيات وان من فعل خيرا رياء وسمعة لم يستحق بها من الله اجرا ووصف
الاجر بالعظم تنبيها على حقارة ما فات في جنبه من اعراض الدنيا وقرا حمزة وابو عمرو

قوله تعالى ثم انتم هؤلاء مبتدا وخبره تقتلون فعلى هذا هؤلاء في موضع نصب باضمار اعني والوجه الثاني ان الخبر هؤلاء على تقدير مضاف تقديره ثم انتم مثل هؤلاء كقولك انت ابو يوسف او حسن فعلى هذا تقتلون حال يعمل فيها معنى التشبيه والوجه الثالث ان الخبر هؤلاء على ان يكون بمعنى الذين وتقتلون صلته

قوله تعالى ومن يكسب خطيئة او اثما ثم يرم به بريئا فقد احتمل بهتانا واثما مبينا

قوله بسبب رمي البرئ وتنزيه نفسه الخاطئة ولذلك سوى بينهما
اعلم اولا ان الخطيئة هو الصغيرة كما قال السعد رحمه الله لانه الخطا الذنب والاثم هو الكبيرة كما قاله رحمه الله والاثم الكبيرة والسبب
فكاسب الصغيرة في الشرع جزاؤه غير جزاء كاسب الكبيرة ولا شك في هذا فمن كسب الخطيئة اي الصغيرة او الاثم وقذف ورمى باحدهما
البرئ منهما فجزاء ذلك القاذف بالصغيرة غير جزاء قذفه بالكبيرة فتوجه الاشكال المشهور المذكور في الحواشي وتقريره ان المفهوم من
الشرط الواقع في قوله تعالى ومن يكسب خطيئة او اثما ورمى به البرئ ان ذلك الرمي كسب صغيرة او كسب كبيرة ورمى باحدهما
البرئ فحكمهما واحد كما قال سبحانه فقد احتمل بهتانا واثما فيقول المعترض سلمنا ان من كسب الاثم اي الكبيرة ورمى به البرئ
فقد احتمل اثما كبيرا لان جزاء السيئة سيئة ولا يجري الاشكال الا به لكن من كسب الخطيئة اي الصغيرة ورمى بها البرئ لا يحتمل الا
[redacted] لم احتماله ليس الا الصغيرة فاشار البيضاوي رحمه الله الى جواب هذا الاشكال بقوله بسبب رمي البرئ وتنزيه
النفس الخاطئة اي يعني ان احتماله اثما لا لمجرد ارتكابه الصغيرة ورميه بها البرئ بل بسبب رميه البرئ [redacted] سواء كان بالخطيئة او الاثم
يعني مدار الحكم بقوله تعالى فقد احتمل اثما ليس الا الرمي باحدهما فلا فرق ح بين كونه كاسبا للصغيرة ورمى بها البرئ وبين كونه كاسبا
للاثم اي الكبيرة ورمى به البرئ فهذا معنى قوله ولذلك سوى بينهما اي بين الرمي بالخطيئة وبين الرمي بالكبيرة في الحكم المذكور
اي احتمال الذنب فظهر ان مدار الحكم ليس الا مجرد رمي البرئ سواء كان الرمي بالخطيئة او الاثم وتنزيه نفسه الخاطئة وفي تفصيل
هذا الجواب هذا الاشكال قال ابو السعود العمادي عليه الرحمة في تفسيره فان رمي البرئ بجنايته ما خطيئة كانت او اثما اثم في نفسه
لان من كون الذنب بالنسبة الى من فعله خطيئة لا يلزم منه كونه [redacted] بالنسبة الى من نسبه الى البرئ منه ايضا خطيئة لانه كذب
محرم في جميع الاديان فهو في نفسه اثم لا محالة ويكون تلك الجناية للرامي بريبه متضاعفة اشدة ويزداد قبحا لكن لا لانضمام
جناية المكسوبة الى رمي البرئ بل لاشتماله قصد تحميل جنايته على البرئ واجراء عقوبتها عليه وفي كلام العلامة السعد رحمه الله تعالى
اشارة الى هذا الاشكال والجواب حيث قال نعم في ترتب الجزاء الذي هو جميع الاثم والبهتان على الشرط الذي هو كسب الخطيئة
او الاثم ثم الرمي به او بهما اشكال ووجه التفصي عنه ان المراد بالاثم في جانب الجزاء ما يعم الخطيئة ايضا نظرا الى الرمي بالخطيئة
اعظام لها وادراج في حكم الاثام انتهى يعني ان المراد بقوله تعالى بهتانا واثما الاثم الشامل للخطيئة اي الصغيرة والاثم لان
الرمي الى البرئ منه لكان اثما فقد دخل في حكم قوله تعالى فقد احتمل بهتانا واثما مبينا اي كان من متعلقات الحكم
وهذا ما املاه الفقير الحقير القليل البضاعة صيانة لفوائد المطالعة باتعاب النفس وصرف الاوقات عن الذهول
واعانة للطلبة وان كانت قليلة فلا تخلو من الفائدة عفى الله له ولكاتبه ومن عليه الكرم دائما

قوله تعالى لا خير في كثير من نجويهم اي في كثير من تناجي الناس اي تناجيهم وتدبيرهم فيما بينهم وبموصوفه كثير والمراد
تناجي قوم طعمة او تناجي جميع الناس فيما بينهم من الاحاديث الردية وقيل المراد بالنجوى المتناجون بطريق المجاز
اي لا خير في كثير من المتناجين والاستثناء متصل ويجوز الانقطاع بصدقة او معروف او اصلاح قالوا لعل السر في
افراد هذه الاقسام الثلثة بالذكر ان عمل الخير المتعدي الى الناس اما لايصال المنفعة او لدفع المضرة والمنفعة اما جسمانية
كاعطاء المال واليه الاشارة بقوله عز وجل الا من امر بصدقة واما روحانية واليه الاشارة بالامر بالمعروف واما دفع المضرة
فقد اشير اليه بقوله او اصلاح بين الناس من الجهود

قوله تعالى من نجويهم من متناجيهم يعني ان كان المراد من قوله تعالى من نجويهم متناجيهم على صيغة اسم الفاعل عبارة عن القوم
والشخص ففي هذه الصورة قوله تعالى الا من امر بصدقة يكون استثناء متصلا لان قوله من امر عبارة عن الذات والاشخاص
كالمستثنى منه اي المناجي فيكون هو داخلا فيه كما هو شرط في الاستثناء المتصل قوله او من تناجيهم فقوله الا من امر على حذف مضاف
اي الا نجوى من امر يعني ان كان المراد من قوله تعالى من نجويهم التناجي والتحدث لا القوم ولا الشخص ففي هذه الصورة قوله تعالى
الا من امر استثناء منقطع لكون قوله من امر عبارة عن الاشخاص والذات والمستثنى منه عبارة عن التحدث فلا يكون هو داخلا فيه
كما قال رحمه الله او على الانقطاع بمعنى ولكن من امر بصدقة يعني تقدير الكلام في كون الاستثناء منقطعا كما ذكر او قوله على حذف مضاف
يعني يمكن ان يكون الاستثناء في هذه الصورة استثناء متصلا كذلك بان يقدر محذوفا اي بحذف كلمة نجوى لكون
بمعنى التحدث لا الاشخاص حتى يكون من جنس المستثنى منه ويكون هو داخلا فيه فالخلاصة الكلام ان كان المراد من قوله تعالى من نجويهم
متناجيهم يكون الاستثناء متصلا وان كان المراد من قوله تعالى من نجويهم تناجيهم يكون الاستثناء منقطعا وكذلك يمكن ان يكون متصلا
بحذف المضاف فهذا وجوه الاعراب التي اراد المص بيانه باختصار العبارة بل بسطر واحد عليه الرحمة والغفران حرره العبد الفقير الكاتب لاصحاب المطالعة له

نؤتيه بالياء ومن يشاقق الرسول يخالفه من الشق فان كلا من المتخالفين في شق
غير شق الآخر من بعد ما تبين له الهدى ظهر له الحق بالوقوف على المعجزات ويتبع
غير سبيل المؤمنين غير ما هم عليه من اعتقاد او عمل نوله ما تولى نجعله واليا
لما تولى من الضلال ونخل بينه وبين ما اختاره ونصله جهنم وندخله فيها وقرئ بفتح
النون من صلاه وساءت مصيرا جهنم والآية تدل على حرمة مخالفة الاجماع لانه
تعالى رتب الوعيد الشديد على المشاقة واتباع غير سبيل المؤمنين وذلك اما لحرمة
كل واحد منهما او احدهما او الجمع بينهما والثاني باطل اذ يقبح ان يقال من شرب الخمر واكل
الخبز استوجب الحد وكذا الثالث لان المشاقة محرمة ضم اليها غيرها او لم يضم واذا
كان اتباع غير سبيلهم محرما كان اتباع سبيلهم واجبا لان ترك اتباع سبيلهم
ممن عرف سبيلهم اتباع غير سبيلهم وقد استقصيت الكلام فيه في مرصاد الافهام
الى مبادي الاحكام ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء كرره للتاكيد
او لقصة طعمة وقيل جاء شيخ الى رسول الله صلعم وقال اني شيخ منهمك في الذنوب
الا اني لم اشرك بالله شيئا منذ عرفته وامنت به ولم اتخذ من دونه وليا ولم اوقع
المعاصي جراءة وما توهمت طرفة عين اني اعجز الله هربا واني لنادم تائب فما ترى حالي
عند الله فنزلت ومن يشرك بالله فقد ضل ضلالا بعيدا عن الحق فان الشرك اعظم
انواع الضلالة وابعدها عن الصواب والاستقامة وانما ذكر في الآية الاولى
فقد افترى لانها متصلة بقصة اهل الكتاب ومنشأ شركهم كان نوع افترائهم وهو
دعوى التبني على الله ان يدعون من دونه الا اناثا يعني اللات والعزى ومناة
ونحوها كان لكل حي صنم يعبدونه ويسمونه انثى بني فلان فانه على القراد وهو ما كان
صغيرا سمي قرادا فاذا كبر سمي حلمة او لانها كانت جمادات والجمادات تؤنث من حيث انها
ضاهت الاناث لانفعالها ولعله تعالى ذكرها بهذا الاسم تنبيها على انهم يعبدون ما يسمونه
اناثا لانه ينفعل ولا يفعل ومن حق المعبود ان يكون فاعلا غير منفعل ليكون دليلا على تناهي
جهلهم وفرط حماقتهم وقيل المراد الملائكة لقولهم الملائكة بنات الله وهو جمع انثى كرباب
وربى وقرئ انثى على التوحيد وانثا على انه جمع انيث كخبث وخبيث ووثنا بالتخفيف
والتثقيل وهو جمع وثن كاسد واسد واسد واثنا بهما على قلب الواو لضمتها همزة وان
يدعون وان يعبدون بعبادتها الا شيطانا مريدا لانه الذي امرهم بعبادتها
واغراهم عليها فكان طاعته في ذلك عبادة له والمارد والمريد الذي لا يعلق بخير واصل
التركيب للملاسة ومنه صرح ممرد وغلام امرد وشجرة مرداء للتي تناثر ورقها لعنه الله
صفة ثانية للشيطان وقال لاتخذن من عبادك نصيبا مفروضا عطف عليه اي
شيطانا مريدا جامعا بين لعنة الله وهذا القول الدال على فرط عداوته للناس وقد
برهن سبحانه اولا على ان الشرك ضلال في الغاية على سبيل التعليل بان ما يشركون به

ينفعل ولا يفعل فعلا اختياريا وذلك ينافي الالوهية غاية المنافاة فان الاله تعالى ينبغي
ان يكون فاعلا غير منفعل ثم استدل عليه بانه عبادة الشيطان وهو افظع الضلال
لثلثة اوجه الاول انه مريد منهمك في الضلال لا يعلق بشئ من الخير والهدى فيكون
طاعته ضلالا بعيدا عن الهدى والثاني انه ملعون لضلاله فلا يستجلب مطاوعته
سوى الضلال واللعن والثالث انه في غاية العداوة والسعي في اهلاكهم وموالاة من
هذا شانه غاية الضلالة فضلا عن عبادته والمفروض المقطوع اي نصيبا قدر لي و
فرض من قولهم فرض له في العطاء ولاضلنهم عن الحق ولامنينهم الاماني الباطلة
كطول الحيوة وان لا بعث ولا عقاب ولامرنهم فليبتكن آذان الانعام
يشققونها لتحريم ما احله الله وهي عبارة عما كانت العرب تفعل بالبحائر والسوائب
واشارة الى تحريم كل ما احل ونقص كل ما خلق كاملا بالفعل او القوة ولامرنهم
فليغيرن خلق الله عن وجهه صورة او صفة ويندرج فيه ما قيل من فقؤ عين الحامي
وخصاء العبيد والوشم والوشر واللواط والسحق ونحو ذلك وعبادة الشمس والقمر
وتغيير فطرة الله التي هي الاسلام واستعمال الجوارح والقوى فيما لا يعود على النفس
كمالا ولا يوجب لها من الله زلفى وعموم اللفظ يمنع الخصاء مطلقا لكن الفقهاء رخصوا في خصاء
البهائم للحاجة والجمل الاربع حكاية عما ذكره الشيطان نطقا او اتاه فعلا ومن يتخذ
الشيطان وليا من دون الله بايثاره ما يدعوه اليه على ما امره الله به ومجاوزته
عن طاعة الله الى طاعته فقد خسر خسرانا مبينا اذ ضيع راس ماله وبدل مكانه من الجنة
بمكان من النار يعدهم ما لا ينجز ويمنيهم ما لا ينالون وما يعدهم الشيطان الا
غرورا وهو اظهار النفع فيما فيه الضرر وهذا الوعد اما بالخواطر الفاسدة او بلسان
اوليائه اولئك ماويهم جهنم ولا يجدون عنها محيصا معدلا ومهربا من حاص يحيص
اذا عدل وعنها حال منه وليس صلة له لانه اسم مكان وان جعل مصدرا فلا يعمل ايضا
فيما قبله والذين آمنوا وعملوا الصالحات سندخلهم جنات تجري من تحتها الانهار
خالدين فيها ابدا وعد الله حقا اي وعده وعدا وحق ذلك حقا فالاول مؤكد لنفسه
لان مضمون الجملة الاسمية التي قبله وعد والثاني مؤكد لغيره ويجوز ان تنصب
الموصول بفعل يفسره ما بعده ووعد الله بقوله سندخلهم لانه بمعنى نعدهم ادخالهم
وحقا على انه حال من المصدر ومن اصدق من الله قيلا جملة مؤكدة بليغة والمقصود
من الآية معارضة المواعيد الشيطانية الكاذبة لقرنائه بوعد الله الصادق لاوليائه
والمبالغة في توكيده ترغيبا للعباد في تحصيله ليس بامانيكم ولا اماني اهل الكتاب
اي ليس ما وعد الله من الثواب ينال بامانيكم ايها المسلمون ولا باماني اهل الكتاب وانما
ينال بالايمان والعمل الصالح وقيل ليس الايمان بالتمني ولكن ما وقر في القلب وصدقه
العمل روي ان المسلمين واهل الكتاب افتخروا فقال اهل الكتاب نبينا قبل نبيكم وكتابنا قبل كتابكم

ونحن اولى بالله منكم وقال المسلمون نحن اولى منكم نبينا خاتم النبيين وكتابنا
يقضي على الكتب المتقدمة فنزلت وقيل الخطاب مع المشركين ويدل عليه تقدم
ذكرهم اي ليس الامر باماني المشركين وهو قولهم لا جنة ولا نار ولا قولهم ان كان
الامر كما يزعم هؤلاء لنكونن خيرا منهم واحسن حالا ولا اماني اهل الكتاب وهو قولهم لن يدخل
الجنة الا من كان هودا او نصارى وقولهم لن تمسنا النار الا اياما معدودة ثم قرر ذلك
وقال من يعمل سوءا يجز به عاجلا او آجلا لما روي انه لما نزلت قال ابو بكر رضه فمن ينجو
مع هذا يا رسول الله فقال صلعم اما تحزن اما تمرض اما يصيبك اللأواء قال بلى يا رسول الله
قال هو ذاك ولا يجد له من دون الله وليا ولا نصيرا ولا يجد لنفسه اذا جاوز موالاة
الله ونصرته من يواليه وينصره في دفع العذاب عنه ومن يعمل من الصالحات بعضها
وشيئا منها فان كل احد لا يتمكن من كلها وليس مكلفا بها من ذكر او انثى في موضع الحال من
المستكن في يعمل ومن للبيان او من الصالحات اي كائنة من ذكر او انثى ومن للابتداء
وهو مؤمن حال شرط اقتران العمل بها في استدعاء الثواب المذكور تنبيها على انه لا اعتداد
به دونه فيه فاولئك يدخلون الجنة ولا يظلمون نقيرا بنقص شئ من الثواب واذا لم ينقص
ثواب المطيع فبالحري ان لا يزاد عقاب العاصي لان المجازي ارحم الراحمين ولذلك اقتصر على
ذكره عقيب الثواب سواه وقرا ابن كثير وابو عمرو وابو بكر يدخلون الجنة هنا وفي مريم وغافر
بضم الياء وفتح الخاء والباقون بفتح الياء وضم الخاء ومن احسن دينا ممن اسلم وجهه لله اخلص
نفسه لله لا يعرف لها ربا سواه وقيل بذل وجهه له في السجود وفي هذا الاستفهام تنبيه على
ان ذلك منتهى ما يبلغه القوة البشرية وهو محسن آت بالحسنات تارك للسيئات واتبع ملة ابرهيم
الموافقة لدين الاسلام المتفق على صحتها حنيفا مائلا عن سائر الاديان الى دين الاسلام
وهو حال من المتبع او الملة او ابرهيم واتخذ الله ابرهيم خليلا اصطفاه وخصه بكرامة
تشبه كرامة الخليل عند خليله وانما اعاد ذكره ولم يضمر تفخيما له وتنصيصا على انه الممدوح
والخلة من الخلال فانه ود تخلل النفس وخالطها وقيل من الخلل فان كل واحد من الخليلين
يسد خلل الآخر او من الخل وهو الطريق في الرمل فانهما يترافقان في الطريقة او من الخلة
بمعنى الخصلة فانهما يتوافقان في الخصال والجملة استيناف جيء بها للترغيب في اتباع ملته
والايذان بانه نهاية في الحسن وغاية كمال البشر روي ان ابرهيم عليه السلام بعث الى خليل
له بمصر في ازمة اصابت الناس يمتار منه فقال خليله لو كان ابرهيم يريد لنفسه لفعلت
ولكن يريد للاضياف وقد اصابنا ما اصاب الناس فاجتاز غلمانه ببطحاء لينة فملؤوا
منها الغرائر حياء من الناس فلما اخبروا ابرهيم ساءه الخبر فغلبته عيناه فنام وقامت سارة
الى غرارة منها فاخرجت حوارى فاختبزت فاستيقظ ابرهيم فاشتم رائحة الخبز فقال من اين هذا
لكم فقالت من خليلك المصري فقال من عند خليلي الله عز وجل فسماه خليلا ولله ما
في السموات وما في الارض خلقا وملكا يختار منهما من يشاء وبما يشاء وقيل هو متصل

بذكر الكمال المقرر لوجوب طاعته على اهل السموات والارض وكمال قدرته على مجازاتهم
على الاعمال وكان الله بكل شيء محيطا احاطة علم وقدرة فكان عالما باعمالهم
فيجازيهم على خيرها وشرها ويستفتونك في النساء في ميراثهن اذ سبب نزوله ان
عيينة بن حصن اتى النبي صلعم فقال اخبرنا انك تعطي الابنة النصف والاخت النصف
وانما كنا نورث من يشهد القتال ويحوز الغنيمة فقال عليه السلام كذلك امرت قل الله
يفتيكم فيهن يبين لكم حكمه فيهن والافتاء تبيين المبهم وما يتلى عليكم
في الكتاب عطف على اسم الله او ضمير المستكن في يفتيكم وساغ للفصل فيكون
الافتاء مسندا الى الله والى ما في القرآن من قوله يوصيكم الله ونحوه والفعل الواحد
ينسب الى فاعلين باعتبارين مختلفين ونظيره اغناني زيد وعطاؤه او استيناف معترض
لتعظيم المتلو عليهم على ان ما يتلى عليكم مبتدأ وفي الكتاب خبره والمراد به اللوح
المحفوظ ويجوز ان ينصب على معنى ويبين لكم ما يتلى عليكم او يخفض على القسم كأنه
قيل واقسم بما يتلى عليكم في الكتاب ولا يجوز عطفه على المجرور في فيهن لاختلاله
لفظا ومعنى في يتامى النساء صلة يتلى ان عطف الموصول على ما قبله اي يتلى عليكم في شأنهن
والا فبدل من فيهن او صلة اخرى ليفتيكم على معنى الله يفتيكم فيهن بسبب يتامى
النساء كما تقول كلمتك اليوم في زيد وهذه الاضافة بمعنى من لانها اضافة الشيء الى
جنسه وقرئ ييامى على انه ايامى فقلبت همزته ياء اللاتي لا تؤتونهن ما كتب لهن
اي فرض لهن من الميراث وترغبون ان تنكحوهن في ان تنكحوهن او عن ان تنكحوهن
فان اولياء اليتامى كانوا يرغبون فيهن ان كن جميلات ويأكلون مالهن والا كانوا
يعضلونهن طمعا في ميراثهن والواو يحتمل الحال والعطف وليس فيه دليل على جواز
تزويج اليتيمة اذ لا يلزم من الرغبة في نكاحها جريان العقد في صغرها والمستضعفين
من الولدان عطف على يتامى النساء والعرب لا يورثونهم كما لا يورثون النساء
وان تقوموا لليتامى بالقسط ايضا عطف عليه اي ويتلى عليكم او ما يتلى في ان تقوموا
هذا اذا جعلت في يتامى صلة لاحدهما فان جعلته بدلا فالوجه نصبهما عطفا على
موضع فيهن ويجوز ان ينصب وان تقوموا باضمار فعل اي يأمركم ان تقوموا وهو
خطاب للائمة في ان ينظروا لهم ويستوفوا حقوقهم او للقوام بالنصفة في
شأنهم وما تفعلوا من خير فان الله كان به عليما وعد لمن آثر الخير في ذلك وان
امرأة خافت من بعلها توقعت منه لما ظهر لها من المخايل وامرأة فاعل فعل
يفسره الظاهر نشوزا تجافيا عنها وترفعا عن صحبتها كراهة لها ومنعا لحقوقها
او اعراضا بان يقل مجالستها ومحادثتها فلا جناح عليهما ان يصالحا بينهما
صلحا ان يتصالحا بان تحط له بعض المهر او القسم او تهب له شيئا تستميله به و
قرأ الكوفيون ان يصلحا من اصلح بين المتنازعين وعلى هذا جاز ان ينتصب صلحا

وان امرأة

توقعت منه ما تكره به لما ظهر لها من المخايل كأن كانت مثلا ان يقول الرجل لامرأته انك دميمة قبيحة
وانا اريد ان تزوج شابة جميلة او فعله مثل ان يعرض عنها ويعبس في وجهها ويترك قربانها
ويبغي غيرها ان يتصالحا يريد ان يتصالحا بتشديد الصاد وجعل
الف اصله يتصالحا فابدلت التاء صادا وادغمت للتخفيف وهو قراءة ما عدا الكوفيين من السبعة
قيل نزلت الآية في ام المؤمنين سودة بنت زمعة حين اراد النبي صلى الله عليه وسلم
ان يطلقها فالتمست ان يمسكها ويجعل نوبتها لعائشة رضي الله عنها لما عرفت مكان عائشة
من قلبه عليه السلام فاجازه النبي صلى الله عليه وسلم ولم يطلقها وعن ابن عباس رضي الله عنه
انها نزلت في ابي السنابل كانت له زوجة له منها اولاد وكانت قبيحة فهم بطلاقها فقالت
لا تطلقني ودعني حتى اشتغل بمصالح اولادي واقسم لي في كل شهر ليالي فقيلة فقال الزوج
ان كان الامر كذلك فهو اصلح لي فاتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكر ذلك له فانزل الله
وان امرأة خافت الخ منسوخ راه رحمه الله

على المفعول به وبينهما ظرف او حال منه او على المصدر كما في القراءة الاولى والمفعول بينهما او هو
محذوف وقرئ يصّالحا من اصّالح بمعنى اصطلح والصلح خير من الفرقة وسوء العشرة او
من الخصومة ويجوز ان لا يراد به التفضيل بل بيان انه من الخيور كما ان الخصومة
من الشرور وهو اعتراض وكذا قوله واحضرت الانفس الشح ولذلك اغتفر عدم تجانسهما
والاول للترغيب في المصالحة والثاني لتمهيد العذر في المماكسة ومعنى احضار
الانفس الشح جعلها حاضرة له مطبوعة عليه فلا تكاد المرأة تسمح بالاعراض عنها والتقصير في حقها
ولا الرجل يسمح بان يمسكها ويقوم بحقها على ما ينبغي اذا كرهها واحب غيرها وان تحسنوا
في العشرة وتتقوا النشوز والاعراض ونقص الحق فان الله كان بما تعملون من الاحسان
والخصومة خبيرا عليما به وبالغرض فيه فيجازيكم عليه اقام كونه عالما باعمالهم مقام اثابته
اياهم عليها الذي هو في الحقيقة جواب الشرط اقامة السبب مقام المسبب ولن تستطيعوا
ان تعدلوا بين النساء لان العدل ان لا يقع ميل البتة وهو متعذر ولذلك كان رسول الله صلعم
يقسم بين نسائه فيعدل ويقول هذه قسمتي فيما املك فلا تأخذني فيما تملك ولا املك ولو حرصتم
على تحري ذلك وبالغتم فيه فلا تميلوا كل الميل بترك المستطاع والجور على المرغوب عنها
فان ما لا يدرك كله لا يترك كله فتذروها كالمعلقة التي ليست ذات بعل ولا مطلقة وعن
النبي صلعم من كانت له امرأتان يميل مع احديهما جاء يوم القيمة واحد شقيه مائل وان
تصلحوا ما كنتم تفسدون من امورهن وتتقوا فيما يستقبل فان الله كان غفورا رحيما
يغفر لكم ما مضى من ميلكم وان يتفرقا وقرئ وان يتفارقا اي وان يفارق كل واحد منهما
صاحبه يغن الله كلا منهما من الآخر ببدل او سلو من سعته غناه وقدرته وكان الله
واسعا حكيما مقتدرا متقنا في افعاله واحكامه ولله ما في السموات وما في الارض
تنبيه على كمال سعته وقدرته ولقد وصينا الذين اوتوا الكتاب من قبلكم
يعني اليهود والنصارى ومن قبلهم والكتاب للجنس ومن متعلقة بوصينا او باوتوا و
مساق الآية لتأكيد الامر بالاخلاص واياكم عطف على الذين ان اتقوا الله بان اتقوا
الله ويجوز ان تكون ان مفسرة لان التوصية في معنى القول وان تكفروا فان لله ما في السموات
وما في الارض على ارادة القول اي وقلنا لهم ولكم ان تكفروا فان الله مالك الملك كله
لا يتضرر بكفركم ومعاصيكم كما لا ينتفع بشكركم وتقويكم وانما وصيكم لرحمته لا لحاجته ثم
قرر ذلك بقوله وكان الله غنيا عن الخلق وعبادتهم حميدا في ذاته حمد او لم يحمد ولله
ما في السموات وما في الارض ذكره ثالثا للدلالة على كونه غنيا حميدا فان جميع المخلوقات
تدل بحاجتها على غناه وبما افاض عليها من الوجود وانواع الخصائص والكمالات على كونه حميدا
وكفى بالله وكيلا راجع الى قوله يغن الله كلا من سعته فانه توكل بكفايتهما وما بينهما
تقرير لذلك ان يشأ يذهبكم ايها الناس يفنكم ومفعول يشأ محذوف دل عليه الجواب
ويأت بآخرين ويوجد قوما آخرين مكانكم او خلقا آخرين مكان الانس وكان الله

على ذلك من الاعدام والايجاد قديرا بليغ القدرة لا يعجزه مراد وهذا ايضا تقرير لغناه
وقدرته وتهديد لمن كفره وخالف امره وقيل هو خطاب لمن عادى رسول الله من العرب
ومعناه معنى قوله وان تتولوا يستبدل قوما غيركم لما روي انه لما نزلت ضرب رسول الله
يده على ظهر سلمان وقال انهم قوم هذا من كان يريد ثواب الدنيا كالمجاهد
يجاهد للغنيمة فعند الله ثواب الدنيا والاخرة فما له يطلب اخسهما فليطلبهما كمن
يقول ربنا اتنا في الدنيا حسنة وفي الاخرة حسنة او ليطلب الاشرف منهما فان من جاهد
خالصا لله لم تخطئه الغنيمة وله في الاخرة ما هي في جنبه كلا شيء او فعند الله ثواب
الدارين فيعطي كلا ما يريده كقوله من كان يريد حرث الاخرة نزد له في حرثه ومن
كان يريد حرث الدنيا نؤته منها الاية وكان الله سميعا بصيرا عارفا بالاغراض فيجازي
بحسب قصده يا ايها الذين امنوا كونوا قوامين بالقسط مواظبين على العدل مجتهدين
في اقامته شهداء لله بالحق تقيمون شهاداتكم لوجه الله وهو خبر ثان او حال ولو على
انفسكم ولو كانت الشهادة على انفسكم بان تقروا عليها لان الشهادة بيان الحق
سواء كان عليه او على غيره او الوالدين والاقربين ولو على والديكم واقاربكم
ان يكن اي المشهود عليه او كل واحد منه ومن المشهود له غنيا او فقيرا فلا تمتنعوا عن اقامة
الشهادة او لا تجوروا فيها ميلا او ترحما فالله اولى بهما بالغني والفقير وبالنظر لهما فلو لم تكن
الشهادة عليهما او لهما صلاحا لما شرعها وهو علة الجواب اقيمت مقامه والضمير في بهما راجع
الى ما دل عليه المذكور وهو جنسا الغني والفقير لا اليه والا لوحد ويشهد عليه انه قرئ
فالله اولى بهم فلا تتبعوا الهوى ان تعدلوا لان تعدلوا عن الحق او كراهة ان تعدلوا
من العدل وان تلووا السنتكم عن شهادة الحق او حكومة العدل وقرأ نافع وابن كثير وابو عمرو
وعاصم والكسائي وان تلووا باسكان اللام وبعدها واوان الاولى مضمومة والثانية ساكنة
وقرأ حمزة وابن عامر وان تلوا بمعنى وان وليتم اقامة الشهادة او تعرضوا عن ادائها
فان الله كان بما تعملون خبيرا فيجازيكم عليه يا ايها الذين امنوا خطاب للمسلمين
او المنافقين او لمؤمني اهل الكتاب اذ روي ان ابن سلام واصحابه قالوا يا رسول الله انا نؤمن
بك وبكتابك وبموسى والتورية وعزير ونكفر بما سواه فنزلت امنوا بالله ورسوله و
الكتاب الذي نزل على رسوله والكتاب الذي انزل من قبل اثبتوا على الايمان
بذلك وداوموا عليه او امنوا به بقلوبكم كما امنتم بالسنتكم او امنوا ايمانا عاما يعم
الكتب والرسل فان الايمان بالبعض كلا ايمان والكتاب الاول القران والثاني الجنس
ومن يكفر بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الاخر اي ومن
يكفر بشيء من ذلك فقد ضل ضلالا بعيدا عن المقصد بحيث لا يكاد يعود الى طريقه ان
الذين امنوا يعني اليهود امنوا بموسى ثم كفروا حين عبدوا العجل ثم امنوا بعد عوده
اليهم ثم كفروا بعيسى ثم ازدادوا كفرا بمحمد صلوات الله عليهم او قوما تكرر منهم

الارتداد ثم اصروا على الكفر وازدادوا تماديا في الغي لم يكن الله ليغفر لهم ولا ليهديهم سبيلا
اذ يستبعد منهم ان يتوبوا عن الكفر ويثبتوا على الايمان فان قلوبهم ضريت بالكفر وتصلبت
وعميت عن الحق لا انهم لو اخلصوا الايمان لم يقبل منهم ولم يغفر لهم وخبر كان في امثال ذلك
محذوف تتعلق به اللام مثل لم يكن الله مريدا ليغفر لهم بشر المنافقين بان لهم عذابا
اليما يدل على ان الاية في المنافقين وهم قد امنوا بالظاهر وكفروا في السر مرة بعد اخرى
ثم ازدادوا بالاصرار على النفاق وافساد الامر على المومنين ووضع بشر مكان انذر تهكما
بهم الذين يتخذون الكافرين اولياء من دون المومنين في محل النصب او الرفع
على الذم بمعنى اريد الذين او هم الذين ايبتغون عندهم العزة ايتعززون بموالاتهم
فان العزة لله جميعا لا يتعزز الا من اعزه وقد كتب العزة لاوليائه فقال ولله العزة
ولرسوله وللمومنين لا يؤبه بعزة غيرهم بالاضافة اليهم وقد نزل عليكم في الكتاب
يعني القران وقرئ نزل والقائم مقام فاعله ان اذا سمعتم ايات الله وهي المخففة والمعنى
انه اذا سمعتم يكفر بها ويستهزأ بها حالان من الايات جيء بهما لتقييد النهي عن المجالسة
في قوله فلا تقعدوا معهم حتى يخوضوا في حديث غيره الذي هو جزاء الشرط بما اذا كان
من يجالسه هازئا معاندا غير مرجو ويؤيده الغاية وهذا تذكار لما نزل عليهم بمكة من قوله
واذا رأيت الذين يخوضون في اياتنا الاية والضمير في معهم للكفرة المدلول عليهم بقوله يكفر بها
ويستهزأ بها انكم اذا مثلهم في الاثم لانكم قادرون على الاعراض عنهم والانكار عليهم
او الكفر ان رضيتم بذلك او لان الذين يقاعدون الخائضين في القران من الاحبار كانوا
منافقين ويدل عليه ان الله جامع المنافقين والكافرين في جهنم جميعا يعني القاعدين
والمقعود معهم واذا ملغاة لوقوعها بين الاسم والخبر ولذلك لم يذكر بعدها الفعل وافراد
مثلهم لانه كالمصدر او للاستغناء بالاضافة الى الجمع وقرئ بالفتح على البناء لاضافته
الى مبني كقوله مثل ما انكم تنطقون الذين يتربصون بكم ينتظرون وقوع امر بكم
وهو بدل من الذين يتخذون او صفة للمنافقين والكافرين او ذم مرفوع او منصوب او
مبتدأ خبره فان كان لكم فتح من الله قالوا الم نكن معكم مظاهرين لكم فاسهموا
لنا فيما غنمتم وان كان للكافرين نصيب من الحرب فانها سجال قالوا الم نستحوذ عليكم
اي قالوا للكفرة الم نغلبكم ونتمكن من قتلكم فابقينا عليكم والاستحواذ الاستيلاء و
كان القياس ان يقال استحاذ يستحيذ استحاذة فجاءت على الاصل ونمنعكم من المومنين
بان خذلناهم بتخييل ما ضعفت به قلوبهم وتوانينا في مظاهرتهم فاشركونا فيما اصبتم وانما
سمي ظفر المسلمين فتحا وظفر الكافرين نصيبا لخسة حظهم فانهم مقصور على امر دنيوي سريع
الزوال فالله يحكم بينكم يوم القيمة ولن يجعل الله للكافرين على المومنين سبيلا
حينئذ او في الدنيا والمراد السبيل الحجة واحتج به اصحابنا على فساد شراء الكافر المسلم والحنفية
على حصول البينونة بنفس الارتداد وهو ضعيف لانه لا ينفي ان يكون اذا عاد الى الايمان قبل مضي العدة

قبل مضي المدة **إن المنافقين يخادعون الله وهو خادعهم** سبق الكلام فيه أول سورة البقرة **وإذا قاموا إلى الصلوة قاموا كسالى** متثاقلين كالمكره على الفعل وقرئ كسالى بالفتح وهما جمعا كسلان **يراؤون الناس** ليخالوهم مؤمنين والمراءاة مفاعلة بمعنى التفعيل كنعّم وناعم أو للمقابلة فإن المرائي يري من يرائيه عمله وهو يريه استحسانه **ولا يذكرون الله إلا قليلا** إذ المرائي لا يفعل إلا بحضرة من يرائيه وهو أقل أحواله أو لأن ذكرهم باللسان قليل بالإضافة إلى الذكر بالقلب وقيل المراد بالذكر الصلوة وقيل الذكر فيها فإنهم لا يذكرون الله فيها غير التكبير والتسليم **مذبذبين بين ذلك** حال عن واو يراؤون كقوله ولا يذكرون أي يراؤونهم غير ذاكرين مذبذبين أو واو يذكرون أو منصوب على الذم والمعنى مرددين بين الإيمان والكفر من الذبذبة وهو جعل الشيء مضطربا وأصله الذب بمعنى الطرد وقرئ بكسر الذال بمعنى يذبذبون قلوبهم أو دينهم أو متذبذبون لقولهم صلصل بمعنى تصلصل وقرئ بالدال الغير المعجمة بمعنى أخذوا تارة في دبة وتارة في دبة وهي الطريقة **لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء** لا منسوبين إلى المؤمنين ولا إلى الكافرين أو لا صائرين إلى أحد الفريقين بالكلية **ومن يضلل الله فلن تجد له سبيلا** إلى الحق والصواب ونظيره قوله تعالى ومن لم يجعل الله له نورا فما له من نور **يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا الكافرين أولياء من دون المؤمنين** فإنه صنيع المنافقين وديدنهم فلا تتشبهوا بهم **أتريدون أن تجعلوا لله عليكم سلطانا مبينا** حجة بينة فإن موالاتهم دليل على النفاق أو سلطانا يسلط عليكم عقابه **إن المنافقين في الدرك الأسفل من النار** وهو الطبقة التي في قعر جهنم وإنما كان كذلك لأنهم أخبث الكفرة إذ ضموا إلى الكفر استهزاء بالإسلام وخداعا للمسلمين وأما قوله عليه السلام ثلث من كن فيه فهو منافق وإن صام وصلى وزعم أنه مسلم من إذا حدث كذب وإذا وعد أخلف وإذا ائتمن خان ونحوه فمن باب التشبيه والتغليظ وإنما سميت طبقاتها السبع دركات لأنها متداركة متتابعة بعضها فوق بعض وقرأ الكوفيون بسكون الراء وهو لغة كالسطر والسطر والتحريك أوجه لأنه يجمع على أدراك **ولن تجد لهم نصيرا** يخرجهم منه **إلا الذين تابوا** عن النفاق **وأصلحوا** ما أفسدوا من أسرارهم وأحوالهم في حال النفاق **واعتصموا بالله** وثقوا به وتمسكوا بدينه **وأخلصوا دينهم لله** لا يريدون بطاعتهم إلا وجهه **فأولئك مع المؤمنين** ومن عدادهم في الدارين **وسوف يؤت الله المؤمنين أجرا عظيما** فيساهمونهم فيه **ما يفعل الله بعذابكم إن شكرتم وآمنتم** أيتشفى به غيظا أو يدفع به ضرا أو يستجلب به نفعا وهو الغني المتعالي عن النفع والضر وإنما يعاقب المصر بكفره لأن إصراره عليه كسوء مزاج يؤدي إلى مرض فإذا زال بالإيمان والشكر ونقى عنه نفسه تخلص من تبعته وإنما قدم الشكر لأن الناظر يدرك النعمة

أولا فيشكر شكرا مبهما ثم يمعن النظر حتى يعرف المنعم فيؤمن به **وكان الله شاكرا** مثيبا يقبل اليسير ويعطي الجزيل **عليما** بحق شكركم وإيمانكم **لا يحب الله الجهر بالسوء من القول إلا من ظلم** إلا جهر من ظلم بالدعاء على الظالم والتظلم منه روي أن رجلا ضاف قوما فلم يطعموه فاشتكاهم فعوتب عليه فنزلت وقرئ من ظلم على البناء للفاعل فيكون الاستثناء منقطعا أي ولكن الظالم يفعل ما لا يحبه الله **وكان الله سميعا** لكلام المظلوم **عليما** بالظالم **إن تبدوا خيرا** طاعة وبرا **أو تخفوه** أو تفعلوه سرا **أو تعفوا عن سوء** لكم المؤاخذة عليه وهو المقصود وذكر إبداء الخير وإخفائه تشبيب له ولذلك رتب عليه قوله **فإن الله كان عفوا قديرا** أي يكثر العفو عن العصاة مع كمال قدرته على الانتقام فأنتم أولى بذلك وهو حث للمظلوم على العفو بعد ما رخص له في الانتصار حملا على مكارم الأخلاق **إن الذين يكفرون بالله ورسله ويريدون أن يفرقوا بين الله ورسله** بأن يؤمنوا بالله ويكفروا برسله **ويقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض** نؤمن ببعض الأنبياء ونكفر ببعضهم **ويريدون أن يتخذوا بين ذلك سبيلا** طريقا وسطا بين الإيمان والكفر ولا واسطة إذ الحق لا يختلف فإن الإيمان بالله إنما يتم بالإيمان برسله وتصديقهم فيما بلغوا عنه تفصيلا أو إجمالا فالكافر ببعض ذلك كالكافر بالكل في الضلال كما قال الله تعالى فماذا بعد الحق إلا الضلال **أولئك هم الكافرون** هم الكاملون في الكفر لا عبرة بإيمانهم هذا **حقا** مصدر مؤكد لغيره أو صفة لمصدر الكافرين بمعنى هم الذين كفروا كفرا حقا أي يقينا محققا **وأعتدنا للكافرين عذابا مهينا والذين آمنوا بالله ورسله ولم يفرقوا بين أحد منهم** أضدادهم ومقابلوهم وإنما دخل بين على أحد وهو يقتضي متعددا لعمومه من حيث إنه وقع في سياق النفي **أولئك سوف يؤتيهم أجورهم** الموعودة لهم وتصديره بسوف لتوكيد الوعد والدلالة على أنه كائن لا محالة وإن تأخر وقرأ حفص عن عاصم ويعقوب بالياء على تلوين الخطاب **وكان الله غفورا** لما فرط منهم **رحيما** عليهم بتضعيف حسناتهم **يسألك أهل الكتاب أن تنزل عليهم كتابا من السماء** نزلت في أحبار اليهود قالوا إن كنت صادقا فأتنا بكتاب من السماء جملة كما أتى به موسى وقيل كتابا محررا بخط سماوي على ألواح كما كانت التورية أو كتابا نعاينه حين ينزل أو كتابا إلينا بأعياننا بأنك رسول الله **فقد سألوا موسى أكبر من ذلك** جواب شرط مقدر أي إن استكبرت ما سألوه منك فقد سألوا موسى أكبر منه وهذا السؤال وإن كان من آبائهم أسند إليهم لأنهم كانوا آخذين بمذهبهم تابعين لهديهم والمعنى أن عرقهم راسخ في ذلك وأن ما اقترحوا عليك ليس بأول جهالاتهم وخيالاتهم **فقالوا أرنا الله جهرة** عيانا أي أرناه نره جهرة أو مجاهرين معاينين له **فأخذتهم الصاعقة** نار جاءت من السماء فأهلكتهم **بظلمهم** بسبب ظلمهم وهو تعنتهم وسؤالهم لما يستحيل في تلك الحال التي كانوا عليها وذلك لا يقتضي امتناع الرؤية مطلقا **ثم اتخذوا العجل من**

من بعد ما جاءتهم البينات هذه الجناية الثانية التي اقترفها ايضا اوائلهم والبينات المعجزات ولا يجوز حملها على التوراة اذ لم تاتهم بعد فعفونا عن ذلك وآتينا موسى سلطانا مبينا تسلطا ظاهرا عليهم حين امرهم بان يقتلوا انفسهم توبة عن اتخاذهم ورفعنا فوقهم الطور بميثاقهم بسبب ميثاقهم ليقبلوه وقلنا لهم ادخلوا الباب سجدا على لسان موسى والطور مظل عليهم وقلنا لهم لا تعدوا في السبت على لسان داود ويحتمل ان يراد على لسان موسى حين ظلل الجبل عليهم فانه شرع السبت ولكن كان الاعتداء فيه والمسخ به في زمن داود وقرأ ورش عن نافع لا تعدّوا على ان اصله لا تعتدوا فادغمت التاء في الدال واخذنا منهم ميثاقا غليظا على ذلك وهو قولهم سمعنا واطعنا فبما نقضهم ميثاقهم اي فخالفوا ونقضوا ففعلنا بهم ما فعلنا بنقضهم وما مزيدة للتاكيد والباء متعلقة بالفعل المحذوف ويجوز ان تتعلق بحرمنا عليهم طيبات فيكون التحريم بسبب النقض وما عطف عليه الى قوله فبظلم لا بما دل عليه قوله بل طبع الله عليها مثل لا يؤمنون لانه رد لقولهم قلوبنا غلف فيكون من صلة وقولهم المعطوف على المجرور فلا يعمل في جاره وكفرهم بآيات الله بالقرآن او بما في كتابهم وقتلهم الانبياء بغير حق وقولهم قلوبنا غلف اوعية للعلوم او في اكنة مما تدعونا اليه بل طبع الله عليها بكفرهم فلا يؤمنون الا قليلا منهم كعبد الله بن سلام او ايمانا قليلا لا عبرة به لنقصانه وبكفرهم بعيسى وهو معطوف على بكفرهم لانه من اسباب الطبع او على قوله فبما نقضهم ويجوز ان يعطف مجموع هذا وما عطف عليه على مجموع ما قبله ويكون تكرير ذكر الكفر ايذانا بتكرر كفرهم فانهم كفروا بموسى ثم بعيسى ثم بمحمد صلعم وقولهم على مريم بهتانا عظيما يعني نسبتها الى الزنا وقولهم انا قتلنا المسيح عيسى بن مريم رسول الله اي بزعمه ويحتمل انهم قالوه استهزاء ونظيره ان رسولكم الذي ارسل اليكم لمجنون وان يكون استينافا من الله بمدحه او وضعا للذكر الحسن مكان ذكرهم القبيح وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم روي ان رهطا من اليهود سبوه وامه فدعا عليهم فمسخهم الله قردة وخنازير فاجتمعت اليهود على قتله فاخبره الله بانه يرفعه الى السماء فقال لاصحابه ايكم يرضى ان يلقى عليه شبهي فيقتل ويصلب ويدخل الجنة فقام رجل منهم فالقى الله عليه شبهه فقتل وصلب وقيل كان رجل ينافقه فخرج ليدل عليه فالقى الله عليه شبهه فاخذ وصلب وقيل دخل طيطانوس اليهودي بيتا كان هو فيه فلم يجده والقى الله عليه شبهه فلما خرج ظن انه عيسى فاخذ وصلب وامثال ذلك من الخوارق التي لا تستبعد في زمان النبوة وانما ذمهم الله بما دل عليه الكلام من جراتهم على الله وقصدهم قتل نبيه المؤيد بالمعجزات القاهرة وتبجحهم به لا لقولهم هذا على حسب حسبانهم وشبه مسند الى الجار والمجرور كانه قيل ولكن وقع لهم التشبيه بين عيسى والمقتول او في الامر على قول من قال لم يقتل احد ولكن ارجف بقتله فشاع بين الناس او الى ضمير المقتول لدلالة انا قتلنا على ان ثم مقتولا وان الذين

قوله الا قليلا منهم اي قيل ان قليلا صفة مصدر محذوف او زمان محذوف اي الا ايمانا او زمانا قليلا ولا يجوز نصبه على الاستثناء من فاعل يؤمنون اي الا قليلا منهم فانهم يؤمنون لان ضمير لا يؤمنون عائد على المطبوع على قلوبهم ومن طبع على قلبه بالكفر لا يقع منه ايمان والجواب ان المراد بما مر الاسناد الى الكل ما هو للبعض باعتبار الاكثر فتامل والمراد بالايمان القليل التصديق ببعضه كنبوة موسى عليه السلام ونحو القليل لان الكفر بالبعض كفر بالكل من شهاب

قوله الا قليلا اي على ان يكون قليلا استثناء من فاعل يؤمنون فلا بد ان يلاحظ الفاعل مجردا كونه كافرا مع قطع النظر عن كونه مطبوع القلب لان من طبع الله على قلبه وختم لا يقع منه الايمان ابدا من شيخ

٩٩٩ قوله ويجوز ان يعطف مجموع هذا وما عطف عليه على مجموع ما قبله مما ذكر قبل حرف الاضراب كانه قيل فبجمعهم بين نقض الميثاق والكفر بآيات الله وقتل الانبياء وقولهم قلوبنا غلف وجمعهم بين كفرهم وبهتهم مريم وافتخارهم بقتل عيسى عليه السلام عاقبناهم او فعلنا بهم ما فعلنا

قال الله تعالى فبما نقضهم ميثاقهم وكفرهم بآيات الله وقتلهم الانبياء بغير حق وقولهم قلوبنا غلف بل طبع الله عليها بكفرهم فلا يؤمنون

قوله اي فخالفوا ونقضوا ففعلنا بهم ما فعلنا اشار الى ان في الكلام مقدرا وان الجار والمجرور في فبما نقضهم متعلق بمقدر وهو فعلنا بهم فيكون تقدير الكلام فعلنا ما فعلنا بسبب نقضهم ميثاقهم وكفرهم بآيات الله وقتلهم الانبياء وقولهم قلوبنا غلف الى آخر الآيات هذا هو المختار عند المصنف رحمه الله في تعلق الباء واشار الى كون الباء سببية بقوله فيكون التحريم بسبب النقض قوله ويجوز ان يتعلق بيان لجواز تعلق الباء بقوله حرمنا عليهم وقوله لا بما دل عليه قوله بل طبع الله بيان عدم جواز تعلقه الى طبع المقدر المدلول عليه بقوله بل طبع الله او لا يؤمنون المقدر وقوله لانه رد لقولهم قلوبنا غلف اشارة الى ان الاضراب بقوله بل طبع متعلق بقوله قلوبنا غلف وقوله فلا يعمل في جاره اشارة الى دليل عدم جواز تعلق الباء بقوله تعالى فبما نقضهم ولتفصيل هذه المباحث احتجنا الى البيان في قوله ويجوز ان يتعلق اي الباء في قوله تعالى فبما نقضهم بحرمنا الآتي بعد ثلث آيات فيكون التحريم بسبب النقض وما عطف عليه من قوله تعالى وكفرهم وقتلهم الانبياء وقولهم قلوبنا غلف الى قوله تعالى فبظلم فتكون هذه كلها من اسباب التحريم وقوله لا بما دل عليه قوله بل طبع الله شروع الى ما ذهب اليه ابو البقا والطالبون على انه خلاف معنى المقصود حيث قال لا بما دل عليه اي لا يجوز ان يتعلق الباء بما دل عليه قوله بل طبع الله اي طبع المقدر او بمثل لا يؤمنون وتفصيله انه لو قدر طبع بقرينة طبع الله على ما ذهب اليه ابو البقا يكون المقدر فبما نقضهم وكفرهم بآيات الله وقولهم قلوبنا غلف [redacted] طبع الله عليها بكفرهم وان قدر لا يؤمنون فالتقدير فبما نقضهم اي لا يؤمنون فالباء وما عطف عليه متعلق بطبع المقدر او بلا يؤمنون فيكون نقضهم الميثاق وكفرهم وقولهم قلوبنا غلف اسبابا للطبع او اسباب انهم لا يؤمنون وقوله تعالى بل طبع الله اي متعلق بذلك المقدر لكونه عطفا عليه فيكون معناه بل طبع عليها بنفس كفرهم فكيف اذا انضم اليه النقض والقتل فعلى هذا ان تلك الامور اسباب للطبع مع كون طبع الله قلوبهم سببا ويكون قوله تعالى بل طبع الله ناظرا الى هذا الكلام كلها فهو خلاف المقصود اذ المعنى المقصود ان يكون ناظرا لقوله قلوبنا غلف لا الى جميع الامور المذكورة ولهذا رده المصنف ببيان المعنى المقصود بقوله لانه اي قوله تعالى بل طبع الله قلوبهم رد لقوله قلوبنا غلف اي اضراب منه وناظر اليه لا الى كلام الاول كما ذهب اليه ابو البقا فيكون بل طبع الله عليها بكفرهم من صلة لفظة وقولهم الواقع في الآية المعطوف اي لفظة وقولهم على المجرور اي على قوله نقضهم فلا يعمل في جاره اي جار ذلك المجرور اي لا يكون متعلقا بالفعل قوله فلا يعمل اي لا يكون متعلقا كما صرح به مولانا العصام فيما قال وقوله فلا يعمل في جاره يفيد ان الجار معمول وليس كذلك فالاولى ان يقال فلا يتعلق به جاره انتهى والمراد من الجار الباء في قوله فبما نقضهم والمجرور لفظة نقضهم فهذا الشرح والبيان كاف في الفهم والاتمام يمكن في كثرة البحث

اختلفوا فيه في شان عيسى فانه لما وقعت تلك الوقعة اختلف الناس فقال بعض اليهود انه كان كاذبا فقتلناه حقا وتردد اخرون فقال بعضهم ان كان عيسى فاين صاحبنا وقال بعضهم الوجه وجه عيسى والبدن بدن صاحبنا وقال من سمع منه ان الله يرفعني الى السماء رفع الى السماء وقال قوم صلب الناسوت وصعد اللاهوت لفي شك منه لفي تردد والشك كما يطلق على ما لا يترجح احد طرفيه يطلق على مطلق التردد وعلى ما يقابل العلم ولذلك اكده بقوله ما لهم به من علم الا اتباع الظن استثناء منقطع اي ولكنهم يتبعون الظن ويجوز ان يفسر الشك بالجهل والعلم بالاعتقاد الذي تسكن اليه النفس جزما كان او غيره فيتصل الاستثناء وما قتلوه يقينا قتلا يقينا كما زعموه بقولهم انا قتلنا المسيح او متيقنين وقيل معناه على ما علموه يقينا كقوله

الكذا تخبر عنها العالمات بها وقد قتلت بعلمي ذلكم يقينا من قولهم قتلت الشيء علما ونحرته علما اذا تبالغ علمك فيه بل رفعه الله اليه رد وانكار لقتله واثبات لرفعه وكان الله عزيزا لا يغلب على ما يريده حكيما فيما دبر لعيسى وان من اهل الكتاب الا ليؤمنن به قبل موته اي وما من اهل الكتاب احد الا ليؤمنن به فقوله ليؤمنن به جملة قسمية وقعت صفة لاحد يعود اليه الضمير الثاني والاول لعيسى صلوات الله عليه والمعنى ما من اليهود والنصارى احد الا ليؤمنن ان عيسى عبد الله ورسوله قبل ان يموت ولو حين تزهق روحه ولا ينفعه ايمانه ويؤيد ذلك ان قرئ الا ليؤمنن به قبل موتهم بضم النون لان احدا في معنى الجمع وهذا كالوعيد لهم والتحريض على معاجلة الايمان به قبل ان يضطروا اليه ولم ينفعهم ايمانهم وقيل الضميران لعيسى والمعنى انه اذا نزل من السماء امن به اهل الملل جميعا روي انه ينزل من السماء حين يخرج الدجال فيهلكه ولا يبقى احد من اهل الكتاب الا يؤمن به حتى تكون الملة واحدة وهي ملة الاسلام وتقع الامنة حتى ترتع الاسود مع الابل والنمور مع البقر والذئاب مع الغنم ويلعب الصبيان مع الحيات ويلبث في الارض اربعين سنة ثم يتوفى ويصلي عليه المسلمون ويدفنونه ويوم القيمة يكون عليهم شهيدا فيشهد على اليهود بالتكذيب وعلى النصارى بانهم دعوه ابن الله فبظلم من الذين هادوا اي فباي ظلم منهم حرمنا عليهم طيبات احلت لهم يعني ما ذكره في قوله وعلى الذين هادوا حرمنا وبصدهم عن سبيل الله كثيرا ناسا كثيرا او صدا كثيرا واخذهم الربوا وقد نهوا عنه كان الربا محرما عليهم كما هو محرم علينا وفيه دليل على دلالة النهي على التحريم واكلهم اموال الناس بالباطل بالرشوة وسائر الوجوه المحرمة واعتدنا للكافرين منهم عذابا اليما دون من تاب وامن لكن الراسخون في العلم منهم كعبد الله بن سلام واصحابه والمؤمنون اي منهم او من المهاجرين والانصار يؤمنون بما انزل اليك وما انزل من قبلك خبر المبتدا والمقيمين الصلوة نصب على المدح ان جعل يؤمنون الخبر لاولئك او عطف على ما انزل اليك والمراد بهم الانبياء اي يؤمنون بالكتب والانبياء

لكن في كثرة البحث وتوجيه الوظائف الآدابية مدخل عظيم في انكشاف المعاني والمآل في امثال هذه المحال الصعبة المنال فهذا جرى قلم البيان في تعيين الوظيفة الادابية وتصويرها حتى ينكشف كل الانكشاف فيعلم ان قوله رحمه الله لا بما دل عليه قوله بل طبع الله اشارة الى ابطال قول ابي البقاء في تعلق حرف الباء وقوله لانه رد لقولهم قلوبنا غلف دليل ذلك الابطال وتصويره فكان ابا البقاء ادعى ان الباء في قوله تعالى فبما نقضهم متعلق بما يستفاد من قوله تعالى بل طبع الله اي طبع المقدر وقوله تعالى بل طبع الله ناظر والكلام من قوله فبما نقضهم فالمصنف ابطل هذا المدعى باقامة الدليل بخصوص الفساد وهو كونه فاصلا شبيها بما قال في الرشيدية الاداب لو ابطل الدليل المدعى الغير المدلل فاختلف في جوازه فمنعوا بجوازه فنقول انه تلك اثر يريد المنع مع السند فلا يكون غصبا فالمصنف رحمه الله كما قلنا ابطل هذا المدعى ادعاء ابي البقاء بخصوص الفساد وهو عدم كون قوله تعالى بل طبع الله صلة لقولهم قلوبنا غلف وكونه [redacted] متعلقا واضرابا من اول الكلام لانه يستلزم لمذهب الجبرية لان غرض الكفرة من قولهم قلوبنا [redacted] في اكنة ان قلوبهم هكذا خلقت فهم مجبورون فلا جرم منهم وانما اذا كان قوله بل طبع الله قلوبهم اضرابا من قوله [redacted] وقولهم قلوبنا غلف ومتعلقا به معناه انه ليس الامر كذلك بل طبع قلوبهم عليها يجب فعلهم الذي هو الكفر فقول المصنف رحمه الله لا بما دل عليه قوله بل طبع الله ابطال المدعى ابي البقاء وترتيبه هكذا لا يجوز تعلق الباء الى طبع المدلول من قوله تعالى بل طبع الله اذ لو كان متعلق به لزم ان لا يكون قوله تعالى بل طبع الله صلة لقولهم والمعطوف عليه والجار وذلك فاسد ينتج لا يجوز تعلق الباء الى طبع المدلول من قوله بل طبع الله هذا الترتيب هو مما افاده عبارة المصنف لكن في ترتيب ذلك القياس الاستثنائي [redacted] ولم يذكره المصنف يحتاج الى مقدمة اخرى [redacted] لظهوره وانه رحمه الله رحمة واسعة من لفرط ذكائه ولطافة طبعه افاد المقصود بنهاية الايجاز في صورة ابطال جانب الخلاف فسبحان من اظهر معجزات كلامه بالتجلي لبعض عباده في نظم ابهى درر جيبان البيان ونشر ازهر زبرجد الاذهان كما ان هذا التفسير والبيان من المصنف عليه الرحمة والغفران في هذه الاية الكريمة وان من البيان لسحرا ومن آثار المطالعة تم التحرير لمحرره الفقير المعترف بالعجز والتقصير مكي الحصري عفا الله عنه

وهذا ترتيب قياس المذكور بالتفصيل على ما افاده عبارة المصنف بتمامه

[redacted]

مدعى لا يجوز تعلق الباء بما دل عليه قوله بل طبع الله عليها لان قوله بل طبع الله عليها رد لقولهم قلوبنا غلف وكلما كان ردا لقولهم قلوبنا غلف يكون صلة وقولهم المعطوف على المجرور ينتج قوله بل طبع الله عليها يكون من صلة وقولهم المعطوف على المجرور وكلما كان من صلة وقولهم المعطوف على المجرور لا يتعلق بجاره اي الباء ينتج بل طبع الله عليها لا يتعلق بجاره اي الباء كلما لم يكن بل طبع الله عليها متعلقا بجاره اي الباء لم يجز ان يتعلق الباء بما دل عليه قوله بل طبع الله لكن المقدم حق فالتالي مثله ينتج اي لا يجوز ان يتعلق الباء بما دل عليه قوله بل طبع الله

ونُصب على المدح ان جعل عطفا على الراسخون او الضمير في يؤمنون او على انه مبتدأ والخبر اولئك سنؤتيهم
والمؤتون الزكوة رفعه لاحد الاوجه المذكورة والمؤمنون بالله واليوم الآخر
قدّم عليه الايمان بالانبياء والكتب وما يصدقه من اتباع الشرائع لانه المقصود
بالآية اولئك سنؤتيهم اجرا عظيما على جمعهم بين الايمان الصحيح والعمل الصالح انا
اوحينا اليك كما اوحينا الى نوح والنبيين من بعده جواب لاهل الكتاب
عن اقتراحهم ان ينزل عليهم كتابا من السماء واحتجاج عليهم بان امره في الوحي كسائر
الانبياء واوحينا الى ابرهيم واسمعيل واسحق ويعقوب والاسباط وعيسى
وايوب ويونس وهرون وسليمان وآتينا داود زبورا خصهم بالذكر مع اشتمال
النبيين عليهم تعظيما لهم فان ابرهيم اول اولي العزم منهم وعيسى آخرهم والباقين اشراف
الانبياء ومشاهيرهم وقرأ حمزة زُبورا بالضم وهو جمع زبر بمعنى مزبور ورسلا
نصب بمضمر دل عليه اوحينا اليك كارسلنا او قصصنا قد قصصناهم عليك من قبل
اي من قبل هذه السورة او اليوم ورسلا لم نقصصهم عليك وكلم الله موسى تكليما
وهو منتهى مراتب الوحي خص به موسى من بينهم وقد فضل الله محمدا صلوات الله عليه
بان اعطاه مثل ما اعطى كل واحد منهم رسلا مبشرين ومنذرين نصب على المدح
او باضمار ارسلنا او الحال ويكون رسلا موطئا لما بعده كقولك مررت بزيد رجلا
صالحا لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل فيقولوا لولا ارسلت الينا رسولا
فيبينها ويعلمنا ما لم نكن نعلم وفيه تنبيه على ان بعثة الانبياء الى الناس ضرورة
لقصور الكل عن ادراك جزئيات المصالح والاكثر عن ادراك كلياتها واللام متعلقة
بارسلنا او بقوله مبشرين ومنذرين وحجة اسم كان وخبره للناس او على الله والآخر
حال ولا يجوز تعلقه بحجة لانه مصدر وبعد ظرفها او صفة وكان الله عزيزا
لا يغلب فيما يريده حكيما فيما دبر من امر النبوة وخص كل نبي بنوع من الوحي والاعجاز
لكن الله يشهد استدراك عن مفهوم ما قبله وكانه لما تعنتوا عليه بسؤال كتاب ينزله
عليهم من السماء واحتج عليهم بقوله انا اوحينا اليك قال انهم لا يشهدون ولكن الله يشهد
او انهم انكروه ولكن الله يثبته ويقرره بما انزل اليك من القرآن المعجز الدال على نبوتك
روي انه لما نزل انا اوحينا اليك قالوا ما نشهد لك فنزلت انزله بعلمه انزله ملتبسا
بعلمه الخاص وهو العلم بتاليفه على نظم يعجز عنه كل بليغ او بحال من يستعد النبوة
ويستاهل نزول الكتاب عليه او بعلمه الذي يحتاج اليه الناس في معاشهم ومعادهم
والجار والمجرور على الاول حال من الفاعل وعلى الثاني حال من المفعول والجملة
كالتفسير لما قبلها والملائكة يشهدون ايضا بنبوتك وفيه تنبيه على انهم يودون ان
يعلموا صحة دعوى النبوة على وجه يستغني عن النظر والتامل وهذا النوع من خواص
الملك ولا سبيل للانسان الى العلم بامثال ذلك سوى الفكر والنظر فلو اتى هؤلاء بالنظر

الصحيح لعرفوا نبوتك وشهدوا بها كما عرفته الملائكة وشهدوا عليها وكفى بالله شهيدا
اي وكفى بما اقام من الحجج على صحة نبوتك عن الاستشهاد بغيره ان الذين كفروا
وصدوا عن سبيل الله قد ضلوا ضلالا بعيدا لانهم جمعوا بين الضلال والاضلال
ولان المضل يكون اغرق في الضلال وابعد من الانقلاع عنه ان الذين كفروا وظلموا
محمدا بانكار نبوته او الناس بصدهم عما فيه صلاحهم وخلاصهم او باعم من ذلك وعليه
يدل على ان الكفار مخاطبون بالفروع اذ المراد بهم الجامعون بين الكفر والظلم لم يكن الله
ليغفر لهم ولا ليهديهم طريقا الا طريق جهنم خالدين فيها ابدا لجري حكمه السابق ووعده
المحتوم على ان من مات على كفره فهو خالد في النار وخالدين حال مقدرة وكان ذلك
على الله يسيرا لا يصعب عليه ولا يستعظمه يا ايها الناس قد جاءكم الرسول بالحق من
ربكم لما قرر امر النبوة وبين الطريق الموصل الى العلم بها ووعيد من انكرها خاطب
الناس عامة بالدعوة والزام الحجة والوعد بالاجابة والوعيد على الرد فآمنوا خيرا لكم
اي ايمانا خيرا لكم او ائتوا امرا خيرا لكم مما انتم عليه وقيل تقديره يكن الايمان خيرا لكم ومنعه
البصريون لان كان لا يحذف مع اسمها الا فيما لا بد منه ولانه يؤدي الى حذف الشرط وجوابه
وان تكفروا فان لله ما في السموات والارض يعني وان تكفروا فهو غني عنكم لا يتضرر
بكفركم كما لا ينتفع بايمانكم ونبه على غناه بقوله لله ما في السموات والارض وهو يعم ما
اشتملتا عليه وما تركبتا منه وكان الله عليما باحوالهم حكيما فيما دبر لهم يا اهل الكتاب
لا تغلوا في دينكم الخطاب للفريقين غلت اليهود في حط عيسى حتى رموه بانه ولد لغير
رشدة والنصارى في رفعه حتى اتخذوه الها وقيل للنصارى خاصة فانه اوفق لقوله ولا
تقولوا على الله الا الحق يعني تنزيهه عن الصاحبة والولد انما المسيح عيسى ابن مريم
رسول الله وكلمته القاها الى مريم اوصلها اليها وحصلها فيها وروح منه وذو روح صدر منه
لا بتوسط ما يجري مجرى الاصل والمادة له وقيل سمي روحا لانه كان يحيي الاموات والقلوب
فآمنوا بالله ورسله ولا تقولوا ثلثة اي الآلهة ثلثة الله والمسيح ومريم ويشهد عليه قوله
تعالى أأنت قلت للناس اتخذوني وامي الهين من دون الله او الله ثلثة ان صح انهم يقولون
الله ثلثة اقانيم الاب والابن وروح القدس ويريدون بالاب الذات وبالابن العلم
وبروح القدس الحيوة انتهوا عن التثليث خيرا لكم نصبه لما سبق انما الله اله واحد
اي واحد بالذات لا تعدد فيه بوجه ما سبحانه ان يكون له ولد اسبحه تسبيحا من ان يكون
له ولد فانه يكون لمن يتصور له مثل ويتطرق اليه فناء له ما في السموات وما في الارض ملكا
وخلقا لا يماثله شيء من ذلك فيتخذه ولدا وكفى بالله وكيلا تنبيه على غناه عن الولد فان الحاجة
اليه ليكون وكيلا لابيه والله تعالى قائم بحفظ الاشياء كاف في ذلك مستغن عمن يخلفه
ويعينه لن يستنكف المسيح لن يانف من نكف الدمع اذا نحيته باصبعك كيلا يرى اثره
عليك ان يكون عبدا لله من ان يكون عبدا له فان عبوديته شرف يتباهى به وانما المذلة

والاستنكاف في عبوديته غيره روي ان وفد نجران قالوا لرسول الله لم تعيب صاحبنا قال ومن صاحبكم قالوا عيسى قال واي شيء اقول قالوا تقول انه عبد الله قال انه ليس بعار ان يكون عبد الله قالوا بلى فنزلت ولا الملائكة المقربون عطف على المسيح اي ولا يستنكف الملائكة المقربون ان يكونوا عبيدا واحتج به من زعم فضل الملائكة على الانبياء وقال مساقه لرد النصارى في رفع المسيح عن مقام العبودية وذلك يقتضي ان يكون المعطوف عليه اعلى درجة من المعطوف حتى يكون عدم استنكافهم كالدليل على عدم استنكافه وجوابه ان الاية للرد على عبدة المسيح والملائكة فلا يتجه ذلك وان سلم اختصاصها بالنصارى فلعله اراد بالعطف المبالغة باعتبار التكثير دون التكبير كقولك اصبح الامير لا يخالفه رئيس ولا مرؤوس وان اراد به التكبير فغايته تفضيل المقربين من الملائكة وهم الكروبيون الذين هم حول العرش او من اعلى منهم رتبة من الملائكة على المسيح من الانبياء وذلك لا يستلزم فضل احد الجنسين على الاخر مطلقا والنزاع فيه ومن يستنكف عن عبادته ويستكبر يترفع عنها والاستكبار دون الاستنكاف ولذلك عطف عليه وانما يستعمل حيث لا استحقاق بخلاف التكبر فانه قد يكون باستحقاق فسيحشرهم اليه جميعا فيجازيهم فاما الذين امنوا وعملوا الصالحات فيوفيهم اجورهم ويزيدهم من فضله واما الذين استنكفوا واستكبروا فيعذبهم عذابا اليما ولا يجدون لهم من دون الله وليا ولا نصيرا تفصيل للمجازاة العامة المدلول عليها من فحوى الكلام وكانه قال فسيحشرهم اليه جميعا يوم يحشر العباد للمجازاة او لمجازاتهم فانه اثابة مقابليهم والاحسان اليهم تعذيبهم بالغم والحسرة يا ايها الناس قد جاءكم برهان من ربكم وانزلنا اليكم نورا مبينا عنى بالبرهان المعجزات وبالنور القران اي جاءكم دلائل العقل وشواهد النقل ولم يبق لكم عذر ولا علة وقيل البرهان الدين او رسول الله او القران فاما الذين امنوا بالله واعتصموا به فسيدخلهم في رحمة منه ثواب قدره بازاء ايمانه وعمله رحمة منه لا قضاء لحق واجب وفضل احسان زائد عليه ويهديهم اليه اي الى الله وقيل الى الموعود صراطا مستقيما هو الاسلام والطاعة في الدنيا وطريق الجنة في الاخرة يستفتونك اي في الكلالة حذف لدلالة الجواب عليه روي ان جابر بن عبد الله كان مريضا فعاده رسول الله فقال اني كلالة فكيف اصنع في مالي فنزلت وهي اخر ما نزل في الاحكام قل الله يفتيكم في الكلالة سبق تفسيرها في اوائل السورة ان امرؤ هلك ليس له ولد وله اخت فلها نصف ما ترك اي ان هلك امرؤ ان هلك امرؤ غير ذي ولد ارتفع امرؤ بفعل يفسره الظاهر وليس له ولد صفة له او حال عن المستكن في هلك والواو في وله يحتمل الحال والعطف والمراد بالاخت الاخت من الابوين او الاب لانه جعل اخوها عصبة وابن الام لا يكون عصبة والولد على ظاهره فان الاخت وان ورثت مع البنت عند عامة العلماء غير ابن عباس لكنها لا ترث النصف وهو يرثها اي والمرء يرث اختها ان كان الامر بالعكس ان لم يكن لها ولد ذكرا كان او انثى ان اريد

يرثها جميع مالها والا فالمراد به الذكر اذ البنت لا تحجب الاخ والاية كما لم تدل على سقوط
الاخوة بغير الولد لم تدل على عدم سقوطهم به وقد دلت السنة على انهم لا يرثون مع الاب
وكذا مفهوم قوله الله يفتيكم في الكلالة ان امرؤ هلك ليس له ولد فان كانتا اثنتين فلهما الثلثان
مما ترك الضمير لمن يرث بالاخوة وتثنيته محمولة على المعنى وفائدة الاخبار عنه باثنتين
التنبيه على ان الحكم باعتبار العدد دون الصغر والكبر وغيرهما وان كانوا اخوة
رجالا ونساء فللذكر مثل حظ الانثيين اصله وان كانوا اخوة واخوات فغلب
الذكر يبين الله لكم ان تضلوا اي يبين الله لكم ضلالكم الذي من شانكم
اذا خليتم وطباعكم لتحترزوا عنه وتتحروا خلافه او يبين لكم الحق والصواب
كراهة ان تضلوا او لئلا تضلوا فحذف لا وهو قول الكوفيين والله بكل شيء عليم
فهو عالم بمصالح العباد في المحيا والممات عن النبي صلعم من قرا سورة النساء فكانما
تصدق على كل مومن ومومنة ورث ميراثا واعطي من الاجر كمن اشترى محررا
وبرئ من الشرك وكان في مشية الله من الذين يتجاوز عنهم سورة المايدة
مدنية وهي مائة وثلث وعشرون اية بسم الله الرحمن الرحيم يا ايها
الذين امنوا اوفوا بالعقود الوفاء هو القيام بمقتضى العهد وكذلك الايفاء
والعقد العهد الموثق قال الحطيئة قوم اذا عقدوا عقدا لجارهم شدوا العناج
وشدوا فوقه الكربا واصله الجمع بين الشيئين بحيث يعسر الانفصال ولعل المراد بالعقود
ما يعم العقود التي عقدها الله تعالى على عباده والزمها اياهم من التكاليف وما يعقدون
بينهم من عقود الامانات والمعاملات ونحوهما مما يجب الوفاء به او يحسن ان حملنا الامر
على المشترك بين الوجوب والندب احلت لكم بهيمة الانعام تفصيل للعقود والبهيمة
كل حي لا يميز وقيل كل ذات اربع واضافتها الى الانعام للبيان كقولك ثوب خز ومعناه
البهيمة من الانعام وهي الازواج الثمانية والحق بها الظباء وبقر الوحش وقيل هما
المراد بالبهيمة ونحوهما مما يماثل الانعام في الاجترار وعدم الانياب واضافتها الى الانعام لملابسة
الشبه الا ما يتلى عليكم الا محرم ما يتلى عليكم كقوله حرمت عليكم الميتة او الا ما
يتلى عليكم اية تحريمه غير محلي الصيد حال من الضمير في لكم وقيل من واو اوفوا
وقيل استثناء وفيه تعسف والصيد يحتمل المصدر والمفعول وانتم حرم حال
مما استكن في محلي والحرم جمع حرام وهو المحرم ان الله يحكم ما يريد من تحليل وتحريم
يا ايها الذين امنوا لا تحلوا شعائر الله يعني مناسك الحج جمع شعيرة وهي اسم ما اشعر
اي جعل شعارا سمي به اعمال الحج ومواقفه لانها علامات الحاج واعلام النسك وقيل
دين الله لقوله ومن يعظم شعائر الله اي دينه وقيل فرائضه التي حدها لعباده ولا
الشهر الحرام بالقتال فيه او بالنسيء ولا الهدي ما اهدي الى الكعبة جمع هدية كجدي
في جمع جدية السرج ولا القلائد اي ذوات القلائد من الهدي وعطفها على الهدي للاختصاص

فانها اشرف الهدي او القلائد انفسها والنهي عن احلالها مبالغة في النهي عن التعرض للهدي ونظيره
قوله ولا يبدين زينتهن والقلائد جمع قلادة وهي ما قلد به الهدي من نعل او لحاء شجر او
غيرهما ليعلم فلا يتعرض له ولا آمين البيت الحرام قاصدين لزيارته يبتغون فضلا من ربهم
ورضوانا ان يثيبهم ويرضى عنهم والجملة في موضع الحال من المستكن في آمين وليست صفة
له لانه عامل والمختار ان اسم الفاعل الموصوف لا يعمل وفائدته استنكار تعرض من هذا
شانه والتنبيه على المانع له وقيل معناه يبتغون من الله رزقا بالتجارة ورضوانا
بزعمهم اذ روي ان الآية نزلت عام القضية في حجاج اليمامة لما هم المسلمون ان يتعرضوا
لهم بسبب انه كان فيهم الحطم شريح بن ضبيعة وكان قد استاق سرح المدينة وعلى هذا
فالآية منسوخة وقرئ تبتغون على خطاب المؤمنين واذا حللتم فاصطادوا اذن
في الاصطياد بعد زوال الاحرام ولا يلزم من ارادة الاباحة ههنا من الامر دلالة الامر الآتي
بعد الحظر على الاباحة مطلقا وقرئ بكسر الفاء على القاء حركة همزة الوصل عليها وهو
ضعيف جدا وقرئ احللتم يقال حل المحرم واحل ولا يجرمنكم لا يحملنكم او لا يكسبنكم شنآن قوم
شدة بغضهم وعداوتهم وهو مصدر اضيف الى المفعول او الفاعل وقرأ ابن عامر واسمعيل
عن نافع وابن عياش عن عاصم بسكون النون وهو ايضا مصدر كليان او نعت بمعنى
بغيض قوم وفعلان في النعت اكثر ان صدوكم عن المسجد الحرام لان صدوكم
عن المسجد الحرام عام الحديبية وقرأ ابن كثير وابو عمرو بكسر الهمزة على انه شرط معترض اغنى
عن جوابه لا يجرمنكم ان تعتدوا بالانتقام ثاني مفعولي يجرمنكم فانه يتعدى الى واحد
والى اثنين ككسب ومن قرأ يجرمنكم بضم الياء جعله منقولا من المتعدي الى مفعول بالهمزة
الى مفعولين وتعاونوا على البر والتقوى على العفو والاغضاء ومتابعة الامر و
مجانبة الهوى ولا تعاونوا على الاثم والعدوان للتشفي والانتقام واتقوا الله
ان الله شديد العقاب فانتقامه اشد حرمت عليكم الميتة بيان ما يتلى عليكم
والميتة ما فارقه الروح من غير تذكية والدم اي المسفوح لقوله او دما مسفوحا وكان
اهل الجاهلية يصبونه في الامعاء ويشوونها ولحم الخنزير وما اهل لغير الله به اي وما
رفع الصوت لغير الله به كقولهم باسم اللات والعزى عند ذبحه والمنخنقة التي ماتت
بالخنق والموقوذة المضروبة بنحو خشب او حجر حتى تموت من وقذته اذا ضربته و
المتردية التي تردت من علو او في بئر فماتت والنطيحة التي نطحتها اخرى فماتت
والتاء فيها للنقل وما اكل السبع اي وما اكل منه السبع فمات وهو يدل على ان جوارح
الصيد اذا اكلت مما اصادته لم يحل الا ما ذكيتم الا ما ادركتم ذكاته وفيه حياة مستقرة
من ذلك وقيل الاستثناء مخصوص بما اكل السبع والذكاة في الشرع لقطع الحلقوم
والمري بمحدد وما ذبح على النصب النصب واحد الانصاب وهي احجار منصوبة
حول البيت يذبحون عليها ويعدون ذلك قربة وقيل هي الاصنام وعلى بمعنى اللام

او على اصلها بتقدير وما ذبح مسمى على الاصنام وقيل هو جمع والواحد نصاب وان تستقسموا
بالازلام اي وحرم عليكم الاستقسام بالاقداح وذلك انهم اذا قصدوا فعلا ضربوا ثلاثة
اقداح مكتوب على احدها امرني ربي وعلى الآخر نهاني ربي والثالث غفل فان خرج
الامر مضوا على ذلك وان خرج الناهي تجنبوا عنه وان خرج الغفل اجالوها
ثانيا فمعنى الاستقسام طلب معرفة ما قسم لهم دون ما لم يقسم بالازلام وقيل هو استقسام
الجزور بالاقداح على الانصباء المعلومة وواحد الازلام زلم كجمل وزلم كصرد ذلكم
فسق اشارة الى الاستقسام وكونه فسقا لانه دخول في علم الغيب وضلال باعتقاد
ان ذلك طريق اليه وافتراء على الله ان اريد بربي الله وجهالة وشرك ان اريد به الصنم
او الميسر المحرم اي الى تناول ما حرم عليهم اليوم لم يرد به يوما بعينه وانما اراد
الحاضر وما يتصل به من الازمنة الآتية وقيل اراد يوم نزولها وقد نزلت بعد عصر
يوم الجمعة عرفة حجة الوداع يئس الذين كفروا من دينكم اي من ابطاله ورجوعكم
عنه بتحليل هذه الخبائث وغيرها او من ان يغلبوكم عليه فلا تخشوهم ان يظهروا
عليكم واخشون واخلصوا الخشية لي اليوم اكملت لكم دينكم بالنصر والاظهار على
الاديان كلها او بالتنصيص على قواعد العقائد والتوقيف على اصول الشرائع وقوانين
الاجتهاد واتممت عليكم نعمتي بالهداية والتوفيق او باكمال الدين او بفتح مكة وهدم
منار الجاهلية ورضيت لكم الاسلام اخترته لكم دينا من بين الاديان وهو
الدين عند الله لا غير فمن اضطر متصل بذكر المحرمات وما بينهما اعتراض بما يوجب التجنب
عنها وهو ان تناولها فسوق وحرمتها من جملة الدين الكامل والنعمة التامة والاسلام
المرضي والمعنى فمن اضطر الى تناول شيء من هذه المحرمات في مخمصة مجاعة غير متجانف
لاثم غير مائل له ومنحرف اليه بان ياكلها تلذذا او مجاوزا حد الرخصة كقوله غير باغ
ولا عاد فان الله غفور رحيم لا يؤاخذه باكله يسئلونك ماذا احل لهم لما تضمن السؤال
معنى القول اوقع على الجملة وقد سبق الكلام في ماذا وانما قال لهم ولم يقل لنا على الحكاية لان
يسئلونك بلفظ الغيبة وكلا الوجهين سائغ في امثاله والمسئول ما احل لهم من المطاعم كانهم
لما تلي عليهم ما حرم عليهم سألوا عما احل لهم قل احل لكم الطيبات ما لم تستخبثه
الطباع السليمة ولم تنفر عنه ومن مفهومه حرم مستخبثات العرب او ما لم يدل نص
ولا قياس على حرمته وما علمتم من الجوارح عطف على الطيبات ان جعل ما موصولة
على تقدير وصيد ما علمتم وجملة شرطية ان جعلت شرطا وجوابها فكلوا والجوارح كواسب
الصيد على اهلها من سباع ذوات الاربع والطير مكلبين معلمين اياه الصيد والمكلب
مؤدب الجوارح ومضريها بالصيد مشتق من الكلب لان التاديب يكون اكثر فيه وآثر
او لان كل سبع يسمى كلبا لقوله عليه السلام اللهم سلط عليه كلبا من كلابك وانتصابه
على الحال من علمتم وفائدتها المبالغة في التعليم تعلمونهن حال ثانية او استئناف

مما علمكم الله من الحيل وطرق التاديب فان العلم بها الهام من الله او مكتسب بالعقل
الذى هو منحة منه او مما علمكم ان تعلموه من اتباع الصيد بارسال صاحبه وانزجاره بزجره
وانصرافه بدعائه وامساك عليه الصيد ولا ياكل منه فكلوا مما امسكن عليكم وهو
ما لم ياكل منه لقوله عليه السلام لعدى بن حاتم وان اكل منه فلا تاكل انما امسك
على نفسه واليه ذهب اكثر الفقهاء وقال بعضهم لا يشترط ذلك فى سباع الطير لان تاديبها
الى هذا الحد متعذر وقال اخرون لا يشترط مطلقا واذكروا اسم الله عليه
الضمير لما علمتم والمعنى سموا عليه عند ارساله او لما امسكن بمعنى سموا عليه اذا ادركتم
ذكاته واتقوا الله فى محرماته ان الله سريع الحساب فيواخذكم بما جل ودق اليوم
احل لكم الطيبات وطعام الذين اوتوا الكتاب حل لكم يتناول الذبائح
وغيرها ويعم الذين اوتوا الكتاب اليهود والنصارى واستثنى على رضى الله عنه نصارى بنى تغلب
وقال ليسوا على النصرانية ولم ياخذوا منها الا شرب الخمر ولا يلحق بهم المجوس فى ذلك
وان الحقوا بهم فى التقرير على الجزية لقوله عليه السلام سنوا بهم سنة اهل الكتاب غير ناكحى
نسائهم ولا اكلى ذبائحهم وطعامكم حل لهم فلا عليكم ان تطعموهم وتبيعوه منهم ولو حرم
عليهم لم يجز ذلك والمحصنات من المؤمنات الحرائر او العفائف وتخصيصهن بعث
على ما هو الاولى والمحصنات من الذين اوتوا الكتاب من قبلكم وان كن حربيات
وقال ابن عباس لا تحل الحربيات اذا اتيتموهن اجورهن مهورهن وتقييد
الحل بايتائها لتاكيد وجوبها والحث على ما هو الاولى وقيل المراد بايتائها التزامها محصنين
اعفاء بالنكاح غير مسافحين مجاهرين بالزنا ولا متخذى اخدان مسرين به والخدن
الصديق يقع على الذكر والانثى ومن يكفر بالايمان فقد حبط عمله وهو فى
الاخرة من الخاسرين يريد بالايمان شرائع الاسلام وبالكفر به انكاره والامتناع
عنه يا ايها الذين امنوا اذا قمتم الى الصلوة اى اذا اردتم القيام كقوله فاذا
قرات القران فاستعذ بالله عبر عن ارادة الفعل بالفعل المسبب عنها للايجاز والتنبيه
على ان من اراد العبادة ينبغى ان يبادر اليها بحيث لا ينفك الفعل عن الارادة او اذا
قصدتم الصلوة لان التوجه الى الشىء والقيام اليه قصد له وظاهر الاية يوجب الوضوء
على كل قائم الى الصلوة وان لم يكن محدثا والاجماع على خلافه لما روى انه عليه السلام
صلى الخمس بوضوء واحد يوم الفتح فقال عمر صنعت شيئا لم تكن تصنعه فقال عمدا فعلته
وقيل مطلق اريد به التقييد والمعنى اذا قمتم الى الصلوة محدثين وقيل الامر فيه
للندب وقيل كان ذلك اول الامر ثم نسخ وهو ضعيف لقوله عليه السلام المائدة
من اخر القران نزولا فاحلوا حلالها وحرموا حرامها فاغسلوا وجوهكم
امروا الماء عليها ولا حاجة الى الدلك خلافا لمالك وايديكم الى المرافق الجمهور
على دخولهما فى المغسول ولذلك قيل الى بمعنى مع كقوله ويزدكم قوة الى قوتكم

او متعلقة بمحذوف تقديره وايديكم مضافة الى المرافق ولو كان كذلك لم يبق معنى التحديد ولا لذكره مزيد فائدة لان مطلق اليد يشتمل عليها وقيل الى تفيد الغاية مطلقا واما دخولها في الحكم او خروجها منه فلا دلالة لها عليه وانما يعلم من خارج ولم يكن في الاية وكان الايدي متناولة لها فحكم بدخولها احتياطا وقيل الى من حيث انها تفيد الغاية تقتضي خروجها والا لم تكن غاية كقوله فنظرة الى ميسرة وقوله ثم اتموا الصيام الى الليل لكن لما لم تتميز الغاية ههنا عن ذي الغاية وجب ادخالها احتياطا **وامسحوا برؤسكم** الباء مزيدة وقيل للتبعيض فانه الفارق بين قولك مسحت المنديل وبالمنديل ووجهه ان يقال انها تدل على تضمين الفعل معنى الالصاق فكانه قيل والصقوا المسح برؤسكم وذلك لا يقتضي الاستيعاب بخلاف ما لو قيل وامسحوا رؤسكم فانه كقوله واغسلوا وجوهكم واختلف العلماء في قدر الواجب فاوجب الشافعي اقل ما يقع عليه الاسم اخذا باليقين وابو حنيفة مسح ربع الراس لانه عليه السلام مسح ناصيته وهو قريب من الربع ومالك مسح كله اخذا بالاحتياط **وارجلكم الى الكعبين** نصبه نافع وابن عامر وحفص ويعقوب عطفا على وجوهكم ويؤيده السنة الشائعة وعمل الصحابة وقول اكثر الائمة والتحديد اذ المسح لم يحد وجره الباقون على الجوار ونظيره كثير في القران والشعر كقوله تعالى عذاب يوم محيط وحور عين في قراءة حمزة والكسائي وقولهم جحر ضب خرب وللنحاة باب في ذلك وفائدته التنبيه على انه ينبغي ان يقتصد في صب الماء عليها ويغسل غسلا يقرب من المسح وفي الفصل بينه وبين اخواته ايماء على وجوب الترتيب وقرئ بالرفع على وارجلكم مغسولة **وان كنتم جنبا فاطهروا** فاغتسلوا **وان كنتم مرضى او على سفر او جاء احد منكم من الغائط او لامستم النساء فلم تجدوا ماء فتيمموا صعيدا طيبا فامسحوا بوجوهكم وايديكم منه** سبق تفسيره ولعل تكريره ليتصل الكلام في بيان انواع الطهارة اي ما يريد الامر بالطهارة للصلوة او الامر بالتيمم تضييقا عليكم **ولكن يريد ليطهركم** لينظفكم او ليطهركم عن الذنوب فان الوضوء تكفير للذنوب او ليطهركم بالتراب اذا اعوزكم التطهر بالماء فمفعول يريد في الموضعين محذوف واللام للعلة وقيل مزيدة والمعنى ما يريد الله ان يجعل عليكم من حرج حتى لا يرخص لكم في التيمم ولكن يريد ان يطهركم وهو ضعيف لان ان لا تقدر بعد المزيدة **وليتم نعمته عليكم** ليتم بشرعه ما هو مطهرة لابدانكم ومكفرة لذنوبكم نعمته عليكم في الدين او ليتم برخصه انعامه عليكم بعزائمه **لعلكم تشكرون** نعمته والاية مشتملة على سبعة امور كلها مثنى طهارتان اصل وبدل والاصل اثنان مستوعب وغير مستوعب وغير المستوعب باعتبار الفعل غسل ومسح وباعتبار المحل محدود وغير محدود

ودان اثارها مايع وجامد في موجباتها حدثا اصغر واكبر وان المسح للحدود الى
البدل من ص اوستروان الموعود عليها تطهير الذنوب واتمام النعمة واذكروا
نعمة الله عليكم بالاسلام ليذكركم المنعم ويرغبكم في شكره وميثاقه الذي
واثقكم به اذ قلتم سمعنا واطعنا يعني الميثاق الذي اخذه على المسلمين
بايعهم رسول الله على السمع والطاعة في العسر واليسر والمنشط والمكره او ميثاق
ليلة العقبة او بيعة الرضوان واتقوا الله في انساء نعمه ونقض ميثاقه ان الله عليم
بذات الصدور اي بخفياتها فيجازيكم عليها فضلا عن جليات اعمالكم يا ايها
الذين امنوا كونوا قوامين لله شهداء بالقسط ولا يجرمنكم شنان قوم
على ان لا تعدلوا عداه بعلى لتضمنه معنى الحمل والمعنى لا يحملنكم شدة بغضكم للمشركين
على ترك العدل فيهم فتعتدوا عليهم بارتكاب ما لا يحل كمثلة وقذف وقتل نساء و
صبية ونقض عهد تشفيا مما في قلوبكم اعدلوا هو اقرب للتقوى اي العدل اقرب الى
التقوى صرح لهم بالامر بالعدل وبين انه بمكان من التقوى بعد ما نهاهم عن الجور
وبين انه مقتضى الهوى واذا كان هذا العدل مع الكفار فما ظنك بالعدل مع المؤمنين
واتقوا الله ان الله خبير بما تعملون فيجازيكم به وتكرير هذا الحكم اما لاختلاف
السبب كما قيل ان الاولى نزلت في المشركين وهذه في اليهود او لمزيد الاهتمام بالعدل
او المبالغة في اطفاء نائرة الغيظ وعد الله الذين امنوا وعملوا الصالحات لهم
مغفرة واجر عظيم وانما حذف ثاني مفعولي وعد استغناء بقوله لهم مغفرة
فانه استئناف يبينه وقيل الجملة في موقع المفعول فان الوعد ضرب من القول وكانه
قال وعدهم هذا القول والذين كفروا وكذبوا باياتنا اولئك اصحاب الجحيم
هذا من عادته تعالى ان يتبع حال احد الفريقين حال الاخر وفاء بحق الدعوة وفيه مزيد
وعد للمؤمنين وتطييب لقلوبهم يا ايها الذين امنوا اذكروا نعمة الله عليكم
روي ان المشركين راوا رسول الله صلعم واصحابه بعسفان قاموا الى الظهر معا فلما صلوا ندموا
الا كانوا اكبوا عليهم وهموا ان يوقعوا بهم اذا قاموا الى العصر فرد الله كيدهم بان انزل
صلوة الخوف فالاية اشارة الى ذلك وقيل اشارة الى ما روي انه عليه السلام اتى
قريظة ومعه الخلفاء الاربعة يستقرضهم لدية مسلمين قتلهما عمرو بن امية الضمري يحسبهما
مشركين فقالوا نعم يا ابا القسم اجلس حتى نطعمك ونقرضك فاجلسوه وهموا بقتله
فعمد عمرو بن جحاش الى رحى عظيمة يطرحها عليه فامسك الله يده فنزل جبريل فاخبره
فخرج وقيل نزل رسول الله صلعم منزلا وعلق سلاحه بشجرة وتفرق الناس عنه فجاء
اعرابي فسل سيفه وقال من يمنعك مني فقال الله فاسقطه جبريل من يده واخذه
الرسول وقال من يمنعك مني فقال لا احد اشهد ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله
فنزلت اذ هم قوم ان يبسطوا اليكم ايديهم بالقتل والاهلاك يقال بسط الله

يده اذا بطش به وبسط اليه لسانه اذا شتمه فكف ايديهم عنكم منعها ان تمد اليكم
ورد مضرتها عنكم واتقوا الله وعلى الله فليتوكل المؤمنون فانه الكافي لايصال
الخير ودفع الشر ولقد اخذ الله ميثاق بني اسرائيل وبعثنا منهم اثني عشر نقيبا
شاهدا من كل سبط ينقب عن احوال قومه ويفتش عنها او كفيلا يكفل
عليهم بالوفاء بما امروا به روي ان بني اسرائيل لما فرغوا عن فرعون واستقروا
بمصر امرهم الله بالمسير الى اريحا ارض الشام وكان يسكنها الجبابرة الكنعانيون
وقال اني كتبتها لكم دارا وقرارا فاخرجوا اليها وجاهدوا من فيها فاني ناصركم
وامر موسى عليه السلام ان ياخذ من كل سبط كفيلا عليهم بالوفاء بما امروا به فاخذ عليهم
واختار منهم النقباء وسار بهم فلما دنا من ارض كنعان بعث النقباء يتجسسون الاخبار
ونهاهم ان يحدثوا قومهم فرجعوا وحدثوا قومهم الا كالب بن يوفنا من سبط يهودا ويوشع
بن نون من سبط افرايم بن يوسف وقال الله اني معكم بالنصرة لئن اقمتم الصلوة
واتيتم الزكوة وامنتم برسلي وعزرتموهم اي نصرتموهم وقويتموهم واصله الذب
ومنه التعزير واقرضتم الله قرضا حسنا بالانفاق في سبيل الخير وقرضا يحتمل المصدر والمفعول
لاكفرن عنكم سيئاتكم جواب للقسم المدلول عليه باللام في لئن ساد مسد
جواب الشرط ولادخلنكم جنات تجري من تحتها الانهار فمن كفر
بعد ذلك بعد ذلك الشرط المؤكد المعلق به الوعد العظيم منكم فقد ضل سواء
السبيل ضلالا لا شبهة فيه ولا عذر معه بخلاف من كفر قبل ذلك اذ قد يمكن ان يكون
له شبهة ويتوهم له معذرة فبما نقضهم ميثاقهم لعناهم طردناهم من رحمتنا او
مسخناهم او ضربنا عليهم الجزية وجعلنا قلوبهم قاسية لا تنفعل عن الايات والنذر
وقرا حمزة والكسائي قسية وهي اما مبالغة قاسية او بمعنى ردية من قولهم درهم
قسي اذا كان مغشوشا وهو ايضا من القسوة فان المغشوش فيه يبس وصلابة
وقرئ قسية باتباع القاف للسين يحرفون الكلم عن مواضعه استئناف لبيان
قسوة قلوبهم فانه لا قسوة اشد من تغيير كلام الله والافتراء عليه ويجوز ان يكون حالا
من مفعول لعناهم لا من القلوب اذ لا ضمير له فيه ونسوا حظا وتركوا نصيبا وافيا
مما ذكروا به من التورية او من اتباع محمد والمعنى انهم حرفوا التورية وتركوا حظهم
مما انزل عليهم فلم ينالوه وقيل معناه انهم حرفوها فزلت بشومه اشياء منها عن حفظهم
لما روي ان ابن مسعود قال قد ينسى المرء بعض العلم بالمعصية وتلا هذه الاية ولا
تزال تطلع على خائنة منهم [redacted] خيانة او فرقة
خائنة او خائن والهاء للمبالغة والمعنى ان الخيانة والغدر من عادتهم وعادة اسلافهم
لا تزال ترى ذلك منهم الا قليلا منهم لم يخونوا وهم الذين امنوا منهم وقيل الاستثناء من قوله
وجعلنا قلوبهم قاسية فاعف عنهم واصفح ان تابوا وعاهدوا والتزموا الجزية وقيل مطلق

نسخ بآية السيف إن الله يحب المحسنين تعليل للأمر بالصفح وحث عليه وتنبيه على أن العفو عن الكافر الخائن إحسان فضلا عن العفو عن غيره ومن الذين قالوا إنا نصارى أخذنا ميثاقهم أي وأخذنا من النصارى ميثاقهم كما أخذنا ممن قبلهم وقيل تقديره ومن الذين قالوا إنا نصارى قوم أخذنا وإنما قال قالوا إنا نصارى ليدل على أنهم سموا أنفسهم بذلك ادعاء لنصرة الله فنسوا حظا مما ذكروا به فأغرينا بينهم العداوة والبغضاء إلى يوم القيامة فألزمنا من غري بالشيء نسطورية ويعقوبية وملكائية أو بينهم وبين اليهود وسوف ينبئهم الله بما كانوا يصنعون بالجزاء والعقاب يا أهل الكتاب يعني اليهود والنصارى ووحد الكتاب لأنه للجنس قد جاءكم رسولنا يبين لكم كثيرا مما كنتم تخفون من الكتاب كنعت محمد وآية الرجم في التورية وبشارة عيسى بأحمد في الإنجيل ويعفو عن كثير مما تخفونه لا يخبر به إذا لم يضطر إليه أمر ديني أو عن كثير منكم فلا يؤاخذه بجرمه قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين يعني القرآن فإنه الكاشف لظلمات الشك والضلال والكتاب الواضح الإعجاز وقيل يريد بالنور محمدا عليه السلام يهدي به الله وحد الضمير لأن المراد بهما واحد أو لأنهما في الحكم واحد من اتبع رضوانه من اتبع رضاه بالإيمان منهم سبل السلام طرق السلامة من العذاب أو سبل الله ويخرجهم من الظلمات إلى النور من أنواع الكفر إلى الإسلام بإذنه بإرادته أو بتوفيقه ويهديهم إلى صراط مستقيم طريق هو أقرب الطرق إلى الله ومؤد إليه لا محالة لقد كفر الذين قالوا إن الله هو المسيح ابن مريم هم الذين قالوا بالاتحاد منهم وقيل لم يصرح به أحد منهم ولكن لما زعموا أن فيه لاهوتا وقالوا لا إله إلا واحد لزمهم أن يكون هو المسيح فنسب إليهم لازم قولهم توضيحا لجهلهم وتفضيحا لمعتقدهم قل فمن يملك من الله شيئا فمن يمنع من قدرته وإرادته شيئا إن أراد أن يهلك المسيح ابن مريم وأمه ومن في الأرض جميعا احتج بذلك على فساد قولهم وتقريره أن المسيح مقدور مقهور قابل للفناء كساير الممكنات ومن كان كذلك فهو بمعزل عن الألوهية ولله ملك السموات والأرض وما بينهما يخلق ما يشاء والله على كل شيء قدير إزاحة لما عرض لهم من الشبهة في أمره والمعنى أنه تعالى قادر على الإطلاق يخلق من غير أصل كما خلق السموات والأرض ومن أصل كخلق ما بينهما فينشئ من أصل ليس من جنسه كآدم وكثير من الحيوانات ومن أصل يجانسه إما من ذكر وحده كحواء أو من أنثى وحدها كعيسى أو منهما كساير الناس وقالت اليهود والنصارى نحن أبناء الله وأحباؤه أشياع ابنيه عزير والمسيح كما قيل لأشياع ابن الزبير الخبيبون أو مقربون عنده قرب الأولاد من والدهم وقد سبق لنحو ذلك مزيد بيان في سورة آل عمران قل فلم يعذبكم بذنوبكم

أي فإن صح ما زعمتم فلم يعذبكم بذنوبكم فإن من كان بهذا المنصب لا يفعل ما يوجب تعذيبه وقد عذبكم في الدنيا بالقتل والأسر والمسخ واعترفتم أنه سيعذبكم بالنار أياما معدودات بل أنتم بشر ممن خلق ممن خلقه الله يغفر لمن يشاء منكم وهم من آمن به وبرسله ويعذب من يشاء وهم من كفروا والمعنى أنه يعاملكم معاملة ساير الناس لا مزية لكم عليه ولله ملك السموات والأرض وما بينهما كلها سواء في كونه خلقا وملكا له وإليه المصير فيجازي المحسن بإحسانه والمسيء بإساءته يا أهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يبين لكم أي الدين والشرائع وحذف لظهوره أو ما كتمتم وحذف لتقدم ذكره ويجوز أن لا يقدر مفعول على معنى يبذل لكم البيان والجملة في موضع الحال أي جاءكم رسولنا مبينا لكم على فترة من الرسل متعلق بجاءكم أي جاءكم على حين فتور من الإرسال وانقطاع من الوحي أو بمبين حال من الضمير فيه أن تقولوا ما جاءنا من بشير ولا نذير كراهة أن تقولوا ذلك وتعتذروا به فقد جاءكم بشير ونذير متعلق بمحذوف أي لا تعتذروا فقد جاءكم والله على كل شيء قدير فيقدر على الإرسال تترى كما فعل بين موسى وعيسى عليهما السلام إذ كان بينهما ألف وسبعمائة سنة وألف نبي وعلى الإرسال على فترة كما فعل بين عيسى ومحمد عليهما السلام كان بينهما ستمائة أو خمسمائة وتسع وستون سنة وأربعة أنبياء ثلاثة من بني إسرائيل وواحد من العرب خالد بن سنان العبسي وفي الآية امتنان عليهم بأن بعث إليهم حين انطمست آثار الوحي وكانوا أحوج ما يكونون إليه وإذ قال موسى لقومه يا قوم اذكروا نعمة الله عليكم إذ جعل فيكم أنبياء فأرشدكم وشرفكم بهم ولم يبعث في أمة ما بعث في بني إسرائيل من الأنبياء وجعلكم ملوكا أي وجعل منكم أو فيكم وقد تكاثر فيهم الملوك تكاثر الأنبياء بعد فرعون حتى قتلوا يحيى وهموا بقتل عيسى وقيل لما كانوا مملوكين في أيدي القبط فأنقذهم الله وجعلهم مالكين لأنفسهم وأمورهم سماهم ملوكا وآتاكم ما لم يؤت أحدا من العالمين من فلق البحر وتظليل الغمام وإنزال المن والسلوى ونحوها مما آتاهم وقيل المراد بالعالمين عالمي زمانهم يا قوم ادخلوا الأرض المقدسة أرض بيت المقدس سميت بذلك لأنها كانت قرار الأنبياء ومسكن المؤمنين وقيل الطور وما حوله وقيل دمشق وفلسطين وبعض الأردن وقيل الشام التي كتب الله لكم قسمها لكم وكتب في اللوح أنها تكون مسكنا لكم ولكن إن آمنتم وأطعتم لقوله لهم بعد ما عصوا فإنها محرمة عليهم ولا ترتدوا على أدباركم ولا ترجعوا مدبرين خوفا من الجبابرة قيل لما سمعوا أحوالهم من النقباء بكوا وقالوا ليتنا متنا بمصر تعالوا نجعل علينا رأسا ينصرف بنا إلى مصر أو لا ترتدوا

في ديكم بالعصيان وعدم الوثوق على الله **فتنقلبوا خاسرين** ثواب الدارين
ويجوز في فتنقلبوا الجزم على العطف والنصب على الجواب **قالوا يا موسى إن فيها**
قوما جبارين متغلبين لا يتأتى مقاومتهم والجبار فعال من جبره على الأمر بمعنى
أجبره وهو الذي يجبر الناس على ما يريد **وإنا لن ندخلها حتى يخرجوا منها فإن يخرجوا**
منها فإنا داخلون إذ لا طاقة لنا بهم **قال رجلان** كالب ويوشع **من الذين يخافون**
أي يخافون الله ويتقونه وقيل كانا رجلين من الجبابرة أسلما وصارا إلى موسى فعلى هذا
الواو لبني إسرائيل والراجع إلى الموصول محذوف أي من الذين يخافهم بنو إسرائيل
ويشهد له أن قرئ الذين يخافون بالضم أي المخوفين وعلى المعنى الأول يكون هذا
من الإخافة أي من الذين يخوفون من الله بالتذكير أو يخوفهم الوعيد **أنعم الله**
عليهما بالإيمان والتثبيت وهو صفة ثانية لرجلين أو اعتراض **ادخلوا عليهم الباب**
باب قريتهم أي باغتوهم وضاغطوهم في المضيق وامنعوهم من الإصحار **فإذا دخلتموه**
فإنكم غالبون لتعسر الكر عليهم في المضايق من عظم أجسامهم ولأنهم أجسام لا قلوب
فيها ويجوز أن يكون علمهما بذلك من إخبار موسى وقوله كتب الله لكم أو مما علماه من عادته
في نصرة رسله وما عهدا من صنعه لموسى في قهر أعدائه **وعلى الله فتوكلوا إن كنتم**
مؤمنين أي مؤمنين به ومصدقين لوعده **قالوا يا موسى إنا لن ندخلها أبدا**
نفوا دخولهم على التأكيد والتأبيد **ما داموا فيها** بدل من أبدا بدل البعض **فاذهب**
أنت وربك فقاتلا إنا هاهنا قاعدون قالوا ذلك استهانة بالله ورسوله وعدم
مبالاة بهما وقيل تقديره اذهب أنت وربك يعينك **قال رب إني لا أملك إلا**
نفسي وأخي قاله شكوى بثه وحزنه إلى الله لما خالفه قومه وأيس منهم ولم
يبق معه موافق يثق به غير هرون عليه السلام والرجلان المذكوران وإن كانا
يوافقانه لم يثق عليهما لما كابد من تلون قومه ويجوز أن يراد بأخي من يواخيني
في الدين فيدخلان معه ويحتمل نصبه عطفا على نفسي أو على اسم إن ورفعه عطفا
على الضمير في لا أملك أو على أن واسمها وجره عند الكوفيين عطفا على الضمير في نفسي **فافرق**
بيننا وبين القوم الفاسقين بأن تحكم لنا بما نستحقه وتحكم عليهم بما يستحقون أو بالتبعيد
بيننا وبينهم وتخليصنا من صحبتهم **قال فإنها** فإن الأرض المقدسة **محرمة عليهم**
لا يدخلونها ولا يملكونها بسبب عصيانهم **أربعين سنة يتيهون في الأرض** عامل الظرف
إما محرمة فيكون التحريم موقتا غير مؤبد فلا يخالف ظاهر قوله التي كتب الله لكم
ويؤيد ذلك ما روي أن موسى سار بمن بقي بعده من بني إسرائيل ففتح أريحا وأقام
فيها ما شاء الله ثم قبض وقيل إنه قبض في التيه ولما احتضر أخبرهم بأن يوشع بعده
نبي وأن الله أمره بقتال الجبابرة فسار بهم يوشع وقتل الجبابرة وصار الشام كله
لبني إسرائيل وإما يتيهون أي يسيرون فيها متحيرين لا يرون طريقا فيكون التحريم مطلقا

وقد قيل لم يدخل الأرض المقدسة أحد ممن قال إنا لن ندخلها بل هلكوا في التيه وإنما
قاتل الجبابرة أولادهم روي أنهم لبثوا أربعين سنة في ستة فراسخ يسيرون من الصباح
إلى المساء فإذا هم بحيث ارتحلوا عنه وكان الغمام يظلهم من الشمس وعمود من نور
يطلع بالليل فيضيء لهم وكان طعامهم المن والسلوى وماؤهم من الحجر الذي يحملونه
والأكثر على أن موسى وهرون كانا معهم في التيه إلا أنه كان ذلك روحا لهما وزيادة
في درجتهما وعقوبة لهم وأنهما ماتا فيه مات هرون وموسى بعده بسنة ثم دخل يوشع أريحا
بعد ثلاثة أشهر ومات النقباء فيه بغتة غير كالب ويوشع **فلا تأس على القوم الفاسقين**
خاطب به موسى لما ندم على الدعاء عليهم وبين أنهم أحقاء بذلك لفسقهم **واتل عليهم**
نبأ ابني آدم قابيل وهابيل أوحى الله تعالى إلى آدم أن يزوج كل واحد منهما توأمة الآخر فسخط
منه قابيل لأن توأمته كانت أجمل فقال لهما آدم قربا قربانا فمن أيكما قبل تزوجها فقبل
قربان هابيل بأن نزلت نار فأكلته فازداد قابيل سخطا وفعل ما فعل وقيل لم يرد بهما ابني
آدم لصلبه وإنهما رجلان من بني إسرائيل ولذلك قال كتبنا على بني إسرائيل **بالحق** صفة مصدر
محذوف أي تلاوة ملتبسة بالحق أو حال من الضمير في اتل أو من نبأ أي ملتبسا بالصدق
موافقا لما في كتب الأولين **إذ قربا قربانا** ظرف لنبأ أو حال منه أو بدل على حذف مضاف أي
اتل عليهم نبأهما نبأ ذلك الوقت والقربان اسم ما يتقرب به إلى الله من ذبيحة أو غيرها
كما أن الحلوان اسم ما يحلى أي يعطى وهو في الأصل مصدر ولذلك لم يثن وقيل تقديره
إذ قرب كل واحد منهما قربانا قيل كان قابيل صاحب زرع وقرب أردأ قمح عنده وهابيل
صاحب ضرع وقرب جملا سمينا **فتقبل من أحدهما ولم يتقبل من الآخر** لأنه سخط
حكم الله ولم يخلص النية في قربانه وقصد إلى أخس ما عنده **قال لأقتلنك** توعده
بالقتل لفرط الحسد له على تقبل قربانه ولذلك **قال إنما يتقبل الله من المتقين**
في جوابه أي إنما أتيت من قبل نفسك بترك التقوى لا من قبلي فلم تقتلني وفيه إشارة
إلى أن الحاسد ينبغي أن يرى حرمانه من تقصيره ويجتهد في تحصيل ما به صار المحسود محظوظا
لا في إزالة حظه فإن ذلك مما يضره ولا ينفعه وأن الطاعة لا تقبل إلا من مؤمن متق
لئن بسطت إلي يدك لتقتلني ما أنا بباسط يدي إليك لأقتلك إني أخاف الله رب
العالمين قيل كان هابيل أقوى منه ولكن تحرج عن قتله واستسلم له خوفا من الله لأن
الدفع لم يبح بعد أو تحريا لما هو الأفضل قال عليه السلام كن عبد الله المقتول ولا تكن
عبد الله القاتل وإنما قال ما أنا بباسط في جواب لئن بسطت للتبري عن هذا الفعل الشنيع
رأسا والتحرز من أن يوصف به ويطلق عليه ولذلك أكد النفي بالباء **إني أريد أن تبوء بإثمي**
وإثمك فتكون من أصحاب النار وذلك جزاء الظالمين تعليل ثان للامتناع
عن المعارضة والمقاومة والمعنى إنما أستسلم لك إرادة أن تحمل إثمي لو بسطت إليك يدي
وإثمك ببسطك يدك إلي ونحوه والمستبان ما قالا فعلى البادي ما لم يعتد المظلوم

وقيل معنى باثمي اثم قتلي وباثمك الذي لم يتقبل من اجله قربانك وكلاهما في موضع
الحال اي ترجع ملتبسا بالاثمين حاملا لهما ولعله لم يرد معصية اخيه وشقاوته بل قصده
بهذا الكلام الى ان ذلك ان كان لا محالة واقعا فاريد ان يكون لك لا لي فالمراد بالذات
ان لا يكون له لا لاخيه ويجوز ان يكون المراد بالاثم عقوبته وارادة عقاب العاصي جائزة
فطوعت له نفسه قتل اخيه فسهلته له ووسعته من طاع له المرتع اذا اتسع وقرئ
فطاوعت على انه فاعل بمعنى فعل وعلى ان قتل اخيه كأنه دعاه الى الاقدام عليه
فطاوعته وله لزيادة الربط كقولك حفظت لزيد ماله **فقتله فاصبح من الخاسرين**
دينا ودنيا اذ بقي مدة عمره مطرودا محزونا قيل قتل هابيل وهو ابن عشرين سنة
عند عقبة حراء وقيل بالبصرة في موضع المسجد الاعظم **فبعث الله غرابا يبحث في الارض**
ليريه كيف يواري سوأة اخيه روي انه لما قتله تحير في امره ولم يدر
ما يصنع به اذ كان اول ميت من بني آدم فبعث الله غرابين فاقتتلا فقتل احدهما
الآخر فحفر له [illegible] بمنقاره ورجله ثم القاه في الحفرة والضمير في ليريه لله او للغراب
وكيف حال من الضمير في يواري والجملة ثاني مفعولي يرى والمراد بسوأة اخيه جسده
الميت فانه مما يستقبح ان يرى **قال يا ويلتى** كلمة جزع وتحسر والالف فيها بدل من ياء المتكلم
والمعنى يا ويلتي احضري فهذا اوانك والويل والويلة الهلكة **أعجزت ان اكون مثل هذا**
الغراب فاواري سوأة اخي لا اهتدي الى ما اهتدى اليه وقوله فاواري عطف
على ان اكون وليس جواب الاستفهام اذ ليس المعنى ان عجزت لواريت وقرئ بالسكون على
فانا اواري او على تسكين المنصوب تخفيفا **فاصبح من النادمين** على قتله لما كابد فيه
من التحير في امره وحمله على رقبته سنة او اكثر على ما قيل وتلمذه للغراب واسوداد
لونه وتبري ابويه منه اذ روي انه لما قتله اسود جسده فسأله آدم عن اخيه فقال
ما كنت عليه وكيلا فقال بل قتلته ولذلك اسود جسدك وتبرأ منه ومكث بعد
ذلك مائة سنة لا يضحك وعدم الظفر بما فعله من اجله **من اجل ذلك كتبنا على بني**
اسرائيل بسببه قضينا عليهم واجل في الاصل مصدر اجل شرا اذا جناه استعمل
في تعليل الجنايات كقولهم من جراك فعلته اي من ان جررته اي جنيته ثم
اتسع فيه فاستعمل في كل تعليل ومن ابتدائية متعلقة بكتبنا اي ابتداء الكتب
وانشاؤه من اجل ذلك **انه من قتل نفسا بغير نفس** بغير قتل نفس يوجب
الاقتصاص **او فساد في الارض** او بغير فساد فيها كالشرك وقطع الطريق **فكأنما**
قتل الناس جميعا من حيث انه هتك حرمة الدماء وسن القتل وجرأ الناس عليه
او من حيث ان قتل الواحد والجميع سواء في استجلاب غضب الله والعذاب العظيم
ومن احياها فكأنما احيا الناس جميعا اي ومن تسبب لبقاء حياتها بعفو
او منع عن القتل او استنقاذ من بعض اسباب الهلكة فكأنما فعل ذلك بالناس

جميعا والمقصود منه تعظيم قتل النفس واحيائها في القلوب ترهيبا عن التعرض لها وترغيبا
في المحاماة عليها **ولقد جاءتهم رسلنا بالبينات ثم ان كثيرا منهم بعد ذلك في الارض**
لمسرفون اي بعدما كتبنا عليهم هذا التشديد العظيم من اجل امثال تلك الجناية وارسلنا
اليهم الرسل بالآيات الواضحة تأكيدا للامر وتجديدا للعهد كي يتحاموا عنها كثير منهم
يسرفون في الارض بالقتل ولا يبالون به وبهذا اتصلت القصة بما قبلها والاسراف
التباعد عن حد الاعتدال في الامر **انما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله** اي
يحاربون اولياءهما وهم المسلمون جعل محاربتهم محاربتهما تعظيما واصل الحرب السلب
والمراد به ههنا قطع الطريق وقيل المكابرة باللصوصية وان كانت في مصر **ويسعون**
في الارض فسادا اي مفسدين ويجوز نصبه على العلة او المصدر لان سعيهم
كان فسادا فكأنه قيل ويفسدون في الارض فسادا **ان يقتلوا** من غير صلب قصاصا
ان افردوا القتل **او يصلبوا** اي يصلبوا مع القتل ان قتلوا واخذوا المال وللفقهاء
خلاف في انه يقتل ويصلب او يصلب حيا ويترك او يطعن حتى يموت **او تقطع ايديهم**
وارجلهم من خلاف تقطع ايديهم اليمنى وارجلهم اليسرى ان اخذوا المال ولم يقتلوا **او**
ينفوا من الارض ينفوا من بلد الى بلد بحيث لا يتمكنوا من القرار في موضع ان اقتصروا
على الاخافة وفسر ابو حنيفة النفي بالحبس واو في الآية على هذا التفصيل وقيل انه للتخيير
والامام مخير بين هذه العقوبات في كل قاطع طريق **ذلك لهم خزي في الدنيا** ذل وفضيحة
ولهم في الآخرة عذاب عظيم لعظم ذنوبهم **الا الذين تابوا من قبل ان تقدروا**
عليهم استثناء مخصوص بما هو حق الله تعالى ويدل عليه قوله **فاعلموا ان الله غفور رحيم**
اما القتل قصاصا فالى الاولياء يسقط بالتوبة وجوبه لا جوازه وتقييد التوبة بالتقدم
على القدرة يدل على انها بعد القدرة لا تسقط الحد وان اسقطت العذاب والآية
في قطاع المسلمين لان توبة المشرك تدرأ عنه العقوبة قبل القدرة وبعدها **يا ايها الذين**
آمنوا اتقوا الله وابتغوا اليه الوسيلة اي ما تتوسلون به الى ثوابه والزلفى منه
من فعل الطاعات وترك المعاصي من وسل الى كذا اذا تقرب اليه وفي الحديث الوسيلة
منزلة في الجنة **وجاهدوا في سبيله** بمحاربة اعدائه الظاهرة والباطنة **لعلكم**
تفلحون بالوصول الى الله تعالى والفوز بكرامته **ان الذين كفروا لو ان لهم ما في الارض**
جميعا من صنوف الاموال **ومثله معه ليفتدوا به** ليجعلوه فدية لانفسهم **من عذاب**
يوم القيامة واللام متعلقة بمحذوف تستدعيه لو اذ التقدير لو ثبت ان لهم ما في
الارض وتوحيد الضمير في به والمذكور شيئان اما لاجرائه مجرى اسم الاشارة في نحو قوله
عوان بين ذلك او لان الواو في ومثله بمعنى مع **ما تقبل منهم** جواب لو ولو بما في حيزه
خبر ان والجملة تمثيل للزوم العذاب لهم وانه لا سبيل لهم الى الخلاص منه **ولهم عذاب**
اليم تصريح بالمقصود منه وكذلك قوله **يريدون ان يخرجوا من النار وما هم**

بخارجين منها ولهم عذاب مقيم روي يخرجوا من أخرج وإنما قال وما هم
بخارجين بدل وما يخرجون للمبالغة والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما
جملتان عند سيبويه إذ التقدير فيما يتلى عليكم السارق والسارقة أي
حكمهما وجملة عند المبرد والفاء للسببية دخل الخبر لتضمنهما معنى الشرط إذ
المعنى والذي سرق والتي سرقت وقرئ بالنصب وهو المختار في أمثاله لأن الإنشاء
لا يقع خبرا إلا بإضمار وتأويل والسرقة أخذ مال الغير في خفية وإنما توجب القطع
إذا كانت من حرز والمأخوذ ربع دينار أو ما يساويه لقوله عليه السلام
القطع في ربع دينار فصاعدا وللعلماء خلاف في ذلك لأحاديث وردت فيه
وقد استقصيت الكلام فيه في شرح المصابيح والمراد بالأيدي الأيمان ويؤيده قراءة
ابن مسعود أيمانهما ولذلك ساغ وضع الجمع موضع المثنى كما في قوله فقد
صغت قلوبكما اكتفاء بتثنية المضاف إليه واليد اسم لتمام العضو ولذلك ذهب
الخوارج إلى أن المقطع هو المنكب والجمهور على أنه الرسغ لأنه عليه السلام أتي بسارق
فأمر بقطع يمينه منه جزاء بما كسبا نكالا من الله منصوبان على المفعول له
أو المصدر ودل على فعلهما فاقطعوا والله عزيز حكيم فمن تاب من السراق
من بعد ظلمه أي سرقته وأصلح أمره بالتفصي عن التبعات والعزم على أن لا يعود
إليها فإن الله يتوب عليه إن الله غفور رحيم يقبل توبته فلا يعذبه في الآخرة
أما القطع فلا يسقط بها عند الأكثرين لأن فيه حق المسروق منه ألم تعلم أن الله
له ملك السموات والأرض الخطاب للنبي أو لكل أحد يعذب من يشاء ويغفر
لمن يشاء والله على كل شيء قدير قدم التعذيب على المغفرة إتيانا على ترتيب
ما سبق أو لأن استحقاق التعذيب مقدم أو لأن المراد به القطع وهو في الدنيا يا أيها
الرسول لا يحزنك الذين يسارعون في الكفر أي صنيع الذين يقعون في الكفر سريعا أي
في إظهاره إذا وجدوا منه فرصة من الذين قالوا آمنا بأفواههم ولم تؤمن قلوبهم
أي المنافقين والباء متعلقة بقالوا لا بآمنا والواو يحتمل الحال والعطف ومن الذين هادوا
عطف على من الذين قالوا سماعون للكذب خبر محذوف أي هم سماعون
والضمير للفريقين أو للذين يسارعون ويجوز أن يكون مبتدأ ومن الذين خبره أي
ومن اليهود قوم سماعون واللام في للكذب إما مزيدة للتأكيد أو لتضمين السماع معنى
القبول أي قابلون لما تفتريه الأحبار أو للعلة والمفعول محذوف أي سماعون كلامك
ليكذبوا عليك فيه سماعون لقوم آخرين لم يأتوك أي لجمع آخرين من اليهود لم يحضروا
مجلسك وتجافوا عنك تكبرا أو إفراطا في البغضاء والمعنى على الوجهين أي مصغون لهم
قابلون كلامهم أو سماعون منك لأجلهم وللإنهاء إليهم ويجوز أن تتعلق اللام بالكذب
لأن سماعون الثاني مكرر للتأكيد أي سماعون ليكذبوا لقوم آخرين يحرفون الكلم

من بعد مواضعه أي يميلونه عن مواضعه التي وضعه الله فيها إما لفظا بإهماله أو تغيير
وضعه وإما معنى بحمله على غير المراد وإجرائه في غير مورده والجملة صفة أخرى لقوم
أو صفة لسماعون أو حال من الضمير فيه أو استئناف لا موضع له أو في موضع الرفع
خبر لمحذوف أي هم يحرفون وكذلك يقولون إن أوتيتم هذا فخذوه أي إن أوتيتم
هذا المحرف فاقبلوه واعملوا به وإن لم تؤتوه بل أفتاكم محمد بخلافه فاحذروا أي
فاحذروا قبول ما أفتاكم به روي أن شريفا من خيبر زنى بشريفة وكانا محصنين
فكرهوا رجمهما فأرسلوهما مع رهط منهم إلى بني قريظة ليسألوا رسول الله صلعم
عنه وقالوا إن أمركم بالجلد والتحميم فاقبلوا وإن أمركم بالرجم فلا فأمرهم بالرجم
فأبوا عنه فجعل ابن صوريا حكما بينه وبينهم وقال له أنشدك الله الذي لا إله إلا هو
الذي فلق البحر لموسى ورفع فوقكم الطور وأنجاكم وأغرق آل فرعون والذي أنزل
عليكم كتابه وحلاله وحرامه هل تجد فيه الرجم على من أحصن قال نعم فوثبوا
عليه فقال خفت إن كذبته أن ينزل علينا العذاب فأمر رسول الله بالزانيين فرجما
عند باب المسجد ومن يرد الله فتنته ضلالته أو فضيحته فلن تملك له من الله شيئا
فلن تستطيع له من الله شيئا في دفعها أولئك الذين لم يرد الله أن يطهر قلوبهم
من الكفر وهو كما ترى نص على فساد قول المعتزلة لهم في الدنيا خزي هوان
بالجزية والخوف من المؤمنين ولهم في الآخرة عذاب عظيم وهو الخلود في
النار والضمير للذين هادوا إن استأنفت بقوله ومن الذين وإلا فللفريقين سماعون
للكذب كرره للتأكيد أكالون للسحت أي الحرام كالرشى من سحته إذا استأصله
لأنه مسحوت البركة وقرأ ابن كثير وأبو عمرو والكسائي ويعقوب بضمتين وهما لغتان
كالعنق والعنق وقرئ بفتح السين على لفظ المصدر فإن جاؤوك فاحكم بينهم
أو أعرض عنهم تخيير لرسول الله صلعم إذا تحاكموا إليه بين الحكم والإعراض ولهذا
قيل لو تحاكم كتابيان إلى القاضي لم يجب عليه الحكم وهو قول الشافعي والأصح وجوبه
إذا كان المترافعان أو أحدهما ذميا لأنا التزمنا الذب عنهم ودفع الظلم منهم والآية
ليست في أهل الذمة وعند أبي حنيفة يجب مطلقا وإن تعرض عنهم فلن يضروك شيئا بأن
يعادوك لإعراضك عنهم فإن الله يعصمك من الناس وإن حكمت فاحكم بينهم بالقسط
بالعدل الذي أمر الله به إن الله يحب المقسطين فيحفظهم ويعظم شأنهم وكيف يحكمونك
وعندهم التوراة فيها حكم الله تعجيب من تحكيمهم من لا يؤمنون به والحال أن الحكم
منصوص عليه في الكتاب الذي هو عندهم وتنبيه على أنهم ما قصدوا بالتحكيم
معرفة الحق وإقامة الشرع وإنما طلبوا به ما يكون أهون عليهم وإن لم يكن حكم الله في
زعمهم وفيها حكم الله حال من التوراة إن رفعتها بالظرف وإن جعلتها مبتدأ فمن ضميرها
المستكن فيه وتأنيثها لكونها نظيرة المؤنث في كلامهم لفظا كموماة ودوداة

ثم يتولون من بعد ذلك ثم يعرضون عن حكمك الموافق لكتابهم بعد التحكيم وهو عطف على يحكمونك داخل في حكم التعجب وما اولئك بالمومنين بكتابهم لاعراضهم عنه اولا وعما يوافقه ثانيا او بك وبه انا انزلنا التورية فيها هدى يهدي الى الحق ونور يكشف ما اشتبه من الاحكام يحكم بها النبيون يعني انبياء بني اسرائيل او موسى ومن بعده ان قلنا شرع من قبلنا ما لم ينسخ يلزمنا وبهذه الاية تمسك القائل به الذين اسلموا صفة اجريت على النبيين مدحا لهم وتنويها بشان المسلمين وتعريضا باليهود وانهم بمعزل عن دين الانبياء واقتفاء هديهم للذين هادوا متعلق بانزل او بيحكم اي يحكمون بها في تحاكمهم وهو يدل على ان النبيين انبياؤهم والربانيون والاحبار زهادهم وعلماؤهم السالكون طريقة انبيائهم عطف على النبيون بما استحفظوا من كتاب الله بسبب امر الله اياهم بان يحفظوا كتابه من التضييع والتحريف والراجع الى ما محذوف ومن للتبيين وكانوا عليه شهداء رقباء لا يتركون ان يغيروا او شهداء يبينون ما يخفى منه كما فعل ابن صوريا فلا تخشوا الناس واخشون نهي للحكام ان يخشوا غير الله في حكوماتهم ويداهنوا فيها خشية ظالم او مراقبة كبير ولا تشتروا باياتي ولا تستبدلوا باحكامي التي انزلتها ثمنا قليلا هو الرشوة والجاه ومن لم يحكم بما انزل الله مستهينا به منكرا له فاولئك هم الكافرون لاستهانتهم به وتمردهم بان حكموا بغيره ولذلك وصفهم بقوله الظالمون والفاسقون فكفرهم لانكاره وفسقهم بالخروج عنه وظلمهم بالحكم على خلافه ويجوز ان يكون كل واحدة من الصفات الثلث باعتبار حال انضمت الى الامتناع عن الحكم به ملائمة لها او لطائفة كما قيل هذه في المسلمين لاتصالها بخطابهم والظالمون في اليهود والفاسقون في النصارى وكتبنا عليهم وفرضنا على اليهود فيها في التورية ان النفس بالنفس اي ان النفس تقتل بالنفس والعين بالعين والانف بالانف والاذن بالاذن والسن بالسن رفعها الكسائي على انها جمل معطوفة على ان وما في حيزها باعتبار المعنى وكانه قيل وكتبنا عليهم النفس بالنفس والعين بالعين فان الكتبة والقراءة تقعان على الجمل كالقول او جمل مستانفة ومعناها وكذلك العين مفقوءة بالعين والانف مجدوعة بالانف والاذن مصلومة بالاذن والسن مقلوعة بالسن او على ان المرفوع منها معطوف على المستكن في قوله بالنفس وانما ساغ لانه في الاصل مفصول عنه بالظرف والجار والمجرور حال مبينة للمعنى والجروح قصاص اي ذات قصاص وقرأه الكسائي ايضا بالرفع وابن كثير وابو عمرو وابن عامر على انه اجمال للحكم بعد التفصيل فمن تصدق به

من المستحقين للقصاص اي من عفا عنه فهو فالتصدق كفارة له للمتصدق يكفر الله
به ذنوبه وقيل للجاني يسقط عنه ما لزمه وقرئ فهو كفارته له اي فالمتصدق كفارته
التي يستحقها بالتصدق له لا ينقص منها شيء ومن لم يحكم بما انزل الله من القصاص
او غيره فاولئك هم الظالمون وقفينا على اثارهم اي واتبعناهم على اثارهم فحذف
المفعول لدلالة الجار والمجرور عليه والضمير للنبيين بعيسى بن مريم مفعول ثان عدى
اليه الفعل بالباء مصدقا لما بين يديه من التورية واتيناه الانجيل وقرئ بفتح الهمزة
فيه هدى ونور في موضع النصب على الحال ومصدقا لما بين يديه من التورية عطف
عليه وكذا قوله وهدى وموعظة للمتقين ويجوز نصبهما على المفعول لها عطفا وليحكم
اهل الانجيل بما انزل الله فيه عليه وفي قراءة حمزة وعلى الاول اللام متعلقة بمحذوف اي
واتيناه ليحكم وقرئ وان ليحكم على ان ان موصولة بالامر كقوله امرتك بان قم اي وامرنا
بان ليحكم ومن لم يحكم بما انزل الله فاولئك هم الفاسقون عن حكمه او عن الايمان
ان كان مستهينا به والاية تدل على ان الانجيل مشتمل على الاحكام وان اليهودية منسوخة
ببعثة عيسى عليه السلام وانه كان مستقلا بالشرع وحملها على وليحكموا بما انزل الله فيه من ايجاب
العمل باحكام التورية خلاف الظاهر وانزلنا اليك الكتاب بالحق القران مصدقا لما بين يديه
من الكتاب من جنس الكتب المنزلة فاللام الاولى للعهد والثانية للجنس ومهيمنا عليه
ورقيبا على ساير الكتب يحفظه عن التغيير ويشهد لها بالصحة والثبات وقرئ على بنية المفعول
اي هومن عليه وحوفظ من التحريف والحافظ له هو الله تعالى او الحفاظ في كل عصر فاحكم
بينهم بما انزل الله اي بما انزل اليك ولا تتبع اهواءهم عما جاءك من الحق بالانحراف عنه
الى ما يشتهونه فعن صلة لا تتبع لتضمنه معنى لا تنحرف او حال من فاعله اي لا تتبع اهواءهم
مائلا عما جاءك لكل جعلنا منكم ايها الناس شرعة شريعة وهي الطريقة الى الماء شبه
بها الدين لانه طريق الى ما هو سبب الحيوة الابدية وقرئ بفتح الشين ومنهاجا وطريقا
واضحا في الدين من نهج الامر اذا وضح واستدل به على انا غير متعبدين بالشرائع المتقدمة
ولو شاء الله لجعلكم امة واحدة جماعة متفقة على دين واحد في جميع الاعصار من غير
نسخ وتحويل ومفعول لو شاء محذوف دل عليه الجواب وقيل المعنى لو شاء الله اجتماعكم
على الاسلام لاجبركم عليه ولكن ليبلوكم فيما اتيكم من الشرائع المختلفة المناسبة لكل
عصر وقرن هل تعملون بها مذعنين لها معتقدين ان اختلافها بمقتضى الحكمة الالهية ام
تزيغون عن الحق وتفرطون في العمل فاستبقوا الخيرات فابتدروها انتهازا للفرصة
وحيازة لفضل السبق والتقدم الى الله مرجعكم جميعا استيناف فيه تعليل الامر بالاستباق
ووعد ووعيد للمبادرين والمقصرين فينبئكم بما كنتم فيه تختلفون بالجزاء الفاصل
بين المحق والمبطل والعامل والمقصر وان احكم بينهم بما انزل الله عطف على الكتاب
اي انزلنا اليك الكتاب والحكم او على الحق اي انزلناه بالحق وبان احكم ويجوز ان يكون

جملة بتقدير وأمرنا أن احكم **ولا تتبع أهواءهم واحذرهم أن يفتنوك عن بعض ما أنزل الله إليك** أي أن يضلوك ويصرفوك عنه، وأن بصلته بدل من هم بدل الاشتمال أي احذرهم فتنتهم، أو مفعول له أي احذرهم مخافة أن يفتنوك. روي أن أحبار اليهود قالوا اذهبوا بنا إلى محمد لعلنا نفتنه عن دينه فقالوا يا محمد قد عرفت أنا أحبار اليهود وأنا إن اتبعناك اتبعنا اليهود كلهم وإن بيننا وبين قومنا خصومة فنتحاكم إليك فتقضي لنا عليهم ونحن نؤمن بك ونصدقك، فأبى ذلك رسول الله فنزلت **فإن تولوا** عن الحكم المنزل وأرادوا غيره **فاعلم أنما يريد الله أن يصيبهم ببعض ذنوبهم** يعني ذنب التولي عن حكم الله تعالى، فعبر عنه بذلك تنبيها على أن لهم ذنوبا كثيرة، وهذا مع عظمه واحد منها معدود من جملتها، وفيه دلالة على التعظيم كما في التنكير في قول لبيد: أو يرتبط بعض النفوس حمامها. **وإن كثيرا من الناس لفاسقون** لمتمردون في الكفر معتدون فيه. **أفحكم الجاهلية يبغون** الذي هو الميل والمداهنة في الحكم، والمراد بالجاهلية الملة الجاهلية التي هي متابعة الهوى. وقيل نزلت في بني قريظة والنضير طلبوا رسول الله أن يحكم بما كان يحكم به أهل الجاهلية من التفاضل بين القتلى. وقرئ برفع الحكم على أنه مبتدأ ويبغون خبره والراجع محذوف وحذفه في الصلة في قوله أهذا الذي بعث الله رسولا، واستضعف ذلك في غير الشعر. وقرئ أفحكم الجاهلية أي يبغون حاكما كحكام الجاهلية يحكم بحسب شهيتهم. وقرأ ابن عامر تبغون بالتاء على قل لهم أفحكم الجاهلية تبغون. **ومن أحسن من الله حكما لقوم يوقنون** أي عندهم، واللام للبيان كما في قوله هيت لك، أي هذا الاستفهام لقوم يوقنون فإنهم هم الذين يتدبرون الأمور ويتحققون الأشياء بأنظارهم فيعلمون أن لا أحسن حكما من الله. **يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء** فلا تعتمدوا عليهم ولا تعاشروهم معاشرة الأحباب. **بعضهم أولياء بعض** إيماء إلى علة النهي أي فإنهم متفقون على خلافكم يوالي بعضهم بعضا لاتحادهم في الدين واجتماعهم على مضادتكم. **ومن يتولهم منكم فإنه منهم** أي ومن والاهم منكم فإنه من جملتهم، وهذا التشديد في وجوب مجانبتهم كما قال عليه السلام لا تتراءى ناراهما، أو لأن الموالي لهم كان منافقا. **إن الله لا يهدي القوم الظالمين** أي الذين ظلموا أنفسهم بموالاة الكفار أو المؤمنين بموالاة أعدائهم. **فترى الذين في قلوبهم مرض** يعني ابن أبي وأضرابه **يسارعون فيهم** أي في موالاتهم ومعاونتهم **يقولون نخشى أن تصيبنا دائرة** يعتذرون بأنهم يخافون أن يصيبهم دائرة من دوائر الزمان بأن ينقلب الأمر وتكون الدولة للكفار. روي أن عبادة بن الصامت قال لرسول الله إن لي موالي من اليهود كثيرا عددهم وإني أبرأ إلى الله ورسوله من ولايتهم وأوالي الله ورسوله، فقال ابن أبي إني رجل أخاف الدوائر لا أبرأ من ولاية موالي فنزلت

فعسى الله أن يأتي بالفتح لرسول الله على أعدائه وإظهار المسلمين **فيصبحوا** أي هؤلاء المنافقين **على ما أسروا في أنفسهم نادمين** على ما استبطنوه من الكفر والشك في أمر الرسول فضلا عما أظهروه مما أشعر على نفاقهم. **ويقول الذين آمنوا** بالرفع قراءة عاصم وحمزة والكسائي على أنه كلام مبتدأ، ويؤيده قراءة ابن كثير ونافع وابن عامر مرفوعا بغير واو على أنه جواب قائل يقول فماذا يقول المؤمنون حينئذ، وبالنصب قراءة أبي عمرو ويعقوب عطفا على أن يأتي باعتبار المعنى وكأنه قال عسى أن يأتي الله بالفتح ويقول الذين آمنوا، أو يجعله بدلا من اسم الله داخلا في اسم عسى مغنيا عن الخبر بما تضمنه من الحدث، أو على الفتح بمعنى عسى الله أن يأتي بالفتح ويقول المؤمنين فإن الإتيان بما يوجبه كالإتيان به. **أهؤلاء الذين أقسموا بالله جهد أيمانهم إنهم لمعكم** يقوله المؤمنون بعضهم لبعض تعجبا من حال المنافقين وتبجحا بما منّ الله عليهم من الإخلاص، أو يقولونه لليهود فإن المنافقين حلفوا لهم بالمعاضدة كما حكى الله عنهم وإن قوتلتم لننصرنكم. وجهد الأيمان أغلظها وهو في الأصل مصدر ونصبه على الحال على تقدير وأقسموا بالله يجتهدون جهد أيمانهم فحذف الفعل وأقيم المصدر مقامه ولذلك ساغ كونها معرفة، أو على المصدر لأنه بمعنى أقسموا. **حبطت أعمالهم فأصبحوا خاسرين** إما من جملة المقول أو من قول الله شهادة لهم بحبوط أعمالهم، وفيه معنى التعجب كأنه قيل ما أحبط أعمالهم وما أخسرهم. **يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه** قرأه على الأصل نافع وابن عامر وهو كذلك في الإمام والباقون بالإدغام، وهذا من الكائنات التي أخبر الله عنها قبل وقوعها. وقد ارتد من العرب في أواخر عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاث فرق: بنو مدلج وكان رئيسهم ذو الحمار الأسود العنسي تنبأ باليمن واستولى على بلاده ثم قتله فيروز الديلمي ليلة قبض رسول الله من غدها، وأخبر الرسول في تلك الليلة فسر المسلمون وأتى الخبر في أواخر ربيع الأول. وبنو حنيفة أصحاب مسيلمة تنبأ وكتب إلى رسول الله من مسيلمة رسول الله إلى محمد رسول الله أما بعد فإن الأرض نصفها لي ونصفها لك، فأجاب من محمد رسول الله إلى مسيلمة الكذاب أما بعد فإن الأرض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين، فحاربه أبو بكر بجند المسلمين وقتله وحشي قاتل حمزة. وبنو أسد قوم طليحة بن خويلد تنبأ فبعث إليه رسول الله خالدا فهرب بعد القتال إلى الشام ثم أسلم وحسن إسلامه. وفي عهد أبي بكر سبع فرق: فزارة قوم عيينة بن حصن، وغطفان قوم قرة بن سلمة، وبنو سليم قوم الفجاءة بن عبد ياليل، وبنو يربوع قوم مالك بن نويرة، وبعض تميم قوم سجاح بنت المنذر المتنبئة زوجة مسيلمة، وكندة قوم الأشعث بن قيس، وبنو بكر بن وائل بالبحرين قوم الحطم، وكفى الله أمرهم على يده. وفي إمرة عمر غسان قوم جبلة بن الأيهم تنصر وسار إلى الشام. **فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه** قيل هم أهل اليمن لما روي أنه عليه السلام

اشار الى ابي موسى الاشعري وقال قوم هذا وقيل اليمن لانه عليه السلام سئل عنهم فضرب
يده على عاتق سلمان وقال هذا وذووه وقيل الذين جاهدوا يوم القادسية الفان
من النخع وخمسة الاف من كندة وبجيلة وثلثة الاف من افناء الناس والراجع
الى من محذوف تقديره فسوف ياتي الله بقوم مكانهم ومحبة الله للعباد ارادة
الهدى والتوفيق لهم في الدنيا وحسن الثواب في الاخرة ومحبة العباد له ارادة
طاعته والتحرز عن معاصيه اذلة على المؤمنين عاطفين عليهم متذللين لهم جمع ذليل
لا ذلول فان جمعه ذلل واستعماله مع على اما لتضمن معنى العطف والحنو او التنبيه على
انهم مع علو طبقتهم وفضلهم على المؤمنين خافضون لهم او المقابلة اعزة على الكافرين
شداد متغلبين عليهم من عزه اذا غلبه وقرئ بالنصب على الحال يجاهدون في
سبيل الله صفة اخرى لقوم او حال من الضمير في اعزة ولا يخافون لومة لائم
عطف على يجاهدون بمعنى انهم الجامعون بين المجاهدة في سبيل الله والتصلب في دينه
او حال بمعنى انهم يجاهدون وحالهم خلاف حال المنافقين فانهم يخرجون في جيش
المسلمين خائفين ملامة اوليائهم من اليهود فلا يعملون شيئا يلحقهم فيه لوم
من جهتهم واللومة المرة من اللوم وفيها وفي تنكير لائم مبالغتان ذلك اشارة
الى ما تقدم من الاوصاف فضل الله يؤتيه من يشاء يمنحه ويوفق له والله
واسع كثير الفضل عليم بمن هو اهله انما وليكم الله ورسوله والذين
امنوا لما نهى عن موالاة الكفرة ذكر عقيبه من هو حقيقها وانما قال وليكم
ولم يقل اولياءكم للتنبيه على ان الولاية لله على الاصالة ولرسوله وللمؤمنين
على التبع الذين يقيمون الصلوة ويؤتون الزكوة صفة للذين امنوا
فانه جرى مجرى الاسم او بدل منه ويجوز نصبه ورفعه على المدح وهم راكعون
متخشعون في صلوتهم وزكوتهم وقيل هو حال مخصوصة بيؤتون اي يؤتون الزكوة
في حال ركوعهم في الصلوة حرصا على الاحسان ومسارعة اليه وانها نزلت في علي
رضه حين ساله سائل وهو راكع في صلوته فطرح له خاتمه واستدل بها الشيعة
على امامته زاعمين ان المراد بالولي المتولي للامور والمستحق للتصرف فيهم والظاهر ما ذكرناه مع
ان حمل الجمع على الواحد ايضا خلاف الظاهر وان صح انه نزل فيه فلعله جيء بلفظ الجمع
ليرغب الناس في مثل فعله فيندرجوا فيه وعلى هذا يكون دليلا على ان الفعل القليل
في الصلوة لا يبطلها وان صدقة التطوع تسمى زكوة ومن يتول الله ورسوله
والذين امنوا ومن يتخذهم اولياء فان حزب الله هم الغالبون اي فانهم
الغالبون ولكن وضع الظاهر موضع المضمر تنبيها على البرهان عليه وكانه قيل ومن يتولى
هؤلاء فهم حزب الله وحزب الله هم الغالبون وتنويها بذكرهم وتعظيما لشانهم وتشريفا
لهم بهذا الاسم وتعريضا لمن يوالي غير هؤلاء بانه حزب الشيطان واصل الحزب القوم

يجتمعون لامر حزبهم يا ايها الذين امنوا لا تتخذوا الذين اتخذوا دينكم هزوا ولعبا
من الذين اوتوا الكتاب من قبلكم والكفار اولياء نزلت في رفاعة بن
زيد وسويد بن الحرث اظهرا الاسلام ثم نافقا وكان رجال من المسلمين يوادونهما وقد
رتب النهي عن موالاتهم على اتخاذهم دينهم هزوا ولعبا ايماء على العلة وتنبيها على ان من
هذا شانه بعيد عن الموالاة جدير بالمعاداة والبغضاء وفصل المستهزئين باهل
الكتاب والكفار على قراءة من جره وهم ابو عمرو والكسائي ويعقوب والكفار وان عم اهل
الكتاب يطلق على المشركين خاصة لتضاعف كفرهم ومن نصبه عطفه على الذين اتخذوا
على ان النهي عن موالاة من ليس على الحق راسا سواء من كان ذا دين تبع فيه الهوى و
حرفه عن الصواب كاهل الكتاب ومن لم يكن كالمشركين واتقوا الله بترك المناهي
ان كنتم مؤمنين لان الايمان حقا يقتضي ذلك وقيل ان كنتم مؤمنين بوعده ووعيده
واذا ناديتم الى الصلوة اتخذوها هزوا ولعبا اي اتخذوا الصلوة او المناداة وفيه
دليل على ان الاذان مشروع للصلوة روي ان نصرانيا بالمدينة كان اذا سمع المؤذن يقول
اشهد ان محمدا رسول الله قال احرق الكاذب فدخلت خادمه ذات ليلة بنار واهله
نيام فتطايرت شررة في البيت فاحرقته واهله ذلك بانهم قوم لا يعقلون فان السفه يؤدي
الى الجهل بالحق والهزؤ به والعقل يمنع منه قل يا اهل الكتاب هل تنقمون منا
هل تنكرون منا وتعيبون يقال نقم منه كذا اذا انكره وانتقم اذا كافاه وقرئ تنقمون
بفتح القاف وهو لغة الا ان امنا بالله وما انزل الينا وما انزل من قبل الا الايمان
بالكتب المنزلة كلها وان اكثركم فاسقون عطف على ان امنا وكان المستثنى لازم
الامرين وهو المخالفة اي ما تنكرون منا الا مخالفتكم حيث دخلنا الايمان وانتم
خارجون منه او كان الاصل واعتقاد ان اكثركم فاسقون فحذف المضاف او على
ما اي وما تنقمون منا الا الايمان بالله وما انزل وبان اكثركم او على علة محذوفة والتقدير
هل تنقمون منا الا ان امنا لقلة انصافكم وفسقكم او نصب باضمار فعل دل عليه
هل تنقمون اي ولا تنقمون ان اكثركم فاسقون او رفع على الابتداء والخبر محذوف
اي وفسقكم ثابت معلوم عندكم ولكن حب الرياسة والمال منعكم عن الانصاف
والاية خطاب ليهود سالوا رسول الله عمن يؤمن به فقال اؤمن بالله وما انزل الينا
الى قوله ونحن له مسلمون فقالوا حين سمعوا ذكر عيسى لا نعلم دينا شرا من دينكم قل هل
انبئكم بشر من ذلك اي من ذلك المنقوم مثوبة عند الله جزاء ثابتا
عند الله والمثوبة مختصة بالخير كالعقوبة بالشر فوضعت هنا موضعها على طريقة قوله
تحية بينهم ضرب وجيع ونصبها على التمييز عن بشر من لعنه الله وغضب عليه و
جعل منهم القردة والخنازير بدل من بشر على حذف مضاف اي بشر من اهل ذلك
من لعنه الله او بشر من ذلك دين من لعنه الله او خبر محذوف اي هو من لعنه الله

وهم اليهود ابعدهم الله من رحمته وسخط عليهم بكفرهم وانهماكهم في المعاصي بعد
وضوح الايات ومسخ بعضهم قردة وهم اصحاب السبت وبعضهم خنازير وهم
كفار اهل مائدة عيسى وقيل كلا المسخين في اصحاب السبت مسخت شبانهم
قردة ومشايخهم خنازير وعبد الطاغوت عطف على صلة من وكذا عُبِدَ الطاغوت
على البناء للمفعول ورفع الطاغوت وعَبُدَ بمعنى صار معبودا فيكون الراجع محذوفا
اي فيهم او بينهم ومن قرأ وعابد الطاغوت او عَبُدَ على انه نعت كفَطِن ويقظ
او عَبَدَة او عُبُدَ الطاغوت على انه جمع كخدم وان اصله عبدة فحذفت التاء للاضافة
عطفه على القردة ومن قرأ وعَبْدِ الطاغوت بالجر عطفه على من والمراد من الطاغوت
العجل وقيل الكهنة وكل من اطاعوه في معصية الله اولئك اي الملعونون شر مكانا
جعل مكانهم شرا ليكون ابلغ في الدلالة على شرارتهم وقيل مكانا منصرفا واضل
عن سواء السبيل قصد الطريق المتوسط بين غلو النصارى وقدح اليهود والمراد
من صيغتي التفضيل الزيادة مطلقا لا بالاضافة الى المؤمنين في الشرارة والضلالة وإذا
جاؤكم قالوا آمنا نزلت في يهود نافقوا رسول الله صلعم او في عامة المنافقين وقد
دخلوا بالكفر وهم قد خرجوا به اي يخرجون من عندك كما دخلوا لا يؤثر فيهم
ما سمعوا منك والجملتان حالان من فاعل قالوا وبالكفر وبه حالان من فاعلي دخلوا
وخرجوا وقد وان دخلت لتقريب الماضي من الحال ليصح ان يقع حالا افادت ايضا
لما فيها من التوقع ان امارة النفاق كانت لائحة عليهم وكان الرسول يظنه ولذلك
قال والله اعلم بما كانوا يكتمون اي من الكفر وفيه وعيد لهم وترى كثيرا
منهم اي من اليهود او المنافقين يسارعون في الاثم اي الحرام وقيل الكذب
لقوله تعالى عن قولهم الاثم والعدوان الظلم او مجاوزة الحد في المعاصي وقيل
الاثم ما يختص بهم والعدوان ما يتعدى الى غيرهم واكلهم السحت اي الحرام خصه
بالذكر للمبالغة لبئس ما كانوا يعملون لبئس شيئا عملوه لولا ينهاهم الربانيون
والاحبار عن قولهم الاثم واكلهم السحت تحضيض لعلمائهم على ترك النهي عن ذلك
فان لولا اذا دخل على الماضي افاد التوبيخ واذا دخل المستقبل افاد التحضيض لبئس ما
كانوا يصنعون ابلغ من قولهم لبئس ما كانوا يعملون من حيث ان الصنع عمل الانسان
بعد تدرب فيه وترو وتحري اجادة ولذلك ذم به خواصهم ولان ترك الحسبة
اقبح من مواقعة المعصية لان النفس تلتذ بها وتميل اليها ولا كذلك ترك الانكار
عليها فكان جديرا بابلغ الذم وقالت اليهود يد الله مغلولة اي هو ممسك يقتر
بالرزق وغل اليد وبسطها مجاز عن البخل والجود ولا قصد فيه الى اثبات يد
وغل او بسط ولذلك يستعمل حيث لا يتصور ذلك كقوله جاد الحمى بسط اليدين بوابل
شكرت نداه تلاعه ووهاده ونظيره من المجازات المركبة شابت لمة الليل

قوله

وقيل مبنية او الجملة بعده خبره وهو ضعيف الا وتفصيله ان المص رحمه الله اعترض على مذهب كون عموا خبرا
مقدما عليه وكثير مبتدا مؤخرا بقوله وهو ضعيف ثم قال انه ممتنع في امثاله فتوجه السؤال بانه اذا كان ممتنعا
كيف يكون جائزا مع ضعفه فقال ما قاله الشارح عليه الرحمه في توجيهه ان امتناع تقديم الخبر الفعلي على المبتدا
القائم في موضع الفاعل مشروط بشرطين احدهما كون الخبر فعلا للمبتدا والثاني تحقق الالتباس للفاعل
في صورة التقديم فاذا تحقق الشرطان بتمامهما يمتنع تقديمه عليه وان تحقق الاول ولم يتحقق الشرط الثاني لم يتحقق الامتناع
فاذا علمت هذا فاعلم ان في الاية الكريمة تحقق الشرط الاول ولم يتحقق الشرط الثاني فلوجود الشرط الاول
جاز لكن مع الضعف لعدم وجود الشرط الثاني فان تقديم الفعل اي عموا على المبتدا اي كثير لا يوجب
الالتباس الفاعل اي اشتباه ان كثيرا بل هو مبتدا او هو فاعل لفعل عموا لان الالتباس الاشتباه
ههنا متوقف على ان يكون في الفعل ضمير مستتر عائد الى المبتدا كما في زيد قام فاذا قدم هذا الفعل وقلت قام زيد اشتبه
ان زيد فاعل لفعل قام ام هو مبتدا والجملة المتقدمة عليه خبره لاشتمال فعل قام في قولك زيد قام ضميرا مستترا
راجعا الى المبتدا فحينئذ يتحقق الالتباس لاشتمال الفعل ضميرا مستترا راجعا اليه ففي قوله تعالى عموا ليست ضميرا مستترا
بل الضمير فيها بارز فلم يوجد الالتباس فلم يتحقق امتناع التقديم لكن وجد فيه الشرط الاول اي كون
فعل عموا فعل الفاعل اي فعل كثير فلهذا كان تقديم الخبر الفعلي على المبتدا ضعيفا ولعدم تحقق الشرط الثاني
اعني الالتباس لم يخرج من الجواز ولم يدخل تحت الامتناع فحينئذ قوله تعالى كثير مبتدا والفعل المقدم عليه خبرا
جائز لكن مع الضعف لتحقق الشرط الاول لا لامتناع التقديم كما قلنا فالمختار ان كثيرا بدل من الضمير في قوله تعالى عموا كما
ذكره المصنف اولا بقوله بدل من الضمير او فاعل عموا والواو علامة الجمع لا ضمير الصالح لان يكون فاعلا له وكونه علامة
للجمع وتاكيد الجمعية في لغة من ذهب اليه في قولهم اكلوني البراغيث ان الواو تاكيد لجمعية البراغيث
وانما قالوا ذلك التركيب حكاية عن كثرة البراغيث تاكيده جمع البراغيث وهذا املاء العبد الحقير فلما اتعب
نفسه بهذا المحل حرره لكشفه وبيانه
لمن طلب ... يوم ترتب الآتي
مدرس ... السلطان ... رحمه الله
و... ١١٩١

وتبكيت معناه انه فقير لقوله لقد سمع الله قول الذين قالوا ان الله فقير ونحن اغنيا غلت ايديهم ولعنوا بما قالوا دعاء عليهم بالبخل والنكد او بالفقر والمسكنة او بغل الايدي حقيقة يغلون اسارى في الدنيا ويسحبون الى النار في الاخرة فيكون المطابقة من حيث اللفظ وملاحظة الاصل كقولك سبني سب الله دابره بل يداه مبسوطتان ثنى اليد مبالغة في الرد ونفي البخل عنه واثباتا لغاية الجود فان غاية ما يبذله السخي من ماله ان يعطيه بيديه وتنبيها على منح الدنيا والاخرة وعلى ما يعطي للاستدراج وما يعطي للاكرام ينفق كيف يشاء تاكيد لذلك اي هو مختار في انفاقه يوسع تارة ويضيق اخرى على حسب مشيته ومقتضى حكمته لا على تعاقب سعة وضيق في ذات يد ولا يجوز جعله حالا من الهاء للفصل بينهما بالخبر ولا من اليدين اذ لا ضمير لهما فيه ولا من ضميرهما لذلك والاية نزلت في فنحاص بن عازوراء فانه قال ذلك لما كف الله عن اليهود ما بسط عليهم من السعة بشوم تكذيبهم محمدا صلوات الله عليه واشرك فيه الاخرون لانهم رضوا بقوله وليزيدن كثيرا منهم ما انزل اليك من ربك طغيانا وكفرا اي هم طاغون كافرون ويزدادون طغيانا وكفرا بما يسمعون من القران كما يزداد المريض مرضا من تناول الغذاء الصالح للاصحاء والقينا بينهم العداوة والبغضاء الى يوم القيامة فلا تتوافق قلوبهم ولا يتطابق اقوالهم كلما اوقدوا نارا للحرب اطفاها الله كلما ارادوا حرب الرسول الله واثارة شر عليه ردهم الله بان اوقع بينهم منازعة كف بها عنه شرهم او كلما ارادوا حرب احد غلبوا فانهم لما خالفوا حكم التورية سلط الله عليهم المسلمين وللحرب صلة اوقدوا اوصفة نارا ويسعون في الارض فسادا اي للفساد وهو اجتهادهم في الكيد واثارة الحروب والفتن وهتك المحارم والله لا يحب المفسدين فلا يجازيهم الا شرا ولو ان اهل الكتاب امنوا بمحمد وبما جاء به واتقوا ما عددنا من معاصيهم ونحوه لكفرنا عنهم سيئاتهم التي فعلوها ولم نواخذهم بها ولادخلناهم جنات النعيم ولجعلناهم من الداخلين فيها وفيه تنبيه على عظم معاصيهم وكثرة ذنوبهم وان الاسلام يجب ما قبله وان جل وان الكتابي لا يدخل الجنة ما لم يسلم ولو انهم اقاموا التورية والانجيل باذاعة ما فيهما والقيام باحكامهما وما انزل اليهم من ربهم يعني سائر الكتب المنزلة فانها من حيث انهم مكلفون بالايمان بها كالمنزل اليهم او القران لاكلوا من فوقهم ومن تحت ارجلهم لوسع عليهم ارزاقهم بان يفيض عليهم بركات من السماء والارض او يكثر ثمرة الاشجار وغلة الزروع او يرزقهم الجنان اليانعة الثمار فيجتنونها من راس الشجر ويلتقطون ما تساقط على الارض بين بذلك ان ما كف عنهم بشوم كفرهم ومعاصيهم لا لقصور الفيض ولو انهم امنوا واقاموا ما امروا به لوسع عليهم وجعل لهم خير الدارين منهم امة

قوله وعبد الطاغوت

عطف على صلة من وكذا عبد وتفصيله انه ذكر ههنا سبعة قراءات الاولى قراءة الجمهور وهو عَبَدَ بفتح العين والبا على انه فعل ماض فاعله ضمير مستتر راجع الى من فيكون معطوفا على صلة من والثانية قراءة عُبِدَ بضم العين وكسر البا على البنا للمفعول والثالث قراءة عَبُدَ بفتح العين وضم البا بمعنى صار معبودا كما يقال امر فلان اي صار اميرا وفي هذه القرائتين الاخيرتين يكون معطوفا على صلة من كما في الاول لكن بتقدير الراجع مثل فيهم او منهم لان الموصول وما عطف عليه يحتاج الى الضمير كما في كتب النحو وهذا معنى قوله عطف على صلة من وكذا اعبد الطاغوت على البنا للمفعول وعبد بمعنى صار معبودا ولفظ الطاغوت مرفوع في كلها قوله وقرا عابد اي وقراءة عابد الطاغوت وفي قراءة عَبُدَ بفتح العين وضم البا [redacted] على انه نعت صفة مشبهة كفطن وفي قراءة عَبَدَة بفتح العين والباء والتاء وفي قراءة عَبَدَ بلا تاء بفتح العين والبا [redacted] على انه جمع كخدم كلها منصوب مضافا الى الطاغوت اي في هذه القراءات الاربع لفظ عبد بفتح الدال منصوب معطوف على قوله قردة فتكون القراءات سبعة في ثلثة معطوف على صلة من وفي الاربعة الاخيرة منصوب معطوف على قردة وبهذا معنى قوله وقرئ عابد الى اخره قوله وقرئ وعبد الطاغوت بالجر اي ثم ذكر المص رحمه الله قراءة اخرى وهي عَبِدِ بفتح العين وكسر البا مضاف الى الطاغوت وهي مجرور معطوف على قوله من لعنه الله على تقدير كونه بدلا من قوله بشر من وبهذا هو البيان الوافي المحتاج في هذا المقام لتخليص الخاطر عن الانغلاق كما لا يخفى

قوله وقد دخلوا بالكفر وهم قد خرجوا به والجملتان حالان الى قوله ليصح ان تقع الخ

قوله ليصح ان تقع حالا اي لتكسر كلمة قد سورة استبعادها من الحال والحال في الجملة انهم ادخلوا كلمة قد ظاهرة او مقدرة في الجملة الحالية التي يكون الفعل فيها ماضيا وذلك لتحقق المنافاة من وقوع الجملة حالا ومن كون الفعل فيها ماضيا لان مقتضى وقوعها حالا ان يكون مضمونها مقارنا لمضمون عاملها بحسب الزمان فان كان مضمون عاملها واقعا قبل زمان اخبارك بازمنة متطاولة وجب ان يكون مضمون الحال واقعا في ذلك الزمان ايضا ولا يحل لكلمة قد في تلك المقارنة لانها انما تقرب الماضي الى حال الاخبار والمتكلم والظاهر ان الاحتياج الى قد انما هو في قوله قد دخلوا ولا احتياج اليها في قوله وهم قد خرجوا لانها جملة اسمية معطوفة على الجملة الحالية التي قبلها غاية ما في الباب ان الخبر فيها وقعت جملة فعلية مصدرة بقد لتقريب الماضي من الحال

مقتصدة عادلة غير غالية ولا مقصرة وهم الذين آمنوا بمحمد صلعم وقيل مقتصدة
متوسطة في عداوته وكثير منهم ساء ما يعملون اي بئس ما يعملونه وفيه
معنى التعجب اي ما اسوأ عملهم وهو المعاندة وتحريف الحق والاعراض عنه والافراط
في العداوة يا ايها الرسول بلغ ما انزل اليك من ربك جميع ما انزل اليك
غير مراقب احدا ولا خائف مكروها وان لم تفعل وان لم تبلغ جميعه
كما امرتك فما بلغت رسالته فما اديت شيئا منها لان كتمان بعضها
يضيع ما ادى منها كترك بعض اركان الصلوة فان غرض الدعوة ينتقض
به او فكانك ما بلغت شيئا منها كقوله فكانما قتل الناس جميعا من حيث
ان كتمان البعض والكل سواء في الشناعة واستجلاب العقاب والله يعصمك
من الناس عدة وضمان من الله بعصمة روحه من تعرض الاعادي وازاحة
لمعاذيره ان الله لا يهدي القوم الكافرين لا يمكنهم مما يريدون
بك وعن النبي صلعم بعثني الله برسالته فضقت بها ذرعا فاوحى الله الي ان لم
تبلغ رسالاتي عذبتك وضمن لي العصمة فقويت وعن انس بن مالك كان رسول الله صلعم
يحرس حتى نزلت فاخرج راسه من قبة ادم فقال انصرفوا يا ايها الناس فقد عصمني
الله من الناس وظاهر الآية يوجب تبليغ كل ما انزل ولعل المراد تبليغ ما يتعلق
به مصالح العباد وقصد بانزاله اطلاعهم عليه فان من الاسرار الالهية
ما يحرم افشاؤه قل يا اهل الكتاب لستم على شيء اي دين يعتد به
ويصح ان يسمى شيئا لانه باطل حتى تقيموا التورية والانجيل وما انزل اليكم
من ربكم ومن اقامتها الايمان بمحمد والاذعان لحكمه فان الكتب
الالهية باسرها آمرة بالايمان بمن صدقه المعجز ناطقة بوجوب الطاعة له
والمراد اقامة اصولها وما لم ينسخ من فروعها وليزيدن كثيرا منهم
ما انزل اليك من ربك طغيانا وكفرا فلا تأس على القوم الكافرين
فلا تحزن عليهم لزيادة طغيانهم وكفرهم بما تبلغه اليهم فان ضرر
ذلك لاحق بهم لا يتخطاهم وفي المؤمنين مندوحة لك عنهم ان الذين آمنوا
والذين هادوا والصابئون والنصارى سبق تفسيره في سورة البقرة والصابئون
رفع على الابتداء وخبره محذوف والنية به التأخير عما في حيز ان والتقدير
ان الذين آمنوا والذين هادوا والنصارى حكمهم كذا والصابئون كذلك كقوله
فاني وقيار بها لغريب وقوله والا فاعلموا انا وانتم بغاة ما بقينا في شقاق
وهو كاعتراض دل به على انه لما كان الصابئون مع ظهور ضلالهم وميلهم
عن الاديان كلها يتاب عليهم ان صح منهم الايمان والعمل الصالح كان غيرهم
اولى بذلك ويجوز ان يكون والنصارى معطوفا عليه ومن آمن خبرهما وخبر

١٢٨

قوله تعالى كثير منهم خبر مبتدأ محذوف اي العمى والصمم كثير منهم وقيل مبتدأ والجملة قبله خبره وهو ضعيف لان تقديم الخبر
قوله لان تقديم الخبر في مثله ممتنع ظاهر الدليل يقتضي الامتناع لا الضعف فينبغي ان يحقق صورتان احدهما
جائزة والاخرى ممتنعة وكون الصورة الجائزة لكونها مماثلة للممتنعة من بعض الوجوه ضعيفة والصورة التي امتنع
فيها تقديم الخبر على المبتدأ ما يكون الخبر فيها فعلا للمبتدأ كزيد قام فان تقديم المبتدأ واجب فيها ووجب
لانه لو قدم الخبر وقيل قام زيد لزم التباس المبتدأ بالفاعل وما نحن فيه وان كان الخبر فعلا للمبتدأ يجوز فيه تقديم الخبر
بان يقال كثير منهم مبتدأ وقوله عموا وصموا خبر له لان تقديم الخبر فيه لا يستلزم التباس المبتدأ بالفاعل لان الالتباس المذكور
انما يكون فيما اذا كان الفاعل مستترا كما في زيد قام والفاعل فيما نحن فيه ليس بمستتر فلا يلزم الالتباس فيه على تقدير الخبر تقديم
لكن لما كانت هذه الصورة مماثلة للصورة التي يمتنع تقديم الخبر فيها من حيث كون الخبر فعلا للمبتدأ في كل واحدة
من الصورتين كانت ضعيفة فان قيل لا نسلم انتفاء الالتباس بالفاعل على تقدير التقديم في هذه الصورة من الصور
فانه يلتبس به على لغة اكلوني البراغيث فالجواب انها لغة ضعيفة لا يعتد بها فالالتباس بالفاعل بناء على مثل
تلك اللغة لا يمنع جواز التقديم
من شيخ زاده رحمه الله

قوله تعالى فعموا وصموا حين عبدوا العجل ثم تابوا عن عبادة العجل فتاب الله عليهم ثم عموا وصموا كرة ثانية بطلبهم المحال غير المعقول
في صفات الله وهو الرؤية [illegible] ثم عموا وصموا الرفع على تقدير [illegible] اي رماهم بالعمى والصمم كما يقال تركته
اي ضربته بالترك وركبته اذا ضربته بركبتك كثير منهم بدل من الضمير او على قولهم اكلوني البراغيث كذا
قوله تعالى كثير منهم بدل من الضمير او فاعل والواو علامة الجمع كقولهم اكلوني البراغيث قوله والواو علامة الجمع
لا ضمير اي علامة لكون الفاعل المذكور صريحا جمعا كما يلحق الفعل تاء التأنيث ليدل على تأنيث الفاعل [illegible]
وهذه لغة لبعض العرب يعبر عنه النحاة باكلوني البراغيث
من شيخ زاده رحمه

[illegible]

قوله وقيل الجملة قبله خبر وهو ضعيف اي ولو لا لكون تقديم الخبر فيما يصلح المبتدأ ان يكون تأكيدا للفاعل نحو
انا قمت فان انا لو اخر لالتبس بتأكيد الفاعل وانت تعلم ان ما نحن فيه مثله في الالتباس الا ان الالتباس ههنا بتابع آخر
اعني البدل الا ان النحاة صرحوا بجواز التقديم [illegible] لانه خبر المبتدأ الكثير في الكلام [illegible] تلك اللغة والحمل على الاكثر اولى [illegible] قالوا ولا يمنع [illegible] احتمال كونه على لغة اكلوني البراغيث
وكذا قال المص لان تقديم الخبر [illegible] وقد اشار اليه الرضي فلا يرد ما ذكر لكن الجواز لا ينافي الضعف وامتناع المثل يستلزم للضعف
وقيل مبتدأ والجملة قبله خبره وضعفه المص بان الخبر الفعلي لا يتقدم على المبتدأ لالتباسه بالفاعل
فلا يقال في زيد قام قام زيد على انه مبتدأ وخبر ورده [illegible] منع التقديم مشروط بكون الفاعل في لغة اكلوني البراغيث
لغة ضعيفة لا يلتفت اليها وقد قالوا انه لا يكون تقديم الخبر فيما يصلح المبتدأ ان يكون تأكيدا للفاعل نحو انا قمت فان انا لو اخر لالتبس بتأكيد الفاعل وما نحن فيه مثله في الالتباس الا ان الالتباس بتابع اخر اعني البدل الا ان النحاة [illegible] انتهى كلام سعدي جلبي

مقدر دل عليه ما بعده كقوله نحن بما عندنا وانت بما عندك راض والرأي مختلف
ولا يجوز عطفه على ان واسمها فانه مشروط بالفراغ من الخبر اذ لو عطف عليه قبله
كان الخبر خبر المبتدأ وخبر ان معا فيجتمع عليه عاملان ولا على الضمير في هادوا لعدم
التأكيد والفصل ولانه يوجب كون الصابئين هودا وقيل ان بمعنى نعم
وما بعدها في موضع الرفع بالابتداء وقيل والصابئون منصوب بالفتحة
وذلك كما جوز بالياء جوز بالواو من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحا
في محل الرفع بالابتداء وخبره فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون والجملة خبر ان
او خبر المبتدأ كما مر والراجع محذوف اي من آمن منهم او النصب على البدل
من اسم ان وما عطف عليه وقرئ والصابيين وهو الظاهر والصابيون بقلب الهمزة
ياء والصابون بحذفها من صبا بابدال الهمزة الفا او من صبوت لانهم صبوا الى اتباع
الشهوات ولم يتبعوا شرعا ولا عقلا لقد اخذنا ميثاق بني اسرائيل وارسلنا اليهم
رسلا ليذكروهم وليبينوا لهم امر دينهم كلما جاءهم رسول بما لا تهوى
انفسهم بما يخالف هواهم من الشرائع ومشاق التكاليف فريقا كذبوا وفريقا
يقتلون جواب الشرط والجملة صفة رسلا والراجع محذوف اي رسول منهم وقيل
الجواب محذوف دل عليه ذلك وهو استيناف وانما جيء يقتلون موضع قتلوا على
حكاية الحال الماضية استحضارا لها واستفظاعا للقتل وتنبيها على ان ذلك ديدنهم
ماضيا ومستقبلا ومحافظة على رؤس الآي وحسبوا ان لا تكون فتنة اي وحسب
بنو اسرائيل ان لا يصيبهم بلاء وعذاب بقتل الانبياء وتكذيبهم وقرأ ابو عمرو و
حمزة والكسائي ويعقوب لا تكون بالرفع على ان ان هي المخففة من الثقيلة واصله انه
لا تكون فتنة وادخال فعل الحسبان عليها وهي للتحقيق تنزيل له منزلة العلم لتمكنه في قلوبهم
وان او ما في حيزها ساد مسد مفعوليه فعموا عن الدين او الدلائل والهدى وصموا
عن استماع الحق كما فعلوا حين عبدوا العجل ثم تاب الله عليهم اي ثم تابوا
فتاب الله عليهم ثم عموا وصموا كرة اخرى وقرئ بالضم فيهما على ان الله عماهم
وصمهم اي رماهم بالعمى والصمم وهو قليل واللغة الفاشية اعمى واصم كثير منهم
بدل من الضمير او فاعل والواو علامة الجمع كقولهم اكلوني البراغيث او خبر مبتدأ محذوف
اي العمي والصم كثير منهم وقيل مبتدأ والجملة قبله خبره وهو ضعيف لان تقدم الخبر
في مثله ممتنع والله بصير بما يعملون فيجازيهم وفق اعمالهم لقد كفر الذين قالوا ان الله
هو المسيح ابن مريم وقال المسيح يا بني اسرائيل اعبدوا الله ربي وربكم
اي اني عبد مربوب مثلكم فاعبدوا خالقي وخالقكم انه من يشرك بالله في عبادته
او فيما يختص به من الصفات والافعال فقد حرم الله عليه الجنة يمنع من دخولها كما
يمنع المحرم عليه من المحرم فانها دار الموحدين ومأواه النار فانها المعدة للمشركين وما للظالمين من انصار

قال المصنف رحمه الله والصابئون رفع على الابتداء وخبره محذوف والنية به التأخير عما في حيز ان كقوله فاني وقيار بها لغريب
ثم قال وخبر ان يكون والنصارى معطوف عليه ومن آمن خبرهما [redacted] خبر ان مقدر دل عليه ما بعده كقوله نحن بما عندنا وانت بما عندك راض
ثم قال ولا يجوز عطفه على محل ان فانه مشروط بالفراغ من الخبر اذ لو عطف عليه قبله اي قبل اخذ ان خبره بكون قوله تعالى من آمن بالله خبر المبتدأ او خبر ان
فاعلم ان عبارة المص في هذا المحل في غاية البلاغة من الايجاز فلتعقده في الاذهان يحتاج الى التفصيل في الفهم والتحقيق فلهذا صورنا
لكل قول صورة الصورة الاولى ان يكون صابئون مرفوعا بالابتداء وخبره محذوف واما خبر ان الذين فقوله من آمن بالله وجملة والصابئون
معطوف على جملة ان الذين لكن هذا العطف قبل ان يتم الجملة الاولى اي جملة ان الذين آمنوا
الصورة الثانية ان يكون صابئون كذلك مبتدأ والنصارى معطوف عليه وقوله ومن آمن خبره واما خبر ان الذين فمقدر دل عليه ما بعده
اي يدل على ذلك المحذوف ما بعده من قوله من آمن بالله واليوم الآخر [redacted] فيكون تقدير الكلام ان الذين آمنوا والذين هادوا
من آمن منهم بالله واليوم الآخر فلا خوف عليهم والصابئون والنصارى اي منهم من آمن بالله واليوم الآخر فلا خوف عليهم
فالخبر الاول محذوف والخبر الثاني مذكور كقول الشاعر نحن [redacted] عندك راض
الصورة الثالثة ان يكون والصابئون [redacted] مبتدأ وجملته معطوف على قوله ان الذين وخبره خبر ان في قوله ان الذين آمنوا
فيكون على هذا من آمن بالله خبرا لهما فلزم ان يكون قوله من آمن بالله خبرا لهما لقوله والصابئون وخبرا لقوله ان الذين آمنوا
فقال قائل هذه الصورة انها مصونة من حذف الخبر وارتكاب العطف قبل تمام الكلام كما في الصورة الاولى وكذلك مصونة
من حذف الخبر كما في الصورة الثانية فرده المصنف بقوله ولا يجوز اي قائلا بان صورتين الاوليين جائزة وان كان فيهما ترك الاولوية
واما الصورة الثالثة فلا يجوز اصلا للزوم عمل العاملين المختلفين في معمول واحد وهو لا يجوز قطعا

على تقدير قوله والصابئون مبتدأ

اما جملة من آمن خبر ان وخبر المبتدأ اي والصابئون محذوف في نية التأخير معطوف على جملة ان الذين وهذا اعني كون خبر ان قوله من آمن مختار عند المص
قال الشيخ انه مختار عند المص لوجهين الاول ان الكلام سيق لبيان حال اهل الكتاب وهو يقتضي ان يكون الخبر المذكور لهم لا للصابئين والثاني ان تقدم ما هو في نية التقديم فيه فائدة وهي الاهتمام ببيان ان الصابئين مع توغلهم في الضلال تقبل توبتهم ليعلم انه تعالى تقبل توبة جميع من تاب

واما جملة من آمن خبر المبتدأ اعني الصابئون وخبر ان محذوف كما نقل عن سيبويه زيد وعمرو قائم فقوله قائم خبر عمرو مبتدأ وخبر قوله زيد محذوف واستدل المص عليه بقوله نحن بما عندنا وانت بما عندك راض فان راض خبر انت والا لقال ولو كان خبر نحن لقيل راضون

على تقدير قوله والصابئون عطف على محل ان قبل اخذ قوله ان خبره يكون والصابئون مبتداء وخبره قوله تعالى من آمن مع ان قوله من آمن خبر ان فهذا لا يجوز لاجتماع العاملين في الخبر المذكور اعني الابتداء وان

على تقدير قوله والصابئون عطف على الضمير في هادوا يلزم ان يكون الصابئون هودا وليس كذلك فهو لا يجوز ايضا

وهنا احتمال آخر وهو ان يكون ان في قوله تعالى ان الذين آمنوا بمعنى نعم فيكون حرف جواب فيقول في اعرابه ان حرف جواب الذين اسم موصول وقوله تعالى من آمن خبره لكن كون ان ههنا بمعنى نعم مردود لان نعم لا يكون الا جوابا للسؤال والا ههنا ليست بجواب للسؤال الخ

حرره الفقير على هذه الصورة اعانة للطلبة الموفق عفا الله لهم في سنة ١١٩٢

أي وما الهما احد ينصرهم من النار بوضع الظاهر موضع المضمر تسجيلا على انهم ظلموا بالاشراك وعدلوا عن طريق الحق وهو يحتمل ان يكون من تمام كلام عيسى وان يكون من كلام الله تنبيها به على انهم قالوا ذلك تعظيما لعيسى وتقربا اليه وهو معاديهم بذلك ومخاصمهم فيه فما ظنك بغيره لقد كفر الذين قالوا ان الله ثالث ثلثة اي احد ثلثة وهو حكاية عما قاله النسطورية والملكانية منهم القائلون بالاقانيم الثلثة وما سبق قول اليعقوبية القائلين بالاتحاد وما من اله الا اله واحد وما في الوجود ذات واجب مستحق للعبادة من حيث انه مبدأ جميع الموجودات الا اله موصوف بالوحدانية متعال عن قبول الشركة ومن مزيدة للاستغراق وان لم ينتهوا عما يقولون ولم يوحدوا ليمسن الذين كفروا منهم عذاب اليم اي ليمسن الذين بقوا منهم على الكفر او ليمسن الذين كفروا من النصارى وضعه موضع ليمسنهم تكريرا للشهادة على كفرهم وتنبيها على ان العذاب على من دام على الكفر ولم ينقلع عنه ولذلك عقبه بقوله افلا يتوبون الى الله ويستغفرونه اي الا يتوبون بالانتهاء عن تلك العقائد والاقوال الزائغة ويستغفرون بالتوحيد والتنزيه عن الاتحاد والحلول بعد هذا التقرير والتهديد والله غفور رحيم يغفر لهم ويمنحهم من فضله ان تابوا وفي هذا الاستفهام تعجب من اصرارهم ما المسيح ابن مريم الا رسول قد خلت من قبله الرسل اي ما هو الا رسول كالرسل قبله خصه الله بآيات كما خصهم بها فان احيى الموتى على يده فقد احيى العصا وجعلها حية تسعى على يد موسى وهو اعجب وان خلقه من غير اب فقد خلق آدم من غير اب وام وهو اغرب وامه صديقة كسائر النساء اللاتي يلازمن الصدق او يصدقن الانبياء كانا يأكلان الطعام ويفتقران اليه افتقار الحيوانات بين انه لا اقصى ما لهما من الكمالات ودل على انه لا يوجب لهما الوهية لان كثيرا من الناس يشاركهما في مثله ثم نبه على نقصهما وذكر ما ينافي الربوبية ويقتضي ان يكونا من عداد المركبات الكائنة الفاسدة ثم عجب ممن يدعي الربوبية لهما مع امثال هذه الادلة الظاهرة فقال انظر كيف نبين لهم الآيات ثم انظر انى يؤفكون كيف يصرفون عن استماع الحق وتأمله وثم لتفاوت ما بين العجبين اي ان بياننا للآيات عجب واعراضهم عنها اعجب قل اتعبدون من دون الله ما لا يملك لكم ضرا ولا نفعا يعني عيسى وهو وان ملك ذلك بتمليك الله اياه لا يملكه من ذاته ولا يملك مثل ما يضر الله به من البلايا والمصائب وما ينفع به من الصحة والسعة وانما قال ما نظرا الى ما هو عليه في ذاته توطئة لنفي القدرة عنه رأسا وتنبيها على انه من هذا الجنس ومن كان له حقيقة تقبل المجانسة والمشاركة فبمعزل عن الالوهية وانما قدم الضر لان التحرز عنه اهم من تحري النفع والله هو السميع العليم بالاقوال والعقائد فيجازي عليها ان خيرا فخير

وان شرا فشر قل يا اهل الكتاب لا تغلوا في دينكم غير الحق اي غلوا باطلا فترفعوا عيسى الى ان تدعوا له الالهية او تضعوه فتزعموا انه لغير رشدة وقيل الخطاب للنصارى خاصة ولا تتبعوا اهواء قوم قد ضلوا من قبل يعني اسلافهم وائمتهم الذين قد ضلوا قبل مبعث محمد عليه السلام في شريعتهم واضلوا كثيرا ممن تابعهم على بدعهم وضلالهم وضلوا عن سواء السبيل عن قصد السبيل الذي هو الاسلام بعد مبعثه لما كذبوه وبغوا عليه وقيل الاول اشارة الى ضلالهم عن مقتضى العقل والثاني اشارة الى ضلالهم عما جاء به الشرع لعن الذين كفروا من بني اسرائيل على لسان داود وعيسى بن مريم اي لعنهم الله في الزبور والانجيل على لسانهما وقيل ان اهل ايلة لما اعتدوا في السبت لعنهم داود فمسخهم الله قردة واصحاب المائدة لما كفروا دعا عليهم عيسى ولعنهم فاصبحوا خنازير وكانوا خمسة آلاف رجل ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون اي ذلك اللعن الشنيع المقتضي للمسخ بسبب عصيانهم واعتدائهم ما حرم عليهم كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه اي لا ينهى بعضهم بعضا عن معاودة منكر فعلوه او عن مثل منكر فعلوه او عن منكر ارادوا فعله وتهيؤوا له او لا ينتهون عنه من قولهم تناهى عن الامر وانتهى عنه اذا امتنع لبئس ما كانوا يفعلون تعجيب من سوء فعلهم مؤكد بالقسم ترى كثيرا منهم من اهل الكتاب يتولون الذين كفروا يوالون المشركين بغضا لرسول الله والمؤمنين لبئس ما قدمت لهم انفسهم اي لبئس شيئا قدموا ليردوا عليه يوم القيامة ان سخط الله عليهم وفي العذاب هم خالدون هو المخصوص بالذم والمعنى موجب سخط الله والخلود في العذاب او علة الذم والمخصوص محذوف اي لبئس شيئا ذلك لانه كسبهم السخط والخلود ولو كانوا يؤمنون بالله والنبي يعني نبيهم وان كانت الآية في المنافقين فالمراد نبينا وما انزل اليه ما اتخذوهم اولياء اذ الايمان يمنع ذلك ولكن كثيرا منهم فاسقون خارجون عن دينهم او متمردون في نفاقهم لتجدن اشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود والذين اشركوا لشدة شكيمتهم وتضاعف كفرهم وانهماكهم في اتباع الهوى وركونهم الى التقليد وبعدهم عن التحقيق وتمرنهم على تكذيب الانبياء ومعاداتهم ولتجدن اقربهم مودة للذين آمنوا الذين قالوا انا نصارى للين جانبهم ورقة قلوبهم وقلة حرصهم على الدنيا وكثرة اهتمامهم بالعلم والعمل واليه اشار بقوله ذلك بان منهم قسيسين ورهبانا وانهم لا يستكبرون عن قبول الحق اذا فهموه او يتواضعون ولا يتكبرون كاليهود وفيه دليل على ان التواضع والاقبال على العلم والعمل والاعراض عن الشهوات محمودة وان كانت في كافر واذا سمعوا ما انزل الى الرسول ترى اعينهم تفيض من الدمع عطف على لا يستكبرون وهو بيان لرقة قلوبهم وشدة

خشيتهم ومسارعتهم لقبول الحق وعدم تأبيهم عنه والفيض انصباب عن امتلاء
فوضع موضع الامتلاء للمبالغة او جعلت اعينهم من فرط البكاء كأنها
تفيض بانفسها مما عرفوا من الحق من الاولى للابتداء والثانية لتبيين ما عرفوا
او للتبعيض فانه بعض الحق والمعنى انهم عرفوا بعض الحق فابكاهم فكيف اذا عرفوا كله
يقولون ربنا امنا بك او بمحمد فاكتبنا مع الشاهدين من الذين شهدوا
بانه حق او بنبوته او من امته الذين هم شهداء على الامم يوم القيمة وما لنا
لا نؤمن بالله وما جاءنا من الحق ونطمع ان يدخلنا ربنا مع القوم الصالحين
استفهام انكار واستبعاد لانتفاء الايمان مع قيام الداعي وهو الطمع في الانخراط
مع الصالحين والدخول في مداخلهم او جواب سائل قال لم امنتم ولا نؤمن حال
من الضمير والعامل ما في اللام من معنى الفعل اي اي شيء حصل لنا غير مؤمنين بالله
اي بوحدانيته فانهم كانوا مثلثين او بكتابه ورسوله فان الايمان بهما
ايمان به حقيقة وذكره توطئة وتعظيما ونطمع عطف على نؤمن او خبر محذوف
والواو للحال اي ونحن نطمع والعامل فيها عامل الاولى مقيدا بها او نؤمن فاثابهم
الله بما قالوا اي عن اعتقاد من قولك هذا قول فلان اي معتقده جنات تجري
من تحتها الانهار خالدين فيها وذلك جزاء المحسنين الذين احسنوا النظر و
العمل او الذين اعتادوا الاحسان في الامور والايات الاربع روي انها
نزلت في النجاشي واصحابه بعث اليه رسول الله صلعم بكتابه فقرأه ثم دعا جعفر بن ابي
طالب والمهاجرين معه واحضر الرهبان والقسيسين فامر جعفرا ان يقرأ عليهم
القران فقرأ سورة مريم فبكوا وامنوا بالقران وقيل نزلت في ثلثين او سبعين
رجلا من قومه وفدوا على رسول الله صلعم فقرأ عليهم سورة يس فبكوا وامنوا
والذين كفروا وكذبوا باياتنا اولئك اصحاب الجحيم عطف التكذيب بايات الله
على الكفر وهو ضرب منه لان القصد الى بيان حال المكذبين وذكرهم في معرض
المصدقين بها جمعا بين الترغيب والترهيب يا ايها الذين امنوا لا تحرموا
طيبات ما احل الله لكم اي ما طاب ولذ منه كانه لما تضمن ما قبله
مدح النصارى على ترهبهم والحث على كسر النفس ورفض الشهوات عقبه
النهي عن الافراط في ذلك والاعتداء عما حده الله بجعل الحلال حراما فقال ولا
تعتدوا ان الله لا يحب المعتدين ويجوز ان يراد به ولا تعتدوا حدود
ما احل لكم الى ما حرم عليكم فتكون الاية ناهية عن تحريم ما احل وتحليل
ما حرم داعية الى القصد بينهما روي ان رسول الله صلعم وصف القيمة لاصحابه
يوما وبالغ في انذارهم فرقوا واجتمعوا في بيت عثمان بن مظعون واتفقوا على
ان لا يزالوا صائمين قائمين وان لا يناموا على الفرش ولا ياكلوا اللحم والودك ولا يقربوا

الطيب والنساء ويرفضوا الدنيا ويلبسوا المسوح ويسيحوا في الارض ويجبوا مذاكيرهم
فبلغ ذلك رسول الله صلعم فقال لهم اني لم اومر بذلك ان لانفسكم عليكم حقا فصوموا
وافطروا وقوموا وناموا فاني اقوم وانام واصوم وافطر واكل اللحم والدسم واتي
النساء فمن رغب عن سنتي فليس مني فنزلت **وكلوا مما رزقكم الله حلالا
طيبا** اي كلوا ما حل لكم وطاب مما رزقكم الله فيكون حلالا مفعول كلوا ومما
حال منه تقدمت عليه لانه نكرة ويجوز ان يكون من ابتدائية متعلقة بكلوا
ويجوز ان يكون مفعولا وحلالا حالا من الموصول او العائد المحذوف او صفة لمصدر
محذوف وعلى الوجوه لو لم يقع الرزق على الحرام لم يكن لذكر الحلال فائدة زائدة
واتقوا الله الذي انتم به مؤمنون لا يؤاخذكم الله باللغو في ايمانكم اللغو
ما يبدو من المرء بلا قصد كقول الرجل لا والله وبلى والله واليه ذهب الشافعي وقيل الحلف
على ما يظن انه كذلك ولم يكن واليه ذهب ابو حنيفة وفي ايمانكم صلة يؤاخذكم او اللغو
لانه مصدر او حال منه **ولكن يؤاخذكم بما عقدتم الايمان** بما وثقتم الايمان
عليه بالقصد والنية والمعنى ولكن يؤاخذكم بما عقدتم اذا حنثتم او بنكث ما عقدتم
فحذف للعلم به وقرا حمزة والكسائي وابن عياش عن عاصم عقدتم بالتخفيف وابن عامر
عاقدتم وهو من فاعل بمعنى فعل **فكفارته** فكفارة نكثه اي الفعلة التي تذهب
اثمه وتستره واستدل بظاهره على جواز التكفير بالمال قبل الحنث وهو عندنا خلافا
للحنفية لقوله عليه السلام من حلف على يمين ورأى غيرها خيرا منها فليكفر عن يمينه
ثم ليأت الذي هو خير **اطعام عشرة مساكين من اوسط ما تطعمون اهليكم**
من اقصده في النوع او القدر وهو مد لكل مسكين عندنا ونصف صاع عند
الحنفية ومحله النصب لانه صفة مفعول محذوف تقديره ان تطعموا عشرة مساكين
طعاما من اوسط ما تطعمون او الرفع على البدل من اطعام واهلون كاتصوبونه وقرئ
اهاليكم بسكون اليا على لغة من يسكنها في الاحوال الثلث كالالف وهو جمع اهلة كالليالي
في جمع ليل والاراضي في جمع ارض وقيل جمع اهلاة **او كسوتهم** عطف على اطعام
او من اوسط ان جعل بدلا وهي ثوب يغطي العورة وقيل ثوب جامع قميص او
رداء او ازار وقرئ بضم الكاف وهو لغة كقدوة وقدوة او كاسوتهم بمعنى او كمثل ما تطعمون
اهليكم اسرافا او تقتيرا تواسون بينهم وبينهم ان لم تطعموهم الاوسط والكاف في محل الرفع
وتقديره او اطعامهم كاسوتهم **او تحرير رقبة** او اعتاق انسان وشرط الشافعي فيه الايمان
قياسا على كفارة القتل ومعنى او ايجاب احدى الخصال الثلث مطلقا وتخيير المكلف في التعيين
فمن لم يجد اي واحدا منها **فصيام ثلثة ايام** فكفارته صيام ثلثة ايام وشرط ابو حنيفة
فيه التتابع لانه قرئ ثلثة ايام متتابعات والشواذ ليست بحجة عندنا اذ لم تثبت
كتابا ولم تتواتر سنة **ذلك** اي المذكور **كفارة ايمانكم اذا حلفتم** اذا حلفتم وحنثتم

[redacted]

قوله وكلوا مما رزقكم الله حلالا طيبا قال قيل
ما وصل الى الشخص حلالا كان او حراما فهو
رزق فما الفائدة في رزقكم الله مع انه مشعر
بان الموجد رزاق غيره وللنا فائدة ذكره
ان نعلم ان الحرام ايضا من رزق الله اذ
لو قيل كلوا حلالا طيبا لم نعلم ان الحرام ايضا
من رزق الله

قوله وتقديره او اطعامهم كاسوتهم زاد لفظ الاطعام بيانا للموصوف الاسم
المدلول عليه بالكاف وبكلي بهذه القراءة كون الاسوة كناية عن الكسوة
للكسوة مع ان العلماء اتفقوا على انها احدى الخصال الثلث المعتبرة
في كفارة اليمين والجواب بان الكسوة استفيدت من السنة وهو بعيد
عطف على اطعام اي فكفارته اطعام عشرة او كسوة تلك العشرة
او على محل من اوسط على ان يجعل من اوسط بدلا من الطعام فانه ح يكون في محل الرفع
فيصح ان يعطف على المرفوع

قوله والاهلون كالارضون اشار به الى جواب ما يقال من ان الاهل اسم والاسم لا يجمع
جمع السلامة بالواو والنون الا عند اجتماع شرط وهي كونه مذكرا وعلما وعاقلا
كزيدون والجواب ان ما ذكرت هو الاصل الا انه قد يعدل عن ذلك الاصل
على الشذوذ كما جمع ارض وسنة على السنين

قوله قياسا على كفارة القتل لان الله تعالى قيد الرقبة فيها بالايمان واطلقها ههنا في كفارة
الظهار والجماع في نهار رمضان والمطلق يحمل على المقيد كما ان الله تعالى قيد الشهادة
بالعدالة في موضع فقال واشهدوا ذوي عدل منكم واطلق في موضع اخر حيث قال
واشهدوا شهيدين من رجالكم ثم العدالة شرط في جميعها حملا للمطلق على المقيد كذلك
ههنا وعند الحنفية يجوز اعتاق الكافرة في جميع الكفارات الا في كفارة القتل ويقولون
المطلق انما يحمل على المقيد اذا اتحدت الحادثة التي وردا فيها

قوله ومعنى ايجاب احدى الخصال الثلث مطلقا وتخيير المكلف في التعيين وهو المعنى
المختار في الواجب المعين المخير فان المختار ان الواجب احد الامور لا على التعيين لا ما ذهب
اليه بعض المعتزلة من ان الواجب الجميع ومعنى الواجب المخير انه لا يجب عليه الاتيان بكل واحد
من هذه الامور الثلثة ولا يجوز له تركها جميعا وهو مخير في الواحد منها فانه يخرج عن العهدة

قوله وقرا اهاليكم بسكون الياء قراءة جعفر الصادق وكان القياس فتح الياء لخفة الفتحة لكنه
شبه الياء بالالف فقدر اعرابها ولم يثقله كما في الكشاف معديكرب لانه ثقل التركيب

قوله وهو جمع اهل يحتمل انه سماع من العرب فيه ومن قال انه اسم جمع اراد انه جمع على
خلاف القياس

وهو مد لكل مسكين الظاهر ان الضمير راجع الى الاوسط في القدر يعني الاوسط منهما
لم يعلم قدره والان يقال الضمير راجع الى متعلق الاوسط اي الاوسط سواء كان
في النوع او القدر وهو المد

لقوله صلى الله عليه وسلم من حلف عن يمين فيه بحث لان دلالة الفاء الجزائية على التعقيب
من غير تراخ ممنوعة وبعد التسليم الواقع في جزاء المجموع الكفارة والاتيان ولا دلالة على الترتيب
بينهما الا يرى ان قوله تعالى اذا نودي للصلاة من يوم الجمعة فاسعوا الى ذكر الله وذروا
البيع لا يقتضي تقديم السعي الى ترك البيع بالاتفاق

قال الشافعي تمليك الطعام قياسا على الكسوة وقال ابو حنيفة اذا اغدى وعشى عشرة
مساكين جاز لان ذكر الطعام ولان الطعام الاول يكون بالتمكين لا بالتمليك ولو اطعم
مسكينا واحدا عشر مرات جاز وقال الشافعي لا يجزي الا اطعام عشرة

[redacted]

يقوم الصيد فان استحصفه اوجب قيمة المقتول لا مثله صورة تقوم الصيد بقيمته في المكان الذي قتل فيه الصيد وقال الشعبي يقوم بقيمة مكة ثم تخير القاتل فقال ان شاء صرف تلك القيمة الى شيء من النعم وان شاء صرفها الى الطعام فيتصدق به كل مسكين بنصف صاع من بر وان شاء صام عن كل نصف صاع يوما وقال القاتل تخير بين ثلثة اشياء ذبح المثل من النعم وتصدق لحمه على مساكين الحرم وان شاء اقوم المثل بالدراهم والدراهم طعاما فيتصدق على مسكين الحرم وان شاء صام

وجزاء مثل بالفتح اخرا مضف بدا القول لان الكلام في بيان ان الجزاء اما هو لا بيان ان نلثية الجزاء قبل

على اضافة المصدر الى المفعول فيكون مثل المقتول خلقة او قيمة على الاختلاف عوضا عنه

وهذه المماثلة باعتبار الخلقة والهيئة عند مالك الخ احتجاجا لقوله تعالى هديا بالغ الكعبة فان الظاهر انه حال مقدرة من الضمير المجرور في قوله تعالى يحكم به صفة لجزاء اي تعقبه جزاء يحكم به مقدرا انه يهدى وهذا صريح في ان ذلك الجزاء الذي يحكم به ذوا عدل يجب ان يكون هديا بالغ الكعبة والقول بان الجزاء هو القيمة التي يشترى بها الهدي المذكور مما يعترف به العرف عند ذلك وايضا قد تظاهرت الروايات عن عمر وغيره وعلي انهم حكموا في جزاء الصيد بالمثل من النعم صورة فحكموا في النعامة ببدنة وفي الضبع بكبش وفي الغزال بانثى من المعز وفي الظبي بشاة وفي الارنب بعنزة وهذا يدل على انهم لم يعتبروا المماثلة في القيمة بل في الصورة وحجة ابو حنيفة بانه لا نزاع في ان الصيد المقتول اذا لم يكن له مثل صورة فانه يضمن بالقيمة فكان المراد بالمثل في هذا الصورة هو القيمة وجب ان يكون المراد به في سائر الصور كذلك لان اللفظ الواحد لا يجوز حمله الا على المعنى الواحد ومعنى بلوغه الكعبة ذبحه في الحرم

هديا الهدي هو ما يهدى الى البيت ويذبح هناك ويفرق لحمه على الفقراء فان ذلك للمهدي وقوام لمعيشة الفقراء ... ولم ... حتى ان ... تبتغي الهدي ... وهو اي الاهداء ... فلا يتعرض له البتة ولا يتعرض صاحبها ايضا كل ذلك ...

واحفظوا ايمانكم بان تضنوا بها ولا تبذلوها لكل امر او بان تبروا فيها ما استطعتم ولم يفت بها خيرا او بان تكفروها اذا حنثتم كذلك اي مثل ذلك البيان يبين الله لكم آياته اعلام شرايعه لعلكم تشكرون نعمة التعليم او نعمة الواجب شكرها فان مثل هذا التبيين يسهل لكم المخرج منه يا ايها الذين آمنوا انما الخمر والميسر والانصاب اي الاصنام التي نصبت للعبادة والازلام سبق تفسيرها رجس قذر تعاف عنه العقول وافراده لانه خبر للخمر وخبر المعطوفات محذوف او لمضاف محذوف كأنه قال انما تعاطي الخمر والميسر من عمل الشيطان لانه مسبب من تسويله وتزيينه فاجتنبوه الضمير للرجس او لما ذكر او للتعاطي لعلكم تفلحون لكي تفلحوا بالاجتناب عنه واعلم انه تعالى اكد تحريم الخمر والميسر في هذه الآية بان صدر الجملة بانما وقرنهما بالاصنام والازلام وسماهما رجسا وجعلهما من عمل الشيطان تنبيها على ان الاشتغال بهما شر بحت او غالب وامر بالاجتناب عن عينهما وجعله سببا يرجى منه الفلاح ثم قرر ذلك بان بين ما فيهما من المفاسد الدنيوية والدينية المقتضية للتحريم فقال انما يريد الشيطان ان يوقع بينكم العداوة والبغضاء في الخمر والميسر ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلوة وانما خصهما باعادة الذكر وشرح ما فيهما من الوبال تنبيها على انهما المقصود بالبيان وذكر الانصاب والازلام للدلالة على انهما مثلهما في الحرمة والشرارة لقوله عليه السلام شارب الخمر كعابد الوثن وخص الصلوة من الذكر بالافراد للتعظيم والاشعار بان الصاد عنها كالصاد عن الايمان من حيث انها عماده والفارق بينه وبين الكفر ثم اعاد الحث على الانتهاء بصيغة الاستفهام مرتبا على ما تقدم من انواع الصوارف فقال فهل انتم منتهون ايذانا بان الامر في المنع والتحذير بلغ الغاية وان الاعذار قد انقطعت واطيعوا الله واطيعوا الرسول فيما امرا به واحذروا عما نهيا عنه او مخالفتهما فان توليتم فاعلموا انما على رسولنا البلاغ المبين اي فاعلموا انكم لم تضروا الرسول بتوليكم فانما عليه البلاغ وقد ادى وانما ضررتم به انفسكم ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا مما لم يحرم عليهم لقوله اذا ما اتقوا وآمنوا وعملوا الصالحات اي اتقوا المحرم وثبتوا على الايمان والاعمال الصالحة ثم اتقوا ما حرم عليهم بعد كالخمر وآمنوا بتحريمه ثم اتقوا ثم استمروا وثبتوا على اتقاء المعاصي واحسنوا اي وتحروا الاعمال الجميلة واشتغلوا بها روي انه لما نزل تحريم الخمر قالت الصحابة يا رسول الله فكيف باخواننا الذين ماتوا وهم يشربون الخمر ويأكلون الميسر فنزلت ويحتمل ان يكون هذا التكرير باعتبار الاوقات الثلثة او باعتبار الحالات الثلث استعمال الانسان التقوى والايمان بينه وبين نفسه وبين الناس وبينه وبين الله ولذلك بدل الايمان بالاحسان في الكرة الثالثة

اشارة الى ما قاله عليه السلام في تفسيره او باعتبار المراتب الثلث المبدأ والوسط والمنتهى
او باعتبار ما يتقى فانه ينبغي ان يترك المحرمات توقيا من العقاب والشبهات تحرزا
عن الوقوع في الحرام وبعض المباحات تحفظا للنفس عن الخسة وتهذيبا لها عن
دنس الطبيعة **والله يحب المحسنين** فلا يؤاخذهم بشيء وفيه ان من فعل ذلك صار
محسنا ومن صار محسنا صار لله تعالى محبوبا **يا ايها الذين امنوا ليبلونكم الله
بشيء من الصيد تناله ايديكم ورماحكم** نزلت في عام الحديبية ابتلاهم الله
بالصيد وكانت الوحوش تغشاهم في رحالهم بحيث يتمكنون من صيدها اخذا بايديهم
وطعنا برماحهم وهم محرمون والتقليل والتحقير في بشيء للتنبيه على انه ليس
من العظايم التي تدحض الاقدام كالابتلاء ببذل الانفس والاموال فمن لم يثبت
عنده كيف يثبت عندما هو اشد منه **ليعلم الله من يخافه بالغيب** ليتميز الخائف
من عقابه وهو غائب منتظر لقوة ايمانه ممن لا يخافه لضعف قلبه وقلة ايمانه فذكر
العلم واراد وقوع المعلوم وظهوره او تعلق العلم **فمن اعتدى بعد ذلك** بعد ذلك الابتلاء
بالصيد **فله عذاب اليم** فالوعيد لاحق به فان من لا يملك جاشه في مثل ذلك ولا يراعي
حكم الله فيه فكيف به فيما تكون النفس اميل اليه واحرص عليه **يا ايها الذين امنوا لا
تقتلوا الصيد وانتم حرم** اي محرمون جمع حرام كرداح وردح ولعله ذكر القتل
دون الذبح والذكوة للتعميم واراد بالصيد ما يوكل لحمه لانه الغالب فيه عرفا ويؤيده
قوله عليه السلام خمس يقتلن في الحل والحرم الحداة والغراب والعقرب والفارة و
الكلب العقور وفي رواية اخرى الحية بدل العقرب مع ما فيه من التنبيه على جواز
قتل كل موذ واختلف في ان هذا النهي هل يلغي حكم الذبح فيلحق مذبوح
المحرم بالميتة ومذبوح الوثني او لا فيكون كالشاة المغصوبة اذا ذبحها الغاصب
ومن قتله منكم متعمدا ذاكرا لاحرامه عالما بانه حرام عليه قتل ما يقتله والاكثر
على ان ذكره ليس لتقييد وجوب الجزاء فان اتلاف العامد والمخطى واحد في ايجاب الضمان
بل لقوله ومن عاد فينتقم الله منه ولان الاية نزلت فيمن تعمد اذ روي انه عن لهم
في عمرة الحديبية حمار وحش فطعنه ابو اليسر برمحه فقتله فنزلت **فجزاء مثل ما
قتل من النعم** برفع الجزاء والمثل قراءة الكوفيين ويعقوب بمعنى فعليه او
فواجبه جزاء يماثل ما قتل من النعم وعليه لا يتعلق الجار بجزاء للفصل بينهما بالصفة
فان متعلق المصدر كالصلة له فلا يوصف ما لم يتم بها وانما يكون صفة وقرأ الباقون
على اضافة المصدر الى المفعول او اقحام المثل كما في قولهم مثلي لا يقول كذا والمعنى فعليه
ان يجزي مثل ما قتل وقرئ فجزاء مثل ما قتل بنصبهما على فليجز جزاء او فعليه ان يجزي
جزاء مماثلا ما قتل وفجزاؤه مثل ما قتل وهذه المماثلة باعتبار الخلقة والهيئة عند
مالك والشافعي والقيمة عند ابي حنيفة وقال يقوم الصيد حيث صيد فان بلغت ثمن هدي

قوله او باعتبار الحالات فان الانسان له ثلث احوال حالة مع نفسه وحالة مع الخلق وحالة مع الحق وينبغي له
ان يلازم التقوى مع اعتبار كل واحد من هذه الاحوال والتقوى والايمان حال كونه في معاملة الخلق وعبادة
الخالق ظاهر واما التقوى والايمان بينه وبين نفسه فهو ان يباشرهما فيما بينه في حال خلوته عن الخلق وفراغه عن
عبادة ربه قال صلى الله عليه وسلم لما سئل عن الاحسان قال الاحسان ان تعبد الله كانك تراه فان لم تكن تراه
فانه يراك [illegible] في هذه الاية الكريمة كلام اخر وهو انه تعالى نفى الجناح عن المؤمنين في تناول ما لم يحرم عليهم
بقوله اذا ما اتقوا وامنوا الاية ومن المعلوم ان انتفاء الجناح في تناول المباحات غير مقيد بشيء من الايمان
والتقوى والاحسان فان شرب الماء مثلا لا جناح فيه سواء وجد احد هذه الامور او لم يوجد شيء منها وانما
الجناح في ترك شيء منها لا في تناول المباح عند انتفاء شيء منها فما الوجه في هذا التقييد وصاحب الكشاف
اشار الى جوابه بقوله والمعنى ان المؤمنين لا جناح عليهم في اي شيء طعموه من المباحات اذا ما اتقوا المحارم
ثم اتقوا وامنوا ثم اتقوا واحسنوا على معنى ان اولئك كانوا على هذه الصفة ثناء عليهم وحمدا لاحوالهم
في الايمان والتقوى والاحسان وحاصل جوابه ان قوله تعالى اذا ما اتقوا وامنوا لم يذكر لتقييد نفي الجناح عنهم
بتحقق هذه الاوصاف بل المقصود منه توصيفهم بتلك الاوصاف السنية مدحا لهم وثناء عليهم وجواب النفي به
الذين قالوا كيف باخواننا الذين ماتوا وهم يشربون الخمر ويأكلون الميسر فقدم بقوله ليس على الذين امنوا وعملوا
الصالحات جناح فيما طعموا من المباحات لانهم اطعموا قبل ان حرمت عليهم وذكر ما بعده لمجرد المدح والثناء عليهم
ولو ذكرت تلك الاوصاف لاشتراط نفي الجناح لما كان لختم الكلام بقوله والله يحب المحسنين وجه   م شيخ زاده

قوله بما لم يحرم عليهم هذا المقيد يستلزم الجناح فيما طعموا من الحلال اذا لم يتقوا من الحرام وليس كذلك بل الجناح
اذا لم يتقوا من الحرام فيما طعموا من الحلال فالوجه ان يقدر الكلام جناح فيما طعموا اذا ما اتقوا في المطعومات
بان يجتنبوا المحرمات والعجب من صاحب الكشاف قدر الكلام على ما قررناه وغيره المصنف الى ما تراه ويمكن
ان يقال مراده بما لم يحرم فيه والمراد بما اذا اتقوا التقوى في المطعومات [illegible] بانهم [illegible]
وبيانه [illegible] الكلام [illegible] ان المؤمنين لا جناح عليهم في المطعومات [illegible] عليهم جناح فيما طعموا مع انهم اتقوا
من الايمان والعمل الصالح [illegible] او العمل الصالح ههنا الترغيب فيه والحث عليه بايهام ان
من الحرام [illegible] ان يقال [illegible] الاية [illegible]   م كاسه رار زاده
من ليس كذلك فعليه جناح في المطعوم وان كان حلالا

اذا ما اتقوا والغاية فيه معنى الكلام المتقدم اي لا يأثمون في ذلك اذا اتقوا المحرمات لانهم شربوا
حين كانت محللة والمراد انه اولئك كانوا على هذه الصفة وهو ثناء عليهم وحمد لاحوالهم في الايمان والتقوى
والاحسان ثم انه سبحانه شرط في نفي الجناح حصول التقوى والايمان مرتين وفي الثالثة التقوى والاحسان
فقال الاكثرون الاول فعل الاتقاء والثاني دوامه والثبات عليه والثالث اتقاء ظلم العباد مع الاحسان اليهم
وقيل الاول اتقاء جميع المعاصي قبل نزول الاية والثاني اتقاء الخمر والميسر وما في هذه الاية والثالث اتقاء
ما يحدث تحريمه بعد هذه الاية وهذا قول الاصم   م خازن

فهل انتم منتهون كانه قيل قد تلي عليكم ما هو كاف في باب المنع فهل انتم مع هذه
الصوارف منتهون ام انتم على ما كنتم عليه كان لم توعظوا ولم تزجروا ولهذا قالوا اي الاصحاب رضوان الله عليهم
انتهينا يا رب اذ نهوا التهم المؤكد   م خيشابوري

١٤٢

قوله تعالى عفا الله عما سلف اى قبل العفو فرع المعصية وهى تحصل باشتغال المحرم بالصيد بعد نزول
اية التحريم فما معنى العفو من قتل الصيد محرما فى الجاهلية او قبل التحريم فلت العفو ههنا مجاز عدم المواخذة
وليس فيه ما يمنع الكفارة على العائد اذ يجوز ان يكون المعنى ينتقم الله منه اذا لم يكفر
من كازرونى
وما سواه من الصوم اى قال العدل والعدل متقاربان لكنه بالفتح فيما يدرك بالبصيرة كالاحكام
وبالكسر ما يدرك بالحواس كالتعديل فالعدل بالفتح هو التقسيم على سواء وبهذا روى
بالعدل قامت السموات تنبيها على انه لو كان ركن من الاركان الاربعة فى العالم زائدا على الاخر
او ناقصا منه على خلاف مقتضى الحكمة لم يكن العالم منتظما وبذا يعنى دقيق بالنظر فيه فحقيق
من شهاب
فينتقم الله منه المراد بالانتقام التعذيب فى الاخرة واما الكفارة فمن عطاء وابراهيم وسعيد
انها واجبة على العائد وعن ابن عباس وشريح انه لا كفارة عليه تعلقا بالظاهر ابو السعود

يخير بين ان يهدى ما قيمته وبين ان يشترى بها طعاما فيعطى كل مسكين نصف صاع من بر
او صاعا من غيره وبين ان يصوم عن طعام كل مسكين يوما وان لم تبلغ تخير بين الاطعام
والصوم واللفظ للاول اوفق يحكم به ذوا عدل منكم صفة جزاء ويحتمل ان يكون
حالا من الضمير فى جزاء او منه اذا اضفته او وصفته وكما ان التقويم يحتاج الى النظر
والاجتهاد تحتاج المماثلة فى الخلقة والهيئة اليهما فان الانواع تتشابه كثيرا وقرئ ذو عدل
على ارادة الجنس او الامام هديا حال من الهاء فى به او من جزاء وان نون لتخصصه
بالصفة او بدل عن مثل باعتبار محله او لفظه فيمن نصبه بالغ الكعبة وصف به
هديا لان اضافته لفظية ومعنى بلوغه الكعبة ذبحه بالحرم والتصدق به ثمة وقال
ابو حنيفة يذبح بالحرم ويتصدق به حيث شاء او كفارة عطف على جزاء ان رفعته
وان نصبته فخبر محذوف طعام مساكين عطف بيان او بدل منه او خبر محذوف اى هى طعام
وقرا نافع وابن عامر كفارة طعام بالاضافة للتبيين كقولك خاتم فضة والمعنى عند
الشافعى او ان يكفر باطعام مساكين ما يساوى قيمة الهدى من غالب قوت البلد فيعطى
كل مسكين مدا او عدل ذلك صياما او ما ساواه من الصوم فيصوم عن طعام كل
مسكين يوما وهو فى الاصل مصدر اطلق للمفعول وقرئ بكسر العين وهو ما عدل بالشئ
فى المقدار كعدلى الحمل وذلك اشارة الى الطعام وصياما تمييز للعدل ليذوق وبال
امره متعلق بمحذوف اى فعليه الجزاء او الطعام او الصوم ليذوق ثقل فعله وسوء
عاقبة هتكه لحرمة الاحرام او الثقل الشديد على مخالفة امر الله واصل الوبل الثقل
ومنه الطعام الوبيل عفا الله عما سلف من قتل الصيد محرما فى الجاهلية او قبل التحريم
او فى هذه المرة ومن عاد الى مثل هذا فينتقم الله منه فهو ينتقم الله منه وليس فيه
ما يمنع الكفارة على العائد كما حكى عن ابن عباس وشريح والله عزيز ذو انتقام ممن
اصر على عصيانه احل لكم صيد البحر ما صيد منه مما لا يعيش الا فى الماء وهو حلال
كله لقوله عليه السلام فى البحر هو الطهور ماؤه الحل ميتته وقال ابو حنيفة لا يحل
منه الا السمك وقيل يحل السمك وما يؤكل نظيره فى البر وطعامه ما قذفه او نضب
عنه وقيل الضمير للصيد وطعامه اكله متاعا لكم تمتيعا لكم نصب على الغرض
وللسيارة اى ولسيارتكم يتزودونه قديدا وحرم عليكم صيد البر اى ما
صيد فيها او الصيد فيه فعلى الاول يحرم على المحرم ايضا ما صاده الحلال وان لم
يكن له فيه مدخل والجمهور على حله لقوله عليه السلام لحم الصيد حلال لكم
ما لم تصطادوه او يصد لكم ما دمتم حرما اى محرمين وقرئ بكسر الدال من
دام يدام واتقوا الله الذى اليه تحشرون جعل الله الكعبة صيرها وانما سمى البيت
الكعبة لتكعبه البيت الحرام عطف بيان على جهة المدح او المفعول الثانى قياما للناس
انتعاشا لهم اى سبب انتعاشهم فى امر معاشهم ومعادهم يلوذ به الخائف ويامن فيه الضعيف

ويربح فيه التجار ويتوجه اليه الحجاج والعمار او ما يقوم به امر دينهم ودنياهم
وقرأ ابن عامر قيما على انه مصدر على فعل كالشبع اعل عينه لما اعل في فعله ونصبه
على المصدر او الحال **والشهر الحرام والهدي والقلائد** سبق تفسيرها والمراد بالشهر الحرام
الذي يؤدى فيه الحج وهو ذو الحجة لانه المناسب لقرنائه وقيل الجنس **ذلك** اشارة
الى الجعل او الى ما ذكر من الامر بحفظ حرمة الاحرام وغيره **لتعلموا ان الله يعلم
ما في السموات وما في الارض** فان شرع الاحكام لدفع المضار قبل وقوعها وجلب
المنافع المترتبة عليها دليل حكمة الشارع وكمال علمه **وان الله بكل شيء عليم**
تعميم بعد تخصيص ومبالغة بعد اطلاق **اعلموا ان الله شديد العقاب وان
الله غفور رحيم** وعيد ووعد لمن انتهك محارمه ولمن حافظ عليها او لمن اصر عليه
ولمن انقلع عنه **ما على الرسول الا البلاغ** تشديد في ايجاب القيام بما امر اي
الرسول اتى بما امر به من التبليغ ولم يبق لكم عذر في التفريط **والله يعلم ما تبدون
وما تكتمون** من تصديق وتكذيب وفعل وعزيمة **قل لا يستوي الخبيث والطيب** حكم عام
في نفي المساواة عند الله بين الرديء من الاشخاص والاعمال والاموال وجيدها رغب
في صالح العمل وحلال المال **ولو اعجبك كثرة الخبيث** فان العبرة بالجودة و
الرداءة دون القلة والكثرة فان المحمود القليل خير من المذموم الكثير والخطاب لكل
معتبر ولذلك قال **فاتقوا الله يا اولي الالباب** اي فاتقوه في تحري الخبيث وان كثر
وآثروا الطيب وان قل **لعلكم تفلحون** راجين ان تبلغوا الفلاح روي انها نزلت
في حجاج اليمامة لما هم المسلمون ان يوقعوا بهم فنهوا عنه وان كانوا مشركين
**يا ايها الذين آمنوا لا تسألوا عن اشياء ان تبد لكم تسؤكم وان تسألوا عنها حين ينزل
القرآن تبد لكم** الشرطية وما عطف عليها صفتان لاشياء والمعنى لا تسألوا رسول
الله عن اشياء ان تظهر لكم تغمكم وان تسألوا عنها في زمان الوحي تظهر لكم وهما كمقدمتين
تنتجان ما يمنع السؤال وهو انه مما يغمهم والعاقل لا يفعل ما يغمه واشياء اسم
جمع كطرفاء غير انه قلبت لامه فجعلت لفعاء وقيل افعلاء حذفت لامه جمع لشيء
على ان اصله شيّء كهيّن او شيء كصديق فخفف وقيل افعال جمع له من غير تغيير
كبيت وابيات ويرده منع صرفه **عفا الله عنها** صفة اخرى اي عن اشياء عفا
الله عنها ولم يكلف بها اذ روي انه لما نزلت ولله على الناس حج البيت قال سراقة بن
مالك أكل عام فاعرض عنه رسول الله حتى اعاد ثلاثا فقال لا ولو قلت نعم لوجبت ولو وجبت
لما استطعتم فاتركوني ما تركتكم فنزلت او استئناف اي عفا الله عما سلف من مسألتكم
فلا تعودوا الى مثلها **والله غفور حليم** لا يعاجلكم بعقوبة ما تفرطون ويعفو عن كثير
وعن ابن عباس انه عليه السلام كان يخطب ذات يوم غضبان من كثرة ما يسألون
عنه مما لا يعنيهم فقال لا اسأل عن شيء الا اجبت فقال رجل اين ابي فقال في النار

وقال الآخر من ابي فقال حذافة وكان يدعى لغيره فنزلت قد سألها قوم الضمير للمسئلة
التي دل عليها لا تسألوا ولذلك لم يعد بعن او للاشياء بحذف الجار من قبلكم متعلق
بسألها وليس صفة لقوم فان ظرف الزمان لا يكون صفة للجثة ولا حالا منها
ولا خبرا عنها ثم اصبحوا بها كافرين اي بسببها حيث لم يأتمروا بما سألوا جحودا ما
جعل الله من بحيرة ولا سائبة ولا وصيلة ولا حام رد وانكار لما ابتدعه اهل الجاهلية وهو
انهم اذا انتجت الناقة خمسة ابطن آخرها ذكر بحروا اذنها اي شقوها وخلوا سبيلها
فلا تركب ولا تحلب وكان الرجل منهم يقول ان شفيت فناقتي سائبة ويجعلها كالبحيرة في
تحريم الانتفاع بها واذا ولدت الشاة انثى فهي لهم وان ولدت ذكرا فهو لآلهتهم
وان ولدتهما وصلت الانثى اخاها فلا يذبح لها الذكر واذا نتجت من صلب الفحل
عشرة ابطن حرموا ظهره ولم يمنعوه من ماء ولا مرعى وقالوا قد حمي ظهره ومعنى ما
جعل ما شرع ووضع ولذلك تعدى الى مفعول واحد وهو البحيرة ومن مزيدة ولكن الذين كفروا
يفترون على الله الكذب بتحريم ذلك ونسبته اليه واكثرهم لا يعقلون اي الحلال من الحرام
او المبيح من المحرم وفيه ان منهم من يعرف بطلان ذلك ولكن يمنعهم حب الرياسة وتقليد
الآباء ان يعترفوا به او لا امر عليهم ملكنهم يقلدون كبارهم واذا قيل لهم تعالوا
الى ما انزل الله والى الرسول قالوا حسبنا ما وجدنا عليه آباءنا بيان لقصور
عقلهم وانهماكهم في التقليد وان لا سند لهم سواه أولو كان آباؤهم لا يعلمون
شيئا ولا يهتدون الواو للحال والهمزة دخلت عليها لانكار الفعل على هذه
الحال اي احسبهم ما وجدوا عليه آباءهم ولو كانوا جهلة ضالين والمعنى ان الاقتداء انما
يصح بمن علم انه عالم مهتد وذلك لا يعرف الا بالحجة فلا يكفي التقليد يا ايها الذين آمنوا عليكم
انفسكم اي احفظوها والزموا اصلاحها والجار والمجرور جعل اسما لالزموا ولذلك نصب
انفسكم وقرئ بالرفع على الابتداء لا يضركم من ضل اذا اهتديتم لا يضركم الضلال
اذا كنتم مهتدين ومن الاهتداء ان ينكر المنكر حسب طاقته كما قال عليه السلام من
رأى منكم منكرا واستطاع ان يغيره بيده فليغيره بيده فان لم يستطع فبلسانه فان لم
يستطع فبقلبه والآية نزلت لما كان المؤمنون يتحسرون على الكفرة ويتمنون ايمانهم
وقيل كان الرجل اذا اسلم قالوا له سفهت آباءك فنزلت ولا يضركم يحتمل
الرفع على انه مستأنف ويؤيده ان قرئ لا يضيركم والجزم على الجواب او النهي
لكنه ضمت الراء اتباعا لضمة الضاد المنقولة اليها من الراء المدغمة وتنصره قراءة من قرأ
لا يضركم بالفتح ولا يضركم بكسر الضاد وضمها من ضاره يضيره ويضوره الى الله مرجعكم جميعا
فينبئكم بما كنتم تعملون وعد ووعيد للفريقين وتنبيه على ان احدا لا يؤاخذ بذنب
غيره يا ايها الذين آمنوا شهادة بينكم اي فيما امرتم شهادة بينكم
والمراد بالشهادة الاشهاد في الوصية واضافتها الى الظرف على الاتساع وقرئ

قوله تعالى شهادة بينكم بالرفع والاضافة الى الظرف توسعا اما باعتبار جريانها بينهم اثنان خبر للمبتدا بتقدير المضاف
اي شهادة بينكم في شهادة اثنين او فاعل شهادة بينكم على ان الوصية من المهمات المورثة التي لا ينبغي
ان يتهاون بها [illegible] على ان خبرها محذوف اي فيما انزل عليكم ان يشهد بينكم
في شهادة اثنين اثنان وقرئ شهادة بالنصب والتنوين على ان عاملها مضمر هو العامل في اثنان ايضا اي
ليقم شهادة بينكم اثنان ذوا عدل منكم اي من اقاربكم لانهم اعلم باحوال الميت وبهما صفتان لاثنان او اخران
عطف على اثنان تابع له فيما ذكر من الخبرية والفاعلية او شهادة اخرين او ان يشهد بينكم اخران
او ليقم شهادة اخران وقوله تعالى من غيركم صفة لاخران اي كائنان من غيركم اي من الاجانب وقيل من اهل الذمة
وعن مكحول انه نسخها قوله تعالى واشهدوا ذوي عدل منكم ان انتم مرفوع بمضمر يفسره ما بعده تقديره ان ضربتم
فلما حذف الفعل انفصل الضمير وذهب الاخفش انه مبتدا بناء على جواز وقوع المبتدا بعد ان الشرطية ضربتم
في الارض اي سافرتم فيها لا محل له من الاعراب عند الاولين لكونه مفسرا او مرفوع على الخبرية عند الاخفش
فاصابتكم مصيبة الموت عطف على الشرط وجوابه محذوف لدلالة ما قبله عليه اي ان سافرتم فقاربكم الاجل
حينئذ وما معكم من الاقارب او من اهل الاسلام فليشهد اخران او فاستشهدوا اخرين او فالشاهدان
اخران كذا قيل والانسب ان يقدر عين ما سبق اي فاذا ان على معنى شهادة بينكم شهادة اخرين او فان يشهد
اخران على الوجه المذكور تحبسونهما استئناف وقع جوابا عما نشأ من اشتراط العدالة كانه قيل فكيف نصنع
ان ارتبنا بالشاهدين فقيل تحبسونهما اي تقفونهما وتصبرونهما للتحليف من بعد الصلوة قيل صفة لاخران
والشرط بجوابه المحذوف اعتراض فائدته الدلالة على ان اللائق اشهادهما الاقارب او اهل الاسلام واما اشهاد الاخرين
فعند الضرورة والمراد بالصلوة صلوة العصر فيقسمان بالله عطف على تحبسونهما وقوله تعالى ان ارتبتم شرطية محذوفة
الجواب لدلالة ما سبق من الحبس والاقسام عليه سيقت من جهته تعالى معترضة بين القسم وجوابه للتنبيه على
اختصاص الحبس والتحليف بحال الارتياب اي ان ارتاب بهما الوارث منكم بخيانة واخذ شيء من التركة
فاحبسوهما وحلفوهما بالله وقوله عز وجل لا نشتري به ثمنا جواب للقسم وليس هذا من قبيل ما اجتمع فيه قسم وشرط
فاكتفي بذكر جواب سابقهما عن جواب الاخر كما هو الواقع غالبا فان ذلك انما يكون عند سد جواب الثاني
مسد جواب اللاحق لاتحاد مضمونهما كما في قولك والله ان اتيتني لاكرمنك ولا ريب في استحالة ذلك ههنا لان
القسم وجوابه كلاهما وقد عرفت ان الشرط من جهته عز وجل والاشتراء هو استبدال السلعة اي اخذها بدلا منه
ثم استعير لاخذ شيء بازالة ما عنده عينا كان او معنى على وجه الرغبة في الماخوذ والضمير في به والمعنى لا ناخذ
لانفسنا بدلا من الله اي من حرمته عرضا من الدنيا بان نهتكها ونزيلها بالحلف الكاذب اي لا نحلف بالله كاذبين
لاجل المال وقال القاضي الضمير للقسم فلا بد من تقدير مضاف اي لا نستبدل بصحة القسم بالله اي لا ناخذ بدلا منها
غرضا من الدنيا ان نزيل عنه وصف الصدق ونصفه بالكذب اي لا نحلف كاذبين ولو كان اي المقسم له المدلول
عليه بفحوى الكلام ذا قربى اي قريبا منا لتاكيد تبرئهم من الحلف كاذبا

ذا قربا

قوله تعالى فاخران يقومان مقامهما من الذين استحق عليهم قال الكشاف اي من الذين استحق عليهم الاثم ومعناه
من الذين جني عليهم وهم اهل الميت وعشيرته وتبعه البيضاوي في تفسيره بقوله اي الذين جني عليهم قال السعد التفتازاني في كشفه والفاضل
قوله اي الذين جني عليهم اشارة الى ان استحقاق الاثم عليه كناية عن هذا المعنى اي معنى قوله جني عليهم
وذلك لان معنى استحق الشيء لاق به ان ينسب اليه كما يقال زيد مستحق للاكرام اي لائق به يعني يليق
ان ينسب اليه الاكرام وان يتصف به لان معنى نسبة الشيء الى الشيء اتصافه به كما ان معنى نسبة الضاربية
الى زيد في قولك زيد ضارب عمرو انما هو اتصاف زيد بضاربية عمرو والجاني الاثم المرتكب له
والمراد بالجاني ههنا الوصيان اي الشاهدان اللذان ارتكبوا اخذ حق الورثة وغدرهم وجنايتهم عليهم بكتم
الاناء من تركة الميت الموصي لهم يليق ان ينسب اليه الاثم يجب اخذهما حق الورثة بغير حق
يليق ان ينسب اليهما الاثم بان يقال انهما اثمان اي متصفان بالاثم فاستحق الاثم في معنى ارتكبه
وجناه يعني فصح ان يقال انهما استحق الاثم اي يليق نسبة الاثم اليهما يعني يليق ان يقال انهما اثمان
واثمهم وجنايتهم ههنا ليس الا على الورثة بكتم حقهم فهما جانيان والورثة هم المجني عليهم كما قال رحمه الله
في الذين استحق عليهم الاثم اي جني عليهم وارتكب الذنب بالقياس اليهم هم الورثة فظهر ان
[redacted]
معنى قوله تعالى من الذين استحق عليهم الاثم من الذين جني عليهم
قوله تعالى فاخران اي فشاهدان اخران من الورثة اي من الذين جني عليهم الشاهدان الاولان
بكتم الاناء وهم من التركة الموروثة لهم فقد تضمن الظاهر ان يكون التضمين في قوله تعالى استحق
تضمين معنى الجناية فيكون المضمن حالا والتقدير استحق الاثم مجنيا عليهم والتضمين عندهم
ان يقصد بلفظ الفعل معناه الحقيقي ويلاحظ معه معنى فعل اخر يناسبه ويدل عليه بذكر شيء
من متعلقات الاخر فهو مستعمل في معناه الحقيقي مع حذف حال ماخوذ من الفعل الاخر اعتمادا على مقام
القرينة اللفظية الدالة على المحذوف كقولك احمد اليك فلانا اي منتهيا اليك حمدي فان معنى الاخر فيه مراد
بلفظ محذوف دل عليه ذكر ما هو من متعلقاته وان الفعل لم يكن صلة [illegible] والمحذوف [illegible] على انه حال
من فاعله فانك لا تقول احمد اليك معنى الانتهاء ودلت عليه بذكر صلته اعني كلمة الى اي احمد منتهيا اليك حمدي
وضمير استحق على هذا الى الاثم يعني على هذا التوجيه ضمير استحق راجع الى الاثم واعلم ان ههنا احتمال اخر
وهو ان الظاهر من قول العلامة التفتازاني ان يكون المراد من قوله لان معنى استحق الشيء لاق به ان ينسب اليه
النسبة الى الاثم بمعنى الوبال وارتكاب الجناية كما فصل سابقا لكن يحتمل ان يكون المراد بالاثم الشيء الماخوذ
الذي هو ههنا الاناء والمقصود الماخوذ من التركة وانت خبير بان هذا الاحتمال بقوله وقد بسط الكلام ههنا
من قال استحق مسند الى الاثم او الى الاناء او الى الايصاء او الوصية انتهى كلامه فعلى هذا يكون معنى الكريمة الذين
لاق ان ينسب اليهم الاثم اي الاناء وفي الواقع انهم منسوبون الى الاناء بنسبة الاضافية لكونه مالهم وحقهم
[illegible] والاناء كذلك منسوب اليهم لكونه اياه لهم ثم قال السعد رحمه الله وانما جاز استحق الاثم
لان اخذه ما يحصل باخذه واثم يسمى اثما كما يسمى ما يوخذ منك بغير حق مظلمة ولذا سمي هذا الماخوذ باسم المصدر
[illegible] وتوضيح الكلام على ما ظهر لي ان يكون
وههنا احتمال اخر ملائم للفهم والقبول وهو ما اختاره الكازروني رحمه الله حيث قال اوجب عليهم الاوليان ان يجردوهما
استحق بمعنى اوجب لانهما استحق الشهادة فكانهما اوجباه والمعنى من الذين اوجب الاوليان [illegible] الاثم كما هو في الاحتمال السابق
للشهادة وهذا على تقدير ان يكون ضمير استحق راجع الى قوله الاوليان [illegible] اوجب عليهم ان [illegible]
وفي الواقع ان [illegible] الجانيان عليهم بكتم حقهم اوجب على الورثة الاوليان ان اوجب [illegible] الاسناد
[illegible] الشاهدان اللذان ظهر بهما اوليان حتى تخلصوا حقهم وقوله فيكون نسبة الايجاب الى الشاهدين اسنادا
مجازيا من قبيل اسناد الفعل الى سببه انتهى يعني ان المستفاد من قوله اوجب عليهم الاوليان يعني ما وجب عليهم ليس الاوليان
ان الواجب عليهم اثباتهما وتجريدهما فاسناد الوجوب الى الاوليان مجاز عن اثباتهما وتجريدهما
فان قلت فما وجه قراءة استحق عليهم الاوليان على البناء للفاعل قلت معناه من الورثة الذين استحق عليهم الاوليان
من بينهم ان يجردوهما للقيام بالشهادة ويظهروا بها كذب الكاذبين [illegible]
[redacted] فاعل استحق والمفعول محذوف وهو ان يجردوهما للشهادة [illegible]
وهما في الحقيقة الاخران اللذان يقومان مقام الاولين على وضع الظاهر موضع المضمر لكن لم يمكن ان يجعل فاعل استحق ضميرا
للافراد الاول [illegible] انهما [illegible] مقام واحد [illegible] الضمير في استحق وجعل الاوليان بدلا منه

قوله على انهما استحقا اثما خيانة اعترفا به بقولهما انا اذا لمن الاثمين اي فعلا ما يوجب اثما من تحليف وكتم

بانه ظهر بايديهما شي من التركة وادعيا استحقاقه قيل له فآخران اي رجلان آخران وهو مبتدأ خبره يقومان مقامهما

وليس المراد بمقامهما مقام اداء الشهادة التي تولياها ولم يؤدياها كما هي بل هو مقام الحبس والتحليف

على الوجه المذكور لاظهار الحق وابرازه فيما ادعيا من استحقاقهما لما في ايديهما من الذين استحق على الفاعل

قراءة ابن عباس رضي الله عنهما اي من اهل الميت الذين استحق عليهم الاوليان منهم اي الاقربان الى الميت

الوارثان له الاحقاق بالشهادة اي باليمين ومفعول استحق محذوف اي استحقا عليهم ان يجردوهما

للقيام بها لانها حقهما ويظهروا به كذب الكاذبين وقرئ على البناء للمفعول وهو الاظهر اي من الذين استحق عليهم

الاثم اي جني عليهم وهم اهل الميت وعشيرته فالاوليان مرفوع على انه خبر محذوف كأنه قيل ومن هما فقيل الاوليان

فيقسمان بالله عطف على يقومان لشهادتنا المراد بالشهادة اليمين كما في قوله تعالى فشهادة احدهم اربع

شهادات بالله اي ليميننا على انهما كاذبان فيما ادعيا من الاستحقاق من تفسير ابو السعود رحمه الله

قوله من الذين جني عليهم قال الكاشف في شرحه ومعناه من الذين جني عليهم فشرحه السعد العلامة رحمه الله بقوله

يشير الى ان استحقاق الاثم كناية عن هذا المعنى انتهى فاعلم اولا ان ههنا ثلثة اشيا الاول المستحقون للاثم

وهم الاثنان اللذان قال الله سبحانه فان عثر على انهما استحقا اثما فاذا كان الاثنان هما من المستحقين للاثم

بمعنى لا يتعين ان ينسب اليهم الاثم كما فصلنا معنى لفظة استحق في شرح كلام السعد فالمشهود عليهم يكونون الذين

استحق عليهم بصنعة المجهول اي من اوقعوا عليهم الاثم وينسب اليهم الاثم فهذا المعنى يستلزم معنى اوقعت عليهم

الخيانة والغدر بكتم الاثنين هما الجانيان حقهم فاذا كان المراد من لفظة استحق هذا المعنى اللازم يصدق كونه من الكناية

اعني الكناية بلفظ اريد به لازم معناه فلذا قال العلامة عليه الرحمة انه كناية عن معنى جني عليهم

قوله من الذين جني عليهم وهم الورثة وصف الورثة بكونهم من الذين استحق عليهم لانه لما اخذ منهم مالهم فقد استحق عليهم مالهم فان من اخذ مال غيره فقد حاول ان يكون تعلقه بذلك المال مستعليا على تعلق مالكه به فصح ان يوصف المالك بانه قد استحق عليه ذلك المال من شيخ زاده

[illegible]

قوله فاخران يقومان مقامهما من الذين استحق عليهم قال الكاشف اي من الذين استحق عليهم الاثم ومعناه من الذين جني عليهم وتبعه البيضاوي في تفسيره بقوله من الذين جني عليهم قال سعد العلامة رحمه الله في شرح معناه وايضاحه قوله عن الذين جني عليهم يشير الى ان استحقاق الاثم عليه كناية عن هذا المعنى اي معنى قوله جني عليهم وذلك لان معنى استحق الشي لاق به ان ينسب اليه تعالى زعم مستحق للاكرام اي لائق به ينبغي ان ينسب الى الاكرام وان يوصف به كما ينبغي نسبة الضاربية الى زيد في قولك زيد ضارب عمرا بناء على ان زيدا هو المتصف بالضاربية والمراد بالجاني ههنا الوصيان اي الاثنان اللذان ارتكبا اخذ حق الورثة وقدرتهم وخيانتهم بكتمهم ما ادى الى الميت الموصي لهم فهو ان تنسب اليه الاثم بسبب اخذ حق الورثة بغير حق فينسب اليهما الاثم بانه تعالى انهما اثما اي اتصفا بالاثم لا ان استحق الاثم في معنى ارتكبه وجناه حتى يصح ان يقال انهما استحقا الاثم اي لاقوا ان ينسب الاثم اليهما واثمهم وخيانتهم ههنا ليس الا على الورثة بكتم حقهم وبتحليف شهادتهم بكتم البعض فهما جانيان اذ الورثة هم المجني عليهم كما قال رحمه الله فالذين استحق عليهم الاثم اي جني عليهم وارتكب الذنب بالقياس اليهم هم الورثة فظهر ان معنى قوله من الذين استحق عليهم الاثم اي من الذين جني عليهم ثم اعلم ان قولك استحق لاق ان ينسب اليه يقيد نسبتهما الى الاثم وقوله بعد ما ليتوا ان ينسب اليهما الاثم يفيد نسبة الاثم اليهما فلا منافاة اذا انسب في قولنا قام زيد نسب القيام الى زيد وكذلك زيد منسوب الى القيام فما قرب رحمه الله بالتفصيل المذكور ظهر ان معنى قوله من الذين استحق عليهم الاثم من الذين جني عليهم على ما صرح الكاشف وتبعه البيضاوي وقوله تعالى فآخران اي فشاهدان آخران من الورثة اي من الذين جنيا عليهم الاثنان بكتم اثمهم وتحليف في الشهادة ففيه تضمين الظاهر ان يكون التضمين في قوله استحق بتضمين معنى الجناية فيكون المضمن حالا والتقدير استحق الاثم مجنيا عليهم والتضمين عندهم ان يقصد بلفظ الفعل معناه الحقيقي ويلاحظ معه معنى فعل آخر يناسبه ويدل عليه بذكر شيء من متعلقات الآخر اعتمادا على القرينة اللفظية الدالة على المحذوف كقولك احمد اليك فلانا اي منهيا اليك حمده فان الفعل المذكور اصل فيه والحمد اي حال منه فافهم فلولا التضمين مع الحمد معنى الانتهاء وذلت عليه بذكر صلته اعني كلمة الى اي احمده منتهيا اليك حمدي وضمير استحق عائد الى الاثم وهذا ما املاه الفقير بكري بعد التعب الكثير وبعد بذل الجهد رحمه الله وستره عيوبه سنة ١٠٩٣

من الذين جني عليهم وهم الورثة وصف الورثة بكونهم من الذين استحق عليهم لانه لما اخذ منهم مالهم فقد استحق عليهم مالهم فان من اخذ مال غيره فقد حاول ان يكون تعلقه بذلك المال مستعليا على تعلق مالكه به فصح ان يوصف المالك بانه قد استحق عليه ذلك المال من شيخ زاده

شهادةٌ بالنصب والتنوين ليقم إذا حضر أحدكم الموت إذا شارفه وظهرت أماراته
وهو ظرف الشهادة حين الوصية بدل منه وفي إبداله تنبيه على أن الوصية مما ينبغي
أن لا يتهاون فيها أو ظرف حضر اثنان فاعل شهادة ويجوز أن يكون خبرها على
حذف المضاف ذوا عدل منكم من أقاربكم أو من المسلمين وهما صفتان
لاثنين أو آخران من غيركم عطف على اثنان ومن فسر الغير بأهل الذمة
جعله منسوخا فإن شهادته على المسلم لا تسمع إجماعا إن أنتم ضربتم في الأرض أي
سافرتم فيها فأصابتكم مصيبة الموت أي قاربتم الأجل تحبسونهما تقفونهما
وتصبرونهما صفة لآخران والشرط بجوابه المحذوف المدلول عليه بقوله أو آخران
من غيركم اعتراض فائدته الدلالة على أنه ينبغي أن يشهد اثنان منكم فإن تعذر
كما في السفر فمن غيركم أو استئناف كأنه قيل كيف نعمل إن ارتبنا بالشاهدين
فقال تحبسونهما من بعد الصلوة صلوة العصر لأنه وقت اجتماع الناس وتصادم
ملائكة الليل وملائكة النهار وقيل أي صلوة فيقسمان بالله إن ارتبتم أي
إن ارتاب الوارث منكم لا نشتري به ثمنا مقسم عليه وإن ارتبتم اعتراض يفيد اختصاص
القسم بحال الارتياب والمعنى لا نستبدل بالقسم أو بالله عرضا من الدنيا أي لا نحلف
بالله كاذبا للطمع ولو كان ذا قربى ولو كان المقسم له قريبا منا وجوابه أيضا محذوف
أي لا نشتري ولا نكتم شهادة الله أي الشهادة التي أمرنا بإقامتها وعن الشعبي
أنه وقف على شهادة ثم ابتدأ آلله بالمد على حذف حرف القسم وتعويض الاستفهام
منه وروي عنه بغير مد كقولهم الله لأفعلن إنا إذا لمن الآثمين أي إن كتمنا وقرئ
لملاثمين بحذف الهمزة وإلقاء حركتها على اللام وإدغام النون فيها فإن عثر فإن اطلع
على أنهما استحقا إثما أي فعلا ما أوجب إثما كتحريف فآخران فشاهدان آخران يقومان
مقامهما من الذين استحق عليهم من الذين جني عليهم وهم الورثة وقرأ
حفص استحق على البناء للفاعل وهو الأوليان الأحقان بالشهادة لقرابتهما
ومعرفتهما وهو خبر محذوف أي هما الأوليان أو خبر آخران أو مبتدأ خبره آخران
أو بدل منهما أو من الضمير في يقومان وقرأ حمزة ويعقوب وأبو بكر عن عاصم الأولين
على أنه صفة للذين أو بدل منه أي من الأولين الذين استحق عليهم وقرئ الأولين
على التثنية وانتصابه على المدح والأولان وإعرابه إعراب الأوليان فيقسمان
بالله لشهادتنا أحق من شهادتهما أصدق منها وأولى بأن تقبل وما اعتدينا وما
تجاوزنا فيها الحق إنا إذا لمن الظالمين الواضعين الباطل موضع الحق أو الظالمين
أنفسهم إن اعتدينا ومعنى الآيتين أن المحتضر إذا أراد الوصية ينبغي أن يشهد عدلين من
ذوي نسبه أو دينه على وصيته أو يوصي إليهما احتياطا فإن لم يجدهما بأن كان في سفر
فآخران من غيرهم ثم إن وقع نزاع وارتياب أقسما على صدق ما يقولان بالتغليظ

تعليق

قوله تعالى فإن عثر على أنهما استحقا إثما أي فعلا ما أوجب إثما كتحريف فآخران فشاهدان آخران يقومان مقامهما من الذين استحق عليهم من الذين جني عليهم وهم الورثة
قوله وهو الأوليان [redacted] الضمير راجع إلى قوله للفاعل والمعنى من الورثة الذين استحق عليهم
الأوليان من بينهم بالشهادة أن يجردوهما للقيام بالشهادة ويظهروا بهما كذب الكاذبين كذا في الكشاف
فالأوليان فاعل استحق وأن يجردوهما مفعوله وتوضيح الكلام على ما ظهر لي والله أعلم أن يقال
استحق بمعنى أوجب لأنهما إذا استحقا الشهادة فكأنهما أوجباها والمعنى من الذين أوجب عليهم
الأوليان أن يجردوهما للشهادة فيكون نسبة الإيجاب إلى الشاهدين إسنادا مجازيا من قبيل
إسناد الفعل إلى سببه قوله من الذين استحق عليهم أي من الذين استحق عليهم الإثم
لكون هذا كناية عنهما جني عليهم لأن قوله استحقا إثما يؤدي معنى جنيا على الورثة بسبب تحريفهم
الشهادة فيكون الورثة مجنيا عليهم والمعنى الخفي من الذين استحق الإثم الجاني فيهم فيكون عليهم
متعلقا بمقدر مفهوم من الكلام ولأجل خفاء الآية احتيج إلى التقديرات ولذا قال الإمام اتفق
المفسرون على أن هذه الآية في غاية الصعوبة إعرابا وحكما
قوله تعالى فإن عثر فإن اطلع على أنهما استحقا إثما أي فعلا ما أوجب إثما واستوجبا أن يقال إنهما لمن الآثمين فآخران
فشاهدان آخران يقومان مقامهما من الذين استحق عليهم أي من الذين استحق عليهم الإثم ومعناه من الذين جني
عليهم [redacted] وهم أهل الميت وعشيرته كذا في الكشاف قوله ومعناه من الذين
جني عليهم يشير إلى أن استحقاق الإثم عليهم كناية عن هذا المعنى وذلك أن معنى استحق الشيء لاق به
أن يجب له والجاني الإثم المرتكب له يليق أن يجب له الإثم فاستحق الإثم لي بمعنى ارتكبه وجناه وقالوا
استحق عليهم الإثم أي جني عليهم وارتكب الذنب بالقياس إليهم هم الورثة فيه تضمين وضمير استحق
عائد إلى الإثم وقد أسقطوا فيها الكلام وأكثروا إسناد إلى الإثم على طريق المثل كله والتضمين بقوله ومعناه
من الذين جني عليهم وذلك لأن قوله فإن عثر على قوله إنا إذا لمن الآثمين أن المعنى إن كتمنا الحق كنا من الجانين
ثم إن اطلع على أنهما جانيا وجنيا على المشهود عليه واستحقا إثما كذلك فآخران يقومان مقامهما بالشهادة
فكأن من قوله جانيا وجنيا لقوله استحقا إثما ينبئ كل الكلام السابق وهو إنا إذا لمن الآثمين ولذا قيل
فاستوجبا أن يقال إنهما لمن الآثمين ثم عبر عن المشهود عليهم بقوله استحق عليهم الإثم ليشاكل التعبير عن الجانيين
بأنهما استحقا الإثم قوله فإن قلت فما وجه قراءة استحق عليهم الأوليان على البناء للفاعل قلت معناه
من الورثة الذين استحق عليهم الأوليان من بينهم أن يجردوهما للقيام بالشهادة ويظهروا بهما كذب الكاذبين
قوله معناه ومن الورثة يعني أن الأوليان فاعل استحق والمفعول محذوف وهو أن يجردوهما
للشهادة أي يكشف عن أولوية شهادتهما وهما في الحقيقة الآخران اللذان يقومان مقام الأولين على وضع
الظاهر موضع المضمر لكن لم يمكن أن يجعل فاعل استحق ضمير الآخران لا لإفراد الآخرين فقال إنهما لما في مقام واحد
أفرد الضمير في استحق وجعل الأوليان بدلا منه سعد الدين العلامة

في الوقت فإن اطلع على أنهما كذبا بأمارة ومظنة حلف آخران من أولياء الميت والحكم منسوخ
إن كان الاثنان شاهدين فإنه لا يحلف الشاهد ولا يعارض يمينه بيمين الوارث
وثابت إن كانا وصيين ورد اليمين إلى الورثة إما لظهور خيانة الوصيين فإن
تصديق الوصي باليمين لأمانته أو لتغير الدعوى إذ روي أن تميما الداري وعدي
بن يزيد خرجا إلى الشام للتجارة وكانا حينئذ نصرانيين ومعهما بديل مولى عمرو بن العاص
وكان مسلما فلما قدموا الشام مرض بديل فدون ما معه في صحيفة وطرحها في
متاعه ولم يخبرهما به وأوصى إليهما بأن يدفعا متاعه إلى أهله ومات ففتشاه وأخذا
منه إناء من فضة فيه ثلاثمائة مثقال منقوشا بالذهب فغيباه فأصاب أهله الصحيفة
فطالبوهما بالإناء فجحدا فترافعوا إلى رسول الله صلعم فنزلت يا أيها الذين آمنوا الآية
فحلفهما رسول الله صلعم بعد صلوة العصر عند المنبر وخلى سبيلهما ثم وجد الإناء في
أيديهما فأتاهم بنو سهم في ذلك فقالا قد اشتريناه منه ولكن لم يكن لنا عليه بينة
فكرهنا أن نقر به فرفعوهما إلى رسول الله صلعم فنزلت فإن عثر فقام عمرو بن العاص
والمطلب بن أبي وداعة السهميان وحلفا لعل تخصيص العدد لخصوص الواقعة
ذلك أي الحكم الذي تقدم أو تحليف الشاهد أدنى أن يأتوا بالشهادة على وجهها
على نحو ما حملوها من غير تحريف وخيانة فيها أو يخافوا أن ترد أيمان بعد أيمانهم
أن ترد اليمين على المدعين بعد أيمانهم فيفتضحوا بظهور الخيانة واليمين الكاذبة
وإنما جمع الضمير لأنه حكم يعم الشهود كلهم واتقوا الله واسمعوا ما توصون به سمع
إجابة والله لا يهدي القوم الفاسقين أي فإن لم تتقوا ولم تسمعوا كنتم قوما فاسقين
والله لا يهدي القوم الفاسقين أي لا يهديهم إلى حجة أو إلى طريق الجنة قوله يوم
يجمع الله الرسل ظرف له وقيل بدل من مفعول واتقوا بدل الاشتمال أو مفعول
واسمعوا على حذف المضاف أي واسمعوا خبر يوم جمعهم أو منصوب بإضمار اذكر
فيقول أي للرسل ماذا أجبتم أي إجابة أجبتم على أن ماذا في موضع المصدر
أو بأي شيء أجبتم فحذف الجار وهذا السؤال لتوبيخ قومهم كما أن سؤال
الموؤدة لتوبيخ الوائد ولذلك قالوا لا علم لنا أي لا علم لنا بما
لست تعلمه إنك أنت علام الغيوب فتعلم ما نعلمه مما أجابونا وأظهروا لنا وما
لم نعلمه مما أضمروا في قلوبهم وفيه التشكي منهم ورد الأمر إلى علمه بما كابدوا منهم
وقيل المعنى لا علم لنا إلى جنب علمك أو لا علم لنا بما أحدثوا بعدنا وإنما الحكم للخاتمة
وقرئ علام بالنصب على أن الكلام قد تم بقوله إنك أنت أي إنك الموصوف بصفاتك
المعروفة وعلام منصوب على الاختصاص أو النداء إذ قال الله يا عيسى ابن مريم
اذكر نعمتي عليك وعلى والدتك بدل من يوم يجمع وهو على طريقة ونادى أصحاب
الجنة والمعنى أنه تعالى يوبخ الكفرة يومئذ بسؤال الرسل عن إجابتهم وتعديد ما

ما أظهر عليهم من الآيات فكذبتهم طائفة وسموهم سحرة وغلا آخرون فاتخذوهم آلهة
أو نصب بإضمار اذكر إذ أيدتك ظرف نعمتي أو حال منه وقرئ أيدتك
بروح القدس بجبريل عليه السلام أو بالكلام الذي يحيى به الدين أو النفس حياة أبدية
وتطهر من الآثام ويؤيده قوله تكلم الناس في المهد وكهلا أي كائنا في المهد
والمعنى تكلمهم في الطفولة والكهولة على سواء والمعنى إلحاق حاله في الطفولية
بحال الكهولة في كمال العقل والتكلم وبه استدل على أنه سينزل فإنه رفع قبل
أن اكتهل وإذ علمتك الكتاب والحكمة والتوراة والإنجيل وإذ تخلق
من الطين كهيئة الطير بإذني فتنفخ فيها فتكون طيرا بإذني وتبرئ الأكمه والأبرص
بإذني وإذ تخرج الموتى بإذني سبق تفسيره في سورة آل عمران وقرأ نافع ويعقوب طائرا
ويحتمل الإفراد والجمع كالباقر وإذ كففت بني إسرائيل عنك يعني اليهود حين هموا بقتله إذ
جئتهم بالبينات ظرف لكففت فقال الذين كفروا منهم إن هذا إلا سحر مبين أي ما هذا الذي
جئت به إلا سحر وقرأ حمزة والكسائي إلا ساحر فالإشارة إلى عيسى وإذ أوحيت إلى الحواريين
أي أمرتهم على ألسنة رسلي أن آمنوا بي وبرسولي يجوز أن تكون أن مصدرية وأن تكون
مفسرة قالوا آمنا واشهد بأننا مسلمون مخلصون إذ قال الحواريون يا عيسى ابن
مريم منصوب باذكر أو ظرف لقالوا فيكون تنبيها على أن ادعاءهم الإخلاص مع قولهم
هل يستطيع ربك أن ينزل علينا مائدة من السماء لم يكن بعد عن تحقيق واستحكام
معرفة وقيل هذه الاستطاعة على ما تقتضيه الحكمة والإرادة لا على ما تقتضيه القدرة
وقيل المعنى هل يطيع ربك أي هل يجيبك واستطاع بمعنى أطاع كاستجاب وأجاب
وقرأ الكسائي هل تستطيع ربك أي سؤال ربك والمعنى هل تسأله ذلك من غير صارف
والمائدة الخوان إذا كان عليه الطعام من ماد الماء يميد إذا تحرك أو من ماده إذا أعطاه
كأنها تميد من تقدم إليه ونظيرها قولهم شجرة مطعمة قال اتقوا الله من أمثال هذا
السؤال إن كنتم مؤمنين بكمال قدرته وصحة نبوتي أو صدقتم في ادعاء الإيمان
قالوا نريد أن نأكل منها تمهيد عذر وبيان لما دعاهم إلى السؤال وهو أن يتمتعوا بالأكل
منها وتطمئن قلوبنا بانضمام علم المشاهدة إلى علم الاستدلال بكمال قدرته ونعلم
أن قد صدقتنا في ادعاء النبوة أو أن الله يجيب دعوتنا ونكون عليها من الشاهدين
إذا استشهدتنا أو من الشاهدين للعين دون السامعين للخبر قال عيسى ابن مريم لما رأى
أن لهم غرضا صحيحا في ذلك أو أنهم لا يقلعون عنه وأراد إلزامهم الحجة بكمالها
اللهم ربنا أنزل علينا مائدة من السماء تكون لنا عيدا أي يكون يوم نزولها
عيدا نعظمه وقيل العيد السرور العائد ولذلك سمي يوم العيد عيدا وقرئ تكن
على جواب الأمر لأولنا وآخرنا بدل من لنا بإعادة العامل أي عيدا لمتقدمينا و
متأخرينا روي أنها نزلت يوم الأحد فلذلك اتخذه النصارى عيدا وقيل يأكل منها

أولنا وآخرنا وقرئ لأولانا وأخرانا بمعنى الأمة أو الطائفة وآية منك عطف على عيداً ومنك صفة لها أي آية كائنة منك دالة على كمال قدرتك وصحة نبوتي وارزقنا المائدة والشكر عليها وأنت خير الرازقين خير من يرزق لأنه خالق الرزق ومعطيه بلا عوض قال الله إني منزلها عليكم إجابة إلى سؤالكم فمن يكفر بعد منكم فإني أعذبه عذاباً أي تعذيباً ويجوز أن يجعل مفعولاً به على السعة لا أعذبه أحداً الضمير للمصدر أو للعذاب إن أريد به ما يعذب به على حذف حرف الجر أحداً من العالمين أي من عالمي زمانهم أو العالمين مطلقاً فإنهم مسخوا قردة وخنازير ولم يعذب بمثل ذلك غيرهم روي أنها نزلت سفرة حمراء بين غمامتين وهم ينظرون إليها حتى سقطت بين أيديهم فبكى عيسى وقال اللهم اجعلني من الشاكرين اللهم اجعلها رحمة ولا تجعلها مثلة وعقوبة ثم قام فتوضأ وصلى وبكى ثم كشف المنديل وقال بسم الله خير الرازقين فإذا سمكة مشوية بلا فلوس ولا شوك تسيل دسماً وعند رأسها ملح وعند ذنبها خل وحولها من ألوان البقول ما خلا الكراث وإذا خمسة أرغفة على واحد منها زيتون وعلى الثاني عسل وعلى الثالث سمن وعلى الرابع جبن وعلى الخامس قديد فقال شمعون يا روح الله أمن طعام الدنيا أم من طعام الآخرة قال ليس منهما ولكن اخترعه الله بقدرته كلوا ما سألتم واشكروا يمددكم الله ويزدكم من فضله فقالوا يا روح الله لو أريتنا من هذه الآية آية أخرى فقال يا سمكة احيي بإذن الله فاضطربت ثم قال لها عودي كما كنت فعادت مشوية ثم طارت المائدة ثم عصوا بعدها فمسخوا وقيل كانت تأتيهم أربعين يوماً فيجتمع عليها الفقراء والأغنياء والصغار والكبار يأكلون حتى إذا فاء الفيء طارت وهم ينظرون في ظلها ولم يأكل منها فقير إلا غني مدة عمره ولا مريض إلا برئ ولم يمرض أبداً ثم أوحى الله إلى عيسى أن اجعل مائدتي في الفقراء والمرضى دون الأغنياء والأصحاء فاضطرب الناس لذلك فمسخ منهم ثلاثمائة وثلاثون رجلاً وقيل لما وعد إنزالها بهذه الشريطة استعفوا وقالوا لا نريد فلم تنزل وعن مجاهد أنه مثل ضربه الله لمقترحي المعجزات وعن بعض الصوفية المائدة ههنا عبارة عن حقائق المعارف فإنها غذاء الروح كما أن الأطعمة غذاء البدن وعلى هذا فلعل الحال أنهم رغبوا في حقائق لم يستعدوا للوقوف عليها فقال لهم عيسى إن حصلتم الإيمان فاستعملوا التقوى حتى تتمكنوا من الاطلاع عليها فلم يقلعوا عن السؤال وألحوا فيه فسأل لأجل اقتراحهم فبين الله تعالى أن إنزاله سهل ولكن فيه خطر وخوف عاقبة فإن السالك إذا انكشف له ما هو أعلى من مقامه لعله لا يحتمله ولا يستقر له فيضل به ضلالاً بعيداً وإذ قال الله يا عيسى ابن مريم أأنت قلت للناس اتخذوني وأمي إلهين من دون الله يريد به توبيخ الكفرة وتبكيتهم ومن دون الله صفة لإلهين أو صلة اتخذوني ومعنى دون

إما المغايرة فيكون فيه تنبيه على أن عبادة الله مع عبادة غيره كلا عبادة فمن عبده مع عبادتهما كأنه عبدهما ولم يعبده أو القصور فإنهم لم يعتقدوا أنهما مستقلان باستحقاق العبادة وإنما زعموا أن عبادتهما توصل إلى عبادة الله وكأنه قيل اتخذوني وأمي إلهين متوصلين بنا إلى الله قال سبحانك أي أنزهك تنزيهاً من أن يكون لك شريك ما يكون لي أن أقول ما ليس لي بحق ما ينبغي لي أن أقول قولاً لا يحق لي أن أقوله إن كنت قلته فقد علمته تعلم ما في نفسي ولا أعلم ما في نفسك تعلم ما أخفيه في نفسي كما تعلم ما أعلنه ولا أعلم ما تخفيه من معلوماتك وقوله في نفسك للمشاكلة وقيل المراد بالنفس الذات إنك أنت علام الغيوب تقرير للجملتين باعتبار منطوقه ومفهومه ما قلت لهم إلا ما أمرتني به تصريح بنفي المستفهم عنه بعد تقديم ما يدل عليه أن اعبدوا الله ربي وربكم عطف بيان للضمير في به أو بدل منه وليس من شرط البدل جواز طرح المبدل مطلقاً ليلزم منه بقاء الموصول بلا راجع أو خبر مضمر أو مفعوله مثل هو أو أعني ولا يجوز إبداله من ما أمرتني به فإن المصدر لا يكون مفعول القول ولا أن تكون مفسرة لأن الأمر مسند إلى الله وهو لا يقول اعبدوا الله ربي وربكم والقول لا يفسر بل الجملة تحكى بعده إلا أن يؤول القول بالأمر فكأنه قيل ما أمرتهم إلا ما أمرتني به أن اعبدوا الله وكنت عليهم شهيداً ما دمت فيهم أي رقيباً عليهم أمنعهم أن يقولوا ذلك ويعتقدوه أو مشاهداً لأحوالهم من كفر وإيمان فلما توفيتني بالرفع إلى السماء لقوله إني متوفيك ورافعك إلي والتوفي أخذ الشيء وافياً والموت نوع منه قال الله تعالى الله يتوفى الأنفس حين موتها والتي لم تمت في منامها كنت أنت الرقيب عليهم المراقب لأحوالهم فتمنع من أردت عصمته من القول به بالإرشاد إلى الدلائل والتنبيه عليها بإرسال الرسل وإنزال الآيات وأنت على كل شيء شهيد مطلع عليه مراقب له إن تعذبهم فإنهم عبادك أي إن تعذبهم فإنك تعذب عبادك فلا اعتراض على المالك المطلق فيما يفعل بملكه وفيه تنبيه على أنهم استحقوا ذلك لأنهم عبادك وقد عبدوا غيرك وإن تغفر لهم فإنك أنت العزيز الحكيم فلا عجز ولا استقباح فإنك القادر على الثواب والعقاب الحكيم الذي لا يثيب ولا يعاقب إلا عن حكمة وصواب فإن المغفرة مستحسنة لكل مجرم فإن عذبت فعدل وإن غفرت ففضل وعدم غفران الشرك مقتضى الوعيد فلا امتناع فيه لذاته ليمتنع الترديد والتعليق بإن قال الله هذا يوم ينفع الصادقين صدقهم وقرأ نافع يوم بالنصب على أنه ظرف لقال وخبر هذا محذوف أو ظرف مستقر وقع خبراً والمعنى هذا الذي من كلام عيسى واقع يوم ينفع وقيل إنه خبر ولكن بني على الفتح لإضافته إلى الفعل وليس بصحيح لأن المضاف إليه معرب والمراد بالصدق الصدق في الدنيا فإن النافع ما كان حال التكليف لهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها أبداً رضي الله عنهم ورضوا عنه ذلك الفوز العظيم بيان للنفع لله ملك السموات والأرض وما فيهن وهو على كل شيء قدير

تنبيه على كذب النصارى وفساد دعويهم في المسيح وامه وانما لم يقل ومن فيهن تغليبا
للعقلاء وقال وما فيهن اتباعا لهم غير اولي العقل وغاية القصور على معنى الربوبية
والنزول عن رتبة العبودية واهانة بهم وتنبيها على المجانسة المنافية للالوهية
ولان ما يطلق متناولا للاجناس كلها فهو اولى بارادة العموم عن النبي صلعم من قرأ
سورة المائدة اعطي من الاجر عشر حسنات ومحي عنه عشر سيئات ورفع له عشر درجات
بعدد كل يهودي ونصراني يتنفس في الدنيا

سورة الانعام مكية غير ست آيات او ثلث
من قوله تعالى قل تعالوا وهي مائة وخمس وستون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي خلق السموات والارض اخبر بانه تعالى حقيق بالحمد ونبه على انه
المستحق له على هذه النعم الجسام حمد او لم يحمد ليكون حجة على الذين هم بربهم يعدلون
وجمع السموات دون الارض وهي مثلهن لان طبقاتها مختلفة بالذات متفاوتة الآثار
والحركات وقدمها لشرفها وعلو مكانها وتقدم وجودها وجعل الظلمات والنور
انشأهما والفرق بين خلق وجعل الذي له مفعول واحد ان الخلق فيه معنى
التقدير والجعل فيه معنى التضمين ولذلك عبر عن احداث النور والظلمة بالجعل تنبيها
على انهما لا يقومان بانفسهما كما زعمت الثنوية وجمع الظلمات لكثرة اسبابها والاجرام
الحاملة لها او لان المراد بالظلمة الضلال وبالنور الهدى والهدى واحد والضلال متعدد
وتقديمها لتقدم الاعدام على الملكات ومن زعم ان الظلمة عرض يضاد النور احتج
بهذه الآية ولم يعلم ان عدم الملكة كالعمى ليس صرف العدم حتى لا يتعلق به الجعل
ثم الذين كفروا بربهم يعدلون عطف على قوله الحمد لله على معنى ان الله حقيق
بالحمد على ما خلقه نعمة على العباد ثم الذين كفروا به يعدلون فيكفرون نعمته ويكون
بربهم تنبيها على انه خلق هذه الاشياء اسبابا لتكونهم وتعيشهم فمن حقه ان يحمد عليها
ولا يكفر او على قوله خلق على معنى انه خلق ما لا يقدر عليه احد سواه ثم هم يعدلون
به ما لا يقدر على شيء منه ومعنى ثم استبعاد عدولهم بعد هذا البيان والباء على
الاول متعلقة بكفروا وصلة يعدلون محذوفة اي يعدلون عنه ليقع الانكار
على نفس الفعل وعلى الثاني متعلقة بيعدلون والمعنى ان الكفار يعدلون بربهم
الاوثان اي يسوونها به هو الذي خلقكم من طين اي ابتدأ خلقكم منه فانه
المادة الاولى وان آدم الذي هو اصل البشر خلق منه او خلق اباكم فحذف المضاف
ثم قضى اجلا اجل الموت واجل مسمى عنده اجل القيامة وقيل الاول ما بين
الخلق والموت والثاني ما بين الموت والبعث فان الاجل كما يطلق لآخر المدة
يطلق لجملتها وقيل الاول النوم والثاني الموت وقيل الاول لمن مضى والثاني لمن
بقي ولمن يأتي واجل نكرة خصصت بالصفة ولذلك استغنى عن تقديم الخبر والاستئناف
به لتعظيمه ولذلك نكر ووصف بانه مسمى اي مثبت معين لا يقبل التغير واخبر عنه

قوله تعالى الحمد لله لتعليق الحمد المعرّف بلام الحقيقة اولاً باسم الذات الذي عليه يدور كافة ما يوجبه من صفات الكمال واليه يؤول جميع نعوت الجلال والكمال للايذان بانه عز وجل هو المستحق له بذاته لاقتضاء اختصاص الحقيقة به سبحانه لانحصار جميع افرادها عليه بالطريق البرهاني وصفته ثانياً بما ينبئ عن تفصيل بعض موجباته المنتظمة في سلك الاجمال من عظيم الآثار وجلائل الافعال من قوله عز وجل الذي خلق السموات والارض للتنبيه على استحقاقه تعالى له واستقلاله به باعتبار افعاله العظام والائه الجسام ايضاً وتخصيص خلقهما بالذكر لاشتمالهما على جملة الآثار العلوية والسفلية وعامة الآلاء الجلية والخفية التي اجلها نعمة الوجود الكافية في ايجاب حمده تعالى على كل موجود فكيف بما يتفرع عليها من فنون النعم الانفسية والآفاقية المنوطة بها مصالح العباد في المعاش والمعاد اي انشأهما على ما هما عليه من النمط الفائق والطراز الرائق منطوشتين بانواع البدائع واصناف الروائع على ما تتحير فيه العقول والافكار من تعاجيب العبر والآثار تبصرة وذكرى لاولي الابصار ما قاله ابو السعود رحمه الله //

قوله تعالى وهو الله في السموات الجار متعلق بلفظة الجلال نقل ابو البقاء انه لا يجوز ان يتعلق باسم الله لانه صار بدخول الالف واللام والتغيير الذي دخله كالعلم ولهذا قال تعالى هل تعلم له سمياً قال الطيبي اول التركيب على وجوه احدها جعل اسم الله بمعناه الاصلي اذا هو في الاصل فعال بمعنى المفعول من اله اي عبد المعبود ثم تصرف فيه فصار الله والمراد من قول الكشاف وهو المعبود فيهما وثانيها معنى شهر به في الالهية على طريق الظرف كما تقول هو حاتم في طي حتى تضمن معنى الجود الذي اشتهر به كانك قلت هو جواد في طي ومنه قوله انا ابو النجم وشعري شعري اي انا ذلك المشهور في الفصاحة وشعري هو المعروف بالبلاغة وهو الذي عناه صاحب الكشاف بقوله وهو المعروف بالالهية مستوحي

قوله اخبر بانه حقيق بالحمد يعني اخبر اولاً بانه حقيق بالحمد باعتبار ذاته الواجب الوجود المستحق لجميع المحامد ولهذا لم يقل الحمد للعالم والقادر ونحوهما مما يوهم اختصاص استحقاقه الحمد بوصف دون وصف ثم نبه على استحقاقه له باعتبار الانعام ببعض نعمه الجسام حسبما اقتضاه سياق الكلام منبهاً على كمال الاستحقاق فمن حمد ولم يحمد وارشاداً للعباد على اداء بعض ما وجب عليهم عقلاً ونقلاً من شكر المنعم على الانعام قوله ثم انه جعل الحمد اخبار لا انشاء لكونها الاصل وليصح عطف قوله ثم الذين الخ عليها وتضمن كلامه الرد على من جعل التقدير قولوا الحمد لله وعلى من جعل النقدير احمد الله اذ لا ضرورة تدعوا الى التقدير الا في الفاتحة لمكان اياك نعبد على انها منفية عنها ايضاً بكون انشائه مقولة على السنة العباد وتعليما منه اياهم كيف يحمدونه صرح به الزمخشري ثم التنبيه على استحقاقه الحمد على ما بدءه من النعم الجسام مستفاد من ايراد الموصول صفة له بعد الاخبار عنه باستحقاقه الحمد لذاته لانه مع كون الصلة محمود عليها كما لا يخفى على من له بصيرة باساليب الكلام واعتبر كونها نعماً دون مجرد كونها من صفات الافعال مع عدم وجوب كون المحمود عليه نعمة ليكون ادخل في الحجة ثم ان قوله الحمد لله مع كونه حمداً في نفسه اشارة الى محامد لا يحصى مما كان ومما يكون وان قوله الذي خلق السموات الخ مع كونه مسوقاً لبيان المحمول عليه حمداً اخرى في نفسه وان المحمود عليه الاول بحسب مضمون الكلام اعني الاخبار بالاستحقاق الذاتي للحمد هو صفات الكمال وبحسب ايراد الموصول صفة هو خلق السموات والارض وجعل الظلمات والنور كما ان المحمود عليه للثاني هو ذلك لكنه محمود به ايضاً فتغاير فيهما اعتباري في الثاني وان المحمود عليه ما اشير من المحامد وان كان اموراً اخرى في الواقع مع احتمال ان يكون بعضها التي تذكر لكنه بحسب مضمون الكلام وايراد الموصول صفة له تعالى ما للحمد الاول بحسب الاستحقاق من ساداته ابو السعود رحمه الله

فتأمل فانه دقيق //

انه مستحق للحمد سواء حمده احد او لا الامام قوله تعالى الحمد لله في العصر ان المراد به احمد والله وانما جاء على صيغة الخبر لان قوله الحمد لله يفيد انه تعالى مستحق للحمد سواء حمده حامد او لم يحمد وان المقصود منه ذكر الحجة على من زعم المعف دلالة حينه وبين الاوثان فذكره بصيغة [illegible] الخبر اولى من صيغ رحمه

//

قوله عطف على قوله الحمد لله بهذا احتمالات ان يكون يكفرون من الكفر او الكفران وبعدلون من العدل بمعنى التسوية او العدول بمعنى الانصراف وبربهم اما متعلق بيكفرون او بيعدلون وعلى كل تقدير فهذه الجملة اما معطوفة على جملة الحمد لله او على الصلة وقد جوز البعض بعض هذه الاحتمالات تصريحا ونفى غيرها تلويحا

قوله ثم الذين كفروا اي بالاخرة عطف على خلق وفي ثم استبعاد ترك الايمان بعد ان قام عليه البرهان كانه قيل حصل ما اوجب توحيده من خلق السموات والارض وما بينهما بناء على اشتمالهما على ما فيهما ثم الذين كفروا بربهم يعدلون وحذف المفعول لحفظ الفواصل بتقدير يعدلون غيره اي يشركون به واصل العدل المساواة اي يساوون بالله تعالى خالق العالم ومن اصنامهم العاجزين عن الخلق. ويجوز عطفه على الحمد لله والمعنى انه تعالى حقيق بان يحمد على ما خلقه نعمة على العباد ثم الذين كفروا به يعدلون عنه فيكفرون نعمته وحذف صلة يعدلون ايضا للاختصار على نفس الفعل ووضع المظهر موضع المضمر الراجع الى الموصول تنبيها على انه تعالى خلق هذه الاشياء اسبابا لتكونهم وتعيشهم فمن حقه ان يحمد عليها ولا يكفر ومعنى ثم على هذا الوجه استبعاد عدولهم عنه بعد ذلك كذا افاده رحمه الله

وتوهم ان الظلمة عدم ... يعني ان الجعل بمعنى الخلق والايجاد ... فيتعدى الى مفعول واحد ... بالظرف او الصفة بالموصوف والعدم ... يجوز ان يكون بفعل الفاعل كالوجود الحادث شهاب

قوله ثم قضى اجلا اي نوعا من الاجل ... والموت ...

قوله اولم يسيروا ... المعنى ... في السموات وفي الارض ... العالم في الشيء ... المجاز المرسل

قوله تعالى مكناهم في الارض اثبتناهم فيها ... كناية عن طول عمرهم ... بما لم نمكن لكم ... المحكي عنهم والخطاب لاهل مكة كما افاده

قوله جعلنا لهم فيها مكانا وقررناهم فيها في تفسير قوله تعالى مكناهم في الارض بيان للمعنى الحقيقي كما قال الزمخشري معنى مكن له حصل له مكانا ومعنى مكنه في الارض اثبته فيها ... من القوى والآلات وتمكنوا بها من انواع التصرف فهما بيان للمعنى الكنائي ... مكناهم كناية عنه ... وقوله ما لم نجعل لكم من السعة وطول المقام بيان للتمكين المنفي مع اشارة الى ان التمكين الثاني ... ما لم نجعل لكم من السعة ... التمكين الاول الثابت للكفار كناية ... اشارة الى قوله واعطيناهم ... من القوة والسعة في المال ... في الصورة الاولى واعطيناهم من القوى والآلات ... كما قال شهاب رحمه الله ... من انواع التصرف فقوله ما لم نمكن لكم ... اورده المصنف رحمه الله وجعله بيانا للمعنى الحقيقي ... يحتاج الى الحمل لوازم كثيرة ... فهذه التحريرات لها اثار عظيمة لفهم كلام المصنف ... 1194

١٤٥

قوله ثم الذين كفروا بربهم يعدلون عطف على الحمد الى الجملة الاولى بما فيه من موجبات اختصاصه تعالى بالحمد المستدعي لاقتصار العبادة عليه مسوق لانكار ما عليه الكفرة واستبعاده من مخالفتهم لمضمونها واجترائهم على ما يقضي ببطلانه بديهة العقول والمعنى انه تعالى مختص باستحقاق الحمد والعبادة باعتبار ذاته وباعتبار ما فصل من شؤونه العظيمة الخاصة به الموجبة لقصر الحمد والعبادة عليه ثم هؤلاء الكفرة لا يعملون بموجبه ويعدلون به سبحانه اي يسوونه به غيره في العبادة التي هي اقصى غايات الشكر الذي رأسه الحمد مع كون كل ما سواه مخلوقا له غير متصف بشيء من مبادي الحمد وكلمة ثم لاستبعاد الشرك بعد وضوح ما ذكر من الآيات التكوينية القاضية ببطلانه لا لبعد بيانه بالآيات التنزيلية

بانه عند الله لا مدخل لغيره فيه بعلم ولا قدرة [redacted]

[redacted] اى لازم المقصود بها **ثم انتم تمترون** استبعاد

لامترائهم بعد ما ثبت انه خالقهم وخالق اصولهم ومحييهم الى آجالهم فان من قدر على خلق المواد وجمعها وابداع الحيوة فيها وابقائها ما يشاء كان اقدر على جمع تلك المواد واحيائها ثانيا والآية الاولى دليل التوحيد والثانية دليل البعث والامتراء الشك واصله المرى وهو استخراج اللبن من الضرع **وهو الله** الضمير لله والله خبره **في السموات وفي الارض** متعلق باسم الله والمعنى هو المستحق للعبادة فيهما لا غير كقوله وهو الذى في السماء اله وفي الارض اله او بقوله **يعلم سركم وجهركم** والجملة خبر ثان او هى الخبر والله بدل ويكفى لصحة الظرفية كون المعلوم فيهما كقولك رميت الصيد في الحل اذا كنت خارجه والصيد فيه او ظرف مستقر وقع خبرا بمعنى انه تعالى لكمال علمه بما فيهما كانه فيهما ويعلم سركم وجهركم بيان وتقرير له وليس متعلق المصدر لان صلته لا تتقدم عليه **ويعلم ما تكسبون** من خير او شر فيثيب عليه ويعاقب ولعله اريد بالسر والجهر ما يخفى وما يظهر من احوال الانفس وبالمكتسب اعمال الجوارح **وما تأتيهم من آية من آيات ربهم** من الاولى مزيدة للاستغراق والثانية للتبعيض اى ما يظهر لهم دليل من الادلة او معجزة من المعجزات او آية من آيات القرآن **الا كانوا عنها معرضين** تاركين للنظر فيه غير ملتفتين اليه **فقد كذبوا بالحق لما جاءهم** يعنى القرآن وهو كاللازم لما قبله كانه قيل انهم لما كانوا معرضين عن الآيات كلها كذبوا به لما جاءهم او كالدليل عليه على معنى انهم لما اعرضوا عن القرآن وكذبوا به وهو اعظم الآيات فكيف لا يعرضون عن غيرها ولذلك رتب عليها بالفاء **فسوف يأتيهم انباء ما كانوا به يستهزءون** اى سيظهر لهم ما كانوا به يستهزءون عند نزول العذاب بهم في الدنيا او في الآخرة او عند ظهور الاسلام وارتفاع امره **الم يروا كم اهلكنا من قبلهم من قرن** اى من اهل زمان والقرن مدة اغلب اعمار الناس وهى سبعون سنة وقيل ثمانون وقيل القرن اهل عصر فيه نبى او فائق في العلم تلك المدة او كثرت واشتقاقه من قرنت **مكناهم في الارض** جعلنا لهم فيها مكانا وقررناهم او اعطيناهم من القوى والآلات ما تمكنوا بها من انواع التصرف فيها **ما لم نمكن لكم** ما لم نجعل لكم من السعة وطول المقام يا اهل مكة او ما لم نعطكم من القوة والسعة في المال والاستظهار بالعدد والاسباب **وارسلنا السماء عليهم** اى المطر او السحاب او المظلة فان مبدأ المطر منها **مدرارا** مغزارا **وجعلنا الانهار تجرى من تحتهم** فعاشوا في الخصب والريف بين الانهار والثمار **فاهلكناهم بذنوبهم** اى لم يغن ذلك عنهم شيئا **وانشأنا** واحدثنا **من بعدهم قرنا آخرين** بدلا منهم والمعنى انه تعالى كما قدر ان يهلك من قبلكم كعاد وثمود وينشئ مكانهم آخرين يعمر بهم بلاده يقدر ان يفعل ذلك بكم **ولو نزلنا عليك كتابا في قرطاس** مكتوبا في ورق

قوله وانما لم يعلل ومن فيهن الخ لان المعروف تغليب العقلاء لشرفهم على غيرهم والوجه الاول مبنى على اختصاصها بذوى العقول فاختصها بما يشملهم ويجانسهم لنكتة وهى الاشارة الى قصور الكل من الربوبية لتجانسهم والبدء للتعالى علا بجانسه والاشارة الى انه كله شئ وانهم بمنزلة الجمادات في جنب عظمته وكبريائه والثانى اشارة الى ان غاية العقلاء وغيرهم كذلك خلت للعموم من غير تغليب لانهم لا يختص بغير ذوى العقول بل يتناول الاجناس كلها عقلاء وغيرهم فكان اولى بالعموم لمناسبته لمقام اظهار العظمة والكبرياء فيما في ملكوته وتحت قدرته لا يصلح شئ منهما للالوهية سواء فيه عيسى عليه السلام وغيرهما من سهاب قوله بعد هذا السياق الوجه ان تقال بعد ظهور هذه الآيات التى هى خلق السموات والارض كما قال صاحب الكشاف كاز روني

قوله جرى انه مفعول الحمد لله الى انما جملة خبرية وقد جوز في هذه الجملة ان تكون خبرية وان تكون انشائية وذهب بعضهم الى خبريتها ولم يجعلها انشائية وان صح وقيل انما جعلها خبرية لتكون حجة لان الانشاء لا يكون حجة الا بملاحظة الاخبار والحجة انما هو الاخبار فلذلك قال لتكون حجة ولم يقل لتظهر كونها حجة اول السورة انزلت لبيان التوحيد وردع الكفرة والاعلام بمضمونها على وجه الخبرية يناسب المقام وجعلها انشائية لانشاء الثناء فان قلت كيف تكون انشائية ولها خارج تطابقه قلت يجعل وجود الشئ كما في رب انى وضعتها انثى للتحسر ولذا حمل بعضهم الكلام على ما يرد به الاخبار مع اختصاص الانشاء بكون المراد به انشاء الثناء على نفسه كما قال الامام لان الاخبار ادل على الاستحقاق من انشاء فرد منه وقيل انما جعلها خبرية لما في حمله على الانشاء من اخراج الكلام عن معناه الوضعى من غير ضرورة من شهاب

قوله ثم انه جعل الجملة اخبارية لا انشائية لكونها الاصل وليصح عطف قوله ثم الذين كفروا الآية عليها وليظهر الحجة على الذين هم بربهم يعدلون وكون المقصود ثناء الله على نفسه كما قاله الامام لا يوجب كون الحمد انشائية البتة كما توهم وضمن كلامه الرد على من جعل التقدير قولوا الحمد لله وعلى من جعل المعنى احمد والله اذ لا ضرورة تدعوا الى التقدير الا في الفاتحة لمكان اياك نعبد على انها منفية عنها ايضا لكون امثاله منقولة على السنة العباد تعليما منه اياهم كيف يحمدونه وبهذا ظهر وجه عدم كون المعنى على الامر من مسائل ابن عراد

قوله والجعل فيه معنى التضمين اى جعل شئ في ضمن شئ بان يحصل منه كما في قوله تعالى وجعل منها زوجها اى حصل حواء من ضلع آدم او بتصييره اياه كقولك جعلت الذهب خبزا او نشئ منه او اليه وبالجملة فيه اعتبار شيئين وارتباط بينهما وفي الخلق معنى الايجاد بتقدير وتسوية ولما لم يكن في الخبر اعتبار شيئين وارتباط بينهما عبرت عن احداث الاشياء القائمة بانفسها على سبيل الابداع بالخلق اذ ليس فيه احداثها ملاحظة ارتباطها بشئ آخر ايضا بخلاف الامور القائمة بغيرها فان احداثها انما تكون بجعلها في موضوعاتها من شيخ زاده

قوله تعالى وجعل الظلمات والنور انشاءها والفرق بين الخلق والجعل المتعدى الى مفعول واحد ان الخلق فيه معنى التقدير والتسوية والجعل المذكور فيه معنى التعلق والارتباط بالغير بان يكون فيه او منه او اليه لا بان يصيره اياه لان معنى اخر للجعل فانه ح يتعدى الى مفعولين ولهذا اى تكرار الارتباط بالغير معتبر في معناه آثره هنا تحقيقا لما في الظلمة والنور من معنى القيام بالغير وتضمنا للرد على الثنوية بتقدير عدم صلاحيتهما للفاعلية وجمع الظلمات دون النور لاختلاف اجناس ما غابت عن البصر اختلافا فاحشا بحسب اختلاف مظاهره من القوى الظاهرة والباطنة بخلاف النور من تفسير ابن كمال رحمه الله ٧٠٨

قوله تعالى ثم قضى اجلا اى قدر مدة فان لفظ القضاء قد يراد به الحكم والامر ومنه قوله تعالى ثم اقض الى قال تعالى وقضى ربك الا تعبدوا الا اياه وقد يراد به الاخبار والاعلام قال تعالى وقضينا الى بنى اسرائيل في الكتاب وقد يراد به اتمام الشئ فعلا قال تعالى فقضاهن سبع سموات وقد يطلق القضاء على الارادة الازلية والعناية الالهية المقتضية لنظام الموجودات على ترتيب خاص والقدر هو تعلق الارادة الازلية بالاشياء في اوقاتها والمراد بالقضاء في قوله صلى الله عليه وسلم لا يرد القضاء الا الدعاء ما يخاف العبد منه من نزول المكروه والرد تهوينه اى تسهيله عليه بحيث يتحمل ما نزل عليه من المكروه طبعا ويصير راضيا بقضاء الله تعالى والمناسب بهذا المقام ان كون القضاء بمعنى الحكم والتقدير الازلى فيكون كلمة ثم فيه للترتيب في الذكر ضرورة ان القضاء بمعنى المذكور ليس متاخرا عن الخلق قوله اجل الموت اى اجله الحياة الاجل في اللغة عبارة عن الوقت المضروب لانقضاء المدة واجل الانسان هو الوقت المضروب لانقضاء عمره قوله تم قضى اجلا معناه ان الله تعالى خصص موت كل احد بوقت معين وذلك التخصيص عبارة عن تعلق مشيته تعالى بايقاع ذلك الموت في ذلك الوقت وهذه الآية تدل على حصول الاجلين لكل انسان قال ابن عباس رضى الله عنه قال لكل احد اجلان اجل من ابتداء الخلق الى الموت واجل من الموت الى البعث فان كان برا تقيا وصولا الى رحمه زيد له في اجل العمر ونقص من اجل البعث وان كان فاجرا قاطع الرحم نقص من اجل العمر وزيد في اجل البعث فعلى هذا يكون الاجل بمعنى جميع المدة واما الآجال الطبيعية فهو الذى لو بقى الشخص على طبيعته ومزاجه المخصوص به ولم يعترضه العوارض الخارجية المهلكة لانتهت مدة بقائه الى ان يتحلل رطوبته وينطفئ حرارته الغريزيتين واما الآجال الاخترامية فتحصل من الاسباب الخارجية كالغرق والحرق وغيرهما ومعنى قوله مسمى عنده معلوم عنده ومذكور اسمه في اللوح المحفوظ من شيخ زاده

قوله لكثرة اسبابها وسببها تخلل الجسم الكثيف بين النير والمحل المظلم وذلك التخلل يتكثر بتكثر الاجرام المتخللة بخلاف النور فان منشأه ليس الا النار والكواكب هذا على تقدير ان يراد بالنور الكيفية المحسوسة التى تدركها الباصرة اولا وبواسطتها تدرك سائر المبصرات وبالظلمة عدم النور في الجسم الذى من شأنه قبول النور كما اختاره او الكيفية الوجودية المضادة للنور استدلالا بقوله تعالى وجعل الظلمات زاعما ان الاعدام غير مجعولة وفرق المص بين الاعدام الصرفة واعدام الملكات واما على تقدير ان يراد بالنور الحق والهدى وبالظلمات الضلالات فالامر واضح فان الحق واحد ووجوه الضلال عن الحق متكثرة متعددة من شيخ حتى لا يتعلق الجعل لان الجعل الانشاء وهو اعم من الايجاد وبعضهم اراد في محل الجعل المحل متصفا به ولا يخفى ان الوجود لا يتصف بالمعدومات من كاز رونى قوله مثبت لا يقبل التغير بخلاف الاجل الاول فانه قد يتغير بالاسباب كالصدقات وسائر الاعمال من كاز رونى

فلمسوه بأيديهم فمسوه وتخصيص اللمس لأن التزوير لا يقع فيه فلا يمكنهم أن يقولوا
إنما سكرت أبصارنا ولأنه يتقدمه الإبصار حيث لا مانع وتقييده بالأيدي لدفع
التجوز فإنه قد يتجوز به للفحص كقوله وأنا لمسنا السماء لقال الذين كفروا إن هذا
إلا سحر مبين تعنتا وعنادا وقالوا لولا أنزل عليه ملك هلا أنزل معه ملك يكلمنا
أنه نبي كقوله لولا أنزل إليه ملك فيكون معه نذيرا ولو أنزلنا ملكا لقضي الأمر جواب
لقولهم وبيان لما هو المانع مما اقترحوه والخلل فيه والمعنى أن الملك لو أنزل بحيث عاينوه
كما اقترحوه لحق إهلاكهم فإن سنة الله جرت بذلك فيمن قبلهم ثم لا ينظرون بعد
نزوله طرفة عين ولو جعلناه ملكا لجعلناه رجلا وللبسنا عليهم ما يلبسون جواب
ثان إن جعل الهاء للمطلوب وإن جعل للرسول فهو جواب اقتراح ثان فإنهم تارة يقولون
لولا أنزل عليه ملك وتارة يقولون لو شاء ربنا لأنزل ملئكة والمعنى ولو جعلنا قرينا
لك ملكا يعاينونه أو الرسول ملكا لمثلناه رجلا كما مثل جبريل في صورة دحية الكلبي
فإن القوة البشرية لا تقوى على رؤية الملك في صورته وإنما رآهم كذلك الأفراد من
الأنبياء بقوتهم القدسية وللبسنا جواب محذوف أي ولو جعلناه رجلا للبسنا
أي لخلطنا عليهم ما يخلطون على أنفسهم فيقولون ما هذا إلا بشر مثلكم وقرئ
لبسنا بلام ولبّسنا بالتشديد للمبالغة ولقد استهزئ برسل من قبلك تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم
على ما يرى من قومه فحاق بالذين سخروا منهم ما كانوا به يستهزءون فأحاط بهم الذي كانوا
يستهزءون به حيث أهلكوا لأجله أو فنزل بهم وبال استهزائهم قل سيروا في الأرض
ثم انظروا كيف كان عاقبة المكذبين كيف أهلكهم الله بعذاب الاستئصال
كي تعتبروا والفرق بينه وبين قوله قل سيروا في الأرض فانظروا أن السير ثمة لأجل
النظر ولا كذلك ههنا ولذلك قيل معناه إباحة السير للتجارة وغيرها وإيجاب النظر
في آثار الهالكين قل لمن ما في السموات والأرض خلقا وملكا وهو سؤال تبكيت
قل لله تقرير لهم وتنبيه على أنه المتعين للجواب بالاتفاق بحيث لا يمكنهم أن يذكروا
غيره كتب على نفسه الرحمة التزمها تفضلا وإحسانا والمراد بالرحمة ما يعم الدارين
ومن ذلك الهداية إلى معرفته والعلم بتوحيده بنصب الأدلة وإنزال الكتب و
الإمهال على الكفر ليجمعنكم استئناف وقسم للوعيد على إشراككم وإغفالكم
النظر أي ليجمعنكم في القبور مبعوثين إلى يوم القيمة لا ريب فيه في اليوم أو الجمع
الذين خسروا أنفسهم بتضييع رأس مالهم وهو الفطرة الأصلية والعقل السليم
وموضع الذين نصب على الذم أو رفع على الخبر أي وأنتم أو على الابتداء والخبر فهم لا يؤمنون
والفاء للدلالة على أن عدم إيمانهم مسبب عن خسرانهم فإن إبطال العقل باتباع
الحواس والوهم والانهماك في التقليد وإغفال النظر أدى بهم إلى الإصرار على الكفر و
الامتناع عن الإيمان وله عطف على لله ما سكن في الليل والنهار من السكنى

(في الهامش: إلى يوم القيمة فيجازيكم على شرككم أو في يوم القيمة وإلى بمعنى في وقيل بدل من الرحمة بدل البعض فإن من رحمته بعثه إياكم وإنعامه عليكم)

فلا قادر على كشفه بنفي القدرة والمنع من نفيه لاستلزامه له ولذا فسره به مع مناسبته لقوله فهو على كل شيء قدير ولا بعض الضر لا كشف فكان قادرا على اوامته وحفظه الكاف فكان قادرا على اوامته وازالته وهو بيان لوجه ارتباط الجزا بالشرط وكلام المص قريب منه م شهاب

وهو القاهر فوق عباده قيل انه كناية عن القهر والغلبة بالغلبة والقدرة وهما مستعملان بالقهر والعلو على طريق الشبه والحاصل ان قوله وهو القاهر فوق عباده عبارة عن كمال القدرة وكما ان قوله وهو الحكيم الخبير عن كمال العلم وفوق منصوب على الظرفية معمولا للقاهر اي المستعلي فوق عباده بالرتبة والمنزلة والشرف والوب يستعمل فوق لعلو المنزلة ونفوقها ومنه يد الله فوق ايديهم شهاب

والشي يقع على كل موجود وعدم من قول الزمخشري الشي اعم العام لوقوعه على كل ما يصح ان يعلم ويخبر منه فيقع على القديم والجرم والعرض والمحال والمستقيم ولذلك صح ان يقال في الله عز وجل شي لا كالاشيا وما ذكره من اطلاق الشي على الله مذهب الجمهور واستدلوا بهذه الاية وقوله تعالى كل شي هالك الا وجهه حيث استثنى من كل شي ذاته ولانه اعم الالفاظ فيشمل الواجب والممكن ونقل الامام ان جهما انكر صحة اطلاق شي على الله تعالى مخيا بقوله تعالى ولله الاسماء الحسنى فقال لا يطلق عليه الا ما يدل على صفة من صفات الكمال والشي ليس كذلك وقد مر ان الشي مختص بالموجود وانه في الاصل مصدر استعمل بمعنى شاء او مشي فاذا كان بمعنى شاء صح اطلاقه عليه تعالى والشي يقع على كل موجود من الواجب والممكن لانه في الاصل مصدر شاء يطلق بمعنى شائي تارة ويجيء بمعنى مشي اخرى اي مشي وجوده وما شاء الله وجوده فهو موجود بمعنى انه يتناول الباري تعالى كما في هذه الاية وبمعنى مشي اخرى اي مشي وجوده وما شاء الله وجوده امر رسوله صلى الله عليه وسلم ان يسال لما كان المقصود اثبات نبوة محمد صلى الله عليه وسلم شهادة ومن شهيد به امر رسوله صلى الله عليه وسلم ان يسال سوال تبكيت اي شاء اكبر شهادة ثم امر ان يجيبهم بان يقول الله اكبر شي شهادة على طريق الجائهم الى الاقرار بذلك فكان المناسب ان يضاف الى قول المص اكبر الى ما يعم كل موجود ليتحقق اعترافهم بان شهادة الله تعالى لا يعادلها شهادة ما فيما اعترفوا بان الله تعالى اكبر شهادة قال هو شهيد لي بالنبوة فلفظ الجلالة في قوله قل الله مبتدا حذف خبره وقوله شهيد بيني وبينكم خبر مبتدا المحذوف وقد صور المص بقدر هما فعلى هذا جواب اي شي هو لفظ الجلالة مع خبره المحذوف واما على تقديران يكون الجلالة مبتدا او شهيد خبرها فجواب اي مع هذه الجملة كما صرح المص الا ان مراده بكونها جوابا انها دالة على الجواب لا انها الجواب حقيقة ويدل على ما ذكرنا انه قال كونه جوابا بقوله لانه تعالى اذا كان هو الشهيد كان اكبر شهادة فانه الجواب اللايق بقوله اي شي اكبر شهادة وليس الا ان الله اكبر شهادة وقد عدل عنه في الجواب الى قوله الله شهيد بيني وبينكم ليدل على ان اكبر شي شهادة شهيد له اي الرسول فان الله اكبر شي شهادة والله شهيد له وهما ينتجان ان الاكبر شهادة شهيد له

او اي شي اكبر شهادة حصل منه احد سفيه في القياس اي حصل منه صغراه بقرينة الجواب اعني قوله تعالى قل الله مع تقدير خبره المحذوف قوله تعالى لا من لفظ الجلالة مبتدا وخبره المحذوف اكبر شهادة كما اشار المص الى هذا الصغرى بقوله اي الله اكبر شهادة وقوله تعالى شهيد بيني وبينكم اشار به الى الكبرى بجعل قوله تعالى شهيد خبر مبتدا المحذوف هو لفظ الجلالة كما قال المص اشارة الى هذا الكبرى هو شهيد بارجاع ضمير هو الى لفظ الجلالة فيكون الكلام الله شهيد فهذا قياس من الشكل الثالث والحد الاوسط لفظ الجلالة لانه موضوع في الصغرى والكبرى فترتيبه الله اكبر شهادة والله شهيد بيني وبينكم ينتج اكبر شهادة شهيد بيني وبينكم وهذا هو الاحتمال الاول اعني كون لفظ الجلالة مع خبره المحذوف جوابا لاي شي وعلى هذا يكون قوله تعالى شهيد كلام مبتدا خبر لمبتدا المحذوف اعني لفظة هو كما قال المص اشار الى هذه المحذوف اي هو شهيد واما الاحتمال الثاني الذي اشار بقوله ويجوز هو ان يكون مجموع قوله تعالى الله شهيد جوابا لاي شي وهذا انما يجري احتمال والا لا فرق بينه وبين الاحتمال الاول في المعنى فان قلت الجواب بهذا لا يلائم السوال يعني اذا كان الجواب قوله تعالى والله شهيد بيني وبينكم والسوال اي شي اكبر شهادة وبزيادة لفظ اكبر لا يكون ملايما بل ينبغي ان يكون له الجواب الله اكبر شهيدا بيني وبينكم قلت ان الجواب المذكور اعني والله شهيد بدون لفظ اكبر مغنية لذلك الجواب الملايم اعني والله اكبر شهيدا لانه اذا تحقق كونه تعالى شهيدا يكون اكبر شهادة البتة اذ لا يتصور شهادة اكبر من شهادة الله بل شهادته اكبر لا شبهة فيه والمصنف اشار الى هذا بقوله لانه تعالى اذا كان الشهيد كان اكبر شهادة كما قال المحشي الفاضل مولانا سنان رحمه الله قوله لانه تعالى اذا كان الشهيد اي مصحح لكون الكلام جوابا لاي شي اكبر شهادة قال سعدي چلبي ههنا انت خبير بان المقصود في هذا المقام ينبغي ان يكون هي كونه تعالى شهيدا له ليتجه الجواب تمام ذكره قريش فيكون الكلام من باب تلقي السائل بغير ما يطلبه انتهى بعد ما سبق من كلام البيضاوي انه كان سوال قريش يا محمد ارنا من يشهد انك رسول الله فالجواب لهذا السوال يكفي الله شهيد لكن الجواب المطابق بقوله ذلك واما الجواب الحاصل من ذلك القياس كما من تفصيله هو قوله اكبر شهادة شهيد لي جواب بالتفصيل فلم يطابق السوال فكان من قبيل تلقي السائل بغير ما يطلبه بغير مطلب السائل بعد قوله الله شهيد فظهر الجواب قوله الله اكبر شهادة شهيد لي وهذا غير مطلبه فصح ان تلقي انه تلقي بغير مطلبه فاجاب سعدي چلبي بقوله وانما جعل الكلام من باب تلقي السائل بغير مطلبه لانه ان جواب ما يساله معلوم لكل احد ولا منكر له واللايق بالمقام هو الاخبار بان الله شهيد له ينتج من الشكل الثالث ان الاكبر شهادة شهيد له فلا عبرة بكتمان اليهود والنصارى انتهى بعبارته يعني انه انما ذكر الجواب بهذه القياس المنتج من الشكل الثالث لانه هو اللايق بالمقام واما الجواب المطابق للسوال المذكور انه معلوم لكل احد ولا منكر له ولذا فصل المقصود حمل الكلام عليه انتهى في الجواب كلم لم يقتصر على الجواب المطابق المذكور وهذا ما املاه الفقير معترفا بالقصور والتقصير مكي الخفر عفا الله له امين

قال الزمخشري الله شهيد بيني وبينكم هو الجواب له لدلالته على ان الله تعالى اذا كان هو الشهيد منه وبينهم فاكبر شي شهادة شهيد له وجعله شراح من الاسلوب الحكيم لانه عدل عن الجواب المتبادر اليه ليدل على ان اكبر شي شهادة شهيد للرسول فان الله اكبر شي شهادة والله شهيد له فينتج الاكبر شهادة شهيد له فلا عبرة من كتم ووجه كونه من الاسلوب الحكيم ان السائل تلقى بغير ما يتبادر فكانه غير ما يطلب م شهاب

يحصل لعبارة المذكور المنتج المطلوب ولهذا تم

وتعديته بفي كما في قوله وسكنتم في مساكن الذين ظلموا انفسهم والمعنى ما اشتمل
عليه او من السكون اي ما سكن فيهما او تحرك فاكتفى باحد الضدين عن الآخر
وهو السميع لكل مسموع العليم بكل معلوم فلا يخفى عليه شيء ويجوز ان يكون
وعيدا للمشركين على اقوالهم وافعالهم قل اغير الله اتخذ وليا انكار لا
لاتخاذ غير الله وليا لا لاتخاذ الولي فلذلك قدم واولي الهمزة والمراد بالولي المعبود
لانه رد لمن دعاه الى الشرك فاطر السموات والارض مبدعهما وعن ابن عباس
ما عرفت معنى الفاطر حتى اتاني اعرابيان يختصمان في بئر فقال احدهما انا فطرتها
اي ابتدأتها وجره على الصفة لله فانه بمعنى الماضي ولذلك قرئ فطر وقرئ بالرفع
والنصب على المدح وهو يطعم ولا يطعم يرزق ولا يرزق وتخصيص الطعام لشدة
الحاجة اليه وقرئ ولا يطعم بفتح الياء وبعكس الاول على ان الضمير لغير الله والمعنى كيف اشرك
بمن هو فاطر السموات والارض ما هو نازل عن رتبة الحيوانية وببنائهما للفاعل على ان
الثاني من اطعم بمعنى استطعم او على معنى انه يطعم تارة ولا يطعم اخرى كقوله يقبض ويبسط
قل اني امرت ان اكون اول من اسلم لان النبي سابق امته في الدين ولا تكونن
من المشركين وقيل لي ولا تكونن من المشركين ويجوز عطفه على قل قل
اني اخاف ان عصيت ربي عذاب يوم عظيم مبالغة اخرى في قطع اطماعهم وتعريض لهم
بانهم عصاة مستوجبون للعذاب والشرط معترض بين الفعل والمفعول به وجوابه محذوف
دل عليه الجملة من يصرف عنه يومئذ اي العذاب عنه وقرأ حمزة والكسائي
ويعقوب وابو بكر عن عاصم يصرف على ان الضمير فيه لله وقد قرئ باظهاره والمفعول
محذوف او يومئذ بحذف المضاف فقد رحمه نجاه وانعم عليه وذلك الفوز المبين
اي الصرف او الرحمة وان يمسسك الله بضر ببلية كمرض وفقر فلا كاشف له
فلا قادر على كشفه الا هو وان يمسسك بخير بنعمة كصحة وغنى فهو على كل شيء قدير فكان
قادرا على حفظه وادامته فلا يقدر غيره على دفعه كقوله فلا راد لفضله وهو القاهر
فوق عباده تصوير لقهره وعلوه بالغلبة والقدرة وهو الحكيم في امره وتدبيره الخبير
بالعباد وخفايا احوالهم قل اي شيء اكبر شهادة نزلت حين قالت قريش يا محمد لقد سألنا
عنك اليهود والنصارى فزعموا ان ليس لك عندهم ذكر ولا صفة فارنا من يشهد لك انك
رسول الله والشيء يقع على كل موجود وقد سبق القول فيه في سورة البقرة قل الله اي الله
اكبر شهادة ثم ابتدأ شهيد بيني وبينكم اي هو شهيد بيني وبينكم ويجوز ان يكون الله شهيد هو
الجواب لانه اذا كان الشهيد كان اكبر شيء شهادة واوحي الي هذا القرآن لانذركم به
اي بالقرآن واكتفى بذكر الانذار عن ذكر البشارة ومن بلغ عطف على ضمير المخاطبين اي لانذركم به
يا اهل مكة وسائر من بلغه من الاسود والاحمر او من الثقلين او لانذركم به ايها الموجودون
ومن بلغه الى يوم القيمة وهو دليل على ان احكام القرآن تعم الموجودين وقت نزوله

قوله والشيء يقع على كل موجود من الواجب والممكن لانه في الاصل مصدر شاء يطلق بمعنى شائيا تارة وح يتناول الباري تعالى كما في هذه الاية وبمعنى مشيئ وجوده وما شاء الله وجوده فهو موجود يعني انه لما كان المقصود اثبات نبوة محمد صلى الله عليه وسلم بشهادة من يشهد بها امر رسوله صلى الله عليه وسلم ان يسأل سؤال تبكيت اي شيء اكبر شهادة ثم امر ان يجيبهم بان يقول الله اكبر شيء شهادة على طريق الجائهم الى الاقرار بذلك فكان المناسب ان يضاف اكبر الى ما يعم كل موجود لتحقق انه فهم بان شهادة الله تعالى لا يعادلها شهادة فاذا اعترفوا بان الله تعالى اكبر شهادة قال هو شهيد لي بالنبوة قوله لفظ الجلالة مبتدأ محذوف الخبر فجملته جواب اي شيء ويحتمل كونه خبر الجلالة خبر محذوف بل خبرها شهيد جواب اي ح هو هذه الجملة كما صرح به المص الآن مراده بكونها جوابا انها دالة على الجواب لا انها الجواب حقيقة ويدل على ما ذكرنا انه علل كونه جوابا بقوله لانه تعالى اذا كان الشهيد كان اكبر شهادة فان الجواب اللائق بقوله اي شيء اكبر شهادة ليس الا ان الله اكبر شهادة وقد عدل عنه في الجواب الى قوله الله شهيد بيني وبينكم ليدل على انه اكبر شيء شهادة شهيد له اي للرسول فان الله اكبر شيء شهادة والله شهيد له ومما ينتج انه الله اكبر شهادة شهيد له مه شيخ زاده رحمه الله قوله فان الجواب اللائق بقوله اي شيء ان الله اكبر شهادة يعني الجواب اللائق للسؤال المذكور فيه لفظ اكبر هو ليس الا الجواب الذي ذكر فيه لفظ اكبر كذلك وانما عدل عنه بناء على انه لو كان الجواب كذلك لا يحصل العكس المطلوب المنتج ان الله اكبر شهادة شهيد له يعني بهذا حصل شيخ زاده قوله لانه تعالى اذا كان الشهيد كان اكبر شهادة علة لكونها دالة على الجواب لا الجواب نفسه كما مر والمحشي سعدي افندي حمل قوله لانه تعالى اذا كان الخ على مصحح لكونه الكلام جوابا كما فصلنا في هذه الورقة محرم بك

قوله وقرئ بالرفع والنصب على المدح وقد يجعل ملاما ولي على قراءة النصب فالمعنى اجعل غير الله فاطر السموات وقد يجعل صفة لولي وقد عرفت ان اضافته معنوية لكونه بمعنى الماضي فاستقر اللطف له واما على قراءة فطر فالجملة في محل النصب صفة لولي لا له لان الجملة نكرة منه

واكتفى بذكر الانذار عن ذكر البشارة فان قيل الخطاب لكفار مكة وليس فيهم ما يصلح ان يبشروا به فلن كونه الخطاب لاهل مكة ليس متعينا لجواز ان يكون للموجودين كما نبه عليه المص ولو سلم فمن اين تعين كون الخطاب لكفارهم لم لا يجوز ان يكون الخطاب لكلهم مسلمهم وغيرهم

او من الثقلين يعني الانس والجن سميا بذلك لانه ثقلة الارض وهي كالحمولة لها

ومن بلغهم وانه لا يؤاخذ من لم تبلغه أئنكم لتشهدون أن مع الله آلهة أخرى تقرير
لهم مع انكار واستبعاد قل لا أشهد بما تشهدون قل إنما هو إله واحد اى بل اشهد
ان لا اله الا هو وإنني بريء مما تشركون يعني الاصنام الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه
يعرفون رسول الله بحليته المذكورة في التورية والانجيل كما يعرفون أبناءهم بحلاهم
الذين خسروا أنفسهم من اهل الكتاب والمشركين فهم لا يؤمنون لتضييعهم ما به يكتسب
الايمان ومن أظلم ممن افترى على الله كذبا كقولهم الملائكة بنات الله وهؤلاء شفعاؤنا
عند الله او كذب بآياته كأن كذبوا بالقرآن والمعجزات وسموها سحرا وانما ذكر او وهم
قد جمعوا بين الامرين تنبيها على ان كلا منهما وحده بالغ غاية الافراط في الظلم على
النفس انه الضمير للشأن لا يفلح الظالمون فضلا عمن لا احد اظلم منه ويوم نحشرهم جميعا
منصوب بمضمر تهويلا للامر ثم نقول للذين اشركوا اين شركاؤكم اى آلهتكم التي جعلتموها
شركاء لله وقرأ يعقوب يحشر ويقول بالياء الذين كنتم تزعمون اى تزعمونهم شركاء فحذف
المفعولان والمراد من الاستفهام التوبيخ ولعله يحال بينهم وبين آلهتهم حينئذ ليفقدوها
في الساعة التي علقوا بها الرجاء فيها ويحتمل ان يشاهدوهم ولكن لما لم ينفعوهم فكأنهم غيب
عنهم ثم لم تكن فتنتهم الا ان قالوا اى كفرهم والمراد عاقبته وقيل معذرتهم التي يتوهمون
ان يتخلصوا بها من فتنت الذهب اذا خلصته وقيل جوابهم وانما سماه فتنة
لانه كذب او لانهم قصدوا به الخلاص وقرأ ابن كثير وابن عامر وحفص لم تكن
بالتاء وبرفع فتنتهم على انها الاسم ونافع وابو عمرو وابو بكر عنه بالتاء والنصب
على ان الاسم ان قالوا والتانيث للخبر كقولهم من كانت امك والباقون بالياء والنصب
والله ربنا ما كنا مشركين يكذبون ويحلفون عليه مع علمهم بانه لا ينفع
من فرط الحيرة والدهشة كما يقولون ربنا اخرجنا منها وقد ايقنوا بالخلود
وقيل معناه ما كنا مشركين عند انفسنا وهو لا يوافق قوله انظر كيف كذبوا على انفسهم
اى بنفي الشرك عنها وحمله على كذبهم في الدنيا تعسف يخل بالنظم ونظير ذلك قوله
يوم يبعثهم الله جميعا فيحلفون له كما يحلفون لكم وقرأ حمزة والكسائي ربنا
بالنصب على النداء او المدح وضل عنهم ما كانوا يفترون من الشركاء ومنهم من يستمع اليك
حين تتلو القرآن والمراد ابو سفيان والوليد والنضر وعتبة وشيبة وابو جهل
واضرابهم اجتمعوا فسمعوا رسول الله يقرأ فقالوا للنضر ما يقول فقال والذي جعلها
بيته ما ادري ما يقول الا انه يحرك لسانه ويقول اساطير الاولين مثل ما حدثتكم
وجعلنا على قلوبهم اكنة اغطية جمع كنان وهو ما يستر الشيء ان يفقهوه كراهة
ان يفقهوه وفي آذانهم وقرا يمنع من استماعه وقد مر تحقيق ذلك في اول
البقرة وان يروا كل آية لا يؤمنوا بها لفرط عنادهم واستحكام التقليد فيهم
حتى اذا جاؤك يجادلونك اى بلغ تكذيبهم الآيات الى انهم جاؤك يجادلونك

قوله الذين آتيناهم الكتاب جواب عما تمسكوا به من قولهم لقد سألنا عنك اليهود والنصارى اخرج من يشهد
مسارعة الى الزامهم بالجواب عن تحكمهم بقولهم فأرنا من يشهد لك الخ والمراد بالموصول اليهود والنصارى
وبالكتاب الجنس المنتظم للتورية والانجيل وايرادهم بعنوان ايتاء الكتاب للايذان بمدار ما اسند
اليهم بقوله تعالى يعرفونه اى يعرفون رسول الله صلى الله عليه وسلم من جهة الكتابين بحليته ونعوته المذكورة فيهما
الذين خسروا انفسهم من اهل الكتابين والمشركين بان ضيعوا فطرة الله التي فطر الناس عليها واعرضوا
عن البينات الموجبة للايمان بالكلية فهم لا يؤمنون محل الموصول الرفع على الابتداء وخبره الجملة المصدرة
بالفاء لما فيه معنى الشرط ومن اظلم ممن افترى على الله كذبا بوصفهم النبي الموعود في الكتابين بخلاف ما هو
عليه السلام فانه افتراء على الله تعالى وهو استفهام وانكار لان يكون احد اظلم ممن فعل ذلك او مساو
وان كان سبك التركيب غير متعرض لانكار المساواة ونفيها يشهد به العرف الفاشي والاستعمال
المطرد فانه اذا قيل من اكرم من فلان او لا افضل من فلان فالمراد به حتما انه اكرم من كل كريم وافضل من كل فاضل
او كذب بآياته كأن كذبوا بالقرآن الذي من جملته الآية الناطقة بانهم يعرفونه عليه السلام كما يعرفون
ابناءهم وبالمعجزات وسموها سحرا وحرفوا التورية وغيروا نعوته عليه السلام فان ذلك تكذيب بآياته تعالى
انه الضمير للشأن ومدار وضعه موضعه ادعاء شهرته المغنية عن ذكره وفائدة تصدير الجملة به الايذان
بفخامة مضمونها مع ما فيه من زيادة تقرره في الذهن فان الضمير لا يفهم منه من اول الامر الا شأن مبهم
له خطر فيبقى الذهن مترقبا لما يعقبه فيتمكن عند وروده فضل تمكن فكأنه قيل ان الشأن الخطير هذا
وهو لا يفلح الظالمون اى لا ينجون من مكروه ولا يفوزون بمطلوب واذا كان حال الظالمين هذا
فما ظنك بمن هو في الغاية القاصية من الظلم ويوم نحشرهم جميعا منصوب على الظرفية
بمضمر مؤخر حذف ايذانا بضيق العبارة عن شرحه وبيانه وايماء الى عدم استطاعة السامع
لسماعه لكمال فظاعة ما يقع فيه من الطامة والداهية التامة كأنه قيل ويوم نحشرهم جميعا ثم نقول
لهم ما نقول كان من الاهوال والاحوال ما لا يحيط به دائرة المقال وتقدير صيغة الماضي للدلالة على التحقق
وقيل منصوب على المفعولية بمضمر مقدم اى واذكر لهم
وبحسن موقع قوله تعالى ثم لم تكن الخ عنه فتنتهم اى كفرهم مرادا به عاقبته اى لم تكن عاقبة كفرهم
للتحليف يوم نحشرهم لم تكن فتنتهم الا ان قالوا والتبرؤ عنه بان يقولوا والله ربنا
الذي لزموه مدة اعمارهم وافتخروا به شيئا من الاشياء الا جحوده وانما يقولون ذلك مع علمهم بانه لا يفيد النفع
ما كنا مشركين واما جوابهم المعبر عنه بالفتنة لانه كذب وما قلنا في الدنيا
راسا من فرط الحيرة والدهشة وحمله على معنى ما كنا مشركين عند انفسنا ان لهم عذرا وان لهم قدرة
انا على خطأ في معتقدنا مما لا ينبغي ان يتوهم اصلا فانه مما يوهم قطعا على انه قضى ببطلانه قوله تعالى انظر كيف
على الاعتذار في الجملة وذلك محل بحال يوم قطعا على انه الاشراك عنهم في الدنيا اى انظروا كيف
كذبوا على انفسهم فانه تعجب من كذبهم الصريح بانكار صدور الاشراك عنهم في الدنيا ومنهم من يستمع اليك كلام مبتدأ مسوق
كذبوا على انفسهم في قولهم ذلك فانه امر عجيب في الغاية يوم الحشر تقريرا
لحكاية ما صدر في الدنيا عن بعض من المشركين من احكام الكفر بحيث ما سيصدر عنهم
من تفسير ابو السعود رحمه الله
لما قبله وتحقيقا لمضمونه

وحتى هي التي تقع بعدها الجمل لا عمل لها، والجملة إذا وجوابه وهو يقول الذين كفروا
إن هذا إلا أساطير الأولين فإن جعل أصدق الحديث خرافات الأولين غاية التكذيب
ويجادلونك حال لمجيئهم ويجوز أن تكون الجارة وإذا جاءوك في موضع الجر ويجادلونك حال
ويقول تفسير له والأساطير الأباطيل جمع أسطورة أو أسطار جمع سطر وأصله السطر
بمعنى الخط وهم ينهون عنه أي ينهون الناس عن القرآن أو الرسول أو الإيمان به وينأون
عنه بأنفسهم أو ينهون عن التعرض لرسول الله وينأون عنه فلا يؤمنون به كأبي
طالب وإن يهلكون وما يهلكون بذلك إلا أنفسهم وما يشعرون أن ضرره لا يتعداهم
إلى غيرهم ولو ترى إذ وقفوا على النار جوابه محذوف أي لو تراهم حين يوقفون
على النار حتى يعاينوها أو يطلعون عليها أو يدخلونها فيعرفون مقدار عذابها
لرأيت أمرا شنيعا وقرئ وقفوا على البناء للفاعل من وقف عليه وقوفا فقالوا يا ليتنا
نرد تمنيا للرجوع إلى الدنيا ولا نكذب بآيات ربنا ونكون من المؤمنين استئناف كلام
منهم على وجه الإثبات كقولهم دعني ولا أعود أي وأنا لا أعود تركتني أو لم
تتركني أو عطف على نرد أو حال من الضمير فيه فيكون في حكم التمني وقوله وإنهم لكاذبون
راجع إلى ما تضمنه التمني من الوعد ونصبهما حمزة ويعقوب وحفص على الجواب بإضمار
أن بعد الواو وإجرائها مجرى الفاء وقرأ ابن عامر برفع الأول على العطف ونصب الثاني
على الجواب بل بدا لهم ما كانوا يخفون من قبل الإضراب عن إرادة الإيمان المفهوم
من التمني والمعنى أنه ظهر لهم ما كانوا يخفون من نفاقهم وقبائح أعمالهم فتمنوا
ذلك ضجرا لا عزما على أنهم لو ردوا لآمنوا ولو ردوا أي إلى الدنيا بعد الوقوف والظهور
لعادوا لما نهوا عنه من الكفر والمعاصي وإنهم لكاذبون فيما وعدوا من أنفسهم
وقالوا عطف على لعادوا أو على إنهم لكاذبون أو على نهوا أو استئناف بذكر ما قالوه
في الدنيا إن هي إلا حياتنا الدنيا الضمير للحياة وما نحن بمبعوثين ولو ترى إذ وقفوا
على ربهم مجاز عن الحبس للسؤال والتوبيخ وقيل معناه وقفوا على قضاء ربهم أو جزائه
أو عرفوه حق التعريف قال أليس هذا بالحق كأنه جواب قائل قال ماذا قال ربهم
حينئذ والهمزة للتقريع على التكذيب والإشارة إلى البعث وما يتبعه من الثواب
والعقاب قالوا بلى وربنا إقرار مؤكد باليمين لانجلاء الأمر غاية الجلاء قال فذوقوا
العذاب بما كنتم تكفرون بسبب كفركم أو ببدله قد خسر الذين كذبوا بلقاء
الله إذ فاتهم النعيم واستوجبوا العذاب المقيم ولقاء الله البعث وما يتبعه حتى إذا جاءتهم
الساعة غاية لكذبوا لا لخسر لأن خسرانهم لا غاية له بغتة فجأة ونصبها على الحال
أو المصدر فإنها نوع من المجيء قالوا يا حسرتنا أي تعالي فهذا أوانك على ما فرطنا قصرنا
فيها في الحياة الدنيا أضمرت وإن لم يجر ذكرها للعلم بها أو في الساعة يعني في شأنها
والإيمان بها وهم يحملون أوزارهم على ظهورهم تمثيل لاستحقاقهم آصار الآثام

قوله أي بلغ تكذيبهم الآيات أي هذا بيان لحاصل المعنى لا بيان مآل عدم الفهم والاستماع التكذيب
ولا بد لي دلالة غير القول المذكور فلا يتأتى أن يفسر أن يجادلونك هو الجواب وأن الأكثر جعله غاية لجعله
تعالى على قلوبهم أكنة وفي آذانهم وقرا أي بلغ بهم ذلك المنع من فهم القرآن إلى أن قالوا إن هذا إلا أساطير
الأولين وحتى إذا وقع بعدها تحتمل أن تكون بمعنى ألف وأن تكون بمعنى إلى والتقدير فإذا جاءوك أي أوان
أن جاءوك والمص رحمه الله اختار الثاني والغاية معتبرة في الوجهين وقوله غاية التكذيب أي أن تكذيبهم بلغ إلى
بهذا لأنه الفرد الكامل منه لو كانت حتى الأنبياء كما دفع ما توهم من أن التكذيب لا ينتهي بمجادلتهم والقضاء
من كتبه

قوله وإنهم لكاذبون أي جواب لسؤال فكأن قائلا يقول إذا كان الكل تحت التمني فما الكذب والحال
أن الكذب لا يكون إلا في الأخبار والتمني إنشاء لا إخبار فأجاب بما ذكر

قوله استئناف كلام منهم اعلم أن القراء اتفقوا على رفع نرد لكونه داخلا في التمني لا محالة وقرأ نافع وأبو عمرو
ولا نكذب ونكون برفع الفعلين وذكر المص لهذه القراءة ثلاثة أوجه الأول أن التمني قد تم عند قوله يا ليتنا
نرد وأما قوله ولا نكذب إلخ خبر مبتدأ محذوف والجملة مستأنفة لا تعلق لها بما قبلها وليست داخلة
في حيز التمني أصلا على أنه تعالى حكى عنهم أمرين الأول أنهم تمنوا الرجوع إلى الدنيا والثاني أنهم أخبروا عن
أنفسهم بأنهم لا يكذبون بآيات ربهم وأنهم يكونون من المؤمنين فيكون الجملة مع ما عطف عليه في محل النصب
على أنها مفعول القول والتقدير فقالوا يا ليتنا نرد وقالوا نحن لا نكذب ونكون من المؤمنين على كل حال رددنا
إلى الدنيا أو لم نرد كقولهم دعني ولا أعود أي على كل حال تركتني أو لم تتركني والوجه الثاني أن يكون كل واحد من الفعلين
معطوفا على نرد وداخلا في التمني على أنه تعالى حكى عنهم أنهم تمنوا ثلاثة أشياء الرد إلى دار الدنيا وعدم تكذيبهم
بآيات ربهم وكونهم من المؤمنين والوجه الثالث أن تكون الواو واو الحال على أن يكون المضارع خبر مبتدأ
محذوف وتكون الجملة الاسمية في محل النصب على الحالية من مرفوع نرد والتقدير يا ليتنا نرد غير مكذبين وكائنين
من المؤمنين فيكون تمني الرد مقيدا بهاتين الحالتين فيكون كل واحد من الفعلين داخلا في التمني ووجه المناسبة
بالمقام أن الكفار لما عاينوا الشدائد المترتبة على تقصيراتهم الواقعة في الدنيا تمنوا العود إلى الدنيا بالتدارك
لتلك التقصيرات وذلك التدارك لا يحصل بمجرد العود إلى الدنيا ولا بمجرد ترك التكذيب أو الإتيان بالإيمان
بل إنما يحصل بجميع الأمور الثلاثة فوجب إدخال كل واحد من الأفعال الثلاثة في التمني إلا أن المص قدم الوجه الأول
لأن الله تعالى كذبهم بقوله وإنهم لكاذبون والمتمني لا يجوز تكذيبه إذ التمني إنشاء فلا يحتمل الصدق
والكذب وبهذا الإشكال لما ورد على الوجهين الأخيرين أشار إلى جوابه بقوله وقوله وإنهم لكاذبون
راجع إلى ما تضمنه التمني من الوعد فإن قولهم يا ليتنا نرد يتضمن بأنا لو رددنا إلى الدنيا لآمنا
وما كذبنا والتكذيب راجع إلى هذا الخبر الضمني   من شيخ زاده رحمه الله

قوله الإضراب عن إرادة الإيمان أي معنى بل للإضراب عن تمنيهم الباطل الذي أظهروه ذلك عن عزم صحيح بل هو
وهو أن ردوا لم يكذب أي ليس [redacted]
من أبداء ما افتضحوا به أي ليس الأمر كما قالوا من أنهم لو ردوا لآمنوا   منه

قوله غاية لكذبوا والمعنى أنهم كذبوا إلى أن ظهرت الساعة بغتة فإن قيل إنما يكذبون إلى أن يموتوا أجيب
أن زمان الموت آخر زمان من أزمنة الدنيا وأول زمان من أزمنة الآخرة فمن انتهى تكذيبه إلى هذا الوقت
صدق أنه كذب إلى أن ظهرت الساعة بغتة ولذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم من مات فقد
قامت قيامته بين الله تعالى بهذه الآية أن منكري البعث والقيامة لهم حالتان عظيمتان الأولى
الخسران المبين والتحسر عليه والثانية حمل الأوزار العظيمة والواو في قوله وهم يحملون للحال وصاحب الحال
الواو في قالوا أي قالوا يا حسرتنا في حالة حملهم أوزارهم   منه

الاساء ما يزرون بئس شيئا يزرونه وزرهم وما الحيوة الدنيا الا لعب ولهو
اي وما اعمالها الا لعب ولهو يلهي الناس ويشغلهم عما يعقب منفعة دائمة
ولذة حقيقية فهو جواب لقولهم ان هي الا حياتنا الدنيا وللدار الآخرة خير
للذين يتقون لدوامها وخلوص منافعها ولذاتها وقوله للذين يتقون تنبيه
على ان ما ليس من اعمال المتقين لعب ولهو وقرا ابن عامر ولدار الآخرة افلا تعقلون
اي الامرين خير وقرا ابن عامر ويعقوب بالتاء على خطاب المخاطبين به او تغليب
الحاضرين على الغائبين قد نعلم انه ليحزنك الذي يقولون معنى قد زيادة الفعل
وكثرته كما في قوله ولكنه قد يهلك المال نائله والهاء في انه للشان وقرئ ليحزنك
من احزن فانهم لا يكذبونك في الحقيقة وقرا نافع والكسائي لا يكذبونك
من اكذبه اذا وجده كاذبا او نسبه الى الكذب ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون
ولكنهم يجحدون بآيات الله ويكذبونها فوضع الظالمين موضع الضمير
للدلالة على انهم ظلموا بجحودهم او جحدوا لتمرنهم على الظلم والباء لتضمين الجحود
معنى التكذيب روي ان ابا جهل كان يقول ما نكذبك وانك عندنا لصادق
وانما نكذب ما جئتنا به فنزلت ولقد كذبت رسل من قبلك تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم
وفيه دليل على ان قوله لا يكذبونك ليس بنفي تكذيبه مطلقا فصبروا على ما كذبوا و
اوذوا على تكذيبهم وايذائهم فتأس بهم واصبر حتى اتاهم نصرنا فيه
ايماء بوعد النصر للصابرين ولا مبدل لكلمات الله لمواعيده من قوله ولقد
سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين الآيات ولقد جاءك من نبإ المرسلين
اي من قصصهم وما كابدوا من قومهم وان كان كبر عليك عظم
وشق اعراضهم عنك وعن الايمان بما جئت به فان استطعت ان تبتغي
نفقا في الارض او سلما في السماء فتأتيهم بآية منفذا تنفذ فيه الى جوف الارض
فتطلع لهم آية او مصعدا تصعد به الى السماء فتنزل منها آية وفي الارض
صفة لنفقا وفي السماء صفة لسلما ويجوز ان يكونا متعلقين بتبتغي او حالين من
المستكن وجواب الشرط الثاني محذوف تقديره فافعل والجملة جواب الاول والمقصود
بيان حرصه البالغ على اسلام قومه وانه لو قدر ان يأتيهم بآية من تحت الارض
او من فوق السماء لاتى بها رجاء ايمانهم ولو شاء الله لجمعهم على الهدى اي لو فقهم
للايمان حتى يؤمنوا ولكن لم تتعلق به مشيئته فلا تتهالك عليه والمعتزلة اولوه
بانه لو شاء لجمعهم على الهدى بان يأتيهم بآية ملجئة ولكن لم يفعل لخروجه
عن الحكمة فلا تكونن من الجاهلين بالحرص على ما لا يكون والجزع
في مواطن الصبر فانه من دأب الجهلة انما يستجيب الذين يسمعون انما
يجيب الذين يسمعون ... بتفهم وتأمل كقوله او القى السمع وهو شهيد وهؤلاء

قوله تعالى الاساء ما يزرون
افعال المدح فعل وضع لانشاء مدح او ذم فلم يكن مثل مدحته او ذممته منها لانه لم يوضع للانشاء
فمنها نعم وبئس شرطهما ان يكون الفاعل معرف باللام للعهد الذهني وهي لواحد غير معين
ابتداء وتصير معينا بذكر المخصوص بعده ويكون في الكلام تفصيل بعد الاجمال او يكون مضافا
الى المعرف باللام اما بغير واسطة نحو نعم صاحب الرجل زيد او بواسطة نحو نعم فرس غلام الرجل
او يكون مضمرا مميزا بنكرة منصوبة مفردة او مضافة الى نكرة او موصوفة بصفة لفظية نحو نعم رجلا
او صاحب رجل او زيد ... لو جئت او مميزا بما بمعنى شيء منصوب المحل على التمييز مثل
فنعما هي اي نعم شيئا هي فاذا هي موصولة بمعنى الذي في محل الرفع ويكون الصلة بعدها في فنعما
محذوفة لان هي مخصوصة اي نعم الذي فعله هي اي الصدقات وقال سيبويه موصوفة بما
بمعنى الشيء المعرف فنعما هي نعم الشيء هي فما هو الفاعل لكونه بمعنى ذي اللام وهي مخصوصة وبعد ذلك المخصوص
بالمدح والذم وبعديته بحسب الغالب لانه قد يتقدم المخصوص فيقال زيد نعم الرجل والمخصوص
مبتدأ والجملة الواقعة قبله خبره او خبر مبتدأ محذوف هو لفظ هو مثل نعم الرجل زيد فزيد
اما مبتدأ ونعم الرجل مقدما عليه خبره واما خبر مبتدأ محذوف هو لفظ هو فعلى الوجه الاول
نعم الرجل زيد جملة واحدة وعلى الوجه الثاني جملتان وقد يحذف المخصوص اذا علم بالقرينة مثل
قوله تعالى نعم العبد اي ايوب بقرينة ان ذلك في قصته وساء مثل بئس في الذم
والشرائط والاحكام ... وشرطهما ان يكون فاعلهما احد الامور الثلثة وهو ان يكون
معرفا باللام نحو نعم الرجل زيد او يكون مضافا الى معرفة بلام العهد نعم صاحب الرجل زيد او يكون
مضمرا اما مميزا بنكرة منصوبة نحو نعم رجلا زيد اي نعم الرجل رجلا زيد واما مميزا بما
بمعنى شيء غير موصوفة كقوله تعالى فنعما هي فما ههنا نكرة بمعنى الشيء موضعها النصب
على التمييز وهي المميزة لفاعل نعم اي فنعم شيئا هي اي نعم الشيء هي ولفظة هي ضمير الصدقات
و [redacted] هي المخصوصة بالمدح
نعم فعل مدح ما بمعنى شيئا
معرفة لقصد ... مرفوع فاعله فعل مدح
[redacted]
... هو الصدقة المضمر ...
فنعما اصله فنعم ما هي فادغم الميم الاول في الميم الثاني تمييزه [redacted] مخصوص المدح مبتدا فنعما خبر مقدم

قوله تعالى

قل أرأيتكم ان اتاكم عذاب الله او اتتكم الساعة اغير الله تدعون ان كنتم صادقين ١٤٩
استفهام تعجب والكاف حرف اكد به الضمير للتاكيد لا محل له من الاعراب لانك تقول ارايتك زيدا
ما شانه فلو جعلت الكاف مفعولا كما قاله الكوفيون لعديت الفعل الى ثلثة مفاعيل وللزم في الاية ان تقال
ارايتموكم بل الفعل معلق او المفعول محذوف تقديره ارايتكم الهتكم تنفعكم اذ تدعونها سعدالدين

قوله والكاف حرف خطاب اي ليس باسم حتى يكون في محل النصب على انه مفعول رايت بل هو حرف
اكد به ضمير الفاعل المخاطب لتاكيد الاسناد وارايت ههنا بمعنى اخبرني وان كان بمعنى ابصرت او
اعلمت تكون تاء الخطاب مطابقا لما قصد به في الافراد والتثنية والجمع والتذكير والتانيث تقول ارايت
ارايتما ارايتم الى ولا يجوز ان يلحقه كاف على انها حرف خطاب ثم ان لحقها الكاف كان اسما منصوب المحل
على انه مفعول اول ويكون مطابقا لما يراد به تقول ارايتك ارايتموكم ارايتك بكسر التاء والكاف وان كان
بمعنى اخبرني فلم يثبت له احكام مختصة به منها انه لا يلحقه تعليق ولا الغاء ولا ان اخبرني لا يلحقه شيء منها
عند الجمهور ومنها يلحقه الكاف هي حرف خطاب بعد ضمير الفاعل الذي هو التاء وذلك الكاف يطابق
ما يراد به من الافراد والتذكير وضدهما والتاء يبقى على حالة واحدة مفردة مفتوحة ابدا كما ارايتك وارايتك ارايتكم
الى وهذا عند البصريين واما عند الكوفيين فالكاف الذي يلحقه ليس بحرف بل اسم منصوب المحل على المفعولية
كما ان التاء اسم مرفوع المحل على الفاعلية فيطابق كل واحد منهما ما قصد فتقول ارايتك ارايتما كما ارايتموكم
ولما لم يكن الكاف اسما عند البصريين لم يكن له محل من الاعراب
كما اذا كان ارايت بصرية او علمية ارايت زيدا ما فعل لان الكاف عبارة عن المخاطب وهذا
لان هذا الفعل يتعدى الى مفعولين كقولك ارايت زيدا ما فعل لان علامة التانيث والجمع والتثنية والتذكير
معنى باطل ولان الكاف لو كان منصوبا على المفعولية لوجب ان يظهر علامة التانيث والجمع والتثنية والتذكير
في التاء ولقيل ارايتماكما ارايتموكم ارايتن كن شيخ
وجعل الاستفهام بمعنى الامر
اطلاق الرؤية وارادة الاخبار لان الرؤية سببه
قال الكرماني ان فيه تجوزين
ارايتكم ان اتاكم عذاب الله الى يدل على التعليق
هي مع الطلب وارايتك سمع تعليقها في قوله تعالى ارايتكم ان اتاكم عذاب الله وقد كثر علية المص قوله والكاف حرف خطاب
قال ابن عصفور ان المفعول حذف فيها اختصارا او الرؤية فيه علمية عند كثير قوله اكد به لغو وقوله لا محل له
في عبارته تسامحات لان مراده بالكاف لفظ كم لا الكاف وحده وقوله للتاكيد مع قوله اكد به لغو
مع حرف زائد قوله لعديت الفعل الى ثلاثة مفاعيل لانه بناء على انه علمية وان جملة الاستفهام في محل النصب على المفعولية
لا مستانفة ولا هو متعد لواحد بمعنى ابصر او عرف ثم ان قوله للزم الى بعيد لم يذكر المفعول بل الفعل معلق او المفعول
محذوف لانها علمية عند المص التعليق ابطال العمل لفظا لا محلا ان يدخل بجملة ما يمنع من العمل في لفظها والمفعول الثاني
في باب علم كونه جملة لانه صرفي الاصل فاذا قدر المفعول الاول لم يكن تعليقا واذا لم يقدر كان تعليقا لان الجملة بعدها قرينة عليه
سادة مسد مفعوليه وقوله تنفعكم اي تقديره اتنفعكم فقدر اداة الاستفهام لان كثرتها تغني عن ذكرها من تهذيب

قوله بل الفعل معلق لانه في الاصل من افعال القلوب التي تعلق بحرف الاستفهام فلا تتعدى الى المفعول
وان اعتبر كونه بمعنى اخبرني لا يلحقه التعليق فيقدر مفعول والتقدير ارايتكم الهتكم تنفعكم اذ تدعونها
او انجاذكم عبد الله الهة بل تكشف ضركم ونحو ذلك فقوله الهتكم او انجاذكم مفعول اول وما بعده مفعول ثان
حذفا للعلم به وبالجملة الاستفهامية سادة مسد الكل والتاء هي للفاعل والكاف حرف خطاب جيء بها
لتدل على احوال المخاطب من الافراد والتذكير ونحوهما والاستفهام فيها للتبكيت والجائهم الى الاقرار بانهم
ان اتاهم عذاب الله في الدنيا واتاهم العذاب عند قيام الساعة لا يرجعون في دفعه الا الى الله تعالى لا الى الاصنام
ولذلك قال بل اياه تدعون شيخ فلو جعلت الكاف مع انها منصوب المحل لكان تاكيدا
ولكان معنى قولك ارايتك زيدا ما شانه ارايت
نفسك زيدا ما صنع لان الكاف عبارة عن المخاطب لكونه مفعولا لفعل رايت
وهو معنى باطل من شيخ زاده

روي عن الشعبي انه كان جالسا في المسجد الحرام فقال لا تسالوني عن شيء الا اجبتكم
فيه من كتاب الله فقال رجل ما تقول في المحرم اذا قتل الزنبور فقال لا شيء عليه فقال
اين هذا في كتاب الله فقال قال الله تعالى وما اتاكم الرسول فخذوه ثم ذكر اسنادا الى رسول الله
صلى الله عليه وسلم انه قال عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين من بعدي ثم ذكر اسنادا
الى عمر رضي الله عنه انه قال للمحرم قتل الزنبور فاجابه بكتاب الله تعالى مستنبطا عنه بثلث درجات
وبالجملة ان القران لما دل على ان الاجماع حجة وان خبر الواحد حجة والقياس حجة فكل حكم ثبت بطريق
من هذه الطرق الثلثة كان في الحقيقة ثابتا بالقران فعند هذا يصح قوله تعالى ما فرطنا في الكتاب من شيء
والموتى يبعثهم الله هو مثل لقدرته على الجائهم الى الاستجابة بانه هو الذي يبعث الموتى من القبور يوم القيمة ثم اليه يرجعون للجزاء فكان قادرا على هؤلاء الموتى بالكفر
ان يحييهم بالايمان وانت لا تقدر على ذلك وقيل هؤلاء الموتى يعني الكفرة يبعثهم الله ثم اليه
يرجعون فحينئذ يسمعون واما قبل ذلك فلا سبيل الى استماعهم وهما وجهان الاول ان المعنى اجال قدرته
القاهرة على الجائهم الى الاستجابة بكمال قدرته القاهرة على بعث الموتى من القبور لكن على هذا التمثيل قوله
ثم اليه يرجعون تتمة حكم دخل في التمثيل الا ان يراد انه اشارة الى ما يترتب على الاستجابة من الاثار
في الدنيا والاخرة والثاني الموتى فيه مجاز عن الكفرة تشبيها لكفرهم وجهلهم بالموتى فيكون استعارة
تبعية وعلى الاول فالمفردات على حقائقها وكلام المص يحتمل فيحتمل انه يريد الاول ويكون قوله يعلمهم
مرتب عليه بناء على انه عند الاية الملجئة لا ينفع الايمان كما مر ويحتمل الثاني ايضا اي الكفرة يعلمهم
حيث لا ينفعهم الايمان وقوله كالموتى ظاهر فيه وذلك اما عند الموت او عند الحشر وخص العلم به
الثاني لانه اقوى ولانه الذي يترتب عليه الجزاء الاكبر من الخلود في العذاب الاليم

قل أرأيتكم إن أتاكم عذاب الله أو أتتكم الساعة أغير الله تدعون إن كنتم صادقين

قوله والكاف حرف خطاب الخ فهنا مذهبان الاول مذهب البصريين وهو ان تكون الكاف حرف لا اسم بل حرف مجرد ذكر لتاكيد الضمير الذي هو التاء ولا محل لها من الاعراب ولا معمول لشيء وقوله تعالى أرأيت بمعنى أخبرني ولا يلحقه التعليق والفاعل اي التاء باق على حالة واحدة ابدا بخلاف الكاف فانه يطابق ما يراد من الافراد والتثنية والجمع فتقول أرأيتكم أرأيتكما أرأيتم وأرأيتكم مجاز عن معنى الاخبار بعلاقة السببية والمسببية كما سيجيء تفصيله وأشار البيضاوي رحمه الله الى كون الكاف حرفا وانما جيء لمجرد التاكيد بدليل ابطال كونه اسما بقوله لانك تقول لو جعلت الكاف الخ وأما مفعول أرأيتكم محذوف كما صرح المص رحمه بقوله والمفعول محذوف تقديره أرأيتكم آلهتكم اذ تدعونها وقوله ويحتمل ان يكون أرأيتكم معلقا والتعليق وجوب ابطال عمل افعال القلوب لفظا اذا كان قبل الاستفهام فلا يحتاج على ذلك الاحتمال الى مفعول كما قال البيضاوي بل الفعل معلق والمختار عند المصنف مذهب البصريين وأما مذهب الكوفيين فهو عندهم ان الكاف الذي يلحقه ليس بحرف بل اسم منصوب المحل كما ان التاء اسم مرفوع المحل على الف علية فيطابق كل واحد منهما بما قصد به غير التاء لم يبق على حالة واحدة كالكاف فيقال أرأيتك أرأيتكما أرأيتموكم والفعل اي أرأيت قد يكون بمعنى الاخبار مجازا وقد يكون بصرية او علمية وهذا المذهب فاسد والدليل المصنف على فساده بقوله فلو جعلت الكاف مفعولا كما قاله الكوفيون لعديت الفعل الى ثلاثة الخ اي اسهر وتفصيل هذا الدليل ان لفظة كم لو كان اسما يحتاج الى فاعل فلا فاعل له في الظاهر الا الفعل أرأيتكم بالمفعولية فيقتضي ان يكون ضمير كم منصوب المحل مفعول أرأيتكم فيلزم ان يكون لفعل القلب ثلاثة مفاعيل والحق ان افعال القلوب لا يتعدى الا الى مفعولين كما نظر الى فضله وشاطرافيه رحمه الله بهذه الايجاز المفيد المعجز حيث اشار الى دليل كونه الكاف حرفا لا اسما والى ابطال كونه اسما بقوله لانك تقول أرأيتك زيدا ما شأنه فلو جعلت الكاف مفعولا لعديت الى ثلاثة مفاعيل انتهى وقوله رحمه الله وللزم في الآية ان يقال الخ دليل مستقل آخر على تلك الابطال اي ابطال مذهب الكوفيين بعد لو كانت الكاف اسما ومفعولا لظهرت علامة التثنية والجمع في التاء كقوله أرأيتماكما وأرأيتموكم وهذه التحريرات كاف في معرفة الاعراب وفي فهم كلام البيضاوي في بيان الكاف وتقدير المحذوف لفعل القلب لكن معنى كلامه في سر قوله أرأيتكم استفهام وتعجب يحتاج الى تحرير الحواشي وكلام المفسرين وهذا املاه الشيخ محمد قال الآلوسي رحمه الله قوله تعالى أرأيتكم منقول من رأيت بمعنى أبصرت او عرفت كانه قيل أبصرته وشاهدت به حالة العجيبة او عرفتها اخبرني عنها فلا يستعمل الا في الاستخبار عن حالة عجيبة لشيء فهذا هو معنى التعجب قال السمين رحمه الله قوله الاستفهام والتعجب ايقاع السبب على المسبب لان الاخبار انما يكون بعد الرؤية او العرفان وهو الاستفهام والاظهر هاهنا مجاز عن معنى اخبرني منقولا من رأيت بمعنى أبصرت او عرفت اي نظرا الى اصل الكلام وهو الاستفهام والتعجب بمعنى اخبرني عنها فلا يستعمل الا في الاستخبار عن حالة عجيبة لشيء ووجه المجاز كانه قيل أبصرته وشاهدت حالة العجيبة او عرفتها اخبرني عنها فلا يستعمل الا في الاستخبار عن حالة عجيبة لشيء ووجه المجاز انه لما كان العلم بالشيء سببا للاخبار عنه او الابصار به طريق الى احاطته علما والى صحة الاخبار استعملت الصيغة التي لطلب العلم او لطلب الابصار في طلب الخبر لعلى التقدير من فيه تجوز قال الشهاب رحمه الله ان فيه تجوزين اطلاق الرؤية وارادة الاخبار لان الرؤية سببه وجعل الاستفهام بمعنى الامر بجامع الطلب قال ابن كمال قوله تعالى قل أرأيتكم أخبروني لما كان العلم سبب الاخبار وضع طلب العلم موضع طلب الخبر فصورته استفهام ومعناه الامر لاشتراكهما في الطلب والكاف حرف خطاب لا محل لها من الاعراب والفعل معلق او المفعول محذوف تقديره أرأيتكم آلهتكم تنفعكم اذ تدعونها قال ابو السعود قوله تعالى قل أرأيتكم امر لرسول الله صلى الله عليه وسلم بان يبكتهم ويلقمهم الحجر بما لا سبيل لهم الى النكير والكاف حرف ومبنى التركيب وان كان على الاستخبار عن الرؤية قلبية كانت او بصرية لكن المراد الاستخبار عن متعلقها اي اخبروني ثم قوله ان كنتم صادقين قد صرح المصنف ان جواب قوله تعالى ان كنتم صادقين محذوف اي فادعوه ولم يتعرض صريحا الى جواب قوله ان أتاكم لكن يفهم من كلامه انه محذوف ايضا دل عليه متعلق الاستخبار وهو مفعول أرأيتكم حيث قال تقديره أرأيتكم آلهتكم تنفعكم ان أتاكم عذاب الله ولا يصح قوله أغير الله لان يكون جوابا له لان الجملة المصدرة بهمزة الاستفهام لا يقع جواب للشرط ولا قوله [redacted] أرأيتكم لكونه مصدرا بالهمزة ولان جواب الشرط لا يتقدم عليه عند البصريين ثم شيخ زاده قال الكشاف قوله تعالى أرأيتكم اخبروني والضمير الثاني لا محل له من الاعراب لانك تقول أرأيتك زيدا ما شأنه فلو جعلت للكاف محلا لكنت كانك تقول أرأيت نفسك زيدا ما شأنه وهو خلف من القول ومتعلق الاستخبار محذوف تقديره أرأيتكم ان أتاكم عذاب الله او أتتكم الساعة من تدعون ثم بكتهم بقوله أغير الله تدعون بمعنى تخصون آلهتكم بالدعوة فيما هو عادتكم اذا اصابكم ضر ام تدعون الله دونها بل اياه تدعون بل تخصونه دون الالهة قوله استفهام وتعجب فيه غلط لانهم قالوا ان أرأيتكم بمعنى اخبروني كما صرح به الكشاف وليس فيه استفهام ولا تعجب بل امر للتبكيت والتوبيخ والجواب ان هذه الكلمة مراد بها الاستخبار عن الشيء العجيب فلما كانت للاستخبار تكون للاستفهام ولما كانت دالة على الشيء العجيب تقصد بها تعجبهم والمعنى اخبروا عن حالكم ايها المخاطبون وعجب يستحق ان يتعجب منها ... والله اعلم بالآية كريمه ... سيز وعذاب الهى كلدكده ... اللهدن غيره دعا ايده بلورميسز ... اتحادكزده صادق ... [redacted] ... اولديكزه اكر ... بلكه الحى اللهه يلوارريسز دعا ايدرسز فكشف ما تدعون ... فائده ويرن بيلورسز

كالموتى الذين لا يسمعون والموتى يبعثهم الله فيعلمهم حين لا ينفعهم الايمان ثم
اليه يرجعون للجزاء وقالوا لولا نزل عليه آية من ربه اي آية مما اقترحوه او آية اخرى
سوى ما انزل من الآيات المتكاثرة لعدم اعتدادهم بها عنادا قل ان الله قادر على
ان ينزل آية مما اقترحوه او آية تضطرهم الى الايمان كنتق الجبل او آية ان جحدوها
هلكوا ولكن اكثرهم لا يعلمون ان الله قادر على انزالها وان انزالها يستجلب
وبالا عليهم وان لهم فيما انزل مندوحة عن غيره وقرأ ابن كثير ينزل بالتخفيف والمعنى
واحد وما من دابة في الارض تدب على وجهها ولا طائر يطير بجناحيه في الهواء وصفه به
قطعا لمجاز السرعة ونحوها وقرئ ولا طائر بالرفع على المحل الا امم امثالكم
محفوظة احوالها مقدرة ارزاقها وآجالها والمقصود من ذلك الدلالة على كمال قدرته
وشمول علمه وسعة تدبيره ليكون كالدليل على انه قادر على ان ينزل آية وجمع الامم
للحمل على المعنى ما فرطنا في الكتاب من شيء يعني اللوح المحفوظ فانه مشتمل على
ما يجري في العالم من جليل ودقيق لم يهمل فيه امر حيوان ولا جماد او القرآن فانه
قد دون فيه ما يحتاج اليه من امر الدين مفصلا او مجملا ومن مزيدة وشيء في موضع
المصدر لا المفعول به فان فرط لا يتعدى بنفسه وقد عدي بفي الى الكتاب وقرئ
ما فرطنا بالتخفيف ثم الى ربهم يحشرون يعني الامم كلها فينصف بعضها من بعض
كما روي انه يأخذ للجماء من القرناء وعن ابن عباس حشرها موتها والذين كذبوا باياتنا
صم لا يسمعون مثل هذه الآيات الدالة على ربوبيته وكمال علمه وعظم قدرته
سماعا تتأثر به نفوسهم وبكم لا ينطقون بالحق في الظلمات اي خابطون
في ظلمات الكفر او في ظلمة الجهل وظلمة العناد وظلمة التقليد ويجوز ان يكون حالا
من المستتر في الخبر من يشأ الله يضلله من يشأ الله اضلاله يضلله وهو دليل
واضح لنا على المعتزلة ومن يشأ يجعله على صراط مستقيم بان يرشده الى الهدى
ويحمله عليه قل أرأيتكم استفهام تعجيب والكاف حرف خطاب اكد به الضمير للتأكيد
لا محل له من الاعراب لانك تقول أرأيتك زيدا ما شأنه فلو جعلت الكاف مفعولا
كما قاله الكوفيون لعديت الفعل الى ثلاثة مفاعيل وللزم في الآية ان يقال
أرأيتموكم بل الفعل معلق او المفعول محذوف تقديره أرأيتكم آلهتكم تنفعكم
اذ تدعونها ان اتاكم عذاب الله كما اتى من قبلكم او اتتكم الساعة
وهولها ويدل عليه أغير الله تدعون وهو تبكيت لهم ان كنتم صادقين ان
الاصنام آلهة وجوابه محذوف اي فادعوه بل اياه تدعون بل تخصونه بالدعاء
كما حكى عنهم في مواضع وتقديم المفعول لافادة التخصيص فيكشف ما تدعون
اليه اي ما تدعونه الى كشفه ان شاء ان يتفضل عليكم ولا يشاء في الآخرة
وتنسون ما تشركون اي وتتركون آلهتكم في ذلك الوقت لما ركز في العقول

قوله ولا يشاء في الآخرة دفع لما يتوهم من قوله فيكشف ذلك العذاب ان شاء ان العذاب ربما يكشف
عن المشركين في الآخرة وليس كذلك لانه تعالى لا يغفر ان يشرك به مسيح

قوله وتتركون آلهتكم اي دعاء آلهتكم لانه معطوف على قوله بل اياه تدعون يريد ان النسيان ليس بمعنى
الغفلة بل المعنى انهم يتركون دعاءها مع كونهم ذاكرين لها وان كلمة ما في ما تشركون موصولة والعائد
محذوف اي ما تشركونه مع الله في العبادة وان جاز ان تكون مصدرية اي تنسون الاشراك نفسه
او تنسون المشرك به من الاصنام وغيرها على ان يكون المصدر بمعنى المفعول فقول المص آلهتكم يحتمل ان يكون
مبنيا على هذا الاحتمال مسيح

قوله تعالى أغير الله تدعون في الكاف تخصون آلهتكم بالدعوة كما هو عادتكم اذا اصابهم ضر ام تدعون الله دونها
والمص رحمه الله ترك بيان التخصيص ههنا لانه لانكار دعوة غير الله لا لانكار تخصيص الدعوة بغيره تعالى
فتقديمه لان الانكار متعلق به م شهاب

قوله يخصونه بالدعاء الخ هذا وان اغنى عن قوله وتقديم المفعول الخ لكنه صرح به لانه يحتمل التقديم لرعاية الفواصل
والتخصيص يستفاد من قوله وتنسون ما تشركون وقوله الى كشفه بيان لحاصل المعنى لانه اذا دعي لكشفه
او الى تقدير مضاف والعائد الى ما محذوف قوله كما حكي الخ اشارة لقوله تعالى واذا مسكم الضر
في البحر ضل من تدعون الا اياه فليس قوله بل اياه تدعون على الفرض كما توهم م شهاب

ولا تتركون آلهتكم اي دعاء آلهتكم لانه معطوف على قوله بل اياه تدعون يريد ان النسيان ليس بمعنى الغفلة
بل المعنى انهم يتركون دعاءها مع كونهم ذاكرين لها وان كلمة ما في ما تشركون موصولة والعائد محذوف اي
ما تشركونه مع الله في العبادة وان جاز ان تكون مصدرية اي تنسون الاشراك نفسه او تنسون المشرك به
من الاصنام وغيرها على ان يكون المصدر بمعنى المفعول فقول المص آلهتكم يحتمل ان يكون مبنيا على هذا الاحتمال
وتتركون آلهتكم في ذلك الوقت فالنسيان على هذا مجاز عن الترك وحقيقة على الثاني والاول هو الوجه مسيح
لان اختيارته والامر وكونها سببا للنسيان بعيد نسيانه تعالى البتة مسعد

على أنه القادر على كشف الضر دون غيره أو وتنسونه من شدة الأمر وهوله ولقد
أرسلنا إلى أمم من قبلك أي قبلك ومن زائدة فأخذناهم أي فكذبوا
المرسلين فأخذناهم بالبأساء بالشدة والفقر والضراء الضر والآفات وهما صيغتا تأنيث
لا مذكر لهما لعلهم يتضرعون يتذللون لنا ويتوبون عن ذنوبهم فلولا إذ جاءهم
بأسنا تضرعوا معناه نفي تضرعهم في ذلك الوقت مع قيام ما يدعوهم ولكن قست
قلوبهم وزين لهم الشيطان ما كانوا يعملون استدراك على المعنى وبيان الصارف
لهم عن التضرع وأنه لا مانع لهم إلا قساوة قلوبهم وإعجابهم بأعمالهم التي زينها الشيطان
لهم فلما نسوا ما ذكروا به من البأساء والضراء ولم يتعظوا به فتحنا عليهم أبواب
كل شيء من أنواع النعم مراوحة عليهم بين نوبتي الضراء والسراء وامتحانا لهم بالشدة
والرخاء إلزاما للحجة وإزاحة للعلة أو مكرا بهم لما روي أنه عليه السلام قال مكر بالقوم ورب
الكعبة وقرأ ابن عامر فتّحنا بالتشديد في جميع القرآن ووافقه يعقوب فيما عدا هذا
والذي في الأعراف حتى إذا فرحوا بما أوتوا من النعم ولم يزيدوا على البطر والاشتغال
بالنعم عن المنعم والقيام بحقه أخذناهم بغتة فإذا هم مبلسون متحسرون آيسون
فقطع دابر القوم الذين ظلموا أي آخرهم بحيث لم يبق منهم أحد من دبره دبرا ودبورا
إذا تبعه والحمد لله رب العالمين على إهلاكهم فإن هلاك الكفار والعصاة من حيث
إنه تخليص لأهل الأرض من شؤم عقائدهم وأعمالهم نعمة جليلة يحق أن يحمد عليها قل أرأيتم
إن أخذ الله سمعكم وأبصاركم أصمكم وأعماكم وختم على قلوبكم بأن يغطي عليها
ما يزول به عقلكم وفهمكم من إله غير الله يأتيكم به أي بذلك أو بما أخذ وختم عليه
أو بأحد هذه المذكورات انظر كيف نصرف الآيات نكررها تارة من جهة المقدمات
العقلية وتارة من جهة الترغيب والترهيب وتارة بالتنبيه والتذكير بأحوال المتقدمين
ثم هم يصدفون يعرضون عنها وثم لاستبعاد الإعراض بعد تصريف الآيات وظهورها
قل أرأيتكم إن أتاكم عذاب الله بغتة من غير مقدمة أو جهرة بتقدمها أمارة
تؤذن بحلوله وقيل ليلا ونهارا وقرئ بغتة أو جهرة هل يهلك أي ما يهلك
به هلاك سخط وتعذيب إلا القوم الظالمون ولذلك صح الاستثناء المفرغ
منه وقرئ يهلك بفتح الياء وما نرسل المرسلين إلا مبشرين المؤمنين بالجنة
ومنذرين الكافرين بالنار ولم نرسلهم ليقترح عليهم ويتلهى بهم فمن آمن وأصلح
ما يجب إصلاحه على ما شرع لهم فلا خوف عليهم من العذاب ولا هم يحزنون
بفوات الثواب والذين كذبوا بآياتنا يمسهم العذاب جعل العذاب ماسا
لهم كأنه الطالب للوصول إليهم واستغنى بتعريفه عن التوصيف بما كانوا يفسقون
بسبب خروجهم عن التصديق والطاعة قل لا أقول لكم عندي خزائن الله
مقدوراته أو خزائن رزقه ولا أعلم الغيب ما لم يوح إلي ولم ينصب عليه دليل

قوله تعالى قل لا اقول لكم عندي خزائن الله ولا اعلم
هذه الآية ايضا متعلقة بقول المشركين لولا انزل عليه آية من ربه ومن بقية جوابه
انهم يقترحون ما بدا لهم مثل ان يقول ان كنت رسولا من عند الله حتى توسع علينا
منافع الدنيا وخيراتها فامر الله تعالى رسوله صلى الله عليه وسلم ان يقول لهم لا اقول لكم
عندي خزائن الله وايضا كانوا يقولون ان كنت رسولا من عند الله فاخبرنا بما يستقبل
من المستقبل من المصالح والمضار حتى نستعد لتحصيل تلك المصالح ودفع تلك المضار فامر
ان يقول ولا اعلم الغيب فكيف تطلبون مني هذه المطالب وايضا انهم كانوا يقولون
ما لهذا الرسول ياكل الطعام ويمشي في الاسواق ويتزوج النساء ويخالط الناس فقال تعالى
قل لهم اني لست من الملائكة ولكن بشر رسول لا ادعي الا الرسالة والنبوة وليس شاني
الا تبليغ ما اوحي الي والامور التي طلبتموها لا يمكن تحصيلها الا بقدرة الله فكيف تطلبونها مني
قوله تعالى فلولا اذ جاءهم بأسنا معناه نفي التضرع كانه قيل فلم يتضرعوا اذ جاءهم بأسنا
ولكنه جاء بلولا ليفيد انه لا عذر لهم في ترك التضرع الا عنادهم وقسوة قلوبهم واعجابهم
باعمالهم التي زينها الشيطان لهم كشاف
قوله تعالى وزين لهم الشيطان فان قيل قد اسند الله ههنا التزيين الى الشيطان واسنده
الى نفسه في قوله وكذلك زينا لكل امة عملهم فهل بينهما تناف قلت
وقع التزيين في النظم في مواضع كثيرة فتارة اسنده الى الشيطان وتارة الى
ذاته والى البشر كقوله تعالى وزين لكثير من المشركين قتل اولادهم شركاؤهم فان التزيين
لها معان يشهد بها الاستعمال واللغة احدها ايجاد الشيء حسنا مزينا في نفس الامر كقوله زينا
السماء الدنيا والثاني جعله مزينا من غير ايجاد ... والثالث جعله محبوبا
للنفس مشتهى للطبع وان لم يكن في نفسه كذلك فهذا ان كان بخلق الميل في النفس
والطبع يسند الى الله تعالى كقوله ان الذين لا يؤمنون بالآخرة زينا لهم اعمالهم فان المعنى جعلنا
زينا لهم اعمالهم القبيحة بان جعلناها مشتهاة بالطبع محبوبة للنفس ... والاغواء كما في
الآية التي قبله ... واذا كان بمجرد تزيينه ... الى الله تعالى حقيقة ... اسنده الى الشيطان
قوله تعالى لازينن لهم في الارض ولاغوينهم ... من بيان
... ان وسوس لهم ... اذا سخر منه ولعب به وهواه
ولم نرسلهم ليقترح عليهم ويتلهى بهم من قولهم تلهى ... المسلمين الا ان في هذه الحال ... العبثية
الى ان قوله تعالى الا مبشرين ومنذرين وان كان بين المرسلين ... ولا قدرة لهم على اظهار الآيات
اي لم نرسلهم لان يقترح عليهم الآيات بل لان يبشروا او ينذروا
والمعجزات بل ذلك مفوض الى مشيئة الله تعالى ثم ذكر ثواب من صدق بهم وامن فقال
فمن امن واصلح الآية
شيخ زاده

/١٢

٩

زين لهم الشيطان للتزيين معان احدها ايجاد الشيء حسنا مزينا في نفس الامر كقوله تعالى زينا السماء الدنيا ١٤٩
والثاني جعله مزينا من غير ايجاده كتزيين الماشطة العروس والثالث جعله محبوبا للنفس مشتهى للطبع
وان لم يكن في نفسه كذلك منه

معناه نفي نفعهم ذهب الهروي الى ان لولا كلو نافيه حقيقة بمنزلة لم وجعل منه فلولا كانت قرية آمنت فنفعها
ايمانها الا قوم يونس والجمهور حملوه على التوبيخ والتنديم وهو يفيد الترك وعدم الوقوع ولذا ظهر الاستدراك
والعطف بلكن فيفيد انه لا عذر لهم فيه واليه اشار المص بقوله مع قيام ما يدعوهم
وهو من جملة القول هنا ولانه مفعول اي قل واقول وكلام المص محتمل لهما فيحتمل ان اراد ان هذا مقول قل
كما قيل انه معمول قل لا اقول ولذا احتيج الى اعادة اقول في قوله ولا اقول لكم اني ملك فانه على تقدير العطف
على عندي خزائن الله لا حاجة الى اعادته ههنا وانما يكتفي به بنفي القول للفرق بينه وبين قرينيه وهو ان مفهومي
عندي خزائن الله واني ملك معلومان عند الناس فلا حاجة الى نفيهما انما الحاجة الى نفي ادعائهما تبرؤا عن
دعوى الباطن بخلاف مفهوم لا اعلم الغيب فانه كان مجهولا عندهم بل كان الظاهر من حاله عدم الاطلاع
عندهم على الغيب ولذا انبوه الى الكهانة منه
وهو من جملة المقول كانه قال لا اقول لكم
هذا القول لا هذا القول منه

وهو من جملة المقول ولا أقول لكم إني ملك أي من جنس الملائكة أو أقدر على ما يقدرون
عليه إن أتبع إلا ما يوحى إلي تبرأ عن دعوى الألوهية أو الملكية وادعى النبوة التي
هي من كمالات البشر ردا لاستبعادهم دعواه وجزمهم على فساد مدعاه قل هل يستوي
الأعمى والبصير مثل للضال والمهتدي أو الجاهل والعالم أو مدعي المستحيل كالألوهية
أو الملكية ومدعي المستقيم كالنبوة أفلا تتفكرون فتهتدوا أو فتميزوا بين ادعاء الحق
والباطل أو فتعلموا أن اتباع الوحي مما لا محيص عنه وأنذر به الضمير لما يوحى إلي الذين
يخافون أن يحشروا إلى ربهم هم المؤمنون المفرطون في العمل أو المجوزون للحشر مؤمنا
كان أو كافرا مقرا به أو مترددا فيه فإن الإنذار ينجع فيهم دون الفارغين الجازمين
باستحالته ليس لهم من دونه ولي ولا شفيع في موضع الحال من يحشروا فإن المخوف
هو الحشر على هذه الحال لعلهم يتقون لكي يتقوا ولا تطرد الذين يدعون ربهم
بالغداة والعشي بعدما أمره بإنذار غير المتقين ليتقوا أمره بإكرام المتقين وتقريبهم
وأن لا يطردهم ترضية لقريش روي أنهم قالوا لو طردت هؤلاء الأعبد يعنون
فقراء المسلمين كعمار وصهيب وخباب وسلمان جلسنا إليك وحادثناك فقال ما أنا
بطارد المؤمنين قالوا فأقمهم عنا إذا جئنا قال نعم وروي أن عمر قال له لو فعلت حتى ننظر
إلى ما يصيرون فدعا بالصحيفة وبعلي ليكتب فنزلت والمراد بذكر الغداة والعشي
الدوام وقيل صلاة الصبح والعصر وقرأ ابن عامر بالغدوة يريدون وجهه
حال من يدعون أي يدعون ربهم مخلصين فيه قيد الدعاء بالإخلاص تنبيها على أنه
ملاك الأمر ورتب النهي عليه إشعارا بأنه يقتضي إكرامهم وينافي إبعادهم ما عليك
من حسابهم من شيء وما من حسابك عليهم من شيء أي ليس عليك حساب إيمانهم فلعل
إيمانهم عند الله أعظم من إيمان من تطردهم بسؤالهم طمعا في إيمانهم لو آمنوا وليس عليك
اعتبار بواطنهم وإخلاصهم لما اتسموا بسيرة المتقين وإن كان لهم باطن غير مرضي كما ذكره المشركون
وطعنوا في دينهم فحسابهم عليهم لا يتعداهم إليك كما أن حسابك عليك لا يتعداك إلى
إليهم وقيل ما عليك من حساب رزقهم أي من فقرهم وقيل الضمير للمشركين
والمعنى لا تؤاخذ بحسابهم ولا هم بحسابك حتى يهمك إيمانهم بحيث تطرد المؤمنين طمعا
فيه فتطردهم فتبعدهم وهو جواب النفي فتكون من الظالمين جواب النهي ويجوز عطفه
على فتطردهم على وجه التسبب وفيه نظر وكذلك فتنا بعضهم ببعض ومثل ذلك
الفتن وهو اختلاف أحوال الناس في أمور الدنيا فتنا أي ابتلينا بعضهم ببعض في أمر الدين
فقدمنا هؤلاء الضعفاء على أشراف قريش بالسبق إلى الإيمان ليقولوا أهؤلاء من الله
عليهم من بيننا أي أهؤلاء من أنعم الله عليهم بالهداية والتوفيق لما يسعدهم دوننا ونحن الأكابر
والرؤساء وهم المساكين والضعفاء وهو إنكار لأن يخص هؤلاء من بينهم بإصابة
الحق والسبق إلى الخير كقولهم لو كان خيرا ما سبقونا إليه واللام للعاقبة أو للتعليل

على أن فتنا متضمن معنى خذلنا أليس الله بأعلم بالشاكرين بمن يقع منه الإيمان
والشكر فيوفقه وبمن لا يقع منه فيخذله وإذا جاءك الذين يؤمنون بآياتنا
فقل سلام عليكم كتب ربكم على نفسه الرحمة الذين هم يؤمنون هم
الذين يدعون ربهم وصفهم بالإيمان بالقرآن واتباع الحجج بعد ما وصفهم بالمواظبة على العبادة
وأمره بأن يبدأ بالتسليم أو يبلغ سلام الله إليهم ويبشرهم بسعة رحمة الله وفضله
بعد النهي عن طردهم إيذانا بأنهم الجامعون لفضيلتي العلم والعمل ومن كان كذلك
ينبغي أن يقرب ولا يطرد ويعز ولا يذل ويبشر من الله بالسلامة في الدنيا والرحمة
في الآخرة وقيل إن قوما جاؤوا إلى النبي صلعم فقالوا إنا أصبنا ذنوبا عظاما فلم يرد
عليهم شيئا فانصرفوا فنزلت أنه من عمل منكم سوءا استئناف بتفسير الرحمة وقرأ
نافع وابن عامر وعاصم ويعقوب بالفتح على البدل منها بجهالة في موضع الحال أي من
عمل ذنبا جاهلا بحقيقة ما يتبعه من المضار والمفاسد كعمر فيما أشار إليه أو ملتبسا
بفعل الجهلة فإن ارتكاب ما يؤدي إلى الضرر من أفعال أهل السفه والجهل ثم تاب من بعده
بعد العمل أو السوء وأصلح بالتدارك والعزم على أن لا يعود إليه فأنه غفور رحيم
فتحه من فتح الأول غير نافع على إضمار مبتدأ أو خبر أي فأمره أو فله غفرانه وكذلك
ومثل ذلك التفصيل الواضح نفصل الآيات آيات القرآن في صفة المطيعين والمجرمين
المصرين منهم والأوابين ولتستبين سبيل المجرمين قرأ نافع بالتاء ونصب السبيل
على معنى ولتستوضح يا محمد سبيلهم فتعامل كلا منهم بما يحق له فصلنا هذا التفصيل
وابن كثير وابن عامر وأبو عمرو ويعقوب وحفص عن عاصم برفعه على معنى ولتتبين
سبيلهم والباقون بالياء والرفع على تذكير السبيل فإنه يذكر ويؤنث ويجوز أن
يعطف على علة مقدرة أي نفصل الآيات ليظهر الحق وليستبين قل إني نهيت
صرفت وزجرت بما نصب لي من الأدلة وأنزل علي من الآيات في أمر التوحيد
أن أعبد الذين تدعون من دون الله عن عبادة ما تعبدون من
دون الله أو ما تدعونها آلهة أي تسمونها قل لا أتبع أهواءكم تأكيد لقطع أطماعهم
وإشارة إلى الموجب للنهي وعلة الامتناع عن متابعتهم واستجهال لهم وبيان لمبدأ
ضلالهم وأن ما هم عليه هوى وليس بهدى وتنبيه لمن تحرى الحق على أن يتبع الحجة
ولا يقلد قد ضللت إذا أي إن اتبعت أهواءكم فقد ضللت وما أنا من المهتدين
أي في شيء من الهدى حتى أكون من عدادهم وفيه تعريض بأنهم كذلك قل إني على
بينة تنبيه على ما يجب اتباعه بعد ما بين ما لا يجوز اتباعه والبينة الدلالة
الواضحة التي تفصل الحق من الباطل وقيل المراد بها القرآن والوحي أو الحجج
العقلية أو ما يعمها من ربي من معرفته وأنه لا معبود سواه ويجوز أن يكون صفة
لبينة وكذبتم به الضمير لربي أي كذبتم به حيث أشركتم به غيره أو للبينة

فقد شبه الغيب بالاقفال الخ لا يخفى ان هذا التوجيه غير وجيه على التوجيه الثاني
بل الحق انه استعارة مكنية على هذا الاسلوب على التوجيه الاول اي بتكون المراد من المفاتح
المخازن واثباتها للغيب تكون تخييلا واما على التوجيه الثاني استعارة مصرحة لان المراد
بالغيب المغيبات المتقدمة ورده لله تعالى شبه علم الله المتعلق بها المغيبات المتقدم ور
بالمفتاح من حيث انه يتوصل به اليها كما يتوصل المفاتح الى الاشياء المحفوظة
في المخازن وبجمع علمه تعالى لكثرة وكثرة متعلقاته واطلق عليه اسم المفتاح على طريق اطلاق
اسم المشبه به على المشبه وكون تلك المفاتح عنده تعالى وحده عبارة عن انه
لا يتوصل الى تلك المغيبات غيره تعالى وانه هو العالم بالمغيبات المحيط علمه بها

ملك الموت واعوانه جمع عون وهو المعين والظهير قبل ان المباشر
ملك الموت عليه السلام واسناد الفعل الى المباشر والمعاون معا
مجاز كما يقال بنو فلان قتلوا قتيلا والقاتل واحد منهم

وهو القاهر فوق عباده والمراد منه الفوقية بالقدرة والتسخير كما يقال
امر فلان فوق امر فلان اي انه اعلى وانفذ منه ولا ريب ان الممكنات
باسرها تحت تصرف الواجب بنقلها من حيز العدم الى حالة الوجود وبالعكس
ويتصرف فيها كيف يشاء

وقرأ حمزة توفاه اما على انه فعل ماض اسند الى ما ليس بمؤنث حقيقيا فلذلك
ذكر او مضارع واصله تتوفاه حذف منه احدى التائين

الى حكمه وجزائه يعني
ان الرد الى الله ليس على ظاهره لكونه تعالى متعاليا عن المكان والجهة بل هو
عبارة عن جعلهم منقادين لحكم الله تعالى

باعتبار المعنى ما عندي ما تستعجلون به يعني العذاب الذي استعجلوه بقولهم فأمطر
علينا حجارة من السماء او ائتنا بعذاب اليم ان الحكم الا لله في تعجيل العذاب وتأخيره
يقص الحق اي القضاء الحق او يصنع الحق ويدبره من قولهم قضى الدرع اذا صنعها فيما
يقضي من تعجيل وتأخير واصل القضاء الفصل بتمام الامر واصل الحكم المنع فكأنه منع الباطل وقرأ
ابن كثير ونافع وعاصم يقص من قص الاثر او قص الخبر وهو خير الفاصلين القاضين قل لو ان
عندي اي في قدرتي ومكنتي ما تستعجلون به من العذاب لقضي الامر بيني وبينكم لاهلكتكم
عاجلا غضبا لربي وانقطع ما بيني وبينكم والله اعلم بالظالمين في معنى الاستدراك
كأنه قال ولكن الامر الى الله وهو اعلم بمن ينبغي ان يؤخذ وبمن ينبغي ان يمهل منهم وعنده مفاتح
الغيب خزائنه جمع مفتح بفتح الميم وهو المخزن او ما يتوصل به الى المغيبات مستعار
من المفاتح الذي هو جمع مفتح بالكسر وهو المفتاح ويؤيده انه قرئ مفاتيح والمعنى انه المتوصل
الى المغيبات المحيط علمه بها لا يعلمها الا هو فيعلم اوقاتها وما في تعجيلها وتأخيرها من الحكم فيظهرها
على ما اقتضته حكمته وتعلقت به مشيئته وفيه دليل على انه تعالى يعلم الاشياء قبل وقوعها
ويعلم ما في البر والبحر عطف للاخبار عن تعلق علمه بالمشاهدات على الاخبار عن اختصاص
العلم بالمغيبات به وما تسقط من ورقة الا يعلمها مبالغة في احاطة علمه بالجزئيات
ولا حبة في ظلمات الارض ولا رطب ولا يابس معطوفات على ورقة وقوله الا
في كتاب مبين بدل من الاستثناء الاول بدل الكل على ان الكتاب المبين علم
الله او بدل الاشتمال ان اريد به اللوح وقرئت بالرفع للعطف على محل من ورقة او للابتداء
والخبر الا في كتاب مبين وهو الذي يتوفاكم بالليل ينيمكم فيه ويراقبكم استعير التوفي من الموت
للنوم لما بينهما من المشاركة في زوال الاحساس والتمييز فان اصله قبض الشيء بتمامه ويعلم ما
جرحتم بالنهار كسبتم فيه خص الليل بالنوم والنهار بالكسب جريا على المعتاد ثم يبعثكم
يوقظكم اطلق البعث ترشيحا للتوفي فيه في النهار ليقضى اجل مسمى ليبلغ المتيقظ آخر
اجله المسمى له في الدنيا ثم اليه مرجعكم بالموت ثم ينبئكم بما كنتم تعملون بالمجازاة
عليه وقيل الآية خطاب للكفرة والمعنى انكم ملقون كالجيف بالليل وكاسبون للآثام
بالنهار وانه تعالى مطلع على اعمالكم يبعثكم من القبور في شأن ذلك الذي قطعتم به
اعماركم من النوم بالليل وكسب الآثام بالنهار ليقضى الاجل الذي سماه وضربه
لبعث الموتى وجزائهم على اعمالهم ثم اليه مرجعكم بالحساب ثم ينبئكم بما كنتم
تعملون بالجزاء وهو القاهر فوق عباده ويرسل عليكم حفظة ملائكة
تحفظ اعمالكم وهم الكرام الكاتبون والحكمة فيه ان المكلف اذا علم ان اعماله تكتب
عليه وتعرض على رؤوس الاشهاد كان ازجر عن المعاصي وان العبد اذا وثق بلطف
سيده واعتمد على عفوه وستره لم يحتشم منه احتشامه من خدمه المتطلعين عليه
حتى اذا جاء احدكم الموت توفته رسلنا ملك الموت واعوانه وقرأ حمزة

١٥٠

قوله اي ليس الله باعلم الخ رد لقولهم ذلك اي قولهم أهؤلاء من الله عليهم الخ والطالبهم
والطال له واثباته الى ان مدار استحقاق الانعام معرفة النعمة والاعتراف بحق المنعم
والاستفهام لتقرير علمه البالغ بذلك اي اليس الله بعلم بالشاكرين لنعمه حتى تستبعدوا انعامه عليهم
قوله واذا جاءك الذين ... او انه مضروب بكوابه اي فقل سلام عليكم وقت مجيئهم ابو السعود
قال عكرمة نزلت في الذين نهى الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم عن طردهم وكان صلى الله عليه وسلم
اذا راهم بداهم بالسلام قال الامام فيه اشكال وهو ان الكل اتفقوا على ان هذه السورة
نزلت دفعة واحدة فكيف يمكن ان يقال في كل واحدة من آيات هذه السورة ان سبب نزولها كذا بل
الاولى ان تحمل هذه الآية على عمومها فكل من آمن بالله دخل تحت هذه التشريف
قوله ... قوله ولتستبين الخ ... لكن الظاهر ... صح
... قوله ممن يقع منه الاتمام
... العلم بتعدى بالباء لتضمنه معنى الاحاطة
... على النعم الممنون بها عليهم
قوله كتب على نفسه الرحمة ...
يقصد الايجاب ... وكلمة على كذلك
بل هو عبارة عن تأكيد الوعد ... لانافي كونه تعالى فاعلا مختارا
... قوله ومر كان كذلك اي
وايذانا بان من جمع بين فضيلتي العلم والعمل ينبغي ان يقرب ولا يطرد ويعز ولا يذل ويبشر ... ووجه الايذان
انه تعالى علق النهي عن طردهم على اتصافهم بالفضيلة العلمية ثم عطف بالواو الى منه حصلة
واذا جاءك اي على حصلة النهي بان وضع الظاهر موضع المضمر ادعى ان اتصافهم بالفضيلة العملية
علة لما ذكره الموصوف والاعتراف ... بين الفضيلتين لا تطرديهم
وابداهم بالسلام او بلغ اليهم سلام الله وبشرهم بان الله يسلمهم او بلغ اليهم
سلام الله او بشرهم بان الله يسلمهم عن الآفات في الدنيا ويرحمهم في الآخرة صح
قوله ايذانا بانه لمجموع قوله ... التصديق بالواقع واتباع الحجج فضيلة علمية
كما ان المواظبة على العبادة فضيلة عملية ... قوله ... مثل ذلك التفصيل ...
الى ... مثلا مثل ذلك

وكذلك فتنا

ومثل ذلك الفتن اي شبه البيضاوي فتنا بفتن دار الزمخشري جعل ذلك اشارة الى هذا الفتن المذكور وعبر عنه بذلك اي ابتدانا بتفخيمه ولذا قال ومثل ذلك الفتن العظيم كقولك ضربت زيدا ذلك الضرب ولا يلزم منه تشبيه الشي بنفسه لان المثل ليس بمراد وانما جي به مبالغة كما يقال ذلك كذلك كما قرره العلامة يعني ان التشبيه كما يجعل كناية عن الاستمرار لان ماله امثال يستمر بتجدد امثاله والاستمرار يقتضي التحقق والتقرر ويستلزمه فجعل في امثال هذا بواسطة الاشارة الى البعد عبارة عن تحقق امر عظيم وكونه عظيما مستفاد من لفظ ذلك المشار به الى هذا الفتن القريب المذكور وليست الكاف فيه زائدة صاحب الكشاف لما رأى في هذا الوجه من البلاغة والدقة اختاره وبعضهم لما رأى غموضه وتوهم فيه تشبيه الشي بنفسه اوله وتكلف من شهاب

ومن ذلك الفتن ان لا يرى الفاضل مستحقا للفضل فيقولوا اهولاء من الله عليهم من بيننا فقل سلام عليكم اي مسيحا نبه من كمال فضله على الفقرا اجلهم محل الاكابر والملوك في الدنيا فقال النبيه صلى الله عليه وسلم كن تبدا بالسلام عليهم من فيضه بوالي

توفاه بالف ممالة وهم لا يفرطون بالتواني والتأخير وقرئ بالتخفيف والمعنى لا يجاوزون ما حد لهم بزيادة ونقصان ثم ردوا الى الله الى حكمه وجزائه مولاهم الذي يتولى امرهم الحق العدل الذي لا يحكم الا بالحق وقرئ بالنصب على المدح الا له الحكم يومئذ لا حكم لغيره فيه وهو اسرع الحاسبين يحاسب الخلائق في مقدار حلب شاة لا يشغله حساب عن حساب قل من ينجيكم من ظلمات البر والبحر من شدائدهما استعيرت الظلمة للشدة لمشاركتهما في الهول وابطال الابصار فقيل لليوم الشديد يوم مظلم ويوم ذو كواكب او من الخسف في البر والغرق في البحرين وقرأ يعقوب ينجيكم بالتخفيف والمعنى واحد تدعونه تضرعا وخفية معلنين ومسرين او اعلانا واسرارا وقرئ خفية بالكسر لئن انجيتنا من هذه لنكونن من الشاكرين على ارادة القول اي يقولون لئن انجيتنا وقرأ الكوفيون لئن انجانا ليوافق قوله تدعونه وهذه اشارة الى الظلمة قل الله ينجيكم منها شدده الكوفيون وخففه الباقون ومن كل كرب غم سواها ثم انتم تشركون تعودون الى الشرك ولا توفون بالعهد وانما وضع تشركون موضع لا تشكرون تنبيها على ان من اشرك في عبادة الله فكانه لم يعبده رأسا قل هو القادر على ان يبعث عليكم عذابا من فوقكم كما فعل بقوم نوح ولوط واصحاب الفيل او من تحت ارجلكم كما اغرق فرعون وخسف بقارون وقيل من فوقكم اكابركم وحكامكم ومن تحت ارجلكم سفلتكم وعبيدكم او يلبسكم يخلطكم شيعا فرقا متحزبين على اهواء شتى فينشب القتال بينكم قال وكتيبة لبستها بكتيبة حتى اذا التبست نفضت لها يدي ويذيق بعضكم بأس بعض يقاتل بعضكم بعضا انظر كيف نصرف الآيات بالوعد والوعيد لعلهم يفقهون وكذب به قومك اي بالعذاب او بالقرآن وهو الحق الواقع لا محالة او الصدق قل لست عليكم بوكيل بحفيظ وكل الي امركم فامنعكم من التكذيب او اجازيكم انما انا منذر والله الحفيظ لكل نبأ خبر يريد اما العذاب او الايعاد به مستقر وقت استقرار ووقوع وسوف تعلمون عند وقوعه في الدنيا او في الآخرة واذا رأيت الذين يخوضون في آياتنا بالتكذيب والاستهزاء بها والطعن فيها فاعرض عنهم فلا تجالسهم وقم عنهم حتى يخوضوا في حديث غيره اعاد الضمير على معنى الآيات لانها القرآن واما ينسينك الشيطان بان يشغلك بوسوسته حتى تنسى النهي وقرأ ابن عامر ينسينك بالتشديد فلا تقعد بعد الذكرى بعد ان تذكره مع القوم الظالمين اي معهم فوضع الظاهر موضعه دلالة على انهم ظلموا بوضع التكذيب والاستهزاء موضع التصديق والاستعظام وما على الذين يتقون وما يلزم المتقين من قبائح اعمالهم واقوالهم الذين يجالسونهم من حسابهم من شيء مما يحاسبون عليه ولكن ذكرى ولكن عليهم ان يذكروهم ذكرى ويمنعوهم عن الخوض وغيره من القبائح ويظهروا كراهتها وهو يحتمل النصب

على المصدر

قوله اي هولاء من انعم الله عليهم حمله على حذف الموصول وهذا مع انه تكلف لا حاجة اليه ارتكابه غير مناسب للمقام لان المنكر على انكار ان يكونوا مختصين باصابة الحق دونهم كما قرره واذا كان نظم الكلام كما ذكره كان المنكر على ان يكون هناك من من الله عليهم من بينهم يعرفون بكونهم كذلك ولكن ينكر المتكلم ان يكونوا هؤلاء الفقراء ولا يخفى انه غير المعنى المراد يس سان ادلر

قوله فتنا اي ابتلينا اشارة الى ان اصل معنى الفتن تصفية الذهب ونحوه ثم استعمل في الابتلاء والاختبار شهاب

قوله تعالى ما عليك من حسابهم من شيء اعتراض وسط بين النهي وجوابه تقريرا له ودفعا لما عسى يتوهم كونه مسوغا لطردهم من اقاويل الطاعنين في دينهم كذاب قوم نوح حيث قالوا ما نراك اتبعك الا الذين هم اراذلنا بادي الرأي اي ما عليك من حساب ايمانهم واعمالهم الباطنة حتى تتصدى له وتبني على ذلك من الاحكام وانما وظيفتك حسبما هو شأن منصب النبوة اعتبار ظواهر الاعمال واجراء الاحكام على موجبها واما بواطن الامور فحسابها على العليم بذات الصدور وذكر قوله ومن حسابك عليهم من شيء مع ان الجواب قد تم بما قبله للمبالغة في بيان انتفاء كون حسابهم عليه عليه السلام بنظمه في سلك ما لا شبهة فيه اصلا وهو انتفاء حسابه عليه السلام عليهم على طريقة قوله تعالى لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون ابو السعود

قوله فتنا اي ابتلينا بعضهم ببعض في امر الدين اي صنعنا ذلك الى ان يقولوا أهؤلاء من الله عليهم من بيننا فالكلام على تشبيه فتن بفتن على ما ذكره المصنف وصاحب الكشاف جعله من قبيل قولك ضربته كذلك اي هذا الضرب المخصوص وامثاله كثيرة فالقصد الى المصدر في الحقيقة وان كان ظاهر الكلام على التشبيه

قوله تعالى ما عليك من حسابهم وما من حسابك عليهم من شيء كقوله ان حسابهم الا على ربي وذلك ان المشركين طعنوا في دينهم واخلاصهم فقال الله تعالى لهم ذلك وقال لنبيه عليه السلام ما عليك من حسابهم من شيء كما لا عليهم من حسابك من شيء اي لا يلزمك اعتبار بواطنهم واخلاصهم انما ذلك على الله او عليهم اخلاصهم او لم تخصصوا الا عليك فكالهم في ذلك بالنسبة اليك كحالك بالنسبة اليهم سواء لا تتعدى ذنب احد الى صاحبه كقوله تعالى ولا تزر وازرة وزر اخرى فالجملتان في تأدية المعنى المراد بمنزلة جملة واحدة قوله تعالى فتكون من الظالمين جواب النهي اي ولا تطردهم فتكون من الظالمين ان تطردهم وعطفه على فتطردهم على وجه التسبب وليس عدوه المعنى فان الطرد انما يتسبب عن الجواب النفي على تقدير ان يكون حسابهم عليه وهو لا يكون سببا للظلم الا ان يقصد فتطردهم بقول المشركين وكذلك اي مثل ذلك الفتن العظيم وهو اختلاف الناس في احوال الدنيا ابن كمال

كالذي استهوته

قوله او على المصدر اي رداً مثل رد الذي الخ هذا رد على الكشاف وفيه ان الرد بمعنى الرجوع الى الحالة الاولى ولذا فسره بقوله نرجع الى الشرك ولك ان تقول ما معنى رجوع الذي استهوته الشياطين ويمكن ان يقال معناه رجوع الذي استهوته الشياطين من عندهم فان الراجع من عندهم يغلب عليه الحيرة واختلال العقل والاولى ان يقال الرد بمعنى الدفع والمعنى كدفع الذي استهوته الشياطين في الارض حيران من كاررودي

قوله ابسلوا العذاب الخ اي انهم بتوبوا هلاكنا في الامر بالتذكير محافظة التسليم هذا اذا كان الابسال ولئك الى المتخذين دينهم لعبا ولهوا وهم الذين امر النبي صلى الله عليه وسلم بالتذكير لهم واما اذا اشير الى الجنس المفهوم من قوله ان تبسل نفس فلا اشكال فيه اصلا سيسينله

قوله العدل مصدر الى منها قال الامام الاخذ قد يستعمل بمعنى القبول كما في قوله تعالى ويأخذ الصدقات اي يقبلها واذا حمل الاخذ في هذه الاية الكريمة على القبول جاز اسناده الى المصدر بلا محذور ثم قال المقصود من هذه الاية الكريمة بيان ان وجوه الخلاص منتفية على تلك النفس اذ لا ولي تتولى دفع ذلك المحذور ولا شفيع يشفع ولا فدية تقبل ليحصل الخلاص بسبب ذلك حتى لو جعلت الدنيا باسرها فدية من عذاب الله تعالى لم تنفع واذا كانت وجوه الخلاص في الدنيا باحد هذه الثلثة وثبت ان شيئا منها لا تفيد في الاخرة البتة ظهر انه ليس هناك الا الابسال والارتهان والاستسلام ومن الفقه بهذا كيف لا يرتعد فرائصه اذا اقدم على المعصية قوله ونرد الى الشرك جعل الرجوع الى الشرك ردا على العقب بناء على ان كل من اعرض عن الحق الى الباطل فقد رجع الى عقبيه ورجع القهقرى لان الاصل في الانسان هو الجهل ثم يترقى الى الكمالات فاذا رجع من العلم الى الجهل مرة اخرى فكأنه رجع الى اول امره فلهذا يقال له انه رجع على عقبيه وارتد الى خلفه من سح زاده

على المصدر والرفع على ولكن عليهم ذكرى ولا يجوز عطفه على محل من شيء لان من حسابهم
يأباه ولا على شيء لذلك ولان من لا تزاد في الاثبات لعلهم يتقون يجتنبون ذلك
حياء او كراهة لمساءتهم ويحتمل ان يكون الضمير للذين يتقون والمعنى لعلهم يثبتون على
تقواهم ولا تنثلم بمجالستهم روي ان المسلمين قالوا لئن كنا نقوم كلما استهزؤا بالقران
لم نستطع ان نجلس في المسجد ونطوف فنزلت وذر الذين اتخذوا دينهم لعبا
ولهوا اي بنوا امر دينهم على التشهي وتدينوا بما لا يعود عليهم بنفع عاجلا
وآجلا كعبادة الصنم وتحريم البحاير والسوايب او اتخذوا دينهم الذي كلفوه لعبا و
لهوا حيث سخروا به او جعلوا عيدهم الذي جعل ميقات عبادتهم زمان لهو ولعب
والمعنى اعرض عنهم ولا تبال بافعالهم واقوالهم ويجوز ان يكون تهديدا لهم كقوله
ذرني ومن خلقت وحيدا ومن جعله منسوخا باية السيف حمله على الامر بالكف
عنهم وترك التعرض لهم وغرتهم الحيوة الدنيا حتى انكروا البعث وذكر به بالقران
ان تبسل نفس بما كسبت مخافة ان تسلم الى الهلاك وترهن بسوء عملها واصل
الابسال والبسل المنع ومنه اسد باسل لان فريسته لا تفلت منه والباسل
الشجاع لامتناعه من قرنه وهذا بسل عليك ليس لها من دون الله ولي ولا
شفيع يدفع عنها العذاب وان تعدل كل عدل وان تفد كل فداء والعدل
الفدية لانها تعادل المفدى وههنا الفداء وكل نصب على المصدر لا يؤخذ منها
الفعل مسند الى منها لا الى ضميره بخلاف قوله ولا يؤخذ منها عدل فانه المفدى به
اولئك الذين ابسلوا بما كسبوا اي سلموا الى العذاب بسبب اعمالهم القبيحة
وعقايدهم الزايغة لهم شراب من حميم وعذاب اليم بما كانوا يكفرون
تاكيد وتفصيل لذلك والمعنى هم بين ماء مغلي يتجرجر في بطونهم ونار
تشتعل بابدانهم قل اندعوا انعبد من دون الله ما لا ينفعنا ولا يضرنا ما لا يقدر
على نفعنا وضرنا ونرد على اعقابنا ونرجع الى الشرك بعد اذ هدينا الله فانقذنا منه
ورزقنا الاسلام كالذي استهوته الشياطين كالذي ذهبت به مردة الجن
في المهامه استفعال من هوى يهوي اذا ذهب وقرا حمزة استهواه بالف ممالة
ومحل الكاف النصب على الحال من فاعل نرد اي مشبهين الذي استهوته
او على المصدر اي ردا مثل رد الذي استهوته في الارض حيران متحيرا ضالا
عن الطريق له اصحاب لهذا المستهوى رفقة يدعونه الى الهدى الى ان يهدوه
الطريق المستقيم او الى الطريق المستقيم وسماه هدى تسمية للمفعول بالمصدر
ائتنا يقولون له ائتنا قل ان هدى الله الذي هو الاسلام هو الهدى وحده وما
عداه ضلال وامرنا لنسلم لرب العالمين من جملة المقول عطف على ان هدى الله
واللام لتعليل الامر اي امرنا بذلك لنسلم وقيل هي بمعنى الباء وقيل هي زايدة

ان تبسل فسر التبسل بالاسلام الى الهلاك اي وقوعه فيه
وجعله كانه رهين سيده قال الراغب تبسل ههنا بمعنى تحرم الثواب
والفرق بين الحرام والبسل ان الحرام عام لما منع بحكم او قهر
والبسل الممنوع بالقهر وقوله تعالى ابسلوا بما كسبوا اي
حرموا الثواب وفسر الارتهان لقوله تعالى كل نفس بما كسبت
رهينة ورهينة فعيلة بمعنى فاعل اي ثابتة مقيمة وقيل بمعنى مفعول
اي كل نفس مقامة في جزاء ما قدمت من عملها ولما كان الرهن بمعنى
ضبطه استعير ذلك للمحتبس اي شيء كان انتهى فمعنى قوله ترهن
اي تحبس في الهلاك بسبب سوء عملها وهو اسلامه اليه
ولهذا جمع بينهما لانه روي كل منهما عن السلف وقال الزجاج انهما
بمعنى واحد والعدات المص رحمه الله م شهاب

وان اقيموا الصلوة واتقوه عطف على لنسلم اي للاسلام ولاقامة الصلوة او على موقعه
كانه قيل وامرنا ان نسلم وان اقيموا روي ان عبد الرحمن بن ابي بكر دعا اباه الى
عبادة الاوثان فنزلت وعلى هذا كان امر الرسول عليه السلام بهذا القول اجابة عن
الصديق تعظيما لشانه واظهارا للاتحاد الذي كان بينهما وهو الذي اليه تحشرون
يوم القيمة وهو الذي خلق السموات والارض بالحق قائما بالحق والحكمة و
يوم يقول كن فيكون قوله الحق جملة اسمية قدم فيها الخبر اي قوله الحق يوم
يقول كقولك القتال يوم الجمعة والمعنى انه الخالق للسموات والارض وقوله الحق
نافذ في الكائنات وقيل يوم منصوب بالعطف على السموات او الهاء في واتقوه
او بمحذوف دل عليه بالحق وقوله الحق مبتدأ وخبر او فاعل يكون على معنى
وحين يقول لقوله الحق اي لقضائه الحق كن فيكون والمراد به حين يكون الاشياء
ويحدثها او حين تقوم القيمة فيكون التكوين حشر الاموات واحياءها وله الملك
يوم ينفخ في الصور كقوله لمن الملك اليوم لله الواحد القهار عالم الغيب والشهادة
اي هو عالم الغيب واذ قال ابرهيم لابيه آزر هو عطف بيان لابيه وفي كتب
التواريخ ان اسمه تارح وقيل هما علمان له كاسرائيل ويعقوب وقيل العلم
تارح وآزر وصف معناه الشيخ او المعوج ولعل منع صرفه لانه اعجمي حمل على موازنه
او نعت مشتق من الازر او الوزر والاقرب انه علم اعجمي على فاعل كعابر وشالخ وقيل
اسم صنم يعبده فلقب به للزوم عبادته او اطلق عليه بحذف المضاف وقيل
المراد به الصنم ونصبه بفعل مضمر يفسره ما بعده اي اتعبد آزر ثم قال اتتخذ اصناما آلهة
تفسيرا وتقريرا ويدل عليه انه قرئ أأزرا تتخذ اصناما بفتح همزة آزر وكسرها
وهو اسم صنم وقرأ يعقوب بالضم على النداء وهو يدل على انه علم اني اراك وقومك
في ضلال عن الحق مبين ظاهر الضلالة وكذلك نري ابرهيم ومثل هذا التبصير
نبصره وهو حكاية حال ماضية وقرئ ترى بالتاء ورفع الملكوت ومعناه تبصره
دلائل الربوبية ملكوت السموات والارض ربوبيتها وملكها وقيل عجائبها
وبدائعها والملكوت اعظم الملك والتاء فيه للمبالغة وليكون من الموقنين
اي ليستدل وليكون او وفعلنا ذلك ليكون فلما جن عليه الليل راى كوكبا
قال هذا ربي تفصيل وبيان لذلك وقيل عطف على قال ابرهيم وكذلك نري اعتراض
فان اباه وقومه كانوا يعبدون الاصنام والكواكب فاراد ان ينبههم على ضلالتهم
ويرشدهم الى الحق من طريق النظر والاستدلال وجن عليه الليل ستره بظلامه
والكوكب كان الزهرة او المشتري وقوله هذا ربي على سبيل الوضع فان المستدل على فساد
قول يحكيه على ما يقوله الخصم ثم يكر عليه بالافساد او على وجه النظر والاستدلال
وانما قاله زمان مراهقته او اول اوان بلوغه فلما افل اي غاب قال لا احب الآفلين

تغييرا وتغيرا المراد بالتفسير تفسير ازر مراد به الصنم وعامله المقدر لان تقديره اتعبد ازر
وقوله اتتخذ احسن ما تفسر اله والمراد التقرير تقريرهم بسوء عقيدتهم ليلزمهم ولذا فسره التفسير
والتثبيت لانه واقع   ويدل عليه انه قرئ ءازر بهمزتين الاولى استفهامية مفتوحة والثانية
مكسورة وهي اما اصلية ان كان اسم صنم او اصلية بمعنى القوة او مبدلة من الواو بمعنى الوزر والاثم وعليه
فعامله مقدر اي تعبد ازرا ان كان اسم صنم وان كان عربيا فهو مفعول له او حال او مفعول ثان لتتخذ
ومن قرئ بهذه ا سقط همزة اتتخذ فجعل هذه القراءات دليلا على ان ازر اسم صنم لا تجه وقوله ويؤيد
على ضم ازر قراءة يعقوب ازر بالمد وضم الراء على انه منادى يدل على العلمية لان حذف حرف النداء
من الصفات شاذ   ومثل هذا النصب اي اشارة الى ان الاشارة الى المصدر الفعل الذي
بعده والاشارة قد تكون الى المتاخر كما في قوله تعالى هذا فراق بيني وبينك وزيادة كافه وعدمها سيان كعلمه
من شهاب
قوله الخ مبتدا يعني ان قوله مبتدا والحق صفته على ان المراد به المعنى المصدري بعض
قضاء الحكمة والصواب لتصحيح الاخبار عنه بظرف الزمان اعني يوم تقول وتقديم الخبر خبره كلو كان
في الاستعمال مثل عنده وعلم الساعة وان كان الحصر غير مناسب هنا   سعد الدين
ومثل كذلك النصب يحسن ان اسم الاشارة مثل هذا المقام اشارة الى هذه الارادة ولا شيء اخر
يشبه به هذا وانه من رؤية البصر لكن التعريف بمعرفة ونظر البصيرة لان الملكوت بمعنى الربوبية
من سعد الفرقد
على سبيل الوضع الوضع سوق مقدمة في الدليل لا يعتقد بالكونها مسلمة عند غيره
لاجل الزامه بها وهو مصطلح اهل الجدل في المنطق   من شهاب
فان اباه وقومه الخ بيان ارتباط قوله تعالى فلما جن الخ وبيان وجه اتيانه تعالى جملة الاعتراض
اي قوله تعالى وكذلك نري ابراهيم الخ يعني لما كان اباه وقومه عابدو الاصنام والكواكب
اراد ابراهيم عليه السلام ان ينبههم على ضلالتهم ويرشدهم الى الحق من طريق النظر
والاستدلال فلهذا المحرر عليه الليل راى كوكبا قال هذا الخ   لمحرر مكي الحقير كامل
ان
وكانوا يعبدون الاصنام والكواكب عطف الكواكب على الاصنام للاشارة الى انهم يعبد
هذه والاحجار المنحوتة في هذه الساعة لا يعبدها على اعتقاد ان لها تاثيرا وتدبيرا في انتظام احوال
هذا العالم السفلي فان بطلانه ظاهر لا يذهب الى صحته الجم الغفير والقوم الكثير فلا بد ان يكون لهم
في عبادتها منشا غلط وذكر العلماء في بيانه وجوه الاول ان الناس راوا تغيرات احوال هذا العالم
مربوطة بتغيرات احوال الكواكب فان قرب الشمس وبعدها من سمت الراس يحدث الفصول
والذين رصدوا احوال سائر الكواكب زعموا ان ما وقع من السعادات والنحوسات منوط بالاتصالات
الكوكبية فلما اعتقدوا ذلك بالغوا في تعظيمها وتعبدوها فمنهم من يقول انه سبحانه وتعالى خلق هذه
الكواكب وفوض تدبير هذا العالم السفلي اليها فيجب علينا ان نعبدها ثم ان هذه الكواكب تعبد الله تعالى
فهؤلاء اثبتوا الوسائط ومنهم غلاة ينكرون الصانع ويقولون هذه الافلاك والكواكب اجسام
واجبة الوجود يمتنع عليها العدم وهي المدبرات وهم الدهرية الخالصة وكل واحد من الفريقين اشتغلوا
بعبادتها وتعظيمها ثم انهم لما راوا انها قد تغيب عن الابصار اتخذوا لكل كوكب صنما من الجوهر المنسوب اليه
فاقبلوا على عبادة تلك الاصنام قصدهم بعبادتها عبادة تلك الكواكب والتقرب اليها ولما كان حاصل
دين عبدة الاصنام القول بالهية الكواكب حكى الله تعالى عن الخليل عليه السلام استجهال ابيه ازر
وقومه في اتخاذهم الاصنام الهة ثم اقامة الدليل على ان شيئا من الكواكب لا يصلح للالهية والمعبودية
يستحق

٧ قوله اومن قوله اتحاجوني الله عطف على من قوله لما خوفوه بان الهتهم تخبله لاجل طعنه فيها وابطال   ١٥٣
امرها احتج عليهم بقوله افلا تخافون انتم حيث اقدمتم على الشرك بالله وسويتم في العبادة بين
خالق العالم ومدبره وبين الخشب المنحوت نقيل تلك اشارة الى هذا الاحتجاج ويجوز ان تكون
اشارة الى الكل كما اختاره المص وتلك مبتدا وحجتنا خبره واتيناها ابراهيم في محل النصب
على الحال والعامل فيها معنى الاشارة كما في قوله تعالى فتلك بيوتهم خاوية على عروشها او في
محل الرفع على انه خبر ثان اخبر عنها بخبرين احدهما مفرد والاخر جملة وقوله على قومه متعلق بحجتنا
على ما اختاره المص   من شرح
قوله لانها لا تضر بنفسها قيد بنفسها لانها لا تضر ان شاء الله مضرتها وقوله ولعله انما اتى بالمعلق
لانه لم يسبق له ذكر وانما فهم من قوله اخاف والتهديد يؤخذ من تعلقه شيئا بمشيئة تعالى
لانها لا تضر بنفسها ولا تنفع بل لا تضر ولا تنفع مطلقا فان النافع والضار   سعد
هو الله تعالى وحده وعلى هذا قوله تعالى الا ان يشاء ربي شيئا استثناء منقطع والمعنى
لكن اخاف ان يشاء ربي شيئا مكروها اي اما اذا جعل متصلا كما هو مفهوم كلام المصنف
فهو بناء على ما قاله من ان ما اشركوه ضار ونافع لكن لا بنفسه بل بارادة الله تعالى ومعنى الاستثناء
على الاتصال لا اخاف من تشركون في شيء من الاوقات الا وقت مشيئة ربي مكروها من جنسها كازروني

فضلا عن عبادتهم بأن الانتقال والاحتجاب بالأستار يقتضي الإمكان والحدوث و
ينافي الألوهية فلما رأى القمر بازغا مبتديا في الطلوع قال هذا ربي فلما أفل قال
لئن لم يهدني ربي لأكونن من القوم الضالين استعجز نفسه واستعان به في
درك الحق فإنه لا يهتدي إليه إلا بتوفيقه إرشادا لقومه وتنبيها لهم على أن القمر
أيضا لتغير حاله لا يصلح للألوهية وأن من اتخذه إلها فهو ضال فلما رأى الشمس بازغة
قال هذا ربي ذكر اسم الإشارة لتذكير الخبر وصيانة للرب عن شبهة التأنيث هذا
أكبر كبره استدلالا أو إظهارا لشبهة الخصم فلما أفلت قال يا قوم إني بريء مما تشركون
من الأجرام المحدثة المحتاجة إلى محدث يحدثها ومخصص يخصصها بما تختص به ثم لما تبرأ
عنها توجه إلى موجدها ومبدعها الذي دلت هذه الممكنات عليه فقال
إني وجهت وجهي للذي فطر السماوات والأرض حنيفا وما أنا من المشركين
وإنما احتج بالأفول دون البزوغ مع أنه أيضا انتقال لتعدد دلالته ولأنه رأى الكوكب
الذي يعبدونه في وسط السماء حين حاول الاستدلال وحاجه قومه وخاصموه في
التوحيد قال أتحاجوني في الله في وحدانيته وقرأ نافع وابن عامر بتخفيف النون وقد
هدان إلى التوحيد ولا أخاف ما تشركون به أي لا أخاف معبوداتكم في وقت لأنها
لا تضر بنفسها ولا تنفع إلا أن يشاء ربي شيئا أن يصيبني بمكروه من جهتها ولعله جواب لتخويفهم
إياه عن آلهتهم وتهديد لهم بعذاب الله وسع ربي كل شيء علما كأنه علة الاستثناء
أي أحاط به علما فلا يبعد أن يكون في علمه أن يحيق بي مكروه من جهتها أفلا تتذكرون
فتميزوا بين الصحيح والفاسد والقادر والعاجز وكيف أخاف ما أشركتم ولا يتعلق به
ضر ولا تخافون أنكم أشركتم بالله وهو حقيق بأن يخاف منه كل الخوف لأنه إشراك للمصنوع
بالصانع وتسوية بين المقدور العاجز والقادر الضار النافع ما لم ينزل به عليكم
سلطانا ما لم ينزل بإشراكه كتابا أو لم ينصب عليه دليلا فأي الفريقين أحق بالأمن أي
الموحدون أو المشركون وإنما لم يقل أينا أنا أم أنتم احترازا من تزكية نفسه إن كنتم تعلمون
ما يحق أن يخاف منه الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم أولئك لهم الأمن
وهم مهتدون استئناف منه أو من الله بالجواب عما استفهم عنه والمراد بالظلم ههنا
الشرك لما روي أن الآية لما نزلت شق ذلك على الصحابة وقالوا أينا لم يظلم نفسه فقال
عليه السلام ليس ما تظنون إنما هو ما قال لقمان لابنه يا بني لا تشرك بالله إن الشرك
لظلم عظيم وليس الإيمان به أن يصدق بوجود الصانع الحكيم ويخلط بهذا التصديق
الإشراك به وقيل المعصية وتلك إشارة إلى ما احتج به إبراهيم على قومه من قوله فلما
جن إلى قوله وهم مهتدون أو من قوله أتحاجوني إليه حجتنا آتيناها إبراهيم أرشدناه
إليها أو علمناه إياها على قومه متعلق بحجتنا إن جعل خبر تلك وبمحذوف إن جعل بدله
أي آتيناها إبراهيم حجة على قومه نرفع درجات من نشاء في العلم والحكمة

وقرأ الكوفيون ويعقوب بالتنوين ان ربك حكيم في رفعه وخفضه عليم بحال من يرفعه
واستعداده له ووهبنا له اسحق ويعقوب كلا هدينا اي كلا منهما ونوحا هدينا
من قبل من قبل ابرهيم عدّ هداه نعمة على ابرهيم من حيث انه ابوه وشرف الوالد
يتعدى الى الولد ومن ذريته الضمير لابرهيم اذ الكلام فيه وقيل لنوح لانه اقرب
ولان يونس ولوطا ليسا من ذرية ابرهيم فلو كان لابرهيم اختص البيان بالمعدودين
في تلك الآية والتي بعدها والمذكورون في الآية الثالثة عطف على نوحا داود
وسليمن وايوب ايوب بن اموص من اسباط عيص ابن اسحق ويوسف وموسى
وهرون وكذلك نجزي المحسنين اي ونجزي المحسنين جزاء مثل ما جزينا ابرهيم
برفع درجاته وكثرة اولاده والنبوة فيهم وزكريا ويحيى وعيسى وهو ابن مريم
وفي ذكره دليل على ان الذرية تتناول اولاد البنت والياس قيل هو ادريس
جد نوح فيكون البيان مخصوصا بمن في الآية الاولى وقيل هو من اسباط هرون
اخي موسى كل من الصالحين الكاملين في الصلاح وهو الاتيان بما ينبغي
والتحرز عن ما لا ينبغي واسمعيل واليسع هو اليسع بن اخطوب وقرأ حمزة والكسائي
والليسع وعلى القراءتين علم اعجمي ادخل عليه اللام كما ادخل على اليزيد في قوله
رأيت الوليد بن اليزيد مباركا شديدا باعباء الخلافة كاهله ويونس ولوطا
هو يونس بن متى ولوط هو ابن هاران اخي ابرهيم وكلا فضلنا على العالمين بالنبوة وفيه
دليل فضلهم على من عداهم من الخلق ومن آبائهم وذرياتهم واخوانهم عطف
على كلا او نوحا اي فضلنا كلا منهم او هدينا هؤلاء وبعض آبائهم وذرياتهم واخوانهم
فان منهم من لم يكن نبيا ولا مهديا واجتبيناهم عطف على فضلنا او هدينا وهديناهم
الى صراط مستقيم تكرير لبيان ما هدوا اليه ذلك هدى الله اشارة الى ما دانوا به
يهدي به من يشاء من عباده دليل على انه متفضل بالهداية ولو اشركوا اي ولو
اشرك هؤلاء الانبياء مع فضلهم وعلو شانهم لحبط عنهم ما كانوا يعملون لكانوا
كغيرهم في حبوط اعمالهم بسقوط ثوابها اولئك الذين آتيناهم الكتاب يريد
به الجنس والحكم الحكمة او فصل الامر على ما يقتضيه الحق والنبوة
والرسالة فان يكفر بها اي بهذه الثلثة هؤلاء يعني قريشا فقد وكلنا بها قوما
اي بمراعاتها ليسوا بها بكافرين وهم الانبياء المذكورون ومتابعوهم وقيل
هم الانصار او اصحاب النبي صلعم او كل من آمن به او الفرس وقيل الملائكة
اولئك الذين هدى الله يريد الانبياء المتقدم ذكرهم فبهداهم اقتده
فاختص طريقتهم بالاقتداء والمراد بهداهم ما توافقوا عليه من التوحيد واصول
الدين دون الفروع المختلف فيها فانها ليست هدى مضافا الى الكل ولا يمكن
التاسي بهم جميعا فليس فيه دليل على انه عليه السلام متعبد بشرع من قبله

والهاء في اقتده للوقف ومن اثبتها في الدرج ساكنة كابن كثير ونافع وابي عمرو وعاصم اجرى الوصل مجرى الوقف واشبعها ابن عامر على انها كناية المصدر **قل لا اسئلكم عليه** اي على التبليغ او القرآن **اجرا** جعلا من جهتكم كما لم يسأل من قبلي من النبيين وهذا من جملة ما امرنا بالاقتداء بهم فيه **ان هو** اي التبليغ او القرآن او الغرض **الا ذكرى للعالمين** الا تذكير او عظة لهم **وما قدروا الله حق قدره** وما عرفوه حق معرفته في الرحمة والانعام على العباد **اذ قالوا ما انزل الله على بشر من شيء** حين انكروا الوحي وبعثة الرسل وذلك من عظائم رحمته وجلائل نعمته او في السخط على الكفار وشدة البطش بهم حين جسروا على هذه المقالة والقائلون هم اليهود قالوا ذلك مبالغة في انكار انزال القرآن بدليل نقض كلامهم والزامهم بقوله **قل من انزل الكتاب الذي جاء به موسى نورا وهدى للناس** وقراءة الجمهور **تجعلونه قراطيس تبدونها وتخفون كثيرا** بالتاء وانما قرأ ابن كثير وابو عمرو بالياء حملا على قالوا وما قدروا وتضمن ذلك توبيخهم على سوء جهلهم للتوراة وذمهم على تجزئتها بابداء بعض انتخبوه وكتموا في ورقات متفرقة واخفاء بعض لا يشتهونه روي ان مالك بن الصيف قاله لما اغضبه الرسول بقوله انشدك الله الذي انزل التوراة على موسى هل تجد فيها ان الله يبغض الحبر السمين فانت الحبر السمين وقيل هم المشركون والزامهم بانزال التوراة لانه كان من المشهورات الذائعة عندهم ولذلك كانوا يقولون لو انا انزل علينا الكتاب لكنا اهدى منهم **وعلمتم** على لسان محمد **ما لم تعلموا انتم ولا آباؤكم** زيادة على ما في التوراة وبيانا لما التبس عليكم وعلى آبائكم الذين كانوا اعلم منكم ونظيره ان هذا القرآن يقص على بني اسرائيل اكثر الذي هم فيه يختلفون وقيل الخطاب لمن آمن من قريش **قل الله** اي انزله الله او الله انزله امره بان يجيب عنهم اشعارا بان الجواب متعين لا يمكن غيره وتنبيها على انهم بهتوا بحيث لا يقدرون على الجواب **ثم ذرهم في خوضهم** في اباطيلهم فلا عليك بعد التبليغ والزام الحجة **يلعبون** حال من هم الاول والظرف صلة ذرهم او يلعبون او حال من مفعوله او فاعل يلعبون او من هم الثاني والظرف متصل بالاول **وهذا كتاب انزلناه مبارك** كثير الفائدة والنفع **مصدق الذي بين يديه** اي التوراة او الكتب التي قبله **ولتنذر ام القرى** عطف على ما دل عليه مبارك اي للبركات ولتنذر او علة محذوف اي ولتنذر اهل ام القرى انزلناه وانما سميت مكة بذلك لانها قبلة اهل القرى ومحجهم ومجتمعهم واعظم القرى شانا وقرأ ابو بكر عن عاصم بالياء اي لينذر الكتاب **ومن حولها** اهل الشرق والغرب **والذين يؤمنون بالآخرة يؤمنون به وهم على صلاتهم يحافظون** فان من صدق بالآخرة خاف العاقبة ولا يزال الخوف يحمله على النظر والتدبر حتى يؤمن بالنبي والكتاب والضمير يحتملهما ويحافظ على الطاعة وتخصيص الصلوة لانها عماد الدين وعلم الايمان

١٥٩

ومن أظلم ممن افترى على الله كذبا فزعم أنه بعثه نبيا كمسيلمة والأسود العنسي
أو اختلق عليه أحكاما كعمرو بن لحي ومتابعيه أو قال أوحي إلي ولم يوح إليه
شيء كعبد الله بن سعد بن أبي سرح كان يكتب لرسول الله صلى الله عليه وسلم فلما نزلت ولقد خلقنا
الإنسان من سلالة من طين فلما بلغ قوله ثم أنشأناه خلقا آخر قال عبد الله فتبارك
الله أحسن الخالقين تعجبا من تفصيل خلق الإنسان فقال عليه السلام اكتبها
فكذلك نزلت فشك عبد الله وقال لئن كان محمد صادقا لقد أوحي إلي كما
أوحي إليه ولئن كان كاذبا لقد قلت كما قال ومن قال سأنزل مثل ما أنزل الله كالذين
قالوا لو نشاء لقلنا مثل هذا ولو ترى إذ الظالمون حذف مفعوله لدلالة الظرف عليه
أي ولو ترى الظالمين في غمرات الموت شدائده من غمره الماء إذا غشيه والملائكة
باسطوا أيديهم بقبض أرواحهم كالمتقاضي الملظ أو بالعذاب أخرجوا أنفسكم
أي يقولون لهم أخرجوها إلينا من أجسادكم تغليظا وتعنيفا عليهم أو أخرجوها
من العذاب وخلصوها من أيدينا اليوم يريدون وقت الإماتة أو الوقت الممتد
من الإماتة إلى ما لا نهاية له تجزون عذاب الهون أي الهوان يريد العذاب المتضمن
لشدة وإهانة وإضافته إلى الهون لعراقته وتمكنه فيه بما كنتم تقولون على الله
غير الحق كاتخاذ الولد والشريك له ودعوى النبوة والوحي كاذبا وكنتم عن آياته
تستكبرون فلا تتأملون فيها ولا تؤمنون ولقد جئتمونا للحساب والجزاء
فرادى منفردين عن الأموال والأولاد وسائر ما آثرتموه من الدنيا أو عن الأعوان
والأوثان التي زعمتم أنها شفعاؤكم وهو جمع فرد والألف للتأنيث ككسالى
وقرئ فرادا كرخال وفراد كثلاث وفردى كسكرى كما خلقناكم أول
مرة بدل منه أي على الهيئة التي ولدتم عليها في الانفراد أو حال ثانية إن
جوز التعدد فيها أو حال من الضمير في فرادى أي مشبهين ابتداء خلقكم عراة حفاة
غرلا بهما أو صفة مصدر جئتمونا أي مجيئا كما خلقناكم وتركتم ما خولناكم
ما تفضلنا به عليكم في الدنيا فشغلتم به عن الآخرة وراء ظهوركم ما قدمتم
منه شيئا ولم تحتملوا نقيرا وما نرى معكم شفعاءكم الذين زعمتم أنهم
فيكم شركاء أي شركاء لله في ربوبيتكم واستحقاق عبادتكم لقد تقطع بينكم
أي تقطع وصلكم وتشتت جمعكم والبين من الأضداد يستعمل للوصل
والفصل وقيل هو الظرف أسند إليه الفعل على الاتساع والمعنى وقع التقطع
بينكم ويشهد له قراءة نافع والكسائي وحفص عن عاصم بالنصب على إضمار الفاعل لدلالة
ما قبله عليه أو أقيم مقام موصوفه وأصله لقد تقطع ما بينكم وقد قرئ به
وضل عنكم ضاع وبطل ما كنتم تزعمون أنها شفعاؤكم أو أن لا بعث ولا
جزاء إن الله فالق الحب والنوى بالنبات والشجر وقيل المراد به الشق الذي

في الحنطة والنواة يخرج يريد به ما ينمو من الحيوان والنبات ليطابق ما قبله الحي من
الميت مما لا ينمو كالنطف والحب ويخرج الميت من الحي ومخرج ذلك من
الحيوان والنبات ذكره بلفظ الاسم حملا على فالق الحب فإن قوله يخرج الحي واقع
موقع البيان له ذلكم الله أي ذلكم المحيي والمميت هو الذي يحق له العبادة فأنى تؤفكون
تصرفون عنه إلى غيره فالق الإصباح شاق عمود الصبح عن ظلمة الليل أو عن بياض
النهار أو شاق ظلمة الإصباح وهو الغبش الذي يليه والإصباح في الأصل مصدر
أصبح إذا دخل في الصبح وقرئ بفتح الهمزة على الجمع وقرئ فالق بالنصب على المدح وجاعل
الليل سكنا يسكن إليه التعب بالنهار للاستراحة فيه من سكن إليه إذا اطمأن
إليه استئناسا به أو يسكن فيه الخلق من قوله لتسكنوا فيه ونصبه بفعل دل
عليه جاعل لا به فإنه في معنى الماضي ويدل عليه قراءة الكوفيين وجعل الليل حملا على معنى
المعطوف عليه فإن فالق بمعنى فلق ولذلك قرئ به أو به على أن المراد منه جعل مستمر في
الأزمنة المختلفة وعلى هذا يجوز أن يكون والشمس والقمر عطفا على محل الليل والأحسن
نصبهما بجعل المقدر وقرئا بالرفع على الابتداء والخبر محذوف أي مجعولان حسبانا
أي على أدوار مختلفة يحسب بهما الأوقات ويكونان علمي الحسبان وهو مصدر حسب
بالفتح كما أن الحسبان بالكسر مصدر حسب وقيل جمع حساب كشهاب وشهبان
ذلك إشارة إلى جعلهما حسبانا أي ذلك التسيير بالحساب المعلوم تقدير العزيز الذي
قهرهما وسيرهما على الوجه المخصوص العليم وهو الذي جعل لكم النجوم خلقها لكم
لتهتدوا بها في ظلمات البر والبحر في ظلمات الليل في البر والبحر وإضافتها إليهما للملابسة
أو في مشتبهات الطرق وسماها ظلمات على الاستعارة وهو إفراد لبعض منافعها بالذكر
بعدما أجملها بقوله لكم قد فصلنا الآيات بيناها فصلا فصلا لقوم يعلمون فإنهم
المنتفعون به وهو الذي أنشأكم من نفس واحدة هو آدم فمستقر ومستودع
أي فلكم استقرار في الأصلاب أو فوق الأرض واستيداع في الأرحام أو تحت الأرض
أو موضع استقرار واستيداع وقرأ ابن كثير والبصريان بكسر القاف على أنه اسم فاعل
والمستودع مفعول أي فمنكم قار ومنكم مستودع لأن الاستقرار منا دون الاستيداع
قد فصلنا الآيات لقوم يفقهون ذكر مع ذكر النجوم يعلمون لأن أمرها ظاهر
ومع ذكر تخليق بني آدم يفقهون لأن إنشاءهم من نفس واحدة وتصريفهم بين أحوال مختلفة
دقيق غامض يحتاج إلى استعمال فطنة وتدقيق نظر وهو الذي أنزل من السماء ماء
من السحاب أو من جانب السماء فأخرجنا على تلوين الخطاب به بالماء نبات
كل شيء نبت كل صنف من النبات والمعنى إظهار القدرة في إنبات الأنواع المختلفة
المنفتنة بماء واحد كما في قوله تسقى بماء واحد ونفضل بعضها على بعض في الأكل
فأخرجنا منه من النبات أو الماء خضرا شيئا أخضر يقال أخضر وخضر كأعور وعور

وهو الخارج من الحبة المتشعب نخرج منه من الخضر حبا متراكبا وهو السنبل
ومن النخل من طلعها قنوان اى واخرجنا من النخل نخلا من طلعها قنوان او من النخل
شيء من طلعها قنوان ويجوز ان يكون من النخل خبر قنوان ومن طلعها بدل منه والمعنى
وحاصلة من طلع النخل قنوان وهو الاعذاق جمع قنو كصنوان جمع صنو وقرئ بضم القاف
كذئب وذؤبان وبفتحها على انه اسم جمع اذ ليس فعلان من ابنية الجمع دانية
قريبة من المتناول او ملتفة قريب بعضها من بعض وانما اقتصر على ذكرها عن مقابلها
لدلالتها عليه وزيادة النعمة فيها وجنات من اعناب عطف على نبات كل شيء وقرئ
بالرفع على الابتداء اى ولكم او ثم جنات او من الكرم جنات ولا يجوز عطفه
على قنوان اذ العنب لا يخرج من النخل والزيتون والرمان ايضا عطف على نبات
او نصب على الاختصاص لعزة هذين الصنفين عندهم مشتبها وغير متشابه حال
من الرمان او من الجميع اى بعض ذلك متشابه وبعضه غير متشابه في الهيئة والقدر
واللون والطعم انظروا الى ثمره اى ثمر كل واحد من ذلك وقرأ حمزة والكسائي
بضم الثاء وهو جمع ثمرة كخشبة وخشب او ثمار ككتاب وكتب اذا اثمر اذا اخرج
ثمره كيف يثمر ضئيلا لا يكاد ينتفع به وينعه والى حال نضجه او الى نضيجه كيف يعود
ضخما ذا نفع ولذة وهو في الاصل مصدر ينعت الثمرة اذا ادركت وقيل جمع يانع كتاجر
وتجر وقرئ بالضم وهو لغة فيه ويانعه ان في ذلكم لآيات لقوم يؤمنون اى لآيات
على وجود القادر الحكيم وتوحيده فان حدوث الاجناس المختلفة والانواع المفتنة
من اصل واحد ونقلها من حال الى حال لا يكون الا باحداث قادر يعلم تفاصيلها
ويرجح ما تقتضيه حكمته مما يمكن من احوالها ولا يعوقه عن فعله ند يعارضه
او ضد يعانده ولذلك عقبه بتوبيخ من اشرك به والرد عليه فقال وجعلوا لله
شركاء الجن اى الملائكة بان عبدوهم وقالوا الملائكة بنات الله وسماهم جنا لاجتنانهم
تحقيرا لشانهم او الشياطين لانهم اطاعوهم كما يطاع الله او عبدوا الاوثان بتسويلهم
وتحريضهم او قالوا الله خالق الخير وكل نافع متعلق بشركاء او حال منه وقرئ الجن بالرفع
كانه قيل من هم فقيل الجن وبالجر على الاضافة للتبيين وخلقهم حال بتقدير قد
والمعنى وقد علموا ان الله خالقهم دون الجن وليس من يخلق كمن لا يخلق وقرئ وخلقهم
عطفا على الجن وما يخلقونه من الاصنام او على شركاء اى وجعلوا له اختلاقهم للافك
حيث نسبوه اليه وخرقوا له افتعلوا وافتروا له وقرأ نافع بتشديد الراء للتكثير وقرئ
وحرفوا اى وزوروا بنين وبنات بغير علم فقالت اليهود عزير ابن الله وقالت النصارى
المسيح ابن الله وقالت العرب الملائكة بنات الله سبحانه وتعالى عما يصفون وهو
ان له شريكا او ولدا بديع السموات والارض من اضافة الصفة المشبهة الى
فاعلها او الى الظرف كقولهم ثبت الغدر بمعنى عديم النظير فيهما وقيل معناه المبدع

وقد

وقد يستوي الكلام فيه ورفعه على الخبر والمبتدأ محذوف او على الابتداء وخبره انى يكون
له ولد اى من اين او كيف يكون له ولد ولم تكن له صاحبة يكون منها الولد وقرئ
بالياء للفصل او لان الاسم ضمير الله او ضمير الشان وخلق كل شيء وهو بكل شيء عليم لا يخفى عليه
خافية وانما لم يقل به لتطرق التخصيص الى الاول وفي الآية استدلال على نفي الولد من
وجوه الاول ان من مبدعاته السموات والارض وهي مع انها من جنس ما يوصف
بالولادة مبرأة عنها لاستمرارها وطول مدتها فهو اولى بان يتعالى عنها او ان ولد الشيء
نظيره ولا نظير له فلا ولد الثاني ان المعقول من الولد ما يتولد من ذكر وانثى متجانسين
والله تعالى منزه عن المجانسة الثالث ان الولد كفؤ الوالد ولا كفؤ له لوجهين الاول
ان كل ما عداه مخلوقة فلا يكافئه والثاني انه لذاته عالم بكل المعلومات ولا كذلك غيره
بالاجماع ذلكم اشارة الى الموصوف بما سبق من الصفات وهو مبتدأ الله ربكم لا اله
الا هو خالق كل شيء اخبار مترادفة ويجوز ان يكون البعض بدلا والبعض خبرا
فاعبدوه حكم مسبب عن مضمونها فان من استجمع هذه الصفات استحق العبادة وهو
على كل شيء وكيل اى وهو مع تلك الصفات متولي اموركم فكلوها اليه وتوسلوا
بعبادته الى انجاح ماربكم ورقيب على اعمالكم فيجازيكم عليها لا تدركه الابصار لا تحيط به
الابصار جمع بصر وهي حاسة النظر وقد يقال للعين من حيث انها محلها واستدل
به المعتزلة على امتناع الرؤية وهو ضعيف اذ ليس الادراك مطلق الرؤية ولا النفي
في الآية عاما في الاوقات فلعله مخصوص ببعض الحالات ولا في الاشخاص فانه في قوة
قولنا لا كل بصر يدركه مع ان النفي لا يوجب الامتناع وهو يدرك الابصار يحيط علمه
بها وهو اللطيف الخبير فيدرك ما لا تدركه الابصار ويجوز ان يكون من باب
اللف اى لا تدركه الابصار لانه اللطيف وهو يدرك الابصار لانه الخبير فيكون
اللطيف مستعارا من مقابل الكثيف لما لا يدرك بالحاسة ولا ينطبع فيها قد جاءكم
بصائر من ربكم البصائر جمع بصيرة وهي للنفس كالبصر للبدن سميت بها الدلالة
لانها تجلي لها الحق وتبصرها فمن ابصر اى ابصر الحق وآمن به فلنفسه ابصر لان نفعه لها
ومن عمي عن الحق وضل فعليها وباله وما انا عليكم بحفيظ وانما انا منذر والله
هو الحفيظ عليكم يحفظ اعمالكم ويجازيكم عليها وهذا كلام ورد على لسان الرسول
وكذلك نصرف الآيات ومثل ذلك التصريف وهو اجراء المعنى الدائر في المعاني المتعاقبة
من الصرف وهو نقل الشيء من حال الى حال وليقولوا درست اى وليقولوا صرفنا
واللام لام العاقبة والدرس القراءة والتعلم وقرأ ابن كثير وابو عمرو دارست
اى دارست اهل الكتاب وذاكرتهم وابن عامر ويعقوب درست من الدروس
اى قدمت هذه الآيات وعفت كما قالوا اساطير الاولين وقرئ درست
بضم الراء مبالغة في درست ودرست على البناء للمفعول بمعنى قرئت او عفيت

ودارست بمعنى درست او دارست اليهود محمدا وجاز اضمارهم بلا ذكر لشهرتهم بالدراسة
ودرسن اي عفون ودرس اي درس محمد ودارسات اي قديمات او ذات درس
كقوله عيشة راضية ولنبينه اللام على اصله لان التبيين مقصود التصريف والضمير
للآيات باعتبار المعنى او للقرآن وان لم يذكر لكونه معلوما او للمصدر لقوم يعلمون
فانهم المنتفعون به اتبع ما اوحي اليك من ربك بالتدين به لا اله الا هو اعتراض
اكد به ايجاب الاتباع او حال مؤكدة من ربك بمعنى منفردا في الالوهية واعرض
عن المشركين ولا تحتفل باقوالهم ولا تلتفت الى رأيهم ومن جعله منسوخا بآية
السيف حمل الاعراض على ما يعم الكف عنهم ولو شاء الله توحيدهم وعدم اشراكهم
ما اشركوا وهو دليل على انه تعالى لا يريد ايمان الكافر وان مراده واجب الوقوع وما
جعلناك عليهم حفيظا رقيبا وما انت عليهم بوكيل تقوم بامورهم ولا
تسبوا الذين يدعون من دون الله اي ولا تذكروا آلهتهم التي يعبدونها
بما فيها من القبائح فيسبوا الله عدوا تجاوزا عن الحق الى الباطل بغير علم على جهالة
بالله وبما يجب ان يذكر به وقرأ يعقوب عدوا يقال عدا فلان عدوا وعدوا وعداء وعدوانا
روي انه عليه السلام كان يطعن في آلهتهم فقالوا لتنتهين عن سب آلهتنا او لنهجون
الهك فنزلت وقيل كان المسلمون يسبونها فنهوا لئلا يكون سبهم سببا لسب الله
وفيه دليل على ان الطاعة اذا ادت الى معصية راجحة وجب تركها فان ما
يؤدي الى الشر شر كذلك زينا لكل امة عملهم من الخير والشر باحداث ما يمكنهم
فيه وحملهم عليه توفيقا وتخذيلا ويجوز تخصيص العمل بالشر وكل امة بالكفرة لان
الكلام فيهم والمشبه به تزيين سب الله لهم ثم الى ربهم مرجعهم فينبئهم بما كانوا
يعملون بالمحاسبة والمجازاة عليه واقسموا بالله جهد ايمانهم مصدر في
موضع الحال والداعي لهم الى هذا القسم والتأكيد التحكم على الرسول في طلب الآيات
واستحقار ما رأوا منها لئن جاءتهم آية من مقترحاتهم ليؤمنن بها قل انما الآيات
عند الله هو قادر عليها يظهر منها ما يشاء وليس شيء منها بقدرتي وارادتي
وما يشعركم وما يدريكم استفهام انكار انها اي الآية المقترحة اذا جاءت
لا يؤمنون اي لا تدرون انهم لا يؤمنون انكر السبب مبالغة في نفي المسبب وفيه
تنبيه على انه انما لم ينزلها لعلمه بانها اذا جاءتهم لا يؤمنون بها وقيل لا مزيدة وقيل
ان بمعنى لعل اذ قرئ لعلها وقرأ ابن كثير وابو عمرو وابو بكر عن عاصم ويعقوب
انها بالكسر كانه قال وما يشعركم ما يكون منهم ثم اخبرهم بما علم منهم والخطاب للمؤمنين
فانهم يتمنون مجيء الآية طمعا في ايمانهم فنزلت وقيل للمشركين اذ قرأ ابن عامر
وحمزة لا تؤمنون بالتاء وقرئ وما يشعرهم انها اذا جاءتهم فيكون انكارا لهم على حلفهم
اي وما يشعرهم ان قلوبهم حينئذ لم تكن مطبوعة كما كانت عند نزول القرآن وغيره

من الآيات

للمصدر

من الآيات فيؤمنون بها ونقلب افئدتهم وابصارهم عطف على لا يؤمنون اي وما
يشعركم انا حينئذ نقلب افئدتهم عن الحق فلا يفقهونه وابصارهم فلا يبصرونه
فلا يؤمنون بها كما لم يؤمنوا به اي بما انزل من الآيات اول مرة ونذرهم
في طغيانهم يعمهون وندعهم متحيرين لا نهديهم هداية المؤمنين وقرئ ويقلب ويذرهم
على الغيبة وتقلب على البناء للمفعول والاسناد الى الافئدة ولو اننا نزلنا اليهم
الملائكة وكلمهم الموتى وحشرنا عليهم كل شيء قبلا كما اقترحوا فقالوا لولا انزل
علينا الملائكة فأتوا بآبائنا او تأتي بالله والملائكة قبيلا وقبلا جمع قبيل بمعنى كفيل اي كفلاء
بما بشروا به وانذروا او جمع قبيل الذي هو جمع قبيلة بمعنى جماعات او مصدر بمعنى مقابلة
كقبلا وهو قراءة نافع وابن عامر وهو على الوجوه حال من كل وانما جاز ذلك لعمومه
ما كانوا ليؤمنوا لما سبق عليهم القضاء بالكفر الا ان يشاء الله استثناء من اعم الاحوال
اي لا يؤمنون في حال الا حال مشيئة الله وقيل منقطع وهو حجة واضحة على المعتزلة
ولكن اكثرهم يجهلون انهم لو اوتوا بكل آية لم يؤمنوا فيقسمون بالله جهد ايمانهم
على ما لا يشعرون ولذلك اسند الجهل الى اكثرهم مع ان مطلق الجهل يعمهم او لكن اكثر
المسلمين يجهلون انهم لا يؤمنون فيتمنون نزول الآية طمعا في ايمانهم وكذلك جعلنا لكل
نبي عدوا اي كما جعلنا لك عدوا جعلنا لكل نبي سبقك عدوا وهو دليل على ان عداوة
الكفرة للانبياء بفعل الله وخلقه شياطين الانس والجن مردة الفريقين وهو بدل
من عدوا او اول مفعولي جعلنا وعدوا مفعوله الثاني ولكل متعلق به او حال منه يوحي
بعضهم الى بعض يوسوس شياطين الجن الى شياطين الانس او بعض الجن الى بعض
وبعض الانس الى بعض زخرف القول الاباطيل المموهة من زخرفه اذا زينه غرورا
مفعول له او مصدر في موضع الحال ولو شاء ربك ايمانهم ما فعلوه اي ما فعلوا ذلك
يعني معاداة الانبياء او ايحاء الزخارف ويجوز ان يكون الضمير للايحاء او الزخرف او
الغرور وهو ايضا دليل على المعتزلة فذرهم وما يفترون وكفرهم ولتصغى اليه
افئدة الذين لا يؤمنون بالآخرة عطف على غرورا ان جعل علة او متعلق بمحذوف
اي وليكون ذلك جعلنا لكل نبي عدوا والمعتزلة لما اضطروا فيه قالوا اللام لام القسم
او لام العاقبة كسرت لما لم يؤكد الفعل بالنون او لام الامر وضعفه اظهر والصغو الميل
والضمير لما له الضمير في فعلوه وليرضوه لانفسهم وليقترفوا وليكتسبوا ما هم مقترفون
من الآثام افغير الله ابتغي حكما على ارادة القول اي قل لهم يا محمد افغير الله اطلب
من يحكم بيني وبينكم ويفصل المحق منا من المبطل وغير مفعول ابتغي وحكما حال منه ويحتمل
عكسه وحكما ابلغ من حاكم ولذلك لا يوصف به غير العادل وهو الذي انزل اليكم الكتاب
القرآن المعجز مفصلا مبينا فيه الحق والباطل بحيث ينفي التخليط والالتباس وفيه
تنبيه على ان القرآن باعجازه وتقريره مغن عن سائر الآيات والذين آتيناهم الكتاب

ايمانهم

يعلمون انه منزل من ربك بالحق تأييد لدلالة الاعجاز على ان القرآن حق
منزل من عند الله بعلم اهل الكتاب به لتصديقه ما عندهم مع انه عليه السلام
لم يمارس كتبهم ولم يخالط علماءهم وانما وصف جميعهم بالعلم لان اكثرهم يعلمون
ومن لم يعلم فهو متمكن منه بادنى تأمل وقيل المراد مؤمنوا اهل الكتاب وقرأ
ابن عامر وحفص عن عاصم منزل بالتشديد فلا تكونن من الممترين في انهم يعلمون
ذلك او في انه منزل لجحود اكثرهم وكفرهم به فيكون من باب التهييج كقوله ولا تكونن
من المشركين او خطابا لرسوله خطابا للامة وقيل الخطاب لكل احد على معنى
ان الادلة لما تعاضدت على صحته فلا ينبغي لاحد ان يمتري فيه وتمت كلمت ربك
بلغت الغاية اخباره واحكامه ومواعيده صدقا في الاخبار والمواعيد وعدلا
في الاقضية والاحكام ونصبهما يحتمل التمييز والحال والمفعول له لا مبدل لكلماته
لا احد يبدل شيئا منها بما هو اصدق واعدل ولا احد يقدر ان يحرفها شائعا
ذائعا كما فعل بالتوراة على ان المراد بها القرآن فيكون ضمانا لها من الله بالحفظ كقوله
وانا له لحافظون او لا نبي ولا كتاب بعدها ينسخها ويبدل احكامها وقرأ الكوفيون
ويعقوب كلمة ربك اي ما تكلم به او القرآن وهو السميع لما يقولون العليم بما يضمرون
فلا يهملهم وان تطع اكثر من في الارض اي اكثر الناس يريد الكفار او الجهال
او اتباع الهوى وقيل الارض مكة يضلوك عن سبيل الله عن الطريق الموصل
اليه فان الضال في غالب الامر لا يأمر الا بما فيه ضلال ان يتبعون الا الظن
وهو ظنهم ان اباءهم كانوا على الحق وجهالاتهم واراءهم الفاسدة فان الظن يطلق على ما يقابل
العلم وان هم الا يخرصون يكذبون على الله فيما ينسبون اليه كاتخاذ الولد وجعل
عبادة الاصنام والاوثان وصلة اليه وتحليل الميتة وتحريم البحائر او يقدرون
انهم على شيء وحقيقته ما يقال عن ظن وتخمين ان ربك هو اعلم من يضل عن سبيله
وهو اعلم بالمهتدين اي اعلم بالفريقين ومن موصولة او موصوفة في محل النصب
بفعل دل عليه اعلم لا به فان افعل لا ينصب الظاهر في مثل ذلك او استفهامية
مرفوعة بالابتداء والخبر يضل والجملة معلق عنها الفعل المقدر وقرئ من يضل
اي يضله الله فيكون من منصوبة بالفعل المقدر او مجرورة باضافة اعلم اليه اي
اعلم المضلين من قوله ومن يضلل الله او من اضللته اذا وجدته ضالا والتفضيل
في العلم بكثرته واحاطته بالوجوه التي يمكن تعلق العلم بها ولزومه وكونه بالذات
لا بالغير فكلوا مما ذكر اسم الله عليه مسبب عن انكار اتباع المضلين الذين يحرمون
الحلال ويحلون الحرام والمعنى كلوا مما ذكر اسم الله على ذبحه لا مما ذكر عليه اسم غيره
او مات حتف انفه ان كنتم باياته مؤمنين فان الايمان بها يقتضي استباحة
ما احله الله واجتناب ما حرمه وما لكم الا تأكلوا مما ذكر اسم الله عليه واي

غرض لكم في ان تتحرجوا عن اكله وما يمنعكم عنه وقد فصل لكم ما حرم عليكم
مما لم يحرم بقوله حرمت عليكم الميتة وقرأ ابن كثير وابو عمرو وابن عامر فصل على
البناء للمفعول ونافع ويعقوب وحفص حرم على البناء للفاعل الا ما اضطررتم اليه
مما حرم عليكم فانه ايضا حلال لحال الضرورة وان كثيرا ليضلون بتحليل
الحرام وتحريم الحلال قراءة الكوفيين بضم الياء والباقون بالفتح باهوائهم بغير علم بتشهيهم
من غير تعلق بدليل يفيد العلم ان ربك هو اعلم بالمعتدين المتجاوزين الحق الى الباطل والحلال
الى الحرام وذروا ظاهر الاثم وباطنه ما يعلن وما يسر او ما بالجوارح وما بالقلب وقيل
الزنا في الحوانيت واتخاذ الاخدان ان الذين يكسبون الاثم سيجزون بما كانوا
يقترفون يكسبون ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه ظاهر في تحريم متروك
التسمية عمدا او نسيانا واليه ذهب داود وعن احمد مثله وقال مالك والشافعي بخلافه
لقوله عليه السلام ذبيحة المسلم حلال وان لم يذكر اسم الله عليه وفرق ابو حنيفة بين العمد
والنسيان واوله بالميتة او بما ذكر اسم غير الله عليه لقوله وانه لفسق فان الفسق ما اهل لغير الله
به والضمير لما ويجوز ان يكون للاكل الذي دل عليه لا تأكلوا وان الشياطين ليوحون ليوسوسون
الى اوليائهم من الكفار ليجادلوكم بقولهم تأكلون مما قتلتم انتم وجوارحكم وتدعون
ما قتله الله وهو يؤيد التأويل بالميتة وان اطعتموهم في استحلال ما حرم انكم لمشركون
فان من ترك طاعة الله الى طاعة غيره واتبعه في دينه فقد اشرك وانما حسن حذف الفاء
لان الشرط بلفظ الماضي او من كان ميتا فاحييناه وجعلنا له نورا يمشي به في الناس مثل
به من هداه الله وانقذه من الضلال وجعل له نور الحجج والايات يتأمل بها في الاشياء
فيميز بين الحق والباطل والمحق والمبطل وقرأ نافع ويعقوب ميتا على الاصل كمن مثله صفته
وهو مبتدأ خبره في الظلمات وقوله ليس بخارج منها حال من المستكن في الظرف لا من الهاء
في مثله للفصل وهو مثل لمن بقي على الضلالة لا يفارقها بحال كذلك كما زين للمؤمنين
ايمانه زين للكافرين ما كانوا يعملون والاية نزلت في حمزة وابي جهل وقيل في عمر او عمار
وابي جهل وكذلك جعلنا في كل قرية اكابر مجرميها ليمكروا فيها اي كما جعلنا في
مكة اكابر مجرميها ليمكروا فيها جعلنا في كل قرية اكابر مجرميها ليمكروا فيها وجعلنا بمعنى
صيرنا ومفعولاه اكابر مجرميها على تقديم المفعول الثاني او في كل قرية اكابر ومجرميها بدل ويجوز
ان يكون مضافا اليه وافعل التفضيل اذا اضيف جاز فيه الافراد والمطابقة ولذلك قرئ اكبر مجرميها
وتخصيص الاكابر لانهم اقوى على استتباع الناس والمكر بهم وما يمكرون الا بانفسهم
لان وباله يحيق بهم وما يشعرون ذلك واذا جاءتهم اية قالوا لن نؤمن حتى نؤتى
مثل ما اوتي رسل الله يعني كفار قريش لما روي ان ابا جهل قال تزاحمنا بني عبد مناف
حتى اذا صرنا كفرسي رهان قالوا منا نبي يوحى اليه والله لا نرضى به الا ان يأتينا وحي كما يأتيه
فنزلت الله اعلم حيث يجعل رسالاته استئناف للرد عليهم بان النبوة ليست بالنسب

والمال وانما هي بفضائل نفسانية يخص الله بها من يشاء من عباده فيجتبي لرسالته من
علم انه يصلح لها وهو اعلم بالمكان الذي فيه تضعها وقرأ ابن كثير وحفص عن عاصم
رسالته سيصيب الذين اجرموا صغار ذل وحقارة بعد كبرهم عند الله يوم القيمة
وقيل تقديره من عند الله وعذاب شديد بما كانوا يمكرون بسبب مكرهم
او جزاء على مكرهم فمن يرد الله ان يهديه يعرفه طريق الحق ويوفقه للايمان
يشرح صدره للاسلام فيتسع له وينفسح فيه مجاله وهو كناية عن جعل النفس قابلة
للحق مهيأة لحلوله فيها مصفاة عما يمنعه وينافيه واليه اشار بقوله عليه السلام حين
سئل عنه فقال نور يقذفه الله في قلب المؤمن فينشرح له وينفسح فقالوا هل لذلك امارة
يعرف بها فقال نعم الانابة الى دار الخلود والتجافي عن دار الغرور والاستعداد للموت
قبل نزوله ومن يرد ان يضله يجعل صدره ضيقا حرجا بحيث ينبو عن قبول الحق
فلا يدخله الايمان وقرأ ابن كثير ضيقا بالتخفيف ونافع وابو بكر عن عاصم حرجا بالكسر
اي شديد الضيق والباقون بالفتح وصفا بالمصدر كأنما يصعد في السماء شبهه مبالغة
في ضيق صدره بمن يزاول ما لا يقدر عليه فان صعود السماء مثل فيما يبعد عن الاستطاعة
ونبه به على ان الايمان يمتنع منه كما يمتنع منه الصعود وقيل معناه كأنما يتصاعد
الى السماء نبوا عن الحق وتباعدا في الهرب منه واصل يصعد يتصعد وقد قرئ به
وقرأ ابن كثير يصعد وابو بكر عن عاصم يصاعد بمعنى يتصاعد كذلك اي كما يضيق صدره
ويبعد قلبه عن الحق يجعل الله الرجس على الذين لا يؤمنون يجعل العذاب
او الخذلان عليهم فوضع الظاهر موضع المضمر للتعليل وهذا اشارة الى البيان الذي
جاء به القرآن او الى الاسلام او الى ما سبق من التوفيق والخذلان صراط ربك الطريق
الذي ارتضاه او عادته وطريقته التي اقتضته حكمته مستقيما لا عوج فيه او عادلا
مطردا وهو حال مؤكدة كقوله وهو الحق مصدقا او مقيدة والعامل فيها معنى الاشارة
قد فصلنا الايات لقوم يذكرون فيعلمون ان القادر هو الله وان كل ما يحدث
من خير او شر فهو بقضائه وخلقه وانه عالم باحوال العباد حكيم عادل فيما يفعل بهم
لهم دار السلم دار الله اضاف الجنة الى نفسه تعظيما لها او دار السلامة من
المكاره او دار تحيتهم فيها سلام عند ربهم في ضمانه او ذخيرة لهم عنده
لا يعلم كنهها غيره وهو وليهم مواليهم او ناصرهم بما كانوا يعملون بسبب اعمالهم
او متوليهم بجزائها فيتولى ايصاله اليهم ويوم يحشرهم جميعا نصب باضمار اذكر
او نقول والضمير لمن يحشر من الثقلين وقرأ حفص عن عاصم وروح عن يعقوب بالياء
يا معشر الجن يعني الشياطين قد استكثرتم من الانس اي من اغوائهم
واضلالهم او منهم بان جعلتموهم اتباعكم فحشروا معكم كقولهم استكثر الامير
من الجنود وقال اولياؤهم من الانس الذين اطاعوهم ربنا استمتع بعضنا ببعض

اى

اي انتفع الانس بالجن بان دلوهم على الشهوات وما يتوصل به اليها والجن بالانس
بان اطاعوهم وحصلوا مرادهم وقيل استمتاع الانس بهم انهم كانوا يعوذون
بهم في المفاوز وعند المخاوف واستمتاعهم بالانس اعترافهم بانهم يقدرون
على اجارتهم وبلغنا اجلنا الذي اجلت لنا اي البعث وهو اعتراف بما فعلوا من طاعة
الشيطان واتباع الهوى وتكذيب البعث وتحسر على حالهم قال النار مثويكم منزلكم
او ذات مثويكم خالدين فيها حال والعامل فيها مثويكم ان جعل مصدرا ومعنى
الاضافة ان جعل مكانا الا ما شاء الله الا الاوقات التي ينقلون فيها من النار الى
الزمهرير وقيل الا ما شاء الله قبل الدخول كأنه قيل النار مثويكم ابدا الا
ما امهلكم ان ربك حكيم في افعاله عليم باعمال الثقلين واحوالهم وكذلك نولي بعض
الظالمين بعضا نكل بعضهم الى بعض او نجعل بعضهم يتولى بعضا فيغويهم او اولياء بعض
وقرناءهم في العذاب كما كانوا في الدنيا بما كانوا يكسبون من الكفر والمعاصي
يا معشر الجن والانس الم ياتكم رسل منكم الرسل من الانس لكن لما جمعوا مع الجن
في الخطاب صح ذلك ونظيره يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان والمرجان يخرج من الملح دون العذب
وتعلق بظاهره قوم وقالوا بعث الى كل من الثقلين رسل من جنسهم وقيل الرسل من
الجن رسل الرسل اليهم لقوله ولوا الى قومهم منذرين يقصون عليكم اياتي
وينذرونكم لقاء يومكم هذا يعني يوم القيمة قالوا شهدنا على انفسنا بالجرم
والعصيان وهو اعتراف منهم بالكفر واستيجاب العذاب وغرتهم الحيوة الدنيا وشهدوا
على انفسهم انهم كانوا كافرين ذم لهم على سوء نظرهم وخطأ رأيهم فانهم اغتروا
بالحيوة الدنية واللذات المخدجة واعرضوا عن الآخرة بالكلية حتى كان عاقبة امرهم
ان اضطروا الى الشهادة على انفسهم بالكفر والاستسلام للعذاب المخلد تحذيرا للسامعين من مثل
حالهم ذلك اشارة الى ارسال الرسل وهو خبر مبتدأ محذوف اي الامر ذلك ان لم يكن ربك
مهلك القرى بظلم واهلها غافلون تعليل للحكم وان مصدرية او مخففة من
الثقيلة اي الامر ذلك لانتفاء كون ربك مهلك القرى او لان الشأن لم يكن ربك مهلك القرى
بسبب ظلم فعلوه او ملتبسين بظلم او ظالما وهم غافلون لم ينبهوا برسول او بدل من ذلك
ولكل من المكلفين درجات مراتب مما عملوا من اعمالهم او من جزائها او من اجلها
وما ربك بغافل عما يعملون فيخفى عليه عمل او قدر ما يستحق به من ثواب او عقاب
وقرأ ابن عامر بالتاء على تغليب الخطاب على الغيبة وربك الغني عن العباد والعبادة
ذو الرحمة يترحم عليهم بالتكليف تكميلا لهم ويمهلهم على المعاصي وفيه تنبيه على
ان ما سبق ذكره من الارسال ليس لنفعه بل لرحمته على العباد وتأسيس لما بعده
وهو قوله ان يشأ يذهبكم اي ما به اليكم حاجة ان يشأ يذهبكم ايها العصاة و
يستخلف من بعدكم ما يشاء من الخلق كما انشأكم من ذرية قوم آخرين

ون

اجرته من ان يظلمه ظالم واجاره الله من العذاب انقذه طيب

خاصتهم

اى قرنا بعد قرن لكنه ابقاكم ترحما عليكم إنما توعدون من البعث واحواله لآت
لكائن لا محالة وما انتم بمعجزين طالبكم به قل يا قوم اعملوا على مكانتكم على غاية تمكنكم
واستطاعتكم يقال مكن مكانة اذا تمكن ابلغ التمكن او على ناحيتكم وجهتكم
التى انتم عليها من قولهم مكان ومكانة كمقام ومقامة وقرأ ابو بكر عن عاصم مكاناتكم
بالجمع فى كل القرآن وهو امر تهديد والمعنى اثبتوا على كفركم وعداوتكم لى انى عامل
ما كنت عليه من المصابرة والثبات على الاسلام والتهديد بصيغة الامر مبالغة
فى الوعيد كأن المهدد يريد تعذيبه مجمعا عليه فيحمله بالامر على ما يفضى به اليه و
تسجيل بان المهدد لا يأتى منه الا الشر كالمأمور به الذى لا يقدر ان يتقضى عنه
فسوف تعلمون من تكون له عاقبة الدار ان جعل من استفهامية بمعنى اينا تكون
له العاقبة الحسنى التى خلق الله لها هذه الدار فمحلها الرفع وفعل العلم معلق عنه وان
جعلت خبرية فالنصب بتعلمون اى فسوف تعرفون الذى تكون له العاقبة وفيه مع الانذار
انصاف فى المقال وحسن الادب وتنبيه على وثوق المنذر بانه محق وقرأ حمزة و
الكسائى يكون بالياء لان تأنيث العاقبة غير حقيقى انه لا يفلح الظالمون وضع الظالمين
موضع الكافرين لانه اعم واكثر فائدة وجعلوا اى مشركو العرب لله مما ذرأ خلق من
الحرث والانعام نصيبا فقالوا هذا لله بزعمهم وهذا لشركائنا فما كان لشركائهم
فلا يصل الى الله وما كان لله فهو يصل الى شركائهم روى انهم كانوا يعينون شيئا
من حرث ونتاج لله ويصرفونه الى الضيفان والمساكين وشيئا منها لآلهتهم وينفقون
على سدنتها ويذبحون عندها ثم ان رأوا ما عينوا لله ازكى بدلوه بما لآلهتهم وان رأوا
ما لآلهتهم ازكى تركوه لها حبا لآلهتهم وفى قوله مما ذرأ تنبيه على فرط جهالتهم فانهم
اشركوا الخالق فى خلقه جمادا لا يقدر على شىء ثم رجحوه عليه بان جعلوا الزاكى له
وفى قوله بزعمهم تنبيه على ان ذلك مما اخترعوه لم يأمرهم الله به وقرأ الكسائى بالضم
فى الموضعين وهو لغة فيه وقد جاء فيه الكسر ايضا كالود ساء ما يحكمون حكمهم هذا
وكذلك ومثل ذلك التزيين فى قسمة القربان زين لكثير من المشركين
قتل اولادهم بالوأد ونحرهم لآلهتهم شركاؤهم من الجن او من السدنة وهو فاعل
زين وقرأ ابن عامر زين على البناء للمفعول الذى هو القتل ونصب الاولاد
وجر الشركاء باضافة القتل اليه مفصولا بينهما بمفعوله وهو ضعيف فى العربية معدود
من ضرورات الشعر كقوله فزججتها متمكنا زج القلوص ابى مزادة وقرئ
بالبناء للمفعول وجر اولادهم ورفع شركائهم باضمار فعل دل عليه زين ليردوهم
ليهلكوهم بالاغواء وليلبسوا عليهم دينهم وليخلطوا عليهم ما كانوا عليه من دين
اسمعيل او ما وجب عليهم ان يتدينوا به واللام للتعليل ان كان التزيين من الشياطين
وللعاقبة ان كان من السدنة ولو شاء الله ما فعلوه اى ما فعل المشركون ما زين

لهم او الشركاء التزيين او الفريقان جميع ذلك فذرهم وما يفترون افتراءهم او ما يفترونه من
الافك وقالوا هذه اشارة الى ما جعل لآلهتهم انعام وحرث حجر حرام فعل بمعنى
مفعول كالذبح يستوى فيه الواحد والكثير والذكر والانثى وقرئ حجر بالضم وحرج اى مضيق
لا يطعمها الا من نشاء يعنون خدم الاوثان والرجال دون النساء بزعمهم من غير حجة و
انعام حرمت ظهورها يعنى البحائر والسوائب والحوامى وانعام لا يذكرون اسم
الله عليها فى الذبح وانما يذكرون اسماء الاصنام عليها وقيل لا يحجون على ظهورها افتراء
عليه نصب على المصدر لان ما قالوه تقول على الله والجار متعلق بقالوا او بالمحذوف
سيجزيهم بما كانوا يفترون بسببه او بدله وقالوا ما فى بطون هذه الانعام يعنون
اجنة البحائر والسوائب خالصة لذكورنا ومحرم على ازواجنا حلال للذكور
خاصة دون الاناث ان ولد حيا لقوله وان يكن ميتة فهم فيه شركاء فالذكور
والاناث فيه سواء وتأنيث الخالصة للمعنى فان ما فى معنى الاجنة ولذلك وافق عاصم فى رواية
ابى بكر ابن عامر فى تكن بالتاء وخالفه هو وابن كثير فى ميتة فنصب كغيرهم او التاء فيه للمبالغة
كما فى راوية الشعر او هو مصدر كالعافية وقع موقع الخالص وقرئ بالنصب على انه مصدر
مؤكد والخبر لذكورنا او حال من الضمير الذى هو فى الظرف لا من الذى فى لذكورنا ولا من
الذكور لانها لا تتقدم على العامل المعنوى ولا على صاحبها المجرور وقرئ خالص بالرفع
والنصب وخالصه بالرفع والاضافة الى الضمير على انه بدل من ما او مبتدأ ثان والمراد ما كان
حيا والتذكير فيه لان المراد بالميتة ما يعم الذكر والانثى فغلب الذكر سيجزيهم وصفهم اى
جزاء وصفهم الكذب على الله فى التحريم والتحليل من قوله وتصف ألسنتهم الكذب انه حكيم
عليم قد خسر الذين قتلوا اولادهم سفها يريد بهم العرب الذين كانوا يقتلون بناتهم مخافة
السبى والفقر وقرأ ابن كثير وابن عامر قتلوا بالتشديد بمعنى التكثير بغير علم لخفة عقلهم وجهلهم
بان الله رازق اولادهم لا هم ويجوز نصبه على الحال والمصدر وحرموا ما رزقهم الله
من البحائر ونحوها افتراء على الله يحتمل الوجوه المذكورة فى مثله قد ضلوا وما كانوا مهتدين
الى الحق والصواب وهو الذى انشأ جنات من الكروم معروشات مرفوعات على
ما يحملها وغير معروشات ملقيات على وجه الارض وقيل المعروشات ما غرسه
الناس فعرشوه وغير معروشات ما نبت فى البرارى والجبال والنخل والزرع مختلفا
اكله ثمره الذى يؤكل فى الهيئة والكيفية والضمير للزرع والباقى مقيس عليه او للنخل
والزرع داخل فى حكمه لكونه معطوفا عليه او للجميع على تقدير اكل ذلك او لكل واحد
منها ومختلفا حال مقدرة لانه لم يكن كذلك عند الانشاء والزيتون والرمان متشابها
وغير متشابه يتشابه بعض افرادهما فى اللون والطعم ولا يتشابه بعضها كلوا من ثمره
من ثمر كل واحد من ذلك اذا اثمر وان لم يدرك ولم يينع بعد وقيل فائدته رخصة
المالك فى الاكل منه قبل اداء حق الله وآتوا حقه يوم حصاده يريد به ما كان يتصدق

فى موضع الحال او على المفعول له
والجار متعلق به او بالمحذوف

به يوم الحصاد لا الزكوة والاية مدنية والامر بايتائها يوم الحصاد ليهتم به حينئذ
حتى لا يؤخر عن وقت الاداء وليعلم ان الوجوب بالادراك لا بالتنقية وقرأ ابن عامر
ونافع وحمزة والكسائي حصاده بكسر الحاء وهو لغة فيه ولا تسرفوا في التصدق
كقوله ولا تبسطها كل البسط انه لا يحب المسرفين لا يرتضي فعلهم ومن الانعام حمولة
وفرشا عطف على جنات اي وانشأ من الانعام ما يحمل الاثقال وما يفرش للذبح او
ما يفرش المنسوج من صوفه وشعره ووبره وقيل الكبار الصالحة للحمل والصغار الدانية
من الارض مثل الفرش المفروش عليها كلوا مما رزقكم الله كلوا ما احل لكم منه
ولا تتبعوا خطوات الشيطان في التحليل والتحريم من عند انفسكم انه لكم عدو
مبين ظاهر العداوة ثمانية ازواج بدل من حمولة وفرشا او مفعول كلوا ولا
تتبعوا معترض بينهما او فعل دل عليه او حال بمعنى مختلفة او متعددة والزوج
ما معه آخر من جنسه يزاوجه وقد يقال لمجموعهما والمراد الاول من الضان اثنين
زوجين اثنين الكبش والنعجة وهو بدل من ثمانية وقرئ اثنان على الابتداء والضان
اسم جنس كالابل وجمعه ضئين او جمع ضائن كتاجر وتجر وقرئ بفتح الهمزة وهو لغة فيه
ومن المعز اثنين التيس والعنز وقرأ ابن كثير وابو عمرو وابن عامر ويعقوب بالفتح
وهو جمع ماعز كصاحب وصحاب وحارس وحرس وقرئ معزى قل آلذكرين ذكر الضان
وذكر المعز حرم ام الانثيين ام انثييهما ونصب الذكرين والانثيين بحرم ام اشتملت
عليه ارحام الانثيين او ما حملت اناث الجنسين ذكرا كان او انثى نبئوني بعلم بامر
معلوم يدل على ان الله تعالى حرم شيئا من ذلك ان كنتم صادقين في دعوى التحريم
عليه ومن الابل اثنين ومن البقر اثنين قل آلذكرين حرم ام الانثيين
ام اشتملت عليه ارحام الانثيين كما سبق والمعنى انكار ان الله حرم من الاجناس الاربعة
ذكرا او انثى او ما يحمل اناثها ردا عليهم فانهم كانوا يحرمون ذكور الانعام تارة واناثها
تارة واولادها كيفما كانت تارة زاعمين ان الله حرمها ام كنتم شهداء بل اكنتم حاضرين
مشاهدين اذ وصاكم الله بهذا حين وصاكم بهذا التحريم اذ انتم لا تؤمنون بنبي
فلا طريق لكم الى معرفة امثال ذلك الا المشاهدة والسماع فمن اظلم ممن افترى على الله
كذبا فنسب اليه تحريم ما لم يحرم والمراد كبراؤهم المقررون لذلك او عمرو بن لحي
المؤسس له ليضل الناس بغير علم ان الله لا يهدي القوم الظالمين قل لا اجد
فيما اوحي الي اي في القران او فيما اوحي الي مطلقا وفيه تنبيه على ان التحريم انما يعلم
بالوحي لا بالهوى محرما طعاما محرما على طاعم يطعمه الا ان يكون ميتة الا ان
يكون الطعام ميتة وقرأ ابن كثير وحمزة تكون بالتاء لتانيث الخبر وقراءة ابن عامر بالياء
ورفع ميتة على ان كان هي التامة وقوله او دما مسفوحا عطف على ان مع ما
في حيزه اي الا وجود ميتة او دما مسفوحا اي مصبوبا كالدم في العروق لا كالكبد

والطحال او لحم خنزير فانه رجس فان الخنزير او لحمه قذر لتعوده اكل النجاسة او خبيث
مخبث او فسقا عطف على لحم خنزير وما بينهما اعتراض للتعليل اهل لغير الله به صفة له
موضحة وانما سمي ما ذبح على اسم الصنم فسقا لتوغله في الفسق ويجوز ان يكون فسقا
مفعولا له من اهل وهو عطف على يكون والمستكن فيه راجع الى ما رجع اليه المستكن
في يكون فمن اضطر فمن دعته الضرورة الى تناول شيء من ذلك غير باغ على مضطر
مثله ولا عاد قدر الضرورة فان ربك غفور رحيم لا يؤاخذه والاية محكمة لانها
تدل على انه لم يجد فيما اوحي اليه تلك الغاية محرما غير هذه وذلك لا ينافي ورود
التحريم في شيء آخر فلا يصح الاستدلال بها على نسخ الكتاب بخبر الواحد ولا على حل الاشياء
الاستصحاب وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذي ظفر كل ما له اصبع كالابل و
السباع والطيور وقيل كل ذي مخلب وحافر وسمي الحافر ظفرا مجازا ولعل المسبب
عن الظلم تعميم التحريم ومن البقر والغنم حرمنا عليهم شحومهما الثروب وشحوم الكلى
والاضافة لزيادة الربط الا ما حملت ظهورهما الا ما علقت بظهورهما او
الحوايا او ما اشتمل على الامعاء جمع حاوية او حاوياء كقاصعاء وقواصع او حوية كسفينة
وسفائن وقيل هو عطف على شحومهما او بمعنى الواو او ما اختلط بعظم هو شحم الالية
لاتصالها بالعصعص ذلك التحريم او الجزاء جزيناهم ببغيهم بسبب ظلمهم وانا لصادقون
في الاخبار او الوعد والوعيد فان كذبوك فقل ربكم ذو رحمة واسعة يمهلكم على
التكذيب فلا تغتروا بامهاله فانه لا يهمل ولا يرد باسه عن القوم المجرمين حين ينزل
او ذو رحمة واسعة للمطيعين وذو باس شديد للمجرمين فاقام مقامه ولا يرد باسه
لتضمنه التنبيه على نزول الباس عليهم مع الدلالة على انه لاحق بهم لا يمكن رده
عنهم سيقول الذين اشركوا اخبار عن مستقبل ووقوع مخبره يدل على اعجازه
لو شاء الله ما اشركنا ولا آباؤنا ولا حرمنا من شيء اي لو شاء خلاف ذلك مشيئة
ارتضاء كقوله فلو شاء لهديكم اجمعين لما فعلنا نحن ولا آباؤنا ارادوا بذلك
انهم على الحق المشروع المرضي عند الله لا الاعتذار عن ارتكاب هذه القبائح
بارادة الله اياها منهم حتى ينهض ذمهم به دليلا للمعتزلة ويؤيد ذلك قوله
كذلك كذب الذين من قبلهم اي مثل هذا التكذيب لك في ان الله منع من الشرك
ولم يحرم ما حرموه من قبلهم الرسل وعطف آباؤنا على الضمير في اشركنا من غير تاكيد
للفصل بلا حتى ذاقوا باسنا الذي انزلنا عليهم بتكذيبهم قل هل عندكم من علم
من امر معلوم يصح الاحتجاج به على ما زعمتم فتخرجوه لنا فتظهروه لنا ان تتبعون
الا الظن ما تتبعون الا الظن وان انتم الا تخرصون تكذبون على الله وفيه
دليل على المنع من اتباع الظن سيما في الاصول ولعل ذلك حيث تعارضه قاطع اذ
الاية فيه قل فلله الحجة البالغة البينة الواضحة التي بلغت غاية المتانة والقوة

يهلكم

كذب الذين

على الاثبات وبلغ بها صاحبها صحة دعواه وهي من الحج بمعنى القصد كانها تقصد اثبات
الحكم وتطلبه فلو شاء لهديكم اجمعين بالتوفيق لها والحمل عليها ولكن شاء هداية قوم
وضلال آخرين قل هلم شهداءكم احضروهم وهو اسم فعل لا يتصرف عند اهل الحجاز
وفعل يؤنث ويجمع عند بني تميم واصله عند البصريين ها لمّ اذا قصد حذفت الالف
لتقدير السكون في اللام فانه الاصل وعند الكوفيين هل امّ فحذفت الهمزة بالقاء حركتها
على اللام وهو بعيد لان هل لا يدخل الامر ويكون متعديا كما في الاية ولازما كقوله
هلم الينا الذين يشهدون ان الله حرم هذا يعني قدوتهم فيه استحضرهم لتلزمهم
الحجة ويظهر بانقطاعهم ضلالتهم وانه لا متمسك لهم كمن تقلدهم ولذلك قيد الشهداء
بالاضافة ووصفهم بما يقتضي العهد بهم فان شهدوا فلا تشهد معهم فلا تصدقهم فيه
وبين لهم فساده فان تسليمه موافقة لهم في الشهادة الباطلة ولا تتبع اهواء الذين
كذبوا باياتنا من وضع المظهر موضع المضمر للدلالة على ان مكذب الايات متبع
الهوى لا غير وان متبع الحجة لا يكون الا مصدقا بها والذين لا يؤمنون بالاخرة
كعبدة الاوثان وهم بربهم يعدلون يجعلون له عديلا قل تعالوا امر من التعالي
واصله ان يقوله من كان في علو لمن كان في سفل فاتسع فيه بالتعميم اتل اقرأ
ما حرم ربكم منصوب باتل وما تحتمل الخبرية والمصدرية ويجوز ان تكون
استفهامية منصوبة بحرم والجملة مفعول اتل لانه بمعنى اقل اي شيء حرم ربكم عليكم
متعلق بحرم او اتل ألا تشركوا به اي لا تشركوا ليصح عطف الامر عليه ولا يمنعه
تعليق الفعل المفسر بما حرم فان التحريم باعتبار الاوامر يرجع الى اضدادها ومن
جعل ان ناصبة فمحلها النصب على انه للاغراء او بالبدل من ما حرم او من عائده
المحذوف على ان لا زائدة او الجر بتقدير اللام او الرفع على تقدير المتلو ان لا تشركوا
او المحرم ان تشركوا شيئا يحتمل المصدر والمفعول وبالوالدين احسانا اي واحسنوا
بهما احسانا ووضعه موضع النهي عن الاساءة اليهما للمبالغة والدلالة على ان
ترك الاساءة في شانهما غير كاف بخلاف غيرهما ولا تقتلوا اولادكم من املاق
من اجل فقر ومن خشيته كقوله خشية املاق نحن نرزقكم واياهم منع لموجبية
ما كانوا يفعلون لاجله واحتجاج عليه ولا تقربوا الفواحش كبائر
الذنوب او الزنا ما ظهر منها وما بطن بدل منه وهو مثل قوله ظاهر الاثم
وباطنه ولا تقتلوا النفس التي حرم الله الا بالحق كالقود وقتل المرتد و
رجم المحصن ذلكم اشارة الى ما ذكر مفصلا وصاكم به بحفظه لعلكم تعقلون
ترشدون فان كمال العقل هو الرشد ولا تقربوا مال اليتيم الا بالتي هي احسن
الا بالفعلة التي هي احسن ما يفعل بماله كحفظه وتثميره حتى يبلغ اشده حتى يصير
بالغا وهو جمع شدة كنعمة وانعم او شد كصر واصر وقيل مفرد كآنك

وافوا

واوفوا الكيل والميزان بالقسط بالعدل والتسوية لا نكلف نفسا الا وسعها الا ما
يسعها ولا يعسر عليها وذكره عقيب الامر معناه ان ايفاء الحق عسير فعليكم بما في وسعكم
وما وراءه معفو عنكم واذا قلتم في حكومة ونحوها فاعدلوا ولو كان ذا قربى ولو كان
المقول له او عليه من ذوي قرابتكم وبعهد الله اوفوا يعني ما عهد اليكم من ملازمة
العدل وتادية احكام الشرع ذلكم وصاكم به لعلكم تذكرون تتعظون به وان
هذا صراطي مستقيما الاشارة فيه الى ما ذكر في السورة فانها باسرها في اثبات
التوحيد والنبوة وبيان الشريعة وقرا حمزة والكسائي ان بالكسر على انه علة لقوله فاتبعوه
وقرا ابن عامر صراطي بفتح الياء وقرئ وهذا صراطي وهذا صراط ربكم وهذا صراط ربك
ولا تتبعوا السبل الاديان المختلفة او الطرق التابعة للهوى فان مقتضى الحجة واحد
ومقتضى الهوى متعدد لاختلاف الطبائع والعادات فتفرق بكم فتفرقكم وتزيلكم عن سبيله
ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون الضلال والتفرق عن الحق ثم اتينا موسى الكتاب
عطف على وصاكم وثم للتراخي في الاخبار او للتفاوت في الرتبة كانه قيل ذلكم وصاكم
به قديما وحديثا ثم اعظم من ذلك انا اتينا موسى الكتاب تماما للكرامة والنعمة على
الذي احسن على من احسن القيام به ويؤيده انه قرئ على الذين احسنوا او على
الذي احسن تبليغه وهو موسى او تماما على ما احسنه اي اجاده من العلم والشرائع اي
زيادة على علمه اتماما له وقرئ بالرفع على انه خبر مبتدا محذوف اي على الذي هو احسن
او على الوجه الذي هو احسن ما يكون عليه الكتب وتفصيلا لكل شيء وبيانا مفصلا
لكل ما يحتاج اليه في الدين وهو عطف على تماما ونصبهما يحتمل العلة والحال والمصدر و
هدى ورحمة لعلهم لعل بني اسرائيل بلقاء ربهم يؤمنون اي بلقائه للجزاء وهذا
كتاب يعني القرآن انزلناه مبارك كثير النفع فاتبعوه واتقوا لعلكم ترحمون
بواسطة اتباعه وهو العمل بما فيه ان تقولوا كراهة ان تقولوا علة لانزلناه انما انزل
الكتاب على طائفتين من قبلنا اليهود والنصارى ولعل الاختصاص في انما لان
الباقي المشهور حينئذ من الكتب السماوية لم يكن غير كتبهم وان كنا ان هي المخففة
ولذلك دخلت اللام الفارقة في خبر كان اي وانه كنا عن دراستهم قراءتهم لغافلين
لا ندري ما هي او لا نعرف مثلها او تقولوا عطف على الاول لو انا انزل علينا الكتاب
لكنا اهدى منهم لحدة اذهاننا وثقابة افهامنا ولذلك تلقفنا فنونا من العلم
كالقصص والاشعار والخطب على انا اميون فقد جاءكم بينة من ربكم حجة واضحة
تعرفونها وهدى ورحمة لمن تامل فيه وعمل به فمن اظلم ممن كذب بايات الله
بعد ان عرف صحتها او تمكن من معرفتها وصدف اعرض او صد عنها فضل واضل
سنجزي الذين يصدفون عن اياتنا سوء العذاب شدته بما كانوا يصدفون
باعراضهم وصدهم هل ينظرون اي ما ينتظرون يعني اهل مكة وهم ما كانوا منتظرين

على الاستئناف وابن عامر ويعقوب بالفتح والتخفيف والباقون بالفتح والتشديد

الذي هو اتباع الوحي واقتفاء البرهان

لك ولكن لما كان لحوقهم لحوق المنتظر شبهوا بالمنتظرين الا ان تاتيهم الملئكة ملائكة
الموت او العذاب وقرا حمزة والكسائي بالياء او ياتي ربك اي امره بالعذاب او كل
آياته يعني آيات القيامة والهلاك الكلي لقوله او ياتي بعض آيات ربك يعني اشراط
الساعة وعن حذيفة والبراء بن عازب كنا نتذاكر الساعة اذ اشرف علينا رسول الله
فقال ما تذاكرون قلنا نتذاكر الساعة قال انها لا تقوم حتى تروا قبلها عشر آيات الدخان
ودابة الارض وخسفا بالمشرق وخسفا بالمغرب وخسفا بجزيرة العرب والدجال وطلوع
الشمس من مغربها وياجوج وماجوج ونزول عيسى ونارا تخرج من عدن يوم ياتي
بعض آيات ربك لا ينفع نفسا ايمانها كالمحتضر اذا صار الامر عيانا والايمان برهانيا
وقرئ تنفع بالتاء لاضافة الايمان الى ضمير المؤنث لم تكن آمنت من قبل صفة نفسا
او كسبت في ايمانها خيرا عطف على آمنت والمعنى انه لا ينفع الايمان حينئذ نفسا غير
مقدمة ايمانها او مقدمة ايمانها غير كاسبة في ايمانها خيرا وهو دليل لمن لم يعتبر
الايمان المجرد عن العمل وللمعتزلة تخصيص هذا الحكم بذلك اليوم وحمل الترديد على اشتراط
النفع باحد الامرين على معنى لا ينفع نفسا خلت عنهما ايمانها والعطف على لم تكن بمعنى لا ينفع
نفسا ايمانها الذي احدثته حينئذ وان كسبت فيه خيرا قل انتظروا انا منتظرون
وعيد لهم اي انتظروا اتيان احد الثلثة فانا منتظرون له وحينئذ لنا الفوز وعليكم
الويل ان الذين فرقوا دينهم بددوه فآمنوا ببعض وكفروا ببعض او افترقوا فيه
قال عليه السلام افترقت اليهود احدى وسبعين فرقة كلها في الهاوية الا واحدة و
افترقت النصارى على ثنتين وسبعين فرقة كلها في الهاوية الا واحدة وتفترق امتي
على ثلث وسبعين فرقة كلها في الهاوية الا واحدة وقرا حمزة والكسائي فارقوا اي
باينوا وكانوا شيعا فرقا تشيع كل فرقة اماما لست منهم في شيء اي من السؤال
عنهم وعن تفرقهم او من عقابهم او انت بريء منهم وقيل هو نهي عن التعرض لهم
وهو منسوخ بآية السيف انما امرهم الى الله يتولى جزاءهم ثم ينبئهم بما كانوا يفعلون
بالعقاب من جاء بالحسنة فله عشر امثالها اي عشر حسنات امثالها فضلا من الله
وقرا يعقوب عشر بالتنوين امثالها بالرفع على الوصف وهذا اقل ما وعد من
الاضعاف وقد جاء الوعد بسبعين وبسبعمائة وبغير حساب ولذلك قيل المراد بالعشر
الكثرة دون العدد ومن جاء بالسيئة فلا يجزى الا مثلها قضية للعدل وهم
لا يظلمون بنقص الثواب وزيادة العقاب قل انني هداني ربي الى صراط
مستقيم بالوحي والارشاد الى ما نصب من الحجج دينا بدل من محل الى صراط اذ المعنى
وهداني صراطا كقوله ويهديكم صراطا مستقيما او مفعول فعل مضمر دل عليه الملفوظ
قيما فيعل من قام كسيد من ساد وهو ابلغ من المستقيم باعتبار الزنة والمستقيم
باعتبار الصيغة وقرا ابن عامر وعاصم وحمزة والكسائي قيما على انه مصدر نعت به

الخلو عن سبق الايمان مستلزما للخلو عن سبق الكسب فيه
[illegible] نفس خلت عنهما وهذا احق بسبب اشتراط مطلق النفع
[illegible] عن واحد مستلزما للخلو عن الاخر

وكان

بعد النفي [illegible] الوجه الاول بعد اعتبار دخول النفي [illegible]

والحاصل ان او اذا وردت في النفي فهو لنفي احد الامرين فان اعتبر عطف احد الامرين
على الاخر ثم سلط النفي عليه يفيد شمول العدم عند الاطلاق الا اذا قامت قرينة
او مقابله على انه لا ايقاع احد [illegible] النقيضين فيفيد الشمول [illegible]
لانه اشتراط احد الامرين انما يحسن اذا تحقق كل منهما بدون الاخر ولانه اذا انتفى الايمان انتفى
كسب الخير في الايمان بالضرورة فيكون ذكره لغوا او [illegible] المراد انهما معا شرطان في النفع
والعدول الى هذه العبارة ليفيد المبالغة في انهما سببان وقد اجيب عن الثاني بانه لما كان النفع
مشروطا باحد الامرين سبق الايمان والكسب المذكور وان كان تحقق احدهما مستلزما للاخر وجه
بعدم الايمان لنفس خلت عنهما ولا يضر بالمقصود كون الخلو من سبق الايمان مستلزما للخلو عن الكسب
لان غرضنا بيان عدم نفع ايمان نفس خلت عنهما وهذا احق بسبب اشتراط النفع باحدهما
والاعتراض على المعتزلة بان احد الامرين في سياق النفي يفيد العموم كالنكرة على ما ذكر في قوله تعالى
ولا تطع [illegible] فعدم النفع يكون للنفس التي لم يكن منها الايمان وكسب الخير مدفوع بانه لا يصح
ههنا لانه اذا انتفى الايمان انتفى كسب الخير في الايمان فيكون ذكره لغوا . وحمل الترديد على اشتراط
محصله ظاهر عموم النفي [illegible] العموم [illegible]

قوله وهو دليل لمن لم يعتبر الايمان المجرد عن العمل وجه دلالته عليه هو ان مبنى هذا المعنى اعتبار دخول النفي
على المعطوف عليه اولا ثم العطف على ذلك فيفيد اشتراط عدم النفع باحد النفيين فيلزم ان يكون
النفع مشروطا بهما جميعا ثم تصدى للجواب عن هذا الاستدلال بقوله وحمل الترديد على اشتراط النفع
باحد الامرين على معنى لا ينفع نفسا خلت عنهما ايمانها ومبنى هذا المعنى على ان يعتبر العطف اولا ثم
ورود النفي عليه فيفيد نفي احد الامرين المفيد لنفيهما جميعا لان احد الامرين اعم من ان يكون في ضمن
انتفاء احدهما فقط او في ضمن انتفاء مجموعهما ومع هذا الاحتمال لا يتم الاستدلال اذ الاحتمال يقدح في الاستدلال
دون المنع [illegible] يكفينا ادنى الاحتمال [illegible] حاصل هذا الجواب انه لم لا يجوز ان يشترط النفع باحد الامرين
حتى يلزم اشتراط عدم النفع بعدم مجموع الامرين لاستلزام اشتراط شيء [illegible] اشتراط نقيضه بنقيضه
بناء على ما تقرر من ان عدم العلة علة لعدم المعلول الا ترى ان صحة الصلوة لما كانت مشروطة باحد الامرين
من الوضوء والتيمم كان عدم صحتها وبطلانها مشروطا بانتفائهما جميعا ولهذا اذا اعتبر صحتها [illegible]
[illegible]
ان يتوهم ان في الكلام تكرارا [illegible] وحمل الترديد على اشتراط عدم النفع بنفي احد الامرين فلذا لدفع
[illegible]

على وجه التردد مع استلزامه الايمان لان الكسب في الايمان لا يمكن ان تحقق بدون الايمان

قوله وحمل الترديد على اشتراط الاثنين الى رد الكشاف فانه لما اختار [redacted] عطف كسبت على امنت

صرف او عن ظاهرها حتى يكون المراد نفي الشمول اذ لو حملت على ظاهرها واريد شمول النفي يكون ذكر

كسب الخير لغوا لانه اذا انتفى الايمان انتفى كسب الخير في الايمان بالضرورة فاقتصار المص او لا عطفه على

امنت وابقى او على الاصل ليكون لشمول النفي واجاب عن حديث اللغوية بان ذكر انما لزم اذا كان

المقصود الظاهر ما يستفاد من اللفظ وليس كذلك بل المقصود بيان اشتراط النفع باحد الامرين

فكان قيل يوم ياتي بعض ايات ربك لا ينفع الايمان نفسا خلت عن كل من العمل الصالح والايمان [redacted]

حتى لو لم تكن خالية عن كل منهما بل كانت متصفة ببعض منها فلا اقل من الايمان المجرد عن العمل ينفعها وينجيها

عن الخلود في النار لول العاصل بن عبد قال مراده ان يجيب عن اسعد لا لمناص الكشاف بقوله

وحمل الترديد الى اشتراط الخ وتقريره لا نم ان معنى الاية التسوية بين نفس كافرة امنت بعد تحقق الايات

وبين نفس مؤمنة في اوانها لكن ما عملت فيه خيرا اذ المعنى يكون على ما ذكرته لو كان لعطف النفي

دون نفي العطف لبطلانه لكن بطلان كونها لنفي العطف ممنوع وما ذكرتم في بيانه من لزوم ترك البقي

واللغو على ما حققه السعد انما يتم ان لو نفي اولا وصريحا واستقلالا صفة تقدم الايمان على اشتراط

الساعة ثم ينفي كذلك صفة الخير صريحا وليس الامر كذلك لجواز ان يعطف او لا قوله كسبت

على معنى او الذي هو لمنع الخلو دون الانفصال الحقيقي على ما زعمتم حيث يكون مورد السلب

مثلا قوله ينفع نفسا ايمانها الذي قدمته او ايمانها الذي كسبت فيه الخير فينفع الايمان لا يخلو عنهما

بل السبب في الفوز والنجاة اما الايمان المقدم فقط او كسب الخير في الايمان المقدم ثم يسلط النفي على

معنى او الذي هو مفهوم منع الخلو من منع الخلو بعدم الايمان وكسب الخير فيه ثم ان مفهوم منع الخلو

نفي فاذا نفي صار اثباتا لان نفي النفي اثبات فيكون خلاصة المعنى لا ينفع نفسا خلت عنهما ايمانها

على ما صرح القاضي من غير قوله يرد عليه الخ اقول احيب عنه بما حاصله ان النفي حيث كان

واردا على الترديد كان منطوقه عموم السلب باشتراط عدم النفع بعدم الامرين اي اذا عدما

عدم النفع ومفهومه اشتراط النفع باحدهما اي اذا وجد احدهما وجد النفع على طريق منع الخلو

والمفهوم هو المقصود ههنا ولاريب ان النفع الذي هو الخلاص من النار مع دخول الجنة على مراتب

متفاوتة منها ما هو مرتب على نفس الايمان ومنها ما هو مرتب على فروعه المتفاوتة كما وكيفا

فذكر نفع الايمان لا يغني عن ذكر نفع العمل في الايمان ابن الكمال

قوله تعالى يوم ياتي بعض ايات ربك لا ينفع الخ

حاصل كلام البيضاوي في ثلث اجوبة

قوله انا نجيب اولا بانا نسلم ان المعنى كذلك

لكن تخص الحكم بذلك اليوم ولا نعممه جميع الازمنة فمن مات

مؤمنا قبل ذلك اليوم ينفعه ايمانه وان لم يكن كسب فيه خيرا

بعمله ومن ادرك ذلك اليوم ان قدم الايمان عليه وكسب فيه خيرا نفعه

الا ان لم يقدمه او قدمه من غير كسب خير فيه فلا هذا حاصل الجواب الاول

فيه ان العمومات دلت على ان الايمان المجرد نافع في جميع الاحوال والاوقات

حاصل الجواب الثاني انه اوكونه بعموم النفي لقوله تعالى ولا تطع منهم اثما او كفورا

اي واحدا منهما واخرى لنفي العموم وذلك اذا قد عطف النفي على النفي ثم جيء

باو والابهم من الاول فالمعنى لا ينفع نفسا لم تقدم ايمانا ولا كسبت فيه خيرا

اي نفسا خالية عن الامرين جميعا عارية منهما وعليه اقتصر ابو السعود في تفسيره

اعترض هذا الوجه بان انتفاء الايمان مستلزم لانتفاء كسب الخير فيه فلا وجه

للترديد بينهما واجاب عنه ابو السعود باجوبة واطال فيها الكلام

وحاصل الجواب الثالث من اجوبة البيضاوي انا لا نعطف او كسبت

على امنت كما في الوجهين الاولين حتى يلزم دخول الامرين في حيز النفي

بل نعطفه على النفي نفسه اعني لم تكن فيكون الترديد بين النفي والاثبات

اي بين المنفيين فالمعنى لا ينفع نفسا لم تقدم ايمانها على ذلك اليوم ايمانها

سواء لم تؤمن اصلا لانه تصديق من لا يؤمن انه لا ينفعه الايمان لان النفع

فرع الوجود فاذا انتفى نفعه انتفى ايضا او احدثته ذلك اليوم وكسبت فيه

خيرا ايضا لان الايمان شرط ان يكون بالغيب فاذا صار الامر معاينة لم ينفعهما

هذا معنى قول البيضاوي جمعا لا ينفع نفسا ايمانها التي احدثته وان كسبت فيه

فانظر الى هذا السحر الحلال كيف ادرج رحمه الله ثلثة اجوبة بمقدار خمسة اسطر

اختاره جمع من المحققين كالعلامة التفتازاني وابن الحاجب وابن هشام

وعليه اقتصر الكوراني في تفسيره ان الاية من قبيل اللف التقديري اي لا ينفع

نفسا ايمانها ولا كسبها في الايمان لم تكن امنت من قبل او كسبت في ايمانها خيرا

احوال الناس في النوبة فمنها من تاب من الكفر ومنهم من تاب عن المعاصي فالكافر ان قدم

الايمان على ذلك اليوم قبل منه ونفعه ايمانه بعد ذكر اليوم ايضا والا فلا والعاصي ان تاب

مضى قبل ذلك قبل منه ونفعه بعد ذلك اليوم ايضا والا فلا قبول ولا نفع وهذا معنى مرضي الحمد

ثم عليهم بعد ذلك اليوم ما كانوا يعملون قبل ذلك اليوم

برزنجي صاحب كتاب اشراط الساعة المدني رحمه الله

يقرر الاية للبيضاوي اي مذهب من لم يعتبر رجعة العمل الايمان

وكان قياسه قومًا لعوض فاعل لاعلال فعله كالقيام ملة ابرهيم عطف بيان لدينا حنيفا
حال من ابرهيم وما كان من المشركين عطفا عليه قل ان صلوتي ونسكي عبادتي كلها
وقرباني او حجي ومحياي ومماتي وما انا عليه في حياتي واموت عليه من الايمان والطاعة
او طاعات الحيوة والخيرات المضافة الى الممات كالوصية والتدبير او الحيوة والممات
انفسهما وقرأنا فع محياي باسكان اليا اجراء للوصل مجرى الوقف لله رب العالمين لا شريك
له خالصة له لا اشرك فيها غيره وبذلك القول او الاخلاص امرت وانا اول المسلمين
لان اسلام كل نبي متقدم على اسلام امته قل اغير الله ابغي ربا فاشركه في عبادتي وهو
جواب عن دعائهم له الى عبادة آلهتهم وهو رب كل شيء حال في موضع العلة للانكار
والدليل له اي وكل ما سواه مربوب مثلي لا يصلح للربوبية ولا تكسب كل نفس الا
عليها فلا ينفعني في ابتغاء رب غيره ما انتم عليه من ذلك ولا تزر وازرة وزر اخرى
جواب عن قولهم اتبعوا سبيلنا ولنحمل خطاياكم ثم الى ربكم مرجعكم يوم القيمة
فينبئكم بما كنتم فيه تختلفون بتبيين الرشد من الغي وتمييز المحق من المبطل وهو الذي
جعلكم خلائف الارض يخلف بعضكم بعضًا او خلفاء الله في ارضه تتصرفون فيها
على ان الخطاب عام او خلفاء الامم السالفة على ان الخطاب للمؤمنين ورفع بعضكم
فوق بعض درجات في الشرف والغنى ليبلوكم فيما آتاكم من الجاه والمال
ان ربك سريع العقاب لان ما هو آت قريب او لانه يسرع اذا اراده وانه
لغفور رحيم وصف العقاب ولم يضفه الى نفسه ووصف ذاته بالمغفرة وضم
اليه الوصف بالرحمة واتى بناء المبالغة واللام المؤكدة تنبيها على انه تعالى
غفور بالذات معاقب بالعرض كثير الرحمة مبالغ فيها قليل العقوبة مسامح
فيها عن رسول الله صلعم انزلت علي سورة الانعام جملة واحدة يشيعها سبعون
الف ملك لهم زجل بالتسبيح والتحميد فمن قرأ الانعام صلى عليه واستغفر له اولئك
السبعون الف ملك بعدد كل آية من سورة الانعام يوما وليلة سورة الاعراف
مكية الا ثمان آيات من قوله واسألهم الى قوله واذ نتقنا محكم كلها وقيل
الا قوله واعرض عن الجاهلين وآيها مائتان وخمس بسم الله الرحمن الرحيم
المص سبق الكلام في مثله كتاب خبر مبتدأ محذوف اي هو كتاب او خبر المص والمراد
به السورة او القرآن انزل اليك صفته فلا يكن في صدرك حرج منه شك
فان الشاك حرج الصدر او ضيق قلب من تبليغه مخافة ان تكذب فيه او تقصر
في القيام بحقه وتوجيه النهي اليه للمبالغة كقولهم لا ارينك ههنا والفاء يحتمل العطف
والجواب فكانه قيل اذا انزل اليك لتنذر فلا يحرج صدرك لتنذر به متعلق
بانزل او بلا يكن لانه اذا ايقن من عند الله جرء على الانذار وكذا اذا لم يخفهم او علم
انه موفق للقيام بتبليغه وذكرى للمؤمنين يحتمل النصب باضمار فعلها اي لتنذر وتذكر

على انه لا تكونن هنا بحيث اراك
وكذا في الاية والمراد لا تشك

صوت

لعبد

علائم آخرت منكشف اولديغي كوندر
معدوم ايمانه كلمه يتيشدكوكوننه
ايمانه كلمه نك نفعي يوقدر اي لا ينفع له
في خلوده في النار كذلك اولكوندن مقدم كسب
وحسنات ايتمه مش نفسه اول كونده كسب
وثواب ايتمه مشنك نفعي يوقدر اي لا ينفع له
في دخوله في النار خلاصة لطف الله لطائف العفو
١٢٤

وذكرى فانها بمعنى التذكير والجر عطفا على محل تنذر والرفع عطفا على كتاب او خبرا لمحذوف اتبعوا ما انزل اليكم من ربكم يعم القرآن والسنة لقوله تعالى وما ينطق عن الهوى ان هو الا وحي يوحى ولا تتبعوا من دونه اولياء يضلونكم من الجن والانس وقيل الضمير في من دونه لما انزل اي ولا تتبعوا من دون دين الله دين اولياء وقرئ ولا تبتغوا قليلا ما تذكرون اي تذكرا قليلا او زمانا قليلا تذكرون حيث تتركون دين الله وتتبعون غيره وما مزيدة لتاكيد القلة وان جعلت مصدرية لم ينتصب قليلا بتذكرون وقرا حمزة والكسائي وحفص عن عاصم تذكرون بحذف التاء وابن عامر يتذكرون على ان الخطاب بعد مع النبي صلعم وكم من قرية وكثيرا من القرى اهلكناها اردنا اهلاك اهلها او اهلكناها بالخذلان فجاءها فجاء اهلها بأسنا عذابنا بياتا بائتين كقوم لوط مصدر وقع موقع الحال او هم قائلون اي قائلين نصف النهار كقوم شعيب وانما حذفت واو الحال استثقالا لاجتماع حرفي العطف فانها واو عطف استعيرت للوصل لا اكتفاء بالضمير فانه غير فصيح وفي التعبيرين مبالغة في غفلتهم وامنهم عن العذاب ولذلك خص الوقتين ولانهما وقت دعة واستراحة فيكون مجيء العذاب فيهما افظع فما كان دعويهم اي دعاؤهم واستغاثتهم او ما كانوا يدعونه من دينهم اذ جاءهم بأسنا الا ان قالوا انا كنا ظالمين الا اعترافهم بظلمهم فيما كانوا عليه وبطلانه تحسرا عليه فلنسألن الذين ارسل اليهم عن قبول الرسالة واجابتهم الرسل ولنسألن المرسلين عما اجيبوا به والمراد من هذا السؤال توبيخ الكفرة وتقريعهم والمنفي في قوله ولا يسأل عن ذنوبهم المجرمون سؤال الاستعلام او الاول في موقف الحساب وهذا عند حصولهم على العقوبة فلنقصن عليهم على الرسل حين يقولون لا علم لنا انك انت علام الغيوب او على الرسل والمرسل اليهم ما كانوا عليه بعلم عالمين بظواهرهم وبواطنهم او بمعلومنا منهم وما كنا غائبين عنهم فيخفى علينا شيء من احوالهم والوزن اي القضاء او وزن الاعمال وهو مقابلتها بالجزاء والجمهور على ان صحايف الاعمال توزن بميزان له لسان وكفتان ينظر اليه الخلائق اظهارا للمعدلة وقطعا للمعذرة كما يسألهم عن اعمالهم فتعترف بها السنتهم وتشهد بها جوارحهم ويؤيده ما روي ان الرجل يؤتى به الى الميزان فينشر عليه تسعة وتسعون سجلا كل سجل مد البصر فيخرج له بطاقة فيها كلمتا الشهادة فتوضع السجلات في كفة والبطاقة في كفة فطاشت السجلات وثقلت البطاقة وقيل توزن الاشخاص لما روي عنه عليه السلام انه ليأتي العظيم السمين يوم القيمة لا يزن عند الله جناح بعوضة يومئذ خبر المبتدا الذي هو الوزن الحق صفته او خبر محذوف ومعناه العدل السوي فمن ثقلت موازينه حسناته او ما يوزن به حسناته وجمعه باعتبار

قليلاً

الدعة الاستراحة والترفه

اختلاف

اختلاف الموزونات وتعدد الوزن فهو جمع موزون او ميزان فاولئك هم المفلحون الفائزون بالنجاة والثواب ومن خفت موازينه فاولئك الذين خسروا انفسهم بتضييع الفطرة السليمة التي فطرت عليها في اقتراف ما عرضها للعذاب بما كانوا بآياتنا يظلمون فيكذبون بدل التصديق ولقد مكناكم في الارض اي مكناكم من سكناها وزرعها والتصرف فيها وجعلنا لكم فيها معايش اسبابا تعيشون بها جمع معيشة وعن نافع انه همزه تشبيها بما الياء فيه زائدة كصحائف قليلا ما تشكرون فيما صنعت لكم ولقد خلقناكم ثم صورناكم اي خلقنا اباكم آدم طينا غير مصور ثم صورناه نزل خلقه وتصويره منزلة خلق الكل وتصويره او ابتدانا خلقكم ثم تصويركم بان خلقنا آدم ثم صورناه ثم قلنا للملائكة اسجدوا لآدم وقيل ثم قلنا لتأخير الاخبار فسجدوا الا ابليس لم يكن من الساجدين ممن سجد لآدم قال ما منعك الا تسجد اي ان تسجد ولا صلة مثلها في لئلا يعلم مؤكدة معنى الفعل الذي دخلت عليه ومنبهة على ان الموبخ عليه ترك السجود وقيل الممنوع عن الشيء مضطر الى خلافه فكانه قيل ما اضطرك الى ان لا تسجد اذ امرتك دليل على ان مطلق الامر للوجوب والفور قال انا خير منه جواب من حيث المعنى استانف به استبعادا لان يكون مثله مأمورا بالسجود لمثله كانه قال المانع اني خير منه ولا يحسن للفاضل ان يسجد للمفضول فكيف يحسن ان يؤمر به فهو الذي سن التكبر وقال بالحسن والقبح العقليين اولا خلقتني من نار وخلقته من طين تعليل لفضله عليه وقد غلط في ذلك بان راى الفضل كله باعتبار العنصر وغفل عما يكون باعتبار الفاعل كما اشار اليه بقوله ما منعك ان تسجد لما خلقت بيدي اي بغير واسطة وباعتبار الصورة كما نبه عليه بقوله ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين وباعتبار الغاية وهو ملاكه ولذلك امر الملائكة بسجوده لما بين لهم انه اعلم منهم وان له خواص ليس لغيره والاية دليل الكون والفساد وان الشياطين اجسام كائنة ولعل اضافة خلق الانسان الى الطين والشيطان الى النار باعتبار الجزء الغالب قال فاهبط منها من السماء او الجنة فما يكون لك فما يصح ان تتكبر فيها وتعصي فانها مكان الخاشع المطيع وفيه تنبيه على ان التكبر لا يليق باهل الجنة وانه تعالى انما طرده واهبطه لتكبره لا لمجرد عصيانه فاخرج انك من الصاغرين ممن اهانه الله لتكبره قال عليه السلام من تواضع لله رفعه الله ومن تكبر وضعه الله قال انظرني الى يوم يبعثون امهلني الى يوم القيمة فلا تمتني او لا تعجل عقوبتي قال انك من المنظرين يقتضي الاجابة الى ما ساله ظاهرا لكنه محمول على ما جاء مقيدا بقوله الى يوم الوقت المعلوم وهو النفخة الاولى او وقت يعلمه الله انتهاء اجله فيه وفي اسعافه اليه ابتلاء العباد وتعريضهم للثواب بمخالفته قال فبما اغويتني اي بعد ان امهلتني لاجتهدن في اغوائهم باي طريق يمكنني بسبب اغوائك

أي بواسطتهم تسمية أو حملاً على الغي أو تكليفاً بما غويت لأجله والباء متعلقة بفعل
القسم المحذوف لا بلاقعدن فان اللام يصد عنه وقيل الباء للقسم لأقعدن لهم
ترصداً بهم كما يقعد القطاع للسابلة صراطك المستقيم طريق الإسلام ونصبه
على الظرف كقوله كما عسل الطريق الثعلب وقيل تقديره على صراطك كقولهم
ضرب زيد الظهر والبطن ثم لآتينهم من بين أيديهم ومن خلفهم وعن أيمانهم وعن
شمائلهم أي من جميع الجهات مثل قصده إياهم بالتسويل والإضلال من أي وجه
يمكنه بإتيان العدو من الجهات الأربع ولذلك لم يقل من فوقهم ومن تحت
أرجلهم وقيل لم يقل من فوقهم لأن الرحمة تنزل منه ولم يقل من تحتهم لأن
الإتيان منه يوحش وعن ابن عباس من بين أيديهم من قبل الآخرة ومن خلفهم
من قبل الدنيا وعن أيمانهم وعن شمائلهم من جهة حسناتهم وسيئاتهم ويحتمل
أن يقال من بين أيديهم من حيث يعلمون ويقدرون التحرز عنه ومن خلفهم من حيث
لا يعلمون ولا يقدرون وعن أيمانهم وعن شمائلهم من حيث يتيسر لهم أن يعلموا و
يتحرزوا ولكن لم يفعلوا لعدم تيقظهم واحتياطهم وإنما عدى الفعل إلى الأولين
بحرف الابتداء لأنه منهما متوجه إليهم وإلى الآخرين بحرف المجاوزة فإن الآتي منهما
كالمنحرف عنهم المار على عرضهم ونظيره قولهم جلست عن يمينه ولا تجد أكثرهم شاكرين
مطيعين وإنما قاله ظناً لقوله ولقد صدق عليهم إبليس ظنه لما رأى فيهم مبدأ الشر
متعدداً ومبدأ الخير واحداً وقيل سمعه من الملائكة قال اخرج منها مذءوماً
مذموماً من ذأمه إذا ذمه وقرئ مذوماً كمسول في مسؤول أو من ذامه يذيمه ذيماً
مدحوراً مطروداً لمن تبعك منهم اللام فيه لتوطئة القسم وجوابه لأملأن جهنم منكم
أجمعين وهو ساد مسد جواب الشرط وقرئ لِمن بكسر اللام على أنه خبر لأملأن على معنى لمن تبعك
هذا الوعيد أو علة لأخرج ولأملأن جواب قسم محذوف ومعنى منكم منك ومنهم
فغلب المخاطب ويا آدم أي وقلنا يا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة فكلا من حيث
شئتما ولا تقربا هذه الشجرة وقرئ هذي وهو الأصل لتصغيره على ذيّا والهاء
بدل من الياء فتكونا من الظالمين فتصيرا من الذين ظلموا أنفسهم وتكونا يحتمل الجزم
على العطف والنصب على الجواب فوسوس لهما الشيطان أي فعل الوسوسة لأجلهما
وهي في الأصل الصوت الخفي كالهينمة والخشخشة ومنه وسواس الحلي وقد سبق
في البقرة كيفية وسوسته ليبدي لهما ليظهر لهما واللام للعاقبة أو للغرض
على أنه أراد أيضاً بوسوسته أن يسوءهما بانكشاف عورتيهما ولذلك عبر عنهما بالسوأة
وفيه دليل على أن كشف العورة في الخلوة وعند الزوج من غير حاجة قبيح مستهجن
في الطباع ما ووري عنهما من سوآتهما ما غطي عنهما من عوراتهما وكانا لا يريانها
من أنفسهما ولا أحدهما من الآخر وإنما لم تقلب الواو المضمومة همزة في المشهور كما قلبت

ف

في أُوَيْصِل تصغير واصل لأن الثانية مدة وقرئ سوّاتهما بحذف الهمزة وإلقاء حركتها
على الواو وبقلبها واواً وإدغام الواو الساكنة فيها وقال ما نهاكما ربكما عن هذه
الشجرة إلا أن تكونا إلا كراهة أن تكونا ملكين أو تكونا من الخالدين الذين
لا يموتون ويخلدون في الجنة واستدل به على فضل الملائكة على الأنبياء وجوابه
أنه كان من المعلوم أن الحقائق لا تنقلب وإنما كانت رغبتهما في أن يحصل لهما أيضاً ما
للملائكة من الكمالات الفطرية والاستغناء عن الأطعمة والأشربة وذلك لا يدل
على فضلهم مطلقاً وقاسمهما إني لكما لمن الناصحين أي أقسم لهما على ذلك وأخرجه
على زنة المفاعلة للمبالغة وقيل أقسما له بالقبول وقيل أقسما عليه بالله أنه لمن الناصحين
فأقسم لهما فجعل ذلك مقاسمة فدلاهما فنزلهما إلى الأكل من الشجرة نبه به على أنه
أهبطهما بذلك من درجة عالية إلى رتبة سافلة فإن التدلية والإدلاء إرسال الشيء
من أعلى إلى أسفل بغرور بما غرهما به من القسم فإنهما ظنا أن أحداً لا يحلف بالله
كاذباً أو ملتبسين بغرور فلما ذاقا الشجرة بدت لهما سوآتهما أي فلما وجدا طعمها
آخذين في الأكل منها أخذتهما العقوبة وشؤم المعصية فتهافت عنهما لباسهما
وظهرت لهما عوراتهما واختلف في أن الشجرة كانت السنبلة أو الكرم أو غيرهما وأن
اللباس كان نوراً أو حلة أو ظفراً وطفقا يخصفان أخذا يرقعان ويلزقان ورقة فوق
ورقة عليهما من ورق الجنة قيل كان ورق التين وقرئ يُخصِفان من أخصف أي
يخصفان أنفسهما ويُخَصّفان من خصّف ويَخِصّفان وأصله يختصفان ونادهما
ربهما ألم أنهكما عن تلكما الشجرة وأقل لكما إن الشيطان لكما عدو مبين
عتاب على مخالفة النهي وتوبيخ على الاغترار بقول العدو وفيه دليل على أن مطلق النهي
للتحريم قالا ربنا ظلمنا أنفسنا ضررناها بالمعصية والتعريض للإخراج عن الجنة وإن
لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين دليل على أن الصغائر معاقب عليها إن لم تغفر
وقالت المعتزلة لا يجوز المعاقبة عليها مع اجتناب الكبائر ولذلك قالوا إنما قالا ذلك
على عادة المقربين في استعظام الصغير من السيئات واستحقار العظيم من الحسنات قال
اهبطوا الخطاب لآدم وحواء وذريتهما أو لهما ولإبليس كرر الأمر له تبعاً ليعلم أنهم
قرناء أبداً وأخبر عما قال لهم متفرقاً بعضكم لبعض عدو في موقع الحال أي متعادين
ولكم في الأرض مستقر استقرار أو موضع استقرار ومتاع وتمتع إلى حين إلى أن ينقضي
آجالكم قال فيها تحيون وفيها تموتون ومنها تخرجون للجزاء يا بني آدم قد أنزلنا عليكم لباساً
أي خلقناه لكم بتدبيرات سماوية وأسباب نازلة ونظيره قوله وأنزل لكم من الأنعام وقوله
وأنزلنا الحديد يواري سوآتكم التي قصد الشيطان إبداءها ويغنيكم عن خصف الورق روي
أن العرب كانوا يطوفون بالبيت عراة ويقولون لا نطوف في ثياب عصينا الله فيها
فنزلت ولعله ذكر قصة آدم تقدمة لذلك حتى يعلم أن انكشاف العورة أول سوء أصاب

اصاب الانسان من الشيطان وانه اغواهم في ذلك كما اغوى ابويهم وريشا ولباسا
تجملون به والريش الجمال وقيل مالا ومنه تريش الرجل اذا تمول وقرئ رياشا
وهو جمع ريش كشعب وشعاب ولباس التقوى خشية الله وقيل الايمان
وقيل السمت الحسن وقيل لباس الحرب ورفعه بالابتداء وخبره ذلك خير
او خير وذلك صفته كانه قيل ولباس التقوى المشار اليه خير وقرأ نافع وابن عامر والكسائي
ولباس بالنصب عطفا على لباسا ذلك اي انزال اللباس من آيات الله الدالة على فضله ورحمته
لعلهم يذكرون فيعرفون نعمته او يتعظون فيتورعون عن القبائح يا بني آدم لا يفتننكم
الشيطان لا يمحننكم بان يمنعكم دخول الجنة باغوائكم النهي في اللفظ للشيطان والمعنى
نهيهم عن اتباعه والافتتان به كما اخرج ابويكم من الجنة كما محن ابويكم بان
اخرجهما منها ينزع عنهما لباسهما ليريهما سوآتهما حال من ابويكم او من فاعل اخرج
واسناد النزع اليه للتسبب انه يراكم هو وقبيله من حيث لا ترونهم تعليل للنهي وتأكيد
للتحذير من فتنته وقبيله جنوده ورؤيتهم ايانا من حيث لا نراهم في الجملة لا يقتضي
امتناع رؤيتهم وتمثلهم لنا انا جعلنا الشياطين اولياء للذين لا يؤمنون بما اوجدنا
بينهم من التناسب او بارسالهم عليهم وتمكينهم من خذلانهم وحملهم على ما سولوا لهم والآية
مقصود القصة وفذلكة الحكاية واذا فعلوا فاحشة فعلة متناهية في القبح كعبادة
الصنم وكشف العورة في الطواف قالوا وجدنا عليها آباءنا والله امرنا بها اعتذروا
واحتجوا بامرين تقليد الآباء والافتراء على الله فاعرض عن الاول لظهور فساده ورد
الثاني بقوله قل ان الله لا يامر بالفحشاء لان عادته جرت على الامر بمحاسن الافعال
والحث على مكارم الخصال ولا دلالة فيه على ان قبح الفعل بمعنى ترتب الذم عليه آجلا
عقلي فان المراد بالفاحشة ما ينفر عنه الطبع السليم ويستنقصه العقل المستقيم وقيل
هما جوابا سؤالين مترتبين كانه قيل لهم لما فعلوها لم فعلتم فقالوا وجدنا عليها آباءنا
فقيل ومن اين اخذ آباؤكم فقالوا الله امرنا بها وعلى الوجهين يمنع التقليد اذا قام
الدليل على خلافه لا مطلقا اتقولون على الله ما لا تعلمون انكار يتضمن النهي عن الافتراء
على الله قل امر ربي بالقسط بالعدل وهو الوسط من كل امر المتجافي عن طرفي الافراط
والتفريط واقيموا وجوهكم وتوجهوا الى عبادته مستقيمين غير عادلين الى غيرها
او اقيموها نحو القبلة عند كل مسجد في كل وقت سجود او مكانه وهو الصلوة او في
اي مسجد حضرتكم الصلوة ولا تؤخروها حتى تعودوا الى مساجدكم وادعوه واعبدوه
مخلصين له الدين اي الطاعة فان اليه مصيركم كما بدأكم كما انشأكم ابتداء
تعودون باعادته فيجازيكم على اعمالكم وانما شبه الاعادة بالابداء تقريرا لامكانها
والقدرة عليها وقيل كما بدأكم من التراب تعودون اليه وقيل كما بدأكم
حفاة عراة غرلا تعودون وقيل كما بدأكم مؤمنا وكافرا يعيدكم فريقا هدى

بان وفقهم للايمان وفريقا حق عليهم الضلالة بمقتضى القضاء السابق وانتصابه
بفعل يفسره ما بعده اي وخذل فريقا انهم اتخذوا الشياطين اولياء من دون الله
تعليل لخذلانهم او تحقيق لضلالتهم ويحسبون انهم مهتدون يدل على ان الكافر
المخطئ والمعاند سواء في استحقاق الذم وللفارق ان يحمله على المقصر في النظر يا بني آدم
خذوا زينتكم ثيابكم لمواراة عورتكم عند كل مسجد لصلوة او طواف ومن السنة ان يأخذ
الرجل احسن هيئته للصلوة وفيه دليل على وجوب ستر العورة في الصلوة وكلوا واشربوا
ما طاب لكم روي ان بني عامر في ايام حجهم كانوا لا يأكلون الطعام الا قوتا ولا يأكلون دسما
يعظمون بذلك حجهم فهم المسلمون به فنزلت ولا تسرفوا بتحريم الحلال او بالتعدي الى الحرام
او بافراط الطعام والشره عليه وعن ابن عباس كل ما شئت والبس ما شئت ما اخطأتك
خصلتان سرف ومخيلة وقال علي بن الحسين بن واقد قد جمع الله الطب كله في نصف آية فقال
كلوا واشربوا ولا تسرفوا انه لا يحب المسرفين اي لا يرتضي فعلهم قل من حرم زينة الله من
الثياب وسائر ما يتجمل به التي اخرج لعباده من النبات كالقطن والكتان والحيوان كالحرير
والصوف والمعادن كالدروع والطيبات من الرزق المستلذات من المآكل والمشارب
وفيه دليل على ان الاصل في المطاعم والملابس وانواع التجملات الاباحة لان الاستفهام في من
للانكار قل هي للذين آمنوا في الحيوة الدنيا بالاصالة والكفرة وان شاركوهم فيها فتبع
خالصة يوم القيمة لا يشاركهم فيها غيرهم وانتصابها على الحال وقرأ نافع بالرفع على انها
خبر بعد خبر كذلك نفصل الآيات لقوم يعلمون كتفصيلنا هذا الحكم نفصل سائر الاحكام لهم
قل انما حرم ربي الفواحش ما تزايد قبحه وقيل ما يتعلق بالفروج ما ظهر منها وما بطن جهرها
وسرها والاثم وما يوجب الاثم تعميم بعد تخصيص وقيل شرب الخمر والبغي الظلم والكبر
افرده بالذكر للمبالغة بغير الحق متعلق بالبغي مؤكد له معنى وان تشركوا بالله ما لم ينزل
به سلطانا تهكم بالمشركين وتنبيه على تحريم اتباع ما لم يدل عليه برهان وان تقولوا
على الله ما لا تعلمون بالالحاد في صفاته والافتراء عليه كقولهم والله امرنا بها ولكل امة
اجل مدة او وقت لنزول العذاب بهم وهو وعيد لاهل مكة فاذا جاء اجلهم انقرضت مدتهم او حان
وقتهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون اي لا يتأخرون ولا يتقدمون اقصر وقت
او لا يطلبون التأخر والتقدم لشدة الهول يا بني آدم اما يأتينكم رسل منكم يقصون عليكم
آياتي شرط ذكر بحرف الشك للتنبيه على ان اتيان الرسل امر جائز غير واجب كما ظنه اهل التعليم
وضمت اليها ما لتأكيد معنى الشرط ولذلك اكد فعلها بالنون وجوابه فمن اتقى واصلح فلا خوف
عليهم ولا هم يحزنون والذين كذبوا بآياتنا واستكبروا عنها اولئك اصحاب النار هم فيها
خالدون والمعنى فمن اتقى التكذيب واصلح عمله منكم والذين كذبوا بآياتنا منكم وادخال
الفاء في الخبر الاول دون الثاني للمبالغة في الوعد والمسامحة في الوعيد فمن اظلم ممن افترى
على الله كذبا او كذب بآياته ممن تقول على الله ما لم يقله او كذب ما قاله اولئك ينالهم

نصيبهم من الكتاب مما كتب لهم من الارزاق والآجال وقيل الكتاب اللوح اى مما
اثبت لهم فيه حتى اذا جاءتهم رسلنا يتوفونهم اى يتوفون ارواحهم وهو حال
من الرسل وحتى غاية نيلهم وهى التى يبتدأ بعدها الكلام قالوا جواب اذا اين ما كنتم
تدعون من دون الله اين الآلهة الذين كنتم تعبدونها وما وصلت باين فى
خط المصحف وحقها الفصل لانها موصولة قالوا ضلوا عنا غابوا عنا وشهدوا على
انفسهم انهم كانوا كافرين اعترفوا بانهم كانوا ضالين فيما كانوا عليه قال ادخلوا
اى قال الله لهم يوم القيمة او احد من الملائكة فى امم قد خلت من قبلكم
اى كائنين فى جملة امم مصاحبين لهم من الجن والانس يعنى كفار الامم الماضية من النوعين
فى النار متعلق بادخلوا كلما دخلت امة اى فى النار لعنت اختها التى ضلت بالاقتداء
بها حتى اذا اداركوا فيها جميعا اى تداركوا وتلاحقوا فى النار قالت اخراهم
دخولا اى منزلة وهم الاتباع لاوليهم اى لاجل اولاهم اذ الخطاب مع الله لا
معهم ربنا هؤلاء اضلونا سنوا لنا الضلال فاقتدينا بهم فآتهم عذابا ضعفا من
النار مضاعفا لانهم ضلوا واضلوا قال لكل ضعف اما القادة فبكفرهم
وتضليلهم واما الاتباع فبكفرهم وتقليدهم ولكن لا تعلمون ما لكل فريق
وقرأ عاصم بالياء على الانفصال وقالت اوليهم لاخريهم فما كان لكم علينا من فضل
عطفوا كلامهم على جواب الله لاخريهم ورتبوه عليه اى فقد ثبت ان لا فضل لكم علينا
وانا وانتم متساوون فى الضلال واستحقاق العذاب فذوقوا العذاب بما كنتم تكسبون
من قول القادة او من قول الله للفريقين ان الذين كذبوا باياتنا واستكبروا عنها
اى عن الايمان بها لا تفتح لهم ابواب السماء لادعيتهم واعمالهم او لارواحهم كما تفتح
لاعمال المؤمنين وارواحهم لتتصل بالملائكة والتاء فى تفتح لتانيث الابواب والتشديد لكثرتها
وقرأ ابو عمرو بالتخفيف وحمزة والكسائى به وبالياء لان التانيث غير حقيقى والفعل مقدم وقرئ
على البناء للفاعل ونصب الابواب بالتاء على ان الفعل للايات وبالياء على ان الفعل لله ولا يدخلون
الجنة حتى يلج الجمل فى سم الخياط اى حتى يدخل ما هو مثل فى عظم الجرم وهو البعير فيما
هو مثل فى ضيق المسلك وهو ثقبة الابرة وذلك مما لا يكون فكذا ما توقف عليه وقرئ
الجمل كالقمل والجمل كالنغر والجمل كالقفل والجمل كالنصب والجمل كالحبل وهى الحبل
الغليظ من القنب وقيل حبل السفينة وسم بالضم والكسر وفى سم المخيط وهو والخياط
ما يخاط به كالحزام والمحزم وكذلك ومثل ذلك الجزاء الفظيع نجزى المجرمين لهم
من جهنم مهاد فراش ومن فوقهم غواش اغطية والتنوين فيه للبدل عن الاعلال
عند سيبويه وللصرف عند غيره وقرئ غواش على الغاء المحذوف وكذلك نجزى الظالمين
عبر عنهم بالمجرمين تارة وبالظالمين اخرى اشعارا بانهم بتكذيبهم الايات اتصفوا بهذه
الاوصاف الذميمة وذكر الجرم مع الحرمان من الجنة والظلم مع التعذيب بالنار

تبيها

تنبيها على انه اعظم الاجرام والذين امنوا وعملوا الصالحات لا نكلف نفسا الا
وسعها اولئك اصحاب الجنة هم فيها خالدون على عادته سبحانه فى ان يشفع الوعيد
بالوعد ولا نكلف نفسا الا وسعها اعتراض بين المبتدأ والخبر للترغيب فى اكتساب النعيم المقيم
بما يسعه طاقتهم ويسهل عليهم وقرئ لا يكلف نفس ونزعنا ما فى صدورهم من غل اى نخرج
من قلوبهم اسباب الغل او نطهرها منه حتى لا يكون بينهم الا التواد وعن على رضى الله عنه انى
لارجو ان اكون انا وعثمان وطلحة والزبير منهم تجرى من تحتهم الانهار زيادة فى
لذتهم وسرورهم وقالوا الحمد لله الذى هدانا لهذا لما جزاؤه هذا وما كنا
لنهتدى لولا ان هدانا الله لولا هداية الله وتوفيقه واللام لتوكيد النفى وجواب
لولا محذوف دل عليه ما قبله وقرأ ابن عامر ما كنا بغير واو على انها مبينة للاولى لقد
جاءت رسل ربنا بالحق فاهتدينا بارشادهم يقولون ذلك اغتباطا وتبجحا بان ما علموه
يقينا فى الدنيا صار لهم عيانا فى الآخرة ونودوا ان تلكم الجنة اذا رأوها من بعيد
او بعد دخولها والمنادى له بالذات اورثتموها بما كنتم تعملون اى اعطيتموها بسبب
اعمالكم وهو حال من الجنة والعامل فيها معنى الاشارة او خبر والجنة صفة تلكم وان فى
المواقع الخمسة هى المخففة او المفسرة لان النداء والتاذين من القول ونادى اصحاب
الجنة اصحاب النار ان قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقا فهل وجدتم ما وعد ربكم
حقا انما قالوه تبجحا بحالهم وشماتة باصحاب النار وتحسيرا لهم وانما لم يقل ما وعدكم
كما قال ما وعدنا لان ما ساءهم من الموعود لم يكن بأسره مخصوصا وعدا بهم كالبعث والحساب
ونعيم اهل الجنة قالوا نعم وقرأ الكسائى بكسر العين وهما لغتان فاذن مؤذن
قيل هو صاحب الصور بينهم بين الفريقين ان لعنة الله على الظالمين وقرأ ابن كثير
وابن عامر وحمزة والكسائى ان لعنة الله بالتشديد والنصب وقرئ ان لعنة الله بالكسر على ارادة
القول او اجراء اذن مجرى قال الذين يصدون عن سبيل الله صفة للظالمين مقررة
او ذم مرفوع او منصوب ويبغونها عوجا زيغا وميلا عما هو عليه والعوج بالكسر فى
المعانى والاعيان ما لم تكن منتصبة وبالفتح فى المنتصبة كالحائط والرمح وهم بالآخرة
كافرون وبينهما حجاب اى بين الفريقين كقوله فضرب بينهم بسور او بين الجنة والنار ليمنع وصول
اثر احديهما الى الاخرى وعلى الاعراف وعلى اعراف الحجاب اى اعاليه وهو السور المضروب بينهما
جمع عرف مستعار من عرف الفرس وقيل العرف ما ارتفع من الشئ لانه بظهوره اعرف من غيره
رجال طائفة من الموحدين قصروا فى العمل فيحبسون بين الجنة والنار حتى يقضى الله فيهم
ما يشاء وقيل قوم علت درجاتهم كالانبياء او الشهداء او خيار المؤمنين وعلمائهم او ملائكة
يرون فى صورة الرجال يعرفون كلا من اهل الجنة والنار بسيماهم بعلامتهم اى اعلمهم الله
بها كبياض الوجه وسواده من سام ابله اذا ارسلها فى المرعى معلمة او من وسم على القلب
كالجاه من الوجه وانما يعرفون ذلك بالالهام او تعليم الملائكة ونادوا اصحاب الجنة

فعلی

اصحاب صح

ان سلام عليكم اي اذا نظروا اليهم سلموا عليهم لم يدخلوها وهم يطمعون حال من الواو
على الوجه الاول ومن الاصحاب على الوجوه واذا صرفت ابصارهم تلقاء اصحاب النار
قالوا تعوذا بالله ربنا لا تجعلنا مع القوم الظالمين اي في النار ونادى اصحاب الاعراف
رجالا يعرفونهم بسيماهم من رؤسا الكفرة قالوا ما اغنى عنكم جمعكم كثرتكم
او جمعكم المال وما كنتم تستكبرون عن الحق او على الخلق وقرئ تستكثرون من
الكثرة اهؤلاء الذين اقسمتم لا ينالهم الله برحمة من تتمة قولهم للرجال والاشارة
الى ضعفاء اهل الجنة الذين كانت الكفرة يحتقرونهم ويحلفون ان الله لا يدخلهم الجنة
ادخلوا الجنة لا خوف عليكم ولا انتم تحزنون اي فالتفتوا الى اصحاب الجنة
وقالوا لهم ادخلوا فهو اوفق للوجوه الاخيرة او فقيل لاصحاب الاعراف ادخلوا الجنة بفضل الله
بعد ان حبسوا حتى ابصروا الفريقين وعرفوهم وقالوا لهم ما قالوا وقيل لما عير اصحاب النار
اقسموا ان اصحاب الاعراف لا يدخلون الجنة فقال الله او بعض الملائكة اهؤلاء الذين اقسمتم وقرئ
ادخلوا ودخلوا على الاستيناف وتقديره دخلوا الجنة مقولا لهم لا خوف عليكم ونادى
اصحاب النار اصحاب الجنة ان افيضوا علينا اي صبوه وهو دليل على ان الجنة فوق
النار من الماء او مما رزقكم الله من سائر الاشربة ليلائم الافاضة او من الطعام
كقوله علفتها تبنا وماء باردا قالوا ان الله حرمهما على الكافرين منعهما عنهم منع المحرم
عن المكلف الذين اتخذوا دينهم لهوا ولعبا كتحريم البحيرة والتصدية حول البيت و
اللهو صرف الهم بما لا يحسن ان يصرف به واللعب طلب الفرح بما لا يحسن ان يطلب به وغرتهم
الحيوة الدنيا فاليوم ننسيهم نفعل بهم فعل الناسين فنتركهم في النار كما نسوا
لقاء يومهم هذا فلم يخطروه ببالهم ولم يستعدوا له وما كانوا باياتنا يجحدون
وكما كانوا منكرين انها من عند الله ولقد جئناهم بكتاب فصلناه بينا معانيه
من العقائد والاحكام والمواعظ مفصلة على علم عالمين بوجه تفصيله حتى جاء حكيما وفيه
دليل على انه تعالى عالم بعلم او مشتملا على علم فيكون حالا من المفعول وقرئ فضلناه اي على
سائر الكتب عالمين بانه حقيق بذلك هدى ورحمة لقوم يؤمنون حال من الهاء هل ينظرون
هل ينتظرون الا تاويله الا ما يؤل اليه امره من تبين صدقه بظهور ما نطق به من الوعد
والوعيد يوم ياتي تاويله يقول الذين نسوه من قبل تركوه ترك الناسي قد
جاءت رسل ربنا بالحق اي تبين انهم جاؤا بالحق فهل لنا من شفعاء فيشفعوا لنا اليوم
او نرد او هل نرد الى الدنيا وقرئ بالنصب عطفا على فيشفعوا او لان او بمعنى الى ان فعلى الاول
المسؤل احد الامرين وعلى الثاني ان يكون لهم شفعاء اما لاحد الامرين او لامر واحد
هو الرد فنعمل غير الذي كنا نعمل جواب الاستفهام الثاني وقرئ بالرفع اي فنحن نعمل
قد خسروا انفسهم بصرف اعمارهم في الكفر وضل عنهم ما كانوا يفترون بطل
عنهم فلم ينفعهم ان ربكم الله الذي خلق السموات والارض في ستة ايام اي في ستة

اوقات

في يوم صح

على العرش صح

اوقات لقوله ومن يولهم يومئذ دبره او في مقدار ستة ايام فان المتعارف في زمان
طلوع الشمس الى غروبها ولم يكن حينئذ وفي خلق الاشياء مدرجا مع القدرة
على ايجادها دفعة دليل الاختيار واعتبار للنظار وحث على التاني في الامور
ثم استوى على العرش استوى امره او استولى وعن اصحابنا ان الاستواء على العرش
صفة لله بلا كيف والمعنى انه تعالى استوى على الوجه الذي عناه منزها عن الاستقرار
والتمكن والعرش الجسم المحيط بسائر الاجسام سمي به لارتفاعه او للتشبيه بسرير
الملك فان الامور والتدابير تنزل منه وقيل الملك يغشي الليل النهار يغطيه
به ولم يذكر عكسه للعلم به او لان اللفظ يحتملهما ولذلك قرئ يغشي الليل النهار
بنصب الليل ورفع النهار وقرا حمزة والكسائي ويعقوب وابو بكر عن عاصم بالتشديد
فيه للدلالة على التكرير يطلبه حثيثا يعقبه سريعا كالطالب له لا يفصل
بينهما شيء والحثيث فعيل من الحث وهو صفة مصدر محذوف او حال من الفاعل
بمعنى حاثا او المفعول بمعنى محثوثا والشمس والقمر والنجوم مسخرات بامره بقضائه
وتصريفه ونصبها بالعطف على السموات ونصب مسخرات على الحال وقرا ابن عامر
كلها بالرفع على الابتداء والخبر الا له الخلق والامر فانه الموجد والمتصرف تبارك
الله رب العالمين تعالى بالوحدانية في الالوهية وتعظم بالتفرد في الربوبية وتحقيق
الاية والله اعلم ان الكفرة كانوا متخذين اربابا فبين لهم ان المستحق للربوبية
واحد وهو الله تعالى لانه الذي له الخلق والامر فانه تعالى خلق العالم على ترتيب قويم
وتدبير حكيم فابدع الافلاك ثم زينها بالكواكب كما اشار اليه بقوله فقضاهن سبع
سموات في يومين وعمد الى ايجاد الاجرام السفلية فخلق جسما قابلا للصور المتبدلة
والهيئات المختلفة ثم قسمها بصور نوعية متضادة الاثار والافعال واشار اليه
بقوله خلق الارض في يومين اي ما في جهة السفل في يومين ثم انشا انواع المواليد
الثلاثة بتركيب موادها اولا وتصويرها ثانيا كما قال بعد قوله خلق الارض
في يومين وجعل فيها رواسي من فوقها وبارك فيها وقدر فيها اقواتها في اربعة ايام اي
مع اليومين الاولين لقوله في سورة السجدة الذي خلق السموات والارض وما
بينهما في ستة ايام ثم لما تم له عالم الملك عمد الى تدبيره كالملك الجالس على عرشه
لتدبير المملكة فدبر الامر من السماء الى الارض بتحريك الافلاك وتسيير الكواكب
وتكوير الليالي والايام ثم صرح بما هو فذلكة التقرير ونتيجته فقال الا له الخلق
والامر تبارك الله رب العالمين ثم امرهم بان يدعوه متذللين مخلصين فقال
ادعوا ربكم تضرعا وخفية اي ذوي تضرع وخفية فان الاخفاء دليل
الاخلاص انه لا يحب المعتدين المجاوزين ما امروا به في الدعاء وغيره نبه به
على ان الداعي ينبغي ان لا يطلب ما لا يليق به كرتبة الانبياء والصعود الى السماء وقيل

الاطناب

هو الصياح في الدعاء والاسهاب فيه وعن النبي صلى الله عليه وسلم سيكون قوم
يعتدون في الدعاء وحسب المرء ان يقول اللهم اني اسألك الجنة وما قرب اليها
من قول وعمل واعوذ بك من النار وما قرب اليها من قول وعمل ثم قرأ انه لا
يحب المعتدين ولا تفسدوا في الارض بالكفر والمعاصي بعد اصلاحها ببعث
الانبياء وشرع الاحكام وادعوه خوفا وطمعا ذوي خوف من الرد لقصور اعمالكم
وعدم استحقاقكم وطمع في اجابته تفضلا واحسانا لفرط رحمته ان رحمة الله
قريب من المحسنين ترجيح للطمع وتنبيه على ما يتوسل به الى الاجابة وتذكير قريب
لان الرحمة بمعنى الترحم او لانه صفة محذوف اي امر قريب او على تشبيهه بفعيل
الذي بمعنى مفعول او الذي هو مصدر كالنقيض او للفرق بين القريب من النسب والقريب
من غيره وهو الذي يرسل الرياح وقرأ ابن كثير وحمزة والكسائي الريح على
الوحدة نشرا جمع نشور بمعنى ناشر وقرأ ابن عامر نشرا بالتخفيف حيث وقع وحمزة و
الكسائي نشرا بفتح النون حيث وقع على انه مصدر في موقع الحال بمعنى ناشرات
او مفعول مطلق فان الارسال والنشر متقاربان وعاصم بشرا وهو تخفيف بشر جمع
بشير وقد قرئ به وبشرا بفتح الباء مصدر بشره بمعنى باشرات او للبشارة وبشرى
بين يدي رحمته قدام رحمته يعني المطر فان الصبا تثير السحاب والشمال تجمعه
والجنوب تدره والدبور تفرقه حتى اذا اقلت اي حملت واشتقاقه من القلة فان المقل
للشيء يستقله سحابا ثقالا بالماء جمعه لان السحاب بمعنى السحائب سقناه اي السحاب
وافراد الضمير باعتبار اللفظ لبلد ميت لاجله او لاحيائه او لسقيه وقرئ ميت
فانزلنا به الماء بالبلد او بالسحاب او بالسوق او بالريح وكذلك فاخرجنا به ويحتمل
فيه عود الضمير الى الماء واذا كان للبلد فالباء للالصاق في الاول وللظرفية في الثاني
واذا كان لغيره فهي للسببية من كل الثمرات من كل انواعها كذلك نخرج الموتى
الاشارة فيه الى اخراج الثمرات او الى احياء البلد الميت اي كما نحييه باحداث
القوة النامية فيه وتطريتها بانواع النبات والثمرات نخرج الموتى من الاجداث و
نحييها برد النفوس الى مواد ابدانها بعد جمعها وتطريتها بالقوى والحواس
لعلكم تذكرون فتعلمون ان من قدر على ذلك قدر على هذا والبلد الطيب
الارض الكريمة التربة يخرج نباته باذن ربه بمشيئته وتيسيره عبر به عن كثرة
النبات وحسنه وغزارة نفعه لانه اوقعه في مقابلة والذي خبث كالحرة والسبخة
لا يخرج الا نكدا قليلا عديم النفع ونصبه على الحال وتقدير الكلام والبلد الذي
خبث لا يخرج نباته الا نكدا فحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه فصار مرفوعا
مستترا وقرئ يخرج اي يخرجه البلد فيكون الا نكدا مفعولا ونكدا على المصدر
اي ذا نكد ونكدا بالاسكان للتخفيف كذلك نصرف الآيات نرددها ونكررها

لقوم يشكرون نعمة الله فيتفكرون فيها ويعتبرون بها والآية مثل لمن
تدبر الآيات وانتفع بها ولمن لم يرفع اليها رأسا ولم يتأثر بها لقد ارسلنا نوحا الى قومه
جواب قسم محذوف ولا تكاد تطلق هذه اللام الا مع قد لانها مظنة التوقع فان المخاطب
اذا سمعها توقع وقوع ما صدر بها ونوح بن لمك بن متوشلخ بن ادريس اول نبي بعده
بعث وهو ابن خمسين سنة او اربعين فقال يا قوم اعبدوا الله اي اعبدوه وحده لقوله
ما لكم من اله غيره وقرأ الكسائي غيره بالكسر على اللفظ وقرئ بالنصب على الاستثناء اني
اخاف عليكم عذاب يوم عظيم ان لم تؤمنوا وهو وعيد وبيان للداعي الى عبادته
واليوم يوم القيامة او يوم نزول الطوفان قال الملأ من قومه اي الاشراف فانهم يملأون
العيون رواء انا لنراك في ضلال زوال عن الحق مبين بين قال يا قوم ليس بي ضلالة
اي شيء من الضلال بالغ في النفي كما بالغوا في الاثبات وعرض لهم به ولكني رسول
من رب العالمين استدراك باعتبار ما يلزمه وهو كونه على هدى كأنه قال ولكني على هدى
في الغاية لاني رسول من الله ابلغكم رسالات ربي وانصح لكم واعلم من
الله ما لا تعلمون صفات لرسول او استئناف ومساقها على الوجهين لبيان كونه رسولا
وقرأ ابو عمرو ابلغكم بالتخفيف وجمع الرسالات لاختلاف اوقاتها او لتنوع معانيها
كالعقائد والمواعظ والاحكام او لان المراد بها ما اوحي اليه والى الانبياء قبله كصحف
شيث وادريس وزيادة اللام في لكم للدلالة على امحاض النصح لهم وفي اعلم من الله
تقرير لما اوعدهم به فان معناه اعلم من قدرته او بطشه او من جهته بالوحي اشياء لا
علم لكم بها اوعجبتم الهمزة للانكار والواو للعطف على محذوف اي أكذبتم وعجبتم ان
جاءكم من ان جاءكم ذكر من ربكم رسالة او موعظة على رجل على لسان رجل منكم
من جملتكم او من جنسكم فانهم كانوا يتعجبون من ارسال البشر ويقولون لو شاء الله
لانزل ملائكة ما سمعنا بهذا في آبائنا الاولين لينذركم عاقبة الكفر والمعاصي ولتتقوا
منهما بسبب الانذار ولعلكم ترحمون بالتقوى وفائدة حرف الترجي التنبيه على
ان التقوى غير موجب والترحم من الله تفضل وان المتقي ينبغي ان لا يعتمد على تقواه ولا
يأمن من عذاب الله فكذبوه فانجيناه والذين معه وهم من آمن به وكانوا اربعين
رجلا واربعين امرأة وقيل [illegible] هو وبنوه سام وحام ويافث وستة ممن آمن به
في الفلك متعلق بمعه او بانجينا او حال من الموصول او الضمير في معه واغرقنا الذين كذبوا
بآياتنا بالطوفان انهم كانوا قوما عمين عمي القلوب غير مستبصرين واصله عميين فخفف وقرئ
عامين والاول ابلغ لدلالته على الثبات والى عاد اخاهم عطف على نوحا الى قومه هودا
عطف بيان لاخاهم والمراد به الواحد منهم كقولهم يا اخا العرب فانه هود بن عبد الله بن
رباح بن الخلود بن عاد بن عوص بن ارم بن سام بن نوح وقيل هود بن شالخ بن ارفخشذ
بن سام ابن عم ابي عاد وانما جعل منهم لانهم افهم لقوله واعرف بحاله وارغب في اقتفائه

منا غيرهم

وقيل تسعة عشر

قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره استئناف به ولم يعطف كانه جواب
سائل قال فما قال لهم حين ارسل وكذلك جوابهم افلا تتقون عذاب الله وكانت
قومه كانوا اقرب من قوم نوح ولذلك قال افلا تتقون قال الملأ الذين كفروا من قومه
اذ كان من اشرافهم من آمن به كمرثد بن سعد انا لنراك في سفاهة متمكنا
في خفة عقل راسخا فيها حيث فارقت دين قومك وانا لنظنك من الكاذبين قال يا قوم
ليس بي سفاهة ولكني رسول من رب العالمين ابلغكم رسالات ربي وانا لكم
ناصح امين او عجبتم ان جاءكم ذكر من ربكم على رجل منكم لينذركم
سبق تفسيره وفي اجابة الانبياء الكفرة عن كلماتهم الحمقاء بما اجابوا والاعراض عن
مقابلتهم كمال النصح والشفقة وهضم النفس وحسن المجادلة وهكذا ينبغي لكل ناصح
وفي قوله وانا لكم ناصح امين تنبيه على انهم عرفوه بالامرين واذكروا اذ جعلكم
خلفاء من بعد قوم نوح اي في مساكنهم ~~من رمل عالج الى بحر عمان~~ او في الارض
بان جعلكم ملوكا فان شداد بن عاد ممن ملك معمورة الارض خوفهم من عقاب الله
ثم ذكرهم بانعامه وزادكم في الخلق بسطة قامة وقوة وهو تعميم بعد تخصيص فاذكروا
آلاء الله لعلكم تفلحون لكي يفضي بكم ذكر النعم الى شكرها المؤدي الى الفلاح قالوا
اجئتنا لنعبد الله وحده ونذر ما كان يعبد آباؤنا استبعدوا اختصاص الله بالعبادة
والاعراض عما اشرك به آباؤهم انهماكا في التقليد وحبا لما الفوه ومعنى المجيء في اجئتنا
اما المجيء من مكان اعتزل به عن قومه او من السماء على التهكم او القصد على المجاز كقولهم
ذهب يسبني فاتنا بما تعدنا من العذاب المدلول عليه بقوله افلا تتقون ان كنت من
الصادقين فيه قال قد وقع عليكم قد وجب وحق عليكم او نزل عليكم
على ان المتوقع كالواقع من ربكم رجس عذاب من الارتجاس وهو الاضطراب و غضب
ارادة انتقام اتجادلونني في اسماء سميتموها انتم وآباؤكم ما نزل الله بها من سلطان
اي في اشياء سميتموها آلهة وليس فيها معنى الالهية لان المستحق للعبادة بالذات هو
الموجد للكل وانها لو استحقت كان استحقاقها بجعله تعالى اما بانزال آية او نصب حجة
بين ان منتهى حجتهم وسندهم ان الاصنام تسمى آلهة من غير دليل يدل على تحقق المسمى
واسناد الاطلاق الى من لا يؤبه بقوله اظهارا لغاية جهالتهم وفرط غباوتهم واستدل
به على ان الاسم هو المسمى وان اللغات توقيفية اذ لو لم تكن كذلك لم يتوجه الذم و
الابطال بانها اسماء مخترعة لم ينزل الله بها سلطانا وضعفهما ظاهر فانتظروا لما وضح
الحق وانتم مصرون على العناد نزول العذاب اني معكم من المنتظرين فانجيناه
والذين معه في الدين برحمة منا عليهم وقطعنا دابر الذين كذبوا بآياتنا
اي استأصلناهم وما كانوا مؤمنين تعريض بمن آمن منهم وتنبيه على ان الفارق
بين من نجا ومن هلك هو الايمان روي انهم كانوا يعبدون الاصنام فبعث الله اليهم

من رمل عالج الى بحر عمان

هودا فكذبوه وازدادوا عتوا فامسك الله القطر عنهم ثلاث سنين حتى جهدهم وكان الناس حينئذ
مسلمهم ومشركهم اذا نزل بهم بلاء توجهوا الى البيت الحرام وطلبوا من الله الفرج فجهزوا
اليه قيل بن عنز ومرثد بن سعد في سبعين من اعيانهم وكان اذ ذاك بمكة العمالقة
اولاد عمليق بن لاوذ بن سام وسيدهم معاوية بن بكر فلما قدموا عليه وهو بظاهر
مكة انزلهم واكرمهم وكانوا اخواله واصهاره فلبثوا عنده شهرا يشربون الخمر وتغنيهم الجرادتان
قينتان له فلما رأى ذهولهم باللهو عما بعثوا له اهمه ذلك واستحيى ان يكلمهم فيه مخافة ان يظنوا
به ثقل مقامهم فعلم القينتين الا يا قيل ويحك قم فهينم لعل الله يسقينا غماما فيسقي ارض
عاد ان عادا قد امسوا ما يبينون الكلاما حتى غنتا به فازعجهم ذلك فقال مرثد والله لا
تسقون بدعائكم ولكن ان اطعتم نبيكم وتبتم الى الله سقيتم فقالوا لمعاوية احبسه عنا
لا يقدمن معنا مكة فانه قد اتبع دين هود وترك ديننا ثم دخلوا مكة فقال قيل اللهم
اسق عادا ما كنت تسقيهم فانشأ الله سحابات ثلاثا بيضاء وحمراء وسوداء ثم ناداه مناد من السماء
يا قيل اختر لنفسك ولقومك فقال اخترت السوداء فانها اكثرهن ماء فخرجت على عاد من وادي
المغيث فاستبشروا بها وقالوا هذا عارض ممطرنا فجاءتهم منها ريح عقيم فاهلكتهم ونجا هود والمؤمنون
معه فاتوا مكة وعبدوا الله فيها حتى ماتوا والى ثمود قبيلة اخرى من العرب سموا باسم ابيهم الاكبر
ثمود بن عابر بن ارم بن سام وقيل سموا به لقلة مائهم من الثمد وهو الماء القليل وقرئ مصروفا
بتأويل الحي او باعتبار الاصل وكانت مساكنهم الحجر بين الحجاز والشام الى وادي القرى اخاهم
صالحا صالح بن عبيد بن آسف بن ماشخ بن عبيد بن حاذر بن ثمود قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم
من اله غيره قد جاءتكم بينة من ربكم معجزة ظاهرة الدلالة على صحة نبوتي وقوله هذه ناقة الله
لكم آية استئناف لبيانها وآية نصب على الحال والعامل فيها معنى الاشارة ولكم بيان لمن هي له
آية ويجوز ان يكون ناقة الله بدلا او عطف بيان ولكم خبرا عاملا في آية واضافة الناقة الى الله لتعظيمها
ولانها جاءت من عنده بلا وسائط واسباب معهودة ولذلك كانت آية فذروها تأكل في ارض الله
العشب ولا تمسوها بسوء نهي عن المس الذي هو مقدمة الاصابة بالسوء الجامع لانواع الاذى
مبالغة في الامر وازاحة للعذر فيأخذكم عذاب اليم جواب للنهي واذكروا اذ جعلكم
خلفاء من بعد عاد وبوأكم في الارض ارض الحجر تتخذون من سهولها قصورا اي تبنون
في سهولها او من سهولة الارض بما تعملون منها كاللبن والآجر وتنحتون الجبال بيوتا وقرئ
تنحتون بالفتح وتنحاتون بالاشباع وانتصاب بيوتا على الحال المقدرة او المفعول على ان التقدير
من الجبال او تنحتون بمعنى تتخذون فاذكروا آلاء الله ولا تعثوا في الارض مفسدين قال
الملأ الذين استكبروا من قومه اي عن الايمان للذين استضعفوا اي للذين
استضعفوهم واستذلوهم لمن آمن منهم بدل من الذين استضعفوا بدل الكل ان كان الضمير
لقومه وبدل البعض ان كان للذين اتعلمون ان صالحا مرسل من ربه قالوه على سبيل الاستهزاء
قالوا انا بما ارسل به مؤمنون عدلوا به عن الجواب السوي الذي هو نعم تنبيها على ان ارساله

اظهر من ان يشك فيه عاقل ويخفى على ذي راي وانما الكلام فيمن امن به ومن كفر فلذلك
قال الذين استكبروا انا بالذي امنتم به كافرون على المقابلة ووضعوا امنتم
به موضع ارسل به ردا لما جعلوه معلوما مسلما فعقروا الناقة فنحروها اسند الى جميعهم
فعل بعضهم للملابسة او لانه كان برضاهم وعتوا عن امر ربهم واستكبروا عن امتثاله
وهو ما بلغهم صالح بقوله فذروها وقالوا يا صالح ائتنا بما تعدنا ان كنت من المرسلين
فاخذتهم الرجفة الزلزلة فاصبحوا في دارهم جاثمين خامدين ميتين روي انهم
بعد عاد عمروا بلادهم وخلفوهم وكثروا وعمروا اعمارا طوالا لا تفي بها الابنية فنحتوا
البيوت من الجبال وكانوا في خصب وسعة فعتوا وافسدوا في الارض وعبدوا الاصنام
فبعث الله صالحا من اشرافهم فانذرهم فسالوه اية فقال اية اية تريدون قالوا
اخرج معنا الى عيدنا فتدعو الهك وندعو الهتنا فمن استجيب له اتبع فخرج معهم فدعوا
اصنامهم فلم تجبهم ثم اشار سيدهم جندع بن عمرو الى صخرة منفردة يقال لها الكاثبة
وقال له اخرج من هذه الصخرة ناقة مخترجة جوفاء وبراء فان فعلت صدقناك فاخذ
عليهم صالح مواثيقهم لئن فعلت ذلك لتؤمنن فقالوا نعم فصلى ودعا ربه فتمخضت الصخرة
تمخض النتوج بولدها فانصدعت عن ناقة عشراء جوفاء وبراء كما وصفوا وهم ينظرون
ثم نتجت ولدا مثلها في العظم فامن به جندع في جماعة ومنع الباقين من الايمان
ذؤاب بن عمرو والحباب صاحب اوثانهم ورباب بن صمعر كاهنهم فمكثت الناقة مع ولدها
ترعى الشجر وترد الماء غبا فما ترفع راسها من البئر حتى تشرب كل ما فيها ثم تتفحج فيحلبون
ما شاؤوا حتى تمتلئ اوانيهم فيشربون ويدخرون وكانت تصيف بظهر الوادي فتهرب منها
انعامهم الى بطنه وتشتو ببطنه فتهرب مواشيهم الى ظهره فشق ذلك عليهم وزينت عقرها
لهم عنيزة ام غنم وصدقة بنت المختار فعقروها واقتسموا لحمها فرقى سقبها جبلا اسمه
قارة فرغا ثلاثا فقال صالح لهم ادركوا الفصيل عسى ان يرفع عنكم العذاب فلم يقدروا
عليه اذ انفجت الصخرة بعد رغائه فدخلها فقال لهم تصبح وجوهكم غدا مصفرة وبعد
غد محمرة واليوم الثالث مسودة ثم يصبحكم العذاب فلما راوا العلامات طلبوا ان يقتلوه
فانجاه الله الى ارض فلسطين ولما كان ضحوة اليوم الرابع تحنطوا وتكفنوا بالانطاع فاتتهم
صيحة من السماء فتقطعت قلوبهم فهلكوا فتولى عنهم وقال يا قوم لقد ابلغتكم رسالة ربي
ونصحت لكم ولكن لا تحبون الناصحين ظاهره ان توليه عنهم كان بعد ان ابصرهم
جاثمين ولعله خاطبهم به بعد هلاكهم كما خاطب رسول الله اهل قليب بدر وقال انا وجدنا
ما وعدنا ربنا حقا فهل وجدتم ما وعد ربكم حقا او ذكر ذلك على سبيل التحسر عليهم ولوطا
اي وارسلنا لوطا اذ قال لقومه وقت قوله لهم او واذكر لوطا واذ بدل منه
اتاتون الفاحشة توبيخ وتقريع على تلك الفعلة المتمادية في القبح ما سبقكم
بها من احد من العالمين ما فعلها قبلكم احد قط والباء للتعدية ومن الاولى

لتأكيد النفي

لتأكيد النفي والاستغراق والثانية للتبعيض والجملة استئناف مقررة للانكار كانه وبخهم اولا
باتيان الفاحشة ثم باختراعها فانه اسوأ انكم لتاتون الرجال شهوة من دون النساء
بيان لقوله اتاتون الفاحشة وهو ابلغ في الانكار والتوبيخ وقرا نافع وحفص انكم على الاخبار
المستانف وشهوة مفعول له او مصدر في موقع الحال وفي التقييد بها وصفهم بالبهيمية الصرفة
وتنبيه على ان العاقل ينبغي ان يكون الداعي له الى المباشرة طلب الولد وبقاء النوع لا قضاء
الوطر بل انتم قوم مسرفون اضراب عن الانكار الى الاخبار عن حالهم التي ادت بهم الى ارتكاب
امثالها وهي اعتياد الاسراف في كل شيء او عن الانكار عليها الى الذم على جميع معايبهم او عن
محذوف مثل لا عذر لكم بل انتم قوم عادتكم الاسراف وما كان جواب قومه الا
ان قالوا اخرجوهم من قريتكم اي ما جاؤوا بما يكون جوابا عن كلامه ولكنهم قابلوا نصحه
بالامر باخراجه فيمن معه من المؤمنين من قريتهم والاستهزاء بهم فقالوا انهم اناس يتطهرون
اي من الفواحش فانجيناه واهله اي من امن به الا امراته فانها كانت تسر الكفر
كانت من الغابرين من الذين بقوا في ديارهم فهلكوا والتذكير لتغليب الذكور وامطرنا
عليهم مطرا اي نوعا من المطر عجيبا وهو مبين بقوله وامطرنا عليهم حجارة من سجيل فانظر
كيف كان عاقبة المجرمين روي ان لوط بن هاران بن تارخ لما هاجر مع عمه
ابرهيم عليهما السلام الى الشام نزل بالاردن فارسله الله الى اهل سدوم ليدعوهم الى الله وينهاهم
عما اخترعوه من الفاحشة فلم ينتهوا عنها فامطر الله عليهم الحجارة فهلكوا وقيل خسف
بالمقيمين منهم وامطرت الحجارة على مسافريهم والى مدين اخاهم شعيبا اي وارسلنا
اليهم وهم اولاد مدين بن ابرهيم شعيب بن ميكيل بن يشجر بن مدين وكان يقال له
خطيب الانبياء لحسن مراجعته قومه قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره
قد جاءتكم بينة من ربكم يريد المعجزة التي كانت له وليس في القران انها ما هي
وما روي من محاربة عصا موسى التنين وولادة الغنم التي دفعها اليه الدرع خاصة
وكانت الموعودة له من اولادها ووقوع عصا ادم على يده في المرات السبع متاخرة
عن هذه المقالة ولانه يحتمل ان يكون كرامة لموسى او ارهاصا لنبوته فاوفوا الكيل والميزان
اي الة الكيل على الاضمار او اطلاق الكيل على المكيال كالعيش على المعاش لقوله والميزان
كما قال في سورة هود اوفوا المكيال او الكيل ووزن الميزان ويجوز ان يكون الميزان مصدرا كالميعاد
ولا تبخسوا الناس اشياءهم اي ولا تنقصوهم حقوقهم وانما قال اشياءهم للتعميم تنبيها على انهم
كانوا يبخسون الجليل والحقير والقليل والكثير وقيل كانوا مكاسين لا يدعون شيئا
الا مكسوه ولا تفسدوا في الارض بالكفر والحيف بعد اصلاحها بعدما اصلح امرها
او اهلها الانبياء واتباعهم بالشرائع او اصلحوا فيها والاضافة اليها كالاضافة في بل مكر الليل
والنهار ذلكم خير لكم ان كنتم مؤمنين اشارة الى العمل بما امرهم به ونهاهم عنه
ومعنى الخيرية اما الزيادة مطلقا او في الانسانية وحسن الاحدوثة وجمع المال ولا تقعدوا

التفحج شق التفحج وهو ان يفرج بين رجليه اذا احتلب

الدرع جمع ادرع وهي الشاة التي فيها سواد وبياض

كالشيطان ج

بكل صراط توعدون بكل طريق من طرق الدين فصراط الحق وان كان واحدا لكنه يتشعب الى معارف وحدود واحكام وكانوا اذا راوا واحدا يسعى في شيء منها منعوه وقيل كانوا يجلسون على المراصد فيقولون لمن يريد شعيبا انه كذاب فلا يفتننك عن دينك ويوعدون لمن امن به وقيل كانوا يقطعون الطرق وتصدون عن سبيل الله يعني الذي تعدوا عليه فوضع الظاهر موضع المضمر بيانا لكل صراط ودلالة على عظم ما يصدون عنه وتقبيحا لما كانوا عليه او الايمان بالله من امن به اي بالله او بكل صراط على الاول ومن مفعول تصدون على اعمال الاقرب ولو كان مفعول توعدون لقال وتصدونهم وتوعدون بما عطف عليه في موقع الحال من الضمير في تقعدوا وتبغونها عوجا وتطلبون لسبيل الله عوجا بالقاء الشبه او وصفها للناس بانها معوجة واذكروا اذ كنتم قليلا عددكم او عُددكم فكثركم بالبركة في النسل والمال وانظروا كيف كان عاقبة المفسدين من الامم قبلكم واعتبروا بهم وان كان طائفة منكم امنوا بالذي ارسلت به وطائفة لم يؤمنوا فاصبروا فتربصوا حتى يحكم الله بيننا اي بين الفريقين بنصر المحقين على المبطلين فهو وعد للمؤمنين ووعيد للكافرين وهو خير الحاكمين اذ لا معقب لحكمه ولا حيف فيه قال الملأ الذين استكبروا من قومه لنخرجنك يا شعيب والذين امنوا معك من قريتنا او لتعودن في ملتنا اي ليكونن احد الامرين اما اخراجكم عن القرية او عودكم في الكفر وشعيب لم يكن في ملتهم قط لان الانبياء لا يجوز عليهم الكفر مطلقا لكن غلبوا الجماعة على الواحد فخوطب هو وقومه بخطابهم وعلى ذلك اجرى الجواب في قوله قال او لو كنا كارهين اي كيف نعود فيها ونحن كارهون لها او اتعيدوننا في حال كراهتنا قد افترينا على الله كذبا قد اختلقنا عليه ان عدنا في ملتكم بعد اذ نجانا الله منها شرط جوابه محذوف دليله قد افترينا وهو بمعنى المستقبل لانه لم يقع لكنه جعل كالواقع للمبالغة وادخل عليه قد لتقريبه من الحال اي قد افترينا الان ان هممنا بالعود بعد الخلاص منها حيث نزعم ان لله ندا وانه قد تبين لنا ان ما كنا عليه باطل وما انتم عليه حق وقيل انه جواب قسم وتقديره والله لقد افترينا وما يكون لنا وما يصح لنا ان نعود فيها الا ان يشاء الله ربنا خذلاننا وارتدادنا وفيه دليل على ان الكفر بمشيئته وقيل اراد به حسم طمعهم في العود بالتعليق على ما لا يكون وسع ربنا كل شيء علما اي احاط علمه بكل شيء مما كان وما يكون منا ومنكم على الله توكلنا في ان يثبتنا على الايمان ويخلصنا من الاشرار ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق احكم بيننا والفتاح القاضي والفتاحة الحكومة او اظهر امرنا حتى ينكشف ما بيننا وبينهم ويتميز المحق من المبطل من فتح المشكل اذا بينه وانت خير الفاتحين على المعنيين وقال الملأ الذين

كفروا

كفروا من قومه لئن اتبعتم شعيبا وتركتم دينكم انكم اذا لخاسرون لاستبدالكم ضلاله بهداكم او لفوات ما يحصل لكم بالبخس والتطفيف وهو ساد مسد جواب الشرط والقسم الموطأ باللام فاخذتهم الرجفة الزلزلة وفي سورة الحجر فاخذتهم الصيحة ولعلها كانت من مباديها فاصبحوا في دارهم جاثمين اي في مدينتهم الذين كذبوا شعيبا مبتدأ خبره كأن لم يغنوا فيها اي استؤصلوا كأن لم يقيموا بها والمغنى المنزل الذين كذبوا شعيبا كانوا هم الخاسرين دينا ودنيا لا الذين صدقوه كما زعموا فانهم الرابحون في الدارين وللتنبيه على هذا والمبالغة فيه كرر الموصول واستأنف بالجملتين واتى بهما اسميتين فتولى عنهم وقال يا قوم لقد ابلغتكم رسالات ربي ونصحت لكم قاله تأسفا بهم لشدة حزنه عليهم ثم انكر على نفسه فقال فكيف آسى على قوم كافرين ليسوا اهل حزن لاستحقاقهم ما نزل عليهم بكفرهم او قاله اعتذارا عن عدم شدة حزنه عليهم والمعنى لقد بالغت في الابلاغ والانذار وبذلت وسعي في النصح والاشفاق فلم تصدقوا قولي فكيف آسى عليكم وقرئ فكيف ايسى بامالتين وما ارسلنا في قرية من نبي الا اخذنا اهلها بالبأساء والضراء بالبؤس والضر لعلهم يضرعون كي يتضرعوا ويتذللوا ثم بدلنا مكان السيئة الحسنة اي اعطيناهم بدل ما كانوا فيه من البلاء والشدة السلامة والسعة ابتلاء لهم بالامرين حتى عفوا كثروا عددا او عُددا يقال عفا النبات اذا كثر ومنه اعفاء اللحى وقالوا قد مس اباءنا الضراء والسراء كفرانا لنعمة الله ونسيانا لذكره واعتقادا بانه من عادة الدهر يعاقب في الناس بين الضراء والسراء وقد مس اباءنا منه مثل ما مسنا فاخذناهم بغتة فجأة وهم لا يشعرون بنزول العذاب ولو ان اهل القرى يعني القرى المدلول عليها بقوله وما ارسلنا في قرية من نبي وقيل مكة وما حولها امنوا واتقوا مكان كفرهم وعصيانهم لفتحنا عليهم بركات من السماء والارض لوسعنا عليهم الخير ويسرناه لهم من كل جانب وقيل المراد المطر والنبات وقرأ ابن عامر لفتّحنا بالتشديد ولكن كذبوا الرسل فاخذناهم بما كانوا يكسبون من الكفر والمعاصي افأمن اهل القرى عطف على قوله فاخذناهم بغتة وهم لا يشعرون وما بينهما اعتراض والمعنى ابعد ذلك امن اهل القرى ان يأتيهم بأسنا بياتا تبييتا او وقت بيات او مبيتا او مبيتين وهو في الاصل مصدر بمعنى البيتوتة ويجيء بمعنى التبييت كالسلام بمعنى التسليم وهم نائمون حال من ضميرهم البارز او المستتر في بياتا اوأمن اهل القرى وقرأ ابن كثير ونافع وابن عامر او بالسكون على الترديد ان يأتيهم بأسنا ضحى ضحوة النهار وهو في الاصل ضوء الشمس اذا ارتفعت وهم يلعبون يلهون من فرط الغفلة او يشتغلون بما لا ينفعهم افأمنوا مكر الله تكرير لقوله افأمن اهل القرى ومكر الله استعارة لاستدراج العبد واخذه من حيث لا يحتسب فلا يأمن مكر الله الا القوم الخاسرون

الذين خربوا بالكفر وتمرنوا في النظر والاعتبار أو لم يهد للذين يرثون الأرض من بعد
أهلها أي يخلفون من خلا قبلهم ويرثون ديارهم وإنما عدي يهد باللام لأنه
بمعنى يبين أن لو نشاء أصبناهم بذنوبهم أن الشأن لو نشاء أصبناهم بجزاء ذنوبهم
كما أصبنا من قبلهم وهو فاعل يهد ومن قرأه بالنون جعله مفعولا ونطبع على
قلوبهم عطف على ما دل عليه أو لم يهد أي يغفلون عن الهداية أو منقطع عنه
بمعنى ونحن نطبع ولا يجوز عطفه على أصبناهم على أنه بمعنى وطبعنا لأنه في سياق
جواب لو لإفضائه إلى نفي الطبع عنهم فهم لا يسمعون سماع تفهم واعتبار تلك القرى
يعني قرى الأمم المار ذكرهم نقص عليك من أنبائها حال إن جعل القرى خبرا وتكون
إفادته بالتقييد بها وخبر إن جعلت صفة ويجوز أن يكونا خبرين ومن للتبعيض أي نقص
بعض أنبائها ولها أنباء غيرها لا نقصها ولقد جاءتهم رسلهم بالبينات بالمعجزات فما
كانوا ليؤمنوا عند مجيئهم بها بما كذبوا من قبل بما كذبوه من قبل الرسل بل كانوا
مستمرين على التكذيب أو فما كانوا ليؤمنوا مدة عمرهم بما كذبوا به أولا حين جاءتهم
الرسل ولم تؤثر فيهم قط دعوتهم المتطاولة والآيات المتتابعة واللام لتأكيد النفي والدلالة
على أنهم ما صلحوا للإيمان لمنافاته لحالهم في التصميم على الكفر والطبع على قلوبهم
كذلك يطبع الله على قلوب الكافرين فلا تلين شكيمتهم بالآيات والنذر
وما وجدنا لأكثرهم لأكثر الناس والآية اعتراض أو لأكثر الأمم المذكورين من عهد
من وفاء عهد فإن أكثرهم نقضوا ما عهد الله إليهم في الإيمان والتقوى بإنزال الآيات
ونصب الحجج أو ما عهدوا إليه حين كانوا في ضر ومخافة مثل لئن أنجيتنا من هذه لنكونن
من الشاكرين وإن وجدنا أكثرهم أي علمناهم لفاسقين من وجدت زيدا ذا الحفاظ
لدخول إن المخففة واللام الفارقة وذلك لا يسوغ إلا في المبتدأ والخبر والأفعال الداخلة
عليهما وعند الكوفيين إن للنفي واللام بمعنى إلا ثم بعثنا من بعدهم موسى الضمير
للرسل في قوله ولقد جاءتهم رسلهم أو للأمم بآياتنا يعني المعجزات إلى فرعون وملئه
فظلموا بها بأن كفروا بها مكان الإيمان الذي هو من حقها لوضوحها ولهذا المعنى
وضع ظلموا موضع كفروا وفرعون لقب لمن ملك مصر ككسرى لملك فارس وكان اسمه
قابوس وقيل الوليد بن مصعب بن الريان فانظر كيف كان عاقبة المفسدين
وقال موسى يا فرعون إني رسول من رب العالمين إليك وقوله حقيق على أن
لا أقول على الله إلا الحق لعله جواب لتكذيبه إياه في دعوى الرسالة وإنما لم يذكره
لدلالة قوله فظلموا بها عليه وكان أصله حقيق علي أن لا أقول كما قرأ نافع فقلب
لأمن الالتباس كقوله وتشقى الرماح بالضياطرة الحمر أو لأن ما لزمك فقد لزمته أو للإغراق
في الوصف بالصدق والمعنى أنه حق واجب علي القول الحق أن أكون أنا قائله لا يرضى إلا بمثلي
ناطقا به أو ضمن حقيق معنى حريص أو وضع على مكان الباء لإفادة التمكن كقولهم رميت

على القوس وجئت على حال حسنة ويؤيده قراءة أبي بالباء وقرئ حقيق أن لا أقول قد جئتكم
ببينة من ربكم فأرسل معي بني إسرائيل فخلهم حتى يرجعوا إلى الأرض المقدسة التي هي
وطن آبائهم وكان قد استعبدهم واستخدمهم في الأعمال قال إن كنت جئت بآية من عند
من أرسلك فأت بها فأحضرها عندي ليثبت بها صدقك فألقى عصاه فإذا هي ثعبان
مبين ظاهر أمره لا يشك في أنه ثعبان وهو الحية العظيمة روي أنه لما ألقاها صارت
ثعبانا أشعر فاغرا فاه بين لحييه ثمانون ذراعا فوضع لحيه الأسفل على الأرض والأعلى
على سور القصر ثم توجه نحو فرعون فهرب منه وأحدث وانهزم الناس مزدحمين فمات
منهم خمسة وعشرون ألفا وصاح فرعون يا موسى أنشدك بالذي أرسلك خذه وأنا أومن
بك وأرسل معك بني إسرائيل فأخذه فعاد عصا ونزع يده من جيبه أو من تحت إبطه
فإذا هي بيضاء للناظرين أي بيضاء بياضا خارجا عن العادة يجتمع عليه النظارة
أو بيضاء للنظار لا أنها كانت بيضاء في جبلتها روي أنه كان آدم شديد الأدمة فأدخل
يده في جيبه أو تحت إبطه ثم نزعها فإذا هي بيضاء نورانية غلب شعاعها شعاع الشمس
قال الملأ من قوم فرعون إن هذا لساحر عليم قيل قاله هو وأشراف قومه على سبيل التشاور
في أمره فحكي عنه في سورة الشعراء وعنهم ههنا يريد أن يخرجكم من أرضكم فماذا تأمرون تشيرون
في أن نفعل قالوا أرجه وأخاه وأرسل في المدائن حاشرين يأتوك بكل ساحر عليم كأنه اتفقت
عليه آراؤهم فأشاروا به إلى فرعون والإرجاء التأخير أي أخر أمره وأمهله أرجئه كما قرأ
أبو بكر وأبو عمرو ويعقوب من أرجأت وكذلك أرجئهو على قراءة ابن كثير على الأصل في الضمير
أو أرجهي من أرجيت كما قرأ نافع في رواية ورش وإسماعيل والكسائي وأما قراءته في رواية قالون
أرجه بحذف الياء فللاكتفاء بالكسرة عنها وقرأ حمزة وحفص أرجه بسكون الهاء لتشبيه المنفصل
بالمتصل وجعل جه كإبل في إسكان وسطه وأما قراءة ابن عامر أرجئه بالهمزة وكسر الهاء فلا يرتضيه
النحاة فإن الهاء لا تكسر إلا إذا كان قبلها كسرة أو ياء ساكنة ووجهه أن الهمزة لما كانت تقلب ياء
أجريت مجراها وقرأ حمزة والكسائي بكل سحار فيه وفي يونس ويؤيده اتفاقهم عليه في الشعراء
وجاء السحرة فرعون بعدما أرسل الشرط في طلبهم قالوا إن لنا لأجرا إن كنا نحن الغالبين
استئناف به كأنه جواب سائل قال ما قالوا إذ جاءوا وقرأ ابن كثير ونافع وحفص إن لنا
على الإخبار وإيجاب الأجر كأنهم قالوا لا بد لنا من أجر والتنكير للتعظيم قال نعم إن لكم
أجرا وإنكم لمن المقربين عطف على ما سد مسده نعم وزيادة على الجواب لتحريضهم
قالوا يا موسى إما أن تلقي وإما أن نكون نحن الملقين خيروا موسى مراعاة للأدب
أو إظهارا للجلادة ولكن كانت رغبتهم في أن يلقوا قبله فنبهوا عليها بتغيير النظم إلى ما هو أبلغ
وتعريف الخبر وتوسيط الفصل أو تأكيد ضميرهم المتصل بالمنفصل فلذلك قال ألقوا كرما
وتسامحا أو ازدراء بهم ووثوقا على شأنه فلما ألقوا سحروا أعين الناس بأن خيلوا إليها
ما الحقيقة بخلافه واسترهبوهم وأرهبوهم إرهابا شديدا كأنهم طلبوا رهبتهم وجاءوا

إن كنت من الصادقين في الدعوى مح

والنظارة القوم ينظرون إلى الشيء كالمنظرة والتخفيف بمعنى التنزه لحن قاموس

نعم

وجهوا إن لكم لأجرا

بسحر عظيم في فنه روي انهم القوا حبالا غلاظا وخشبا طوالا كانها حيات ملات
الوادي وركب بعضها بعضا واوحينا الى موسى ان الق عصاك فالقاها فصارت حية
فاذا هي تلقف ما يافكون ما يزورونه من الافك وهو الصرف وقلب الشيء عن وجهه
ويجوز ان يكون ما مصدرية وهي مع الفعل بمعنى المفعول روي انها لما تلقفت حبالهم
وعصيهم وابتلعتها باسرها اقبلت على الحاضرين فهربوا وازدحموا حتى هلك جمع عظيم ثم اخذها
موسى فصارت عصا كما كانت فقال السحرة لو كان هذا سحرا لبقيت حبالنا وعصينا فوقع
الحق فثبت لظهور امره وبطل ما كانوا يعملون من السحر والمعارضة فغلبوا هنالك
وانقلبوا صاغرين اي صاروا اذلاء مبهوتين او رجعوا الى المدينة اذلاء مقهورين والضمير لفرعون
وقومه والقي السحرة ساجدين جعلهم ملقين على وجوههم تنبيها على ان الحق بهرهم واضطرهم
الى السجود بحيث لم يبق لهم تمالك او ان الله الهمهم ذلك وحملهم عليه حتى ينكسر فرعون بالذين
اراد بهم كسر موسى وينقلب الامر عليه او مبالغة في سرعة خرورهم وشدته قالوا امنا
برب العالمين رب موسى وهرون ابدلوا الثاني من الاول لئلا يتوهم انهم ارادوا به فرعون
قال فرعون امنتم به بالله او بموسى والاستفهام فيه للانكار وقرا حمزة والكسائي وابو بكر
وروح عن يعقوب بتحقيق الهمزتين على الاصل وقرا حفص امنتم به على الاخبار
قبل ان اذن لكم ان هذا لمكر مكرتموه اي ان هذا الصنيع لحيلة احتلتموها انتم
وموسى في المدينة في مصر قبل ان تخرجوا للميعاد لتخرجوا منها اهلها يعني القبط وتخلص
لكم ولبني اسرائيل فسوف تعلمون عاقبة ما فعلتم وهو تهديد مجمل تفصيله لاقطعن
ايديكم وارجلكم من خلاف من كل شق طرفا ثم لاصلبنكم اجمعين تفضيحا لكم
وتنكيلا لامثالكم قيل انه اول من سن ذلك فشرعه الله تعالى للقطاع تعظيما لجرمهم
ولذلك سماه محاربة لله ورسوله ولكن على التعاقب لفرط رحمته قالوا انا الى ربنا
منقلبون بالموت لا محالة فلا نبالي بوعيدك او انا لمنقلبون الى ربنا وثوابه ان فعلت
بنا ذلك كانهم استطابوه شغفا على لقاء الله او مصيرنا ومصيرك الى ربنا فيحكم بيننا
وما تنقم منا وما تنكر منا الا ان امنا بايات ربنا لما جاءتنا وهو خير الاعمال واصل المناقب
ليس مما يتاتى لنا العدول عنه طلبا لمرضاتك ثم فزعوا الى الله تعالى فقالوا ربنا افرغ علينا
صبرا افض علينا صبرا يغمرنا كما يفرغ الماء او صب علينا ما يطهرنا من الاثام وهو الصبر
على وعيد فرعون وتوفنا مسلمين ثابتين على الاسلام قيل انه فعل بهم ما اوعدهم به
وقيل لم يقدر عليهم لقوله تعالى انتما ومن اتبعكما الغالبون وقال الملا من قوم فرعون
اتذر موسى وقومه ليفسدوا في الارض بتغيير الناس عليك ودعوتهم الى مخالفتك
ويذرك عطف على ليفسدوا او جواب الاستفهام بالواو كقول الحطيئة الم اك جاركم
ويكون بيني وبينكم المودة والاخاء على معنى ايكون منك ترك موسى ويكون تركه اياك
وقرئ بالرفع على انه عطف على اتذر او استئناف او حال وقرئ بالسكون كانه قيل يفسدوا

ويذرك كقوله فاصدق واكن وآلهتك معبوداتك قيل كان يعبد الكواكب وقيل
صنع لقومه اصناما وامرهم ان يعبدوها تقربا اليه ولذلك قال انا ربكم الاعلى وقرئ
الاهتك اي عبادتك قال فرعون سنقتل ابناءهم ونستحيي نساءهم كما كنا نفعل ليعلم
انا على ما كنا عليه من القهر والغلبة ولا يتوهم انه المولود الذي حكم المنجمون والكهنة
بذهاب ملكنا على يده من قبل وقرا ابن كثير ونافع سنقتل بالتخفيف وانا فوقهم
قاهرون غالبون وهم مقهورون تحت ايدينا قال موسى لقومه استعينوا بالله
واصبروا لما سمعوا قول فرعون وتضجروا منه تسكينا لهم ان الارض لله يورثها
من يشاء من عباده تسلية لهم وتقرير للامر بالاستعانة بالله والتثبت في الامر و
العاقبة للمتقين وعد لهم بالنصرة وتذكير لما وعدهم من اهلاك القبط وتوريثهم ديارهم
وتحقيق له وقرئ والعاقبة بالنصب عطفا على اسم ان واللام في الارض يحتمل العهد والجنس قالوا
اي بنو اسرائيل اوذينا من قبل ان تاتينا بالرسالة بقتل الابناء ومن بعد ما جئتنا
باعادته قال عسى ربكم ان يهلك عدوكم ويستخلفكم في الارض تصريحا بما كنى عنه اولا لما راى
انهم لم يتسلوا بذلك ولعله اتى بفعل الطمع لعدم جزمه بانهم المستخلفون باعيانهم او اولادهم
وقد روي ان مصر انما فتح لهم في زمن داود عليه السلام فينظر كيف تعملون فيرى ما تعملون من
شكر وكفران وطاعة وعصيان ليجازيكم على حسب ما يوجد منكم ولقد اخذنا آل فرعون
بالسنين بالجدوب لقلة الامطار والمياه والسنة غلبت على عام القحط لكثرة ما يذكر عنه ويؤرخ
به ثم اشتق منها فقيل اسنت القوم اذا قحطوا ونقص من الثمرات بكثرة العاهات
لعلهم يذكرون لكي يتنبهوا على ان ذلك بشؤم كفرهم ومعاصيهم فيتعظوا او ترق قلوبهم
بالشدائد فيفزعوا الى الله ويرغبوا فيما عنده فاذا جاءتهم الحسنة من الخصب والسعة
قالوا لنا هذه لاجلنا ونحن مستحقوها وان تصبهم سيئة جدب وبلاء يطيروا بموسى
ومن معه يتشاءموا بهم ويقولوا ما اصابتنا الا بشؤمهم وهذا اغراق في وصفهم بالغباوة
والقساوة فان الشدائد ترقق القلوب وتذلل العرائك وتزيل التماسك سيما بعد مشاهدة
الايات وهي لم تؤثر فيهم بل زادوا عندها عتوا وانهماكا في الغي وانما عرف الحسنة وذكرها
مع اداة التحقيق لكثرة وقوعها وتعلق الارادة باحداثها بالذات ونكر السيئة واتى بها مع
حرف الشك لندورها وعدم القصد لها الا بالتبع الا انما طائرهم عند الله اي سبب
خيرهم وشرهم عنده وهو حكمه ومشيئته او سبب شؤمهم عند الله وهو اعمالهم المكتوبة عنده
فانها التي ساقت اليه ما يسوءهم وقرئ انما طيرهم وهو اسم الجمع وقيل هو جمع ولكن اكثرهم
لا يعلمون ان ما يصيبهم من الله تعالى او من شؤم اعمالهم وقالوا مهما اصلها ما الشرطية ضمت
اليها ما المزيدة للتاكيد ثم قلبت الفها هاء استثقالا للتكرير وقيل مركبة من مه الذي يصوت
به الكاف وما الجزائية ومحلها الرفع على الابتداء او النصب بفعل يفسره تاتنا به اي اي شيء
تحضرنا تاتنا به من آية بيان لمهما وانما سموها آية على زعم موسى لا لاعتقادهم ولذلك قالوا لتسحرنا

لتسحرنا بها فما نحن لك بمؤمنين اى لتسحر بها اعيننا وتشبه علينا والضمير في به وبها لما ذكره
قبل التبيين اعتبارا باللفظ وانثه بعده باعتبار المعنى فارسلنا عليهم الطوفان ما طاف
بهم وغشي اماكنهم وحروثهم من مطر او سيل وقيل الجدري وقيل الموتان وقيل
الطاعون والجراد والقمل قيل هو كبار القردان وقيل اولاد الجراد قبل
نبات اجنحتها والضفادع والدم روى انهم مطروا ثمانية ايام في ظلمة شديدة
لا يقدر احد ان يخرج من بيته ودخل الماء بيوتهم حتى قاموا فيه الى تراقيهم وكانت
بيوت بني اسرائيل مشتبكة ببيوتهم ولم يدخل فيها قطرة وركد على اراضيهم فمنعهم
من الحرث والتصرف فيها ودام ذلك عليهم اسبوعا فقالوا لموسى ادع لنا ربك يكشف عنا
ونحن نؤمن بك فدعا فكشف عنهم ونبت لهم من الكلأ والزرع ما لم يعهد مثله ولم
يؤمنوا فبعث الله عليهم الجراد فاكلت زروعهم وثمارهم ثم اخذت تاكل الابواب والسقوف
والثياب ففزعوا اليه ثانيا فدعا وخرج الى الصحراء واشار بعصاه نحو المشرق والمغرب فرجعت
الى النواحي التي جاءت منها فلم يؤمنوا فسلط الله عليهم القمل فاكل ما ابقاه الجراد وكان يقع في اطعمتهم و
يدخل بين اثوابهم وجلودهم فيمصها ففزعوا اليه فرفع عنهم فقالوا قد تحققنا الآن انك ساحر
ثم ارسل الله عليهم الضفادع بحيث لا يكشف ثوب ولا طعام الا وجدت فيه وكانت تمتلئ
منها مضاجعهم وتثب الى قدورهم وهي تغلي والى افواههم عند التكلم ففزعوا اليه وتضرعوا
فاخذ عليهم العهود ودعا فكشف الله عنهم فنقضوا العهد ثم ارسل الله عليهم الدم فصارت
مياههم دما حتى كان يجتمع القبطي مع الاسرائيلي على اناء فيكون ما يليه دما وما يلي الاسرائيلي
ماء ويمص الماء من فم الاسرائيلي فيصير دما في فيه وقيل سلط الله عليهم الرعاف آيات
نصب على الحال مفصلات مبينات لا يشكل على عاقل انها آيات الله ونقمته عليهم
او مفصلات لامتحان احوالهم اذ كان بين كل آيتين منها شهر وكان امتداد كل
واحدة اسبوعا وقيل ان موسى لبث فيهم بعد ما غلب السحرة عشرين سنة يريهم هذه الآيات
على مهل فاستكبروا عن الايمان وكانوا قوما مجرمين ولما وقع عليهم الرجز يعني
العذاب المفصل او الطاعون الذي ارسله الله عليهم بعد ذلك قالوا يا موسى ادع لنا ربك بما عهد
عندك بعهده عندك وهو النبوة او بالذي عهده اليك ان تدعوه به فيجيبك كما اجابك
في آياتك وهو صلة لادع او حال من الضمير فيه بمعنى ادع الله متوسلا اليه بما عهد عندك او
متعلق بفعل محذوف دل عليه التماسهم مثل اسعفنا الى ما نطلب منك بحق ما عهد عندك
او قسم مجاب بقوله لئن كشفت عنا الرجز لنؤمنن لك ولنرسلن معك بني اسرائيل
اى اقسمنا بعهد الله عندك لئن كشفت عنا الرجز لنؤمنن ولنرسلن فلما كشفنا عنهم
الرجز الى اجل هم بالغوه الى حد من الزمان هم بالغوه فمعذبون فيه او مهلكون
وهو وقت الغرق او الموت وقيل الى اجل عينوه لايمانهم اذا هم ينكثون جواب لما
اى فلما كشفنا عنهم فاجؤوا النكث من غير توقف وتامل فيه فانتقمنا منهم فاردنا الانتقام

منهم

منهم فاغرقناهم في اليم اي البحر الذي لا يدرك قعره وقيل لجته بانهم كذبوا باياتنا
وكانوا عنها غافلين اي كان اغراقهم بسبب تكذيبهم بالايات وعدم فكرهم فيها حتى
صاروا كالغافلين عنها وقيل الضمير للنقمة المدلول عليها بقوله فانتقمنا واورثنا القوم
الذين كانوا يستضعفون بالاستبعاد وذبح الابناء من مستضعفيهم مشارق
الارض ومغاربها يعني ارض الشام ملكها بنو اسرائيل بعد الفراعنة والعمالقة
وتمكنوا في نواحيها التي باركنا فيها بالخصب وسعة العيش وتمت كلمة ربك
الحسنى على بني اسرائيل ومضت عليهم واتصلت بالانجاز عدته اياهم بالنصر والتمكين وهو
قوله ونريد ان نمن الى قوله ما كانوا يحذرون وقرئ كلمات ربك لتعدد المواعيد
بما صبروا بسبب صبرهم على الشدائد ودمرنا وخربنا ما كان يصنع فرعون وقومه
من القصور والعمارات وما كانوا يعرشون من الجنات او ما كانوا يرفعون من
البنيان كصرح هامان وقرا ابن عامر وابو بكر يعرشون بالضم وهذا اخر قصة فرعون
وقومه وقوله وجاوزنا ببني اسرائيل البحر وما بعده ذكر ما احدثه بنو اسرائيل من
الامور الشنيعة بعد ان من الله عليهم بالنعم الجسام واراهم من الايات العظام تسلية
لرسول الله مما راى منهم وايقاظا للمؤمنين حتى لا يغفلوا عن محاسبة انفسهم ومراقبة
احوالهم روي ان موسى عليه السلام عبر بهم يوم عاشوراء بعد مهلك فرعون وقومه فصاموه
شكرا فاتوا على قوم فمروا عليهم يعكفون على اصنام لهم يقيمون على عبادتها قيل
كانت تماثيل بقر وذلك اول شان العجل والقوم كانوا من العمالقة الذين امر موسى
بقتالهم وقيل من لخم وقرا حمزة والكسائي يعكفون بالكسر قالوا يا موسى اجعل
لنا الها صنما نعكف عليه كما لهم الهة يعبدونها وما كافة للكاف قال انكم قوم تجهلون
وصفهم بالجهل المطلق واكده لبعد ما صدر عنهم بعد ما راوا من الايات الكبرى عن العقل
ان هؤلاء اشارة الى القوم متبر مكسر مدمر ما هم فيه يعني ان الله يهدم دينهم الذي
هم عليه ويحطم اصنامهم ويجعلها رضاضا وباطل مضمحل ما كانوا يعملون من عبادتها
وان قصدوا بها التقرب الى الله تعالى وانما بالغ في هذا الكلام بايقاع هؤلاء اسم ان والاخبار
عما هم فيه بالتبار وعما فعلوا بالبطلان وتقديم الخبرين في الجملتين الواقعتين خبرا
لان للتنبيه على ان الدمار لاحق لما هم فيه لا محالة وان الاحباط الكلي لازب لما مضى
عنهم تنفيرا وتحذيرا عما طلبوا قال اغير الله ابغيكم الها اطلب لكم معبودا وهو فضلكم
على العالمين والحال انه خصكم بنعم لم يعطها غيركم وفيه تنبيه على سوء مقابلتهم حيث قابلوا
تخصيص الله اياهم من امثالهم بما لم يستحقوه تفضلا بان قصدوا ان يشركوا به اخس شيء
من مخلوقاته واذ انجيناكم من ال فرعون واذكروا صنيعه معكم في هذا الوقت وقرا
ابن عامر انجاكم يسومونكم سوء العذاب استئناف لبيان ما انجاهم او حال من المخاطبين
او من ال فرعون او منهما يقتلون ابناءكم ويستحيون نساءكم بدل منه وفي ذلكم
مبين

قوله عز وجل فادع لنا ربك بما عهد عندك فسره البيضاوي رحمه الله
على خمسة وجوه حيث اشار الى الوجه الاول بقوله بعهده عندك وهو النبوة
يعني لفظة ما مصدرية فالمراد من العهد النبوة والبا متعلقة بادع فيكون معناه طلب الدعا
منه عليه السلام مطلقا اعم من توسله الى نبوته او الى ما عهده تعالى من اجابة دعوته اذا دعا
او لم يتوسل بل طلبهم منه عليه السلام بقصر النظر والاعتبار الى كونه نبيا ومقبولا عند الله تعالى
اذ من كان نبيا فلا محالة يكون مستجاب الدعوة البتة كما ان الناس يطلبون الدعا
ويلتمسون من العلما والمشايخ لكونهم ذوات القوة القدسية والنفوس العلية في اعتقاد الناس
وفي نظر العامة وقوم فرعون لا شك انهم من احاد الناس فصدر الكلام نطلب منك الدعا
بنبوتك وعزو جاهك وقدرك

ويحتمل ان يكون بما عهد الخ قسما استعطافيا وقوله ادع لنا جواب للقسم فيكون
تقدير الكلام اقسمت بنبوتك ادع لنا اي ادع لنا بحق نبوتك كما يقال علمني بحياتك
لكنه هذا الوجه خلاف ظاهر عبارة البيضاوي لانه قال ان البا متعلقة بادع
حيث قال وصلته البا ادع وكونه قسما استعطافيا يتوقف ان يكون متعلقة باقسمنا المحذوف
وجعلها صلة لادع معنى لا لفظا خلاف ظاهر عبارته رحمه الله بل الظاهر ان تكون صلة له
لفظا كما قررنا في الوجه الاول ويكون هذا الوجه وجه ثان من وجوه تفسيره رحمه الله

والوجه الثالث ان يكون المراد بالعهد العهد الذي عهده اليه ان يدعو به فيجيب دعوته
كما اجاب لي دعا اياته ونجاته فعلى هذا التقدير تكون البا متعلقة بالمحذوف اعني متوسلا
ويكون بما عهد حالا من ضمير انت في ادع فتقدير الكلام ادع لنا متوسلا بالعهد الذي
عهده تعالى اليك ان تدعوا فذلك يجيب دعاءك كما اشار رحمه الله الى هذا الوجه
بقوله او حال الخ بعد قوله او بالذي عهده اليك الخ

والوجه الرابع ان يكون قوله بما عهد عندك قسما استعطافيا والبا متعلقة حقيقة بالمحذوف
اعني اقسمت ومتعلقة معنى بمثل اسعفنا المحذوف فيكون اسعفنا جواب القسم
فالتقدير اقسمت بما عندك من العهد اي بحق ما عندك من النبوة اسعفنا الى ما نطلب منك
كما يقال اخبرنا بحياتك فاشار رحمه الله الى هذا الوجه بقوله او متعلقة بمحذوف دل عليه
التماسهم مثل اسعفنا الى ما نطلب منك بحق ما عهد عندك ومعنى قوله تعالى ادع لنا
نحو طلب الدعا وما بعده تاكيد بالقسم في الاسعاف وقضاء الحاجات يعني
فيكون المقام مقام الالتماس بل محل الضجرة والاضطراب من تراكم العذاب عليهم
طلبوا الدعا منه او لانهم اقسموا بما عهده تعالى عنده في الاسعاف وقضاء الحاجة
فيكون تقدير الكلام ادع لنا يا موسى بحق ما عهده تعالى عندك اسعفنا فيما نطلب
فعلى هذا لا يتوجه عليه اعتراض المحشي سعدي چلبي عليه الرحمة بقوله ولا شك ان قوله ادع
[redacted] يصلح للجواب لذلك القسم فاي حاجة الى اعتبار الحذف انتهى
[redacted]
والوجه الخامس

والوجه الخامس ان يكون البا للقسم
وقوله تعالى لنؤمنن بك جواب للقسم
وقوله لئن كشفت فتقدير الكلام
كقولنا بالله لان جئتني لاكرمتك لان
اقسمنا بنبوتك او بعهد الله عندك لئن كشفت
عنا الرجز والعذاب لنؤمنن بك فيكون اللام
موطئة للقسم كما اشار اليه رحمه الله تعالى
او قسم مجاب بقوله لئن كشفت ولنؤمنن بك
اي اقسمت بعهد الله عندك لئن كشفت الخ
فلما كان كلام البيضاوي في هذا المقام في غاية الدقة
عسير الفهم والاستخراج فكشفته والبيان
ورتبت ما تيسر لنا في الفهم والاطلاع
حفظه الله تعالى

بلاء من ربكم عظيم وفي الانجاء او العذاب نعمة او محنة عظيمة وواعدنا موسى ثلثين ليلة
ذا القعدة وقرا ابو عمرو ويعقوب ووعدنا واتممناها بعشر من ذي الحجة فتم ميقات
ربه اربعين ليلة بالغا اربعين روي انه عليه السلام وعد بني اسرائيل بمصر ان ياتيهم بعد مهلك
فرعون بكتاب من الله فيه بيان ما ياتون وما يذرون فلما هلك ساله ربه فامره
بصوم ثلثين فلما اتم انكر خلوف فيه فتسوك فقالت الملائكة كنا نشم منك رائحة
المسك فافسدته بالسواك فامره الله ان يزيد عليه عشرا وقيل امره بان يتخلى ثلثين
بالصوم والعبادة ثم انزل عليه التورية في العشر وكلمه فيها وقال موسى لاخيه هرون
اخلفني في قومي كن خليفتي فيهم واصلح ما يجب ان يصلح من امورهم او كن مصلحا و
لا تتبع سبيل المفسدين ولا تتبع من سلك الافساد ولا تطع من دعاك اليه ولما
جاء موسى لميقاتنا لوقتنا الذي وقتناه واللام للاختصاص اي اختص مجيئه بميقاتنا
وكلمه ربه من غير وسط كما يكلم الملائكة وفيما روي ان موسى عليه السلام كان يسمع ذلك
الكلام من كل جهة تنبيه على ان سماع كلامه القديم ليس من جنس سماع كلام المحدثين
قال رب ارني انظر اليك ارني نفسك بان تمكنني من رؤيتك او تتجلى لي فانظر اليك
واراك وهو دليل على ان رؤيته تعالى جائزة في الجملة لان طلب المستحيل من الانبياء محال وخصوصا ما
يقتضي الجهل بالله ولذلك رده بقوله لن تراني دون لن ارى ولن اريك ولن تنظر الي
تنبيها على انه قاصر عن رؤيته لتوقفها على معد في الرائي لم يوجد فيه بعد وجعل السؤال
لتبكيت قومه الذين قالوا ارنا الله جهرة خطا اذ لو كانت الرؤية ممتنعة لوجب ان يجهلهم
ويزيح شبهتهم كما فعل بهم حين قالوا اجعل لنا الها ولا يتبع سبيلهم كما قال لاخيه ولا تتبع سبيل
المفسدين والاستدلال بالجواب على استحالتها اشد خطا اذ لا يدل الاخبار عن عدم
رؤيته اياه على ان لا يراه ابدا وان لا يراه غيره اصلا فضلا عن ان يدل على استحالته
ودعوى الضرورة فيه مكابرة او جهالة بحقيقة الرؤية قال لن تراني ولكن انظر الى
الجبل فان استقر مكانه فسوف تراني استدراك يريد ان يبين به انه لا يطيقه
وفي تعليق الرؤية بالاستقرار ايضا دليل الجواز ضرورة ان المعلق على الممكن ممكن
والجبل قيل جبل زبير فلما تجلى ربه للجبل ظهر له عظمته وتصدى له اقتداره وامره
وقيل اعطى له حيوة ورؤية حتى رآه جعله دكا مدكوكا مفتتا والدق والدك اخوان
كالشك والشق وقرا حمزة والكسائي دكاء اي ارضا مستوية ومنه ناقة دكاء للتي
لا سنام لها وقرئ دكا اي قطعا دكا جمع داك وخر موسى صعقا مغشيا عليه من هول
ما راى فلما افاق قال تعظيما لما راى سبحانك تبت اليك من الجرأة والاقدام على السؤال
بغير اذن وانا اول المؤمنين مر تفسيره وقيل معناه انا اول من آمن بانك لا ترى
في الدنيا قال يا موسى اني اصطفيتك اخترتك على الناس اي الموجودين في زمانك
وهرون وان كان نبيا كان مامورا باتباعه ولم يكن كليما ولا صاحب شرع برسالاتي يعني

لما طلب موسى عليه السلام الرؤية ومنعه الله تعالى عدد عليه وجوه
نعمه كانه قال ان كنت منعتك الرؤية فانظر الى انواع النعم التي خصصتك
بها واشتغل بشكرها والمراد تسلية موسى عليه عن منع الرؤية

ابن عادل

اسفار التورية وقرا ابن كثير ونافع برسالتي وبكلامي وبتكليمي اياك فخذ ما آتيتك اعطيتك
من الرسالة وكن من الشاكرين على النعمة فيه روي ان سؤال الرؤية كان يوم عرفة واعطاء
التورية يوم النحر وكتبنا له في الالواح من كل شيء مما يحتاجون اليه من امر الدين
موعظة وتفصيلا لكل شيء بدل من الجار والمجرور اي كتبنا كل شيء من المواعظ و
تفصيل الاحكام واختلف في ان الالواح كانت عشرة او سبعة وكانت من زمرد
او زبرجد او ياقوت احمر او صخرة صماء لينها الله لموسى فقطعها بيده او شققها باصابعه
وكان فيها التورية او غيرها فخذها على اضمار القول عطفا على كتبنا او بدل من قوله فخذ
ما آتيتك والهاء للالواح او لكل شيء فانه بمعنى الاشياء او للرسالات بقوة بجد وعزيمة
وامر قومك ياخذوا باحسنها اي باحسن ما فيها كالصبر والعفو بالاضافة الى الانتصار
والاقتصاص على طريقة الندب والحث على الافضل كقوله واتبعوا احسن ما انزل اليكم
او بواجباتها فان الواجب احسن من غيره ويجوز ان يراد بالاحسن البالغ في الحسن مطلقا
لا بالاضافة وهو المامور به كقولهم الصيف احر من الشتاء سأريكم دار الفاسقين دار
فرعون وقومه بمصر خاوية على عروشها او منازل عاد وثمود واضرابهم لتعتبروا فلا
تفسقوا او دارهم في الآخرة وهي جهنم وقرئ سأوريكم بمعنى سابين لكم من اوريت
الزند وسأورثكم ويؤيده قوله واورثنا القوم سأصرف عن آياتي المنصوبة في الآفاق والانفس
الذين يتكبرون في الارض بالطبع على قلوبهم فلا يتفكرون فيها ولا يعتبرون بها وقيل سأصرفهم
عن ابطالها وان اجتهدوا كما فعل فرعون فعاد عليه باعلائها او باهلاكهم بغير الحق صلة يتكبرون
اي يتكبرون بما ليس بحق وهو دينهم الباطل او حال من فاعله وان يروا كل آية منزلة او معجزة
لا يؤمنوا بها لعنادهم او اختلال العقل بسبب انهماكهم في الهوى والتقليد وهو يؤيد الوجه
الاول وان يروا سبيل الرشد لا يتخذوه سبيلا لاستيلاء الشيطنة عليهم وقرا حمزة و
الكسائي الرشد بفتحتين وقرئ الرشاد وثلثتها لغات كالسقم والسقم والسقام وان يروا سبيل
الغي يتخذوه سبيلا ذلك بانهم كذبوا باياتنا وكانوا عنها غافلين اي ذلك الصرف بسبب
تكذيبهم وعدم تدبرهم للآيات ويجوز ان ينصب ذلك على المصدر اي سأصرف ذلك الصرف
بسببهما والذين كذبوا باياتنا ولقاء الآخرة اي ولقائهم الدار الآخرة او ما وعد الله في الآخرة
حبطت اعمالهم لا ينتفعون بها هل يجزون الا ما كانوا يعملون الا جزاء اعمالهم واتخذ قوم
موسى من بعده من بعد ذهابه للميقات من حليهم التي استعاروا من القبطيين حين هموا
بالخروج من مصر واضافتها اليهم لانها كانت في ايديهم او ملكوها بعد هلاكهم وهو جمع حلي كثدي
وثدي وقرا حمزة والكسائي بالكسر بالاتباع كدلي ويعقوب على الافراد عجلا جسدا بدنا
ذا لحم ودم او جسدا من الذهب خاليا من الروح ونصبه على البدل له خوار صوت البقر
روي ان السامري لما صاغ العجل القى في فمه من تراب اثر فرس جبريل فصار حيا وقيل
صاغه بنوع من الحيل فيدخل الريح جوفه ويصوت وانما نسب الاتخاذ اليهم وهو

بعله اما لانهم رضوا به او لان المراد اتخاذهم اياه الها وقرئ جؤار اي صياح الم يروا انه
لا يكلمهم ولا يهديهم سبيلا تقريع على فرط ضلالتهم واخلالهم بالنظر والمعنى الم يروا
حين اتخذوه الها انه لا يقدر على كلام ولا على ارشاد سبيل كآحاد البشر حتى حسبوا انه خالق
الاجسام والقوى والقدر اتخذوه تكرير للذم اي اتخذوه الها وكانوا ظالمين
واضعين الاشياء في غير مواضعها فلم يكن اتخاذ العجل بدعا منهم ولما سقط في ايديهم كناية
عن اشتداد ندمهم فان النادم المتحسر يعض يده غما فتصير يده مسقوطا فيها وقرئ سقط
على بناء الفاعل بمعنى وقع العض فيها وقيل معناه سقط الندم في انفسهم ورأوا وعلموا
انهم قد ضلوا باتخاذ العجل قالوا لئن لم يرحمنا ربنا بانزال التوبة ويغفر لنا بالتجاوز
عن الخطيئة لنكونن من الخاسرين وقراهما حمزة والكسائي بالتاء وربنا على النداء ولما رجع
موسى الى قومه غضبان اسفا شديد الغضب وقيل حزينا قال بئسما خلفتموني من
بعدي فعلتم بعدي حيث عبدتم العجل والخطاب للعبدة او قمتم مقامي فلم تكفوا العبدة
والخطاب لهرون والمؤمنين معه وما نكرة موصوفة تفسر المستكن في بئس والمخصوص
بالذم محذوف تقديره بئس خلافة خلفتمونيها من بعدي خلافتكم ومعنى من بعدي من بعد
انطلاقي او من بعد ما رأيتم مني من التوحيد والتنزيه والحمل عليه والكف عما ينافيه اعجلتم
امر ربكم اتركتموه غير تام كأنه ضمن عجل معنى سبق فعدي تعديته او اعجلتم وعد
ربكم الذي وعدنيه من الاربعين وقدرتم موتي وغيرتم بعدي كما غيرت الامم
بعد انبيائهم والقى الالواح طرحها من شدة الغضب وفرط الضجرة حمية للدين روي
ان التوراة كانت سبعة اسباع في سبعة الواح فلما القاها انكسرت فرفع ستة اسباعها
وكان فيها تفصيل كل شيء وبقي سبع كان فيه المواعظ والاحكام واخذ براس اخيه بشعر
راسه يجره اليه توهما بانه قصر في كفهم وهرون كان اكبر منه بثلث سنين وكان
حمولا لينا ولذلك كان احب الى بني اسرائيل قال ابن ام ذكر الام ليرققه عليه وكانا من
اب وام وقرا ابن عامر وحمزة والكسائي وابو بكر عن عاصم يا ابن ام بالكسر واصله يا ابن امي
فحذف الياء اكتفاء بالكسرة تخفيفا كالمنادى المضاف الى الياء وقرا الباقون بالفتح
زيادة في التخفيف لطوله او تشبيها بخمسة عشر ان القوم استضعفوني وكادوا يقتلونني
ازاحة لتوهم التقصير في حقه والمعنى بذلت وسعي في كفهم حتى قهروني واستضعفوني
وقاربوا قتلي فلا تشمت بي الاعداء فلا تفعل بي ما يشمتون بي لاجله ولا تجعلني مع القوم
الظالمين معدودا في عدادهم بالمؤاخذة او نسبة التقصير قال رب اغفر لي ما صنعت
باخي ولاخي ان فرط في كفهم ضم اليه نفسه في الاستغفار ترضية له ودفعا للشماتة
عنه وادخلنا في رحمتك بمزيد الانعام علينا وانت ارحم الراحمين فانت ارحم بنا منا
على انفسنا ان الذين اتخذوا العجل سينالهم غضب من ربهم وهو ما امرهم به
من قتل انفسهم وذلة في الحيوة الدنيا وهي خروجهم من ديارهم وقيل الجزية

وكذلك

وكذلك نجزي المفترين على الله ولا فرية اعظم من فريتهم هذا الهكم واله موسى
ولعله لم يفتر مثلها احد قبلهم ولا بعدهم والذين عملوا السيئات من الكفر والمعاصي
ثم تابوا من بعدها من بعد السيئات وامنوا واشتغلوا بالايمان وما هو مقتضاه
من الاعمال الصالحة ان ربك من بعدها من بعد التوبة لغفور رحيم وان
عظم الذنب كجريمة عبدة العجل وكثر كجرائم بني اسرائيل ولما سكت سكن وقد
قرئ به عن موسى الغضب باعتذار هرون او بتوبتهم وفي هذا الكلام مبالغة
وبلاغة من حيث انه جعل الغضب الحامل له على ما فعل كالامر به والمغري عليه
حتى عبر عن سكونه بالسكوت وقرئ سكت واسكت على ان المسكت هو الله او اخوه
او الذين تابوا اخذ الالواح التي القاها وفي نسختها وفيما نسخ فيها اي كتب فعلة
بمعنى مفعول كالخطبة وقيل فيما نسخ منها اي من الالواح المنكسرة هدى بيان للحق
ورحمة ارشاد الى الصلاح والخير للذين هم لربهم يرهبون دخلت اللام
في المفعول لضعف الفعل بالتأخر او حذف المفعول واللام للتعليل والتقدير يرهبون
معاصي الله لربهم واختار موسى قومه اي من قومه فحذف الجار واوصل الفعل
اليه سبعين رجلا لميقاتنا فلما اخذتهم الرجفة روي انه تعالى امره ان يأتيه في سبعين
من بني اسرائيل فاختار من كل سبط ستة فزاد اثنان فقال ليتخلف منكم رجلان فتشاحوا
فقال ان لمن قعد اجر من خرج فقعد كالب ويوشع وذهب مع الباقين فلما دنوا
من الجبل غشيه غمام فدخل موسى بهم الغمام وخروا سجدا فسمعوه يكلم
موسى يأمره وينهاه ثم انكشف الغمام فاقبلوا اليه وقالوا لن نؤمن لك حتى نرى
الله جهرة فاخذتهم الرجفة اي الصاعقة او رجفة الجبل فصعقوا منها قال رب
لو شئت اهلكتهم من قبل واياي تمنى هلاكهم وهلاكه قبل ان يرى ما رأى بسبب
آخر او عنى به انك قدرت على اهلاكهم قبل ذلك بحمل فرعون على اهلاكهم او
اغراقهم في البحر وغيرهما فترحمت عليهم بالانقاذ منها فان ترحمت عليهم مرة اخرى
لم يبعد من عميم احسانك اتهلكنا بما فعل السفهاء منا من العناد والتجاسر
على طلب الرؤية وكان ذلك قاله بعضهم وقيل المراد بما فعل السفهاء عبادة العجل
والسبعون اختارهم موسى لميقات التوبة عنها فغشيتهم هيبة قلقوا منها ورجفوا
حتى كادت تبين مفاصلهم واشرفوا على الهلاك فخاف عليهم موسى فبكى ودعا فكشفها الله
عنهم ان هي الا فتنتك ابتلاؤك حين اسمعتهم كلامك حتى طمعوا في الرؤية او اوجدت
في العجل خوارا فزاغوا به تضل بها من تشاء ضلالته بالتجاوز عن حده او باتباع
المخايل وتهدي من تشاء هدايته فيقوى بها ايمانه انت ولينا القائم بامرنا فاغفر لنا
بمغفرة ما قارفنا وارحمنا وانت خير الغافرين تغفر السيئة وتبدلها بالحسنة
واكتب لنا في هذه الدنيا حسنة حسن معيشة وتوفيق طاعة وفي الاخرة

الجنة انا هدنا اليك تبنا اليك من هاد يهود اذا رجع وقرئ بالكسر من هاده يهيده
اذا أماله ويحتمل ان يكون مبنيا للفاعل وللمفعول بمعنى أملنا انفسنا او أملنا اليك
ويجوز ان يكون المضموم ايضا مبنيا للمفعول منه على لغة من يقول عود المريض
قال عذابي اصيب به من اشاء تعذيبه ورحمتي وسعت كل شيء في الدنيا
المؤمن والكافر بل المكلف وغيره فسأكتبها فسأثبتها في الآخرة او فاكتبها كتبة
خاصة منكم يا بني اسرائيل للذين يتقون الكفر والمعاصي ويؤتون الزكاة خصها
بالذكر لانافتها ولانها كانت اشق عليهم والذين هم بآياتنا يؤمنون فلا يكفرون
بشيء منها الذين يتبعون الرسول النبي مبتدأ خبره يأمرهم او خبر مبتدأ تقديره
هم الذين او بدل من الذين يتقون بدل البعض او الكل والمراد من آمن منهم
بمحمد صلعم وانما سماه رسولا بالاضافة الى الله ونبيا بالاضافة الى العباد الامي
الذي لا يكتب ولا يقرأ وصفه به تنبيها على ان كمال علمه مع حاله احدى معجزاته
الذي يجدونه مكتوبا عندهم في التورية والانجيل اسما وصفة يأمرهم
بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحل لهم الطيبات مما حرم عليهم كالشحوم
ويحرم عليهم الخبائث كالدم ولحم الخنزير او كالربوا والرشوة ويضع عنهم اصرهم
والاغلال التي كانت عليهم ويخفف عنهم ما كلفوا من التكاليف الشاقة كتعيين
القصاص في العمد والخطا وقطع الاعضاء الخاطئة وقرض موضع النجاسة واصل
الاصر الثقل الذي يأصر صاحبه اي يحبسه من الحراك لثقله فالذين آمنوا به وعزروه
وعظموه بالتقوية وقرئ بالتخفيف واصله المنع ومنه التعزير ونصروه واتبعوا
النور الذي انزل معه اي مع نبوته يعني القرآن وانما سماه نورا لانه باعجازه
ظاهر امره مظهر غيره او لانه كاشف الحقائق مظهر لها ويجوز ان يكون معه
متعلقا باتبعوا اي واتبعوا النور المنزل مع اتباع النبي فيكون اشارة
الى اتباع الكتاب والسنة اولئك هم المفلحون الفائزون بالرحمة الابدية
ومضمون الاية جواب دعاء موسى قل يا ايها الناس اني رسول الله
اليكم الخطاب عام وكان رسول الله صلعم مبعوثا الى كافة الثقلين وسائر الرسل
الى اقوامهم جميعا حال من اليكم الذي له ملك السموات والارض صفة
لله وان حيل بينهما بما هو متعلق المضاف اليه لانه كالمتقدم عليه او مدح
منصوب او مرفوع او مبتدأ خبره لا اله الا هو وهو على الوجوه الاول
بيان لما قبله فان من ملك العالم كان هو الاله لا غيره وفي يحيي ويميت مزيد
تقرير لاختصاصه بالالوهية فآمنوا بالله ورسوله النبي الامي الذي يؤمن بالله
وكلماته ما انزل عليه وعلى سائر الرسل من كتبه ووحيه وقرئ وكلمته على ارادة
الجنس او القرآن او عيسى تعريضا لليهود وتنبيها على ان من لم يؤمن به لم يعتبر ايمانه

وانما عدل عن التكلم الى الغيبة لاجراء هذه الصفات الداعية الى الايمان والاتباع له
واتبعوه لعلكم تهتدون جعل رجاء الاهتداء اثر الامرين تنبيها على ان من
صدقه ولم يتابعه بالتزام شرعه فهو بعد في خطط الضلالة ومن قوم موسى يعني
بني اسرائيل امة يهدون بالحق يهدون الناس محقين او بكلمة الحق وبه بالحق يعدلون
بينهم في الحكم والمراد بها الثابتون على الايمان القائمون بالحق من اهل زمانه اتبع
ذكرهم ذكر اضدادهم على ما هو عادة القرآن تنبيها على ان تعارض الخير والشر وتزاحم
اهل الحق والباطل امر مستمر وقيل مؤمنوا اهل الكتاب وقيل قوم وراء الصين
راهم رسول الله صلعم ليلة المعراج فآمنوا به وقطعناهم وصيرناهم قطعا متميزا بعضهم عن
بعض اثنتي عشرة اسباطا مفعول ثان لقطع فانه متضمن معنى صير او حال وتأنيثه للحمل
على الامة او القطعة اسباطا بدل منه ولذلك جمع او تمييز له على ان كل واحدة من اثنتي
عشرة اسباط فكانه قيل اثنتي عشرة قبيلة وقرئ بكسر الشين واسكانها واوحينا الى موسى
اذ استسقاه قومه في التيه ان اضرب بعصاك الحجر فانبجست اي فضرب فانبجست وحذفه
للايماء على ان موسى لم يتوقف في الامتثال وان ضربه لم يكن مؤثرا يتوقف عليه
الفعل في ذاته منه اثنتا عشرة عينا قد علم كل اناس كل سبط مشربهم وظللنا عليهم الغمام
ليقيهم حر الشمس وانزلنا عليهم المن والسلوى كلوا وقلنا لهم كلوا من طيبات ما رزقناكم
وما ظلمونا ولكن كانوا انفسهم يظلمون سبق تفسيره في سورة البقرة واذ قيل لهم اسكنوا
هذه القرية باضمار اذكر والقرية بيت المقدس وكلوا منها حيث شئتم وقولوا حطة وادخلوا
الباب سجدا مثل ما في البقرة معنى غير ان قوله فكلوا فيها بالفاء افاد تسبب سكناهم للاكل
منها ولم يتعرض له ههنا اكتفاء بذكره ثمة او بدلالة الحال عليه واما تقديم قولوا على
وادخلوا فلا اثر له في المعنى لانه لا يوجب الترتيب وكذا الواو العاطفة بينهما نغفر لكم
خطيئاتكم سنزيد المحسنين وعد بالغفران والزيادة عليه بالاثابة وانما اخرج الثاني
مخرج الاستيناف للدلالة على انه تفضل محض ليس في مقابلة ما امروا به وقرأ نافع
وابن عامر ويعقوب تغفر بالتاء والبناء للمفعول وخطيئاتكم بالجمع والرفع غير ابن عامر
فانه وحد وقرأ ابو عمرو خطاياكم فبدل الذين ظلموا منهم قولا غير الذي قيل لهم فارسلنا
عليهم رجزا من السماء بما كانوا يظلمون مضى تفسيره فيها واسألهم للتقرير والتقريع بقديم
كفرهم وعصيانهم والاعلام بما هو من علومهم التي لا تعلم الا بتعليم او وحي ليكون لك معجزة
عليهم عن القرية عن خبرها وما وقع باهلها التي كانت حاضرة البحر قريبة منه وهي ايلة
قرية بين مدين والطور على شاطئ البحر وقيل مدين وقيل طبرية اذ يعدون في
السبت يتجاوزون حدود الله بالصيد يوم السبت واذ ظرف لكانت او حاضرة
او للمضاف المحذوف وبدل منه بدل الاشتمال اذ تأتيهم حيتانهم ظرف ليعدون
او بدل بعد بدل وقرئ يعدون واصله يعتدون ويعدون من الاعداد اي يعدون

امما على الاول بدل بعد بدل
او نعت لاسباطا وعلى
الثاني بدل من اسباطا

الآيات الصيد يوم السبت وقد نهوا أن يشتغلوا فيه بغير العبادة يوم سبتهم شرعا يوم
تعظيمهم أمر السبت مصدر سبتت اليهود إذا عظمت سبتها بالتجرد للعبادة وقيل اسم
لليوم والإضافة لاختصاصهم بأحكام فيه ويؤيد الأول أن قرئ يوم إسباتهم
وقوله ويوم لا يسبتون لا تأتيهم وقرئ لا يسبتون من أسبت ولا يسبتون على
البناء للمفعول بمعنى لا يدخلون في السبت وشرعا حال من الحيتان ومعناه ظاهرة على وجه
الماء من شرع علينا إذا دنا وأشرف كذلك نبلوهم بما كانوا يفسقون مثل ذلك البلاء
الشديد نبلوهم بسبب فسقهم وقيل كذلك متصل بما قبله أي لا يأتيهم مثل إتيانهم يوم
السبت والباء متعلق بيعدون وإذ قالت عطف على إذ يعدون أمة منهم جماعة
من أهل القرية يعني صلحاءهم الذين اجتهدوا في موعظتهم حتى أيسوا من اتعاظهم لم
تعظون قوما الله مهلكهم مخترمهم أو معذبهم عذابا شديدا في الآخرة
لتماديهم في العصيان قالوه مبالغة في أن الوعظ لا ينفع فيهم أو سؤالا عن علة الوعظ
ونفعه وكأنه تقاول بينهم أو قول من ارعوى عن الوعظ لمن لم يرعو منهم وقيل
المراد طائفة من الفرقة الهالكة أجابوا به وعاظهم ردا عليهم وتهكما بهم
قالوا معذرة إلى ربكم جواب للسؤال أي موعظتنا إنهاء عذر إلى الله حتى لا ننسب
إلى تفريط في النهي عن المنكر وقرأ حفص معذرة بالنصب على المصدر أو العلة
أي اعتذرنا به معذرة أو وعظناهم معذرة ولعلهم يتقون إذ اليأس لا يحصل إلا
بالهلاك فلما نسوا تركوا ترك الناسي ما ذكروا به ما ذكرهم به صلحاؤهم
أنجينا الذين ينهون عن السوء وأخذنا الذين ظلموا بالاعتداء ومخالفة
أمر الله بعذاب بئيس شديد من بؤس يبؤس إذا اشتد وقرأ أبو بكر بيئس
على فيعل كضيغم وابن عامر بئس بكسر الباء وسكون الهمزة على أنه بئس كحذر كما قرئ
بئس على تخفيف العين ونقل حركتها إلى الفاء ككبد في كبد ونافع بيس على قلب الهمزة ياء كما
قلبت في ذئب أو على أنه فعل الذم وصف به فجعل اسما وقرئ بيس كريس على قلب
الهمزة ياء ثم إدغامها وبيس على التخفيف كهين وبائس بما كانوا يفسقون بسبب
فسقهم فلما عتوا عما نهوا عنه تكبروا عن ترك ما نهوا عنه كقوله وعتوا عن أمر
ربهم قلنا لهم كونوا قردة خاسئين كقوله إنما قولنا لشيء إذا أردناه أن نقول له
كن فيكون والظاهر يقتضي أن الله تعالى عذبهم أولا بعذاب شديد فعتوا بعد ذلك
فمسخهم ويجوز أن يكون الآية الثانية تقريرا وتفصيلا للأولى روي أن الناهين
لما أيسوا عن اتعاظ المعتدين كرهوا مساكنتهم فقسموا القرية بجدار فيه باب
مطروق فأصبحوا يوما ولم يخرج إليهم أحد من المعتدين فقالوا إن لهم شأنا
فدخلوا عليهم فإذا هم قردة فلم يعرفوا أنسباءهم ولكن القرود تعرفهم فجعلت
تأتي أنسباءهم وتشم ثيابهم وتدور حولهم باكية ثم ماتوا بعد ثلث وعن مجاهد

مسخ

مسخ قلوبهم لا أبدانهم وإذ تأذن ربك أي أعلم تفعل من الإيذان بمعناه
كالتوعد والإيعاد أو عزم لأن العازم على الشيء يؤذن نفسه بفعله وأجري مجرى
فعل القسم كعلم الله وشهد الله ولذلك أجيب بجوابه وهو ليبعثن عليهم إلى يوم القيمة
والمعنى وإذ أوجب ربك على نفسه ليسلطن على اليهود من يسومهم سوء العذاب
كالإذلال وضرب الجزية بعث الله عليهم بعد سليمان بختنصر فقتل مقاتليهم وخرب
ديارهم وسبى نساءهم وذراريهم وضرب الجزية على من بقي منهم وكانوا يؤدونها
إلى المجوس حتى بعث الله محمدا عليه السلام ففعل ما فعل ثم ضرب عليهم الجزية فلا تزال مضروبة
إلى آخر الدهر إن ربك لسريع العقاب عاقبهم في الدنيا وإنه لغفور رحيم لمن تاب
وآمن وقطعناهم في الأرض أمما وفرقناهم فيها بحيث لا يكاد يخلو قطر منهم تتمة
لإدبارهم حتى لا يكون لهم شوكة قط وأمما مفعول ثان أو حال منهم الصالحون
صفة أو بدل منه وهم الذين آمنوا بالمدينة ونظراؤهم ومنهم دون ذلك تقديره
ومنهم ناس دون ذلك أي منحطون عن الصلاح وهم كفرتهم وفسقتهم وبلوناهم
بالحسنات والسيئات بالنعم والنقم لعلهم يرجعون ينتبهون فيرجعون عما كانوا
عليه فخلف من بعدهم من بعد المذكورين خلف بدل سوء مصدر نعت به
ولذلك يقع على الواحد والجمع وقيل جمع وهو شائع في الشر والخلف بالفتح في الخير
والمراد به الذين كانوا في عصر رسول الله صلعم ورثوا الكتاب التورية من أسلافهم
يقرؤونها ويقفون على ما فيها يأخذون عرض هذا الأدنى حطام هذا الشيء الأدنى
يعني الدنيا وهو من الدنو أو الدناءة وهو ما كانوا يأخذون من الرشى في الحكومة
وعلى تحريف الكلم والجملة حال من الواو ويقولون سيغفر لنا لا يؤاخذنا الله بذلك
ويتجاوز عنه وهو يحتمل العطف والحال والفعل مسند إلى الجار والمجرور أو مصدر
يأخذون وإن يأتهم عرض مثله يأخذوه حال من الضمير في لنا أي يرجون المغفرة
مصرين على الذنب عائدين إلى مثله غير تائبين عنه ألم يؤخذ عليهم ميثاق الكتاب
أي في الكتاب أن لا يقولوا على الله إلا الحق عطف بيان للميثاق أو متعلق به أي بأن
لا يقولوا والمراد توبيخهم على البت بالمغفرة مع عدم التوبة والدلالة على أنه افتراء
على الله وخروج عن ميثاق الكتاب ودرسوا ما فيه عطف على ألم يؤخذ من حيث
المعنى فإنه تقرير أو على ورثوا وهو اعتراض والدار الآخرة خير للذين يتقون
مما يأخذ هؤلاء أفلا تعقلون فيعلموا ذلك ولا يستبدلوا الأدنى الدنيء المؤدي
إلى العقاب بالنعيم المخلد وقرأ نافع وابن عامر وحفص ويعقوب بالتاء على التلوين
والذين يمسكون بالكتاب وأقاموا الصلوة عطف على الذين يتقون وقوله
أفلا تعقلون اعتراض أو مبتدأ خبره إنا لا نضيع أجر المصلحين على تقدير منهم أو وضع
الظاهر موضع المضمر تنبيها على أن الإصلاح كالمانع من التضييع وقرأ أبو بكر يمسكون

بالتخفيف وافراد الاقامة لانافتها على ساير انواع التمسكات واذ نتقنا الجبل فوقهم
اى قلعناه ورفعناه فوقهم واصل النتق الجذب كانه ظلة سقيفة وهي كل
ما اظلك وظنوا وتيقنوا انه واقع بهم ساقط عليهم لان الجبل لا يثبت في الجو
ولانهم كانوا يوعدون به وانما اطلق الظن لانه لم يقع متعلقه وذلك انهم ابوا
ان يقبلوا احكام التورية لثقلها فرفع الله الطور فوقهم وقيل لهم ان قبلتم ما فيها
والا ليقعن عليكم خذوا على اضمار القول اى وقلنا خذوا او قائلين خذوا ما آتيناكم
من الكتاب بقوة بجد وعزم على تحمل مشاقه وهو حال من الواو واذكروا
ما فيه بالعمل به ولا تتركوه كالمنسي لعلكم تتقون قبائح الاعمال ورذائل الاخلاق
واذ اخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم اى اخرج من اصلابهم نسلهم
على ما يتوالدون قرنا بعد قرن من ظهورهم بدل من بني آدم بدل البعض وقرأ نافع
وابو عمرو وابن عامر ويعقوب ذرياتهم واشهدهم على انفسهم الست بربكم
اى ونصب لهم دلائل ربوبيته وركب في عقولهم ما يدعوهم الى الاقرار بها
حتى صاروا بمنزلة من قيل لهم الست بربكم قالوا بلى فنزل تمكينهم من العلم بها
وتمكنهم منه منزلة الاشهاد والاعتراف على طريقة التمثيل ويدل عليه قوله
قالوا بلى شهدنا ان تقولوا يوم القيمة اى كراهة ان تقولوا انا كنا عن هذا
غافلين لم ننبه عليه بدليل او تقولوا عطف على ان تقولوا وقرأ ابو عمرو كليهما
بالياء لان اول الكلام على الغيبة انما اشرك اباؤنا من قبل وكنا ذرية
من بعدهم فاقتدينا بهم لان التقليد عند قيام الدليل والتمكن من العلم به لا
يصلح عذرا افتهلكنا بما فعل المبطلون يعني اباءهم المبطلين بتأسيس الشرك
وقيل لما خلق الله آدم اخرج من ظهره ذريته كالذر واحياهم وجعل لهم العقل
والنطق والهمهم ذلك لحديث رواه عمر رضه وقد حققت الكلام فيه في شرح كتاب
المصابيح والمقصود من ايراد هذا الكلام ههنا الزام اليهود بمقتضى الميثاق العام بعدما
الزمهم بالميثاق المخصوص بهم والاحتجاج عليهم بالحجج السمعية والعقلية ومنعهم عن
التقليد وحملهم على النظر والاستدلال كما قال وكذلك نفصل
الآيات ولعلهم يرجعون اى عن التقليد واتباع الباطل واتل عليهم اى على اليهود
نبأ الذي آتيناه آياتنا هو احد علماء بني اسرائيل او امية بن ابي الصلت فانه كان
قد قرأ الكتب وعلم ان الله مرسل رسولا في ذلك الزمان ورجا ان يكون هو فلما بعث
محمد حسده وكفر به او بلعم بن باعوراء من الكنعانيين اوتي علم بعض كتب الله فانسلخ
منها من الآيات بان كفر بها واعرض عنها فاتبعه الشيطان حتى لحقه وقيل
استتبعه فكان من الغاوين فصار من الضالين روي ان قومه سألوه
ان يدعو على موسى ومن معه فقال كيف ادعو على من معه الملائكة فالحوا عليه

حتى

حتى دعا عليهم فبقوا في التيه ولو شئنا لرفعناه الى منازل الابرار من العلماء بها
بسبب تلك الآيات وملازمتها ولكنه اخلد الى الارض مال الى الدنيا او الى
السفالة واتبع هواه في ايثار الدنيا واسترضاء قومه واعرض عن مقتضى الآيات و
انما علق رفعه بمشية الله ثم استدرك عنه بفعل العبد تنبيها على ان المشية سبب
لفعله الموجب لرفعه وان عدمه دليل عدمها دلالة انتفاء المسبب على انتفاء سببه
وان السبب الحقيقي هو المشية وان ما نشاهده من الاسباب وسائط معتبرة في حصول
المسبب من حيث ان المشية تعلقت به كذلك وكان من حقه ان يقول ولكنه اعرض
عنها فاوقع موقعه اخلد الى الارض واتبع هواه مبالغة وتنبيها على ما حمله عليه
وان حب الدنيا رأس كل خطيئة فمثله فصفته التي هي مثل في الحقيقة كمثل الكلب
في الخسة ام
كصفته في اخس احواله وهو ان تحمل عليه يلهث او تتركه يلهث اى يلهث دائما سواء
حمل عليه بالزجر والطرد او ترك ولم يتعرض له بخلاف ساير الحيوانات لضعف فؤاده
واللهث ادلاع اللسان من التنفس الشديد والشرطية في موضع الحال والمعنى لاهثا في الحالتين
والتمثيل واقع موقع لازم التركيب الذي هو نفي الرفع ووضع المنزلة للمبالغة والبيان وقيل
لما دعا على موسى خرج لسانه فوقع على صدره وجعل يلهث كالكلب ذلك مثل
٧٦٩
القوم الذين كذبوا بآياتنا فاقصص القصص المذكورة على اليهود فانها نحو قصصهم
لعلهم يتفكرون تفكرا يؤدي بهم الى الاتعاظ ساء مثلا القوم اى مثل القوم وقرئ
ساء مثل القوم على حذف المخصوص بالذم الذين كذبوا بآياتنا بعد قيام الحجة
عليها وعلمهم بها وانفسهم كانوا يظلمون اما ان يكون داخلا في الصلة معطوفا على كذبوا
بمعنى الذين جمعوا بين تكذيب الآيات وظلم انفسهم او منقطعا عنها بمعنى وما ظلموا بالتكذيب
لا يتخطاها صح
الا انفسهم فان وباله لا يتخطاها ولذلك قدم المفعول من يهد الله فهو المهتدي ومن
يضلل فاولئك هم الخاسرون تصريح بان الهدى والضلال من الله وان هداية الله تختص
ببعض دون بعض وانها مستلزمة للاهتداء والافراد في الاول والجمع في الثاني لاعتبار اللفظ
والمعنى تنبيه على ان المهتدين كواحد لاتحاد طريقهم بخلاف الضالين والاقتصار في الاخبار
عمن هداه الله بالمهتدي تعظيم لشان الاهتداء وتنبيه على انه في نفسه كمال جسيم ونفع
عظيم لو لم يحصل له غيره لكفاه وانه المستلزم للفوز بالنعم الآجلة والعنوان لها ولقد ذرأنا
خلقنا لجهنم كثيرا من الجن والانس يعني المصرين على الكفر في علمه تعالى لهم قلوب لا يفقهون
اى لا ينظرون صح
بها اذ لا يلقونها الى معرفة الحق والنظر في دلائله ولهم اعين لا يبصرون بها الى ما خلق الله
نظر اعتبار ولهم آذان لا يسمعون بها الآيات والمواعظ سماع تأمل وتذكر
تدرك صح
اولئك كالانعام في عدم الفقه والابصار للاعتبار والاستماع للتدبر او في ان مشاعرهم
وقواهم متوجهة الى اسباب التعيش مقصورة عليها بل هم اضل فانها ما يمكن لها ان
تدرك من المنافع والمضار وتجتهد في جذبها ودفعها غاية جهدها وهم ليسوا كذلك

بل أكثرهم يعلم انه معاند فيقدم على النار اولئك هم الغافلون الكاملون في الغفلة
ولله الاسماء الحسنى لانها دالة على معان هي احسن المعاني والمراد بها الالفاظ و
قيل الصفات فادعوه بها فسموه بتلك الاسماء وذروا الذين يلحدون في اسمائه
واتركوا تسمية الزايغين فيها الذين يسمونه بما لا توقيف فيه او بما يوهم معنى فاسدا
كقولهم يا ابا المكارم يا ابيض الوجه او لا تبالوا بانكارهم ما سمى به نفسه كقولهم ما نعرف
الا رحمن اليمامة او وذروهم والحادهم فيها باطلاقها على الاصنام واشتقاق اسمائها
منها كاللات من الله والعزى من العزيز ولا توافقوهم عليه واعرضوا عنهم فان الله مجازيهم
كما قال سيجزون ما كانوا يعملون وقرأ حمزة يلحدون بالفتح يقال لحد والحد اذا مال
عن القصد وممن خلقنا امة يهدون بالحق وبه يعدلون ذكر ذلك بعد ما بين
انه خلق للنار طايفة ضالين ملحدين عن الحق للدلالة على انه خلق ايضا للجنة امة هادين
بالحق عادلين في الامر واستدل به على صحة الاجماع لان المراد منه ان في كل قرن طائفة
بهذه الصفة لقوله عليه السلام لا يزال من امتي طائفة على الحق الى ان يأتي امر الله اذ
لو اختص بعهد الرسول او غيره لم يكن لذكره فائدة فانه معلوم والذين كذبوا
باياتنا سنستدرجهم سنستدنيهم الى الهلاك قليلا قليلا واصل الاستدراج
الاستصعاد او الاستنزال درجة بعد درجة من حيث لا يعلمون ما نريد بهم وذلك
ان تتواتر عليهم النعم فيظنوا انها لطف من الله بهم فيزدادوا بطرا وانهماكا في الغي حتى يحق عليهم
كلمة العذاب واملي لهم وامهلهم عطف على سنستدرجهم ان كيدي متين
اخذي شديد وانما سماه كيدا لان ظاهره احسان وباطنه خذلان اولم يتفكروا
ما بصاحبهم يعني محمدا عليه السلام من جنة جنون روي انه عليه السلام صعد على الصفا فدعاهم
فخذا فخذا يحذرهم باس الله تعالى فقال قائلهم ان صاحبكم لمجنون بات يهوت الى الصباح
فنزلت ان هو الا نذير مبين موضح انذاره بحيث لا يخفى على ناظر اولم ينظروا
نظر استدلال في ملكوت السموات والارض وما خلق الله من شيء مما يقع عليه
اسم الشيء من الاجناس التي لا يمكن حصرها ليدلهم على كمال قدرة صانعها ووحدة مبدعها
وعظم شان مالكها ومتولي امرها ليظهر لهم صحة ما يدعوهم اليه وان عسى ان يكون
قد اقترب اجلهم عطف على ملكوت وان مصدرية او مخففة من الثقيلة واسمه
ضمير الشان وكذا اسم يكون والمعنى اولم ينظروا في اقتراب اجالهم وتوقع حلولها فيسارعوا
الى طلب الحق والتوجه الى ما ينجيهم قبل مفاجأة الموت ونزول العذاب فباي حديث
بعده بعد القران يؤمنون اذا لم يؤمنوا به وهو النهاية في البيان كانه اخبار عنهم
بالطبع والتصميم على الكفر بعد الزام الحجة والارشاد الى النظر وقيل هو متعلق بقوله
عسى ان يكون كانه قيل لعل اجلهم قد اقترب فما لهم لا يبادرون الايمان بالقران
وماذا ينتظرون بعد وضوحه فان لم يؤمنوا به فباي حديث احق منه يريدون ان يؤمنوا به

وقوله

وقوله من يضلل الله فلا هادي له كالتقرير والتعليل له ويذرهم في طغيانهم يعمهون بالرفع على الاستئناف
وقرأ ابو عمرو وعاصم ويعقوب بالياء لقوله من يضلل الله وحمزة والكسائي به وبالجزم عطفا
على محل فلا هادي له كانه قيل لا يهده احد غيره ويذرهم يعمهون حال من هم يسألونك
عن الساعة ايان مرساها متى ارساؤها او اثباتها او استقرارها ورسو الشيء ثباته واستقراره
ومنه رسا الجبل وارسى السفينة واشتقاق ايان من اي لان معناه اي وقت وهو من اوى
لان البعض اوى الى الكل قل انما علمها عند ربي استأثر به لم يطلع عليه ملكا مقربا
ولا نبيا مرسلا لا يجليها لوقتها لا يظهر امرها في وقتها الا هو والمعنى ان الخفاء بها مستمر
على غيره الى وقت وقوعها بغتة واللام للتأقيت كاللام في قوله اقم الصلوة لدلوك الشمس
ثقلت في السموات والارض عظمت على اهلها من الملائكة والثقلين هولها وكانه
اشارة الى الحكمة في اخفائها لا تاتيكم الا بغتة فجاة على غفلة كما قال عليه السلام
ان الساعة تهيج بالناس والرجل يصلح حوضه والرجل يسقي ماشيته والرجل يقوم
سلعته في سوقه والرجل يخفض ميزانه ويرفعه يسألونك كانك حفي عنها عالم بها
فعيل من حفي عن الشيء اذا سال عنه فان من بالغ في السؤال عن الشيء والبحث عنه استحكم
علمه فيه ولذلك عدي بعن وقيل هي صلة يسألونك وقيل هو من الحفاوة بمعنى
الشفقة فان قريشا قالوا له ان بيننا وبينك قرابة فقل لنا متى الساعة والمعنى يسألونك
عنها كانك حفي تتحفى بهم فتخصهم لاجل قرابتهم بتعليم وقتها وقيل معناه كانك حفي بالسؤال
عنها تحبه اي تحبه لانه من علم الغيب الذي استاثر الله بعلمه قل انما علمها عند الله كرره
لتكرير يسألونك لما نيط به من هذه الزيادة وللمبالغة ولكن اكثر الناس لا يعلمون
ان علمها عند الله لم يؤته احدا من خلقه قل لا املك لنفسي نفعا ولا ضرا جلب نفع ولا دفع
ضر وهو اظهار للعبودية والتبري عن ادعاء العلم بالغيوب الا ما شاء الله من ذلك فيلهمني
اياه ويوفقني له ولو كنت اعلم الغيب لاستكثرت من الخير وما مسني السوء ولو كنت
اعلمه لخالفت حالي ما هي عليه من استكثار المنافع واجتناب المضار حتى لا يمسني سوء
ان انا الا نذير وبشير وما انا الا عبد مرسل للانذار والبشارة لقوم يؤمنون فانهم
المنتفعون بهما ويجوز ان يكون متعلقا بالبشير ومتعلق النذير محذوف هو الذي خلقكم
من نفس واحدة هو آدم وجعل منها من جسدها من ضلع من اضلاعها او من جنسها
كقوله جعل لكم من انفسكم ازواجا زوجها حواء ليسكن اليها ليستأنس بها
ويطمئن اليها اطمئنان الشيء الى جزئه او جنسه وانما ذكر الضمير ذهابا الى المعنى ليناسب
فلما تغشاها جامعها حملت حملا خفيفا خف عليها ولم تلق منه ما تلقى منه الحوامل
غالبا من الاذى او محمولا خفيفا وهو النطفة فمرت به فاستمرت به اي قامت وقعدت
وقرئ فمرت بالتخفيف وفاستمرت وفمارت من المور وهو المجيء والذهاب او من المرية
اي فظنت الحمل وارتابت به فلما اثقلت صارت ذات ثقل بكبر الولد في بطنها فدعوا

عن القيمة وهي من الاسماء الغالبة
واطلاقها عليها اما لوقوعها
بغتة او لسرعة حسابها او
لانها على طولها عند الله
كساعة صح

على الباء للمفعول اى اثقلها حملها دعوا الله ربهما لئن آتيتنا صالحا ولدا سويا
قد صلح بدنه لنكونن من الشاكرين لك على هذه النعمة المجددة فلما آتيهما
صالحا جعلا له شركاء فيما آتيهما اى جعل اولادهما له شركاء فيما آتى اولادهما
فسموه عبد العزى وعبد مناف على حذف المضاف واقامة المضاف اليه مقامه
ويدل عليه قوله فتعالى الله عما يشركون ايشركون ما لا يخلق شيئا وهم يخلقون
يعنى الاصنام وقيل لما حملت حوا اتاها ابليس فى صورة رجل فقال لها ما يدريك
ما فى بطنك لعله بهيمة او كلب وما يدريك من اين يخرج فخافت من ذلك
وذكرت لادم فهما منه ثم عاد اليها وقال انى من الله بمنزلة فان دعوت الله
ان يجعله خلقا مثلك ويسهل عليك خروجه فسميه عبد الحرث وكان اسمه حارثا
فى الملائكة فتقبلت فلما ولدت سماه عبد الحرث وامثال ذلك لا تليق بالانبياء
ويحتمل ان يكون الخطاب لال قصى من قريش فانهم خلقوا من نفس قصى وكان
لها زوج من جنسها عربية قرشية وطلبا من الله الولد فاعطاهما اربعة بنين فسمياهم
عبد مناف وعبد العزى وعبد قصى وعبد الدار ويكون الضمير فى يشركون لهما و شمس ح
لاعقابهما المقتدين بهما وقرا نافع وابو بكر شركا اى شركة بان اشركا فيه
غيره او ذوى شرك وهم الشركاء وهم ضمير الاصنام جئ به على تسميتهم اياها الهة ولا
يستطيعون لهم نصرا اى لعبدتهم ولا انفسهم ينصرون فيدفعون عنها ما يعتريها
وان تدعوهم اى المشركين الى الهدى الى الاسلام لا يتبعوكم وقرا نافع بالتخفيف
وقيل الخطاب للمشركين وهم ضمير الاصنام اى ان تدعوهم الى ان يهدوكم لا يتبعوكم
الى مرادكم ولا يجيبوكم كما يجيبكم الله سواء عليكم ادعوتموهم ام انتم
صامتون وانما لم يقل ام صمتم للمبالغة فى عدم افادة الدعاء من حيث انه مسوى
بالثبات على الصمات او لانهم ما كانوا يدعونها لحوائجهم فكانه قيل سواء عليكم
احداثكم دعاءهم واستمراركم على الصمات عن دعائهم ان الذين تدعون من
دون الله اى تعبدونهم وتسمونهم الهة عباد امثالكم من حيث انها مملوكة
مسخرة فادعوهم فليستجيبوا لكم ان كنتم صادقين انهم الهة ويحتمل انهم لما
نحتوها بصور الاناسى قال لهم ان قصارى امرهم ان يكونوا احياء عقلاء امثالكم
فلا يستحقون عبادتكم كما لا يستحق بعضكم عبادة بعض ثم عاد عليه بالنقض
فقال الهم ارجل يمشون بها ام لهم ايد يبطشون بها ام لهم اعين يبصرون
بها ام لهم اذان يسمعون بها وقرئ ان الذين بتخفيف ان ونصب عبادا على
انها نافية عملت عمل ما الحجازية ولم يثبت مثله ويبطشون بالضم هنا وفى
القصص والدخان قل ادعوا شركاءكم واستعينوا بهم فى عداوتى ثم كيدون
فبالغوا فيما تقدرون عليه من مكروه انتم وشركاؤكم فلا تنظرون فلا تمهلون

فان

فانى لا ابالى بكم لتوفقى على ولاية الله وحفظه ان وليى الله الذى نزل الكتاب القرآن
وهو يتولى الصالحين اى ومن عادته تعالى ان يتولى الصالحين من عباده فضلا عن انبيائه
والذين تدعون من دونه لا يستطيعون نصركم ولا انفسهم ينصرون من
تمام التعليل لعدم مبالاته بهم وان تدعوهم الى الهدى لا يسمعوا وتريهم ينظرون
اليك وهم لا يبصرون يشبهون الناظرين اليك لانهم صوروا بصورة من ينظر الى
من يواجهه خذ العفو اى خذ ما عفا لك من افعال الناس وتسهل ولا تطلب ما
يشق عليهم من العفو الذى هو ضد الجهد او خذ العفو عن المذنبين او الفضل وما تسهل
من صدقاتهم وذلك قبل وجوب الزكوة وامر بالعرف المعروف المستحسن
من الافعال واما ينزغنك من الشيطان نزغ ينخسنك منه نخس اى وسوسة
تحملك على خلاف ما امرت به كاعتراء غضب وفكرة والنزغ والنسغ والنخس الغرز
شبه وسوسته الناس اغراء لهم على المعاصى وازعاجا بغرز السائق ما يسوقه فاستعذ
بالله انه سميع يسمع استعاذتك عليم يعلم ما فيه صلاح امرك فيحملك عليه او سميع باقوال
من اذاك عليم بافعاله فيجازيه عليها مغنيا اياك عن الانتقام ومتابعة الشيطان ان الذين
اتقوا اذا مسهم طائف من الشيطان لمة منه وهو اسم فاعل من طاف يطوف كانها طافت
بهم ودارت حولهم فلم تقدر ان تؤثر فيهم او من طاف به الخيال يطيف طيفا وقرا
ابن كثير وابو عمرو والكسائى ويعقوب طيف على انه مصدر او تخفيف طيف كلين وهين
والمراد بالشيطان الجنس ولذلك جمع ضميره تذكروا ما امر الله به ونهى عنه فاذا هم مبصرون
بسبب التذكر مواقع الخطاء ومكايد الشيطان فيتحرزون عنها ولا يتبعونه فيها والاية
تاكيد وتقرير لما قبلها وكذا قوله واخوانهم يمدونهم اى واخوان الشياطين الذين لم
يتقوا يمدهم الشياطين فى الغى بالتزيين والحمل عليه وقرئ يمدونهم من امد ويمادونهم
كانهم يعينونهم بالتسهيل والاغراء وهؤلاء يعينونهم بالاتباع والامتثال ثم لا
يقصرون لا يمسكون عن اغوائهم حتى يردوهم ويجوز ان يكون الضمير للاخوان
اى لا يكفون عن الغى ولا يقصرون كالمتقين ويجوز ان يراد بالاخوان الشياطين ويرجع
الضمير الى الجاهلين فيكون الخبر جاريا على ما هو له واذا لم تاتهم باية من القرآن او مما اقترحوه
قالوا لولا اجتبيتها هلا جمعتها تقولا من نفسك كسائر ما تقرؤه او هلا طلبتها من الله
قل انما اتبع ما يوحى الى من ربى لست بمختلق للايات ولست بمقترح لها هذا بصائر
من ربكم هذا القرآن بصائر للقلوب بها تبصر الحق وتدرك الصواب وهدى
ورحمة لقوم يؤمنون سبق تفسيره واذا قرئ القرآن فاستمعوا له وانصتوا لعلكم
ترحمون نزلت فى الصلوة كانوا يتكلمون فيها فامروا باستماع قراءة الامام والانصات له
وظاهر اللفظ يقتضى وجوبهما حيث يقرأ القرآن مطلقا وعامة العلماء على استحبابهما
خارج الصلوة واحتج به من لا يرى القراءة على المأموم وهو ضعيف واذكر ربك

واعرض عن الجاهلين فلا تمارهم ولا تكافيهم بمثل افعالهم وهذه الاية جامعة لمكارم الاخلاق آمرة للرسول باجتماعها صح

في نفسك عام في الاذكار من القراءة والدعاء وغيرهما او امر للماموم بالقراءة سرا
بعد فراغ الامام عن قراءته كما هو مذهب الشافعي رضي تضرعا وخيفة متضرعا
وخائفا ودون الجهر من القول ومتكلما كلاما فوق السر ودون الجهر فانه
ادخل في الخشوع والاخلاص بالغدو والاصال باوقات الغدو والاصال والعشيات
وقرئ والايصال وهو مصدر آصل اذا دخل في الاصيل مطابقة للمصدر ولا تكن من
الغافلين عن ذكر الله ان الذين عند ربك يعني ملائكة الملأ الاعلى لا يستكبرون
عن عبادته ويسبحونه وينزهونه وله يسجدون ويخصونه بالعبادة والتذلل
لا يشركون به غيره وهو تعريض بمن عداهم من المكلفين ولذلك شرع السجود
لقراءته وعن النبي صلعم اذا قرأ ابن ادم السجدة فسجد اعتزل الشيطان يبكي فيقول
يا ويله امر هذا بالسجود فسجد فله الجنة وامرت بالسجود فعصيت فلي النار
وعنه عليه السلام من قرأ سورة الاعراف جعل الله يوم القيمة بينه وبين
ابليس سترا وكان ادم شفيعا له يوم القيمة سورة الانفال مدنية وايها ست و
سبعون بسم الله الرحمن الرحيم يسألونك
عن الانفال اي الغنائم يعني وانما سميت الغنيمة نفلا لانها عطية من الله من الله وفضل
كما سمي به ما يشرطه الامام لمقتحم خطر عطية له وزيادة على سهمه قل الانفال لله والرسول
اي امرها مختص بهما يقسمها الرسول على ما يأمره الله به وسبب نزوله اختلاف المسلمين
في غنائم بدر انها كيف تقسم ومن يقسم به المهاجرون منهم او الانصار وقيل شرط رسول الله صلعم
لمن كان له غناء في ذلك اليوم ان ينفله فتسارع شبانهم حتى قتلوا سبعين واسروا سبعين
ثم طلبوا نفلهم وكان المال قليلا فقال الشيوخ والوجوه الذين كانوا عند الرايات كنا ردءا
لكم وفئة تنحازون اليها فنزلت فقسمها رسول الله صلعم بينهم على السواء ولهذا قيل
لا يلزم الامام ان يفي بما وعد وهو قول الشافعي رضي وعن سعد بن ابي وقاص قال لما كان
يوم بدر قتل اخي عمير وقتلت سعيد بن العاص واخذت سيفه فاتيت به
رسول الله واستوهبته منه فقال ليس هذا لي ولا لك اطرحه في القبض فطرحته وبي ما لا يعلمه
الا الله من قتل اخي واخذ سلبي فما جاوزت الا قليلا حتى نزلت سورة الانفال فقال
لي رسول الله سألتني السيف وليس لي وانه قد صار لي فاذهب فخذه وقرئ يسألونك
علنفال بحذف الهمزة والقاء حركتها على اللام وادغام النون عن فيها ويسألونك
الانفال اي يسألك الشبان ما شرطت لهم فاتقوا الله في الاختلاف والمشاجرة و
اصلحوا ذات بينكم الحال التي بينكم بالمواساة والمساعدة فيما رزقكم الله وتسليم
امره الى الله والرسول واطيعوا الله ورسوله فيه ان كنتم مؤمنين فان الايمان
يقتضي ذلك او ان كنتم كاملي الايمان فان كمال الايمان بهذه الثلثة طاعة الاوامر و
الاتقاء عن المعاصي واصلاح ذات البين بالعدل والاحسان انما المؤمنون اي

الكاملون

الكاملون الايمان الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم فزعت لذكره استعظاما
له وتهيبا لجلاله من جلاله وقيل هو الرجل الذي يهم بمعصية فيقال له اتق الله فينزع
عنه خوفا من عقابه وقرئ وجلت بالفتح وهي لغة وفرقت اي خافت واذا تليت
عليهم اياته زادتهم ايمانا لزيادة المؤمن به او لاطمئنان النفس ورسوخ اليقين بتظاهر
الادلة او بالعمل بموجبها وهو قول من قال الايمان يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية بناء
على ان العمل داخل فيه وعلى ربهم يتوكلون يفوضون اليه امورهم ويخشون ولا يرجون
الا اياه الذين يقيمون الصلوة ومما رزقناهم ينفقون اولئك هم المؤمنون حقا لانهم
حققوا ايمانهم بان ضموا اليه مكارم اعمال القلوب من الخشية والاخلاص والتوكل ومحاسن
افعال الجوارح التي العيار عليها الصلوة والصدقة وحقا صفة مصدر محذوف او
مصدر مؤكد كقولك هو عبد الله حقا لهم درجات عند ربهم كرامة وعلو منزلة
وقيل درجات الجنة يرتقونها باعمالهم ومغفرة لما فرط منهم ورزق كريم
اعد لهم في الجنة لا ينقطع عدده ولا ينتهي امده كما اخرجك ربك من بيتك بالحق
خبر مبتدأ محذوف تقديره هذه الحال في كراهتهم اياها كحال اخراجك للحرب في كراهتهم
له او صفة مصدر الفعل المقدر في قوله لله والرسول اي الانفال ثبتت لله والرسول مع كراهتهم
ثباتا مثل ثبات اخراجك ربك من بيتك يعني المدينة لانها مهاجره ومسكنه او بيته
فيها مع كراهتهم وان فريقا من المؤمنين لكارهون في موضع الحال اي اخرجك
في حال كراهتهم وذلك ان عير قريش اقبلت من الشام وفيها تجارة عظيمة ومعها
اربعون راكبا منهم ابو سفيان وعمرو بن العاص ومخرمة بن نوفل وعمرو بن هشام
فاخبر جبريل رسول الله فاخبر المسلمين فاعجبهم تلقيها لكثرة المال وقلة الرجال فلما خرجوا بلغ
الخبر اهل مكة فنادى ابو جهل فوق الكعبة يا اهل مكة النجاء النجاء على كل صعب
وذلول عيركم اموالكم ان اصابها محمد لم تفلحوا بعدها ابدا وقد رأت قبل ذلك
بثلث عاتكة بنت عبد المطلب ان ملكا نزل من السماء فاخذ صخرة من الجبل ثم حلق بها
فلم يبق بيت في مكة الا اصابه شيء منها فحدثت بها العباس وبلغ ذلك ابا جهل فقال
ما يرضى رجالهم ان يتنبؤوا حتى تتنبأ نساؤهم فخرج ابو جهل بجميع اهل مكة ومضى
بهم الى بدر وهو ماء كانت العرب تجتمع لسوقهم يوما في السنة وكان رسول الله صلعم
بوادي ذفران فنزل عليه جبريل بالوعد باحدى الطائفتين اما العير واما قريش فاستشار
فيه اصحابه فقال بعضهم هلا ذكرت لنا القتال حتى نتاهب له انا خرجنا للعير فرد
عليهم وقال ان العير مضت على ساحل البحر وهذا ابو جهل قد اقبل فقالوا يا رسول الله عليك
بالعير ودع العدو فغضب رسول الله صلعم فقام ابو بكر وعمر فاحسنا ثم قام سعد بن عبادة
فقال انظر امرك فامض فوالله لو سرت الى عدن ابين ما تخلف عنك رجل من الانصار
ثم قال مقداد بن عمرو امض لما امرك الله فانا معك حيثما احببت لا نقول لك كما قالت

بنو اسرائيل لموسى اذهب انت وربك فقاتلا انا ههنا قاعدون ولكن اذهب انت
وربك فقاتلا انا معكما مقاتلون فتبسم رسول الله صلعم ثم قال اشيروا علي ايها الناس
وهو يريد الانصار لانهم كانوا عددهم وقد شرطوا حين بايعوه بالعقبة انهم براء
من ذمامه حتى يصل الى ديارهم فتخوف ان لا يروا نصرته عليهم الا على عدو دهمه
بالمدينة فقام سعد بن معاذ فقال لكانك تريدنا يا رسول الله قال اجل قال قد امنا بك
وصدقناك وشهدنا ان ما جئت به هو الحق واعطيناك على ذلك عهودنا ومواثيقنا
على السمع والطاعة فامض يا رسول الله لما اردت فوالذي بعثك بالحق لو استعرضت
بنا هذا البحر فخضته لخضناه معك ما تخلف منا رجل واحد وما نكره ان تلقى بنا
عدونا وانا لصبر عند الحرب صدق عند اللقاء ولعل الله يريك منا ما تقر به عينك
فسر بنا على بركة الله فنشطه قوله ثم قال سيروا على بركة الله وابشروا فان الله قد وعدني
احدى الطائفتين والله لكاني انظر الى مصارع القوم وقيل انه عليه السلام
لما فرغ من بدر قيل له عليك بالعير فناداه العباس وهو في وثاقه لا يصلح فقال
له لم فقال لان الله وعدك احدى الطائفتين وقد اعطاك ما وعدك فكره بعضهم قوله
يجادلونك في الحق في ايثارك الجهاد لاظهار الحق لايثارهم تلقي العير عليه **بعدما
تبين** انهم ينصرون اينما توجهوا باعلام الرسول **كانما يساقون الى الموت
وهم ينظرون** اي يكرهون القتال كراهة من يساق الى الموت وهو يشاهد
اسبابه وكان ذلك لقلة عددهم وعدم تاهبهم اذ روي انهم كانوا رجالة وما
كان فيهم الا فارسان وفيه ايماء الى ان مجادلتهم كانت لفرط فزعهم ورعبهم **واذ يعدكم
الله احدى الطائفتين** على اضمار اذكر واحدى ثاني مفعولي يعدكم وقد ابدل عنها
انها لكم بدل الاشتمال **وتودون ان غير ذات الشوكة تكون لكم**
يعني العير فانه لم يكن فيها الا اربعون فارسا ولذلك تمنونها ويكرهون ملاقاة
النفير لكثرة عددهم وعددهم والشوكة الحدة مستعارة من واحدة الشوك
ويريد الله ان يحق الحق ان يثبته ويعليه **بكلماته** الموحى بها في هذه الحالة او
باوامره للملائكة بالامداد وقرئ بكلمته **ويقطع دابر الكافرين** ويستاصلهم
والمعنى انكم تريدون ان تصيبوا مالا ولا تلقون مكروها والله يريد اعلاء الدين
واظهار الحق وما يحصل لكم فوز الدارين **ليحق الحق ويبطل الباطل** اي فعل
ما فعل وليس بتكرير لان الاول لبيان المراد وما بينه وبين مرادهم من التفاوت
والثاني لبيان الداعي حمل الرسول على اختيار ذات الشوكة ونصره عليها **ولو كره
المجرمون** ذلك **اذ تستغيثون ربكم** بدل من اذ يعدكم او متعلق بقوله ليحق الحق
او على اضمار اذكروا استغاثتهم انهم لما علموا ان لا محيص عن القتال اخذوا يقولون
اي رب انصرنا على عدوك اغثنا يا غياث المستغيثين وعن عمر انه عليه السلام نظر

الى المركز

جمع صبور — جمع صدوق

الى المشركين وهم الف والى اصحابه وهم ثلثمائة فاستقبل القبلة ومد يديه يدعو
اللهم انجز لي ما وعدتني اللهم ان تهلك هذه العصابة لا تعبد في الارض فما زال
كذلك حتى سقط رداؤه فقال ابو بكر رضي الله عنه يا نبي الله كفاك مناشدتك ربك فانه
سينجز لك ما وعدك **فاستجاب لكم اني ممدكم** باني ممدكم فحذف الجار
وسلط عليه الفعل وقرا ابو عمرو بالكسر على ارادة القول واجراء استجاب مجرى قال
لان الاستجابة من القول **بالف من الملائكة مردفين** متبعين المؤمنين
او بعضهم بعضا من اردفته اذا جئت بعده او متبعين بعض المؤمنين او انفسهم المؤمنين
من اردفته اياه فردفه وقرا نافع ويعقوب بفتح الدال اي متبعين او متبعين بمعنى
انهم كانوا مقدمة الجيش وساقتهم وقرئ مردفين بكسر الراء وضمها واصله مرتدفين
بمعنى مترادفين فادغمت التاء في الدال فالتقى ساكنان فحركت الراء بالكسر على الاصل او
بالضم على الاتباع وقرئ بالاف ليوافق ما في سورة ال عمران ووجه التوفيق بينه وبين
المشهور ان المراد بالالف الذين كانوا على المقدمة او الساقة او وجوههم واعيانهم او
من قاتل منهم واختلف في مقاتلتهم وقد روي اخبار تدل عليها **وما جعله الله** اي
الامداد **الا بشرى** الا بشارة لكم بالنصر **ولتطمئن به قلوبكم** فيزول
ما بها من الوجل لقلتكم وذلتكم **وما النصر الا من عند الله ان الله عزيز حكيم**
وامداد الملائكة وكثرة العدد والاهب ونحوهما وسائط لا تاثير لها فلا تحسبوا
النصر منها ولا تياسوا منه بفقدها **اذ يغشيكم النعاس** بدل ثان من اذ يعدكم
لاظهار نعمة ثالثة او متعلق بالنصر او بما في عند الله من معنى الفعل او بجعله او باضمار
اذكر وقرا نافع بالتخفيف من اغشيته الشيء اذا غشيته اياه والفاعل على القراءتين هو الله تعالى
وقرا ابن كثير وابو عمرو يغشاكم النعاس بالرفع **امنة منه** امنا من الله وهو مفعول
له باعتبار المعنى فان قوله يغشيكم النعاس متضمن معنى تنعسون ويغشاكم بمعناه والامنة
فعل لفاعله ويجوز ان يراد بها الايمان فيكون فعل المغشي وان يجعل على القراءة الاخيرة فعل
النعاس على المجاز لانها لاصحابه او لانه كان من حقه ان لا يغشاهم لشدة الخوف
فلما غشيهم فكانه حصلت له امنة من الله لولاها لم يغشهم كقوله يهاب النوم ان يغشى عيونا
تهابك فهو نفار شرود وقرئ امنة كرحمة وهي لغة **وينزل عليكم من السماء
ماء ليطهركم به** من الحدث والجنابة **ويذهب عنكم رجز الشيطان**
يعني الجنابة لانه من تخييله او وسوسته وتخويفه اياهم من العطش روي انهم نزلوا في كثيب
اعفر تسوخ فيه الاقدام على غير ماء وناموا فاحتلم اكثرهم وقد غلب المشركون
على الماء فوسوس اليهم الشيطان فقال كيف تنصرون وقد غلبتم على الماء و
انتم تصلون محدثين مجنبين وتزعمون انكم اولياء الله وفيكم رسوله فاشفقوا
فانزل الله المطر فمطروا ليلا حتى جرى الوادي واتخذوا الحياض على عدوتها وسقوا الركاب واغتسلوا وتوضؤوا

وتوضؤوا وتلبد الرمل الذي بينهم وبين العدو حتى ثبتت عليه الأقدام وزالت الوسوسة
وليربط على قلوبكم بالوثوق على لطف الله بهم ويثبت به الأقدام أي بالمطر
حتى لا تسوخ في الرمل أو بالربط على القلوب حتى تثبت في المعركة إذ يوحي ربك
بدل ثالث أو متعلق بيثبت إلى الملائكة أني معكم في إعانتهم وتثبيتهم
وهو مفعول يوحي وقرئ بالكسر على إرادة القول أو إجراء الوحي مجراه فثبتوا الذين آمنوا
بالبشارة أو بتكثير سوادهم أو بمحاربة أعدائهم فيكون قوله سألقي في قلوب الذين
كفروا الرعب كالتفسير لقوله أني معكم فثبتوا وفيه دليل على أنهم قاتلوا ومن منع
ذلك جعل الخطاب فيه مع المؤمنين إما على تغيير الخطاب أو على أن قوله سألقي إلى قوله
كل بنان تلقين للملائكة ما يثبتون المؤمنين به كأنه قال قولوا لهم قولي هذا فاضربوا
فوق الأعناق أعاليها التي هي المذابح أو الرؤوس واضربوا منهم كل بنان أصابع
أي حزوا رقابهم واقطعوا أطرافهم ذلك إشارة إلى الضرب أو الأمر به والخطاب
للرسول أو لكل واحد من المخاطبين قبل بأنهم شاقوا الله ورسوله بسبب مشاقتهم
لهما واشتقاقه من الشق لأن كلا من المتعاديين في شق خلاف شق الآخر كالمعاداة نخالف
من العدوة والمخاصمة من الخصم وهو الجانب ومن يشاقق الله ورسوله
فإن الله شديد العقاب تقرير للتعليل أو وعيد بما أعد لهم في الآخرة بعد
ما حاق بهم في الدنيا ذلكم خطاب فيه مع الكفرة على طريقة الالتفات
ومحله الرفع أي الأمر ذلكم أو ذلكم واقع أو نصب بفعل دل عليه فذوقوه أو غيره
مثل باشروا أو عليكم لتكون الفاء عاطفة وأن للكافرين عذاب النار
عطف على ذلكم أو نصب على المفعول معه والمعنى ذوقوا ما عجل لكم مع ما أجل
لكم في الآخرة ووضع الظاهر فيه موضع الضمير للدلالة على أن الكفر سبب العذاب
الآجل أو الجمع بينهما وقرئ وإن بالكسر على الاستئناف يا أيها الذين آمنوا إذا لقيتم
الذين كفروا زحفا كثيرا بحيث يرى لكثرتهم كأنهم يزحفون وهو مصدر زحف الصبي
إذا دب على مقعده قليلا قليلا سمي به وجمع على زحوف وانتصابه على الحال فلا تولوهم
الأدبار بالانهزام فضلا أن يكونوا مثلكم أو أقل منكم والأظهر أنها محكمة
مخصوصة بقوله حرض المؤمنين الآية ويجوز أن ينتصب زحفا على الحال من الفاعل والمفعول
أي إذا لقيتموهم متزاحفين يدبون إليكم وتدبون إليهم فلا تنهزموا أو من الفاعل
وحده ويكون إشعارا بما سيكون منهم يوم حنين حين تولوا وهم اثنا عشر ألفا ومن
يولهم يومئذ دبره إلا متحرفا لقتال يريد الكر بعد الفر وتغرير العدو فإنه من
مكايد الحرب أو متحيزا إلى فئة أو منحازا إلى فئة أخرى من المسلمين على القرب ليستعين
بهم ومنهم من لم يعتبر القرب لما روي عن ابن عمر أنه كان في سرية بعثهم رسول الله صلعم ففروا إلى
المدينة فقلت يا رسول الله نحن الفرارون فقال بل أنتم العكارون وأنا فئتكم وانتصاب متحرفا

الكرارون
الحروب
ومتحيزا

ومتحيزا على الحال وإلا لغو لا عمل لها أو على الاستثناء من المولين أي إلا رجلا متحرفا
أو متحيزا ووزن متحيز متفيعل لا متفعل وإلا لكان متحوزا لأنه من حاز يحوز فقد باء بغضب
من الله ومأواه جهنم وبئس المصير هذا إذا لم يزد العدو على الضعف لقوله الآن خفف
الله عنكم الآية وقيل الآية مخصوصة بأهل بدر والحاضرين معه في الحرب فلم
تقتلوهم بقوتكم ولكن الله قتلهم بنصركم وتسليطكم عليهم وإلقاء الرعب في قلوبهم
روي أنه لما طلعت قريش من العقنقل قال عليه السلام هذه قريش جاءت بخيلائها وفخرها يكذبون
رسولك اللهم إني أسألك ما وعدتني فأتاه جبريل وقال له خذ قبضة من تراب فارمهم
بها فلما التقى الجمعان تناول كفا من الحصباء فرمى بها في وجوههم وقال شاهت الوجوه
فلم يبق مشرك إلا شغل بعينه فانهزموا وردفهم المؤمنون يقتلونهم ويأسرونهم ثم لما انصرفوا
أقبلوا على التفاخر فيقول الرجل قتلت وأسرت فنزلت والفاء جواب شرط محذوف تقديره
إن افتخرتم بقتلهم فلم تقتلوهم ولكن الله قتلهم وما رميت يا محمد رميا توصلها إلى أعينهم ولم
تقدر عليه إذ رميت أي أتيت بصورة الرمي ولكن الله رمى أتى بما هو غاية الرمي فأوصلها
إلى أعينهم جميعا حتى انهزموا وتمكنتم من قطع دابرهم وقد عرفت أن اللفظ يطلق على المسمى
وعلى ما هو كماله والمقصود منه وقيل ما رميت بالرعب إذ رميت بالحصباء ولكن الله
رمى بالرعب في قلوبهم وقيل إنه نزل في طعنة طعن بها أبي بن خلف يوم أحد ولم يخرج
منه دم فجعل يخور حتى مات أو رمية سهم رماه يوم خيبر فأصاب كنانة بن أبي الحقيق
على فراشه والجمهور على الأول وقرأ ابن عامر وحمزة والكسائي ولكن بالتخفيف ورفع ما بعده
في الموضعين وليبلي المؤمنين منه بلاء حسنا ولينعم عليهم نعمة عظيمة بالنصر والغنيمة و
مشاهدة الآيات إن الله سميع لاستغاثتهم ودعائهم عليم بنياتهم وأحوالهم ذلكم إشارة
إلى البلاء الحسن أو القتل أو الرمي ومحله الرفع أي المقصود أو الأمر ذلكم وقوله وأن
الله موهن كيد الكافرين معطوف عليه أي المقصود إبلاء المؤمنين وتوهين كيد الكافرين
وإبطال حيلهم وقرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو موهن بالتشديد وحفص موهن كيد بالإضافة
والتخفيف إن تستفتحوا فقد جاءكم الفتح خطاب لأهل مكة على سبيل التهكم وذلك
أنهم حين أرادوا الخروج تعلقوا بأستار الكعبة وقالوا اللهم انصر على الجندين وأهدى
الفئتين وأكرم الحزبين وإن تنتهوا فهو خير لكم عن الكفر ومعاداة الرسول لتضمنه سلامة
الدارين وخير المنزلين وإن تعودوا لمحاربته نعد لنصره ولن تغني ولن تدفع عنكم
فئتكم جماعتكم شيئا من الإغناء والمضار ولو كثرت فئتكم وأن الله مع المؤمنين بالنصر
والمعونة وقرأ نافع وابن عامر وحفص وأن بالفتح على ولأن الله مع المؤمنين كان ذلك وقيل
الآية خطاب للمؤمنين والمعنى إن تستنصروا فقد جاءكم النصر وإن تنتهوا عن التكاسل في
القتال والرغبة عما يستأثره الرسول فهو خير لكم وإن تعودوا إليه نعد عليكم بالإنكار أو تهييج
العدو ولن تغني حينئذ كثرتكم إذا لم يكن الله معكم بالنصر فإنه مع الكاملين إيمانهم ويؤيد ذلك

يا ايها الذين امنوا اطيعوا الله ورسوله ولا تولوا عنه اى ولا تتولوا عن الرسول
فان المراد من الاية الامر بطاعته والنهى عن الاعراض عنه وذكر طاعة الله للتوطئة و
التنبيه على ان طاعة الله فى طاعة الرسول لقوله من يطع الرسول فقد اطاع الله وقيل
الضمير للجهاد او للامر الذى دل عليه الطاعة وانتم تسمعون القران والمواعظ سماع
فهم وتصديق ولا تكونوا كالذين قالوا سمعنا كالكفرة والمنافقين الذين ادعوا
السماع وهم لا يسمعون سماعا ينتفعون به فكانهم لا يسمعون راسا ان شر الدواب
عند الله شر ما يدب على الارض او شر البهائم الصم عن الحق البكم الذين لا يعقلون
اياه عدهم من البهائم ثم جعلهم شرها لابطالهم ما ميزوا به وفضلوا لاجله ولو
علم الله فيهم خيرا سعادة كتبت لهم او انتفاعا بالايات لاسمعهم سماع تفهم ولو اسمعهم
وقد علم ان لا خير فيهم لتولوا ولم ينتفعوا به او لارتدوا بعد التصديق والقبول وهم
معرضون لعنادهم وقيل كانوا يقولون للنبى صلعم احى لنا قصيا فانه كان شيخا
مباركا يشهد لك ونؤمن بك والمعنى لاسمعهم كلام قصى يا ايها الذين امنوا استجيبوا لله و
للرسول بالطاعة اذا دعاكم وحد الضمير فيه لما سبق ولان دعوة الله تسمع من
الرسول وروى انه عليه السلام مر على ابى وهو يصلى فدعاه فعجل فى صلوته ثم جاء فقال ما
منعك عن اجابتى قال كنت اصلى قال الم تخبر فيما اوحى الى استجيبوا لله وللرسول و
اختلف فيه فقيل هذا لان اجابته لا تقطع الصلوة فان الصلوة ايضا اجابة وقيل
ان دعاءه كان لامر لا يحتمل التاخير وللمصلى ان يقطع الصلوة لمثله وظاهر الحديث يناسب الاول
لما يحييكم من العلوم الدينية فانها حيوة القلب والجهل موته قال لا تعجبن الجهول
حلته فذاك ميت وثوبه كفن او مما يورثكم الحيوة الابدية فى النعيم الدايم من
العقايد والاعمال او من الجهاد فانه سبب بقائكم اذ لو تركوه لغلبهم العدو وقتلهم
او الشهادة لقوله بل احياء عند ربهم واعلموا ان الله يحول بين المرء وقلبه تمثيل لغاية
قربه من العبد كقوله ونحن اقرب اليه من حبل الوريد وتنبيه على انه مطلع على
مكنونات القلوب مما عسى يغفل عنه صاحبها وحث على المبادرة الى اخلاص القلوب
وتصفيتها قبل ان يحول الله بينه وبين قلبه بالموت او غيره او تصوير وتخييل لتملكه على
العبد قلبه فيفسخ عزائمه ويغير مقاصده ويحول بينه وبين الكفر ان اراد سعادته
وبينه وبين الايمان ان قضى شقاوته وقرئ بين المر بالتشديد على حذف الهمزة
والقاء حركتها على الراء واجراء الوصل مجرى الوقف على لغة من يشدد فيه وانه اليه
تحشرون فيجازيكم باعمالكم واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة
اتقوا ذنبا يعمكم اثره كاقرار المنكر والمداهنة فى الامر بالمعروف وافتراق الكلمة و
ظهور البدع والتكاسل فى الجهاد على ان قوله لا تصيبن اما جواب الامر على معنى ان اصابتكم
لا تصيب الظالمين منكم خاصة وفيه ان جواب الشرط متردد فلا يليق به النون المؤكدة لكنه لما تضمن

الامر ح — امنوا — كان ح

ون ظالم

معنى

معنى النهى ساغ فيه كقوله ادخلوا مساكنكم لا يحطمنكم واما صفة لفتنة ولا للنفى وفيه
شذوذ لان النون لا يدخل المنفى فى غير القسم او للنهى على ارادة القول كقوله حتى اذا جن
الظلام واختلط جاءوا بمذق هل رايت الذئب قط واما جواب قسم محذوف كقراءة من قرأ
لتصيبن وان اختلفا فى المعنى ويحتمل ان يكون نهيا بعد الامر باتقاء الذنب عن التعرض للظلم
فان وباله يصيب الظالم خاصة ويعود عليه ومن فى منكم على الوجه الاول للتبعيض وعلى
الاخيرين للتبيين وفائدته التنبيه على ان الظلم منكم اقبح من غيركم واعلموا ان الله شديد
العقاب واذكروا اذ انتم قليل مستضعفون فى الارض ارض مكة يستضعفكم قريش
والخطاب للمهاجرين وقيل للعرب كافة فانهم كانوا اذلاء فى ايدى فارس والروم تخافون
ان يتخطفكم الناس كفار قريش او من عداهم فانهم كانوا جميعا معادين مضادين
لهم فاواكم الى المدينة او جعل لكم ماوى تتحصنون به من اعاديكم وايدكم بنصره على
الكفار او بمظاهرة الانصار او بامداد الملائكة يوم بدر ورزقكم من الطيبات من الغنائم
لعلكم تشكرون هذه النعم يا ايها الذين امنوا لا تخونوا الله والرسول بتعطيل الفرائض
والسنن او بان تضمروا خلاف ما تظهرون او بالغلول فى المغانم وروى انه عليه السلام حاصر بنى قريظة
احدى وعشرين ليلة فسالوا الصلح كما صالح اخوانهم بنى النضير على ان يسيروا الى اخوانهم
باذرعات واريحا من الشام فابى الا ان ينزلوا على حكم سعد بن معاذ فابوا وقالوا ارسل الينا ابا
لبابة وكان مناصحا لهم لان عياله وماله فى ايديهم فبعثه اليهم فقالوا ما ترى هل ننزل على
حكم سعد فاشار الى حلقه انه الذبح قال ابو لبابة فما زالت قدماى حتى علمت انى قد خنت الله
ورسوله فشد نفسه على سارية فى المسجد وقال والله لا اذوق طعاما ولا شرابا حتى اموت
او يتوب الله على فمكث سبعة ايام حتى خر مغشيا عليه ثم تاب الله عليه فقيل له قد تيب
عليك فحل نفسك فقال لا والله لا احلها حتى يكون رسول الله هو الذى يحلنى فجاءه فحله بيده
فقال ان من تمام توبتى ان اهجر دار قومى التى اصبت فيها الذنب وان انخلع من مالى
فقال عليه السلام يجزيك الثلث ان تصدق به واصل الخون النقص كما ان اصل الوفاء التمام
واستعماله فى الامانة لتضمنه اياه وتخونوا اماناتكم فيما بينكم وهو مجزوم بالعطف على الاول
او منصوب على الجواب بالواو واعلموا انما اموالكم واولادكم فتنة لانهم سبب
الوقوع فى الاثم والعقاب او محنة من الله ليبلوكم فيه فلا يحملنكم حبهم على الخيانة
كابى لبابة وان الله عنده اجر عظيم لمن اثر رضا الله عليهم وراعى حدوده فيهم
فانيطوا هممكم بما يؤديكم اليه يا ايها الذين امنوا ان تتقوا الله يجعل لكم فرقانا
هداية فى قلوبكم تفرقون بها بين الحق والباطل او نصرا يفرق بين المحق والمبطل باعزاز المؤمنين
واذلال الكافرين او مخرجا من الشبهات او نجاة عما تحذرون فى الدارين او ظهورا يشهر
اموركم ويثبت صيتكم من قولهم بت افعل كذا حتى سطع الفرقان اى الصبح ويكفر عنكم
سيئاتكم ويسترها ويغفر لكم بالتجاوز والعفو وقيل السيئات الصغائر والذنوب

وانتم تعلمون
انكم تخونون او وانتم
علماء تميزون الحسن
من القبيح صح

الكبائر وقيل المراد ما تقدم وما تأخر لانها في اهل بدر وقد غفرها الله لهم والله ذو الفضل
العظيم تنبيه على ما وعده لهم على التقوى تفضل منه واحسان وانه ليس مما يوجب تقويتهم
كالسيد اذا وعد عبده انعاما على عمل واذ يمكر بك الذين كفروا تذكر لما مكر قريش به
حين كان بمكة ليشكر نعمة الله في خلاصه من مكرهم واستيلائه عليهم واذكر اذ يمكرون
بك ليثبتوك بالوثاق او الحبس او الاثخان بالجرح من قولهم ضربه حتى اثبته لا حراك به
ولا براح وقرئ ليثبتوك بالتشديد وليبيتوك من البيات وليقيدوك او يقتلوك بسيوفهم
او يخرجوك من مكة وذلك انهم لما سمعوا باسلام الانصار ومتابعتهم فرقوا فاجتمعوا في دار الندوة
متشاورين في امره فدخل عليهم ابليس في صورة شيخ وقال انا من نجد سمعت اجتماعكم فاردت
ان احضركم ولن تعدموا مني راياً ونصحاً فقال ابو البختري رأيي ان تحبسوه في بيت وتسدوا
منافذه غير كوة تلقون اليه طعامه وشرابه منها حتى يموت فقال الشيخ بئس الرأي يأتيكم
من يقاتلكم من قومه ويخلصه من ايديكم فقال هشام بن عمرو رأيي ان تحملوه على جمل فتخرجوه
من ارضكم فلا يضركم ما صنع فقال بئس الرأي يفسد قوماً غيركم ويقاتلكم بهم فقال ابو جهل انا ارى
ان تأخذوا من كل بطن غلاما وتعطوه سيفا فيضربوه ضربة واحدة فيتفرق دمه في القبائل
فلا يقوى بنو هاشم على حرب قريش كلهم فاذا طلبوا العقل عقلناه فقال صدق هذا الفتى فتفرقوا
على رأيه فاتى جبريل فاخبره وامره بالهجرة فبيت عليا رضي على مضجعه وخرج مع ابي بكر
الى الغار ويمكرون ويمكر الله برد مكرهم عليهم او بمجازاتهم عليه او بمعاملة
الماكرين معهم بان اخرجهم الى بدر وقلل المسلمين في اعينهم حتى حملوا عليهم فقتلوا والله خير الماكرين
اذ لا يؤبه بمكرهم دون مكره واسناد امثال هذا انما يحسن للمزاوجة ولا يجوز اطلاقها ابتداء
لما فيه من ايهام الذم واذا تتلى عليهم آياتنا قالوا قد سمعنا لو نشاء لقلنا مثل
هذا وهو قول النضر بن الحارث واسناده الى الجمع اسناد ما فعله رئيس القوم اليهم فانه كان
قاصهم او قول الذين ائتمروا في امره عليه وهذا غاية مكابرتهم وفرط عنادهم اذ لو استطاعوا ذلك
فما منعهم ان يشاؤا وقد تحداهم وقرعهم بالعجز عشر سنين ثم قارعهم بالسيف فلم يعارضوا سواه مع
انفتهم وفرط استنكافهم ان يغلبوا خصوصا في باب البيان ان هذا الا اساطير الاولين ما سطره
الاولون من القصص واذ قالوا اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك فامطر
علينا حجارة من السماء او ائتنا بعذاب اليم هذا ايضا من كلام ذلك القائل ابلغ
في الجحود روي انه لما قال النضر ان هذا الا اساطير الاولين قال له النبي عليه السلام ويلك انه كلام الله
فقال ذلك والمعنى ان كان القرآن حقا منزلا فامطر الحجارة علينا عقوبة على انكاره او ائتنا بعذاب اليم
سواه والمراد منه التهكم واظهار اليقين والجزم التام على كونه باطلا وقرئ الحق بالرفع على ان
هو مبتدأ غير فصل وفائدة التعريف فيه الدلالة على ان المعلق به كونه حقا بالوجه الذي يدعيه النبي
وهو تنزيله لا الحق مطلقا لتجويزهم ان يكون مطابقا للواقع غير منزل كاساطير الاولين وما كان الله
ليعذبهم وانت فيهم وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون بيان لما كان الموجب لامهالهم

والتوقف

والتوقف في اجابة دعائهم واللام لتأكيد النفي والدلالة على ان تعذيبهم عذاب استئصال والنبي بين اظهرهم
خارج عن عادته غير مستقيم في قضائه والمراد باستغفارهم اما استغفار من بقي فيهم من المؤمنين
او قولهم اللهم غفرانك او فرضه على معنى لو استغفروا لم يعذبوا كقوله وما كان ربك ليهلك
القرى بظلم واهلها مصلحون وما لهم الا يعذبهم الله وما لهم مما يمنع تعذيبهم متى زال ذلك
وكيف لا يعذبون وهم يصدون عن المسجد الحرام وحالهم ذلك ومن صدهم عنه
الجاء رسول الله والمؤمنين الى الهجرة واحصارهم عام الحديبية وما كانوا اولياءه مستحقين ولاية
امره مع شركهم وهو رد لما كانوا يقولون نحن ولاة البيت والحرام فنصد من نشاء وندخل
من نشاء ان اولياؤه الا المتقون من الشرك الذين لا يعبدون فيه غيره وقيل الضمائر
لله ولكن اكثرهم لا يعلمون ان لا ولاية لهم عليه كانه نبه بالاكثر ان منهم من يعلم
ويعاند او اراد به الكل كما يراد بالقلة العدم وما كان صلاتهم عند البيت اي دعاؤهم
او ما يسمونه صلاة او ما يضعون موضعها الا مكاء صفيرا فعال من مكا يمكو اذا صفر
وقرئ بالقصر كالبكا وتصدية تصفيقا تفعلة من الصدا او من الصد على ابدال احد حرفي التضعيف
بالياء وقرئ صلاتهم بالنصب على ان الخبر المقدم ومساق الكلام لتقرير استحقاقهم للعذاب او عدم ولايتهم
للمسجد فانها لا تليق بمن هذه صلاته روي انهم كانوا يطوفون عراة الرجال والنساء مشبكين بين
اصابعهم يصفرون فيها ويصفقون وقيل كانوا يفعلون ذلك اذا اراد النبي صلعم ان يصلي يخلطون عليه
ويرون انهم يصلون ايضا فذوقوا العذاب يعني قتل يوم بدر وقيل عذاب الآخرة واللام
يحتمل ان للعهد والمعهود ائتنا بعذاب بما كنتم تكفرون اعتقادا وعملا ان الذين كفروا
ينفقون اموالهم ليصدوا عن سبيل الله نزلت في المطعمين يوم بدر وكانوا اثني عشر رجلا من قريش
يطعم كل واحد منهم كل يوم عشر جزر او في ابي سفيان استاجر ليوم احد الفين من العرب سوى
من استجاش من العرب وانفق عليهم اربعين اوقية او في اصحاب العير فانه لما اصيب قريش ببدر قيل
لهم اعينوا بهذا المال على حرب محمد لعلنا ندرك منه ثارنا ففعلوا والمراد بسبيل الله دينه
واتباع رسوله فسينفقونها بتمامها ولعل الاول اخبار عن انفاقهم في تلك الحال وهو انفاق
بدر والثاني اخبار عن انفاقهم فيما يستقبل وهو انفاق احد ويحتمل ان يراد بهما واحد على ان مساق
الاول لبيان غرض الانفاق ومساق الثاني لبيان عاقبته وانه لم يقع بعد ثم تكون عليهم حسرة
ندما وغما لفواتها من غير حصول المقصود جعل ذاتها تصير حسرة وهي عاقبة انفاقها مبالغة ثم يغلبون
آخر الامر وان كان الحرب بينهم سجالا قبل ذلك والذين كفروا اي الذين ثبتوا على الكفر
منهم اذ اسلم بعضهم الى جهنم يحشرون يساقون ليميز الله الخبيث من الطيب الكافر من المؤمن
او الفساد من الصلاح واللام متعلقة بيحشرون او يغلبون او ما انفقه المشركون في عداوة
رسول الله مما انفقه المسلمون في نصرته واللام متعلقة بقوله ثم تكون عليهم حسرة وقرأ حمزة و
الكسائي ويعقوب ليميز وهو ابلغ من الميز ويجعل الخبيث بعضه على بعض فيركمه جميعا
فيجمعه ويضم بعضه الى بعض حتى تراكبوا لفرط ازدحامهم او يضم الى الكافر ما انفقه ليزيد به عذابه

ای زیادة اللفظ یدل علی زیادة المعنی

كمال الكافرين فيجعله في جهنم كله اولئك اشارة الى الخبيث لانه مقدر بالفريق الخبيث
او الى المنفقين هم الخاسرون الكاملون في الخسران لانهم خسروا انفسهم واموالهم قل
للذين كفروا يعني ابا سفيان واصحابه والمعنى قل لاجلهم ان ينتهوا عن معاداة الرسول
بالدخول في الاسلام يغفر لهم ما قد سلف من ذنوبهم وقرئ بالتاء والكاف على انه خاطبهم
ويغفر على البناء للفاعل وهو الله وان يعودوا الى قتاله فقد مضت سنة الاولين الذين
تحزبوا على الانبياء بالتدمير كما جرى على اهل بدر فليتوقعوا مثل ذلك وقاتلوهم حتى لا
تكون فتنة لا يوجد فيهم شرك ويكون الدين كله لله وتضمحل عنهم الاديان الباطلة
فان انتهوا عن الكفر فان الله بما يعملون بصير فيجازيهم على انتهائهم عنه واسلامهم
وعن يعقوب بالتاء على معنى فان الله بما تعملون من الجهاد والدعوة الى الاسلام والاخراج
من ظلمة الكفر الى نور الايمان بصير فيجازيكم ويكون تعليقه بانتهائهم دلالة على انه كما
يستدعي اثابتهم للمباشرة يستدعي اثابة مقاتليهم للتسبب وان تولوا ولم ينتهوا فاعلموا
ان الله مولاكم ناصركم فثقوا به ولا تبالوا بمعاداتهم نعم المولى لا يضيع من تولاه
ونعم النصير لا يغلب من نصره واعلموا انما غنمتم اي الذي اخذتموه من الكفار قهرا من شيء
مما يقع عليه اسم الشيء حتى الخيط فان لله خمسه مبتدأ خبره محذوف اي فثابت ان لله خمسه
وقرئ فان بالكسر والجمهور على ان ذكر الله للتعظيم كما في قوله والله ورسوله احق ان يرضوه وان
المراد قسم الخمس على الخمسة المعطوفين وللرسول ولذي القربى واليتامى والمساكين وابن
السبيل فكانه قال فان لله خمسه يصرف الى هؤلاء الاخصين به وحكمه بعد باق غير ان
سهم الرسول عليه السلام يصرف الى ما كان يصرفه اليه من مصالح المسلمين كما فعله الشيخان
وقيل الى الامام وقيل الى الاصناف الاربعة وقال ابو حنيفة سقط سهمه وسهم ذوي القربى
راي صح — بوفاته وصار الكل مصروفا الى الثلاثة الباقية وعن مالك الامر فيه مفوض الى الامام
يصرفه الى ما يراه اهم وذهب ابو العالية الى ظاهر الاية وقال يقسم الى ستة اقسام و
يصرف سهم الله الى الكعبة لما روي انه عليه السلام كان يأخذ منه قبضة فيجعلها للكعبة
ثم يقسم ما بقي على خمسة وقيل سهم الله لبيت المال وقيل هو مضموم الى سهم الرسول وذوو القربى
بنو هاشم وبنو المطلب لما روي انه عليه السلام قسم سهم ذوي القربى عليهما فقال له عثمان وجبير بن مطعم
هؤلاء اخوتك بنو هاشم لا ننكر فضلهم لمكانك الذي جعلك الله منهم ارأيت اخواننا من بني المطلب
انهم صح — اعطيتهم وحرمتنا وانما نحن وهم بمنزلة فقال عليه السلام انهم لم يفارقونا في جاهلية ولا اسلام و
شبك بين اصابعه وقيل بنو هاشم وحدهم وقيل جميع قريش والغني والفقير فيه سواء — شبك [illegible]
وقيل هو مخصوص بفقرائهم كسهم ابن السبيل وقيل الخمس كله لهم والمراد باليتامى والمساكين
وابن السبيل من كان منهم والعطف للتخصيص والاية نزلت ببدر وقيل كان الخمس في غزوة بني قينقاع بعد
بدر بشهر وثلاثة ايام للنصف من شوال على رأس عشرين شهرا من الهجرة ان كنتم آمنتم بالله متعلق
بمحذوف دل عليه واعلموا اي ان كنتم آمنتم بالله فاعلموا انه جعل الخمس لهؤلاء فسلموه اليهم واقتنعوا بالاخماس

الاربعة

الاربعة الباقية فان العلم العملي اذا امر به لم يرد منه العلم المجرد لانه مقصود بالعرض والمقصود
بالذات هو العمل وما انزلنا على عبدنا محمد من الآيات والملائكة والنصر وقرئ عُبُدنا بضمتين
اي الرسول والمؤمنين يوم الفرقان يوم بدر فانه فرق بين الحق والباطل يوم التقى الجمعان
المسلمون والكفار والله على كل شيء قدير فيقدر على نصر القليل على الكثير والامداد
بالملائكة اذ انتم بالعدوة الدنيا بدل من يوم الفرقان والعدوة بالحركات الثلاثة
شط الوادي وقرئ بها والمشهور الضم والكسر وهو قراءة ابن كثير وابي عمرو ويعقوب وهم بالعدوة
القصوى البعدى من المدينة تأنيث الاقصى وكان قياسه قلب الواو ياء كالدنيا والعليا تفرقة
بين الاسم والصفة فجاء على الاصل كالقود وهو اكثر استعمالا من القصيا والركب اي العير او قوادها
اسفل منكم في مكان اسفل من مكانكم يعني الساحل وهو منصوب على الظرف واقع موقع الخبر — من مكانكم
منتهى صح — والجملة حال من الظرف قبله وفائدتها الدلالة على قوة العدو واستظهارهم بالركب وحرصهم على
المقاتلة عنها وتوطين نفوسهم على ان لا يخلوا مراكزهم ويبذلوا منتهى جهدهم وضعف شأن المسلمين
والتياث امرهم واستبعاد غلبتهم عادة وكذا ذكر مراكز الفريقين فان العدوة الدنيا كانت رخوة — اي الضعف
تسوخ فيها الارجل ولا يمشى فيها الا بتعب ولم يكن بها ماء بخلاف العدوة القصوى وكذا قوله ولو تواعدتم
وحالهم صح — لاختلفتم في الميعاد اي لو تواعدتم انتم وهم القتال ثم علمتم حالكم وحالهم لاختلفتم انتم في الميعاد
هيبة منهم ويأسا من الظفر عليهم ليتحققوا ان ما اتفق لهم من الفتح ليس الا صنعا من الله خارقا
وقوله صح — للعادة فيزدادوا ايمانا وشكرا ولكن جمع بينكم على هذه الحال من غير ميعاد ليقضي الله امرا
كان مفعولا حقيقا بان يفعل وهو نصر اوليائه وقهر اعدائه ليهلك من هلك عن بينة
للتلامح صح — ويحيى من حي عن بينة بدل منه او متعلق بقوله مفعولا والمعنى ليموت من يموت عن بينة — عن ب
عاينها ويعيش من يعيش عن حجة شاهدها لئلا يكون له حجة ومعذرة فان وقعة بدر من الآيات
الواضحات او ليصدر كفر من كفر وايمان من آمن عن وضوح بينة على استعارة الهلاك والحياة
للكفر والاسلام والمراد بمن هلك ومن حي المشارف للهلاك والحياة او من هذا حاله في علم الله و
قضائه وقرئ ليهلك بالفتح وقرأ ابن كثير ونافع وابو بكر ويعقوب من حيي بفك الادغام للحمل على المستقبل
وان الله لسميع عليم بكفر من كفر وعقابه وايمان من آمن وثوابه ولعل الجمع بين الوصفين لاشتمال
الامرين على القول والاعتقاد اذ يريكهم الله في منامك قليلا مقدر باذكر او بدل ثان من يوم
الفرقان او متعلق بعليم اي يعلم المصالح اذ يقللهم في عينك في رؤياك وهو ان تخبر به اصحابك
فيكون تثبيتا لهم وتشجيعا على عدوهم ولو اراكهم كثيرا لفشلتم لجبنتم ولتنازعتم في الامر
من القتال وتفرقت آراؤكم بين الثبات والفرار ولكن الله سلم انعم بالسلامة وعصم الاقدام
من الفشل والتنازع انه عليم بذات الصدور يعلم ما سيكون فيها وما يغير احوالها واذ يريكموهم
اذ التقيتم في اعينكم قليلا الضميران مفعولا يري وقليلا حال من الثاني وانما قللهم في اعين
المسلمين حتى قال ابن مسعود لمن الى جنبه اتراهم سبعين فقال اراهم مائة تثبيتا لهم
وتصديقا لرؤيا الرسول ويقللكم في اعينهم حتى قال ابو جهل ان محمدا واصحابه اكلة جزور

قرأ نافع وابو بكر والبزي من
حيي بيائين اولاهما مكسورة
والثانية مفتوحة على اصل
الكلمة اذ الاظهار هو الاصل
والباقون بياء واحدة مشددة
مفتوحة على الادغام استثقالا
للحركة في حرفين من جنس
واحد ولانها مكتوبة في المصاحف
بياء واحدة شرح شاطبي

قللهم في أعينهم قبل التحام القتال ليجترئوا عليهم ولا يستعدوا لهم ثم كثرهم
حتى يرونهم مثليهم لتفاجئهم الكثرة فتبهتهم وتكسر قلوبهم وهذا من
عظائم آيات تلك الواقعة فإن البصر وإن كان قد يرى الكثير قليلا والقليل كثيرا
على هذا الوجه ولا إلى هذا الحد وإنما يتصور ذلك بصد الله الأبصار عن إبصار بعض
دون بعض مع التساوي في الشروط ليقضي الله أمرا كان مفعولا كرره لاختلاف
الفعل المعلل به أو لأن المراد بالأمر ثم الالتقاء على الوجه المحكي وههنا إعزاز الإسلام وأهله
وإذلال الشرك وحزبه وإلى الله ترجع الأمور يا أيها الذين آمنوا إذا
لقيتم فئة حاربتم جماعة ولم يصفها لأن المؤمنين ما كانوا يلقون إلا الكفار واللقاء
مما غلب في القتال فاثبتوا للقائهم واذكروا الله كثيرا في مواطن الحرب
داعين له مستظهرين بذكره مترقبين لنصره لعلكم تفلحون تظفرون
بمرادكم من النصرة والمثوبة وفيه تنبيه على أن العبد ينبغي أن لا يشغله شيء عن ذكر الله
وأن يلتجئ إليه عند الشدائد ويقبل إليه بشراشره فارغ البال واثقا بأن لطفه لا ينفك
عنه في شيء من الأحوال وأطيعوا الله ورسوله ولا تنازعوا باختلاف الآراء كما
فعلتم ببدر أو أحد فتفشلوا جواب النهي وقيل عطف عليه ولذلك قرئ وتذهب
ريحكم بالجزم والريح مستعارة للدولة من حيث إنها في تمشي أمرها ونفاذه مشبهة بها
في هبوبها ونفوذها وقيل المراد بها الحقيقة فإن النصرة لا تكون إلا بريح يبعثها الله وفي
الحديث نصرت بالصبا وأهلكت عاد بالدبور واصبروا إن الله مع الصابرين بالكلاءة
ولا تكونوا كالذين خرجوا من ديارهم يعني أهل مكة حين خرجوا منها لحماية
العير بطرا فخرا وأشرا ورئاء الناس ليثنوا عليهم بالشجاعة والسماحة وذلك أنهم
لما بلغوا جحفة وأتاهم رسول أبي سفيان أن ارجعوا فقد سلمت عيركم فقال أبو جهل
لا والله حتى نقدم بدرا ونشرب بها الخمور وتعزف علينا القيان ونطعم بها من حضرنا من العرب
فوافوها ولكن سقوا كأس المنايا وناحت عليهم النوائح فنهى المؤمنين أن يكونوا أمثالهم
بطرين مرائين وأمرهم بأن يكونوا أهل تقوى وإخلاص من حيث إن النهي عن الشيء
أمر بضده ويصدون عن سبيل الله معطوف على بطرا إن جعل مصدرا في موضع الحال
وكذا إن جعل مفعولا له لكن على تأويل المصدر والله بما يعملون محيط فيجازيكم
عليه وإذ زين لهم الشيطان مقدر باذكر أعمالهم في معاداة الرسول وغيرها
وقال لا غالب لكم اليوم من الناس وإني جار لكم مقالة نفسانية والمعنى
أنه ألقى في روعهم وخيل إليهم أنهم لا يغلبون ولا يطاقون لكثرة عددهم وعددهم وأوهمهم
أن اتباعهم إياه فيما يظنون أنها قربات مجير لهم حتى قالوا اللهم انصر أهدى الفئتين وأفضل الدينين
ولكم خبر لا غالب أو صفته وليس صلته وإلا لانتصب كقولك لا ضاربا زيدا عندنا فلما تراءت
الفئتان أي تلاقى الفريقان نكص على عقبيه رجع القهقرى أي بطل كيده وعاد ما خيل

إليهم

إليهم أنه مجيرهم سبب هلاكهم وقال إني بريء منكم إني أرى ما لا ترون إني أخاف الله أي تبرأ
منهم وخاف عليهم وأيس من حالهم الإحنة فكاد ذلك يثنيهم فتمثل لهم إبليس بصورة سراقة
بن مالك الكناني وقال لا غالب لكم اليوم وإني مجيركم من بني كنانة فلما رأى الملائكة تنزل
نكص وكان يده في يد الحارث بن هشام فقال له إلى أين أتخذلنا في هذه الحالة فقال إني أرى
ما لا ترون ودفع في صدر الحارث وانطلق وانهزموا فلما بلغوا مكة قالوا هزم الناس سراقة فبلغه
ذلك فقال والله ما شعرت بمسيركم حتى بلغتني هزيمتكم فلما أسلموا علموا أنه الشيطان وعلى هذا
يحتمل أن يكون معنى قوله إني أخاف الله أن يصيبني مكروها من الملائكة أو يهلكني ويكون
الوقت هو الوقت الموعود إذ رأى فيه ما لم ير قبل والأول ما قاله الحسن واختاره ابن بحر
والله شديد العقاب يجوز أن يكون من كلامه وأن يكون مستأنفا إذ يقول المنافقون
والذين في قلوبهم مرض والذين لم يطمئنوا إلى الإيمان بعد وبقي في قلوبهم شبهة
وقيل هم المشركون وقيل المنافقون والعطف لتغاير الوصفين غر هؤلاء يعنون المؤمنين
دينهم حتى تعرضوا لما لا يدي لهم به فخرجوا وهم ثلثمائة وبضعة عشر إلى زهاء الألف ومن يتوكل
على الله جواب لهم فإن الله عزيز غالب لا يذل من استجار به وإن قل حكيم يفعل بحكمته
البالغة ما يستبعده العقل ويعجز عن إدراكه ولو ترى ولو رأيت فإن لو تجعل المضارع ماضيا
عكس إن إذ يتوفى الذين كفروا الملائكة ببدر وإذ ظرف ترى والمفعول محذوف أي ولو
ترى الكفرة أو حالهم حينئذ والملائكة فاعل يتوفى ويدل عليه قراءة ابن عامر بالتاء ويجوز
أن يكون الفاعل ضمير الله وهو مبتدأ خبره يضربون وجوههم والجملة حال من الذين كفروا
واستغني فيه بالضمير عن الواو وهو على الأول حال منهم أو من الملائكة أو منهما لاشتماله على الضميرين
وأدبارهم ظهورهم وأستاههم ولعل المراد تعميم الضرب أي يضربون ما أقبل منهم
وما أدبر وذوقوا عذاب الحريق عطف على يضربون بإضمار القول أي ويقولون ذوقوا
بشارة لهم بعذاب الآخرة وقيل كانت معهم مقامع من حديد كلما ضربوا التهبت النار
منها وجواب لو محذوف لتفظيع الأمر وهو خبر لذلك وتهويله ذلك الضرب والعذاب بما
قدمت أيديكم بسبب ما كسبتم من الكفر والمعاصي وهو خبر لذلك وأن الله ليس
بظلام للعبيد عطف على ما للدلالة على أن سببيته مقيدة بانضمامه إليه إذ لولاه لأمكن
أن يعذبهم بغير ذنوبهم لا أن لا يعذبهم بذنوبهم فإن ترك التعذيب من مستحقه ليس
بظلم شرعا ولا عقلا حتى ينتهض نفي الظلم سببا للتعذيب وظلام للتكثير لأجل العبيد كدأب آل
فرعون أي دأب هؤلاء مثل دأب آل فرعون وهو عملهم وطريقهم الذي دأبوا فيه أي داوموا
عليه والذين من قبلهم من قبل آل فرعون كفروا بآيات الله تفسير لدأبهم فأخذهم
الله بذنوبهم كما أخذ هؤلاء إن الله قوي شديد العقاب لا يغلبه في دفعه شيء
ذلك إشارة إلى ما حل بهم بأن الله بسبب أن الله لم يك مغيرا نعمة أنعمها على قوم
مبدلا إياها بالنقمة حتى يغيروا ما بأنفسهم يبدلوا ما بهم من الحال إلى حال أسوأ كتغيير

أي متوجهين إلى تدارك

والعدول عن الماضي إلى المضارع لاستحضار صورة المجرمين

قريش حالهم في صلة الرحم والكف عن تعرض الايات والرسل بمعاداة الرسول ومن تبعه منهم والسعي
في اراقة دمائهم والتكذيب بالايات والاستهزاء بها الى غير ذلك مما احدثوه بعد المبعث
وليس السبب عدم تغيير الله ما انعم عليهم حتى يغيروا حالهم بل ما هو المفهوم له وهو جري عادته
تعالى على تغييره متى تغيروا حالهم واصل لم يك يكون فحذفت الحركة للجزم ثم الواو لالتقاء الساكنين
ثم النون لشبهه بالحروف اللينة تخفيفا وان الله سميع لما يقولون عليم بما يفعلون كدأب
ال فرعون والذين من قبلهم كذبوا بايات ربهم فاهلكناهم بذنوبهم
واغرقنا ال فرعون تكرير للتاكيد ولما نيط به من الدلالة على كفران النعم بقوله بايات
ربهم وبيان ما اخذ به ال فرعون وقيل الاول لتشبيه الكفر والاخذ به والثاني لتشبيه
التغيير في النعمة بسبب تغيرهم ما بانفسهم وكل من الفرق المكذبة او من غرقى القبط
وقتلى قريش كانوا ظالمين انفسهم بالكفر والمعاصي ان شر الدواب عند الله الذين كفروا اصروا
على الكفر ورسخوا فيه فهم لا يؤمنون فلا يتوقع منهم ايمان ولعله اخبار عن قوم مطبوعين على الكفر
بانهم لا يؤمنون والفاء للعطف والتنبيه على ان تحقق المعطوف عليه يستدعي تحقق المعطوف وقوله الذين
عاهدت منهم ثم ينقضون عهدهم في كل مرة بدل من الذين كفروا بدل البعض للبيان
والتخصيص وهم يهود قريظة عاهدهم رسول الله صلعم ان لا يمالئوا عليه فاعانوا المشركين
بالسلاح وقالوا نسينا ثم عاهدهم فنكثوا ومالؤهم عليه يوم الخندق وركب كعب بن الاشرف
الى مكة فحالفهم ومن لتضمن المعاهدة معنى الاخذ والمراد بالمرة مرة المعاهدة او المحاربة وهم لا يتقون
سبة الغدر ومغبته او لا يتقون الله فيه او نصره للمؤمنين وتسلطه عليهم فاما تثقفنهم
فاما تصادفنهم وتظفرن بهم في الحرب فشرد بهم ففرق عن مناصبتك ونكل عنها بقتلهم
والنكاية فيهم من خلفهم من ورائهم من الكفرة والتشريد تفريق على اضطراب وقرئ فشرذ
بالذال المعجمة فكانه مقلوب شذر ومن خلفهم والمعنى واحد فانه اذا شرد من وراءهم فقد
فعل التشريد في الوراء لعلهم يذكرون لعل المشردين يتعظون واما تخافن من قوم
معاهدين خيانة نقض عهد بامارات تلوح لك فانبذ اليهم فاطرح اليهم عهدهم
على سواء على عدل وطريق قصد في العداوة ولا تناجزهم الحرب فانه يكون خيانة
منك او على سواء في الخوف او العلم بنقض العهد وهو في موضع الحال من النابذ على الوجه الاول
اي ثابتا على طريق سوي او منه او من المنبوذ اليهم او منهما على غيره وقوله ان الله لا يحب
الخائنين تعليل للامر بالنبذ والنهي عن مناجزة القتال المدلول عليه بالحال على طريقة
الاستئناف ولا تحسبن خطاب للنبي وقوله الذين كفروا سبقوا مفعولاه وقرأ ابن
عامر وحمزة وحفص بالياء على ان الفاعل ضمير احد او من خلفهم او الذين كفروا والمفعول
الاول انفسهم فحذف للتكرار او على تقدير ان سبقوا وهو ضعيف لان ان المصدرية كالموصول فلا يحذف
او على ايقاع الفعل على انهم لا يعجزون بالفتح على قراءة ابن عامر وان لا صلة وسبقوا حال
بمعنى سابقين اي مفلتين والاظهر انه تعليل للنهي اي لا تحسبهم سبقوا فافلتوا لانهم لا يفوتون الله

الهاربين

او لا يجدون طالبهم عاجزا عن ادراكهم وكذا ان كسرت ان الا انه تعليل على سبيل الاستئناف
ولعل الاية ازاحة لما يحذر به من نبذ العهد وايقاظ العدو وقيل نزلت فيمن افلت
من فل المشركين واعدوا ايها المؤمنون لهم لناقضي العهد او للكفار ما استطعتم
من قوة من كل ما يتقوى به في الحرب وعن عقبة بن عامر سمعته عليه السلام
يقول على المنبر الا ان القوة الرمي قالها ثلاثا ولعله عليه السلام خصه بالذكر
لانه اقواه ومن رباط الخيل اسم للخيل التي تربط في سبيل الله فعال بمعنى مفعول او مصدر
سمي به يقال ربط ربطا ورابط مرابطة ورباطا او جمع ربيط كفصيل وفصال وقرئ
ربط الخيل بضم الباء وسكونها جمع رباط وعطفها على القوة كعطف جبريل وميكائيل على الملائكة
ترهبون به تخوفون به وعن يعقوب ترهبون بالتشديد والضمير لما استطعتم او
للاعداد عدو الله وعدوكم كفار مكة واخرين من دونهم من غيرهم من
الكفرة وقيل هم اليهود وقيل المنافقون وقيل الفرس لا تعلمونهم لا تعرفونهم
باعيانهم الله يعلمهم يعرفهم وما تنفقوا من شيء في سبيل الله يوف اليكم جزاؤه
وانتم لا تظلمون بتضييع العمل او نقص الثواب وان جنحوا مالوا ومنه الجناح وقد يعدى
باللام والى للسلم للصلح والاستسلام وقرأ ابو بكر بالكسر فاجنح لها وعاهد معهم
وتانيث الضمير لحمل السلم على نقيضها فيه قال السلم تاخذ منها ما رضيت به والحرب يكفيك
من انفاسها جرع وقرئ فاجنح بالضم وتوكل على الله ولا تخف من ابطانهم خداعا
فيه فان الله يعصمك من مكرهم ويحيقه بهم انه هو السميع لاقوالهم العليم بنياتهم والاية
مخصوصة باهل الكتاب لاتصال قصتهم وقيل عامة نسخها اية السيف وان يريدوا ان
يخدعوك فان حسبك الله فان محسبك الله وكافيك قال جرير اني وجدت من
المكارم حسبكم ان تلبسوا خز الثياب وتشبعوا هو الذي ايدك بنصره وبالمؤمنين
جميعا والف بين قلوبهم مع ما فيهم من العصبية والضغينة في ادنى شيء والتهالك
على الانتقام بحيث لا يكاد يأتلف فيهم قلبان حتى صاروا كنفس واحدة وهذا من معجزاته
صلوات الله عليه وبيانه لو انفقت ما في الارض جميعا ما الفت بين قلوبهم اي تناهى عداوتهم
الى حد لو انفق منفق في اصلاح ذات بينهم ما في الارض من الاموال لم يقدر على
الالفة والاصلاح ولكن الله الف بينهم بقدرته البالغة فانه المالك للقلوب يقلبها
كيف يشاء انه عزيز تام القدرة والغلبة لا يعصى عليه ما يريده حكيم يعلم انه كيف ينبغي
ان يفعل ما يريده وقيل الاية في الاوس والخزرج كان بينهم احن لا امد لها ووقائع
فيها هلكت ساداتهم فانساهم الله ذلك والف بينهم بالاسلام حتى تصافوا وصاروا
انصارا يا ايها النبي حسبك الله كافيك ومن اتبعك من المؤمنين اما في محل النصب
على المفعول معه كقوله فحسبك والضحاك سيف مهند او الجر عطفا على المكني
عند الكوفيين او الرفع عطفا على اسم الله اي كفاك الله والمؤمنون والاية نزلت بالبيداء

في غزوة بدر وقيل اسلم مع النبي ثلثة وثلثون رجلا وست نسوة ثم اسلم عمر رضه فنزلت ولذلك قال ابن عباس نزلت في اسلامه يا ايها النبي حرض المومنين على القتال بالغ في حثهم عليه واصله الحرض وهو ان ينهكه المرض حتى يشفى على الموت وقرئ حرص من الحرص ان يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين وان يكن منكم مائة يغلبوا الفا من الذين كفروا شرط في معنى الامر بمصابرة الواحد للعشرة والوعد بانهم ان صبروا غلبوا بعون الله وتاييده وقرا ابن كثير ونافع وابن عامر تكن بالتاء في الايتين ووافقهم البصريان في وان تكن منكم مائة بانهم قوم لا يفقهون بسبب انهم جهلة بالله واليوم الاخر لا يثبتون ثبات المومنين رجاء الثواب وعوالي الدرجات قتلوا او قتلوا ولا يستحقون من الله الا الهوان والخذلان الآن خفف الله عنكم وعلم ان فيكم ضعفا فان يكن منكم مائة صابرة يغلبوا مائتين وان يكن منكم الف يغلبوا الفين باذن الله لما اوجب على الواحد مقاومة العشرة والثبات لهم وثقل ذلك عليهم خفف عنهم بمقاومة الواحد الاثنين وقيل كان فيهم قلة فامروا بذلك ثم لما كثروا خفف عنهم وتكرير المعنى الواحد بذكر الاعداد المتناسبة للدلالة على ان حكم القليل والكثير واحد والضعف ضعف البدن وقيل ضعف البصيرة وكانوا متفاوتين فيها وفيه لغتان الفتح وهو قراءة عاصم وحمزة والضم وهو قراءة الباقين والله مع الصابرين بالنصر والمعونة فكيف لا يغلبون ما كان لنبي وقرئ للنبي على العهد ان يكون له اسرى وقرا البصريان بالتاء حتى يثخن في الارض يكثر القتل ويبالغ فيه حتى يذل الكفر ويقل حزبه ويعز الاسلام ويستولي اهله من اثخنه المرض اذا اثقله واصله الثخانة وقرئ يثخن بالتشديد للمبالغة تريدون عرض الدنيا حطامها باخذ الفداء والله يريد الاخرة يريد لكم ثواب الاخرة او سبب نيل الاخرة من اعزاز دينه وقمع اعدائه وقرئ بجر الاخرة على اضمار المضاف كقوله اكل امرئ تحسبين امرأ ونار توقد بالليل نارا والله عزيز يغلب اولياءه على اعدائه حكيم يعلم ما يليق بكل حال ويخصه بها كما امر بالاثخان ومنع عن الافتداء حين كانت الشوكة للمشركين وخير بينه وبين المن لما تحولت الحال وصارت الغلبة للمومنين روي انه عليه السلام اتي يوم بدر بسبعين اسيرا فيهم العباس وعقيل بن ابي طالب فاستشار فيهم فقال ابو بكر قومك واهلك استبقهم لعل الله يتوب عليهم وخذ منهم فدية تقوى بها اصحابك وقال عمر اضرب اعناقهم فانهم ائمة الكفر فان الله اغناك عن الفداء مكني من فلان لنسيب له ومكن عليا وحمزة من اخويهما فلنضرب اعناقهم فلم يهو ذلك رسول الله صلعم وقال ان الله ليلين قلوب رجال حتى يكون الين من اللبن وان الله ليشدد قلوب رجال حتى يكون اشد من الحجارة وان مثلك يا ابا بكر مثل ابرهيم قال فمن تبعني فانه مني ومن عصاني فانك غفور رحيم ومثلك يا عمر مثل نوح قال لا تذر على الارض من الكافرين

اي عوض الاخرة او ثوابها

ديارا

ديارا فخير اصحابه فاخذوا الفداء فنزلت فدخل عمر على رسول الله صلعم فاذا هو وابو بكر يبكيان فقال يا رسول الله اخبرني فان اجد بكاء بكيت والا تباكيت فقال ابكي على اصحابك في اخذهم الفداء ولقد عرض علي عذابهم ادنى من هذه الشجرة لشجرة قريبة والاية دليل على ان الانبياء يجتهدون وانه قد يكون خطاء ولكن لا يقرون عليه لولا كتاب من الله سبق لولا حكم من الله سبق اثباته في اللوح وهو ان لا يعاقب المخطئ في اجتهاده او ان لا يعذب اهل بدر او قوما ما لم يصرح لهم بالنهي عنه او ان الفدية التي اخذوها ستحل لهم لمسكم لنالكم فيما اخذتم من الفداء عذاب عظيم روي انه عليه السلام قال لو نزل العذاب لما نجا منه غير عمر وسعد بن معاذ وذلك لانه ايضا اشار بالاثخان فكلوا مما غنمتم من الفدية فانها من جملة الغنائم وقيل امسكوا عن الغنائم فنزلت والفاء للتسبب والسبب محذوف تقديره ابحت لكم الغنائم فكلوا وبنحوه تشبث من زعم ان الامر الوارد بعد الحظر للاباحة حلالا حال من المغنوم او صفة للمصدر اي اكلا حلالا وفائدته ازاحة ما وقع في نفوسهم منه بسبب تلك المعاتبة او حرمتها على الاولين ولذلك وصفه بقوله طيبا واتقوا الله في مخالفته ان الله غفور غفر لكم ذنبكم رحيم اباح لكم ما اخذتم يا ايها النبي قل لمن في ايديكم من الاسرى وقرا ابو عمرو من الاسارى ان يعلم الله في قلوبكم خيرا ايمانا واخلاصا يوتكم خيرا مما اخذ منكم من الفداء روي انها نزلت في العباس كلفه رسول الله صلعم ان يفدي نفسه وابني اخويه عقيل بن ابي طالب ونوفل بن الحرث فقال يا محمد تركتني اتكفف قريشا ما بقيت فقال فاين الذهب الذي دفعته الى ام الفضل وقت خروجك وقلت لها اني لا ادري ما يصيبني في وجهي هذا فان حدث بي حدث فهو لك ولعبد الله وعبيد الله والفضل وقثم فقال وما يدريك قال اخبرني به ربي قال فاشهد انك صادق وان لا اله الا الله وانك رسوله والله لم يطلع عليه احد الا الله ولقد دفعته اليها في سواد الليل قال العباس فابدلني الله خيرا من ذلك لي الآن عشرون عبدا ان ادناهم ليضرب في عشرين الفا واعطاني زمزم ما احب ان لي بها جميع اموال مكة وانا انتظر المغفرة من ربي يعني الموعود بقوله ويغفر لكم والله غفور رحيم وان يريدوا يعني الاسرى خيانتك نقض ما عاهدوك فقد خانوا الله بالكفر ونقض ميثاقه الماخوذ بالعقل من قبل فامكن منهم اي فامكنك منهم كما فعل يوم بدر فان عادوا الى الخيانة فسيمكنك منهم والله عليم حكيم ان الذين امنوا وهاجروا هم المهاجرون هاجروا اوطانهم حبا لله ورسوله وجاهدوا باموالهم فصرفوها في الكراع والسلاح وانفقوها على المحاويج وانفسهم في سبيل الله بمباشرة القتال والذين اووا ونصروا هم الانصار اووا المهاجرين الى ديارهم ونصروهم على اعدائهم اولئك بعضهم اولياء بعض في الميراث وكان المهاجرون والانصار يتوارثون بالهجرة والنصرة دون الاقارب حتى نسخ بقوله واولوا الارحام بعضهم اولى ببعض او بالنصرة والمظاهرة

الرسال

والذين آمنوا ولم يهاجروا ما لكم من ولايتهم من شيء حتى يهاجروا
أي من توليهم في الميراث وقرأ حمزة ولايتهم بالكسر تشبيها لها بالعمل والصناعة كالكتابة والإمارة
كأنه بتوليه صاحبه يزاول عملا وإن استنصروكم في الدين فعليكم النصر فواجب
عليكم أن تنصروهم على المشركين إلا على قوم بينكم وبينهم ميثاق عهد فإنه
لا ينقض عهدهم لنصرهم عليهم والله بما تعملون بصير والذين كفروا بعضهم
أولياء بعض في الميراث أو الموازرة وهو بمفهومه يدل على منع التوارث والموازرة
بينهم وبين المسلمين إلا تفعلوه أي إلا تفعلوا ما أمرتم به من التواصل بينكم وتولي
بعضكم لبعض حتى في التوارث وقطع العلائق بينكم وبين الكفار تكن فتنة في الأرض
تحصل فتنة فيها وهي ضعف الإيمان وظهور الكفر وفساد كبير في الدين وقرئ
كثير والذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله والذين آووا ونصروا
أولئك هم المؤمنون حقا لما قسم المؤمنين ثلثة أقسام بين أن الكاملين في الإيمان
منهم هم الذين حققوا إيمانهم بتحصيل مقتضاه من الهجرة والجهاد وبذل المال
ونصرة الحق ووعدهم الموعد الكريم فقال لهم مغفرة ورزق كريم لا تبعة
له ولا منة فيه ثم ألحق بهم في الأمرين من سيلحق بهم ويتسم بسمتهم فقال والذين
آمنوا من بعد وهاجروا وجاهدوا معكم فأولئك منكم أي من جملتكم
أيها المهاجرون والأنصار وأولوا الأرحام بعضهم أولى ببعض في التوارث
من الأجانب في كتاب الله في حكمه أو اللوح أو القرآن واستدل به على توريث
ذوي الأرحام إن الله بكل شيء عليم من المواريث والحكمة في إناطتها بنسبة
الإسلام والمظاهرة أولا واعتبار القرابة ثانيا عن النبي صلعم من قرأ سورة الأنفال
وبراءة فأنا شفيع له يوم القيمة وشاهد أنه بريء من النفاق وأعطي عشر حسنات بعدد
كل منافق ومنافقة وكان العرش وحملته يستغفرون له أيام حيوته سورة براءة مدنية
وقيل إلا آيتين من قوله لقد جاءكم رسول وهي آخر ما نزلت ولها أسماء أخر التوبة
والمقشقشة والبحوث والمبعثرة والمنقرة والمثيرة والحافرة والمخزية والفاضحة
والمنكلة والمشردة والمدمدمة وسورة العذاب لما فيها من التوبة للمؤمنين والقشقشة
من النفاق وهي التبري منه والبحث عن حال المنافقين وإثارتها والحفر عنها وما يخزيهم
ويفضحهم وينكلهم ويشردهم ويدمدم عليهم وآيها مائة وثلثون وقيل تسع و
عشرون وإنما تركت التسمية فيها لأنها نزلت لرفع الأمان وبسم الله أمان
وقيل كان النبي صلعم إذا نزلت عليه سورة أو آية بين موضعها وتوفي ولم يبين موضعها
وكانت قصتها تشابه قصة الأنفال وتناسبها لأن في الأنفال ذكر العهود وفي براءة نبذها
فضمت إليها وقيل لما اختلف الصحابة في أنهما سورة واحدة هي سابعة السبع الطوال أو سورتان
تركت بينهما فرجة ولم تكتب بسم الله براءة من الله ورسوله أي هذه براءة ومن ابتدائية

سورة براءة

متعلقة

متعلقة بمحذوف تقديره واصلة من الله ورسوله ويجوز أن يكون براءة مبتدأ لتخصصها
بصفتها والخبر إلى الذين عاهدتم من المشركين وقرئ بنصبها على اسمعوا براءة
والمعنى أن الله ورسوله بريئا من العهد الذي عاهدتم به المشركين وإنما علقت البراءة
بالله وبرسوله والمعاهدة بالمسلمين للدلالة على أنه يجب عليهم نبذ عهود المشركين إليهم وإن
كانت صادرة بإذن الله واتفاق الرسول فإنهما بريئا منها وذلك أنهم عاهدوا مشركي العرب
فنكثوا إلا ناسا منهم بني ضمرة وبني كنانة فأمرهم بنبذ العهد إلى الناكثين وأمهل المشركين
أربعة أشهر ليسيروا أين شاؤوا فسيحوا في الأرض أربعة أشهر شوال وذو القعدة وذو الحجة و
المحرم لأنها نزلت في شوال وقيل هي عشرون من ذي الحجة والمحرم وصفر وربيع الأول وعشر
من ربيع الآخر لأن التبليغ كان يوم النحر لما روي أنها لما نزلت أرسل رسول الله صلعم عليا راكب
العضباء ليقرأها على أهل الموسم وكان قد بعث أبا بكر أميرا على الموسم فقيل له لو بعثت بها إلى
أبي بكر فقال لا يؤدي عني إلا رجل مني فلما دنى علي سمع أبو بكر الرغاء فوقف وقال هذا رغاء ناقة
رسول الله فلما لحقه قال أمير أو مأمور قال مأمور فلما كان قبل التروية خطب أبو بكر وحدثهم
عن مناسكهم وقام علي يوم النحر عند جمرة العقبة فقال يا أيها الناس إني رسول رسول الله إليكم
فقالوا بماذا فقرأ عليهم ثلثين أو أربعين آية ثم قال أمرت بأربع أن لا يقرب البيت بعد
هذا العام مشرك ولا يطوف بالبيت عريان ولا يدخل الجنة إلا كل نفس مؤمنة وأن يتم
إلى كل ذي عهد عهده ولعل قوله لا يؤدي عني إلا رجل مني ليس على العموم فإنه عليه بعث لأن يؤدي
عنه كثير لم يكونوا من عترته بل هو مخصوص بالعهود فإن عادة العرب أن لا يتولى العهد و
نقضه على القبيلة إلا رجل منها ويدل عليه أنه في بعض الروايات لا ينبغي لأحد أن يبلغ هذا إلا رجل
من أهلي واعلموا أنكم غير معجزي لا تفوتونه وإن أمهلكم وأن الله مخزي الكافرين
بالقتل والأسر في الدنيا والعذاب في الآخرة وأذان من الله ورسوله إلى الناس أي إعلام
فعال بمعنى الإفعال كالأمان والعطاء ورفعه كرفع براءة على الوجهين يوم الحج الأكبر يوم العيد لأن
فيه تمام الحج ومعظم أفعاله ولأن الإعلام كان فيه ولما روي أنه عليه السلام وقف يوم النحر عند
الجمرات في حجة الوداع فقال هذا يوم الحج الأكبر وقيل يوم عرفة لقوله عليه السلام الحج عرفة
ووصف الحج بالأكبر لأن العمرة تسمى الحج الأصغر أو لأن المراد بالحج ما يقع في ذلك اليوم من أعماله
فإنه أكبر من باقي الأعمال أو لأن ذلك الحج اجتمع فيه المسلمون والمشركون ووافق عيده أعياد
أهل الكتاب أو لأنه ظهر فيه عز المسلمين وذل المشركين أن الله أي بأن الله بريء من المشركين
أي من عهودهم ورسوله عطف على المستكن في بريء أو على محل إن واسمها في قراءة من كسرها إجراء
للأذان مجرى القول وقرئ بالنصب عطفا على اسم إن أو لأن الواو بمعنى مع ولا تكرير فيه فإن قوله براءة من الله
إخبار بثبوت البراءة وهذه إخبار بوجوب الإعلام بذلك ولذلك علقه بالناس ولم يخص بالمعاهدين فإن
تبتم من الكفر والغدر فهو فالتوب خير لكم وإن توليتم عن التوبة أو ثبتم على التولي عن الإسلام
والوفاء فاعلموا أنكم غير معجزي الله لا تفوتونه طلبا ولا تعجزونه هربا في الدنيا وبشر الذين كفروا بعذاب أليم

الناقض للعهد

رسول

في الآخرة إلا الذين عاهدتم من المشركين استثناء من المشركين او استدراك فكأنه قيل
لهم بعد ان امروا بنبذ العهد الى الناكثين ولكن الذين عاهدوا منهم ثم لم ينقصوكم
شيئا من شروط العهد ولم ينكثوه او لم يقتلوا منكم ولم يضروكم قط ولم يظاهروا
عليكم احدا من اعدائكم فأتموا اليهم عهدهم الى مدتهم الى تمام مدتهم ولا
تجروهم مجرى الناكثين ان الله يحب المتقين تعليل وتنبيه على ان اتمام عهدهم من باب
التقوى فاذا انسلخ انقضى واصل الانسلاخ خروج الشيء مما لابسه من سلخ الشاة الاشهر
الحرم التي ابيح للناكثين ان يسيحوا فيها وقيل رجب وذو القعدة وذو الحجة والمحرم وهذا
مخل بالنظم ومخالف للاجماع فانه يقتضي بقاء حرمة الاشهر الحرم اذ ليس فيما نزل بعد ما ينسخها
فاقتلوا المشركين الناكثين حيث وجدتموهم من حل وحرم وخذوهم واسروهم
والاخيذ الاسير واحصروهم واحبسوهم او حيلوا بينهم وبين المسجد الحرام واقعدوا لهم كل
مرصد كل ممر لئلا يتبسطوا في البلاد وانتصابه على الظرف فان تابوا عن الشرك بالايمان
واقاموا الصلوة وآتوا الزكوة تصديقا لتوبتهم وايمانهم فخلوا سبيلهم فدعوهم
ولا تتعرضوا لهم بشيء من ذلك وفيه دليل على ان تارك الصلوة ومانع الزكوة لا يخلى سبيله ان الله غفور
رحيم تعليل للامر اي فخلوهم لان الله غفور رحيم غفر لهم ما سلف ووعد لهم الثواب بالتوبة
وان احد من المشركين المأمور بالتعرض لهم استجارك استأمنك وطلب منك جوارك
فأجره فأمنه حتى يسمع كلام الله ويتدبره ويطلع على حقيقة الامر ثم ابلغه مأمنه موضع امنه
ان لم يسلم واحد رفع بفعل يفسره ما بعده لا بالابتداء لان ان من عوامل الفعل ذلك الامن او الامر
بانهم قوم لا يعلمون ما الايمان وحقيقة ما تدعوهم اليه فلا بد من امانهم ريثما يسمعون
ويتدبرون كيف يكون للمشركين عهد عند الله وعند رسوله استفهام
بمعنى الانكار والاستبعاد لان يكون لهم عهد ولا ينكثوه مع وغرة صدورهم او لان يفي الله
ورسوله بالعهد وهم نكثوه وخبر يكون كيف وقدم للاستفهام او للمشركين او عند الله وهو على
الاولين صفة للعهد او ظرف له او ليكون وكيف على الاخيرين حال من العهد وللمشركين ان لم
يكن خبرا فتبيين الا الذين عاهدتم عند المسجد الحرام هم المستثنون قبل ومحله النصب
على الاستثناء او الجر على البدل او الرفع على ان الاستثناء منقطع اي ولكن الذين عاهدتم
منهم عند المسجد الحرام فما استقاموا لكم فاستقيموا لهم اي فتربصوا امرهم فان
استقاموا على العهد فاستقيموا على الوفاء وهو كقوله فأتموا اليهم عهدهم غير انه مطلق وهذا
مقيد وما تحتمل الشرطية والمصدرية ان الله يحب المتقين سبق بيانه كيف تكرار لاستبعاد
ثباتهم على العهد او بقاء حكمه مع التنبيه على العلة وحذف الفعل للعلم به كما في قوله وخبرتماني
انما الموت في القرى فكيف وهاتا هضبة وقليب اي فكيف مات وان يظهروا عليكم
اي وحالهم انهم ان يظفروا بكم لا يرقبوا فيكم لا يراعوا فيكم الا حلفا وقيل قرابة
قال حسان لعمرك ان الك من قريش كال السقب من رأل النعام وقيل ربوبية ولعله اشتق للحلف

قرابة

السقب من ولد الناقة والرأل ولد النعام

من

من الال وهو الجؤار لانهم كانوا اذا تحالفوا رفعوا به اصواتهم وشهروه ثم استعير للقرابة لانها
تعقد بين الاقارب ما لا يعقده الحلف ثم للربوبية والتربية وقيل اشتقاقه من ال الشيء
اذا حدده او من ال البرق اذا لمع وقيل انه عبري بمعنى الاله لانه قرئ ايلا كجبرال وجبرئيل و
لا ذمة عهدا او حقا يعاب على اغفاله يرضونكم بافواههم استئناف لبيان حالهم المنافية لثباتهم
على العهد المؤدية الى عدم مراقبتهم عند الظفر ولا يجوز جعله حالا من فاعل لا يرقبوا فانهم بعد ظهورهم (ظفرهم)
لا يرضون ولان المراد اثبات ارضائهم المؤمنين بوعد الايمان والطاعة والوفاء بالعهد في الحال
واستبطان الكفر والمعاداة بحيث ان ظفروا لم يبقوا عليهم والحالية تنافيه وتأبى قلوبهم ما تتفوه
به افواههم واكثرهم فاسقون متمردون لا عقيدة تزعهم ولا مروءة تردعهم وتخصيص الاكثر
لما في بعض الكفرة من التفادي عن الغدر والتعفف عما يجر احدوثة السوء اشتروا
بآيات الله استبدلوا بالقرآن ثمنا قليلا عرضا يسيرا وهو اتباع الاهواء والشهوات فصدوا
عن سبيله دينه الموصل اليه او سبيل بيته بحصر الحجاج والعمار والفاء للدلالة على ان اشتراءهم
اداهم الى الصد انهم ساء ما كانوا يعملون عملهم هذا او ما دل عليه قوله لا يرقبون في
مؤمن الا ولا ذمة وهو تفسير لا تكرير وقيل الاول عام في المناقضين وهذا خاص بالذين
اشتروا وهم اليهود والاعراب الذين جمعهم ابو سفيان واطعمهم واولئك هم المعتدون في
الشرارة فان تابوا عن الكفر واقاموا الصلوة وآتوا الزكوة فاخوانكم فهم اخوانكم
في الدين لهم ما لكم وعليهم ما عليكم ونفصل الآيات لقوم يعلمون اعتراض للحث على
تأمل ما فصل من احكام المعاهدين او خصال التائبين وان نكثوا ايمانهم من بعد عهدهم
وان نكثوا ما بايعوا عليه من الايمان والوفاء بالعهود وطعنوا في دينكم بصريح التكذيب
وتقبيح الاحكام فقاتلوا ائمة الكفر اي فقاتلوهم فوضع ائمة الكفر موضع الضمير للدلالة على
انهم صاروا بذلك ذوي الرياسة والتقدم في الكفر احقاء بالقتل وقيل المراد بالائمة رؤساء
المشركين فالتخصيص اما لان قتلهم اهم وهم احق به او للمنع من مراقبتهم وقرأ عاصم وابن
عامر وحمزة والكسائي وروح عن يعقوب ائمة بتحقيق الهمزتين على الاصل والتصريح بالياء
لحن انهم لا ايمان لهم اي لا ايمان لهم على الحقيقة والا لما طعنوا ولم ينكثوا وفيه دليل
على ان الذمي اذا طعن في الاسلام فقد نكث عهده واستشهد به الحنفية على ان يمين الكافر ليس يمينا
وهو ضعيف لان المراد نفي الوثوق عليها لا انها ليست بايمان لقوله وان نكثوا ايمانهم وقرأ ابن عامر
لا ايمان بمعنى لا امان او لا اسلام وتشبث به من لم يقبل توبة المرتد وهو ضعيف لجواز ان
يكون بمعنى لا يؤمنون على الاخبار عن قوم معينين او ليس لهم ايمان فيراقبون لاجله لعلهم ينتهون
متعلق بقاتلوا اي ليكن غرضكم في المقاتلة ان ينتهوا عما هم عليه لا ايصال الاذية بهم كما هو
طريقة المؤذين الا تقاتلون قوما تحريض على القتال لان الهمزة دخلت على النفي للانكار فافادت
المبالغة في الفعل فنكثوا ايمانهم التي حلفوها مع الرسول والمؤمنين على ان لا يعاونوا فعاونوا
بني بكر على خزاعة وهموا باخراج الرسول حين تشاوروا في امره بدار الندوة على ما مر ذكره
من مكة

في قوله واذ يمكر بك الذين كفروا وقيل هم اليهود نكثوا عهد الرسول عليه السلام وهموا باخراجه
من المدينة وهم بدءوكم اول مرة في المعاداة والمقاتلة لانه عليه السلام بداهم بالدعوة
والزام الحجة بالكتاب والتحدي به فعدلوا عن معارضته الى المعاداة والمقاتلة فما يمنعكم
ان تعارضوهم وتصادموهم اتخشونهم اتتركون قتالهم خشية ان ينالكم مكروه
منهم فالله احق ان تخشوه فقاتلوا اعداءه ولا تتركوا امره ان كنتم مومنين فان قضية
الايمان ان لا يخشى الا منه قاتلوهم امر بالقتال بعد بيان موجبه والتوبيخ على تركه
والتوعيد عليه يعذبهم الله بايديكم ويخزهم وينصركم عليهم وعد لهم ان قاتلوهم
بالنصر عليهم والتمكن من قتلهم واذلالهم ويشف صدور قوم مومنين يعني بني خزاعة وقيل
بطونا من اليمن وسبا قدموا مكة فاسلموا فلقوا من اهلها اذى شديدا فشكوا الى رسول الله
فقال ابشروا فان الفرج قريب ويذهب غيظ قلوبهم لما لقوا منهم وقد اوفى الله بما وعدهم
والاية من المعجزات ويتوب الله على من يشاء ابتداء اخبار بان بعضهم يتوب عن كفره وقد كان
ذلك ايضا وقرئ ويتوب بالنصب على اضمار ان على انه من جملة ما اجيب به الامر فان القتال
كما تسبب لتعذيب قوم تسبب لتوبة قوم اخرين والله عليم بما كان وما سيكون حكيم
لا يفعل ولا يحكم الا وفق الحكمة ام حسبتم خطاب للمومنين حين كره بعضهم القتال
وقيل للمنافقين وام منقطعة ومعنى الهمزة التوبيخ على الحسبان ان تتركوا ولما
يعلم الله الذين جاهدوا منكم ولم يتبين الخلص منكم وهم الذين جاهدوا
من غيرهم نفى العلم واراد نفي المعلوم للمبالغة فانه كالبرهان عليه من حيث ان تعلق
العلم به مستلزم لوقوعه ولم يتخذوا عطف على جاهدوا داخل في الصلة من دون
الله ولا رسوله ولا المومنين وليجة بطانة يوالونهم ويفشون اليهم اسرارهم وما
في لما من معنى التوقع منبه على ان تبين ذلك [دون حال] والله خبير بما تعملون يعلم غرضكم منه وهو
كالمزيح لما يتوهم من ظاهر قوله ولما يعلم الله ما كان للمشركين ما صح لهم ان يعمروا
مساجد الله شيئا من المساجد فضلا عن المسجد الحرام وقيل هو المراد وانما جمع لانه قبلة
المساجد وامامها فعامره كعامر الجميع ويدل عليه قراءة ابن كثير وابي عمرو ويعقوب
بالتوحيد شاهدين على انفسهم بالكفر باظهار الشرك وتكذيب الرسول عليه السلام وهو حال من
الواو والمعنى ما استقام لهم ان يجمعوا بين امرين متنافيين عمارة بيت الله وعبادة غيره
روي انه لما اسر العباس عيره المسلمون بالشرك وقطيعة الرحم واغلظ له علي في القول فقال [العباس]
ما لكم تذكرون مساوينا وتكتمون محاسننا انا لنعمر المسجد الحرام ونحجب الكعبة ونسقي
الحجيج ونفك العاني فنزلت اولئك حبطت اعمالهم التي يفتخرون بها بما قارنها من الشرك
وفي النار هم خالدون لاجله انما يعمر مساجد الله من امن بالله واليوم الاخر
واقام الصلوة واتى الزكوة اي انما يستقيم عمارتها لهولاء الجامعين للكمالات
العلمية والعملية ومن عمارتها تزيينها بالفرش وتنويرها بالسرج وادامة العبادة والذكر

ودرس

ودرس العلم فيها وصيانتها مما لم تبن له كحديث الدنيا وعن النبي صلعم قال الله تعالى
ان بيوتي في ارضي المساجد وان زواري فيها عمارها فطوبى لعبد تطهر في بيته ثم
زارني في بيتي فحق على المزور ان يكرم زائره وانما لم يذكر الايمان بالرسول
لما علم ان الايمان بالله قرينته وتمامه الايمان به ولدلالة قوله واقام الصلوة واتى
الزكوة ولم يخش الا الله اي في ابواب الدين فان الخشية عن المحاذير جبلية لا يكاد
العاقل يتمالك عنها فعسى اولئك ان يكونوا من المهتدين ذكره بصيغة التوقع
قطعا لاطماع المشركين في الاهتداء والانتفاع باعمالهم وتوبيخا لهم بالقطع
بانهم مهتدون فان هولاء مع كمالهم اذا كان اهتداؤهم دائرا بين عسى ولعل فما ظنك
باضدادهم ومنعا للمومنين ان يغتروا باحوالهم ويتكلوا عليها اجعلتم سقاية الحاج
وعمارة المسجد الحرام كمن امن بالله واليوم الاخر وجاهد في سبيل الله السقاية
والعمارة مصدرا سقى وعمر فلا يشبهان بالجثث بل لابد من اضمار تقديره اجعلتم اهل سقاية
الحاج كمن امن او جعلتم سقاية الحاج كايمان من امن ويويد الاول قراءة من قرا سقاة
الحاج وعمرة المسجد والمعنى انكار ان يشبه المشركون واعمالهم المحبطة بالمومنين واعمالهم
المثبتة ثم قرر ذلك بقوله لا يستوون عند الله وبين عدم تساويهم بقوله والله لا يهدي
القوم الظالمين اي الكفرة ظلمة بالشرك ومعاداة الرسول منهمكون في الضلالة فكيف
يساوون الذين هداهم الله ووفقهم للحق والصواب وقيل المراد بالظالمين الذين
يسوون بينهم وبين المومنين الذين امنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله باموالهم [هم]
وانفسهم اعظم درجة عند الله اعلى رتبة واكثر كرامة ممن لم تجتمع فيه هذه الصفات
او من اهل السقاية والعمارة عندكم واولئك هم الفائزون بالثواب ونيل الحسنى
عند الله دونكم يبشرهم ربهم برحمة منه ورضوان وجنات لهم فيها اي
في الجنات نعيم مقيم دائم وقرا حمزة يبشرهم بالتخفيف وتنكير المبشر به اشعار بانه
وراء التعيين والتعريف خالدين فيها ابدا اكد الخلود بالتابيد لانه قد يستعمل للمكث الطويل
ان الله عنده اجر عظيم يستحقر دونه ما استوجبوه لاجله او نعيم الدنيا يا ايها الذين امنوا
لا تتخذوا اباءكم واخوانكم اولياء نزلت في المهاجرين فانهم لما امروا بالهجرة
قالوا ان هاجرنا قطعنا اباءنا وابناءنا وعشائرنا وذهبت تجارتنا وبقينا ضائعين وقيل
نزلت نهيا عن موالاة التسعة الذين ارتدوا ولحقوا بمكة والمعنى لا تتخذوهم اولياء
يمنعونكم عن الايمان ويصدونكم عن الطاعة لقوله ان استحبوا الكفر
على الايمان ان اختاروه وحرضوا عليه ومن يتولهم منكم فاولئك هم الظالمون
بوضعهم الموالاة في غير محلها قل ان كان اباؤكم وابناؤكم واخوانكم وازواجكم
وعشيرتكم اقرباؤكم ماخوذ من العشرة وقيل من العشيرة فان العشيرة جماعة ترجع
الى عقد كعقد العشرة وقرا ابو بكر وعشيراتكم وقرئ وعشائركم واموال اقترفتموها

اكتسبتموها وتجارة تخشون كسادها فوات وقت نفاقها ومساكن
ترضونها احب اليكم من الله ورسوله وجهاد في سبيله الحب الاختياري
دون الطبيعي فانه لا يدخل تحت التكليف فتربصوا حتى ياتي الله بامره جواب الشرط
ووعيد والامر عقوبة عاجلة او اجلة وقيل فتح مكة والله لا يهدي القوم
الفاسقين لا يرشدهم وفي الاية تشديد عظيم وقل من تخلص عنه لقد نصركم
الله في مواطن كثيرة يعني مواطن الحرب وهي مواقعها ويوم حنين وموطن يوم حنين
ويجوز ان يقدر في ايام مواطن او يفسر الموطن بالوقت كمقتل الحسين ولا يمنع ابدال قوله
اذ اعجبتكم كثرتكم منه ان يعطف على موضع في مواطن فانه لا يقتضي تشاركهما
فيما اضيف اليه المعطوف حتى يقتضي كثرتهم واعجابها اياهم في جميع المواطن وحنين
واد بين مكة والطايف حارب فيه رسول الله صلعم والمسلمون وكانوا اثني عشر الفا العشرة
الذين حضروا فتح مكة والفان انضموا اليهم من الطلقاء وهوازن وثقيف وكانوا
اربعة الاف فلما التقوا قال النبي او ابو بكر او غيره من المسلمين لن نغلب اليوم من
قلة اعجابا بكثرتهم واقتتلوا قتالا شديدا فادرك المسلمين اعجابهم واعتمادهم
على كثرتهم فانهزموا حتى بلغ فلهم مكة وبقي رسول الله صلعم في مركزه ليس معه
الا عمه العباس اخذ بلجامه وابن عمه ابو سفيان بن الحرث وناهيك بهذا شهادة
على تناهي شجاعته فقال للعباس وكان صيتا صح بالناس فنادى يا عباد الله يا اصحاب
الشجرة يا اصحاب سورة البقرة فكروا عنقا واحدا يقولون لبيك لبيك ونزلت
الملايكة فالتقوا مع المشركين فقال عليه السلام هذا حين حمي الوطيس ثم
اخذ كفا من تراب فرماهم ثم قال انهزموا ورب الكعبة فانهزموا فلم تغن
عنكم اي الكثرة شيئا من الاغناء او من امر العدو وضاقت عليكم
الارض بما رحبت برحبها اي بسعتها لا تجدون فيها مقرا تطمئن اليه نفوسكم من شدة
الرعب او لا تثبتون فيها كمن لا يسعه مكانه ثم وليتم اي الكفار ظهوركم مدبرين
منهزمين والادبار الذهاب خلفا خلاف الاقبال ثم انزل الله سكينته رحمته
التي سكنوا بها وامنوا على رسوله وعلى المؤمنين الذين انهزموا واعادة الجار
للتنبيه على اختلاف حاليهما وقيل هم الذين ثبتوا مع الرسول عليه السلام ولم يفروا وانزل
جنودا لم تروها باعينكم يعني الملايكة وكانوا خمسة الاف او ثمانية او ستة عشر
على اختلاف الاقوال وعذب الذين كفروا بالقتل والاسر والسبي وذلك
جزاء الكافرين اي ما فعل بهم جزاء كفرهم في الدنيا ثم يتوب الله من بعد ذلك
على من يشاء منهم بالتوفيق للاسلام والله غفور رحيم يتجاوز عنهم ويتفضل عليهم
روي ان ناسا منهم جاؤوا الى النبي صلعم واسلموا وقالوا يا رسول الله انت خير الناس وابرهم
وقد سبي اهلونا واولادنا واخذت اموالنا وقد سبي يومئذ ستة الاف نفس واخذ من الابل

والغنم

والغنم ما لا يحصى فقال اختاروا اما سبايكم واما اموالكم فقالوا ما كنا نعدل بالاحساب
شيئا فقام رسول الله صلعم وقال ان هؤلاء جاؤوا مسلمين وانا خيرناهم بين الذراري والاموال
فلم يعدلوا بالاحساب شيئا فمن كان بيده شيء وطابت نفسه ان يرده فشانه ومن لا فليعطنا
وليكن قرضا علينا حتى نصيب شيئا فنعطيه مكانه فقالوا رضينا وسلمنا فقال اني لا ادري
لعل فيكم من لا يرضى فمروا عرفاءكم فليرفعوا الينا فرفعوا انهم قد رضوا يا ايها الذين امنوا
انما المشركون نجس لخبث باطنهم او لانه يجب ان يجتنب عنهم كما يجتنب عن الانجاس
او لانهم لا يتطهرون ولا يجتنبون عن النجاسات فهم ملابسون لها غالبا وفيه دليل على ان
ما الغالب نجاسته نجس وعن ابن عباس ان اعيانهم نجسة كالكلاب وقرئ نجس بالسكون
وكسر النون وهو ككبد في كبد واكثر ما جاء تابعا لرجس فلا يقربوا المسجد الحرام لنجاستهم
وانما نهى عن الاقتراب للمبالغة او للمنع عن دخول الحرم وقيل المراد به النهي عن الحج والعمرة لا عن
الدخول مطلقا واليه ذهب ابو حنيفة وقاس مالك ساير المساجد على المسجد الحرام في
المنع وفيه دليل على ان الكفار مخاطبون بالفروع بعد عامهم هذا سنة براءة وهي
التاسعة وقيل سنة حجة الوداع وان خفتم عيلة فقرا بسبب منعهم من الحرم وانقطاع
ما كان لكم من قدومهم من المكاسب والارفاق فسوف يغنيكم الله من فضله
من عطايه او تفضله بوجه اخر وقد انجز وعده بان ارسل السماء عليهم مدرارا ووفق اهل
تبالة وجرش فاسلموا وامتاروا لهم ثم فتح عليهم البلاد والغنايم وتوجه اليهم
الناس من اقطار الارض وقرئ عايلة على انها مصدر كالعافية او حال ان شاء قيده
بالمشية لتنقطع الامال الى الله ولينبه على انه متفضل في ذلك وان الغنى الموعود
يكون لبعض دون بعض وفي عام دون عام ان الله عليم باحوالكم حكيم فيما يعطي
ويمنع قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الاخر اي لا يؤمنون بهما على ما ينبغي
كما بينا في اول البقرة فان ايمانهم كلا ايمان ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله
ما ثبت تحريمه بالكتاب والسنة وقيل رسوله هو الذي يزعمون اتباعه والمعنى انهم
يخالفون اصل دينهم المنسوخ اعتقادا وعملا ولا يدينون دين الحق الثابت الذي هو
ناسخ ساير الاديان ومبطلها من الذين اوتوا الكتاب بيان للذين لا يؤمنون
حتى يعطوا الجزية ما تقرر عليهم ان يعطوه مشتق من جزى دينه اذا قضاه عن يد
حال من الضمير اي عن يد مواتية بمعنى منقادين او عن يدهم بمعنى مسلمين بايديهم غير باعثين
بايدي غيرهم ولذلك منع من التوكيل فيه او عن غنى ولذلك قيل لا يؤخذ من الفقير
او عن يد قاهرة عليهم بمعنى عاجزين اذلاء او عن انعام عليهم فان ابقاءهم بالجزية نعمة
عظيمة وهم صاغرون اذلاء وعن ابن عباس تؤخذ الجزية من الذمي وتوجأ عنقه
ومفهوم الاية يقتضي تخصيص الجزية باهل الكتاب ويؤيده ان عمر رضه لم يكن ياخذ الجزية
من المجوس حتى شهد عبد الرحمن بن عوف انه عليه السلام اخذها من مجوس هجر وانه قال

سنوا بهم سنة اهل الكتاب وذلك لانهم شبهة كتاب فالحقوا بالكتابيين واما سائر
الكفرة فلا تؤخذ منهم الجزية عندنا وعند ابي حنيفة تؤخذ منهم الا من مشركي العرب
لما روى الزهري انه عليه السلام صالح عبدة الاوثان على الجزية الا من كان من العرب وعند
مالك تؤخذ من كل كافر الا المرتد واقلها في كل سنة دينار سواء فيه الغني والفقير وقال
ابو حنيفة على الغني ثمانية واربعون درهما وعلى المتوسط نصفها وعلى الفقير المكتسب ربعها
ولا شيء على فقير غير مكتسب وقالت اليهود عزير ابن الله وانما قاله بعضهم من متقدميهم
او ممن كانوا بالمدينة وانما قالوا ذلك لانه لم يبق فيهم بعد وقعة بخت نصر من يحفظ التورية
وهو لما احياه الله بعد مائة عام املى عليهم التورية حفظا فتعجبوا من ذلك وقالوا ما هذا
الا لانه ابن الله والدليل على ان هذا القول كان فيهم ان الاية قرئت عليهم فلم يكذبوا مع تهالكهم
على التكذيب وقرأ عاصم والكسائي ويعقوب عزير بالتنوين على انه عربي مخبر عنه
بابن غير موصوف به وحذفه في القراءة الاخرى اما لمنع صرفه للعجمة والتعريف او لالتقاء
الساكنين تشبيها للنون بحروف اللين او لان الابن وصف والخبر محذوف مثل معبودنا
او صاحبنا وهو مزيف لانه يؤدي الى تسليم النسب وانكار الخبر المقدر وقالت النصارى
المسيح ابن الله هو ايضا قول بعضهم وانما قالوه استحالة لان يكون ولد بلا اب او لان
يفعل ما فعله من ابراء الاكمه والابرص واحياء الموتى من لم يكن الها ذلك قولهم بافواههم
اما تأكيد لنسبة هذا القول اليهم ونفي للتجوز عنها او اشعار بانه قول مجرد عن برهان و
تحقيق مماثل للمهمل الذي يوجد مفهومه في الاعيان يضاهئون قول الذين كفروا
اي يضاهي قولهم قول الذين كفروا فحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه من قبل
من قبلهم والمراد قدماؤهم على معنى ان الكفر قديم فيهم او المشركون الذين قالوا
الملائكة بنات الله او اليهود على ان الضمير للنصارى والمضاهاة المشابهة والهمز لغة فيه
وقد قرأ به عاصم ومنه قولهم امرأة ضهياء على فعيل للتي شابهت الرجال في انها لا تحيض
قاتلهم الله دعاء عليهم بالاهلاك فان من قاتله الله هلك او تعجب من شناعة قولهم انى يؤفكون
كيف يصرفون عن الحق الى الباطل اتخذوا احبارهم ورهبانهم اربابا من دون الله
بان اطاعوهم في تحريم ما احل الله وتحليل ما حرم الله او بالسجود لهم والمسيح ابن مريم
بان جعلوه ابنا لله وما امروا اي وما امر المتخذون او المتخذون اربابا فيكون كالدليل
على بطلان الاتخاذ الا ليعبدوا ليطيعوا الها واحدا وهو الله تعالى واما طاعة الرسل
وسائر من امر الله بطاعته فهي في الحقيقة طاعة الله لا اله الا هو صفة ثانية او
استئناف مقرر للتوحيد سبحانه عما يشركون تنزيه له عن ان يكون له شريك يريدون
ان يطفئوا يخمدوا نور الله حجته الدالة على وحدانيته وتقدسه عن الولد او القرآن
او نبوة محمد صلعم بافواههم بشركهم او تكذيبهم ويأبى الله لا يرضى الا ان يتم نوره
باعلاء التوحيد والقرآن الاسلام وقيل انه تمثيل لحالهم في طلبهم ابطال نبوة محمد عليه السلام بالتكذيب

كحال

كحال من يطلب اطفاء نور عظيم منبث في الافاق يريد الله ان يزيده بنفخه وانما صح
الاستثناء المفرغ والفعل موجب لانه في معنى النفي ولو كره الكافرون محذوف الجواب
لدلالة ما قبله عليه هو الذي ارسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله
كالبيان لقوله ويأبى الله الا ان يتم نوره ولذلك كرر ولو كره المشركون
غير انه وضع المشركون موضع الكافرون للدلالة على انهم ضموا الكفر بالرسول الى الشرك
بالله والضمير في ليظهره للدين الحق او الرسول واللام في الدين للجنس اي على سائر الاديان
فينسخها او على اهلها فيخذلهم يا ايها الذين امنوا ان كثيرا من الاحبار والرهبان
ليأكلون اموال الناس بالباطل يأخذونها بالرشى في الاحكام سمي اخذ المال اكلا لانه الغرض
الاعظم منه ويصدون عن سبيل الله دينه والذين يكنزون الذهب
والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله يجوز ان يراد الكثير من الاحبار والرهبان
فيكون مبالغة في وصفهم بالحرص على الاموال والضن بها وان يراد المسلمون الذين يجمعون
المال ويقتنونه ولا يؤدون حقه ويكون اقترانهم بالمرتشين من اهل الكتاب للتغليظ
ويدل عليه انه لما نزل كبر على المسلمين فذكر عمر لرسول الله صلعم فقال ان الله لم يفرض الزكوة
الا ليطيب بها ما بقي من اموالكم وقوله عليه السلام ما ادي زكوته فليس بكنز اي
بكنز اوعد عليه فان الوعيد على الكنز مع عدم الانفاق فيما امر الله ان ينفق فيه واما
قوله من ترك صفراء او بيضاء كوي بها ونحوه فالمراد منها ما لم يؤد حقها لقوله عليه السلام
فيما اورده الشيخان مرويا عن ابي هريرة ما من صاحب ذهب ولا فضة لا يؤدي منها حقها
الا اذا كان يوم القيمة صفحت له صفائح من نار فيكوى بها جنبه وجبينه وظهره فبشرهم
بعذاب اليم هو الكي بهما يوم يحمى عليها في نار جهنم اي يوم توقد النار ذات حمي
شديد عليها واصله تحمى بالنار فجعل الاحماء للنار مبالغة ثم حذفت النار واسند الفعل الى الجار
والمجرور تنبيها على المقصود فانتقل من صيغة التأنيث الى صيغة التذكير وانما قال عليها
والمذكور شيئان لان المراد بها دنانير ودراهم كثيرة كما قال علي رضه اربعة الاف وما
دونها نفقة وما فوقها كنز وكذا قوله ولا ينفقونها وقيل الضمير فيهما للكنوز او الاموال فان
الحكم عام وتخصيصهما بالذكر لانهما قانون التمول او للفضة وتخصيصها لقربها ودلالة
حكمها على ان الذهب اولى بهذا الحكم فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم لان جمعهم وامساكهم
كان لطلب الوجاهة بالغنى والتنعم بالمطاعم الشهية والملابس البهية او لانهم ازوروا عن السائل
واعرضوا عنه وولوه ظهورهم او لانها اشرف الاعضاء الظاهرة فانها المشتملة على الاعضاء الرئيسة
التي هي الدماغ والقلب والكبد او لانها اصول الجهات الاربع التي هي مقاديم البدن ومآخره
وجنبتاه هذا ما كنزتم على ارادة القول لانفسكم لمنفعتها وكان عين مضرتها وسبب تعذيبها فذوقوا
ما كنتم تكنزون اي وبال كنزكم او ما تكنزونه وقرئ تكنزون بضم النون ان
عدة الشهور اي مبلغ عددها عند الله معمول عدة لانها مصدر اثنا عشر شهرا في كتاب الله

في اللوح المحفوظ او في حكمه وهو صفة لاثنا عشر وقوله يوم خلق السموات والارض متعلق
بما فيه من معنى الثبوت او بالكتاب ان جعل مصدرا والمعنى ان هذا امر ثابت في نفس الامر
مذ خلق الله الاجرام والازمنة منها اربعة حرم واحد فرد وهو رجب وثلثة سرد
ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ذلك الدين القيم اي تحريم الاشهر الاربعة هو الدين القويم
دين ابراهيم واسمعيل والعرب ورثوه منهما فلا تظلموا فيهن انفسكم بهتك حرمتها
وارتكاب حرامها والجمهور على ان حرمة المقاتلة فيها منسوخة واولوا الظلم بارتكاب المعاصي
فيهن فانه اعظم وزرا كارتكابها في الحرم وحال الاحرام وعن عطاء انه لا يحل للناس ان يغزوا
في الحرم والاشهر الحرم الا ان يقاتلوا ويؤيد الاول ما روي انه عليه السلام حاصر الطائف وغزا هوازن
بحنين في شوال وذي القعدة وقاتلوا المشركين كافة كما يقاتلونكم كافة جميعا وهو مصدر
كف عن الشيء فان الجميع مكفوف عن الزيادة وقع موقع الحال واعلموا ان الله مع المتقين بشارة
وضمان لهم بالنصرة بسبب تقواهم انما النسيء اي تاخير حرمة الشهر الى شهر اخر كانوا اذا جاء
شهر حرام وهم محاربون احلوه وحرموا مكانه شهرا اخر حتى رفضوا خصوص الاشهر واعتبروا
مجرد العدد وعن نافع انما النسي بقلب الهمزة ياء وادغام الياء فيها وقرئ النسي بحذفها والنسء
والنساء وثلثتها مصادر نسأه اذا اخره زيادة في الكفر لانه تحريم ما احله الله وتحليل
ما حرمه فهو كفر اخر ضموه الى كفرهم يضل به الذين كفروا ضلالا زائدا وقرأ حمزة
والكسائي وحفص يُضَل على البناء للمفعول وعن يعقوب يُضِل على ان الفعل لله يحلونه عاما
يحلون المنسأ من الاشهر الحرم سنة ويحرمون مكانه شهرا اخر ويحرمونه عاما فيتركونه
على حرمته قيل اول من احدث ذلك جنادة بن عوف الكناني كان يقوم على جمل في الموسم
فينادي ان الهتكم قد احلت لكم المحرم فاحلوه ثم ينادي في القابل ان الهتكم
قد حرمت عليكم المحرم فحرموه والجملتان تفسير للضلال او حال ليواطئوا عدة ما حرم
الله اي ليوافقوا عدة الاربعة المحرمة واللام متعلقة بيحرمونه او بما دل عليه مجموع الفعلين
فيحلوا ما حرم الله بمواطاة العدة وحدها من غير مراعاة الوقت زين لهم سوء اعمالهم
وقرئ على البناء للفاعل وهو الله تعالى والمعنى خذلهم واضلهم حتى حسبوا قبيح اعمالهم حسنا والله لا
يهدي القوم الكافرين هداية موصلة الى الاهتداء يا ايها الذين امنوا ما لكم اذا قيل
لكم انفروا في سبيل الله اثاقلتم تباطأتم وقرئ تثاقلتم على الاصل واثاقلتم على الاستفهام
للتوبيخ الى الارض متعلق به كانه ضمن معنى الاخلاد والميل فعدي بالى وكان ذلك في غزوة
تبوك امروا بها بعد رجوعهم من الطائف في وقت عسرة وقحط مع بعد الشقة وكثرة
العدو فشق عليهم ارضيتم بالحيوة الدنيا وغرورها من الاخرة بدل الاخرة ونعيمها فما متاع
الحيوة فما التمتع بها في الاخرة في جنب الاخرة الا قليل مستحقر الا تنفروا اي ان لا تنفروا الى ما
استنفرتم اليه يعذبكم عذابا اليما بالاهلاك بسبب فظيع كقحط وظهور عدو ويستبدل
قوما غيركم ويستبدل بكم اخرين مطيعين كاهل اليمن وابناء فارس ولا تضروه شيئا اذ لا يقدح

تثاقلكم

تثاقلكم في نصرة دينه شيئا فانه الغني عن كل شيء وفي كل امر وقيل الضمير للرسول اي
ولا تضروه فان الله وعده بالعصمة والنصرة ووعده حق والله على كل شيء قدير فيقدر
على التبديل وتغيير الاسباب والنصرة بلا مدد كما قال الا تنصروه فقد نصره الله اي ان لم
تنصروه فسينصره الله كما نصره الله اذ اخرجه الذين كفروا ثاني اثنين ولم يكن
معه الا رجل واحد فحذف الجزاء واقيم ما هو كالدليل عليه مقامه او ان لم تنصروه فقد اوجب
الله له النصرة حتى نصره في مثل ذلك الوقت فلن يخذله في غيره واسناد الاخراج الى الكفرة
لان همهم باخراجه او قتله تسبب لاذن الله له بالخروج وقرئ ثاني اثنين بالسكون على لغة من
يجري المنقوص مجرى المقصور في الاعراب ونصبه على الحال اذ هما في الغار بدل من اذ اخرجه
بدل البعض اذ المراد به زمان متسع والغار نقب في اعلى ثور وهو جبل في يمنى مكة على مسيرة
ساعة مكثا فيه ثلثا اذ يقول بدل ثان او ظرف لثاني لصاحبه وهو ابو بكر لا تحزن ان الله
معنا بالعصمة والمعونة روي ان المشركين طلعوا فوق الغار فاشفق ابو بكر على رسول الله صلعم
فقال ما ظنك باثنين الله ثالثهما فاعماهم الله عن الغار فجعلوا يترددون حوله فلم يروه
وقيل لما دخل الغار بعث الله حمامتين فباضتا في اسفله والعنكبوت فنسجت عليه
فانزل الله سكينته امنته التي تسكن عندها القلوب عليه على النبي او على صاحبه
وهو الاظهر لانه كان منزعجا وايده بجنود لم تروها يعني الملائكة انزلهم ليحرسوه
في الغار او ليعينوه على العدو يوم بدر والاحزاب وحنين والجملة معطوفة على قوله
نصره الله وجعل كلمة الذين كفروا السفلى يعني الشرك او دعوة الكفر وكلمة الله
العليا يعني التوحيد او دعوة الاسلام والمعنى وجعل ذلك بتخليص الرسول عن ايدي الكفار الى
المدينة فانه المبدأ له او بتاييده اياه بالملائكة في هذه المواطن او بحفظه ونصره حيث
حضر وقرأ يعقوب كلمة الله بالنصب عطفا على كلمة الذين والرفع ابلغ لما فيه من الاشعار
بان كلمة الله عالية في نفسها وان فاق غيرها فلا ثبات لتفوقه ولا اعتبار ولذلك وسط الفصل
والله عزيز حكيم في امره وتدبيره انفروا خفافا لنشاطكم له وثقالا عنه لمشقته عليكم
او لقلة عيالكم ولكثرتها او ركبانا ومشاة او خفافا وثقالا من السلاح او صحاحا
ومراضا ولذلك لما قال ابن ام مكتوم اعلي ان انفر قال نعم حتى نزل ليس على الاعمى حرج و
جاهدوا باموالكم وانفسكم في سبيل الله بما امكن لكم منهما كليهما او احدهما
ذلكم خير لكم من تركه ان كنتم تعلمون الخير علمتم انه خير لكم او ان كنتم تعلمون انه خير اذ
اخبار الله به صدق فبادروا اليه لو كان عرضا قريبا اي لو كان ما دعوا اليه نفعا دنيويا
سهل الماخذ وسفرا قاصدا متوسطا لاتبعوك لوافقوك ولكن بعدت عليهم الشقة المسافة
التي تقطع بمشقة وقرئ بكسر العين والشين وسيحلفون بالله اي المتخلفون اذا رجعت
من تبوك معتذرين لو استطعنا يقولون لو كان لنا استطاعة العدة او البدن وقرئ
لو استطعنا بضم الواو تشبيها لها بواو الضمير في قوله اشتروا الضلالة لخرجنا معكم

ساد مسد جوابى القسم والشرط وهذا من المعجزات لانه اخبار عما وقع قبل وقوعه يهلكون
انفسكم بايقاعها في العذاب وهو بدل من سيحلفون لان الحلف الكاذب ايقاع
للنفس في الهلاك او حال من فاعله والله يعلم انهم لكاذبون في ذلك لانهم كانوا
مستطيعين الخروج عفا الله عنك كناية عن خطائه في الاذن فان العفو من روادفه
لم اذنت لهم بيان لما كنى عنه بالعفو ومعاتبة عليه والمعنى لاى شئ اذنت لهم
في القعود حين استاذنوك واعتلوا باكاذيب وهلا توقفت حتى يتبين لك الذين
صدقوا في الاعتذار وتعلم الكاذبين فيه قيل انما فعل رسول الله شيئين لم يؤمر بهما اخذه
للفداء واذنه للمنافقين فعاتبه الله عليهما لا يستاذنك الذين يؤمنون بالله واليوم
الاخر ان يجاهدوا باموالهم وانفسهم اى ليس من عادة المومنين ان يستاذنوك في ان
يجاهدوا وان الخلص منهم يبادرون اليه ولا يوقفونه على الاذن فيه فضلا ان يستاذنوك
في التخلف عنه او ان يستاذنوك في التخلف كراهة ان يجاهدوا والله عليم بالمتقين
شهادة لهم بالتقوى وعدة لهم بثوابه انما يستاذنك في التخلف الذين لا يؤمنون
بالله واليوم الاخر تخصيص الايمان بالله واليوم الاخر في الموضعين للاشعار بان
الباعث على الجهاد والوازع عنه الايمان وعدم الايمان بهما وارتابت قلوبهم فهم في ريبهم
يترددون يتحيرون ولو ارادوا الخروج لاعدوا له للخروج عدة اهبة وقرئ عده بحذف
التاء عند الاضافة كقوله واخلفوك عد الامر الذي وعدوا وعده بكسر العين باضافة وغيرها
ولكن كره الله انبعاثهم استدراك عن مفهوم قوله ولو ارادوا الخروج كانه قال ما خرجوا
ولكن تثبطوا لانه تعالى كره انبعاثهم اى نهوضهم للخروج فثبطهم فحبسهم بالجبن
والكسل وقيل اقعدوا مع القاعدين تمثيل لالقاء الله كراهة الخروج في قلوبهم او وسوسة
الشيطان بالامر بالقعود او حكاية قول بعضهم لبعض او اذن الرسول لهم والقاعدين
يحتمل المعذورين وغيرهم وعلى الوجهين لا يخلو عن ذم لو خرجوا فيكم ما زادوكم
بخروجهم شيئا الا خبالا فسادا او شرا ولا يستلزم ذلك ان يكون لهم خبال حتى لو خرجوا
زادوه لان الزيادة باعتبار العام الذي وقع منه الاستثناء ولاجل هذا التوهم جعل الاستثناء
منقطعا وليس كذلك لانه لا يكون مفرغا ولا وضعوا خلالكم ولاسرعوا ركائبهم بالنميمة
والتضريب والهزيمة والتخذيل من وضع البعير وضعا اذا اسرع يبغونكم الفتنة يريدون
ان يفتنوكم بايقاع الخلاف فيما بينكم او الرعب في قلوبكم والجملة حال من الضمير في اوضعوا
وفيكم سماعون لهم ضعفة يسمعون قولهم ويطيعونهم او نمامون يسمعون حديثكم
للنقل اليهم والله عليم بالظالمين فيعلم ضمائرهم وما يتاتى منهم لقد ابتغوا الفتنة تشتيت
امرك وتفريق اصحابك من قبل يعني يوم احد فان ابن ابي واصحابه كما تخلفوا عن تبوك بعد
ما خرجوا مع الرسول الى ذى جدة اسفل من ثنية الوداع انصرفوا يوم احد وقلبوا لك الامور
ودبروا لك المكايد والحيل ودوروا الاراء في ابطال امرك حتى جاء الحق النصر والتاييد الالهى
فظهر

وظهر امر الله علا دينه وهم كارهون اى على رغم انوفهم والايات لتسلية الرسول
والمومنين على تخلفهم وبيان ما ثبطهم الله لاجله وكره انبعاثهم له وهتك
استارهم وكشف اسرارهم وازاحة اعتذارهم تداركا لما فوت الرسول بالمبادرة
الى الاذن ولذلك عوتب عليه ومنهم من يقول ائذن لى في القعود ولا تفتني
ولا توقعني في الفتنة اى العصيان والمخالفة بان لا تاذن لي وفيه اشعار بانه لا محالة
متخلف اذن او لم ياذن او في الفتنة بسبب ضياع المال والعيال اذ لا كافل لهم
بعدى او في الفتنة بنساء الروم لما روى ان جد بن قيس قال قد علمت الانصار انى
مولع بالنساء فلا تفتني ببنات الاصفر ولكني اعينك بمالى فاتركني الا في الفتنة سقطوا
اى ان الفتنة هى التي سقطوا فيها وهى فتنة التخلف وظهور النفاق لا ما احترزوا عنه وان
جهنم لمحيطة بالكافرين جامعة لهم يوم القيمة او الان لاحاطة اسبابها بهم
ان تصبك في بعض غزواتك حسنة ظفر وغنيمة تسؤهم لفرط حسدهم وان تصبك في بعضها
مصيبة كسر او شدة كما اصاب يوم احد يقولوا قد اخذنا امرنا من قبل تبجحوا اى فرحوا
بانصرافهم واستحمدوا رايهم في التخلف ويتولوا عن متحدثهم بذلك ومجتمعهم له او عن
الرسول وهم فرحون مسرورون قل لن يصيبنا الا ما كتب الله لنا الا ما اختصنا باثباته
وايجابه من النصرة او الشهادة او ما كتب لاجلنا في اللوح لا يتغير بموافقتكم ولا بمخالفتكم
وقرئ هل يصيبنا وهل يصيبنا وهو من فيعل لا من فعل لانه من بنات الواو لقولهم صاب
السهم يصوب واشتقاقه من الصواب لانه وقوع الشئ فيما قصد به وقيل من الصوب
هو مولانا ناصرنا ومتولى امرنا وعلى الله فليتوكل المومنون لان حقهم ان لا يتوكلوا
على غيره قل هل تربصون بنا تنتظرون بنا الا احدى الحسنيين الا احدى العاقبتين اللتين
كل منهما حسنى العواقب النصرة والشهادة ونحن نتربص بكم ايضا احدى السوءين من العواقب
ان يصيبكم الله بعذاب من عنده بقارعة من السماء او بايدينا او بعذاب بايدينا
وهو القتل على الكفر فتربصوا ما هو عاقبتنا انا معكم متربصون ما هو عاقبتكم
قل انفقوا طوعا او كرها لن يتقبل منكم امر في معنى الخبر اى لن يتقبل منكم
نفقاتكم انفقتم طوعا او كرها وفائدته المبالغة في تساوى الانفاقين في عدم القبول
كانهم امروا بان يمتحنوا فينفقوا وينظروا هل يتقبل منهم وهو جواب قول جد بن قيس
واعينك بمالى ونفى التقبل يحتمل امرين ان لا ياخذه منهم وان لا يثابوا عليه قوله انكم كنتم قوما
فاسقين تعليل له على سبيل الاستئناف وما بعده بيان وتقرير له وما منعهم ان تقبل منهم
نفقاتهم الا انهم كفروا بالله وبرسوله اى وما منعهم قبول نفقاتهم الا كفرهم وقرأ
حمزة والكسائى ان يقبل بالياء لان تانيث النفقات غير حقيقى وقرئ يقبل على ان الفعل
لله ولا ياتون الصلوة الا وهم كسالى متثاقلين ولا ينفقون الا وهم كارهون
لانهم لا يرجون بها ثوابا ولا يخافون على تركها عقابا فلا تعجبك اموالهم ولا اولادهم

فان ذلك استدراج ووبال لهم كما قال انما يريد الله ليعذبهم في الحيوة الدنيا بسبب ما يكابدون
لجمعها وحفظها من المتاعب وما يرون فيها من الشدائد والمصائب وتزهق انفسهم وهم كافرون
فيموتوا كافرين مشتغلين بالتمتع عن النظر في العاقبة فيكون ذلك استدراجا لهم واصل
الزهوق الخروج بصعوبة ويحلفون بالله انهم لمنكم لمن جملة المسلمين وما هم
منكم لكفر قلوبهم ولكنهم قوم يفرقون يخافون منكم ان تفعلوا بهم ما تفعلون
بالمشركين فيظهرون الاسلام تقية لو يجدون ملجأ حصنا يلجؤون اليه او مغارات
غيرانا او مدخلا نفقا ينجحرون فيه مفتعل من الدخول وقرا يعقوب مدخلا من دخل
وقرئ مدخلا اي مكانا يدخلون فيه انفسهم ومتدخلا ومندخلا من تدخل واندخل لولوا
اليه لاقبلوا اليه وهم يجمحون يسرعون اسراعا لا يردهم شيء كالفرس الجموح وقرئ يجمزون
ومنه الجمازة ومنهم من يلمزك يعيبك وقرا يعقوب يلمزك بالضم في الصدقات
في قسمها فان اعطوا منها رضوا وان لم يعطوا منها اذا هم يسخطون قيل نزلت في
ابي الجواظ المنافق قال الا ترون الى صاحبكم انما يقسم صدقاتكم في رعاة الغنم ويزعم
انه يعدل وقيل في ابن ذي الخويصرة راس الخوارج كان رسول الله صلعم يقسم غنائم حنين
فاستعطف قلوب اهل مكة بتوفير الغنائم عليهم فقال اعدل يا رسول الله فقال ويلك ان لم
اعدل فمن يعدل [illegible] ولو انهم رضوا ما اتيهم الله ورسوله
ما اعطاهم الرسول من الغنيمة او الصدقة وذكر الله للتعظيم والتنبيه على ان ما فعله الرسول
كان بامره وقالوا حسبنا الله كفانا فضله سيؤتينا الله من فضله صدقة او غنيمة
اخرى ورسوله فيؤتينا اكثر مما اتانا انا الى الله راغبون في ان يغنينا من فضله والاية
باسرها في حيز الشرط والجواب محذوف تقديره لكان خيرا لهم ثم بين مصارف الصدقات تصويبا
وتحقيقا لما فعله الرسول فقال انما الصدقات للفقراء والمساكين اي الزكوات لهولاء
المعدودين دون غيرهم وهو دليل على ان المراد باللام بيان انهم مصارف الزكوات دون الغنايم
والفقير من لا مال له ولا كسب يقع موقعا من حاجته من الفقار كانه اصيب فقاره والمسكين
من له مال او كسب لا يكفيه من السكون كان العجز اسكنه ويدل عليه قوله تعالى اما السفينة فكانت
لمساكين وانه عليه السلام كان يسال المسكنة ويتعوذ من الفقر وقيل بالعكس لقوله او مسكينا
ذا متربة والعاملين عليها الساعين في تحصيلها وجمعها والمولفة قلوبهم قوم اسلموا ونيتهم
ضعيفة فيه فيستالف قلوبهم او اشراف يترقب باعطائهم ومراعاتهم اسلام نظرائهم وقد اعطى
رسول الله صلعم عيينة بن حصن والاقرع بن حابس والعباس بن مرداس لذلك وقيل اشراف
يستالفون على ان يسلموا فانه عليه السلام كان يعطيهم والاصح انه كان يعطيهم من خمس الخمس الذي كان خاص
ماله وقد عد منهم من يؤلف قلبه بشيء منها على قتال الكفار ومانعي الزكوة وقيل كان سهم المولفة لتكثير
سواد الاسلام فلما اعزه الله واكثر اهله سقط وفي الرقاب وللصرف في فك الرقاب بان يعاون
المكاتب بشيء منها على اداء النجوم وقيل بان يبتاع الرقاب فيعتق وبه قال مالك واحمد او بان يفدي

من الصدقات

ونزلت السفينة كانت عارية عندهم كذا ذكره في الوسيط

الاسارى

الاسارى والعدول عن اللام الى في للدلالة على ان الاستحقاق للجهة لا للرقاب وقيل
للايذان بانهم احق بها والغارمين المديونين لانفسهم في غير معصية اذا لم يكن لهم وفاء
او لاصلاح ذات بين وان كانوا اغنياء لقوله عليه السلام لا تحل الصدقة لغني الا لخمسة لغاز
في سبيل الله او لغارم او رجل اشتراها بماله او رجل له جار مسكين فتصدق على المسكين
فاهدى المسكين للغني او لعامل عليها وفي سبيل الله وللصرف في الجهاد بالانفاق
على المتطوعة وابتياع الكراع والسلاح وقيل وفي بناء القناطر والمصانع وابن
السبيل المسافر المنقطع عن ماله فريضة من الله مصدر لما دل عليه الاية اي فرض
لهم الصدقات فريضة او حال من الضمير المستكن في للفقراء وقرئ بالرفع على تلك فريضة
والله عليم حكيم يضع الاشياء في مواضعها وظاهر الاية يقتضي تخصيص استحقاق
الزكوة بالاصناف الثمانية ووجوب الصرف الى كل صنف وجد منهم ومراعاة التسوية بينهم
قضية للاشتراك واليه ذهب الشافعي وعن عمر وحذيفة وابن عباس وغيرهم من الصحابة
والتابعين جواز صرفها الى صنف واحد وبه قال الائمة الثلثة واختاره بعض اصحابنا وبه
كان يفتي شيخي ووالدي على ان الاية بيان ان الصدقة لا تخرج منهم لا ايجاب قسمها عليهم
ومنهم الذين يوذون النبي ويقولون هو اذن يسمع كل ما يقال له ويصدقه سمي بالجارحة
للمبالغة كانه من فرط استماعه صار جملته آلة السماع كما سمي الجاسوس عينا لذلك او اشتق
له فعل من اذن اذنا اذا استمع كانف وشلل روي انهم قالوا محمد اذن سامعة نقول ما شئنا
ثم ناتيه فيصدقنا بما نقول قل اذن خير لكم تصديق لهم بانه اذن ولكن لا على الوجه
الذي ذموا به بل من حيث انه يسمع الخير ويقبله ثم فسر ذلك بقوله يؤمن بالله يصدق به لما قام عنده
من الادلة ويؤمن للمؤمنين ويصدقهم لما علم من خلوصهم واللام مزيدة للتفرقة
بين ايمان التصديق فانه بمعنى التسليم وايمان الامان ورحمة اي وهو رحمة للذين امنوا
منكم لمن اظهر الايمان حيث يقبله ولا يكشف سره وفيه تنبيه على انه ليس يقبل قولكم
جهلا بحالكم بل رفقا لكم وترحما عليكم وقرا حمزة ورحمة بالجر عطفا على خير
وقرئ بالنصب على انها علة فعل دل عليه اذن خير اي ياذن لكم رحمة وقرا
نافع بالتخفيف فيهما وقرئ اذن خير على ان خير صفة له او خبر ثان والذين يؤذون
رسول الله لهم عذاب اليم بايذائه يحلفون بالله لكم على معاذيرهم فيما قالوا
او تخلفوا ليرضوكم لترضوا عنهم والخطاب للمؤمنين والله ورسوله احق ان يرضوه
احق بالارضاء بالطاعة والوفاق وتوحيد الضمير لتلازم الرضائين او لان الكلام في ايذاء الرسول
وارضائه او لان التقدير والله احق ان يرضوه والرسول كذلك ان كانوا مؤمنين صدقا
الم يعلموا انه ان الشان وقرئ بالتاء من يحادد الله ورسوله يشاقق مفاعلة من الحد
فان له نار جهنم خالدا فيها على حذف الخبر اي فحق ان له او على بدل من ان له ويجوز ان
يكون معطوفا على انه ويكون الجواب محذوفا تقديره من يحادد الله ورسوله يهلك وقرئ

المنع

فان له نار جهنم

اي من يحادد الله جواب من

لمن نار جهنم

فان بالكسر ذلك الخزي العظيم يعني الاهلاك الدائم يحذر المنافقون ان تنزل عليهم
على المؤمنين سورة تنبئهم بما في قلوبهم وتهتك عليهم استارهم ويجوز ان يكون الضماير
للمنافقين فان النازل فيهم كالنازل عليهم من حيث انه مقرو ومحتج به عليهم وذلك
يدل على ترددهم ايضا في كفرهم وانهم لم يكونوا على بت في امر الرسول بشيء
وقيل انه خبر في معنى الامر وقيل كانوا يقولونه فيما بينهم استهزاء بقوله قل استهزؤا
ان الله مخرج مبرز او مظهر ما تحذرون اي ما تحذرونه من انزال السورة
فيكم او ما تحذرون اظهاره من مساويكم ولئن سالتهم ليقولن انما كنا نخوض
ونلعب روي ان ركب المنافقين مروا على رسول الله في غزوة تبوك فقالوا انظروا الى
هذا الرجل يريد ان يفتح قصور الشام وحصونه هيهات هيهات فاخبر الله به نبيه
فدعاهم فقال قلتم كذا وكذا فقالوا لا والله ما كنا في شيء من امرك وامر اصحابك
ولكن كنا في شيء مما يخوض فيه الركب ليقصر بعضنا على بعض السفر قل أبالله وآياته
ورسوله كنتم تستهزؤن توبيخا على استهزائهم بمن لا يصح الاستهزاء به والزاما
للحجة عليهم ولا يعبا باعتذارهم الكاذب لا تعتذروا لا تشتغلوا باعتذاراتكم
فانها معلومة الكذب قد كفرتم قد اظهرتم الكفر بايذاء الرسول والطعن فيه
بعد ايمانكم بعد اظهاركم الايمان ان نعف عن طائفة منكم لتوبتهم واخلاصهم
او لتجنبهم عن الايذاء والاستهزاء نعذب طائفة بانهم كانوا مجرمين مصرين على النفاق
او مقدمين على الايذاء والاستهزاء وقرا عاصم بالنون فيهما وقرئ بالياء وبناء الفاعل فيهما وهو الله
وان تعف بالتاء والبناء على المفعول ذهابا الى المعنى كانه قال ان ترحم طائفة المنافقون
والمنافقات بعضهم من بعض اي متشابهة في النفاق والبعد عن الايمان كابعاض
الشيء الواحد وقيل انه تكذيب لهم وحلفهم بالله انهم لمنكم وتقرير لقوله وما هم منكم
وما بعده كالدليل عليه فانه يدل على مضادة حالهم لحال المؤمنين وهو قوله يامرون
بالمنكر بالكفر والمعاصي وينهون عن المعروف عن الايمان والطاعة ويقبضون
ايديهم عن المبار وقبض اليد عبارة عن الشح نسوا الله اغفلوا ذكر الله وتركوا طاعته
فنسيهم فتركهم من لطفه وفضله ان المنافقين هم الفاسقون الكاملون في
التمرد والفسوق عن دائرة الخير وعد الله المنافقين والمنافقات والكفار نار
جهنم خالدين فيها مقدرين الخلود هي حسبهم عقابا وجزاء وفيه دليل على عظم عذابها
ولعنهم الله ابعدهم من رحمته واهانهم ولهم عذاب مقيم لا ينقطع والمراد به ما وعدوا
او ما يقاسونه من تعب النفاق كالذين من قبلكم اي انتم مثل الذين او فعلتم
مثل فعل الذين من قبلكم كانوا اشد منكم قوة واكثر اموالا واولادا
بيان لتشبيههم بهم وتمثيل حالهم بحالهم فاستمتعوا بخلاقهم نصيبهم
من ملاذ الدنيا واشتقاقه من الخلاق بمعنى التقدير فانه ما قدر لصاحبه فاستمتعتم

بخلاقكم

بخلاقكم كما استمتع الذين من قبلكم بخلاقهم ذم الاولين باستمتاعهم بحظوظهم
المخدجة من الشهوات الفانية والتهائهم بها عن النظر في العاقبة والسعي في تحصيل اللذائذ الحقيقية
وتمهيد لذم المخاطبين بمشابهتهم واقتفاء اثرهم وخضتم ودخلتم في الباطل كالذي خاضوا
كالذين خاضوا او كالفوج الذي خاضوا او كالخوض الذي خاضوه اولئك حبطت اعمالهم
في الدنيا والاخرة لم يستحقوا عليها ثوابا في الدارين واولئك هم الخاسرون الذين
خسروا في الدنيا والاخرة الم ياتهم نبا الذين من قبلهم قوم نوح اغرقوا بالطوفان
وعاد اهلكوا بالريح وثمود اهلكوا بالرجفة وقوم ابراهيم اهلك نمرود ببعوض واهلك
اصحابه واصحاب مدين واهل مدين وهم قوم شعيب اهلكوا بالنار يوم الظلة والمؤتفكات
قريات قوم لوط ائتفكت بهم اي انقلبت فصار عاليها سافلها وامطروا حجارة من سجيل
وقيل قريات المكذبين المتمردين وائتفاكهن انقلاب احوالهن من الخير الى الشر اتتهم رسلهم
يعني الكل بالبينات فما كان الله ليظلمهم اي لم يكن من عادته ما يشابه ظلم الناس
كالعقوبة بلا جرم ولكن كانوا انفسهم يظلمون حيث عرضوها للعقاب بالكفر والتكذيب
والمؤمنون والمؤمنات بعضهم اولياء بعض في مقابلة قوله المنافقون والمنافقات
بعضهم من بعض يامرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويقيمون الصلوة ويؤتون الزكوة
ويطيعون الله ورسوله في سائر الامور اولئك سيرحمهم الله لا محالة فان السين مؤكدة
للوقوع ان الله عزيز غالب على كل شيء لا يمتنع عليه ما يريده حكيم يضع الاشياء مواضعها
وعد الله المؤمنين والمؤمنات جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ومساكن
طيبة تستطيبها النفس او يطيب فيها العيش وفي الحديث انها قصور من اللؤلؤ والزبرجد
والياقوت الاحمر في جنات عدن اقامة وخلود وعنه عليه السلام عدن دار الله التي لم ترها
عين ولم تخطر على قلب بشر لا يسكنها غير ثلثة النبيون والصديقون والشهداء يقول الله تعالى
طوبى لمن دخلك ومرجع العطف فيها يحتمل ان يكون الى تعدد الموعود لكل واحد او للجميع على
سبيل التوزيع او الى تغاير وصفه فكانه وصفه اولا بانه من جنس ما هو ابهى الاماكن
التي تعرفونها لتميل اليه طباعهم اول ما يقرع اسماعهم ثم وصفه بانه محفوف بطيب العيش
معرى عن شوائب الكدورات التي لا يخلو عن شيء منها اماكن الدنيا وفيها ما تشتهي الانفس
وتلذ الاعين ثم وصفه بانه دار اقامة وثبات في جوار العليين لا يعتريهم فيها فناء ولا
تغير ثم وعدهم بما هو اكبر من ذلك فقال ورضوان من الله اكبر لانه المبدأ لكل سعادة
وكرامة والمؤدي الى نيل الوصول والفوز باللقاء وعنه عليه السلام ان الله تعالى يقول لاهل الجنة
هل رضيتم فيقولون وما لنا لا نرضى وقد اعطيتنا ما لم تعط احدا من خلقك فيقول انا
اعطيكم افضل من ذلك قالوا واي شيء افضل من ذلك قال احل عليكم رضواني
فلا اسخط عليكم ابدا ذلك اي الرضوان او جميع ما تقدم هو الفوز العظيم الذي
يستحقر دونه الدنيا وما فيها يا ايها النبي جاهد الكفار بالسيف والمنافقين بالزام الحجة

واقامة الحدود واغلظ عليهم في ذلك ولا تحابهم ومأواهم جهنم وبئس المصير مصيرهم
يحلفون بالله ما قالوا روي انه عليه السلام اقام في غزوة تبوك شهرين ينزل عليه القرآن
ويعيب المتخلفين فقال الجلاس بن سويد لئن كان ما يقول محمد لاخواننا حقا لنحن شر
من الحمير فبلغ رسول الله فاستحضره فحلف بالله ما قاله فنزلت فتاب الجلاس وحسنت توبته
ولقد قالوا كلمة الكفر وكفروا بعد اسلامهم واظهروا الكفر بعد اظهار
الاسلام وهموا بما لم ينالوا من فتك الرسول وهو ان خمسة عشر منهم توافقوا عند مرجعه
من تبوك ان يدفعوه عن راحلته الى الوادي اذا تسنم العقبة بالليل واخذ عمار بن ياسر
بخطام راحلته يقودها وحذيفة خلفها يسوقها فبينما هما كذلك اذ سمع حذيفة بوقع اخفاف
الابل وقعقعة السلاح فقال اليكم يا اعداء الله فهربوا او اخراجه واخراج المؤمنين
من المدينة او بان يتوجوا عبد الله بن ابي وان لم يرض رسول الله وما نقموا وما انكروا
وما وجدوا ما يورث نقمتهم الا ان اغناهم الله ورسوله من فضله فان اكثر
اهل المدينة كانوا محاويج في ضنك من العيش فلما قدمهم رسول الله اثروا بالغنائم وقتل
للجلاس مولى فامر رسول الله بديته اثني عشر الف درهم فاستغنى والاستثناء مفرغ عن
اعم المفاعيل او العلل فان يتوبوا يك خيرا لهم هو حمل الجلاس على التوبة والضمير في يك للتوب
وان يتولوا بالاصرار على النفاق يعذبهم الله عذابا اليما في الدنيا والآخرة بالقتل والنار
وما لهم في الارض من ولي ولا نصير ينجيهم من العذاب ومنهم من عاهد الله
لئن آتانا من فضله لنصدقن ولنكونن من الصالحين نزلت في ثعلبة بن حاطب
اتى النبي صلعم وقال ادع الله ان يرزقني مالا فقال عليه السلام يا ثعلبة قليل تؤدي شكره خير من كثير
لا تطيقه فراجعه وقال والذي بعثك بالحق لئن رزقني مالا لاعطين كل ذي حق حقه فدعا
له فاتخذ غنما فنمت كما ينمو الدود حتى ضاقت بها المدينة فنزل واديا فانقطع عن
الجماعة والجمعة فسال عنه رسول الله فقيل كثر ماله حتى لا يسعه واد فقال يا ويح ثعلبة
فبعث مصدقين لاخذ الصدقات فاستقبلهما الناس بصدقاتهم ومرا بثعلبة فسالاه
الصدقة واقرآه الكتاب الذي فيه الفرائض فقال ما هذه الا جزية ما هذه الا اخت
الجزية فارجعا حتى ارى رأيي فنزلت فجاء ثعلبة بالصدقة فقال ان الله منعني ان اقبل
منك فجعل التراب يحثو على راسه فقال هذا عملك قد امرتك فلم تطعني فقبض رسول الله
فجاء بها الى ابي بكر فلم يقبلها ثم جاء بها الى عمر فلم يقبلها وهلك في زمان عثمان
فلما آتاهم من فضله بخلوا به منعوا حق الله منه وتولوا عن طاعة الله وهم معرضون
وهم قوم عادتهم الاعراض عنها فاعقبهم نفاقا في قلوبهم اي فجعل الله عاقبة فعلهم
ذلك نفاقا وسوء اعتقاد في قلوبهم ويجوز ان يكون الضمير للبخل والمعنى فاورثهم البخل
نفاقا متمكنا في قلوبهم الى يوم يلقونه يلقون الله بالموت او يلقون عمله اي جزاءه
وهو يوم القيامة بما اخلفوا الله ما وعدوه بسبب اخلافهم ما وعدوه من التصدق

والصلاح

والصلاح وبما كانوا يكذبون وبكونهم كاذبين فيه فان خلف الوعد متضمن للكذب
مستقبح من الوجوه او المعاني مطلقا وقرئ يكذّبون بالتشديد الم يعلموا اي المنافقون
او من عاهد الله وقرئ بالتاء على الالتفات ان الله يعلم سرهم ما اسروه في انفسهم
من النفاق او العزم على الاخلاف ونجواهم وما يتناجون به فيما بينهم من المطاعن او
تسمية الزكوة جزية وان الله علام الغيوب فلا يخفى عليه ذلك الذين يلمزون
ذم مرفوع او منصوب او بدل من الضمير في سرهم وقرئ يلمزون بالضم المطوعين
المتطوعين من المؤمنين والمؤمنات روي انه عليه السلام حث على الصدقة فجاء عبد الرحمن
بن عوف باربعة آلاف درهم وقال كان لي ثمانية آلاف درهم فاقرضت ربي اربعة
وامسكت لعيالي اربعة فقال رسول الله بارك الله لك فيما اعطيت وفيما امسكت فبارك
له حتى صولحت احدى امرأتيه على نصف الثمن على ثمانين الف درهم وتصدق عاصم بن
عدي بمائة وسق من تمر وجاء ابو عقيل الانصاري بصاع تمر فقال بت ليلتي اجر بالجرير
على صاعين فتركت صاعا لعيالي وجئت بصاع فامره رسول الله ان ينثره على الصدقات
فلمزهم المنافقون وقالوا ما اعطى عبد الرحمن وعاصم الا رياء ولقد كان الله ورسوله
لغنيين عن صاع ابي عقيل ولكنه احب ان يذكر بنفسه ليعطى من الصدقات فنزلت
والذين لا يجدون الا جهدهم الا طاقتهم وقرئ بالفتح وهو مصدر جهد في الامر اذا بالغ
فيه فيسخرون منهم يستهزؤن بهم سخر الله منهم جازاهم على سخريتهم كقوله الله
يستهزئ بهم ولهم عذاب اليم على كفرهم استغفر لهم او لا تستغفر لهم يريد به التساوي
بين الامرين في عدم الافادة لهم كما نص عليه بقوله ان تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر
الله لهم روي ان عبد الله بن ابي وكان من المخلصين سال رسول الله في مرض ابيه ان
يستغفر له ففعل فنزلت فقال عليه السلام لازيدن على السبعين فنزلت سواء عليهم استغفرت لهم
ام لم تستغفر لهم لن يغفر الله لهم وذلك لانه عليه السلام فهم من السبعين العدد المخصوص
لانه الاصل فجوز ان يكون ذلك حدا يخالفه حكم ما وراءه فبين له ان المراد به التكثير دون
التحديد وقد شاع استعمال السبعة والسبعين والسبعمائة ونحوها في التكثير لاشتمال
السبعة على جملة اقسام العدد فكانه العدد باسره ذلك بانهم كفروا بالله ورسوله اشارة
الى ان الياس من المغفرة وعدم قبول استغفارك ليس لبخل منا ولا قصور فيك بل لعدم قابليتهم
بسبب الكفر الصارف والله لا يهدي القوم الفاسقين المتمردين في كفرهم وهو كالدليل
على الحكم السابق فان مغفرة الكافر بالاقلاع عن الكفر والارشاد الى الحق والمنهمك
في كفره المطبوع عليه لا ينقلع ولا يهتدي والتنبيه على عذر الرسول في استغفاره وهو عدم
يأسه عن ايمانهم ما لم يعلم انهم مطبوعون على الضلالة والممنوع هو الاستغفار بعد
العلم لقوله ما كان للنبي والذين آمنوا ان يستغفروا للمشركين ولو كانوا اولي قربى
من بعد ما تبين لهم انهم اصحاب الجحيم فرح المخلفون بمقعدهم خلاف رسول الله بقعودهم

عن الغزو وخلفه فالاقام خلافا لحي اي بعدهم ويجوز ان يكون بمعنى المخالفة فيكون انتصابه
على العلة او الحال وكرهوا ان يجاهدوا باموالهم وانفسهم في سبيل الله ايثارا
للدعة والخفض على طاعة الله وفيه تعريض بالمؤمنين الذين اثروا عليها تحصيل رضاه ببذل
الاموال والمهج وقالوا لا تنفروا في الحر اي قال بعضهم لبعض او للمؤمنين تثبيطا قل
نار جهنم اشد حرا وقد اثرتموها بهذه المخالفة لو كانوا يفقهون ان مآبهم اليها او
انها كيف هي ما اختاروها بايثار الدعة على الطاعة فليضحكوا قليلا وليبكوا
كثيرا جزاء بما كانوا يكسبون اي اخبار عما يؤول اليه حالهم في الدنيا
والاخرة اخرجه على صيغة الامر للدلالة على انه حتم واجب ويجوز ان يكون الضحك والبكاء
كنايتين عن السرور والغم والمراد من القلة العدم فان رجعك الله الى طائفة منهم
فان ردك الى المدينة وفيها طائفة من المتخلفين يعني منافقيهم فان كلهم لم يكونوا منافقين
او من تخلف منهم وكان المتخلفون اثني عشر رجلا فاستاذنوك للخروج الى غزوة اخرى
بعد تبوك فقل لن تخرجوا معي ابدا ولن تقاتلوا معي عدوا اخبار في معنى النهي للمبالغة انكم
رضيتم بالقعود اول مرة تعليل لهم وكان اسقاطهم عن ديوان الغزاة
عقوبة لهم على تخلفهم واول مرة هي الخرجة الى غزوة تبوك فاقعدوا مع الخالفين
اي المتخلفين لعدم لياقتهم للجهاد كالنساء والصبيان وقرئ مع الخلفين على قصر الخالفين
ولا تصل على احد مات منهم ابدا روي ان ابن ابي دعا رسول الله في مرضه فلما دخل
عليه ساله ان يستغفر له ويكفنه في شعاره الذي يلي جسده ويصلي عليه فلما مات
ارسل عليه السلام قميصه ليكفن فيه وذهب ليصلي عليه فنزلت وقيل صلى
عليه ثم نزلت وانما لم ينه عن التكفين في قميصه ونهى عن الصلوة عليه لان
الضنة بالقميص كان مخلا بالكرم ولانه كان مكافاة لالباسه العباس قميصه
حين اسر ببدر والمراد بالصلوة الدعاء للميت والاستغفار له وهو ممنوع في حق الكافر ولذلك
رتب النهي على قوله مات ابدا يعني الموت على الكفر فان احياء الكافر للتعذيب دون التمتع
فكانه لم يحي ولا تقم على قبره ولا تقف عند قبره للدفن او الزيارة انهم كفروا بالله ورسوله
وماتوا وهم فاسقون تعليل للنهي او لتابيد الموت ولا تعجبك اموالهم واولادهم
انما يريد الله ان يعذبهم بها في الدنيا وتزهق انفسهم وهم كافرون تكرير
للتاكيد والامر حقيق به فان الابصار طامحة الى الاموال والنفوس مغتبطة عليها
ويجوز ان يكون هذه في فريق غير الاول واذا انزلت سورة من القرآن ويجوز
ان يراد بها بعضها ان امنوا بالله بان امنوا ويجوز ان يكون ان المفسرة وجاهدوا
مع رسوله استاذنك اولوا الطول منهم ذووا الفضل والسعة وقالوا ذرنا نكن
مع القاعدين الذين قعدوا لعذر رضوا بان يكونوا مع الخوالف مع النساء جمع خالفة
وقد يقال الخالفة للذي لا خير فيه وطبع على قلوبهم فهم لا يفقهون ما في الجهاد وموافقة الرسول

من السعادة وما في التخلف عنه من الشقاوة لكن الرسول والذين امنوا معه جاهدوا
باموالهم وانفسهم اي ان تخلف هؤلاء ولم يجاهدوا فقد جاهد من هو خير منهم واولئك
لهم الخيرات منافع الدارين النصر والغنيمة في الدنيا والجنة والكرامة في الاخرة وقيل
الحور لقوله فيهن خيرات حسان وهي جمع خيرة تخفيف خيّرة واولئك هم المفلحون الفائزون
بالمطالب اعد الله لهم جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ذلك الفوز العظيم
بيان لما لهم من الخيرات الاخروية وجاء المعذرون من الاعراب ليؤذن لهم يعني
اسدا وغطفان استاذنوا في التخلف معتذرين بالجهد وكثرة العيال وقيل هم رهط
عامر بن الطفيل قالوا ان غزونا معك اغارت طي على اهالينا ومواشينا والمعذر اما
من عذر في الامر اذا قصر فيه موهما ان له عذرا ولا عذر له او من اعتذر اذا مهد العذر
بادغام التاء في الذال ونقل حركتها الى العين ويجوز كسر العين لالتقاء الساكنين
وضمها للاتباع لكن لم يقرا بهما وقرا يعقوب المعذرون من اعذر اذا اجتهد في العذر
وقرئ المعّذّرون بتشديد العين والذال على انه من تعذر بمعنى اعتذر وهو لحن اذ التاء
لا تدغم في العين وقد اختلف في انهم كانوا معتذرين بالتصنع او بالصحة فيكون قوله وقعد
الذين كذبوا الله ورسوله في غيرهم وهم منافقوا الاعراب كذبوا الله ورسوله
في ادعاء الايمان فان كانوا هم الاولين فكذبهم بالاعتذار سيصيب الذين كفروا
منهم من الاعراب او من المعذرين فان منهم من اعتذر لكسله لا لكفره عذاب اليم بالقتل
والنار ليس على الضعفاء ولا على المرضى كالهرمى والزمنى ولا على الذين لا يجدون ما
ينفقون لفقرهم كجهينة ومزينة وبني عذرة حرج اثم في التاخر اذا نصحوا لله ورسوله
بالايمان والطاعة في السر والعلانية كما يفعل الموالي الناصح او بما قدروا عليه فعلا او
قولا يعود على الاسلام والمسلمين بالصلاح ما على المحسنين من سبيل اي ليس عليهم جناح
ولا الى معاتبتهم سبيل وانما وضع المحسنين موضع الضمير للدلالة على انهم منخرطون في سلك
المحسنين غير معاتبين لذلك والله غفور رحيم لهم او للمسيء فكيف للمحسن ولا على الذين
اذا ما اتوك لتحملهم عطف على الضعفاء او على المحسنين وهم البكاؤون سبعة من الانصار
معقل بن يسار وصخر بن خنسا وعبد الله بن كعب وسالم بن عمير وثعلبة بن غنمة وعبد الله
بن مغفل وعلية بن زيد اتوا رسول الله صلعم وقالوا نذرنا الخروج فاحملنا على الخفاف المرقوعة
والنعال المخصوفة نغزوا معك فقال لا اجد فتولوا وهم يبكون وقيل هم بنو
مقرن معقل وسويد والنعمان وقيل ابو موسى واصحابه قلت لا اجد ما احملكم
عليه حال من الكاف في اتوك باضمار قد تولوا جواب اذا واعينهم تفيض تسيل من
الدمع اي دمعها فان من للبيان وهي مع المجرور في محل النصب على التمييز وهو ابلغ
من تفيض دمعها لانه يدل على ان العين صارت دمعا فياضا حزنا نصب على العلة او الحال
او المصدر لفعل دل عليه ما قبله الا يجدوا اي لئلا يجدوا متعلق بحزنا او بتفيض

ما ينفقون في مغزاهم انما السبيل بالمعاتبة على الذين يستاذنونك وهم اغنياء واجدون للاهبة
رضوا بان يكونوا مع الخوالف استئناف لبيان ما هو السبب لاستيذانهم من غير عذر وهو
رضاهم بالدناءة والانتظام في جملة الخوالف ايثارا للدعة وطبع الله على قلوبهم حتى غفلوا
عن وخامة العاقبة فهم لا يعلمون مغبته يعتذرون اليكم في التخلف اذا رجعتم
اليهم من هذه السفرة قل لا تعتذروا بالمعاذير الكاذبة لانه لن نؤمن لكم لن نصدقكم
لانه قد نبأنا الله من اخباركم اعلمنا بالوحي الى نبيه بعض اخباركم وهو ما في ضمائركم
من الشر والفساد وسيرى الله عملكم ورسوله اتتوبون عن الكفر ام تثبتون
عليه وكأنه استتابة وامهال للتوبة ثم تردون الى عالم الغيب والشهادة اي الله فوضع
الوصف موضع الضمير للدلالة على انه مطلع على سرهم وعلنهم لا يفوت عن علمه شيء من
ضمائرهم واعمالهم فينبئكم بما كنتم تعملون بالتوبيخ والعقاب عليه سيحلفون
بالله لكم اذا انقلبتم اليهم لتعرضوا عنهم فلا تعاتبوهم فاعرضوا عنهم ولا
توبخوهم انهم رجس لا ينفع فيهم التأنيب فان المقصود منه التطهير بالحمل على الانابة
وهؤلاء ارجاس لا يقبل التطهير فهو علة الاعراض وترك المعاتبة ومأويهم جهنم من تمام
التعليل وكأنه قال انهم ارجاس من اهل النار لا ينفع فيهم التوبيخ في الدنيا و
الآخرة او تعليل ثان والمعنى ان النار كفتهم عتابا فلا تتكلفوا عتابهم جزاء بما
كانوا يكسبون يجوز ان يكون مصدرا وان يكون علة يحلفون لكم لترضوا
عنهم بحلفهم فتستديموا عليهم ما كنتم تفعلون بهم فان ترضوا عنهم فان الله
لا يرضى عن القوم الفاسقين اي فان رضاكم لا يستلزم رضا الله ورضاكم وحدكم
لا ينفعهم اذا كانوا في سخط الله وبصدد عقابه وان امكنهم ان يلبسوا عليكم
لا يمكنهم ان يلبسوا على الله فلا يهتك سترهم ولا ينزل الهوان بهم والمقصود من الآية
النهي عن الرضا عنهم والاغترار بمعاذيرهم بعد الامر بالاعراض وعدم الالتفات نحوهم
الاعراب اهل البدو اشد كفرا ونفاقا من اهل الحضر لتوحشهم وقساوتهم وعدم
مخالطتهم لاهل العلم وقلة استماعهم للكتاب والسنة واجدر الا يعلموا واحق
بان لا يعلموا حدود ما انزل الله على رسوله من الشرائع وفرائضها وسننها والله عليم
يعلم حال كل احد من اهل الوبر والمدر حكيم فيما يصيب به مسيئهم ومحسنهم
عقابا وثوابا ومن الاعراب من يتخذ ما ينفق يعد ما يصرفه في سبيل الله ويتصدق به
مغرما غرامة وخسرانا اذ لا يحتسبه عند الله ولا يرجو عليه وانما ينفق رياء او تقية
ويتربص بكم الدوائر دوائر الزمان ونوبه لينقلب الامر عليكم فيتخلص
من الانفاق عليهم دائرة السوء اعتراض بالدعاء عليهم بنحو ما يتربصونه او الاخبار
عن وقوع ما يتربصون عليهم والدائرة في الاصل مصدر او اسم فاعل من دار يدور
سمي بها عقبة الزمان والسوء بالفتح مصدر اضيف اليه للمبالغة كقولك رجل صدق

والله

والله سميع لما يقولون عند الانفاق عليم بما يضمرون ومن الاعراب من يؤمن بالله
واليوم الآخر ويتخذ ما ينفق قربات عند الله سبب قربات وهي ثاني مفعولي يتخذ وعند
الله صفتها او ظرف ليتخذ وصلوات الرسول وسبب صلواته لانه عليه كان يدعو للمتصدقين
ويستغفر لهم ولذلك سن للمصدق ان يدعو للمتصدق عند اخذ صدقته لكن ليس له ان
يصلي عليه كما قال عليه السلام اللهم صل على آل ابي اوفى لانه منصبه فله ان يتفضل على غيره
الا انها قربة لهم شهادة من الله بصحة معتقدهم وتصديق لرجائهم على الاستئناف مع
حرف التنبيه وان المحققة للنسبة والضمير لنفقتهم سيدخلهم الله في رحمته وعد لهم باحاطة الرحمة
عليهم والسين لتحقيقه وقوله ان الله غفور رحيم لتقريره قيل الاولى في اسد وغطفان وبني تميم
والثانية في عبد الله ذي البجادين وقومه والسابقون الاولون من المهاجرين هم الذين
صلوا الى القبلتين او الذين شهدوا بدرا او الذين اسلموا قبل الهجرة والانصار اهل بيعة العقبة
الاولى وكانوا سبعة واهل العقبة الثانية وكانوا سبعين والذين آمنوا حين قدم عليهم ابو
زرارة مصعب بن عمير وقرئ بالرفع عطفا على والسابقون والذين اتبعوهم باحسان اللاحقون
بالسابقين من القبيلين او من اتبعوهم بالايمان والطاعة الى يوم القيمة رضي الله عنهم بقبول
طاعتهم وارتضاء اعمالهم ورضوا عنه بما نالوا من نعمه الدينية والدنيوية واعد لهم
جنات تجري تحتها الانهار وقرأ ابن كثير من تحتها كما هو في سائر المواضع خالدين
فيها ابدا ذلك الفوز العظيم اي ممن حول بلدتكم يعني المدينة من الاعراب منافقون
وهم جهينة ومزينة واسلم واشجع وغفار كانوا نازلين حولها ومن اهل المدينة عطف على
ممن حولكم او خبر لمحذوف صفته مردوا على النفاق ونظيره في حذف الموصوف واقامة
الصفة مقامه قوله انا ابن جلا وطلاع الثنايا وعلى الاول صفة للمنافقين فصل بينها وبينه
بالمعطوف على الخبر او كلام مبتدأ لبيان تمرنهم وتمهرهم في النفاق لا تعلمهم لا تعرفهم باعيانهم
وهو تقرير لمهارتهم فيه وتنوقهم في تحامي مواقع التهم الى حد اخفى عليك حالهم مع كمال فطنتك
وصدق فراستك نحن نعلمهم ونطلع على اسرارهم ان قدروا ان يلبسوا عليك لم يقدروا
ان يلبسوا علينا سنعذبهم مرتين بالفضيحة والقتل او باحدهما وعذاب القبر او باخذ الزكوة
ونهك الابدان ثم يردون الى عذاب عظيم الى عذاب النار وآخرون اعترفوا بذنوبهم ولم
يعتذروا من تخلفهم بالمعاذير الكاذبة وهم طائفة من المتخلفين اوثقوا انفسهم على سواري المسجد
لما بلغهم ما نزل في المتخلفين فقدم رسول الله فدخل المسجد على عادته وصلى ركعتين فرآهم فسأل عنهم
فذكر له انهم اقسموا ان لا يحلوا انفسهم حتى تحلهم فقال وانا اقسم ان لا احلهم حتى اومر فيهم
فنزلت فاطلقهم خلطوا عملا صالحا وآخر سيئا خلطوا العمل الصالح الذي هو اظهار الندم والاعتراف
بالذنب بآخر سيئ هو التخلف وموافقة اهل النفاق والواو اما بمعنى الباء كما في قولهم بعت الشاة
شاة ودرهما او للدلالة على ان كل واحد منهما مخلوط بالآخر عسى الله ان يتوب عليهم ان يقبل
توبتهم وهو مدلول عليها بقوله اعترفوا بذنوبهم ان الله غفور رحيم يتجاوز عن التائب

نسخة وممن حولكم ... عليه

وتتفضل عليه خذ من أموالهم صدقة روي أنهم لما أطلقوا قالوا يا رسول الله هذه أموالنا التي خلفتنا فتصدق بها وطهرنا فقال ما أمرت أن آخذ من أموالكم شيئا فنزلت تطهرهم عن الذنوب او حب المال المؤدي بهم الى مثله وقرئ تُطهِرهم من أطهره بمعنى طهره وتطهرهم بالجزم جوابا للأمر وتزكيهم بها وتنمي بها حسناتهم وترفعهم الى منازل المخلصين وصل عليهم واعطف عليهم بالدعاء والاستغفار لهم إن صلوتك سكن لهم تسكن إليها نفوسهم وتطمئن بها قلوبهم وجمعها لتعدد المدعو لهم وقرأ حمزة والكسائي وحفص بالتوحيد والله سميع باعترافهم عليم بندامتهم ألم يعلموا الضمير إما للمتوب عليهم والمراد أن يمكن في قلوبهم قبول توبتهم والاعتداد بصدقاتهم أو لغيرهم والمراد التحضيض عليهما أن الله يقبل التوبة عن عباده إذا صحت وتعديته بعن لتضمنه معنى التجاوز ويأخذ الصدقات يقبلها قبول من يأخذ شيئا ليؤدي بدله وأن الله هو التواب الرحيم وأن من شأنه قبول توبة التائبين والتفضل عليهم وقل اعملوا ما شئتم فسيرى الله عملكم فإنه لا يخفى عليه خيرا كان أو شرا ورسوله والمؤمنون فإنه لا يخفى عنهم كما رأيتم وتبين لكم وستردون إلى عالم الغيب والشهادة بالموت فينبئكم بما كنتم تعملون بالمجازاة عليه وآخرون من المتخلفين مرجون مؤخرون أي موقوف أمرهم من أرجأته إذا أخرته وقرأ نافع وحمزة والكسائي وحفص مرجون بالواو وهما لغتان لأمر الله في شأنهم إما يعذبهم إن أصروا على النفاق وإما يتوب عليهم إن تابوا والترديد للعباد وفيه دليل على أن كلا الأمرين بإرادة الله تعالى والله عليم بأحوالهم حكيم فيما يفعل بهم وقرئ والله غفور رحيم والمراد بهؤلاء كعب بن مالك وهلال بن أمية ومرارة بن الربيع أمر رسول الله صلعم أصحابه أن لا يسلموا عليهم ولا يكلموهم فلما رأوا ذلك أخلصوا نياتهم وفوضوا أمرهم إلى الله فرحمهم الله والذين اتخذوا مسجدا عطف على وآخرون مرجون أو مبتدأ خبره محذوف أي وفيمن وصفنا الذين اتخذوا أو منصوب على الاختصاص وقرأ نافع وابن عامر بغير واو ضرارا مضارة للمؤمنين روي أن بني عمرو بن عوف لما بنوا مسجد قباء سألوا رسول الله أن يأتيهم فأتاهم فصلى فيه فحسدتهم إخوانهم بنو غنم بن عوف فبنوا مسجدا على قصد أن يؤمهم فيه أبو عامر الراهب إذا قدم من الشام فلما أتموه أتوا رسول الله صلعم فقالوا إنا قد بنينا مسجدا لذي الحاجة والعلة والليلة المطيرة والشاتية فصل فيه حتى نتخذه مصلى فأخذ ثوبه ليقوم معهم فنزلت فدعا بمالك بن الدخشم ومعن بن عدي وعامر بن السكن والوحشي فقال لهم انطلقوا إلى هذا المسجد الظالم أهله فاهدموه وأحرقوه ففعل واتخذ مكانه كناسة وكفرا وتقوية للكفر الذي يضمرونه وتفريقا بين المؤمنين يريد الذين كانوا يجتمعون للصلوة في مسجد قباء وإرصادا ترقبا لمن حارب الله ورسوله من قبل يعني الراهب فإنه قال لرسول الله صلعم يوم أحد لا أجد قوما يقاتلونك إلا قاتلتك معهم فلم يزل يقاتله إلى يوم حنين

انهزم

انهزم مع هوازن وهرب إلى الشام ليأتي من قيصر بجنود يحارب بهم رسول الله ومات بقنسرين وحيدا وقيل كان يجمع الجيوش يوم الأحزاب فلما انهزموا خرج إلى الشام ومن قبل متعلق بحارب أو باتخذوا أي اتخذوا مسجدا من قبل أن ينافق هؤلاء بالتخلف لما روي أنه بني قبيل غزوة تبوك فسألوا رسول الله أن يأتيه فقال إنا على جناح سفر وإذا قدمنا إن شاء الله صلينا فيه فلما قفل كرر عليه فنزلت وليحلفن إن أردنا إلا الحسنى ما أردنا ببنائه إلا الخصلة الحسنى أو الإرادة الحسنى وهي الصلوة والذكر والتوسعة على المصلين والله يشهد إنهم لكاذبون في حلفهم لا تقم فيه أبدا للصلوة لمسجد أسس على التقوى يعني مسجد قباء أسسه رسول الله وصلى فيه أيام مقامه بقباء من الاثنين إلى الجمعة لأنه أوفق للقصة أو مسجد رسول الله لقول أبي سعيد سألت رسول الله فقال هو مسجدكم هذا مسجد المدينة من أول يوم من أيام وجوده ومن يعم الزمان والمكان كقوله لمن الديار بقنة الحجر أقوين من حجج ومن دهر أحق أن تقوم فيه أولى بأن تصلي فيه فيه رجال يحبون أن يتطهروا من المعاصي والخصال المذمومة طلبا لمرضات الله وقيل من الجنابة فلا ينامون عليها والله يحب المطهرين يرضى عنهم ويدنيهم من جنابه إدناء المحب حبيبه قيل لما نزلت مشى رسول الله ومعه المهاجرون حتى وقف على باب مسجد قباء فإذا الأنصار جلوس فقال أمؤمنون أنتم فسكتوا فأعادها فقال عمر إنهم مؤمنون وأنا معهم فقال عليه أترضون بالقضاء قالوا نعم قال أتصبرون على البلاء قالوا نعم قال أتشكرون في الرخاء قالوا نعم قال عليه مؤمنون ورب الكعبة فجلس ثم قال يا معشر الأنصار إن الله عز وجل قد أثنى عليكم فما الذي تصنعون عند الوضوء وعند الغائط فقالوا يا رسول الله نتبع الغائط الأحجار الثلثة ثم نتبع الأحجار الماء فتلا رجال يحبون أن يتطهروا أفمن أسس بنيانه بنيان دينه على تقوى من الله ورضوان خير على قاعدة محكمة هي التقوى من الله وطلب مرضاته بالطاعة أم من أسس بنيانه على شفا جرف هار على قاعدة هي أضعف القواعد وأرخاها فانهار به في نار جهنم فأدى به لخوره وقلة استمساكه إلى السقوط في النار وإنما وضع شفا الجرف وهو ما جرفه الوادي الهائر في مقابلة التقوى تمثيلا لما بنوا عليه أمر دينهم في البطلان وسرعة الانطماس ثم رشحه بانهياره به في النار ووضعه في مقابلة الرضوان تنبيها على أن تأسيس ذلك على أمر يحفظه عن النار ويوصله إلى رضوان الله ومقتضياته التي الجنة أدناها وتأسيس هذا على ما هم بسببه على صدد الوقوع في النار ساعة فساعة ثم إن مصيرهم إلى النار لا محالة وقرأ نافع وابن عامر أسس على البناء للمفعول وقرئ أساس وأسس بالكسر وثلثتها جمع أس وتقوى بالتنوين على أن الألف للإلحاق لا للتأنيث كتترى وقرأ ابن عامر وحمزة وأبو بكر جرف بالتخفيف والله لا يهدي القوم الظالمين إلى ما فيه صلاح ونجاح لا يزال بنيانهم الذي بنوا بناؤهم الذي بنوه مصدر أريد به المفعول وليس بجمع ولذلك قد تدخله التاء ووصف بالمفرد وأخبر عنه بقوله ريبة في قلوبهم أي شكا ونفاقا والمعنى أن بناءهم هذا لا يزال سبب شكهم

وتمايز نفاقهم فانه حملهم على ذلك ثم لما هدمه الرسول رسخ ذلك في قلوبهم وازداد
بحيث لا يزال وسمه عن قلوبهم الا ان تقطع قلوبهم قطعا بحيث لا يبقى لها قابلية الادراك
والاضمار وهو في غاية المبالغة والاستثناء من اعم الازمنة وقيل المراد بالتقطع ما هو كاين بالقتل
او في القبر او في النار وقيل التقطع بالتوبة ندما واسفا وقرأ يعقوب الى بحرف الانتهاء وتقطع
بمعنى تتقطع وهو قراءة ابن عامر وحمزة وحفص وقرئ يُقطع بالياء وتَقطع بالتخفيف وتُقطّع
قلوبهم على خطاب الرسول او كل مخاطب ولو قطعت على البناء للفاعل والمفعول والله عليم
بنياتهم حكيم فيما امر بهدم بنيانهم ان الله اشترى من المومنين انفسهم واموالهم
بان لهم الجنة تمثيل لاثابة الله اياهم الجنة على بذل انفسهم واموالهم في سبيله يقاتلون
في سبيل الله فيقتلون ويقتلون استيناف في بيان ما لاجله الشرى وقيل يقاتلون في معنى
الامر وقرأ حمزة والكسائي بتقديم المبني للمفعول وقد عرفت ان الواو لا توجب الترتيب
وان فعل البعض قد يسند الى الكل وعدا عليه حقا مصدر موكد لما دل عليه الشرى فانه
في معنى الوعد في التورية والانجيل والقران مذكورا فيهما كما اثبت في القران ومن
اوفى بعهده من الله مبالغة في الانجاز وتقرير لكونه حقا فاستبشروا ببيعكم الذي
بايعتم به فافرحوا به غاية الفرح فانه اوجب لكم عظايم المطالب كما قال
ذلك هو الفوز العظيم التايبون رفع على المدح اي هم التايبون والمراد بهم المومنون
المذكورون ويجوز ان يكون مبتدأ خبره محذوف تقديره التايبون من اهل الجنة وان لم
يجاهدوا لقوله وكلا وعد الله الحسنى او خبره ما بعده اي التايبون عن الكفر على الحقيقة
هم الجامعون لهذه الخصال وقرئ بالياء نصبا على المدح او جرا صفة للمومنين العابدون
الذين عبدوا الله مخلصين له الحامدون لنعمائه او لما نابهم من السراء والضراء السايحون
الصايمون لقوله عم سياحة امتي الصوم شبه بها من حيث انه يعوق عن الشهوات او لانه
رياضة نفسانية يتوصل بها الى الاطلاع على خفايا الملك والملكوت او السايحون للجهاد
او لطلب العلم الراكعون الساجدون في الصلوة الامرون بالمعروف بالايمان والطاعة
والناهون عن المنكر عن الشرك والمعاصي والعاطف فيه للدلالة على انه بما عطف عليه
في حكم خصلة واحدة كانه قال الجامعون بين الوصفين وفي قوله والحافظون لحدود
الله اي فيما بينه وعينه من الحقايق والشرايع للتنبيه على ان ما قبله مفصل الفضايل
وهذا مجملها وقيل انه للايذان بان التعداد قد تم بالسابع من حيث ان السبعة هو
العدد التام والثامن ابتداء تعداد اخر معطوف عليه ولذلك يسمى واو الثمانية وبشر
المومنين يعني به هولاء الموصوفين بتلك الفضايل ووضع المومنين موضع ضميرهم
للتنبيه على ان ايمانهم دعاهم الى ذلك وان المومن الكامل من كان كذلك وحذف
المبشر به للتعظيم كانه قيل وبشرهم بما يجل عن احاطة الافهام وتعبير الكلام ما كان للنبي
والذين امنوا ان يستغفروا للمشركين روي انه عم قال لابي طالب لما حضره الوفاة

قل كلمة

قل كلمة احاج لك بها عند الله فابى فقال عم لا ازال استغفر لك ما لم انه عنه
فنزلت وقيل لما افتتح مكة خرج الى الابواء فزار قبر امه ثم قام مستعبرا فقال اني استاذنت
ربي في زيارة قبر امي فاذن لي واستاذنته في الاستغفار لها فلم ياذن لي وانزل علي
الايتين ولو كانوا اولي قربى من بعد ما تبين لهم انهم اصحاب الجحيم بان ماتوا على
الكفر وفيه دليل على جواز الاستغفار لاحيائهم فانه طلب توفيقهم للايمان وبه
دفع النقض باستغفار ابرهيم لابيه الكافر فقال وما كان استغفار ابرهيم لابيه الا عن
موعدة وعدها اياه وعدها ابرهيم اياه بقوله لاستغفرن لك اي لاطلبن مغفرتك بالتوفيق
للايمان فانه يجب ما قبله ويدل عليه قراءة من قرأ اباه او وعدها ابرهيم ابوه وهي الوعد
بالايمان فلما تبين له انه عدو لله بان مات على الكفر او اوحي انه لن يومن تبرأ منه
قطع استغفاره ان ابرهيم لاواه كثير التأوه وهو كناية عن فرط ترحمه ورقة قلبه حليم
صبور على الاذى والجملة لبيان ما حمله على الاستغفار له مع شكاسته عليه وما كان الله
ليضل قوما اي ليسميهم ضلالا ويواخذهم مواخذتهم بعد اذ هداهم للاسلام حتى يبين لهم
ما يتقون حتى يبين لهم حظر ما يجب اتقاؤه وكانه بيان عذر الرسول عم في قوله لعمه او
لمن استغفر لاسلافه المشركين قبل المنع وقيل انه في قوم مضوا على الامر الاول في القبلة
والخمر ونحو ذلك وفي الجملة دليل على ان الغافل غير مكلف ان الله بكل شيء عليم فيعلم امرهم
في الحالين ان الله له ملك السموات والارض يحيي ويميت وما لكم من دون الله من
ولي ولا نصير لما منعهم عن الاستغفار للمشركين وان كانوا اولي قربى وتضمن ذلك وجوب التبرؤ
عنهم راسا بين لهم ان الله مالك كل موجود ومتولي امره والغالب عليه ولا يتأتى لهم
ولاية ولا نصرة الا منه ليتوجهوا اليه ويتبرؤوا مما عداه حتى لا يبقى لهم مقصود فيما ياتون ويذرون
سواه لقد تاب الله على النبي والمهاجرين والانصار من اذن المنافقين في التخلف او براهم
عن علقة الذنوب كقوله ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تاخر وقيل هو بعث على التوبة
والمعنى ما من احد الا وهو محتاج الى التوبة حتى النبي والمهاجرون والانصار لقوله وتوبوا الى الله
جميعا اذ ما من احد الا وله مقام يستنقص دونه ما هو فيه والترقي اليه توبة من تلك
النقيصة واظهار لفضلها بانها مقام الانبياء والصالحين من عباده والذين اتبعوه في ساعة
العسرة في وقتها وهي حالهم في غزوة تبوك كانوا في عسرة الظهر يعتقب العشرة على بعير واحد
والزاد حتى قيل ان الرجلين كانا يقتسمان تمرة والماء حتى شربوا الفظ من بعد ما كاد
تزيغ قلوب فريق منهم عن الثبات على الايمان او اتباع الرسول وفي كاد ضمير الشان او ضمير
القوم والعايد عليه الضمير في منهم وقرأ حمزة وحفص يزيغ بالياء لان تانيث القلوب غير حقيقي
وقرئ من بعد ما زاغت قلوب فريق منهم يعني المتخلفين ثم تاب عليهم تكرير للتاكيد وتنبيه
على انه تاب عليهم من اجل ما كابدوا من العسرة او المراد انه تاب عليهم لكيدودتهم انه بهم
رؤف رحيم وعلى الثلثة كعب بن مالك وهلال بن امية ومرارة بن الربيع الذين خلفوا

تخلفوا عن الغزو وخلف امرهم فانهم المرجون حتى اذا ضاقت عليهم الارض بما
رحبت اى برحبها لاعراض الناس عنهم بالكلية وهو مثل لشدة الحيرة وضاقت عليهم
انفسهم قلوبهم من فرط الوحشة والغم بحيث لا يسعها انس وسرور وظنوا ان لا ملجا
من الله من سخطه الا اليه الا الى استغفاره ثم تاب عليهم بالتوفيق للتوبة ليتوبوا او انزل
قبول توبتهم ليعدوا فى جملة التوابين او رجع عليهم بالقبول والرحمة مرة بعد اخرى ليستقيموا
على توبتهم ان الله هو التواب لمن تاب ولو عاد فى اليوم مائة مرة الرحيم المتفضل عليه بالنعم
يا ايها الذين امنوا اتقوا الله فيما لا يرضاه وكونوا مع الصادقين فى ايمانهم وعهودهم
او فى دين الله نية وقولا وعملا وقرئ من الصادقين او فى توبتهم وانابتهم فيكون المراد
به هولاء الثلثة واضرابهم ما كان لاهل المدينة ومن حولهم من الاعراب ان يتخلفوا عن
رسول الله نهى عبر عنه بالصيغة التى للمبالغة ولا يرغبوا بانفسهم عن نفسه لا يصونوا انفسهم
عما لم يصن نفسه عنه ويكابدوا معه من الاهوال روى ان ابا خيثمة بلغ بستانه و
كانت له امراة حسناء فرشت له فى الظل وبسطت له الحصير وقربت اليه الرطب والماء
البارد فنظر فقال ظل ظليل ورطب يانع وماء بارد وامراة حسناء ورسول الله فى الضح
والريح ما هذا بخير فقام فرحل ناقته واخذ سيفه ورمحه ومر كالريح فمد رسول الله صلعم
طرفه الى الطريق فاذا براكب يزهاه السراب فقال كن ابا خيثمة فكانه ففرح به رسول الله
واستغفر له وفى لا يرغبوا يجوز النصب والجزم ذلك اشارة الى ما دل عليه قوله ما كان من النهى
عن التخلف او وجوب المتابعة بانهم بسبب انهم لا يصيبهم ظمأ شئ من العطش ولا نصب تعب
ولا مخمصة مجاعة فى سبيل الله ولا يطئون موطئا ولا يدوسون مكانا يغيظ الكفار
يغيظهم وطاؤه ولا ينالون من عدو نيلا كالقتل والاسر والنهب الا كتب لهم به عمل
صالح استوجبوا به الثواب وذلك مما يوجب المتابعة ان الله لا يضيع اجر المحسنين
على احسانهم وهو تعليل لكتب وتنبيه على ان الجهاد احسان اما فى حق الكفار فلانه
سعى فى تكميلهم باقصى ما يمكن كضرب المداوى للمجنون واما فى حق المومنين فلانه صيانة
لهم عن سطوة الكفار واستيلائهم ولا ينفقون نفقة صغيرة ولو علاقة ولا كبيرة
مثل ما انفق عثمان فى جيش العسرة ولا يقطعون واديا فى مسيرهم وهو كل منفرج
ينفذ فيه السيل اسم فاعل من ودى اذا سال فشاع بمعنى الارض الا كتب لهم اثبت لهم ذلك
ليجزيهم الله بذلك احسن ما كانوا يعملون جزاء احسن اعمالهم او احسن جزاء اعمالهم
وما كان المومنون لينفروا كافة وما استقام لهم ان ينفروا جميعا لنحو غزو وطلب علم
كما لا يستقيم لهم ان يتثبطوا جميعا فانه يخل بامر المعاش فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة
فهلا نفر من كل جماعة كثيرة كقبيلة واهل بلدة جماعة قليلة ليتفقهوا فى الدين ليتكلفوا
الفقاهة فيه ويتجشموا مشاق تحصيلها ولينذروا قومهم اذا رجعوا اليهم وليجعلوا غاية سعيهم
ومعظم غرضهم من الفقاهة ارشاد القوم وانذارهم وتخصيصه بالذكر لانه اهم وفيه دليل على ان التفقه

والتذكير

والتذكير من فروض الكفاية وانه ينبغى ان يكون غرض المتعلم فيه ان يستقيم ويقيم
لا الترفع على الناس والتبسط فى البلاد لعلهم يحذرون ارادة ان يحذروا عما ينذرون منه واستدل
به على ان اخبار الاحاد حجة لان عموم كل فرقة يقتضى ان ينفر من كل ثلثة تفردوا بقرية
طائفة الى التفقه لتنذر فرقتها كى يتذكروا ويحذروا فلو لم يعتبر الاخبار ما لم يتواتر لم يفد
ذلك وقد اشبعت الكلام فيه تقريرا واعتراضا فى كتاب المرصاد وقد قيل للاية معنى اخر
وهو انه لما نزل فى المتخلفين ما نزل سبق المومنون الى النفير وانقطعوا عن التفقه فامروا
ان ينفر من كل فرقة طائفة الى الجهاد ويبقى اعقابهم يتفقهون حتى لا ينقطع التفقه
الذى هو الجهاد الاكبر لان الجدال بالحجة هو الاصل والمقصود من البعثة فيكون الضمير
فى ليتفقهوا ولينذروا البواقى الفرق بعد الطوائف النافرة للغزو وفى رجعوا للطوائف
اى ولينذروا البواقى قومهم النافرين اذا رجعوا اليهم بما حصلوا ايام غيبتهم من العلوم يا
ايها الذين امنوا قاتلوا الذين يلونكم من الكفار امروا بقتال الاقرب منهم فالاقرب
كما امر رسول الله اولا بانذار عشيرته فان الاقرب احق بالشفقة والاستصلاح وقيل هم
يهود حوالى المدينة كقريظة والنضير وخيبر وقيل الروم فانهم كانوا يسكنون الشام
وهو قريب من المدينة وليجدوا فيكم غلظة شدة وصبرا على القتال وقرئ بفتح
الغين وضمها وهما لغتان فيها واعلموا ان الله مع المتقين بالحراسة والاعانة واذا ما انزلت
سورة فمنهم فمن المنافقين من يقول انكارا واستهزاء ايكم زادته هذه السورة ايمانا
وقرئ ايكم بالنصب على اضمار فعل يفسره زادته فاما الذين امنوا فزادتهم ايمانا بزيادة
العلم الحاصل من تدبر السورة وانضمام الايمان بها وبما فيها الى ايمانهم وهم يستبشرون
بنزولها لانه سبب لزيادة كمالهم وارتفاع درجاتهم واما الذين فى قلوبهم مرض كفر
فزادتهم رجسا الى رجسهم كفرا بها مضموما الى الكفر بغيرها وماتوا وهم كافرون واستحكم
ذلك فيهم حتى ماتوا عليه اولا يرون يعنى المنافقين وقرئ بالتاء انهم يفتنون يبتلون
باصناف البليات او بالجهاد مع رسول الله فيعاينون ما يظهر عليه من الايات فى كل عام
مرة او مرتين ثم لا يتوبون لا ينتهون ولا يتوبون من نفاقهم ولا هم يذكرون
ولا يعتبرون واذا ما انزلت سورة نظر بعضهم الى بعض تغامزوا بالعيون انكارا
لها وسخرية او غيظا لما فيها من عيوبهم هل يريكم من احد اى يقولون هل يريكم احد ان قمتم
من حضرة الرسول فان لم يرهم احد قاموا وان يرهم احد اقاموا ثم انصرفوا عن حضرته
مخافة الفضيحة صرف الله قلوبهم عن الايمان وهو يحتمل الاخبار والدعاء بانهم بسبب انهم
قوم لا يفقهون لسوء فهمهم او عدم تدبرهم لقد جاءكم رسول من انفسكم
من جنسكم عربى مثلكم وقرئ من انفسكم اى اشرفكم عزيز عليه شديد
شاق ما عنتم عنتكم ولقاؤكم المكروه حريص عليكم اى على ايمانكم وصلاح شانكم
بالمومنين منكم ومن غيركم رؤف رحيم قدم الابلغ منهما وهو الرؤف لان الرافة شدة الرحمة

محافظة على الفواصل فان تولوا عن الايمان بك فقل حسبي الله فانه يكفيك معرتهم ويعينك عليهم لا اله الا هو كالدليل عليه عليه توكلت فلا ارجو ولا اخاف الا منه وهو رب العرش العظيم الملك العظيم او الجسم الاعظم المحيط الذي تنزل منه الاحكام والمقادير وقرى العظيم بالرفع وعن ابي ان اخر ما نزل هاتان الايتان وعن النبي صلعم ما نزل القران على الا اية اية وحرفا حرفا ما خلا سورة براءة وقل هو الله احد فانهما انزلتا علي ومعهما سبعون الف ملك من الملائكة سورة يونس مكية وايها ماية وتسع بسم الله الرحمن الرحيم الر فخمها ابن كثير ونافع وامالها الباقون اجراء لالف الراء مجرى المنقلبة عن الياء تلك آيات الكتاب الحكيم اشارة الى ما تضمنته السورة او القران من الاي والمراد من الكتاب احدهما ووصفه بالحكيم لاشتماله على الحكم او لانه كلام حكيم او محكم اياته لم ينسخ شي منها اكان للناس عجبا استفهام انكار للتعجب وعجبا خبر كان واسمه ان اوحينا وقرى بالرفع على ان الامر بالعكس او على ان كان تامة وان اوحينا بدل من عجب واللام للدلالة على انهم جعلوه اعجوبة لهم فوجهوا نحوه انكارهم واستهزاءهم الى رجل منهم من افناء رجالهم دون عظيم من عظمائهم قيل كانوا يقولون العجب ان الله لم يجد رسولا يرسله الى الناس الا يتيم ابي طالب وهو من فرط حماقتهم وقصور نظرهم على الامور العاجلة وجهلهم بحقيقة الوحي والنبوة هذا وانه عليه السلام لم يكن يقصر عن عظمائهم فيما يعتبر فيه الا في المال وخفة الحال اعون شيء في هذا الباب ولذلك كان اكثر الانبياء قبله كذلك وقيل تعجبوا من انه بعث بشرا رسولا كما سبق ذكره في سورة الانعام ان انذر الناس ان هي المفسرة او المخففة من الثقيلة فتكون في موقع مفعول اوحينا وبشر الذين امنوا عمم الانذار اذ ما من احد ليس فيه ما ينبغي ان ينذر منه وخصص البشارة اذ ليس للكفار ما يصح ان يبشروا به ان لهم بان لهم قدم صدق عند ربهم سابقة ومنزلة سميت قدما لان السبق بها كما سميت النعمة يدا لانها تعطى باليد واضافتها الى الصدق لتحققها والتنبيه على انهم انما ينالونها بصدق القول والنية قال الكافرون ان هذا يعنون الكتاب وما جاء به الرسول لسحر مبين وقرا ابن كثير والكوفيون لساحر على ان الاشارة الى الرسول وفيه اعتراف بانهم صادفوا من الرسول امورا خارقة للعادة معجزة اياهم عن المعارضة وقرى ما هذا الا سحر مبين ان ربكم الله الذي خلق السموات والارض التي هي اصول الممكنات في ستة ايام ثم استوى على العرش يدبر الامر يقدر امر الكائنات على ما اقتضته حكمته وسبقت كلمته ويهيئ بتحريك اسبابها وتنزلها منه والتدبير النظر في ادبار الامور لتجيء محمودة العاقبة ما من شفيع الا من بعد اذنه تقرير لعظمته وعز جلاله ورد على من زعم ان الهتهم تشفع لهم عند الله وفيه اثبات الشفاعة لمن اذن له ذلكم الله اي الموصوف بتلك الصفات المقتضية للالوهية والربوبية

ربكم لا غير اذ لا يشاركه احد في شيء من ذلك فاعبدوه وحدوه بالعبادة افلا تذكرون تتفكرون ادنى تفكر فتنبهوا على انه المستحق للربوبية والعبادة لا ما تعبدونه اليه مرجعكم جميعا بالموت او النشور لا الى غيره فاستعدوا للقائه وعد الله مصدر مؤكد لنفسه لان قوله اليه مرجعكم وعد من الله حقا مصدر اخر مؤكد لغيره وهو ما دل عليه وعد الله انه يبدأ الخلق ثم يعيده بعد بدائه واهلاكه ليجزي الذين امنوا وعملوا الصالحات بالقسط اي بعدله او بعدالتهم وقيامهم على العدل في امورهم او بايمانهم لانه العدل القويم كما ان الشرك ظلم عظيم وهو الاوجه لمقابلته قوله والذين كفروا لهم شراب من حميم وعذاب اليم بما كانوا يكفرون فان معناه ليجزي الذين كفروا بشراب من حميم وعذاب اليم بسبب كفرهم لكنه غير النظم للمبالغة في استحقاقهم العقاب والتنبيه على ان المقصود بالذات من الابداء والاعادة هو الاثابة والعقاب واقع بالعرض وانه تعالى يتولى اثابة المؤمنين بما يليق بلطفه وكرمه ولذلك لم يعينه واما عذاب الكفرة فكانه داء ساقه اليهم سوء اعتقادهم وشؤم افعالهم والاية كالتعليل لقوله اليه مرجعكم جميعا فانه لما كان المقصود من الابداء والاعادة مجازاة الله المكلفين على اعمالهم كان مرجع الجميع اليه لا محالة ويؤيده قراءة من قرأ انه يبدأ بالفتح اي لانه ويجوز ان يكون منصوبا او مرفوعا بما نصب وعد الله او بما نصب حقا هو الذي جعل الشمس ضياء اي ذات ضياء وهو مصدر كقيام او جمع ضوء كسياط وسوط والياء فيه منقلبة عن الواو وعن ابن كثير برواية قنبل ضئاء بهمزتين في كل القران على القلب بتقديم اللام على العين والقمر نورا اي ذا نور او سمي نورا للمبالغة وهو اعم من الضوء كما عرفت وقيل ما بالذات ضوء وما بالعرض نور وقد نبه سبحانه بذلك على انه خلق الشمس نيرة في ذاتها والقمر نيرا بعرض مقابلة الشمس والاكتساب منها وقدره منازل الضمير لكل واحد اي قدر مسير كل واحد منهما منازل او قدره ذا منازل او للقمر وتخصيصه بالذكر لسرعة سيره ومعاينة منازله واناطة احكام الشرع به ولذلك علله بقوله لتعلموا عدد السنين والحساب وحساب الاوقات من الاشهر والايام في معاملاتكم وتصرفاتكم ما خلق ذلك الا بالحق الا ملتبسا بالحق مراعيا فيه مقتضى الحكمة البالغة نفصل الايات لقوم يعلمون فانهم المنتفعون بالتامل فيها وقرا ابن كثير والبصريان وحفص يفصل بالياء ان في اختلاف الليل والنهار وما خلق الله في السموات والارض من انواع الكائنات لايات على وجود الصانع ووحدته وكمال علمه وقدرته لقوم يتقون العواقب فانه يحملهم على التفكر والتدبر ان الذين لا يرجون لقاءنا لا يتوقعونه لانكارهم البعث وذهولهم بالمحسوسات عما وراءها ورضوا بالحياة الدنيا من الاخرة لغفلتهم عنها واطمأنوا بها وسكنوا اليها مقصرين هممهم على لذائذها وزخارفها او سكنوا فيها سكون من لا يزعج عنها والذين هم

عن آياتنا غافلون لا يتفكرون فيها لانهماكهم فيما يضادها والعطف لتغاير
الوصفين والتنبيه على ان الوعيد على الجمع بين الذهول عن الآيات رأسا والانهماك في الشهوات
بحيث لا يخطر الآخرة ببالهم اصلا واما لتغاير الفريقين والمراد بالاولين من انكر البعث
ولم ير الا الحيوة الدنيا وبالآخرين من الهاه حب العاجل عن التأمل في الآجل والاعداد له
اولئك مأويهم النار بما كانوا يكسبون بما واظبوا عليه وتمرنوا به من المعاصي ان
الذين آمنوا وعملوا الصالحات يهديهم ربهم بايمانهم بسبب ايمانهم الى سلوك
سبيل يؤدي الى الجنة او لادراك الحقائق كما قال عليه السلام من عمل بما علم ورثه الله علم
ما لم يعلم او لما يريدونه في الجنة ومفهوم الترتيب وان دل على ان سبب الهداية هو الايمان
والعمل الصالح لكن دل منطوق قوله بايمانهم على استقلال الايمان بالسببية وان العمل
الصالح كالتتمة والرديف له تجري من تحتهم الانهار استئناف او خبر ثان او حال من الضمير
المنصوب على المعنى الاخير وقوله في جنات النعيم حال اخرى منه او من الانهار او
متعلق بتجري او بيهدي دعويهم فيها اي دعاؤهم سبحانك اللهم اللهم انا نسبحك
تسبيحا وتحيتهم ما يحيي به بعضهم بعضا او تحية الملائكة اياهم فيها سلام وآخر
دعويهم وآخر دعائهم ان الحمد لله رب العالمين ان يقولوا ذلك ولعل المعنى انهم اذا دخلوا
الجنة عاينوا عظمة الله وكبرياءه مجدوه ونعتوه بنعوت الجلال ثم حياهم الملائكة
بالسلامة عن الآفات والفوز باصناف الكرامات او الله تعالى فحمدوه واثنوا عليه بصفات
الاكرام وان هي المخففة من الثقيلة وقد قرئ بها وبنصب الحمد ولو يعجل الله للناس
الشر ولو يسرعه اليهم استعجالهم بالخير وضع موضع تعجيله لهم بالخير اشعارا بسرعة اجابته
لهم في الخير حتى كأن استعجالهم به تعجيل لهم او بان المراد شر استعجلوه كقولهم فامطر
علينا حجارة من السماء وتقدير الكلام ولو يعجل الله للناس الشر تعجيله للخير حين استعجلوه
استعجالا كاستعجالهم بالخير فحذف منه ما حذف لدلالة الباقي عليه لقضي اليهم اجلهم
لاميتوا واهلكوا وقرأ ابن عامر ويعقوب لقضى على البناء للفاعل وهو الله تعالى وقرئ
لقضينا فنذر الذين لا يرجون لقاءنا في طغيانهم يعمهون عطف على فعل محذوف
دل عليه الشرطية كأنه قيل لكن لا نعجل ولا نقضي فنذرهم امهالا لهم واستدراجا واذا
مس الانسان الضر دعانا لازالته مخلصا فيه لجنبه ملقيا لجنبه اي مضطجعا او قاعدا
او قائما وفائدة الترديد تعميم الدعاء لجميع الاحوال او لاصناف المضار فلما كشفنا
عنه ضره مر اي على طريقته واستمر على كفره او مر عن موقف الدعاء لا يرجع اليه
كأن لم يدعنا كأنه لم يدعنا فخفف وحذف ضمير الشان كما قال ونحر مشرق اللون
كان ثدياه حقان الى ضر مسه الى كشف ضر كذلك مثل ذلك التزيين زين للمسرفين
ما كانوا يعملون من الانهماك في الشهوات والاعراض عن العبادات ولقد اهلكنا
القرون من قبلكم يا اهل مكة لما ظلموا حين ظلموا بالتكذيب واستعمال القوى

والجوارح

والجوارح لا على ما ينبغي وجاءتهم رسلهم بالبينات بالحجج الدالة على صدقهم وهو
حال من الواو باضمار قد او عطف على ظلموا وما كانوا ليؤمنوا وما استقام لهم ان
يؤمنوا لفساد استعدادهم وخذلان الله لهم وعلمه بانهم يموتون على كفرهم
واللام لتأكيد النفي كذلك مثل ذلك الجزاء وهو اهلاكهم بسبب تكذيبهم للرسل واصرارهم
عليه بحيث تحقق انه لا فائدة في امهالهم نجزي القوم المجرمين نجزي كل مجرم
او نجزيكم فوضع المظهر موضع الضمير للدلالة على كمال جرمهم وانهم اعلام فيه
ثم جعلناكم خلائف في الارض من بعدهم استخلفناكم فيها بعد القرون
التي اهلكناها استخلاف من يختبر لننظر كيف تعملون اتعملون خيرا او شرا فنعاملكم
على مقتضى اعمالكم وكيف معمول تعملون فان معنى الاستفهام يحجب ان يعمل فيه
وفائدته الدلالة على ان المعتبر في الجزاء جهات الافعال وكيفياتها لا من حيث
ذواتها ولذلك يحسن الفعل تارة ويقبح اخرى واذا تتلى عليهم آياتنا بينات قال
الذين لا يرجون لقاءنا يعني المشركين ائت بقرآن غير هذا بكتاب آخر نقرؤه ليس فيه
ما نستبعده من البعث والثواب والعقاب بعد الموت او ما نكرهه من معايب آلهتنا
او بدله بان تجعل مكان الآية المشتملة على ذلك آية اخرى ولعلهم سألوا ذلك
ليسعفهم اليه فيلزموه قل ما يكون لي ما يصح لي ان ابدله من تلقاء نفسي من قبل
نفسي وهو مصدر واستعمل ظرفا وانما اكتفى بالجواب عن التبديل لاستلزامه امتناع
امتناع الاتيان بقرآن آخر ان اتبع الا ما يوحى الي تعليل لما يكون فان المتبع لغيره
فيما لم يستبد بالتصرف فيه بوجه وجواب للنقض بنسخ الآيات ببعض ورد
لما عرضوا له بهذا السؤال من ان القرآن كلامه واختراعه ولذلك قيد التبديل في الجواب
وسماه عصيانا فقال اني اخاف ان عصيت ربي بالتبديل عذاب يوم عظيم
وفيه ايماء بانهم استوجبوا العذاب بهذا الاقتراح قل لو شاء الله ما تلوته عليكم
ولا ادريكم به ولا اعلمكم به على لساني وعن ابن كثير ولادريكم اي لو شاء
الله ما تلوته عليكم ولا علمكم به على لسان غيري والمعنى انه الحق الذي
لا محيص عنه ولو لم ارسل به لارسل به غيري وقرئ ولا ادراتكم ولا ادرأتكم
بالهمز فيهما على لغة من يقلب الالف المبدلة من الياء همزة او على انه من الدرء بمعنى
الدفع اي ولا جعلتكم بتلاوته خصما تدرؤونني بالجدال والمعنى ان الامر بمشية
الله لا بمشيتي حتى اجعله على نحو ما تشتهونه ثم قرر ذلك بقوله فقد لبثت فيكم
عمرا مقدار اربعين من قبله من قبل القرآن لا اتلوه ولا اعلمه فانه اشارة الى ان
القرآن معجز خارق للعادة فان من عاش بين اظهرهم اربعين سنة لم يمارس
فيها علما ولم يشاهد عالما ولم ينشئ قريضا ولا خطبة ثم قرأ عليهم كتابا بذت
فصاحته فصاحة كل منطيق وعلا كل منثور ومنظوم واحتوى على قواعد علمي الاصول

بعض ح

والفروع واعرب عن قصص الاولين واحاديث الاخرين على ما هي عليه علم انه معلوم به من الله افلا تعقلون افلا تستعملون عقولكم بالتدبر والتفكر لتعلموا انه ليس الا من الله فمن اظلم ممن افترى على الله كذبا تفاد مما اضافوا اليه كناية او تظليم للمشركين بافترايهم على الله في قولهم انه لذو شريك وذو ولد او كذب بآياته فكفر بها انه لا يفلح المجرمون ويعبدون من دون الله ما لا يضرهم ولا ينفعهم لانه جماد لا يقدر على نفع ولا ضر والمعبود ينبغي ان يكون مثيبا ومعاقبا حتى تعود عبادته بجلب نفع او دفع ضر ويقولون هؤلاء الاوثان شفعاؤنا عند الله تشفع لنا فيما يهمنا من امور الدنيا او في الاخرة ان يكن بعث وكانهم كانوا شاكين فيه وهذا من فرط جهالتهم حيث تركوا عبادة الموجد الضار النافع الى عبادة ما يعلم قطعا انه لا يضر ولا ينفع على توهم انه ربما يشفع لهم عنده قل اتنبئون الله اتخبرونه بما لا يعلم وهو ان له شريكا او هؤلاء شفعاء عنده وما لا يعلمه العالم بجميع المعلومات لا يكون له تحقق ما وفيه تقريع وتهكم بهم في السموات ولا في الارض حال من العائد المحذوف مؤكدة للنفي منبهة على ان ما يعبدون من دون الله اما سماوي او ارضي ولا شيء من الموجودات فيهما الا وهو حادث مقهور مثلهم لا يليق ان يشرك به سبحانه وتعالى عما يشركون عن اشراكهم او عن الشركاء الذين يشركونهم به وما كان الناس الا امة واحدة موحدين على الفطرة او متفقين على الحق وذلك في عهد ادم عليه السلام الى قتل قابيل هابيل او بعد الطوفان او على الضلال في فترة من الرسل فاختلفوا باتباع الهوى والاباطيل او ببعثة الرسل فتبعهم طائفة واصرت اخرى ولولا كلمة سبقت من ربك بتاخير الحكم بينهم او العذاب الفاصل بينهم الى يوم القيمة فانه يوم الفصل والجزاء لقضي بينهم عاجلا فيما فيه يختلفون باهلاك المبطل وابقاء المحق ويقولون لولا انزل عليه آية من ربه اي من الايات التي اقترحوها فقل انما الغيب لله هو المختص بعلمه فلعله يعلم في انزال الايات المقترحة مفاسد تصرفه عن انزالها فانتظروا لنزول ما اقترحتموه اني معكم من المنتظرين لما يفعل الله بكم بجحودكم ما نزل علي من الايات العظام واقتراحكم غيره واذا اذقنا الناس رحمة صحة وسعة من بعد ضراء مستهم كقحط ومرض اذا لهم مكر في آياتنا بالطعن فيها والاحتيال في دفعها قيل قحط اهل مكة سبع سنين حتى كادوا يهلكون ثم رحمهم بالحيا فطفقوا يقدحون في آيات الله ويكيدون رسوله قل الله اسرع مكرا منكم قد دبر عقابكم قبل ان تدبروا كيدكم وانما دل على سرعتهم المفضل عليها كلمة المفاجاة الواقعة جوابا لاذا الشرطية والمكر اخفاء الكيد وهو من الله اما الاستدراج او الجزاء على المكر ان رسلنا يكتبون ما تمكرون تحقيق للانتقام وتنبيه على ان ما دبروا في اخفائه لم يخف على الحفظة فضلا ان يخفى على الله وعن يعقوب يمكرون بالياء ليوافق ما قبله هو الذي يسيركم يحملكم على السير ويمكنكم منه في البر والبحر

حتى

حتى اذا كنتم في الفلك في السفن وجرين بهم فيها عدل عن الخطاب الى الغيبة للمبالغة فانه تذكرة لغيرهم لتتعجب حالهم وينكر عليهم بريح طيبة لينة الهبوب وفرحوا بها بتلك الريح جاءتها جواب اذا والضمير للفلك او للريح الطيبة بمعنى تلقتها ريح عاصف ذات عصف شديدة الهبوب وجاءهم الموج من كل مكان يجيء الموج منه وظنوا انهم احيط بهم اهلكوا او سدت عليهم مسالك الخلاص لمن احاط به العدو دعوا الله مخلصين له الدين من غير اشراك لتراجع الفطرة وزوال المعارض من شدة الخوف وهو بدل من ظنوا بدل الاشتمال لان دعاءهم من لوازم ظنهم لئن انجيتنا من هذه لنكونن من الشاكرين على ارادة القول او مفعول دعوا لانه من جملة القول فلما انجاهم اجابة لدعائهم اذا هم يبغون في الارض فاجؤوا الفساد فيها وسارعوا الى ما كانوا عليه بغير الحق مبطلين فيه وهو احتراز عن تخريب المسلمين ديار الكفرة واحراق زروعهم وقلع اشجارهم فانها افساد بحق يا ايها الناس انما بغيكم على انفسكم فان وباله عليكم او انه على امثالكم وابناء جنسكم متاع الحيوة الدنيا منفعة الحيوة الدنيا لا تبقى ويبقى عقابها ورفعه على انه خبر بغيكم وعلى انفسكم صلته ونصبه حفص على انه مصدر مؤكد اي تتمتعون متاع الحيوة الدنيا او مفعول البغي لانه بمعنى الطلب فيكون الجار من صلته والخبر محذوف وما تقديره بغيكم متاع الحيوة الدنيا محذور او ضلال او مفعول فعل دل عليه البغي وعلى انفسكم خبره ثم الينا مرجعكم في القيمة فننبئكم بما كنتم تعملون بالجزاء عليه انما مثل الحيوة الدنيا حالها العجيبة في سرعة تقضيها وذهاب نعيمها بعد اقبالها واغترار الناس بها كماء انزلناه من السماء فاختلط به نبات الارض فاشتبك بسببه حتى خالط بعضه بعضا مما ياكل الناس والانعام من الزروع والبقول والحشيش حتى اذا اخذت الارض زخرفها تزينت باصناف النبات واشكالها والوانها المختلفة كعروس اخذت من الوان الثياب والزين فتزينت بها وازينت اصله تزينت فادغم وقد قرئ على الاصل وازينت على افعلت كاغيلت والمعنى صار ذات زينة وازيانت كابياضت وظن اهلها انهم قادرون عليها متمكنون من حصدها ورفع غلتها اتاها امرنا ضرب زرعها ما يجتاحه ليلا او نهارا فجعلناها فجعلنا زرعها حصيدا شبيها بما حصد من اصله كان لم تغن كان لم يغن زرعها اي لم يلبث والمضاف محذوف في الموضعين للمبالغة وقرئ بالياء على الاصل بالامس فيما قبيله وهو مثل في الوقت القريب والممثل به مضمون الحكاية وهو زوال خضرة النبات فجاة وذهابه حطاما بعدما كان غضا والتف وزين الارض بخضرته حتى طمع فيه اهله وظنوا انه قد سلم من الجوائح الا الماء وان وليه حرف التشبيه لانه من التشبيه المركب كذلك نفصل الايات لقوم يتفكرون فانهم المنتفعون به والله يدعو الى دار السلام دار السلامة من التنغص والافة او دار الله وتخصيص

يحلونها

هذا الاسم ايضا للتنبيه على ذلك او دار يسلم الله والملائكة فيها على من يدخلها والمراد
الجنة ويهدي من يشاء بالتوفيق الى صراط مستقيم هو طريقها وذلك الاسلام
والتدرع بلباس التقوى وفي تعميم الدعوة وتخصيص الهداية بالمشية دليل على ان الامر
غير الارادة وان المصر على الضلالة لم يرد الله رشده للذين احسنوا الحسنى
المثوبة الحسنى وزيادة وما يزيد على المثوبة تفضلا كقوله ويزيدهم من فضله
وقيل الحسنى مثل حسناتهم والزيادة عشر امثالها الى سبع مائة ضعف واكثر
وقيل الزيادة مغفرة من الله ورضوان وقيل الحسنى الجنة والزيادة اللقاء ولا
يرهق وجوههم لا يغشاها قتر غبرة فيها سواد ولا ذلة هوان والمعنى لا يرهقهم
ما يرهق اهل النار او لا يرهقهم ما يوجب ذلك من حزن وسوء حال اولئك اصحاب
الجنة هم فيها خالدون دائمون لا زوال فيها ولا انقراض لنعيمها بخلاف الدنيا
وزخارفها والذين كسبوا السيئات جزاء سيئة بمثلها عطف على قوله للذين
احسنوا الحسنى على مذهب من يجوز في الدار زيد والحجرة عمرو او الذين مبتدأ
والخبر جزاء سيئة على تقدير وجزاء الذين كسبوا السيئات جزاء سيئة بمثلها اي ان
تجازى سيئة بسيئة مثلها لا يزاد عليها وفيه تنبيه على ان الزيادة هي الفضل او التضعيف
او كانما اغشيت او اولئك اصحاب النار وما بينهما اعتراض فجزاء سيئة مبتدأ خبره
محذوف اي فجزاء سيئة بمثلها واقع او بمثلها على زيادة الباء او تقدير مقدر بمثلها
وترهقهم ذلة وقرئ بالياء ما لهم من الله من عاصم من احد يعصمهم من سخط الله
او من جهة الله ومن عنده كما يكون للمؤمنين كانما اغشيت وجوههم قطعا
من الليل مظلما لفرط سوادها وظلمتها ومظلما حال من الليل والعامل فيه اغشيت
لانه العامل في قطعا وهو موصوف بالجار والمجرور والعامل في الموصوف عامل
في الصفة او معنى الفعل في من الليل وقرأ ابن كثير والكسائي ويعقوب قطعا
بالسكون وعلى هذا يصح ان يكون مظلما صفة له او حالا منه اولئك اصحاب النار
هم فيها خالدون مما يحتج به الوعيدية والجواب ان الاية في الكفار لاشتمال السيئات
على الشرك والكفر ولان الذين احسنوا يتناول اصحاب الكبيرة من اهل القبلة
فلا يتناولهم قسيمه ويوم نحشرهم جميعا يعني الفريقين جميعا ثم نقول للذين اشركوا
مكانكم الزموا مكانكم حتى تنظروا ما يفعل بكم انتم تاكيد للضمير المنتقل اليه من عامله
وشركاؤكم عطف عليه وقرئ بالنصب على المفعول معه فزيلنا بينهم ففرقنا بينهم وقطعنا
الوصلة التي كانت بينهم وقال شركاؤهم ما كنتم ايانا تعبدون مجاز عن براءة
ما عبدوه من عبادتهم وانهم انما عبدوا في الحقيقة اهواءهم لانها الآمرة بالاشراك
لا ما اشركوا به وقيل ينطق الله الاصنام فتشافههم بذلك مكان الشفاعة التي
توقعوا منها وقيل المراد بالشركاء المسيح والملائكة وقيل الشياطين فكفى بالله شهيدا

بيننا وبينكم فانه العالم بكنه الحال ان كنا عن عبادتكم لغافلين ان
هي المخففة من الثقيلة واللام هي الفارقة هنالك في ذلك المقام تبلوا كل نفس ما
اسلفت ما قدمت من عمل فتعاين نفعه وضره وقرأ حمزة والكسائي تتلو من التلاوة
اي تقرأ ذكر ما قدمت او من التلو اي تتبع عمله فيقوده الى الجنة او الى النار وقرئ
نبلو بالنون ونصب كل وابدال ما منه والمعنى نختبرها اي نفعل بها فعل المختبر بحالها المتعرف
لسعادتها وشقاوتها بتعرف ما اسلفت من اعمالها ويجوز ان يراد نصيب بالبلاء اي
العذاب كل نفس بسبب ما اسلفت من الشر فتكون ما منصوبة بنزع الخافض وردوا
الى الله الى جزائه اياهم بما اسلفوا مولاهم الحق ربهم ومتولي امرهم على الحقيقة لا ما
اتخذوه مولى وقرئ الحق بالنصب على المدح او المصدر المؤكد وضل عنهم وضاع عنهم
ما كانوا يفترون من ان آلهتهم تشفع لهم او ما كانوا يدعون انها آلهة قل من يرزقكم
من السماء والارض منهما جميعا فان الارزاق تحصل باسباب سماوية ومواد ارضية او
من كل واحدة منهما توسعة عليكم وقيل من لبيان من على حذف المضاف اي من
اهل السماء والارض امن يملك السمع والابصار ام من يستطيع خلقهما وتسويتهما او من
يحفظهما من الآفات مع كثرتها وسرعة انفعالها من ادنى شيء ومن يخرج الحي
من الميت ويخرج الميت من الحي ومن يحيي ويميت او من ينشئ الحيوان من النطفة
والنطفة منه ومن يدبر الامر ومن يلي تدبير امر العالم وهو تعميم بعد تخصيص فسيقولون
الله اذ لا يقدرون على المكابرة والعناد في ذلك لفرط وضوحه فقل افلا تتقون
انفسكم عقابه باشراككم اياه ما لا يشاركه في شيء من ذلك فذلكم الله ربكم
الحق اي المتولي لهذه الامور المستحق للعبادة هو ربكم الثابت ربوبيته لانه الذي
انشاكم واحياكم ورزقكم ودبر اموركم فماذا بعد الحق الا الضلال
استفهام انكاري اي ليس بعد الحق الا الضلال فمن تخطى الحق الذي هو عبادة الله وقع
في الضلال فانى تصرفون عن الحق الى الضلال كذلك حقت كلمة ربك اي كما حقت الربوبية
لله او ان الحق بعده الضلال او انهم مصروفون عن الحق حقت كلمة الله وحكمه على
الذين فسقوا تمردوا في كفرهم وخرجوا عن حد الاستصلاح انهم لا يؤمنون بدل من
الكلمة او تعليل لحقيتها والمراد بها العدة بالعذاب قل هل من شركائكم من
يبدأ الخلق ثم يعيده جعل الاعادة كالابداء في الالزام بها لظهور برهانها وان لم
يساعدوا عليها ولذلك امر الرسول بان ينوب عنهم في الجواب فقال قل الله يبدأ الخلق
ثم يعيده لان لجاجهم لا يدعهم ان يعترفوا بها فانى تؤفكون تصرفون عن قصد السبيل قل
هل من شركائكم من يهدي الى الحق بنصب الحجج وارسال الرسل والتوفيق للنظر والتدبر
وهدى كما يعدى بالى لتضمنه معنى الانتهاء يعدى باللام للدلالة على ان المنتهى غاية
الهداية وانها لم تتوجه نحوه على سبيل الاتفاق ولذلك عدي بها ما اسند الى الله قل الله

يهدى للحق افمن يهدى الى الحق احق ان يتبع امن لا يهدى الا ان يهدى ام الذى
لا يهتدى الا ان يهدى من قولهم هدى بنفسه اذا اهتدى او لا يهدى غيره الا ان يهديه
الله وهذا حال اشراف شركائهم كالملائكة والمسيح وعزير وقرا ابن كثير
وورش عن نافع وابن عامر يهدى بفتح الهاء وتشديد الدال ويعقوب وحفص
بالكسر والتشديد والاصل يهتدى فادغم وفتحت الهاء بحركة التاء او كسرت لالتقاء
الساكنين لان المدغم فى حكم المتحرك وعن نافع مثله وقرى الا ان يهدى
على المبالغة فما لكم كيف تحكمون بما يقتضى صريح العقل بطلانه وما يتبع اكثرهم
فيما يعتقدون الا ظنا مستندا الى خيالات فارغة واقيسة فاسدة كقياس الغايب
على الشاهد والخالق على المخلوق بادنى مشاركة موهومة والمراد بالاكثر الجميع
او من ينتمى منهم الى تميز ونظر ولا يرضى بالتقليد الصرف ان الظن لا يغنى من الحق
من العلم والاعتقاد الحق شيئا من الاغناء ويجوز ان يكون مفعولا به ومن الحق
حال منه وفيه دليل على ان تحصيل العلم فى الاصول واجب والاكتفاء بالتقليد والظن
غير جائز ان الله عليم بما يفعلون وعيد على اتباعهم للظن واعراضهم عن البرهان وما
كان هذا القران ان يفترى من دون الله افتراء من الخلق ولكن تصديق الذى
بين يديه مطابقا لما تقدمه من الكتب الالهية المشهود على صدقها ولا يكون كذبا
كيف وهو لكونه معجزا دونها عيار عليها شاهد على صحتها ونصبه بانه خبر لكان
المقدر او علة لفعل محذوف تقديره لكن انزله الله تصديق الذى وقرئ بالرفع
على تقدير ولكن هو تصديق وتفصيل الكتاب وتفصيل ما حقق واثبت من العقايد
والشرايع لا ريب فيه منتفيا عنه الريب وهو خبر ثالث داخل فى حكم الاستدراك
ويجوز ان يكون حالا من الكتاب فانه مفعول فى المعنى وان يكون استينافا من رب
العالمين خبر اخر تقديره كاينا من رب العالمين او متعلق بتصديق وتفصيل
ولا ريب فيه اعتراض او بالفعل المعلل بهما ويجوز ان يكون حالا من الكتاب
او الضمير فيه ومساق الاية بعد المنع عن اتباع الظن لبيان ما يجب اتباعه والبرهان
عليه ام يقولون بل ايقولون افتريه محمد ومعنى الهمزة فيه الانكار قل فاتوا بسورة
مثله فى البلاغة وحسن النظم وقوة المعنى على وجه الافتراء فانكم مثلى فى العربية
والفصاحة واشد تمرنا فى النظم والعبارة وادعوا من استطعتم ومع ذلك فاستعينوا
بمن امكنكم ان تستعينوا منه من دون الله سوى الله تعالى فانه وحده قادر
على ذلك ان كنتم صادقين انه اختلقه بل كذبوا بل سارعوا الى الكذب
بما لم يحيطوا بعلمه بالقران اول ما سمعوه قبل ان يتدبروا اياته ويحيطوا بالعلم
بشانه او بما جهلوه ولم يحيطوا به علما من ذكر البعث والجزاء وساير ما يخالف
دينهم ولما ياتيهم تاويله ولم يقفوا بعد على تاويله ولم يبلغ اذهانهم معانيه او ولم

ياتيهم

ياتيهم بعد تاويل ما فيه من الاخبار بالغيوب حتى يتبين لهم انه صدق ام كذب والمعنى
ان القران معجز من جهة اللفظ والمعنى ثم انهم فاجؤا تكذيبه قبل ان يتدبروا نظمه و
يتفحصوا معناه ومعنى التوقع فى لما انه قد ظهر لهم بالاخرة اعجازه لما كرر عليهم التحدى
فارزوا قواهم فى معارضته فتضاءلت دونها او لما شاهدوا وقوع ما اخبر به طبقا
لاخباره مرارا فلم يقلعوا عن التكذيب تمردا وعنادا كذلك كذب الذين من قبلهم
انبياءهم فانظر كيف كان عاقبة المكذبين وفيه وعيد لهم بمثل ما عوقب من قبلهم
ومنهم ومن المكذبين من يؤمن به من يصدق به فى نفسه ويعلم انه حق ولكن يعاند
او من سيؤمن به ويتوب عن كفره ومنهم من لا يؤمن به فى نفسه لفرط عداوته
وقلة تدبره او فيما يستقبل بل يموت على الكفر وربك اعلم بالمفسدين بالمعاندين او
بالمصرين وان كذبوك وان اصروا على تكذيبك بعد الزام الحجة فقل لى عملى ولكم
عملكم فتبرا منهم فقد اعذرت والمعنى لى جزاء عملى ولكم جزاء عملكم حقا كان او باطلا
انتم بريئون مما اعمل وانا برئ مما تعملون لا تؤاخذون بعملى ولا اؤاخذ بعملكم
ولما فيه من ايهام الاعراض عنهم وتخلية سبيلهم قيل انه منسوخ باية السيف ومنهم من
يستمعون اليك اذا قرات القران وعلمت الشرايع ولكن لا يقبلون كالاصم الذى لا يسمع
اصلا افانت تسمع الصم تقدر على اسماعهم ولو كانوا لا يعقلون ولو انضم الى صممهم
عدم تعقلهم وفيه تنبيه على ان حقيقة استماع الكلام فهم المعنى المقصود منه ولذلك
لا يوصف به البهايم وهو لا يتاتى الا باستعمال العقل السليم فى تدبره وعقولهم لما كانت
مؤفة بمعارضة الوهم ومتابعة الالف والتقليد تعذر افهامهم الحكم والمعانى الدقيقة
فلم ينتفعوا بسرد الالفاظ عليهم غير ما ينتفع به البهايم من كلام الناعق ومنهم من ينظر
اليك ويعاينون دلايل نبوتك ولكن لا يصدقون افانت تهدى العمى تقدر على هدايتهم ولو
كانوا لا يبصرون وان انضم الى عدم البصر عدم البصيرة فان المقصود من الابصار
هو الاعتبار والاستبصار والعمدة فى ذلك البصيرة ولذلك يحدس الاعمى المستبصر
ويتفطن لما لا يدركه البصير الاحمق والاية كالتعليل للامر بالتبرى والاعراض
عنهم ان الله لا يظلم الناس شيئا بسلب حواسهم وعقولهم ولكن الناس انفسهم يظلمون
بافسادها وتفويت منافعها عليهم وفيه دليل على ان للعبد كسبا وانه ليس مسلوب
الاختيار بالكلية كما زعمت المجبرة ويجوز ان يكون وعيدا لهم بمعنى ان ما يحيق بهم
يوم القيمة من العذاب عدل من الله لا يظلمهم به ولكنهم ظلموا انفسهم باقتراف اسبابه
ويوم يحشرهم كان لم يلبثوا الا ساعة من النهار يستقصرون مدة لبثهم فى الدنيا او
القبور لهول ما يرون والجملة التشبيهية فى موضع الحال اى يحشرهم مشبهين بمن لم
يلبث الا ساعة او صفة ليوم والعايد محذوف تقديره كان لم يلبثوا قبله او لمصدر
محذوف تقديره كان لم يلبثوا اى حشرا كان لم يلبثوا قبله يتعارفون بينهم يعرف

بعضهم بعضا كانهم لم يتعارفوا الا قليلا وهذا اول ما نشروا ثم ينقطع التعارف
لشدة الامر عليهم وهو حال اخرى مقدرة او بيان لقوله كان لم يلبثوا او متعلق
الظرف والتقدير يتعارفون يوم نحشرهم قد خسر الذين كذبوا بلقاء الله
شهادة على خسرانهم والتعجب منه ويجوز ان يكون حالا من الضمير في يتعارفون
على ارادة القول وما كانوا مهتدين لطرق استعمال ما منحوا من المعاون في
تحصيل المعارف فاستكسبوا بها جهالات ادت بهم الى الردى والعذاب الدائم
واما نرينك نبصرنك بعض الذي نعدهم من العذاب في حيوتك كما اراه يوم
بدر او نتوفينك قبل ان نرينك فالينا مرجعهم فنريكه في الاخرة وهو جواب
نتوفينك وجواب نرينك محذوف مثل فذاك ثم الله شهيد على ما يفعلون
مجاز عليه ذكر الشهادة واراد نتيجتها ومقتضاها ولذلك رتبها على الرجوع بثم
او مؤد شهادته على افعالهم يوم القيمة ولكل امة من الامم الماضية رسول يبعث
اليهم ليدعوهم الى الحق فاذا جاء رسولهم بالبينات فكذبوه قضي بينهم
بين الرسول ومكذبيه بالقسط بالعدل فانجي الرسول واهلك المكذبون وهم لا يظلمون
وقيل معناه لكل امة يوم القيمة رسول تنسب اليهم فاذا جاء رسولهم
الموقف ليشهد عليهم بالكفر والايمان قضي بينهم بانجاء المومنين وعقاب الكافر
كقوله وجيء بالنبيين والشهداء وقضي بينهم ويقولون متى هذا الوعد استبعادا له و
استهزاء به ان كنتم صادقين خطاب منهم للنبي والمومنين قل لا املك لنفسي ضرا
ولا نفعا فكيف املك لكم فاستعجل في جلب العذاب اليكم الا ما شاء الله
ان املكه او ولكن ما شاء الله من ذلك كائن لكل امة اجل مضروب
لهلاكهم فاذا جاء اجلهم فلا يستأخرون ولا يستقدمون لا يتأخرون
ولا يتقدمون فلا تستعجلوا فسيحين وقتكم وينجز وعدكم قل ارأيتم ان اتيكم
عذابه الذي تستعجلون به بياتا وقت بيات واشتغال بالنوم او نهارا حين
كنتم مشتغلين بطلب معاشكم ماذا يستعجل منه المجرمون اي شيء من العذاب
يستعجلونه وكله مكروه لا يلائم الاستعجال وهو متعلق بارأيتم لانه بمعنى اخبروني
والمجرمون وضع موضع الضمير للدلالة على انهم لجرمهم ينبغي ان يفزعوا من مجيء الوعيد
لا ان يستعجلوه وجواب الشرط محذوف وهو تندموا على الاستعجال او تعرفوا خطاءه
ويجوز ان يكون الجواب ماذا كقولك ان اتيتك ماذا تعطيني وتكون الجملة متعلقة
بارأيتم او قوله اثم اذا ما وقع امنتم به بمعنى اذا اتاكم امنتم به بعد وقوعه حين
لا ينفعكم الايمان وماذا يستعجل اعتراض ودخول حرف الاستفهام على ثم لانكار
التاخير آلآن على ارادة القول اي قيل لهم اذا امنوا بعد وقوع العذاب آلآن
امنتم به وعن نافع آلان بحذف الهمزة والقاء حركتها على اللام وقد كنتم به تستعجلون

تكذيبا

تكذيبا واستهزاء ثم قيل للذين ظلموا عطف على قيل المقدر ذوقوا عذاب الخلد المولم
على الدوام هل تجزون الا بما كنتم تكسبون من الكفر والمعاصي ويستنبئونك
ويستخبرونك احق هو احق ما تقول من الوعد او ادعاء النبوة تقوله بجد ام باطل
تهزل به قاله حيي بن اخطب لما قدم مكة والاظهر ان الاستفهام فيه على اصله لقوله
ويستنبئونك وقيل انه للانكار ويؤيده انه قرئ آلحق هو فان فيه تعريضا بانه باطل
واحق مبتدأ والضمير مرتفع به ساد مسد الخبر او خبر مقدم والجملة في موضع النصب بيستنبئونك
قل اي وربي انه لحق ان العذاب لكائن او ما ادعاه لثابت وقيل كلا الضميرين للقرآن
واي بمعنى نعم وهو من لوازم القسم ولذلك يوصل بواوه في التصديق فيقال اي والله
ولا يقال اي وحده وما انتم بمعجزين بفائتين العذاب ولو ان لكل نفس ظلمت بالشرك
او التعدي على الغير ما في الارض من خزائنها واموالها لافتدت به لجعلته فدية
لها من العذاب من قولهم افتداه بمعنى فداه واسروا الندامة لما راوا العذاب لانهم
بهتوا بما عاينوا مما لم يحتسبوه من فظاعة الامر وهوله فلم يقدروا ان ينطقوا
وقيل اسروا الندامة اخلصوها لان اخفاءها اخلاصها او لانه يقال سر الشيء لخالصه
من حيث انها تخفى ويضن بها وقيل اظهروها من قولهم اسر الشيء واسره اذا اظهره
وقضي بينهم بالقسط وهم لا يظلمون ليس تكريرا لان الاول قضاء بين الانبياء ومكذبيهم
والثاني مجازاة المشركين على الشرك او الحكومة بين الظالمين والمظلومين
والضمير انما يتناولهم لدلالة الظلم عليهم الا ان لله ما في السموات والارض
تقرير لقدرته تعالى على الاثابة والعقاب الا ان وعد الله حق ما وعده من الثواب
والعقاب كائن لا خلف فيه ولكن اكثرهم لا يعلمون لانهم لا يعلمون لقصور عقلهم
الا ظاهرا من الحيوة الدنيا هو يحيي ويميت في الدنيا فهو يقدر عليهما في العقبى لان القادر لذاته
لا تزول قدرته والمادة القابلة بالذات للحيوة والموت قابلة لهما ابدا واليه ترجعون
بالموت او النشور يا ايها الناس قد جاءتكم موعظة من ربكم وشفاء لما في الصدور
وهدى ورحمة للمومنين اي قد جاءكم كتاب جامع للحكمة العملية الكاشفة
عن محاسن الاعمال وقبائحها والمرغبة في المحاسن والزاجرة عن القبائح والحكمة النظرية
التي هي شفاء لما في الصدور من الشكوك وسوء الاعتقاد وهدى الى الحق واليقين ورحمة
للمومنين حيث انزلت عليهم فنجوا بها من ظلمات الضلال الى نور الايمان وتبدلت مقاعدهم
من طبقات النيران بمصاعد من درجات الجنان والتنكير فيها للتعظيم قل بفضل الله و
برحمته بانزال القرآن والباء متعلقة بفعل يفسره قوله فبذلك فليفرحوا فان اسم الاشارة
بمنزلة الضمير تقديره بفضل الله وبرحمته فليعتنوا او فليفرحوا وفائدة ذلك التكرير و
التاكيد والبيان بعد الاجمال وايجاب اختصاص الفضل والرحمة بالفرح او بفعل دل
عليه قد جاءتكم وذلك اشارة الى مصدره اي فبمجيئها فليفرحوا والفاء بمعنى الشرط كانه

الصدور قد جاءتكم بفضل الله ورحمته فبمجيئها فليفرحوا صح

[illegible]

قيل

قيل ان فرحوا بشيء فيهما ليفرحوا او للربط بما قبلها والدلالة على ان مجيء الكتاب الجامع
هذه الصفات موجب للفرح وتكريرها للتأكيد كقوله واذا هلكت فعند ذلك
فاجزعي وعن يعقوب فلتفرحوا بالتاء على الاصل المرفوض وقد روي مرفوعا
ويؤيده انه قرئ فافرحوا هو خير مما يجمعون من حطام الدنيا فانها صائرة الى الزوال
وهو ضمير ذلك وقرأ ابن عامر تجمعون على معنى فبذلك فليفرحوا المؤمنون فهو خير
مما تجمعونه ايها المخاطبون قل ارايتم ما انزل الله لكم من رزق جعل الرزق
منزلا لانه مقدر في السماء محصل باسباب منه وما في موضع النصب بانزل او بارايتم فانه
بمعنى اخبروني ولكم دل على ان المراد منه ما حل ولذلك وبخ على التبعيض فقال
فجعلتم منه حراما وحلالا مثل هذه انعام وحرث حجر ما في بطون هذه الانعام خالصة
لذكورنا ومحرم على ازواجنا قل آلله اذن لكم في التحريم والتحليل فتقولون ذلك
بحكمه ام على الله تفترون في نسبة ذلك اليه ويجوز ان تكون المنفصلة متصلة
بارايتم وقل مكرر للتأكيد وان يكون الاستفهام للانكار وام منقطعة ومعنى الهمزة
فيها تقرير لافترائهم على الله وما ظن الذين يفترون على الله الكذب اي شيء ظنهم
يوم القيمة ايحسبون ان لا يجازوا عليه وهو منصوب بالظن ويدل عليه انه قرئ
بلفظ الماضي لانه كائن وفي ابهام الوعيد تهديد عظيم ان الله لذو فضل على الناس
حيث انعم عليهم بالعقل وهداهم بارسال الرسل وانزال الكتب ولكن
اكثرهم لا يشكرون هذه النعمة وما تكون في شان ولا تكون في امر
واصله الهمز من شأنت شأنه اذا قصدت قصده والضمير في وما تتلو منه له
لان تلاوة القران معظم شان الرسول او لان القراءة تكون لشان فيكون
التقدير من اجله ومفعول تتلو من قران على ان من تبعيضية او مزيدة
لتاكيد النفي او للقران واضماره قبل الذكر ثم بيانه تفخيم له او لله ولا تعملون
من عمل تعميم للخطاب بعد تخصيصه بمن هو راسهم ولذلك ذكر حيث خص
ما فيه فخامة وذكر حيث عمم ما يتناول الجليل والحقير الا كنا عليكم
شهودا رقباء مطلعين عليه اذ تفيضون فيه تخوضون فيه وتندفعون
وما يعزب عن ربك ولا يبعد عنه ولا يغيب عن علمه وقرأ الكسائي بكسر
الزاء من مثقال ذرة موازن نملة صغيرة او هباء في الارض ولا في السماء
اي في الوجود والامكان فان العامة لا تعرف ممكنا غيرهما ليس فيهما ولا متعلقا
بهما وتقديم الارض لان الكلام في حال اهلها والمقصود منه هو البرهان على احاطة
علمه بها ولا اصغر من ذلك ولا اكبر الا في كتاب مبين كلام
براسه مقرر لما قبله ولا نافية واصغر اسمها وفي كتاب خبرها وقرأ حمزة
ويعقوب بالرفع على الابتداء والخبر ومن عطف على لفظ مثقال ذرة وجعل الفتح

بدل الكسر لامتناع الصرف او على محله مع الجار جعل الاستثناء منقطعا والمراد اللوح المحفوظ الا ان
اولياء الله الذين يتولونه بالطاعة ويتولاهم بالكرامة لا خوف عليهم من لحوق مكروه
ولا هم يحزنون بفوات مامول والاية مجملة فسر بقوله الذين امنوا وكانوا يتقون
وقيل الذين امنوا وكانوا يتقون بيان لتوليهم له لهم البشرى في الحيوة الدنيا وهو ما بشر
به المتقين في كتابه على لسان نبيه وما يريهم في الرؤيا الصالحة وما يسنح لهم
من المكاشفات وبشرى الملائكة عند النزع وفي الاخرة بتلقي الملائكة اياهم
مسلمين مبشرين بالفوز والكرامة بيان لتوليته لهم ومحل الذين امنوا النصب
او الرفع على المدح او على وصف الاولياء او على الابتداء وخبره لهم البشرى لا تبديل
لكلمات الله لا تغيير لاقواله ولا اخلاف لمواعيده ذلك اشارة الى كونهم مبشرين في
الدارين هو الفوز العظيم هذه الجملة والتي قبلها اعتراض لتحقيق المبشر به وتعظيم شانه
وليس من شرطه ان يقع بعده كلام يتصل بما قبله ولا يحزنك قولهم اشراكهم وتكذيبهم
وتهديدهم وقرأ نافع يحزنك من احزنه وكلاهما بمعنى ان العزة لله جميعا استيناف بمعنى
التعليل ويدل عليه القراءة بالفتح كانه قيل لا تحزن بقولهم ولا تبال بهم لان الغلبة لله
جميعا لا يملك غيره شيئا منها وهو يقهرهم وينصرك عليهم هو السميع لاقوالهم العليم بعزماتهم
فيكافئهم عليها الا ان لله من في السموات ومن في الارض من الملائكة و
الثقلين واذا كان هؤلاء الذين هم اشرف الممكنات عبيدا لا يصلح احد منهم للربوبية
فما لا يعقل منها احق ان لا يكون له ندا او شريكا فهو كالدليل على قوله وما يتبع الذين
يدعون من دون الله شركاء اي شركاء على الحقيقة وان كانوا يسمونها شركاء
ويجوز ان يكون شركاء مفعول يتبع محذوف دل عليه ان يتبعون الا الظن اي ما
يتبعون يقينا وانما يتبعون ظنهم انهم شركاء ويجوز ان يكون ما استفهامية منصوبة
بيتبع او موصولة معطوفة على من وقرئ تدعون بالتاء والمعنى اي شيء يتبع الذين
تدعونهم شركاء من الملائكة والنبيين اي انهم لا يتبعون الا الله ولا يعبدون غيره
فما لكم لا تتبعونهم فيه كقوله اولئك الذين يدعون يبتغون الى ربهم الوسيلة فيكون
الزاما بعد برهان وما بعده مصروف عن خطابهم لبيان سندهم ومنشا رايهم وان هم
الا يخرصون يكذبون فيما ينسبون الى الله او يحزرون ويقدرون انها شركاء
تقديرا باطلا هو الذي جعل لكم الليل لتسكنوا فيه والنهار مبصرا تنبيه على
كمال قدرته وعظم نعمته المتوحد هو بهما ليدلهم على تفرده باستحقاق العبادة
وانما قال مبصرا ولم يقل لتبصروا فيه تفرقة بين الظرف المجرد والظرف الذي هو سبب
ان في ذلك لايات لقوم يسمعون سماع تدبر واعتبار قالوا اتخذ الله ولدا اي
تبناه سبحانه تنزيه له عن التبني فانه لا يصح الا ممن يتصور له الولد وتعجب من كلمتهم
الحمقاء هو الغني علة لتنزهه فان اتخاذ الولد مسبب عن الحاجة له ما في السموات

وما في الارض تقرير لقوله ان عندكم من سلطان بهذا نفي لمعارض ما اقامه
من البرهان مبالغة في تجهيلهم وتحقيقا لبطلان قولهم وبهذا متعلق بسلطان او
نعت له او بعندكم كانه قيل ان عندكم في هذا السلطان اتقولون على الله
ما لا تعلمون توبيخ وتقريع على اختلاقهم وجهلهم وفيه دليل على ان كل قول لا دليل
عليه فهو جهالة وان العقايد لا بد لها من قاطع وان التقليد فيها غير سايغ قل ان
الذين يفترون على الله الكذب باتخاذ الولد واضافة الشريك اليه لا يفلحون
لا ينجون من النار ولا يفوزون بالجنة متاع في الدنيا خبر مبتدا محذوف اي افتراهم
متاع في الدنيا يقيمون به رياستهم في الكفر او تقلبهم متاع او مبتدا خبره محذوف
اي لهم تمتع في الدنيا ثم الينا مرجعهم بسبب كفرهم واتل عليهم نبا نوح خبره
مع قومه اذ قال لقومه يا قوم ان كان كبر عليكم عظم عليكم و
شق مقامي كقولك فعلت كذا بمكان فلان او كوني واقامتي بينكم مدة مديدة
او قيامي على الدعوة وتذكيري اياكم بايات الله فعلى الله توكلت وثقت به
فاجمعوا امركم فاعزموا عليه وشركاءكم مع شركايكم ويويده القراة بالرفع
عطفا على الضمير المتصل وجاز من غير ان يوكد للفصل وقيل انه معطوف على امركم بحذف
المضاف اي وامر شركايكم وقيل انه منصوب بفعل محذوف تقديره وادعوا
شركاءكم وقد قري به وعن نافع فاجمعوا من الجمع والمعنى امرهم بالعزم او الاجماع على
قصدي والسعي في اهلاكه على اي وجه يمكنهم ثقة بالله وقلة مبالاة بهم ثم لا يكن
امركم في قصدي عليكم غمة مستورا واجعلوه ظاهرا مكشوفا من
غمه اذا ستره او ثم لا يكن حالكم عليكم غما اذا اهلكتموني وتخلصتم عن ثقل مقامي
وتذكيري ثم اقضوا الي ادوا الي ذلك الامر الذي تريدون بي وقري ثم افضوا
بالفاء اي انتهوا الي بشركم او ابرزوا الي من افضى اذا خرج الى الفضاء ولا تنظرون
ولا تمهلون فان توليتم اعرضتم عن تذكيري فما سالتكم من اجر يوجب توليكم
لثقله عليكم واتهامكم اياي لاجله ان اجري ما ثوابي على الدعوة والتذكير الا
على الله لا تعلق له بكم يثيبني به امنتم او توليتم وامرت ان اكون من
المسلمين المنقادين لحكمه لا اخالف امره ولا ارجو غيره فكذبوه فاصروا
على تكذيبه بعدما الزمهم الحجة وبين ان توليهم ليس الا لعنادهم وتمردهم لا جرم حقت
عليهم كلمة العذاب فنجيناه من الغرق ومن معه في الفلك وكانوا ثمانين و
جعلناهم خلايف من الهالكين به واغرقنا الذين كذبوا باياتنا بالطوفان
فانظر كيف كان عاقبة المنذرين تعظيم لما جرى عليهم وتحذير لمن كذب
الرسول وتسلية له ثم بعثنا ارسلنا من بعده من بعد نوح رسلا الى قومهم كل
رسول الى قومه فجاوهم بالبينات بالمعجزات الواضحة المبينة لدعواهم فما كانوا ليومنوا

فا

فما استقام لهم ان يومنوا لشدة شكيمتهم في الكفر وخذلان الله اياهم بما كذبوا به من
اي بسبب تعودهم تكذيب الحق وتمرنهم عليه قبل بعثة الرسل كذلك نطبع على قلوب
المعتدين بخذلانهم لانهماكهم في الضلال واتباع المالوف وفي امثال ذلك دليل
على ان الافعال واقعة بقدرة الله وكسب العبد وقد عرفت تحقيق ذلك ثم بعثنا من بعدهم
من بعد هولاء الرسل موسى وهرون الى فرعون وملايه باياتنا بالايات
التسع فاستكبروا عن اتباعها وكانوا قوما مجرمين معتادين الاجرام فلذلك
تهاونوا برسالة ربهم واجترءوا على ردها فلما جاءهم الحق من عندنا وعرفوه بتظاهر المعجزات
القاهرة المزيحة للشك قالوا من فرط تمردهم ان هذا لسحر مبين ظاهر انه سحر او فايق
في فنه واضح فيما بين اخوانه قال موسى اتقولون للحق لما جاءكم انه لسحر فحذف المحكي
المقول لدلالة ما قبله عليه ولا يجوز ان يكون اسحر هذا لانهم بتوا القول بل هو استيناف
بانكار ما قالوه اللهم الا ان يكون الاستفهام فيه للتقرير والمحكي مفهوم قولهم ويجوز
ان يكون معنى اتقولون للحق تعيبونه من قولهم فلان يخاف القالة كقوله سمعنا فتى
يذكرهم فيستغنى عن المفعول ولا يفلح الساحرون من تمام كلام موسى للدلالة على انه
ليس بسحر فانه لو كان سحرا لاضمحل ولم يبطل سحر السحرة ولان العالم انه لا يفلح الساحر لا يسحر
او من تمام قولهم ان جعل اسحر هذا محكيا لانهم قالوا اجيتنا بالسحر تطلب به الفلاح
ولا يفلح الساحرون قالوا اجيتنا لتلفتنا لتصرفنا واللفت والفتل اخوان عما وجدنا
عليه اباءنا من عبادة الاصنام ويكون لكما الكبرياء في الارض الملك فيها سمي بها
لاتصاف الملوك بالكبر او التكبر على الناس باستتباعهم وما نحن لكما بمومنين
بمصدقين فيما جيتما به وقال فرعون ايتوني بكل ساحر وقرا حمزة والكساي بكل سحار عليم
حاذق فيه فلما جاء السحرة قال لهم موسى القوا ما انتم ملقون فلما القوا قال
موسى ما جيتم به السحر اي الذي جيتم به هو السحر لا ما سماه فرعون وقومه سحرا وقرا
ابو عمرو آلسحر على ان ما استفهامية مرفوعة بالابتداء وجيتم به خبرها والسحر
بدل منه ويجوز ان ينتصب ما بفعل يفسره ما بعده تقديره اي شي ان الله سيبطله سيمحقه جيتم به
او سيظهر بطلانه ان الله لا يصلح عمل المفسدين لا يثبته ولا يقويه وفيه دليل على ان
السحر افساد وتمويه لا حقيقة له ويحق الله الحق ويثبته بكلماته باوامره وقضاياه
وقري بكلمته ولو كره المجرمون ذلك فما امن لموسى في مبدا امره الا ذرية
من قومه الا اولاد من اولاد قومه بني اسراييل دعاهم فلم يجيبوه خوفا من فرعون الا طايفة
من شبانهم وقيل الضمير لفرعون والذرية طايفة من شبانهم امنوا به او مومن ال فرعون
وامراته اسية وخازنه وزوجته وماشطته على خوف من فرعون وملايهم من خوف
منهم والضمير لفرعون وجمعه على ما هو المعتاد في ضمير العظماء او على ان المراد بفرعون اله
كما يقال ربيعة ومضر او للذرية او للقوم ان يفتنهم ان يعذبهم فرعون وهو بدل من فرعون

او مفعول لخوف وافراده بالضمير للدلالة على ان الخوف من الملأ كان بسببه وان فرعون
لعال في الارض لغالب فيها وانه لمن المسرفين في الكبر والعتو حتى ادعى الربوبية
واسترق اسباط الانبياء وقال موسى لما راى تخوف المومنين به يا قوم ان كنتم
امنتم بالله فعليه توكلوا فثقوا به واعتمدوا عليه ان كنتم مسلمين مستسلمين لقضاء
الله مخلصين له وليس هذا من تعليق الحكم بشرطين فان المعلق بالايمان وجوب التوكل
فانه المقتضي له والمشروط بالاسلام حصوله فانه لا يوجد مع التخليط ونظيره ان دعاك
زيد فاجبه ان قدرت فقالوا على الله توكلنا لانهم كانوا مومنين مخلصين و
لذلك اجيبت دعوتهم ربنا لا تجعلنا فتنة موضع فتنة للقوم الظالمين اي لا تسلطهم
علينا فيفتنونا ونجنا برحمتك من القوم الكافرين من كيدهم وشوم مشاهدتهم
وفي تقديم التوكل على الدعاء تنبيه على ان الداعي ينبغي ان يتوكل اولا لتجاب دعوته
واوحينا الى موسى واخيه ان تبوا اي اتخذا مباءة لقومكما بمصر بيوتا يسكنون
فيها او يرجعون اليها للعبادة واجعلوا انتما وقومكما بيوتكم تلك البيوت
قبلة مصلى وقيل مساجد متوجهة نحو القبلة يعني الكعبة وكان موسى يصلي اليها
واقيموا الصلوة فيها امروا بذلك اول امرهم لئلا يظهر عليهم الكفرة فيوذوهم ويفتنوهم
عن دينهم وبشر المومنين بالنصرة في الدنيا والجنة في العقبى وانما ثنى الضمير اولا لان التبوء
للقوم واتخاذ المعابد مما يتعاطاه روس القوم بتشاور ثم جمع لان جعل البيوت مساجد
والصلوة مما ينبغي ان يفعله كل احد ثم وحد لان البشارة في الاصل وظيفة صاحب الشريعة
وقال موسى ربنا انك اتيت فرعون وملاه زينة ما يتزين به من اللباس والمراكب
ونحوهما واموالا في الحيوة الدنيا وانواعا من المال ربنا ليضلوا عن سبيلك دعاء عليهم
بلفظ الامر بما علم من ممارسة احوالهم انه لا يكون غيره كقولك لعن الله ابليس وقيل
اللام للعاقبة وهي متعلقة باتيت ويحتمل ان يكون للعلة لان ايتاء النعم على الكفر
استدراج وتثبيت على الضلال ولانهم لما جعلوها سببا في الضلال فكانهم اوتوها
ليضلوا فيكون ربنا تكريرا للاول تاكيدا وتنبيها على ان المقصود عرض ضلالهم ~~فكانهم اوتوها~~
~~ليضلوا فيكون ربنا~~ وكفرانهم تقدمة لقوله ربنا اطمس على اموالهم اهلكها
والطمس المحق وقرئ واطمس بالضم واشدد على قلوبهم اي واقسها واطبع عليها حتى لا
تنشرح للايمان فلا يومنوا حتى يروا العذاب الاليم جواب للدعاء او دعاء بلفظ النهي
او عطف على ليضلوا وما بينهما دعاء معترض قال قد اجيبت دعوتكما يعني موسى و
هرون لانه كان يومن فاستقيما فاثبتا على ما انتما عليه من الدعوة والزام
الحجة ولا تستعجلا فان ما طلبتما كائن ولكن في وقته وروي انه مكث فيهم بعد الدعاء
اربعين سنة ولا تتبعان سبيل الذين لا يعلمون طريق الجهلة في الاستعجال او عدم
الوثوق والاطمينان بوعد الله وعن ابن عامر ولا تتبعان بالنون الخفيفة وكسرها لالتقاء

الساكنين

الساكنين ولا تتبعان من تبع ولا تتبعان ايضا وجاوزنا ببني اسرائيل البحر اي
جوزناهم في البحر حتى بلغوا الشط حافظين لهم وقرئ جوزنا وهو من فعل المرادف
لفاعل كضعف وضاعف فاتبعهم فادركهم يقال تبعته حتى اتبعته
فرعون وجنوده بغيا وعدوا باغين وعادين او للبغي والعدو وقرئ وعدوا
حتى اذا ادركه الغرق لحقه قال امنت انه بانه لا اله الا الذي امنت به
بنوا اسرائيل وانا من المسلمين وقرا حمزة والكسائي انه بالكسر على اضمار القول او الاستيناف
بدلا وتفسيرا لامنت فنكب عن الايمان اوان القبول وبالغ فيه حين لا يقبل الان
اتومن الان وقد ايست من نفسك ولم يبق لك اختيار وقد عصيت قبل قبل
ذلك مدة عمرك وكنت من المفسدين الضالين المضلين عن الايمان فاليوم ننجيك
نبعدك مما وقع فيه قومك من قعر البحر ونجعلك طافيا او نلقيك على نجوة من الارض
ليراك بنو اسرائيل وقرا يعقوب ننجيك من انجى وقرئ ننحيك بالحاء اي نلقيك بناحية
الساحل ببدنك في موضع الحال اي ببدنك عاريا عن الروح او كاملا سويا او عريانا من
غير لباس او بدرعك وكان له درع من ذهب يعرف بها وقرئ بابدانك اي باجزاء
البدن كلها كقولهم هوى باجرامه او بدروعك كانه كان مظاهرا بها لتكون لمن
خلفك اية لمن وراءك علامة وهم بنو اسرائيل اذ كان في نفوسهم من عظمته ما خيل
اليهم انه لا يهلك حتى كذبوا موسى عليه حين اخبرهم بغرقه الى ان عاينوه مطروحا على ممرهم
من الساحل او لمن ياتي بعدك من القرون اذا سمعوا مال امرك ممن شاهدك عبرة
ونكالا عن الطغيان او حجة تدلهم على ان الانسان على ما كان عليه من عظم الشان و
كبرياء الملك مملوك مقهور بعيد عن مظان الربوبية وقرئ لمن خلقك اي لخالقك
اية كسائر الايات فان افراده اياك بالالقاء الى الساحل دليل على انه تعمد منه
لكشف تزويرك واماطة الشبهة في امرك وذلك دليل على كمال قدرته وعلمه
وارادته وهذا الوجه ايضا محتمل على المشهور وان كثيرا من الناس عن اياتنا
لغافلون لا يتفكرون فيها ولا يعتبرون بها ولقد بوانا انزلنا بني اسرائيل
مبوا صدق منزلا صالحا مرضيا وهو الشام ومصر ورزقناهم من الطيبات
من اللذائذ فما اختلفوا حتى جاءهم العلم فما اختلفوا في امر دينهم الا من بعد ما قرؤوا
التورية وعلموا احكامها او في امر محمد عليه السلام الا من بعد ما علموا صدقه بنعوته وتظاهر
معجزاته ان ربك يقضي بينهم يوم القيمة فيما كانوا فيه يختلفون فيميز المحق عن المبطل
بالانجاء والاهلاك فان كنت في شك مما انزلنا اليك من القصص على سبيل الفرض و
التقدير فاسال الذين يقرؤن الكتاب من قبلك فانه محقق عندهم ثابت في كتبهم
على نحو ما القينا اليك والمراد تحقيق ذلك والاستشهاد بما في الكتب المتقدمة وان القران
مصدق لما فيه او وصف اهل الكتاب بالرسوخ في العلم بصحة ما انزل اليه او تهييج الرسول

وزيادة تثبيته لا امكان وقوع الشك له ولذلك قال عليه السلام لا اشك و
لا اسال وقيل الخطاب للنبي والمراد به امته او لكل من يسمع اي ان كنت ايها السامع
في شك مما نزلنا على لسان نبينا اليك وفيه تنبيه على ان من خالجته شبهة في الدين
ينبغي ان يسارع الى حلها بالرجوع الى اهل العلم لقد جاءك الحق من ربك واضح
انه لا مدخل للمرية فيه بالآيات القاطعة فلا تكونن من الممترين بالتزلزل عما
انت عليه من الجزم واليقين ولا تكونن من الذين كذبوا بآيات الله
فتكون من الخاسرين ايضا من باب التهييج والتثبيت وقطع الاطماع عنه
لقوله فلا تكونن ظهيرا للكافرين ان الذين حقت عليهم ثبتت عليهم كلمة
ربك بانهم يموتون على الكفر او يخلدون في العذاب انهم لا يؤمنون
اذ لا يكذب كلامه ولا ينتقض قضاؤه ولو جاءتهم كل آية فان السبب الاصلي
لايمانهم وهو تعلق ارادة الله به مفقود حتى يروا العذاب الاليم وح لا ينفعهم كما
لم ينفع فرعون فلولا كانت قرية آمنت فهلا كانت قرية من القرى التي اهلكناها
آمنت قبل معاينة العذاب ولم تؤخر اليها كما اخر فرعون فنفعها ايمانها بان
يقبله الله منها ويكشف العذاب عنها الا قوم يونس لكن قوم يونس لما آمنوا
اول ما راوا امارة العذاب ولم يؤخروه الى حلوله كشفنا عنهم عذاب الخزي
في الحيوة الدنيا ويجوز ان تكون الجملة في معنى النفي لتضمن حرف التحضيض معناه فيكون
الاستثناء متصلا لان المراد من القرى اهاليها كانه قال ما آمن اهل قرية من
القرى العاصية فنفعهم ايمانهم الا قوم يونس ويؤيده قراءة الرفع على البدل ومتعناهم
الى حين الى آجالهم روي ان يونس عليه السلام بعث الى نينوى من الموصل
فكذبوه واصروا عليه فوعدهم بالعذاب الى ثلث وقيل الى اربعين فلما دنا
الموعد اغامت السماء غيما اسود ذا دخان شديد فهبط حتى غشي مدينتهم فهابوا
فطلبوا يونس فلم يجدوه فايقنوا صدقه فلبسوا المسوح وبرزوا الى الصعيد
بانفسهم ونسائهم وصبيانهم ودوابهم وفرقوا بين كل والدة وولدها فحن بعضها
الى بعض وعلت الاصوات والعجيج واخلصوا التوبة واظهروا الايمان وتضرعوا
الى الله فرحمهم وكشف عنهم وكان يوم عاشوراء يوم الجمعة ولو شاء ربك لآمن
من في الارض كلهم بحيث لا يشذ منهم احد جميعا مجتمعين على الايمان لا يختلفون
فيه وهو دليل على القدرية في انه تعالى لم يشأ ايمانهم اجمعين وان من شاء ايمانه
يؤمن لا محالة والتقييد بمشية الالجاء خلاف الظاهر افانت تكره الناس بما
لم يشاء الله منهم حتى يكونوا مؤمنين وترتيب الاكراه على المشية بالفاء
وايلاؤها حرف الاستفهام للانكار وتقديم الضمير على الفعل للدلالة على ان خلاف المشية
مستحيل فلا يمكنه تحصيله بالاكراه عليه فضلا عن الحث والتحريض عليه اذ روي

انه كان حريصا على ايمان قومه فضلا عن الحث والتحريض عليه اذ روي انه كان
حريصا على ايمان قومه شديد الاهتمام به فنزلت قرره بقوله وما كان لنفس ان تؤمن
الا باذن الله الا بارادته واطلاقه وتوفيقه فلا تجهد نفسك في هداها فانه الى الله تعالى
ويجعل الرجس العذاب والخذلان فانه سببه وقرئ بالزاي وقرى ابو بكر ونجعل
بالنون على الذين لا يعقلون لا يستعملون عقولهم بالنظر في الحجج والآيات او
لا يعقلون دلايله واحكامه لما في قلوبهم من الطبع ويؤيد الاول قوله قل انظروا
تفكروا ماذا في السموات والارض من عجائب صنعه ليدلكم على وحدته
وكمال قدرته وماذا ان جعلت استفهامية علقت انظروا عن العمل وما تغني الآيات
والنذر عن قوم لا يؤمنون في علم الله وحكمه وما نافية او استفهامية
في موضع النصب فهل ينتظرون الا مثل ايام الذين خلوا من قبلهم مثل وقايعهم
ونزول باس الله بهم اذ لا يستحقون غيره من قولهم ايام العرب لوقايعها قل
فانتظروا اني معكم من المنتظرين لذلكما وفانتظروا هلاككم اني معكم
من المنتظرين هلاككم ثم ننجي رسلنا والذين آمنوا عطف على محذوف دل عليه
الا مثل ايام الذين خلوا كانه قيل نهلك الامم ثم ننجي رسلنا ومن آمن بهم
على حكاية الحال الماضية كذلك حقا علينا ننج المؤمنين كذلك الانجاء او انجاء
كذلك ننجي محمدا صلعم وصحبه حين نهلك المشركين وحقا علينا اعتراض ونصبه
بفعل المقدر وقيل بدل من كذلك قل يا ايها الناس خطاب لاهل مكة ان كنتم
في شك من ديني فلا اعبد الذين تعبدون من دون الله ولكن اعبد
الله الذي يتوفيكم فهذا خلاصة ديني اعتقادا وعملا فاعرضوها على العقل
الصرف وانظروا فيها بعين الانصاف لتعلموا صحتها وهو اني لا اعبد ما تخلقونه
وتعبدونه ولكن اعبد خالقكم الذي هو يوجدكم ويتوفيكم وانما
خص التوفي بالذكر للتهديد وامرت ان اكون من المؤمنين بما دل عليه العقل
ونطق به الوحي وحذف الجار من ان يكون يجوز ان يكون من المطرد مع ان وان
وان يكون من غيره كقوله امرتك الخير فافعل ما امرت به وان اقم وجهك للدين
عطف على ان اكون غير ان صلة ان محكية بصيغة الامر ولا فرق بينهما في الغرض
لان المقصود وصلها بما يتضمن معنى المصدرية ليدل معه عليه وصيغ الافعال كلها كذلك
سواء الخبر منها والطلب والمعنى وامرت بالاستقامة في الدين والاستبداد به باداء
الفرايض والانتهاء عن القبايح او في الصلوة باستقبال القبلة حنيفا حال من الدين او الوجه
ولا تكونن من المشركين ولا تدع من دون الله ما لا ينفعك ولا يضرك
بنفسه ان دعوته او خذلته فان فعلت فان دعوته فانك اذا من الظالمين
جزاء للشرط وجواب لسؤال مقدر عن تبعة الدعاء وان يمسسك الله بضر وان

يصيبك به فلا كاشف له يرفعه الا هو الا الله وان يردك بخير فلا راد فلا
دافع لفضله الذي اراد بك به ولعله ذكر الارادة مع الخير والمس مع الضر مع تلازم
الامرين للتنبيه على ان الخير مراد بالذات وان الضر انما مسهم لا بالقصد
الاول ووضع الفضل موضع الضمير للدلالة على انه متفضل بما يريد بهم من الخير
لا استحقاق لهم عليه ولم يستثن لان مراد الله لا يمكن رده يصيب
به بالخير من يشاء من عباده وهو الغفور الرحيم فتعرضوا لرحمته بالطاعة
ولا تيأسوا عن غفرانه بالمعصية قل يا ايها الناس قد جاءكم الحق
من ربكم رسوله او القرآن ولم يبق لكم عذر فمن اهتدى
بالايمان والمتابعة فانما يهتدي لنفسه لان نفعه لها ومن ضل بالكفر
بهما فانما يضل عليها لان وبال الضلال عليها وما انا عليكم بوكيل
بحفيظ موكول الى امركم وانما انا بشير ونذير واتبع ما يوحى اليك بالامتثال
والتبليغ واصبر على دعوتهم وتحمل اذيتهم حتى يحكم الله بالنصرة او
الامر بالقتال وهو خير الحاكمين اذ لا يمكن الخطاء في حكمه
لاطلاعه على السرائر اطلاعه على الظواهر عن النبي صلعم من قرأ سورة يونس اعطي
من الاجر عشر حسنات بعدد من صدق بيونس وكذب به وبعدد من
غرق مع فرعون سورة هود مكية وآياتها مائة وثلث وعشرون
بسم الله الرحمن الرحيم الر كتاب مبتدأ او
خبر او كتاب مبتدأ محذوف احكمت آياته نظمت نظما محكما لا يعتريه اخلال
من جهة اللفظ والمعنى او منعت من الفساد والنسخ فان المراد آيات السورة وليس
فيها منسوخ او احكمت بالحجج والدلائل او جعلت حكيمة منقول من حكم بالضم اذا صار
حكيما لانها مشتملة على امهات الحكم النظرية والعملية ثم فصلت بالفوائد من العقائد والاحكام و
المواعظ والاخبار او جعلت سورا او بالانزال نجما نجما او فصل فيها ولخص ما يحتاج اليه وقرئ ثم فصلت
اي فرقت بين الحق والباطل واحكمت آياته وفصلت على البناء للمتكلم وثم للتفاوت في الحكم او للتراخي في
الاخبار من لدن حكيم خبير صفة اخرى للكتاب او خبر بعد خبر او صلة لاحكمت وفصلت
وهو تقرير لاحكامها وتفصيلها على اكمل ما ينبغي باعتبار ما ظهر امره وما خفي
الا تعبدوا الا الله لان لا تعبدوا او قيل ان مفسرة لان في تفصيل الآيات معنى القول
ويجوز ان يكون كلاما مبتدأ للاغراء على التوحيد او الامر بالتبري عن عبادة
غيره كانه قيل ترك عبادة غير الله بمعنى الزموه او اتركوها تركا انني
لكم منه من الله نذير وبشير بالعقاب على الشرك والثواب
على التوحيد وان استغفروا ربكم عطف على الا تعبدوا ثم توبوا
اليه ثم توصلوا الى مطلوبكم بالتوبة فان المعرض عن طريق الحق

لا بد له من رجوع وقيل استغفروا من الشرك ثم توبوا الى الله بالطاعة و
يجوز ان يكون ثم لتفاوت الامرين يمتعكم متاعا حسنا يعيشكم في امن
ودعة الى اجل مسمى هو آخر اعماركم المقدرة او لا يهلككم بعذاب الاستئصال
والارزاق والآجال وان كانت متعلقة بالاعمال لكنها مسماة بالاضافة
الى كل واحد فلا تتغير ويؤت كل ذي فضل فضله ويعط كل
ذي فضل في دينه جزاء فضله في الدنيا او في الآخرة وهو وعد للموحد التائب
بخير الدارين وان تولوا وان تتولوا فاني اخاف عليكم عذاب يوم
كبير يوم القيمة وقيل يوم الشدائد وقد ابتلوا بالقحط حتى اكلوا
الجيف وقرئ وان تولوا من ولي الى الله مرجعكم رجوعكم في ذلك
اليوم وهو شاذ عن القياس والله على كل شيء قدير فيقدر على تعذيبهم
اشد عذاب وكانه تقرير لكبر اليوم الا انهم يثنون صدورهم يثنونها
عن الحق وينحرفون عنه او يعطفونها على الكفر وعداوة النبي صلعم او يولون ظهورهم
وقرئ يثنوني بالتاء والياء من اثنوني وهو بناء المبالغة وتثنون بالتاء واصله تثنونن
من الثن وهو الكلاء الضعيف اراد به ضعف قلوبهم ومطاوعة صدورهم للثني
وتثنئن من اثنأت كابياض بالهمزة ويثنوي بوزن ترعوي ليستخفوا من الله يريدون
فلا يطلع الرسول والمؤمنين عليه قيل انها نزلت في طائفة من المشركين قالوا اذا
ارخينا ستورنا واستغشينا ثيابنا وطوينا صدورنا على عداوة محمد كيف يعلم وقيل
نزلت في المنافقين وفيه نظر اذ الآية مكية والنفاق حدث بالمدينة الا حين
يستغشون ثيابهم الا حين يأوون الى فراشهم ويتغطون بثيابهم يعلم ما يسرون
في قلوبهم وما يعلنون بافواههم يستوي في علمه سرهم وعلنهم فكيف يخفى عليه
ما عسى يظهرونه انه عليم بذات الصدور بالاسرار ذات الصدور او بالقلوب و
احوالها وما من دابة في الارض الا على الله رزقها غذاؤها ومعاشها لتكفله اياها
تفضلا ورحمة وانما اتى بلفظ الوجوب تحقيقا لوصوله وحملا على التوكل
عليه ويعلم مستقرها ومستودعها اماكنها في الحيوة والممات او الاصلاب
والارحام او مساكنها من الارض حين وجدت بالفعل ومودعها من
من المواد والمقار حين كانت بعد بالقوة كل كل واحد من الدواب
واحوالها في كتاب مبين مذكور في اللوح المحفوظ وكانه اريد بالآية
بيان كونه قادرا على الممكنات باسرها تقريرا للتوحيد ولما سبق من الوعد
والوعيد وهو الذي خلق السموات والارض في ستة ايام اي خلقهما وما
فيهما كما مر بيانه في الاعراف وجمع السموات دون الارض لاختلاف العلويات بالاصل دون السفليات وكان عرشه على الماء

قيل خلقهما لم يكن حائل بينهما الا انه كان موضوعا على متن الماء واستدل
به على امكان الخلاء وان الماء اول حادث بعد العرش من اجرام هذا
العالم وقيل كان الماء على متن الريح والله اعلم بذلك ليبلوكم
ايكم احسن عملا متعلق بخلق اي خلق ذلك كخلق من خلق ليعاملكم
معاملة المبتلي لاحوالكم كيف تعملون فان جملة ذلك اسباب ومواد لوجودكم
ومعاشكم وما يحتاج اليه اعمالكم ودلايل وامارات يستدلون
بها ويستنبطون منها وانما جاز تعليق فعل البلوى لما فيه من معنى العلم من حيث
انه طريق اليه كالنظر والاستماع وانما ذكر صيغة التفضيل والاختبار
الشامل لفرق المكلفين باعتبار الحسن والقبح للتحريض على احاسن المحاسن
والتحضيض على الترقي دايما في مراتب العلم والعمل فان المراد بالعمل ما يعم عمل القلب
والجوارح ولذلك قال عليه السلام ايكم احسن عقلا واورع عن محارم الله
واسرع في طاعة الله والمعنى ايكم اكمل علما وعملا ولين قلت انكم
مبعوثون من بعد الموت ليقولن الذين كفروا ان هذا الا سحر مبين
اي ما البعث او القول به او القران المتضمن لذكره الا كالسحر في الخديعة
او البطلان وقرا حمزة والكسائي الا ساحر على ان الاشارة الى القايل وقرئ انكم
بالفتح على تضمن قلت معنى ذكرت او يكون ان بمعنى عل اي ولين قلت علكم
مبعوثون بمعنى توقعوا بعثكم ولا تبتوا بانكاره لعدوه من قبيل ما لا حقيقة
له مبالغة في انكاره ولين اخرنا عنهم العذاب الموعود الى امة معدودة الى
جماعة من الاوقات قليلة ليقولن استهزاء ما يحبسه ما يمنعه من الوقوع
الا يوم ياتيهم كيوم بدر ليس مصروفا عنهم ليس العذاب مدفوعا عنهم
ويوم منصوب بخبر ليس مقدم عليه وهو دليل على جواز تقديم خبرها عليها وحاق
بهم واحاط بهم وضع الماضي موضع المستقبل تحقيقا ومبالغة في التهديد
ما كانوا به يستهزءون اي العذاب الذي كانوا به يستعجلون فوضع
يستهزءون موضع يستعجلون لان استعجالهم كان استهزاء ولين اذقنا الانسان
منا رحمة ولين اعطيناه نعمة بحيث يجد لذتها ثم نزعناها منه ثم سلبنا
تلك النعمة منه انه ليئوس قطوع رجاءه من فضل الله لقلة صبره
وعدم ثقته بالله كفور مبالغ في كفران ما سلف له من النعمة
ولين اذقناه نعماء بعد ضراء مسته كصحة بعد سقم وغنى بعد عدم
وفي اختلاف الفعلين نكتة لا تخفى ليقولن ذهب السيئات عني اي المصايب
التي سائتني انه لفرح بطر بالنعم مغتر بها فخور على الناس مشغول عن الشكر والقيام
بحقها وفي لفظ الاذاقة والمس تنبيه على ان ما يجده الانسان في الدنيا من النعم

والمحن

والمحن كالانموذج لما يجده في الاخرة وانه يقع في الكفران والبطر بادنى
شيء لان الذوق ادراك الطعم والمس مبدا الوصول الا الذين صبروا على الضراء
ايمانا بالله واستسلاما لقضائه وعملوا الصالحات شكرا لالائه سابقها ولاحقها
اولئك لهم مغفرة لذنوبهم واجر كبير اقله الجنة والاستثناء من الانسان
لان المراد به الجنس فاذا كان محلى باللام افاد الاستغراق على الحال ومن حمله على الكافر
لسبق ذكرهم جعل الاستثناء منقطعا فلعلك تارك بعض ما يوحى اليك تترك تبليغ
بعض ما يوحى اليك وهو ما يخالف راي المشركين مخافة ردهم واستهزائهم به ولا يلزم
من توقع الشيء لوجود ما يدعو اليه وقوعه لجواز ان يكون ما يصرف عنه وهو عصمة الرسل
عن الخيانة في الوحي والتقية في التبليغ هاهنا وضايق به صدرك وعارض احيانا ضيق
صدرك بان تتلوه عليهم مخافة ان يقولوا لولا انزل عليه كنز ينفقه في الاستتباع
كالملوك او جاء معه ملك يصدقه وقيل الضمير في به مبهم يفسره ان يقولوا انما انت
نذير ليس عليك الا الانذار بما اوحي اليك ولا عليك ردوا او اقترحوا فما بالك يضيق به
صدرك والله على كل شيء وكيل فتوكل عليه فانه عالم بحالهم وفاعل
بهم جزاء اقوالهم وافعالهم ام يقولون افتريه ام منقطعة والهاء لما يوحى قل فاتوا
بعشر سور مثله في البيان وحسن النظم تحداهم اولا بعشر سور ثم لما عجزوا عنها
سهل الامر عليهم وتحداهم بسورة وتوحيد المثل باعتبار كل واحد مفتريات
مختلقات من عند انفسكم ان صح اني اختلقته من عند نفسي فانكم عرب فصحاء
مثلي تقدرون على مثل ما اقدر عليه بل انتم اقدر عليه لتعلمكم القصص والاشعار وتعودكم
القريض والنظم وادعوا من استطعتم من دون الله الى المعاونة على المعارضة
ان كنتم صادقين انه مفترى فان لم يستجيبوا لكم باتيان ما دعوتم
اليه وجمع الضمير اما لتعظيم الرسول او لان المؤمنين ايضا كانوا يتحدونهم وكان
امر الرسول متناولا لهم من حيث انه يجب اتباعه عليهم في كل امر الا ما
خصه الدليل وللتنبيه على ان التحدي مما يوجب رسوخ ايمانهم وقوة يقينهم ولا
يغفلون عنه ولذلك رتب عليه قوله فاعلموا انما انزل بعلم الله ملتبسا بما لا يعلمه
الا الله ولا يقدر عليه سواه وان لا اله الا هو واعلموا ان لا اله الا الله لانه العالم القادر
بما لا يعلم ولا يقدر عليه غيره ولظهور عجز الهتهم ولتنصيص هذا الكلام الثابت صدقه
باعجازه عليه وفيه تهديد واقناط من ان يجيرهم من باس الله الهتهم فهل انتم مسلمون
ثابتون على الاسلام راسخون فيه مخلصون اذا تحقق عندكم اعجازه مطلقا ويجوز
ان يكون الكل خطابا للمشركين والضمير في لم يستجيبوا لمن استطعتم اي فان لم
يستجيبوا لكم الى المظاهرة لعجزهم وقد عرفتم من انفسكم القصور عن
المعارضة فاعلموا انه نظم لا يعلمه الا الله وانه منزل من عنده وان ما دعاكم اليه من التوحيد

حتى تهل انتم داخلون في الاسلام بعد قيام الحجة القاطعة وفي مثل هذا الاستفهام ايجاب
بليغ لما فيه من معنى الطلب والتنبيه على قيام الموجب وزوال العذر من كان يريد
الحيوة الدنيا وزينتها باحسانه وبره نوف اليهم اعمالهم فيها نوصل اليهم جزاء
اعمالهم في الدنيا من الصحة والرياسة وسعة الرزق وكثرة الاولاد وقرئ يوف
الله وبوف على البناء للمفعول وتوفي بالتخفيف والرفع لان الشرط ماض كقوله وان اتاه
كريم يوم مسغبة يقول لا غايب مالي ولا حرم وهم فيها لا يبخسون لا ينقصون شيئا
من اجورهم والاية في اهل الرياء وقيل في المنافقين وقيل في الكفرة و
برهم اولئك الذين ليس لهم في الاخرة الا النار مطلقا في مقابلة ما عملوا لانهم
استوفوا ما يقتضيه صور اعمالهم الحسنة وبقيت لهم اوزار العزايم السيئة
وحبط ما صنعوا فيها لانه لم يبق له ثواب في الاخرة او لم يكن لانهم لم يريدوا
به وجه الله والعمدة في اقتضاء ثوابها هو الاخلاص ويجوز تعليق الظرف بصنعوا
على ان الضمير للدنيا وباطل في نفسه ما كانوا يعملون لانه لم يعمل على ما ينبغي وكان
كل واحدة من الجملتين علة لما قبلها وقرئ باطلا على انه مفعول يعملون
وما ابهامية او في معنى المصدر كقوله ولا خارجا من في زور كلام وبطل على الفعل افمن
كان على بينة من ربه برهان من الله يدله على الحق والصواب فيما ياتيه ويذره
والهمزة لانكار ان يعقب من هذا شانه هؤلاء المقصرين همهم وافكارهم
على الدنيا وان تقارب بينهم في المنزلة وهو الذي اغنى عن ذكر الخبر وتقديره
افمن كان على بينة كمن كان يريد الحيوة الدنيا وهو حكم يعم كل مؤمن مخلص
وقيل المراد به النبي عليه السلام وقيل مؤمنوا اهل الكتاب ويتلوه ويتبع
ذلك البرهان الذي هو دليل العقل شاهد منه شاهد من الله يشهد بصحته وهو القرآن
ومن قبله ومن قبل القرآن كتاب موسى يعني التورية فانها ايضا تتلوه في
التصديق او البينة هو القرآن ويتلوه من التلاوة والشاهد جبرئيل او لسان الرسول
على ان الضمير له او من التلو والشاهد ملك يحفظه والضمير في يتلوه اما لمن او للبينة باعتبار
المعنى ومن قبله كتاب موسى جملة مبتداة وقرئ كتاب بالنصب عطفا على الضمير
في يتلوه اي يتلو القرآن شاهد ممن كان على بينة دالة على انه حق كقوله ويشهد شاهد من
بني اسرائيل على مثله ويقرأ من قبل القرآن التورية اماما كتابا مؤتما به في الدين
ورحمة على المنزل عليهم لانه الوصلة الى الفوز بخير الدارين اولئك اشارة الى من
كان على بينة يؤمنون به بالقرآن ومن يكفر به من الاحزاب من اهل صارجزنا
مكة ومن تحزب معهم على رسول الله فالنار موعده يردها لا محالة
فلا تك في مرية منه من الموعد او القرآن وقرئ مرية بالضم وهما الشك انه الحق
من ربك ولكن اكثر الناس لا يؤمنون لقلة نظرهم واختلال فكرهم

ومن

ومن اظلم ممن افترى على الله كذبا كان اسند اليه ما لم ينزله او نفى عنه ما انزله
اولئك يعرضون على ربهم في الموقف بان يحبسوا وتعرض اعمالهم ويقول الاشهاد
من الملائكة والنبيين او من جوارحهم وهو جمع شاهد كاصحاب او شهيد كاشراف
هؤلاء الذين كذبوا على ربهم الا لعنة الله على الظالمين تهويل عظيم مما
يحيق بهم لظلمهم بالكذب على الله الذين يصدون عن سبيل الله عن دينه
ويبغونها عوجا ويصفونها بالانحراف عن الحق والصواب او يبغون اهلها ان يعوجوا
بالردة وهم بالاخرة هم كافرون والحال انهم كافرون بالاخرة وتكرير هم
لتاكيد كفرهم واختصاصهم به اولئك لم يكونوا معجزين في الارض
اي ما كانوا معجزين الله في الدنيا ان يعاقبهم وما كان لهم من دون الله من اولياء
يمنعونهم من العقاب ولكنه اخر عقابهم الى هذا اليوم ليكون اشد وادوم
يضاعف لهم العذاب استيناف وقرأ ابن كثير وابن عامر ويعقوب يضعف
بالتشديد ما كانوا يستطيعون السمع لتصامهم عن الحق وبغضهم له وما كانوا يبصرون
لتعاميهم عن ايات الله وكانه في مضاعفة العذاب وقيل هو بيان ما نفاه من ولاية الالهة
بقوله وما كان لهم من دون الله من اولياء فانه ما لا يسمع ولا يبصر لا يصلح للولاية وقوله
يضاعف لهم العذاب اعتراض اولئك الذين خسروا انفسهم باشتراء عبادة الالهة
بعبادة الله وضل عنهم ما كانوا يفترون من الالهة وشفاعتها او خسروا بما بذلوا وضاع
عنهم ما حصلوا فلم يبق معهم سوى الحسرة والندامة لا جرم انهم في الاخرة هم الاخسرون
لا احد ابين واكثر خسرانا منهم ان الذين امنوا وعملوا الصالحات واخبتوا الى ربهم
اطمانوا اليه وخشعوا له من الخبت وهي الارض المطمئنة اولئك اصحاب الجنة هم فيها
خالدون دائمون مثل الفريقين الكافر والمؤمن كالاعمى والاصم والبصير والسميع
يجوز ان يراد به تشبيه الكافر بالاعمى لتعاميه عن ايات الله وبالاصم لتصامه عن استماع كلام
الله وتابيه عن تدبر معانيه وتشبيه المؤمن بالسميع البصير لان امره بالضد فيكون كل
منهما مشبها باثنين باعتبار وصفين او تشبيه الكافر بالجامع بين العمى والصمم والمؤمن بالجامع
بين ضديهما والعاطف لعطف الصفة على الصفة كقوله الصابح فالغانم فالآيب وهذا من باب اللف
والطباق هل يستويان هل يستوي الفريقان مثلا تمثيلا او صفة او حالا افلا تذكرون
بضرب الامثال والتامل فيها ولقد ارسلنا نوحا الى قومه اني لكم باني لكم
وقرأ نافع وعاصم وابن عامر وحمزة بالكسر على ارادة القول نذير مبين ابين لكم
موجبات العذاب ووجه الخلاص ان لا تعبدوا الا الله بدل من اني لكم
او مفعول مبين ويجوز ان تكون ان مفسرة متعلقة بارسلنا او بنذير اني اخاف
عليكم عذاب يوم اليم مؤلم وهو في الحقيقة صفة العذاب لكن
يوصف به العذاب وزمانه على طريقة جد جده ونهاره صائم للمبالغة فقال

الملأ الذين كفروا من قومه ما نريك الا بشرا مثلنا لا مزية لك علينا تخصك
بالنبوة ووجوب الطاعة وما نريك اتبعك الا الذين هم اراذلنا اخستنا
جمع ارذل فانه بالغلبة صار مثل الاسم كالاكبر او اراذل جمع رذل بادي الراي
ظاهر الراي من غير تعمق من البدو او اول الراي من البدء والياء مبدلة من الهمزة
لانكسار ما قبلها وقرأ ابو عمرو بالهمزة وانتصابه بالظرف على حذف المضاف اي
وقت حدوث بادي الراي والعامل فيه اتبعك انما استرذلوهم لذلك او لفقرهم
فانهم لما لم يعلموا الا ظاهرا من الحيوة كان الاحظ بها اشرف عندهم والمحروم
منها ارذل وما نرى لكم لك ولمتبعيك علينا من فضل يؤهلكم
للنبوة واستحقاق المتابعة بل نظنكم كاذبين اياك في دعوى النبوة واياهم
في دعوى العلم بصدقك فغلب المخاطب على الغائبين قال يا قوم ارايتم اخبروني
ان كنت على بينة من ربي حجة شاهدة بصحة دعواي وآتاني رحمة من عنده
بايتاء البينة او النبوة فعميت عليكم فخفيت عليكم فلم تهدكم وتوحيد
الضمير لان البينة في نفسها هي الرحمة او لان خفاءها يوجب خفاء النبوة او على تقدير فعميت
اي اخفيت وقرئ فعماها على ان الفعل لله انلزمكموها انلزمكم على الاهتداء
وانتم لها كارهون لا تختارونها ولا تتاملون فيها وحيث اجتمع ضميران وليس احدهما
مرفوعا وقدم الاعرف منهما جاز في الثاني الفصل والوصل ويا قوم لا اسالكم عليه
على التبليغ وهو وان لم يذكر فمعلوم مما ذكر مالا جعلا ان اجري الا على الله فانه المامول
منه وما انا بطارد الذين آمنوا جواب لهم حين سالوا طردهم انهم ملاقوا
ربهم فيخاصمون طاردهم عنده او انهم يلاقونه ويفوزون بقربه فكيف
اطردهم ولكني اريكم قوما تجهلون بلقاء ربكم او باقدارهم
او في التماس طردهم او تتسفهون عليهم بان تدعوهم اراذل ويا قوم من ينصرني
من الله بدفع انتقامه ان طردتهم وهم بتلك الصفة والمثابة افلا تذكرون
لتعرفوا ان التماس طردهم وتوقيف الايمان عليه ليس بصواب ولا اقول لكم
عندي خزائن الله خزائن رزقه وامواله حتى جحدتم فضلي ولا اعلم الغيب
عطف على عندي خزائن الله اي ولا انا اقول انا اعلم الغيب حتى تكذبوني استبعادا
او حتى اعلم ان هؤلاء اتبعوني في بادي الراي من غير بصيرة وعقد قلب وعلى الثاني يجوز
عطفه على اقول ولا اقول اني ملك حتى تقولوا ما انت الا بشر مثلنا ولا اقول
للذين تزدري اعينكم ولا اقول في شان من استرذلتموهم لفقرهم
لن يؤتيهم الله خيرا فان ما اعد الله لهم في الاخرة خير مما آتاكم في الدنيا
الله اعلم بما في انفسهم اني اذا لمن الظالمين ان قلت شيئا من ذلك
والازدراء افتعال من زرى اذا عاب به قلبت تاؤه دالا لتجانس الزاي في الجهر واسناده

الازدراء هو [illegible]

ال

الى الاعين للمبالغة والتنبيه على انهم استرذلوهم بادي الرؤية من غير روية
وبما عاينوا من رثاثة حالهم وقلة منالهم دون تامل في معانيهم وكمالاتهم
قالوا يا نوح قد جادلتنا خاصمتنا فاكثرت جدالنا فاطلته او اتيت بانواعه
فاتنا بما تعدنا من العذاب ان كنت من الصادقين في الدعوى والوعيد
فان مناظرتك لا تؤثر فينا قال انما ياتيكم به الله ان شاء عاجلا او آجلا وما
انتم بمعجزين بدفع العذاب او الهرب منه ولا ينفعكم نصحي ان اردت
ان انصح لكم شرط ودليل جواب والجملة دليل جواب قوله ان كان الله
يريد ان يغويكم وتقدير الكلام ان الله يريد ان يغويكم فان
اردت ان انصح لكم لا ينفعكم نصحي ولذلك نقول لو قال الرجل انت طالق ان
دخلت الدار ان كلمت زيدا فدخلت ثم كلمت لم يطلق وهو جواب لما اوهموا
من ان جداله كلام بلا طائل وهو دليل على ان ارادة الله يصح تعلقها بالاغواء وان ما
خالف مراده محال وقيل ان يغويكم ان يهلككم من غوى الفصيل غوى اذا
بشم فهلك هو ربكم خالقكم والمتصرف فيكم وفق ارادته واليه
ترجعون فيجازيكم على اعمالكم ام يقولون افتراه قل ان افتريته فعلي
اجرامي وباله وقرئ اجرامي على الجمع وانا بريء مما تجرمون من اجرامكم في اسناد
الافتراء الي واوحي الى نوح انه لن يؤمن من قومك الا من قد آمن فلا تبتئس
بما كانوا يفعلون اقنطه الله من ايمانهم ونهاه ان يغتم بما فعلوه من التكذيب
والايذاء واصنع الفلك باعيننا ملتبسا باعيننا عبر بكثرة آلة الحس الذي يحفظ
به الشيء ويراعى عن الاختلال والزيغ عن المبالغة في الحفظ والرعاية على طريقة التمثيل
ووحينا اليك كيف تصنعها ولا تخاطبني في الذين ظلموا فلا تراجعني فيهم ولا تدعني
باستدفاع العذاب عنهم انهم مغرقون محكوم عليهم بالاغراق فلا سبيل
الى كفه ويصنع الفلك حكاية حال ماضية وكلما مر عليه ملأ من قومه سخروا
منه استهزؤوا به لعمله السفينة فانه كان يعملها في برية بعيدة من الماء اوان عزته و
كانوا يضحكون منه ويقولون له صرت نجارا بعد ما كنت نبيا قال ان تسخروا
منا فانا نسخر منكم كما تسخرون اذا اخذكم الغرق في الدنيا والحرق
في الاخرة وقيل المراد بالسخرية الاستجهال فسوف تعلمون من ياتيه عذاب
يخزيه يعني به اياهم وبالعذاب الغرق ويحل عليه وينزل او يحل عليه حلول الدين
الذي لا انفكاك عنه عذاب مقيم دائم وهو عذاب النار حتى اذا جاء امرنا غاية لقوله
ويصنع الفلك وما بينهما حال من الضمير فيه او حتى هي التي يبتدأ بعدها الكلام وفار
التنور نبع الماء فيه وارتفع كالقدر تفور والتنور تنور الخبز ابتدأ منه النبوع على
خرق العادة وكان في الكوفة في موضع مسجدها او في الهند او عين وردة من ارض

الجودية وقيل التنور وجه الارض او اشرف موضع فيها قلنا احمل فيها في السفينة
من كل من كل نوع من الحيوانات المنتفع بها زوجين اثنين ذكر
وانثى هذا على قراءة حفص والباقون اضافوا على معنى احمل اثنين من كل زوجين
من كل صنف ذكر وصنف انثى واهلك عطف على زوجين او اثنين والمراد امراته
وبنوه ونساؤهم الا من سبق عليه القول بانه من المغرقين يريد ابنه كنعان وامه
واعلة فانهما كانا كافرين ومن آمن والمومنين من غيرهم وما آمن معه الا قليل
قيل كانوا تسعة وسبعين زوجته المسلمة وبنوه الثلثة حام وسام ويافث و
نساؤهم واثنان وسبعون رجلا وامراة من غيرهم روى انه عليه السلام اتخذ السفينة
في سنتين من الساج وكان طولها ثلثماية ذراع وعرضها خمسين وسمكها ثلثين و
جعل لها ثلثة بطون فحمل في اسفلها الدواب والوحش وفي وسطها الانس وفي
اعلاها الطير وقال اركبوا فيها اي صيروا فيها وجعل ذلك ركوبا لانها في الماء
كالمركوب في الارض بسم الله مجريها ومرسيها متصل باركبوا حال من
الواو اي اركبوا فيها مسمين الله او قائلين بسم الله وقت اجرائها وارسائها او مكانهما
على ان المجرى والمرسى للوقت او المكان او المصدر والمضاف محذوف كقولهم
اتيك خفوق النجم وانتصابهما بما قدرناه حالا ويجوز رفعهما بسم الله على ان
المراد بهما المصدر او جملة من مبتدا وخبر اي اجراؤها بسم الله على ان بسم الله خبر
او صلته والخبر محذوف وهي اما جملة مقتضبة لا تعلق لها بما قبلها او حال مقدرة
من الواو او الماء وروى انه كان اذا اراد ان يجري قال بسم الله فجرت واذا اراد
ان ترسو قال بسم الله فرست ويجوز ان يكون الاسم مقحما كقوله ثم اسم
السلام عليكما وقرا حمزة والكسائي وعاصم برواية حفص مجريها بالفتح من جرى
وقرئ مرساها وكلاهما يحتمل الثلثة ومجريها ومرسيها بلفظ الفاعل صفتين لله
ان ربي لغفور رحيم اي لولا مغفرته لفرطاتكم ورحمته اياكم لما نجاكم
وهي تجري بهم متصل بمحذوف دل عليه اركبوا اي فركبوا مسمين وهي تجري وهم
فيها في موج كالجبال في موج من الطوفان وهو ما يرتفع من الماء عند
اضطرابه كل موجة منها كجبل في تراكمها وارتفاعها وما قيل من ان الماء
طبق بين السماء والارض وكانت السفينة تجري في جوفه ليس بثابت والمشهور
انه علا شوامخ الجبال خمسة عشر ذراعا وان صح فلعله قبل التطبيق ونادى
نوح ابنه كنعان وقرئ ابنها وابنه بحذف الالف على ان الضمير لامراته وكان ربيبه
وقيل كان لغير رشدة لقوله تعالى فخانتاهما وهو خطا اذ الانبياء عصمت من ذلك
والمراد بالخيانة الخيانة في الدين وقرئ ابناه على الندبة ولكونها حكاية سوغ
حذف الحرف وكان في معزل عزل فيه نفسه عن ابيه او عن دينه مفعل

للمكان

للمكان من عزل عنه اذا ابعد يا بني اركب معنا في السفينة والجمهور كسروا الياء ليدل على
الاضافة المحذوفة في جميع القرآن غير ابن كثير فانه وقف عليها في لقمن في الموضع الاول
باتفاق الرواة وفي الثالث في رواية عنه في ساير المواضع وقد ادغم الباء في الميم ابو عمرو
والكسائي وحفص لتقاربهما ولا تكن مع الكافرين في الدين والاعتزال قال ساوي
الى جبل يعصمني من الماء ان يغرقني قال لا عاصم اليوم من امر الله الا من رحم الا
الراحم وهو الله تعالى او الا مكان من رحمهم الله وهم المومنون رد بذلك ان يكون يوم
معتصم من جبل ونحوه يعصم اللايذ به الا معتصم المومنين وهو السفينة وقيل لا عاصم بمعنى لا ذا عصمة
كقوله في عيشة راضية وقيل الاستثناء منقطع اي لكن من رحمه الله يعصمه وحال بينهما الموج
بين نوح وابنه او بين ابنه والجبل فكان من المغرقين فصار من المهلكين
بالماء وقيل يا ارض ابلعي ماءك ويا سماء اقلعي نوديا بما ينادى به اولوا العلم وامرا بما
يومرون تمثيلا لكمال قدرته وانقيادهما لما يشاء تكوينه فيهما بالامر المطاع الذي
يامر المنقاد لحكمه المبادر الى امتثال امره مهابة من عظمته وخشية من اليم عقابه والبلع
النشف والاقلاع الامساك وغيض الماء نقص وقضي الامر وانجز ما وعد من اهلاك الكافرين
وانجاء المومنين واستوت واستقرت السفينة على الجودي جبل بالموصل وقيل بالشام
وقيل بآمل روي انه ركب السفينة عاشر رجب ونزل عنها عاشر محرم فصام ذلك اليوم
وصار سنة وقيل بعدا للقوم الظالمين هلاكا لهم يقال بعد بعدا وبعدا اذا بعد
بعدا بعيدا بحيث لا يرجى عوده ثم استعير للهلاك وخص بدعاء السوء والآية في غاية الفصاحة
لفخامة لفظها وحسن نظمها والدلالة على كنه الحال مع الايجاز الخالي والايراد على البناء
للمفعول دلالة على تعظيم الفاعل وانه متعين في نفسه مستغن عن ذكره اذ لا يذهب الوهم
الى غيره للعلم بان مثل هذه الافعال لا يقدر عليه سوى الواحد القهار ونادى نوح ربه اراد
ندا
ه بدليل عطف قوله فقال رب ان ابني من اهلي فانه النداء وان وعدك الحق وان كل
وعد تعده حق لا يتطرق اليه الخلف وقد وعدت ان تنجي اهلي فما حاله او فما باله لم ينج
ويجوز ان يكون هذا النداء قبل غرقه وانت احكم الحاكمين لانك اعلم الحكام واعدلهم
او لانك اكثر حكمة من ذوي الحكم على ان الحاكم من الحكمة كالدارع من
الدرع قال يا نوح انه ليس من اهلك لقطع الولاية بين المومن والكافر واشار اليه بقوله
انه عمل غير صالح فانه تعليل لنفي كونه من اهله واصله انه ذو عمل فاسد فجعل ذاته ذات
العمل للمبالغة كقول الخنساء تصف ناقة ترتع ما رتعت حتى اذا ادكرت فانما هي اقبال وادبار
ثم بدل الفاسد بغير الصالح تصريحا بالمناقضة بين وصفيهما فانتفاء ما اوجب النجاة لمن نجا من اهله
عنه وقرا الكسائي ويعقوب انه عمل اي عمل عملا غير صالح فلا تسالن ما ليس لك به علم ما لا تعلم
اصواب هو ام ليس كذلك وانما سمي نداءه سوالا لتضمن ذكر الموعد بنجاة اهله استجازة في
شان ولده او استفسارا المانع للانجاز في حقه وانما سماه جهلا وزجر عنه بقوله اني اعظك

فرين

ان تكون من الجاهلين لان استثناء من سبق عليه القول من اهله قد دله على الحال
واغناه عن السؤال لكن اشغله حب الولد عنه حتى اشتبه الامر عليه وقرأ ابن كثير
بفتح اللام والنون الشديدة وكذا نافع وابن عامر غير انهما كسرا النون على ان اصله
تسألنني فحذفت نون الوقاية لاجتماع النونات وكسرت الشديدة للياء ثم حذفت
اكتفاء بالكسرة وعن نافع اثباتها في الوصل قال رب اني اعوذ بك ان اسألك فيما
يستقبل ما ليس لي به علم ما لا علم لي بصحته والا تغفر لي وان لم تغفر لي ما فرط
مني من السؤال وترحمني بالتوبة والتفضل علي اكن من الخاسرين اعمالا قيل يا نوح
اهبط بسلام منا انزل من السفينة مسلما من المكاره من جهتنا او مسلما عليك وبركات
عليك ومباركا عليك او زيادات في نسلك حتى تصير آدم ثانيا وقرئ اهبط بالضم
وبركة على التوحيد وهي الخير النامي وعلى امم ممن معك وعلى امم هم الذين
معك سموا امما لتحزبهم او لتشعب الامم منهم او على امم ناشئة ممن معك والمراد
بهم المؤمنون لقوله وامم سنمتعهم اي وممن معك امم سنمتعهم في الدنيا
ثم يمسهم منا عذاب اليم في الاخرة والمراد بهم الكفار من ذرية من معه وقيل
قوم هود وصالح ولوط وشعيب والعذاب ما نزل بهم تلك اشارة الى قصة نوح عليه السلام
ومحلها الرفع بالابتداء وخبرها من انباء الغيب اي بعضها نوحيها اليك خبر ثان والضمير لها
اي موحاة اليك او حال من الانباء او هو الخبر ومن انباء متعلق به او حال من الهاء ما كنت
تعلمها انت ولا قومك من قبل هذا خبر اخر اي مجهولة عندك وعند قومك من قبل
ايحائنا اليك او حال من الهاء في نوحيها او الكاف في اليك اي جاهلا انت وقومك بها وفي ذكرهم
تنبيه على انه لم يتعلمه اذ لم يخالط غيرهم وانهم مع كثرتهم لما لم يسمعوه فكيف
يوجد منهم فاصبر على مشاق الرسالة واذية القوم كما صبر نوح ان العاقبة في الدنيا
بالظفر وفي الاخرة بالفوز للمتقين عن الشرك والمعاصي والى عاد اخاهم هودا عطف على
قوله نوحا الى قومه وهودا عطف بيان قال يا قوم اعبدوا الله وحده ما لكم
من اله غيره وقرئ بالجر حملا على المجرور وحده ان انتم الا مفترون على الله باتخاذ
الاوثان شركاء وجعلها شفعاء يا قوم لا اسألكم عليه اجرا ان اجري الا على الذي
فطرني خاطب كل رسول به قومه ازاحة للتهمة وتمحيصا للنصيحة فانها لا تنجع ما
دامت مشوبة بالمطامع افلا تعقلون افلا تستعملون عقولكم فتعرفوا المحق من
المبطل والصواب من الخطاء ويا قوم استغفروا ربكم ثم توبوا اليه اطلبوا
مغفرة الله بالايمان ثم توسلوا اليها بالتوبة وايضا التبري عن الغير انما يكون بعد الايمان
بالله والرغبة فيما عنده يرسل السماء عليكم مدرارا كثير الدر قوة الى قوتكم
ويضاعف قوتكم وانما رغبهم بكثرة المطر وزيادة القوة لانهم كانوا اصحاب
زرع وعمارات وقيل حبس الله عنهم القطر واعقم ارحام نسائهم ثلث سنين فوعدهم

ثلث سنين هود

ولا تعرضوا صح

هود عليه السلام على الايمان والتوبة بكثرة الامطار وتضاعف القوة بالتناسل ولا
تتولوا عما ادعوكم اليه مجرمين مصرين على اجرامكم قالوا يا هود ما جئتنا
ببينة بحجة تدل على صحة دعواك وهو لفرط عنادهم وعدم اعتدادهم بما جاءهم
من المعجزات وما نحن بتاركي الهتنا بتاركي عبادتهم عن قولك صادرين
عن قولك حال من الضمير في تاركي وما نحن لك بمؤمنين اقناط له من الاجابة
والتصديق ان نقول الا اعتراك ما نقول الا قولنا اعتراك اي اصابك من عراه يعروه
اذا اصابه بعض الهتنا بسوء بجنون لسبك اياها وصدك عنها ومن ذلك تهذي وتتكلم
بالخرافات والجملة مقول القول والا لغو لان الاستثناء مفرغ قال اني اشهد الله
واشهدوا اني بريء مما تشركون من دونه فكيدوني جميعا ثم
لا تنظرون اجاب به عن مقالتهم الحمقاء بان اشهد الله تعالى على براءته من الهتهم
وفراغه عن اضرارهم تأكيدا لذلك وتثبيتا له وامرهم بان يشهدوا عليه استهانة
بهم وان يجتمعوا على الكيد في اهلاكه من غير انظار حتى اذا اجتهدوا فيه وراوا
انهم عجزوا عن اخره وهم الاقوياء الاشداء ان يضروه لم يبق لهم شبهة لان
الهتهم التي هي جماد لا يضر ولا ينفع لا تتمكن من اضراره انتقاما منه وهذا من جملة
معجزاته فان مواجهة الواحد الجم الغفير من الجبابرة الفتاك العطاش الى اراقة دمه بهذا
الكلام ليس الا للثقة بالله وتثبطهم عن اضراره ليس الا بعصمته ولذلك عقبه بقوله
اني توكلت على الله ربي وربكم تقريرا له والمعنى انكم وان بذلتم
غاية وسعكم لم تضروني فاني متوكل على الله واثق بكلامه وهو مالكي
ومالككم لا يحيق بي ما لم يرده ولا تقدرون على ما لم يقدره ثم برهن عليه
بقوله وما من دابة الا هو اخذ بناصيتها اي الا وهو مالك لها قادر عليها يصرفها على
ما يريد بها والاخذ بالنواصي تمثيل لذلك ان ربي على صراط مستقيم انه على الحق والعدل
لا يضيع عنده معتصم ولا يفوته ظالم فان تولوا فان تتولوا فقد ابلغتكم ما ارسلت
به اليكم فقد اديت ما علي من الابلاغ والزام الحجة فلا تفريط مني و
لا عذر لكم فقد ابلغتكم ما ارسلت به اليكم ويستخلف ربي قوما
غيركم استئناف بالوعيد لهم بان الله يهلكهم ويستخلف قوما اخرين في
ديارهم واموالهم او عطف على الجواب بالفاء ويؤيده القراءة بالجزم على الموضع وكأنه
قيل ما تتولوا يعذر بي ويستخلف ولا تضرونه بتوليكم شيئا من الضرر ومن جزم
ويستخلف اسقط النون منه ان ربي على كل شيء حفيظ رقيب فلا تخفى عليه اعمالكم
ولا يغفل عن مجازاتكم او حافظ مستول عليه فلا يمكن ان يضره شيء ولما جاء امرنا عذابنا
او امرنا بالعذاب نجينا هودا والذين آمنوا معه برحمة منا وكانوا اربعة
آلاف ونجيناهم من عذاب غليظ تكرير لبيان ما نجاهم عنه وهو السموم كانت

يدخل انوف الكفرة ويخرج من ادبارهم فتقطع اعضاءهم والمراد به تنجيتهم
من عذاب الاخرة ايضا والتعريض بان المهلكين كما عذبوا في الدنيا بالسموم
فهم معذبون في الاخرة بالعذاب الغليظ وتلك عاد انث اسم الاشارة
باعتبار القبيلة او لان الاشارة الى قبورهم وآثارهم جحدوا بآيات ربهم
كفروا بها وعصوا رسله لانهم عصوا رسولهم ومن عصى رسولا فكانما
عصى الكل لانهم امروا بطاعة كل رسول واتبعوا امر كل جبار
عنيد يعني كبراءهم الطاغين وعنيد من عند عندا وعندا وعنودا اذا
طغى والمعنى عصوا من دعاهم الى الايمان وما ينجيهم واطاعوا من دعاهم الى الكفر
وما يرديهم واتبعوا في هذه الدنيا لعنة ويوم القيمة اي جعلت اللعنة تابعة لهم
في الدارين تكبهم في العذاب الا ان عادا كفروا ربهم جحدوه او كفروا
نعمه او كفروا به فحذف الجار الا بعدا لعاد دعاء عليهم بالهلاك والمراد به
الدلالة على انهم كانوا مستوجبين لما نزل عليهم بسبب ما حكي عنهم وانما كرر
الا واعاد ذكرهم تفظيعا لامرهم وحثا على الاعتبار بحالهم قوم هود عطف
بيان لعاد وفايدته تميزهم عن عاد الثانية عاد ارم والايماء الى ان استحقاقهم
للبعد بما جرى بينهم وبين هود والى ثمود اخاهم صالحا قال يا قوم اعبدوا
الله ما لكم من اله غيره هو انشاكم من الارض هو كونكم منها
لا غيره فانه خلق ادم ومواد النطف التي خلق نسله منها من التراب واستعمركم
فيها عمركم فيها واستبقاكم من العمر او اقدركم على عمارتها وامركم
بها وقيل هو من العمرى بمعنى اعمركم فيها دياركم ويرثها منكم بعد انصرام
اعماركم او جعلكم معمرين دياركم تسكنونها مدة عمركم ثم تتركونها
لغيركم فاستغفروه ثم توبوا اليه ان ربي قريب قريب الرحمة مجيب لداعيه
قالوا يا صالح قد كنت فينا مرجوا قبل هذا لما نرى فيك من مخايل الرشد
والسداد ان يكون لنا سيدا او مستشارا في الامور وان توافقنا في الدين
فلما سمعنا هذا القول منك انقطع رجاؤنا عنك اتنهانا ان نعبد ما يعبد اباؤنا
على حكاية الحال الماضية واننا لفي شك مما تدعونا اليه من التوحيد و
التبري عن الاوثان مريب موقع في الريبة من ارابه او ذي ريبة على الاسناد
المجازي من اراب في الامر قال يا قوم ارايتم ان كنت على بينة من ربي
بيان وبصيرة وحرف الشك باعتبار المخاطبين واتاني رحمة نبوة فمن ينصرني
من الله فمن يمنعني من عذابه ان عصيته في تبليغ رسالته والمنع عن الاشراك
به فما تزيدونني اذن باستتباعكم اياي غير تخسير غير ان تخسروني بابطال
ما منحني الله به والتعرض لعذابه او فما تزيدونني بما تقولون لي غير ان انسبكم

الى الخسران ويا قوم هذه ناقة الله لكم آية انتصب آية على الحال وعاملها معنى الاشارة
ولكم حال منها تقدمت عليها لتنكيرها فذروها تاكل في ارض الله ترع
نباتها وتشرب ماءها ولا تمسوها بسوء فياخذكم عذاب قريب عاجل لا يتراخى
عن مسكم لها بالسوء الا يسيرا وهو ثلثة ايام فعقروها فقال تمتعوا في
داركم عيشوا في منازلكم او في داركم الدنيا ثلثة ايام الاربعاء و
الخميس والجمعة ثم تهلكون ذلك وعد غير مكذوب اي غير مكذوب
فيه فاتسع فيه باجرائه مجرى المفعول به لقوله ويوم شهدناه سليما وعامرا او غير
مكذوب على المجاز فكان الواعد قال له اني بك فان وفي به صدقه والا كذبه او
وعد غير مكذوب على انه مصدر كالمجلود والمعقول فلما جاء امرنا نجينا صالحا
والذين امنوا معه برحمة منا ومن خزي يومئذ اي ونجيناهم من خزي
يومئذ وهو هلاكهم بالصيحة او ذلهم او فضيحتهم يوم القيامة وعن
نافع يومئذ بالفتح على اكتساب المضاف البناء من المضاف اليه هاهنا وفي المعارج
في قوله من عذاب يومئذ ان ربك هو القوي العزيز القادر على كل شيء والغالب
عليه واخذ الذين ظلموا الصيحة فاصبحوا في ديارهم جاثمين قد سبق تفسيره
ذلك في سورة الاعراف كان لم يغنوا فيها الا ان ثمود كفروا ربهم
نونه ابو بكر هاهنا وفي النجم والكسائي في جميع القران وابن كثير ونافع وابن عامر
وابو عمرو في قوله الا بعدا لثمود ذهابا الى الحي او الاب الاكبر ولقد جاءت رسلنا
ابرهيم يعني الملائكة قيل كانوا تسعة وقيل ثلثة جبريل وميكائيل واسرافيل بالبشرى
بشارة الولد وقيل بهلاك قوم لوط قالوا سلاما سلمنا عليك سلاما ويجوز نصبه بقالوا
على معنى ذكروا سلاما قال سلام اي امركم او جوابي سلام او وعليكم سلام رفعه اجابة
باحسن من تحيتهم وقرا حمزة والكسائي سلم وكذلك في الذاريات وهما لغتان كحرم
وحرام وقيل المراد به الصلح فما لبث ان جاء بعجل حنيذ فما ابطا مجيئه به او فما ابطا
في المجيء به او ما تاخر عنه والجار مقدر او محذوف والحنيذ المشوي بالرضف وقيل
الذي يقطر ودكه من حنذت الفرس اذا عرقته بالجلال لقوله بعجل سمين فلما راى ايديهم
لا تصل اليه لا يمدون اليه ايديهم نكرهم واوجس منهم خيفة انكر ذلك منهم
وخاف ان يريدوا به مكروها ونكر وانكر واستنكر بمعنى والايجاس الادراك
وقيل الاضمار قالوا له لما احسوا منه اثر الخوف لا تخف انا ارسلنا الى قوم
لوط انا ملائكة مرسلة اليهم بالعذاب وانما لم تمد اليه ايدينا لانا لا ناكل
وامراته قائمة وراء الستر تسمع محاورتهم او على رؤوسهم للخدمة
فضحكت سرورا بزوال الخيفة او بهلاك اهل الفساد او باصابة رايها فانها كانت
تقول لابرهيم اضمم اليك لوطا فاني اعلم ان العذاب ينزل بهذا القوم وقيل ضحكت فحاضت

قال وعهدي بسلمى ضاحكا في لبابة ولم يعد حقا ثديها ان يحلما ومنه ضحكت السمرة اذا سال
صمغها وقرئ بفتح الحاء فبشرناها باسحق ومن وراء اسحق يعقوب نصبه ابن عامر
وحمزة وحفص بفعل يفسره ما دل عليه الكلام وتقديره ووهبنا لها من وراء اسحق يعقوب
وقيل انه معطوف على موضع باسحق او على لفظ اسحق وفتحه للجر فانه غير منصرف
ورد للفصل بينه وبين ما عطف به بالظرف وقرأ الباقون بالرفع على انه مبتدأ خبره
الظرف اي ويعقوب مولود من بعده وقيل الوراء ولد الولد ولعله سمي به لانه بعد
الولد وعلى هذا تكون اضافته الى اسحق ليس من حيث ان يعقوب وراءه بل من حيث
انه وراء ابرهيم من جهته وفيه نظر والاسمان يحتمل وقوعهما في البشارة كيحيى ويحتمل
وقوعهما في الحكاية بعد ان ولدا فسميا به وتوجيه البشارة اليها للدلالة على ان الولد
المبشر به يكون منها ولانها كانت عقيمة حريصة على الولد قالت يا ويلتا يا عجبا واصله
في الشر فاطلق في كل امر فظيع وقرئ بالياء على الاصل أألد وانا عجوز ابنة تسعين
او تسع وتسعين وهذا بعلي زوجي واصله القائم بالامر شيخا ابن مائة او مائة
وعشرين ونصبه على الحال والعامل فيها معنى الاشارة وقرئ بالرفع على انه خبر محذوف
اي هو شيخ او خبر بعد خبر او هو الخبر وبعلي بدل ان هذا لشيء عجيب يعني الولد من هرمين
وهو استعجاب من حيث العادة دون القدرة ولذلك قالوا اتعجبين من امر الله رحمة
الله وبركاته عليكم اهل البيت منكرين عليها فان خوارق العادات
باعتبار اهل بيت النبوة ومهبط المعجزات وتخصيصهم بمزيد النعم والكرامات
ليس ببدع ولا حقيق بان يستغربه عاقل فضلا عمن نشأت وشابت في ملاحظة الايات
واهل البيت نصب على المدح او النداء لقصد التخصيص كقولهم اللهم اغفر لنا ايتها
العصابة انه حميد فاعل ما يستوجب به الحمد مجيد كثير الخير والاحسان
فلما ذهب عن ابرهيم الروع ما اوجس من الخيفة واطمأن قلبه بعرفانهم
وجاءته البشرى بدل الروع يجادلنا في قوم لوط يجادل رسلنا في شأنهم ومجادلته
اياهم قوله ان فيها لوطا وهو اما جواب لما جيء به مضارعا على حكاية الحال او لانه
في سياق الجواب بمعنى الماضي كجواب لو او دليل جوابه المحذوف مثل اجترأ على خطابنا
او شرع في جدالنا او متعلق به اقيم مقامه مثل اخذ او اقبل يجادلنا ان ابرهيم لحليم
غير عجول على الانتقام من المسيء اواه كثير التأوه من الذنوب والتأسف على
الناس منيب راجع الى الله والمقصود من ذلك بيان الحامل له على المجادلة وهو رقة
قلبه وفرط ترحمه يا ابرهيم على ارادة القول اي قالت الملائكة يا ابرهيم اعرض
عن هذا الجدال انه قد جاء امر ربك قدره بمقتضى قضائه الازلي بعذابهم
وهو اعلم بحالهم وانهم آتيهم عذاب غير مردود غير مصروف بجدال ولا دعاء
ولا غير ذلك ولما جاءت رسلنا لوطا سيء بهم ساءه مجيئهم لانهم جاؤوا في صورة

غلمان

غلمان فظن انهم اناس فخاف عليهم ان يقصدهم قومه فيعجز عن مدافعتهم وضاق
بهم ذرعا وضاق بمكانهم صدره وهو كناية عن شدة الانقباض للعجز عن
مدافعة المكروه والاحتيال فيه وقال هذا يوم عصيب شديد من عصبه اذا شده
وجاءه قومه يهرعون اليه يسرعون اليه كانهم يدفعون دفعا لطلب الفاحشة
اضيافه ومن قبل اي ومن قبل ذلك الوقت كانوا يعملون السيئات الفواحش
فتمرنوا بها ولم يستحيوا منها حتى جاؤوا يهرعون لها مجاهرين قال يا قوم هؤلاء بناتي
فدى بهن اضيافه كرما وحمية والمعنى هؤلاء بناتي تزوجوهن وكانوا يطلبونهن
فلا يجيبهم لخبثهم وعدم كفاءتهم لا لحرمة المسلمات على الكفار فانه
شرع طارئ او مبالغة في تناهي خبث ما يرومونه حتى ان ذلك اهون منه او اظهارا لشدة
امتعاضه من ذلك كي يرقوا له وقيل المراد بالبنات نساؤهم فان كل نبي ابو
امته من حيث الشفقة والتربية وفي حرف ابن مسعود وازواجه امهاتهم وهو اب
لهم هن اطهر لكم انظف فعلا واقل فحشا كقولك الميتة اطيب من المغصوب
واحل منه وقرئ اطهر بالنصب على ان هن خبر بناتي كقولك هذا اخي هو ولا فصل فانه
لا يقع بين الحال وصاحبها فاتقوا الله بترك الفواحش او بايثارهن عليهم ولا تخزون
ولا تفضحون من الخزي او ولا تخجلون من الخزاية بمعنى الحياء في ضيفي في شأنهم فان اخزاء
ضيف الرجل اخزاؤه اليس منكم رجل رشيد يهتدي الى الحق ويرعوي عن القبيح
قالوا لقد علمت ما لنا في بناتك من حق حاجة وانك لتعلم ما نريد وهو اتيان
الذكران قال لو ان لي بكم قوة لو قويت بنفسي على دفعكم او آوي الى ركن
شديد الى قوي اتمنع به عنكم شبهه بركن الجبل في شدته وعن النبي صلعم رحم
الله اخي لوطا كان يأوي الى ركن شديد وقرئ او آوي بالنصب باضمار ان كانه قال
لو ان لي بكم قوة او اويا وجواب لو محذوف تقديره لدفعتكم روي انه اغلق بابه دون
اضيافه واخذ يجادلهم من وراء الباب فتسوروا الجدار فلما رأت الملائكة ما على
لوط من الكرب قالوا يا لوط انا رسل ربك لن يصلوا اليك لن يصلوا الى
اضرارك باضرارنا فهون عليك ودعنا واياهم فخلاهم ان يدخلوا فضرب جبريل
بجناحه وجوههم فطمس اعينهم واعماهم فخرجوا يقولون النجاء النجاء فان في بيت
لوط سحرة فاسر باهلك بالقطع من الاسراء وقرأ ابن كثير ونافع بالوصل حيث في القرآن
من السرى بقطع من الليل بطائفة منه ولا يلتفت منكم احد ولا يتخلف او
لا ينظر الى ورائه والنهي في اللفظ لاحد وفي المعنى للوط الا امرأتك استثناء من قوله
فاسر باهلك ويدل عليه انه قرئ فاسر باهلك بقطع من الليل الا امرأتك وهو انما يصح على
تأويل الالتفات بالتخلف فانه ان فسر بالنظر الى الوراء في الذهاب ناقض ذلك قراءة ابن كثير
وابي عمرو بالرفع على البدل من احد ولا يحسن جعل القراءتين في انه خلفها مع قومها او اخرجها

او اويا

فلما سمعت صوت العذاب التفتت وقالت يا قوماه فادركها حجر فقتلها لان القواطع لا يصح حملها على المعاني المتناقضة والاولى جعل الاستثناء في القرائتين عن قوله لا يلتفت مثله في قوله ما فعلوه الا قليل ولا يبعد ان يكون اكثر القراء على غير الافصح ولا يلزم من ذلك امرها بالالتفات بل عدم نهيها عنه استصلاحا ولذلك علله على طريقة الاستيناف بقوله انه مصيبها ما اصابهم ولا يحسن جعل الاستثناء منقطعا على قراءة الرفع ان موعدهم الصبح كانه علة الامر بالاسراء اليس الصبح بقريب جواب لاستعجال لوط واستبطائه العذاب فلما جاء امرنا عذابنا او امرنا به ويؤيده الاصل وجعل التعذيب مسببا عنه بقوله جعلنا عاليها سافلها فانه جواب لما وكان حقه جعلوا عاليها اي الملائكة المامورون به فاسند الى نفسه من حيث انه المسبب تعظيما للامر فانه روي ان جبريل عليه السلام ادخل جناحه تحت مدائنهم ورفعها الى السماء حتى سمع اهل السماء نباح الكلاب وصياح الديكة ثم قلبها عليهم وامطرنا عليها على المدن او على شذاذها حجارة من سجيل من طين متحجر لقوله حجارة من طين واصله سنك كل فعرب وقيل انه من اسجله اذا ارسله او ادر عطيته والمعنى من مثل الشيء المرسل او من مثل العطية في الادرار او من السجيل اي مما كتب الله ان يعذبهم به وقيل اصله من سجين اي من جهنم فابدلت لامه نونا منضود نضد معدا لعذابهم او نضد في الارسال يتتابع بعضه بعضا كقطار الامطار او نضد بعضه على بعض والصق به مسومة معلمة للعذاب وقيل معلمة ببياض وحمرة او بسيما تتميز به عن حجارة الارض او باسم من يرمى به عند ربك في خزائنه وما هي من الظالمين ببعيد فانهم بظلمهم حقيق بان تمطر عليهم وفيه وعيد لكل ظالم وعنه عليه السلام انه سال جبريل فقال يعني ظالمي امتك ما من ظالم منهم الا وهو بعرض حجر يسقط عليه من ساعة الى ساعة وقيل الضمير للقرى اي هي قريبة من ظالمي مكة يمرون بها في اسفارهم الى الشام وتذكير البعيد على تاويل الحجر او المكان والى مدين اخاهم شعيبا اراد اولاد مدين بن ابراهيم عليه السلام او اهل مدين وهو بلد بناه فسمي باسمه قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره ولا تنقصوا المكيال والميزان امرهم بالتوحيد اولا فانه ملاك الامر ثم نهاهم عما اعتادوه من البخس المنافي للعدل المخل بحكمة التعاوض اني اريكم بخير بسعة تغنيكم عن البخس او بنعمة حقها ان تتفضلوا على الناس شكرا عليها لا ان تنقصوا حقوقهم او بسعة فلا تزيلوها بما انتم عليه وهو في الجملة علة النهي واني اخاف عليكم عذاب يوم محيط لا يشذ منه احد منكم وقيل عذاب مهلك من قوله واحيط بثمره والمراد عذاب يوم القيمة

او

او عذاب الاستئصال وتوصيف اليوم بالاحاطة وهي صفة العذاب لاشتماله عليه ويا قوم اوفوا المكيال والميزان صرح الامر بالايفاء بعد النهي عن ضده مبالغة وتنبيها على انه لا يكفيهم الكف عن تعمد التطفيف بل يلزمهم السعي في الايفاء ولو بزيادة لا يتاتى دونها بالقسط بالعدل والسوية من غير زيادة ونقصان فان الازدياد ايفاء وهو مندوب غير مامور به وقد يكون محظورا ولا تبخسوا الناس اشياءهم تعميم بعد التخصيص فانه اعم من ان يكون في المقدار او في غيره وكذا قوله ولا تعثوا في الارض مفسدين فان العثو يعم تنقيص الحقوق وغيره من انواع الفساد وقيل المراد بالبخس المكس كاخذ العشور من المعاملات والعثو السرقة وقطع الطريق والغارة وفائدة الحال اخراج ما يقصد به الاصلاح كما فعله الخضر عليه السلام وقيل معناه ولا تعثوا في الارض مفسدين امر دينكم ومصالح اخرتكم بقية الله ما ابقاه لكم من الحلال بعد التنزه عما حرم عليكم خير لكم مما تجمعون بالتطفيف ان كنتم مؤمنين بشرط ان تؤمنوا فان خيريتها باستتباع الثواب مع النجاة وذلك مشروط بالايمان او ان كنتم مصدقين لي في قولي لكم وقيل البقية الطاعة لقوله والباقيات الصالحات وقرئ تقية الله بالتاء وهي تقواه التي تكف عن المعاصي وما انا عليكم بحفيظ احفظكم عن القبائح او احفظ عليكم نعم الله اعمالكم فاجازيكم عليها فانما انا ناصح مبلغ وقد اعذرت حين انذرت او لست بحافظ عليكم نعم الله لو لم تتركوا سوء صنيعكم قالوا يا شعيب اصلاتك تامرك ان نترك ما يعبد اباؤنا من الاصنام اجابوا به امرهم بالتوحيد على الاستهزاء به والتهكم بصلوته والاشعار بان مثله لا يدعو اليه داع عقلي وانما دعاك اليه خطرات ووساوس من جنس ما تواظب عليه وكان كثير الصلوة فلذلك جمعوا وخصوا بالذكر وقرا حمزة والكسائي وحفص على الافراد والمعنى اصلواتك تامرك بتكليف ان نترك فحذف المضاف لان الرجل لا يؤمر بفعل غيره او ان نفعل في اموالنا ما نشاء عطف على ما اي وان نترك فعلنا ما نشاء في اموالنا وقرئ بالتاء فيهما على ان العطف على ان نترك وهو جواب النهي عن التطفيف والامر بالايفاء وقيل كان ينهاهم عن تقطيع الدراهم والدنانير فارادوا به ذلك انك لانت الحليم الرشيد تهكموا به وقصدوا وصفه بضد ذلك او عللوا انكار ما سمعوا منه واستبعاده بانه موسوم بالحلم والرشد المانعين عن المبادرة الى امثال ذلك قال يا قوم ارايتم ان كنت على بينة من ربي اشارة الى ما اتاه الله من العلم والنبوة ورزقني منه رزقا حسنا اشارة الى ما اتاه الله من المال الحلال وجواب الشرط محذوف تقديره فهل يسع لي مع هذا الانعام الجامع للسعادات الروحانية والجسمانية ان اخونه في وحيه واخالفه في امره ونهيه

وهو اعتذار عما انكروه عليه من تغيير المالوف والنهى عن دين الآباء والضمير فى منه
لله اى من عنده وباعانته بلا كدّ منى فى تحصيله وما اريد ان اخالفكم
الى ما انهيكم عنه اى ما اريد ان اتى ما انهاكم عنه لاستبد به فلو كان
صوابا لآثرته ولم اعرض عنه فضلا عن ان انهى عنه يقال خالفت زيدا الى كذا اذا قصدته
وهو مول عنه وخالفته عنه اذا كان الامر بالعكس ان اريد الا الاصلاح ما
استطعت ما اريد الا ان اصلحكم بامرى بالمعروف ونهى عن المنكر ما دمت
استطيع الاصلاح فلو وجدت الصلاح فيما انتم عليه لما نهيتكم عنه ولهذه الاجوبة
الثلثة على هذا النسق شان على ان العاقل يجب ان يراعى فى كل ما ياتيه ويذره احد حقوق
ثلثة اهمها واعلاها حق الله وثانيها حق النفس وثالثها حق الناس وكل ذلك يقتضى ان امركم
بما امرتكم به وانهاكم عما نهيتكم عنه وما مصدرية واقعة موقع الظرف
وقيل خبرية بدل من الاصلاح اى المقدار الذى استطعته او اصلاح ما استطعته فحذف
المضاف وما توفيقى الا بالله وما توفيقى لاصابة الحق والصواب الا بهدايته و
معونته عليه توكلت فانه القادر المتمكن من كل شئ وما عداه فى حد
ذاته بل معدوم ساقط عن درجة الاعتبار وفيه اشارة الى محض التوحيد الذى
هو اقصى مراتب العلم بالمبدا واليه انيب اشارة الى معرفة المعاد وهو ايضا
يفيد الحصر بتقديم الصلة على الله وفى هذه الكلمات طلب التوفيق لاصابة الحق فيما
ياتى ويذره من الله والاستعانة به فى مجامع امره والاقبال عليه بشراشره وحسم
اطماع الكفار واظهار الفراغ عنهم وعدم المبالاة بمعاداتهم وتهديدهم بالرجوع
الى الله للجزاء ويا قوم لا يجرمنكم لا يكسبنكم شقاقى معاداتى ان يصيبكم
مثل ما اصاب قوم نوح من الغرق او قوم هود من الريح او قوم صالح من
الرجفة وان بصلتها ثانى مفعولى جرم فانه يعدى الى واحد والى اثنين ككسب وعن ابن
كثير يجرمنكم بالضم وهو منقول من المتعدى الى مفعول والاول افصح فان اجرم اقل دورانا
على السنة الفصحاء وقرئ مثل بالفتح لاضافته الى المبنى لقوله لم يمنع الشرب منها غير
ان نطقت حمامة فى غصون ذات اوقال وما قوم لوط منكم ببعيد زمانا او
مكانا فان لم تعتبروا بمن قبلهم فاعتبروا بهم او ليسوا ببعيد منكم فى الكفر و
المساوى فلا يبعد عنكم ما اصابهم وافراد البعيد لان المراد وما اهلاكهم
او دماءهم بشئ بعيد ولا يبعد ان يسوى فى امثاله بين المذكر والمؤنث لانها على
زنة المصادر كالصهيل والشهيق واستغفروا ربكم ثم توبوا اليه عما
انتم عليه ان ربى رحيم عظيم الرحمة للتائبين ودود فاعل بهم من اللطف و
الاحسان ما يفعل البليغ المودة بمن يوده وهو وعد على التوبة بعد الوعيد على الاصرار
قالوا يا شعيب ما نفقه ما نفهم كثيرا مما تقول كوجوب التوحيد وحرمة البخس

وما ذكرت

وما ذكرت دليلا عليهما وذلك لقصور عقلهم وعدم تفكرهم وقيل قالوا ذلك استهانة
بكلامه او لانهم لم يلقوا اليه اذهانهم لشدة نفرتهم عنه وانا لنراك فينا ضعيفا
لا قوة لك فتمتنع منا ان اردنا بك سوءا او مهينا لا عز لك وقيل اعمى بلغة حمير وهو
مع عدم مناسبته يرده التقييد بالظرف ومنع بعض المعتزلة استنباء الاعمى قياسا على
القضاء والشهادة والفرق بين ولولا رهطك قومك وعزتهم عندنا لكونهم
على ملتنا لا لخوف من شوكتهم فان الرهط من الثلثة الى العشرة وقيل الى السبعة
لرجمناك لقتلناك برمى الاحجار او باصعب وجه وما انت علينا بعزيز فتمنعنا عزتك
عن الرجم وهذا ديدن السفيه المحجوج يقابل الحجج والآيات بالسب والتهديد وفى ايلاء
الضمير حرف النفى تنبيه على ان الكلام فيه لا فى ثبوت العزة فان المانع لهم عن ايذائه عزة قومه
ولذلك قال يا قوم ارهطى اعز عليكم من الله واتخذتموه وراءكم ظهريا
وجعلتموه كالمنسى المنبوذ وراء الظهر باشراككم والاهانة برسوله فلا تتقون
الله وتتقون رهطى وهو يحتمل الانكار والتوبيخ والرد والتكذيب والظهرى
منسوب الى الظهر والكسر من تغييرات النسب ان ربى بما تعملون محيط فلا يخفى شئ
منها فيجازيكم عليها ويا قوم اعملوا على مكانتكم انى عامل سوف تعلمون من ياتيه
عذاب يخزيه سبق مثله فى سورة الانعام والفاء فى فسوف تعلمون ثمة للتصريح بان
الاصرار والتمكن فيما عليه سبب لذلك وحذفها ههنا لانه جواب سائل قال فما
ذا يكون بعد ذلك فهو ابلغ فى التهويل ومن هو كاذب عطف على من ياتيه
لا لانه قسيم له كقولك ستعلم الكاذب والصادق بل لانهم لما اوعدوه وكذبوه
قال سوف تعلمون من المعذب والكاذب منى ومنكم وقيل كان قياسه
ومن هو صادق لينصرف الاول اليهم والثانى اليه لكنهم لما كانوا يدعونه
كاذبا قال ومن هو كاذب على زعمهم وارتقبوا فانتظروا ما اقول لكم انى
معكم رقيب منتظر فعيل بمعنى الراقب كالصريم او المراقب كالعشير او
المرتقب كالرفيع ولما جاء امرنا نجينا شعيبا والذين آمنوا معه برحمة منا
انما ذكره بالواو كما فى قصة عاد اذ لم يسبقه ذكر وعد يجرى مجرى السبب له
بخلاف قصتى صالح ولوط فانه ذكر بعد الوعد وذلك قوله وعد غير مكذوب
وقوله ان موعدهم الصبح فلذلك جاء بفاء السببية واخذت الذين ظلموا الصيحة
قيل صاح بهم جبريل فهلكوا فاصبحوا فى ديارهم جاثمين ميتين واصل الجثوم
اللزوم فى المكان كان لم يغنوا فيها كان لم يقيموا فيها الا بعدا لمدين
كما بعدت ثمود شبههم بهم لان عذابهم كان ايضا بالصيحة غير ان صيحتهم
كانت من تحتهم وصيحة مدين كانت من فوقهم وقرئ بعدت بالضم
على الاصل فان الكسر تغيير لتخصيص معنى البعد بما يكون سببا للهلاك والبعد مصدر

لهما

والبعد مصدر المنسوب ولقد ارسلنا موسى بآياتنا بالتورية او المعجزات وسلطان
مبين هو المعجزات الباهرة او العصا وافرادها لانها ابهرها ويجوز ان يراد بهما واحد
اي ولقد ارسلناه بالجامع بين كونه اياتنا وسلطانا له على نبوته واضحا في نفسه او موضحا
اياها فان ابان جاء لازما ومتعديا والفرق بينهما ان الاية تعم الامارة والدليل القاطع
والسلطان يخص القاطع والمبين يخص بما فيه جلاء الى فرعون وملايه فاتبعوا امر
فرعون فاتبعوا امره بالكفر بموسى او فما اتبعوا موسى الهادي الى الحق المؤيد بالمعجزات
القاهرة الباهرة فاتبعوا طريقة فرعون المنهمك في الضلال والطغيان الداعي الى ما لا يخفى
فساده على من له ادنى مسكة من العقل لفرط جهالتهم وعدم استبصارهم وما
امر فرعون برشيد مرشد او ذي رشد وانما هو غي محض وضلال صريح يقدم
قومه يوم القيمة الى النار كما كان يقدمهم في الدنيا الى الضلال يقال قدم
بمعنى تقدم فاوردهم النار ذكره بلفظ الماضي مبالغة في تحقيقه ونزل النار
لهم منزلة الماء فسمى اتيانها موردا ثم قال وبئس الورد المورود اي بئس المورد
الذي وردوه فانه يراد لتبريد الاكباد وتسكين العطش والنار بالضد والاية
كالدليل على قوله وما امر فرعون برشيد فان من هذا عاقبته لم يكن في
امره رشد او تفسير له على ان المراد بالرشيد ما يكون مأمون العاقبة حميدها واتبعوا
في هذه اي في هذه الدنيا لعنة ويوم القيمة اي يلعنون في الدنيا والاخرة بئس الرفد — لبعدهم
المرفود بئس العون المعان او العطاء المعطى واصل الرفد ما يضاف الى غيره والمخصوص
بالذم محذوف اي رفدهم وهو اللعنة في الدارين ذلك ذلك النبأ من انباء القرى — المهلكة
نقصه عليك مقصوص عليك منها قائم من تلك القرى باق كالزرع القائم وحصيد ومنها
عافي الاثر كالزرع المحصود والجملة مستانفة وقيل حال من الهاء في نقصه وليس
بصحيح اذ لا واو ولا ضمير وما ظلمناهم باهلاكنا اياهم ولكن ظلموا انفسهم بان عرضوها
له بارتكاب ما يوجبه فما اغنت عنهم فما نفعتهم ولا قدرت ان يدفع عنهم
الهتهم التي يدعون من دون الله من شيء لما جاء امر ربك حين جاءهم
عذابه ونقمته وما زادوهم غير تتبيب هلاك او تخسير وكذلك ومثل ذلك
الاخذ اخذ ربك وقرئ اخذ ربك بالفعل فيكون محل الكاف النصب على المصدر
وهي ظالمة حال من القرى وهي في الحقيقة لاهلها لكنها لما اقيمت مقامه اجريت
عليها وفائدتها الاشعار بانهم اخذوا لظلمهم وانذار كل ظالم ظلم نفسه او غيره من
وخامة العاقبة ان اخذه اليم شديد وجيع غير مرجو الخلاص عنه وهو مبالغة
في التهديد والتحذير ان في ذلك فيما نزل في الامم الهالكة او فيما قصه الله
من قصصهم لاية لعبرة لمن خاف عذاب الاخرة يعتبر به عظة لعلمه بان ما
خلق بهم انموذج مما اعد الله للمجرمين في الاخرة او ينزجر به عن موجباته لعلمه بانه

من الحق

من له مختار يعذب من يشاء ويرحم من يشاء فان من انكر الاخرة واحال فناء هذا العالم
لم يقل بالفاعل المختار وجعل تلك الوقايع لاسباب فلكية اتفقت في تلك الايام لا لذنوب
المهلكين بها **ذلك** اشارة الى يوم القيمة وعذاب الاخرة دل عليه **يوم مجموع له
الناس** اى يجمع له الناس والتغير للدلالة على ثبات معنى الجمع لليوم وانه من شانه لا محالة
وان الناس لا ينفكون عنه فهو ابلغ من قوله يوم يجمعكم ليوم الجمع ومعنى الجمع له
الجمع لما فيه من المحاسبة والمجازاة **وذلك يوم مشهود** اى مشهود فيه اهل السموات
والارضين فاتسع فيه باجراء الظرف مجرى المفعول به كقوله في محفل من نواصي الناس
مشهود اى كثير شاهدوه ولو جعل اليوم مشهودا في نفسه لبطل الغرض من تعظيم
اليوم وتميزه فان ساير الايام كذلك **وما نؤخره** اى اليوم **الا لاجل معدود**
الا لانتهاء مدة معدودة متناهية على حذف المضاف وارادة مدة التاجيل كلها بالاجل
لا منتهاها فانه غير معدود **يوم ياتى** اى الجزاء او اليوم كقوله ان تاتيهم الساعة على ان يوم
بمعنى حين او الله عز وجل كقوله هل ينظرون الا ان ياتيهم الله ونحوه وقرا ابن عامر
وعاصم وحمزة يات بحذف الياء اجتزاء عنه بالكسرة **لا تكلم نفس** لا تتكلم
بما ينفع وينجي من جواب او شفاعة وهو الناصب للظرف ويحتمل نصبه باضمار اذكر
او بالانتهاء المحذوف **الا باذنه** اى باذن الله كقوله لا يتكلمون الا من اذن له الرحمن
هذا في موقف وقوله هذا يوم لا ينطقون ولا يؤذن لهم فيعتذرون في موقف اخر و
الماذون فيه هي الجوابات الحقة والممنوع عنه هي الاعذار الباطلة **فمنهم شقي** وجبت له
النار بمقتضى الوعيد **وسعيد** وجبت له الجنة بموجب الوعد والضمير لاهل الموقف
وان لم يذكر لانه معلوم مدلول عليه بقوله لا تكلم نفس او للناس **فاما الذين
شقوا ففي النار لهم فيها زفير وشهيق** الزفير اخراج النفس والشهيق رده واستعمالهما
في اول النهيق واخره فالمراد بهما الدلالة على شدة كربهم وغمهم وتشبيه حالهم بمن
استولت الحرارة على قلبه وانحصر فيه روحه او تشبيه صراخهم باصوات الحمير وقرى
شقوا بالضم **خالدين فيها ما دامت السموات والارض** ليس لارتباط دوام كونهم
في النار بدوامهما فان النصوص دالة على تابيد دوامهم وانقطاع دوامهما بل التعبير
عن التابيد والمبالغة بما كانت العرب يعبرون به عنه على سبيل التمثيل ولو كان للارتباط
لم يلزم ايضا من زوال السموات والارض زوال عذابهم ولا من دوامه دوامهما
الا من قبيل المفهوم لان دوامهما كالملزوم لدوامه وقد عرفت ان المفهوم
لا يقاوم المنطوق وقيل المراد سموات الاخرة وارضها ويدل عليها قوله تعالى يوم
تبدل الارض غير الارض والسموات وان اهل الاخرة لا بد لهم من مظل ومقل وفيه
نظر لانه تشبيه بما لا يعرف اكثر الخلق وجوده ودوامه ومن عرفه فانما يعرفه
بما يدل على دوام الثواب والعقاب فلا يجدي له التشبيه **الا ما شاء ربك** استثناء من الخلود

في النار لان بعضهم وهم فساق الموحدين يخرجون منها وذلك كاف في صحة الاستثناء لان
زوال الحكم عن الكل يكفيه زواله عن البعض وهو المراد بالاستثناء الثاني
فانهم مفارقون عن الجنة ايام عذابهم فان التابيد من مبدا معين ينتقض باعتبار
الابتداء كما ينتقض باعتبار الانتهاء وهولاء وان شقوا بعصيانهم فقد سعدوا
بايمانهم ولا يقال فعلى هذا لم يكن قوله فمنهم شقي وسعيد تقسيما صحيحا لان من
شرطه ان يكون صفة كل قسم منتفية عن قسيمه لان ذلك الشرط حيث التقسيم
لانفصال حقيقي او مانع من الجمع وههنا المراد ان اهل الموقف لا يخرجون عن القسمين و
ان حالهم لا يخلو عن السعادة والشقاوة وذلك لا يمنع اجتماع الامرين في شخص
باعتبارين او لان اهل النار ينقلون منها الى الزمهرير وغيره من العذاب احيانا و
كذلك اهل الجنة ينعمون بما هو اعلى من الجنة كالاتصال بجناب القدس والفوز
برضوان الله ولقائه او من اصل الحكم والمستثنى زمان توقفهم في الموقف
للحساب لان ظاهره يقتضي ان يكونوا في النار حين ياتي اليوم او مدة لبثهم
في الدنيا والبرزخ ان كان الحكم مطلقا غير مقيد باليوم وعلى هذا التاويل
يحتمل ان يكون الاستثناء من الخلود على ما عرفت وقيل هو من قوله لهم فيها زفير
وشهيق وقيل الا ههنا بمعنى سوى كقولك على الف الا الالفان القديمان والمعنى
سوى ما شاء ربك من الزيادة التي لا اخر لها على مدة بقاء السموات والارض ان ربك
فعال لما يريد من غير اعتراض واما الذين سعدوا ففي الجنة خالدين فيها ما دامت
السموات والارض الا ما شاء ربك عطاء غير مجذوذ غير مقطوع وهو تصريح بان
الثواب لا ينقطع وتنبيه على ان المراد من الاستثناء في الثواب ليس الانقطاع ولاجله
فرق بين الثواب والعقاب في التابيد وقرا حمزة والكسائي وحفص سعدوا على البناء
للمفعول من سعده الله بمعنى اسعده وعطاء نصب على المصدر المؤكد اي اعطوا عطاء
او الحال من الجنة فلا تك في مرية شك بعد ما انزل عليك من مال الناس مما يعبد
هولاء من عبادة هولاء المشركين في انها ضلال مؤد الى مثل ما حل بمن قبلهم
ممن قصصت عليك سوء عاقبة عبادتهم او من حال ما يعبدونه في انه يضر ولا ينفع
ما يعبدون الا كما يعبد اباؤهم من قبل استئناف معناه تعليل النهي عن
المرية اي هم واباؤهم سواء في الشرك ما يعبدون الا كعبادتهم او ما يعبدون
شيئا الا مثل ما عبدوه من الاوثان وقد بلغك ما لحق اباءهم من ذلك فسيلحقهم
مثله لان التماثل في الاسباب يقتضي التماثل في المسببات ومعنى كما يعبد كما كان يعبد فحذف لدلالة
ما قبله عليه وانا لموفوهم نصيبهم حظهم من العذاب كابائهم او من الرزق
فيكون عذرا لتاخر العذاب عنهم مع قيام ما يوجبه غير منقوص حال من النصيب لتقييد
التوفية فانك تقول وفيته حقه وتريد به وفاء بعضه ولو مجازا ولقد اتينا موسى

الكتاب فاختلف فيه فامن به قوم وكفر به قوم كما اختلف هولاء
في القران ولولا كلمة سبقت من ربك يعني كلمة الانظار الى يوم القيمة
لقضي بينهم بانزال ما يستحقه المبطل ليتميز عن المحق وانهم وان كفار قومك
لفي شك منه من القران مريب موقع للريبة وان كلا وان كل المختلفين
المومنين منهم والكافرين والتنوين بدل المضاف اليه وقرا ابن كثير ونافع
وابو بكر بالتخفيف مع الاعمال اعتبارا للاصل لما ليوفينهم ربك اعمالهم اللام
الاولى موطئة للقسم والثانية للتاكيد او بالعكس وما مزيدة بينهما للفصل
وقرا ابن عامر وعاصم وحمزة لما بالتشديد على ان اصله لمن ما فقلبت النون ميما للادغام
فاجتمعت ثلث ميمات فحذفت اولاهن والمعنى لمن الذين يوفينهم ربك جزاء اعمالهم
وقرئ بالتنوين اي جميعا كقوله اكلا لما وان كل لما على ان ان نافية ولما بمعنى الا
وقد قرئ به انه بما يعملون خبير فلا يفوته شيء منه وان خفي فاستقم كما
امرت لما بين امر المختلفين في التوحيد والنبوة واطنب في شرح الوعد و
الوعيد امر رسوله بالاستقامة مثل ما امر بها وهي شاملة للاستقامة في العقايد
كالتوسط بين التشبيه والتعطيل بحيث يبقى العقل مصونا من الطرفين والاعمال
من تبليغ الوحي وبيان الشرايع كما انزل والقيام بوظايف العبادات من غير
تفريط وافراط مفوت للحقوق ونحوها وهي في غاية العسر ولذلك قال عليه السلام
شيبتني سورة هود ومن تاب معك اي تاب من الشرك والكفر وامن معك
وهو عطف على المستكن في استقم وان لم يؤكد بمنفصل لقيام الفاصل
مقامه ولا تطغوا ولا تخرجوا عما حد لكم انه بما تعملون بصير فهو مجازيكم
عليه وهو في معنى التعليل للامر والنهي وفي الاية دليل على وجوب اتباع النصوص
من غير تصرف ولا تركنوا الى الذين ظلموا فلا تميلوا اليهم ادنى ميل فان
الركون هو الميل اليسير كالتزيي بزيهم وتعظيم ذكرهم فتمسكم النار
بركونكم اليهم واذا كان الركون الى من وجد منه ما يسمى ظلما كذلك فما ظنك
بالركون الى الظالمين اي الموسومين بالظلم ثم بالميل اليهم كل الميل ثم بالظلم
نفسه والانهماك فيه ولعل الاية ابلغ ما يتصور في النهي عن الظلم والتهديد عليه و
خطاب الرسول ومن معه من المومنين بها للتثبيت على الاستقامة التي هي العدل
فان الزوال عنها بالميل الى احد طرفي افراط وتفريط وانه ظلم على نفسه وقرئ فتمسكم
بكسر التاء على لغة تميم وتركنوا على البناء للمفعول من اركنه وما لكم من دون
الله من اولياء من انصار يمنعون العذاب عنكم والواو للحال ثم لا تنصرون
اي ثم لا ينصركم الله اذ سبق في حكمه ان يعذبكم ولا يبقي عليكم وثم
لاستبعاد نصره اياهم وقد اوعدهم بالعذاب عليه واوجبه لهم ويجوز ان يكون

منزلا منزلة الفاء لمعنى الاستبعاد فانه لما بين ان الله معذبهم وان غيره لا يقدر
نصرهم انتج ذلك انهم لا ينصرون اصلا واقم الصلوة طرفي النهار غدوة
وعشية وانتصابه على الظرف لانه مضاف اليه وزلفا من الليل وساعات
منه قريبة من النهار فانه من ازلفه اذا قربه وهو جمع زلفة وصلوة الغداة
صلوة الصبح لانها اقرب الصلوات من اول النهار وصلوة العشية العصر وقيل
الظهر والعصر لان ما بعد الزوال عشي وصلوة الزلف المغرب والعشاء وقرئ زلفا
بضمتين وضمه وسكون كبسر ويسر في يسرة وزلفى بمعنى كقربى وقربة ان الحسنات
يذهبن السيئات يكفرنها وفي الحديث ان الصلوة الى الصلوة كفارة ما بينهما
ما اجتنبت الكباير وفي سبب النزول ان رجلا اتى النبي صلعم فقال اني قد اصبت
من امراة غير اني لم اتها فنزلت ذلك اشارة الى قوله فاستقم فما بعده وقيل
الى القرآن ذكرى للذاكرين عظة للمتعظين واصبر على الطاعات وعن
المعاصي فان الله لا يضيع اجر المحسنين عدول عن المضمر ليكون كالبرهان
على المقصود ودليلا على ان الصلوة والصبر احسان وايماء بانه لا يعتد بها دون
الاخلاص فلولا كان فهلا كان من القرون من قبلكم اولو بقية
من الراي والعقل او اولو فضل وانما سمي بقية لان الرجل يستبقي افضل ما يخرجه
ومنه يقال فلان من بقية القوم اي من خيارهم ويجوز ان يكون مصدرا كالتقية
اي ذوو ابقاء على انفسهم وصيانة لها من العذاب ويؤيده انه قرئ بقية وهي
المرة من مصدر بقاه يبقيه اذا راقبه ينهون عن الفساد في الارض الا
قليلا ممن انجينا منهم لكن قليلا منهم انجيناهم لانهم كانوا كذلك
ولا يصح اتصاله الا اذا جعل استثناء من النفي اللازم للتحضيض واتبع الذين ظلموا
ما اترفوا فيه ما انعموا فيه من الشهوات واهتموا بتحصيل اسبابها واعرضوا
عما وراء ذلك وكانوا مجرمين كافرين كانه اراد ان يبين ما كان
السبب لاستيصال الامم السالفة وهو فشو الظلم فيهم واتباعهم للهوى وترك
النهي عن المنكرات مع الكفر وقوله واتبع عطف على مضمر دل عليه الكلام
اذ المعنى فلم ينهوا عن الفساد واتبع الذين ظلموا وكانوا مجرمين عطف على اتبع او
اعتراض وقرئ واتبع اي واتبعوا جزاء ما اترفوا فيكون الواو للحال ويجوز ان
يفسر به المشهورة ويعضده تقدم الانجاء وما كان ربك ليهلك القرى
بظلم بشرك واهلها مصلحون فيما بينهم لا يضمون الى شركهم فسادا
وتباغيا وذلك لفرط رحمته ومسامحته في حقوقه ومن ذلك قدم الفقهاء
عند تزاحم الحقوق حقوق العباد وقيل الملك يبقى مع الكفر ولا يبقى مع الظلم
ولو شاء ربك لجعل امة واحدة مسلمين كلهم وهو دليل ظاهر على ان الامر

غير

غير الارادة وانه تعالى لم يرد الايمان من كل واحد وان ما اراده يجب وقوعه
ولا يزالون مختلفين بعضهم على الحق وبعضهم على الباطل لا تكاد تجد اثنين يتفقان
مطلقا الا من رحم ربك الا ناسا هداهم الله من فضله فاتفقوا على ما هو
اصول دين الحق والعمدة فيه ولذلك خلقهم ان كان الضمير للناس فالاشارة
الى الاختلاف واللام للعاقبة والى الرحمة وان كان لمن فالى الرحم وتمت كلمة
ربك وعيده او قوله للملايكة لاملان جهنم من الجنة والناس اجمعين
اي من عصاتها اجمعين او منهما اجمعين لا من احدهما وكلا نقص عليك من انباء
الرسل نخبرك به ما نثبت به فوادك بيان لكلا او بدل منه وفايدته التنبيه على
المقصود من الاقتصاص وهو زيادة يقينه وطمانينة قلبه وثبات نفسه على اداء
الرسالة واحتمال اذى الكفار او مفعول وكلا منصوب على المصدر بمعنى كل نوع من انواع
الاقتصاص نقص عليك ما نثبت به فوادك من انباء الرسل وجاءك في هذه السورة
من الانباء المقتصة عليك الحق ما هو الحق وموعظة وذكرى للمومنين اشارة
الى ساير فوايدها العامة وقل للذين لا يومنون اعملوا على مكانتكم على حالكم
انا عاملون على حالنا وانتظروا بنا الدواير انا منتظرون ان ينزل بكم نحو
ما نزل على امثالكم ولله غيب السموات والارض خاصة لا يخفى عليه خافية
مما فيهما واليه يرجع الامر كله فيرجع لا محالة امرهم وامرك اليه فاعبده
وتوكل عليه فانه كافيك وفي تقديم الامر بالعبادة على التوكل تنبيه على انه ينفع
العابد وما ربك بغافل عما تعملون انت وهم فيجازي كلا ما يستحقه عن رسول
الله صلعم من قرا سورة هود اعطي من الاجر عشر حسنات من صدق بنوح ومن
كذب به وهود وصالح وشعيب ولوط وابرهيم وموسى وكان يوم القيامة
من السعداء ان شاء الله تعالى سورة يوسف مكية وايها مائة واحدى عشرة

بسم الله الرحمن الرحيم الر تلك ايات الكتاب
المبين تلك اشارة الى ايات السورة وهي المراد بالكتاب اي تلك الايات ايات السورة
الظاهر امرها في الاعجاز او الواضحة معانيها او المبينة لمن تدبرها انها من
عند الله او لليهود ما سالوا اذ روي ان علماءهم قالوا لكبراء المشركين
سلوا محمدا لم انتقل ال يعقوب من الشام الى مصر وعن قصة يوسف فنزلت
انا انزلناه اي الكتاب قرانا عربيا سمي البعض قرانا لانه في الاصل اسم جنس
يقع على الكل والبعض وصار علما بالغلبة ونصبه على الحال وهو في نفسه اما
توطية للحال التي هي عربيا او حال لانه مصدر بمعنى مفعول وعربيا صفته او حال من
الضمير فيه او حال بعد حال وفي كل ذلك خلاف لعلكم تعقلون علة لانزاله
بهذه الصفة اي انزلناه مجموعا او مفرقا بلغتكم كي تفهموه وتحيطوا بمعانيه او تستعملوا

اى وكل نبأ ء مح

قوله تلك الايات ايات السورة اشارة الى
تلك مبتدا وما بعده خبره ومن المعلوم ان الاشارة
لابد ان يتقدم على الاشارة لان المشار اليه لم يوجد
ويمكن ان الاشارة الى الايات لا يلزم ان يكون موجودا
في الخارج قبل الاشارة بل يكفي ان يكون موجودا
في ذهن المخاطب قبلها وما نحن فيه من هذا القبيل
فان الر سواء جعل اسم السورة او جعل
نعدادا للحروف مما لبطل السورة والتحدي
او نعرض الايات وعلى التقديرين يحضر في ذهن
في الايات التي تضمنت السورة والتحدي
فصح ان يشار اليها بتلك باعتبار حضورها ذهنا
وان كانت متفرقة بحسب الوجود الخارجي شيخ زاده

فيه عقولكم فتعلموا ان اقتصاصه كذلك ممن لم يتعلم القصص معجز لا يتصور الا
بالايحاء نحن نقص عليك احسن القصص احسن الاقتصاص لانه اقتص على ابدع الاساليب
او احسن ما يقص لاشتماله على العجائب والحكم والآيات والعبر فعل بمعنى
مفعول كالنقص والسلب واشتقاقه من قص اثره اذا اتبعه بما اوحينا بايحائنا
اليك هذا القرآن يعني السورة ويجوز ان يجعل هذا مفعول نقص على ان احسن
نصب على المصدر وان كنت من قبله لمن الغافلين عن هذه القصة
لم تخطر ببالك ولم تقرع سمعك قط وهو تعليل لكونه يوحى ان هي المخففة من الثقيلة
واللام هي الفارقة اذ قال يوسف بدل من احسن القصص ان جعل مفعولا بدل الاشتمال
او منصوب باضمار اذكر ويوسف عبري ولو كان عربيا لصرف وقرئ بفتح السين
وكسرها على التلعب به لا على انه مضارع بني للمفعول او الفاعل من آسف لان المشهورة
شهدت بعجمته لابيه يعقوب بن اسحق بن ابرهيم وعنه عليه السلام الكريم ابن الكريم
ابن الكريم ابن الكريم يوسف بن يعقوب بن اسحق بن ابرهيم يا ابت اصله يا ابي فعوض عن الياء
تاء التانيث لتناسبهما في الزيادة ولذلك قلبها هاء في الوقف ابن كثير وابو عمرو ويعقوب
وكسرها لانها عوض حرف يناسبها وفتحها ابن عامر في كل القرآن لانها حركة اصلها
او لانه كان يا ابتا فحذف الالف وبقي الفتحة وانما جاز يا ابتا ولم يجز يا ابتي لانه جمع
بين العوض والمعوض وقرئ بالضم اجراء لها مجرى الاسماء المؤنثة بالتاء من غير
اعتبار التعويض وانما لم تسكن كاصلها لانها حرف صحيح منزل منزلة الاسم فيجب تحريكها
ككاف الخطاب اني رايت من الرؤيا لا من الرؤية لقوله لا تقصص رؤياك وقوله
هذا تاويل رؤياي احد عشر كوكبا والشمس والقمر روي عن جابر ان يهوديا
جاء الى رسول الله صلعم فقال اخبرني يا محمد عن النجوم التي راهن يوسف فسكت فنزل
جبريل فاخبره بذلك فقال اذا اخبرتك هل تسلم قال نعم قال جربان والطارق والذيال
وقابس وعمودان والفليق والمصبح والضروح والفرغ ووثاب وذو الكتفين راها
يوسف والشمس والقمر نزلن من السماء وسجدن له فقال اليهودي اي والله انها لاسماؤها
رايتهم لي ساجدين استيناف لبيان حالهم التي راهم عليها فلا تكرير وانما اجريت
مجرى العقلاء لوصفها بصفاتهم قال يا بني تصغير ابن صغره للشفقة او لصغر السن لانه
كان ابن اثنتي عشرة سنة لا تقصص رؤياك على اخوتك فيكيدوا لك كيدا فيحتالوا
لاهلاكك حيلة فهم يعقوب عليه السلام من رؤياه ان الله يصطفيه لرسالته ويفوقه
على اخوته فخاف عليه حسدهم وبغيهم والرؤيا كالرؤية غير انها مختصة بما يكون
في النوم فرق بينهما بحرفي التانيث كالقربة والقربى وهي انطباع الصورة المنحدرة
من افق المتخيلة الى الحس المشترك والصادقة منها انما تكون باتصال النفس بالملكوت
لما بينهما من التناسب عند فراغها من تدبير البدن ادنى فراغ فتتصور بما فيها مما يليق

من المعاني

من المعاني الحاصلة هناك ثم ان المتخيلة تحاكيه بصورة تناسبه فترسلها الى الحس المشترك
فتصير مشاهدة ثم ان كانت شديدة المناسبة لذلك المعنى بحيث لا يكون التفاوت الا
بالكلية والجزئية استغنت الرؤيا عن التعبير والا احتاجت اليه وانما عدي كاد باللام
وهو متعد بنفسه لتضمنه معنى فعل يعدى به تاكيدا ولذلك اكد بالمصدر وعلل بقوله
ان الشيطان للانسان عدو مبين ظاهر العداوة لما فعل بآدم وحواء فلا يالو
جهدا في تسويلهم واثارة الحسد فيهم حتى يحملهم على الكيد وكذلك اي وكما
اجتباك لمثل هذه الرؤيا الدالة على شرف وعز وكمال نفس يجتبيك ربك للنبوة
والملك او لامور عظام والاجتباء من جبيت الشيء اذا حصلته لنفسك ويعلمك كلام
مبتدا خارج عن التشبيه كانه قيل وهو يعلمك من تاويل الاحاديث من تعبير
الرؤيا لانها احاديث الملك ان كانت صادقة واحاديث النفس او الشيطان ان كانت
كاذبة او من تاويل غوامض كتب الله وسنن الانبياء وكلمات الحكماء وهو
اسم جمع للحديث كاباطيل اسم جمع للباطل ويتم نعمته عليك بالنبوة او بان يصل نعمة الدنيا
بنعمة الآخرة وعلى آل يعقوب يريد به سائر بنيه ولعله استدل على نبوتهم بضوء الكواكب
او نسله كما اتمها على ابويك بالرسالة وقيل على ابرهيم بالخلة والانجاء من النار
وعلى اسحق بانقاذه بذبح عظيم من قبل من قبلك او من قبل هذا الوقت ابرهيم واسحق عطف
بيان لابويك ان ربك عليم بمن يستحق الاجتباء حكيم يفعل الاشياء على ما ينبغي لقد كان
في يوسف واخوته اي في قصتهم آيات دلائل قدرة الله وحكمته او علامات نبوتك
للسائلين لمن سال عن قصتهم والمراد باخوته علاته العشرة وهم يهوذا وروبيل و
شمعون ولاوي وريالون ويشجر ودينة من بنت خالته ليا تزوجها يعقوب اولا
فلما توفيت تزوج اختها راحيل فولدت له بنيامين ويوسف وقيل جمع بينهما ولم يكن
الجمع محرما حينئذ واربعة آخرون دان ونفتالي وجاد واشر من سريتين زلفة
وبلهة اذ قالوا ليوسف واخوه بنيامين وتخصيصه بالاضافة لاختصاصه بالاخوة من
الطرفين احب الى ابينا منا وحده لان افعل من لا يفرق فيه بين الواحد وما فوقه والمذكر
وما يقابله بخلاف اخويه فان الفرق واجب في المحلى جائز في المضاف ونحن عصبة و
الحال انا جماعة اقوياء احق بالمحبة من صغيرين لا كفاية فيهما والعصبة والعصابة
العشرة فصاعدا سموا بذلك لان الامور تعصب بهم ان ابانا لفي ضلال مبين لتفضيله
المفضول او لترك التعديل في المحبة روي انه كان احب اليه لما يرى فيه من المخايل
وكان اخوته يحسدونه فلما راى الرؤيا ضاعف له المحبة بحيث لم يصبر عنه فتبالغ
حسدهم حتى حملهم على التعرض له اقتلوا يوسف من جملة المحكي بعد قوله اذ قالوا
كانهم اتفقوا على ذلك الا من قال لا تقتلوا وقيل انما قاله شمعون او دان ورضي به
الاخرون او اطرحوه ارضا منكورة بعيدة من العمران وهو معنى تنكيرها وابهامها

ولذلك نصبت كالظروف المبهمة **يخل لكم وجه ابيكم** جواب الامر والمعنى يصف لكم وجه ابيكم فيقبل بكليته عليكم ولا يلتفت عنكم الى غيركم ولا ينازعكم في محبته احد **وتكونوا** جزم بالعطف على محله او نصب باضمار ان **من بعده** بعد يوسف او الفراغ من امره او قتله او طرحه **قوما صالحين** تائبين الى الله عما جنيتم او صالحين مع ابيكم يصلح ما بينكم وبينه بعذر تمهدونه او صالحين في امر دنياكم فانه ينتظم لكم بعده بخلو وجه ابيكم **قال قائل منهم** يعني يهوذا وكان احسنهم فيه رأيا وقيل روبيل **لا تقتلوا يوسف** فان القتل عظيم **والقوه في غيابة الجب** في قعره سمي بها لغيبوبته عن عين الناظر وقرأ نافع في الموضعين غيابات على الجمع كانه لتلك الجب غيابات وقرئ غيبة وغيابات بالتشديد **يلتقطه** ياخذه **بعض السيارة** بعض الذين يسيرون في الارض **ان كنتم فاعلين** بمشورتي او ان كنتم على ان تفعلوا ما يفرق بينه وبين ابيه **قالوا يا ابانا ما لك لا تامنا على يوسف** لم تخافنا عليه **وانا له لناصحون** ونحن نشفق عليه ونريد له الخير ارادوا به استنزاله عن رايه في حفظه منهم لما تنسم من حسدهم والمشهور تأمنا بالادغام باشمام وعن نافع ترك الاشمام ومن الشواذ ترك الادغام لانهما من كلمتين وتيمنا بكسر التاء **ارسله معنا غدا** الى الصحراء **نرتع** نتسع في اكل الفواكه ونحوها من الرتعة وهي الخصب **ونلعب** بالاستباق والانتضال وقرأ ابن كثير نرتع بكسر العين على انه من ارتعى يرتعي ونافع بالكسر والياء فيه وفي نلعب وقرأ الكوفيون ويعقوب بالياء والنون على اسناد الفعل الى يوسف وقرئ يرتع من ارتع ماشيته ويرتع بكسر العين ويلعب بالرفع على الابتداء **وانا له لحافظون** ان يناله مكروه **قال اني ليحزنني ان تذهبوا به** لشدة مفارقته علي وقلة صبري عنه **واخاف ان ياكله الذئب** لان الارض كانت مذأبة وقيل رأى في المنام ان الذئب قد شد على يوسف وكان يحذره وقد همزها على الاصل ابن كثير ونافع في رواية ابو عمرو وقفا وعاصم وابن عامر وحمزة درجا واشتقاقه من تذاءبت الريح اذا هبت من كل جهة **قالوا لئن اكله الذئب ونحن عصبة** اللام موطئة للقسم وجوابه **انا اذا لخاسرون** ضعفاء مغبونون او مستحقون لان يدعى عليهم بالخسار والواو في ونحن للحال **فلما ذهبوا به واجمعوا ان يجعلوه في غيابة الجب** عزموا على القائه فيها والبئر بئر بيت المقدس او بئر بارض الاردن او بين مصر ومدين او على ثلاثة فراسخ من مقام يعقوب وجواب لما محذوف مثل فعلوا به من الاذى فقد روي انهم لما برزوا به الى الصحراء اخذوا يؤذونه ويضربونه حتى كادوا يقتلونه فجعل يصيح ويستغيث فقال يهوذا اما عاهدتموني ان لا تقتلوه فاتوا به الى البئر فدلوه فيها فتعلق بشفيرها فربطوا يديه ونزعوا قميصه ليلطخوه بالدم ويحتالوا به على ابيهم وقال يا اخوتاه

يوشيده شوم

ردوا علي قميصي اتوارى به فقالوا ادع الاحد عشر كوكبا والشمس والقمر يلبسوك ويؤنسوك فلما بلغ نصفها القوه وكان فيها ماء فسقط فيه ثم اوى الى صخرة كانت فيها فقام عليها يبكي فجاءه جبريل عليه السلام بالوحي كما قال **واوحينا اليه** وكان ابن سبع عشرة سنة وقيل كان مراهقا اوحي اليه في صغره كما اوحي الى يحيى وعيسى عليهما السلام وفي القصص ان ابراهيم عليه السلام حين القي الى النار جرد عن ثيابه واتاه جبريل عليه السلام بقميص من حرير الجنة فالبسه اياه فدفعه ابراهيم الى اسحق واسحق الى يعقوب فجعله في تميمة علقها بيوسف فاخرجه جبريل والبسه اياه **لتنبئنهم بامرهم هذا** لتحدثنهم بما فعلوا بك **وهم لا يشعرون** انك يوسف لعلو شانك وبعده عن اوهامهم وطول العهد المغير للحلى والهيئات وذلك اشارة الى ما قال لهم بمصر حين دخلوا عليه ممتارين فعرفهم وهم له منكرون بشره بما يؤول اليه امره ايناسا له وتطييبا لقلبه وهم لا يشعرون ذلك **وجاءوا اباهم عشاء** آخر النهار وقرئ عشيا وهو تصغير عشي وعشى بالضم والقصر جمع اعشى اي عشوا من البكاء **يبكون** متباكين روي انه لما سمع بكاءهم فزع وقال ما لكم يا بني واين يوسف **قالوا يا ابانا انا ذهبنا نستبق** نتسابق في العدو او في الرمي وقد يشترك الافتعال والتفاعل كالانتضال والتناضل **وتركنا يوسف عند متاعنا فاكله الذئب وما انت بمؤمن لنا** بمصدق لنا **ولو كنا صادقين** لسوء ظنك بنا وفرط محبتك ليوسف **وجاءوا على قميصه بدم كذب** اي ذي كذب بمعنى مكذوب فيه ويجوز ان يكون وصفا بالمصدر للمبالغة وقرئ بالنصب على الحال من الواو اي جاءوا كاذبين وكدب بالدال غير المعجمة اي كدر او طري وقيل اصله البياض الخارج على اظفار الاحداث فشبه به الدم اللاصق على القميص وعلى قميصه في موضع النصب على الظرف اي فوق قميصه او على الحال من الدم ان جوز تقدمها على المجرور روي انه لما سمع بخبر يوسف صاح وسال عن قميصه واخذه والقاه على وجهه وبكى حتى خضب وجهه بدم القميص وقال ما رأيت كاليوم ذئبا احلم من هذا اكل ابني ولم يمزق عليه قميصه ولذلك **قال بل سولت لكم انفسكم امرا** اي سهلت لكم وهونت في اعينكم امرا عظيما من السول وهو الاسترخاء **فصبر جميل** اي فامري صبر جميل او فصبر جميل اجمل وفي الحديث الصبر الجميل الذي لا شكوى فيه الى الخلق **والله المستعان على ما تصفون** على احتمال ما تصفونه من هلاك يوسف وهذه الجريمة كانت قبل استنبائهم ان صح **وجاءت سيارة** رفقة من مدين الى مصر فنزلوا قريبا من الجب وكان ذلك بعد ثلث من القائه فيها **فارسلوا واردهم** الذي يرد الماء ويستقي لهم وكان مالك بن ذعر الخزاعي **فادلى دلوه** ... **قال يا بشرى هذا غلام** نادى البشرى بشارة لنفسه او لقومه كانه قال تعال فهذا اوانك وقيل هو اسم لصاحب له

فادلى دلوه فارسلها في الجب فتعلق بها يوسف فلما رآه م

ناداه ليعينه على اخراجه وقرا غير الكوفيين يا بشراي بالاضافة وقرئ يا بشريّ بالادغام
وهو لغة وبشرايْ بالسكون على قصد الوقف واسروه اي الوارد واصحابه من سائر الرفقة
وقيل اخفوا امره وقالوا لهم دفعه الينا اهل الماء لنبيعه لهم بمصر وقيل الضمير
لاخوة يوسف وذلك ان يهودا كان ياتيه كل يوم بالطعام فاتاه يومئذ فلم يجده
فيها فاخبر اخوته فاتوا الرفقة وقالوا هذا غلامنا فاشتروه وسكت يوسف مخافة ابق منا
ان يقتلوه بضاعة نصب على الحال اي اخفوه متاعا للتجارة واشتقاقه من البضع فانه
ما بضع من المال للتجارة والله عليم بما يعملون لم يخف عليه اسرارهم او صنيع اخوة
يوسف بابيهم واخيهم وشروه وباعوه وفي مرجع الضمير الوجهان او اشتروه من
اخوته بثمن بخس مبخوس لزيفه او نقصانه دراهم بدل من الثمن معدودة
قليلة فانهم كانوا يزنون ما بلغ الاوقية ويعدون ما دونها قيل كان عشرين
درهما وقيل اثنين وعشرين وكانوا فيه في يوسف من الزاهدين الراغبين
عنه والضمير في وكانوا ان كان للاخوة فظاهر وان كان للرفقة وكانوا بايعين
فزهدهم فيه لانهم التقطوه والملتقط للشيء متهاون به خائف عن انتزاعه مستعجل
في بيعه وان كانوا مبتاعين فلانهم اعتقدوا انه ابق وفيه متعلق بالزاهدين
ان جعل اللام للتعريف وان جعل بمعنى الذي فهو متعلق بمحذوف يبينه الزاهدين لان متعلق
الصلة لا يتقدم على الموصول وقال الذي اشتراه من مصر وهو العزيز الذي كان على
خزائن مصر واسمه قطفير وكان الملك يومئذ ريان بن الوليد العمليقي وقد امن بيوسف او اطفير
ومات في حياته وقيل كان فرعون موسى عاش اربعمائة سنة بدليل قوله ولقد جاءكم
يوسف من قبل بالبينات والمشهور انه من اولاد فرعون يوسف والاية من
قبيل خطاب الاولاد باحوال الاباء روي انه اشتراه العزيز وهو ابن سبع عشرة سنة
ولبث في منزله ثلث عشرة سنة واستوزره الريان وهو ابن ثلثين سنة وتوفي
وهو ابن مائة وعشرين واختلف فيما اشتراه به من جعل شراه غير الاول فقيل عشرون
دينارا وزوجا نعل وثوبان ابيضان وقيل ملؤه فضة وقيل ذهبا لامراته
راعيل او زليخا اكرمي مثواه اجعلي مقامه عندنا كريما اي حسنا والمعنى احسني
تعهده عسى ان ينفعنا في ضياعنا واموالنا ونستظهر به في مصالحنا او نتخذه ولدا
نتبناه وكان عقيما لما تفرس فيه من الرشد ولذلك قيل افرس الناس ثلثة عزيز
مصر وابنة شعيب التي قالت يا ابت استاجره وابو بكر حين استخلف عمر وكذلك مكنا
ليوسف في الارض وكما مكنا محبته في قلب العزيز او كما مكناه في منزله
او كما انجيناه وعطفنا عليه العزيز مكنا له فيها ولنعلمه من تاويل الاحاديث
عطف على مضمر تقديره ليتصرف فيها بالعدل ولنعلمه اي كان القصد في انجائه وتمكينه الى
ان يقيم العدل ويدبر امور الناس ويعلم معاني كتب الله واحكامه فينفذها او تعبير المنامات

المنبهة

المنبهة عن الحوادث الكائنة ليستعد لها ويشتغل بتدبيرها قبل ان تحل كما فعل لسنيه
والله غالب على امره لا يرده شيء ولا ينازعه فيما يشاء او على امر يوسف اراد به
اخوة يوسف شيئا واراد الله غيره فلم يكن الا ما اراده ولكن اكثر الناس
لا يعلمون ان الامر كله بيده او لطائف صنعه وخفايا لطفه ولما بلغ اشده منتهى
اشتداد جسمه وقوته وهو سن الوقوف ما بين الثلثين والاربعين وقيل سن
الشباب ومبدؤه بلوغ الحلم اتيناه حكما حكمة وهو العلم المؤيد بالعمل
او حكما بين الناس وعلما يعني علم تاويل الاحاديث وكذلك نجزي المحسنين
تنبيه على ان الله تعالى انما اتاه ذلك جزاء على احسانه في عمله واتقائه في عنفوان
امره وراودته التي هو في بيتها عن نفسه طلبت منه وتمحلت ان يواقعها
من راد يرود اذا جاء وذهب لطلب شيء ومنه الرائد وغلقت الابواب
قيل كانت سبعة والتشديد للتكثير او للمبالغة في الايثاق وقالت هيت لك
اي اقبل وبادر او تهيأت والكلمة على الوجهين اسم فعل بني على الفتح كاين و
اللام للتبيين كالتي في سقيا لك وقرأ ابن كثير بالضم تشبيها له بحيث ونافع وابن عامر برواية ابن ذكوان
بالفتح وكسر الهاء كعيط وهي لغة فيه وقرئ هيت كجير وهئت كجئت من هاء
يهيء اذا تهيأ وعلى هذا فاللام من صلته قال معاذ الله اعوذ بالله معاذا انه ان الشان
ربي احسن مثواي سيدي قطفير احسن تعهدي اذ قال لك في اكرمي مثواه فما جزاؤه
ان اخونه في اهله وقيل الضمير لله اي انه خالقي واحسن منزلتي بان عطف علي قلبه فلا
اعصيه انه لا يفلح الظالمون المجازون الحسن بالسيء وقيل الزناة فان الزنا ظلم على
الزاني باهله والمزني باهله ولقد همت به وهم بها قصدت مخالطته وقصد مخالطتها
والهم بالشيء قصده والعزم عليه ومنه الهمام وهو الذي اذا هم بشيء امضاه والمراد
بهمه ميل الطبع ومنازعة الشهوة لا القصد الاختياري وذلك مما لا يدخل تحت التكليف
بل الحقيق بالمدح والاجر الجزيل من الله من يكف نفسه عن الفعل عند قيام هذا الهم
او مشارفة الهم كقولك قتلته لو لم اخف الله لولا ان راى برهان ربه في قبح الزنا
وسوء مغبته لخالطها لشبق الغلمة وكثرة المبالغة ولا يجوز ان يجعل وهم بها
جواب لولا فانها في حكم ادوات الشرط فلا يتقدم عليها جوابها بل الجواب محذوف
يدل عليه وقيل راى جبريل وقيل تمثل له يعقوب عاضا على انامله وقيل قطفير وقيل
نودي يا يوسف انت مكتوب في الانبياء وتعمل عمل السفهاء كذلك اي مثل ذلك
التثبيت ثبتناه او الامر مثل ذلك لنصرف عنه السوء خيانة السيد والفحشاء
الزنا انه من عبادنا المخلصين الذين اخلصهم الله لطاعته وقرأ ابن كثير
وابو عمرو وابن عامر ويعقوب بالكسر في كل القرآن اي الذين اخلصوا دينهم لله تعالى
واستبقا الباب تسابقا الى الباب فحذف الجار او ضمن الفعل معنى الابتدار وذلك

ان يوسف فرّ منها ليخرج واسرعت وراءه لتمنعه الخروج وقدّت قميصه من دبر
اجتذبته من ورائه فانقدّ قميصه والقدّ الشق طولا والقط الشق عرضا والفيا
سيدها وصادفا زوجها لدى الباب قالت ما جزاء من اراد باهلك سوءا
الا ان يسجن او عذاب اليم ايهاما بانها فرّت منه تبرئة لساحتها عند زوجها
وتغييره على يوسف واغرائه به انتقاما منه وما نافية او استفهامية بمعنى اي شيء
جزاؤه الا السجن قال هي راودتني عن نفسي طالبتني بالمواطاة وانما قال ذلك
دفعا لما عرّضته له من السجن او العذاب ولو لم تكذب عليه لما قاله وشهد شاهد
من اهلها قيل ابن عمها وقيل ابن خال لها صبيا في المهد وعن النبي صلعم تكلم
اربعة صغار ابن ماشطة فرعون وشاهد يوسف وصاحب جريج وعيسى وانما القى الله الشهادة
على لسان اهلها ليكون الزم عليها ان كان قميصه قدّ من قبل فصدقت
وهو من الكاذبين لانه يدل على انها قدّت قميصه من قدامه بالدفع عن
نفسها او انه اسرع خلفها فتعثر بذيله فانقدّ جيبه وان كان قميصه قدّ من دبر
فكذبت وهو من الصادقين لانه يدل على انها تبعته فاجتذبت ثوبه
فقدّته والشرطية محكية على ارادة القول او على ان فعل الشهادة من القول
وتسميتها شهادة لانها ادّت مؤداها والجمع بين ان وكان على تاويل ان يعلم
انه كان ونحوه ونظيره قولك ان احسنت الي فقد احسنت اليك من قبل فان معناه
ان تمنن علي باحسانك امنن عليك باحساني السابق وقرئ من قبل ومن دبر
بالضم لانهما قطعا عن الاضافة كقبل وبعد وبالفتح كانهما جعلا علمين
للجهتين فمنعا الصرف وبسكون العين فلما رأى قميصه قدّ من دبر قال
انه ان قولك ما جزاء من اراد باهلك سوءا او ان السوء او ان هذا الامر من
كيدكن من حيلتكن والخطاب لها ولامثالها او لسائر النساء ان
كيدكن عظيم فان كيد النساء الطف واعلق بالقلب واشد تاثيرا في النفس
ولانهن يواجهن به الرجال والشيطان يوسوس به مسارقة يوسف حذف منه
حرف النداء لقربه وتفطنه للحديث اعرض عن هذا اكتمه ولا تذكره واستغفري
لذنبك يا راعيل انك كنت من الخاطئين من القوم المذنبين من خطئ اذا
اذنب متعمدا والتذكير للتغليب وقال نسوة هي اسم لجمع امرأة وتانيثه
بهذا الاعتبار غير حقيقي ولذلك جرد فعله وضم النون لغة فيها في المدينة ظرف
لقال اي اشعن الحكاية في مصر او صفة نسوة وكن خمسا زوجة الحاجب
والساقي والخباز والسجان وصاحب الدواب امرأة العزيز تراود فتاها
عن نفسه تطلب مواقعة غلامها اياها والعزيز بلسان العرب الملك واصل فتى
فتي لقولهم فتيان والفتوة شاذة قد شغفها حبا شق شغاف قلبها وهو حجابه

حتى وصل

حتى وصل الى فؤادها حبا ونصبه على التمييز لصرف الفعل عنه وقرئ شعفها من شعف البعير
اذا هنأه بالقطران فاحرقه انا لنراها في ضلال مبين في ضلال عن الرشد وبعد عن الصواب
فلما سمعت بمكرهن باغتيابهن وانما سماه مكرا لانهن اخفينه كما
يخفي الماكر مكره او قلن ذلك لتريهن يوسف او لانها استكتمتهن سرها
فافشينه عليها ارسلت اليهن تدعوهن قيل دعت اربعين امرأة فيهن الخمس
واعتدت لهن متكأ ما يتكئن عليه من الوسائد وآتت كل واحدة منهن
سكينا حتى يتكئن والسكاكين بايديهن فاذا خرج عليهن يبهتن ويشغلن عن نفوسهن
فتقع ايديهن على ايديهن فيقطعنها فيبكّتن بالحجة او يهاب يوسف من مكرها اذا
خرج وحده على اربعين امرأة في ايديهن الخناجر وقيل متكأ طعاما او مجلس طعام
فانهم كانوا يتكئون للطعام والشراب ترفا ولذلك نهي عنه قال جميل فظللنا بنعمة واتكأنا
وشربنا الحلال من قلله وقيل المتكأ طعام يحزّ حزا كان القاطع يتكئ عليه بالسكين و
قرئ متكا بحذف الهمزة ومتكاء باشباع الفتحة كمنتزاح ومتكا وهو الاترج او ما يقطع
من متك الشيء اذا بتكه ومتكأ من تكئ يتكأ اذا اتكأ وقالت اخرج عليهن فلما
رأينه اكبرنه عظمنه وهبن حسنه الفائق وعن النبي صلعم رأيت يوسف ليلة المعراج
كالقمر ليلة البدر وقيل كان يرى تلألؤ وجهه على الجدران وقيل اكبرن بمعنى حضن
من اكبرت المرأة اذا حاضت لانها تدخل الكبر بالحيض والهاء ضمير للمصدر او ليوسف
على حذف اللام اي حضن له من شدة الشبق كما قال المتنبي خف الله واستر ذا الجمال
ببرقع فان لحت حاضت في الخدور العواتق وقطعن ايديهن جرحنها بالسكاكين
من فرط الدهشة وقلن حاش لله تنزيها له من صفات العجز وتعجبا من قدرته
على خلق مثله واصله حاشا كما قرأه ابو عمرو في الدرج فحذفت الفه الاخيرة تخفيفا
وهو حرف يفيد معنى التنزيه في باب الاستثناء فوضع موضع التنزيه واللام للبيان
كما في قولك سقيا لك وقرئ حاشا الله بغير لام وحاش الله بالتنوين على تنزيله منزلة
المصدر وقيل حاشا فاعل من الحشا الذي هو الناحية وفاعله ضمير يوسف اي صار
في ناحية الله مما يتوهم فيه ما هذا بشرا لان هذا الجمال غير معهود للبشر وهو على لغة
الحجاز في اعمال ما عمل ليس لمشاركتها في نفي الحال وقرئ بشر بالرفع على لغة تميم وبشرى
بعبد مشترى لئيم ان هذا الا ملك كريم فان الجمع بين الجمال الرائق والكمال الفائق
والعصمة البالغة من خواص الملائكة او لان جماله فوق جمال البشر ولا يفوقه فيه
الا الملك قالت فذلكن الذي لمتنني فيه اي فهو ذلك العبد الكنعاني الذي لمتنني فيه
في الافتتان به قبل ان تتصورنه حق تصوره ولو تصورتنه بما عاينتن لعذرتنني او
فهذا هو الذي لمتنني فيه فوضع ذلك موضع هذا رفعا لمنزلة المشار اليه ولقد راودته
عن نفسه فاستعصم فامتنع طالبا للعصمة اقرت لهن حين عرفت انهن يعذرنها

العواتق الابكار من النساء

يعني براءة الله

كى يعاودها على الاباء عن نكته ولئن لم يفعل ما امره اى ما امره به فحذف الجار
او امرى اياه بمعنى موجبا مرى فيكون الضمير ليوسف ليسجنن وليكونا من الصاغرين
من الاذلاء وهو من صغر بالكسر يصغر صغرا وصغارا والصغير من صغر بالضم صغرا وقرئ
ليكونن وهو يخالف خط المصحف لان النون كتبت فيه بالالف لشبهها على حكم
الوقف وذلك فى الخفيفة لشبهها بالتنوين قال رب السجن وقرأ يعقوب بالفتح على
المصدر احب الى مما يدعوننى اليه اى آثر عندى من مؤاتاتها زنا نظرا الى العاقبة
وان كان هذا مما تشتهيه النفس وذلك مما تكرهه واسناد الدعوة اليهن جميعا لانهن
خوفنه عن مخالفتها وزين له مطاوعتها او دعونه الى انفسهن وقيل انما ابتلى
بالسجن لقوله هذا وانما كان الاولى به ان يسأل الله العافية ولذلك رد رسول الله صلعم
على من كان يسأل الصبر والا تصرف عنى وان لم تصرف عنى كيدهن فى تحبيب
ذلك الى وتحسينه عندى بالتثبيت على العصمة اصب اليهن اميل الى جانبهن او الى
انفسهن بطبعى ومقتضى شهوتى والصبوة الميل الى الهوى ومنه الصبا لان النفوس
تستطيبها وتميل اليها وقرئ اصب من الصبابة وهى الشوق واكن من الجاهلين
من السفهاء بارتكاب ما تدعوننى اليه فان الحكيم لا يفعل القبيح او من الذين لا
يعملون بما يعلمون فانهم والجهال سواء فاستجاب له ربه فاجاب الله دعاءه
الذى تضمنه قوله والا تصرف فصرف عنه كيدهن فثبته بالعصمة حتى وطن نفسه
على مشقة السجن وآثرها على اللذة المتضمنة للعصيان انه هو السميع لدعاء الملتجئين
اليه العليم باحوالهم وما يصلحهم ثم بدا لهم ثم ظهر للعزيز
واهله من بعد ما راوا الآيات الشواهد الدالة على براءة يوسف كشهادة الصبى وقد القميص وقطع
النساء ايديهن واستعصامه عنهن وفاعل بدا مضمر يفسره ليسجننه حتى حين و
ذلك لانها خدعت زوجها وحملته على سجنه زمانا حتى تبصر ما يكون منه او يحسب
الناس انه المجرم فلبث فى السجن سبع سنين وقرئ بالتاء على ان بعضهم خاطب به
العزيز على التعظيم او العزيز ومن يليه وعتى بلغة هذيل ودخل معه السجن
فتيان اى ادخل يوسف السجن واتفق ان ادخل حينئذ آخران من عبيد الملك شرابيه
وخبازه للاتهام بانهما يريدان ان يسماه قال احدهما يعنى الشرابى انى ارانى
اى فى المنام وهى حكاية حال ماضية اعصر خمرا اى عنبا وسماه بما يؤول اليه وقال الآخر
اى الخباز انى ارانى احمل فوق راسى خبزا تاكل الطير منه تنهش منه نبئنا بتاويله
انا نريك من المحسنين من الذين يحسنون تاويل الرؤيا او من العالمين وانما قالا
ذلك لانهما رأياه فى السجن يذكر الناس ويعبر رؤياهم او من المحسنين الى اهل السجن
فاحسن الينا بتاويل ما رأينا ان كنت تعرفه قال لا ياتيكما طعام ترزقانه الا
نبأتكما بتاويله اى بتاويل ما قصصتما على او بتاويل الطعام يعنى بيان

ماهيته

ماهيته وكيفيته فانه يشبه تفسير المشكل كانه اراد ان يدعوهما الى التوحيد و
يرشدهما الطريق القويم قبل ان يسعف الى ما سألاه منه كما هو طريقة الانبياء
والنازلين منازلهم من العلماء فى الهداية والارشاد فقدم ما يكون معجزة لهم من
الاخبار بالغيب ليدلهما على صدقه فى الدعوة والتعبير قبل ان ياتيكما ذلكما
اى ذلك التاويل مما علمنى ربى بالالهام والوحى فليس من قبيل التكهن والتنجيم انى
تركت ملة قوم لا يؤمنون بالله وهم بالآخرة هم كافرون تعليل لما قبله
اى علمنى ذلك لانى تركت ملة اولئك واتبعت ملة آبائى ابراهيم واسحق ويعقوب او كلام
مبتدأ لتمهيد الدعوة واظهار انه من بيت النبوة لتقوى رغبتهما فى الاستماع اليه والوثوق
عليه ولذلك جوز للخامل ان يصف نفسه حتى يعرف فيقتبس منه وتكرير الضمير للدلالة
على اختصاصهم وتاكيد كفرهم بالآخرة ما كان لنا ما صح لنا معشر الانبياء ان نشرك بالله من
شئ اى شئ كان ذلك اى التوحيد من فضل الله علينا بالوحى وعلى الناس وعلى سائر
الناس يبعثنا لارشادهم وتثبيتهم عليه ولكن اكثر الناس المبعوث اليهم
لا يشكرون هذا الفضل فيعرضون عنه ولا يتنبهون او من فضل الله علينا وعليهم
بنصب الدلائل وانزال الآيات ولكن اكثرهم لا ينظرون اليها ولا يستدلون بها
فيلغونها كمن يكفر النعمة ولا يشكرها يا صاحبى السجن اى يا ساكنيه او يا صاحبى
فيه واضافهما اليه على الاتساع كقوله يا سارق الليلة اهل الدار أأرباب متفرقون
شتى متعددة متساوية الاقدام خير ام الله الواحد المتوحد بالالوهية القهار الغالب
الذى لا يعادله ولا يقاومه غيره ما تعبدون من دونه خطاب لهما ولمن على دينهما
من اهل مصر الا اسماء سميتموها انتم وآباؤكم ما انزل الله بها من سلطان اى
الا اشياء باعتبار اسامى اطلقتم عليها من غير حجة تدل على تحقق مسمياتها فيها
فكانكم لا تعبدون الا الاسماء المجردة والمعنى انكم سميتم ما لم يدل على استحقاقه
الالهية عقل ولا نقل آلهة ثم اخذتم تعبدونها باعتبار ما تطلقون عليها ان الحكم
فى امر العبادة الا لله لانه المستحق لها بالذات من حيث انه الواجب لذاته الموجد للكل
والمالك لامره امر على لسان انبيائه ان لا تعبدوا الا اياه الذى دلت عليه الحجج
ذلك الدين القيم الحق وانتم لا تميزون المعوج عن القويم وهذا من التدرج فى الدعوة
والزام الحجة بين لهم اولا رجحان التوحيد على اتخاذ الآلهة على طريق الخطابة ثم
برهن على ان ما يسمونها آلهة ويعبدونها لا يستحق الالهية فان استحقاق العبادة اما
بالذات واما بالغير وكلا القسمين منتف عنها ثم نص على ما هو الحق القويم والدين المستقيم
الذى لا يقتضى العقل غيره ولا يرتضيه العلم دونه ولكن اكثر الناس لا يعلمون فيخبطون
فى جهالاتهم يا صاحبى السجن اما احدكما يعنى الشرابى فيسقى ربه خمرا كما كان
يسقيه قبل ويعود الى ما كان عليه واما الآخر يعنى الخباز فيصلب فتاكل الطير من راسه

فقالا كذبنا فقال **قضي الامر الذي فيه تستفتيان** اي قطع الامر الذي تستفتيان فيه وهو ما يؤول اليه امركما ولذلك وحده فانهما وان استفتيا في امرين لكنهما ارادا استبانة عاقبة ما نزل بهما **وقال للذي ظن انه ناج منهما** الظان يوسف ان ذكر ذلك عن اجتهاد وان ذكره عن وحي فهو الناجي الا ان يأول الظن باليقين **اذكرني عند ربك** اذكر حالي عند الملك كي يخلصني **فانسيه الشيطان ذكر ربه** فانسى الشرابي ان يذكره لربه فاضاف اليه المصدر لملابسة له او على تقدير ذكر اخبار ربه او انسى يوسف ذكر الله حتى استعان بغيره ويؤيده قوله عليه السلام رحم الله اخي يوسف لو لم يقل اذكرني عند ربك لما لبث في السجن سبعا بعد الخمس والاستعانة بالعباد في كشف الشدائد وان كانت محمودة في الجملة لكنها لا يليق بمنصب الانبياء **فلبث في السجن بضع سنين** البضع ما بين الثلث الى التسع من البضع وهو القطع **وقال الملك اني ارى سبع بقرات سمان ياكلهن سبع عجاف** لما دنا فرجه رأى الملك سبع بقرات سمان خرجن من نهر يابس وسبع بقرات مهازيل فابتلعت المهازيل السمان **وسبع سنبلات خضر** قد انعقد حبها **واخر يابسات** وسبعا اخر يابسات قد ادركت فالتوت اليابسات على الخضر حتى غلبن عليها وانما استغنى عن بيان حالها بما قص من حال البقرات واجري السمان على المميز دون المميز لان التمييز بها ووصف السبع الثاني بالعجاف لتعذر التمييز بها مجردا عن الموصوف فانه لبيان الجنس وقياسه عُجف لانه جمع عجفاء لكنه حمل على سمان لانه نقيضه **يا ايها الملأ افتوني في رؤياي** عبروها **ان كنتم للرؤيا تعبرون** ان كنتم عالمين بعبارة الرؤيا وهي الانتقال من الصور الخيالية الى المعاني النفسانية التي هي مثالها من العبور وهي المجاوزة وعبرت الرؤيا عبارة اثبت من عبرتها تعبيرا واللام للبيان او لتقوية العامل فانه لما اخر عن مفعوله ضعف فقوي باللام كاسم الفاعل او لتضمن تعبرون معنى فعل يعدى باللام كانه قيل ان كنتم تنتدبون لعبارة الرؤيا **قالوا اضغاث احلام** اي هذه اضغاث احلام وهي تخاليطها جمع ضغث واصله ما جمع من اخلاط النبات وحزم فاستعير للرؤيا الكاذبة وانما جمعوا للمبالغة في وصف الحلم بالبطلان لقولهم فلان يركب الخيل او لتضمنه اشياء مختلفة **وما نحن بتأويل الاحلام بعالمين** يريدون بالاحلام المنامات الباطلة خاصة اي ليس لها تأويل عندنا وانما التأويل للمنامات الصادقة كانه مقدمة ثانية للعذر في جهلهم بتأويله **وقال الذي نجا منهما** من صاحبي السجن وهو الشرابي **وادكر بعد امة** وتذكر يوسف بعد جماعة من الزمان مجتمعة اي مدة طويلة وقرئ إمة بكسر الهمزة وهي النعمة اي بعد ما انعم عليه بالنجاة وأمَهٍ اي نسيان يقال أمِهَ يأمَه أمَهًا اذا نسي والجملة اعتراض ومقول القول **انا انبئكم بتأويله فارسلون**

سمان

الاضغاث الاخلاط

اي

اي الى من عنده علمه او الى السجن **يوسف ايها الصديق** اي فارسل الى يوسف فجاءه وقال يا يوسف وانما وصفه بالصديق وهو المبالغ في الصدق لانه جرب احواله وعرف صدقه في تأويل رؤياه ورؤيا صاحبه **افتنا في سبع بقرات سمان ياكلهن سبع عجاف وسبع سنبلات خضر واخر يابسات** اي في رؤيا ذلك **لعلي ارجع الى الناس** اعود الى الملك ومن عنده او الى اهل البلد اذ قيل ان السجن لم يكن فيه **لعلهم يعلمون** تأويلها او فضلك ومكانك وانما لم يبت الكلام فيهما لانه لم يكن جازما من الرجوع فربما اخترم دونه ولا من علمهم **قال تزرعون سبع سنين دأبا** اي على عادتكم المستمرة وانتصابه على الحال بمعنى دائبين او المصدر باضمار فعله اي تدأبون دأبا وتكون الجملة حالا وقرأ حفص دأَبا بفتح الهمزة وكلاهما مصدر دأب في العمل وقيل تزرعون امر اخرجه في صورة الخبر مبالغة لقوله **فما حصدتم فذروه في سنبله** كيلا ياكله السوس وهو على الاول نصيحة خارجة عن العبارة **الا قليلا مما تاكلون** في تلك السنين **ثم يأتي من بعد ذلك سبع شداد ياكلن ما قدمتم لهن** اي ياكل اهلهن ما ادخرتم لاجلهن فاسند اليهن على المجاز تطبيقا بين المعبر والمعبر به **الا قليلا مما تحصنون** تحرزون لبذور الزراعة **ثم يأتي من بعد ذلك عام فيه يغاث الناس** يمطرون من الغيث او يغاثون من القحط من الغوث **وفيه يعصرون** ما يعصر كالعنب والزيتون لكثرة الثمار وقيل يحلبون الضروع وقرأ حمزة والكسائي بالتاء على تغليب المستفتي وقرئ على بناء المفعول من عصره اذا انجاه ويحتمل ان يكون المبني للفاعل منه اي يغيثهم الله ويغيث بعضهم بعضا او اعصرت السحابة عليهم فعدي بنزع الخافض او بتضمينه معنى المطر وهذه بشارة بشرهم بها بعد ان اول البقرات السمان والسنبلات الخضر بسنين مخصبة والعجاف واليابسات بسنين مجدبة وابتلاع العجاف السمان باكل ما جمع في السنين المخصبة في السنين المجدبة ولعله علم ذلك بالوحي او بان انتهاء الجدب بالخصب او بان السنة الالهية على ان يوسع على عباده بعد ما ضيق عليهم **وقال الملك ائتوني به** بعد ما جاءه الرسول بالتعبير **فلما جاءه الرسول** ليخرجه **قال ارجع الى ربك فاسأله ما بال النسوة اللاتي قطعن ايديهن** انما تأنى في الخروج وقدم سؤال النسوة وفحص عن حالهن ليظهر براءة ساحته ويعلم انه سجن ظلما فلا يقدر الحاسد ان يتوسل به الى تقبيح امره وفيه دليل على انه ينبغي ان يجتهد في نفي التهم ويتقي مواقعها وعن النبي صلعم لو كنت مكانه ولبثت في السجن ما لبث لاسرعت الاجابة وانما قال فاسأله ما بال النسوة ولم يقل فاسأله ان يفتش عن حالهن تهييجا له على البحث وتحقيق الحال وانما لم يتعرض لسيدته مع ما صنعت به كرما ومراعاة للادب وقرئ النسوة بضم النون **ان ربي بكيدهن عليم** حين قلن لي اطع مولاتك وفيه تعظيم كيدهن والاستشهاد بعلم الله عليه وعلى انه بريء مما قرف به والوعيد لهن على كيدهن **قال ما خطبكن** قال الملك لهن ما شانكن والخطب امر يحق ان يخاطب فيه صاحبه **اذ راودتن يوسف عن نفسه قلن حاش لله** تنزيه له وتعجب من قدرته على خلق عفيف مثله **ما علمنا عليه من سوء** من ذنب **قالت امرأة العزيز الآن حصحص الحق** ثبت واستقر

قُرِفَ به

من حصحص البعير اذا القى مباركه ليناخ قال فحصحص في صم الصفا ثفناته وناء بسلمى نوءة ثم صمما
او ظهر من حص شعره اذا استاصله بحيث ظهرت بشرة راسه وقرى على البناء للمفعول انا راودته
عن نفسه وانه لمن الصادقين في قوله هي راودتني عن نفسي ذلك ليعلم قاله يوسف لما عاد اليه
الرسول واخبره بكلامهن اى ذلك التثبت ليعلم العزيز انى لم اخنه بالغيب بظهر الغيب
وهو حال من الفاعل او المفعول اى لم اخنه وانا غايب عنه او هو غايب عنى او ظرف اى بمكان
الغيب وراء الاستار والابواب المغلقة وان الله لا يهدى كيد الخائنين لا ينفذه ولا
يسدده او لا يهدى الخائنين بكيدهم فاوقع الفعل على الكيد مبالغة وفيه تعريض
براعيل في خيانتها زوجها وتوكيد لامانته ولذلك عقبه بقوله وما ابرئ نفسى اى لا انزهها
تنبيها على انه لم يرد بذلك تزكية نفسه والعجب بحاله بل اظهار ما انعم الله من العصمة
والتوفيق وعن ابن عباس انه لما قال ليعلم انى لم اخنه قال له جبريل ولا حين هممت فقال ذلك
ان النفس لامارة بالسوء من حيث انها بالطبع مائلة الى الشهوات فتهم بها وتستعمل القوى
والجوارح في اثرها في كل الاوقات الا ما رحم ربى الا وقت رحمة ربى او الا ما رحمه
الله من النفوس فعصمه عن ذلك وقيل الاستثناء منقطع اى ولكن رحمة ربى هى التى تصرف
الاساءة وقيل الاية حكاية قول راعيل والمستثنى نفس يوسف واضرابه وعن ابن كثير
ونافع بالسو على قلب الهمزة واوا ثم الادغام ان ربى غفور رحيم يغفر هم النفس ويرحم من
يشاء بالعصمة او يغفر للمستغفر لذنبه المعترف على نفسه ويرحمه ما استغفره واسترحمه مما ويرحمه
ارتكبه وقال الملك ائتونى به استخلصه لنفسى اجعله خالصا لنفسى فلما كلمه
اى فلما اتوا به فكلمه وشاهد منه الرشد والدهاء قال انك اليوم لدينا مكين ذو
مكانة ومنزلة امين مؤتمن على كل شئ روى انه لما خرج من السجن اغتسل
وتنظف ولبس ثيابا جددا فلما دخل على الملك قال اللهم انى اسالك من خيره واعوذ بعزتك بخيرك
وقدرتك من شره ثم سلم عليه ودعا له بالعبرانية فقال ما هذا اللسان قال لسان ابائى وكان الملك
يعرف سبعين لسانا فكلمه بها فاجابه بجميعها فتعجب منه فقال احب ان اسمع رؤياى
منك فحكاها ونعت له البقرات والسنابل واماكنها على ما راها فاجلسه على
السرير وفوض اليه امره وقيل توفى قطفير في تلك الليالى فنصبه منصبه وزوج منه
راعيل فوجدها عذراء وولدت له منها افرائيم وميشا قال اجعلنى على خزائن الارض افرائيم
ولنى امرها والارض ارض مصر انى حفيظ لها ممن لا يستحقها عليم بوجوه التصرف
فيها ولعله عليه السلام لما راى انه يستعمله في امره لا محالة اثر ما تعم فوائده وتجل
عوائده وفيه دليل على جواز طلب التولية واظهار انه مستعد لها والتولى من يد الكافر
اذا علم انه لا سبيل الى اقامة الحق وسياسة الخلق الا بالاستظهار به وعن مجاهد
ان الملك اسلم على يده وكذلك مكنا ليوسف في الارض ارض مصر يتبوأ منها
حيث يشاء ينزل من بلادها حيث يهوى وقرا ابن كثير نشاء بالنون نصيب برحمتنا

من

من نشاء في الدنيا والاخرة ولا نضيع اجر المحسنين بل نوفى اجورهم عاجلا واجلا ولاجر
الاخرة خير للذين امنوا وكانوا يتقون الشرك والفواحش لعظمه ودوامه
وجاء اخوة يوسف روى انه لما استوزره الملك اقام العدل واجتهد في تكثير
الزراعات وضبط الغلات حتى دخلت السنون المجدبة وعم القحط مصر والشام ونواحيهما
وتوجه اليه الناس فباعها اولا بالدراهم والدنانير حتى لم يبق معهم شئ منها ثم
بالحلى والجواهر ثم بالدواب ثم بالضياع والعقار ثم برقابهم حتى استرقهم جميعا
ثم عرض الامر على الملك فقال الراى رايك فاعتقهم ورد اليهم اموالهم وكان ذا الامر امرك
قد اصاب كنعان ما اصاب سائر البلاد فارسل بنيه غير بنيامين اليه للميرة فدخلوا يعقوب
عليه فعرفهم وهم له منكرون اى عرفهم يوسف ولم يعرفوه لطول العهد
ومفارقتهم اياه في سن الحداثة ونسيانهم اياه وتوهمهم انه هلك وبعد حاله التى
راوه عليها من حاله حين فارقوه وقلة تاملهم في حلاه من التهيب والاستعظام ولما
جهزهم بجهازهم اصلحهم بعدتهم واوقر ركائبهم بما جاؤا لاجله والجهاز ما
يعد من الامتعة للنقلة كعدد السفر وما يحمل من بلد الى اخرى وما تزف به المراة
الى زوجها وقرى بجهازهم بالكسر قال ائتونى باخ لكم من ابيكم روى
انه لما دخلوا عليه قال من انتم وما امركم لعلكم عيون قالوا معاذ الله نحن
بنو اب واحد وهو شيخ صديق نبى من الانبياء اسمه يعقوب قال كم انتم قالوا كنا
اثنى عشر فذهب احدنا الى البرية فهلك قال فكم انتم ههنا قالوا عشرة قال فاين
الحادى عشر قالوا عند ابينا يتسلى به من الهالك قال فمن يشهد لكم قالوا لا يعرفنا
ههنا من يشهد لنا فدعوا بعضكم عندى رهينة وائتونى باخيكم من ابيكم قال
حتى اصدق قولكم فاقترعوا فاصابت شمعون وقيل كان يوسف يعطى لكل نفر حملا فسالوا
حملا زائدا لاخ لهم من ابيهم فاعطاهم وشرط عليهم ان ياتوه به ليعلم صدقهم
الا ترون انى اوفى الكيل اتمه وانا خير المنزلين للضيف والمضيفين لهم
وكان احسن انزالهم وضيافتهم فان لم تاتونى به فلا كيل لكم
عندى ولا تقربون اى ولا تقربونى ولا تدخلوا ديارى وهو اما نهى او نفى معطوف
على الجزاء قالوا سنراود عنه اباه سنجتهد في طلبه من ابيه وانا لفاعلون ذلك
لا نتوانى فيه وقال لفتيته لغلمانه الكيالين جمع فتى وقرا حمزة والكسائى وحفص
لفتيانه على جمع الكثرة ليوافق قوله اجعلوا بضاعتهم في رحالهم فانه وكل
بكل رحل واحدا يعبى فيه بضاعتهم التى شروا بها الطعام وكانت نعالا وادما
وانما فعل ذلك توسيعا وتفضلا عليهم وترفعا من ان ياخذ ثمن الطعام منهم وخوفا
من ان لا يكون عند ابيه ما يرجعون به لعلهم يعرفونها لعلهم يعرفون حق ردها و
لكى يعرفوها اذا انقلبوا الى اهلهم وفتحوا اوعيتهم لعلهم يرجعون

اعينهم

لعل معرفتهم ذلك تدعوهم الى الرجوع **فلما رجعوا الى ابيهم قالوا يا ابانا منع منا الكيل** حكم بمنعه بعد هذا ان لم تذهب بنيامين **فارسل معنا اخانا نكتل** نرفع المانع من الكيل ونكتل ما نحتاج اليه وقرا حمزة والكسائي بالياء على اسناده الى الاخ او يكتل لنفسه فينضم اكتياله الى اكتيالنا **وانا له لحافظون** عن ان يناله مكروه **قال هل آمنكم عليه الا كما امنتكم على اخيه من قبل** وقد قلتم في يوسف وانا له لحافظون **فالله خير حافظا** فاتوكل عليه وافوض امري اليه **وهو ارحم الراحمين** فارجوا ان يرحمني بحفظه ولا يجمع علي مصيبتين وانتصاب حفظا على التمييز وحافظا في قراءة حمزة والكسائي وحفص يحتمله والحال لقوله لله دره فارسا وقرئ خير حافظ وخير الحافظين **ولما فتحوا متاعهم وجدوا بضاعتهم ردت اليهم** وقرئ ردت بنقل كسرة الدال المدغمة الى الراء نقلها في بيع وقيل **قالوا يا ابانا ما نبغي** ماذا نطلب هل من مزيد على ذلك اكرمنا واحسن مثوانا وباع منا ورد علينا متاعنا او لا نطلب وراء ذلك احسانا او لا نبغي في القول ولا نزيد فيما حكينا لك من احسانه وقرئ ما تبغي على الخطاب اي اي شيء تطلب وراء هذا من الاحسان او من الدليل على صدقنا **هذه بضاعتنا ردت الينا** استئناف موضح لقوله ما نبغي **ونمير اهلنا** معطوف على محذوف اي ردت الينا فنستظهر بها ونمير اهلنا بالرجوع الى الملك **ونحفظ اخانا** عن المخاوف في ذهابنا وايابنا **ونزداد كيل بعير** وسق بعير باستصحاب اخينا هذا اذا كانت ما استفهامية فاما اذا كانت نافية احتمل ذلك واحتمل ان يكون الجمل معطوفة على ما نبغي فيما نتقول ونمير اهلنا ونحفظ اخانا **ذلك كيل يسير** اي مكيل قليل لا يكفينا او استقلوا ما كيل لهم فارادوا ان يضاعفوه بالرجوع الى الملك او يزدادوا اليه ما يكال لاخيهم ويجوز ان يكون الاشارة الى كيل بعير اي ذلك شيء قليل لا يضايقنا فيه الملك ولا يتعاظمه وقيل انه من كلام يعقوب ومعناه ان حمل بعير شيء يسير لا يخاطر لمثله بالولد **قال لن ارسله معكم** اذ رايت منكم ما رايت **حتى تؤتون موثقا من الله** حتى تعطوني ما اتوثق به من عند الله اي عهدا مؤكدا بذكر الله **لتأتنني به** جواب القسم اذ المعنى حتى تحلفوا بالله لتأتنني به **الا ان يحاط بكم** الا ان تغلبوا فلا تطيقوا ذلك او الا ان تهلكوا جميعا وهو استثناء مفرغ من اعم الاحوال والتقدير لتأتنني به على كل حال الا حال الاحاطة بكم او من اعم العلل على ان قوله لتأتنني به في تاويل النفي اي لا تمتنعون من الاتيان به الا للاحاطة بكم لقولهم اقسمت بالله الا فعلت اي ما اطلب الا فعلك **فلما آتوه موثقهم** عهدهم **قال الله على ما نقول** من طلب الموثق واتيانه **وكيل** رقيب مطلع **وقال يا بني لا تدخلوا من باب واحد وادخلوا من ابواب متفرقة** لانهم كانوا ذوي جمال وابهة مشتهرين في مصر بالقربة والكرامة عند الملك

تخاف

اي لا نبغي

وقوله الا كما امنتكم منصوب على انه نعت مصدر محذوف اي الا امنا كامني اياكم على اخيه على بنيامين عليه شيخ داده

تخاف عليهم ان يدخلوا كوكبة واحدة فيعانوا ولعله لم يوصهم في الكرة الاولى لانهم كانوا مجهولين حينئذ او كان الداعي اليها خوفه على بنيامين وللنفس اثار منها العين والذي يدل عليه قوله عليه السلام في عوذته اللهم اني اعوذ بكلمات الله التامة من كل هامة وعين لامة **وما اغني عنكم من الله من شيء** مما قضي عليكم بما اشرت به اليكم فان الحذر لا يمنع القدر **ان الحكم الا لله** يصيبكم لا محالة ان قضي عليكم سوء ولا ينفعكم ذلك **عليه توكلت وعليه فليتوكل المتوكلون** جمع بين الحرفين في عطف الجملة على الجملة لتقدم الصلة للاختصاص كان الواو للعطف والفاء لافادة التسبب فان فعل الانبياء سبب لان يقتدى بهم **ولما دخلوا من حيث امرهم ابوهم** اي من ابواب متفرقة في البلد **ما كان يغني عنهم** راي يعقوب واتباعهم له **من الله من شيء** مما قضاه عليهم كما قال يعقوب فسرقوا بنيامين بوجدان الصواع في رحله وتضاعفت المصيبة على يعقوب **الا حاجة في نفس يعقوب** استثناء منقطع اي ولكن حاجة في نفسه يعني شفقته عليهم وحزازته من ان يعانوا **قضاها** اظهرها ووصى بها **وانه لذو علم لما علمناه** بالوحي ونصب الحجج ولذلك قال وما اغني عنكم من الله من شيء ولم يغتر بتدبيره **ولكن اكثر الناس لا يعلمون** سر القدر وانه لا يغني عنه الحذر **ولما دخلوا على يوسف آوى اليه اخاه** ضم اليه بنيامين على الطعام او في المنزل روي انه اضافهم واجلسهم مثنى مثنى فبقي بنيامين وحيدا فبكى وقال لو كان اخي يوسف حيا لجلس معي فاجلسه معه على مائدته ثم قال لينزل كل اثنين منكم بيتا وهذا لا ثاني له فيكون معي فبات عنده وقال له اتحب ان اكون اخاك بدل اخيك الهالك قال من يجد اخا مثلك ولكن لم يلدك يعقوب ولا راحيل **قال اني انا اخوك فلا تبتئس** فلا تحزن افتعال من البؤس **بما كانوا يعملون** في حقنا **فلما جهزهم بجهازهم جعل السقاية** المشربة **في رحل اخيه** قيل كانت مشربة جعلت صاعا يكال بها وقيل كانت تسقى الدواب بها ويكال فيها وكانت من فضة وقيل من ذهب وقرئ وجعل على حذف جواب فلما تقديره امهلهم حتى انطلقوا **ثم اذن مؤذن** نادى مناد **ايتها العير انكم لسارقون** لعله لم يقله بامر يوسف او كان تعبية السقاية والنداء عليها برضا بنيامين وقيل معناه انكم لسارقون يوسف من ابيه او انكم لسارقون والعير القافلة وهو اسم الابل التي عليها الاحمال لانها تعير اي تتردد فقيل لاصحابها لقوله عليه السلام يا خيل الله اركبي وقيل جمع عير واصلها فعل كسقف فعل به ما فعل ببيض تجوز به لقافلة الحمير ثم استعير لكل قافلة **قالوا واقبلوا عليهم ماذا تفقدون** اي شيء ضاع عنكم والتفقد تطلب الشيء عن الحس لا يعرف مكانه وقرئ تفقدون من افقدته اذا وجدته فقيدا **قالوا نفقد**

عنه

عنه

صواع الملك وهو صاع وصوع بالضم والفتح والعين والغين وصواغ من
الصياغة ولمن جاء به حمل بعير من الطعام جعلا له وانا به زعيم كفيل اوديه
الى من رده وفيه دليل على جواز الجعالة وضمان الجعل قبل تمام العمل قالوا
تالله قسم فيه معنى التعجب والتاء بدل من الباء مختصة باسم الله لقد علمتم ما
جئنا لنفسد في الارض وما كنا سارقين استشهدوا بعلمهم على براءة انفسهم
لما عرفوا منهم في كرتي مجيئهم ومداخلتهم للملك مما يدل على فرط امانتهم كرد
البضاعة التي جعلت في رحالهم وكعم الدواب لئلا تتناول زرعا او طعاما
لاحد قالوا فما جزاؤه فما جزاء السارق او السرق او الصواع على حذف
المضاف ان كنتم كاذبين في ادعاء البراءة قالوا جزاؤه من وجد
في رحله فهو جزاؤه اي جزاء سرقته اخذ من وجد في رحله واسترقاقه
هكذا كان شرع يعقوب وقوله فهو جزاؤه تقرير للحكم والزام له او خبر
من والفاء لتضمنها معنى الشرط او جواب لها على انها شرطية والجملة كما هي خبر جزاؤه
على اقامة الظاهر فيها مقام الضمير كانه قيل جزاؤه من وجد في رحله فهو هو
كذلك نجزي الظالمين بالسرقة فبدأ باوعيتهم فبدأ المؤذن وقيل يوسف
لانهم ردوا الى مصر قبل وعاء اخيه بنيامين نفيا للتهمة ثم استخرجها اي
السقاية او الصواع لانه يذكر ويؤنث من وعاء اخيه وقرئ بضم الواو وبقلبها
همزة كذلك مثل ذلك الكيد كدنا ليوسف بان علمناه اياه واوحينا به اليه
ما كان لياخذ اخاه في دين الملك ملك مصر لان دينه الضرب
وتغريم ضعف ما اخذ دون الاسترقاق وهو بيان الكيد الا ان يشاء الله ان
يجعل ذلك الحكم حكم الملك فالاستثناء من اعم الاحوال ويجوز ان يكون منقطعا
اي لكن اخذه بمشية الله واذنه نرفع درجات من نشاء بالعلم كما رفعنا
درجته وفوق كل ذي علم عليم ارفع درجة منه واحتج به من زعم انه تعالى
عالم بذاته اذ لو كان ذا علم لكان فوقه من هو اعلم منه والجواب ان المراد
كل ذي علم من الخلق لان الكلام فيهم ولان العليم هو الله تعالى ومعناه الذي له العلم
البالغ لغة ولانه لا فرق بينه وبين قولنا فوق كل العلماء عليم وهو مخصوص
قالوا ان يسرق بنيامين فقد سرق اخ له من قبل يعنون به يوسف قيل
ورثت عمته من ابيها منطقة ابرهيم وكانت تحضن يوسف وتحبه فلما شب
اراد يعقوب انتزاعه منها فشدت المنطقة على وسطه ثم اظهرت ضياعها فتفحص
عنها فوجدت محزومة عليه فصارت احق به في حكمهم وقيل كان لابي امه صنم فسرقه
وكسره والقاه في الجيف وقيل كان في البيت عناق او دجاجة فاعطى السائل
فاسرها يوسف في نفسه ولم يبدها لهم اكنها ولم يظهرها لهم والضمير

للاجابة او المقالة او نسبة السرقة اليه وقيل انها كناية بشريطة التفسير وتفسيرها قوله
قال انتم شر مكانا فانه بدل من اسرها والمعنى قال في نفسه انتم شر مكانا اي
منزلة في السرقة لسرقتكم اخاكم او في سوء الصنيع مما كنتم عليه وتانيثها
باعتبار الكلمة او الجملة وفيه نظر اذ المفسر بالجملة لا يكون الا ضمير الشان والله
اعلم بما تصفون وهو يعلم ان الامر ليس كما تصفون قالوا يا ايها العزيز ان له
ابا شيخا كبيرا في السن او القدر ذكروا له حاله استعطافا له عليه فخذ احدنا
مكانه بدله فان اباه ثكلان على اخيه الهالك مستانس به انا نراك من المحسنين
الينا فاتمم احسانك او من المتعودين بالاحسان فلا تغير عادتك قال معاذ الله ان
ناخذ الا من وجدنا متاعنا عنده فان اخذ غيره ظلم على فتواكم فلو اخذنا احدكم
مكانه انا اذا لظالمون في مذهبكم هذا وان مراده ان الله اذن في اخذ من
وجدنا الصاع في رحله لمصلحته ورضاه عليه فلو اخذت غيره كنت ظالما فلما استيأسوا
منه يئسوا من يوسف واجابته اياهم وزيادة السين والتاء للمبالغة خلصوا
انفردوا واعتزلوا نجيا متناجين وانما وحده لانه مصدر او بزنته كما قيل
هم صديق وجمعه انجية كندي واندية قال كبيرهم في السن وهو روبيل او
في الراي وهو شمعون وقيل يهوذا الم تعلموا ان اباكم قد اخذ عليكم موثقا من
الله عهدا وثيقا وانما جعل حلفهم بالله موثقا منه لانه باذن منه وتاكيد من جهته و
من قبل من قبل هذا ما فرطتم في يوسف قصرتم في شانه وما مزيدة ويجوز ان
يكون مصدرية في موضع النصب بالعطف على مفعول تعلموا ولا باس بالفصل بين العاطف
والمعطوف بالظرف او على اسم ان وخبره في يوسف او من قبل او الابتداء والخبر من قبل
وفيه نظر لان قبل اذا كان خبرا او صلة لا يقطع عن الاضافة حتى لا ينقص وان
يكون موصولة اي ما فرطتموه بمعنى ما قدمتموه في حقه من الخيانة ومحله ما تقدم
فلن ابرح الارض فلن افارق ارض مصر حتى ياذن لي ابي في الرجوع او يحكم الله
لي او يقضي لي بالخروج منها او بخلاص اخي منهم او بالمقاتلة معهم لتخليصه روي انهم
كلموا العزيز في اطلاقه فقال روبيل ايها الملك والله لتتركنا او لاصيحن صيحة تضع منها
الحوامل ووقفت شعور جسده فخرجت من ثيابه فقال يوسف لابنه قم الى جنبه فمسه
وكان بنو يعقوب اذا غضب احدهم فمسه الاخر ذهب غضبه فقال روبيل من هذا
ان في هذا البلد لبزرا من بزر يعقوب وهو خير الحاكمين لان حكمه لا يكون الا
بالحق ارجعوا الى ابيكم فقولوا يا ابانا ان ابنك سرق على ما شاهدنا من
ظاهر الامر وقرئ سرق اي نسب الى السرقة وما شهدنا عليه الا بما علمنا بان رأينا
ان الصواع استخرج من وعائه وما كنا للغيب لباطن الحال حافظين فلا ندري انه
سرق او سرق ودس الصاع في رحله او وما كنا للعواقب عالمين فلم ندر حين اعطيناك
ما كنا

الموثق انه سيسرق او انك تصاب كما اصبت بيوسف واسأل القرية التي
كنا فيها يعنون مصر او قرية بقربها لحقهم المنادي فيها والمعنى ارسل الى اهلها
واسألهم عن القصة والعير التي اقبلنا فيها واصحاب العير التي توجهنا اليه فيهم
وكنا معهم وانا لصادقون تأكيد في محل القسم قال بل سولت اي فلما
رجعوا الى ابيهم وقالوا له ما قال لهم اخوهم قال بل سولت اي زينت وسهلت
لكم انفسكم امرا اردتموه وقدرتموه والا فما ادرى الملك ان السارق
يؤخذ بسرقته فصبر جميل اي فامري صبر جميل او فصبر جميل اجمل عسى الله ان يأتيني بهم
جميعا بيوسف وبنيامين واخيهما الذي توقف بمصر انه هو العليم بحالي وحالهم الحكيم
في تدبيرها وتولى عنهم واعرض عنهم كراهة لما صادف منهم وقال يا اسفى على يوسف
اي يا اسفى تعالى فهذا اوانك والاسف اشد الحزن والحسرة والالف بدل من
ياء المتكلم وانما تأسف على يوسف دون اخويه والحادث رزؤهما لان رزأه
كان قاعدة المصيبات وكان غضا آخذا بمجامع قلبه ولانه كان واثقا بحياتهما
دون حياته وفي الحديث لم تعط امة من الامم انا لله وانا اليه راجعون عند
المصيبة الا امة محمد الا ترى الى يعقوب حين اصابه ما اصاب لم يسترجع وقال
يا اسفى وابيضت عيناه من الحزن لكثرة بكائه من الحزن كأن العبرة
محقت سوادهما وقيل ضعف بصره وقيل عمي وقرئ من الحزن وفيه دليل على
جواز التأسف والبكاء عند التفجع ولعل امثال ذلك لا يدخل تحت التكليف فانه
قل من يملك نفسه عند الشدائد ولقد بكى رسول الله صلعم على ولده ابرهيم وقال
القلب يجزع والعين تدمع ولا نقول ما يسخط الرب وانا عليك يا ابرهيم
لمحزونون فهو كظيم مملوء من الغيظ على اولاده ممسك له في قلبه لا يظهره
فعيل بمعنى مفعول كقوله وهو مكظوم من كظم السقاء اذا شده على ملئه او بمعنى
فاعل كقوله والكاظمين الغيظ من كظم الغيظ اذا تجرعه واصله كظم البعير جرته اذا ردها
في جوفه قالوا تالله تفتؤ تذكر يوسف اي لا تفتؤ ولا تزال تذكره تفجعا عليه
فحذف لا كما في قوله فقلت يمين الله ابرح قاعدا لانه لا يلتبس بالاثبات
فان القسم اذا لم يكن معه علامة الاثبات كان على النفي حتى تكون حرضا
مريضا مشفيا على الهلاك وقيل الحرض الذي اذابه هم او مرض وهو في الاصل
مصدر ولذلك لا يؤنث ولا يجمع والنعت بالكسر كدنف ودنف وقد قرئ به
وبضمتين كجنب او تكون من الهالكين من الميتين قال انما اشكو بثي وحزني
همي الذي لا اقدر الصبر عليه من البث بمعنى النشر الى الله لا الى احد منكم
ومن غيركم فخلوني وشكايتي واعلم من الله من صنعه ورحمته وانه لا
يخيب داعيه ولا يدع الملتجئ اليه ما لا تعلمون او من الله بنوع من الالهام
ما

ما لا تعلمون من حياة يوسف قيل رأى ملك الموت في المنام فسأله عنه فقال هو
حي وقيل علم من رؤيا يوسف انه لا يموت حتى يخر له اخوته سجدا يا بني اذهبوا
فتحسسوا من يوسف واخيه فتعرفوا منهما وتفحصوا عن حالهما والتحسس تطلب الاحساس
ولا تيأسوا من روح الله لا تقنطوا من فرجه وتنفيسه وقرئ من روح الله اي
من رحمته التي يحيي بها العباد انه لا ييأس من روح الله الا القوم الكافرون
بالله وصفاته فان العارف لا يقنط من رحمته في شيء من الاحوال فلما دخلوا
عليه قالوا يا ايها العزيز بعدما رجعوا الى مصر رجعة ثانية مسنا واهلنا الضر
شدة الجوع وجئنا ببضاعة مزجاة رديئة او قليلة ترد وتدفع رغبة عنها
من ازجيته اذا دفعته ومنه تزجية الزمان قيل كانت دراهم زيوفا وقيل
صوفا وسمنا وقيل الصنوبر والحبة الخضراء وقيل الاقط وسويق المقل فأوف
لنا الكيل فأتمم لنا الكيل وتصدق علينا برد اخينا او بالمسامحة و
قبول المزجاة او بالزيادة على ما يساويها واختلف في ان حرمة الصدقة تعم الانبياء
او تختص بنبينا عليه السلام ان الله يجزي المتصدقين احسن الجزاء والتصدق التفضل
مطلقا ومنه قوله عليه السلام في القصر هذه صدقة تصدق الله عليكم
فاقبلوا صدقته لكنه اختص عرفا بما يبتغى به ثواب من الله تعالى قال هل
علمتم ما فعلتم بيوسف واخيه اي هل علمتم قبحه فتبتم عنه وفعلهم باخيه افراده
عن يوسف واذلاله حتى كان لا يستطيع ان يكلمهم الا بعجز وذلة اذ انتم جاهلون
قبحه فلذلك اقدمتم عليه او عاقبته وانما قال ذلك تنصحا لهم وتحريضا على التوبة
وشفقة عليهم لما رأى من عجزهم وتمسكنهم لا معاتبة وتثريبا وقيل اعطوه كتاب يعقوب
في تخليص بنيامين وذكروا له ما هو فيه من الحزن على فقد يوسف واخيه فقال
لهم ذلك وانما جهلهم لان فعلهم كان فعل الجهال او لانهم كانوا حينئذ صبيانا طياشين
قالوا ائنك لانت يوسف استفهام تقرير ولذلك حقق بان واللام عليه وقرأه
ابن كثير على الايجاب قيل عرفوه بروائه وشمائله حين كلمهم به وقيل تبسم
فعرفوه بثناياه وقيل رفع التاج عن رأسه فرأوا علامة بقرنه تشبه الشامة
البيضاء وكانت لسارة ويعقوب مثلها قال انا يوسف وهذا اخي من ابي وامي
ذكره تعريفا لنفسه وتفخيما لشأنه وادخالا له في قوله قد من الله علينا اي
بالسلامة والكرامة انه من يتق الله ويصبر على البليات او على
الطاعات وعن المعاصي فان الله لا يضيع اجر المحسنين وضع المحسنين موضع
الضمير للتنبيه على ان المحسن من جمع بين التقوى والصبر قالوا تالله لقد آثرك
الله علينا اختارك علينا بحسن الصورة وكمال السيرة وان كنا
لخاطئين والحال ان شأننا انا كنا مذنبين بما فعلنا معك قال لا تثريب عليكم

لا تثريب عليكم تفعيل من الثرب وهو الشحم الذي يغشى الكرش للازالة كالتجليد
فاستعير للتقريع الذي يمزق العرض ويذهب بماء الوجه اليوم متعلق بالتثريب
او بالمقدر للجار الواقع خبرا للا والمعنى لا اثرب عليكم اليوم الذي هو مظنته فما ظنكم
بسائر الايام او بقوله يغفر الله لكم لانه صفح عن جريمتهم حينئذ واعترفوا
بها حينئذ وهو ارحم الراحمين فانه يغفر الصغائر والكبائر ويتفضل على التائب ومن
كرم يوسف انهم لما عرفوه ارسلوا اليه وقالوا انك تدعونا بالبكرة والعشي الى
الطعام ونحن نستحي منك لما فرط منا فيك فقال ان اهل مصر كانوا ينظرون
الي بالعين الاول ويقولون سبحان من بلغ عبدا بيع بعشرين درهما ما بلغ و
لقد شرفت بكم وعظمت في عيونهم حيث علموا انكم اخوتي واني
من حفدة ابرهيم اذهبوا بقميصي هذا القميص الذي كان عليه وقيل القميص الذي كان
في التعويذ فالقوه على وجه ابي يات بصيرا اي يرجع بصيرا اي ذا بصر واتوني
انتم وابي باهلكم اجمعين بنسائكم وذراريكم ومواليكم ولما
فصلت العير من مصر وخرجت من عمرانها قال ابوهم لمن حضره اني لاجد
ريح يوسف اوجده الله ريح ما عبق بقميصه من ريحه حين اقبل به اليه
يهودا من ثمانين فرسخا لولا ان تفندون تنسبوني الى الفند وهو
نقصان عقل يحدث من هرم ولذلك لا يقال عجوز مفندة لان نقصان عقلها
ذاتي وجواب لولا محذوف تقديره لصدقتموني او لقلت انه قريب قالوا
اي الحاضرون تالله انك لفي ضلالك القديم لفي ذهابك عن الصواب قدما بالافراط
في محبة يوسف واكثار ذكره والتوقع للقائه فلما ان جاء البشير يهودا
روي انه قال كما احزنته بحمل قميصه الملطخ اليه فافرحه بحمل هذا اليه
القاه على وجهه طرح البشير القميص على وجه يعقوب او يعقوب نفسه فارتد بصيرا
عاد بصيرا لما انتعش فيه من القوة قال الم اقل لكم اني اعلم من الله ما
لا تعلمون من حياة يوسف وانزال الفرج وقيل اني اعلم كلام مبتدا والمقول لا
تياسوا من روح الله او اني لاجد ريح يوسف قالوا يا ابانا استغفر لنا ذنوبنا
انا كنا خاطئين ومن حق المعترف بذنبه ان يصفح عنه ويسأل له المغفرة
قال سوف استغفر لكم ربي انه هو الغفور الرحيم اخره الى السحر او الى صلوة
الليل او الى ليلة الجمعة تحريا لوقت الاجابة او الى ان يستحلهم من يوسف
او يعلم انه عفا عنهم فان عفو المظلوم شرط المغفرة ويؤيده ما روي انه استقبل
القبلة قائما يدعو وقام يوسف خلفه يؤمن وقاموا خلفهما اذلة خاشعين حتى
نزل جبريل وقال ان الله تعالى قد اجاب دعوتك في ولدك وعقد مواثيقهم
بعدك على النبوة وهو ان صح فدليل على نبوتهم وان ما صدر عنهم كان قبل استنبائهم

فلما دخلوا

فلما دخلوا على يوسف روي انه وجه اليهم رواحل واموالا ليتجهزوا اليه بمن معهم
واستقبله يوسف والملك باهل مصر وكان اولاده الذين دخلوا معه مصر اثنين
وسبعين رجلا وامراة وكانوا حين خرجوا مع موسى ستمائة الف وخمسمائة وبضعة
وسبعين رجلا سوى الذرية والهرمى اوى اليه ابويه ضم اليه اباه وخالته
واعتنقهما نزلها منزلة الام تنزيل العم منزلة الاب في قوله واله اباءك ابرهيم واسمعيل
واسحق او لان يعقوب تزوجها بعد امه والرابة تدعى اما وقال ادخلوا مصر
ان شاء الله امنين من القحط واصناف المكاره والمشية متعلقة بالدخول المكيف
بالامن والدخول الاول كان في موضع خارج البلد حين استقبلهم ورفع ابويه
على العرش وخروا له سجدا تحية وتكرمة فان السجود كان عندهم يجري
مجراها وقيل معناه خروا لاجله سجدا لله شكرا وقيل الضمير لله والواو لابويه
واخوته والرفع مؤخر عن الخرور وانما قدم لفظا للاهتمام بتعظيمه لهما
وقال يا ابت هذا تاويل رءياي من قبل التي رايتها ايام الصبا قد جعلها ربي
حقا صدقا وقد احسن بي اذ اخرجني من السجن ولم يذكر الجب لئلا يكون
تثريبا عليهم وجاء بكم من البدو من البادية لانهم كانوا اصحاب المواشي
واهل البدو من بعد ان نزغ الشيطان بيني وبين اخوتي افسد بيننا و
حرش من نزغ الرائض الدابة اذا نخسها وحملها على الجري ان ربي لطيف
لما يشاء لطيف التدبير له اذ ما من صعب الا وتنفذ فيه مشيته ويتسهل دونها
انه هو العليم بوجوه المصالح والتدابير الحكيم الذي يفعل كل شيء في
وقته على وجه يقتضي الحكمة روي ان يوسف طاف بابيه عليهما السلام
في خزائنه فلما ادخله خزينة القرطاس قال يا بني ما اغفلك عندك هذه القراطيس
وما كتبت الي على ثمان مراحل قال امرني جبريل قال او ما تسأله قال انت ابسط
مني اليه فسأله قال جبريل الله امرني بذلك لقولك واخاف ان ياكله الذئب قال
فهلا خفتني رب قد اتيتني من الملك بعض الملك وهو ملك مصر وعلمتني من تاويل
الاحاديث الكتب او الرؤيا ومن ايضا للتبعيض لانه لم يؤت كل التاويل
فاطر السموات والارض مبدعهما وانتصابه على انه صفة المنادي او منادى
براسه انت ولي ناصري او متولي امري في الدنيا والاخرة او الذي يتولاني
بالنعمة فيهما توفني مسلما اقبضني والحقني بالصالحين من ابائي او بعامة
الصالحين في الرتبة والكرامة روي ان يعقوب اقام معه اربعا وعشرين
سنة ثم توفي واوصى ان يدفن بالشام الى جنب ابيه فذهب به ودفنه ثمة
وعاد وعاش بعده ثلثا وعشرين سنة ثم تاقت نفسه الى الملك المخلد فتمنى
الموت فتوفاه الله طيبا طاهرا فتخاصم اهل مصر في مدفنه حتى هموا بالقتال

ثروا ان يجعلوه في صندوق من مرمر ويدفنوه في النيل بحيث يمر عليه الماء ثم يصل الى مصر
ليكونوا فيه ثم نقله موسى عليه السلام الى مدفن آبائه وكان عمره مائة وعشرين سنة
وقد ولد له من راعيل افرائيم وميشا وهو جد يوشع بن نون ورحمة امراة ايوب
ذلك اشارة الى ما ذكر من نبا يوسف والخطاب فيه للرسول وهو مبتدا من انباء
الغيب نوحيه اليك خبران له وما كنت لديهم اذ اجمعوا امرهم وهم
يمكرون كالدليل عليهما والمعنى ان هذا النبا غيب لم تعرفه الا بالوحي
لانك لم تحضر اخوة يوسف حين عزموا على ما هموا به من ان يجعلوه في غيابة
الجب وهم يمكرون به وبابيه ليرسله معهم ومن المعلوم الذي لا يخفى على مكذبيك
انك ما لقيت احدا سمع ذلك فتعلمته منه وانما حذف هذا الشق استغناء بذكره
في غير هذه القصة كقوله ما كنت تعلمها انت ولا قومك من قبل هذا وما اكثر الناس
ولو حرصت على ايمانهم وبالغت في اظهار الايات عليهم بمؤمنين لعنادهم وتصميمهم
على الكفر وما تسألهم عليه على الانباء او القران من اجر جعل كما يفعله حملة
الاخبار ان هو الا ذكر عظة من الله للعالمين عامة وكاين من اية وكم
من اية والمعنى وكاي عدد شئت من الدلائل الدالة على وجود الصانع وحكمته
وكمال قدرته وتوحيده في السموات والارض يمرون عليها على الايات
ويشاهدونها وهم عنها معرضون لا يتفكرون فيها ولا يعتبرون وقرى والارض
بالرفع على انه مبتدا خبره يمرون فيكون لها الضمير في عليها وبالنصب على يطوون
الارض وقرئ والارض يمشون عليها اي يترددون فيها ويرون آثار الامم
الهالكة وما يؤمن اكثرهم بالله في اقرارهم بوجوده وخالقيته الا وهم
مشركون بعبادة غيره او باتخاذ الاحبار اربابا ونسبة التبني اليه او القول
بالنور والظلمة او النظر الى الاسباب ونحو ذلك وقيل الاية في مشركي مكة وقيل
في المنافقين وقيل في اهل الكتاب افامنوا ان تاتيهم غاشية من عذاب الله
عقوبة تغشاهم وتشملهم او تاتيهم الساعة بغتة فجاة من غير سابقة علامة
وهم لا يشعرون باتيانها غير مستعدين لها قل هذه سبيلي يعني الدعوة الى
التوحيد والاعداد للمعاد ولذلك فسر السبيل بقوله ادعوا الى الله وقيل هو
حال من الياء على بصيرة بيان وحجة واضحة غير عمياء انا تاكيد للمستتر
في ادعوا او على بصيرة لانه حال منه او مبتدا خبره على بصيرة ومن اتبعني عطف
عليه وسبحان الله وما انا من المشركين وانزهه تنزيها من الشركاء
وما ارسلنا من قبلك الا رجالا لقولهم لو شاء ربنا لانزل ملائكة وقيل
معناه نفي استنباء النساء نوحي اليهم كما اوحي اليك ويميزوا بذلك عن غيرهم
وقرا حفص نوحي في كل القران ووافقه حمزة والكسائي في سورة الانبياء من اهل القرى

لان اهلها اعلم واحلم من اهل البدو افلم يسيروا في الارض فينظروا كيف كان
عاقبة الذين من قبلهم من المكذبين بالرسل والايات فيحذروا تكذيبك
او من المشغوفين بالدنيا المتهالكين عليها فيقلعوا عن حبها ولدار الاخرة ولدار
الحال او الساعة او الحياة الاخرة خير للذين اتقوا الشرك والمعاصي افلا تعقلون
يستعملون عقولهم ليعرفوا انها خير وقرا نافع وابن عامر وعاصم ويعقوب بالتاء حملا
على قوله قل هذه سبيلي اي قل لهم افلا تعقلون حتى اذا استياس الرسل غاية محذوف
دل عليه الكلام اي لا يغررهم تمادي ايامهم فان من قبلهم امهلوا حتى اياس الرسل عن
النصر عليهم في الدنيا او عن ايمانهم لانهماكهم في الكفر مترفين متمادين فيه من
غير وازع وظنوا انهم قد كذبوا اي كذبتهم انفسهم حين حدثتهم بانهم ينصرون
او كذبهم القوم بوعد الايمان وقيل الضمير للمرسل اليهم اي وظن المرسل اليهم
ان الرسل قد كذبوهم بالدعوة والوعيد وقيل الاول للمرسل اليهم والثاني
للرسل اي وظنوا ان الرسل قد كذبوا واخلفوا فيما وعدلهم من النصر وخلط الامر عليهم
وما روي عن ابن عباس ان الرسل ظنوا انهم اخلفوا ما وعدهم الله من النصر ان
صح فقد اراد بالظن ما يهجس في القلب على طريق الوسوسة هذا وان المراد به المبالغة
في التراخي والامهال على سبيل التمثيل وقرا غير الكوفيين بالتشديد اي وظن الرسل ان
القوم قد كذبوهم فيما اوعدوهم وقرئ كذبوا بالتخفيف وبناء الفاعل اي وظنوا
انهم قد كذبوا فيما حدثوا به عند قومهم لما تراخى عنهم ولم يروا له اثرا
جاءهم نصرنا فنجي من نشاء النبي والمؤمنين وانما لم يعينهم للدلالة على انهم الذين
يستاهلون ان يشاء نجاتهم لا يشاركهم فيه غيرهم وقرا ابن عامر وعاصم ويعقوب
على لفظ الماضي المبني للمفعول وقرئ فنجا ولا يرد باسنا عن القوم المجرمين
اذا نزل بهم وفيه بيان المستثنين لقد كان في قصصهم في قصص الانبياء وامهم
او في قصة يوسف واخوته عبرة لاولي الالباب لذوي العقول المبراة عن
شوائب الالف والركون الى الحس ما كان حديثا يفترى ما كان
القران حديثا مفترى ولكن تصديق الذي بين يديه من الكتب
الالهية وتفصيل كل شيء يحتاج اليه في الدين اذ ما من امر ديني
الا وله سند من القران بوسط او بغير وسط وهدى من الضلال ورحمة
ينال بها خير الدارين لقوم يؤمنون يصدقونه وعن النبي صلعم علموا
ارقاءكم سورة يوسف فانه ايما مسلم تلاها وعلمها اهله وما
ملكت يمينه هون الله عليه سكرات الموت واعطاه القوة ان لا يحسد مسلما

سورة الرعد مدنية وقيل مكية الا قوله ويقول
الذين كفروا الاية وآياتها خمس واربعون والله اعلم

بسم الله الرحمن الرحيم المر قيل معناه انا الله
اعلم وارى تلك آيات الكتاب يعنى بالكتاب السورة وتلك اشارة الى اياتها اى
تلك الايات آيات السورة الكاملة او القران والذى انزل اليك من ربك هو القران
كله ومحله الجر بالعطف على الكتاب عطف العام على الخاص او احدى الصفتين على الاخرى
او الرفع بالابتداء وخبره الحق والجملة كالحجة على الجملة الاولى وتعريف الخبر وان دل
على اختصاص المنزل بكونه حقا فهو اعم من المنزل صريحا او ضمنا كالمثبت بالقياس
وغيره مما نطق المنزل بحسن اتباعه ولكن اكثر الناس لا يؤمنون لاخلالهم
بالنظر والتامل فيه الله الذى رفع السموات مبتدأ وخبر ويجوز ان يكون الموصول
صفة والخبر يدبر الامر بغير عمد اساطين جمع عماد كاهاب واهب او عمود كاديم
وادم وقرئ عمد كرسل ترونها صفة لعمد او استيناف للاستشهاد برؤيتهم
السموات كذلك وهو دليل على وجود الصانع الحكيم فان ارتفاعها على ساير الاجسام
المساوية لها فى حقيقة الجرمية واختصاصها بما يقتضى ذلك لا بد وان يكون بمخصص
ليس بجسم ولا جسمانى يرجح بعض الممكنات على بعض بارادته وعلى هذا المنهاج ساير
ما ذكر من الايات ثم استوى على العرش بالحفظ والتدبير وسخر الشمس
والقمر ذللهما لما اراد منهما كالحركة المستمرة على حد من السرعة ينفع فى حدوث
الكاينات وبقايها كل يجرى لاجل مسمى لمدة معينة يتم فيها ادواره او
لغاية مضروبة ينقطع دونها سيره وهى اذا الشمس كورت واذا النجوم انكدرت
يدبر الامر امر ملكوته من الايجاد والاعدام والاحياء والاماتة وغير ذلك
يفصل الايات ينزلها ويبينها مفصلة او يحدث الدلايل واحدا بعد واحد لعلكم
بلقاء ربكم توقنون لكى تتفكروا فيها وتتحققوا كمال قدرته
فتعلموا ان من قدر على خلق هذه الاشياء وتدبيرها قدر على الاعادة والجزاء
وهو الذى مد الارض بسطها طولا وعرضا لتثبت عليه الاقدام ويتقلب
عليها الحيوان وجعل فيها رواسى جبالا ثوابت من رسا الشئ اذا ثبت جمع راسية
والتاء للتانيث على انها صفة اجبل او للمبالغة وانهارا ضمها الى الجبال وعلق
بهما فعلا واحدا من حيث ان الجبال اسباب لتولدها ومن كل الثمرات متعلق
بقوله جعل فيها زوجين اثنين اى وجعل فيها من جميع انواع الثمرات صنفين
اثنين كالحلو والحامض والاسود والابيض والصغير والكبير يغشى الليل
النهار يلبسه مكانه فيصير الجو مظلما بعدما كان مضيئا وقرأ حمزة والكسائى
وابو بكر يغشى بالتشديد ان فى ذلك لايات لقوم يتفكرون فيها فان
تكونها وتخصصها بوجه دون وجه دليل على وجود صانع حكيم دبر
امرها وهيأ اسبابها وفى الارض قطع متجاورات بعضها طيبة وبعضها

سبخة

سبخة وبعضها صلبة يصلح للزرع دون الشجر وبعضها بالعكس ولولا تخصيص قادر
موقع لافعاله على وجه دون وجه لم يكن كذلك لاشتراك تلك القطع فى الطبيعة
الارضية وما يلزمها ويعرض لها بتوسط ما يعرض من الاسباب السماوية من
حيث انها متضامة متشاركة فى النسب والاوضاع وجنات من اعناب و
زرع ونخيل وبساتين فيها انواع الاشجار والزرع وتوحيد
الزرع لانه مصدر فى اصله وقرأ ابن كثير وابو عمرو ويعقوب وحفص وزرع و
نخيل بالرفع عطفا على وجنات صنوان نخلات اصلها واحد وغير صنوان ومتفرقات
مختلفة الاصول وقرأ حفص بالضم وهو لغة تميم كقنوان فى جمع قنو يسقى بماء واحد ونفضل
بعضها على بعض فى الاكل فى الثمر شكلا وقدرا ورايحة وطعما وذلك ايضا
مما يدل على الصانع الحكيم فان اختلافها مع اتحاد الاصول والاسباب لا يكون
الا بتخصيص قادر مختار وقرأ ابن عامر وعاصم ويعقوب يسقى بالتذكير على تاويل
ما ذكر وحمزة والكسائى يفضل بالياء ليطابق قوله يدبر الامر ان فى ذلك لايات
لقوم يعقلون يستعملون عقولهم بالتفكر وان تعجب يا محمد من انكارهم
فعجب قولهم حقيق بان يتعجب منه فان من قدر على انشاء ما قص عليك كانت
الاعادة ايسر شئ عليه والايات المعدودة كما هى دالة على وجود المبدأ
فهى دالة على امكان الاعادة من حيث انها تدل على كمال قدرته وقبول المواد
لانواع تصرفاته ءاذا كنا ترابا ائنا لفى خلق جديد بدل من قولهم او
مفعول له والعامل فى اذا محذوف دل عليه ائنا لفى خلق جديد اولئك الذين
كفروا بربهم لانهم كفروا بقدرته على البعث واولئك الاغلال
فى اعناقهم مقيدون بالضلال لا يرجى خلاصهم او يغلون يوم القيمة واولئك
اصحاب النار هم فيها خالدون لا ينفكون عنها وتوسيط الفصل لتخصيص الخلود
بالكفار ويستعجلونك بالسيئة قبل الحسنة بالعقوبة قبل العافية وذلك
انهم استعجلوا بما هددوا به من عذاب الدنيا استهزاء وقد خلت من قبلهم
المثلات عقوبات امثالهم من المكذبين فما لهم لم يعتبروا بها ولم يجوزوا
حلول مثلها عليهم والمثلة بفتح الثاء وضمها كالصدقة والصدقة العقوبة لانها مثل
المعاقب عليه ومنه المثال للقصاص وامثلت الرجل من صاحبه اذا اقصصته
منه وقرئ المثلات بالتخفيف والمثلات باتباع الفاء العين والمثلات بالتخفيف
بعد الاتباع والمثلات بفتح الثاء على انها جمع مثلة كركبة وركبات وان ربك
لذو مغفرة للناس على ظلمهم مع ظلمهم انفسهم ومحله النصب على الحال والعامل
فيه المغفرة والتقييد به دليل جواز العفو قبل التوبة فان التايب ليس على ظلمه
ومن منع ذلك خص الظلم بالصغاير المكفرة لمجتنب الكبائر او اول المغفرة

بالستر والامهال وان ربك لشديد العقاب للكفار او لمن شاء وعن النبي صلعم
لولا عفو الله وتجاوزه ما هنأ احد العيش ولولا وعيده وعقابه لاتكل كل احد
ويقول الذين كفروا لولا انزل عليه آية من ربه لعدم اعتدادهم
بالآيات المنزلة عليه واقتراحا لنحو ما اوتي موسى وعيسى انما انت منذر مرسل
للانذار كغيرك من الرسل وما عليك الا الاتيان بما تصح به نبوتك من جنس
المعجزات لا بما يقترح عليك ولكل قوم هاد نبي مخصوص بمعجزات من جنس
ما هو الغالب عليهم يهديهم الى الحق ويدعوهم الى الصواب او قادر
على هدايتهم وهو الله تعالى لكن لا يهدي الا من يشاء هدايته بما ينزل من الآيات
ثم اردف ذلك ما يدل على كمال علمه وقدرته وشمول قضائه وقدره
تنبيها على انه تعالى قادر على انزال ما اقترحوه وانما لم ينزل لعلمه بان اقتراحهم
للعناد دون الاسترشاد وانه قادر على هدايتهم وانما لم يهدهم لسبق
قضائه عليهم بالكفر فقال الله يعلم ما تحمل كل انثى اي حملها
او ما تحمله على اي حال هو من الاحوال الحاضرة والمترقبة وما تغيض الارحام
وما تزداد وما تنقصه وما تزداده في الجثة والمدة والعدد واقصى مدة
الحمل اربع سنين عندنا وخمس عند مالك وسنتان عند ابي حنيفة روي ان
الضحاك ولد لسنتين وهرم ابن حيان لاربع سنين واعلى عدده لا حد له
وقيل نهايته ما عرف اربعة واليه ذهب ابو حنيفة وقال الشافعي اخبرني
شيخ باليمن ان امرأته ولدت بطونا في كل بطن خمسة وقيل المراد نقصان
دم الحيض وازدياده وغاض جاء لازما ومتعديا وكذا ازداد وقال تعالى
وازدادوا تسعا فان جعلتهما لازمين تعين ما ان تكون مصدرية واسنادهما
الى الارحام على المجاز فانهما لله تعالى او لما فيها وكل شيء عنده بمقدار
بقدر لا يجاوزه ولا ينقص عنه لقوله انا كل شيء خلقناه بقدر فانه تعالى
خص كل حادث بوقت وحال معينين وهيأ له اسبابا مسوقة اليه تقتضي
ذلك عالم الغيب الغائب عن الحس والشهادة الحاضر له الكبير العظيم
الشأن الذي لا يخرج عن علمه شيء المتعال المستعلي على كل شيء بقدرته
او الذي كبر عن نعت المخلوقين وتعالى عنه سواء منكم من اسر
القول في نفسه ومن جهر به لغيره ومن هو مستخف بالليل طالب
للخفاء في مختبأ بالليل وسارب بالنهار بارز لكل احد من سرب سروبا
اذا برز وهو عطف على من او هو مستخف على ان من في معنى الاثنين كقوله
نكن مثل من يا ذئب يصطحبان كانه قال سواء منكم اثنان مستخف بالليل
وسارب بالنهار والآية متصلة بما قبلها مقررة لكمال علمه وشموله

له لمن اسر وجهر واستخفى وسرب معقبات ملائكة تعتقب في حفظه
جمع معقبة من عقبه مبالغة عقبه اذا جاء على عقبه كأن بعضهم يعقب بعضا
او لانهم يعقبون اقواله وافعاله فيكتبونه او اعتقب فادغمت التاء
في القاف والتاء للمبالغة او لان المراد بالمعقبات جماعات وقرئ معا قيب
جمع معقب او معقبة على تعويض الياء من احدى القافين من بين يديه
ومن خلفه من جوانبه او من الاعمال ما قدم واخر يحفظونه من امر الله
من بأسه متى اذنب بالاستمهال او الاستغفار له او يحفظونه من المضار
او يراقبون احواله من اجل امر الله وقد قرئ به وقيل من بمعنى الباء وقيل
من امر الله صفة ثانية لمعقبات وقيل المعقبات الحرس والجلاوزة
حول السلطان يحفظونه في توهمه من قضاء الله ان الله لا يغير ما بقوم
من العافية والنعمة حتى يغيروا ما بانفسهم من الاحوال الجميلة بالاحوال
القبيحة واذا اراد الله بقوم سوءا فلا مرد له فلا رد له والعامل في اذا ما
دل عليه الجواب وما لهم من دونه من وال ممن يلي امرهم فيدفع عنهم
السوء وفيه دليل على ان خلاف مراد الله محال هو الذي يريكم البرق
خوفا من اذاه وطمعا في الغيث وانتصابهما على العلة بتقدير المضاف اي ارادة
خوف وطمع او التأويل بالاخافة والاطماع او الحال من البرق او المخاطبين
على اضمار ذو او اطلاق المصدر بمعنى المفعول او الفاعل للمبالغة وقيل يخاف
المطر من يضره ويطمع فيه من ينفعه وينشئ السحاب الغيم المنسحب في الهواء
الثقال وهو جمع ثقيلة وانما وصف به السحاب لانه اسم جنس في معنى الجمع ويسبح
الرعد ويسبح سامعوه بحمده ملتبسين به فيصيحون سبحان الله والحمد لله او
يدل الرعد بنفسه على وحدانية الله وكمال قدرته ملتبسا بالدلالة على فضله
ونزول رحمته وعن ابن عباس سئل النبي صلعم عن الرعد فقال ملك موكل
بالسحاب معه مخاريق من نار يسوق بها السحاب والملائكة من
خيفته من خوف الله واجلاله وقيل الضمير للرعد ويرسل الصواعق فيصيب
بها من يشاء فيهلكه وهم يجادلون في الله حيث يكذبون رسول الله فيما
يصفه به من كمال العلم والقدرة والتفرد بالالوهية واعادة الناس و
مجازاتهم والجدال التشدد في الخصومة من الجدل وهو الفتل والواو اما لعطف
الجملة او للحال فانه روي ان عامر بن الطفيل واربد بن ربيعة اخا لبيد وفدا على
رسول الله صلعم قاصدين لقتله فاخذه عامر بالمجادلة ودار اربد من خلفه
ليضربه بالسيف فتنبه له الرسول وقال اللهم اكفنيهما بما شئت فارسل
الله على اربد صاعقة فقتلته ورمى عامرا بغدة فمات في بيت سلولية وكان

تقول عدو كغدة البعير وموت في بيت سلولية فنزلت **وهو شديد المحال**
المماحلة والمكايدة لأعدائه من محل فلان إذا كايده وعرضه للهلاك ومنه تمحل
إذا تكلف استعمال الحيلة ولعل أصله المحل بمعنى القحط وقيل فعال من المحل بمعنى
القوة وقيل مفعل من الحول أو الحيلة أعل على غير القياس ويعضده أنه قرئ
بفتح الميم على أنه مفعل من حال يحول إذا احتال ويجوز أن يكون بمعنى الفقار فيكون مثلا
في القوة والقدرة كقولهم فساعد الله أشد وموساه أحد **له دعوة الحق**
الدعاء الحق فإنه الذي يحق أن يعبد أو يدعى إلى عبادته دون غيره أو له الدعوة
المجابة فإن من دعاه أجاب ويؤيده ما بعده والحق على الوجهين ما يناقض الباطل و
إضافة الدعوة إليه لما بينهما من الملابسة أو على تأويل دعوة المدعو الحق وقيل الحق
هو الله تعالى وكل دعاء إليه دعوة الحق والمراد بالجملتين إن كانت الآية في عامر
وأربد أن إهلاكهما من حيث لم يشعرا به محال من الله تعالى وإجابة لدعوة رسوله
أو دلالة على أنه على الحق وإن كانت عامة فالمراد وعيد الكفرة على مجادلة
رسول الله بحلول محاله بهم وتهديدهم بإجابة دعاء الرسول عليه عليهم أو بيان
ضلالهم وفساد رأيهم **والذين يدعون من دونه** أي والأصنام الذين
يدعوهم المشركون فحذف الراجع أو والمشركون الذين يدعون الأصنام فحذف
المفعول لدلالة من دونه عليه **لا يستجيبون لهم بشيء** من الطلبات **إلا**
كباسط كفيه إلا استجابة كاستجابة من بسط كفيه **إلى الماء ليبلغ فاه** يطلب
منه أن يبلغه **وما هو ببالغه** لأنه جماد لا يشعر بدعائه ولا يقدر على إجابته
والإتيان بغير ما جبل عليه وكذلك آلهتهم وقيل شبهوا في قلة جدوى دعائهم
لها بمن أراد أن يغرف الماء ليشرب به فبسط كفيه ليشربه وقرئ تدعون بالتاء
باسط بالتنوين **وما دعاء الكافرين إلا في ضلال** في ضياع وخسار وباطل
ولله يسجد من في السموات والأرض طوعا وكرها ويحتمل أن يكون
السجود على حقيقته فإنه يسجد له الملائكة والمؤمنون من الثقلين طوعا
حالتي الشدة والرخاء والكفرة كرها حال الشدة والضرورة **وظلالهم**
بالعرض وأن يراد به انقيادهم لإحداث ما أراده منهم شاؤوا أو كرهوا و
انقياد ظلالهم لتصريفه إياها بالمد والتقلص وانتصاب طوعا وكرها بالحال أو
العلة وقوله **بالغدو والآصال** ظرف ليسجد والمراد بهما الدوام أو حال
من الظلال وتخصيص الوقتين لأن الامتداد والتقلص أظهر فيهما والغدو
جمع غداة كقنى وقناة والآصال جمع أصيل وهو ما بين العصر والمغرب وقيل
الغدو مصدر ويؤيده أنه قرئ والإيصال وهو الدخول في الأصيل **قل من**
رب السموات والأرض خالقهما ومتولي أمرهما **قل الله** أجب عنهم بذلك

إذ لا جواب لهم سواه لأنه البين الذي لا يمكن المراء فيه أو لقنهم الجواب به
قل أفاتخذتم من دونه ثم ألزمهم بذلك أن اتخاذهم منكر بعيد عن
مقتضى العقل **أولياء لا يملكون لأنفسهم نفعا ولا ضرا** لا يقدرون أن يجلبوا
إليها نفعا أو يدفعوا عنها ضرا فكيف يستطيعون إنفاع الغير ودفع الضر عنه
وهو دليل ثان على ضلالهم وفساد رأيهم في اتخاذهم أولياء رجاء أن يشفعوا
لهم **قل هل يستوي الأعمى والبصير** المشرك الجاهل بحقيقة العبادة والموجب
لها والموحد العالم بذلك وقيل المعبود الغافل عنكم والمعبود المطلع على
أحوالكم **أم هل تستوي الظلمات والنور** الشرك والتوحيد وقرأ حمزة
والكسائي وأبو بكر بالياء **أم جعلوا لله شركاء** بل أجعلوا والهمزة للإنكار وقوله
خلقوا كخلقه صفة لشركاء داخلة في حكم الإنكار **فتشابه الخلق**
عليهم خلق الله وخلقهم والمعنى أنهم ما اتخذوا لله شركاء خالقين مثله
حتى تشابه عليهم الخلق فيقولوا هؤلاء خلقوا كما خلق الله فاستحقوا العبادة
كما استحقها ولكنهم اتخذوا شركاء عاجزين لا يقدرون على ما يقدر عليه
الخلق فضلا عما يقدر عليه الخالق **قل الله خالق كل شيء** لا خالق غيره فيشاركه
في العبادة جعل الخلق موجب العبادة ولازم استحقاقها ثم نفاه عمن سواه ليدل
على قوله **وهو الواحد** أي المتوحد بالألوهية **القهار** الغالب على كل شيء
أنزل من السماء ماء من السحاب أو من جانب السماء أو من السماء نفسها
فإن المبادي منه **فسالت أودية** أنهار جمع واد وهو الموضع الذي يسيل الماء
فيه بكثرة فاتسع فيه واستعمل للماء الجاري فيه وتنكيرها لأن المطر يأتي
على تناوب بين البقاع **بقدرها** بمقدارها الذي علم الله أنه نافع غير ضار أو
بمقدارها في الصغر والكبر **فاحتمل السيل زبدا** رفعه والزبد وضر الغليان
رابيا عاليا **ومما توقدون عليه في النار** يعم الفلزات كالذهب والفضة و
الحديد والنحاس على وجه التهاون بها إظهارا لكبريائه **ابتغاء حلية** طلب
حلي **أو متاع** كالأواني وآلات الحرب والحرث والمقصود من ذكرهما بيان
منافعها **زبد مثله** أي ومما توقدون عليه زبد مثل زبد الماء وهو خبثه
ومن للابتداء أو التبعيض وقرأ حمزة والكسائي وحفص بالياء على أن الضمير للناس
وإضماره للعلم به **كذلك يضرب الله الحق والباطل** مثل الحق والباطل
فإنه مثل الحق في إفادته وثباته بالماء الذي ينزل من السماء فتسيل به الأودية
على قدر الحاجة والمصلحة فينتفع به أنواع المنافع ويمكث في الأرض بأن
يثبت بعضه في منابعه ويسلك بعضه في عروق الأرض إلى العيون والقني
والآبار وبالفلز الذي ينتفع به في صوغ الحلي واتخاذ الأمتعة المختلفة ويدوم

ذلك مدة متطاولة والباطل في قلة نفعه وسرعة زواله بزبدهما وبين ذلك
بقوله فاما الزبد فيذهب جفاء يجفاه ابرمي به السيل والفلز المذاب وانتصابه
على الحال وقرئ جفالا والمعنى واحد واما ما ينفع الناس كالماء وخلاصة الفلز فيمكث
في الارض ينتفع به اهلها كذلك يضرب الله الامثال لايضاح المشتبهات
للذين استجابوا للمؤمنين الذين استجابوا لربهم الحسنى الاستجابة الحسنى
والذين لم يستجيبوا له وهم الكفرة واللام متعلقة بيضرب على انه
جعل ضرب المثل لهما وقيل للذين استجابوا خبر الحسنى وهي المثوبة او الجنة و
الذين لم يستجيبوا مبتدا وخبره لو ان لهم ما في الارض جميعا ومثله معه
لافتدوا به وهو على الاول كلام مبتدا لبيان مآل غير المستجيبين اولئك لهم
سوء الحساب وهو المناقشة فيه بان يحاسب الرجل بذنبه لا يغفر منه شيء
ومأويهم مرجعهم جهنم وبئس المهاد المستقر والمخصوص بالذم محذوف
افمن يعلم انما انزل اليك من ربك الحق فيستجيب كمن هو اعمى عمي القلب
لا يستبصر فيستجيب والهمزة لانكار ان تقع شبهة في تشابههما بعد ما ضرب من المثل
انما يتذكر اولوا الالباب ذووا العقول المبرأة عن مشايعة الالف ومعارضة
الوهم الذين يوفون بعهد الله ما عقدوه على انفسهم من الاعتراف بربوبيته
حين قالوا بلى او ما عهد الله عليهم في كتبه ولا ينقضون الميثاق ما وثقوه
من المواثيق بينهم وبين الله وبين العباد وهو تعميم بعد تخصيص والذين
يصلون ما امر الله به ان يوصل من الرحم وموالاة المؤمنين والايمان بجميع
الانبياء ويندرج في ذلك مراعاة جميع حقوق الناس ويخشون ربهم و
يخافون سوء الحساب خصوصا فيحاسبون انفسهم قبل ان يحاسبوا والذين
صبروا على ما تكرهه النفس ويخالفه الهوى ابتغاء وجه ربهم طلبا لرضاه لا
لجود او سمعة ونحوهما واقاموا الصلوة المفروضة وانفقوا مما رزقناهم
بعضه الذي وجب عليهم انفاقه سرا لمن لم يعرف بالمال وعلانية لمن عرف به
ويدرؤن بالحسنة السيئة ويدفعونها بها فيجازون الاساءة بالاحسان او
يتبعون الحسنة السيئة فتمحوها اولئك لهم عقبى الدار عاقبة الدنيا وما ينبغي
ان يكون مآل اهلها وهي الجنة والجملة خبر الموصولات ان رفعت بالابتداء وان
جعلت صفات لاولي الالباب فاستئناف بذكر ما استوجبوا بتلك الصفات جنات
عدن بدل من عقبى الدار او مبتدا خبره يدخلونها والعدن الاقامة اي جنات يقيمون
فيها وقيل هو بطنان الجنة ومن صلح من آبائهم وازواجهم وذرياتهم
عطف على المرفوع في يدخلون وانما ساغ للفصل بالضمير الآخر او مفعول معه و
المعنى انه يلحق بهم من صلح من اهلهم وان لم يبلغ مبلغ فضلهم تبعا لهم وتعظيما لشأنهم

وهو دليل على ان الدرجة تعلوا بالشفاعة وان الموصوفين بتلك الصفات
يقرن بعضهم ببعض لما بينهم من القرابة والوصلة في دخول الجنة زيادة في انسهم
والتقييد بالصلاح دلالة على ان مجرد الانساب لا ينفع والملائكة يدخلون
عليهم من كل باب من ابواب المنازل او من ابواب الفتوح والتحف
قائلين سلام عليكم بشارة بدوام السلامة بما صبرتم متعلق بعليكم
او بمحذوف اي هذا بما صبرتم لا بسلام فان الخبر فاصل والباء للسببية او البدلية
فنعم عقبى الدار وقرئ فنعم بفتح النون والاصل نعم فسكن العين بنقل كسرتها
الى الفاء وبغيره والذين ينقضون عهد الله يعني مقابل الاولين من بعد ميثاقه
من بعد ما اوثقوه من الاقرار والقبول ويقطعون ما امر الله به ان يوصل
ويفسدون في الارض بالظلم وتهييج الفتن اولئك لهم اللعنة ولهم سوء
الدار عذاب جهنم او سوء عاقبة الدنيا لانه في مقابلة عقبى الدار الله يبسط
الرزق لمن يشاء ويقدر يوسعه ويضيقه وفرحوا اي اهل مكة بالحيوة
الدنيا بما بسط لهم في الدنيا وما الحيوة الدنيا في الاخرة في جنب الاخرة الا
متاع الا متعة لا تدوم كعجالة الراكب وزاد الراعي والمعنى انهم اشروا بما نالوا
من الدنيا ولم يصرفوا فيما يستوجبون به نعيم الاخرة واغتروا بما هو في جنبه نزر
قليل النفع سريع الزوال ويقول الذين كفروا لولا انزل عليه آية
من ربه قل ان الله يضل من يشاء باقتراح الآيات بعد ظهور المعجزات
ويهدي اليه من اناب اقبل الى الحق ورجع عن العناد وهو جواب يجري مجرى
التعجب من قولهم كانه قال قل لهم ما اعظم عنادكم ان الله يضل من
يشاء ممن كان على صفتكم فلا سبيل الى اهتدائهم وان انزلت كل
آية ويهدي اليه من اناب بما جئت به بل بادنى منه من الآيات الذين آمنوا
بدل من من او خبر مبتدا محذوف وتطمئن قلوبهم بذكر الله انسا به
واعتمادا عليه ورجاء منه او بذكر رحمته بعد القلق من خشيته او بذكر
دلائله على وجوده ووحدانيته او بكلامه يعني القرآن الذي هو اقوى المعجزات
الا بذكر الله تطمئن القلوب تسكن اليه الذين آمنوا وعملوا الصالحات
مبتدا خبره طوبى لهم وهو فعلى من الطيب قلبت ياؤه واوا لضمة ما قبلها
مصدر لطاب كبشرى وزلفى ويجوز فيه الرفع والنصب ولذلك قرئ وحسن مآب
بالنصب كذلك مثل ذلك يعني ارسال الرسل قبلك ارسلناك في امة قد خلت
من قبلها تقدمتها امم ارسلوا اليهم فليس ببدع ارسالك اليها لتتلو عليهم الذي
اوحينا اليك لتقرأ عليهم الكتاب الذي اوحيناه اليك وهم يكفرون بالرحمن
وحالهم انهم يكفرون بالبليغ الرحمة الذي احاطت بهم نعمته ووسعت كل شيء

رحمته ولعلهم يشكروا نعمه وخصوصا ما انعم عليهم بارسالك اليهم وانزال
القران الذي هو مناط المنافع الدينية والدنياوية عليهم وقيل نزلت
في مشركي مكة حين قيل لهم اسجدوا للرحمن قالوا وما الرحمن قل هو
ربي اي الرحمن خالقي ومتولي امري لا اله الا هو لا مستحق للعبادة سواه
عليه توكلت في نصرتي عليكم واليه متاب مرجعي ومرجعكم ولو ان
قرانا سيرت به الجبال بشرط حذف جوابه والمراد منه تعظيم شان القران او
المبالغة في عناد الكفرة وتصميمهم اي ولو ان كتابا زعزعت به الجبال عن مقارها
او قطعت به الارض تصدعت من خشية الله عند قراءته او شققت فجعلت
انهارا وعيونا او كلم به الموتى فتقرأه فتسمع وتجيب عند قراءته لكان
هذا القران لانه الغاية في الاعجاز والنهاية في التذكير والانذار او لما
امنوا به كقوله ولو اننا نزلنا اليهم الملائكة الاية وقيل ان قريشا
قالوا يا محمد ان سرك ان نتبعك فسير بقراءتك الجبال عن مكة حتى يتسع لنا
فنتخذ فيها بساتين وقطايع او سخر لنا به الريح لنركبها ونتجر الى الشام او
ابعث لنا به قصي بن كلاب وغيره من ابائنا ليكلمونا فيك فنزلت وعلى هذا
فتقطيع الارض قطعها بالسير وقيل الجواب مقدم وهو قوله وهم يكفرون
بالرحمن وما بينهما اعتراض وتذكير كلم خاصة لاشتمال الموتى على المذكر
الحقيقي بل لله الامر جميعا بل لله القدرة على كل شيء وهو اضراب عما تضمنه لو
من معنى النفي اي بل الله قادر على الاتيان بما اقترحوه من الايات الا ان
ارادته لم تتعلق بذلك لعلمه بانه لا يلين له شكيمتهم ويؤيد ذلك قوله افلم
ييأس الذين امنوا عن ايمانهم مع ما راوا من احوالهم وذهب اكثرهم
الى ان معناه افلم يعلم لما روي ان عليا وابن عباس وجماعة من الصحابة
والتابعين قرءوا افلم يتبين وهو تفسيره وانما استعمل الياس بمعنى العلم
لانه مسبب عن العلم بان المايوس عنه لا يكون ولذلك علقه بقوله ان لو يشاء
الله لهدى الناس جميعا فان معناه نفي هدى بعض الناس لعدم تعلق المشية
باهتدايهم وهو على الاول متعلق بمحذوف تقديره افلم ييأس الذين امنوا
من ايمانهم علما منهم ان لو يشاء الله لهدى الناس جميعا او بامنوا ولا يزال الذين
كفروا تصيبهم بما صنعوا من الكفر وسوء الاعمال قارعة داهية تقرعهم
وتقلقهم او تحل قريبا من دارهم فيفزعون منها ويتطاير اليهم شررها
وقيل الاية في كفار مكة فانهم لا يزالون مصابين بما صنعوا برسول الله
فانه عليه السلام كان لا يزال يبعث السرايا فتغير حواليهم وتخطف مواشيهم
وعلى هذا يجوز ان يكون تحل خطابا للرسول فانه حل بجيشه قريبا من دارهم

عام

عام الحديبية حتى ياتي وعد الله الموت او القيمة او فتح مكة ان الله لا يخلف
الميعاد لامتناع الكذب في كلامه ولقد استهزئ برسل من قبلك فامليت للذين
كفروا تسلية لرسول الله صلعم ووعيد للمستهزئين به والمقترحين عليه و
الاملاء ان يترك ملاوة من الدهر في دعة وامن ثم اخذتهم فكيف كان
عقاب اي عقابي اياهم افمن هو قائم على كل نفس رقيب عليه بما كسبت
من خير او شر لا يخفى عليه شيء من اعمالهم ولا يفوت عنده شيء من جزائهم و
الخبر محذوف تقديره كمن ليس كذلك وجعلوا لله شركاء استيناف او
عطف على كسبت ان جعلت ما مصدرية او لم يوحدوه وجعلوا عطف عليه ويكون
الظاهر فيه موضع المضمر للتنبيه على انه المستحق للعبادة وقوله قل سموهم
تنبيه على ان هولاء الشركاء لا يستحقونها والمعنى صفوهم فانظروا اهل لهم ما يستحقون
به العبادة ويتاهلون للشركة ام تنبئونه بل اتنبئونه وقرئ تنبئونه بالتخفيف
بما لا يعلم في الارض بشركاء يستحقون العبادة لا يعلمها او بصفات لهم يستحقونها
لاجلها لا يعلمها وهو العالم بكل شيء ام بظاهر من القول ام تسمونهم شركاء
بظاهر من القول من غير حقيقة واعتبار معنى كتسمية الزنجي كافورا وهذا احتجاج بليغ
على اسلوب عجيب ينادي على نفسه بالاعجاز بل زين للذين كفروا مكرهم
تمويههم فتخيلوا باطلا ثم خالوها او كيدهم للاسلام بشركهم وصدوا عن السبيل
سبيل الحق وقرا ابن كثير ونافع وابو عمرو وابن عامر وصدوا بالفتح اي صدوا
الناس عن الايمان وقرئ بالكسر وصد بالتنوين ومن يضلل الله يخذله فما له من
هاد يوفقه للهدى لهم عذاب في الحيوة الدنيا بالقتل والاسر وسائر ما
يصيبهم من المصائب ولعذاب الاخرة اشق لشدته ودوامه وما لهم
من الله من عذابه او من رحمته من واق حافظ مثل الجنة التي وعد
المتقون صفتها التي هي مثل في الغرابة وهو مبتدا خبره محذوف عند سيبويه اي فيما
قصصنا عليكم مثل الجنة وقيل خبره تجري من تحتها الانهار على طريقة قولك
صفة زيد اسمر او على حذف موصوف اي مثل الجنة جنة تجري من تحتها الانهار او على زيادة
المثل وهو على قول سيبويه حال من العايد المحذوف من الصلة اكلها دائم لا ينقطع ثمرها
وظلها اي وظلها كذلك لا ينسخ كما ينسخ في الدنيا بالشمس تلك اي الجنة الموصوفة
عقبى الذين اتقوا مآلهم ومنتهى امرهم وعقبى الكافرين النار لا غير
وفي ترتيب النظمين اطماع للمتقين واقناط للكافرين والذين اتيناهم الكتاب
يفرحون بما انزل اليك يعني المسلمين من اهل الكتاب كابن سلام واصحابه
ومن امن من النصارى وهم ثمانون رجلا اربعون بنجران وثمانية باليمن واثنان
بالحبشة او عامتهم فانهم كانوا يفرحون بما يوافق كتبهم ومن الاحزاب يعني

من الزمان خ

كفرتهم الذين تحزبوا على رسول الله صلعم بالعداوة ككعب بن الاشرف واصحابه والسيد
والعاقب واشياعهما من ينكر بعضه وهو ما يخالف شرايعهم او ما يوافق ما
حرفوه منها قل انما امرت ان اعبد الله ولا اشرك به جواب للمنكرين اي
قل لهم اني امرت فيما انزل الي بان اعبد الله واوحده وهو العمدة في الدين و
لا سبيل لكم الى انكاره واما ما تنكرونه لما يخالف شرايعكم فليس ببدع مخالفة
الشرايع والكتب الالهية في جزئيات الاحكام وقرئ ولا اشرك بالرفع على الاستئناف
اليه ادعوا لا الى غيره واليه ماب واليه مرجعي للجزاء لا الى غيره وهذا هو القدر
المتفق عليه بين الانبياء فاما ما عدا ذلك من التفاريع فمما يختلف بالاعصار و
الامم فلا معنى لانكاركم المخالفة فيه وكذلك ومثل هذا الانزال المشتمل على اصول
الديانات المجمع عليها انزلناه حكما يحكم في القضايا والوقايع بما تقتضيه
الحكمة عربيا مترجما بلسان العرب ليسهل لهم فهمه وحفظه وانتصابه على
الحال ولين اتبعت اهواءهم التي يدعونك اليها لتقرير دينهم والصلوة الى
قبلتهم بعد ما حولت عنها بعد ما جاءك من العلم بنسخ ذلك ما لك من الله
من ولي ولا واق ينصرك ويمنع العقاب عنك وهو حسم لاطماعهم وتهييج
للمومنين على الثبات في دينهم ولقد ارسلنا رسلا من قبلك بشرا مثلك وجعلنا
لهم ازواجا وذرية نساء واولادا كما هي لك وما كان لرسول وما صح
له ولم يكن في وسعه ان ياتي باية تقترح عليه وحكم يلتمس منه الا باذن
الله فانه المليء بذلك لكل اجل كتاب لكل وقت وامد حكم يكتب على العباد
على ما تقتضيه استصلاحهم يمحوا الله ما يشاء ينسخ ما يستوجب نسخه ويثبت
ما تقتضيه حكمته وقيل يمحو سيات التايب ويثبت الحسنات مكانها وقيل
يمحو من كتاب الحفظة ما لا يتعلق به جزاء ويترك غيره مثبتا او يثبت ما راه
وحده في صميم قلبه وقيل يمحو قرنا ويثبت اخرين وقيل يمحو الفاسدات ويثبت
الكاينات وقرا نافع وابن عامر وحمزة والكسائي ويثبت بالتشديد وعنده ام
الكتاب اصل الكتب وهو اللوح المحفوظ اذ ما من كاين الا وهو مكتوب فيه
واما نرينك بعض الذي نعدهم او نتوفينك وكيفما دارت الحال اريناك
بعض ما وعدناهم او توفيناك قبله فانما عليك البلاغ لا غير وعلينا الحساب
للمجازاة لا عليك فلا تحتفل باعراضهم ولا تستعجل بعذابهم فانا فاعلون
له وهذا طلايعه اولم يروا انا ناتي الارض ارض الكفرة ننقصها من
اطرافها بما نفتحه على المسلمين منها والله يحكم لا معقب لحكمه لا راد له و
حقيقته الذي يعقب الشيء بالابطال ومنه قيل لصاحب الحق معقب لانه يقفو
غريمه بالاقتضاء والمعنى انه حكم للاسلام بالاقبال وعلى الكفر بالادبار وذلك كاين

لا يمكن تغييره ومحل لا مع المنفي النصب على الحال اي يحكم نافذا حكمه وهو سريع
الحساب فيحاسبهم عما قليل في الاخرة بعد ما عذبهم بالقتل والاجلاء في الدنيا
وقد مكر الذين من قبلهم بانبيائهم والمومنين بهم فلله المكر جميعا
اذ لا يوبه بمكر دون مكره فانه القادر على ما هو المقصود منه دون غيره يعلم
ما تكسب كل نفس فيعد جزاءها وسيعلم الكفار لمن عقبى الدار من الحزبين
حيثما ياتيهم العذاب المعد لهم وهم في غفلة منه وهذا كالتفسير لمكر الله
بهم واللام يدل على ان المراد بالعقبى العاقبة المحمودة مع ما في الاضافة الى الدار
كما عرفت وقرا ابن كثير ونافع وابو عمرو والكافر على ارادة الجنس و
قرئ الكافرون والذين كفروا والكفر اي اهله وسيعلم من اعلمه اذا اخبره
ويقول الذين كفروا لست مرسلا قيل المراد رؤساء اليهود قل كفى بالله
شهيدا بيني وبينكم فانه اظهر من الادلة على رسالتي ما يغني عن شاهد يشهد
عليها ومن عنده علم الكتاب علم القران وما الف عليه من النظم المعجز
او علم التورية وهو ابن سلام واضرابه او علم اللوح المحفوظ وهو الله اي وكفى بالذي
يستحق العبادة وبالذي لا يعلم ما في اللوح الا هو شهيدا بيننا فيخزي الكاذب
منا ويويده قراءة من قرا ومن عنده بالكسر وعلم الكتاب على الاول
يرتفع بالظرف فانه معتمد على الموصول ويجوز ان يكون مبتدا والظرف خبره وهو
متعين للثانية وقرئ ومن عنده علم الكتاب على الحرف والبناء للمفعول عن رسول الله صلعم
من قرا سورة الرعد اعطي من الاجر عشر حسنات بوزن كل سحاب مضى وكل سحاب
يكون الى يوم القيمة وبعث يوم القيمة من الموفين بعهد الله سورة ابرهيم
مكية وهي احدى وخمسون اية بسم الله الرحمن الرحيم الر كتاب
اي هو كتاب انزلناه اليك لتخرج الناس بدعائك اياهم الى ما تضمنه من الظلمات
من انواع الضلال الى النور الى الهدى باذن ربهم بتوفيقه وتسهيله مستعار
من الاذن الذي هو تسهيل الحجاب وهو صلة لتخرج او حال من فاعله او مفعوله
الى صراط العزيز الحميد بدل من قوله الى النور بتكرير العامل او استئناف على انه
جواب لمن سال عنه واضافة الصراط الى الله اما لانه مقصده او المظهر له
وتخصيص الوصفين للتنبيه على انه لا يذل سالكه ولا يخيب سابله الله الذي
له ما في السموات وما في الارض على قراءة نافع وابن عامر مبتدا وخبر او الله
خبر مبتدا محذوف والذي صفته وعلى قراءة الباقين عطف بيان للعزيز لانه
كالعلم لاختصاصه بالمعبود على الحق وويل للكافرين من عذاب شديد
وعيد لمن كفر بالكتاب ولم يخرج به من الظلمات الى النور والويل
نقيض الوال وهو النجاة واصله النصب لانه مصدر الا انه لم يشتق منه لكنه

رفع لا بادة التبات الذين يستحبون الحيوة الدنيا على الاخرة يختارونها عليها
فان المختار للشئ يطلب من نفسه ان يكون احب اليها من غيره ويصدون
عن سبيل الله بتعويق الناس عن الايمان وقرئ يصدون من اصده وهو منقول
من صد صدودا اذا انتكب وليس فصيحا لان في صده مندوحة عن تكلف
التعديد ويبغونها عوجا ويبغون لها زيغا ونكوبا عن الحق ليقدحوا فيه فحذف
الجار واوصل الفعل الى الضمير والموصول بصلته يحتمل الجر صفة للكافرين و
النصب على الذم والرفع عليه على انه مبتدا خبره اولئك في ضلال بعيد اى
ضلوا عن الحق ووقعوا عنه بمراحل والبعد في الحقيقة للضال فوصف به فعله
للمبالغة او للامر الذي به الضلال فوصف به لملابسته وما ارسلنا من
رسول الا بلسان قومه الا بلغة قومه الذي هو منهم وبعث فيهم ليبين
لهم ما امروا به فيفقهوه عنه بيسر وسرعة ثم ينقلوه ويترجموه لغيرهم
فانهم اولى الناس اليه بان يدعوهم واحق ان ينذرهم ولذلك امر
النبي صلعم بانذار عشيرته اولا ولو نزل على من بعث الى امم مختلفة كتب
على السنتهم استقل ذلك بنوع من الاعجاز ولكن ادى الى اختلاف
الكلمة واضاعة فضل الاجتهاد في تعلم الالفاظ
ومعانيها والعلوم المتشعبة منها وما في اتعاب القرايح وكد النفس من
القرب المقتضية لجزيل الثواب وقرئ بلسن وهو لغة فيه كريش ورياش
ولسن بضمتين وضمة وسكون على الجمع كعمد وعمد وقيل الضمير في قومه
لمحمد عليه السلام وانه تعالى انزل الكتب كلها بالعربية ثم ترجمها جبرئيل او كل
نبي بلغة المنزل عليهم وذلك يرده قوله ليبين لهم فانه ضمير القوم والتورية
والانجيل ونحوهما لم تنزل ليبين للعرب فيضل الله من يشاء فيخذله عن
الايمان ويهدي من يشاء بالتوفيق له وهو العزيز فلا يغلب على مشيته
الحكيم الذي لا يضل ولا يهدي الا لحكمة ولقد ارسلنا موسى باياتنا
يعني اليد والعصا وساير معجزاته ان اخرج قومك من الظلمات الى
النور بمعنى اخرج لان في الارسال معنى القول او بان اخرج فان صيغ الافعال سواء
في الدلالة على المصدر فيصح ان يوصل بها ان الناصبة وذكرهم بايام الله بوقايعه
التي وقعت على الامم الدارجة وايام العرب حروبها وقيل بنعمايه وبلايه
ان في ذلك لايات لكل صبار شكور يصبر على بلايه ويشكر لنعمايه
فانه اذا سمع بما نزل على من قبله من البلاء وافيض عليهم من النعماء اعتبر وتنبه
لما يجب عليه من الصبر والشكر وقيل المراد لكل مؤمن وانما عبر عنهم بذلك
تنبيها على ان الصبر والشكر عنوان المؤمن واذ قال موسى لقومه اذكروا

نعمة الله عليكم اذ انجاكم من ال فرعون اى اذكروا نعمته وقت انجائه
اياكم او يجوز ان ينتصب بعليكم ان جعلت مستقرة غير صلة للنعمة وذلك اذا اريدت
بها العطية دون الانعام ويجوز ان يكون بدلا من نعمة الله بدل الاشتمال يسومونكم
سوء العذاب ويذبحون ابناءكم ويستحيون نساءكم احوال من ال فرعون
او من ضمير المخاطبين والمراد بالعذاب ههنا غير المراد به في سورة البقرة والاعراف
لانه مفسر بالتذبيح والقتل ثم وعطف عليه التذبيح ههنا وهو اما جنس العذاب
او استعبادهم واستعمالهم بالاعمال الشاقة وفي ذلكم من حيث انه باقدار الله
اياهم وامهاله لهم فيه بلاء من ربكم عظيم ابتلاء منه ويجوز ان يكون الاشارة
الى الانجاء والمراد بالبلاء النعمة واذ تاذن ربكم ايضا من كلام موسى
ويجوز ان يكون الاشارة الى انجاء موسى عليه وتاذن بمعنى اذن كتوعد واوعد غير انه
ابلغ لما في التفعل من معنى التكلف والمبالغة لئن شكرتم يا بني اسرائيل ما انعمت عليكم
من الانجاء وغيره بالايمان والعمل الصالح لازيدنكم نعمة الى نعمة ولئن كفرتم
ان عذابي لشديد فلعلي اعذبكم بالكفر عذابا شديدا ومن عادة اكرم الاكرمين
ان يصرح بالوعد وتعرض بالوعيد والجملة مفعول قول مقدر او مفعول تاذن على انه
يجري مجرى قال لانه ضرب منه وقال موسى ان تكفروا انتم ومن في الارض جميعا
من الثقلين فان الله لغني عن شكركم حميد مستحق للحمد في ذاته محمود يحمده
الملائكة وتنطق بنعمته ذرات المخلوقات فما ضررتم بالكفران الا انفسكم حيث
حرمتموها مزيد الانعام وعرضتموها للعذاب الشديد الم ياتكم نبؤا الذين من
قبلكم قوم نوح وعاد وثمود من كلام موسى او كلام مبتدا من الله والذين
من بعدهم لا يعلمهم الا الله جملة وقعت اعتراضا والذين من بعدهم عطف
على ما قبله ولا يعلمهم اعتراضا والمعنى انهم لكثرتهم لا يعلم عددهم الا الله ولذلك قال
ابن مسعود كذب النسابون جاءتهم رسلهم بالبينات فردوا ايديهم في افواههم
فعضوها غيظا مما جاءت به الرسل كقوله عضوا عليكم الانامل من الغيظ او وضعوها
عليها تعجبا منه او استهزاء عليه كمن غلبه الضحك او اسكاتا للانبياء وامرا لهم باطباق
الافواه او اشاروا بها الى السنتهم وما نطقت به من قولهم انا كفرنا تنبيها على انه لا جواب
لهم سواه او ردوها في افواه الانبياء التي هي مواعظهم وما اوحى اليهم من الحكم والشرايع
في افواههم لانهم اذا كذبوها ولم يقبلوها فكانهم ردوها الى حيث جاءت منه و
قالوا انا كفرنا بما ارسلتم به على زعمكم وانا لفي شك مما تدعوننا اليه من الايمان
وقرئ تدعونا بالادغام مريب موقع في الريبة او ذي ريبة وهي قلق النفس
وان لا تطمين الى الشئ قالت رسلهم افي الله شك ادخلت همزة الانكار على
الظرف لان الكلام في المشكوك فيه لا في الشك انما ايدعوكم الى الله وهو لا يحتمل الشك

لكثرة الادلة وظهور دلالتها عليه واشار الى ذلك بقوله فاطر السموات
والارض وهو صفة او بدل وشك مرتفع بالظرف يدعوكم الى الايمان ببعثه
ايانا ليغفر لكم او يدعوكم الى المغفرة كقولك دعوته لينصرني على اقامة
المفعول له مقام المفعول به من ذنوبكم بعض ذنوبكم وهو ما بينكم
وبينه فان الاسلام يجبه دون المظالم ~~ولعل المعنى فيه ان المغفرة حيث جاءت~~
وقيل جيء بمن في خطاب الكفرة دون المؤمنين في جميع القرآن تفرقة بين الخطابين
ولعل المعنى فيه ان المغفرة حيث جاءت في المؤمنين مشفوعة بالطاعة والتجنب عن المعاصي
ونحو ذلك فتتناول الخروج عن المظالم ويؤخركم الى اجل مسمى الى وقت سماه الله
وجعله اخر اعماركم قالوا ان انتم الا بشر مثلنا لا فضل لكم علينا فلم تخصون
بالنبوة دوننا ولو شاء الله ان يبعث الى البشر رسلا لبعث من جنس افضل
تريدون ان تصدونا عما كان يعبد اباؤنا بهذه الدعوى فأتونا بسلطان
مبين يدل على فضلكم واستحقاقكم لهذه المزية او على صحة ادعائكم النبوة
كانهم لم يعتبروا ما اتوا به من البينات والحجج واقترحوا عليهم اية اخرى تعنتا ولجاجا
قالت لهم رسلهم ان نحن الا بشر مثلكم ولكن الله يمن على
من يشاء من عباده سلموا مشاركتهم في الجنس وجعلوا الموجب لاختصاصهم
بالنبوة فضل الله ومنه عليهم وفيه دليل على ان النبوة عطائية وان ترجيح بعض
الجائزات على بعض بمشيئة الله تعالى وما كان لنا ان ناتيكم بسلطان
الا باذن الله اي ليس الينا الاتيان بالايات ولا تستبد به استطاعتنا حتى ناتي
بما اقترحتموه وانما هو امر يتعلق بمشيئة الله تعالى فيخص كل نبي بنوع من الايات
وعلى الله فليتوكل المؤمنون فلنتوكل عليه في الصبر على معاندتكم ومعاداتكم
عمموا الامر للاشعار بما يوجب التوكل وقصدوا به انفسهم قصدا اوليا الا ترى
قوله وما لنا الا نتوكل على الله اي اي عذر لنا في ان لا نتوكل وقد هدانا
سبلنا التي بها نعرفه ونعلم ان الامور كلها بيده وقرا ابو عمرو بالتخفيف هنا
وفي العنكبوت ولنصبرن على ما اذيتمونا جواب قسم محذوف اكدوا به
توكلهم وعدم مبالاتهم لما يجري من الكفار عليهم وقال الذين كفروا
لرسلهم لنخرجنكم من ارضنا او لتعودن في ملتنا حلفوا على ان يكون
احد الامرين اما اخراجهم للرسل او عودهم الى ملتهم وهو بمعنى الصيرورة لانهم
لم يكونوا على ملتهم قط ويجوز ان الخطاب لكل رسول ولمن امن معه فغلبوا
الجماعة على الواحد فاوحى اليهم ربهم اي الى الرسل لنهلكن الظالمين
على اضمار القول او اجراء الايحاء مجراه لانه نوع منه ولنسكننكم الارض من
بعدهم اي ارضهم وديارهم لقوله واورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون مشارق

الارض

الارض ومغاربها وقرئ ليهلكن وليسكننكم بالياء اعتبارا لاوحى كقولك اقسم زيد ليخرجن
ذلك اشارة الى الموحى به وهو اهلاك الظالمين واسكان المؤمنين لمن خاف مقامي
موقفي وهو الموقف الذي يقيم فيه العباد للحكومة يوم القيمة او قيامي عليه وحفظي
لاعماله وقيل المقام مقحم وخاف وعيد اي وعيدي بالعذاب او عذابي الموعود
للكفار واستفتحوا سالوا من الله الفتح على اعدائهم او القضاء بينهم وبين اعاديهم
من الفتاحة كقوله ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق وهو معطوف على فاوحى والضمير
للانبياء وقيل للكفرة وقيل للفريقين فان كلهم سالوا ان ينصر المحق ويهلك
المبطل وقرئ بلفظ الامر عطفا على ليهلكن وخاب كل جبار عنيد اي ففتح لهم
فافلح المؤمنون وخاب كل عات متكبر على الله معاند للحق فلم يفلح ومعنى الخيبة اذا
كان الاستفتاح من الكفرة او من القبيلتين كان اوقع من ورائه جهنم اي من
بين يديه فانه مرصد بها واقف على شفيرها في الدنيا مبعوث اليها في الاخرة وقيل من
وراء حياته وحقيقته ما توارى عنك ويسقى من ماء عطف على محذوف تقديره من
ورائه جهنم يلقى فيها ما يلقى ويسقى من ماء صديد عطف بيان لماء وهو ما يسيل من جلود
اهل النار يتجرعه يتكلف جرعه وهو صفة لماء او حال من الضمير في يسقى ولا يكاد
يسيغه ولا يقارب ان يسيغه فكيف يسيغه بل يغص به فيطول عذابه والسوغ جواز
الشراب على الحلق بسهولة وقبول نفس ويأتيه الموت من كل مكان
اي اسبابه من الشدائد فيحيط به من جميع الجهات وقيل من كل مكان من جسده
حتى من اصول شعره وابهام رجله وما هو بميت فيستريح ومن ورائه ومن بين
يديه عذاب غليظ اي يستقبل في كل وقت عذابا اشد مما هو عليه وقيل هو الخلود
في النار وقيل حبس الانفاس وقيل الاية منقطعة عن قصة الرسل نازلة في اهل
مكة طلبوا الفتح الذي هو المطر في سنيهم التي ارسل الله عليهم بدعوة رسوله فخيب
رجاءهم فلم يسقهم ووعد لهم ان يسقيهم في جهنم بدل سقياهم صديد اهل النار
مثل الذين كفروا بربهم مبتدأ خبره محذوف اي فيما يتلى عليكم صفتهم
التي هي مثل في الغرابة او قوله اعمالهم كرماد وهي على الاول جملة مستانفة لبيان
مثلهم وقيل اعمالهم بدل من المثل والخبر كرماد اشتدت به الريح
حملته واسرعت الذهاب به وقرأ نافع الرياح في يوم عاصف العصف اشتداد
الريح وصف به زمانه للمبالغة كقولهم نهاره صائم وليله قائم شبه صنائعهم من
الصدقة وصلة الرحم واغاثة الملهوف وعتق الرقاب ونحو ذلك من مكارمهم
في حبوطها لبنائها على غير اساس من معرفة الله والتوجه بها اليه او اعمالهم للاصنام
برماد طيرته الريح العاصفة لا يقدرون يوم القيمة مما كسبوا من اعمالهم
على شيء لحبوطه فلا يرون له اثرا من الثواب وهو فذلكة التمثيل ذلك اشارة

الى اضلالهم مع حسبانهم انهم محسنون هو الضلال البعيد فانه الغاية
فى البعد عن طريق الحق الم تر خطاب للنبى والمراد امته وقيل لكل واحد
من الكفرة على التلوين ان الله خلق السموات والارض بالحق بالحكمة
والوجه الذى يحق ان يخلق عليه وقرا حمزة والكسائى خالق السموات ان يشا يذهبكم
ويات بخلق جديد يعدمكم ويخلق خلقا اخر مكانكم رتب ذلك على كونه
خالق السموات والارض استدلالا به عليه فان من خلق اصولهم وما يتوقف عليه
تخليقهم ثم كونهم بتبديل الصور وتغيير الطبايع قدر ان يبدلهم بخلق اخر
ولم يمتنع عليه ذلك كما قال وما ذلك على الله بعزيز بمتعذر او متعسر فانه
قادر لذاته لا اختصاص له بمقدور دون مقدور ومن هذا شانه كان حقيقا بان يومن
به ويعبد رجاء لثوابه وخوفا من عقابه يوم الجزاء وبرزوا لله جميعا اى يبرزون
من قبورهم يوم القيمة لامر الله ومحاسبته او لله على ظنهم فانهم كانوا يخفون
ارتكاب الفواحش ويظنون انها تخفى على الله فاذا كان يوم القيمة انكشفوا لله عند
انفسهم وانما ذكر بلفظ الماضى لتحقق وقوعه فقال الضعفاء الاتباع جمع ضعيف
يريد به ضعاف الراى وانما كتب بالواو على لفظ من يفخم الالف قبل الهمزة فيميلها
الى الواو للذين استكبروا لرؤساهم الذين استتبعوهم واستغووهم انا
كنا لكم تبعا فى تكذيب الرسل والاعراض عن نصايحهم وهو جمع تابع كغايب و
غيب او مصدر نعت به للمبالغة او على اضمار مضاف فهل انتم مغنون
عنا دافعون عنا من عذاب الله من شىء من الاولى للبيان واقعة موقع
الحال والثانية للتبعيض واقعة موقع المفعول اى بعض الشىء الذى هو عذاب الله
ويجوز ان يكونا للتبعيض اى بعض شىء هو بعض عذاب الله والاعراب ما سبق و
يحتمل ان يكون الاولى مفعولا والثانية مصدرا اى فهل انتم مغنون بعض العذاب
بعض الاغناء قالوا اى الذين استكبروا جوابا عن معاتبة الاتباع واعتذارا
عما فعلوا بهم لو هدينا الله للايمان او وفقنا له لهديناكم
ولكن ضللنا فاضللناكم اى اخترنا لكم ما اخترناه لانفسنا او لو هدانا الله
طريق النجاة من العذاب لهديناكم واغنيناه عنكم كما عرضناكم له لكن
سد دوننا طريق النجاة سواء علينا اجزعنا ام صبرنا مستويان علينا الجزع و
الصبر ما لنا من محيص منجى ومهرب من العذاب من الحيص وهو العدول
على جهة الفرار وهو يحتمل ان يكون مكانا كالمبيت ومصدرا كالمغيب ويجوز
ان قوله سواء علينا كلام الفريقين ويويده ما روى انهم يقولون تعالوا نجزع
فيجزعون خمسمائة عام فلا ينفعهم فيقولون تعالوا نصبر فيصبرون كذلك
ثم يقولون سواء علينا وقال الشيطان لما قضى الامر احكم وفرغ منه ودخل

اهل

اهل الجنة الجنة واهل النار النار خطيبا فى الاشقياء من الثقلين ان الله وعدكم وعد الحق
وعدا من حقه ان ينجز او وعدا انجزه وهو الوعد بالبعث والجزاء ووعدتكم وعد الباطل
وهو ان لا بعث ولا حساب وان كان فالاصنام تشفع لكم فاخلفتكم جعل
تبين خلف وعده كالاخلاف منه وما كان لى عليكم من سلطان تسلط فالجئكم
الى الكفر والمعاصى الا ان دعوتكم الا دعائى اياكم اليها بتسويل وهو ليس من جنس
السلطان ولكنه على طريقة قولهم تحية بينهم ضرب وجيع ويجوز ان يكون الاستثناء
منقطعا فاستجبتم لى اسرعتم اجابتى فلا تلومونى بوسوستى فان من صرح العداوة
لا يلام بامثال ذلك ولوموا انفسكم حيث اطعتمونى اذ دعوتكم ولم تطيعوا
ربكم لما دعاكم واحتجت المعتزلة بامثال ذلك على استقلال العبد بافعاله وليس فيها
ما يدل عليه اذ يكفى لصحتها ان يكون لقدرة العبد مدخل ما فى فعله وهو الكسب الذى
يقوله اصحابنا ما انا بمصرخكم بمغيثكم من العذاب وما انتم بمصرخى بمغيثى وقرا
حمزة بكسر الياء على الاصل فى التقاء الساكنين وهو اصل مرفوض فى مثله لما فيه من اجتماع
ياءين وثلث كسرات مع ان حركة ياء الاضافة الفتح فاذا لم تكسر وقبلها الف فبالحرى
ان لا تكسر وقبلها ياء او على لغة من يزيد ياء على ياء الاضافة اجراء لها مجرى الهاء والكاف
فى ضربته واعطيتكه وحذف الياء اكتفاء بالكسرة انى كفرت بما اشركتمونى
من قبل ما اما مصدرية ومن متعلقة باشركتمونى اى كفرت اليوم باشراككم
اياى من قبل هذا اليوم اى فى الدنيا تبرات منه واستنكرته لقوله ويوم القيمة يكفرون
بشرككم او موصولة بمعنى من نحو ما فى قولهم سبحان من سخركن لنا ومن متعلقة
بكفرت اى كفرت بالذى اشركتمونيه وهو الله تعالى بطاعتكم اياى فيما دعوتكم اليه
من عبادة الاصنام وغيرها من قبل اشراككم حين رددت امره بالسجود لادم
واشرك منقول من شركت زيدا للتعدية الى مفعول ثان ان الظالمين لهم عذاب
اليم تتمة كلامه او ابتداء كلام الله تعالى وفى حكاية امثال ذلك لطف للسامعين و
ايقاظ لهم حتى يحاسبوا انفسهم ويتدبروا عواقبهم وادخل الذين امنوا و
عملوا الصالحات جنات تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها باذن
ربهم باذن الله وامره والمدخلون هم الملايكة وقرئ ادخل على التكلم فيكون
قوله باذن ربهم متعلقا بقوله تحيتهم فيها سلام اى تحييهم الملايكة بالسلام باذن
ربهم الم تر كيف ضرب الله مثلا كيف اعتمده ووضعه كلمة طيبة
كشجرة طيبة اى جعل كلمة طيبة كشجرة طيبة وهى تفسير لقوله ضرب الله مثلا ويجوز
ان يكون كلمة بدلا من مثلا كشجرة صفتها او خبر مبتدا محذوف اى هى كشجرة
وان يكون اول مفعولى ضرب اجراء لها مجرى جعل وقد قرئت بالرفع على الابتداء
اصلها ثابت فى الارض ضارب بعروقه فيها وفرعها اعلاها فى السماء ويجوز

ان يريد وفروعها اى افنانها على الاكتفاء بلفظ الجنس لاكتسابه الاستغراق
من الاضافة وقرى ثابت اصلها والاول على اصله ولذلك قيل انه اقوى ولعل الثانى
ابلغ تؤتى اكلها تعطى ثمرها كل حين اقته الله لاثمارها باذن ربها بارادة
خالقها وتكوينه ويضرب الله الامثال للناس لعلهم يتذكرون لان
فى ضربها زيادة افهام وتذكير فانه تصوير للمعانى وادناء لها من الحس ومثل
كلمة خبيثة كشجرة كمثل شجرة خبيثة اجتثت استوصلت واخذت جثته
بالكلية من فوق الارض لان عروقها قريبة منه ما لها من قرار
استقرار والتخلف فى الكلمة والشجرة تمثيل الكلمة الطيبة بكلمة التوحيد ودعوة
الاسلام والقران والكلمة الخبيثة بالاشراك بالله والدعاء الى الكفر
وتكذيب الحق ولعل المراد بهما ما يعم ذلك فالكلمة الطيبة ما اعرب عن حق
او دعاء الى صلاح والكلمة الخبيثة ما كان على خلاف ذلك وفسرت الشجرة
الطيبة بالنخلة وروى ذلك مرفوعا وبشجرة فى الجنة والخبيثة بالحنظلة
والكشوف ولعل المراد بهما ايضا ما يعم ذلك يثبت الله الذين امنوا بالقول
الثابت الذى ثبت بالحجة عندهم وتمكن فى قلوبهم فى الحيوة الدنيا فلا
يزلون اذا افتتنوا فى دينهم كزكريا ويحيى وجرجيس وشمسون والذين فتنهم
اصحاب الاخدود وفى الاخرة فلا يتلعثمون اذا سئلوا عن معتقدهم فى الموقف
ولا يدهشهم اهوال القيمة وروى انه عليه السلام ذكر قبض روح المومن فقال
ثم يعاد روحه فى جسده فياتيه ملكان فيجلسانه فى قبره ويقولان له من
ربك وما دينك ومن نبيك فيقول ربى الله ودينى الاسلام ونبيى محمد فينادى
مناد من السماء ان صدق عبدى فذلك قوله يثبت الله الذين امنوا
بالقول الثابت ويضل الله الظالمين الذين ظلموا انفسهم بالاقتصار على التقليد
فلا يهتدون الى الحق ولا يثبتون فى مواقف الفتن ويفعل الله ما يشاء
من تثبيت بعض واضلال اخرين من غير اعتراض عليه الم تر الى الذين بدلوا
نعمة الله كفرا اى شكر نعمته كفرا بان وضعوه مكانه او بدلوا نفس
النعمة كفرا فانهم لما كفروها سلبت منهم فصاروا تاركين لها محصلين
الكفر بدلها كاهل مكة خلقهم الله واسكنهم حرمه وجعلهم قوام بيته
ووسع عليهم ابواب رزقه وشرفهم بمحمد صلعم فكفروا ذلك فقحطوا سبع سنين
واسروا وقتلوا يوم بدر وصاروا اذلاء فبقوا مسلوبى النعمة موصوفين بالكفر
وعن عمر وعلى هم الافجران من قريش بنوا المغيرة وبنوا امية فاما بنوا المغيرة
فكفيتموهم يوم بدر واما بنوا امية فمتعوا الى حين واحلوا قومهم الذين تابعوهم
فى الكفر دار البوار دار الهلاك بحملهم على الكفر جهنم عطف بيان لها يصلونها

حال

حال منها او من القوم اى داخلين فيها مقاسين لحرها او مفسر بفعل مقدر ناصبا
لجهنم وبئس القرار اى وبئس المقر جهنم وجعلوا لله اندادا ليضلوا عن سبيله
الذى هو التوحيد وقرا ابن كثير وابو عمرو ورويس عن يعقوب بفتح الياء وليس
الضلال ولا الاضلال غرضهم فى اتخاذ الانداد لكن لما كان نتيجته جعل
كالغرض قل تمتعوا بشهواتكم او بعبادة الاوثان فانها من قبيل الشهوات
التى يتمتع بها وفى التهديد بصيغة الامر ايذان بان المهدد عليه كالمطلوب لافضائه
الى المهدد به وان الامرين كائنان لا محالة ولذلك علله بقوله فان مصيركم الى
النار وان المخاطب لانهماكه فيه كالمامور به من امر مطاع قل لعبادى الذين
امنوا خصهم بالاضافة تنويها لهم وتنبيها على انهم المقيمون لحقوق العبودية و
مفعول قل محذوف يدل عليه جوابه اى قل لعبادى الذين امنوا اقيموا الصلوة وانفقوا
يقيموا الصلوة وينفقوا مما رزقناهم فيكون ايذانا بانهم لفرط مطاوعتهم
الرسول بحيث لا ينفك فعلهم عن امره وانه كالسبب الموجب له ويجوز ان يقدر
بلام الامر ليصح تعلق القول بهما وانما حسن ذلك هاهنا ولم يحسن فى قوله محمد تفد نفسك
كل نفس اذا ما خفت من امر تبالا لدلالة قل عليه وقيل هما جوابا اقيموا وانفقوا
مقامين مقامهما وهو ضعيف لانه لا بد من مخالفة ما بين الشرط وجوابه ولان
امر المواجهة لا يجاب بلفظ الغيبة اذا كان الفاعل واحدا سرا وعلانية منتصبان على
المصدر اى انفاق سر وعلانية او على الحال اى ذوى سر وعلانية او على الظرف اى وقتى
سر وعلانية والاحب اعلان الواجب واخفاء المتطوع به من قبل ان ياتى يوم لا بيع
فيه فيبتاع المقصر ما يتدارك به تقصيره او يفدى به نفسه ولا خلال ولا مخالة فيشفع
لك خليل او من قبل ان ياتى يوم لا انتفاع فيه بمبايعة ولا مخالة وانما ينتفع فيه بالانفاق
لوجه الله وقرا ابن كثير وابو عمرو ويعقوب بالفتح فيهما على النفى العام الله الذى
خلق السموات والارض مبتدأ وخبر وانزل من السماء ماء فاخرج به من
الثمرات رزقا لكم تعيشون به وهو يشمل المطعوم والملبوس مفعول
لاخرج ومن الثمرات بيان له حال منه ويحتمل عكس ذلك ويجوز ان يراد به المصدر فينتصب
بالعلة او المصدر لان اخرج بمعنى رزق وسخر لكم الفلك لتجرى فى البحر
بامره بمشيته الى حيث توجهتم وسخر لكم الانهار فجعلها معدة لانتفاعكم
وتفجيركم وقيل تسخير هذه الاشياء تعليم كيفية اتخاذها وسخر لكم الشمس
والقمر دائبين يدابان فى سيرهما وانارتهما واصلاح ما يصلحانه من المكونات
وسخر لكم الليل والنهار يتعاقبان لسباتكم ومعاشكم واتاكم من
كل ما سالتموه اى بعض جميع ما سالتموه يعنى من كل شئ سالتموه شيئا فان
الموجود من كل صنف بعض ما فى قدرة الله ولعل المراد بما سالتموه ما كان حقيقا بان

يسال لاحتياج الناس اليه سئل او لم يسئل وما يحتمل ان يكون موصولة وموصوفة و مصدرية ويكون المصدر بمعنى المفعول وقرئ من كل بالتنوين اى واتاكم من كل شئ ما احتجتم اليه وسالتموه بلسان الحال ويجوز ان يكون ما نافية في موقع الحال اى واتاكم من كل شئ غير سائليه **وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها** لا تحصروها ولا تطيقوا عد انواعها فضلا من افرادها فانها غير متناهية وفيه دليل على ان المفرد يفيد الاستغراق بالاضافة **ان الانسان لظلوم** يظلم النعمة باغفال شكرها او يظلم نفسه بان تعرضها للحرمان **كفار** شديد الكفران وقيل ظلوم في الشدة يشكو ويجزع كفار في النعمة يجمع ويمنع **واذ قال ابرهيم رب اجعل هذا البلد** بلد مكة **امنا** ذا امن لمن فيها والفرق بينه وبين قوله اجعل هذا بلدا امنا ان المسؤل في الاول ازالة الخوف عنه وتصيره امنا وفي الثاني جعله من البلاد الآمنة **واجنبني وبني** بعدني واياهم **ان نعبد الاصنام** واجعلنا منه في جانب وقرئ واجنبني وهما على لغة نجد واما اهل الحجاز فيقولون اجنبني شره وفيه دليل على ان عصمة الانبياء بتوفيق الله وحفظه اياهم وهو بظاهره لا يتناول احفاده وجميع ذريته وزعم ابن عيينة ان اولاد اسمعيل لم يعبدوا الصنم محتجا به وانما كانت لهم حجارة ينصبونها يدورون بها ويسمونها الدوار ويقولون البيت حجر فحيث ما نصبنا حجرا فهو بمنزلته **رب انهن اضللن كثيرا من الناس** فلذلك سألت منك العصمة واستعذت بك من اضلالهن واسناد الاضلال اليهن باعتبار السببية كقوله وغرتهم الحيوة الدنيا **فمن تبعني** على ديني **فانه مني** اى بعضي لا ينفك عني في امر الدين **ومن عصاني فانك غفور رحيم** تقدر ان تغفر له وترحمه ابتداء او بعد التوفيق للتوبة وفيه دليل على ان كل ذنب فلله ان يغفره حتى الشرك الا ان الوعد فرق بينه وبين غيره **ربنا اني اسكنت من ذريتي** اى بعض ذريتي او ذرية من ذريتي فحذف المفعول وهو اسمعيل ومن ولد منه فان اسكانه متضمن لاسكانهم **بواد غير ذي زرع** يعني وادي مكة فانها حجرية لا تنبت **عند بيتك المحرم** الذي حرمت التعرض له والتهاون به او لم يزل معظما ممنعا يهابه الجبابرة او منع منه الطوفان فلم يستول عليه ولذلك سمي عتيقا اى اعتق منه ولو دعا بهذا الدعاء اول ما قدم فلعله قال ذلك باعتبار ما كان او ما سيؤل اليه وروي ان هاجر كانت لسارة فوهبتها من ابرهيم عليه السلام فولدت منه اسمعيل فغارت عليهما فناشدته ان يخرجهما من عندها فاخرجهما الى ارض مكة فاظهر الله عين زمزم ثم ان جرهم راوا ثمة طيورا فقالوا لا طير الا على الماء فقصدوها فراوهما وعندهما عين فقالوا اشركينا في مائك نشركك في البانها ففعلت **ربنا ليقيموا الصلوة** اللام

لام

لام كي وهي متعلقة باسكنت اى ما اسكنتهم بهذا الوادي البلقع من كل مرتفق ومرتزق الا لاقامة الصلوة عند بيتك المحرم وتكرير النداء وتوسيطه للاشعار بانها المقصودة بالذات من اسكانهم ثمة والمقصود من الدعاء توفيقهم لها وقيل لام الامر والمراد هو الدعاء لهم باقامة الصلوة كانه طلب منهم الاقامة وسال من الله ان يوفقهم **فاجعل افئدة من الناس** اى افئدة من افئدة الناس ومن للتبعيض ولذلك قيل لو قال افئدة الناس لازدحمت عليهم فارس والروم ولحجت اليهود والنصارى او للابتداء كقولك القلب مني سقيم اى افئدة ناس وقرئ افئدة وهو يحتمل ان يكون مقلوب افئدة كادر في ادؤر وان يكون اسم فاعل من افدت الرحلة اذا عجلت اى جماعة يعجلون نحوهم وافدة بطرح الهمزة للتخفيف وان كان الوجه فيه اخراجها بين بين ويجوز ان يكون من افد **تهوي اليهم** تسرع اليهم شوقا ووداد اوقرئ تهوى على البناء للمفعول من اهوى اليه غيره وتهوى من هوى يهوى اذا احب وتعديته بالى لتضمن معنى النزوع **وارزقهم من الثمرات** مع سكناهم واديا لا نبات فيه **لعلهم يشكرون** تلك النعمة فاجاب الله دعوته فجعله حرما امنا يجبى اليه ثمرات كل شئ حتى توجد فيه الفواكه الربيعية والصيفية والخريفية في يوم واحد **ربنا انك تعلم ما نخفي وما نعلن** تعلم سرنا كما تعلم علانيتنا والمعنى انك اعلم باحوالنا ومصالحنا وارحم بنا منا بانفسنا فلا حاجة لنا الى الطلب لكنا ندعوك اظهارا لعبوديتك وافتقارا الى رحمتك واستعجالا لنيل ما عندك وقيل ما نخفي من وجد الفرقة وما نعلن من التضرع اليك والتوكل عليك وتكرير النداء للمبالغة في التضرع واللجاء الى الله **وما يخفى على الله من شئ في الارض ولا في السماء** لانه العالم بعلم ذاتي تستوي نسبته الى كل معلوم ومن للاستغراق **الحمد لله الذي وهب لي على الكبر** اى وهب لي وانا كبير ايس من الولد قيد الهبة بحال الكبر استعظاما للنعمة واظهارا لما فيه من الاية **اسمعيل واسحق** روي انه ولد له اسمعيل لتسع وتسعين سنة واسحق لمائة وثنتي عشرة سنة **ان ربي لسميع الدعاء** اى لمجيبه من قولك سمع الملك كلامي اذا اعتد به وهو من ابنية المبالغة العاملة عمل الفعل اضيف الى مفعوله او الى فاعله على اسناد السماع الى دعاء الله على المجاز وفيه اشعار بانه دعا ربه وسال منه الولد فاجابه ووهب سؤله حين ما وقع الياس منه ليكون من اجل النعم واجلاها **رب اجعلني مقيم الصلوة** معدلا لها مواظبا عليها **ومن ذريتي** عطف على المنصوب في اجعلني والتبعيض لعلمه باعلام الله واستقراء عادته في الامم الماضية انه يكون في ذريته كفار **ربنا وتقبل دعاء** واستجب دعائي او وتقبل عبادتي **ربنا اغفر لي**

ولوالدي وقرئ ولابوي وقد تقدم عذر استغفاره لهما وقيل اراد بهما ادم وحوا
وللمؤمنين يوم يقوم الحساب يثبت مستعار من القيام على الرجل كقولهم
قامت الحرب على ساقها او يقوم اليه اهله فحذف المضاف او اسند اليه قيامهم
مجازا ولا تحسبن الله غافلا عما يعمل الظالمون خطاب لرسول الله والمراد
تثبيته على ما عليه من انه مطلع على احوالهم وافعالهم لا يخفى عليه خافية
والوعيد بانه معاقبهم على قليله وكثيره لا محالة او لكل احد من توهم غفلته
جهلا بصفاته واغترارا بامهاله وقيل انه تسلية للمظلوم وتهديد للظالم
انما يؤخرهم يؤخر عذابهم وعن ابي عمرو بالنون ليوم تشخص فيه الابصار
اي تشخص ابصارهم فلا تقر في اماكنها من هول ما ترى مهطعين مسرعين
الى الداعي او مقبلين بابصارهم لا يطرفون هيبة وخوفا واصل الكلمة هو
الاقبال على الشيء مقنعي رؤسهم رافعيها لا يرتد اليهم طرفهم بل بقيت عيونهم
شاخصة لا تطرف او لا يرجع اليهم نظرهم فينظرون الى انفسهم وافئدتهم
هواء اي خلاء اي خالية عن الفهم لفرط الحيرة والدهشة ومنه يقال للاحمق
وللجبان قلبه هواء اي لا راي فيه ولا قوة قال زهير من الظلمان جؤجؤه
هواء وقيل خالية عن الخير خاوية عن الحق وانذر الناس يا محمد يوم ياتيهم
العذاب يعني يوم القيمة او يوم الموت فانه اول ايام عذابهم وهو مفعول
ثان لانذر فيقول الذين ظلموا بالشرك والتكذيب ربنا اخرنا الى اجل قريب
اخر العذاب عنا وردنا الى الدنيا وامهلنا الى حد من الزمان قريب او اخر
اجالنا وابقنا مقدار ما نؤمن بك ونجيب دعوتك نجب دعوتك و
نتبع الرسل جواب للامر ونظيره لولا اخرتني الى اجل قريب فاصدق واكن
من الصالحين او لم تكونوا اقسمتم من قبل ما لكم من زوال على ارادة
القول وما لكم جواب القسم جاء بلفظ الخطاب على المطابقة دون
الحكاية والمعنى اقسمتم انكم باقون في الدنيا لا تزالون بالموت ولعلهم اقسموا بطرا
وغرورا ودل عليه حالهم حيث بنوا شديدا واملوا بعيدا وقيل اقسموا
انهم لا ينتقلون الى دار اخرى وانهم اذا ماتوا لا يزالون عن تلك الحالة
الى حالة اخرى كقوله واقسموا بالله جهد ايمانهم لا يبعث الله من يموت و
سكنتم في مساكن الذين ظلموا انفسهم بالكفر والمعاصي كعاد وثمود واصل
سكن ان يعدى بفي كقر وغني واقام وقد يستعمل بمعنى التبوء فيجرى مجراه
كقولك سكنت الدار وتبين لكم كيف فعلنا بهم بما تشاهدونه في منازلهم
من اثار ما نزل بهم وما تواتر عندكم من اخبارهم وضربنا لكم الامثال
من احوالهم اي بينا لكم انكم مثلهم في الكفر واستحقاق العذاب او صفات ما فعلوا

رفعل

او فعل بهم التي هي في الغرابة كالامثال المضروبة وقد مكروا مكرهم
المستفرغ فيه جهدهم لابطال الحق وتقرير الباطل وعند الله مكرهم
ومكتوب عنده فعلهم فهو مجازيهم عليه او وعنده ما يمكرهم به جزاء لمكرهم
وابطالا له وان كان مكرهم في العظم والشدة لتزول منه الجبال مسوى
لازالة الجبال معدا لذلك وقيل ان نافية واللام مؤكدة لها كقوله وما كان الله ليعذبهم
على ان الجبال مثل لامر النبي ونحوه وقيل مخففة من الثقيلة والمعنى انهم مكروا
ليزيلوا ما هو كالجبال الراسية ثباتا وتمكنا من ايات الله وشرائعه وقرا
الكسائي لتزول بالفتح والرفع على انها المخففة واللام هي الفاصلة ومعناه تعظيم
تعظيم مكرهم وقرئ بالفتح والنصب على لغة من فتح لام كي وقرئ وان كاد
مكرهم فلا تحسبن الله مخلف وعده رسله مثل قوله انا لننصر رسلنا كتب الله
لاغلبن انا ورسلي واصله مخلف رسله وعده فقدم المفعول الثاني ايذانا بانه
لا يخلف الوعد اصلا لقوله ان الله لا يخلف الميعاد واذا لم يخلف وعده احدا
كيف يخلف رسله ان الله عزيز غالب لا يماكر قادر لا يدافع ذو انتقام
لاوليائه من اعدائه يوم تبدل الارض غير الارض بدل من يوم ياتيهم
او ظرف للانتقام او مقدر باذكر او لا يخلف وعده ولا يجوز ان ينتصب بمخلف
لان ما قبل ان لا يعمل فيما بعده والسموات عطف على الارض وتقديره و
السموات غير السموات والتبديل يكون في الذات كقولك بدلت الدراهم
بالدنانير وعليه قوله بدلناهم جلودا غيرها وفي الصفة كقولك بدلت الحلقة
خاتما اذا اذبتها وغيرت شكلها وعليه قوله يبدل الله سياتهم حسنات والاية
تحتملهما وعن علي رضه تبدل ارضا من فضة وسموات من ذهب وعن ابن
مسعود وانس رضه يحشر الناس على ارض بيضاء لم يخطئ عليها احد خطيئة وعن ابن عباس
هي تلك الارض ويدل عليه ما روى ابو هريرة انه عليه السلام قال تبدل
الارض غير الارض فتبسط وتمد مد الاديم العكاظي لا ترى فيها عوجا و
لا امتا واعلم انه لا يلزم على الوجه الاول ان يكون الحاصل بالتبديل ارضا
وسماء على الحقيقة ولا يبعد على الثاني ان يجعل الله الارض جهنم والسموات
الجنة على ما اشعر به قوله كلا ان كتاب الابرار لفي عليين وقوله ان كتاب الفجار
لفي سجين وبرزوا من اجداثهم لله الواحد القهار لمحاسبته ومجازاته
وتوصيفه بالوصفين للدلالة على ان الامر في غاية الصعوبة كقوله لمن الملك
اليوم لله الواحد القهار فان الامر اذا كان لواحد غلاب لا يغالب فلا مستغاث
لاحد الى غيره ولا مستجار وترى المجرمين يومئذ مقرنين قرن بعضهم مع
بعض بحسب مشاركتهم في العقائد والاعمال كقوله واذا النفوس زوجت او قرنوا

مع الشياطين او مما اكتسبوا من العقايد الزايغة والملكات الباطلة
او قرنت ايديهم وارجلهم الى رقابهم بالاغلال وهو يحتمل ان يكون تمثيلا لمواخذتهم
على ما اقترفته ايديهم وارجلهم في الاصفاد متعلق بمقرنين او حال من ضميرهم والصفد
القيد وقيل الغل قال سلامة بن جندل   وزيد الخيل قد لاقى صفادا يعض بساعد
وبعظم ساق واصله الشد سرابيلهم قمصانهم من قطران وجاء قطران لغتين
فيه وهو ما يتحلب من الابهل فيطبخ فتهنا به الابل الجربى فيحرق الجرب بحدته وهو
اسود منتن تشتعل فيه النار بسرعة تطلى به جلود اهل النار حتى يكون طلاؤه لهم
كالقميص ليجتمع عليهم لذع القطران ووحشة لونه ونتن ريحه مع اسراع النار
في جلودهم على ان التفاوت بين القطرانين كالتفاوت بين النارين ويحتمل ان
يكون تمثيلا لما يحيط بجوهر النفس من الملكات الردية والهيات الوحشية فيجلب
اليها انواعا من الغموم والالام وعن يعقوب قطرآن والقطر النحاس او الصفر
المذاب والآني المتناهي حره والجملة حال ثانية او حال من الضمير في مقرنين
وتغشى وجوههم النار اي تتغشاها لانهم لم يتوجهوا بها الى الحق ولم يستعملوا
في تدبره مشاعرهم وحواسهم التي خلقت فيها لاجله كما تطلع على افئدتهم
لانها فارغة عن المعرفة مملوة بالجهالات ونظيره قوله افمن يتقي بوجهه
سوء العذاب يوم القيمة وقوله تعالى يوم يسحبون في النار على وجوههم
ليجزي الله كل نفس اي يفعل بهم ذلك ليجزي كل نفس مجرمة ما
كسبت او كل نفس من مجرمة او مطيعة لانه اذا بين ان المجرمين
معاقبون لاجرامهم علم ان المطيعين يثابون لطاعتهم ويتعين ذلك
ان علق اللام ببرزوا ان الله سريع الحساب لانه لا يشغله حساب
عن حساب هذا اشارة الى القران او السورة او ما فيه من العظة والتذكير
او ما وصفه من قوله ولا تحسبن الله بلاغ للناس كفاية لهم في الموعظة
ولينذروا به عطف على محذوف اي لينصحوا ولينذروا بهذا البلاغ فيكون
اللام متعلقة بالبلاغ ويجوز ان يتعلق بمحذوف تقديره ولينذروا به انزل
او تلي وقرئ بفتح اليا من نذر به اذا علمه واستعد له وليعلموا انما هو اله
واحد بالنظر والتامل فيما فيه من الايات الدالة عليه او المنبهة على ما يدل
عليه وليذكر اولوا الالباب فيرتدعوا عما يرديهم ويتدرعوا بما
يحظيهم واعلم انه سبحانه وتعالى ذكر لهذا البلاغ ثلث فوايد هي الغاية والحكمة
في انزال الكتب تكميل الرسل للناس واستكمال القوة النظرية التي منتهى كمالها
التوحيد واستصلاح القوة العملية الذي هو التدرع بلباس التقوى جعلنا
الله من الفايزين بهما وعن النبي صلى الله عليه وسلم من قرا سورة ابرهيم

أعطي

اعطي من الاجر عشر حسنات بعدد من عبد الاصنام وعدد من لم يعبد سورة الحجر
مكية وهي تسع وتسعون اية بسم الله الرحمن الرحيم
الر تلك ايات الكتاب وقران مبين الاشارة الى ايات السورة
والكتاب هو السورة وكذا القران وتنكيره للتفخيم اي ايات الجامع لكونه كتابا
كاملا وقرانا يبين الرشد من الغي بيانا غريبا ربما يود الذين كفروا
لو كانوا مسلمين حين عاينوا حال المسلمين عند نزول النصر او حلول الموت
او يوم القيمة وقرا نافع وعاصم ربما بالتخفيف وقرئ ربتما بالفتح والتخفيف
وفيه ثمان لغات ضم الرا وفتحه مع التشديد والتخفيف وبتا التانيث ودونها
وما كافة تكفه عن الجر فيجوز دخوله على الفعل وحقه ان يدخل الماضي لكن
لما كان المترقب في اخبار الله تعالى كالماضي في تحققه اجري مجراه وقيل ما نكرة
موصوفة كقوله ربما تكره النفوس من الامر له فرجة كحل العقال ومعنى التقليل
فيه الابدان بانهم لو كانوا يودون الاسلام مرة فبالحري ان يسارعوا اليه
فكيف وهم يودونه كل ساعة وقيل تدهشهم اهوال القيمة فان حانت منهم
افاقة في بعض الاوقات تمنوا ذلك والغيبة في حكايته ودادتهم كالغيبة في قولك
حلف بالله ليفعلن ذرهم دعهم ياكلوا ويتمتعوا بدنياهم ويلههم الامل
ويشغلهم توقعهم لطول الاعمار واستقامة الاحوال عن الاستعداد للمعاد فسوف
يعلمون سوء صنيعهم اذا عاينوا جزاءه والغرض اقناط الرسول من ارعوائهم
وايذانه بانهم من اهل الخذلان وان نصحهم بعد اشتغال بما لا طائل تحته وفيه
الزام للحجة وتحذير عن ايثار التنعم وما يؤدي اليه طول الامل وما اهلكنا
من قرية الا ولها كتاب معلوم اجل مقدر في اللوح والمستثنى جملة
واقعة صفة لقرية والاصل ان لا يدخلها الواو كقوله الا لها منذرون لكن
لما شابهت صورتها صورة الحال ادخلت عليها تاكيدا للصوقها بالموصوف
ما تسبق من امة اجلها وما يستاخرون اي وما يستاخرون عنه وتذكير
ضمير امة فيه للحمل على المعنى وقالوا يا ايها الذي نزل عليه الذكر نادوا
به النبي عليه السلام على التهكم الا ترى الى ما نادوه له وهو قولهم انك لمجنون
ونظير ذلك قول فرعون ان رسولكم الذي ارسل اليكم لمجنون والمعنى انك
لتقول قول المجانين حين تدعي ان الله نزل عليك الذكر اي القران لوما تاتينا
ركب لو مع ما كما ركب مع لا لمعنيين امتناع الشي لوجود غيره والتحضيض بالملائكة
ليصدقوك ويعضدوك على الدعوة كقوله لولا انزل عليه ملك فيكون معه نذيرا
او للعقاب على تكذيبنا لك كما اتت الامم المكذبة قبل ان كنت من الصادقين
في دعواك ما ننزل الملائكة بالنون مسندا الى ضمير اسم الله وقرا حمزة والكسائي

بالنون وابو بكر بالتاء والبناء للمفعول ورفع الملائكة وقرئ تنزل بمعنى تتنزل الا
بالحق الا تنزيلا ملتبسا بالحق اي بالوجه الذي قدره واقتضته حكمته ولا حكمة
في ان يأتيكم بصور تشاهدونها فانه لا يزيدكم الا لبسا ولا في معاجلتكم
بالعقوبة فان منكم ومن ذراريكم من سبقت كلمتنا له بالايمان وقيل الحق
الوحي او العذاب وما كانوا اذا منظرين اذا جواب لهم وجزاء الشرط
مقدر اي ولو نزلنا الملائكة ما كانوا منظرين انا نحن نزلنا الذكر
رد لانكارهم واستهزائهم ولذلك اكده من وجوه وقرره بقوله وانا له
لحافظون اي من التحريف والزيادة والنقصان بان جعلناه معجزا مباينا
لكلام البشر لا يخفى تغير نظمه على اهل اللسان او نفي تطرق الخلل اليه في الدوام
بضمان الحفظ له كما نفى ان يطعن فيه بانه المنزل له وقيل الضمير في له
للنبي صلى الله عليه وسلم ولقد ارسلنا من قبلك في شيع الاولين في فرقهم
جمع شيعة وهي الفرقة المتفقة على طريق ومذهب من شاعه اذا تبعه واصله
الشياع وهو الحطب الصغار توقد به الكبار والمعنى نبأنا رجالا فيهم وجعلناهم
رسلا فيما بينهم وما يأتيهم من رسول الا كانوا به يستهزؤن كما
يفعل هؤلاء وهو تسلية للنبي صلعم وما للحال لا يدخل الا مضارعا بمعنى الحال
او ماضيا قريبا منه وهذا على حكاية الحال الماضية كذلك نسلكه
ندخله في قلوب المجرمين والسلك ادخال الشيء في الشيء كالخيط في المخيط
والرمح في المطعون والضمير للاستهزاء وفيه دليل على انه تعالى يوجد الباطل
في قلوبهم وقيل للذكر فان الضمير الاخر في قوله لا يؤمنون به له وهو
حال من هذا الضمير والمعنى مثل ذلك السلك نسلك الذكر في قلوب المجرمين
مكذبا غير مؤمن به او بيان للجملة المتضمنة له وهذا الاحتجاج ضعيف
اذ لا يلزم من تعاقب الضمائر توافقها في الرجوع اليه ولا يتعين ان تكون
الجملة حالا من الضمير لجواز ان تكون حالا من المجرمين ولا ينافي كونها
مفسرة للمعنى الاول بل تقويه وقد خلت سنة الاولين اي سنة الله
فيهم فيكون وعيدا لاهل مكة بان خذلهم وسلك الكفر في قلوبهم او باهلاك
من كذب الرسل منهم فيكون وعيدا لاهل مكة ولو فتحنا عليهم على هؤلاء
المقترحين بابا من السماء فظلوا فيه يعرجون يصعدون اليها ويرون
عجائبها طول نهارهم مستوضحين لما يرون او تصعد الملائكة وهم يشاهدونهم
لقالوا من غلوهم في العناد وتشككهم في الحق انما سكرت ابصارنا
سدت من الابصار بالسحر من السكر ويدل عليه قراءة ابن كثير بالتخفيف
او حيرت من السكر ويدل عليه قراءة من قرأ سكرت بل نحن قوم مسحورون

العصيان

ح‍

حتى اذا حضر احدهم الموت حتى حرف ابتدا والجملة الشرطية غاية لما قبلها اي ليست التوبة لقوم يعملون السيئات وغاية عملهم
اذا حضرهم الموت قالوا كيت وكيت ودلت الاية على ان من حضره الموت وشاهد اهواله لا تقبل توبته ونظيرها
قوله تعالى فلم يك ينفعهم ايمانهم لما رأوا بأسنا قال المحققون قرب الموت لا يمنع من قبول التوبة بل المانع عن قبولها
مشاهدة الاهوال التي عندها يحصل العلم بالله تعالى على سبيل الاضطرار قوله تعالى الذين في ولا الذين يموتون
مجرور المحل عطف على قوله للذين يعملون اي ليست التوبة لهؤلاء ولا لهؤلاء ولما ورد ان يقال من مات على ما عاش
عليه من الكفر من غير توبة لم تتحقق منه التوبة اصلا فكيف سوى بينه وبين من سوف التوبة الى حضور الموت والتائب لا يستوي
نفي التائب اجاب بان معنى التسوية المبالغة في عدم الاعتداد بتوبة من سوف الى حضور الموت لا التسوية بين
التوبتين وعدم قبولها واشار الى اشارة الجواب الى ان المراد بالذين يعملون السيئات ما يعم الفريقين من فساق اهل القبلة
ومن الكفار وعطف عليه القول المذكور بعده فهو وقيل المراد
من شيخ زاده رحمه الله

قوله وانا احق بها اي من اوليائها ومن نفسها فلا يمكنها ان تتزوج غير ذلك العصبة ويكون امر نكاحها اليه ان شاء صيرها
لنفسه وان شاء زوجها غيره فعلى هذا القول لا يرث العصبة من الميت عين المرأة وانما يرث ولاية امر نكاحها ودلالة الاية
على النهي من ذلك مبني على ان يكون التقدير ان ترثوا امر نكاحهن وان تكونوا احق بهن من نفسها ومن سائر الناس
وعلى القول الثاني يرث العصبة نكاح امرأة الميت فيأخذونها على سبيل الارث كما يرثون اعيان امواله ان هذه الاية نزلت
في اهل المدينة انهم كانوا في الجاهلية وفي اول الاسلام اذا مات الرجل وله امرأة جاء ابنه من غيرها او قريبه من عصبته
فالقى ثوبه على تلك المرأة او على خبائها وقال ورثت امرأته كما ورثت ماله فصار احق بها من سائر الناس ومن نفسها
فان شاء تزوجها وان شاء زوجها غيره وان شاء عضلها وحبسها مع سوء العشرة ومنعها من الازواج لتفتدي منه بما ورثته من الميت
الى ان نزلت هذه الاية نهوا عن تلك العادة فقوله تعالى ان ترثوا النساء في محل الرفع على انه فاعل يحل اي لا يحل لكم ارث النساء
النساء فيه وجهان احدهما بمعنى المفعول الاول والمفعول الثاني محذوف والتقدير ان ترثوا من اقاربكم النساء على ان يكون
النساء من الموروثات والثاني انه المفعول الثاني والتقدير ان ترثوا من النساء المال وكرها مصدر منصوب على انه
حال من النساء اي ترثوهن كارهات او مكروهات والباء في قوله ببعض اما للتعدية والمراد لتذهبوا ببعض
[illegible] واما للمصاحبة فيكون الجار والمجرور في محل النصب على الحال ويتعلق بمحذوف اي لتذهبوا مصحوبين ببعض
قوله ولا الذين يموتون وهم كفار اي ليس قبول التوبة لهؤلاء ولا لهؤلاء وانما ذكر هؤلاء مع انه لا توبة لهم   من شيخ زاده
مبالغة في بيان عدم قبول توبة المسوفين وايذانا بان وجودها كعدمها بل في تكرير حرف النفي في المعطوف اشعار
بان كون حال المسوفين في عدم الاستتابة والجدوى اقوى من حال الذين يموتون على الكفر والمراد بالموصولين اما الكفار خاصة
او الفساق وحدهم وتسميتهم في الجملة الحالية كفارا للتغليظ كما في قوله تعالى ومن كفر فان الله غني عن العالمين واما ما يعم
الفريقين جميعا فالتسمية ح للتغليب ويجوز ان يراد بالاول الفسقة وبالثاني الكفرة ففيه مبالغة اخرى   ابو السعود

قد سحر نا محمد بذلك كما قالوه عند ظهور غيره من الايات وفى كلمتى الحصر والاضراب دلالة على البت بان ما يرونه لا حقيقة له بل هو باطل خيل اليهم بنوع من السحر **ولقد جعلنا فى السماء بروجا** اثنى عشر مختلفة الهيات والخواص على ما دل عليه الرصد والتجربة مع بساطة السماء **وزيناها** بالاشكال والهيات البهية **للناظرين** المعتبرين المستدلين بها على قدرة مبدعها وتوحيد صانعها **وحفظناها من كل شيطان رجيم** فلا يقدر ان يصعد اليها ويوسوس اهلها ويتصرف فى امرها ويطلع على احوالها **الا من استرق السمع** بدل من كل شيطان واستراق السمع اختلاسه سرا شبه به خطفتهم اليسيرة من قطان السموات لما بينهم من المناسبة فى الجوهر او بالاستدلال من اوضاع الكواكب وحركاتها وعن ابن عباس انهم كانوا لا يحجبون عن السموات فلما ولد عيسى منعوا من ثلث سموات فلما ولد محمد منعوا من كلها بالشهب ولا يقدح فيه تكونها قبل المولد لجواز ان يكون لها اسباب اخر وقيل الاستثناء منقطع اى ولكن من استرق السمع **فاتبعه** فتبعه ولحقه **شهاب مبين** ظاهر للمبصرين والشهاب شعلة نار ساطعة وقد يطلق على الكوكب والسنان لما فيهما من البريق **والارض مددناها** بسطناها **والقينا فيها رواسى** جبالا ثوابت **وانبتنا فيها** فى الارض او فيها وفى الجبال **من كل شئ موزون** مقدر بمقدار معين تقتضيه حكمته او مستحسن متناسب من قولهم كلام موزون او ما يوزن ويقدر او له وزن فى ابواب النعمة والمنفعة **وجعلنا لكم فيها معايش** تعيشون بها من المطاعم والملابس وقرئ بالهمز على التشبيه بشمائل **ومن لستم له برازقين** عطف على معايش او على محل لكم ويريد به العيال والخدم والمماليك وسائر ما يظنون انهم يرزقونهم ظنا كاذبا فان الله يرزقهم واياهم وفذلكة الاية الاستدلال بجعل الارض ممدودة بمقدار وشكل معينين مختلفة الاجزاء فى الوضع محدثة فيها انواع النبات والحيوان المختلفة خلقة وطبيعة مع جواز ان لا يكون كذلك على كمال قدرته وتناهى حكمته والتفرد فى الوهيته والامتنان على العباد بما انعم عليهم فى ذلك ليوحدوه ويعبدوه ثم بالغ فى ذلك وقال **وان من شئ الا عندنا خزائنه** اى وما من شئ الا ونحن قادرون على ايجاده وتكوينه اضعاف ما وجد منه فضرب الخزائن مثلا لاقتداره او شبه مقدوراته بالاشياء المخزونة التى لا يحوج اخراجها الى كلفة واجتهاد **وما ننزله** من بقاع القدرة **الا بقدر معلوم** حده الحكمة وتعلقت به المشية فان تخصيص بعضها بالايجاد فى بعض الاوقات على بعض الصفات والحالات لا بد له من مخصص حكيم **وارسلنا الرياح لواقح** حوامل شبه الريح التى جاءت بخير من انشاء سحاب ماطر بالحامل كما شبه ما لا يكون كذلك بالعقيم او ملقحات للشجر والسحاب ونظيره الطوائح بمعنى المطيحات فى قوله

وبوجوه الصحبة بعد المراد باخذهن الميثاق مرارا اوجهين اخذهن ما يقتضى العهد بالقيام على مقتضى الالفة والمودة المتفرعين على افضا بعضهم الى بعض والعهد المذكور من حقوق هذا الافضاء وتوابعه فلما اخذن منهم الافضاء الى حدان كانهن اخذن منهم ما يتبع ذلك الافضاء ويستحق بسببه وهو ما ذكر من العهد الوثيق كانه قيل واخذن منكم ميثاقا غليظا بافضاء بعضكم الى بعض ووصفه بالغلظ لقوته وعظمه فقد قالوا صحبة عشرين يوما قرابة فكيف بما يجرى بين الزوجين من الاتحاد والامتزاج
من شيخ زاده

كانه قيل يستحق العقاب بنكاح ما نكح الاباء الا الانكاح الذى وقع منكم قبل نزول اية التحريم فعلى هذا المعنى يكون انقطاع الاية مما قبله انه لما نزل قوله تعالى لا يحل لكم ان ترثوا النساء كرها قالوا تركنا هذا الامر بعين كرها لكن نخطبهن فنتكحهن برضاهن فرزت هذه الاية فنهوا من ذلك انما قالوا كيف نفعل ذلك فكيف حال ما كان منا قبل فبين الله تعالى انه لا اثم عليهم فيما فعلوا قبل ذلك لو توقعه قبل نزول ما يحرمه او من اللفظ اى هو استثناء متصل من قوله ما نكح اباؤكم ولما ورد ان يكفى انه استثناء ما قد سلف من النساء مما نكح الاباء يدل على جواز نكاح من سلف ومضى ونكاح من مضى محال فما معنى تجويزه اجاب عنه بانه ليس المقصود منه الاستثناء تجويز نكاح من سبق من النساء بل المقصود المبالغة فى النهى عن نكاح منكوحة الاب فانه اذا انحصر جواز نكاحه مما نكح الاباء فيمن سلف منهن ولم يجز نكاح غيرهن ومن المعلوم ان نكاحهن غير ممكن فقد ثبت حرمة نكاحهن مطلقا على ابلغ وجه ونظيره استثناء قوله خيران سيوفهم بهن فلول من العيب للمبالغة فى النفى فان معنى ان سيوفهم ابهى ما الثناء والاستثناء التى عدم العيب لا بد ان تكون على تقدير كونها عيبا فكون وجود العيب فيهم لا تكون الا على تقدير ان تكون الثلمة عيبا لكن هذا محال وما لا يثبت الا على تقدير محال كون محالا فوجود العيب فيهم محال فهذا الطريق ابلغ فى نفى العيب عنهم من ان يقال لا عيب فيهم بدون الاستثناء
من شيخ زاده

في قوله وبخيط مما تلقح الطوائح وقرئ وارسلنا الريح على تأويل الجنس فأنزلنا
من السماء ماء فأسقيناكموه فجعلناه لكم سقيا وما انتم له بخازنين
قادرين متمكنين من اخراجه نفى عنهم ما اثبته لنفسه او حافظين في الغدران
والعيون والآبار وذلك ايضا يدل على المدبر الحكيم كما يدل حركة الهواء
في بعض الاوقات من بعض الجهات على وجه ينتفع به الناس فان طبيعة الماء
تقتضي الغور فوقوفه دون حده لا بد له من سبب مخصص وإنا لنحن نحيي بايجاد الحيوة
في بعض الاجسام القابلة لها ونميت بازالتها وقد اول الحيوة بما يعم الحيوان
والنبات وتكرير الضمير للدلالة على الحصر ونحن الوارثون الباقون اذا مات الخلائق
كلها ولقد علمنا المستقدمين منكم ولقد علمنا المستأخرين من استقدم
ولادة وموتا ومن استأخر او من خرج من اصلاب الرجال ومن لم يخرج بعد
او من تقدم في الاسلام والجهاد وسبق الى الطاعة او تأخر لا يخفى علينا شيء من
احوالكم وهو بيان لكمال علمه بعد الاحتجاج على كمال قدرته فان
ما يدل على قدرته يدل على علمه وقيل رغب رسول الله صلعم في الصف الاول
فازدحموا عليه فنزلت وقيل ان امرأة حسناء كانت تصلي خلف رسول الله صلعم فتقدم
بعض القوم لئلا ينظروا اليها وتأخر بعض ليبصرها فنزلت وان ربك هو يحشرهم
لا محالة للجزاء وتوسيط الضمير للدلالة على انه القادر والمتولي لحشرهم لا غير
وتصدير الجملة بان لتحقيق الوعد والتنبيه على ان ما سبق من الدلالة على كمال
قدرته وعلمه بتفاصيل الاشياء يدل على صحة الحكم كما صرح به بقوله انه حكيم
باهر الحكمة متقن في افعاله عليم وسع علمه كل شيء ولقد خلقنا الانسان
من صلصال طين يابس يصلصل اي يصوت اذا نقر وقيل هو من صلصل اذا
انتن تضعيف صل من حمإ طين تغير واسود من طول مجاورة الماء وهو
صفة صلصال اي كائن من حمإ مسنون مصور من سنة الوجه او مصبوب
مشور كالجواهر المذابة تصب في القوالب من السن وهو الصب كأنه افرغ
الحمأ فصور منها تمثال انسان اجوف فيبس حتى اذا نقر صلصل ثم غير ذلك
طورا بعد طور حتى سواه ونفخ فيه من روحه او منتن من سننت الحجر على الحجر
اذا حككته به فان ما يسيل بينهما يكون منتنا ويسمى سنينا والجان ابا الجن
وقيل ابليس ويجوز ان يراد به الجنس كما هو الظاهر من الانسان لان تشعب
الجنس لما كان من شخص واحد خلق من مادة واحدة كان الجنس باسره مخلوقا
منها وانتصابه بفعل يفسره خلقناه من قبل من قبل خلق الانسان من نار
السموم من نار الحر الشديد النافذ في المسام ولا يمتنع خلق الحيوة في الاجرام
البسيطة كما لا يمتنع خلقها في الجواهر المجردة فضلا عن الاجساد المؤلفة التي

الغالب

الغالب فيها الجزء الناري فانها اقبل لها من التي على كمال تركيبها الغالب فيها الجزء الارضي
وقوله من نار باعتبار الغالب كقوله خلقكم من تراب ومساق الآية كما هو للدلالة على كمال
قدرة الله وبيان بدء خلق الثقلين فهو للتنبيه على المقدمة الثانية التي يتوقف عليها امكان الحشر
وهو قبول المواد للجمع والاحياء وإذ قال ربك واذكر وقت قوله للملائكة
اني خالق بشرا من صلصال من حمإ مسنون فاذا سويته عدلت خلقته وهيأته
لنفخ الروح فيه ونفخت فيه من روحي حتى جرى آثاره في تجاويف اعضائه فحيي واصل
النفخ اجراء الريح في تجويف جسم آخر ولما كان الروح يتعلق اولا بالبخار اللطيف المنبعث
من القلب ويفيض عليه القوة الحيوانية فيسري حاملا لها في تجاويف الشرايين الى
اعماق البدن جعل تعلقه بالبدن نفخا واضافة الروح الى نفسه لما مر في النساء فقعوا
له فاسقطوا له ساجدين امر من وقع يقع فسجد الملائكة كلهم اجمعون اكد
بتأكيدين للمبالغة في التعميم ومنع التخصيص وقيل اكد بالكل للاحاطة وباجمعين للدلالة
على انهم سجدوا مجتمعين دفعة وفيه نظر اذ لو كان الامر كذلك كان الثاني حالا
لا تأكيدا الا ابليس ان جعل منقطعا اتصل به قوله ابى ان يكون مع الساجدين اي ولكن
ابليس ابى وان جعلت متصلا كان استئنافا على انه جواب سائل قال هلا سجد قال يا ابليس
ما لك الا تكون اي غرض لك في ان لا تكون مع الساجدين لآدم قال لم اكن لاسجد اللام
لتأكيد النفي اي لا يصح مني وينافي حالي ان اسجد لبشر جسماني كثيف وانا ملك روحاني
خلقته من صلصال من حمإ مسنون وهو اخس العناصر وخلقتني من نار وهو اشرفها
استنقص آدم باعتبار النوع والاصل وقد سبق الجواب عنه في سورة الاعراف قال فاخرج
منها من السماء او الجنة او زمر الملائكة فانك رجيم مطرود من الخير والكرامة
فان من يطرد يرجم بالحجر او شيطان يرجم بالشهب وهو وعيد يتضمن الجواب عن شبهته
وان عليك اللعنة الى يوم الدين هذا الطرد والابعاد فانه منتهى امد اللعن فانه
يناسب ايام التكليف ومنه زمان الجزاء وما في قوله فأذن مؤذن بينهم ان لعنة الله على
الظالمين بمعنى آخر ينسى عنده هذه وقيل انما حد اللعن لانه ابعد غاية يضربها الناس
او لانه يعذب فيها بما ينسى اللعن معه فيصير كالزائل قال رب فانظرني فاخرني والفاء
متعلقة بمحذوف دل عليه فاخرج منها فانك رجيم الى يوم يبعثون اراد ان يجد
فسحة في الاغواء ونجاة عن الموت اذ لا موت بعد وقت البعث فاجابه الى الاول
دون الثاني قال فانك من المنظرين الى يوم الوقت المعلوم المسمى فيه اجلك عند
الله او انقراض الناس كلهم وهو النفخة الاولى عند الجمهور ويجوز ان يكون المراد
بالايام الثلثة يوم القيمة واختلاف العبارات لاختلاف الاعتبارات فعبر عنه
اولا بيوم الجزاء لما عرفته وثانيا بيوم البعث اذ به يحصل العلم بانقطاع التكليف و
اليأس عن التضليل وثالثا بالمعلوم لوقوعه في الكلامين ولا يلزم من ذلك ان لا يموت

تعلله بموت اول اليوم و بعث الخلائق في تضاعيفه وهذه المخاطبة وان لم تكن بواسطة
لم تدل على منصب ابليس لان خطاب الله له على سبيل الاهانة والاذلال قال رب
بما اغويتني الباء للقسم وما مصدرية وجوابه لازينن لهم في الارض والمعنى اقسم باغوائك
اياي لازينن لهم المعاصي في الدنيا التي هي دار الغرور لقوله اخلد الى الارض وفي انعقاد
القسم بافعال الله تعالى خلاف وقيل للسببية والمعتزلة اولوا الاغواء بالنسبة الى الغي او
التسبب له بامره اياه بالسجود لادم عليه السلام او باضلاله عن طريق الجنة واعتذروا عن امهال
الله له وهو سبب لزيادة غيه وتسليط له على اغواء بني ادم بان الله تعالى علم منه وممن
تبعه انهم يموتون على الكفر ويصيرون الى النار امهل او لم يمهل وان في امهاله
تعريضا لمن خالفه لاستحقاق مزيد الثواب وضعف ذلك لا يخفى على ذوي الالباب
ولاغوينهم اجمعين ولاحملنهم اجمعين على الغواية الا عبادك منهم المخلصين الذين اخلصتهم
لطاعتك وطهرتهم من الشوائب فلا يعمل فيهم كيدي وقرا ابن كثير وابن عامر وابو
عمرو بالكسر في كل القران اي الذين اخلصوا نفوسهم لله قال هذا صراط علي حق علي ان اراعيه
مستقيم لا انحراف عنه والاشارة الى ما يتضمنه الاستثناء وهو تخلص المخلصين من اغوائه
او الاخلاص على معنى انه طريق علي يؤدي الى الوصول الي من غير اعوجاج وضلال
وقرئ علي من علو الشرف ان عبادي ليس لك عليهم سلطان الا من اتبعك من
الغاوين تصديق لابليس فيما استثناه وتغيير الوضع لتعظيم المخلصين ولان المقصود
بيان عصمتهم وانقطاع مخالب الشيطان عنهم او تكذيب له فيما اوهم ان له سلطانا على
من ليس بمخلص من عباده فان منتهى تزيينه التحريض والتدليس كما قال
وما كان لي عليكم من سلطان الا ان دعوتكم فاستجبتم لي وعلى هذا يكون الاستثناء
منقطعا وعلى الاول يدفع قول من شرط ان يكون المستثنى اقل من الباقي لافضائه الى
تناقض الاستثنائين وان جهنم لموعدهم لموعد الغاوين او المتبعين اجمعين
تاكيد للضمير او حال والعامل فيها الموعد ان جعلته مصدرا على تقدير مضاف ومعنى
الاضافة ان جعلته اسم مكان فانه لا يعمل لها سبعة ابواب يدخلون فيها لكثرتهم
او طبقات ينزلونها بحسب مراتبهم في المتابعة وهي جهنم ثم لظى ثم الحطمة ثم السعير
ثم سقر ثم الجحيم ثم الهاوية ولعل تخصيص العدد لانحصار مجامع المهلكات
في الركون الى المحسوسات ومتابعة القوة الشهوية والغضبية او لان اهلها
سبع فرق لكل باب منهم من الاتباع جزء مقسوم افرز له فاعلاها للموحدين العصاة
والثاني لليهود والثالث للنصارى والرابع للصابئين والخامس للمجوس والسادس
للمشركين والسابع للمنافقين وقرا ابو بكر جزؤ بالتثقيل وقرئ جز على حذف الهمزة
والقاء حركته على الزاء ثم الوقف عليه بالتشديد ثم اجراء الوصل مجرى الوقف ومنهم
حال منه او من المستكن في الظرف لا في مقسوم لان الصفة لا تعمل فيما تقدم موصوفه

ان المتقين من اتباعه في الكفر والفواحش فان غيرها مكفرة في جنات
وعيون لكل واحد جنة وعين او لكل عدة منهما كقوله ولمن خاف مقام
ربه جنتان ثم قوله ومن دونهما جنتان وقوله مثل الجنة التي وعد المتقون
فيها انهار من ماء غير اسن الاية وقرا نافع وابو عمرو وحفص وهشام
وعيون والعيون بضم العين حيث وقع والباقون بكسر العين ادخلوها على ارادة
القول وقرئ بقطع الهمزة وكسر الخاء على انه ماض فلا يكسر التنوين بسلام
سالمين او مسلما عليكم امنين من الافة والزوال ونزعنا في الدنيا
بما الف بين قلوبهم او في الجنة بتطييب نفوسهم ما في صدورهم من
غل من حقد كان في الدنيا وعن علي رضي الله عنه ارجو ان اكون انا وعثمان وطلحة
والزبير منهم او من التحاسد على درجات الجنة ومراتب القرب اخوانا
حال من الضمير في جنات او فاعل ادخلوها او الضمير في امنين او الضمير المضاف اليه
والعامل فيها معنى الاضافة وكذا قوله على سرر متقابلين ويجوز ان يكونا صفتين
لاخوانا او حالين من ضميره لانه بمعنى متصافين وان يكون متقابلين حالا من المستقر
في على سرر لا يمسهم فيها نصب استئناف او حال بعد حال او حال من الضمير في متقابلين
وما هم منها بمخرجين فان تمام النعمة بالخلود نبئ عبادي اني انا الغفور الرحيم
وان عذابي هو العذاب الاليم فذلكة ما سبق من الوعد والوعيد وتقرير له
وفي ذكر المغفرة دليل على انه لم يرد بالمتقين من يتقي الذنوب باسرها كبيرها
وصغيرها وفي توصيف ذاته بالغفران والرحمة دون التعذيب ترجيح الوعد
وتاكيده وفي عطف ونبئهم عن ضيف ابراهيم على نبئ عبادي تحقيق لهما بما يعتبرون
به اذ دخلوا عليه فقالوا سلاما اي نسلم عليك سلاما او سلمنا سلاما قال انا منكم
وجلون خائفون وذلك لانهم دخلوا بغير اذن وبغير وقت او لانهم امتنعوا
من الاكل والوجل اضطراب النفس لتوقع ما تكره قالوا لا توجل وقرئ لا تاجل
ولا توجل من اوجله ولا تواجل من واجله بمعنى اوجله انا نبشرك استئناف في معنى
التعليل للنهي عن الوجل فان المبشر لا يخاف منه وقرا حمزة نبشرك من البشر بغلام
هو اسحق لقوله فبشرناها باسحق عليم اذا بلغ قال ابشرتموني على ان مسني الكبر
تعجب من ان يولد له مع مس الكبر اياه او انكار لان يبشر به في مثل هذه الحالة و
كذلك قوله فبم تبشرون اي فباي اعجوبة تبشروني او فباي شيء تبشرون فان البشارة بما
لا يتصور وقوعه عادة بغير شيء وقرا ابن كثير بكسر النون مشددة في كل القران
على ادغام نون الجمع في نون الوقاية ونافع بكسرها مخففة على حذف نون الجمع استثقالا
لاجتماع المثلين ودلالة بابقاء نون الوقاية على الياء قالوا بشرناك بالحق بما يكون لا محالة
او باليقين الذي لا لبس فيه او بطريقة هي حق وهو قول الله تعالى وامره فلا تكن من القانطين

من الآيسين من ذلك فإنه تعالى قادر على أن يخلق بشرا من غير أبوين فكيف من شيخ
فان وعجوز عاقر وكان استعجابه باعتبار العادة دون القدرة قال ومن يقنط
من رحمة ربه إلا الضالون المخطئون طريق المعرفة فلا يعرفون سعة رحمة
الله وكمال علمه وقدرته كما قال لا ييأس من روح الله إلا القوم الكافرون وقرأ
أبو عمرو والكسائي يقنط بالكسر وقرئ بالضم وماضيهما قنط بالفتح قال فما خطبكم أيها
المرسلون أي فما شأنكم الذي أرسلتم لأجله سوى البشارة ولعله علم أن كمال
المقصود ليس البشارة كما في زكريا ومريم أو لأنهم بشروه في تضاعيف الحال
لإزالة الوجل ولو كانت تمام المقصود لابتدؤوا بها قالوا إنا أرسلنا إلى قوم مجرمين
يعني قوم لوط إلا آل لوط إن كان استثناء من قوم كان منقطعا إذ القوم مقيد بالإجرام
وإن كان استثناء من الضمير في مجرمين كان متصلا والقوم والإرسال شاملين للمجرمين
وآل لوط المؤمنين به وكان المعنى إنا أرسلنا إلى قوم أجرم كلهم إلا آل لوط منهم لنهلك
المجرمين وننجي آل لوط ويدل عليه قوله إنا لمنجوهم أجمعين أي مما يعذب به القوم
وهو استئناف إذا اتصل الاستثناء ومتصل بآل لوط جار مجرى خبر لكن إذا انقطع وعلى
هذا جاز أن يكون قوله إلا امرأته استثناء من آل لوط أو من ضميرهم وعلى الأول
لا يكون إلا من ضميرهم لاختلاف الحكمين اللهم إلا أن يجعل إنا لمنجوهم
اعتراضا وقرأ حمزة والكسائي لمنجوهم مخففا قدرنا إنها لمن الغابرين الباقين مع
الكفرة لتهلك معهم وقرأ أبو بكر عن عاصم قدرنا وفي النمل بالتخفيف وإنما علق والتعليق
من خواص أفعال القلوب لتضمنه معنى العلم ويجوز أن يكون قدرنا أجري مجرى قلنا
لأن التقدير بمعنى القضاء قول وأصله جعل الشيء على مقدار غيره وإسنادهم إياه إلى
أنفسهم وهو فعل الله تعالى لما لهم من القرب والاختصاص به فلما جاء آل لوط المرسلون
قال إنكم قوم منكرون تنكركم نفسي وتنفر عنكم مخافة أن تطرقوني بشر قالوا
بل جئناك بما كانوا فيه يمترون أي ما جئناك بما تنكرنا لأجله بل جئناك بما يسرك
ويشفي لك من عدوك وهو العذاب الذي توعدتهم به فيمترون فيه وأتيناك بالحق
باليقين من عذابهم وإنا لصادقون فيما أخبرناك به فأسر بأهلك فاذهب بهم
في الليل وقرأ الحجازيون بوصل الألف من السرى وهما بمعنى وقرئ فسر من السير
بقطع من الليل في طائفة من الليل وقيل في آخره قال افتحي الباب وانظري في النجوم
كم علينا من قطع ليل بهيم واتبع أدبارهم وكن على أثرهم تذودهم وتسرع
بهم وتطلع على حالهم ولا يلتفت منكم أحد لينظر ما وراءه فيرى من الهول
ما لا يطيقه أو فيصيبه ما أصابهم أو ولا ينصرف أحد منكم ولا يتخلف لغرض فيصيبه
العذاب وقيل نهوا عن الالتفات ليوطنوا نفوسهم على المهاجرة وامضوا حيث تؤمرون
إلى حيث أمركم الله بالمضي إليه وهو الشام أو مصر فعدى وامضوا إلى حيث وتؤمرون

ال

الضمير المحذوف على الاتساع وقضينا إليه أي أوحينا إليه مقضيا ولذلك عدي بإلى
ذلك الأمر مبهم تفسيره أن دابر هؤلاء مقطوع ومحله النصب على البدل منه وفي ذلك
تفخيم الأمر وتعظيم له وقرئ بالكسر على الاستئناف والمعنى أنهم يستأصلون عن آخرهم
حتى لا يبقى منهم أحد مصبحين داخلين في الصبح وهو حال من هؤلاء أو من الضمير في مقطوع
وجمعه للحمل على المعنى فإن دابر هؤلاء في معنى مدبري هؤلاء وجاء أهل المدينة سدوم
يستبشرون بأضياف لوط طمعا فيهم قال إن هؤلاء ضيفي فلا تفضحون بفضيحة ضيفي
فإن من أسيء إلى ضيفه فقد أسيء إليه واتقوا الله في ركوب الفاحشة ولا تخزون ولا
تذلوني بسببهم من الخزي وهو الهوان أو لا تخجلوني فيهم من الخزاية وهي الحياء
قالوا أولم ننهك عن العالمين عن أن تجير منهم أحدا أو تمنع بيننا وبينهم فإنهم كانوا يتعرضون
لكل أحد وكان لوط يمنعهم عنه بقدر وسعه أو عن ضيافة الناس وإنزالهم قال هؤلاء
بناتي يعني نساء القوم فإن نبي كل أمة بمنزلة أبيهم فيه وجوه ذكرت في سورة هود إن
كنتم فاعلين قضاء الوطر أو ما أقول لكم لعمرك قسم بحياة المخاطب وهو النبي صلعم
وقيل لوط قالت الملائكة له ذلك والتقدير لعمرك قسمي وهو لغة في العمر يختص به القسم
لإيثار الأخف فيه لأنه كثير الدور على ألسنتهم إنهم لفي سكرتهم لفي غوايتهم أو
شدة غلمتهم التي أزالت عقولهم وتمييزهم بين خطئهم والصواب الذي يشار به إليهم
يعمهون يتحيرون فكيف يسمعون نصحك وقيل الضمير لقريش والجملة اعتراض فأخذتهم
الصيحة يعني صيحة هائلة مهلكة وقيل صيحة جبريل مشرقين داخلين في وقت
شروق الشمس فجعلنا عاليها عالي المدينة أو عالي قراهم سافلها فصارت منقلبة بهم
وأمطرنا عليهم حجارة من سجيل من طين متحجر أو طين عليه كتاب من السجل وقد تقدم
مزيد بيان لهذه القصة في سورة هود إن في ذلك لآيات للمتوسمين للمتفكرين
المتفرسين الذين يتثبتون في نظرهم حتى يعرفوا حقيقة الشيء بسمته وإنها وإن المدينة
أو القرى لبسبيل مقيم ثابت يسلكه الناس ويرون آثارها إن في ذلك لآية للمؤمنين
بالله ورسوله وإن كان أصحاب الأيكة لظالمين هم قوم شعيب كانوا
يسكنون الغيضة فبعثه الله إليهم فكذبوه فأهلكوا بالظلة والأيكة الشجر المتكاثف
فانتقمنا منهم بالإهلاك وإنهما يعني سدوم والأيكة وقيل الأيكة ومدين فإنه
كان مبعوثا إليهما وكان ذكر أحدهما منبها على الآخر لبإمام مبين لبطريق واضح و
الإمام اسم ما يؤتم به فسمي به الطريق واللوح ومطمر البناء لأنها مما يؤتم به ولقد المطر البديع
كذب أصحاب الحجر المرسلين يعني ثمود كذبوا صالحا ومن معه من المؤمنين
والحجر واد بين المدينة والشام يسكنونه وآتيناهم آياتنا فكانوا عنها معرضين
يعني آيات الكتاب المنزل على نبيهم أو معجزاته كالناقة وسقيها وشربها ودرها
أو ما نصب لهم من الأدلة وكانوا ينحتون من الجبال بيوتا آمنين من الانهدام

ونهب اللصوص وتخريب الاعداء لوثاقتها او من العذاب لفرط غفلتهم او حسبانهم
ان الجبال تحميهم منه فاخذتهم الصيحة مصبحين فما اغنى عنهم ما كانوا يكسبون
من بناء البيوت الوثيقة واستكثار الاموال والعدد وما خلقنا السموات و
الارض وما بينهما الا بالحق الا خلقا ملتبسا بالحق لا يلايم استمرار الفساد ودوام
الشرور ولذلك اقتضت الحكمة اهلاك امثال هولاء وازاحة فسادهم من الارض
وان الساعة لاتية فينتقم الله لك فيها ممن كذبك فاصفح الصفح الجميل ولا تعجل بالانتقام
منهم وعاملهم معاملة الصفوح الحليم وقيل هو منسوخ باية السيف ان ربك هو الخلاق
الذي خلقك وخلقهم وبيده امرك وامرهم العليم بحالك وحالهم فهو حقيق بان
تكل اليه ليحكم بينكم او هو الذي خلقكم وعلم الاصلح لكم وقد علم ان الصفح
اليوم اصلح وفي مصحف عثمان وابي هو الخالق وهو يصلح للقليل والكثير والخلاق
يختص بالكثير ولقد اتيناك سبعا سبع ايات وهي الفاتحة وقيل سبع سور
وهي الطوال وسابعتها الانفال والتوبة فانهما في حكم سورة ولذلك لم يفصل
بينهما بالتسمية وقيل التوبة وقيل يونس او الحواميم السبع وقيل سبع صحايف وهي
الاسباع من المثاني بيان للسبع والمثاني من التثنية او الثناء فان كل ذلك مثنى تكرر
قراته او الفاظه او قصصه ومواعظه او مثنى عليه بالبلاغة والاعجاز او مثن على الله بما هو
اهله من صفاته واسمايه الحسنى ويجوز ان يراد بالمثاني القران او كتب الله كلها
فيكون من للتبعيض والقران العظيم ان اريد بالسبع الايات والسور فمن عطف
الكل على البعض والعام على الخاص وان اريد به الاسباع فمن عطف احد الوصفين على الاخر
لا تمدن عينيك لا تطمح ببصرك طموح راغب الى ما متعنا به ازواجا منهم
اصنافا من الكفار فانه مستحقر بالاضافة الى ما اوتيته فانه كمال مطلوب بالذات
مفض الى دوام اللذات وفي حديث ابي بكر رضه من اوتي القران فراى ان احدا
اوتي من الدنيا افضل مما اوتي فقد صغر عظيما وعظم صغيرا وروي انه عليه السلام
وافى باذرعات سبع قوافل ليهود بني قريظة والنضير فيها انواع البز والطيب والجواهر
وساير الامتعة فقال المسلمون لو كانت هذه الاموال لنا لتقوينا بها وانفقناها في سبيل الله
فقال لهم لقد اعطيتم سبع ايات هي خير من هذه القوافل السبع ولا تحزن عليهم انهم
لم يومنوا وقيل انهم المتمتعون به واخفض جناحك للمومنين وتواضع لهم
وارفق بهم وقل اني انا النذير المبين انذركم ببيان وبرهان ان عذاب
الله نازل بكم ان لم تومنوا كما انزلنا على المقتسمين مثل العذاب الذي
انزلنا عليهم فهو وصف لمفعول النذير اقيم مقامه والمقتسمون هم الاثنا عشر الذين
اقتسموا مداخل مكة ايام الموسم لينفروا الناس عن الايمان بالرسول فاهلكهم الله
يوم بدر او الرهط الذين اقتسموا اي تقاسموا على ان يبيتوا صالحا عليه وقيل هو صفة

مصدر

مصدر محذوف دل عليه ولقد اتيناك فانه بمعنى انزلنا اليك والمقتسمون الذين
جعلوا القران عضين حيث قالوا عنادا بعضه حق موافق للتورية والانجيل وبعضه
باطل مخالف لهما او قسموه الى شعر وسحر وكهانة واساطير الاولين او اهل الكتاب
امنوا ببعض كتبهم وكفروا ببعض على ان القران ما يقرؤنه من كتبهم
فيكون تسلية لرسول الله صلعم وقوله لا تمدن الى قوله اعتراض ممد لها الذين جعلوا القران
عضين اجزاء جمع عضة واصلها عضوة من عضى الشاة اذا جعلها اعضاء وقيل فعلة من عضهته
اذا بهته وفي الحديث لعن رسول الله العاضهة والمستعضهة وقيل اسحارا وعن عكرمة
العضه السحر وانما جمع جمع السلامة جبرا لما حذف منه والموصول بصلته صفة للمقتسمين
او مبتدا خبره فوربك لنسئلنهم اجمعين عما كانوا يعملون من التقسيم والتسمية الى السحر
فنجازيهم عليه وقيل عام في كل ما فعلوا من الكفر والمعاصي فاصدع بما تومر فاجهر
به من صدع بالحجة اذا تكلم بها جهارا او فافرق به بين الحق والباطل واصله الابانة
والتمييز وما مصدرية او موصولة والراجع محذوف اي بما تومر به من الشرايع واعرض
عن المشركين فلا تلتفت الى ما يقولون انا كفيناك المستهزئين بقمعهم واهلاكهم
قيل كانوا خمسة من اشراف قريش الوليد بن المغيرة والعاص بن وايل وعدي بن قيس والاسود
بن عبد يغوث والاسود بن المطلب يبالغون في ايذاء النبي صلعم والاستهزاء به فقال جبريل
لرسول الله عليهما السلام امرت ان اكفيكهم فاومى الى ساق الوليد فمر بنبال فتعلق
بثوبه سهم فلم ينعطف تعظما لاخذه فاصاب عرقا في عقبه فقطعه فمات واومى الى
اخمص العاص فدخلت فيها شوكة فانتفخت رجله حتى صارت كالرحى ومات واشار
الى انف حارث فامتخط قيحا فمات والى الاسود عبد يغوث وهو قاعد في اصل شجرة فجعل
ينطح راسه الشجرة ويضرب وجهه بالشوك حتى مات والى عيني الاسود بن المطلب فعمي الذين
يجعلون مع الله الها اخر فسوف يعلمون عاقبة امرهم في الدارين ولقد نعلم انك يضيق
صدرك بما يقولون من الشرك والطعن في القران والاستهزاء بك فسبح بحمد ربك فافزع
الى الله فيما نابك بالتسبيح والتحميد يكفك ويكشف الغم عنك او فنزهه عما يقولون حامدا له
على ان هداك للحق وكن من الساجدين من المصلين وعنه عليه السلام انه اذا
حزبه امر فزع الى الصلوة واعبد ربك حتى ياتيك اليقين اي الموت فانه متيقن لحاقه
كل حي مخلوق والمعنى فاعبده ما دمت حيا ولا تخل بالعبادة لحظة عن رسول الله صلعم من
قرا سورة الحجر كان له من الاجر عشر حسنات بعدد المهاجرين والانصار والمستهزئين
بمحمد عليه السلام سورة النحل مكية غير ثلث ايات في اخرها وهي مائة وثمانية وعشرون
اية بسم الله الرحمن الرحيم اتى امر الله فلا تستعجلوه
كانوا يستعجلون ما اوعدهم الرسول من قيام الساعة او اهلاك الله اياهم كما
فعل يوم بدر استهزاء وتكذيبا ويقولون ان صح ما يقوله فالاصنام تشفع لنا وتخلصنا منه

فنزلت والمعنى ان الامر الموعود به بمنزلة الآتي المتحقق من حيث انه واجب الوقوع
فلا تستعجلوا اى وقوعه فانه لا خير لكم فيه ولا خلاص لكم عنه سبحانه وتعالى عما يشركون
تبرأ وجل عن ان يكون له شريك فيدفع ما اراد بهم وقرأ حمزة والكسائي بالتاء على وفق
قوله فلا تستعجلوه والباقون بالياء على تلوين الخطاب للمؤمنين او لهم ولغيرهم لما روى
انه نزلت اتى امر الله فوثب النبي ورفع الناس رؤسهم فنزلت فلا تستعجلوه ينزل الملائكة
بالروح بالوحي او القرآن فانه يحيي به القلوب الميتة بالجهل او يقوم فى الدين مقام الروح فى الجسد
وذكره عقيب ذلك اشارة الى الطريق الذى به علم الرسول صلعم ما تحقق موعدهم به ودنوه
وازاحة لاستبعادهم اختصاصه بالعلم به وقرأ ابن كثير وابو عمرو ينزل من انزل
وعن يعقوب مثله وعنه تنزل بمعنى تتنزل وقرأ ابو بكر تنزل على المضارع المبنى للمفعول
من التنزيل من امره بامره ومن اجله على من يشاء من عباده ان يتخذه رسولا ان
انذروا بان انذروا اى اعلموا من انذرت بكذا اذا اعلمته انه لا اله الا انا فاتقون ان
الشان لا اله الا انا فاتقون او خوفوا اهل الكفر والمعاصي بانه لا اله الا انا وقوله
فاتقون رجوع الى مخاطبتهم بما هو المقصود وان مفسرة لان الروح بمعنى الوحي الدال
على القول او مصدرية فى موضع الجر بدلا من الروح او النصب بنزع الخافض او مخففة
من الثقيلة والاية تدل على ان نزول الوحي بواسطة الملائكة وان حاصله
التنبيه على التوحيد الذى هو منتهى كمال القوة العلمية والامر بالتقوى الذى
هو اقصى كمالات القوة العملية فان النبوة عطائية والايات التى بعدها دليل وحدانيته
من حيث انها تدل على انه تعالى هو الموجد لاصول العالم وفروعه على وفق الحكمة
والمصلحة ولو كان له شريك لقدر على ذلك فيلزم التمانع خلق السموات والارض
بالحق اوجدهما على مقدار وشكل واوضاع وصفات مختلفة قدرها وخصصها
بحكمته تعالى عما يشركون منها ومما يفتقر فى وجوده او بقائه اليهما ومما لا يقدر
على خلقهما وفيه دليل على انه تعالى ليس من قبيل الاجرام خلق الانسان من نطفة جماد
لا حس لها ولا حراك سيالة لا تحفظ الوضع والشكل فاذا هو خصيم منطيق مجادل مبين
للحجة او خصيم مكافح لخالقه قائل من يحيي العظام وهى رميم روى ان ابى بن خلف اتى النبي صلعم
بعظم رميم وقال يا محمد اترى الله يحيي هذا بعد ما قد رم فنزلت والانعام الابل والبقر
والغنم وانتصابها بمضمر يفسره خلقها لكم او بالعطف على الانسان وخلقها لكم
بيان ما خلق لاجله وما بعده تفصيله له فيها دفء ما يدفأ به فيقي البرد ومنافع نسلها
ودرها وظهورها وانما عبر عنها بالمنافع ليتناول عوضها ومنها تاكلون اى تاكلون
ما يؤكل منها من اللحوم والشحوم والالبان وتقديم الظرف للمحافظة على رؤس الآى
او لان الاكل منها هو المعتاد المعتمد عليه فى المعاش واما الاكل من سائر الحيوانات
الماكولة فعلى سبيل التداوى او التفكه ولكم فيها جمال زينة حين تريحون تردونها

من مراعيها الى مراحها بالعشي وحين تسرحون تخرجونها بالغداة الى المراعى فان الافنية
تتزين بها فى الوقتين ويجل اهلها فى اعين الناظرين اليها وتقديم الاراحة لان الجمال فيها اظهر
فانها تقبل ملاء البطون حاملة الضروع ثم تأوى الى الحظاير حاضرة لاهلها وقرئ حينا على ان
تريحون وتسرحون وصف له بمعنى تريحون فيه وتسرحون فيه وتحمل اثقالكم
احمالكم الى بلد لم تكونوا بالغيه ان لم تكن فضلا ان تحملوها على ظهوركم اليه
الا بشق الانفس الا بكلفة ومشقة وقرئ بالفتح وهو لغة فيه وقيل المفتوح مصدر
شق الامر عليه واصله الصدع والمكسور بمعنى النصف كانه ذهب نصف قوته بالتعب
ان ربكم لرؤف رحيم حيث رحمكم بخلقها لانتفاعكم وتيسير الامر عليكم والخيل والبغال والحمير
عطف على الانعام لتركبوها وزينة اى لتركبوها ولتتزينوا
بها زينة وقيل هى معطوفة على محل لتركبوها وتغيير النظم لان الزينة بفعل الخالق
والركوب ليس بفعله ولان المقصود من خلقها الركوب واما التزين بها فحاصل بالعرض
وقرئ بغير واو وعلى هذا يحتمل ان يكون علة لتركبوها او مصدرا فى موضع الحال
من احد الضميرين اى متزينين او متزينا بها واستدل به على حرمة لحومها ولا دليل
فيه اذ لا يلزم من تعليل الفعل بما يقصد منه غالبا ان لا يقصد منه غيره اصلا او
يدل عليه الآية مكية وعامة المفسرين والمحدثين على ان الحمر الاهلية حرمت عام خيبر
ويخلق ما لا تعلمون لما فصل الحيوانات التى يحتاج اليها غالبا احتياجا ضروريا او غير
ضرورى اجمل غيرها ويجوز ان يكون اخبارا بان له من الخلائق ما لا علم لنا به وان يراد
به ما خلق فى الجنة والنار مما لم يخطر على قلب بشر وعلى الله قصد السبيل بيان مستقيم الطريق
الموصل الى الحق او اقامة السبيل وتعديلها رحمة وفضلا او عليه قصد السبيل يصل اليه
من يسلكه لا محالة يقال سبيل قصد وقاصد اى مستقيم كانه يقصد الوجه الذى يقصده
السالك لا يميل عنه والمراد بالسبيل الجنس ولذلك اضاف اليها القصد وقال ومنها
جائر حائد عن القصد او عن الله وتغيير الاسلوب لانه ليس بحق على الله ان يبين طرق
الضلالة او لان المقصود بيان سبيله وتقسيم السبيل الى القصد والجائر جاء بالعرض
وقرئ ومنكم جائر اى عن القصد ولو شاء لهديكم اجمعين اى ولو شاء هدايتكم اجمعين
لهداكم الى قصد السبيل هداية مستلزمة للاهتداء هو الذى انزل من السماء من السحاب
او من جانب السماء ماء لكم منه شراب ما تشربونه ولكم صلة انزل او خبر شراب
ومن تبعيضية متعلقة به وتقديمها يوهم حصر المشروب فيه ولا باس به لان مياه العيون
والابار منه لقوله فسلكه ينابيع وقوله فاسكناه فى الارض ومنه شجر ومنه يكون
شجر يعنى الشجر الذى ترعاه المواشى وقيل كل ما ينبت على الارض شجر قال يعلفها اللحم اذا عز
الشجر والخيل فى اطعامها اللحم ضرر فيه تسيمون ترعون مواشيكم من سامت الماشية واسامها
صاحبها واصلها السومة وهى العلامة لانها تؤثر بالرعى علامات ينبت لكم به الزرع

وقرأ ابو بكر بالنون على التفخيم والزيتون والنخيل والاعناب ومن كل الثمرات
وبعض كلها اذ لم ينبت في الارض كل ما يمكن من الثمار ولعل تقديم ما يسام
فيه على ما يؤكل منه لانه سيصير غذاء حيوانيا هو اشرف الاغذية ومن هذا تقديم الزرع
والتصريح بالاجناس الثلاثة وترتيبها ان في ذلك لآية لقوم يتفكرون على وجود
الصانع وحكمته فان من تامل ان الحبة تقع في الارض وتصل اليها نداوة تنفذ فيها
فينشق اعلاها ويخرج ساق الشجرة وينشق اسفلها فيخرج منه عروقها ثم ينمو ويخرج منه
الاوراق والازهار والاكمام والثمار وتشتمل كل منها على اجسام مختلفة الاشكال
والطباع مع اتحاد المواد ونسبة الطبايع السفلية والتاثيرات الفلكية الى الكل علم ان ذلك
ليس الا بفعل فاعل مختار مقدس عن منازعة الاضداد والانداد ولعل فصل الاية لذلك
وسخر لكم الليل والنهار والشمس والقمر والنجوم بان هياها لمنافعكم مسخرات
بامره حال من الجميع اي نفعكم بها حال كونها مسخرات لله خلقها ودبرها كيف شاء
او لما خلقن له بايجاده وتقديره او لحكمه وفيه ايذان بالجواب عما عسى ان يقال ان المؤثر
في تكوين النبات حركات الكواكب واوضاعها فان ذلك ان سلم فلا ريب في انها ايضا ممكنة
الذات والصفات واقعة على بعض الوجوه المحتملة فلا بد لها من موجد مخصص مختار
واجب الوجود دفعا للتسلسل والدور او مصدر ميمي جمع لاختلاف النوع وقرا حفص و
النجوم مسخرات على الابتداء والخبر فيكون تعميما للحكم بعد تخصيصه ورفع
ابن عامر الشمس والقمر ايضا ان في ذلك لآيات لقوم يعقلون جمع الآية وذكر
العقل لانها تدل انواعا من الدلالة ظاهرة لذوي العقول السليمة غير محوجة الى استيفاء
فكر كاحوال النبات وما ذرأ لكم عطف على الليل اي وسخر لكم فيها
من حيوان ونبات مختلفا الوانه اصنافه فانها تتخالف باللون غالبا ان في ذلك
لآية لقوم يذكرون ان اختلافها في الطباع والهيئات والمناظر الا بصنع صانع حكيم
وهو الذي سخر لكم البحر جعله بحيث تتمكنون من الانتفاع به بالركوب
والاصطياد والغوص لتأكلوا منه لحما طريا هو السمك ووصفه بالطراوة لانه
ارطب اللحوم يسرع اليه الفساد فيسارع الى اكله ولاظهار قدرته في خلقه
عذبا طريا في ماء زعاق وتمسك به مالك والثوري على ان من حلف ان لا ياكل لحما
حنث باكل السمك واجيب عنه بان مبنى الايمان على العرف وهو لا يفهم منه عند
الاطلاق الا ترى ان الله سمى الكافر دابة ولا يحنث الحالف على ان لا يركب دابة
بركوبه وتستخرجوا منه حلية تلبسونها كاللؤلؤ والمرجان اي تلبسها نساؤكم
فاسند اليهم لانهن من جملتهم ولانهن يتزين بها لاجلهم وترى الفلك
السفن مواخر فيه جواري فيه تشقه بحيزومها من المخر وهو شق الماء وقيل
صوت جري الفلك ولتبتغوا من فضله من سعة رزقه بركوبها للتجارة ولعلكم

تشكرون اي تعرفون نعم الله فتقومون بحقها ولعل تخصيصه بتعقيب الشكر
لانه اقوى في باب الانعام من حيث انه جعل المهالك سببا للانتفاع وتحصيل المعاش
والقى في الارض رواسي جبالا رواسي ان تميد بكم كراهة ان تميل بكم
وتضطرب وذلك لان الارض قبل ان تخلق فيها الجبال كانت كرة خفيفة
بسيطة الطبع وكان من حقها ان تتحرك بالاستدارة كالافلاك او ان تتحرك بادنى سبب
للتحريك فلما خلقت الجبال على وجهها تفاوتت جوانبها وتوجهت الجبال بثقلها نحو
المركز فصارت كالاوتاد التي تمنعها عن الحركة وقيل لما خلق الله الارض جعلت
تمور فقالت الملائكة ما هي بمقر احد على ظهرها فاصبحت وقد ارسيت بالجبال و
انهارا وجعل فيها انهارا لان القى فيه معناه وسبلا لعلكم تهتدون لمقاصدكم
او الى معرفة الله وعلامات معالم يستدل بها السابلة من جبل وسهل وريح ونحو
ذلك وبالنجم هم يهتدون بالليل في البراري والبحار والمراد بالنجم الجنس ويدل عليه قراءة و
بالنجم بضمتين وضمة وسكون على الجمع وقيل الثريا والفرقدان وبنات النعش والجدي
ولعل الضمير لقريش لانهم كانوا كثيري الاسفار للتجارة مشهورين بالاهتداء في مسايرهم
بالنجوم واخراج الكلام عن سنن الخطاب وتقديم النجم واقحام الضمير للتخصيص كانه قيل
وبالنجم خصوصا يهتدون فالاعتبار بذلك والشكر عليه الزم لهم واوجب عليهم افمن يخلق
كمن لا يخلق انكار بعد اقامة الدلائل المتكاثرة على كمال قدرته وتناهي حكمته والتفرد
بخلق ما عدد من مبدعاته لان يساويه ويستحق مشاركته ما لا يقدر على خلق شيء من
ذلك بل على ايجاد شيء ما وكان حق الكلام افمن لا يخلق كمن يخلق لكنه عكس تنبيها على
انهم بالاشراك بالله جعلوه من جنس المخلوقات العجزة شبيها بها والمراد بمن لا يخلق كل
ما عبد من دون الله مغلبا فيه اولو العلم منهم او الاصنام واجروها مجرى اولي العلم
لانهم سموها آلهة ومن حق الاله ان يعلم او للمشاكلة بينه وبين من يخلق او للمبالغة
وكانه قيل ان من يخلق ليس كمن لا يخلق من اولي العلم فكيف بما لا علم عنده افلا تذكرون
فتعرفوا فساد ذلك فانه لجلائه كالحاصل للعقل الذي يحضر عنده بادنى تذكر والتفات
وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها لا تضبطوا عددها فضلا عن ان تطيقوا القيام
بشكرها اتبع ذلك تعداد النعم والزام الحجة على تفرده باستحقاق العبادة تنبيها على ان
وراء ما عدد نعما لا تنحصر وان حق عبادته غير مقدور ان الله لغفور حيث يتجاوز
عن تقصيركم في اداء شكرها رحيم لا يقطعها لتفريطكم فيه ولا يعاجلكم بالعقوبة
على كفرانها والله يعلم ما تسرون وما تعلنون من عقائدكم واعمالكم
وهو وعيد وتزييف للشرك باعتبار العلم والذين يدعون من دون الله
اي والآلهة الذين تعبدونهم من دونه وقرا ابو بكر يدعون بالياء وقرا حفص
ثلاثتها بالياء لا يخلقون شيئا لما نفى المشاركة بين من يخلق ومن لا يخلق بين انهم

لا يخلق شيئا لينتج انهم لا يشاركونه ثم اكد ذلك بان اثبت لهم صفات تنافي الالوهية
وقال وهم يخلقون لانها ذوات ممكنة مفتقرة الوجود الى التخليق والاله
ينبغي ان يكون واجب الوجود اموات غير احياء هم اموات لا يعتريهم الحيوة او
اموات حالا او مالا غير احياء بالذات ليتناول كل معبود والاله ينبغي ان يكون
حيا بالذات لا يعتريه الممات وما يشعرون ايان يبعثون ولا يعلمون وقت
بعثهم او بعث عبدتهم فكيف يكون لهم وقت جزاء على عبادتهم والاله ينبغي ان
يكون عالما بالغيوب مقدرا للثواب والعقاب وفيه تنبيه على ان البعث من
توابع التكليف الهكم اله واحد تكرير للمدعى بعد اقامة الحجج فالذين لا
يومنون بالاخرة قلوبهم منكرة وهم مستكبرون بيان لما
اقتضى اصرارهم بعد وضوح الحق وذلك عدم ايمانهم بالاخرة فان المومن بها يكون
طالبا للدلائل متاملا فيما يسمع فينتفع به والكافر بها يكون حاله بالعكس وانكار
قلوبهم ما لا يعرف الا بالبرهان اتباعا للاسلاف وركونا الى المالوف فانه
ينافي النظر والاستكبار عن اتباع الرسول وتصديقه والالتفات الى
قوله والاول هو العمدة في الباب ولذلك رتب عليه ثبوت الاخرين لا جرم
حقا ان الله يعلم ما يسرون وما يعلنون فيجازيهم وهو في موضع الرفع بجرم لانه
مصدر او فعل انه لا يحب المستكبرين فضلا عن الذين استكبروا عن
توحيده او اتباع الرسول واذا قيل لهم ماذا انزل ربكم القائل بعضهم
على التهكم او الوافدون عليهم او المسلمون قالوا اساطير الاولين اي ما يدعون
نزوله او المنزل اساطير الاولين وانما سموه منزلا على التهكم او على الفرض
اي على تقدير انه منزل فهو اساطير الاولين لا تحقيق فيه والقائلون له قيل هم المقتسمون
ليحملوا اوزارهم كاملة يوم القيمة اي قالوا ذلك اضلالا للناس فحملوا
اوزار ضلالهم كاملة فان اضلالهم نتيجة رسوخهم في الضلال ومن
اوزار الذين يضلونهم وبعض وزر ضلال من يضلونهم وهو حصة
التسبب بغير علم حال من المفعول اي يضلون من لا يعلم انهم ضلال وفايدتها
الدلالة على ان جهلهم لا يعذرهم اذ كان عليهم ان يبحثوا ويميزوا
بين المحق والمبطل الا ساء ما يزرون بئس شيئا يزرونه فعلهم قد مكر الذين
من قبلهم اي سووا منصوبات ليمكروا بها رسل الله فاتى الله بنيانهم
من القواعد فاتاها امره من جهة العمد التي بنوا عليها بان ضعضعت فخر
عليهم السقف من فوقهم وصار سبب هلاكهم واتاهم العذاب من
حيث لا يشعرون لا يحتسبون ولا يتوقعون وهو على سبيل التمثيل وقيل
المراد به نمرود بن كنعان بنى الصرح ببابل سمكه خمسة الاف ذراع ليترصد

امر

امر السماء فاهب الله الريح فخر عليه وعلى قومه فهلكوا ثم يوم القيمة يخزيهم يذلهم
او يعذبهم بالنار كقوله ربنا انك من تدخل النار فقد اخزيته ويقول اين شركاي
اضاف الى نفسه استهزاء او حكاية لاضافتهم زيادة في توبيخهم الذين كنتم
تشاقون فيهم تعادون المومنين في شانهم وقرا نافع بكسر النون بمعنى تشاقونني فان
مشاقة المومنين كمشاقة الله قال الذين اوتوا العلم اي الانبياء والعلماء
الذين كانوا يدعونهم الى التوحيد فيشاقونهم ويتكبرون عليهم او الملايكة
ان الخزي اليوم والسوء الذلة والعذاب على الكافرين فايدة قولهم اظهار
الشماتة وزيادة الاهانة وحكايته لان يكون لطفا لمن سمعه الذين تتوفيهم الملايكة
وقرا حمزة بالياء وقرئ بادغام التاء في التاء وموضع الموصول يحتمل الاوجه الثلثة ظالمي انفسهم
بان عرضوها للعذاب المخلد فالقوا السلم فسالموا واخبتوا حين عاينوا الموت ما كنا
نعمل من سوء قايلين ما كنا نعمل من سوء كفر وعدوان ويجوز ان يكون تفسيرا
للسلم على ان المراد به القول الدال على الاستسلام بلى اي فتجيبهم الملايكة بلى ان الله
عليم بما كنتم تعملون فهو يجازيكم عليه وقيل قوله فالقوا السلم الى اخر الاية استيناف
ورجوع الى شرح حالهم يوم القيمة وعلى هذا اول من لم يجوز الكذب يومئذ ما كنا
نعمل من سوء بانا لم نكن في زعمنا واعتقادنا عاملين سوءا واحتمل ان يكون الراد
عليهم هو الله او اولوا العلم فادخلوا ابواب جهنم كل صنف بابها المعد له وقيل ابواب
جهنم اصناف عذابها خالدين فيها فلبئس مثوى المتكبرين جهنم وقيل للذين اتقوا
يعني المومنين ماذا انزل ربكم قالوا خيرا اي انزل خيرا وفي نصبه دليل على انهم
لم يتلعثموا في الجواب واطبقوه على السوال معترفين بالانزال على خلاف الكفرة
روي ان احياء العرب كانوا يبعثون ايام المواسم من ياتيهم بخبر النبي صلعم فاذا جاء الوافد
المقتسمين قالوا له ما قالوا واذا جاء المومنين قالوا له ذلك للذين احسنوا في هذه الدنيا
حسنة مكافاة في الدنيا ولدار الاخرة خير اي ولثوابهم في الاخرة خير منها وهو عدة
للذين اتقوا على قولهم ويجوز ان يكون بما بعده حكاية لقولهم بدلا وتفسيرا لخيرا على انه
منتصب بقالوا ولنعم دار المتقين دار الاخرة فحذفت لتقدم ذكرها وقوله جنات
عدن خبر مبتدا محذوف ويجوز ان يكون المخصوص بالمدح يدخلونها تجري من تحتها
الانهار لهم فيها ما يشاؤن من انواع المشتهيات وفي تقديم الظرف تنبيه على ان
الانسان لا يجد جميع ما يريده الا في الجنة كذلك يجزي الله المتقين مثل هذا
الجزاء يجزيهم وهو يويد الوجه الاول الذين تتوفيهم الملايكة طيبين طاهرين
من ظلم انفسهم بالكفر والمعاصي لانه في مقابلة ظالمي انفسهم وقيل فرحين ببشارة الملايكة
اياهم بالجنة او طيبين بقبض ارواحهم لتوجه نفوسهم بالكلية الى حضرة القدس يقولون سلام
عليكم لا يحيقكم بعد مكروه ادخلوا الجنة بما كنتم تعملون حين يبعثون

فانها معدة لكم على اعمالكم وقيل هذا التوفي وفاة الحشر لان الامر بالدخول حينئذ هل ينظرون ما ينتظر الكفار المار ذكرهم الا ان تاتيهم الملائكة لقبض ارواحهم وقرا حمزة والكسائي بالياء او ياتي امر ربك القيمة او العذاب المستاصل كذلك مثل ذلك الفعل من الشرك والتكذيب فعل الذين من قبلهم فاصابهم ما اصابوا وما ظلمهم الله بتدميرهم ولكن كانوا انفسهم يظلمون بكفرهم ومعاصيهم المودية اليه فاصابهم سيئات ما عملوا اي جزاء سيئات اعمالهم على حذف المضاف او تسمية الجزاء باسمها وحاق بهم ما كانوا به يستهزءون احاط بهم جزاؤه والحيق لا يستعمل الا في الشر وقال الذين اشركوا لو شاء الله ما عبدنا من دونه من شيء ولا اباؤنا ولا حرمنا من دونه من شيء انما قالوا ذلك استهزاء ومنعا للبعثة والتكليف متمسكين بان ما شاء الله يجب وما لم يشا يمتنع فما الفائدة فيهما او انكارا لقبح ما انكر عليهم من الشرك وتحريم البحائر ونحوها محتجين بانها لو كانت مستقبحة لما شاء الله صدورها عنهم ولشاء خلافه ملجئا اليه لا اعتذارا اذ لم يعتقدوا قبح اعمالهم وفيما بعد تنبيه على الجواب عن الشبهتين كذلك فعل الذين من قبلهم فاشركوا بالله وحرموا حله وردوا رسله فهل على الرسل الا البلاغ المبين الا الابلاغ الموضح للحق وهو لا يؤثر في هدى من شاء الله هداه لكنه مود اليه على سبيل التوسط وما شاء الله وقوعه انما يجب وقوعه لا مطلقا بل باسباب قدرها له ثم بين ان البعثة امر جرت به السنة الالهية في الامم كلها سببا لهدى من اراد اهتداءه وزيادة الضلال لمن اراد ضلاله كالغذاء الصالح فانه ينفع المزاج السوي ويقويه ويضر المنحرف ويفنيه بقوله ولقد بعثنا في كل امة رسولا ان اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت يامر بعبادة الله واجتناب الطاغوت فمنهم من هدى الله وفقهم للايمان بارشادهم ومنهم من حقت عليه الضلالة اذ لم يوفقهم ولم يرد هداهم وفيه تنبيه على فساد الشبهة الثانية لما فيه من الدلالة على ان تحقق الضلال وثباته بفعل الله وارادته من حيث انه قسيم من هدى الله وقد صرح به في الاية الاخرى فسيروا في الارض يا معشر قريش فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين من عاد وثمود وغيرهم لعلكم تعتبرون ان تحرص يا محمد على هداهم فان الله لا يهدي من يضل من يريد ضلاله وهو المعنى بمن حقت عليه الضلالة وقرا غير الكوفيين لا يهدى على البناء للمفعول وهو ابلغ وما لهم من ناصرين من ينصرهم بدفع العذاب عنهم واقسموا بالله جهد ايمانهم لا يبعث الله من يموت عطف على وقال الذين اشركوا ايذانا بانهم كما انكروا التوحيد انكروا البعث مقسمين عليه زيادة في البت على فساده ولقد رد الله عليهم ابلغ رد فقال بلى يبعثهم وعدا مصدر مؤكد لنفسه وهو ما دل عليه بلى فان يبعث موعد من الله عليه انجازه لامتناع الخلف في وعده او لان البعث مقتضى حكمته حقا صفة اخرى للوعد ولكن اكثر الناس لا يعلمون انهم يبعثون اما لعدم علمهم بانه من مواجب الحكمة التي جرت عادته بمراعاتها واما لقصور نظرهم بالمالوف

وردوا

فيتوهمون امتناعه ثم انه تعالى بين الامرين فقال ليبين لهم اي يبعثهم ليبين لهم الذي يختلفون فيه وهو الحق وليعلم الذين كفروا انهم كانوا كاذبين فيما كانوا يزعمون وهو اشارة الى السبب الداعي الى البعث المقتضي له من حيث الحكمة وهو المميز بين الحق والباطل والمحق والمبطل بالثواب والعقاب ثم قال انما قولنا لشيء اذا اردناه ان نقول له كن فيكون وهو بيان امكانه وتقريره ان تكوين الله تعالى بمحض قدرته ومشيته لا توقف له على سبق المواد والمدد والا لزم التسلسل فكما امكن له تكوين الاشياء ابتداء بلا سبق مادة ومثال امكن له تكوينها اعادة بعده ونصب ابن عامر والكسائي فيكون عطفا على نقول او جوابا للامر والذين هاجروا في الله من بعد ما ظلموا هم رسول الله واصحابه المهاجرون ظلمهم قريش فهاجر بعضهم الى الحبشة ثم الى المدينة وبعضهم الى المدينة او المحبوسون والمعذبون بمكة بعد هجرة رسول الله وهم بلال وصهيب وخباب وعمار وعابس وابو جندل وسهيل وقوله في الله اي في حقه ولوجهه لنبوئنهم في الدنيا حسنة مباءة حسنة وهي المدينة او تبوئة حسنة ولاجر الاخرة اكبر مما يعجل لهم في الدنيا وعن عمر رضي الله عنه انه كان اذا اعطى رجلا من المهاجرين عطاءه قال له خذ بارك الله لك فيه هذا ما وعدك الله في الدنيا وما ادخر لك في الاخرة افضل لو كانوا يعلمون الضمير للكفار اي لو علموا ان الله يجمع لهؤلاء المهاجرين خير الدارين لوافقوهم او للمهاجرين اي لو علموا ذلك لزادوا في اجتهادهم وصبرهم الذين صبروا على الشدائد كاذى الكفرة ومفارقة الوطن ومحله النصب والرفع على المدح وعلى ربهم يتوكلون منقطعين الى الله مفوضين اليه الامر كله وما ارسلنا من قبلك الا رجالا نوحي اليهم رد لقول قريش الله اعظم من ان يكون رسوله بشرا اي جرت السنة الالهية بان لا يبعث للدعوة العامة الا بشرا يوحي اليه على السنة الملائكة والحكمة في ذلك قد ذكر في سورة الانعام فان شككتم فيه فاسالوا اهل الذكر اهل الكتاب او علماء الاخبار ليعلموكم ان كنتم لا تعلمون وفي الاية دليل على انه تعالى لم يرسل امراة ولا ملكا للدعوة العامة واما قوله جاعل الملائكة رسلا معناه رسلا الى الملائكة او الى الانبياء وقيل لم يبعثوا الى الانبياء الا متمثلين بصورة الرجال ورد بما روي انه عليه السلام راى جبريل على صورته التي عليها مرتين وعلى وجوب المراجعة الى العلماء فيما لا يعلم بالبينات والزبر اي ارسلناهم بالبينات والزبر اي المعجزات والكتب كانه جواب قائل بم ارسلوا ويجوز ان يتعلق بما ارسلنا داخلا في الاستثناء مع رجالا اي وما ارسلنا الا رجالا بالبينات كقولك ما ضربت الا زيدا بالسوط او صفة لهم اي رجالا متلبسين بالبينات او بنوحي على المفعولية او الحال من القائم مقام فاعله على ان قوله فاسالوا اعتراض او بلا يعلمون على ان الشرط للتبكيت والالزام وانزلنا اليك الذكر اي القران وانما سمي ذكرا لانه موعظة وتنبيه لتبين للناس ما نزل اليهم في الذكر بتوسط انزاله اليك مما امروا به ونهوا عنه او مما تشابه عليهم والتبيين اعم من ان ينص بالمقصود او يرشد الى ما يدل

عليه بالقياس ودليل العقل ولعلهم يتفكرون وارادة ان يتاملوا فيه فينتبهوا للحقائق
أفأمن الذين مكروا السيئات اي المكرات وهم الذين احتالوا لهلاك الانبياء
او الذين مكروا رسول الله صلعم وراموا صد اصحابه عن الايمان ان يخسف الله
بهم الارض كما خسف بقارون او يأتيهم العذاب من حيث لا يشعرون
بغتة من جانب السماء كما فعل بقوم لوط او يأخذهم في تقلبهم اي متقلبين في
مسايرهم ومتاجرهم فما هم بمعجزين او يأخذهم على تخوف على مخافة بان يهلك قوما
قبلهم فيتخوفوا فيأتيهم العذاب وهم متخوفون او على ان ينقصهم شيئا بعد شيء في انفسهم
واموالهم حتى يهلكوا من تخوفته اذا تنقصته روي ان عمر رضه قال على المنبر ما تقولون
فيها فسكتوا فقام شيخ من هذيل فقال هذه لغتنا التخوف التنقص فقال هل تعرف العرب
ذلك في اشعارها قال نعم قال شاعرنا ابو كبير يصف ناقته تخوف منها تامكا قردا كما
تخوف عود النبعة السفن فقال عمر عليكم بديوانكم لا تضلوا قالوا وما ديوانه قال
شعر الجاهلية فان فيه تفسير كتابكم ومعاني كلامكم فان ربكم لرؤوف رحيم
حيث لا يعاجلكم بالعقوبة أولم يروا الى ما خلق الله من شيء استفهام انكار
اي قد رأوا امثال هذه الصنائع فما بالهم لم يتفكروا فيه ليظهر لهم كمال قدرته
وقهره فيخافوا منه وما موصولة او مبهمة بيانها يتفيؤا ظلاله اي اولم ينظروا
الى المخلوقات التي لها ظلال متفيئة عن اليمين والشمائل عن ايمانها وشمائلها اي عن
جانبي كل واحد منها استعارة من يمين الانسان وشماله ولعل توحيد اليمين
وجمع الشمائل باعتبار اللفظ والمعنى كتوحيد الضمير في ظلاله وجمعه في قوله سجدا لله
وهم داخرون وهما حالان من الضمير في ظلاله والمراد من السجود الاستسلام
سواء كان بالطبع او الاختيار يقال سجدت النخلة اذا مالت لكثرة الحمل وسجد البعير
اذا طاطا راسه ليركب وسجدا حال من الظلال وهم داخرون من الضمير والمعنى يرجع
الظلال بارتفاع الشمس وانحدارها او باختلاف مشارقها ومغاربها بتقدير الله تعالى
من جانب الى جانب منقادة لما قدر لها من التفيؤ او واقعة على الارض ملتصقة
بها على هيئة الساجد والاجرام في انفسها ايضا داخرة اي صاغرة منقادة لافعال الله
فيها وجمع داخرون بالواو لان من جملتها من يعقل او لان الدخور من اوصاف العقلاء
وقيل المراد باليمين والشمائل يمين الفلك وهو جانبه الشرقي لان الكواكب تظهر منه
آخذة في الارتفاع والسطوع وشماله وهو الجانب الغربي المقابل له فان الظلال
في اول النهار يبتدئ من المشرق واقعة على الربع الغربي من الارض وعند الزوال
يبتدئ من المغرب واقعة على الربع الشرقي من الارض ولله يسجد ما في السموات
وما في الارض اي ينقاد انقيادا يعم الانقياد لارادته وتأثيره طبعا والانقياد لتكليفه
وامره طوعا ليصح اسناده الى عامة اهل السموات والارض من دابة بيان لهما لان

الدبيب

لان الدبيب هي الحركة الجسمانية سواء كان في ارض او سماء والملائكة عطف على المبين
عطف جبرئيل على الملائكة للتعظيم او عطف المجردات على الجسمانيات وبه احتج من قال
ان الملائكة ارواح مجردة او بيان لما في الارض والملائكة تكرير لما في السموات وتعيين
له اجلالا وتعظيما او المراد بها ملائكتها من الحفظة وغيرهم وما لما استعمل
للعقلاء كما استعمل لغيرهم كان استعماله حيث اجتمع القبيلان اولى من اطلاق من
تغليبا للعقلاء وهم لا يستكبرون عن عبادته يخافون ربهم من فوقهم
يخافونه ان يرسل عذابا من فوقهم او يخافونه وهو فوقهم بالقهر لقوله وهو القاهر
فوق عباده والجملة حال من الضمير في لا يستكبرون او بيان له وتقرير لان من خاف
الله لم يستكبر عن عبادته ويفعلون ما يؤمرون من الطاعة والتدبير وفيه
دليل على ان الملائكة مكلفون مدارون بين الخوف والرجاء وقال الله لا تتخذوا
الهين اثنين ذكر العدد مع ان المعدود يدل عليه دلالة على ان مساق النهي اليه
او ايماء بان الاثنينية تنافي الالهية كما ذكر الواحد في قوله انما هو اله واحد للدلالة
على ان المقصود اثبات الوحدانية دون الالهية او التنبيه على ان الوحدة من لوازم
الالهية فاياي فارهبون نقل من الغيبة الى التكلم مبالغة في الترهيب وتصريحا
بالمقصود كانه قال فانا ذلك الاله الواحد فاياي فارهبون لا غير وله ما في السموات
والارض خلقا وملكا وله الدين اي الطاعة واصبا لازما لما تقرر من انه الاله
وحده والحقيق بان يرهب منه وقيل واصبا من الوصب اي وله الدين ذا كلفة
وقيل الدين الجزاء اي وله الجزاء دائما لا ينقطع ثوابه لمن آمن وعقابه لمن كفر
افغير الله تتقون ولا ضار سواه كما لا نافع غيره كما قال وما بكم من نعمة
فمن الله واي شيء اتصل بكم من نعمة فهو من الله وما شرطية او موصولة متضمنة
معنى الشرط باعتبار الاخبار دون الحصول فان استقرار النعمة بهم يكون سببا للاخبار
بانها من الله لا لحصولها منه ثم اذا مسكم الضر فاليه تجأرون فما تتضرعون الا
اليه والجؤار رفع الصوت في الدعاء والاستغاثة ثم اذا كشف الضر عنكم
اذا فريق منكم بربهم يشركون وهم كفاركم ليكفروا بعبادة غيره هذا اذا
كان الخطاب عاما فان كان خاصا بالمشركين كان من للبيان كانه قال فاذا فريق
مشركون هم انتم ويجوز ان يكون من للتبعيض على ان يعتبر بعضهم كقوله فلما نجاهم
الى البر فمنهم مقتصد بما آتيناهم من نعمة الكشف عنهم كانهم قصدوا بشركهم
كفران النعمة او انكار كونها من الله فتمتعوا امر تهديد فسوف تعلمون اغلظ وعيده
وقرئ فيمتعوا مبنيا للمفعول عطفا على ليكفروا وعلى هذا جاز ان يكون اللام لام الامر الوارد
للتهديد والفاء للجواب ويجعلون لما لا يعلمون اي لآلهتهم التي لا علم لها
لانها جماد فيكون الضمير لما او التي لا يعلمونها فيعتقدون فيها جهالات مثل انها تنفعهم

ويشهد لهم على ان العايد الى ما محذوف او لجهلهم على ان ما مصدرية والمجعول
له محذوف للعلم به نصيبا مما رزقناهم من الزروع والانعام تالله لتسئلن
عما كنتم تفترون من انها آلهة بالتقرب اليها وهو وعيد لهم عليه ويجعلون
لله البنات كانت خزاعة وكنانة يقولون الملايكة بنات الله سبحانه
تنزيه له من قولهم وتعجب منه ولهم ما يشتهون يعني البنين ويجوز فيما يشتهون
الرفع بالابتداء والنصب بالعطف على البنات على ان الجعل بمعنى الاختيار وهو وان
افضى الى ان يكون ضمير الفاعل والمفعول لشيء واحد لكنه لا يبعد تجويزه في المعطوف
واذا بشر احدهم بالانثى اخبر بولادتها ظل وجهه صار او دام النهار كله مسودا
من الكآبة والحياء من الناس واسوداد الوجه كناية عن الاغتمام والتشوير وهو
كظيم مملو غيظا على المرأة يتوارى من القوم يستخفي منهم من سوء ما بشر به من
سوء المبشر به عرفا ايمسكه محدثا نفسه متفكرا في ان يتركه على هون ذل ام يدسه
في التراب ام يخفيه فيه ويئده وتذكير الضمير للفظ ما وقرئ بالتانيث فيهما الا ساء ما
يحكمون حيث يجعلون لمن تعالى عن الولد ما هذا محله عندهم للذين لا يؤمنون
بالآخرة مثل السوء صفة السوء وهي الحاجة الى الولد المنادية بالموت واستبقاء الذكور
استظهارا بهم وكراهة الاناث ووأدهن خشية الاملاق ولله المثل الاعلى وهو
الوجوب الذاتي والغنى المطلق والجود الفائق والنزاهة عن صفات المخلوقين وهو
العزيز الحكيم المتفرد بكمال القدرة والحكمة ولو يؤاخذ الله الناس بظلمهم القدرة
بكفرهم ومعاصيهم ما ترك عليها على الارض وانما اضمرها من غير ذكر لدلالة الناس
او الدابة عليها من دابة قط بشؤم ظلمهم وعن ابن مسعود كاد الجعل يهلك في جحره
بذنب ابن آدم او من دابة ظالمة وقيل لو اهلك الآباء بكفرهم لم يكن الابناء ولكن
يؤخرهم الى اجل مسمى سماه لاعمارهم او لعذابهم كي يتوالدوا فاذا جاء اجلهم
لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون بل هلكوا او عذبوا حينئذ لا محالة ولا يلزم
من عموم الناس واضافة الظلم اليه ان يكونوا كلهم ظالمين حتى الانبياء عليهم السلام
لجواز ان يضاف اليهم ما شاع فيهم وصدر عن اكثرهم ويجعلون لله ما يكرهون
اي ما يكرهونه لانفسهم من البنات والشركاء في الرياسة والاستخفاف بالرسل وارذل
الاموال وتصف السنتهم الكذب مع ذلك وهو ان لهم الحسنى اي عند الله لقوله
ولئن رجعت الى ربي ان لي عنده للحسنى وقرئ الكذب جمع كذوب صفة للالسنة لا جرم
ان لهم النار رد لكلامهم واثبات لضده وانهم مفرطون مقدمون الى النار
من افرطته في طلب الماء اذا قدمته وقرأ نافع بكسر الراء على انه من الافراط في المعاصي
وقرئ بالتشديد مفتوحا من فرطته في طلب الماء ومكسورا من التفريط في الطاعات
تالله لقد ارسلنا الى امم من قبلك فزين لهم الشيطان اعمالهم فاصروا على قبايحها

وكفروا

وكفروا بالمرسلين فهو وليهم اليوم اي في الدنيا وعبر باليوم عن زمانها او فهو وليهم
حين كان يزين لهم او يوم القيمة على انه حكاية حال ماضية او آتية ويجوز ان يكون
الضمير لقريش اي زين الشيطان للكفرة المتقدمين اعمالهم وهو ولي هؤلاء اليوم
يغريهم ويغويهم وان يقدر مضاف اي فهو ولي امثالهم والولي القرين او الناصر فيكون
نفيا للناصر لهم على ابلغ الوجوه ولهم عذاب اليم في القيمة وما انزلنا عليك الكتاب
الا لتبين لهم للناس الذي اختلفوا فيه من التوحيد والقدر واحوال المعاد واحكام
الافعال وهدى ورحمة لقوم يؤمنون معطوفان على محل لتبين فانهما فعلا المنزل
بخلاف التبيين والله انزل من السماء ماء فاحيا به الارض بعد موتها انبت فيها انواع
النبات بعد يبسها ان في ذلك لآية لقوم يسمعون سماع تدبر وانصاف وان لكم
في الانعام لعبرة دلالة يعبر بها من الجهل الى العلم نسقيكم مما في بطونه استيناف
لبيان العبرة وانما ذكر الضمير ووحده ههنا للفظ وانثه في سورة المؤمنين للمعنى فان
الانعام اسم جمع ولذلك عده سيبويه في المفردات المبنية على افعال كاخلاق واكياش
ومن قال انه جمع نعم جعل الضمير للبعض فان اللبن لبعضها دون جميعها او لواحده ،، ترسب بتغير غذائه مرتين ٣
او له على المعنى فان المراد به الجنس وقرأ نافع وابن عامر وابو بكر ويعقوب نسقيكم
بالفتح من بين فرث ودم لبنا فانه يخلق من بعض اجزاء الدم المتولد من الاجزاء اللطيفة
التي في الفرث وهو الاشياء الماكولة المنهضمة بعض الانهضام في الكرش وعن ابن
عباس ان البهيمة اذا اعتلفت وانطبخ العلف في كرشها كان اسفله فرثا واوسطه لبنا
واعلاه دما ولعله ان صح فالمراد ان اوسطه يكون مادة اللبن واعلاه مادة الدم
الذي يغذي البدن لانهما لا يتكونان في الكرش بل الكبد يجذب صفاوة الطعام المنهضم
في الكرش ويبقى ثفله وهو الفرث ثم يمسكها ريثما يهضمها هضما ثانيا حتى يحصل اخلاطا اربعة
معها مائية فتميز القوة المميزة تلك المائية بما زاد على قدر الحاجة من المرتين وتدفعها الى
الكلية والمرارة والطحال ثم يوزع الباقي على الاعضاء بحسبها فيجري الى كل حقه على ما يليق
به بتقدير الحكيم العليم ثم ان كان الحيوان انثى زاد اخلاطها على قدر غذائها لاستيلاء
البرد والرطوبة على مزاجها فيندفع الزائد اولا الى الرحم لاجل الجنين فاذا انفصل انصب
ذلك الزائد او بعضه الى الضروع فيبيض لمجاورة لحومها الغددية البيض فيصير لبنا
ومن تدبر صنع الله تعالى في احداث الاخلاط والالبان واعداد مقارها ومجاريها والاسباب
المولدة لها والقوى المتصرفة فيها كل وقت على ما يليق به اضطر الى الاقرار بكمال حكمته
وتناهي رحمته ومن الاولى تبعيضية لان اللبن بعض ما في بطونها والثانية ابتدائية
كقولك سقيت من الحوض لان بين الفرث والدم المحل الذي يبتدأ منه الاسقاء وهي
متعلقة بنسقيكم او حال من لبنا قدم عليه لتنكيره وللتنبيه على انه موضع العبرة خالصا
صافيا لا يستصحبه لون الدم ولا رائحة الفرث او مصفى عما يصحبه من الاجزاء الكثيفة

متضيق مخرجه سائغا للشاربين سهل المرور في حلقهم وقرئ سيغا بالتشديد والتخفيف
ومن ثمرات النخيل والاعناب متعلق بمحذوف اي ونسقيكم من ثمرات النخيل
والاعناب اي من عصيرهما وقوله تتخذون منه سكرا استيناف لبيان الاسقاء
او بتتخذون ومنه تكرير للظرف تاكيدا او خبر لمحذوف صفته تتخذون اي
ومن ثمرات النخيل والاعناب ثمر تتخذون منه وتذكير الضمير على الوجهين الاولين
لانه للمضاف المحذوف الذي هو العصير او لان الثمرات بمعنى الثمر والسكر مصدر
سمي به الخمر ورزقا حسنا كالتمر والزبيب والدبس والخل والاية ان كانت
سابقة على تحريم الخمر فدالة على كراهتها والا فجامعة بين العتاب والمنة وقيل السكر
النبيذ وقيل الطعم قال جعلت اعراض الكرام سكرا اي تنقلت باعراضهم وقيل
ما يسد الجوع من السكر فيكون الرزق ما يحصل من اثمانه ان في ذلك لاية
لقوم يعقلون يستعملون عقولهم بالنظر والتامل في الايات واوحى ربك الى النحل
الهمها وقذف في قلوبها وقرئ الى النحل بفتحتين ان اتخذي بان اتخذي ويجوز ان
يكون مفسرة لان في الايحاء معنى القول وتانيث الضمير على المعنى فان النحل مذكر من الجبال
بيوتا ومن الشجر ومما يعرشون ذكر بحرف التبعيض لانها لا تبني في كل جبل
وكل شجر وكل ما يعرش من كرم او سقف ولا في كل مكان منها وانما سمي ما تبنيه
لتتعسل فيه بيتا تشبيها ببناء الانسان لما فيه من حسن الصنعة وصحة القسمة
التي لا يقوى عليها حذاق المهندسين الا بالات وانظار دقيقة ولعل ذكره
للتنبيه على ذلك وقرئ بيوتا بكسر الباء وقرا ابن عامر وابو بكر يعرشون
بضم الراء ثم كلي من كل الثمرات من كل ثمرة تشتهيها مرها وحلوها
فاسلكي ما اكلت سبل ربك في مسالكه التي يحيل فيها بقدرته النور المر عسلا من
اجوافك او فاسلكي الطرق التي الهمك في عمل العسل او فاسلكي راجعة الى بيوتك
سبل ربك لا تتوعر عليك ولا تلتبس ذللا جمع ذلول وهي حال من السبل اي
مذللة ذللها الله وسهلها لك او من الضمير في فاسلكي اي وانت ذلل منقادة لما
امرت به يخرج من بطونها عدل به عن خطاب النحل الى خطاب الناس لانه محل
الانعام عليهم والمقصود من خلق النحل والهامه لاجلهم شراب يعني العسل
واحتج به من زعم ان النحل تاكل الازهار والاوراق العطرة فتستحيل في باطنها عسلا
ثم تقيء ادخارا للشتاء ومن زعم انها تلتقط بافواهها اجزاء طلية حلوة صغيرة
متفرقة على الاوراق وتضعها في بيوتها ادخارا فاذا اجتمع في بيوتها شيء كثير
منها كان العسل فسر البطون بالافواه مختلف الوانه ابيض واصفر واحمر واسود
بسبب اختلاف سن النحل او الفصل فيه شفاء للناس اما بنفسه كما في الامراض
اذ قل ما يكون معجون الا والعسل جزء منه مع ان التنكير فيه مشعر بالتبعيض ويجوز
ان

ان يكون للتعظيم وعن قتادة ان رجلا جاء الى رسول الله صلعم فقال ان اخي يشتكي
بطنه فقال اسقه العسل فذهب ثم رجع فقال قد سقيته فما نفع فقال اذهب واسقه عسلا
فقد صدق الله وكذب بطن اخيك فسقاه فشفاه الله فبرا فكانما انشط من عقال
وقيل الضمير للقران او لما بين الله من احوال النحل ان في ذلك لاية لقوم يتفكرون
فان من تدبر اختصاص النحل بتلك العلوم الدقيقة والافعال العجيبة حق التدبر علم قطعا
انه لا بد له من قادر حكيم يلهمها ذلك ويحملها عليه والله خلقكم ثم يتوفيكم باجال
مختلفة ومنكم من يرد الى ارذل العمر اخسه يعني الهرم الذي يشابه الطفولية
في نقصان القوة والعقل وقيل هو خمس وتسعون سنة وقيل خمس وسبعون لكيلا يعلم
من بعد علم شيئا ليصير الى حالة شبيهة بحال الطفولية في النسيان وسوء الفهم ان الله عليم
بمقادير اعمارهم قدير يميت الشاب النشيط ويبقي الهرم الفاني وفيه تنبيه على ان تفاوت
اجال الناس ليس الا بتقدير قادر حكيم ركب ابنيتهم وعدل امزجتهم على قدر معلوم ولو كان
ذلك مقتضى الطباع لم يبلغ التفاوت هذا المبلغ والله فضل بعضكم على بعض في الرزق
فمنكم غني ومنكم فقير ومنكم موال يتولون رزقهم ورزق غيرهم ومنكم مماليك
حالهم على خلاف ذلك فما الذين فضلوا برادي رزقهم بمعطي رزقهم على ما ملكت
ايمانهم على مماليكهم فان ما يردون عليهم رزقهم الذي جعله الله في ايديهم فهم فيه سواء
فالموالي والمماليك سواء في ان الله رزقهم فالجملة لازمة للجملة المنفية او مقررة لها ويجوز
ان تكون واقعة موقع الجواب كانه قيل فما الذين فضلوا برادي رزقهم على ما ملكت ايمانهم
فيستووا في الرزق على انه رد وانكار على المشركين فانهم يشركون بالله بعض مخلوقاته
في الالهية ولا يرضون ان يشاركهم عبيدهم فيما انعم الله عليهم فيساويهم فيه افبنعمة
الله يجحدون حين يتخذون له شركاء فانه يقتضي ان يضاف اليهم بعض ما انعم الله عليهم
ويجحدوا انه من عند الله او حيث انكروا امثال هذه الحجج بعد ما انعم الله عليهم
بايضاحها والباء لتضمن الجحود معنى الكفر وقرا ابو بكر تجحدون بالتاء لقوله خلقكم وفضل
بعضكم والله جعل لكم من انفسكم ازواجا اي من جنسكم لتانسوا بها ولتكون اولادكم
مثلكم وقيل هو خلق حوا من ادم وجعل لكم من ازواجكم بنين وبنات
وحفدة واولادا وبنات فان الحافد هو المسرع في الخدمة والبنات يخدمن من
في البيوت اتم خدمة وقيل هم الاختان على البنات وقيل الربائب ويجوز ان
يراد بها البنون انفسهم والعطف لتغاير الوصفين ورزقكم من الطيبات من
اللذائذ والحلالات ومن للتبعيض فان المرزوق في الدنيا انموذج منها افبالباطل
يؤمنون وهو ان الاصنام تنفعهم او ان من الطيبات ما يحرم عليهم كالبحائر والسوائب
وبنعمة الله هم يكفرون حيث اضافوا نعمه الى الاصنام او حرموا ما احل الله
لهم وتقديم الصلة على الفعل اما للاهتمام او لايهام التخصيص مبالغة او للمحافظة على الفواصل

ويعبدون من دون الله ما لا يملك لهم رزقا من السموات والارض شيئا من
مطر ونبات ورزقا ان جعلته مصدرا فشيئا منصوب به والا فبدل عنه ولا يستطيعون
ان يتملكوه او لا استطاعة لهم اصلا وجمع الضمير فيه وتوحيده في لا يملك لان ما مفرد
في معنى الالهة ويجوز ان يعود الى الكفار اى ولا يستطيع هولاء مع انهم احياء متصرفون
شيئا من ذلك فكيف بالجماد فلا تضربوا لله الامثال فلا تجعلوا له مثلا تشركونه به او تقيسونه
عليه فان ضرب المثل تشبيه حال بحال ان الله يعلم فساد ما تقولون على ان عبادة عبيد
الملك ادخل في التعظيم من عبادته وعظم جرمكم فيما تفعلون وانتم لا تعلمون ذلك
ولو علمتموه لما جراتم عليه فهو تعليل للنهي او انه يعلم كنه الاشياء وانتم لا تعلمونه
فدعوا رايكم دون نصه ويجوز ان يراد فلا تضربوا لله الامثال فانه يعلم كيف يضرب
الامثال وانتم لا تعلمون ثم علمهم كيف يضرب فضرب مثلا لنفسه ولمن عبد دونه
فقال ضرب الله مثلا عبدا مملوكا لا يقدر على شيء ومن رزقناه منا رزقا حسنا
فهو ينفق منه سرا وجهرا هل يستوون مثل ما يشرك به بالمملوك العاجز عن التصرف
راسا ومثل نفسه بالحر المالك الذى رزقه الله مالا كثيرا فهو يتصرف فيه وينفق
منه كيف يشاء واحتج بامتناع الاشتراك والتسوية بينهما مع تشاركهما في
الجنسية والمخلوقية على امتناع التسوية بين الاصنام التى هى اعجز المخلوقات
وبين الله الغنى القادر على الاطلاق وقيل هو تمثيل للكافر المخذول والمومن
الموفق وتقييد العبد بالمملوك للتمييز من الحر فانه ايضا عبد الله وبسلب القدرة
للتمييز عن المكاتب والماذون وجعله قسيما للمالك المتصرف يدل على ان المملوك لا يملك
والاظهر ان من موصوفة ليطابق عبدا وجمع الضمير في يستوون لانه للجنس فان المعنى
هل يستوى الاحرار والعبيد الحمد لله كل الحمد له لا يستحقه غيره فضلا عن العبادة
لانه مولى النعم كلها بل اكثرهم لا يعلمون فيضيفون نعمه الى غيره ويعبدونه لاجلها و
ضرب الله مثلا رجلين احدهما ابكم ولد اخرس لا يفهم ولا يفهم لا يقدر على
شيء من الصنائع والتدابير لنقصان عقله وهو كل على مولاه عيال وثقل على من يلى امره
اينما يوجهه حيثما يرسله مولاه في امر وقرئ يوجه على البناء للمفعول ويوجه بمعنى يتوجه
لقوله اينما اوجه الق سعدا وتوجه بلفظ الماضى لا يات بخير بنجح وكفاية مهم
هل يستوى هو ومن يامر بالعدل ومن هو فهم منطيق ذو كفاية و
رشد ينفع الناس بحثهم على العدل الشامل لجامع الفضائل وهو على صراط مستقيم و
هو في نفسه على طريق مستقيم لا يتوجه الى مطلب الا ويبلغه باقرب سعى وانما قابل تلك
الصفات بهذين الوصفين لانهما كمال ما يقابلها وهذا تمثيل ثان ضربه الله لنفسه
وللاصنام لابطال المشاركة بينه وبينها او للمومن والكافر ولله غيب السموات
والارض يختص به علمه لا يعلمه غيره وهو ما غاب فيهما عن العباد بان لم يكن محسوسا

و لم

ولم يدل عليه محسوس وقيل يوم القيمة فان علمه غائب عن اهل السموات والارض وما
امر الساعة وما امر قيام القيمة في سرعته وسهولته الا كلمح البصر الا كرجع الطرف
من اعلى الحدقة الى اسفلها او هو اقرب او امرها اقرب منه بان يكون في زمان نصف
تلك الحركة بل في الان الذى يبتدا فيه فانه تعالى يحيى الخلائق دفعة وما يوجد دفعة كان
في ان واو للتخيير او بمعنى بل وقيل معناه ان قيام الساعة وان تراخى فهو عند الله كالشيء
الذى يقولون فيه هو كلمح البصر او هو اقرب مبالغة في استقرابه ان الله على كل شيء قدير
فيقدر ان يحيى الخلائق دفعة كما قدر ان احياهم متدرجا ثم دل على قدرته تعالى فقال
والله اخرجكم من بطون امهاتكم وقرا الكسائي بكسر الهمزة على انه لغة او
اتباع لما قبلها وحمزة بكسرها وكسر الميم والهاء مزيدة مثلها في اهراق لا تعلمون شيئا جهالا
مستصحبين جهل الجمادية وجعل لكم السمع والابصار والافئدة اداة تتعلمون بها
فتحسون بمشاعركم جزئيات الاشياء فتدركونها ثم تنبهون بقلوبكم لمشاركات و
مباينات بينها بتكرار الاحساس حتى تحصل لكم العلوم البديهية وتتمكنوا من تحصيل
المعالم الكسبية بالنظر فيها لعلكم تشكرون كي تعرفوا ما انعم عليكم
طورا بعد طور فتشكروه الم يروا الى الطير قرا ابن عامر وحمزة ويعقوب بالتاء على
انه خطاب للعامة مسخرات مذللات للطيران بما خلق لها من الاجنحة والاسباب
المواتية له في جو السماء في الهواء المتباعد من الارض ما يمسكهن فيه الا الله فان
ثقل جسدها يقتضى سقوطها ولا علاقة فوقها ولا دعامة تحتها تمسكها ان في ذلك لايات
اى تسخير الطير للطيران بان خلقها خلقة يمكن معها الطيران وخلق الجو بحيث يمكن الطيران
فيه وامساكها في الهواء على خلاف طبعها لقوم يومنون لانهم هم المنتفعون بها والله
جعل لكم من بيوتكم سكنا موضعا تسكنون فيه وقت اقامتكم كالبيوت
المتخذة من الحجر والمدر فعل بمعنى مفعول وجعل لكم من جلود الانعام بيوتا هى القباب
المتخذة من الادم ويجوز ان يتناول المتخذة من الوبر والصوف والشعر فانها من حيث
انها نابتة على جلودها يصدق عليها انها من جلودها تستخفونها تجدونها خفيفة يخف
عليكم حملها ونقلها يوم ظعنكم وقت ترحالكم ويوم اقامتكم ووضعها او
ضربها او وقت الحضر او النزول وقرا الحجازيان والبصريان يوم ظعنكم بالفتح وهو لغة فيه ومن
اصوافها واوبارها واشعارها الصوف للضانية والوبر للابل والشعر للمعز واضافتها
الى ضمير الانعام لانها من جملتها اثاثا ما يلبس ويفرش ومتاعا ما يتجر به الى حين الى مدة
من الزمان فانها لصلابتها تبقى مدة مديدة او الى حين مماتكم او الى ان تقضوا منه
اوطاركم والله جعل لكم مما خلق ظلالا من الجبال اكنانا مواضع تسكنون بها من
الكهوف والبيوت المنحوتة فيها جمع كن وجعل لكم سرابيل ثيابا من الصوف والكتان
والقطن وغيرها تقيكم الحر خصه بالذكر اكتفاء باحد الضدين او لان وقاية الحر كانت

اهم عندهم وسرابيل تقيكم بأسكم يعني الدروع والجواشن والسربال يعم كل
ما يلبس كذلك كاتمام هذه النعم التي تقدمت يتم نعمته عليكم لعلكم
تسلمون اي تنظرون نعمه فتؤمنون به او تنقادون لحكمه وقرئ تسلمون
من السلامة اي تشكرون فتسلمون من العذاب او تنظرون فيها فتسلمون
من الشرك وقيل تسلمون من الجراح بلبس الدروع فان تولوا اعرضوا ولم يقبلوا
منك فانما عليك البلاغ المبين فلا يضرك فانما عليك البلاغ وقد بلغت وهذا
من اقامة السبب مقام المسبب يعرفون نعمة الله اي يعرف المشركون نعمة التي
عددها عليهم وغيرها حيث يعترفون بها وبانها من الله ثم ينكرونها بعبادتهم
غير المنعم بها وقولهم انها بشفاعة الهتنا او بسبب كذا او باعراضهم عن اداء حقوقها وقيل
نعمة الله نبوة محمد عرفوها بالمعجزات ثم انكروها عنادا ومعنى ثم استبعاد الانكار
بعد المعرفة واكثرهم الكافرون الجاحدون عنادا وذكر الاكثر اما لان
بعضهم لم يعرف الحق لنقصان العقل او التفريط في النظر او لم تقم عليه الحجة لانه لم
يبلغ حد التكليف واما لانه يقام مقام الكل كما في قوله بل اكثرهم لا يعلمون
ويوم نبعث من كل امة شهيدا وهو نبيها يشهد لهم وعليهم بالايمان والكفر
ثم لا يؤذن للذين كفروا في الاعتذار اذ لا عذر لهم وقيل في الرجوع الى
الدنيا وثم لزيادة ما يحيق بهم من شدة المنع عن الاعتذار لما فيه من
الاقناط الكلي على ما يمنون به من شهادة الانبياء عليهم ولا هم يستعتبون ولا هم
يسترضون من العتبى وهي الرضا وانتصاب يوم بمحذوف تقديره اذكر او خوفهم
او يحيق بهم ما يحيق وكذا قوله واذا راى الذين ظلموا العذاب عذاب جهنم
فلا يخفف عنهم اي العذاب ولا هم ينظرون يمهلون واذا راى الذين اشركوا شركاءهم
اوثانهم التي دعوها شركاء او الشياطين الذين شاركوهم في الكفر بالحمل عليه قالوا
ربنا هؤلاء شركاؤنا الذين كنا ندعوا من دونك نعبدهم او نطيعهم
وهو اعتراف بانهم كانوا مخطئين في ذلك او التماس بان يشطر عذابهم فالقوا اليهم
القول انهم لكاذبون اي اجابوهم بالتكذيب في انهم عبدوهم حقيقة وانما
عبدوا اهواءهم لقوله كلا سيكفرون بعبادتهم ولا يمتنع انطاق الاصنام به حينئذ
او في انهم حملوهم على الكفر والزموهم اياه لقوله وما كان لي عليكم من
سلطان الا ان دعوتكم فاستجبتم لي والقوا والقى الذين ظلموا الى الله يومئذ السلم
الاستسلام لحكمه بعد الاستكبار في الدنيا وضل عنهم وضاع عنهم وبطل ما كانوا
يفترون من ان الهتهم ينصرونهم ويشفعون لهم حين كذبوهم وتبرؤوا منهم الذين
كفروا وصدوا عن سبيل الله بالمنع عن الاسلام والحمل على الكفر زدناهم
عذابا لصدهم فوق العذاب المستحق بكفرهم بما كانوا يفسدون بكونهم

مفسدين

مفسدين بصدهم ويوم نبعث في كل امة شهيدا عليهم من انفسهم يعني نبيهم
فان نبي كل امة بعث منهم وجئنا بك يا محمد شهيدا على هؤلاء على امتك ونزلنا عليك
الكتاب استئناف او حال باضمار قد تبيانا لكل شيء بيانا بليغا لكل شيء من امور الدين
على التفصيل او الاجمال بالاحالة الى السنة او القياس وهدى ورحمة للجميع وحرمان
المحروم من تفريطه وبشرى للمسلمين خاصة ان الله يامر بالعدل بالتوسط في الامور
اعتقادا كالتوحيد المتوسط بين التعطيل والتشريك والقول بالكسب المتوسط بين محض
الجبر والقدر وعملا كالتعبد باداء الواجبات المتوسطة بين البطالة والترهب وخلقا
كالجود المتوسط بين البخل والتبذير والاحسان احسان الطاعات وهو اما بحسب
الكمية كالتطوع بالنوافل او بحسب الكيفية كما قال عليه السلام الاحسان
ان تعبد الله كانك تراه فان لم تكن تراه فانه يراك وايتاء ذي القربى واعطاء
الاقارب ما يحتاجون اليه وهو تخصيص بعد تعميم للمبالغة وينهى عن الفحشاء عن
الافراط في متابعة القوة الشهوية كالزنا فانه اقبح احوال الانسان واشنعها
والمنكر ما ينكر على متعاطيه في اثارة القوة الوهمية ولا يوجد في الانسان شر
الا وهو مندرج في هذه الاقسام صادر بتوسط احدى هذه القوى الثلث
ولذلك قال ابن مسعود هي اجمع اية في القران للخير والشر وصارت سبب اسلام
عثمان بن مظعون ولو لم يكن في القران غير هذه الاية لصدق عليه انه تبيان
لكل شيء وهدى ورحمة للعالمين ولعل ايرادها عقيب قوله ونزلنا عليك
الكتاب للتنبيه عليه يعظكم بالامر والنهي والميز بين الخير والشر لعلكم
تذكرون تتعظون واوفوا بعهد الله يعني البيعة لرسول الله على الاسلام لقوله
تعالى ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله وقيل كل امر يجب الوفاء به ولا يلائمه
قوله اذا عاهدتم وقيل النذر وقيل الايمان بالله ولا تنقضوا الايمان
ايمان البيعة او مطلق الايمان بعد توكيدها بعد توثيقها بذكر الله ومنه اكد
بقلب الواو همزة وقد جعلتم الله عليكم كفيلا شاهدا بتلك البيعة فان الكفيل
مراع لحال المكفول به رقيب عليه ان الله يعلم ما تفعلون في نقض الايمان والعهود
ولا تكونوا كالتي نقضت غزلها ما غزلته مصدر بمعنى المفعول من بعد قوة
متعلق بنقضت اي نقضت غزلها من بعد ابرام واحكام انكاثا طاقات نكث فتلها
جمع نكث وانتصابه على الحال من غزلها او المفعول الثاني لنقضت فانه بمعنى صيرت
والمراد تشبيه الناقض بمن هذا شانه وقيل هي ريطة بنت سعد بن تيم القرشية
فانها كانت خرقاء تفعل ذلك تتخذون ايمانكم دخلا بينكم حال من الضمير
في ولا تكونوا او من الجار الواقع موقع الخبر اي لا تكونوا متشبهين بامرأة هذا
شانها متخذي ايمانكم مفسدة ودخلا بينكم واصل الدخل ما يدخل الشيء

ولم يكن منه ان تكون امة هي اربى من امة بان تكون جماعة ازيد عددا
واوفر مالا من جماعة والمعنى لا تغدروا بقوم لكثرتكم وقلتهم او لكثرة منابذيهم
وقوتهم كقريش فانهم كانوا اذا راوا شوكة في اعادي حلفائهم نقضوا
عهدهم وحالفوا اعداءهم انما يبلوكم الله به الضمير لان تكون امة لانه بمعنى المصدر
اي يختبركم بكونهم اربى لينظر اتتمسكون بحبل الوفاء بعهد الله وبيعة رسوله ام تغترون
بكثرة قريش وشوكتهم وقلة المومنين وضعفهم وقيل الضمير للربوا وقيل للامر
بالوفاء وليبينن لكم يوم القيمة ما كنتم فيه تختلفون اذا جازاكم على اعمالكم
بالثواب والعقاب ولو شاء الله لجعلكم امة واحدة متفقة على الاسلام ولكن يضل من يشاء بالخذلان ويهدي من يشاء بالتوفيق ولتسئلن عما كنتم
تعملون سوال تبكيت ومجازاة ولا تتخذوا ايمانكم دخلا بينكم تصريح بالنهي عنه
بعد التضمين تاكيدا ومبالغة في قبح المنهي فتزل قدم اي عن محجة الاسلام بعد ثبوتها
عليها والمراد اقدامهم وانما وحد ونكر للدلالة على ان زلل قدم واحدة عظيم فكيف
باقدام كثيرة وتذوقوا السوء العذاب في الدنيا بما صددتم عن سبيل الله بصدودكم
عن الوفاء او صدكم غيركم عنه فان من نقض البيعة وارتد جعل ذلك سنة لغيره
ولكم عذاب عظيم في الاخرة ولا تشتروا بعهد الله ولا تستبدلوا عهد الله
وبيعة رسوله ثمنا قليلا عرضا يسيرا وهو ما كانت قريش يعدون لضعفاء
المسلمين ويشرطون لهم على الارتداد انما عند الله من النصر والتغنيم في الدنيا و
الثواب في الاخرة هو خير لكم مما يعدونكم ان كنتم تعلمون ان كنتم
من اهل العلم والتميز ما عندكم ينفد ينقضي وما عند الله من خزائن رحمته باق
لا ينفد وهو تعليل الحكم السابق ودليل على ان نعيم اهل الجنة باق ولنجزين
الذين صبروا اجرهم على الفاقة واذى الكفار او مشاق التكاليف باحسن ما
كانوا يعملون بما يترجح فعله باعمالهم كالواجبات والمندوبات او بجزاء
احسن من اعمالهم من عمل صالحا من ذكر او انثى بينه بالنوعين دفعا للتخصيص
وهو مومن اذ لا اعتداد باعمال الكفرة في استحقاق الثواب وانما المتوقع
عليها تخفيف العقاب فلنحيينه حيوة طيبة في الدنيا يعيش عيشا طيبا فانه ان كان
موسرا فظاهر وان كان معسرا كان يطيب عيشه بالقناعة والرضا بالقسمة وتوقع
الاجر العظيم في الاخرة ولنجزينهم باحسن ما كانوا يعملون من الطاعة فاذا
قرات القران اذا اردت قراءته كقوله اذا قمتم الى الصلوة فاستعذ بالله من
الشيطان الرجيم فاسئل الله ان يعيذك من وساوسه لئلا يوسوسك في القراءة
والجمهور على انه للاستحباب وفيه دليل على ان المصلي يستعيذ في كل ركعة لان
الحكم المرتب على شرط يتكرر بتكرره قياسا وتعقيبه لذكر العمل الصالح

والوعد عليه ايذان بان الاستعاذة عند القراءة من هذا القبيل وعن ابن مسعود قرات
على رسول الله صلعم فقلت اعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم فقال قل اعوذ بالله
من الشيطان الرجيم هكذا اقرانيه جبريل عن القلم عن اللوح المحفوظ انه ليس له سلطان
تسلط وولاية على الذين امنوا وعلى ربهم يتوكلون على اولياء الله المومنين
به والمتوكلين عليه فانهم لا يطيعون اوامره ولا يقبلون وساوسه الا فيما يحتقرون
على ندور وغفلة ولذلك امروا بالاستعاذة وذكر السلطنة بعد الامر بالاستعاذة
لئلا يتوهم منه ان له سلطانا انما سلطانه على الذين يتولونه يحبونه ويطيعونه
والذين هم به بالله او بسبب الشيطان مشركون واذا بدلنا اية مكان اية
بالنسخ بجعل الاية الناسخة مكان المنسوخة لفظا او حكما والله اعلم بما ينزل
من المصالح فلعل ما يكون مصلحة في وقت يصير مفسدة بعده فينسخه وما لا يكون
مصلحة حينئذ يكون مصلحة الان فيثبته مكانه وقرا ابن كثير وابو عمرو ينزل بالتخفيف
قالوا اي الكفرة انما انت مفتر متقول على الله بامر بشيء ثم يبدو لك فتنهى عنه وهو
جواب اذا والله اعلم بما ينزل وهو اعتراض لتوبيخ الكفار على قولهم والتنبيه على فساد
سندهم ويجوز ان يكون حالا بل اكثرهم لا يعلمون حكمة الاحكام ولا يميزون
الخطاء من الصواب قل نزله روح القدس يعني جبريل عليه السلام واضافة الروح
الى القدس وهو الطهر كقولهم حاتم الجود وقرا ابن كثير روح القدس بالتخفيف
وفي ينزل ونزله تنبيه على ان انزاله متدرجا على حسب المصالح مما يقتضي التبديل من ربك
بالحق ملتبسا بالحكمة ليثبت الذين امنوا على الايمان بانه كلامه وانهم اذا
سمعوا الناسخ وتدبروا ما فيه من رعاية الصلاح والحكمة رسخت عقائدهم
واطمانت قلوبهم وهدى وبشرى للمسلمين المنقادين لحكمه وهما معطوفان
على محل ليثبت اي تثبيتا وهداية وبشارة وفيه تعريض بحصول اضداد ذلك لغيرهم
وقرئ ليثبت بالتخفيف ولقد نعلم انهم يقولون انما يعلمه بشر يعنون جبرا الرومي
غلام عامر بن الحضرمي وقيل جبرا ويسارا كانا يصنعان السيف بمكة ويقران
التورية والانجيل وكان الرسول يمر عليهما ويسمع ما يقرانه وقيل عايشا غلام حويطب
بن عبد العزى قد اسلم وكان صاحب كتب وقيل سلمان الفارسي لسان الذي
يلحدون اليه اعجمي لغة الرجل الذي يميلون قولهم عن الاستقامة اليه ماخوذ من
لحد القبر وقرا حمزة والكسائي يلحدون بفتح الياء والحاء لسان اعجمي غير بين وهذا اي القران
لسان عربي مبين ذو بيان وفصاحة والجملتان مستانفتان لابطال طعنهم و
تقريره يحتمل وجهين احدهما ان ما يسمعه منه كلام اعجمي لا يفهمه هو ولا انتم والقران عربي
تفهمونه بادنى تامل فكيف يكون ما تلقفه منه وثانيهما هب انه تعلم منه باستماع كلامه
لكن لم يتلقف منه اللفظ لان ذاك عجمي وهذا عربي والقران كما هو معجز باعتبار

المعنى فهو معجز من حيث اللفظ مع ان العلوم الكثيرة التي في القرآن لا يمكن تعلمها
الا بملازمة معلم فائق في تلك العلوم مدة متطاولة فكيف تعلم جميع ذلك من سوقي
سمع منه بعض اوقات من وروده عليهما كلمات اعجمية لعلهما لم يعرفا معناها وطعنهم
في القرآن بامثال هذه الكلمات الركيكة دليل على غاية عجزهم ان الذين لا
يؤمنون بآيات الله لا يصدقون انها من عند الله لا يهديهم الله الى الحق
او الى سبيل النجاة وقيل الى الجنة ولهم عذاب اليم في الآخرة هددهم على
كفرهم بالقرآن بعد ما اماط شبهتهم ورد طعنهم فيه ثم قلب الامر عليهم فقال انما يفتري
الكذب الذين لا يؤمنون بآيات الله لانهم لا يخافون عقابا يردعهم عنه
واولئك اشارة الى الذين كفروا او الى قريش هم الكاذبون اي الكاذبون
على الحقيقة او الكاملون في الكذب لان تكذيب آيات الله والطعن فيها بهذه
الخرافات اعظم الكذب او الذين عادتهم الكذب لا يصرفهم عنه دين ولا مروءة
او الكاذبون في قولهم انما انت مفتر انما يعلمه بشر من كفر بالله من بعد
ايمانه بدل من الذين لا يؤمنون وما بينهما اعتراض او من اولئك او من الكاذبين
او مبتدأ خبره محذوف دل عليه قوله فعليهم غضب ويجوز ان ينتصب بالذم وان
يكون من شرطية محذوفة الجواب الا من اكره على الافتراء او كلمة الكفر استثناء
متصل لان الكفر لغة يعم القول والعقد كالايمان وقلبه مطمئن بالايمان لم
تتغير عقيدته وفيه دليل على ان الايمان هو التصديق بالقلب ولكن من شرح
بالكفر صدرا اعتقده وطاب به نفسا فعليهم غضب من الله ولهم عذاب
عظيم اذ لا اعظم من جرمه روي ان قريشا اكرهوا عمارا وابويه ياسرا وسمية
على الارتداد فربطوا سمية بين بعيرين وجيء بحربة في قبلها وقالوا انك اسلمت من
اجل الرجال فقتلت وقتلوا ياسرا وهما اول قتيلين في الاسلام واعطاهم عمار
بلسانه ما ارادوا مكرها فقيل يا رسول الله ان عمارا كفر فقال كلا ان عمارا ملئ ايمانا
من قرنه الى قدمه واختلط الايمان بلحمه ودمه فاتى عمار رسول الله وهو يبكي
فجعل رسول الله يمسح عينيه وقال ما لك ان عادوا لك فعد لهم بما قلت وهو دليل
على جواز التكلم بالكفر عند الاكراه وان كان الافضل ان يتجنب عنه اعزازا للدين
كما فعله ابواه لما روي ان مسيلمة اخذ رجلين فقال لاحدهما ما تقول في محمد
قال رسول الله قال فما تقول في قال انا اصم فاعاد عليه ثلثا فاعاده جوابه
فقتله فبلغ رسول الله صلعم فقال اما الاول فقد اخذ برخصة الله واما الثاني فقد صدع
بالحق فهنيئا له ذلك اشارة الى الكفر بعد الايمان او الوعيد بانهم استحبوا
الحيوة الدنيا على الآخرة بسبب انهم آثروها عليها وان الله لا يهدي القوم
الكافرين اي الكافرين في علمه الى ما يوجب ثبات الايمان ولا يعصمهم عن الزيغ

اولئك

اولئك الذين طبع الله على قلوبهم وسمعهم وابصارهم فابت عن ادراك الحق
والتأمل فيه واولئك هم الغافلون الكاملون في الغفلة اذ اغفلتهم الحالة الراهنة
عن تدبر العواقب لا جرم انهم في الآخرة هم الخاسرون اذ ضيعوا اعمارهم وصرفوها
فيما افضى بهم الى العذاب المخلد ثم ان ربك للذين هاجروا من بعد ما فتنوا اي عذبوا
كعمار بالولاية والنصرة ثم لتباعد حال هؤلاء عن حال اولئك وقرأ ابن عامر فتنوا بالفتح اي
بعد ما عذبوا المؤمنين كالحضرمي اكره مولاه جبرا حتى ارتد ثم اسلما وهاجرا
ثم جاهدوا وصبروا على الجهاد وما اصابهم من المشاق ان ربك من بعدها
من بعد الهجرة والجهاد والصبر لغفور لما فعلوا رحيم ينعم عليهم مجازاة على ما صنعوا
بعد يوم تأتي كل نفس منصوب برحيم او باذكر تجادل عن نفسها تجادل عن ذاتها
وتسعى في خلاصها لا يهمها شأن غيرها فتقول نفسي نفسي وتوفى كل نفس ما عملت جزاء ما
عملت وهم لا يظلمون لا ينقصون اجورهم وضرب الله مثلا قرية اي جعلها مثلا لكل
قوم انعم الله عليهم فابطرتهم النعمة فكفروا فانزل الله بهم نقمته او لمكة كانت
آمنة مطمئنة لا يزعج اهلها خوف يأتيها رزقها اقواتها رغدا واسعا من كل مكان
من نواحيها فكفرت بانعم الله بنعمه جمع نعمة على ترك الاعتداد بالتاء كدرع وادرع
او جمع نعم كبؤس وابؤس فاذاقها الله لباس الجوع والخوف استعار الذوق لادراك
اثر الضرر واللباس لما غشيهم واشتمل عليهم من الجوع والخوف واوقع الاذاقة عليه بالنظر
الى المستعار له كقول كثير غمر الرداء اذا تبسم ضاحكا غلقت لضحكته رقاب المال
فانه استعار الرداء للمعروف لانه يصون عرض صاحبه صون الرداء لما يلقى عليه واضاف
اليه الغمر الذي هو وصف المعروف والنوال وقد ينظر الى المستعار كقوله ينازعني
ردائي عبد عمرو رويدك يا اخا عمرو بن بكر لي الشطر الذي ملكت يميني فاعجز منه
بشطر استعار الرداء للسيف ثم قال فاعجز نظرا الى المستعار بما كانوا يصنعون بصنيعهم
ولقد جاءهم رسول منهم يعني محمدا صلعم والضمير لاهل مكة عاد الى ذكرهم بعد ما ذكر
مثلهم فكذبوه فاخذهم العذاب وهم ظالمون اي حال التباسهم بالظلم والعذاب
ما اصابهم من الجدب الشديد او وقعة بدر فكلوا مما رزقكم الله حلالا طيبا امرهم باكل
ما احل الله لهم وشكر ما انعم عليهم بعد ما زجرهم عن الكفر وهددهم عليه بما ذكر من
التمثيل والعذاب الذي حل بهم صدا لهم عن صنيع الجاهلية ومذاهبها الفاسدة و
اشكروا نعمة الله ان كنتم اياه تعبدون تطيعون او ان صح زعمكم انكم
تقصدون بعبادة الآلهة عبادته انما حرم عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير و
ما اهل لغير الله به فمن اضطر غير باغ ولا عاد فان الله غفور رحيم لما امرهم
بتناول ما احل لهم عدد عليهم محرماته ليعلم ان ما عداها حل لهم ثم اكد ذلك بالنهي
عن التحريم والتحليل باهوائهم فقال ولا تقولوا لما تصف السنتكم الكذب هذا حلال وهذا حرام

كما قالوا في بطون هذه الانعام خالصة لذكورنا الاية وسياق مقتضى الكلام وتصدير
الجملة بانما حصر المحرمات في الاجناس الاربعة الا ما ضم اليه دليل كالسباع والحمر الاهلية
وانتصاب الكذب بلا تقولوا هذا حلال وهذا حرام بدل منه او متعلق بتصف على ارادة
القول اي ولا تقولوا الكذب لما تصفه السنتكم فتقول هذا حلال وهذا حرام او مفعول
لا تقولوا والكذب منتصب بتصف وما مصدرية اي ولا تقولوا هذا حلال وهذا حرام لوصف
السنتكم الكذب اي لا تحرموا ولا تحللوا بمجرد قول تنطق به السنتكم من غير دليل
ووصف السنتكم الكذب مبالغة في وصف كلامهم بالكذب كان حقيقة الكذب
كانت مجهولة والسنتهم تصفها وتعرفها بكلامهم هذا ولذلك عد من فصيح الكلام كقولهم
وجهها تصف الجمال وعينها تصف السحر وقرئ الكذب بالجر بدلا من ما والكذب جمع كذوب
او كذاب بالرفع صفة للالسنة وبالنصب على الذم او بمعنى الكلم الكواذب لتفتروا على
الله الكذب تعليل لا يتضمن الغرض ان الذين يفترون على الله الكذب لا يفلحون لما كان
المفتري يفتري لتحصيل مطلوب نفى عنهم الفلاح وبينه بقوله متاع قليل اي ما يفترون
لاجله او ما هم فيه منفعة قليلة تنقطع عن قريب ولهم عذاب اليم في الاخرة وعلى الذين
هادوا حرمنا ما قصصنا عليك اي في سورة الانعام في قوله وعلى الذين هادوا حرمنا
كل ذي ظفر من قبل متعلق بقصصنا او بحرمنا وما ظلمناهم بالتحريم ولكن كانوا
انفسهم يظلمون حيث فعلوا ما عوقبوا عليه وفيه تنبيه على الفرق بينهم وبين غيرهم
في التحريم وانه كما يكون للمضرة يكون للعقوبة ثم ان ربك للذين عملوا السوء بجهالة
بسببها او ملتبسين بها ليعم الجهل بالله وبعقابه وعدم التدبر في العواقب لغلبة الشهوة
والسوء يعم الافتراء وغيره ثم تابوا من بعد ذلك واصلحوا ان ربك من بعدها
من بعد التوبة لغفور لذلك السوء رحيم يثيب على الانابة ان ابرهيم كان امة لكماله
واستجماعه فضائل لا تكاد توجد الا مفرقة في اشخاص كثيرة كقوله وليس من الله
بمستنكر ان يجمع العالم في واحد وهو رئيس الموحدين وقدوة المحققين الذي جادل
فرق المشركين وابطل مذاهبهم الزائغة بالحجج الدامغة ولذلك عقب ذكره
بتزييف مذاهب المشركين من الشرك والطعن في النبوة وتحريم ما احله او لانه
كان وحده مؤمنا وكان سائر الناس كفارا او قيل هي فعلة بمعنى مفعول كالرحلة
والنخبة من امه اذا قصده او اقتدى به فان الناس كانوا يؤمونه للاستفادة
ويقتدون بسيرته لقوله اني جاعلك للناس اماما قانتا لله مطيعا له قائما باوامره
حنيفا مائلا عن الباطل ولم يك من المشركين كما زعموا فان قريشا كانوا
يزعمون انهم على ملة ابرهيم شاكرا لانعمه ذكر بلفظ القلة للتنبيه على انه
كان لا يخل بشكر النعم القليلة فكيف بالكثيرة اجتباه للنبوة وهداه الى صراط
مستقيم في الدعوة الى الله وآتيناه في الدنيا حسنة بان حببه الى الناس حتى

ان

ان ارباب الملل يتولونه ويثنون عليه ورزقه اولادا طيبة وعمرا طويلا في السعة
والطاعة وانه في الآخرة لمن الصالحين لمن اهل الجنة كما سأله بقوله و
الحقني بالصالحين ثم اوحينا اليك يا محمد وثم اما لتعظيمه والتنبيه على ان اجل ما اوتي
ابرهيم اتباع الرسول عليه السلام ملته او لتراخي ايامه ان اتبع ملة ابرهيم حنيفا في التوحيد
والدعوة اليه بالرفق وايراد الدلائل مرة بعد اخرى والمجادلة مع كل احد على حسب
فهمه وما كان من المشركين بل كان قدوة الموحدين انما جعل السبت فرض
تعظيم السبت والتخلي فيه للعبادة على الذين اختلفوا فيه على نبيهم وهم اليهود امرهم
موسى عليه السلام ان يتفرغوا للعبادة يوم الجمعة فابوا وقالوا نريد يوم السبت وهو
المسخ على الذين اختلفوا فيه فاحلوا الصيد فيه تارة وحرموه اخرى واحتالوا له الحيل
وذكرهما ههنا لتهديد المشركين كذكر القرية التي كفرت بانعم الله وان ربك ليحكم
بينهم يوم القيمة فيما كانوا فيه يختلفون بالمجازاة على الاختلاف او بمجازاة كل فريق
بما يستحقه ادع من بعثت اليهم الى سبيل ربك الى الاسلام بالحكمة بالمقالة المحكمة وهو
الدليل الموضح للحق المزيح للشبهة والموعظة الحسنة الخطابات المقنعة والعبر
النافعة والاولى لدعوة خواص الامة الطالبين للحقائق والثانية لدعوة عوامهم
وجادلهم وجادل معانديهم بالتي هي احسن بالطريقة التي هي احسن طرق المجادلة
من الرفق واللين وايثار الوجه الايسر والمقدمات التي هي اشهر فان ذلك انفع في
تسكين لهبهم وتليين شغبهم ان ربك هو اعلم بمن ضل عن سبيله وهو اعلم بالمهتدين
انما عليك البلاغ والدعوة واما حصول الهداية والضلال والمجازاة عليهما فلا اليك بل الله اعلم
بالضالين والمهتدين وهو المجازي لهم وان عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به لما امره
بالدعوة وبين طرقها اشار اليه والى من تابعه بترك المخالفة ومراعاة العدل مع من
يناصبهم فان الدعوة لا تنفك عنه من حيث انها تتضمن رفض العادات وترك الشهوات
والقدح في دين الاسلاف والحكم عليهم بالكفر والضلال وقيل انه عليه السلام
لما رأى حمزة وقد مثل به فقال والله لئن اظفرني الله بهم لامثلن بسبعين مكانك فنزلت
فكفر عن يمينه وفيه دليل على ان للمقتص ان يماثل الجاني وليس له ان يجاوزه وحث
على العفو تعريضا بقوله وان عاقبتم وتصريحا على الوجه الآكد بقوله ولئن صبرتم
لهو اي الصبر خير للصابرين من الانتقام للمنتقمين ثم صرح الامر به ~~بقوله لرسوله~~
لرسوله لانه اولى الناس به لزيادة علمه بالله ووثوقه عليه فقال واصبر وما صبرك
الا بالله الا بتوفيقه وتثبيته ولا تحزن عليهم على الكافرين او على المؤمنين وما فعل
بهم ولا تك في ضيق مما يمكرون في ضيق صدر من مكرهم وقرأ ابن كثير في ضيق
وهما لغتان كالقول والقيل ويجوز ان يكون الضيق تخفيف ضيق ان الله مع الذين
اتقوا المعاصي والذين هم محسنون في اعمالهم بالولاية والفضل او مع الذين اتقوا الله

يتعظم امره والذين هم محسنون بالشفقة على خلقه عن النبي صلعم من قرا سورة النحل
لم يحاسبه الله بما انعم عليه في دار الدنيا وان مات في يوم تلاها او ليلة كان له
من الاجر كالذي مات واحسن الوصية سورة بني اسرائيل مكية وقيل
الا قوله وان كادوا ليفتنونك الى اخر ثمان ايات وهي مائة وعشر ايات

بسم الله الرحمن الرحيم سبحان الذي اسرى
بعبده ليلا سبحان اسم بمعنى التسبيح الذي هو التنزيه وقد يستعمل علما له فيقطع عن
الاضافة ويمنع الصرف قال قد قلت لما جاءني فخره سبحان من علقمة الفاخر وانتصابه
بفعل متروك اظهاره وتصدير الكلام به للتنزيه عن العجز عما ذكره بعد واسرى وسرى
بمعنى وليلا نصب على الظرف وفايدته الدلالة بتنكيره على تقليل مدة الاسراء و
لذلك قرئ من الليل اي بعضه كقوله ومن الليل فتهجد من المسجد الحرام بعينه لما روي
انه عليه السلام قال بينا انا في المسجد الحرام في الحجر عند البيت بين النائم واليقظان
اذ اتاني جبريل عليه السلام بالبراق او من الحرم وسماه المسجد الحرام لان كله مسجد
ولانه محيط به ليطابق المبدا المنتهى لما روي انه كان نائما في بيت ام هاني بعد صلوة
العشاء فاسري به ورجع من ليلته وقص القصة عليها وقال مثل لي النبيون وصليت
بهم ثم خرج الى المسجد واخبر به قريشا فتعجبوا منه استحالة وارتد ناس ممن امن
به وسعى رجال الى ابي بكر فقال ان كان قال لقد صدق قالوا اتصدقه على ذلك قال اني
لاصدقه على ابعد من ذلك فسمي الصديق واستنعته طايفة سافروا الى بيت المقدس
فجلي له فطفق ينظر اليه وينعته لهم فقالوا اما النعت فقد اصاب فقالوا اخبرنا عن
عيرنا فاخبرهم بعدد جمالها واحوالها وقال تقدم يوم كذا مع طلوع الشمس يقدمها
جمل اورق فخرجوا يشتدون الى الثنية فصادفوا العير كما اخبر ثم لم يؤمنوا و
قالوا ما هذا الا سحر مبين وكان ذلك قبل الهجرة بسنة واختلف في انه كان في المنام
او في اليقظة بروحه او بجسده والاكثر على انه اسري بجسده الى بيت المقدس
ثم عرج به الى السموات حتى انتهى الى سدرة المنتهى ولذلك تعجب قريش واستحالوه و
الاستحالة مدفوعة بما ثبت في الهندسة ان ما بين طرفي قرص الشمس ضعف ما بين
طرفي كرة الارض مائة ونيفا وستين مرة ثم ان طرفها الاسفل يصل موضع
طرفها الاعلى في اقل من ثانية وقد برهن في الكلام ان الاجسام متساوية في قبول
الاعراض وان الله قادر على كل الممكنات فيقدر ان يخلق مثل هذه الحركة
بسرعته في بدن النبي صلعم او فيما يحمله والتعجب من لوازم المعجزات الى المسجد الاقصى
بيت المقدس لانه لم يكن حينئذ وراءه مسجد الذي باركنا حوله بركات
الدين والدنيا لانه مهبط الوحي ومتعبد الانبياء من لدن موسى ومحفوف بالانهار
والاشجار لنريه من اياتنا كذهابه في برهة من الليل مسيرة شهر ومشاهدته

بيت

بيت المقدس وتمثل الانبياء له ووقوفه على مقاماتهم وصرف الكلام من الغيبة الى
التكلم لتعظيم تلك البركات والايات وقرئ ليريه بالياء انه هو السميع لاقوال محمد عليه السلام
البصير بافعاله فيكرمه ويقربه على حسب ذلك واتينا موسى الكتاب وجعلناه هدى لبني
اسرائيل الا تتخذوا على ان لا تتخذوا لقوله كتبت اليه ان افعل وقرأ ابو عمرو
بالياء على ان لا يتخذوا من دوني وكيلا ربا تكلون اليه اموركم غيري
ذرية من حملنا مع نوح نصب على الاختصاص او النداء ان قرئ لا تتخذوا بالتاء او على انه
احد مفعولي لا تتخذوا ومن دوني حال من وكيلا فيكون كقوله ولا يامركم ان تتخذوا
الملائكة والنبيين اربابا وقرئ بالرفع على انه خبر محذوف او بدل من واو يتخذوا
ومن دوني حال من وكيلا فيكون كقوله ولا يامركم ان تتخذوا الملائكة والنبيين اربابا
وقرئ بالرفع على انه خبر محذوف وبدل من واو يتخذوا وذرية بكسر الذال وفيه تذكير
بانعام الله عليهم في انجاء ابائهم من الغرق بحملهم مع نوح في السفينة انه كان عبدا
شكورا يحمد الله تعالى على مجامع حالاته وفيه ايماء بان انجاءه ومن معه كان ببركة
شكره وحث الذرية على الاقتداء به وقيل الضمير لموسى عليه السلام وقضينا الى بني اسرائيل
واوحينا اليهم وحيا مقضيا مبتوتا في الكتاب في التورية لتفسدن في الارض
جواب قسم محذوف او قضينا على اجراء القضاء المبتوت مجرى القسم مرتين افسادتين
اولهما مخالفة احكام التورية وقتل شعيا وقيل ارميا وثانيهما قتل زكريا ويحيى وقصد قتل عيسى عليه السلام
ولتعلن علوا كبيرا ولتستكبرن عن طاعة الله او لتظلمن الناس فاذا جاء وعد
اوليهما وعد عقاب اوليهما بعثنا عليكم عبادا لنا بخت نصر عامل لهراسف على بابل
وجنوده وقيل جالوت الجزري وقيل سنحاريب من اهل نينوى اولي باس شديد
ذوي قوة وبطش في الحرب فجاسوا ترددوا لطلبكم وقرئ بالحاء وهما اخوان
خلال الديار وسطها للقتل والغارة فقتلوا كبارهم وسبوا صغارهم وحرقوا التورية
وخربوا المسجد والمعتزلة لما منعوا تسليط الله الكافر على ذلك اولوا البعث بالتخلية وعدم
المنع وكان وعدا مفعولا وكان وعد عقابهم لا بد ان يفعل ثم رددنا لكم الكرة
اي الدولة والغلبة عليهم على الذين بعثوا عليكم وذلك بان القى الله في قلب بهمن بن
اسفنديار لما ورث الملك من جده كشتاسف بن لهراسف شفقة عليهم فرد اسراهم
الى الشام وملك دانيال عليهم فاستولوا على من كان فيها من اتباع بخت نصر او بان سلط
داود على جالوت فقتله وامددناكم باموال وبنين وجعلناكم اكثر نفيرا مما كنتم
والنفير من ينفر مع الرجل من قومه وقيل جمع نفر وهم المجتمعون للذهاب الى العدو
ان احسنتم احسنتم لانفسكم لان ثوابه لها وان اساتم فلها فان وبالها عليها وانما
ذكرها باللام ازدواجا فاذا جاء وعد الاخرة وعد عقوبة المرة الاخرة ليسوءوا وجوهكم
اي بعثناهم ليسوءوا وجوهكم ليجعلوها بادية اثار المساءة فيها فحذف لدلالة ذكره

اولا عليه وقرا ابن عامر وحمزة وابو بكر ليسوء على التوحيد والضمير فيه للوعد او البعث
او لله ويعضده قراءة الكسائي لنسوء بالنون وقرئ لنسوءن بالنون والياء والنون المخففة
والمثقلة وليسوءن بفتح اللام على الاوجه الاربعة على انه جواب اذا واللام في قوله و
ليدخلوا المسجد متعلق بمحذوف وهو بعثناهم كما دخلوه اول مرة وليتبروا
ليهلكوا ما علوا ما غلبوه واستولوا عليه او مدة علوهم تتبيرا وذلك بان سلط الله
عليهم الفرس مرة اخرى فغزاهم ملك بابل من ملوك الطوايف اسمه جودرز وقيل خردوس
قيل دخل صاحب الجيش مذبح قرابينهم فوجد فيه دما يغلي فسالهم عنه فقالوا دم قربان
لم يقبل منا فقال ما صدقوني فقتل عليه الوفا منهم فلم يهدا الدم ثم قال ان لم يصدقوني
ما تركت منكم احدا فقالوا دم يحيى فقال لمثل هذا ينتقم ربكم منكم ثم قال يا يحيى قد علم
ربي وربك ما اصاب قومك من اجلك فاهدا باذن الله تعالى قبل ان لا ابقي احدا منهم
فهدا عسى ربكم ان يرحمكم بعد المرة الاخرى وان عدتم نوبة اخرى عدنا مرة ثالثة
الى عقوبتكم وقد عادوا بتكذيب محمد صلعم وقصد قتله فعاد الله بتسليطه عليهم
فقتل قريظة واجلى بني النضير وضرب الجزية على الباقين هذا في الدنيا وجعلنا جهنم للكافرين
حصيرا محبسا لا يقدرون على الخروج منها ابد الاباد وقيل بساطا كما يبسط الحصير
ان هذا القران يهدي للتي هي اقوم للحالة او الطريقة التي هي اقوم الحالات او الطرق
ويبشر المومنين الذين يعملون الصالحات ان لهم اجرا كبيرا وقرا حمزة والكسائي
يبشر بالتخفيف وان الذين لا يومنون بالاخرة اعتدنا لهم عذابا اليما عطف على ان لهم
اجرا كبيرا والمعنى انه بشر المومنين ببشارتين ثوابهم وعقاب اعدايهم او على
يبشر باضمار يخبر ويدع الانسان بالشر ويدعو الله عند غضبه بالشر على نفسه واهله
وماله او يدعوه بما يحسبه خيرا وهو شر دعاءه بالخير مثل دعائه بالخير وكان الانسان
عجولا يسارع الى كل ما يخطر بباله لا ينظر عاقبته وقيل المراد ادم فانه لما انتهى الروح
الى سرته ذهب لينهض فسقط روي انه عليه السلام دفع اسيرا الى سودة بنت زمعة
فرحمته لانينه فارخت كتافه فهرب فدعا عليها بقطع اليد ثم ندم فقال اللهم انما انا
بشر فمن دعوت عليه فاجعل دعائي رحمة له فنزلت ويجوز ان يريد بالانسان الكافر
وبالدعاء استعجاله بالعذاب استهزاء كقول النضر بن الحارث اللهم انصر خير الحزبين
اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك فاجيب له فضرب عنقه يوم بدر صبرا و
جعلنا الليل والنهار ايتين يدلان على القادر الحكيم بتعاقبهما على نسق واحد بامكان
غيره فمحونا اية الليل اي الاية التي هي الليل بالاشراق والاضافة فيها للتبيين كاضافة العدد
الى المعدود وجعلنا اية النهار مبصرة مضيئة او مبصرة للناس من ابصره فبصر او مبصرا
اهله كقولهم اجبن الرجل اذا كان اهله جبناء وقيل الايتان القمر والشمس وتقدير الكلام
وجعلنا نيري الليل التي هي القمر جعلها مظلمة في نفسها مطموسة النور او نقص نورها

شيا

شيا فشيا الى المحاق وجعل اية النهار التي هي الشمس مبصرة جعلها ذات شعاع يبصر الاشياء
بضوءها لتبتغوا فضلا من ربكم لتطلبوا في بياض النهار اسباب معاشكم وتتوصلوا
به الى استبانة اعمالكم ولتعلموا باختلافهما او بحركاتهما عدد السنين والحساب و
جنس الحساب وكل شيء تفتقرون اليه في امر الدين والدنيا فصلناه تفصيلا
بيناه بيانا غير ملتبس وكل انسان الزمناه طايره عمله وما قدر له كانه طير
اليه من عش الغيب ووكر القدر لما كانوا يتيمنون ويتشاءمون بسنوح الطاير وبروحه
استعير لما هو سبب الخير والشر من قدر الله وعمل العبد في عنقه لزوم الطوق في عنقه و
نخرج له يوم القيمة كتابا هي صحيفة عمله او نفسه المنتقشة باثار اعماله فان الاعمال
الاختيارية تحدث في النفس احوالا ولذلك يفيد تكريرها لها ملكات ونصبه بانه مفعول او
حال من مفعول محذوف وهو ضمير الطاير ويعضده قراءة يعقوب ويخرج من خرج
وقرئ ويخرج اي الله عز وجل يلقاه منشورا لكشف الغطاء وهما صفتان للكتاب او
يلقاه صفة ومنشورا حال من مفعوله وقرا ابن عامر يلقاه على البناء للمفعول من لقيته كذا
اقرا كتابك على ارادة القول كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا اي كفى نفسك والباء مزيدة
وحسيبا تمييز وعلى صلته لانه بمعنى الحاسب كالصريم بمعنى الصارم وضريب القداح بمعنى
ضاربها من حسب عليه كذا او بمعنى الكافي فوضع موضع الشهيد لانه يكفي المدعي ما اهمه
وتذكيره على ان الحساب والشهادة مما يتولاه الرجال او على تاويل النفس بالشخص من اهتدى
فانما يهتدي لنفسه ومن ضل فانما يضل عليها لا ينجي اهتداوه غيره ولا يردي ضلاله سواه
ولا تزر وازرة وزر اخرى ولا تحمل نفس حاملة وزرا وزر نفس اخرى بل انما تحمل وزرها
وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا يبين الحجج ويمهد الشرايع فيلزمهم الحجة وفيه دليل
على ان لا وجوب قبل الشرع واذا اردنا ان نهلك قرية واذا تعلقت ارادتنا باهلاك
قوم لانفاذ قضاءنا السابق او دنا وقته المقدر كقولهم اذا اراد المريض ان يموت
ازداد مرضه شدة امرنا مترفيها متنعميها بالطاعة على لسان رسول بعثناه اليهم ويدل
على ذلك ما قبله وما بعده فان الفسق هو الخروج عن الطاعة والتمرد في العصيان فيدل
على الطاعة من طريق المقابلة وقيل امرناهم بالفسق لقوله ففسقوا فيها كقولك امرته
فقرا فانه لا يفهم منه الا الامر بالقراءة على ان الامر مجاز من الحمل عليه او التسبب له
بان صب عليهم من النعم ما ابطرهم وافضى بهم الى الفسوق ويحتمل ان لا يكون له مفعول
منوي كقولهم امرته فعصاني وقيل معناه كثرنا يقال امرت الشيء وامرته فامر
اذا كثرته وفي الحديث خير المال سكة مابورة اي كثيرة النتاج وهو ايضا مجاز من
معنى الطلب ويويده قراءة يعقوب امرنا ورواية امرنا عن ابي عمرو ويحتمل ان يكون
منقولا من امر بالضم امارة اي جعلناهم امراء وتخصيص المترفين لان غيرهم يتبعهم
ولانهم اسرع الى الحماقة واقدر على الفجور فحق عليها القول العذاب يعني كلمة السابق

بحلوله او بظهور معاصيهم او بانهماكهم في المعاصي فدمرناها تدميرا اهلكناها باهلاك
اهلها وتخريب ديارها وكم اهلكنا وكثيرا اهلكنا من القرون بيان
لكم وتمييز له من بعد نوح كعاد وثمود وكفى بربك بذنوب عباده خبيرا
بصيرا يدرك بواطنها وظواهرها فيعاقب عليها وتقديم الخبير لتقدم متعلقه من كان
يريد العاجلة مقصورا عليها همه عجلنا له فيها ما نشاء لمن نريد قيد المعجل والمعجل
له بالمشيئة والارادة لانه لا يجد كل متمن ما يتمناه ولا كل واحد جميع ما يهواه وليعلم
ان الامر بالمشيئة والهم فضل ولمن نريد بدل من له بدل البعض وقرئ يشاء والضمير فيه
لله حتى يطابق المشهورة وقيل لمن فيكون مخصوصا بمن اراد الله به ذلك وقيل الاية
في المنافقين كانوا يراؤن المسلمين ويغزون معهم ولم يكن غرضهم الا مساهمتهم في الغنائم
ونحوها ثم جعلنا له جهنم يصليها مذموما مدحورا مطرودا من رحمة الله ومن اراد
الاخرة وسعى لها سعيها حقها من السعي وهو الاتيان بما امر والانتهاء عما نهى لا التقرب
بما يخترعون بارائهم وفائدة اللام اعتبار النية والاخلاص وهو مؤمن ايمانا صحيحا
لا شرك معه ولا تكذيب فانه العمدة فاولئك الجامعون للشرائط الثلثة كان سعيهم
مشكورا من الله اي مقبولا عنده مثابا عليه فان شكر الله الثواب على الطاعة كلا
كل واحد من الفريقين والتنوين بدل من المضاف اليه نمد بالعطاء مرة بعد اخرى ونجعل
انفه مددا لسالفه هؤلاء وهؤلاء بدل من كلا من عطاء ربك من معطاه متعلق
بنمد وما كان عطاء ربك محظورا ممنوعا لا يمنعه في الدنيا من مؤمن ولا كافر تفضلا
انظر كيف فضلنا بعضهم على بعض في الرزق وانتصاب بكيف بفضلنا على الحال
وللاخرة اكبر درجات واكبر تفضيلا اي التفاوت في الاخرة اكبر لان التفاوت
فيها بالجنة ودرجاتها والنار ودركاتها لا تجعل مع الله الها اخر الخطاب للرسول صلعم
والمراد امته او لكل احد فتقعد فتصير من قولهم شحذ الشفرة حتى قعدت كانها حربة
او فتعجز من قولهم قعد عن الشيء اذا عجز عنه مذموما مخذولا جامعا على نفسك الذم
من الملائكة والمؤمنين والخذلان من الله ومفهومه ان الموحد يكون ممدوحا
منصورا وقضى ربك وامر امرا مقطوعا به ان لا تعبدوا وبان لا تعبدوا الا اياه
لان غاية التعظيم لا تحق الا لمن له غاية العظمة ونهاية الانعام وهو كالتفصيل لسعي
الاخرة ويجوز ان تكون ان مفسرة ولا ناهية وبالوالدين احسانا وبان تحسنوا
او واحسنوا بالوالدين احسانا لانهما السبب الظاهر للوجود والتعيش ولا يجوز ان يتعلق
الباء بالاحسان لان صلته لا تتقدم عليه اما يبلغن عندك الكبر احدهما او كلاهما
اما ان الشرطية زيدت عليها ما تاكيدا ولذلك صح لحوقها النون المؤكدة بالفعل
واحدهما فاعل يبلغن ويدل على قراءة حمزة والكسائي من الف يبلغان الراجع الى الوالدين
وكلاهما عطف على احدهما فاعلا او بدلا ولذلك لم يجز ان يكون تاكيدا للالف ومعنى

عندك ان يكونا في كنفك وكفالتك فلا تقل لهما اف فلا تتضجر مما يستقذر منهما وتستثقل
من مؤنتهما وهو صوت يدل على تضجر وقيل اسم الفعل هو اتضجر وهو مبني على الكسر
لالتقاء الساكنين وتنوينه في قراءة نافع وحفص للتنكير وقرأ ابن كثير وابن
عامر ويعقوب بالفتح على التخفيف وقرئ به منونا وبالضم للاتباع كمنذ منونا وغير
منون والنهي عن ذلك يدل على المنع من سائر انواع الايذاء قياسا بطريق الاولى وقيل
عرفا كقولك فلان لا يملك النقير والقطمير ولذلك منع رسول الله صلعم حذيفة من قتل ابيه
وهو في صف المشركين نهى عما يؤذيهما بعد الامر بالاحسان ولا تنهرهما ولا تزجرهما
عما لا يعجبك باغلاظ وقيل النهي والنهر والنهم اخوات وقل لهما بدل التافيف والنهر قولا
كريما جميلا لا شراسة فيه واخفض لهما جناح الذل تذلل لهما وتواضع فيهما جعل
للذل جناحا كما جعل لبيد في قوله وغداة ريح قد كشفت وقرة اذ اصبحت بيد الشمال
زمامها للشمال يدا او للقرة زماما وامره بخفضها مبالغة واراد جناحه لقوله واخفض جناحك
للمؤمنين واضافته الى الذل للبيان والمبالغة كما اضيف حاتم الى الجود والمعنى واخفض لهما جناحك
الذليل وقرئ الذل بالكسر وهو الانقياد والنعت منه ذلول من الرحمة من فرط رحمتك عليهما
لافتقارهما الى من كان افقر خلق الله اليهما وقل رب ارحمهما وادع الله ان يرحمهما برحمته الباقية
ولا تكتف برحمتك الفانية وان كانا كافرين لان من الرحمة ان يهديهما كما ربياني صغيرا
رحمة مثل رحمتهما علي وتربيتهما وارشادهما لي في صغري وفاء بوعدك للراحم روي ان رجلا
قال لرسول الله ان ابوي بلغا من الكبر اني الي منهما ما وليا مني في الصغر فهل قضيتهما قال
لا فانهما كانا يفعلان ذلك وهما يحبان بقاءك وانت تفعل ذلك وانت تريد موتهما ربكم اعلم
بما في نفوسكم من قصد البر اليهما واعتقاد ما يجب لهما من التوقير وكانه تهديد
على ان يضمر لهما كراهة واستثقالا ان تكونوا صالحين قاصدين الصلاح فانه كان للاوابين
للتوابين غفورا ما فرط منهم عند حرج الصدر من اذية او تقصير وفيه تشديد عظيم و
يجوز ان يكون عاما لكل تائب ويندرج فيه الجاني على ابويه جناية اوليا لوروده على اثره
وات ذا القربى حقه من صلة الرحم وحسن المعاشرة والبر عليهم وقال ابو حنيفة حقهم
اذا كانوا محارم فقراء ان ينفق عليهم وقيل المراد بذي القربى اقارب الرسول عليه السلام
والمسكين وابن السبيل ولا تبذر تبذيرا بصرف المال فيما لا ينبغي وانفاقه على وجه
الاسراف واصل التبذير التفريق وعن النبي عليه السلام انه قال لسعد وهو يتوضأ ما هذا السرف
فقال افي الوضوء سرف قال نعم وان كنت على نهر جار ان المبذرين كانوا اخوان
الشياطين امثالهم في الشرارة فان التضييع والاتلاف شر او اصدقاءهم واتباعهم لانهم
يطيعونهم في الاسراف والصرف في المعاصي روي انهم كانوا ينحرون الابل ويتياسرون
عليها ويبذرون اموالهم في السمعة فنهاهم الله عن ذلك وامرهم بالانفاق في القربات
وكان الشيطان لربه كفورا مبالغا في الكفر به فينبغي ان لا يطاع واما تعرضن

عنهم ابتغاء رحمة من ربك ترجوها لانتظار رزق من الله ترجوه ان ياتيك فتعطيه
او منتظرين له وقيل معناه لفقد رزق من ربك ترجوه ان يفتح لك فوضع الابتغاء
موضعه لانه مسبب عنه ويجوز ان يتعلق بالجواب الذي هو قوله فقل لهم قولا ميسورا
اي فقل لهم قولا ابتغاء رحمة الله برحمتك عليهم باجمال القول لهم والميسور من يسر
الامر مثل سعد الرجل ونحس وقيل القول الميسور الدعاء لهم بالميسور وهو اليسر
مثل اغناكم الله رزقنا الله واياكم ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك ولا تبسطها
كل البسط تمثيلان لمنع الشحيح واسراف المبذر نهى عنهما امرا بالاقتصاد بينهما
الذي هو الكرم فتقعد ملوما فتصير ملوما عند الله وعند الناس بالاسراف وسوء
التدبير محسورا نادما او منقطعا بك لا شي عندك من حسره السفر اذا بلغ منه وعن جابر
ان بينا رسول الله صلعم اتاه صبي فقال ان امي تستكسيك الدرع الذي عليك فدخل داره و
نزع قميصه واعطاه وقعد عريانا واذن بلال وانتظروا للصلوة فلم يخرج فانزل
الله ذلك ثم سلاه بقوله ان ربك يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر يوسعه ويضيقه بمشيته
التابعة للحكمة فليس ما يرهقك من الاضاقة الا لمصلحتك انه كان بعباده
خبيرا بصيرا يعلم سرهم وعلنهم فيعلم من مصالحهم ما يخفى عليهم ويجوز ان يريد ان البسط
والقبض من امر الله العالم بالسرائر والظواهر فاما العباد فعليهم ان يقتصدوا
او انه تعالى يبسط تارة ويقبض اخرى فاستنوا بسنته ولا تقبضوا كل القبض ولا تبسطوا
كل البسط وان يكون تمهيدا لقوله ولا تقتلوا اولادكم خشية املاق مخافة الفاقة
وقتلهم اولادهم هو وادهم بناتهم مخافة الفقر فنهاهم عنه وضمن لهم ارزاقهم
فقال نحن نرزقهم واياكم ان قتلهم كان خطأ كبيرا ذنبا كبيرا لما فيه
من قطع الاصول التناسل وانقطاع النوع والخطاء الاثم يقال خطئ خطأ كاثم
اثما وقرا ابن عامر خطأ بالمد والكسر وهو اما لغة او مصدر خاطا وهو وان لم
يسمع لكنه جاز تخاطا في قوله تخاطاه القناص حتى وجدته وخرطومه في منقع الماء راسب
وهو مبني عليه وقرئ خطاء بالفتح والمد وخطا بحذف الهمزة مفتوحا ومكسورا ولا
تقربوا الزنا بالعزم والاتيان بمقدماته فضلا ان يباشروه انه كان فاحشة فعلة
ظاهرة القبح زائدته وساء سبيلا وبئس طريقا طريقه وهو الغصب على الابضاع
المؤدي الى قطع الانساب وهيج الفتن ولا تقتلوا النفس التي حرم الله الا بالحق
الا باحدى ثلث كفر بعد ايمان وزنا بعد احصان وقتل مؤمن معصوم
عمدا ومن قتل مظلوما غير مستوجب للقتل فقد جعلنا لوليه الذي يلي
امره بعد وفاته وهو الوارث سلطانا تسلطا بالمؤاخذة بمقتضى القتل على
من عليه او بالقصاص على القاتل فان قوله مظلوما يدل على ان القتل عمد عدوان
فان الخطاء لا يسمى ظلما فلا يسرف اي القاتل في القتل بان يقتل من لا يحق قتله فان

العاقل

العاقل لا يفعل ما يعود عليه بالهلاك او الولي بالمثلة وقتل غير القاتل ويؤيد الاول
قراءة ابي فلا تسرفوا وقرا حمزة والكسائي فلا تسرف على خطاب احدهما انه كان
منصورا علة النهي على الاستيناف والضمير اما للمقتول فانه منصور في الدنيا
بثبوت القصاص بقتله وفي الآخرة بالثواب واما لوليه فان الله نصره حيث
اوجب القصاص او التعزير والوزر على المسرف ولا تقربوا مال اليتيم فضلا
ان تتصرفوا فيه الا بالتي هي احسن الا بالطريقة التي هي احسن حتى يبلغ اشده
غاية لجواز التصرف الذي دل عليه الاستثناء واوفوا بالعهد بما عاهدكم الله
من تكاليفه او بما عاهدتموه وغيره ان العهد كان مسؤولا مطلوبا يطلب
من المعاهد ان لا يضيعه ويفي به او مسؤولا عنه يسال الناكث ويعاتب عليه
او يسال العهد لم نكثت تبكيتا للناكث كما يقال للموؤدة باي ذنب قتلت فيكون
تخييلا ويجوز ان يراد ان صاحب العهد كان مسؤولا واوفوا الكيل اذا كلتم
ولا تبخسوا فيه وزنوا بالقسطاس المستقيم بالميزان السوي وهو رومي عرب
ولا يقدح ذلك في عربية القرآن لان العجمي اذا استعملته العرب واجرته مجرى كلامهم
في الاعراب والتعريف والتنكير ونحوها صار عربيا وقرئ حمزة والكسائي و
حفص بكسر القاف ذلك خير واحسن تاويلا واحسن عاقبة تفعيل من آل اذا
رجع ولا تقف ولا تتبع وقرئ ولا تقف من قاف اثره اذا قفاه ومنه القافة
ما ليس لك به علم ما لم يتعلق به علمك تقليدا او رجما بالغيب واحتج به من منع
اتباع الظن وجوابه ان المراد بالعلم هو الاعتقاد الراجح المستفاد من سند
سواء كان قطعا او ظنا واستعماله لهذا المعنى شائع وقيل انه مخصوص بالعقائد
وقيل بالرمي وشهادة الزور ويؤيده قوله عليه السلام من قفا مؤمنا بما ليس فيه
حبسه الله في ردغة الخبال حتى ياتي بالمخرج وقول الكميت ولا ارمي البريء بغير
ذنب ولا اقفو الحواصن ان قفينا ان السمع والبصر والفؤاد كل اولئك
اي كل هذه الاعضاء فاجراها مجرى العقلاء لما كانت مسؤولة عن احوالها شاهدة على صاحبها
هذا وان اولاء وان غلبت في العقلاء لكنه من حيث انه اسم جمع لذا وهو يعم القبيلين جاء
لغيرهم لقوله بعدا ولئك الايام كان عنه مسؤولا في ثلثتها ضمير كل اي كان كل واحد
منها مسؤولا عن نفسه يعني عما فعل به صاحبه ويجوز ان يكون الضمير في عنه لمصدر لا تقف
او لصاحب السمع والبصر وقيل مسؤولا مسندا الى عنه كقوله غير المغضوب عليهم
والمعنى يسال صاحبه عنه وهو خطا لان الفاعل وما يقوم مقامه لا يتقدم وفيه دليل
على ان العبد مؤاخذ بعزمه على المعصية وقرئ والفواد بقلب الهمزة واوا بعد الضمة
ثم ابدالها بالفتح ولا تمش في الارض مرحا اي ذا مرح وهو الاختيال وقرئ مرحا
وهو باعتبار الحكم ابلغ وان كان المصدر اكد من صريح النعت انك لن تخرق الارض

والعيش نخ

لن تجعل فيها خرقا بشدة وطأتك ولن تبلغ الجبال طولا بتطاول وهو تهكم بالمختال
وتعليل للنهي بان الاختيال حماقة مجردة لا تعود بجدوى ليس في التذلل كل ذلك
اشارة الى الخصال الخمسة والعشرين المذكورة من قوله ولا تجعل مع الله الها آخر
وعن ابن عباس انها المكتوبة في الواح موسى كان سيئه يعني المنهي عنه فان المذكور
مامورات ومناهي وقرأ الحجازيان والبصريان سيئة على انها خبر كان والاسم
ضمير كل وذلك اشارة الى ما نهي عنه خاصة وعلى هذا قوله عند ربك مكروها بدل
من سيئة او صفة لها محمولة على المعنى فانه بمعنى سيئا وقد قرئ به ويجوز ان ينتصب
مكروها على الحال من المستكن في كان او في الظرف على انه صفة سيئة والمراد به
المبغوض المقابل للمرضي لا ما لا يقابل المراد لقيام القاطع على ان الحوادث كلها واقعة بارادة
الله تعالى ذلك اشارة الى الاحكام المتقدمة مما اوحى اليك ربك من الحكمة التي
هي معرفة الحق لذاته والخير للعمل به ولا تجعل مع الله الها آخر كرره للتنبيه على
ان التوحيد مبدأ الامر ومنتهاه فان من لا قصد له بطل عمله ومن قصد بفعله او تركه
غيره ضاع سعيه وانه رأس الحكمة وملاكها ورتب عليه اولا ما هو عائدة الشرك
في الدنيا وثانيا ما هو نتيجته في العقبى فقال فتلقى في جهنم ملوما تلوم نفسك مدحورا
مبعدا من رحمة الله افاصفاكم ربكم بالبنين خطاب لمن قالوا الملائكة بنات
الله والهمزة للانكار والمعنى أفخصكم ربكم بافضل الاولاد وهم البنون واتخذ من
الملائكة اناثا بنات لنفسه هذا خلاف ما عليه عقولكم وعادتكم انكم
لتقولون قولا عظيما باضافة الاولاد اليه وهي خاصة بعض الاجسام لسرعة زوالها
وبتفضيل انفسكم عليه حيث تجعلون له ما تكرهون ثم تجعل الملائكة الذين هم من
اشرف خلق الله ادونهم ولقد صرفنا كررنا هذا المعنى بوجوه من التقرير في هذا القرآن
في مواضع منه ويجوز ان يراد بهذا القرآن ابطال اضافة البنات اليه بتقدير ولقد
صرفنا القول في هذا المعنى واوقعنا التصريف فيه وقرئ صرفنا بالتخفيف ليذكروا
ليتذكروا وقرأ حمزة والكسائي ليذكروا من الذكر الذي هو بمعنى التذكر وما
يزيدهم الا نفورا عن الحق وقلة طمأنينة اليه قل لو كان معه آلهة كما تقولون
ايها المشركون وقرأ ابن كثير وحفص بالياء فيه وفيما بعده على ان الكلام مع الرسول
ووافقهما نافع وابن عامر وابو عمرو وابو بكر ويعقوب في الثانية على ان الاول مما
امر الرسول ان يخاطب به المشركين والثانية مما نزه به نفسه عن مقالهم اذا
لابتغوا الى ذي العرش سبيلا جواب عن مقالهم وجزاء للو والمعنى لطلبوا الى من هو
مالك الملك سبيلا بالمعازة كما يفعل الملوك بعضهم مع بعض او بالتقرب اليه
والطاعة لعلمهم بقدرته وعجزهم لقوله اولئك الذين يدعون يبتغون الى ربهم
الوسيلة سبحانه تنزه تنزيها وتعالى عما يقولون علوا كبيرا متباعدا غاية
ار تعاليا

البعد

البعد عما يقولون فانه في اعلى مراتب الوجود وهو كونه واجب الوجود والبقاء لذاته واتخاذ
الولد من ادنى مراتبه فانه من خواص ما يمتنع بقاؤه تسبح له السموات السبع والارض
ومن فيهن وان من شيء الا يسبح بحمده ينزهه عما هو من لوازم الامكان وتوابع
الحدوث بلسان الحال حيث يدل بامكانها وحدوثها على الصانع القديم الواجب لذاته
ولكن لا تفقهون تسبيحهم ايها المشركون لاخلالكم بالنظر الصحيح الذي
به يفهم تسبيحهم ويجوز ان يحمل التسبيح على المشترك بين اللفظ والدلالة لاسناده الى ما
يتصور منه وعليهما عند من جوز اطلاق اللفظ على معنييه وقرأ ابن كثير ونافع وابن
عامر وابو بكر تسبح بالياء انه كان حليما حين لم يعاجلكم بالعقوبة على غفلتكم
وشرككم غفورا لمن تاب منكم واذا قرأت القرآن جعلنا بينك وبين
الذين لا يؤمنون بالآخرة حجابا مستورا يحجبهم عن فهم ما تقرؤه عليهم مستورا ذا ستر كقوله
يفهمون وعده مأتيا وقولهم سيل مفعم او مستورا عن الحس او الحجاب او انهم
لا يفقهون تقرعهم ان يفهموا ما انزل عليهم من الآيات بعد ما تقرعهم التنقيد للدلالات المنصوبة
في الانفس والآفاق تقريرا له وبيانا لكونهم مطبوعين على الضلالة كما صرح به بقوله
وجعلنا على قلوبهم اكنة تكنها وتحول دونها عن ادراك الحق وقبوله ان يفقهوه
كراهة ان يفقهوه ويجوز ان يكون مفعولا لما دل عليه قوله وجعلنا على قلوبهم اكنة
اي منعناهم ان يفقهوه وفي آذانهم وقرا يمنعهم عن استماعه ولما كان القرآن معجزا من
حيث اللفظ والمعنى اثبت لمنكريه ما يمنع عن فهم المعنى وادراك اللفظ واذا ذكرت
ربك في القرآن وحده واحدا غير مشفوع به آلهتهم مصدر وقع موقع الحال واصله يحد وحده
بمعنى واحدا وحده ولوا على ادبارهم نفورا هربا من استماع التوحيد ونفرة او تولية
ويجوز ان يكون جمع نافر كقاعد وقعود نحن اعلم بما يستمعون به بسببه ولاجله
من الهزء بك وبالقرآن اذ يستمعون اليك ظرف لاعلم وكذا واذ هم نجوى اي نحن اعلم
بغرضهم من الاستماع حين هم مستمعون اليك مضمرون له وحين هم ذوو نجوى يتناجون
به ونجوى مصدر ويحتمل ان يكون جمع نجي اذ يقول الظالمون ان تتبعون الا رجلا مسحورا
مقدر باذكر او بدل من اذ هم نجوى على وضع الظالمين موضع الضمير للدلالة على ان
تناجيهم بقولهم هذا والمسحور الذي سحر به فزال عقله وقيل الذي له سحر وهو الرئة اي الا رجلا
يتنفس ويأكل ويشرب مثلكم انظر كيف ضربوا لك الامثال مثلوك بالشاعر
والساحر والكاهن والمجنون فضلوا عن الحق في جميع ذلك فلا يستطيعون سبيلا الى
طعن موجه فيتهافتون ويخبطون كالمتحير في امره لا يدري ما يصنع او الى الرشاد
وقالوا ائذا كنا عظاما ورفاتا حطاما ائنا لمبعوثون خلقا جديدا على الانكار
والاستبعاد لما بين غضاضة الحي ويبوسة الرميم من المباعدة والمنافاة والعامل
في اذا ما دل عليه مبعوثون لا نفسه لان ما بعد ان لا يعمل فيما قبلها

وخلقا مصدرا وحالا قل جوابا لهم كونوا حجارة او حديدا او خلقا مما يكبر في صدوركم اي مما يكبر عندكم عن قبول الحيوة لكونه ابعد شي منها فان قدرته تعالى لا تقصر عن احيائكم لاشتراك الاجسام في قبول الاعراض فكيف اذا كنتم عظاما مرفوتة وقد كانت غضة موصوفة بالحيوة قبل والشي اقبل لما عهد فيه مما لم يعهد فسيقولون من يعيدنا قل الذي فطركم اول مرة وكنتم ترابا وما هو ابعد منه من الحيوة فسينغضون اليك رؤسهم فسيحركونها نحوك تعجبا واستهزاء ويقولون متى هو قل عسى ان يكون قريبا فان كل ما هو ات قريب وانتصابه على الخبر او الظرف اي يكون في زمان قريب وان يكون اسم عسى او خبره والاسم مضمر يوم يدعوكم فتستجيبون اي يوم يبعثكم فتنبعثون استعار لهما الدعاء والاستجابة للتنبيه على سرعتهما وتيسر امرهما وان المقصود منهما الاحضار للمحاسبة والجزاء بحمده حال منهم اي حامدين لله على كمال قدرته كما قيل انهم ينفضون التراب عن رؤسهم ويقولون سبحانك اللهم وبحمدك او منقادين لبعثه انقياد الحامدين عليه وتظنون ان لبثتم الا قليلا وتستقصرون مدة لبثكم في القبور كالذي مر على قرية او مدة حيوتكم لما ترون من الهول وقل لعبادي يعني المومنين يقولوا التي هي احسن الكلمة التي هي احسن ولا يخاشنوا المشركين ان الشيطان ينزغ بينهم يهيج بينهم المراء والشر فلعل المخاشنة بهم تفضي الى العناد وازدياد الفساد ان الشيطان كان للانسان عدوا مبينا ظاهر العداوة ربكم اعلم بكم ان يشا يرحمكم او ان يشا يعذبكم تفسير للتي هي احسن وما بينهما اعتراض اي قولوا لهم هذه الكلمة ونحوها ولا تصرحوا بانهم من اهل النار فانه يهيجهم على الشر مع ان ختام امرهم غيب لا يعلمه الا الله وما ارسلناك عليهم وكيلا موكولا اليك امرهم تقسرهم على الايمان وانما ارسلناك مبشرا ونذيرا فدارهم ومر اصحابك بالاحتمال منهم روي ان المشركين افرطوا في ايذائهم فشكوا الى رسول الله فنزلت وقيل شتم عمر رضه رجل فهم به فامره الله بالعفو وربك اعلم بمن في السموات والارض وباحوالهم فيختار منهم لنبوته وولايته من يشاء وهو رد لاستبعاد قريش ان يكون يتيم ابي طالب نبيا وان يكون العراة الجوع اصحابه ولقد فضلنا بعض النبيين على بعض بالفضائل النفسانية والتبري عن العلائق الجسمانية لا بكثرة الاموال والاتباع حتى داود عليه السلام فان شرفه بما اوحي اليه من الكتاب لا بما اوتي من الملك وقيل هو اشارة الى تفضيل رسول الله وقوله واتينا داود زبورا تنبيه على وجه تفضيله وهو انه خاتم الانبياء وامته خير الامم المدلول عليه بما كتب في الزبور من ان الارض يرثها عبادي الصالحون وتنكيره هاهنا وتعريفه في قوله ولقد كتبنا في الزبور لانه في الاصل فعول للمفعول كالحلوب او المصدر كالقبول ويؤيده قراءة حمزة بالضم وهو كالعباس او الفضل او لان المراد واتينا

داود بعض الزبر او بعضا من الزبور فيه ذكر الرسول قل ادعوا الذين زعمتم انها الهة من دونه كالملائكة والمسيح والعزير فلا يملكون فلا يستطيعون كشف الضر عنكم كالمرض والفقر والقحط ولا تحويلا ولا تحويله ذلك منكم الى غيركم اولئك الذين يدعون يبتغون الى ربهم الوسيلة هولاء الالهة يبتغون الى الله القربة بالطاعة ايهم اقرب بدل من واو يبتغون اي يبتغي من هو اقرب منهم الى الله الوسيلة فكيف بغير الاقرب ويرجون رحمته ويخافون عذابه كسائر العباد فكيف يزعمون انهم الهة ان عذاب ربك كان محذورا حقيقا بان يحذره كل احد حتى الرسل والملائكة وان من قرية الا نحن مهلكوها قبل يوم القيمة بالموت والاستيصال او معذبوها عذابا شديدا بالقتل وانواع البلية كان ذلك في الكتاب في اللوح المحفوظ مسطورا مكتوبا وما منعنا ان نرسل بالايات وما صرفنا عن ارسال الايات التي اقترحتها قريش الا ان كذب بها الاولون الا تكذيب الاولين الذين هم امثالهم في الطبع كعاد وثمود وانها لو ارسلت لكذبوا بها تكذيب اولئك واستوجبوا الاستيصال على ما مضت به سنتنا وقد قضينا ان لا نستاصلهم لان فيهم من يومن او يلد من يومن ثم ذكر بعض الامم المهلكة بتكذيب الايات المقترحة فقال واتينا ثمود الناقة بسؤالهم مبصرة بينة ذات ابصار او بصائر او جاعلتهم ذوي بصائر وقرئ بالفتح فظلموا بها فكفروا بها او فظلموا انفسهم بسبب عقرها وما نرسل بالايات اي بالايات المقترحة الا تخويفا من نزول العذاب المستاصل فان لم يخافوا نزل او بغير المقترحة كالمعجزات وايات القران الا تخويفا بعذاب الاخرة فان امر من بعثت اليهم موخر الى يوم القيمة والباء مزيدة او في موقع الحال والمفعول محذوف واذ قلنا لك واذكر اذ اوحينا اليك ان ربك احاط بالناس فهم في قبضة قدرته او احاط بقريش بمعنى اهلكهم من احاط بهم العدو فهو بشارة بوقعة بدر والتعبير بلفظ الماضي لتحقق وقوعه وما جعلنا الرؤيا التي اريناك ليلة المعراج وتعلق به من قال انه كان في المنام ومن قال انه كان في اليقظة فسر الرؤيا بالرؤية او عام الحديبية حين راى انه دخل مكة وفيه ان الاية مكية الا ان يقال راها بمكة وحكاها حينئذ ولعله رؤيا راها في وقعة بدر لقوله اذ يريكهم الله في منامك قليلا ولما روي انه لما ورد ماءه قال لكاني انظر الى مصارع القوم هذا مصرع فلان هذا مصرع فلان فتسامعت به قريش واستسخروا منه وقيل راى قوما من بني امية يرقون منبره وينزون عليه نزو القردة فقال هو حظهم من الدنيا يعطونه باسلامهم وعلى هذا كان المراد بقوله الا فتنة للناس ما حدث في ايامهم والشجرة الملعونة في القران عطف على الرؤيا وهي شجرة الزقوم لما سمع المشركون ذكرها قالوا ان محمدا يزعم ان الجحيم تحرق الحجارة ثم يقول ينبت فيها الشجر ولم يعلموا ان من قدر ان يحمي وبر السمندر من ان تاكله النار واحشاء النعامة من اذى الجمر وقطع

الحديد المحماة الحمر التي يتبعها قدر ان يخلق في النار شجرة لا تحرقها ولعنها في القرآن
لعن طاعميها وصفت به على المجاز للمبالغة او وصفها بانها في اصل الجحيم فانه ابعد
مكان من الرحمة او بانها مكروهة مؤذية من قولهم طعام ملعون لما كان
ضارا وقد تؤولت بالشياطين وابي جهل والحكم بن ابي العاص وقرئت
بالرفع على الابتداء والخبر محذوف اي والشجرة الملعونة في القرآن كذلك ونخوفهم
بانواع التخويف فما يزيدهم الا طغيانا كبيرا الا عتوا متجاوزا الحد واذ قلنا للملائكة
اسجدوا لادم فسجدوا الا ابليس قال ااسجد لمن خلقت طينا لمن خلقته من طين
فنصب بنزع الخافض ويجوز ان يكون حالا من الراجع الى الموصول اي خلقته وهو طين
او منه اي ااسجد له واصله طين وفيه على الوجوه ايماء بعلة الانكار قال ارايتك
هذا الذي كرمت علي الكاف لتاكيد الخطاب لا محل له من الاعراب وهذا
مفعول اول والذي صفته والمفعول الثاني محذوف لدلالة صلته والمعنى اخبرني عن
هذا الذي كرمته علي بامري بالسجود له لم كرمته علي لئن اخرتن الى يوم القيمة
كلام مبتدا واللام موطئة للقسم وجوابه لاحتنكن ذريته الا قليلا اي لاستاصلنهم
بالاغواء الا قليلا لا اقدر ان اقاوم شكيمتهم من احتنك الجراد الارض اذا جرد
ما عليها اكلا ماخوذ من الحنك وانما علم ان ذلك يتسهل له اما استنباطا من قول
الملائكة اتجعل فيها من يفسد فيها مع التقرير او تفرسا من خلقه ذا وهم وشهوة
وغضب قال اذهب امض لما قصدته وهو طرد وتخلية بينه وبين ما سولته
له نفسه فمن تبعك منهم فان جهنم جزاؤكم جزاؤك وجزاؤهم فغلب المخاطب
على الغائب ويجوز ان يكون الخطاب للتابعين على الالتفات جزاء موفورا
مكملا من قولهم فر لصاحبك عرضه وانتصاب جزاء على المصدر باضمار فعله او
بما في جزاؤكم من معنى تجازون او حال موطئة لقوله موفورا واستفزز واستخف
من استطعت منهم ان تستفزه والفز الخفيف بصوتك بدعائك الى الفساد واجلب
عليهم وصح عليهم من الجلبة وهي الصياح بخيلك ورجلك باعوانك من راكب و
راجل والخيل الخيالة ومنه قوله عليه السلام يا خيل الله اركبي والرجل اسم للجمع
للراجل كالصحب والركب ويجوز ان يكون تمثيلا لتسلطه على من يغويه بمغوار
صوت على قوم فاستفزهم من اماكنهم واجلب عليهم بجنده حتى استاصلهم
وقرا حفص ورجلك بالكسر وغيره بالضم وهما لغتان كحذر وحذر ومعناه
وجمعك الرجل وقرئ ورجالك ورجالك وشاركهم في الاموال بحملهم على كسبها
وجمعها من الحرام والتصرف فيها على ما لا ينبغي والاولاد بالحث على التوصل الى الولد
بالسبب المحرم والاشراك فيه بتسميته عبد العزى والتضليل بالحمل على الاديان الزائغة
والحرف الذميمة والافعال القبيحة وعدهم المواعيد الباطلة كشفاعة الالهة

والاتكال

والاتكال على كرامة الاباء وتاخير التوبة لطول الامل وما يعدهم الشيطان الا غرورا اعتراض لبيان
مواعيده والغرور تزيين الخطا بما يوهم انه صواب ان عبادي ليس لك عليهم سلطان
اي على اغوائهم وكفى بربك وكيلا يتوكلون به في الاستعاذة منك على الحقيقة
ربكم الذي يزجي هو الذي يجري لكم الفلك في البحر لتبتغوا من فضله الربح
وانواع الامتعة التي لا تكون عندكم انه كان بكم رحيما حيث هيا لكم ما تحتاجون
اليه وسهل عليكم ما يعسر من اسبابه واذا مسكم الضر في البحر خوف الغرق
ضل من تدعون ذهب عن خاطركم كل من تدعونه في حوادثكم الا اياه او ضل
وحده فانكم حينئذ لا يخطر ببالكم سواه ولا تدعون لكشفه الا اياه او ضل كل ما تعبدونه
عن اغاثتكم الا الله فلما نجاكم من الغرق الى البر اعرضتم عن التوحيد وقيل اتسعتم
في كفران النعمة كقول ذي الرمة عطاء فتى تمكن في المعالي فاعرض في المكارم و
استطالا وكان الانسان كفورا كالتعليل للاعراض افامنتم الهمزة للانكار والفاء
للعطف على محذوف تقديره انجوتم فامنتم فحملكم ذلك على الاعراض فان من
قدر ان يهلككم في البحر بالغرق قدر ان يهلككم في البر بالخسف وغيره ان يخسف بكم
جانب البر ان يقلبه الله وانتم عليه او يقلبه بسببكم فبكم حال او صلة وقرا ابن كثير وابو عمرو
بالنون فيه وفي الاربعة بعده وفي ذكر الجانب تنبيه على انهم كما وصلوا الساحل كفروا
واعرضوا وان الجوانب والجهات في قدرته سواء لا معقل يؤمن فيه من اسباب
الهلاك او يرسل عليكم حاصبا ريحا تحصب اي ترمي بالحصباء ثم لا تجدوا لكم وكيلا
يحفظكم من ذلك فانه لا راد لفعله ام امنتم ان يعيدكم فيه في البحر تارة اخرى بخلق
دواعي تلجئكم الى ان ترجعوا فتركبوه فيرسل عليكم قاصفا من الريح لا تمر بشيء
الا قصفته اي كسرته فيغرقكم وعن يعقوب بالتاء على اسناده الى ضمير الريح بما
كفرتم بسبب اشراككم وكفرانكم نعمة الانجاء ثم لا تجدوا لكم علينا به
تبيعا مطالبا يتبعنا بانتصار او صرف ولقد كرمنا بني ادم بحسن الصورة والمزاج والاعتدال
الاعدل واعتدال القامة والتميز بالعقل والافهام بالنطق والاشارة والخط والتهدي
الى اسباب المعاش والمعاد والتسلط على ما في الارض والتمكن من الصناعات وانسياق
الاسباب والمسببات العلوية والسفلية الى ما يعود عليهم بالمنافع الى غير ذلك مما يقف الحصر
دون احصائه ومن ذلك ما ذكره ابن عباس وهو ان كل حيوان يتناول طعامه بفيه
الا الانسان فانه يرفعه اليه بيده وحملناهم في البر والبحر على الدواب والسفن من حملته
حملا اذا جعلت له ما يركبه او حملناهم فيهما حتى لم يخسف بهم الارض ولم يغرقهم
الماء ورزقناهم من الطيبات المستلذات مما يحصل بفعلهم وبغير فعلهم وفضلناهم
على كثير ممن خلقنا تفضيلا بالغلبة والاستيلاء او بالشرف والكرامة والمستثنى
والمستثنى جنس الملائكة او الخواص منهم ولا يلزم من عدم تفضيل الجنس عدم

عدم تفضيل بعض افراده والمسئلة موضع النظر وقد اول الكثير بالكل وفيه تعسف
يوم ندعوا نصب باضمار اذكر او ظرف لما دل عليه ولا يظلمون وقرئ يدعوا ويُدعى
ويُدعو على قلب الالف واوا في لغة من يقول افعوا في افعى او على ان الواو علامة الجمع كما في
قوله واسروا النجوى الذين ظلموا او ضميره وكل بدل منه والنون محذوفة لقلة
المبالاة بها فانها ليست الا علامة الرفع وهو قد يقدر كما في يدعى كل اناس بامامهم
بمن ائتموا به من نبي او مقدم في الدين او كتاب او دين وقيل بكتاب اعمالهم
التي قدموها فيقال يا صاحب كتاب كذا اي ينقطع علقة الانساب وتبقى نسبة الاعمال
وقيل بالقوى الجامعة لهم على عقائدهم وافعالهم وقيل بامهاتهم جمع ام كخف
وخفاف والحكمة في ذلك اجلال عيسى عليه السلام واظهار شرف الحسن والحسين
وان لا يفتضح اولاد الزنا فمن اوتي من المدعوين كتابه بيمينه اي كتاب عمله فاولئك
يقرءون كتابهم ابتهاجا وتبجحا بما يرون فيه ولا يظلمون فتيلا ولا ينقصون
من اجورهم ادنى شيء وجمع اسم الاشارة والضمير لان من اوتي في معنى الجمع وتعليق
القراءة بايتاء الكتاب باليمين يدل على ان من اوتي كتابه بشماله اذا اطلع على ما فيه
غشيهم من الخجل والحيرة ما يحبس السنتهم عن القراءة ولذلك لم يذكرهم مع ان قوله
ومن كان في هذه اعمى فهو في الاخرة اعمى ايضا مشعر بذلك فان الاعمى لا يقرا الكتاب
والمعنى ومن كان في هذه الدنيا اعمى القلب لا يبصر رشده كان في الاخرة اعمى لا يرى
طريق النجاة واضل سبيلا منه في الدنيا لزوال الاستعداد وفقدان الالة والمهلة
وقيل لان الاهتداء بعد لا ينفعه والاعمى مستعار من فاقد الحاسة وقيل الثاني للتفضيل
من عمي بقلبه كالاجهل والابله ولذلك لم يمله ابو عمرو ويعقوب فان افعل التفضيل
تمامه بمن فكانت الفه في حكم المتوسطة في اعمالكم بخلاف النعت فان الفه واقعة
في الطرف لفظا وحكما فكانت معرضة للامالة من حيث انها تصير ياء في التثنية
وقد اما لهما حمزة والكسائي وابو بكر وان كادوا ليفتنونك نزلت في ثقيف
قالوا لا ندخل في امرك حتى تعطينا خصالا نفتخر بها على العرب لا نعشر ولا نحشر ولا نجبى
في صلوتنا وكل ربا لنا فهو لنا وكل ربا علينا فهو موضوع عنا وان تمتعنا باللات
سنة وان تحرم وادينا كما حرمت مكة فان قالت العرب لم فعلت ذلك
فقل ان الله امرني وقيل في قريش قالوا لا نمكنك من استلام الحجر حتى تلم
بالهتنا وتمسها بيدك وان هي المخففة واللام هي الفارقة والمعنى ان الشان قاربوا
بمبالغتهم ان يوقعوك في الفتنة بالاستنزال عن الذي اوحينا اليك من الاحكام
لتفتري علينا غيره غير ما اوحينا اليك واذا لاتخذوك خليلا ولو اتبعت مرادهم
لاتخذوك بافتتانك وليا لهم بريا من ولايتي ولولا ان ثبتناك ولولا تثبيتنا اياك
لقد كدت تركن اليهم شيئا قليلا لقاربت ان تميل الى اتباع مرادهم والمعنى انك

كنت

كنت على صدد الركون اليهم لقوة خدعهم وشدة احتيالهم لكن ادركتك عصمتنا فمنعت
ان تقرب من الركون فضلا من ان تركن اليه وهو صريح في انه عليه السلام
ما هم باجابتهم مع قوة الداعي اليها ودليل على ان العصمة بتوفيق الله وحفظه اذا لاذقناك
اي لو قاربت لاذقناك ضعف الحيوة وضعف الممات اي عذاب الدنيا وعذاب الاخرة
ضعف ما يعذب به في الدارين بمثل هذا الفعل غيرك لان خطأ الخطير اخطر وكان اصل الكلام
عذابا ضعفا في الحيوة وعذابا ضعفا في الممات بمعنى مضاعفا ثم حذف الموصوف
واقيمت الصفة مقامه ثم اضيفت كما يضاف موصوفها وقيل الضعف من اسماء العذاب
وقيل المراد بضعف الحيوة عذاب الاخرة وبضعف الممات عذاب القبر ثم لا تجد لك
علينا نصيرا يدفع العذاب عنك وان كادوا وان كاد اهل مكة ليستفزونك ليزعجونك
بمعاداتهم من الارض ارض مكة ليخرجوك منها واذا لا يلبثون خلفك ولو خرجت لا
يبقون بعد خروجك الا قليلا الا زمانا قليلا وقد كان كذلك فانهم اهلكوا ببدر بعد الهجرة
وقيل الاية نزلت في اليهود حسدوا مقام النبي صلعم بالمدينة فقالوا الشام مقام
الانبياء فان كنت نبيا فالحق بها حتى نؤمن بك فوقع ذلك في قلبه فخرج مرحلة فنزلت فرجع
ثم قتل منهم بنو قريظة واجلي بنو النضير بقليل وقرئ لا يلبثوا منصوبا باذن على انه معطوف
على جملة قوله وان كادوا ليستفزونك لا على خبر كاد فان اذن لا يعمل اذا كان معتمدا ما بعدها
على ما قبلها وقرا ابن عامر وحمزة والكسائي وحفص ويعقوب خلافك وهو لغة فيه قال
عفت الديار خلافهم فكانما بسط الشواطب بينهن حصيرا سنة من قد ارسلنا قبلك من رسلنا نصب
على المصدر اي سن الله سنة وهو ان يهلك كل امة اخرجوا رسولهم من بين اظهرهم فالسنة
لله واضافتها الى الرسل لانها من اجلهم ويدل عليه ولا تجد لسنتنا تحويلا اي تغيرا اقم
الصلوة لدلوك الشمس لزوالها ويدل عليه قوله عليه السلام اتاني جبرئيل لدلوك الشمس
حين زالت فصلى بي الظهر وقيل لغروبها واصل التركيب للانتقال ومنه الدلك فان الدالك
لا يستقر يده وكذا ما تركب من الدال واللام كدلج ودلح ودلع ودلف ودله وقيل الدلوك من
الدلك لان الناظر اليها يدلك عينيه لدفع شعاعها واللام للتاقيت مثلها في لثلث خلون الى
غسق الليل الى الظلمة وهو وقت صلوة العشاء الاخرة وقران الفجر وصلوة الصبح سميت
قرانا لانه ركنها كما سميت ركوعا وسجودا واستدل به على وجوب القراءة فيها ولا دليل
فيه لجواز ان يكون التجوز لكونها مندوبة فيها نعم لو فسر بالقراءة في صلوة الفجر دل الامر
باقامتها على الوجوب فيها نصا وفي غيرها قياسا ان قران الفجر كان مشهودا تشهده ملائكة
الليل وملائكة النهار او شواهد القدرة من تبدل الظلمة بالضياء والنوم الذي هو اخو الموت
بالانتباه او كثير من المصلين او من حقه ان يشهده الجم الغفير والاية جامعة للصلوات
الخمس ان فسر الدلوك بالزوال ولصلوات الليل وحدها ان فسر بالغروب وقيل
المراد بالصلوة صلوة المغرب وقوله لدلوك الشمس الى غسق الليل بيان لمبدا الوقت ومنتهاه

واستدل به على ان الوقت يمتد الى غروب الشفق ومن الليل فتهجد به وبعض الليل فاترك
الهجود للصلوة والضمير للقرآن نافلة لك زايدة لك على الصلوات المفروضة او فضيلة لك
لاختصاص وجوبه لك عسى ان يبعثك ربك مقاما محمودا مقاما يحمده القايم فيه
وكل من عرفه وهو مطلق في كل مقام يتضمن كرامة والمشهور انه مقام الشفاعة لما
روى ابو هريرة انه عليه السلام قال هو المقام الذي اشفع فيه لامتي ولاشعاره بان
الناس يحمدونه لقيامه فيه وما ذاك الا مقام الشفاعة وانتصابه على الظرف باضمار
فعله اي فيقيمك مقاما او بتضمين يبعثك معناه او الحال بمعنى ان يبعثك ذا مقام وقل رب ادخلني
اي في القبر مدخل صدق ادخالا مرضيا واخرجني اي منه عند
البعث مخرج صدق ادخالا ملقى بالكرامة وقيل ادخال المدينة والاخراج من مكة وقيل
ادخاله مكة ظاهرا عليها واخراجه منها امنا من المشركين وقيل ادخاله الغار واخراجه
منه سالما وقيل ادخاله فيما حمله من اعباء الرسالة واخراجه منه وقيل ادخاله في كل ما
يلابسه من مكان او امر واخراجه وقرى مدخل ومخرج بالفتح على معنى ادخلني فادخل
دخولا واخرجني فاخرج خروجا واجعل لي من لدنك سلطانا نصيرا حجة تنصرني على من خالفني
او ملكا ينصر الاسلام على الكفر فاستجاب له بقوله فان حزب الله هم الغالبون ليظهره على
الدين كله ليستخلفنهم في الارض وقل جاء الحق الاسلام وزهق الباطل وذهب وهلك الشرك
من زهق روحه اذا خرج ان الباطل كان زهوقا مضمحلا غير ثابت عن ابن مسعود
انه عليه السلام دخل مكة يوم الفتح وفيها ثلثمائة وستون صنما فجعل ينكت بمخصرة في عين
واحد فيقول جاء الحق وزهق الباطل فينكب لوجهه حتى القى جميعها وبقي صنم خزاعة فوق
الكعبة وكان من صفر فقال يا علي ارم به فصعد ورمى به فكسره وننزل من القرآن ما هو
شفاء ورحمة للمومنين ما هو في تقويم دينهم واستصلاح نفوسهم كالدواء الشافي للمرضى
ومن للبيان فانه كله كذلك وقيل انه للتبعيض والمعنى انه منه ما يشفي من المرض كالفاتحة
وايات الشفاء وقرا البصريان ننزل بالتخفيف ولا يزيد الظالمين الا خسارا لتكذيبهم
وكفرهم به واذا انعمنا على الانسان بالصحة والسعة اعرض عن ذكر الله ونأى
بجانبه لوى عطفه وبعد بنفسه عنه كانه مستغن مستبد بامره ويجوز ان يكون كناية
عن الاستكبار لانه من عادة المستكبرين وقرا ابن عامر وناء على القلب او على انه
بمعنى نهض واذا مسه الشر من مرض او فقر كان يؤسا شديد اليأس من روح
الله قل كل يعمل على شاكلته كل احد يعمل على طريقته التي تشاكل حاله في الهدى و
الضلالة او جوهر روحه واحواله التابعة لمزاج بدنه فربكم اعلم بمن هو اهدى
سبيلا اسد طريقا وابين منهجا وقد فسرت الشاكلة بالطبيعة والعادة والدين و
يسئلونك عن الروح الذي يحيى به بدن الانسان ويدبره قل الروح من امر ربي
من الابداعيات الكائنة بكن من غير مادة وتولد من اصل كاعضاء جسده او وجد

بامره

بامره وحدث بتكوينه على ان السوال من قدمه وحدوثه وقيل مما استاثره الله
بعلمه لما روى ان اليهود قالوا لقريش سلوه عن اصحاب الكهف وعن ذي القرنين
وعن الروح فان اجاب عنها او سكت فليس بنبي وان اجاب عن بعض وسكت
عن بعض فهو نبي فبين لهم القصتين وابهم امر الروح وهو مبهم في التورية وقيل
الروح جبرئيل وقيل خلق اعظم من الملك وقيل القرآن ومن امر ربي معناه من وحيه
وما اوتيتم من العلم الا قليلا تستفيدونه بتوسط حواسكم فان اكتساب العقل
للمعارف النظرية انما هو من الضروريات المستفادة من احساس الجزئيات
ولذلك قيل من فقد حسا فقد علما ولعل اكثر الاشياء لا يدركه الحس ولا شيا
من احواله المعرفة لذاته وهو اشارة الى ان الروح مما لا يمكن معرفة ذاته الا بعوارض
تميزه عما يلتبس به فلذلك اقتصر على هذا الجواب كما اقتصر موسى في جواب وما
رب العالمين بذكر بعض صفاته روى انه عليه السلام لما قال لهم ذلك قالوا انحن مختصون
بهذا الخطاب فقال بل نحن وانتم فقالوا ما اعجب شانك ساعة تقول ومن يوت
الحكمة فقد اوتي خيرا كثيرا وساعة تقول هذا فنزلت ولو ان ما في الارض
من شجرة اقلام وما قالوه لسوء فهمهم لان الحكمة الانسانية ان يعلم من الخير
والحق ما تسعه القوة البشرية بل ما ينتظم به معاشه ومعاده وهو بالاضافة
الى معلوماته التي لا نهاية لها قليل ينال به خير الدارين وهو بالاضافة اليه كثير
ولئن شئنا لنذهبن بالذي اوحينا اليك اللام الاولى موطية للقسم ولنذهبن جوابه النايب
مناب الشرط والمعنى ان شئنا ذهبنا بالقرآن ومحوناه عن المصاحف والصدور ثم لا تجد جذار
لك به علينا وكيلا من يتوكل علينا استرداده مستورا محفوظا الا رحمة من ربك
فانها ان نالتك فلعلها تسترده عليك ويجوز ان يكون استثناء منقطعا بمعنى ولكن رحمة من
ربك تركته غير مذهوب به فيكون امتنانا بابقائه بعد المنة في تنزيله ان فضله كان عليك
كبيرا كارساله وانزال الكتاب عليه وابقائه في حفظه قل لئن اجتمعت الانس والجن
على ان ياتوا بمثل هذا القرآن في البلاغة وحسن النظم وكمال المعنى لا ياتون بمثله
وفيهم العرب العرباء وارباب البيان واهل التحقيق وهو جواب قسم محذوف دل عليه اللام
الموطية ولولا هي لكان جوابا للشرط بلا جزم لكون الشرط ماضيا كقول زهير وان اتاه خليل
يوم مسغبة يقول لا غايب مالي ولا حرم ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا ولو تظاهروا على
الاتيان به ولعله لم يذكر الملائكة لان اتيانهم بمثله لا يخرجه عن كونه معجزة ولانهم كانوا
وسايط في اتيانه ويجوز ان يكون الاية تقريرا لقوله ثم لا تجد لك به علينا وكيلا ولقد صرفنا
كررنا بوجوه مختلفة زيادة في التقرير والبيان للناس في هذا القرآن من كل مثل
من كل معنى هو كالمثل في غرابته ووقوعه موقعا في الانفس فابى اكثر الناس
الا كفورا الا جحودا وانما جاز ذلك ولم يجز ضربت الا زيدا لانه متاول بالنفي وقالوا

وقالوا لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الارض ينبوعا تعنتا واقتراحا بعد ما الزمهم
الحجة ببيان اعجاز القران وانضمام غيره من المعجزات وقرا الكوفيون تفجر بالتخفيف والارض
ارض مكة والينبوع عين لا ينضب ماؤها يفعول من نبع الماء كيعبوب من عب الماء
اذا زخر او يكون لك جنة من نخيل وعنب فتفجر الانهار خلالها تفجيرا او يكون لك بستان
يشتمل على ذلك او تسقط السماء كما زعمت علينا كسفا من السماء يعنون قوله
تعالى او نسقط عليهم كسفا من السماء وهو كقطع لفظا ومعنى وقد سكنه ابن كثير وابو عمرو
وحمزة والكسائي ويعقوب في جميع القران الا في الروم وابن عامر الا في هذه السورة
وابو بكر ونافع في غيرهما وحفص فيما عدا الطور وهو اما مخفف من المفتوح كسدر
وسدر او فعل بمعنى مفعول كالطحن او تاتي بالله والملائكة قبيلا كفيلا بما تدعيه
اي شاهدا على صحته ضامنا لدركه او مقابلا كالعشير بمعنى المعاشر وهو حال من الله
وحال الملائكة محذوفة لدلالتها عليها كما حذف الخبر في قوله واني وقيار بها لغريب
او جماعة فيكون حالا من الملائكة او يكون لك بيت من زخرف من ذهب وقد قرئ
به واصله الزينة او ترقى في السماء في معارجها ولن نؤمن لرقيك وحده حتى تنزل
علينا كتابا نقرؤه وكان فيه تصديقك قل سبحان ربي تعجبا من اقتراحاتهم
او تنزيها لله من ان ياتي او يتحكم عليه او يشاركه احد في القدرة هل كنت الا بشرا
رسولا كساير الناس رسولا كساير الرسل وكانوا لا يأتون قومهم الا بما يظهره الله عليهم
ما يلايم حال قومهم ولم يكن امر الايات اليهم ولا لهم ان يتحكموا على الله
حتى تتخيرها علي هذا هو الجواب المجمل واما التفصيل فقد ذكر في ايات اخر كقوله
ولو نزلنا عليك كتابا في قرطاس ولو فتحنا عليهم بابا وما منع الناس ان يؤمنوا
اذ جاءهم الهدى اي وما منعهم الايمان بعد نزول الوحي وظهور الحق الا ان قالوا
ابعث الله بشرا رسولا الا قولهم هذا والمعنى انه لم يبق لهم شبهة تمنعهم عن
الايمان بمحمد والقران الا انكارهم ان يرسل الله بشرا قل جوابا لشبهتهم لو كان
في الارض ملائكة يمشون كما يمشي بنو ادم مطمئنين ساكنين فيها لنزلنا
عليهم من السماء ملكا رسولا لتمكنهم من الاجتماع والتلقي منه واما
الانس فعامتهم عماة عن ادراك الملك والتلقف منه فان ذلك مشروط بنوع من
التناسب والتجانس وملكا يحتمل ان يكون حالا من رسولا وان يكون موصوفا به
وكذلك بشرا والاول اوفق قل كفى بالله شهيدا بيني وبينكم على اني رسول الله
اليكم باظهاره المعجز على وفق دعواي او على اني بلغت ما ارسلت به اليكم وانكم
عاندتم وشهيدا نصب على الحال او التمييز انه كان بعباده خبيرا بصيرا يعلم احوالهم
الباطنة منها والظاهرة فيجازيهم عليها وفيه تسلية للرسول وتهديد للكفار ومن يهد
الله فهو المهتدي ومن يضلل فلن تجد لهم اولياء من دونه يهدونه ونحشرهم

يوم

يوم القيمة على وجوههم يسحبون عليها او يمشون بها روي انه قيل لرسول الله صلعم
كيف يمشون على وجوههم قال ان الذي امشاهم على اقدامهم قادر على ان يمشيهم
على وجوههم عميا وبكما وصما لا يبصرون ما يقر اعينهم ولا يسمعون ما يلذ
مسامعهم ولا ينطقون بما يقبل منهم لانهم في دنياهم لم يستبصروا بالايات والعبر
وتصاموا عن استماع الحق وابوا ان ينطقوا بالصدق ويجوز ان يحشروا بعد الحساب
من الموقف الى النار مؤفي القوى والحواس ماويهم جهنم كلما خبت سكن لهبها
بان اكلت جلودهم ولحومهم زدناهم سعيرا توقدا بان نبدل جلودهم ولحومهم فتعود
ملتهبة مستعرة كانهم لما كذبوا بالاعادة بعد الافناء جزاهم الله بان لا يزالون على الاعادة
والافناء واليه اشار بقوله ذلك جزاؤهم بانهم كفروا باياتنا وقالوا ائذا كنا عظاما
ورفاتا ائنا لمبعوثون خلقا جديدا لان الاشارة الى ما تقدمه من عذابهم اولم
يروا اولم يعلموا ان الله الذي خلق السموات والارض قادر على ان يخلق مثلهم
فانهم ليسوا اشد خلقا منهن ولا الاعادة اصعب عليه من الابداء وجعل لهم اجلا لا
ريب فيه هو الموت او القيمة فابى الظالمون مع وضوح الحق الا كفورا الا جحودا
قل لو انتم تملكون خزاين رحمة ربي خزاين رزقه وساير نعمه وانتم مرفوع
بفعل يفسره ما بعده كقول حاتم لو ذات سوار لطمتني وفايدته هذا الحذف والتفسير المبالغة
والدلالة على الاختصاص اذا لامسكتم خشية الانفاق لبخلتم مخافة النفاد بالانفاق
اذ لا احد الا ويختار النفع لنفسه ولو اثر غيره بشيء فانما يوثره لعوض يفوقه فهو اذن
بخيل بالاضافة الى جود الله وكرمه هذا وان البخلاء اغلب منهم وكان الانسان
قتورا بخيلا لان بناء امره على الحاجة والضنة بما يحتاج اليه وملاحظة العوض
فيما يبذل ولقد اتينا موسى تسع ايات بينات هي العصا واليد والجراد والقمل
والضفادع والدم وانفجار الماء من الحجر وانفلاق البحر ونتق الطور على بني اسرائيل و
قيل الطوفان والسنون ونقص الثمرات مكان الثلثة الاخيرة وعن صفوان ان يهوديا
سال النبي صلعم فقال ان لا تشركوا بالله شيا ولا تسرقوا ولا تزنوا ولا تقتلوا النفس التي حرم
الله الا بالحق ولا تسحروا ولا تاكلوا الربوا ولا تمشوا ببري الى ذي سلطان ليقتله ولا
تقذفوا محصنة ولا تفروا من الزحف وعليكم خاصة اليهود ان لا تعتدوا في السبت فقبل
اليهودي يده ورجله فعلى هذا المراد بالايات الاحكام العامة للملل الثابتة في كل الشرايع
سميت بذلك لانها تدل على حال من يتعاطى متعلقها في الاخرة من السعادة والشقاوة
وقوله وعليكم خاصة اليهود ان لا تعدوا حكم مستانف زايد على الجواب ولذلك
غير فيه سياق الكلام فاسئل بني اسرائيل اذ جاءهم فقلنا له سلهم من فرعون ليرسلهم معك
او سلهم عن حال دينهم ويويده قراءة رسول الله صلعم فسال على لفظ الماضي بغير همز وهو لغة
قريش وفرعون اذ جاءهم او عن الايات ليظهر للمشركين صدقك او لتسلي نفسك

او لنعلم انه تعالى لو اتى بما اقترحوا لاصروا على العناد والمكابرة كمن قبلهم او ليزداد يقينك
لان تظاهر الادلة يوجب قوة اليقين وطمانينة القلب وعلى هذا كان اذ نصبا بآتينا
او باضمار اذكر على الاستيناف فقال له فرعون اني لاظنك يا موسى مسحورا سحرت
فتخبط عقلك قال لقد علمت يا فرعون وقرا الكسائي بالضم على اخباره عن نفسه ما
انزل هؤلاء يعني الآيات الا رب السموات والارض بصائر بينات تبصرك صدقي
ولكنك تعاند وانتصابه على الحال واني لاظنك يا فرعون مثبورا مصروفا عن الخير
مطبوعا على الشر من قولهم ما ثبرك عن هذا اي ما صرفك او هالكا قارع ظنه بظنه
وشتان ما بين الظنين فان ظن فرعون كذب بحت وظن موسى يحوم حول اليقين من تظاهر
اماراته وقرئ وان اخالك يا فرعون لمثبورا على ان المخففة واللام هي الفارقة فاراد
فرعون ان يستفزهم ان يستخف موسى وقومه وينفيهم من الارض ارض مصر او الارض
مطلقا بالقتل والاستئصال فاغرقناه ومن معه جميعا فعكسنا عليه مكره فاستفززناه
وقومه بالاغراق وقلنا من بعده من بعد فرعون واغراقه لبني اسرائيل اسكنوا
الارض التي اراد ان يستفزكم منها فاذا جاء وعد الآخرة الكرة او الحيوة او الساعة او
الدار الآخرة يعني قيام القيمة جئنا بكم لفيفا مختلطين اياكم واياهم ثم نحكم بينكم
ونميز سعداءكم من اشقيائكم واللفيف الجماعات من قبائل شتى وبالحق انزلناه و
بالحق نزل اي وما انزلنا القرآن الا ملتبسا بالحق المقتضي لانزاله وما نزل الا ملتبسا
بالحق الذي اشتمل عليه وقيل وما انزلناه من السماء الا محفوظا بالرصد من الملائكة وما
نزل على الرسول الا محفوظا بهم من تخليط الشياطين ولعله اراد به نفي اعتراء البطلان
له اول الامر وآخره وما ارسلناك الا مبشرا للمطيع بالثواب ونذيرا للعاصي من
العقاب فلا عليك الا التبشير والانذار وقرآنا فرقناه نزلناه مفرقا منجما وقيل
فرقنا فيه الحق من الباطل فحذف الجار كما في قوله ويوم شهدناه وقرئ بالتشديد
لكثرة نجومه فانه نزل في تضاعيف عشرين سنة لتقراه على الناس على مكث على
مهل وتؤدة فانه ايسر للحفظ واعون للفهم وقرئ بالفتح وهو لغة فيه ونزلناه تنزيلا
على حسب الحوادث قل آمنوا به او لا تؤمنوا فان ايمانكم بالقرآن لا يزيده
كمالا وامتناعكم عنه لا يورثه نقصا وقوله ان الذين اوتوا العلم من
قبله تعليل له اي ان لم تؤمنوا به فقد آمن به من هو خير منكم وهم العلماء الذين
قرؤا الكتب السالفة وعرفوا حقيقة الوحي وامارات النبوة وتمكنوا من الميز بين المحق
والمبطل او راوا نعتك وصفة ما انزل اليك في تلك الكتب ويجوز ان يكون تعليلا لقل
على سبيل التسلية كانه قيل تسل بايمان العلماء عن ايمان الجهلة ولا تكترث بايمانهم
واعراضهم واذا يتلى عليهم القرآن يخرون للاذقان سجدا يسقطون على وجوههم
تعظيما لامر الله او شكرا لانجاز وعده في تلك الكتب ببعثة محمد عليه السلام على فترة

من الرسل

من الرسل وانزال القرآن عليه عن خلف الموعد ويقولون سبحان ربنا ان كان
وعد ربنا لمفعولا انه كان وعده كائنا لا محالة ويخرون للاذقان يبكون
كرره لاختلاف الحال والسبب فان الاول للشكر عند انجاز الوعد والثاني
لما اثر فيهم من مواعظ القرآن حال كونهم باكين من خشية الله و
ذكر الذقن لانه اول ما يلقى الارض من وجه الساجد واللام فيه للاختصاص
الخرور فيه ويزيدهم سماع القرآن خشوعا كما يزيدهم علما ويقينا
بالله قل ادعوا الله او ادعوا الرحمن نزلت حين سمع المشركون رسول الله
يقول يا الله يا رحمن فقالوا انه ينهانا ان نعبد الهين وهو يدعو الها آخر او قالت
اليهود انك لتقل ذكر الرحمن وقد اكثره الله في التورية والمراد على الاول
هو التسوية بين اللفظين بانهما يطلقان على ذات واحدة وان اختلف اعتبار
اطلاقهما والتوحيد انما هو للذات الذي هو المعبود وعلى الثاني انهما سيان
في حسن الاطلاق والافضاء الى المقصود وهو اجود لقوله ايا ما تدعوا فله
الاسماء الحسنى والدعاء في الآية بمعنى التسمية وهو يتعدى الى مفعولين حذف اولهما
استغناء عنه واو للتخيير والتنوين في ايا عوض عن المضاف اليه وما صلة للتاكيد
ما في اي من الابهام والضمير في فله للمسمى لان التسمية له لا للاسم وكان اصل الكلام
ايا ما تدعوا فهو حسن فوضع موضعه فله الاسماء الحسنى للمبالغة والدلالة
على ما هو الدليل عليه وكونها حسنى لدلالتها على صفات الجلال والاكرام
ولا تجهر بصلوتك بقراءة صلاتك حتى يسمع المشركون فان ذلك يحملهم على السب
واللغو فيها ولا تخافت بها حتى لا يسمع من خلفك من المؤمنين وابتغ بين ذلك
سبيلا بين الجهر والمخافتة سبيلا وسطا فان الاقتصاد في جميع الامور محبوب
روي ان ابا بكر كان يخفت ويقول اناجي ربي وقد علم حاجتي وعمر كان يجهر
ويقول اطرد الشيطان واوقظ الوسنان فلما نزلت امر رسول الله صلعم ابا بكر
ان يرفع قليلا وعمر ان يخفض قليلا وقيل معناه لا تجهر بصلوتك كلها ولا تخافت
بها باسرها وابتغ بين ذلك سبيلا بالاخفات نهارا والجهر ليلا وقل الحمد لله الذي
لم يتخذ ولدا ولم يكن له شريك في الملك في الالوهية ولم يكن له ولي
من الذل ولي يواليه من اجل مذلة به ليدفعها بموالاته نفى عنه ان يكون له
ما يشاركه في جنسه ومن غير جنسه اختيارا او اضطرارا وما يعاونه ويقويه
ورتب الحمد عليه للدلالة على انه الذي يستحق جنس الحمد ولذلك عطف عليه
قوله وكبره تكبيرا وفيه تنبيه على ان العبد وان بالغ في التنزيه والتحميد
واجتهد في العبادة والتمجيد ينبغي ان يعترف بالقصور عن حقه في ذلك روي
انه عليه السلام من قرا سورة بني اسرائيل فرق قلبه عند ذكر الوالدين

ولد سنيشام العوج معنى الميل يستفاد من تنكير عوجا قوله وهو في المعاني العوج بالكسر المعنى كالعوج بالفتح في الاعيان فان العوج بالكسر يكون فيما يدرك بالبصيرة والفكر كما في الدين وامر المعاش وغيرهما واما العوج بالفتح فانما يكون في الاعيان كالخشب المنصوب قوله مستقيما معتدلا لا افراط فيه ولا تفريط قوله او قيما بالمصالح مشعر بان واسطة حرف العطف ارادة ومعنى التقدم يكون ذكر قيما بعد قوله ولم يجعل له عوجا وصفا للكتاب بانه مكمل بعد وصفه بالكمال فان نفي العوج عنه وصف سلبي دال على كماله في نفسه ثم وصفه بانه قيم بمصالح العباد او قيم على الكتب السالفة وصف له بالتكميل

كان له قنطار في الجنة والقنطار الف اوقية ومائتا اوقية **سورة الكهف مكية** وقيل الا قوله واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم الاية وهي مائة واحدى عشرة اية **بسم الله الرحمن الرحيم**

الحمد لله الذي انزل على عبده الكتاب يعني القران رتب استحقاق الحمد على انزاله تنبيها على انه اعظم نعمائه وذلك لانه الهادي الى ما فيه كمال العباد والداعي الى ما به ينتظم صلاح المعاش والمعاد **ولم يجعل له عوجا** شيا من العوج باختلال في اللفظ وتناف في المعنى او انحراف من الدعوة الى جناب الحق وهو في المعنى كالعوج في الاعيان **قيما** مستقيما معتدلا لا افراط فيه ولا تفريط او قيما بمصالح العباد فيكون وصفا له بالتكميل بعد وصفه بالكمال او على الكتب السابقة يشهد بصحتها وانتصابه بمضمر تقديره جعله قيما او على الحال من الضمير في له او من الكتاب على ان الواو في ولم يجعل للحال دون العطف اذ لو كان للعطف لكان المعطوف فاصلا بين بعض المعطوف عليه ولذلك قيل فيه تقديم وتاخير وقرئ قيما **لينذر باسا شديدا** اي لينذر الذين كفروا عذابا شديدا فحذف المفعول الاول اكتفاء بدلالة القرينة واقتصارا على الغرض المسوق اليه **من لدنه** صادرا من عنده وقرا ابو بكر باسكان الدال اسكان الباء من سبع مع الاشمام ليدل على اصله وكسر النون لالتقاء الساكنين وكسر الهاء للاتباع **ويبشر المومنين الذين يعملون الصالحات ان لهم اجرا حسنا** هو الجنة **ماكثين فيه** في الاجر **ابدا** بلا انقطاع **وينذر الذين قالوا اتخذ الله ولدا** خصهم بالذكر وكرر الانذار متعلقا بهم استعظاما لكفرهم وانما لم يذكر المنذر به استغناء بتقدم ذكره **ما لهم به من علم** اي بالولد او باتخاذه او بالقول والمعنى انهم يقولونه عن جهل مفرط وتوهم كاذب او تقليد لما سمعوه من اوائلهم من غير علم بالمعنى الذي ارادوا به فانهم كانوا يطلقون الاب والابن بمعنى المؤثر والاثر او بالله اذ لو علموه لما جوزوا نسبة الاتخاذ اليه **ولا لابائهم** الذين تقولوه بمعنى التبني **كبرت كلمة** عظمت مقالتهم هذه في الكفر لما فيها من التشبيه والتشريك وايهام احتياجه تعالى الى ولد يعينه ويخلفه الى غير ذلك من الزيغ وكلمة نصب على التمييز وقرئ بالرفع على الفاعلية والاول ابلغ وادل على المقصود **تخرج من افواههم** صفة لها تفيد استعظام اجترائهم على اخراجها من افواههم والخارج بالذات هو الهواء الحامل لها وقيل صفة محذوف هو المخصوص بالذم لان كبر ههنا بمعنى بئس وقرئ كبرت بالسكون مع الاشمام **ان يقولون الا كذبا** **فلعلك باخع نفسك** قاتلها **على اثارهم** اذ ولوا عن الايمان لما تداخله من الوجد على توليهم بمن فارقته اعزته فهو يتحسر على اثارهم ويبخع نفسه وجدا عليهم وقرئ

باخع نفسك على الاضافة **ان لم يؤمنوا بهذا الحديث** بهذا القران **اسفا** للتاسف عليهم او متاسفا عليهم والاسف فرط الحزن والغضب وقرئ ان بالفتح على لان فلا يجوز اعمال باخع الا اذا جعل حكاية حال ماضية **انا جعلنا ما على الارض** من الحيوان والنبات والمعادن **زينة لها** ولاهلها **لنبلوهم ايهم احسن عملا** في تعاطيه وهو من زهد فيه ولم يغتر به وقنع منه بما يزجي به ايامه وصرفه على ما ينبغي وفيه تسكين لرسول الله **وانا لجاعلون ما عليها صعيدا جرزا** تزهيد فيه والجرز الارض التي قطع نباتها من الجرز وهو القطع والمعنى انا لنعيد ما عليها من الزينة ترابا مستويا بالارض ونجعله كصعيد املس لا نبات فيه **ام حسبت** بل احسبت **ان اصحاب الكهف والرقيم** في ابقاء حياتهم مدة مديدة **كانوا من اياتنا عجبا** وقصتهم بالاضافة الى خلق ما على الارض من الاجناس والانواع الفائتة للحصر على طباع متباعدة وهيات متخالفة تعجب الناظرين من مادة واحدة ثم ردها اليه ليس بعجيب مع انه من ايات الله كالنزر الحقير والكهف الغار الواسع في الجبل والرقيم اسم الجبل او الوادي الذي فيه كهفهم او اسم قريتهم او كلبهم قال امية ابن ابي الصلت وليس بها الا الرقيم مجاورا وصيدهم والقوم في الكهف همدا او لوح رصاص او حجري رقمت فيه اسماؤهم وجعلت على باب الكهف وقيل اصحاب الرقيم قوم اخرون كانوا ثلثة خرجوا يرتادون لاهلهم فاخذتهم السماء فاووا الى الكهف فانحطت صخرة فسدت بابه فقال احدهم اذكروا ايكم عمل حسنة لعل الله يرحمنا ببركته فقال واحد استعملت اجراء ذات يوم فجاء رجل وسط النهار وعمل في بقيته مثل عملهم فاعطيته مثل اجرهم فغضب احدهم وترك اجره فوضعته في جانب البيت ثم مر بي بقرة فاشتريت به فصيلة فبلغت ما شاء الله فرجع الي بعد حين شيخا ضعيفا لا اعرفه وقال ان لي عندك حقا وذكره حتى عرفته فدفعتها اليه جميعا اللهم ان كنت فعلت ذلك لوجهك فافرج عنا فانصدع الجبل حتى راوا الضوء وقال اخر كان في فضل واصابت الناس شدة فجاءتني امراة فطلبت مني معروفا فقلت والله ما هو دون نفسك فابت وعادت ثم رجعت ثلثا ثم ذكرت لزوجها فقال اجيبي له واغيثي عيالك فاتت وسلمت الي نفسها فلما كشفتها وهممت بها ارتعدت فقلت ما لك فقالت اخاف الله فقلت لها خفتيه في الشدة ولم اخفه في الرخاء فتركتها واعطيتها ملتمسها اللهم ان فعلت لوجهك فافرج عنا فانصدع حتى تعارفوا وقال الثالث كان لي ابوان هرمان وكانت لي غنم وكنت اطعمهما واسقيهما ثم ارجع الى غنمي فحبسني ذات يوم غيث فلم ارح حتى امسيت فاتيت اهلي واخذت محلبي فحلبت فيه ومضيت اليهما فوجدتهما نائمين فشق علي ان اوقظهما فتوقفت جالسا ومحلبي على يدي حتى ايقظهما الصبح فسقيتهما اللهم ان فعلته لوجهك فافرج عنا ففرج الله تعالى عنهم فخرجوا وقد رفع ذلك نعمان ابن بشير

اذ اوى الفتية الى الكهف يعني فتية من اشراف الروم ارادهم دقيانوس على
الشرك فابوا وهربوا الى الكهف فقالوا ربنا اتنا من لدنك رحمة توجب
لنا المغفرة والرزق والامن من العدو وهيئ لنا من امرنا من الامر الذي
نحن عليه من مفارقة الكفار رشدا نصير بسببه راشدين مهتدين او
اجعل امرنا كله رشدا كقولك رايت منك اسدا واصل التهيئة احداث هيئة
الشيء فضربنا على اذانهم اي ضربنا عليها حجابا يمنع السماع بمعنى انمناهم انامة
لا تنبههم فيها الاصوات فحذف المفعول كما حذف في قولهم بنى على امراته
في الكهف سنين ظرفان لضربنا عددا اي ذوات عدد ووصف السنين به يحتمل
التقليل والتكثير فان مدة لبثهم كبعض يوم عنده ثم بعثناهم ايقظناهم
لنعلم ليتعلق علمنا تعلقا حاليا مطابقا لتعلقه اولا تعلقا استقباليا اي الحزبين
المختلفين منهم او من غيرهم في مدة لبثهم احصى لما لبثوا امدا ضبط امدا لزمان
لبثهم وما في اي من معنى الاستفهام علق عنه لنعلم فهو مبتدا و
احصى خبره وهو فعل ماض وامدا مفعوله ولما لبثوا حال منه او مفعول له وقيل
انه المفعول واللام مزيدة وما موصولة وامدا تمييز وقيل احصى اسم تفضيل من
الاحصاء بحذف الزوائد كقولهم هو احصى للمال وافلس من ابن المذلق وامدا نصب
بفعل دل عليه كقوله واضرب منا بالسيوف القوانسا نحن نقص عليك نباهم
بالحق بالصدق انهم فتية شبان جمع فتى كصبي وصبية امنوا بربهم وزدناهم
هدى بالتثبيت وربطنا على قلوبهم وقويناها بالصبر على هجر الوطن والاهل
والمال والجراة على اظهار الحق والرد على دقيانوس الجبار اذ قاموا بين
يديه فقالوا ربنا رب السموات والارض لن ندعو من دونه لقد قلنا
اذا شططا والله لقد قلنا قولا ذا شطط اي ذا بعد عن الحق مفرط عن الظلم
هولاء مبتدا قومنا عطف بيان اتخذوا من دونه الهة خبره وهو
اخبار في معنى انكار لولا ياتون هلا ياتون عليهم على عبادتهم بسلطان
بين ببرهان ظاهر فان الدين لا يوخذ الا به وفيه دليل على ان ما لا دليل عليه
من الديانات مردود وان التقليد فيه غير جائز فمن اظلم ممن افترى على الله
كذبا بنسبة الشريك اليه واذ اعتزلتموهم خطاب بعضهم لبعض وما
يعبدون الا الله عطف على الضمير المنصوب اي واذ اعتزلتم القوم ومعبوديهم
الا الله فانهم كانوا يعبدون الله ويعبدون الاصنام كسائر المشركين
ويجوز ان يكون ما مصدرية على تقدير واذ اعتزلتموهم وعبادتهم الا عبادة الله
وان يكون نافية على انه اخبار من الله تعالى عن الفتية بالتوحيد معترض بين اذ
وجوابه لتحقيق اعتزالهم فاووا الى الكهف ينشر لكم ربكم يبسط الرزق

لكم

[illegible]

لكم ويوسع عليكم من رحمته في الدارين ويهيئ لكم من امركم
مرفقا ما ترتفقون به اي ينتفعون وجزمهم بذلك لخلوص يقينهم وقوة وثوقهم
بفضل الله وقرا نافع وابن عامر مَرفقا بفتح الميم وكسر الفاء وهو مصدر جاء شاذا
كالمرجع والمحيض فان قياسه الفتح وترى الشمس لو رايتهم والخطاب لرسول الله
او لكل احد اذا طلعت تزاور عن كهفهم تميل عنه ولا يقع شعاعها
عليهم فيؤذيهم لان الكهف كان جنوبيا او لان الله تعالى زورها عنهم واصله تتزاور
فادغمت التاء في الزاء وقرا الكوفيون بحذفها وابن عامر ويعقوب تزور
كتحمر وقرئ تزاور كتحامر وكلها من الزور بمعنى الميل ذات اليمين جهة
اليمين وحقيقتها الجهة ذات اسم اليمين واذا غربت تقرضهم تقطعهم وتصرم
عنهم ذات الشمال يعني يمين الكهف وشماله لقوله وهم في فجوة منه اي وهم في متسع
من الكهف يعني في وسطه بحيث ينالهم روح الهواء ولا يوذيهم كرب الغار ولا
حر الشمس وذلك لان باب الكهف في مقابلة بنات النعش واقرب المشارق والمغارب
الى محاذاته مشرق راس السرطان ومغربه والشمس اذا كان مدارها مداره تطلع
مائلة عنه مقابلة لجانبه الايمن وهو الذي يلي المغرب وتغرب محاذية لجانبه
الايسر فيقع شعاعها على جنبيه ويحلل عفونته ويعدل هواءه ولا يقع عليهم فيؤذي
اجسادهم ويبلي ثيابهم ذلك من ايات الله اي شانهم وايواؤهم الى كهف شانه كذلك
واخبارك قصتهم او ازورار الشمس وقرضها طالعة وغاربة من اياته من يهدي
الله بالتوفيق فهو المهتد الذي اصاب الفلاح والمراد به اما الثناء عليهم او التنبيه
على ان امثال هذه الايات كثيرة ولكن المنتفع بها من وفقه الله للتامل فيها و
الاستبصار بها ومن يضلل ومن يخذله فلن تجد له وليا مرشدا من يليه ويرشده
وتحسبهم ايقاظا لانفتاح عيونهم او لكثرة تقلبهم وهم رقود نيام ونقلبهم
في رقدتهم ذات اليمين وذات الشمال كيلا تاكل الارض ما يليها من ابدانهم على طول الزمان
وقرئ ويقلبهم بالياء والضمير لله تعالى وتقلبهم على المصدر منصوبا بفعل يدل عليه وتحسبهم
اي وترى تقلبهم وكلبهم هو كلب مر بهم فتبعهم فطردوه فانطقه الله تعالى فقال
انا احب احباء الله فناموا وانا احرسكم او كلب راع مروا به فتبعهم وتبعه
الكلب ويؤيده قراءة من قرا وكالبهم اي وصاحبهم باسط ذراعيه حكاية
حال ماضية ولذلك اعمل اسم الفاعل بالوصيد بفناء الكهف وقيل الوصيد الباب
وقيل العتبة لو اطلعت عليهم فنظرت اليهم وقرئ لو اطلعت بضم الواو لوليت
منهم فرارا لهربت منهم وفرارا يحتمل المصدر لانه نوع من التولية والعلة والحال
ولملئت منهم رعبا خوفا يملا صدرك بما البسهم الله من الهيبة او لعظم اجرامهم و
انفتاح عيونهم وقيل لوحشة مكانهم وعن معوية انه غزا الروم فمر بالكهف فقال لو

لو كشف لنا عن هؤلاء فنظرنا اليهم فقال له ابن عباس ليس لك ذلك قد منع الله
من هو خير منك فقال لو اطلعت عليهم لوليت منهم فرارا فلم يسمع وبعث ناسا
فلما دخلوا جاءت ريح فاحرقتهم وقرا الحجازيان ولملئت بالتشديد للمبالغة
وعن ابن عامر والكسائي ويعقوب رعبا بالتثقيل وكذلك بعثناهم وكما
انمناهم آية بعثناهم آية على كمال قدرتنا ليتساءلوا بينهم ليسال بعضهم بعضا
فيتعرفوا حالهم وما صنع الله بهم فيزدادوا يقينا على كمال قدرة الله و
يستبصروا به امر البعث ويشكروا ما انعم به عليهم قال قائل منهم كم لبثتم قالوا
لبثنا يوما او بعض يوم بناء على غالب ظنهم لان النائم لا يحصي مدة نومه ولذلك
احالوا العلم الى الله قالوا ربكم اعلم بما لبثتم ويجوز ان يكون ذلك قول بعضهم
وهذا انكار الاخرين عليهم وقيل انهم دخلوا الكهف غدوة وانتبهوا ظهيرة فظنوا
انهم في يومهم او اليوم الذي بعده قالوا ذلك فلما نظروا الى طول اظفارهم
واشعارهم قالوا هذا ثم لما علموا ان الامر ملتبس لا طريق لهم الى علمه اخذوا
فيما يهمهم وقالوا فابعثوا احدكم بورقكم هذه الى المدينة والورق
الفضة مضروبة كانت او غيرها وقرا ابو بكر وحمزة وابو عمرو وروح عن يعقوب
بالتخفيف وقرئ بالتثقيل وادغام القاف في الكاف وبالتخفيف مكسور الواو
مدغما او غير مدغم ورد المدغم لالتقاء الساكنين على غير حده وحملهم له دليل على
ان التزود راي المتوكلين والمدينة طرسوس فلينظر ايها اي اهلها ازكى
طعاما احل واطيب واكثر وارخص فليأتكم برزق منه وليتلطف
وليتكلف اللطف في المعاملة حتى لا يغبن او في التخفي حتى لا يعرف ولا يشعرن
بكم احدا ولا يفعلن ما يؤدي الى الشعور انهم ان يظهروا عليكم
ان يطلعوا عليكم او يظفروا بكم والضمير للاهل المقدر في ايها يرجموكم
يقتلوكم بالرجم او يعيدوكم في ملتهم او يصيروكم اليها كرها من العود
بمعنى الصيرورة وقيل كانوا اولا على دينهم فآمنوا ولن تفلحوا اذا ابدا ان
دخلتم في ملتهم وكذلك اعثرنا عليهم وكما انمناهم وبعثناهم لتزداد
بصيرتهم اطلعنا عليهم ليعلموا الذين اطلعناهم على حالهم ان وعد الله بالبعث
او الموعود الذي هو البعث حق لان نومهم وانتباههم كحال من يموت
ثم يبعث وان الساعة لا ريب فيها وان القيامة لا ريب في امكانها فان من توفى
نفوسهم وامسكها ثلثمائة سنين حافظا ابدانها عن التحلل والتفتت ثم ارسلها
اليها قدر ان يتوفى نفوس جميع الناس ممسكا اياها الى ان يحشر ابدانها فيردها
عليها اذ يتنازعون ظرف لاعثرنا اي اعثرنا عليهم حين يتنازعون بينهم امرهم
امر دينهم وكان بعضهم يقول تبعث الارواح مجردة وبعضهم يقول يبعثان معا

لم تنفع

لم تنفع الحلاوة في سن انهما يبعثان معا او امر الفتية حين اماتهم الله ثانيا بالموت
فقال بعضهم ماتوا وقال الآخرون ناموا نومهم اول مرة او قالت طائفة نبني عليهم بنيانا
يسكنه الناس ويتخذونه قرية وقال الآخرون لنتخذن عليهم مسجدا يصلى فيه كما قال تعالى
فقالوا ابنوا عليهم بنيانا ربهم اعلم بهم قال الذين غلبوا على امرهم لنتخذن
عليهم مسجدا وقوله ربهم اعلم بهم اعتراض اما من الله ردا على الخائضين في امرهم
من اولئك المتنازعين فيهم على عهد الرسول او من المتنازعين للرد الى الله بعدما
تذاكروا امرهم وتناقلوا الكلام في انسابهم واحوالهم فلم يتحقق لهم ذلك حكي ان
المبعوث لما دخل السوق واخرج الدرهم وكان عليه اسم دقيانوس اتهموه بانه
وجد كنزا فذهبوا به الى الملك وكان نصرانيا موحدا فقص عليه القصص فقال بعضهم
ان اباءنا اخبرونا ان فتية فروا بدينهم من دقيانوس فلعلهم هؤلاء فانطلق الملك واهل
المدينة من مؤمن وكافر وابصروهم وكلموهم ثم قالت الفتية للملك نستودعك
الله ونعيذك به من شر الجن والانس ثم رجعوا الى مضاجعهم فماتوا فدفنهم الملك
في الكهف وبنى عليهم مسجدا وقيل لما انتهوا الى الكهف قال لهم الفتى مكانكم حتى ادخل اولا
لئلا يفزعوا فدخل فعمي عليهم المدخل فبنوا ثم مسجدا سيقولون اي الخائضون في قصتهم
في عهد الرسول صلعم من اهل الكتاب والمؤمنين ثلاثة رابعهم كلبهم اي هم
ثلاثة رجال يربعهم كلبهم بانضمامه اليهم قيل هو قول اليهود وقيل قول السيد من النصارى
نجران وكان يعقوبيا ويقولون خمسة سادسهم كلبهم قاله النصارى او العاقب منهم
وكان نسطوريا رجما بالغيب يرمون رميا بالخبر الخفي الذي لا مطلع لهم عليه واتيانا
به او ظنا بالغيب من قولهم رجم بالظن اذا ظن وانما لم يذكر بالسين اكتفاء بعطفه
على ما هو فيه ويقولون سبعة وثامنهم كلبهم انما قاله المسلمون باخبار الرسول لهم عن
جبريل وايماء الله اليه بان اتبعه قوله قل ربي اعلم بعدتهم ما يعلمهم الا قليل واتبع
الاولين قوله رجما بالغيب وبان اثبت العلم بهم لطائفة بعدما حصر اقوال الطوائف في
الثلاثة المذكورة فان عدم ايراد رابع في نحو هذا المحل دليل العدم مع ان الاصل
نفيه ثم رد الاولين بان اتبعهما قوله رجما بالغيب ليتعين الثالث وبان ادخل
فيه الواو على الجملة الواقعة صفة للنكرة تشبيها لها بالواقعة حالا عن المعرفة لتاكيد
لصوق الصفة بالموصوف والدلالة على ان اتصافه بها امر ثابت وعن علي رضي
سبعة وثامنهم كلبهم اسماؤهم تمليخا ومكشلينا ومشلينا هؤلاء اصحاب يمين الملك
ومرنوش ودبرنوش وشاذنوش اصحاب يساره وكان يستشيرهم والسابع
الراعي الذي وافقهم واسم كلبهم قطمير واسم مدينتهم افسوس وقيل الاقوال الثلاثة
لاهل الكتاب والقليل منهم فلا تمار فيهم الا مراء ظاهرا فلا تجادل في شان الفتية
الا جدالا ظاهرا غير متعمق فيه وهو ان تقص عليهم ما في القرآن من غير تجهيل لهم

والرد عليهم ولا تستفت فيهم منهم احدا ولا تسال احدا منهم عن قصتهم سوال
مسترشد فان فيما اوحي اليك لمندوحة عن غيره مع انه لا علم لهم بها ولا سوال
متعنت تريد تفضيح المسول عنه وتزييف ما عنده فانه يخل بمكارم الاخلاق ولا تقولن
لشي اني فاعل ذلك غدا الا ان يشاء الله نهي تاديب من الله لنبيه عليه السلام
حين قالت اليهود لقريش سلوه عن الروح واصحاب الكهف وذي القرنين فسالوه
فقال ائتوني غدا اخبركم ولم يستثن فابطا عليه الوحي بضعة عشر يوما حتى شق
عليه وكذبته قريش والاستثناء من النهي اي ولا تقولن لاجل شي تعزم عليه اني فاعل
فيما يستقبل الا بان يشاء الله ملتبسا بمشيته قايلا ان شاء الله او الا وقت ان يشاء
الله ان تقوله بمعنى ان ياذن لك فيه ولا يجوز تعليقه بفاعل لان استثناء اقتران المشية
بالفعل غير سديد واعتراضها دونه لا يناسب النهي واذكر ربك مشية ربك وقل ان
شاء الله كما روي انه لما نزل قال عليه السلام ان شاء الله اذا نسيت اذا فرط
منك نسيان لذلك ثم تذكرته وعن ابن عباس ولو بعد سنة ما لم يحنث ولذلك
جوز تاخير الاستثناء عنه وعامة الفقهاء على خلافه لانه لو صح ذلك لم تتقرر اقرار
ولا طلاق ولا عتاق ولم يعلم صدق ولا كذب وليس في الاية والخبر ان الاستثناء
المتدارك به من القول السابق بل هو مقدر مدلول به عليه ويجوز ان يكون المعنى من ب
فاذكر ربك بالتسبيح والاستغفار اذا نسيت الاستثناء مبالغة في الحث عليه
او اذكر ربك وعقابه اذا تركت بعض ما امرك به ليبعثك على التدارك او اذكره
اذا اعتراك النسيان ليذكرك المنسي وقل عسى ان يهدين ربي لاقرب
من هذا رشدا لاقرب رشدا واظهر دلالة على اني نبي من نبا اصحاب الكهف
وقد هداه لاعظم من ذلك كقصص الانبياء المتباعدة عنه ايامهم والاخبار بالغيوب
والحوادث النازلة في الاعصار المستقبلة الى قيام الساعة او لاقرب رشدا
وادنى خيرا من المنسي ولبثوا في كهفهم ثلثمائة سنين وازدادوا تسعا
يعني لبثهم فيه احياء مضروبا على اذانهم وهو بيان لما اجمل قبل وقيل انه حكاية
كلام اهل الكتاب فانهم اختلفوا في مدة لبثهم كما اختلفوا في عدتهم فقال
بعضهم ثلثمائة وقال بعضهم ثلثمائة وتسع سنين وقرا حمزة والكسائي ثلثمائة
سنين بالاضافة على وضع الجمع موضع الواحد ويحسنه ههنا ان علامة الجمع فيه
جبر لما حذف من الواحد وان الاصل في العدد اضافته الى الجمع ومن لم يضف
ابدل السنين من ثلث قل الله اعلم بما لبثوا له غيب السموات والارض له ما غاب فيهما
وخفي من احوال اهلها فلا خلق يخفى عليه علما ابصر به واسمع ذكر بصيغة التعجب للدلالة على
ان امره في الادراك خارج عما عليه ادراك السامعين والمبصرين اذ لا يحجبه شي
ولا يتفاوت دونه لطيف وكثيف وصغير وكبير وخفي وجلي والهاء تعود الى الله ومحله الرفع

على الفاعلية

على الفاعلية والباء مزيدة عند سيبويه وكان اصله ابصر اي صار ذا بصر ثم نقل الى صيغة الامر بمعنى
الانشاء فبرز الضمير لعدم لياقة الصيغة له او لزيادة الباء كما في قوله وكفى به والنصب على المفعولية
عند الاخفش والفاعل ضمير المامور وهو كل احد والباء مزيدة ان كانت الهمزة للتعدية
ومعدية ان كانت للصيرورة ما لهم الضمير لاهل السموات والارض من دونه من ولي
من يتولى امورهم ولا يشرك في حكمه في قضايه احدا منهم ولا يجعل له فيه مدخلا و
قرا ابن عامر وقالون عن يعقوب بالتاء والجزم على نهي كل احد من الاشراك ثم لما دل
اشتمال القران على قصة اصحاب الكهف من حيث انها من المغيبات بالاضافة الى الرسول
على انه وحي معجز امره ان يداوم درسه ويلازم اصحابه فقال واتل ما اوحي اليك
من كتاب ربك من القران ولا تسمع لقولهم ايت بقران غير هذا او بدله لا مبدل
لكلماته لا احد يقدر على تبديلها وتغييرها غيره ولن تجد من دونه ملتحدا ملتجا تعدل
اليه ان هممت به واصبر نفسك واحبسها وثبتها مع الذين يدعون ربهم بالغداة
والعشي في مجامع اوقاتهم او في طرفي النهار وقرا ابن عامر بالغدوة وفيه ان غدوة
علم في الاكثر فتكون اللام فيه على تاويل التنكير يريدون وجهه رضا الله و
طاعته ولا تعد عيناك عنهم ولا تجاوزهم نظرك الى غيرهم وتعديته بعن لتضمينه
معنى نبا وقرئ ولا تعد عينيك ولا تعد من اعداه وعداه والمراد نهي الرسول
ان يزدري بفقراء المومنين وتعلو عينه عن رثاثة زيهم طموحا الى طراوة زي الاغنياء
تريد زينة الحيوة الدنيا حال من الكاف في المشهورة ومن المستكن في الفعل في غيرها
ولا تطع من اغفلنا قلبه من جعلنا قلبه غافلا عن ذكرنا كامية بن خلف في
دعايك الى طرد الفقراء عن مجلسك لصناديد قريش وفيه تنبيه على ان الداعي له الى هذا
الاستدعاء غفلة قلبه عن المعقولات وانهماكه في المحسوسات حتى خفي عليه
ان الشرف بحلية النفس لا بزينة الجسد وانه لو اطاعه كان مثله في الغباوة والمعتزلة لما غاظهم
اسناد الاغفال الى الله قالوا انه مثل اجبنته اذا وجدته كذلك او نسبته اليه او من اغفل
ابله اذا تركها بغير سمة اي لم نسم بذكرنا كقلوب الذين كتبنا في قلوبهم الايمان
واحتجوا على ان المراد ليس ظاهر ما ذكر اولا بقوله واتبع هواه وجوابه ما مر غير
مرة وقرئ واغفلنا باسناد الفعل الى القلب على معنى حسبنا قلبه غافلين عن ذكرنا
اياه بالمواخذة وكان امره فرطا اي تقدما على الحق ونبذا له وراء ظهره يقال فرس
فرط اي متقدم للخيل ومنه الفرط وقل الحق من ربكم ما يكون من جهة الله لا ما
يقتضيه الهوى ويجوز ان يكون الحق خبر محذوف ومن ربكم حالا ومن شاء فليومن
ومن شاء فليكفر لا ابالي بايمان من امن ولا كفر من كفر وهو لا
يقتضي استقلال العبد بفعله فانه وان كان بمشيته فمشيته ليست بمشيته انا اعتدنا
هيانا للظالمين نارا احاط بهم سرادقها فسطاطها شبه به ما يحيط بهم من النار وقيل

السرادق الحجرة التي يكون حول الفسطاط وقيل سرادقها دخانها وقيل حايط من نار وان
يستغيثوا من العطش يغاثوا بماء كالمهل كالجسد المذاب وقيل كدردي الزيت
وهو على طريقة قوله فاعتبوا بالصيلم يشوي الوجوه اذا قدم ليشرب من فرط حرارته
وهو صفة ثانية لماء او حال من المهل او الضمير في الكاف بيس الشراب المهل وساءت
النار مرتفقا متكا واصل الارتفاق نصب المرفق تحت الخد وهو لمقابلة قوله
وحسنت مرتفقا والا فلا ارتفاق لاهل النار ان الذين امنوا وعملوا الصالحات
انا لا نضيع اجر من احسن عملا خبر ان الاولى هي الثانية بما في حيزها والراجع محذوف
تقديره من احسن عملا منهم او مستغنى عنه بعموم من احسن عملا كما هو مستغنى
عنه في قولك نعم الرجل زيد او واقع موقعه الظاهر فان من احسن عملا على
الحقيقة لا يحسن اطلاقه الا على الذين امنوا وعملوا الصالحات او اوليك
لهم جنات عدن تجري من تحتهم الانهار وما بينهما اعتراض وعلى الاول
استيناف لبيان الاجر او خبر ثان يحلون فيها من اساور من ذهب من الاولى
للبيان والثانية للبيان صفة لاساور وتنكيرها لتعظيم حسنها من الاحاطة
به وهو جمع اسورة او اسوار جمع سوار ويلبسون ثيابا خضرا لان الخضرة
احسن الالوان واكثرها طراوة من سندس واستبرق مما رق من
الديباج وما غلظ منه جمع بين النوعين للدلالة على ان فيها ما تشتهي الانفس وتلذ
الاعين متكين فيها على الارايك على السرر كما هو هيئة المتنعمين نعم
الثواب نعم الجنة ونعيمها وحسنت الارايك مرتفقا متكا واضرب لهم
مثلا للكافر والمومن رجلين حال رجلين مقدرين او موجودين هما اخوان
من بني اسرايل كافر اسمه قطروس ومومن اسمه يهودا ورثا من ابيهما ثمانية
الاف دينار فتشاطرا فاشترى الكافر بها ضياعا وعقارا وصرفها المومن في وجوه
الخير وال امرهما الى ما حكاه الله وقيل الممثل بهما اخوان من بني مخزوم كافر
وهو الاسود بن عبد الاسد ومومن وهو ابو سلمة عبد الله زوج ام سلمة
قبل رسول الله صلعم جعلنا لاحدهما جنتين بستانين من اعناب من الكروم
والجملة بتمامها بيان للتمثيل او صفة للرجلين وحففناهما بنخل وجعلنا النخل
محيطة بهما موزرا بها كرومهما يقال حفه القوم اذا طافوا به وحففته بهم
اذا جعلتهم حافين حوله فتزيده البا مفعولا ثانيا كقولك غشيته به وجعلنا بينهما
وسطهما زرعا ليكون كل منهما جامعا للاقوات والفواكه متواصل العمارة
على الشكل الحسن والترتيب الانيق كلتا الجنتين اتت اكلها ثمرها وافراد
الضمير لافراد كلتا وقري كل الجنتين اتى اكله ولم تظلم منه ولم تنقص من اكلها شيا
يعهد في ساير البساتين فان الثمار تتم في عام وتنقص في عام غالبا وفجرنا خلالهما

نهرا يدوم شربهما فانه الاصل ويزيد بهاءهما وعن يعقوب ونفجر بالتخفيف وكان له
ثمر انواع من المال سوى الجنتين من ثمر ماله اذا كثره فقال لصاحبه وهو يحاوره
يراجعه في الكلام من حار اذا رجع انا اكثر منك مالا واعز نفرا حشما واعوانا وقيل
اولادا ذكورا لانهم الذين ينفرون معه ودخل جنته بصاحبه يطوف به فيها
ويفاخره بها وافراد الجنة لان المراد ما هو جنته وما متع به من الدنيا تنبيها على انه
لا جنة له غيرها ولا حظ له في الجنة التي وعد المتقون او لاتصال كل واحدة من
جنتيه بالاخرى او لان الدخول يكون في واحدة واحدة وهو ظالم لنفسه ضار لها بعجبه وكفره
قال ما اظن ان تبيد ان تفنى هذه الجنة ابدا لطول امله وتمادي غفلته واغتراره
بمهلته وما اظن الساعة قايمة كاينة ولين رددت الى ربي بالبعث كما زعمت
لاجدن خيرا منها من جنته وقرا الحجازيان والشامي منهما اي من الجنتين منقلبا مرجعا
وعاقبة لانها فانية وتلك باقية وانما اقسم على ذلك لاعتقاده انه تعالى انما اولاه ما
اولاه لاستيهاله واستحقاقه اياه لذاته وهو معه اينما لقيه قال له صاحبه وهو
يحاوره اكفرت بالذي خلقك من تراب لانه اصل مادتك او مادة اصلك
ثم من نطفة فانها مادتك القريبة ثم سواك رجلا ثم عدلك وكملك انسانا ذكرا
بالغا مبلغ الرجال جعل كفره بالبعث كفرا بالله لان منشاه الشك في كمال قدرة الله
ولذلك رتب الانكار على خلقه اياه من التراب فان من قدر على بدء خلقه منه قدر ان
يعيده منه لكنا هو الله ربي ولا اشرك بربي احدا اصله لكن انا فحذفت الهمزة بنقل
الحركة او دونه فتلاقت النونان فكان الادغام وقراة ابن عامر ويعقوب في رواية
بالالف في الوصل لتعويضها من الهمزة او لاجراء الوصل مجرى الوقف وقد قرى لكن انا
على الاصل وهو ضمير الشان وهو بالجملة الواقعة خبرا له خبر انا او ضمير الله والله بدله
وربي خبره والجملة خبر انا والاستدراك من اكفرت كانه قال انت كافر بالله لكني
مومن به وقد قرى لكن هو الله ربي ولكن انا لا اله الا هو ربي ولولا اذ دخلت
جنتك قلت وهلا قلت عند دخولها ما شاء الله الامر ما شاء الله او ما شاء الله كاين
على ان ما موصولة او اي شي شاء الله كان على انها شرطية والجواب محذوف اقرارا
بانها وما فيها بمشية الله ان شاء ابقاها وان شاء ابادها لا قوة الا بالله وقلت
لا قوة الا بالله اعترافا بالعجز على نفسك والقدرة لله وان ما تيسر لك من عمارتها وتدبير
امرها بمعونته واقداره وعن النبي صلعم من راى شيا فاعجبه فقال ما شاء الله لا قوة
الا بالله لم يضره ان ترن انا اقل منك مالا وولدا يحتمل ان يكون انا فصلا وان يكون تاكيدا
للمفعول الاول وقرى اقل بالرفع على انه خبر انا والجملة مفعول ثان لترن وفي قوله وولدا
دليل لمن فسر النفر بالاولاد فعسى ربي ان يوتين خيرا من جنتك في الدنيا والاخرة وهو
جواب الشرط ويرسل عليها على جنتك لكفرك حسبانا من السماء مرامي جمع حسبانة

وهي الصواعق وقيل هو مصدر بمعنى الحساب والمراد به التقدير بتخريبها او عذاب
حساب الاعمال السيئة فتصبح صعيدا زلقا ارضا ملساء يزلق عليها باستيصال نباتها
واشجارها او يصبح ماؤها غورا غايرا في الارض مصدر وصف به كالزلق فلن
تستطيع له طلبا للماء الغاير ترددا في رده واحيط بثمره واهلك امواله حسبما توقعه
صاحبه وانذره منه وهو ماخوذ من احاط به العدو فانه اذا احاط به غلبه واذا غلبه
اهلكه ونظيره اتى عليه اذا اهلكه من اتى عليهم العدو اذا جاءهم مستعليا عليهم فاصبح
يقلب كفيه ظهرا لبطن تلهفا وتحسرا على ما انفق فيها في عمارتها وهو متعلق بيقلب
لان تقليب الكفين كناية عن الندم وكانه قيل فاصبح يندم او حال اي متحسرا على ما انفق
فيها وهي خاوية ساقطة على عروشها بان سقطت عروشها على الارض وسقطت الكروم
فوقها ويقول عطف على يقلب او حال من ضميره يا ليتني لم اشرك بربي احدا كانه تذكر
موعظة اخيه وعلم انه اتى من قبل شركه فتمنى لو لم يكن مشركا فلم يهلك الله بستانه
ويحتمل ان يكون توبة من الشرك وندما على ما سبق منه ولم تكن له فئة وقرا حمزة
والكسائي بالياء لتقدمه ينصرونه يقدرون على نصره بدفع الهلاك او رد المهلك او
الاتيان بمثله من دون الله فانه القادر على ذلك وحده وما كان منتصرا وما
كان ممتنعا بقوته عن انتقام الله منه هنالك في ذلك المقام وتلك الحال الولاية لله
الحق النصرة له وحده لا يقدر عليها غيره تقريرا لقوله ولم تكن له فئة ينصرونه
او ينصر فيها اولياءه المؤمنين على الكفرة كما نصر فيما فعل باخيه المؤمن و
يعضده قوله هو خير ثوابا وخير عقبا اي لاوليائه وقرا حمزة والكسائي بالكسر ومعناها
السلطان والملك اي هنالك السلطان له لا يغلب ولا يمتنع منه او لا يعبد غيره كقوله
واذا ركبوا في الفلك دعوا الله مخلصين له الدين فيكون تنبيها على ان قوله يا ليتني
لم اشرك كان عن اضطرار وجزع عما دهاه وقيل هنالك اشارة الى الاخرة
وقرا عاصم وحمزة والكسائي عقبا بالسكون وقرئ عقبى وكلها بمعنى العاقبة واضرب لهم
مثل الحيوة الدنيا اذكر لهم ما يشبه الحيوة الدنيا في زهرتها وسرعة زوالها
او صفتها الغريبة كماء هو كماء ويجوز ان يكون مفعولا ثانيا لاضرب
على انه بمعنى صير انزلناه من السماء فاختلط به نبات الارض فالتف بسببه وخالط
بعضه بعضا من كثرته وتكاثفه او نجع في النبات حتى روي ورف وعلى هذا
كان حقه فاختلط بنبات الارض لكن لما كان كل من المختلطين موصوفا بصفة
صاحبه عكس للمبالغة في كثرته فاصبح هشيما مهشوما مكسورا تذروه الرياح
تفرقه وقرئ تذريه من اذرى والمشبه به ليس الماء ولا حاله بل الكيفية
المنتزعة من الجملة وهي حال النبات المنبت بالماء يكون اخضر نا تم هشيما تطيره
الرياح فيصير كان لم يكن وكان الله على كل شيء من الانشاء والافناء مقتدرا

الحق بالرفع صفة للولاية
وقرئ بالنصب على المصدر المؤكد
وقرأ عاصم وحمزة

قادرا

قادرا المال والبنون زينة الحيوة الدنيا يتزين بها الانسان في دنياه وتفنى
عنه عما قريب والباقيات الصالحات واعمال الخيرات التي تبقى له ثمرتها ابد
الاباد ويندرج فيها ما فسرت به من الصلوات الخمس واعمال الحج وصيام رمضان
وسبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر والكلام الطيب خير عند
ربك من المال والبنين ثوابا عائدة وخير املا لان صاحبها ينال بها في الاخرة
ما كان يامل بها في الدنيا ويوم نسير الجبال واذكر يوم نقلعها ونسيرها في الجو
او نذهب بها بان نجعلها هباء منثورا ويجوز عطفه على عند ربك اي الباقيات الصالحات
خير عند الله ويوم القيمة وقرا ابن كثير وابو عمرو وابن عامر تسير بالتاء
والبناء للمفعول وقرئ تسير من سارت وترى الارض بارزة بادية برزت
من تحت الجبال ليس عليها ما يسترها وقرئ وترى على بناء المفعول وحشرناهم وجمعناهم
الى الموقف ومجيئه ماضيا بعد نسير وترى لتحقيق الحشر او للدلالة على ان حشرهم
قبل التسيير ليعاينوا وتشاهدوا ما وعد لهم وعلى هذا تكون الواو للحال باضمار قد
فلم نغادر فلم نترك منهم احدا يقال غادره واغدره اذا تركه ومنه
الغدر لترك الوفاء والغدير لما غادره السيل وقرئ بالياء وعرضوا على ربك
تشبيه حالهم بحال الجند المعروض على السلطان لا ليعرفهم بل ليامر فيهم صفا
مصطفين لا يحجب احد احدا لقد جئتمونا على اضمار القول على وجه يكون حالا او عاملا
في يوم نسير كما خلقناكم اول مرة عراة لا شيء معكم من المال
والولد لقوله ولقد جئتمونا فرادى او احياء كخلقتكم الاولى لقوله بل زعمتم
الن نجعل لكم موعدا وقتا لانجاز الوعد بالبعث والنشور وان الانبياء
كذبوكم به وبل للخروج من قصة الى اخرى ووضع الكتاب صحايف الاعمال
في الايمان والشمائل او في الميزان وقيل هو كناية عن وضع الحساب فترى
المجرمين مشفقين خائفين مما فيه من الذنوب ويقولون يا ويلتنا
ينادون هلكتهم التي هلكوها من بين الهلكات ما لهذا الكتاب تعجبا
من شانه لا يغادر صغيرة هنة صغيرة ولا كبيرة الا احصيها الا عدها واحاط
بها ووجدوا ما عملوا حاضرا مكتوبا في الصحف ولا يظلم ربك احدا فيكتب عليه
ما لم يفعل او يزيد في عقابه الملائم لعمله واذ قلنا للملائكة اسجدوا لادم
فسجدوا الا ابليس كرره في مواضع لكونه مقدمة للامور المقصود بيانها
في تلك المحال وههنا لما شنع على المفتخرين واستقبح صنيعهم قرر ذلك بانه من سنن
ابليس او لما بين حال المغرور بالدنيا والمعرض عنها وكان سببا لاغترار بها
حب الشهوات وتسويل الشيطان زهدهم اولا في زخارف الدنيا بانها عرضة
الزوال والاعمال الصالحة خير وابقى من انفسها واعلاها ثم نفرهم عن الشيطان

بتذكير ما بينهم من العداوة القديمة وهكذا مذهب كل تكرير في القران
كان من الجن حال باضمار قد واستيناف للتعليل كانه قيل ماله لم يسجد
فقيل كان من الجن ففسق عن امر ربه فخرج عن امره بترك السجود
والفاء للسبب وفيه دليل على ان الملك لا يعصى البتة وانما عصى ابليس لانه كان جنيا
في اصله والكلام المستقصى في سورة البقرة افتتخذونه اعقيب ما وجد منه تتخذونه
والهمزة للانكار والتعجب وذريته اولاده او اتباعه وسماهم ذرية مجازا
اولياء من دوني وتستبدلونهم بي فتطيعونهم بدل طاعتي وهم لكم
عدو بئس للظالمين بدلا من الله تعالى ابليس وذريته ما اشهدتهم خلق السموات
والارض ولا خلق انفسهم ما احضرت ابليس وذريته خلق السموات والارض
واحضار بعضهم خلق بعض ليدل على نفي الاعتضاد بهم في ذلك كما صرح به بقوله
وما كنت متخذ المضلين عضدا اي اعوانا رد لاتخاذهم اولياء من دون
الله شركاء له في العبادة فان استحقاق العبادة من توابع الخالقية والاشتراك
فيه يستلزم الاشتراك فيها فوضع المضلين موضع الضمير ذما لهم واستبعادا
للاعتضاد بهم وقيل الضمير للمشركين والمعنى ما اشهدتهم خلق ذلك وما
خصصتهم بعلوم لا يعرفها غيرهم حتى لو امنوا اتبعهم الناس كما يزعمون
فلا يلتفت الى قولهم طمعا في نصرتهم للدين فانه لا ينبغي لي ان اعتضد بالمضلين
لديني ويعضده قراءة من قرا وما كنت على خطاب الرسول وقرئ متخذا المضلين
على الاصل وعضدا بالتخفيف وعضدا بالاتباع وعضدا كخدم جمع عاضد من
عضده اذا قواه ويوم يقول اي الله للكافر وقرا حمزة بالنون نادوا شركائي
الذين زعمتم انهم شركائي وشفعاؤكم ليمنعوكم من عذابي واضافة الشركاء
على زعمهم للتوبيخ والمراد ما عبد من دونه وقيل ابليس وذريته فدعوهم فنادوهم
للاغاثة فلم يستجيبوا لهم لم يغيثوهم وجعلنا بينهم بين الكفار والهتهم
موبقا مهلكا يشتركون فيه وهو النار او عداوة هي في شدتها هلاك
لقول عمر رضه لا يكن حبك كلفا ولا بغضك تلفا اسم مكان او مصدر من وبق
يوبق وبقا اذا هلك وقيل البين الوصل وجعلنا تواصلهم في الدنيا هلاكا يوم القيمة
وراى المجرمون النار فظنوا فايقنوا انهم مواقعوها مخالطوها واقعون
فيها ولم يجدوا عنها مصرفا انصرافا او مكانا ينصرفون اليه ولقد صرفنا
في هذا القران للناس من كل مثل من كل جنس يحتاجون اليه وكان
الانسان اكثر شيء يتاتى منه الجدل جدلا خصومة بالباطل وانتصابه
على التمييز وما منع الناس ان يؤمنوا من الايمان اذ جاءهم الهدى وهو
الرسول الداعي والقران المبين ويستغفروا ربهم من الاستغفار عن الذنوب

الا ان تاتيهم سنة الاولين الا طلب او انتظار او تقدير ان تاتيهم سنة الاولين
هو الاستيصال فحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه او ياتيهم العذاب عذاب
الاخرة قبلا عيانا وقرا الكوفيون قبلا بضمتين وهو لغة فيه او جمع قبيل بمعنى انواع
وقرئ بفتحتين وهو ايضا لغة يقال لقيته مقابلة وقبلا وقبلا وانتصابه على الحال
من الضمير او العذاب وما نرسل المرسلين الا مبشرين ومنذرين للمؤمنين والكافرين
ويجادل الذين كفروا بالباطل باقتراح الايات بعد ظهور المعجزات والسؤال
عن قصة اصحاب الكهف ونحوها تعنتا ليدحضوا به ليزيلوا بالجدال الحق عن مقره
ويبطلوه من ادحاض القدم وهو ازلاقها وذلك قولهم للرسل ما انتم الا بشر مثلنا ولو شاء
الله لانزل ملائكة ونحو ذلك واتخذوا اياتي يعني القران وما انذروا وانذارهم او
والذي انذروا به من العقاب هزوا استهزاء وقرئ هزؤا بالسكون وهو ما يستهزا
به ومن اظلم ممن ذكر بايات ربه بالقران فاعرض عنها فلم يتدبرها ولم يتذكر بها
ونسي ما قدمت يداه من الكفر والمعاصي فلم يتفكر في عاقبتهما انا جعلنا على قلوبهم
اكنة تعليل لاعراضهم ونسيانهم بانهم مطبوع على قلوبهم ان يفقهوه كراهة ان
يفقهوه وتذكير الضمير وافراده للمعنى وفي اذانهم وقرا يمنعهم ان يسمعوه حق استماعه
وان تدعهم الى الهدى فلن يهتدوا اذا ابدا تحقيقا ولا تقليدا لانهم لا يفقهون
ولا يسمعون واذا كما عرفت جزاء وجواب للرسول على تقدير قوله مالي لا ادعوهم
فان حرصه على اسلامهم يدل عليه وربك الغفور البليغ المغفرة ذو الرحمة الموصوف
بالرحمة لو يؤاخذهم بما كسبوا لعجل لهم العذاب استشهاد على ذلك بامهال
قريش مع افراطهم في عداوة رسول الله صلعم بل لهم موعد وهو يوم بدر او يوم
القيمة لن يجدوا من دونه موئلا منجا ولا ملجأ يقال وال اذا نجا ووال اليه اذا لجا اليه وتلك
القرى يعني قرى ثمود وعاد واضرابهم وتلك مبتدا خبره اهلكناهم او مفعول مضمر
مفسره والقرى صفته ولا بد من تقدير مضاف في احدهما ليكون مرجع الضماير
لما ظلموا كقريش بالتكذيب والمراء وانواع المعاصي وجعلنا لمهلكهم موعدا
لاهلاكهم وقتا معلوما لا يستاخرون ساعة ولا يستقدمون فليعتبروا بهم ولا
يغتروا بتاخير العذاب عنهم وقرا ابو بكر لمهلكهم بفتح الميم اي لهلاكهم وحفص
بكسر اللام حملا على ما شذ من مصادر يفعل كالمرجع والمحيض واذ قال موسى
مقدر باذكر لفتاه اي يوشع بن نون بن افرايم بن يوسف عليهم السلام فانه كان
يخدمه ويتبعه ولذلك سماه فتاه وقيل لعبده لا ابرح لا ازال اسير فحذف الخبر
لدلالة حاله وهو السفر وقوله حتى ابلغ مجمع البحرين من حيث انها تستدعي ذا غاية
عليه ويجوز ان يكون اصله لا يبرح مسيري حتى ابلغ على ان حتى ابلغ هو الخبر فحذف
المضاف واقيم المضاف اليه مقامه فانقلب الضمير والفعل وان لا يكون لا ابرح بمعنى

لا ازول عما انا عليه من السير والطلب ولا افارقه فلا يستدعي الخبر ومجمع البحرين
ملتقى بحري فارس والروم مما يلي المشرق وعد لقاء الخضر فيه وقيل البحران موسى
وخضر عليهما السلام فان موسى كان بحر علم الظاهر وخضر كان بحر علم الباطن وقرئ
مجمع بكسر الميم على الشذوذ من يفعل كالمشرق والمطلع او امضي حقبا او اسير زمانا
طويلا والمعنى حتى يقع اما بلوغ المجمع او مضي الحقب وحتى ابلغ الا ان امضي زمانا
اتيقن معه فوات المجمع من يفعل والحقب الدهر وقيل ثمانون سنة وقيل سبعون
روي ان موسى خطب الناس بعد هلاك القبط ودخوله مصر خطبة بليغة فاعجب بها
فقيل له هل تعلم احدا اعلم منك فقال لا فاوحى الله اليه بل عبدنا الخضر وهو بمجمع
البحرين وكان الخضر في ايام افريدون وكان على مقدمة ذي القرنين الاكبر وبقي
الى ايام موسى وقيل ان موسى سال ربه اي عبادك احب اليك قال الذي
يذكرني ولا ينساني قال فاي عبادك اقضى قال الذي يقضي بالحق ولا يتبع الهوى
قال فاي عبادك اعلم قال الذي يبتغي علم الناس الى علمه عسى ان يصيب كلمة
تدل على هدى او ترده عن ردى فقال ان كان في عبادك اعلم مني فادللني عليه
قال اعلم منك الخضر قال اين اطلبه قال على الساحل عند الصخرة قال كيف لي به
قال تاخذ حوتا في مكتل فحيث فقدته فهو هناك فقال لفتاه اذا فقدت الحوت
فاخبرني فذهبا يمشيان فلما بلغا مجمع بينهما اي مجمع البحرين وبينهما ظرف اضيف
اليه على الاتساع او بمعنى الوصل نسيا حوتهما نسي موسى ان يطلبه ويتعرف حاله
ويوشع ان يذكر له ما راى من حيوته ووقوعه في البحر روي ان موسى رقد فاضطرب
الحوت المشوي ووثب في البحر معجزة لموسى او الخضر وقيل توضا يوشع من
عين الحيوة فانتضح الماء عليه فعاش ووثب في الماء وقيل نسيا تفقد امره وما
يكون منه امارة على الظفر بالمطلوب فاتخذ سبيله في البحر سربا فاتخذ الحوت
طريقه في البحر مسلكا من قوله وسارب بالنهار وقيل امسك الله جرية
الماء على الحوت فصار كالطاق عليه ونصبه على المفعول الثاني وفي البحر حال
منه او من السبيل ويجوز تعلقه باتخذ فلما جاوزا مجمع البحرين قال لفتيه
اتنا غداءنا ما نتغدى به لقد لقينا من سفرنا هذا نصبا قيل لم ينصب حتى
جاوز الموعد فلما جاوزه وسارا الليلة والغد الى الظهر القي عليه الجوع والنصب
وقيل لم يعي في سفر غيره ويؤيده التقييد باسم الاشارة قال ارايت اذ اوينا
ارايت ما دهاني اذ اوينا الى الصخرة يعني الصخرة التي رقد عندها موسى وقيل
هي الصخرة التي دون نهر الزيت فاني نسيت الحوت فقدته او نسيت ذكره
بما رايت منه وما انسانيه الا الشيطان ان اذكره اي وما انساني
ذكره الا الشيطان فان ان اذكره بدل من الضمير وقرئ ان اذكركه وهو

اعتذار

اعتذار عن نسيانه بشغل الشيطان له بوساوسه والحال وان كانت عجيبة لا ينسى مثلها
لكنه لما ضرى بمشاهدة امثالها عند موسى والفها قل اهتمامه بها ولعله نسي
لاستغراقه في الاستبصار وانجذاب شراشره الى جناب القدس بما عراه من مشاهدة
الايات الباهرة وانما نسبه الى الشيطان هضما لنفسه او لان عدم احتمال القوة
للجانبين واشتغالها باحدهما عن الاخر يعد من نقصان واتخذ سبيله في البحر
عجبا سبيلا عجبا وهو كونه كالسرب او اتخاذا عجبا والمفعول الثاني هو الظرف
وقيل هو مصدر فعله المضمر اي قال في اخر كلامه او موسى في جوابه عجبا تعجبا
من تلك الحال وقيل الفعل لموسى اي اتخذ موسى سبيل الحوت في البحر عجبا قال
ذلك اي امر الحوت ما كنا نبغ نطلب لانه امارة المطلوب فارتدا على
اثارهما فرجعا في الطريق الذي جاءا فيه قصصا يقصان قصصا اي يتبعان
اثارهما اتباعا او مقتصين حتى اتيا الصخرة فوجدا عبدا من عبادنا الجمهور انه
الخضر واسمه بليان بن ملكان وقيل اليسع وقيل الياس اتيناه رحمة من عندنا
هي الوحي والنبوة وعلمناه من لدنا علما مما يختص بنا ولا يعلم الا بتوفيقنا وهو علم
الغيوب قال له موسى هل اتبعك على ان تعلمن على شرط ان تعلمني وهو في موضع
الحال من الكاف مما علمت رشدا علما ذا رشد وهو اصابة الخير وقرأ البصريان
بفتحتين وهما لغتان كالبخل والبخل وهو مفعول تعلمني ومفعول علمت العائد المحذوف
وكلاهما منقولان من علم الذي له مفعول واحد ويجوز ان يكون علة لاتبعك او
مصدرا باضمار فعله ولا ينافي نبوته وكونه صاحب شريعة ان يتعلم من غيره ما لم
يكن شرطا في ابواب الدين فان الرسول ينبغي ان يكون اعلم ممن ارسل اليه فيما بعث
به من اصول الدين وفروعه لا مطلقا وقد راعى في ذلك غاية التواضع والادب
فاستجهل نفسه واستاذن ان يكون تابعا له وسال منه ان يرشده وينعم عليه بتعليم
بعض ما انعم الله عليه قال انك لن تستطيع معي صبرا نفى عنه استطاعة الصبر
معه على وجوه من التاكيد كانها مما لا يصح ولا يستقيم وعلل ذلك واعتذر عنه
بقوله وكيف تصبر على ما لم تحط به خبرا اي وكيف تصبر وانت نبي على ما
اتولى من امور ظواهرها مناكير وبواطنها لم يحط بها خبرك وخبرا تمييز او مصدر
لان لم تحط به بمعنى لم تخبره قال ستجدني ان شاء الله صابرا معك غير
منكر عليك ولا اعصي لك امرا عطف على صابرا اي ستجدني صابرا وغير عاص
او على ستجدني وتعليق الوعد بالمشيئة اما للتيمن ولعلمه بصعوبة الامر فان
مشاهدة الفساد والصبر على خلاف المعتاد شديد فلا خلف وفيه دليل على
ان افعال العباد واقعة بمشيئة الله قال فان اتبعتني فلا تسالني عن شيء فلا
تفاتحني بالسؤال عن شيء انكرته مني ولم تعلم وجه صحته حتى احدث لك منه ذكرا

حتى ابتدئك ببيانه وقرأ نافع وابن عامر فلا تسألني بالنون الثقيلة فانطلقا على الساحل
يطلبان السفينة حتى اذا ركبا في السفينة خرقها اخذ الخضر فاسا فخرق السفينة
بان قلع لوحين من الواحها قال اخرقتها لتغرق اهلها فان خرقها سبب لدخول
الماء فيها المفضي الى غرق اهلها وقرئ لتغرق بالتشديد للتكثير وقرأ حمزة والكسائي
ليغرق اهلها على اسناده الى الاهل لقد جئت شيئا امرا اتيت امرا عظيما من
امر الامر اذا عظم قال الم اقل انك لن تستطيع معي صبرا تذكير لما ذكره قبل قال لا تؤاخذني
بما نسيت بالذي نسيته او بشيء نسيته يعني وصيته بان لا يعترض عليه او بنسياني
اياها وهو اعتذار بالنسيان اخرجه في معرض النهي عن المؤاخذة مع قيام المانع
لها وقيل اراد بالنسيان الترك اي لا تؤاخذني بما تركت من وصيتك اول
مرة وقيل انه من معاريض الكلام والمراد شيء آخر نسيه ولا ترهقني من
امري عسرا ولا تغشني عسرا بالمضايقة والمؤاخذة على المنسي فان ذلك يعسر علي
متابعتك وعسرا مفعول ثان لترهق فانه يقال رهقته اذا غشيته وارهقته
اياه وقرئ عسرا بضمتين فانطلقا اي بعدما خرجا من السفينة حتى اذا لقيا غلاما
فقتله قيل فتل عنقه وقيل ضرب برأسه الحائط وقيل اضجعه فذبحه والفاء
للدلالة على انه كما لقيه قتله من غير تروٍّ واستكشاف حال ولذلك قال
اقتلت نفسا زكية بغير نفس اي طاهرة من الذنوب وقرأ ابن كثير
ونافع وابو عمرو ورويس عن يعقوب زاكية والاول ابلغ وقال ابو عمرو
والزاكية التي لم تذنب قط والزكية التي اذنبت ثم غفرت ولعله
اختار الاول لذلك فانها كانت صغيرة لم تبلغ الحلم او انه لم يرها قد اذنبت
ذنبا يقتضي قتلها او قتلت نفسا فتقاد بها نبه به على ان القتل انما يباح حدا او قصاصا
وكلا الامرين منتفٍ ولعل تغيير النظم بان جعلوا خرقها جزاء واعتراض موسى مستانفا
وفي الثانية قتله من جملة الشرط واعتراضه جزاء لان القتل اقبح والاعتراض
عليه ادخل فكان جديرا بان يجعل عمدة الكلام ولذلك فصله بقوله لقد جئت شيئا
نكرا اي منكرا وقرأ نافع في رواية قالون وابن عامر ويعقوب وابو بكر نكرا
بضمتين قال الم اقل لك انك لن تستطيع معي صبرا زاد فيه لك مكافحة بالعتاب
على رفض الوصية ووسما بقلة الثبات والصبر لما تكرر منه الاشمئزاز والاستنكار
ولم يرعو بالتذكير اول مرة حتى زاد في الاستنكار ثاني مرة قال ان سألتك
عن شيء بعدها فلا تصاحبني وان سألت صحبتك وعن يعقوب فلا تصحبني اي فلا
تجعلني صاحبك قد بلغت من لدني عذرا قد وجدت عذرا من قبلي لما خالفتك
ثلث مرات عن رسول الله صلعم رحم الله اخي موسى استحيى فقال ذلك لو لبث مع صاحبه
لابصر اعجب الاعاجيب وقرأ نافع لدني بتحريك النون والاكتفاء بها عن نون الدعامة

لقوله

كقوله قدني من نصر الخبيبين قدي وابو بكر لدني بتحريك النون واسكان
الدال واسكان الضاد من عضد فانطلقا حتى اذا اتيا اهل قرية قرية انطاكية
وقيل ايلة البصرة وقيل باجروان ارمينية استطعما اهلها فابوا ان يضيفوهما
وقرئ يضيفوهما من اضافه اذا انزله به ضيفا واضافه وضيفه انزله واصل
التركيب للميل يقال ضاف السهم عن الغرض اذا مال فوجدا فيها جدارا يريد
ان ينقض يداني ان يسقط فاستعيرت الارادة للمشارفة كما استعير لها الهم والعزم
قال يريد الرمح صدر ابي براء ويعدل عن دماء بني عقيل وقال ان دهرا
يلف شملي بجمل لزمان يهم بالاحسان وانقض انفعل من قضضته اذا كسرته
ومنه انقضاض الطير والكواكب لهويه او افعل من النقض وقرئ ان ينقض وان
ينقاض بالصاد المهملة من انقاضت السن اذا انشقت طولا فاقامه بعمارته
او بعمود عمده به وقيل مسحه بيده فقام وقيل نقضه وبناه قال لو شئت
لاتخذت عليه اجرا تحريضا على اخذ الجعل لينتعشا به او تعريضا بانه فضول
لما في لو من النفي كانه لما رأى الحرمان ومساس الحاجة واشتغاله بما لا يعنيه
لم يتمالك نفسه واتخذ افتعل من تخذ كاتبع من تبع وليس من الاخذ عند
البصريين وقرأ ابن كثير والبصريان لتخذت اي لاخذت واظهر ابن كثير
ويعقوب وحفص الذال وادغمه الباقون قال هذا فراق بيني وبينك
الاشارة الى الفراق الموعود بقوله فلا تصاحبني او الى الاعتراض الثالث
او الوقت اي هذا الاعتراض سبب فراقنا او هذا الوقت وقته واضافة الفراق الى
البين اضافة المصدر الى الظرف على الاتساع وقد قرئ على الاصل سانبئك بتأويل
ما لم تستطع عليه صبرا بالخبر الباطن فيما لم تستطع الصبر عليه لكونه منكرا من حيث الظاهر
اما السفينة فكانت لمساكين يعملون في البحر لمحاويج وهو دليل على ان المسكين يطلق
على من يملك شيئا اذا لم يكفه وقيل سموا مساكين لعجزهم عن دفع الملك او لزمانتهم
فانها كانت لعشرة اخوة خمسة زمنى وخمسة يعملون في البحر فاردت ان اعيبها
اجعلها ذات عيب وكان وراءهم ملك قدامهم او خلفهم وكان رجوعهم عليه
واسمه جلندى بن كركر وقيل منوار بن جلندى الازدي ياخذ كل سفينة غصبا من
اصحابها وكان حق النظم ان يتأخر قوله فاردت ان اعيبها عن قوله وكان وراءهم
ملك لان ارادة التعييب مسبب عن خوف الغصب وانما قدم للعناية او لان
السبب لما كان مجموع الامرين خوف الغصب ومسكنة الملاك رتبه على اقوى
الجزئين وادعاهما وعقبه بالاخر على سبيل التقييد والتتميم وقرئ كل سفينة صالحة
والمعنى عليها واما الغلام فكان ابواه مؤمنين فخشينا ان يرهقهما ان
يغشيهما طغيانا وكفرا لنعمتهما بعقوقه فيلحقهما شرا او يقرن بايمانهما طغيانه

وكفرا فيجتمع في بيت واحد مؤمنان وطاغ كافر او يعديهما بعلته فيرتدا باضلاله
او بممالاته على طغيانه وكفره حباله وانما خشي ذلك لان الله اعلمه وعن ابن
عباس ان نجدة الحروري كتب اليه كيف قتله وقد نهى النبي صلعم عن قتل الولدان
فكتب اليه ان علمت من حال الولدان ما علمه عالم موسى فلك ان تقتل وقرئ فخاف
ربك اي يكره كراهة من خاف سوء عاقبة ويجوز ان يكون قوله فخشينا حكاية قول
الله عز وجل فاردنا ان يبدلهما ربهما خيرا منه ان يرزقهما بدله ولدا خيرا
منه زكوة طهارة من الذنوب والاخلاق الردية واقرب رحما رحمة وعطفا
على والديه قيل ولدت لهما جارية فتزوجها نبي فولدت نبيا هدى الله به امة من الامم
وقرا نافع وابو عمرو يبدلهما بالتشديد وابن عامر ويعقوب رحما بالتثقيل
وانتصابه على التمييز والعامل اسم التفضيل وكذلك زكوة واما الجدار فكان لغلامين
يتيمين في المدينة قيل اسمهما اصرم وصريم واسم المقتول حيسون وكان تحته كنز
لهما من ذهب وفضة روي ذلك مرفوعا والذم على كنزهما في قوله والذين
يكنزون الذهب والفضة لمن لا يؤدي زكوتهما وما تعلق بهما من الحقوق وقيل
من كتب العلم وقيل كان لوح من ذهب مكتوب فيه عجبت لمن يؤمن بالقدر
كيف يحزن وعجبت لمن يؤمن بالرزق كيف يتعب وعجبت لمن يؤمن
بالموت كيف يفرح وعجبت لمن يؤمن بالحساب كيف يغفل وعجبت لمن يعرف
الدنيا وتقلبها باهلها كيف يطمئن اليها لا اله الا الله محمد رسول الله وكان
ابوهما صالحا تنبيه على ان سعيه في ذلك كان لصلاحه قيل كان بينهما وبين الاب
الذي حفظا فيه سبعة اباء وكان سياحا واسمه كاشح فاراد ربك ان يبلغا اشدهما
اي الحلم وكمال الراي ويستخرجا كنزهما رحمة من ربك مرحومين من
ربك ويجوز ان يكون علة او مصدرا لاراد فان ارادة الخير رحمة وقيل
متعلق بمحذوف تقديره فعلت ما فعلت رحمة من ربك ولعل اسناد الارادة
اولا الى نفسه لانه المباشر للتعييب وثانيا الى الله والى نفسه لان التبديل باهلاك
الغلام وايجاد الله بدله وثالثا الى الله وحده لانه لا مدخل له في بلوغ
الغلامين او لان الاول في نفسه شر والثالث خير والثاني ممتزج او لاختلاف حال
العارف في الالتفات الى الوسائط وما فعلته وما فعلت ما رايته عن امري عن رايي
وانما فعلته بامر الله عز وجل ومبنى ذلك على انه متى تعارض ضرران يجب تحمل
اهونهما لدفع اعظمهما وهو اصل ممهد غير ان الشرائع في تفاصيله مختلفة ذلك تاويل
ما لم تسطع عليه صبرا اي ما لم تستطع فحذف التاء تخفيفا ومن فوائد هذه القصة
ان لا يعجب المرء بعلمه ولا يبادر الى انكار ما لا يستحسنه فلعل فيه سرا لا يعرفه
وان يداوم على التعلم ويتذلل للمعلم ويراعي الادب في المقال وان ينبه المجرم على جرمه

ويعفو عنه

ويعفو عنه حتى يتحقق اصراره ثم يهاجر عنه ويسئلونك عن ذي القرنين يعني اسكندر
الرومي ملك فارس والروم وقيل المشرق والمغرب ولذلك سمي ذا القرنين
او لانه طاف قرني الدنيا شرقها وغربها وقيل لانه انقرض في ايامه قرنان من الناس
وقيل كان له قرنان اي ضفيرتان وقيل كان لتاجه قرنان ويحتمل انه لقب بذلك
لشجاعته كما يقال الكبش للشجاع كانه ينطح اقرانه واختلف في نبوته مع الاتفاق
على ايمانه وصلاحه والسائلون هم اليهود سالوه امتحانا او مشركو مكة قل
ساتلوا عليكم منه ذكرا خطاب للسائلين والهاء لذي القرنين وقيل لله
انا مكنا له في الارض اي مكنا له امره من التصرف فيها كيف شاء فحذف
المفعول واتيناه من كل شيء اراده وتوجه اليه سببا وصلة توصله اليه
من العلم والقدرة والالة فاتبع سببا اي فاراد بلوغ المغرب فاتبع سببا يوصله
اليه حتى اذا بلغ مغرب الشمس وجدها تغرب في عين حمئة ذات حماة من حمئت
البئر اذا صارت ذات حماة وقرا ابن عامر وحمزة والكسائي وابو بكر حامية اي
حارة ولا تنافي بينهما لجواز ان تكون العين جامعة للوصفين او حمئة على ان ياءها مقلوب
عن الهمزة لكسر ما قبلها ولعله بلغ ساحل المحيط فراها كذلك اذ لم يكن في مطمح بصره غير الماء
ولذلك قال وجدها تغرب ولم يقل كانت تغرب وقيل ان ابن عباس سمع معاوية
يقرا حامية فقال حمئة فبعث معاوية الى كعب الاحبار كيف تجد الشمس تغرب
قال في ماء وطين كذلك نجده في التورية ووجد عندها عند تلك العين قوما
قيل كان لباسهم جلود الوحش وطعامهم ما لفظه البحر وكانوا كفارا فخيره الله بين
ان يعذبهم او يدعوهم الى الايمان كما حكى بقوله قلنا يا ذا القرنين اما ان
تعذب اي بالقتل على كفرهم واما ان تتخذ فيهم حسنا بالارشاد وتعليم
الشرائع وقيل خيره بين القتل والاسر وسماه احسانا في مقابلة القتل ويؤيد الاول
قوله قال اما من ظلم فسوف نعذبه ثم يرد الى ربه فيعذبه عذابا نكرا
اي فاختار الدعوة وقال اما من دعوته فظلم نفسه بالاصرار على كفره واستمر
على ظلمه الذي هو الشرك فنعذبه انا ومن معي في الدنيا بالقتل ثم يعذبه الله في
الاخرة عذابا منكرا لم يعهد مثله واما من امن وعمل صالحا وهو ما يقتضيه الايمان
فله في الدارين جزاء الحسنى فعلته الحسنى وقرا حمزة والكسائي ويعقوب وحفص جزاء
منونا منصوبا على الحال اي فله المثوبة الحسنى مجزيا بها او على المصدر لفعله المقدر
حالا اي يجزى بها جزاء او التمييز وقرئ منصوبا غير منون على ان تنوينه حذف
لالتقاء الساكنين ومنونا مرفوعا على انه المبتدا والحسنى بدله ويجوز ان يكون اما واما
للتقسيم دون التخيير اي ليكن شانك معهم اما التعذيب واما الاحسان فالاول لمن اصر
على الكفر والثاني لمن تاب عنه ونداء الله اياه ان كان نبيا فوحي وان كان غيره

فبالهام او على لسان نبي وسنقول له من امرنا مما نامر به يسرا سهلا متيسرا غير شاق وتقديره ذا يسر وقرئ بضمتين ثم اتبع سببا ثم اتبع طريقا يوصله الى المشرق حتى اذا بلغ مطلع الشمس يعني الموضع الذي يطلع الشمس عليه اولا من معمورة الارض وقرئ بفتح اللام على اضمار مضاف اى مكان مطلع الشمس فانه مصدر وجدها تطلع على قوم لم نجعل لهم من دونها سترا من اللباس او البناء فان ارضهم لا تمسك الابنية او انهم اتخذوا الاسراب بدل الابنية كذلك اى امر ذى القرنين كما وصفناه فى رفعة المكان وبسطة الملك او امره فيهم كامره فى اهل المغرب من التخيير والاختيار ويجوز ان يكون صفة مصدر محذوف لوجد او نجعل او صفة قوم اى على قوم مثل ذلك القبيل الذى تغرب عليهم الشمس فى الكفر والحكم وقد احطنا بما لديه من الجنود والآلات والعدد والاسباب خبرا علما تعلق بظواهره وخفاياه والمراد ان كثرة ذلك بلغت مبلغا لا يحيط به الا علم اللطيف الخبير ثم اتبع سببا يعنى طريقا ثالثا معترضا بين المشرق والمغرب آخذا من الجنوب الى الشمال حتى اذا بلغ بين السدين بين الجبلين المبنى بينهما سده وهما جبلا ارمينية واذربيجان وقيل جبلان فى اواخر الشمال فى منقطع ارض الترك منيفان من ورائهما ياجوج وماجوج وقرأ نافع وابن عامر وحمزة والكسائى وابو بكر ويعقوب بين السدين بالضم وهما لغتان وقيل المضموم لما خلقه الله والمفتوح لما عمله الناس لانه فى الاصل مصدر سمى به حدث يحدثه الناس وقيل بالعكس وبين ههنا مفعول به وهو من الظروف المتصرفة وجد من دونهما قوما لا يكادون يفقهون قولا لغرابة لغتهم وقلة فطنتهم وقرأ حمزة والكسائى لا يفقهون اى لا يفهمون السامع كلامهم ولا يبينونه لتلعثمهم فيه قالوا يا ذا القرنين اى قال مترجمهم وفى مصحف ابن مسعود قال الذين من دونهم ان ياجوج وماجوج قبيلتان من ولد يافث بن نوح وقيل ياجوج من الترك وماجوج من الجيل وهما اسمان اعجميان بدليل منع الصرف وقيل عربيان من اج الظليم اذا اسرع واصلهما الهمزة كما قرأ عاصم ومنع صرفهما للتعريف والتانيث مفسدون فى الارض اى فى ارضنا بالقتل والتخريب واتلاف الزروع قيل كانوا يخرجون الربيع فلا يتركون اخضر الا اكلوه ولا يابسا الا احتملوه وقيل كانوا ياكلون الناس فهل نجعل لك خرجا جعلا نخرجه من اموالنا وقرأ حمزة والكسائى خراجا وكلاهما واحد كالنول والنوال وقيل الخراج على الارض والذمة والخرج المصدر على ان تجعل بيننا وبينهم سدا يحجز دون خروجهم علينا وقد ضمه من ضم السدين غير حمزة والكسائى قال ما مكنى فيه ربى خير ما جعلنى فيه مكينا من المال والملك خير مما تبذلون لى من الخراج ولا حاجة لى اليه وقرأ ابن كثير مكننى على الاصل فاعينونى بقوة اى بقوة فعلة او بما

المصدر

يتقوى

يتقوى به من الآلات اجعل بينكم وبينهم ردما حاجزا حصينا وهو اكبر من السد من قولهم ثوب مردم اذا كان رقاعا فوق رقاع آتونى زبر الحديد قطعه والزبرة القطعة الكبيرة وهو لا ينافى رد الخراج والاقتصار على المعونة لان الايتاء بمعنى المناولة ويدل عليه قراءة ابى بكر ردما ائتونى بكسر التنوين موصولة الهمزة على معنى جيئونى بزبر الحديد والباء محذوفة حذفها فى امرتك الخير ولان اعطاء الآلة من الاعانة بالقوة دون الخراج على العمل حتى اذا ساوى بين الصدفين بين جانبى الجبلين بتنضيدها وقرأ ابن كثير وابن عامر والبصريان بضمتين وابو بكر بضم الصاد واسكان الدال وقرئ بفتح الصاد وضم الدال وكلها لغات من الصدف وهو الميل لان كلا منهما منعدل عن الآخر ومنه التصادف للتقابل قال انفخوا اى قال للعملة انفخوا فى الاكوار والحديد حتى اذا جعله جعل المنفوخ فيه نارا كالنار بالاحماء قال آتونى افرغ عليه قطرا اى آتونى قطرا اى نحاسا مذابا افرغ عليه قطرا فحذف الاول لدلالة الثانى عليه وبه تمسك البصريون على ان اعمال الثانى من العاملين المتوجهين نحو معمول واحد اولى اذ لو كان قطرا مفعول آتونى لاضمر مفعول افرغ حذرا من الالباس وقرأ حمزة وابو بكر قال ائتونى موصولة الالف فما اسطاعوا بحذف التاء حذرا من تلاقى متقاربين وقرأ حمزة بالادغام جامعا بين الساكنين على غير حده وقرئ بقلب السين صادا ان يظهروه ان يعلوه بالصعود لارتفاعه وانملاسه وما استطاعوا له نقبا لثخنه وصلابته قيل حفر للاساس حتى بلغ الماء وجعله من الصخر والنحاس المذاب والبنيان من زبر الحديد بينها الحطب والفحم حتى ساوى اعلى الجبلين ثم وضع المنافيخ حتى صارت كالنار فصب النحاس المذاب عليها فاختلط والتصق بعضه ببعض فصار جبلا صلدا وقيل بناه هذا السد والاقتدار على تسويته رحمة من ربى على عباده فاذا جاء وعد ربى وقت وعده بخروج ياجوج وماجوج او بقيام الساعة بان شارف يوم القيمة جعله دكا مدكوكا مبسوطا مسوى بالارض مصدر بمعنى مفعول ومنه جمل ادك لمنبسط السنام وقرأ الكوفيون دكاء بالمد اى ارضا مستوية وكان وعد ربى حقا كائنا لا محالة وهو آخر حكاية قول ذى القرنين وتركنا بعضهم يومئذ يموج فى بعض وجعلنا بعض ياجوج وماجوج حين يخرجون مما وراء السد يموجون فى بعض مزدحمين فى البلاد او يموج بعض الخلق فى بعض فيضطربون ويختلطون انسهم وجنهم حيارى ونفخ فى الصور لقيام الساعة فجمعناهم جمعا للحساب والجزاء وعرضنا جهنم يومئذ للكافرين وابرزناها واظهرناها لهم الذين كانت اعينهم فى غطاء عن ذكرى عن آياتى التى ينظر اليها فاذكر بالتوحيد والتعظيم وكانوا لا يستطيعون سمعا استماعا لذكرى وكلامى لافراط صممهم عن الحق فان

من الصخور مربوطا بعضها ببعض بكلاليب من حديد ونحاس مذاب فى تجاويفها

فان الاصم قد يستطيع السمع اذا صيح به وهؤلاء كانهم اصميت مسامعهم بالكلية افحسب الذين كفروا افظنوا والاستفهام للانكار ان يتخذوا عبادى اتخاذهم الملائكة والمسيح من دونى اولياء معبودين نافعهم او لا اعذبهم به فحذف المفعول الثانى كما يحذف الخبر للقرينة او سد ان يتخذوا مسد مفعوليه وقرى افحسب الذين كفروا اى افكافيهم فى النجاة وان بما فى حيزه مرتفع بانه فاعل حسب فان النعت اذا اعتمد على الهمزة ساوى الفعل فى العمل او خبر له انا اعتدنا جهنم للكافرين نزلا ما يقام للنزيل وفيه تهكم وتنبيه على ان لهم وراءها من العذاب ما يستحقرونه قل هل ننبئكم بالاخسرين اعمالا نصب على التمييز وجمع لانه من اسماء الفاعلين او لتنوع اعمالهم الذين ضل سعيهم فى الحيوة الدنيا ضاع وبطل لكفرهم وعجبهم كالرهابنة فانهم خسروا دنياهم واخرتهم ومحله الرفع على الخبر للمبتدأ المحذوف فانه جواب السؤال او الجر على البدل او النصب على الذم وهم يحسبون انهم يحسنون صنعا لعجبهم واعتقادهم انهم على الحق اولئك الذين كفروا بايات ربهم بالقران او بدلائله المنصوبة على التوحيد والنبوة ولقائه بالبعث على ما هو عليه او لقاء عذابه فحبطت اعمالهم بكفرهم فلا يثابون عليها فلا نقيم لهم يوم القيمة وزنا فنزدرى بهم ولا نجعل لهم مقدارا واعتبارا او لا نضع لهم ميزانا يوزن به اعمالهم فلا نحبطها ذلك الامر ذلك وقوله جزاؤهم جهنم جملة مبينة له ويجوز ان يكون ذلك مبتدأ والجملة خبره والعائد محذوف اى جزاؤهم به او جزاؤهم بدله وجهنم خبره او جزاؤهم خبره وجهنم عطف بيان للخبر بما كفروا واتخذوا اياتى ورسلى هزوا اى بسبب ذلك ان الذين امنوا وعملوا الصالحات كانت لهم جنات الفردوس نزلا فيما سبق من حكم الله ووعده والفردوس اعلى درجات الجنة واصله البستان الذى يجمع الكرم والنخل خالدين فيها حال مقدرة لا يبغون عنها حولا تحولا اذ لا يجدون اطيب منها حتى تنازعهم اليه انفسهم ويجوز ان يراد به تاكيد الخلود قل لو كان البحر مدادا ما يكتب به وهو اسم ما يمد به الشئ كالحبر للدواة والسليط للسراج لكلمات ربى لكلمات علمه وحكمته لنفد البحر لنفد جنس البحر باسره لان كل جسم متناه قبل ان تنفد كلمات ربى فانها غير متناهية لا تنفد كعلمه ولو جئنا بمثله بمثل البحر الموجود مددا زيادة ومعونة لان مجموع المتناهين متناه بل مجموع ما يدخل فى الوجود من الاجسام لا يكون الا متناهيا للدلائل القاطعة على تناهى الابعاد والمتناهى ينفد قبل ان ينفد غير المتناهى لا محالة وقرى ينفد بالياء ومددا

بكسر الميم

بكسر الميم جمع مدة وهى ما يستمده الكاتب ومدادا وسبب نزولها ان اليهود قالوا فى كتابكم ومن يؤت الحكمة فقد اوتى خيرا كثيرا وتقرؤون وما اوتيتم من العلم الا قليلا قل انما انا بشر مثلكم لا ادعى الاحاطة على كلماته يوحى الى انما الهكم اله واحد وانما تميزت عنكم بذلك فمن كان يرجوا لقاء ربه يؤمل حسن لقائه فليعمل عملا صالحا يرتضيه الله تعالى ولا يشرك بعبادة ربه احدا بان يرائيه او يطلب منه اجرا روى ان جندب بن زهير قال لرسول الله صلعم انى لاعمل العمل لله تعالى فاذا اطلع عليه سرنى فقال ان الله لا يقبل ما شورك فيه فنزلت تصديقا له وعنه عليه السلام اتقوا الشرك الاصغر قالوا وما الشرك الاصغر قال الرياء والاية جامعة لخلاصتى العلم والعمل وهما التوحيد والاخلاص فى الطاعة وعن النبى صلى الله عليه وسلم من قرأها عند مضجعه كان له نورا فى مضجعه يتلألأ الى مكة حشو ذلك النور ملائكة يصلون عليه حتى يقوم فان كان مضجعه بمكة كان له نورا يتلألأ من مضجعه الى البيت المعمور حشو ذلك النور ملائكة يصلون عليه حتى يستيقظ وعنه صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الكهف من اخرها كانت له نورا من فرقه الى قدمه ومن قرأها كلها كانت له نورا من الارض الى السماء والله اعلم

تم الجزء النصف الاول فى يوم الاربعاء عشرين رجب المرجب
فى تاريخ سنة ست وثلثين وثمانمائة سلمه تبارك وتعالى الله
عن الافات والبليات على يدى العبد الفقير
المحتاج الى رحمة الله تعالى سلمان بن سليمان
غفر الله تعالى لهم وصلى الله على محمد
واله اجمعين امين
يا كبيكج
برحمتك يا ادم
الراحمين

... علومهما انما ... فاذا عرفت معنى قو

[redacted]

لكن اوردوا عليه بان ارتفاع الامر الاول اعني الايمان المجرد كاف في ارتفاع المشروط اعني النفع فلا احتياج الى رفع الامر الثاني
اعني الايمان الكاسب فيه الخير لانه اذا لم يتحقق اصل الايمان فكيف يتحقق ايمان الكاسب فيه الخير فاجاب عنه شيخ زاده رحمه الله
بان اللازم من النفع المشروط بهما ليس الا النفع التام من نفع الخلود ونفع الدخول بمعنى ان المقصود لا يحصل بارتفاع اصل الايمان فقط
يحتاج الى رفع ايمان الكاسب فيه الخير لان المنتفي بالاول ليس الا نفع الخلود والمقصود مركب من النفعين اعني
نفي النفعين كليهما لا احدهما فحينئذ يكون معناه اذا لم يكن الايمان المجرد لا يحصل النفع من الخلود واذا لم يكن الايمان الكاسب
فيه الخير لا يحصل النفع من الدخول فلا ارتفاع بين المشروط المخصوص المركب المطلق الى ... النفعين المذكورين بقيت الحاجة
الى ذكر الاية الثانية اعني قوله تعالى او كسبت في ايمانها خيرا فلم يكن ذكرها لغوا اصلا

[redacted]

... الثاني او الاول ... الحاصل في الدنيا
... شرط الحصول فيهما ... من الامرين على سبيل ...

وبهذا مطابقة القصر المعرف بقصور القسم والقصر ...

رجب

Süleymaniye U Kütüphanesi
Hasan Hüsnü Pş.
Eski kayıt No. 31